قصص

المصباح

المضيء

الاجزء

٦-١٠

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٦

٢٠٢٤

إعداد

جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء السادس

النبي شعيب ﷺ

لقد برز في قصة شعيب أن الدين ليس قضية توحيد وألوهية فقط، بل إنه كذلك أسلوب لحياة الناس.. أرسل الله تعالى شعيبا إلى أهل مدين. فقال شعيب: وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَّ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . هو نفس الدعوة التي يدعوها كل نبي.. لا تختلف من نبي إلى آخر.. لا تتبدل ولا تتردد. هي أساس العقيدة.. وبغير هذه الأساس يستحيل أن ينهض بناء. بعد تبيين هذا الأساس.. بدأ شعيب في توضيح الأمور الأخرى التي جاءت بها دعوته { وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ } بعد قضية التوحيد مباشرة.. ينتقل النبي إلى قضية المعاملات اليومية.. قضية الأمانة والعدالة.. كان أهل مدين ينقصون المكيال والميزان، ولا يعطون الناس حقهم.. وهي رذيلة تمس نظافة القلب واليد.. كما تمس كمال المروءة والشرف، وكان أهل مدين يعتبرون بخس الناس أشياءهم.. نوعا من أنواع المهارة في البيع والشراء.. ودهاء في الأخذ والعطاء.. ثم جاء نبيهم وأفهمهم أن هذه دناءة وسرقة.. أفهمهم أنه يخاف عليهم بسببها من عذاب يوم محيط.. انظر إلى تدخل الإسلام الذي بعث به شعيب في حياة الناس، إلى الحد الذي يرقب فيه عملية البيع والشراء. قال: (وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ } لم يزل شعيب ماضيا في دعوته.. ها هو ذا يكرر نصحه لهم بصورة إيجابية بعد صورة النهي السلبية.. إنه يوصيهم أن يوفوا المكيال والميزان بالقسط.. بالعدل والحق.. وهو يحذرهم أن يبخسوا الناس أشيائهم. لنتدبر معا في التعبير القرآني القائل) :وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ (كلمة الشيء تطلق على الأشياء المادية والمعنوية.. أي أنها ليست مقصورة على البيع والشراء فقط، بل تدخل فيها الأعمال، أو التصرفات الشخصية. ويعني النص تحريم الظلم، سواء كان ظلما في وزن الفاكهة أو الخضراوات، أو ظلما في تقييم مجهود الناس وأعمالهم.. ذلك أن ظلم الناس يشيع في جو الحياة مشاعر من الألم واليأس واللامبالاة، وتكون النتيجة أن ينهزم الناس من الداخل، وتنهار علاقات العمل، وتلحقها القيم.. ويشيع الاضطراب في الحياة.. ولذلك يستكمل النص تحذيره من الإفساد في الأرض) :وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (العثو هو تعمد الإفساد والقصد إليه فلا تفسدوا في الأرض متعمدين قاصدين)بَقِيَّةُ اللهِّ خَيْرٌ لَّكُمْ .(ما عند الله خير لكم) ..إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ .(بعدها يخلي بينهم وبين

الله الذي دعاهم إليه.. ينحي نفسه ويفهمهم أنه لا يملك لهم شيئا.. ليس موكلا عليهم ولا حفيظا عليهم ولا حارسا لهم.. إنما هو رسول يبلغهم رسالات ربه: بهذا الأسلوب يشعر شعيب قومه بأن الأمر جد، وخطير، وثقيل.. إذ بين لهم عاقبة إفسادهم وتركهم أمام العاقبة وحدهم. جواب قوم شعيب: كان هو الذي يتكلم.. وكان قومه يستمعون.. توقف هو عن الكلام وتحدث قومه: { قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) كان أهل مدين كفارا يقطعون السبيل، ويخيفون المارة، ويعبدون الأيكة.. وهي شجرة وكانوا من أسوأ الناس معاملة، يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما، ويأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص.. انظر بعد هذا كله إلى حوارهم مع شعيب: (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)بهذا التهكم الخفيف والسخرية المندهشة.. واستهوال الأمر.. لقد تجرأت صلاة شعيب وأمرته أن يأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم.. ولقد كان آباؤهم يعبدون الأشجار والنباتات.. وصلاة شعيب تأمرهم أن يعبدوا الله وحده.. أي جرأة من شعيب..؟ أو فلنقل أي جرأة من صلاة شعيب..؟ بهذا المنطق الساخر الهازئ وجه قوم شعيب خطابهم إلى نبيهم.. ثم عادوا يتساءلون بدهشة ساخرة) :أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء (تخيل يا شعيب أن صلاتك تتدخل في إرادتنا، وطريقة تصرفنا في أموالنا.. ما هي علاقة الإيمان والصلاة بالمعاملات المادية؟ بهذا التساؤل الذي ظنه قوم شعيب قمة في الذكاء.. طرحوا أمامه قضية الإيمان، وأنكروا أن تكون لها علاقة بسلوك الناس وتعاملهم واقتصادهم. هذه المحاولة للتفريق بين الحياة الاقتصادية والإسلام، وقد بعث به كل الأنبياء، وإن اختلفت أسماؤه.. هذه المحاولة قديمة من عمر قوم شعيب. لقد أنكروا أن يتدخل الدين في حياتهم اليومية، وسلوكهم واقتصادهم وطريقة إنفاقهم لأموالهم بحرية. إن حرية إنفاق المال أو إهلاكه أو التصرف فيه شيء لا علاقة له بالدين.. هذه حرية الإنسان الشخصية.. وهذا ماله الخاص، ما الذي أقحم الدين على هذا وذاك؟.. هذا هو فهم قوم شعيب للإسلام الذي جاء به شعيب، وهو لا يختلف كثيرا أو قليلا عن فهم عديد من الأقوام في زماننا الذي نعيش فيه. ما للإسلام وسلوك الإنسان الشخصي وحياتهم الاقتصادية وأسلوب الإنتاج وطرق التوزيع وتصرف الناس في أموالهم كما يشاءون..؟ ما للإسلام وحياتنا اليومية..؟ ثم يعودون إلى السخرية منه والاستهزاء بدعوته)إِنَّكَ لَأَنتَ

الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (أي لو كنت حليما رشيدا لما قلت ما تقول. أدرك شعيب أن قومه يسخرون منه لاستبعادهم تدخل الدين في الحياة اليومية.. ولذلك تلطف معهم تلطف صاحب الدعوة الواثق من الحق الذي معه، وتجاوز سخريتهم لا يباليها، ولا يتوقف عندها، ولا يناقشها.. تجاوز السخرية إلى الجد.. أفهمهم أنه على بينة من ربه. إنه نبي يعلم وهو لا يريد أن يخالفهم إلى ما ينهاهم عنه، إنه لا ينهاهم عن شيء ليحقق لنفسه نفعا منه، إنه لا ينصحهم بالأمانة ليخلوا له السوق فيستفيد من التلاعب.. إنه لا يفعل شيئا من ذلك.. إنما هو نبي.. وها هو ذا يلخص لهم كل دعوات الأنبياء هذا التلخيص المعجز) :إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ (إن ما يريده هو الإصلاح.. هذه هي دعوات الأنبياء في مضمونها الحقيقي وعمقها البعيد.. إنهم مصلحون أساسا، مصلحون للعقول، والقلوب، والحياة العامة، والحياة الخاصة. بعد أن بين شعيب عليه السلام لقومه أساس دعوته، وما يجب عليهم الالتزام به، ورأى منهم الاستكبار، حاول إيقاظ مشاعرهم بتذكيرهم بمصير من قبلهم من الأمم، وكيف دمرهم الله بأمر منه. فذكرهم قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط. وأراهم أن سبيل النجاة هو العودة لله تائبين مستغفرين، فالمولى غفور رحيم. تحدي وتهديد القوم لشعيب: لكن قوم شعيب أعرضوا عنه قائلين) :قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا (هود إنه ضعيف بمقياسهم. ضعيف لأن الفقراء والمساكين هم فقط اتبعوه، أما علية القوم فاستكبروا وأصروا على طغيانهم. إنه مقياس بشري خاطئ، فالقوة بيد الله، والله مع أنبياءه. ويستمر الكفرة في تهديهم قائلين: {وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ } لولا أهلك وقومك ومن يتبعك لحفرنا لك حفرة وقتلناك ضربا بالحجارة. نرى أنه عندما أقام شعيب –عليه السلام– الحجة على قومه، غيروا أسلوبهم، فتحولوا من السخرية إلى التهديد. وأظهروا حقيقة كرههم له. لكن شعيب تلطف معهم.. تجاوز عن إساءتهم إليه وسألهم سؤالا كان هدفه إيقاظ عقولهم: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ (يا لسذاجة هؤلاء. إنهم يسيئون تقدير حقيقة القوى التي تتحكم في الوجود.. إن الله هو وحده العزيز.. والمفروض أن يدركوا ذلك.. المفروض ألا يقيم الإنسان وزنا في الوجود لغير الله.. ولا يخشى في الوجود غير الله.. ولا يعمل حسابا في الوجود لقوة غير الله .. إن الله هو القاهر فوق عباده. ويبدو أن قوم شعيب ضاقوا ذرعا بشعيب. فاجتمع رؤساء قومه. ودخلوا مرحلة جديدة من

التهديد.. هددوه أولا بالقتل، وهاهم أولاء يهددونه بالطرد من قريتهم.. خيروه بين التشريد، والعودة إلى ديانتهم وملتهم التي تعبد الأشجار والجمادات.. وأفهمهم شعيب أن مسألة عودته في ملتهم مسألة لا يمكن حتى التفكير بها فكيف بهم يسألونه تنفيذها. لقد نجاه الله من ملتهم، فكيف يعود إليها؟ أنه هو الذي يدعوهم إلى ملة التوحيد.. فكيف يدعونه إلى الشرك والكفر؟ ثم أين تكافؤ الفرص؟ إنه يدعوهم برفق ولين وحب.. وهم يهددونه بالقوة. واستمر الصراع بين قوم شعيب ونبيهم.. حمل الدعوة ضده الرؤساء والكبراء والحكام.. وبدا واضحا أن لا أمل فيهم.. لقد أعرضوا عن الله.. أداروا ظهورهم لله. فنفض شعيب يديه منهم. لقد هجروا الله، وكذبوا نبيه، واتهموه بأنه مسحور وكاذب.. فليعمل كل واحد.. ولينتظروا جميعا أمر الله. هلاك قوم شعيب: وانتقل الصراع إلى تحد من لون جديد. راحوا يطالبونه بأن يسقط عليهم كسفا من السماء إن كان من الصادقين.. راحوا يسألونه عن عذاب الله.. أين هو..؟ وكيف هو..؟ ولماذا تأخر..؟ سخروا منه.. وانتظر شعيب أمر الله. أوحى الله إليه أن يخرج المؤمنين ويخرج معهم من القرية.. وخرج شعيب.. وجاء أمره تعالى: { وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94)كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ) ٩٤ (هود} هي صيحة واحدة.. صوت جاءهم من غمامة أظلتهم.. ولعلهم فرحوا بما تصوروا أنها تحمله من المطر.. ثم فوجئوا أنهم أمام عذاب عظيم ليوم عظيم.. انتهى الأمر. أدركتهم صيحة جبارة جعلت كل واحد فيهم يجثم على وجهه في مكانه الذي كان فيه في داره.. صعقت الصيحة كل مخلوق حي.. لم يستطع أن يتحرك أو يجري أو يختبئ أو ينقذ نفسه. فسبحان الله القوي القاهر فوق عباده.

قصص من السنة

طفل يتكلم

عن ابن عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ فَقَالَ: "يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ " قَالَ: هَذِهِ رِيحُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا بَيْنَمَا هِيَ تَمْشُطُ بِنْتَ فِرْعَوْنَ إِذْ سَقَطَ الْمِدْرَى مِنْ يَدَهَا فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهَّ فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: بَلْ رَبِّي وَرَبُّكِ اللهَّ قالت: وإن لك ربا غير أبي؟ قَالَتْ: نَعَمْ اللهَّ قَالَتْ: فَأُخْبِرُ بِذَلِكَ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ فَأَخْبَرَتْهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَقَالَ: أَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللهَّ فَأَمَرَ بِنُقْرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَجَعَلَ يُلْقِي وَلَدَهَا وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى انْتَهَوْا

إِلَى وَلَدٍ لَهَا رَضِيعٍ فَقَالَ: يَا أُمَّتَاهُ أثبتي فإنك على الحق عَنِ ابن عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: "مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِرَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ " فَقَالَ هَذِهِ مَاشِطَةُ بِنْتِ فِرْعَوْنَ كَانَتْ تَمْشُطُهَا فَوَقَعَ الْمُشْطُ مِنْ يَدَهَا فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهَّ فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: رَبِّي وَرَبُّكِ وَرَبُّ أَبِيكِ قَالَتْ: أَقُولُ لَهُ؟ قَالَتْ: قُولِي فَقَالَتْ فَقَالَ لَهَا: أَلَكِ مِنْ رَبٍّ غَيْرِي؟ قَالَتْ: رَبِّي وَرَبُّكَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ قَالَتْ: فَأَحْمَى لَهَا نُقْرَةً مِنْ نُحَاسٍ وَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: حَاجَتِي أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ عِظَامِي وَبَيْنَ عِظَامِ وَلَدِي قَالَ ذَلِكَ لَكِ لَمَّا لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ فَأَلْقَى ولدها في النقرة واحدا واحدا وكان أهم آخِرَهُمْ صَبِيٌّ فَقَالَ: يَا أُمَّتَاهُ فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ". حم

عبادة خمسمائة سنة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ، رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ: " خَرَجَ مِنْ عِنْدِي خَلِيلِي جِبْرِيلُ آنِفًا فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنَّ للهَِّ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ عَبَدَ اللهَّ تَعَالَى خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ فَرْسَخٍ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَأَخْرَجَ اللهُّ تَعَالَى لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بِعَرْضِ الْأُصْبَعِ تَبَضُّ بِمَاءٍ عَذْبٍ فَتَسْتَنْقِعُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ وَشَجَرَةَ رُمَّانٍ تُخْرِجُ لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً فَتُغَذِّيهِ يَوْمَهُ، فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ فَأَصَابَ مِنَ الْوضُوءِ وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَّانَةَ فَأَكَلَهَا ثُمَّ قَامَ لِصَلَاتِهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ وَقْتِ الْأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا وَأَنْ لَا يَجْعَلَ لِلْأَرْضِ وَلَا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلًا حَتَّى بَعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ قَالَ: فَفَعَلَ فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا وَإِذَا عَرَجْنَا فَنَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَائِكَةِ: قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ فَيَقُولُ: أَدْخِلُوا عَبْدِي النَّارَ قَالَ: فَيُجَرُّ إِلَى النَّارِ فَيُنَادِي: رَبِّ بِرَحْمَتِكَ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رُدُّوهُ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: يَا عَبْدِي، مَنْ خَلَقَكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: كَانَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِكَ أَوْ بِرَحْمَتِي؟ فَيَقُولُ: بَلْ بِرَحْمَتِكَ. فَيَقُولُ: مَنْ قَوَّاكَ لِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْزَلَكَ فِي جَبَلٍ وَسَطَ اللُّجَّةِ وَأَخْرَجَ لَكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ وَأَخْرَجَ لَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً وَإِنَّمَا تَخْرُجُ مَرَّةً فِي السَّنَةِ، وَسَأَلْتَنِي أَنْ أَقْبِضَكَ سَاجِدًا فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ؟

فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَذَلِكَ بِرَحْمَتِي وَبِرَحْمَتِي أُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ فَنِعْمَ الْعَبْدُ كُنْتَ يَا عَبْدِي فَيُدْخِلُهُ اللهُ الْجَنَّةَ، قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا الْأَشْيَاءُ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى يَا مُحَمَّدُ .

روايات اجتماعية

أيتام الحداد

الحلقة ٤

عجبت منى وهي تقود سيارتها تلك الليلة عائدة للبيت من قصة برهان ، ولم تغضب وتثور ؛ بل أعجبت بحيلة برهان ، وأعادت ترتيب الأحداث ، فوجدت كلامه منطقيا وصحيحا ، وأنه دخل مكتبها زاعما الحاجة لشراء أثاث مكتب لفتح مكتب محاسبي .. أأحد يجهل سؤال الموظفين الذي أمامه ؟.. لم تفكر بهذه النقطة إلا الليلة .. وكانت تتذكر وتبتسم .. لم يتحدث معها عن الحب والعشق لتنتبه لمكره ، كان ينتظر أن تهيم به .. وفي النهاية سرت من هذه الطريقة والحيلة وأرضت غرورها ، والأهم من ذلك في نظرها أن هناك من يرغب بها زوجة صالحة.. واعترفت بأنها ساذجة ، وليس كما تتدعي بأنها ذكية وفطنة وتستطيع تفسير كل شيء وكل حركة وكلمة ، وقالت لنفسها : والله لم يخطر ببالي أن هذا الرجل جاء ليطرق باب قلبي وليس باب مكتبي .. لقد كان ممثلا بارعا ؛ ولكنني ارتحت إليه ووجدته ناضجا وعاقلا وغير متعصب للتقاليد والأصول .. ولم يقع في قلبي أنه يفعل ذلك للزواج مني إلا تلك المرة عندما طلب مني أن أبحث له عن زوجة .. فطنت لمغزى كلامه وأنه يلمح للزواج مني .. لكن من ذا الذي كلفه وأرسله إليّ وعرفه بي ليقوم بهذه الحيلة الكبيرة ؟.. سوف أعرف قريبا !

وظلت مشغولة الفكر والذهن وتراجع ما جرى بينها وبين السيد برهان منذ أول لقاء .. وأنها وافقت على الزواج دون مشاورة أحد من أهلها ، ولا مجال للتراجع .. ومن حسن حظها تلك الليلة الهامة أن السيارات كانت خفيفة في الشوارع وإلا صدمت في إحداهن وهي مشغولة الفكر ، وكانت الساعة قريبة من منتصف الليل عندما وصلت موقف سيارات العمارة التي تسكن فيها .. فلما أطفأت نور سيارتها ونزلت منها ، وقد تأكدت من إغلاق كل أبوابها ، لمحت سيارة قد أضيئت ووقف عندها شبح كان ينظر إليها وهو صامت ، فدققت النظر فيه لحظات فظنت للوهلة الأولى أنه مستأجر مثلها عائد من سهرة ، فلم تعره أي انتباه ؛ ولكنها لما وجدته ينظر إليها أعادت التحديق فيه ثم همست بصوت مسموع : مالك !

فقال بنبرة فيها حدة : نعم ، يقال إنني أخوك مالك مشت نحوه مرحبة ومصافحة: أهلا بك .. ما

الذي أتى بك.. ونظرت للساعة على معصمها وقالت : بعد الثانية عشرة والربع .. ؟!

ـ نعم ، الساعة نصف الليل ، لي ثلاث ساعات أنتظرك يا ابنة المحترمين .. أين كنت ؟ هل يوجد سينمات لم تغلق أبوابها بعد ؟

ـ أين كنت؟! أين كنت؟! السؤال التقليدي .. تفضل لا داعي للثرثرة هنا .. هل من شيء خطير لتنتظرني ثلاث ساعات؟!

تنهد بعمق وقال : آه منك يا منى !

لم تثر منى في وجهه كعادتها عندما يحتج على تصرف وفعل لها ، فكان لا يعجبها احتجاج أو اعتراض أو حتى أي كلام ، لم تغضب ولم تثر في وجهه المحتج كالمعتاد منها دائما ، ويبدو أن مالكا قد دهش لعدم ثورتها وكذلك لهدوئها ، وقد يكون علله بالليل والوقت غير المناسب للثورة والغضب ، ثم سمعها تقول ثانية: تعال ندخل ونتكلم في الداخل .. فأريدك أنا في أمر مهم وخطير .

تعجب مالك من هدوء أخته الغريب بالنسبة له فقال مرددا : أمر مهم ـ ومشيا نحو مدخل العمارة للصعود إلى شقة منى بعدما أغلق هو الآخر سيارته ـ على كل حال نحن اتصلنا بك أكثر من مرة ، ولما زهقنا من كثرة الاتصال ولم تردِي أمرتني أمك المسكينة بالمسير إليك .. خافت عليك ، خافت أن يكون أصابك شيء ولا تستطيعين الرد ، وأنا أقول لها صدقي يا أمي الطيبة أن منى خارج البيت في سهرة في مسرح في دار سينما .. وبعد انتظار ومحاولات نفذت أمر أمك المسكينة .. وجئت ولم أجد أختي الفاضلة المرأة المتحررة والتي لا تحسب للناس أي حساب ولا لأمها .. فعدت وجلست في سيارتي انتظر ؛ لأني لو عدت للبيت ستطلب مني الأم المسكينة العودة .. آه .. القلق .. قلق الأم ، وأكيد أمي الآن على نار ، ولو عند خليل أبي أحمد سيارة قد تكون أرسلته ليبحث عني أنا الآخر ..

سمعت منى تأنيب وعتاب مالك بصمت وهدوء ، كانت شقتها في الطابق الثالث فركبا المصعد إليها حيث الشقة ، وفتحت الباب وأنارت الإضاءة وقالت : أهلا بأخي العزيز مالك ! ادخل

ـ سأدخل مع إنني لا أحب زيارتك كما تعلمين ، ولا أحب دخول شقتك !

قالت مداعبة : ادخل .. من اليوم فصاعدا ستزورني وتشرب عندي الشاي وتأكل الطعام .

ظن مالك أن أخته سكرانة مع أنه لم يشم رائحتها منذ وقفا عند السيارة في موقف العمارة ، فقال متهكما : أشرب الشاي وآكل الطعام .. منذ تزوجت منى لم أرها تصنع الشاي وتصنع الطعام أنا خائف أن أشرب الخمر والدخان .

ضحكت وقالت : أنا أعرف أنك مالك! .. لا ، لن تشرب الخمر ، الخمر تخلصت منها .. اذهب إلى الثلاجة ولن تجد فيها خمرا .
أصيب بالدهشة التي لازمته منذ بداية هذا اللقاء . وهمس لنفسه إنها صاحية .. وهادئة بشكل غريب هذا اللقاء ورفع الصوت قائلا: منى ماذا تقولين؟!
ـ هذا ما حصل هجرت الخمر.. يا أخي المحامي ! ماذا تريد أمي الفاضلة من ابنتها الفاضلة ؟!
ضحك مالك لسخريتها وقال : أنا لا أدري لماذا أنت معقدة يا منى ؟ أنا اليوم مع ذلك أرى عجبا ! ألم يحن الوقت لتشفقي على أمك وتعودي للحياة معنا ؟ .. وما دمت ذكرت أنك تركت الخمر فالمشكلة انتهت وانحلت .. سنخصص لك حجرة خاصة لتنامي فيها وتدخني فيها كيفما يحلو لك .
ـ ماذا تريد أمك لترسلك إليّ في الليل ؟.. أم أنها بعثتك لترى هل أدخلت رجلا بيتي ؟!
ـ مسكينة أمك! لا تفكر بهذا الخاطر، فالأم ترى ابنتها أشرف فتاة تمشي على الأرض .. ربما وقع في قلب مالك مثل هذا ؛ ولكنه يعرف أخته جيدا.. أتهزئين من قلقنا وخوفنا ؟؟ لولا معرفتي الجيدة بك من هذا الناحية لاحترقت أعصابي يا منى .. والفجور لا يحتاج لشقة اليوم فالنوادي الليلية وصالات الفجور كثيرة وميسرة .. أمك أرسلتني .. أين ذاهبة ؟
ـ سأصنع لك القهوة ، وأنت تكلم مع أمك بالهاتف لقد نسينا طمأنتها علينا .
كان مالك متعجبا جدا من أخته الليلة فقال : أتصنعين القهوة ؟! .. اصنعي القهوة .. وراء القهوة الليلة سر!
دخلت منى مطبخها ضاحكة ، واتصل مالك بأمه التي لم تنم حتى تلك الساعة ، فهدأ من أعصابها وقال : الآن وصلت ولم تخبرني لحتى اللحظة أين كانت ؟! .. ربما كانت في حفلة عرس لإحدى صديقتها وتأخرت السهرة .. أنت تعرفين أين تسهر منى ؟ .. ألم نتجاور شهورا ؟!.. وها هي قد صنعت لي قهوة يا أمي أتسمعين يا أمي ؟ منى عملت لأخيها قهوة !
وذلك على مسمع من منى التي كانت تضع أمامه منضدة صغيرة وفنجان القهوة ثم قال مكررا : أتسمعين يا أمي ؟ منى صنعت لي القهوة ؛ فإذا حصل لي شيء فمن قهوة منى .. آ .. تتكلمين معها.. خذي كلمي أمك
تناولت منى السماعة من يد أخيها الممدودة وقالت : أهلا أمي .. أنا بخير .. أين كنت ؟ لم أكن في السينما ولا في حفلة عرس كنت أتعشى في أحد المطاعم مع أحد الناس .. لا تثوري ولا تغضبي ستفرحين قريبا ، وسأعود للحياة معكم في حي

برقوقة .. أجل والله وسأتصالح مع العم خليل .. سلمي عليه ..

خطف مالك السماعة من يد منى وقال لأمه : يبدو أن منى قد جنت يا أمي .. فأنا أسمع كلاما غريبا الليلة ! .. منى التي تريد أن تعيش على القمر ؛ لتكون فوق الناس ستعود لحي برقوقة .. يبدو يا أمي أن هناك زوجا في الطريق .

تطلعت منى في عيني مالك وقالت : أتعرف شيئا ؟

ضحك مالك وقال : سلام يا أمي يبدو أن قصة مهمة سأسمعها .

ووضع الهاتف والتفت لأخته وقال : أأعرف شيئا ؟! ماذا أعرف ؟!

قالت منى : اشرب قهوتك .. وقل لي هل تعرف شخصا اسمه برهان ؟!

ـ برهان .. من برهان هذا؟!

ـ مالك احلف بالله إنك لا تعرف شخصا بهذا الاسم

ـ من غير حلفان لا أعرف شخصا بهذا الاسم .. وحتى ولا زبون وعميل لنا في المكتب القانوني بهذا الاسم

فقالت كأنها تحدث نفسها: وهو قال إنه لا يعرفك .. من وضعه في طريقي؟! .. أخي مالك هناك شاب أو رجل يريدني زوجة.. ماذا تقول ؟

ـ أقول في ماذا ؟! من هو هذا الرجل ؟

ـ إنه برهان !!

ـ برهان .. من برهان هذا؟! تحدثي بالتفصيل الممل .. سأقضي الليلة هنا يبدو أن تغييرات كبيرة ستحدث في الدنيا

ـ بس في دنيا منى وأسرة منى .

أوجزت القصة بكل صراحة لأخيها فقال : والله هذا إنسان عجيب! .. يفعل كل ذلك ليتزوج منك .. ليصل إلى قلب منى ، وأي قلب قلب منى ؟! لف كل هذه اللفة الطويلة ليقول لك في النهاية أتقبلين بي زوجة ؟ ..

ضحك مالك همهمة وقال : ومن أرسله ليقوم بهذه المهمة العظيمة والتمثيلية الغريبة؟!

ـ لا أدري ، ولم يذكر لي اسمه ، خشي أن يوغر قلبي عليه إن لم يحصل النصيب وإذا حصل النصيب سيكون مفاجأة لي ولهذا المحرض .

ـ منى أنت طبعا موافقة عليه!.. فأنت الليلة في ساعة تجلي وسعادة بينة ، الآن فهمت كل تصرفاتك ، والعجيب أنك تقولين لا تحبينه ومصدقة نفسك .. على كل ليس هذا مهما على رأي السيد برهان ، سيأتي الحب بعد الزواج فليأت كما يشاء .. مع أن في نظري كل عملكم هذا هو الحب الحب منكم الاثنان .. منى يا أختي الفاضلة أنت الليلة يجب أن تنامي في حي برقوقة وتتحدثي

مع أمك.. فهي لن تصبر للصباح لتراك وتسمعك فأخشى أن تطلب مني أن آتيك ثانية .. وأنت طبعا مقتنعة به بعدما لف حول العالم ليصل إليك وبناء على طلب وتكليف من بعض الناس .. من يكون مرة أخرى أحد الناس ؟!

ـ وأنت ما رأيك ؟

ـ أنا أحب لك الزواج .. وأنت تعرفين ما يعني الزواج في حياة فتاة شرقية ، وفي أسرة تزعم أنها ما زالت محافظة .. أنت أعلم مني بفلسفة ذلك الأمر .. ورغم أن ذلك مريح لنا ؛ ولكننا نحب أن يكون زواجا متكافئا ومناسبا .. فلو لا سمح الله فشلت في الاختيار مرة أخرى ستبكين الدم بدلا من الدمع .. فإذا أنت راغبة بالسؤال عنه وعن أهله ؛ فأنا مستعد للقيام بهذه المهمة التقليدية التي لم تعد تغني ولا تسمن كثيرا في أيامنا هذه لقلة الصدق عند الناس في مثل هذه الأمور .

ـ لم يبق وقت للسؤال ، وتحدثنا عن أنفسنا بما فيه الكفاية .. وقد حدثتك عن الترتيب الذي جرت فيه الحكاية ، وقد وافقت وهو وافق ووافق أهله وبالذات والديه ؛ ولكن أمه تريد أن تراني قبل الزواج وتتعرف عليّ وعلى أهلي.. فأنا سأعود إليكم مؤقتا بضعة أيام .. فسيكون الزواج قريبا ربما بعد أسبوع أو شهر على الأكثر .. فهل عندك اعتراض ؟

ـ وهل إذا اعترضت ستعبرين اعتراضي يا منى ؟! .. رغم هذا فكلامك الليلة جميل وعقلاني وهادئ .. فأنا لما سألت السؤال العادي أين كنت؟ لم تثوري مع أنني كنت أستعد للمعركة ولهيجان أختي منى.. ولكنك فاجأتيني حقيقة ، لم تتعصبي ولم تنفعلي مما أثار دهشتي ، فوقع في نفسي أنك قد شربت كأسا أو أكثر قبل مجيئك .. ولكن لا رائحة بادية منك .. فزادت دهشتي.. وهذا جميل وعظيم من هذا البرهان أن قلبك وغيرك بسرعة! ومع ذلك تدّعين أنك لا تحبينه ، مجرد مشروع زواج جديد يا منى ! الزواج أعظم من مشروع إنه حياة جديدة .. دنيا جديدة .. فأنا كم قبلت يديك وترجيتك لتدعي الخمر والدخان .. فلم تفعلي.. فاعلمي يا شقيقتي الغالية أن الرجال ليس كلهم واحد ومثل بعض ..

ـ أنا فرحانة ولن أتوقف كثيرا عند عتابك .. ولكنك تفكر مثل برهان .. عندما تحدثت عن حقدي على الرجال وبغضهم ، ومع ذلك تقبل الاتهام بروح طيبة ، بل قال لم لا تكون أمه سبب قسوة أبيه عليك .. جنس النساء .. فكابرت وحاولت أن لا أقر بذلك .. مع أنني أعرف رفض أمه الشديد لي ..

ـ أحسن الرجل! فهناك رجال طيبون ورجال سيئون والنساء مثل ذلك .. وحتى ممكن أن يكون

في الرجل الواحد جانب طيب وجانب خبيث .. وهذا الرجل رائع من غير أن أعرفه الذي شككك في قناعاتك في فترة وجيزة .. أتعرفين لماذا ؟ لأنها لا تقوم على أساس صلب وقاعدة صلبة .. أنا أحب هذا الرجل بدلا عنك !

ـ فعلا أعترف لك أنني تغيرت يا مالك.. وأعترف أن هذا الإنسان فتل لي مخي بسرعة كبيرة .. هو جعلني أن أقتنع أنه ما زال في الدنيا خير وحب .. فأنا أعترف أمامك أن بعض الرجال ، وحتى من كانوا يسمون أصدقاء لنا أنا وحازم حاولوا توريطي في علاقات آثمة وليالي حمراء وصفراء .. وأن الزواج لم يعد مهما في حياة الناس.. ولما يشتاق الإنسان للأولاد فيذهب للملاجئ وقرى الأطفال فيتبنى ما يشاء منهم .. ولولا التربية التي ورثتها من الأسرة لانزلقت ولبغضي للرجال أيضا .

ـ الحمد لله على حفظه ، والله هذا ما كنا نخشاه جميعا عليك يا منى .. انبهارك بالغرب، وما يقال عن الحرية الواسعة كان يخيفنا ، وكم دعوت الله في جوف الليالي أن يحفظك الله .. فأنا ابن المدنية المعاصرة ، ونعرف الحفر الموضوعة لإفساد نساء المسلمين وبيوت المسلمين ..جزاك الله ألف خير يا برهان .. وحفظك الله يا اختنا الفاضلة .. ما أروع العفة والشرف؟!

ـ أشكرك .. على دعواتك الصادقة .. أنت لا اعتراض عندك ..

ضحك قليلا وقال باسما: على ماذا أعترض وأنتم موافقون؟! .. وسنتعرف على النسيب والصهر قريبا .. هيا بنا فأمنا بانتظارنا .. وقبل الشاب أخته من رأسها قائلا: أنت الآن أحسن أخت في الدنيا .. كيف ستنامين الليلة في حي برقوقة بعد كل هذه السنوات ؟ وهل سيحصل نوم الليلة أصلا ؟! .. نحن سعداء وفرحون أكثر منك .. نحن أناس بسطاء يا منى سمعتنا وشرفنا أغلى ما نملك .. هيا أسرعي خذي ما يناسبك من الثياب ، وأنا بشوق لأرى وأقابل هذا الرجل الذي أعاد لك عقلك وقلبك القديم قبل أن نتعرف على أصحاب الملايين .

ـ وأنا أريد أن أعرف من أرسله إليّ .

قامت منى وأدخلت الفناجين الفارغة إلى المطبخ ، وتبعها مالك وفتح الثلاجة وقال : فعلا لا يوجد فيها المشروب الخبيث .. كادت أمك مرة أن تشرب من إحدى الزجاجات معتقدة أنها قنينة ماء لولا رائحتها الكريهة التي ملأت خيشوم أمك .

تبسمت منى وقالت : والله تألمت يومها .. وعجزت عن التصرف ..

ـ أنا سعيد بما حصل يا منى رغم أنه في عرفنا غير لائق ؛ ولكنه في عرف منى مشروع وحق .. لا تغضبي دعيني أتكلم بحرية .. أختك حنين

ستفرح فرحا لا يعلمه إلا الله .. وأمك وكل الناس في حي برقوقة وحتى خليل الأب الروحي لنا .. أين أنت يا سيد برهان؟.. لأقدم لك ألف تحية وتحية عما صنعت .. دائما الأزواج يصنعون النساء

كانت منى تضحك من شدة فرح مالك ، وهي كانت تتوقع ذلك وتعرف الخوف الذي كان يخيم عليهم من أفعالها وتصرفاتها ، ولما سمعت كلام مالك الأخير قالت : يجب أن تقدم التحية للشخص الذي أرسله وأقنعه بهذه المغامرة أو المصيدة التي ورطته بالزواج مني ، بالزواج من منى ربيع .

ـ هو أيضا يستحق مليون تحية .. ولماذا فعل ذلك؟! وما يهمه من أمرك ومن زواجك ليطلب منه خوض هذه المغامرة الغريبة .

ـ أنا في البداية عندما كاشفني برهان بهذه الحقيقة دهشت وعجبت .. ولكن برهان شجاع وذكي، وهذا يثبت لي أيضا تعوده على مجالسة البنات وفهم خباياهنّ، فلم أشعر أنه يمثل دورا ما في أي لحظة ما.. ولولا ذلك ما قام بهذه المغامرة الغريبة .. فهو دائما كما قال كان يقوم بدور المصباح كما كان يسميه أصحابه لمطاردة البنات له.. فهو هذه المرة قلب الأمر .. أنا أصبحت المصباح وهو الفراشة .. فقام بمطاردة امرأة ومطلقة .. ركز على مطلقة يا مالك.. مع أنه عازب لليوم ولا يوجد عنده عيب يمنعه من الزواج .. فلما حدثني بالحقيقة العجيبة مساء اليوم الفائت ظننت أنك تعرفه، وأنك متآمر معه وسلطته عليّ ؛ ولكنه نفى معرفته بك ، وقال سيكون ذلك مفاجأة لنا ولمن طلب منه ذلك ثم سحب تحديه .. فالرجل المكلف خاف على مشاعري من الصدمة إذا لم يقتنع بي برهان زوجة .

فقال مالك مخمنا : ربيع .. أخونا ربيع ولكن من أين عرف برهان هذا؟! عدنان زوج ابن خالتك؟

ـ عدنان ابن أخت خليل .

فكرت لحظات ثم قالت : والله ممكن !.. ولكنه لا يعرفني شخصيا ، ولا أذكر أنني رأيته ليهتم بي وبمشاكلي .

ـ عدنان .. ممكن عن طريق ابنة خالتك إذا حدثته عنك وعن أحوالك الشاذة في نظرنا فأشفق عليك وأرسل صاحبه هذا .

ـ على كل سنعرف قريبا هذا المحب لنا .. ولكنك يا أخي يا مالك لم تخبرني للآن لماذا أرسلتك أمي إليّ ؟!

ضحك مالك وهما يغلقان باب الشقة ويركبان المصعد وقال : لم يعد الكلام مناسبا بما جئت به إليك ؟

ـ أزوج آخر؟!

ضحك كثيرا وقال: لا .. وهل نستطيع نحن أن نأتيك بعريس؟! يا سيدتي هذا أخوك ربيع وجد

لك عملا حيث تعلمين ، فتحدث مع أمي ، فاتصلت بك لتقول لك ذلك فلم تجدك ، ثم اتصلت عدة مرات فخافت عليك فأرسلتني .

العودة لبرقوقة

قالت منى لمالك: إذا صار نصيب وتزوجت من المدعو برهان .. بالتأكيد سنرحل لبيت خاص به .. فأي شيء من أثاث وأغراض هذه الشقة يلزمكم فخذوه قبل بيعه .

قال مالك: لما يحصل النصيب نفكر بالخلاص من هذه الأغراض والذي يريد شيئا نرسله له .. امش وركب كل واحد منهما سيارته منطلقين لحي برقوقة بعد ساعات من نصف الليل ، وساروا على أضواء الأعمدة الكهربائية والسيارات والسماء نحو برقوقة .. وكانت مشاعر وخواطر تدور في رأس ودماغ منى وهي تعود إلى ذلك الحي الذي ولدت ونشأت وترعرعت فيه .. فلما وصلت أمام بيت خليل أصابها اضطراب مفاجئ فلها سنوات هاجرة لهذا المكان وهجرته بغضا له.. همست لمالك الذي وقف بجوارها عن اضطرابها فقال : هي أيام معدودات وستغادرين حي برقوقة الذي تستائين منه.. ألم تقولي لي ذلك يوما ؟ بس احذري التشاؤم منه فنحن نحبه .

فتح مالك الباب الخارجي بمفتاح يحمله معه، ودخل وتبعته منى ، وقد أغلقت الباب وراءها وكانت إضاءة البيت تنير مدخل البيت .. البيت عبارة عن طابق واحد مكون من عدة حجرات.. كانت جميلة تقف على باب صالة البيت تنتظر رجوع مالك .. فمنذ سمعت صوت ماتور السيارة تهيأت وخليل لاستقبالهم .. هرعت إليها منى وعانقتها ؛ وكأنها لم ترها منذ عهد.. وتقدمت من خليل الذي كان يقف قريبا من زوجته وسلمت عليه وقبلت يده وهي تتمتم بكلمات الاعتذار والعفو والأسف ، فاحتضنها مقبلا رأسها ومداعبا لشعرها وسامحها وقال : أهلا بك يا ابنتي .. البيت بيتك .. الحمد لله الذي أحياني ورأيتك تعودين إلينا فأنتم دنياي .

ـ أنا آسفة جدا يا عمي بما سببته لك من آلام وهموم .

ـ ما فات مات .. نحن أبناء اليوم ، فمرحبا بك يا منى ، ولا نقول إلا قدر الله وما شاء فعل..

والحياة تجارب ، وتجارب الناس تتفاوت في هذه الدنيا .. يا ألف مرحبا وسهلا .

وروت لهم ما جدّ من حياتها ، ففرحت أمها بما سمعت ، وقال خليل : هذا والله ابن حلال ويعرف الأصول .. أتمنى لك التوفيق والعزة يا ابنتي .. وسنتعرف على الأستاذ برهان وأهل برهان .. فهذا هو الصحيح يا منى .. فوسائل التعارف بين الناس كثيرة ولله الحمد .. والأهل

درء لحل المشاكل الزوجية إذا استعصت على الزوجين ، كلمة من الأم ، وكلمة من الأب ينصلح الحال.. مع أن كثيرا من المشاكل اليوم بين الأزواج من الأهل .. ولكن الأهل لهم دور مهم في حياة الأولاد .. الأهل لازم أن يتعرفوا على بعض ، ويوافقوا على الزواج لاستمرار الزواج والحياة الزوجية .. العداوة مرة .. لن نعود للحديث في الماضي اطمئني .. صفحة وطويت .

قالت منى: تحدث كما شئت يا عمي .. وكما قلت الحياة تجارب .. كانت الظروف يومها قد دفعتني لقبول الزواج الغريب .. فتحدي حازم لأسرته والإصرار على الزواج مني رغم رفضهم الشديد .. هذا ما دفعني لتجاوز الحدود واللياقة .. وحازم إنسان رائع ؛ ولكنه ضعيف أمام أهله ولم يحتمل الصراع والمعركة .. تكلم بما شئت واعتب كيف شئت .. !

فقال خليل أبو أحمد بحماس: أتحبين أن أذهب واسأل لك عن عائلة برهان وأهله ؟

ـ الشكر لك .. تطوع مالك للقيام بالمهمة ، وقلت له لا داعي فهو قد حدثني عن أهله بالتفصيل فهم أناس مثلنا ماليا واجتماعيا .. ولما يحضروا تحدث معهم بما شئت واسألهم عن أنفسهم بما شئت .. فكلمة جميلة سمعتها منه واصفا للعائلة طربت لها هو ليس أصغر الأسرة .. تزوج أخوته ، ولم تطلق زوجة ، وتزوجت أخواته ، ولم تطلق واحدة منهن .. فهو سيسعى أن لا يحصل ذلك في حياته .. رغم أنني المرأة المطلقة التي ستكون بينهن .. الشاب مقتنع بي جدا ، ونحن تعرفنا منذ أقل من شهرين قد مضيا ..

ـ كلام جميل ووعد حسن ، والتوفيق بأمر الله سبحانه ، وهذا فال حسن .. وأنت تستحقين كل خير وسعادة وحب .. وأنا جاهز للقائهم في أي وقت تحبينه .

ـ بوركت يا أبا أحمد أيها الوالد الطيب .. فأنا ابنتك مهما حصل بيننا .

ـ أكيد .

في مساء اليوم التالي ذهب برهان ووالداه وأخت له لزيارة بيت أبي أحمد الحداد خليل، واستقبلتهم العائلة خير استقبال ، وتم التعارف بين العائلتين ، ولمست أم برهان طيبة جميلة وزوجها الحداد خليل ، وانشرح صدرها لهم ولهذا النسب كما قالت وكأنها تعرفهم منذ زمن وتم الاتفاق على الزواج على حسب رغبة الزوجين برهان ومنى ، وتركوا أمر ترتيب إجراءات عقد القران والزواج للشابين ، وبعدئذ غادر الضيوف البيت فرحين متفقين لولادة أسرة جديدة يتمنون لها الحياة والديمومة والسعادة .

وعند انصراف القوم قالت منى لبرهان وهو

يصافحها مودعا: لم تحصل المفاجأة التي حدثتني عنها .
ضحك وقال لها ولمالك القريب منهما : ستحصل .. ربما بعد أيام .. ربما بعد انصرافي ، سوف تحصل وتعرفين من رماني عليك .. شكرا يا مالك .. أنا أتشرف بكم وبهذا النسب .
فقال مالك خجلا : بل نحن نتشرف بك وبأهلك .. حياك الله يا برهان .. أنا أحببتك قبل أن أراك منذ سمعت القصة .. إذا منى لم تحبك بعد كما تدعي فأنا أحبك .. ولا يهمك فما زال عندها بعض بواقي الماضي .. لي كلام كثير معك .
كان مالك يتكلم ومنى تنخز فيه ليصمت فقال برهان : شكرا ، وسيكون بيننا كلام ولقاء فنحن قريبا سنصبح أهلا .
ـ نحن أصبحنا أهلا منذ ليلة أمس .. حياك الله وبياك ..
ورفع برهان صوته مودعا أبا أحمد الذي عقب بعد انصرافهم : هؤلاء هم الناس يا جميلة !!
ضحك الجميع على تعليق خليل ، وأدركوا أنه مبسوط من هذا الزواج ، ودخلوا للبيت مسرورين ، ثم اتصلت جميلة بابنتها حنين فور دخولها ، وأخبرتها بخطبة منى ، فاستغربت من ذلك فهي لم تسمع شيئا عن الأمر ، واستغربت أكثر لما ذكرت لها اسم العريس وعائلته وقالت بلهفة : أنا قادمة الآن وسأتصل بسعد الدين .
فلما سمع سعد الدين كلام حنين استأذن من والده للعودة للبيت فعاد مسرعا، ولما تناول عشاءه كان يقول : برهان صاحبي يا حنين ؟!
قالت : أنا لما سمعت اسم برهان قلت لفسي إنه صاحبك برهان .. هل حدثك بشيء ؟!
ـ لا ، منذ عهد قريب التقينا بعدما خرجت أمه من المستشفى ، زرته مع أمي وأبي كما تذكرين ولم يحدثني عن زواج ولا غيره .
ـ هل تظن أن هناك برهان آخر .. هيا أسرع .. تكلمت معي أمي وقالت إن أناسا أتوا لخطبة منى ، وإنهم اتفقوا قبل قليل ، ولما سألتها من هو العريس وعائلته ؟ ذكرت اسمه واسم عائلته ولكن اسم العائلة ذهب عن بالي لما سمعت اسم برهان .. وهم من سكان حي (أبو حسبة) فلما سمعت الاسم قلت لعله صاحبك برهان الذي عرفتني عليه مرة فقلت لها إنني آتية واتصلت بك
ـ صدقي أنني لا أعرف شيئا.. يبدو أن الأمور جرت بسرعة .. هيا بنا نذهب ونسمع .. وهذا اسم حينا القديم إذا كنت تذكرين .
قالت: المهم أن منى عادت لحي برقوقة وتصالحت مع عمنا خليل .. أتصدق ؟
ـ منى ؟ وأين تعنتها ؟! .. لابد أنه برهان صاحبي .. فهذا إنسان ساحر .. سوف ترين منى أخرى

غير التي كنت تعرفينها إذا كان الرجل فعلا هو برهان محمود الدين ..

ـ والخمر ؟!

ـ لا أدري ؛ ولكنها ستهجرها بالتأكيد ..

ـ اتصل بصاحبك برهان لنتأكد هل هو العريس ؟

كان سعد يهز رأسه وهو يفكر بما سمع من معلومات وهو يقول : أكيد برهان.. لقد سخر منا عندما تظاهر بالانسحاب .. عندما رأى خوفنا وقلقنا أظهر لنا انسحابه .. أنا أعرف برهان جيدا .. إنه ماكر!

اتصل سعد في بيت صديقه برهان فلم يجده ، فتحدث مع أمه التي أكدت له أنهم قبل قليل عادوا من حي برقوقة ، وقد طلبوا لبرهان فتاة من ذلك الحي ، فشكرها وبارك لها ، ووعدها أن يتصل مرة أخرى ببرهان ليبارك له ، والتفت لزوجته بعدما وضع الهاتف قائلا : عملها المنحوس! .. نعم عادوا قبل قليل من حي برقوقة وقد اتفقوا على الزواج .. سنذهب لأمك ونسمع منهم الحكاية .. ولا تتكلمي بشيء حتى نرى برهان ونعرف منه تفصيل كل شيء يا حنين .. ولابد أن أحداثا حدثت لتغير منى من أفكارها وعنادها وتعود لحي برقوقة بالذات ، وهي التي كانت تقول عنه عندما نتناقش في ذلك إنه جهنم الحمراء

ـ معك حق .. نلزم الصمت حتى يتضح كل شيء أمامنا .

غادروا العمارة بعد أن مروا على والدة سعد وأخبروها بأنهم ذاهبون لبيت الحداد خليل عم حنين

استقبلت جميلة ابنتها بالأحضان كعادتها وبفرح ظاهر للعيان ، وقبلت زوج ابنتها، وفعل مثلها المعلم خليل ، ورحبوا بهم ترحيبا كبيرا ، وحتى مالك ومنى التي كانت تضحك لأختها وهي تستعد لسماع الكثير من الكلام والغمز شاركوا في الفرحة من جديد، وقال سعد مخاطبا لعمته : يبدو يا عمتي أن أمورا كثيرة حدثت في البيت !

قال مالك : معك حق يا سعد !

فقال خليل : أرأيت يا منى يا ابنتي كم يحبك الناس ؟!

فقالت حنين : حدثونا بكل شيء .

فقال مالك : لا شيء ، شاب اسمه برهان من حي (أبو حسبة) يعمل محاسبا في أحد البنوك تقدم لخطبة يدها ، وقد وافقت منى على الزواج منه عن رضا وطيب خاطر ، وجاء أهله لمقابلتنا حسب الأصول وقد وافقنا .

قالت حنين متضاحكة : لا ، لا .. لابد أن هناك تفاصيل كثيرة حدثت لتوافق أختي الغالية منى تعالي يا حبيبتي إلى حجرة أمك لتشرحي لي كل

شيء .. لقد بكينا وترجينا من أجل أن تعود لعقلها ولحي برقوقة يا مالك .

أمسكت منى بيد أختها الأصغر منها، ونهضت قائمة ومشتا نحو غرفة أمهم، وفيها سمعت حنين تفاصيل تعارفها على برهان، ولما انتهت منها قالت حنين بحماس وفرح : والله ولد جدع

لقد استطاع أن ينشلك من الضياع والغربة .. يا له من مقدام !

ـ أتعرفينه يا حنين ؟!

سكت حنين لحظات وقالت: أأعرفه؟! من أين سأعرفه ؟ هل ترين أنني أسمح لنفسي مثلك بالجلوس مع الرجال الأجانب ؟!

ـ نسيت أنك شيخة .. هيا نخرج أكيد سعد الدين زوجك مشتاق لمعرفة أسرار هذا الانقلاب لقد كان يتضايق مني كثيرا !

ـ ويلك ، وهل في العائلة أحد لم يتضايق منك حتى ربيع ؟!

وكان هؤلاء خلال خلوة البنات يتحدثون عن الحياة والسعادة والانسجام وأهمية التكافؤ بالزواج .. ولزم سعد الدين التجاهل من حيث معرفته ببرهان رغم انفعاله الشديد لم حدث ، ولما عادت البنتان كانوا قد شربوا القهوة والشاي ، وما زالت الفواكه موضوعة على منضدة أمامهم ، فتناول سعد واحدة ودفعها لمنى وهو يقول : مبارك يا عروس ..

ـ أهلا سعد ، وبارك الله فيك وقد أعلمت امرأتك بتفاصيل المعركة التي دارت بيني وبين السيد برهان وستنقلها لك ..

ـ معركة !! وهل كنتم يا منى في معركة ؟!

فقال مالك غامزا: يظهر يا سعد أنك من الفرح نسيت منى.. ونسيت قساوتها عليك وأنت تحاول تليينها علينا .. ونسيت محاولتها عرقلة زواجك من حنين .

نخزت منى مالك بقوة وقالت : أما زلت تذكر؟! لقد سامحني سعد ، أليس كذلك يا سعد ؟

ـ لقد نسيت .. منى تحبني وتحترمني ؛ ولكنها كانت تكابر وتظن أن القوة بالجاه والغنى فقط فالأخلاق قوة .. أنا مسرور لما حدث لك يا منى .

ـ هل سامحتني يا سعد ؟ .. ربما كنت قاسية عليك في تلك الأيام .. أنا فعلا كنت أمر بعاصفة وأحوال صعبة ؛ ولكن هذا الشاب استطاع قلب تفكيري وردي للحياة البسيطة التي عقدتها اليأس مشكلة .. انهيار الأشياء الكبيرة مشكلة أكبر .. وبالفعل ليس الطلاق والفشل هو نهاية المطاف أو الدنيا .. أنا جد سعيدة بمشاعركم التي أراها نحوي .

ـ أنا سامحتك اليوم وأمس يا أخت منى .

فقال مالك مداعبا : واعلموا أن منى قد حرمت على نفسها الخمر ، رغم ما بذلنا من جهد وعرق

وكلام ونصح وتهديد لترك هذا الجرم ، ولم تكترث لنا ؛ ولكن كلمة من الفارس الشجاع برهان عادت لعقلها الذي حاولت إذهابه بالخمر .. بقي الدخان وستتخلص منه قريبا هكذا وعدني برهان ضحكت منى وقالت : الدخان أنتم تعلمون أنني لم أدخن ، ولم اسكر إلا لما ارتبطت بذلك المدعو حازم ، وذكرت لبرهان سبب تعلقي بهما .. والأحداث أثرت فيّ .. ولست بالشرهة والمدمنة في كليهما .. هؤلاء القوم عندهم الخمر والقمار جزء من الحياة .

فقال خليل : الحمد لله على نجاتك من ذلك ومنهم أيضا .

فقال سعد مشجعا : ألف مبارك يا أختي يا منى .. وإن شاء ستتركين الدخان كما تركت المنكر .. أنت على وشك ولادة جديدة .. فكلنا كان خائفا عليك من الضياع والمزيد من الانحراف .

وقضى القوم سهرة رائعة وممتعة فرحين بعودة منى لحظيرة العائلة ، وشاكرين لهذا الشاب الذي استطاع أن يحدث فيها هذا التغيير الذي كان بعيدا في نظرهم ولم يستطيعوه .. وبينما هم في سرورهم اتصل ربيع من بلاد الغربة وعبر لهم من هناك عن سعادته وفرحه الغامر ، فقد كان مالك قد اتصل به فلم يجده ، وتحدث مع زوجته وحدثها عن خطبة منى مرة أخرى ، فلما عاد للبيت روت الزوجة له الخبر السعيد فبان الفرح على وجهه ، واتصل بهم وشاركهم فرحهم وسعادتهم ، وتكلم مع أمه وزوج أمه ثم مع منى وبارك لها العودة للبيت وزواجها وأبدى شوقه لمشاركتهم سهرتهم والتعرف على زوج منى والالتقاء به .. وتحدث مع حنين أيضا وزوجها سعد .



عقد قران منى وبرهان بحفلة صغيرة تمت في بيت الحداد خليل ، واتفقوا أن يكون الزفاف في وقت قريب .. فعرضت منى أثاث بيتها من ثلاجة وغسالة وأواني على برهان فاعتذر عن ذلك وقال : لست متكبرا على ذلك .. ولكني أحب أن أشتري كل شيء جديدا .. فاهديها أو تصدقي بها ..

ولما انتهى كلامهم عن تأثيث البيت ، وعن مكان السكن ، قالت منى : لي زمن منذ جئت بأهلك إلينا لا أراك تدخن يا برهان .. حتى أن مالك قال لي إنك لا تدخن، فأقسمت له أنك تدخن ، وقد كنت تشعل لي أحيانا السيجارة .. وقد قدمت لي مرات السجائر نفسها .. في الشركة وفي المطعم .

ضحك برهان وقال : للأسف لا أملك ثمن الدخان.

ـ أتسخر مني؟ أنا كنت أريد أن أسألك عن ذلك

منذ ذلك اليوم .. ولكني قدرت أنك لا تريد أن تدخن أمام أمي وعمي خليل لكرههما للدخان .. وعدم حبهما الدخان والتدخين .. فلذلك عندما أريد أن أدخن أدخل حجرتي الخاصة التي أنام فيها.. فهم يكرهون رائحة الدخان مع أنهم يستنشقون رائحة دخان السيارات والباصات .

ـ هناك فرق .

ـ صدق لا فرق كله دخان .. ولكن ليس هذا مهما الآن .. فيمكنك أن تأخذ راحتك في بيتنا هذا ، وتدخن كما تشاء وخذ هذه السيجارة هدية مني .

تناول برهان سيجارة منى وأخذ يمزقها ، ومنى تنظر إليه بغضب وحيرة ، ثم رماها في منفضة سجائر موضوعة أمامه فقالت : لماذا أتلفتها ؟ ألا تدخن هذا النوع ؟ أنا لم انتبه لنوع وماركة سجائرك.

ـ أنا لا أدخن فعلا كما قال مالك .

أخذت منى بالضحك العالي وقالت : أنت لا تدخن لو لم ترك عيناي هاتين ـ وأشارت لعينيها ـ لربما صدقت أنك لا تدخن .

ضحك برهان وقال جادا : صدقي يا منى بأنني لا أدخن .. إنما دخنت مضطرا .. فأنت تعرفين أن السيجارة أصبحت اليوم وسيلة للقلوب والحديث . وزاد في الضحك .

صرخت قائلة : ماذا أسمع ؟!

ـ دخني يا منى .. إذا الإنسان ما امتنع من نفسه لن يمنعه أحد .. فمرضى القلب المدخنون يمنعون عن التدخين فيدخنون .. بس أنا لم أكن أدخن ، إنما كان ذلك وسيلة وأداة من أدوات المغامرة التي قمت بها لغزو قلب الفاضلة منى ربيع ونجحت .

ـ فعلا نجحت يا برهان .. ولكني لم أعرف من رماك عليّ لحتى اليوم .

ـ لليوم ؟! .. ألم يحاول كشف نفسه ؟

ـ أأعرفه أنا ؟

ـ نعم تعرفينه ؛ ولكن يبدو أنه لا يريد إظهار حماقته ، لا أدري خوفا منك أم مني يا سيدتي الكريمة !

أمالت رأسها قريبا من رأسه وقالت : اهمس في أذني من هو ؟

ـ سأهمس عندما يأذن لي .

ـ يا رجل فكرت بكل الناس ولم أعرفه .. أتعرف شخصا اسمه عدنان جابر؟

ـ عدنان جابر .. ابن أخت خليل ؟

ـ آ ..

ـ نعم ، تعرفت عليه وهو شاب محترم وناضج وفاضل ، وهو صديق لأخيك ربيع كما فهمت من أختك حنين وحتى من مالك .

ـ هم أبناء حارة واحدة .. وكلاهما ربيع وعدنان تزوجا من أقارب أمي .. فربيع أخذ ابنة خالي

وخاله .. والأخ عدنان جابر تزوج ابنة خالتي .. عرفتك عليها يوم كتب الكتاب .

ـ أجل وقد دعانا عدنان لغداء أو عشاء حسب رغبتنا .. فشكرته .

ـ نعم هو رجل محترم فعلا .. هل تعلم أنه فكر يوما بالزواج مني ؟.. عندما أراد الزواج ذكرني ولكني كنت مرتبطة بالمدعو حازم من غير عقد فأخذ ابنة خالتي .

ـ الزواج كما يقال قسمة ونصيب ، مع الاختيار الكامل للإنسان فهو قدر من الله .. لماذا اختار فلان فلانة ؟ ولماذا رضيت فلانة بفلان ؟ .. فهذه قدر مقدر.. كنا تحدثنا مرة عن المشاريع ، وقلت لك فكري لنا بمشروع تجاري نتشارك فيه .

أدنت رأسها من أذنه ثانية وهمست قائلة : مكتب تدقيق كما تحب وتحلم

تنهد قائلا : إيه، والله إنه حلم لي ! وهو حلم بسيط ليس كأحلام منى كما أعتقد .

ـ خلاص أنشئه ودعني أعمل مديرة له حتى تتقاعد من البنك .. أم تفكر بالاستقالة ؟

ـ المكتب المشكلة يا منى لا يحتاج لغة إنجليزية وترجمة .. كل الحسابات تجري بالعربية ربما نكتب الأرقام بالإنجليزية .. سأفكر لك بمشروع تقر به عينيك وتعرفين من هو برهان ذاك المغامر الصعلوك الذي دخل حياتك رغم أنفك .

ـ أحسنت رغم أنفي فعلا ! .. أنا لما تعاملت معك صدق أن الزواج لم يخطر ببالي .. لم أقف مفكرا طويلا عند اقتحامك لمكتبي ذلك النهار ، ولم أسأل نفسي لماذا دخلت عليّ بتلك الصورة البريئة ؟ الرجل الساذج البسيط الذي يخاف أن يشتري مكتبا وأثاثا بدون مشورة أحد .. ويخشى أن يضحك عليه ، وأتعاطف معه وأصدق أنه إنسان طيب مسكين بحاجة لمساعدة ومشورة .

ـ كان لابد من فعل ذلك في نظري لتتعاطفي معي .. دخلت فتظاهرت أنني حائر لا أدري أين أذهب ؟.. ثم دفعت باب مكتبك ودخلت وبصوت ناعم ضعيف أذكر حاجتي وكلي خجل وحياء .. وكنت أحسب أنك رأيتني ولو بطرف عينك عندما دخلت المتجر من وراء الزجاج ولو من غير شعور أو اكتراث ..فاعتقدت أنني إنسان حائر جاهل بالمعرض .. واتجهت إليك من دون الآخرين عفويا وبدون قصد .. فدبت فيك الحمية العربية وأحببت مساعدة هذا المسكين ـ وسكت لحظات ـ وكذلك لإرضاء غرورك .. لا تنكرين .. فكل عيون العاملين كانت تراقبنا وتريد أن تعرف ما الذي جرى؟ .. ولماذا دخل هذا الرجل الأنيق الوسيم مكتب منى وتحدث معها ؟

ـ داهية ماكر يا رجل! لابد أن ذلك حصل معي .. منحوس أنت.. بل تشاجرت مع بعض

العاملات من أجلك .. ثم تشاجرت مع المدير من أجل هواتفك .. أقر لك بأنك مغامر جيد وتفكر بردة فعل خصمك .. أو الشخص المقابل لك .. وأكيد أنك قارئ جيد .

ـ أنا قارئ جيد حقا.. وأحب قراءة الكتب المثيرة ولدي الكثير منها .. ستجدينها في شقتنا إن شاء الله تعالى .

لما حضر المعلم خليل من شغله ، وتناول الجميع العشاء ، واندمج خليل وبرهان بالحديث ، ونسوا منى التي تحضر لهم ساعة فاكهة وساعة تصنع شايا وساعة قهوة ، ولحظ مالك غيظها لإهمالهم لها ، وكان مالك السامع أكثر منه متكلما تلك السهرة ينظر إليها وهو يضحك ثم عقب فقال لها : يا منى .. اهدئي .. لك أكثر من ساعتين ترغين مع برهان .. أعطينا فرصة نتحدث معه .. فبرهان رجل عجيب ومثقف ولديه قصص وحكايات مدهشة .. وفي كل شيء يتحدث فحتى العم خليل معجب به جدا ويراه نوعا فريدا من الرجال في الدنيا ، وقد شرحت له قصة اصطياده لك بالتفصيل .. فهو قد فعل الذي عجزنا عنه في شهور وسنوات وغدا ستتركين الدخان كما وعدنا السيد برهان ..

كانت منى تتحمل تعليقات مالك اللاذعة ، وهي تعرف ربما أكثر من غيرها كيف يكسب برهان الأصدقاء بسرعة وحذاقة ؟ فردت على مالك ببعض الغيظ وردة الفعل فقالت : اسمع أنا تفاهمت معه على كل شيء .. أفعل ما أريد وأترك ما أريد .. والدخان الذي ما زال يزعجك ويثيرك ويهيجك ..حسنا لن أدخنه ، مبسوط يا سيدي مالك .

ـ صحتك غالية علينا ..

وذهبت لحجرتها وأحضرت علب السجائر والتبغ ، وأخذت تتلفها وهي تقول لمالك : ارتحت الآن . وألقتها في سلة النفايات، وارتفع الصياح في الحجرة مباركا هذه الخطوة الشجاعة ، ورمت على أمها القداحة قائلة : هذا تصلح لإشعال الغاز .

وقالت جميلة لما هدأت الأصوات والفرحة والنكات والتعليقات التي قيلت: والله هالبرهان ولد مبارك ! والله يا منى نتعجب عندما نتذكر عنادك الماضي وأحوالك وبعدما عرفت هذا الشاب نلمس الفرق الكبير .. رضى الله عنك يا ابنتي وبارك الله لك في زوجك المحترم .

غرق برهان طبعا بالخجل والعرق وهو يسمع كلمات الثناء والمدح ويرى نظرات العيون من منى ومالك فقال : بوركت يا أمي .. هذا من فضل الله علينا .. ومنى إنسانة عاقلة ؛ ولكن النفس تضعف أحيانا فتحتاج لدواء ، وربما يكون الدواء كلمة طيبة ، ربما نظرة حانية فيها عتاب خفيف تفعل

الأعاجيب .
قالت منى بابتسامة واسعة : شكرا لك برهان .. أنا يا أمي مع ذلك لم أحبه بعد ؛ ولكني معجبة بطبيبي فالحب غير الإعجاب في نظري ، وقد يكون في نظر الآخرين ، وأنا لست عنيدة كما تشيعون عني .. أنا إذا اعتقدت شيئا لا أتزحزح عنه إلا إذا اقتنعت فعلا بضعفه وبطلانه.. وأنا لليوم لا أعرف برهان جيدا ولكنني مقتنعة به وبأفكاره .
واختلط الحديث بين الجميع ، حتى أن جميلة تمنت وجود ربيع بينهم ليشاركهم السعادة ، فهو كم دعا وتوسل إلى الله أن يهدي أخته ويحفظها مما انزلقت إليه بزواجها من حازم من عادات سيئة ورديئة ، فقال مالك عندما سمع تمني أمه: سأخبره بكل شيء يا أمي .
وأمضى القوم سهرة ممتعة ، واستأذن برهان بالانصراف وهم يحثونه على المجيء غدا وأن البيت بيته حقيقة لا مجاملة ، فيقول : هو أكيد بيتنا ، والله لا يمل من سماع الشيخ أبي أحمد وأم ربيع والأخ مالك وإنني اندمجت معكم في هذه المدة الوجيزة اندماجا كاملا .. حتى بدأت أفكر بالحياة والسكن في حي برقوقة.. فقد لمست عواطف ومشاعر وحنانا عجيبا في ناس الحي .. فهم يحبونكم كأنكم أهل ، وهم ينظرون إليّ كبطل أنقذ ضحية .. مع أني طالب زواج فقط .. فهم يخجلونني بالثناء والمجاملات كلما التقينا بأحد في المسجد أو في الطريق .. وهذا من حبهم لكم .
فتحمس خليل وقال: كلامك دائما سكر وحلو يا برهان .. تفهم في كل شيء وسكنك هنا مكسب لنا وللحي .
فقال برهان : بارك الله فيك يا عم ؛ ولكني وعدت منى بأن أطير بها من حي برقوقة عند الزواج فأمي تريدني أن أجاورها وأسكن معها في العمارة يا عم خليل .. لا أعلم ما القصة التي بينها وبين هؤلاء الناس الذين يحبونها أكثر مني وكانوا خائفين عليها كخوفهم على أبنائهم .
فهتف خليل : أرأيت يا منى ؟! كلام هذا الإنسان .. على كل نحن نتشرف بك يا ابني يا برهان يا ابن الأجواد والله كأننا نعرفك من أربعين سنة .
فتبسم مالك وقال : لم يكن مولودا يا عم أبا أحمد .
ـ رجل يدخل المخ يا ابني يا مالك!
فقال برهان : شكرا لك يا عمي ، أنا مسرور بصحبتكم ومعرفتكم وأرجو أن أكون عند حسن ظنكم جميعا .. دعواتك يا أم ربيع .. ادعي لنا وأنت تسجدين بين يدي ربك .
فقالت جميلة : لم انقطع عن الدعاء يوما ما يا ولدي .. ومنذ تصاهرنا وأنا أخصك بالدعاء .
فقالت منى : والله يا برهان كما يقال أكلت بعقل الناس حلاوة !

فتبسم لمعاكستها وغمزها وضغط على يدها مودعا : أو لم أفعل ذلك؟! .. إنهم أناس طيبون يا مجنونة ! .. هكذا الناس .. البساطة والأمل والحب .. أبغض شيء إليّ النفاق والمجاملات الكاذبة .. سلام الله عليكم نلتقي قريبا .

وركب مالك بجوار برهان الذي جلس في سيارته فقالت أمه : أين ؟!

ـ سأمشي معه لرأس الشارع .

وقالت منى معاكسة : ماذا تريد منه ؟ اطلب مني أولا وأنا أوصل له الرسالة .. جاملني يا أخي على الأقل !

فقال مالك ساخرا وجادا وبصوت مسموع لهم : يريد مني بعض المال ليكمل مشروع الزواج اكتشف برهان أن ثروته لا تكفي فناشدني المساعدة فدبت فيّ النخوة والشهامة .

ـ أنا أولى منك بأسلافه .. على كل سيقول لي برهان ما ستقوله له .

ـ لا أظنه يكشف السر .

أشار لهم برهان مودعا بيده وتحرك بسيارته ، ولما أصبحا على رأس الشارع الصغير أوقف برهان السيارة والتفت لمالك الذي قال : يا أخ برهان أنت أكثر من زوج أخت وأكثر من صديق أنت أخ كريم وكما يقال رب أخ لك لم تلده أمك فنحن إخوة في الدين والعقيدة وإخوة في الصداقة والحب والصهر .. فإذا كنت محتاجا لأي فلوس فلديّ ما يساعد

قبله برهان وقال : أنتم أحلى ناس .. مستورة يا رجل ! والحمد لله أنا لي سبع سنوات اشتغل في البنك ، ولست بالمبذر ولا المدخن ، وعلمنا حضرة الوالد حفظه الله لنا أن نحتفظ بأموالنا لمثل هذه الظروف .. فلا يقبل منا المشاركة في مصروف البيت إلا ما ندخله خفية عنه ، وهو يقول لنا : لما احتاج سأطلب منكم .. فالحمد لله وأشكرك جدا على هذا الموقف النبيل .

ـ نحن فرحون بك جدا جدا يا برهان .. أنت قدمت لنا فضلا ومعروفا كبيرا .. أنت قدمت للعائلة تضحية كبيرة وإيثار كبير .. أنت أنقذتنا كلنا من الضياع وليس منى فقط .. والله لو سقطت منى في الرذيلة لوصمتنا جميعا في العار ، وأنت خير من يعرف أهمية هذا عندنا نحن أبناء مثل هذه الأحياء .. آه لو تعلم كم عانينا في السنوات الأخيرة ؟! منذ تزوجت ونحن نعاني ألما نفسيا وبدنيا ننظر إلى بعضنا في حزن وأسى .. ونحن اليوم نضحك من أعماق قلوبنا كناعاجزين معها لآخر درجة ..

ـ القدر .. الله يحكم ما يريد !.. فابحث لك يا مالك عن زوجة صالحة تقر بها عينك .. فمنى رغم ما بدر منها وما حصل هو أمر طبيعي .. البيئة

لها دور مهم كما تعلم في تكوين الفرد مهما حاول التحرر من قيودها .. البعض منا يحلم أحلاما كبيرة ..ولا يعرفون كيف يكون تحقيقها بسرعة ؟.. منى يا أخي لم تحب زوجها حازما يوما ما إنما كانت تراه جسرا أو درجة في سلك طويل وربما سلك قصير لتصير من أصحاب الثروات الهائلة .. ولكن هذه الدرجة انكسرت بسرعة ، ولم يتحقق شيء من الحلم .. فصدمت فزاد تمردها .

رسالة حازم

ولما وصلت منى صباح أحد الأيام إلى الشركة ، وذلك بعد كتابتها كتاب الزواج بزمن يسير أخبرها أحد العاملين أن رسالة أتت إليها مساء أمس ، وهي كانت قد تركت الشركة بعد ظهر أمس للقاء برهان والذهاب لمعرض ومتجر أثاث لحجز أثاث غرفة النوم والبيت فتسألت : أين هي ؟

فأخبرها الموظف أنها عند المدير فشكرته ، وطلبت منه فنجان قهوة ، ولما شربت القهوة ، ورتبت مكتبها صعدت إلى مكتب المدير في الطابق الثاني .. وصبحت عليه ، وذكرت له سبب مجيئها ، فتطلع على سطح مكتبه يمينا وشمالا وفتح جوارير أو أدراج المكتب وتطلع فيها فلم يرها فقال : نعم جاءت رسالة للسيدة منى ربيع أمس .. كيف تمشي أمور الزواج يا أخت منى ؟

ـ تمشي بتوفيق من الله .. أنا أول مرة تصلني رسالة خاصة هنا .

ـ فعلا وأنا مثلك دهشت .. ربما تكون تهنئة من أحد الأصدقاء أو الصديقات بمناسبة عقد قرانك

وبينما هو يقلب في الأوراق والملفات التي أمامه وجد الرسالة فقدمها لمنى وهو يقول بجد : ها هي يا سيدة منى .. هل ستستمرين في العمل بعد الزواج ؟

ـ زوجي لا يمانع من العمل لحتى الآن .. ولما أنوِ ترك العمل سأخبرك قبل استقالتي يا سيدي

ـ أشكرك يا أخت منى .. وحقيقة قد يكون حدث بيننا في الشهر الماضي بعض الحدة ولكن من معرفتي بك إنك تقدرين وضعنا .

ـ بل أنا التي تأسف لما حدث .. آسف جدا يا سيدي .

ـ بارك الله فيك .. وشكرا لك أرجو أن تدعينا عند حفل الزواج .

ـ ولا يهمك ، سأفعل إن شاء الله .

ـ أطلب لك قهوة .

ـ لا ، شربتها قبل أن أصعد إليك .. إن الفراش

باسم هو الذي ذكر لي أمر الرسالة .. فأنا لم أعتد على الرسائل الخاصة ؛ ربما تكون تهنئة كما قلت وكانت منى قد تناولت الرسالة من المدير ، ووضعتها في حقيبة اليد التي تحملها كما تفعل النساء في هذه الأيام .

ولما انتهى الكلام مع المدير هبطت إلى مكتبها ، ولما جلست وتطلعت على العاملين الذين يرمقونها بعيونهم الفضولية وقد انشغلوا بواجباتهم ، أخرجت الرسالة فكان مظروفها كبير الحجم ومعطر ومن النوع الثمين ، وكان عليه عنوان الشركة التي تعمل فيها ، ويسلم ليد السيدة منى ربيع ، وأما المرسل فلم تجد له اسما معينا إنما عنوان فقط .. تحسستها لحظات ، ونظرت للخط المكتوب به العناوين فارتعش قلبها ويدها وهمست : إنه خط حازم ناصر .. زوجي الأول خطه لا أنساه أبدا !

وضعت الرسالة على المكتب وأخذت تحدق النظر إليها بضع دقائق ولم تفتحها ثم وضعتها في الحقيبة ثانية وهي تقول : سيفتحها العزيز برهان أولا .. أمعقول عرف بزواجي فأحب أن يهنئني بذلك ؟! .. ما الذي ذكره بي ؟! وكيف عرف أني وجدت رجلا قد يكون خيرا منه بل هو خير..؟! لابد أنه يعرف أنني أعمل هنا من عبير من بعض الأصدقاء القدامى .

نظرت في أوراق الشغل التي أمامها دقائق ، ثم رفعت سماعة الهاتف وتحدثت مع البنك وطلبت برهان وطلبت اللقاء به ليلا ولما سألها عن السبب قالت : لما نلتقِ ستعرف السلام عليكم .

وضعت السماعة ، وراحت في تفكير قديم أيام زواجها الأول أيام حازم .. وعادت بعد حين تنظر فيما أمامها من ملفات ومراسلات .

كالعادة زار برهان حي برقوقة ملبيا دعوة واتصال منى حيث وجدها ومعها أمها في انتظاره ، وأن السيد خليلا ذهب للصلاة في المسجد ، وأن المحامي مالكا عند أخته حنين ، وكان برهان قد أتى بأمه معه ، فانشغلت جميلة بأم برهان ، ودخل برهان حجرة منى التي قدمت له العصير الذي يحبه بعدما قدمت منه لحماتها وأمها ، ولما جلست قبالته وسألها عن صحتها وحالها وفعلت مثله ، ثم سألها : هل دخنت منذ مزقت علب الدخان ؟

فتبسمت وقالت : أتريد الصدق ؟

ـ نعم !

ـ ضعفت في الشغل وتسولت بضع سجائر .. لم اشترِ علبة واحدة منذ تلك الليلة .. سأتخلص منه

ـ إن شاء الله .. ما الذي جد وطلبت زيارتي لبيتكم .. وأنا أمس عندكم لنصف الليل .

ـ أمر مهم وغريب .

ونهضت وأتت بحقيبة اليد الصغيرة ، وأخرجت

منها الرسالة التي وجدتها في انتظارها صباح اليوم في الشركة فقال : ما هذا ؟!

جلست وناولته الرسالة ، أمسك بالرسالة وقلبها بين يديه ، وقرأ ما عليها ، وتسأل بدهشة عما تريد ، فقالت: اليوم صباحا عندما دخلت الشركة ومكتبي أخبرني الفراش باسم أن رسالة وصلت أمس بعد الظهر لي شخصيا وهي مع المدير .. فاستغربت وشربت القهوة كالمعتاد وصعدت لحضرة المدير شفيق وطلبتها منه وهو مستغرب مثلي .. فهذه أول مرة تصل رسالة شخصية باسم منى للشركة منذ عملت معه بعد سفر حازم زوجي السابق .. مالك أتغار ؟!

ـ لا .. لا .. دعينا منه الآن أكملي .

ـ تحدثت مع السيد شفيق ، وتسامحنا عن مشاكلنا السابقة ، وطلب مني أن أدعوه لحفلة الزواج فوعدته بذلك ، فاجعله على رأس القائمة .. وأخذت الرسالة ونزلت إلى مكتبي ، وأنا أظن كما ظن المدير أنها تهنئة وتبريك من أحد أو إحدى المعارف .. لما نظرت إليها وإلى اسم المرسل فلم أجد له اسما كما تلاحظ ، فيوجد عنوان ولا يوجد اسم المرسل حتى العنوان ربما يكون وهميا .. أما عنوان الشركة التي أعمل فصحيح .. ولكني لما نظرت الخط ودققته عرفت أنه خط من ؟.. إنه خط حازم !

ـ حازم ؟!

ـ نعم ، حازم يا سيدي العزيز ، فاضطربت وارتعشت وتسألت ما الذي ذكره بي بعد هذه الأيام

والشهور؟! وكيف عرف بزواجي وخطبتي إلى آخره ؟ .. فهو منذ سافر أمريكا تحدث معي من هناك مرتين أو ثلاث على ما أذكر ثم أرسل ورقة الطلاق أو وكالة بالطلاق ، والمحامي محامي والده بلغني ذلك .. وانتهى ما بيننا .. فانزعجت ولم أفتح الرسالة ، وتركت أمر فتحها لك يا سيدي فمن أجل ذلك اتصلت بك.

كان برهان يقلب الرسالة ، وهو يسمع تفاصيل مجيء الرسالة ، وموقف منى منها فقال بعد صمتها : أخائفة من شيء ؟!

ـ أنا رغم انحرافي الذي تعرفه يا سيد برهان .. عندي إخلاص ووفاء وأحسب لكل شيء .. فهذا الرجل لا حق له اليوم ليكتب لي أو أن يتحدث معي .. لا أحب أن أجرح مشاعرك .. ولو كان الشيء تافها .

ـ هل اتصل بك منذ عاد للبلد ؟

ـ أبدا .. هذا أول اتصال، أنا علمت بعض أخباره وبعودته من أخته عبير ومن بعض الأصدقاء لنا الذين ابتعدوا عني بعد سفره لأمريكا الشمالية .. فنلتقي صدفة فنسمع أخبار بعض .

ـ أنا أقدر لك هذا التصرف الحسن .. ولكنني لست حساسا لهذه الدرجة .. أقرئيها يا منى ولا تقلقي .

ـ هل أمزقها ولا أقرأها ؟!

ـ أخائفة من شيء ؟!

ـ عندي قلق ما ..

ـ أنا أقدر شجاعتك يا منى !.. وكان باستطاعتك قراءتها وأتلافها دون إعلامي وبدون أن أعلم فهذه شجاعة وأدب راق .. فأنا لما اقترنت بك وصممت على الاقتران بك فعن معرفة وعن دراسة .. ليس اعتباطا كما يتبادر إليك ، فأنا أعرفك جيدا ، وأعرف أهلك جميعهم من قبل الزواج سماعا طبعا ، فلدي معلومات مهمة عنكم

ـ من مصدرك الخاص .. ليتني أعرف ذلك المصدر !

ـ مصادر كثيرة على كل حال .. أنا أسمح لك بقراءتها .

ـ نقرأها معا ؟!

ـ وحدك أفضل .. فهي رسالة خاصة لك أنت أنت .. وهل أنت متأكدة أنها من حازم ؟

ـ اشتغلنا معا سنوات ، فأعرف خطه جيدا ، وأعرف ضعفه ، فهو خائف أن يضع اسمه ، وحتى عنوانه الصحيح ، حتى إذا فقدت أو ردها البريد ولم تصل لي وردوها لا تعود إليه .

ـ أنا لا أريد قراءتها يا عزيزتي .. أقرئيها أولا وإذا رأيت من المناسب قراءة ما كتب لك ، فربما أسمح لنفسي بقراءتها ..لا تتحرجي من قراءتها

وطرق على الباب طرقا خفيفا فنهضت منى وفتحت الباب : أبا أحمد .. تفضل يا عم.. أنا فكرت أمي أحضرت الشاي الذي يحبه زوج ابنتها .. عمي خليل يا برهان .

نهض برهان مسرعا ومصافحا للعم خليل وهو يقول : أهلا وسهلا بالرجل الفاضل ، وقال برهان لمنى : أقرئي الرسالة ثم الحقي بنا .. هيا يا عمي أبا أحمد نجلس في الصالة .. كنا نتحدث في موضوع خاص وإلا جلسنا مع العجائز .

ذهب الرجلان حيث الصالة وحيث تجلس المرأتان ، وظلت منى في الغرفة حائرة بين القراءة للرسالة أو تمزيقها ، فعندما تغلب أنها مجرد مباركة وتهنئة تهم بتمزيقها .. وعندما تغلب أنه قد يكون فيها شيء غير ذلك ربما معلومات مهمة ترغب بفتحها وأما برهان فتحدث مع السيد خليل بضع دقائق ثم التفت إلى أمه قائلا : آ يا أمي كيف أنت وحماتي ضحكت الأم لسؤال ولدها الساذج ، وأخذت تكيل لهم المدح والثناء والطيبة والصبر على تعليم الأولاد وتربيتهم ، وتثني على همة خليل ، وجميلة تشكرها وتثني عليها وعلى أصلها وجذورها .. وخليل وبرهان يبتسمان ويرشفان الشاي ،

ودخلت عليهم منى وأخذت تتحدث مع حماتها وترحب بها ، وقد سمعت آخر الثناء فشكرت حماتها على إهدائها لهم لفلذة كبدها برهان ، ثم تطلع برهان في منى وسألها : أقرأتيها ؟

هزت رأسها بالنفي وقالت : إنني مترددة وسأقرأها فيما بعد .

ولما سأل خليل عن الموضوع غير الشابين مجرى الحديث والحوار بعدما قالت منى : رسالة لي يا عم

وبينما هم منسجمون بالحديث دخل مالك وخلفه حنين وزوجها سعد الدين الذي قال مازحا : والله يا برهان أنت مرابط هنا !.. منذ متى وأنتم هنا يا خالتي أم العبد ؟!

قالت أم العبد ـ ابنها الكبير اسمه عبد القادر ـ والدة برهان: والله يا ابني منذ ساعة أو أكثر .. كيف أمك وأخواتك ووالدك الحاج ؟

رد سعد فقال : الكل بخير يا خالتي وبشوق لكم .. وكيف أنتم ؟

ـ الحمد لله .

ـ كيف صحتك اليوم ؟ أكيد مع خطبة برهان تحسنت أكثر !

ضحكت وقالت : الحمد لله يا ابني .. ها هو أصبح عديلك .

قالت منى مخاطبة حماتها : أتعرفون بعضا يا خالة من زمان ؟!

ردت المرأة بسرعة وبراءة : طبعا يا بنية .. كم مرة طلبت من برهان أن يتزوج من بنات أم سعدي ولكن النصيب حكم في النهاية لتتعرف على هذه الوجوه الطيبة .

تمتم الجميع بالشكر ، وكانت منى تتطلع في عيني برهان ، وكأنها اكتشفت سرا ، وقالت بنبرة مثيرة : برهان !

هتف وقد فهم مقصدها : نعم يا سيدتي !

فدخل مالك على الخط فورا ، وقال : يبدو أن اللغز يريد أن يحل يا سيد برهان .

أدرك سعد ما يتغامزون حوله ، فنظر في عيني برهان لحظات ، ثم نقله لمنى قائلا : وهل قال لك إنه لا يعرفني قبل تعارفكما ؟

ـ لا .. أنا ما سألته ؟

فقال برهان مريحا لأعصاب الجميع وهو يبدل نظره بين منى ومالك وسعد : أنت لم تسأليني عن سعد الدين يوما ما .. فسعد الدين هو سبب تلاقينا وزواجنا .. إنه يحبكم جدا ويبغي لكم الخير فألقاني عليكم .. لنصير كما يحب عدايل .

همست منى كأنها مذهولة وهي تحملق بسعد : أنت يا سعد الدين ؟!

قالت حنين : هذا من حبه لك كما قال برهان .

قام مالك واحتضن سعد الدين قائلا : جزاك الله خيرا يا سعد ..

قال سعد متحمسا ومرتبكا في نفس الحين : لم استطع أن أقدم لها شيئا .. فقلت برهان صاحب هذا الشأن .. مع أنني تراجعت من خوف حنين وقلقها على مشاعر أختها وأعلمني المحترم أنه انسحب ولكنه مكر بي .

فقالت منى: أنا أصبحت مدينة لك يا سعد الدين بهذا الزواج.. وبهذا الزوج .

ـ ولحنين .

فقالت : ولحنين ...اسمحوا لي الآن بأخذ حنين لغرفتي بعض الوقت .. تعالي يا كذابة !



روايات اجتماعية

صديق أمي

الحلقة الثانية

أم عباس

ذات ليلة عاد عباس بوالده من زيارة معرض طبي في صالة مشهورة في المدينة.. عرضت الخادم عليهما الطعام ، فأثنى عليها عباس ، وأعلمها بأنهم أكلا في أحد المطاعم ، وطلب منها صنع الشاي لهما ، وجلسا في غرفة المعيشة ، وقدمت لهما الخادم أطايب الفاكهة ..وأخذا يتحدثان عن مشاكل الشرق الأوسط وحرب لبنان ، ثم قال حسن :

اقترب موعد سفري .. اليوم أكدت حجزي .. وأريد شراء بعض الهدايا للناس في الوطن .. أنا أعرف أنك غير ماهر في ذلك رغم أن جديك كانا من كبار التجار .. لكن دلني على سوق مهم في هذه البلدة .



قال : سأفعل .. وسأشتري هدية خاصة لمريم وزوجها يوسف ، ولأمي فائزة أم فضل .

رن جرس الباب ، فدهشا ممن يطرق عليهما البيت في الليل، وإن كان في أوله ، وجاءت الخادم تقول والاستغراب باد عليها : امرأة تريد الحديث معك يا سيد عباس !

ـ امرأة .. وما اسمها ؟!

ـ رفضت ذكر اسمها ، وهي مصرة على الدخول .. فالتفت عباس لوالده وقال : عجيب ليس لي صديقات من الجنس الآخر .. لا طبيبات ولا ممرضات !

قال حسن : دعيها تدخل .

وأشار عباس لها بالسماح لها بالدخول ، وخرج لصالة البيت ليرى المرأة ، ولما اجتازت البهو وقفت ، ولما رآها حسن هتفت هي استغرابا : حسن !

فحدق فيها دهشة هو الآخر وهمس : هدى عزام !
ونظر حسن لابنه وقال : هذه أمك يا عباس !
صاح عباس الذي تبع والده خارجا من غرفة المعيشة مذهولا : أمي .. هذه أمي !! وكان يشير إليها بيده مستنكرا .
فقالت بقوة : نعم ، أنا أمك يا عباس !
لم يتقدم نحوها ، وهي جمدت مكانها ، فقال حسن : سلم يا ولدي على أمك .
فقالت : لم أكن أعلم أنك هنا يا حسن .. عباس أنا أمك .
فقال الشاب المذهول وهو يشير إليها بسبابته : أنت أمي ؟! أنت أمي ؟! ولماذا جئت ؟!
فقال حسن مستغربا : ما هذا السؤال يا عباس ؟!
تقدمت هدى منه وسلمت عليه ، وحاولت احتضانه ، فدفعها برفق ، وقال بحدة خفيفة : بعد أكثر من عشرين سنة تذكرت ابنك عباسا .. أن لك ولدا اسمه عباس .. ما ذنب عباس ومريم
ـ هكذا تستقبل أمك يا عباس .. لم يحسن حسن تربيتك .
صمت حسن لم يرد على استفزازها رغم الألم الذي عصر قلبه ، فقال عباس بحدة أشد من الأول : أبي أحسن منك كثيرا ! .. أنا لا أشعر بأي ميل نحوك .. لم أحبك يوما ، ولا أتصور أن أحبك في يوم ما .. ولم أشتاق لك لحظة .. تأخرت يا أمي بالمجيء
ـ أتريدني أن أنصرف ؟
ـ سيان عندي
قال حسن متدخلا : لا ، امكثي سيهدأ عباس .. ولكن كيف عرفت أنه هنا في هذه الشقة ؟!
ـ كيف حالك يا حسن ؟
ابتسم وقال : دعيك من حالي ..لابد أن أقارب زوجك ينقلون لك أخبار عباس وآل الرّشاد .
فقالت : هو ما تقول .
ـ أنا لم أحرمك من أولادك يا هدى .. أنت حرمت نفسك منهم .. وأنت التي هجرتنا .. رسالة برقية لم نر منك .
صاحت محتجة : حسن .. أنا ما زلت أكرهك .
ـ اكرهيني كما شئت .. عباس سأدخل حجرتي .. تحدث مع أمك ، تعرف عليها
فصاح عباس في وجهها : أرجوك أن تنصرفي .. أمي التي ولدتني ماتت .. أنا لا أحبك .. أنا أبغضك .
فقالت : هكذا ربوك وعلموك .. علموك بغضي .
ـ أنت بغضتيني لنفسك .. أم تترك صغارها لقضاء شهوة في حضن رجل .. مهما كان هذا الرجل .. الحشرة لا تتخلى عن أن بيوضها .. أبي قبل طلاقك رغم وصية أبيك .. ولكنك أنت رميتنا من أجل حبيبك وهواك .. من أجل صديقك .. من أجل شهوتك .

صرخت : عباس .. أرغموني على الزواج من أبيك

ـ لا يوجد إرغام .. أنت مأساتي يا من كنت أمي .. أرجوك أن تنصرفي .. إني متعب لم أكن مستعدا لهذا اللقاء .. تهربين منا .. مني ومن مريم .. أنت لما هربت لم تكوني على ذمة أبي .. أكرهك !

قالت : سمموك عليّ .

ـ لم يسممني أحد .. أفعالك الدنيئة هي التي سممتني .. لبسنا العار من فعلتك الشنيعة .. خزيتينا أمام العائلة والناس .. أنت زرعت فيّ صورة مؤلمة للأمهات .. بعتنا من أجل شاب طماع .. شاب قبض المال من أبيك ليختفي من حياتك .. ثم نكص على عقبه .. خائن!

ـ عباس لا تسيء لزوج أمك والد إخوتك .. أنا مظلومة ، هم رفضوا زواجنا .

ـ أرجوك الخروج .. أنا لا أم لي .. ماتت في قلبي ، وإن كانت تمشي على الأرض .

ـ ألا تريد معانقة أمك وتقبلها ؟

صاح سخطا : أنت أم ؟! أي أم أنت ؟!

ـ أمك التي حملتك في بطنها شهورا ، واحتضنتك سنوات .

ضحك بسخرية وقال : ثم رمتني عند أقاربها ، وهربت للقاء الحبيب الخائن .. أمي التي قبلت بأبي زوجا ، ولما مات أبوها أجبرته على طلاقها .. اسمعي أنا أعرف تفاصيل حياتك .. أمي التي كانت تتراسل مع حبيبها وهي على ذمة رجل ، وتفعل ذلك من وراء زوجها .

صرخت بشدة : عباس !!

ـ عباس يعرف كل الخزي .. أين احترام خاطر أبيك وزوجك ؟.. أين التضحية من أجل خاطر الأبناء ؟! .. أنت جنيت علينا .. دمرت حياتنا

ـ ما أقسى كلامك !

قال : قلبي مليء عليك .

ـ أحبك رغم كل هذا الكلام الجارح .

ـ دعيني من كذبك .. الحب تضحية ليس كلاما ..

ـ ألا تريد أن تتعرف على أخويك وزوج أمك ؟

قال هازئا : زوج أمي .. صديق أمي.. أجننت ؟ وهل مات أبي لأفرح بزواجك .

ـ سأغادرك الآن .. جئت من كندا من أجلك ، من أجل رؤيتك يا عباس

ـ لو لم أجئ إلى ألمانيا ما فكرت برؤيتي !

أغلقت الخادم باب الشقة بعد انصراف هدى ، وخرج حسن من حجرته ، وظل صامتا حتى وصل لعباس الذي ما زال قائما يتابع خطوات انصراف أمه بذهول ، وضع يده على كتفه برفق وهمس : عباس .. عباس

التفت إليه عباس منتفضا : ذهبت !

ـ نعم ، ذهبت .. ثم تنحنح وتابع قوله : لم تحسن استقبالها يا عباس إنها أمك وستبقى أمك .

قال بشروده : هذه هي أمي يا أبي! .. التي ولدتني قبل أكثر من ربع قرن .. أمي .. هل تحبني أمي يا أبي ؟!

ـ بالتأكيد أنها تحبك .. إنها أم .

ـ لا ، لا .. إنها تحب ذاك الرجل صديقها رفيق الجامعة .. الذي سافرت إليه وتخلت عنا .. إنها تحبه .. الأم تتخلى عن زوجها من أجل أبنائها .. لو كانت تحبنا يا أبي ما تركتك من أجلنا نحن أنا ومريم .. لظلت ، وبقيت معنا ..

قال حسن مخففا من الضيق الذي أصاب عباسا : بغض النظر عن كل الخواطر السوداء في ذهنك فهي أمك .. والدين عندنا يعظم الأم .. الأم لها حق كبير على الابن ..

وقال مجيبا بشرود في تلك الدقائق التي رأى فيها أمه : ونحن أليس لنا حق ؟

ـ لك حق .. حق الحمل والحياة والحضانة والتربية .. ولكن إذا لم يقم الأب أو الأم بهذا الحق لا يعني أن يذهب حق الأب والأم .. اسمع يا ولدي عليك أن تحسن استقبالها لأنها ستعود .. وهي تخاف من العودة لبلادنا للأفكار السيئة الشائعة في بلادنا عن الشرف والدم والعصبية .. فهي ربما تظن أننا سنفعل بها سوءا ؛ لأنها هربت وعصت الأسرة الكبيرة .. أما هنا فقوانين هذه البلاد يزعمون أنها تراعي حق النسوان أكثر من بلاد العرب والإسلام .. فديننا دين البر والوفاء للأم والبنت والشيخ الكبير .. ولسنا بحاجة لعيد الأم والأب .

لما لم يرد عباس تابع حسن الكلام : أنا مسافر بعد يومين ـ إن شاء الله تعالى ـ فأرجوك أن تحسن استقبالها ..فهي ابنة عم أبيك وابنة الحاج عزام جدك الفاضل .. اغفر لها يا عباس .. تعرف على الأخوة ، وربما تعود وهم بصحبتها .. هم أخوتك قدرا .. الإنسان لا يختار أباه ، ولا أمه ولا عائلته ولا بلده .. لا ضير من التعرف عليهم .. إنما هي سويعات ، وكل ينصرف لموطنه وعمله فهم أخوتك شئت أم أبيت .. وخذ بالك من عملك .

جلس الرجلان وقال عباس : أنت قوي يا أبي ! .. لا تحقد عليها .. ألا تكرهها ؟!

ابتسم حسن وطلب من الخادم صنع القهوة لهما وقال لولده بتمهل : ليس الأمر هكذا يا عباس يا عزيزي .. أنا لم أحبها يوما كزوج وحبيب .. حاولت ذلك ولم أنجح .. إنها كانت قاسية معي لم تفتح لي قلبها أبدا .. أنا كنت حقيقة لأمك مجرد زوج كرغبة أبي وعمي .. ومع ذلك صبرت لم أتزوج عليها .. ولم أفكر بذلك مع أن جدك الحاج عزام رغبني بذلك ، فقد أدرك كرهها الشديد لي ؛ لكني احترمت تضحيته ، وراعيت الجرح الذي سببته له .. وهي طول مدة زواجنا كانت تثيرني

وتحثني على الطلاق ، وحتى عندما مرض جدك ذكرت ذلك ، وعند موته كررت الطلب .. كانت تكثر من قول إني أبغضك .. كيف تعيش مع امرأة لا تحبك ؟ تستفزني لأطلقها الحب ليس الأساس الذي تقوم عليه الزوجية .. ربما يكون الزواج مصلحة مالية .. طمع .. لكن إذا زينت الحياة بالحب فهذا يضيف السعادة والبهاء للعلاقات الزوجية .. وقد يأتي الحب بعد الزواج ، وهذا أفضل من حب قبل الزواج .. وقصص فشل الزواج بعد حب كثيرة ..لأن أيام الحب ليست كأيام الحياة الزوجية .. مسؤولية وبيت وطعام وإنفاق .. فقصصه متكررة وفي كل المجتمعات .. وهذه المحبة أو المحب لو مات أحدهم .. سيبحث كل منهم عن حب جديد هكذا الحياة .. وفي النهاية هدى ابنة عمي .. رحم لي .. عليّ صلتها والإحسان إليها .. وهي أمكم ، كرهنا تصرفاتها ؛ ولكني لا أحقد على شخصها وذاتها .. رغم العار الذي سببته للأسرة والعائلة .. تظل قريبتنا وأمك وأم مريم .. الإنسان يضطر يا ولدي كثيرا أن يعيش مع خصومه وأعدائه ومبغضيه .. لا يوجد المجتمع المثالي النابض بالحب الكامل .. فأوصيك يا عباس أن تحسن المعاملة معها رغم فعلتها القبيحة في حقك وحق مريم وحق أبيها رحمه الله .

كان عباس يسمع وهو مستغرب من كلام والده في حق أمه .. كان يظن لو تمكن أبوه من أمه لخنقها .. لذلك لما صمت الأب ، قال عباس بتأنٍ : إنك أب مثالي .. كنت أتخيل لو أنك قبضت على عنق أمي لخنقتها .. من الألفاظ التي كانت تخرج منك أحيانا تجاهها .

تبسم حسن وأجاب : يا ولدي .. أنا ابن العائلة .. ونحن قوم نحيا على سمعتنا وشرفنا .. قد نتقاتل على شيء تافه من أجل الكرامة والشرف .. وهي أشياء معنوية .. لكن لها قيمة في نفوسنا وأنا لم أسيء لأمك وهي على ذمتي وتحت مسؤوليتي .. راعيت أنها قبلت بي مكرهة مرغمة .. كانت تعاملني باحتقار ؛ كأنني أنا فرضت نفسي عليها .. وكانت تجرح مشاعري بألفاظها المنتقاة.. تفعل ذلك لأغضب وأثور وأطلق .. كانت تنسى أني تزوجتها طاعة للكبار ولحبي للحاج عزام .. فهو الذي اختارني دون أفراد العائلة صهرا له .. فأصبر وأتحمل .. كما نصبر ونتحمل التلاميذ في المدرسة .. في البيت صبر وفي المدرسة صبر ..أمك يا عباس كأس شاي لم تصنعه لي أو تقدمه لي .. كانت الخادمة تصنعه وتقدمه لي أو جدتك أم هدى ـ رحمها الله ـ تقدمه لي .. كانت تجلس معنا على مائدة الطعام خشية وحياء من أبيها .. كنا نعيش كعائلة واحدة .. الخلاصة يا ابني الحياة تجارب ومدرسة عملية .. فأحسن لأمك ديانة مهما أسأت وقصرت

في واجباتها .. أحسن إليها ليس لأنها أمك فحسب ، بل لأنها ابنة جدك عزام الذي أحبك كثيرا كأنك ابنه هو ..وفرح لمولدك فرحا كبيرا .. كان معتقدا أن مولدك سيصحح الأمور في البيت ويذهب النكد ، ويعيد هدى لصوابها وحياتها المرحة ، وتنسى أحلام اليقظة .. ولما رأى الأمور على غير ما يشتهي .. كتب باسمك الكثير من الأموال .. وأحسن إليها ؛ لأنها كانت زوجة لأبيك .

عادت الأم بعد أيام تطرق الباب ، وأخبرته الخادمة أن المرأة التي جاءت من أيام تريد الدخول وكان عباس تلك الليلة وحده ـ لقد سافر والده من حيث أتى ـ فأذن للخادم بالسماح بدخولها وكان مرتبكا فلبس روب المنزل ، وخرج لاستقبالها ، وكانت تجلس على مقعد في صالة البيت حيث يستقبل الضيوف ، فنهضت تسلم على ابنها ، فسلم عليها ببرود ، وحاولت معانقته فردها وقال : تفضلي بالجلوس يا أم عباس ، وجلس قبالتها وقالت وهي تجلس مرة أخرى ، وكلها ضيق من برودة الاستقبال: أبوك هنا ؟!

ـ سافر

ـ معي ناس

انتصب قائما وقال : من ؟!

قالت : اجلس .. أخواك

ـ فقط .

ـ وزوجي .. إنه يريد أن يتعرف عليك .

صاح غضبا وضيقا : لست محتاجا لهذه المعرفة .. أستطيع أن أرى أبناءك فقط .. أما زوجك فإني أبغضه للغاية .

ـ إنه زوجي والد إخوتك

ـ أرجوك ! .. أنا أراه وحشا غادرا منافقا خائنا .

ـ والد إخوتك وحش !!

فصاح هائجا : بل هو وغد حقير .

ازداد اضطرابها ، وقالت : ألا ترى أنك تقسو على أمك ؟

رد بكره بين فقال : أمي التي رمتني طفلا .. أهذه أم ؟! ورمت أختي وهي ابنة سنة ، لم تكمل رضاعتها.. أهذه أم ؟!.. هل أنت أم ؟!

ـ اجلس .. إنك تطردني بهذا التجريح

ـ لا أحبك أبدا .. لم أحبك يوما .. هل أنا صادق بعدم حبك أم أمثل وأتصنع ؟.. صورتك في عقلي سيئة سلبية .. أم سيئة .

ـ أعرف أنهم شوهوني لديك ولدى أختك .

ضحك ضحكة قصيرة مغتصبة وقال : الأمر لا يحتاج إلى تشويه .. أنت تخليت عنا من أجل ذلك اللعين .

ـ الأولاد في الشارع ينتظرون الأذن في الدخول

ـ يدخلون إلا فارس الحب ، لا أسمح له بدخول بيتي .

ـ إنه مثل أبيك .

صاح محتدا ومحتجا : مثل أبي! .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. أبي لا مثيل له في الدنيا .. أبي تقارنيه بزوجك الشريف النظيف

قالت بغيظ: سأنصرف إذا لم يدخل بلال زوجي الحبيب

ضحك وقال ساخرا : الحبيب يا له من حبيب ! .. افعلي ما تشائين ، لا يهمني انصرافك .. ليس لديّ عاطفة إليك .. أنت جئت كما زعمت للتتعرف عليّ .. وها نحن تعارفنا .. ليت هذا التعارف كان في بلدنا وليس هنا

ـ تمنيت ذلك

ـ وما يمنعك ؟ أخائفة من القتل لغسل العار ؟ قومك لا يفعلون ذلك رغم الفعلة التي فعلتيها

ـ أتريد محاسبة أمك ؟

ـ لا ، إنما أذكرك بأنك لم تحبيني يوما ؛ لأنني ابن السيد حسن مسلم .. أمي التي كرهت ولادتي وتمنت في قرارة نفسها لو أني مت كأخي الذي مات .

ـ ما أقسى قلبك يا عباس !

قال : عجيب أمرك ، أنا قاسي القلب ..!! هل أنا التي تخلت عن أطفالها لتهرب منهم ؟

نهضت قائمة تقول : إلى اللقاء .. بما أنك لا ترغب باستقبال زوجي .. فلا داعي للبقاء هنا .

ـ وأنا لولا وصية أبي باستقبالك لما فتحت لك الباب .. أنا لا أريد أن أعرفك ، لا يمكن نسيان عشرين سنة من الحياة بابتسامة وكلمة .. عشرون سنة قضيتها بغير أم .. دون أم .. لو كانت ميتة لكانت ذكراها طيبة في قلبي .. لكانت رائعة وجميلة في حياتي .. أنا بغضت كل النساء من أجلك .. رفضت الزواج وهجرته من أجل فعلتك الشنيعة .. فعمري ثلاثون سنة لا زوجة ولا ولد

قالت بشك : بسببي !!

صاح بحدة : نعم ، بسببك كرهت الفتيات

ـ لقد حشى القوم رأسك عليّ .. لم يحدثوك عن الظلم والطغيان اللذين مارسوهما عليّ .. لم يخبروك أنهم فرضوا أباك عليّ زوجا بالقوة والغصب والعدوان

ـ كذب .. وما ذنب حسن ؟!

ـ لماذا لم يرفض أبوك حسن ؟

ـ ولماذا لم ترفضي أنت ؟ هل يعصي حسن والده وعمه حتى لا يتزوجك ؟! وحتى ولو فعل سيأتي أبوك بغيره .. هل يعجز والدك الثري بأن يأت بزوج آخر.. حسن المظلوم ليس أنت .. حسن اجبر على الزواج منك .. وحسن لم يتخل عنا من أجل عيون امرأة حسناء .. حسن رفض الزواج عليك في حياة أبيك ؛ لأنه يحترم ويقدر الأهل العم

والأب .. لا تشتكي الظلم تركتينا عند الجدة وهربت .. هربت لحبيبك .. أين الحب لنا ؟

قالت مدافعة عن هربها : أحببت بلالا قبل أن أتعرف على أبيك كزوج

ـ ما ذنب أبي !!

قالت : كان عليه أن يرفض الزواج من فتاة لا تريده .

ـ عدت للرفض ، ولماذا يرفض ؟! ألست ابنة عمه ؟ وأبوك اختاره دون غيره زوجا لك.. وأعطاه الكثير من المال حتى لا يحس بالغبن ..

ـ قصدك اشتراه

ـ والحبيب أخذ الآلاف وتأشيرة الهجرة ..أموال أبيك وخان العهد .. ظل يكتب لك رسائل الهوى والغرام .. أعرف كل شيء يا سيدتي .. ما دام لك محبا لماذا قبل الجبان بالهرب ؟!

ـ اصمت زوجي محترم .. ظل وفيا لي حتى لحقت به .. لم يتزوج من أجلي

ـ إذا أحببت الجلوس والحوار فاصرفي زوجك

ـ على كل حال ها نحن التقينا .. وأنا مسافرة قريبا ووضعت بطاقة تعريف على منضدة صغيرة

وقالت : هذا البطاقة عليها رقم فندقنا وغرفتنا فإذا أحببت التعرف علينا جميعنا فاتصل بنا ، ومشت إلى الباب ، وهي تتوقع أن يضعف ويدعوها للعودة وإدخال أولادها وزوجها ، ولما وصلت للباب الخارجي للشقة سمعته يقول : مع السلامة .. لا يشرفني التعرف على هذا الرجل ، ولا أرى صورته

نظرت إليه وقالت بنبرة غاضبة ومتوسلة : عباس

قابلها بنظرة حادة وقال : هذا ما عندي!

لم يشعر بعاطفة قوية وحب وحنان نحو أمه ، بل شعر بنفور وجفاء نحوها ، وإن كان في قرارة نفسه يتمنى اللقاء بها ورؤيتها ، ولما حصل ذلك لم يسعد به ، كان حائرا مرتبكا .

لما انصرفت تلك الليلة لم يحاول أن يتصل بها على ورقة الفندق التي تركتها على المنضدة الصغيرة بل لم ينظر لتلك البطاقة ، وكان يقول لنفسه بعد رحليها لو كان أي رجل غير صديقها تزوجت به .. لربما عذرتها ، وقلت حقها أن تكره أبي ، ومن حقها الزواج .. أما أن تهرب لذاك اللعين .. فهذا إجرام في نظري .. لقد أسأت لرسالة الأمومة أهم رسالة للأم .. كيف تريد مني أن أصافح الرجل الذي أسأ إليّ ولمريم ؟ .. الحمد لله أن مريم لم تحضر مع أبي لن أتصل بها ..

لو فعلت ذلك لفرضت عليّ مقابلة زوجها

اتصلت هي به وقالت : يا ابني أنا أمك .. أمك رغم كل شيء

ـ أنا أعترف بأنك أمي .. أمي التي حملت بي رغم أنفها.. تسعة شهور .. حملتني على مضض الأم

التي تحدثت مع طبيبها عن الإجهاض .. وأنك حملت بي كرها .. لقد تحدث طبيبك مرة أمامي .. تحدث صدفة لحسن وهو لا يعرف أنني ابنك عندما تكلم .. تحدث أنك طلبت منه إجهاضك ، وأنك لا ترغبين بالحمل والولادة .. هو قال ذلك على سبيل الذكريات ..

صاحت على الهاتف غضبا : من أخبرك بذلك ؟!

ـ ألم أقل لك حضرة الطبيب تحدث بهذه الرغبة لحسن أبي وأنا بينهم .. كنت على معرض الإجهاض .. لكنه خشي غضب والدك ..والقانون

ـ ذكرت له ذلك على سبيل المزح والتذمر .. وإلا هناك عشرات الأطباء يجرون عملية الإجهاض ولا يسألون عن قانون ولا عن دين

ـ هذا الآن ليس مهما .. ماذا تريدين ؟

قالت : ألا تريد أن تودعني ؟ .. الليلة مسافر لبلدي

قال: بلدك !

ـ آ بلدي .. لقد تجنست بجنسية كندا منذ سنوات .. ألا تفكر بلقائي لوداعي ؟

ـ ليتني أستطيع .. لا أريد رؤية ذاك الرجل .. لقد كرهته أشد الكره والبغض .. لقد دمر كياني لقضاء شهوته .

قالت : قاسي القلب .. ذللت نفسي إليك ، وجئت بهم من كندا لنفتح صفحة جديدة في حياتنا وتلقى أخويك .. أهذه تربية حسن ؟

ضحك باستخفاف وقال : لا تذكري أبي بسوء .. فحسن خير الرجال .. حسن هو أبي الحبيب ورافقتك السلامة .. ولست بحاجة لفتح صفحة جديدة مع زوجك .. أمي الجرح الذي تركتيه في قلبي عميق .. كانت طعنة في القلب .. لا يمكن أن أنسى تلك الصورة وأنت تلوحين بيدك لنا من سيارة التاكسي .. لليوم لم أنس ذلك المشهد .. ولو كنت محبة لنا كما تزعمين اليوم .. لاتصلت بنا .. كتبت لنا .. زرتنا في سنوات ماضيات .. لكتبتي لهم معتذرة أنك أخطأت بفعلتك تلك .. ودعوت عريس الهنا ليخطبك من أهلك .. أما زواج بدون شهود وولي أهذا نكاح شرعي ؟

قاطعته غاضبة وقالت : مع السلامة يا عباس

ووضعت السماعة ، فسكت عباس ، وقال لنفسه : من المجرم منا ؟!

واستدعى الخادم ، وسألها كوب قهوة شرابه المفضل .. ومشى لمكتبه في الشقة وقال بصوت مسموع : لماذا جاءت ألمانيا ؟! هل حقا لتراني ؟ لتراني بعد كل هذه السنوات الطوال ..هل هذه أم تحب ؟ .. تزوجت مريم ولم تفكر بحضور زواجها أو حتى الاتصال بها لتبارك لها .. وحتى لم تسألني عنها بسؤال واحد .. أينا المجرم أيها الناس ؟

عشاء

كانت مريم ويوسف في زيارة للدكتور عباس العائد من ألمانيا محققا الاختصاص في جراحة القلب وجراحة الدماغ في بعثة خاصة على حساب طب الجيش، ولما وصل البلاد رفع لرتبة رائد طبي ..وبعد السلام والمعانقة التقليدية قالت : كيف كانت أمك ؟

ابتسم عباس وقال : كما ترينها في الصورة المعلقة في بيتك .. ما الذي ذكرك بها ؟ للأسف إنها يا دكتور يوسف لم تسأل سؤالا واحدا عن مريم .. أنا أتعجب من هذه الأم !

قالت مريم : المهم أنك قابلتها ورأيتها وسمعت صوتها .

قال آسفا: زادتني عذابا يا مريم .. لقد أعادت أشجانا لقلبي كنت نسيتها مع الأيام .. ومنذ قابلتها رغم أنفي وأنا لا أدري لماذا جاءت لألمانيا؟!

تنهدت مريم وقد دمعت عيناها أو ترقق فيهما الدمع ، وقالت : كم أنا بحاجة لرؤية هذه الأم يا يوسف .. لأعرف لماذا رمتنا وهربت ؟! لقد حرمتنا الأمومة وقول هذه الكلمة أمي

فقال عباس : لماذا الحزن والأسف ؟ فقد تعودنا على خروجها من حياتنا .. عمر ومضى .. الأيام التي ذهبت لن تعود .. فلما تقابلنا لم أحاول ضمها لصدري .. لا أستطيع يا يوسف .. كان بيننا جبل هائل .. وفي المرة الثانية سعت لذلك فلم تسمح نفسي بذلك .. حاولت أن أرغم نفسي على استقبالها وزوجها .. لم أستطع تقبل مقابلته ومصافحته .. لو تزوجت رجلا غيره لكان الأمر مقبولا ومتقبلا يا مريم .. لكن تتخلى عنا وتهرب لرجل عرفته في الجامعة ، ورفضه والدها كان هذا سيئا وجهلا كبيرا .. كانت قاسية على طفولتنا

قالت مريم : ستبقى أمنا يا عباس .. أمي .. أمي .. ما أجمل وأحلى هذه الكلمة يا عباس!

وقضى الضيفان وقتا مع الدكتور عباس حسن ، وكان جل حديثهم عن الأم ثم الدراسة .. وفي آخر اللقاء كاشفه يوسف بسعيه للسفر القريب إلى إحدى دول الخليج العربي للعمل هو ومريم

وكان عباس لما علم بزيارتهم تحادث مع أحد المطاعم ، وطلب منه إعداد عشاء له ولضيوفه .. لذلك انتقلوا إلى حجرة الطعام فور وصول سيارة المطعم، وانشغلوا بالطعام والمداعبة لبعضهم بالنكت حول الأكل الشرقي والألماني ، وبعد السهرة غادر الضيفان جناح الدكتور عباس في قصر جده عزام .

وقبل أن يخلع ملابسه الرسمية ويلبس ملابس النوم رن هاتف الشقة ، وكان المتصل والده حسن الذي اعتذر عن مشاركتهم الطعام لظرف خاص

به ، وكان الرجل راغبا بالحديث مع مريم قبل انصرافها ، فأخبره عباس بانصرافهم ، وذكر له تعاقدهم للعمل في السعودية العربية في مستشفى خاص في مدينة جدة أو الرياض .

وكان عباس يستعد للرحيل إلى فيلته الجديدة التي أنشاها له والده عندما اقتربت عودته من ألمانيا بناء على رغبة عباس على ترك القصر .. وأصر على بنائها والانتقال من بيت جده عزام ..

وقبل أن ينام تحدث مع الخادم الفلبيني وزوجته عن ترتيبات البيت الجديد ، وما يلزمهم من أثاث خاص بهم .. وكاشفه الخادم بمرض زوجته ، وأنها ستعود للبلاد لتموت عند أولادها ، وأن أخته ستقوم بالعمل معه في بيته .. فطلب عباس منه إيقاظه عند صلاة الفجر كالعادة



بعد عودة عباس بأسابيع يسيرة سافر يوسف وقرينته مريم للعمل في دولة العربية السعودية وهي إحدى بلدان الخليج العربي ، بل أكبرها مساحة وسكانا ، وكان عمله في شرق البلاد حيث الخليج العربي ، واستقر طبيبا في أحد مشافي مدينة الرياض ، وفي نفس المكان عملت زوجته .

رغم مرور الأيام والسنين ما زال عباس يرفض الزواج ، وأبدع في عمله ، وأصبح اسمه يبرز في الجراحة سواء في الدماغ وأمراضه أم القلب وعملياته ، واستغرقت الحياة العملية كل وقته ونشاطه ، ووجدت روحه الانسجام من خلال العمل .

كانت تأتيه مراسلات من قبل أمه في المناسبات تطلب منه بعد التهنئة السعي للقاء فلا يرد عليها ولا يعيرها أدنى اهتمام .

كان والده حسن قد علم ودرس إخوته وزوجهم ذكورا وإناثا ، وظل صاحبنا راغبا بحياة العزوبية ويرفض دعوات والده لذلك . فكانت العائلة الكبيرة تتعجب من تركه للزواج وزهده فيه ، وقد قارب الأربعين عاما ، ومات والده حسن ، وكان يموت وهو يدعوه للزواج وهو مشفق عليه أن يغادر الدنيا بدون ذرية .

أم عباس المهاجرة كانت تتعذب من داخلها من عدم زواجه لذلك التاريخ ، وجعلها السبب في ذلك ـ كما أخبرها في لقاء ألمانيا ـ كما كتبت له في مناسبة عيد ، فعقب لنفسه : لو أنك أم صالحة ما هربت من أجل الزواج .. فأنا كرهت هذه العلاقة منك وبسببك .. تهجرين أولادك الأطفال من أجل الزواج .

وبالطبع لم يكتب لها ، بل جاءته رسالة تطلب منه المساعدة في علاج قلب زوجها الذي عاد لأرض

الوطن للعلاج في مركز علاج القلب العسكري ، ولما سعى أحد أقرباء الزوج لذلك معرفا له بنفسه ، اعتذر عن الإشراف على شقيقه الذي هو زوج أمه ، بل أخذ إجازة لزيارة السعودية حيث شقيقته مريم وزوجها يوسف ابن عمه ، ومن هناك ذهب لأداء فريضة الحج والعمرة بصحبتهما .

ولما عاد للبلد ، ووجد أن أمه جاءت تبحث عنه ، وتتابع علاج زوجها أخذ إجازة لمدة سنة ، فرّ فيها لأوروبا ، واستغلها في المزيد من الدورات التدريبية في مشافي ألمانيا حيث كوّن صداقات مع عدد مهم من جراحي القلب الألمان حيث تعلم جراحة الدماغ والقلب .

ورغم الرسائل التي وصلته من استياء أمه منه ، ومن هربه من اللقاء بها ، لم يكترث لها ، وأصر على الهرب والبعد عنها ، حتى نقل له أحد الأطباء الأصدقاء موت زوج أمه ، فلم يكتب لها تعزية ، ولم يتصل بها .

لما انتهت السنة عاد للبلد من جديد ، وعاد لعمله في المستشفى العسكري الخاص بجراحة القلب وكان يمارس عمليات جراحة الدماغ في مستشفى آخر تابع للقوات المسلحة العربية .

كانت قصة أمه تشكل له عقدة ، كان يرى تخليها عنه طفلا جريمة كبيرة في حقه ، كان يرى هربها مصيبة كبيرة حلت به ، لم يستوعب أن تتخلى أمه عنه من أجل الزواج من رجل لا يرغب فيه والدها ، لذلك قبل بالهروب حتى لا يرى هذا الرجل الذي نكح أمه ، ورفض النكاح بسبب هذه العقدة ، فكان يرى بمنظاره الأسود .

ولما مات زوجها رفض التعزية فيه ، ولم يقبل رؤية إخوته منها ، ولم يقبل التعرف عليهم عندما جاءوا ألمانيا ، وكذلك عندما جاءوا البلد لمتابعة علاج أبيهم المريض بالقلب ، والذي أحب الموت في وطنه ، وحتى أنه طلب اللقاء بعباس من أجل المسامحة ، فأخبر الرجل أن ابن زوجته خرج من البلاد .

وحتى أن مريم كانت متعاطفة معه لما علمت بتلك المعلومة ، وكانت تستغرب من عدم سعي أمها للقاء بها بقدر ما كانت ملهوفة للقاء عباس المتعصب ضدها ، ولكنها راسلت ببرقية عزاء لأمها بضغط من يوسف ، والعائلة بشكل عام كانت تعامل هدى بقسوة وتجاهل ، فعمها منذ غادرت البلاد لم يحدث بينهما اتصال ، وكذلك أبناء عمها كانت سيئة عندهم ، واعتبروها خائنة للأسرة وللحاج عزام .

دخل عليه أخوه محمد حسن مكتبه في المستشفى يوما ، وقد أصبح مديرا لقسم جراحة الدماغ والأعصاب وقال : اسمع يا عباس ، لقد تلقينا رسالة من أخيك داود يخبرنا أن أمك عادت للبلد

، وأدخلت مستشفى الأمراض العقلية ، فقد تعرضت لحادث سير في كندا ، وشفيت بدنيا ولم تشف عقليا ودماغيا .. والرجل يترجاك أن تقابل أمك وتهتم بها .



فرد عباس بحنق : يا محمد ليس لي أم ..

ـ العقوق يا ابن أبي !

قال بضيقه : هي بدأت بالعقوق .. ولليوم قصتها مخزية لي ، وأتجنب وأتحاشى الجلوس مع أبناء العائلة حتى لا يتكلم أحد بسيرتها وجرمها .. أبيت الزواج ، وغضب الوالد مني ، ومات حزينا من أجلي يا محمد .. فأنا اعتبرت نفسي بغير أم منذ هربت لعشيقها وصديقها .

ـ يا عباس هذا الكلام لا يصح في حقها .. نحن كبرنا .. كل الناس تخطيء وتعود ..

تنهد عميقا وقال : مات أبوها ساخطا عليها ، ومات عمي وهو مبغض لخيانتها .. المستشفى لا يخلو من أطباء كبار أفهم مني وأفضل مني ..

ـ السنون ألم تشفِ الجرح ؟

ـ كم هي متلهفة للقائي كما تزعم وتنشر ؟.. فلم تفكر بلقاء مريم ولو لدقائق .. أهذه أم يا محمد حسن ؟! .. يا رجل تترك مريم رضيعة لتتزوج من رجل ! .. أخطأت في حقنا فعليها أن تتحمل عاقبة كرهنا وبغضنا ، أنا لا أنسى زيارتها لألمانيا لتراني زاعمة أنها تخشى المجيء إلى هنا حتى لا تقتل .. أبوها هو الذي أعطى زوجها المال ، وسهل له الهجرة ؛ ليبتعد عنها ، وظلت خائنة لأبيها ولزوجها ويتراسلان .. الجرح عميق لن أقابلها ، فقل لمن يسمون أخوة لي هذا الكلام .. فلست بحاجة لمعرفتهم ، وهم ليسوا بحاجة لمعرفتي ، وها قد عشنا كل هذه السنوات بدون أن نلتقي ونتقابل .

فقال محمد بيأس من تغيير لقناعات عباس : ولا أمل بتغير الأفكار عندك

ـ القضية ليست قضية أمل.. القضية أنني لم أحبها، واعتبرت ما فعلته بي وبأختي مريم وبأبي وبالعائلة شيء كبير لا يتسامح .. فهي لها أقارب زوج ، ولها أولاد من الحبيب الذي هربت من أجله فليهتموا بها هم .. وأقول شفاها الله من سقمها .

ـ ليس أمامي إلا أن أقول لا حول ولا قوة إلا بالله .. وسأكتب للرجل وأخيه بهذه المعاني .. كان والدنا يحب أن تصفح عنها وتنسى ، ولو تحسنت علاقتك بها يا عباس لتحسنت علاقتها بشقيقتك مريم ، ربما هي كانت تريد أن تساوم بورقة مريم

قال ممتعضا : لا أعتقد هذا .. هي تكره مريم أكثر مني ، وتعرف أنها ولدتنا غصبا عنها ، وتعرف أنها تخلت عنها صغيرة يا محمد بنت شهور قريب من

العام .. هي أجرمت في حقنا من أجل رجل .. أنا آسف يا محمد لعدم إبداء أي مرونة نحوها ؛ لأنني حسمت أمري من علاقتي بها

نهض محمد وقال وهو يمد يده مصافحا : إنها الأم

اغتصب ابتسامة خاطفة وقال : أي أم يا رجل ؟ لا اعتبرها أما البتة .. الدابة وهي عجماء غير عاقلة لا تتخلى عن أولادها الصغار مع الخطر المحدق بها وبهم .

ـ أنت رهيب ..وأعصابك شديدة .. إن أمي تبكي من أجلكما .

قال عباس : أمك عاطفتها أكثر من اللازم يا محمد .. حتى لو فكرت بزيارتها ومتابعتها إنما هي دقائق .. لن أطيق أن تعيش معي.. فلتبق مع أولاد الشهد أولاد صديق الجامعة

ـ وأنا أعتقد أنها لا تريد منك أكثر من ذلك .. فأخواك رغم عملهم في الغرب ، فهم متعلمون فأحدهم يعمل مديرا لشركة كان قد أنشاها والده لما استقر في كندا ، والآخر شريكه ، وكلاهما ـ كما فهمت من أحد أعمامهما ـ تخرج من الجامعة .

قال : ولماذا تركت العلاج هناك ؟! وأنت تعلم كم رقي الطب في الغرب وكندا خاصة !.. الطب لا يقارن ببلاد العرب .

ـ أنا لم ألتقِ بها كما تعلم ، وقلت إنما التقيت ببعض الأعمام أيام مرض زوجها بظروف خاصة وهم يقرون بأن شقيقهم تصرف تصرفا ولدانيا بعلاقته بالسيدة هدى عزام ، فما دام قد قبل السفر والآلاف التي دفعها الحاج عزام كان عليه أن ينسى امرأة أو فتاة اسمها هدى .. المهم هذا حديث طويل .

وصافحه ثانية وقال : سامحني يا عباس .. هل ستسافر للسعودية كما سمعت ؟

ـ أنا أحب مريم كما تعلم ، ولا أحب حزنها ، وهي سقيمة ، وأولادها يرغبون برؤية خالهم.

سافر عباس إلى الرياض ملبيا نداء شقيقته ، ووجدها تعاني من جديد من مرض ضربها وهي صغيرة دون العشرين ، وقد اجتازته بصعوبة ونجت منه ، وها هو يعود إليها ، ووقع في قلبه أن نهايتها قد حانت .

ويعرف هذا المرض بداء الذئبة الحمامية ، وهو سقم يصيب الجهاز المناعي بالدم ، ويظهر في فترة البلوغ ، ويصيب النساء بنسبة أكبر من الرجال . طبيا لا يزال سبب الذئبة الحمراء غير معروف إلا أنه مرض من أمراض اضطراب الجهاز المناعي، ويعرف اختصارا بمرض الذئبة، يعمل هذا المرض على مهاجمة الأنسجة الضامة في الجسم كما لو كانت غريبة، مما يؤدي إلى إصابة أو تدمير أعضاء حيوية كالكلى والمفاصل والدماغ والقلب.

لا يعتبر مرض الذئبة الحمراء من الأمراض الوراثية إذ أنه لا ينتقل وراثيا من الآباء إلى الأبناء إلا أنه من الممكن وراثة بعض الجينات التي تحمل خصائص المرض فتزداد نسبة احتمال الإصابة به.

وربما حدوث اضطراب الهرمونات عند البلوغ أو التعرض لأشعة الشمس أو الإصابة ببعض الفيروسات أو تناول بعض الأدوية من أشهر العوامل التي تؤدى إلى الإصابة بالمرض. ويصيب ذوي البشرة الداكنة أكثر مما يصيب البيض أو ذوي البشرة الفاتحة بمعدل ثلاث مرات تقريبا، وتكون الغالبية العظمى المصابة من النساء في سن الإخصاب (بين الخامسة عشرة والخامسة والأربعين من العمر) ؛ ولكن في الأطفال وقبل سن البلوغ تكون نسبة المرض في الذكور أكثر من الإناث.

هنالك عدة أنواع من مرض الذئبة الحمراء، منها الجلدي، ومنها الدوائي ومنها النوع الجهازي الشامل لجميع أعضاء الجسم أو بعض منها مع إصابة الجلد أو من دونه، وهو النوع الأكثر انتشاراً.. وكثيرون يعيشون حياة شبه طبيعية رغم وجود الأعراض المزمنة.

تتفاوت أعراض المرض بدرجة كبيرة تبعاً لنوع الأنسجة المصابة ودرجة إصابتها، وعادة ما تكون الأعراض الأولية المبكرة للمرض أعراضاً عامة كالحمى والإعياء والآلام الجسدية وفقدان الشهية ونقصان الوزن والغثيان والشعور بالتوعك، ومع مضي الوقت تبدأ الأعراض المميزة أو المتخصصة للمرض بالبروز ، وتكون نتيجة إصابة أعضاء متعددة من الجسم مثل الجلد والذي يكون في صورة طفح جلدي ، حساسية غير طبيعية لأشعة الشمس حتى بعض التعرض المحدود لها ، ويصاب آخرون بقروح في الفم والأنف وتقرحات جلدية تشبه قطع النقود ، قد تثار أعراض الذئبة في أي وقت ، وتندلع هذه الأعراض غالبا جراء التعرض للأشعة الفوق بنفسجية الصادرة من الشمس، أو نتيجة التعرض لضغوط عاطفية ونفسية، أو الإعياء أو عوامل أخرى.

أكثر مضاعفات الذئبة خطورة تلك التي تشمل ما يقوم به جهاز المناعة من تدمير لأعضاء رئيسية بالجسم كالكلى ، أو الرئتين مسببة التهاباً لبطانة أو غشاء الرئتين، أو تصيب صمامات القلب أو عضلة القلب ذاتها مما يؤدي إلى حدوث هبوط في القلب.

ولما كان الحمل يزيد من حدة المرض فينصح الأطباء مريضات الذئبة الحمراء باستشارة طبيب الروماتيزم قبل الحمل لعدة أسباب منها أن يقرر الطبيب السماح للمريضة بالحمل أم لا في هذه

المرحلة، ولعمل الاحتياطات اللازمة قبل السماح بالحمل ، لا يوجد علاج ناجع وجذري للمرض ، وعندما يتم تشخيص مرض الذئبة الحمراء يكون المرض غالباً في أشد مراحل نشاطه، وفي هذه المرحلة يحتاج الطبيب إلى استخدام كمية كبيرة من الأدوية للسيطرة على المرض ومنع تلف الأعضاء، وفي معظم الحالات يكون العلاج ناجحاً ، وتتم السيطرة على المرض الذي يبدأ نشاطه في التراجع، ويتم سحب الأدوية تدريجياً حتى يحتاج المريض إلى جرعات قليلة ، أو قد يتم الاستغناء عن العلاج تماماً.

فتقليل التوتر والموازنة بين الراحة والمجهود وتناول الطعام الصحي والدعم العائلي مما يساعد كثيراً على مواجهة المرض.

وسمعت أن من اجتاز خطر هذا المرض في سنته الأولى قد ينجو من مضاعفاته والموت ، وخطره يكمن في إضعافه أجهزة حيوية في بدن الكائن الحي ، وقد مر ذكرها ، والله هو وحده الشافي حقيقة من كل سقم ، كما جاء حكاية عن سيدنا إبراهيم في قوله تعالى {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء: ٨٠]

أصيبت مريم حسن بهذا الداء الخطير وهي دون العشرين من سني عمرها ، وشفيت منه ، وتحسنت حالها ، والتحقت بكلية الطب تأثرا بهذا البلاء ، واليوم يبدو لهم أنه كمن في بدنها كل هذه السنوات ، ثم جدد نشاطه عندما اقتربت من الأربعين ، وقد ولدت ثلاث مرات بعد زواجها من ابن عمها يوسف ؛ لذلك لما رآها عباس ، واطلع على تقارير الأطباء ، وتقارير الفحوص الطبية أدرك أن المرض قطع شوطا حادا في التأثير على القلب والكلى

قضى عباس عشرة أيام عند ابن عمه وأخته ، ورأى المعاناة التي يعيشون فيها ، وأعلمه يوسف بأنه بعد تحسن صحة مريم سيقدم استقالته من المستشفى ويعودان للبلد ، فلم تعد حالة مريم السقمية تتحمل البقاء في الرياض .



زيارة الأم

لما رجع عباس من الرياض علم أن أخوته من أبيه زاروا أمه ، فلزم الصمت ، وتكلمت معه أخته راضية ـ وهي طبيبة أسنان ـ قائلة : عباس أمك تموت ، فاحصل على رضاها ، واغفر لها ماضيها .. فهي فاقدة القدرة العقلية ، فلديها اعتلال دماغي ، وسبب لها تلفا بالدماغ ، وستعيش معاقة إلى حد ما ، وهذا اختصاصك ، وليس لها إلا أنت .. أخوتك لن يأتوا من كندا للحياة هنا فحياتهم

هناك ، وهم متزوجون من كنديات ..ورزقهم وتجارتهم هناك .. فوسع قلبك .. وأهل زوجها غير مكترثين .. هم مجرد زائرين وسيتلاشون مع الزمن ، سيملوا لا يربطهم بها شيء ، فبلال وقد مات ، والأولاد هناك .

صفن فيها للحظات ثم قال : ماذا يمكن أن أفعل لها غير ما يقدمه لها الأطباء الآخرون ؟ .. ولماذا لم تبق معهم للعلاج ؟ وأنت طبيبة وتعرفين تقدم الطب في كندا .

ـ عزيزي عباس .. هي تريد عطفا وحنانا .. إنها تردد اسمك .

قال وهو سارح في أفكاره وخياله : تردد اسمي .. ألم تتخل عنا يا أخت راضية ؟ ونحن بحاجة إلى عطفها وحنانها ، ألم تجبر أبي على طلاقها ؟ وخالف وصية والدها ورضخ لضغط العائلة وطلقها ، ولما طلقت هربت خفية .. وذاك الرجل غدر بجدي عزام ـ رحمه الله ـ وأخذ المال على أن يعيش في الغربة .. إنها بكل المقاييس أسأت لنا لي ولمريم وجدي والدها وأبي والعائلة الكبيرة كيف يصفو قلبي لها يا راضية ؟

ـ هذا شأنك يا أخي .. وهذه مشاعرك ؛ لكن كلمها زرها كما يفعل الغرباء.. هل ستبقى في مستشفى الأمراض العقلية ؟ أولئك يدفعون للمستشفى يدفعون ثمن الأدوية والإقامة .. وسيتوقفون .. أترى أيقبل جدك عزام أن تعيش ابنته في هكذا مكان ؟

قال : أين ستعيش يا راضية ؟ .. إذا تحسنت حالتها ستعيش في دار المسنين .. عندي .. أنا لا أستطيع يا راضية .. أنا عندي عمل ووظيفة .. سيكون عندها ممرضة ، وهناك سيكون ممرضات وأطباء .. مكانها المستشفى أو دار المسنين

ـ إنها أمك .

ـ أعرف أنها أمي التي تركتني عند خالي وبيت جدتي وهربت لملاقاة حبيبها وتزوجته بدون موافقة أوليائها .. أمي التي ألبستني ثوب العار .. التي بغضت إليّ جنس النساء .. التي كانت ابنة عائلة محترمة .. عائلة تحترم وتقدر العادات الحسنة .. امرأة تتزوج من غير رضا أسرتها أي حب هذا يا راضية ؟

كان يتكلم بانفعال وتوتر فقال أخته : اهدأ يا ابن أبي .. أنا أدرك ما عانيت من ألم وحزن بسببها ولكنها تظل أمك .

ـ الأم التي لم تسأل عن ابنتها التي تموت اليوم من الحزن والمرض .

قالت بقلق وانزعاج : ما لها مريم ؟

ـ عاد إليها المرض القديم الذئبة ، وقد أثر على قلبها وكليتها فوضعها حرج يا راضية .

ـ لم نسمع

ـ اطلعت على التقارير في زيارتي الأخيرة إليها .. وقد تركت العمل منذ شهور أنهكها الوجع وها هو يوسف ابن عمنا سيقدم الاستقالة ويعود للحياة هنا ..

ـ أحزنتني يا عباس هل يمكن الحديث معها على الهاتف ؟

ـ ترد إذا كانت في البيت ، أما إذا كانت في المستشفى قد لا يسمحون له بالرد

ـ نعود لأمك .

ـ فلتبق أمي حيث هي يا راضية ، وإذا كانت القضية مجرد زيارة فرتبي لي زيارة .

قبلت راضية شقيقها عباس من رأسه وقالت وهي تمسح دمعة : عظيم يا عباس ! أنت أخي بحق !

استحى عباس من كلام وتوبيخ أخته راضية في شأن زيارة أمه ، وخاصة لما علم أنهم قاموا بزيارتها في مستشفى الأمراض العقلية ، فرتبت السيدة راضية زيارة له إلى أمه بمساعدة زوجها المهندس عيسى سليم وهو قريب لهما ، وصديق أحد الأطباء في ذاك المشفى ، دخلوا إلى غرفتها في المستشفى ، وكانت هدى على علم بزيارة عباس ، وحتى أن المستشفى اهتم بهذه الزيارة ، واستقبل مدير المستشفى بشخصه وعدد من مساعديه الدكتور الأخصائي الكبير عباس ، فهو معروف في الوسط الطبي ، ولأنه ضابط كبير في الخدمات الطبية الخاصة بالجيش ، حتى أن مدير المستشفى استغرب من عدم اهتمامه بقضية أمه وإخضاعها للعلاج في مستشفيات الجيش والعسكر ، ورافقه إلى الغرفة التي ترقد فيها المريضة ، ولما رأته يدخل عليها همت بالنهوض ، ولكن الممرضة منعتها من ذلك فقالت بانفعال واضح : إنه عباس ولدي !

اقترب منها وقال : سلامتك يا أم داود .. أرجو لك السلامة . وصافح اليد التي مدت له وقال : كيف حالك ؟

ـ أما زلت غاضبا على أمك يا عباس ؟

التفت عباس لطبيب ومدير المستشفى الذي أحس أن في الجو شيئا غريبا وقال في اعتذار : أتسمح لي بالمغادرة يا دكتور عباس ؟

ـ لا بأس ، سأشرح لك الموقف الغريب قبل مغادرة المستشفى

ـ أنا آسف يا دكتور .

سلمت راضية على أم عباس، وقبلت خديها ودعت لها بالسلامة ، وسلم عيسى سليم عليها ورحبت بهم المرأة ، ولما انصرف مدير المستشفى غادرت الممرضة المريضة بإشارة منه ، وقالت هدى : الله يغفر الذنوب يا عباس .. ألا تغفر لأمك ؟

ـ القضية ليست قضية مغفرة .. يا أم داود .. القضية أكبر من ذلك .. أنت سلكت دربا وأنا

سلكت دربا .. لقد تركتيني من أجل رجل هويته .. وهل هذا فعل يحتاج لمغفرة ؟ أنت رميتنا وإذا كانت مثل هذه الزيارات تحل الإشكال فسأكرر الزيارة .. نحن التقينا كالأغراب في المانيا من سنوات خلت .. لكن الحياة مع بعض فهذا شاق على قلبي .. لقد كللتيني بالعار أمام أبناء العائلة يا أم داود

ـ أنا لا أريد من الدنيا إلا أن أراك.. أمعن النظر فيك .. أنت الابن الأول يا عباس ، رغم كرهي الشديد لأبيك أحببتك .. ورضعت من صدري يا عباس ..لا أريد الحياة معك .. بس أن أراك أنا أخطأت في حقك .. حكمت الهوى بيننا .

فقال بجفاء : حسنا ، سأخصص لك زيارة في الشهر الواحد لزمن محدود .. أنا لا يمكن أن أنسى الألم المستمر في قلبي وبدني منك .. وها هي ابنتك مريم ستعود للبلد ، وقد لا تعيش طويلا .. لماذا أنت لم تسع للقاء بها ؟ لماذا ؟!

هتفت : لا أحبها ، لا أحن إليها .. ما أحببتها .. لا أدري سبب ذلك !

ـ أليست شقيقتي ؟ أتحسين بالندم لأنك تركتيها رضيعة ؟

ـ لا أدري ..

ـ ولماذا تسعين إليّ ؟ قالت: لا أدري!

ـ حسنا يا أم داود سترتب لنا راضية أخت مريم موعد زياراتي لك .. وضعك الصحي مقبول وربما مع الوقت تتمكنين من العيش حياة طبيعية .. وسيتابعك فريق من أهل الاختصاص .. ولكنهم قد يتابعون علاجك في بيت المسنين ؛ لأن أكثره سيكون علاجا طبيعيا ونفسيا .. وحياتك في بيت صعب عليك .. وداود وأخوه يحيى على اتصال دائم بالمستشفى لمتابعة العلاج ودفع التكاليف ، وهم يدفعون من مالك ليس كرما منهم .

أخذتها موجة من البكاء وهي ترى عباسا ينصرف من الحجرة ، وهو خرج منقبض النفس والروح ويعجب من تعلقها به وكرهها لمريم .. أم هو تأنيب ضمير لتخليها عنها صغيرة ، فهي عاجزة من اللقاء بها .. لقد عقدت حياتها بتصرفها الأرعن .



التحقيق الجنائي والجريمة

ليموت الماضي

الحلقة ٢

٥

كان السيد حمداني في العاشرة ليلا في استقبال صديقه أيام الخدمة الشرطية المقدم جعفر عزام في

بيته الكبير وفي مكتبه الخاص ، وبعد العناق والترحيب والعتاب اللطيف بينهما قال حمداني : لقد ذكرت لي أيها الصاحب القديم الجديد عندما كلمتني على الهاتف أنك بحاجة لمساعدتي وذكائي في قضية تشغلك منذ أيام.

ـ أجل أيها الصاحب القديم الجديد .. إنني مكلف بالبحث والتحري في جريمة غامضة.. مع معرفتنا للضحية معرفة كاملة.. لا نجد شخصا يفيدنا مع كثرة ملفاته في دوائر البوليس .. أعتقد أنك قرأت حوادث صحف الخميس .. لقد نشرنا خبر تلك الجريمة .

ـ نعم .. قرأت عن جريمة حي الشمارخة .. وجدتم رجلا مقتولا في بيت كالقبو ولكن الجرائد لم تسهب في الشرح والتفصيل...

عندئذ طرق الباب فقال حمداني : ادخل يا سامر.

دخل سامر حمداني يحمل فناجين الشاي ، فألقى السلام وقدم للضيف ووالده المشروب ، ووضع الصينية على مائدة صغيرة ، وصافح الضابط ، ورحب به الضابط ، ولبث قليلا ثم انصرف فعلق الضابط جعفر : ما شاء الله!.. أصبح ابنك رجلا يا حمداني.

ضحك حمداني وقال: ألم تر الشيب قد ملأ رأسي ؟ ..إن سامرا أنهى جامعته منذ شهور .. فهو صيدلاني .. والأسرة في زيارة .. ولا يوجد في المنزل سوانا .. فهو الذي صنع لحضرتكم الشاي فأرجو أن يطيب لك .. فأنت أتيت من أجل جريمة الشمارخة ؟

ـ نعم أيها الصاحب ، نعم من أجلها.

استمع حمداني لتفاصيل الجريمة من البداية من الاتصال الغامض إلى تقريري الطب الشرعي والمختبر الجنائي ، ولخص جعفر كل الجهود المبذولة للوصول للجاني أو الجناة في هذه الجريمة حتى وصل لحديث البحث عن الزوجة المجهولة للميت ، ولما ذكر كل المعلومات التي بين يديه فقال : وبعد تأمل عميق رأيت أن أضع هذه المعلومات بين يديك ، فإما أن تحاول حلها بنفسك أو نتعاون في فض غموض هذه الجريمة أو تستعين بي لتنفيذ خطوات عملك وخطتك.

وخيم الصمت على المكان إلى حين ثم قال حمداني : تسلل شخص أو أكثر إلى بيت عزمي المنعزل عن العمارة وقتله أو قتلوه .. لم يسمع أحد من السكان صوت الرصاص ولا صراخ في الليل .. فقط صاحب البقالة شاهد عزميا حيا حوالي الساعة التاسعة ، وخيل له أن شخصا كان معه ينتظره أثناء شراء علبة دخان .. وهذا الزائر بعد نشر خبر الجريمة لم يتحدث مع الشرطة نهائيا .. قد يكون هو القاتل ، وقد يكون هو المخبر عن الجريمة في الصباح ، وقد لا يكون المجرم ، وقد لا يكون أيضا

المبلغ ، ولم يلحظ صاحب البقالة ـ إن كان من أهل الملاحظة ـ عودته من نفس الشارع لـعله انصرف من ناحية الشارع الرئيسي للحي المذكور .. مالك العمارة لا يعرف عن المستأجر عنده من عشر سنوات سوى اسمه، وأنه ملتزم بدفع الإيجار ، وأن له أخا يعمل في مستشفى .. وهذا يدل على أن عزميا يملك من المال ما يغطي نفقة الأجرة باستمرار ، ولم يحصل له عجز في التسديد رغم دخوله السجن خلال هذه المدة أكثر من مرة .. وله رصيد في البنك ؛ ولكنه لم يكن بالمبلغ الكبير..

وصمت حمداني بضع دقائق ثم عاد يقول: على كل يا صديقي جعفر إنني سأتعاون معك وأبذل قصارى جهدي وخبرتي لنصل للجناة .. فلنكن على اتصال دائم .. أنت تابع خطواتك حتى نصل إلى خيط نمسك به فنسير بعدئذ سوية .. إنها جريمة مخطط لها بمهارة ، لم تكن عشوائية أو بنت ساعتها كما يقال ، واختيار مساء الثلاثاء يوم البرد والرعد والشتاء اختيار محكم ، أو الحظ .. والمكان أيضا معروف للقاتل فاختيار مدروس بعناية ويساعد على إخفاء الجريمة .. والشتاء أزال أثار الأقدام .. كأن البيت أعد لارتكاب جريمة.. سبحان ربي.. ولكن كما هو معلوم لدى رجل الأمن أنه لا جريمة كاملة ، ولابد أن نصل لطرف خيط ، ولو كان رفيعا نجر به المجرم ويقودنا لحل هذا اللغز.

وعاد الصمت يرسم نفسه على المكان وقطعه جعفر : لا اقتراحات عندك الآن.

ـ نعم .. لا اقتراحات يا صديقي .. سأفكر الليلة بهذه الجريمة وسأكون على اتصال معك غدا فاستمر بمحاولة التفتيش عن الزوجة المجهولة .. سكان العمارة لم يروا هذه الزوجة في بيته ولو مرة واحدة .. وأبو العنان لا يعرف بزواجه .. أكيد لهذا الرجل بيت آخر كما قلت وتوقعت يا صاحبي .. فأين وثائقه المهمة مختفية ؟!

ـ الجيران لا يعرفونه كثيرا ، ومنهم من لا يعرف أن أحدا يسكن في العمارة من الخلف في مخزن تحت الأرض.. وهذا يدل أن هذا المنزل للنوم فقط .. فالأطفال الذين يلعبون في الشارع أمام المنزل يقولون إن صاحبه لا يأتي إليه إلا في الليل ، ويغادره صباحا قبل الظهيرة ، وأحيانا يظن الأطفال أن البيت مهجور ، ويقفزون عن الجدار لأخذ الكرة التي يلعبون بها إذا سقطت في فناء البيت .. قالت إحدى النسوة الساكنات في إحدى شقق العمارة .. إنها ذات نهار ومنذ شهور لا تعلم عددها وهي تـقف على نافذة تطل على الجهة الخلفية للعمارة رأت المستأجر عزميا يتحدث مع امرأة عند باب المنزل الخارجي أي الباب المطل على الشارع ..بالطبع لم تسمع شيئا وانصرفت المرأة

بعد أن أعطته شيئا أخرجته من حقيبتها ، وركبت سيارتها واختفت وهو هبط لحجرته ، ولا تعرف طراز السيارة وتظن أن لونها أحمر .. وتقول إنها المرة الوحيدة التي شاهدت فيها هذا المستأجر الذي قتل.. وهذا حدث منذ شهور وقد تكون سنة كما تقول المرأة .. فهذا كما ترى يا صاحبي خيط ضعيف جدا جدا.

فقال حمداني : على كل حال يا صاحبي العزيز .. فليبق البيت تحت المراقبة الخفية .. كل قضية أو لـغز له حل .. ولسوف نصل بإذن الله لهذا الحل.

قام جعفر مودعا وهو يقول : الشكر لك يا سيدي ..واستودعك الله.

وتصافح الرجلان وسار حمداني مع صاحبه حيث الباب الخارجي، وركب جعفر سيارته مختفيا في ظلام الليل البارد، وعاد حمداني إلى مكتبه، واستلقى على أريكة كبيرة وراح في تفكير عميق في أحداث هذه الجريمة.. ليلة مطيرة .. مجرم بعد العاشرة ليلا دخل غرفة المجني عليه ، لا أثر لعراك في الغرفة .. القاتل معروف للقتيل كما يبدو .. قتل فوق سريره بخمس طلقات من مسدسين .. هل هذا لتضليل المحققين أم هناك أكثر من قاتل ؟.. المهم قتلوه ودثروه في لحاف وانصرفوا بهدوء دون أن يتركوا أثرا خلفهم .. آثار الأقدام في الغرفة غير واضحة وفي الخارج المطر الشديد أزالها .. البوم صور المجني عليه صور بدون أصدقاء إلا صورة واحدة مع ممثلة أجنبية الراجح أنها يونانية لكثرة تردده على اليونان .. لماذا اليونان ؟ .. صور أكثرها على شواطئ البحر.. صور من غير تاريخ .. ولكنها قديمة لحد ما ، لابد لي من الاطلاع عليها لعلي أجد ما لم تجده الشرطة .. ومكث حمداني يـفكر ويـفكر في الجريمة حتى سمع صوت زامور سيارة أمام البيت فاستوى جالسا وقال لنفسه : أتت العائلة.

ونظر للساعة فإذا هي بعد نصف الليل بساعة فقال معلقا على تأخر الأسرة : هذه سهرة طويلة لابد أنها جميلة.!

وأغلق المكتب وخرج إلى استقبال الأسرة والاطمئنان عليهم وسماع أخبار من ذهبوا يزورونهم وبـعد دقائق دخل كل واحد من أفراد الأسرة إلى غرفة منامه واستغرقوا في النوم فهل استطاع الضابط المتقاعد من جهاز الشرطة منذ سنوات أن ينام كباقي أفراد الأسرة ؟ هذه ما سنعرفه غدا إن شاء الله.

٦

دخل حمداني مقهى الشرقي صباحا فوجد عمال المقهى يقومون على نظافته ، ولا يجلس على موائد المقهى إلا بعض الأفراد والزبائن ، فسأل عن المسؤول عن المقهى ، فرد أحد العمال الذي يجلس

في مكانه : لم يحضر بعد .. أي خدمة يا سيدي ؟

ـ أريده شخصيا لأمر مهم.

ـ يأتي بعد صلاة الظهر .. هل تحب أن أبلغه شيئا ما ؟

فنظر حمداني إلى ساعته وقال : كم بقي للظهر يا شاب ؟

نظر الشاب إلى ساعة معلقة على الحائط ثم قال : ساعة تقريبا.

قال حمداني : حسنا سأذهب للمسجد وأصلي الظهر ، ثم أعود ، فلما يأتِ أخبره أن السيد حمداني يرغب في لقائه.

فقال الشاب : أنت حمداني ؟

ـ نعم ، أنا حمداني ضابط شرطة متقاعد.

فقال الشاب بأدب أكثر : حاضر يا سيدي سأخبره بما تريد.

ـ بعد الصلاة فلينتظرني.

ـ حاضر يا سيدي الضابط.

غادر حمداني المقهى يتمشى في شوارع المدينة الواسعة حتى أعلن المنادي للصلاة بصلاة الظهر فقصد أقرب مسجد وشارك الناس المصلين صلاتهم جماعة ، ثم تمشى في الشوارع ربع ساعة ، ثم اتجه نحو المقهى ، ولما دخل رآه الشاب الذي كلمه صباحا فرحب به وهو يقول : سيدي أبو عصام في انتظارك.

وتقدمه الشاب مسرعا نحو مسؤول المقهى قائلا : هذا هو السيد حمداني يا أبا عصام.

فنهض أبو عصام واقفا ومصافحا للسيد حمداني ومرحبا به ، ولما جلسا قال حمداني : أحببت أن أتحدث معك يا سيد .. أبا عصام.

ـ أنا في خدمة الشرطة والأمن والحق.

ـ جميل هذا! .. نحن نبحث عن قاتل لأحد رواد مقهاك وهو السيد عزمي لماعة .. وقد تحدث معك رجال الشرطة سابقا في الموضوع .. وقد زارك أمس المقدم جعفر

فكان أبو عصام يسمع ويهز رأسه مؤكدا كلام حمداني ، ولما سكت حمداني قال : نعم ، المرحوم عزمي من رواد المقهى ، وله شلة يلعب معهم الورق .. ولا أحد منهم الآن إنهم يأتون في المساء في الليل.

ـ أعرف هذا كله يا أبا عصام .. ولكن سؤالي هل كان يلعب معهم عن مال ؟

تلفت الرجل يمينا وشمالا ثم قال : أنت تعلم أننا لا نتدخل في خصوصيات الزبائن، نحن نأخذ ثمن المشروبات والخدمات .. وإذا لعبوا عن مال فهو أمر خفي بين بعضهم البعض.

ـ ولكن الذين يلعبون القمار لا يخفون عليك.

ـ معك حق .. بصراحة هم يفعلون ذلك.

ـ أحسنت يا أبا عصام! الصراحة راحة .. سؤال

آخر من معرفتك وخبرتك .. هل يكسب عزمي هذا أم يخسر؟

ـ هم إجمالا يلعبون عن مبالغ قليلة.. عشرة دنانير .. عشرين دينار لا أكثر، وهو نادر ما يكسب هو لا يحسن لعب الورق .. المهم المشاركة عنده .. وعند العاشرة ليلا ينصرفون ولهم صخب ، ثم ينزلون إلى المطعم الذي في أسفل المقهى ليأكلوا ثم يتفرقون.

ـ سؤال ثالث .. ليلة مقتله .. يوم الثلاثاء .. أتذكر متى غادر المقهى ؟

ـ كما قال بعض شلته .. لقد التقى بأحدهم على باب المقهى قبل صعودهم الدرج لهذه القاعة وأخبره أنه لا يريد الليلة السهر .. فهو على موعد مهم .. وطلب منه الاعتذار للشلة.

ـ لم يذكروا غير ذلك .. مع من الموعد؟.. متى وأين ؟؟

ـ كما قال فرجي للمقدم جعفر .. لم يذكر شيئا غير ذلك .. كان يتناول طعامه في المطعم ، وعندما خرج التقى بفرجي وقال له الليلة لن أسهر معكم .. فأنا على موعد مهم وهذا أمر معتاد في حياة عزمي يعتذر من العصابة ، ولا يذكر لهم مع من لقائه ولا مكان لقائه ، وكل موعد عنده مهم ، ولا أحد يفهم ما المهم عنده؟.. وهو قليل الكلام في مجالسه في المقهى.

ـ جيد أبا عصام هؤلاء الشباب الذين يجلس معهم كيف تعرف عليهم ؟

ـ حسب معرفتي .. تعرف عليهم هنا .. صحبة مقهى.

ـ المخدرات .. يا أبا عصام هل يتعاطى المخدرات أحد من الناس الذين يترددون هنا ؟

ـ صدق يا سيدي ! لم أعلم أن لـعزمي علاقة بالمخدرات إلا من البوليس ..وأنكر الشباب معرفتهم بالمخدرات .. اعترفوا بشربهم للخمور والكحول المنتشرة في البلد.

قدم حمداني شكره الجزيل لأبي عصام وصافحه مودعا وقائلا : ربما اضطر للعودة ثانية .. قلت إن المطعم في الطابق الأسفل.

ـ نحن في خدمة العدالة يا سيد حمداني ..المطعم تحت .. مطعم شهاري.

ـ شكرا وإلى لقاء آخر.

هبط حمداني إلى مطعم شهاري ، وتحدث مع مديره وبعض العاملين ولم يجد لديهم خبرا يفيد التحقيق بشيء يدخل عزمي يأكل ويشرب ويدفع الحساب ثم ينصرف إما إلى المقهى وإما لخارج المقهى إن كان قد دخل المقهى أولا ، لا علاقات مع العاملين في المطعم سلام سلام فقط فخرج حمداني آيبا لبيته وهو يتمتم : الحديث مع رفاق عزمي في المقهى هل هو ضروري ؟ أليس بينهم صديق حميم ؟ .. كيف

التم عليهم ؟ هل فقط تجمعهم أوراق اللعب والشراب الحرام ؟ .. عليّ بدراسة حياته منذ قدم المدينة أول مرة .. قال جعفر : إنه جاء المدينة منذ عشرين سنة أو أكثر منذ أن كان صبيا .. الزوجة المجهولة كيف نصل إليها .. كيف ؟!

وصل البيت وهو مشغول الفكر في طريقة للتحقق من وجود الزوجة إن كانت موجودة .. الجريمة لها أسبوع ألم يبلغ الزوجة خبر الوفاة ؟! ألا تقلق لغياب الزوج عن البيت أسبوعا ؟! لكنه كثير السفر ولماذا يسافر؟ ما العمل الذي يمارسه؟ كيف يحصل على المال؟ إذا لم يكن يتاجر في المخدرات .. قضية المخدرات الأولى التي حبس بسببها خمس سنوات عليّ بمعرفة تفاصيلها كيف عرف البوليس بالمخدرات التي كانت معه وجاء بها من اليونان؟ ولكنها قضية قديمة .. فلما استراح من مشواره وأخذ حظه من الطعام دخل المكتب ، واتصل بالمقدم جعفر وسأله قائلا : آ .. يا جعفر .. هل من جديد ؟

ـ لا جديد ..وهل استفدت من زيارتك للمقهى ؟

ضحك حمداني وعلق قائلا : أتريد أن تفهمني أن رجالك نشيطون !.. لم استفد كثيرا الآن.

ـ اتصل بي شوكت لماعة بعدما سأل زوجته عن اليوم الذي التقى به مع أخيه في عيادة الطبيبة ، فتبين أنها كانت تذهب لمجرد فحص دوري مرة كل شهر خلال فترة الحمل .. فلا تأخذ من الطبيبة وصفات مؤرخة ، إنما كانت تنصحها بأخذ مقويات كالفيتامينات والحديد وإن أعطتها وصفة مكتوبة تتركها عند الصيدلية.

ـ هذا توقعته لك يا جعفر .. لكن متى كانت هذه المراجعات أي سنة أي شهر ؟

ـ ذكرت أن ذلك كان سنة ٨٤ ، فهي ولدت ولدها الذي كانت تراجع به عند الدكتورة ولادة في آخر سنة ٨٤ شهر نوفمبر ، ولا تذكر شهر التقاء الأخوين.

ـ جيد .. تحديد سنة جيد الآن .. لو حصلت على أجندة الطبيبة لعام ٨٤ ممكن أن تجد شيئا ، ولكن احتمال كبير ألا نجد شيئا .. ولابد من معرفة اسم الزوجة .. قد لا نجد عنوان الزوجة في دفاتر الدكتورة .. ولكن جاءتني فكرة قد نصل بها إلى اسم هذه الزوجة .. أنت على الخط ؟

ـ نعم .. أنا معك على الخط يا سيدي.

ـ علينا مقدم جعفر بسجلات المحاكم الشرعية سنة ٨٤ أو ٨٣ ، فهي توثق عقود الزواج .. من خلال اسم عزمي وعقد زواجه نعرف اسم الزوجة .. لقد ذكرت لي أنه أخبر أخاه أنه تزوج منذ شهور.

ـ جيد .. نرجو أن يكون عزمي هذا صادقا ..

فسجلات المحاكم الشرعية فيها إحصاء وأسماء المتزوجين.

ـ إذن عليك أيها الصديق بالبحث سريعا .. فإذا ثبت موضوع الزواج فهذا يكون بداية طرف خيط لفك طلاسم هذه الجريمة .. قد نجد معلومات قيمة عند الزوجة المجهولة .. دائرة إخراج الوثائق هل بحثتم فيها ؟.

ـ لم نجد له شيئا حديثا.. له ملف قديم منذ استخرج أول بطاقة شخصية .. وبعدها لم يراجع الدائرة في أي معاملة .. وله في دائرة الجوازات ملف ، وقد استخرج عددا من الجوازات ، ولا يوجد في ملفه اسم الزوجة ولا حتى مكان سكن خاص.

ـ شكرا وإلى اللقاء.

وضع حمداني الهاتف وخاطب نفسه قائلا : عقد الزواج .. هناك احتمال كبير أن يجد جعفر عقد الزواج .. أرجو أن لا يجد عقبات في سجلات هذه المحاكم .. وإذا كانوا يستخدمون الحاسوب سيكون العمل أسهل وأسرع.

وأخذ حمداني يحاول ترتيب المعلومات ، ويتخيل القاتل وهو يتسلل على سكن عزمي .. ثم همس محدثا نفسه بعد تفكير عميق : ولكن لماذا قتل ؟! .. ثروته لم تصل الألف دينار .. لو كان تاجر مخدرات لكانت أمواله أكثر من ذلك .. ولم يكن بالمقامر الكبير .. لماذا اغتالوه ؟!

٧

التقى حمداني وجعفر في الصباح التالي أمام دائرة الأمن الكبرى ، فركب حمداني بجوار جعفر وانطلقت بهما السيارة إلى دائرة مكافحة المخدرات ، وبعد لقاء قصير مع مدير الدائرة سمح لهم بالدخول على أرشيف الدائرة والاطلاع الكامل على ملفات القتيل عزمي لماعة منذ اعتقاله في أول قضية مخدرات والحكم عليه بالسجن خمس سنوات أمضاها كاملة في السجن ، وبعد سنة اعتقل بضعة شهور لحيازة المخدر ولم يحاكم ، ثم معاودة معالجته من الإدمان، ثم أفرج عنه بعد علاج شبه كامل ، ووجدا أنه ما كادت تمضي سنة على الشفاء حتى حاول إدخال كمية مخدرات من جديد للاستعمال الشخصي فحبس وكرر العلاج .. ولما خرج من حبسه عاد للسفر من جديد ، وقضى في اليونان نصف سنة ، ولما عاد للبلد وجدوا معه شيئا يسيرا من المخدرات فتعرض لعقوبة جديدة أمضاها في السجن ، ولما خرج سافر لليونان ، ولما عاد لم يكن معه مخدرات ، فوضع تحت المراقبة بضعة شهور ، ثم تبين لهم أنه تخلى عنها وابتعد عن تعاطيها ، مما أدهش رجال الأمن فرفعت عنه المراقبة والمتابعة الأمنية ، وخلال السنوات الخمس الأخيرة من حياته لم يسجل عليه

أي قضية مخدرات وغيرها ، هذه رحلة عزمي مع المخدرات في ملفات البوليس والأمن ، ولما قبض عليه في القضية الأولى وجدوا أنه كان عاملا عند تاجر كبير في استيراد الملابس الأوروبية السيد حازم عبشل ، وأنه كان خطيبا لابنة الرجل السيدة (شيرينة)، وبعد ثبوت قضية المخدرات عليه فسخت الخطبة ، وانقطعت صلتهم به منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، ولما خرج من السجن أول مرة وجد خطيبته متزوجة من طبيب ولم يبق له أثر في حياتهم ، ورفضوا عمله عندهم ، وثبت لدى دوائر المكافحة أنه لا علاقة للسيد عبشل بالمخدرات وهذا مذكور في الملفات ، ولما سجن لماعة مرة ثانية بعدما عرف بزواج خطيبته ، فقد حاول اتهامهم بالقضية الأولى ، وأنه تحمل القضية عنهم ؛ ولكنه فشل في إثبات ذلك ، فقام حمداني بنقل عنوان السيد عبشل لزيارته ومعرفة المزيد من المعلومات عن العامل عنده أكثر من عشر سنوات.

فقال جعفر : إنه عنوان قديم.

ـ قد نستفيد منه يوما ما .. أريد أن أعرف ماضي السيد عزمي من الخطوة الأولى له في المدينة .. فأول مرة قبض عليه كان يعمل عندهم ، وكان خطيبا لابنته .. ولا نخسر شيئا لو زرنا هذا الرجل إذا كان حيا.

ـ كما تشاء سيدي الفاضل .. هل نعود الآن للدائرة فلعل مالكا اتصل بنا.

ـ دعنا نمر على المدير نثني عليه.

قدما الشكر للكادر الموجود في غرفة الأرشيف ، ثم شكرا المدير وتوجها إلى مركز عمل المقدم جعفر في شارع الأمير زين الدين ، ولما دخلا باب الدائرة سأل المقدم جعفر شرطي كوخ الاستعلامات عن النقيب مالك فرد الشرطي : قبل قليل دخل يا سيدي.

فأسرعا الخطى نحو مكتب النقيب مالك ، فتلقاهما بابتسامة واسعة ضاحكة قائلا : يبدو أننا بدأنا أو أمسكنا بطرف الخيط فعلا.

وتعانق مع السيد حمداني الضابط المتقاعد منذ سنوات من جهاز الأمن وقال بعدئذ معلقا : عندما نبأني المقدم جعفر أنه استعان بك قلت له اقترب الوصول لقاتل السيد لماعة .. فأنت من أمهر رجال البوليس الجنائي في البلد ، ولك باع قوي في تحليل الجرائم والوصول إلى فاعليها مهما برعوا في إخفائها.

ـ لقد أخجلتني يا بني .. أشكرك لقد كبرنا ، فالبركة فيكم الآن .. ولكن الخبرة لها دور لا ينكر في عالم التحقيقات الجنائية .. ولسوف تصبحون خيرا منا .. هات ما عندك ؟ فإنك مسرور ، فبريق عينيك يقول ذلك ويلمع بشدة !

قال مالك وهو يبتسم ـ وهو أيضا ينشر بين

الضابطين صورة عن وثيقة زواج ـ: هذه صورة لوثيقة زواج السيد لماعة.

فتبين لهم أنه متزوج منذ أربع سنوات في أواخر سنة ٨٣ ، والزوجة فتاة أجنبية تحمل جواز سفر يوناني مدون اسمها بالعربية واللاتينية ، ومذكور رقمه وسنة إصداره ، فقال حمداني : مفاجأة كبيرة لنا !.. كيف نصل إلى هذه المرأة اليونانية ؟ .. ما اسمها المكتوب يا جعفر ؟

تبسم المقدم وقال : قرأت أن اسمها ستيلا داميان من أهالي اليونان وعمرها عند العقد ثلاثين سنة.

ـ من كاتب العقد ؟

قال مالك : قاضي شرعي المحكمة ، وكان في ذلك الوقت القاضي داود بسمان .. وقد تحدثت معه هاتفيا من المحكمة الكبرى ، فبين لي أن أي زواج يكون بين مواطن مقيم وأجنبي يتم كتابة العقد في داخل المحكمة أمام القاضي ، وكذلك زواج المسلم من غير المسلمة يكون بين يدي القاضي ، وأنه لا يتذكر هذين الشخصين نهائيا.

ـ أحسنت نقيب مالك !.. وعقود الزواج لا يذكر فيها عنوان المتعاقدين تذكر فيها المدينة التابعة لها المحكمة ، وعنوان الدائرة التي عقد فيها العقد .. ولكن يمكننا أن نصل لعنوان السيدة ستيلا عن طريق السفارة اليونانية ؛ ولكن هذا الأمر فيه نوع من الحساسية، قد نحتاج لإذن من وزارة الخارجية بناء على خطاب من وزارة الداخلية .. فلنضع هذا الاقتراح الآن جانبا ..علينا بالبحث في سجلات الدكتورة ولادة سجلات عام ٨٤ على الأرجح ، وإذا لم نجد فيها نبحث في ٨٣ .. قد تكون أصابها بعد الزواج أمراض نسائية كما هو شائع فلجأت إلى الدكتورة ، فطلبت منها تحاليل مخبرية أو صور أشعة ، فلما فعلت ذلك ذهب الزوج بها ـ أي نتائج التحاليل ـ لعيادة الطبيبة وحيدا فالتقى بأخيه .. من سيقوم بهذه المهمة ؟

رد جعفر : سأذهب أنا ومالك هو يبحث في مواعيد ودفاتر ٨٣ ، وأنا في ٨٤ قد نجد العنوان وقد لا نجده أليس كذلك ؟

ـ بلى .. توكلوا على الله .. وأنا في البيت في انتظاركما.

وخرج الرجال الثلاثة من مركز الأمن مرة أخرى ، فأشار حمداني إلى سيارة أجرة تنقله لمنزله، وانطلق الضابطان بسيارة إلى وسط العاصمة حيث عيادة الدكتورة ولادة ، التي رحبت بهما بدورها، ولما ذكرا لها اسم المريضة قالت بعد فكر: نعم لقد مر عليّ مثل هذا الاسم.

وأحضر حارس العمارة سلما صغيرا لتصعد عليه الطبيبة إلى مخزن حفظ الأوراق والأجندات القديمة ، وبعد بحث وجدت دفتر مواعيد وبطاقات تشخيص المرضى منذ سنوات ، وتناول

الضابطان السجلات منها وعلى الفور بدأا عملية تـقليب الأوراق وقراءة الأسماء ، وفي شهر مايو من عام ٨٤ وجدوا اسم ستيلا داميان يونانية تعاني من التهابات مهبلية ، ومشاكل صحية في الرحم ، وتسكن في بنسيون اسبرطة شارع الوليد بن عبد الملك الأموي .. نقل جعفر هذه المعلومات ، وشكر للطبيبة تعاونها واعتذروا لها عن المضايقة والإزعاج وتعطيل العمل، وقال جعفر : هل تذكرينها يا دكتورة ؟

ـ على ما يخيل لي أنها فتاة نحيفة البدن .. صغيرة الوجه جميلة الشعر .. تكررت زيارتها للعيادة أكثر من مرة لا أذكر بالضبط .. فالمرضى كثر لديّ ..لا أذكر كثيرا مشاكلها الطبية عندي.

ـ بارك الله فيك والسلام عليكم

ـ وعليكم السلام .

٨

انطلق النقيب مالك إلى مركز عمله، وركب المقدم جعفر سيارة إلى بيت السيد حمداني ، وكان في استقباله أمام البيت بناء على اتصال من جعفر، وتصافحا من جديد ، ولخص المقدم الموضوع لحمداني، وبعد أن شربا الشاي وتذاكرا القضية ، أخرج حمداني سيارته الخاصة من موقفها الخاص ، وانطلقا بها جهة ضاحية يغلب على سكانها الرعايا الأجانب ، فيسميها العامة ضاحية الأجانب، وفي قلبها يـقع البنسيون اليوناني بنسيون اسبرطة ، فلما نزلا من السيارة قريبا من الفندق قال حمداني : هل يسكن الزوجان هنا ؟

ـ ربما.. فهذا فندق قديم جدا شيد أيام الاستعمار.. ثم تملكه رجل أثيني ، والآن تديره امرأة عجوز ورثته عن زوج أختها ، ويتكون من طابقين كبيرين .. الطابق الثاني للنزلاء ، والأول فيه صالة واسعة للجلوس، وشقة للعجوز مديرة الفندق.

ـ إنك تعرفه جيدا ؟

ـ لقد زرته أكثر من مرة .. ولكني تحدثت قبل المجيء إليك مع موظف كبير في وزارة السياحة لي به علاقة طيبة ، فذكر لي هذه المعلومات المتواضعة

ـ هل تظن يا صاحبي أن عزميا كان يسكن فيه ؛ لأن زوجته يونانية فحسب ؟

ـ سنعرف بعد قليل ، قد يكون هو مجرد عنوان للمرأة وليس عشا للزوجية ، فسوف نعرف الآن معلومات عن السيد عزمي.

ولما أصبحا أمام مدخل البنسيون نظر حمداني لساعته ثم قال :السادسة والنصف مساء.

وضغط جعفر على مفتاح الجرس الكهربائي ، ثم دخلا مسرعين من شدة تساقط الأمطار ، وصعدا بضع درجات ، فأصبحوا أمام الباب الداخلي

للبنسيون ففتحوه ودخلوا ؛ فإذا هم في بهو الفندق ، ويقف أمامهم شاب أبيض مرحبا بهم ، ثم تقدمهم نحو مكتب كان يجلس خلفه وأشار لهم بالجلوس على مقاعد كبيرة في البهو، ثم كرر الترحيب ثانية ، فشاهدوا عددا من الناس الأجانب يجلسون في صالة الفندق يتفرجون على جهاز التلفزيون ، ولما جلسوا أمام شاب الاستقبال كانت عيون الناس تنظر إليهم بدافع الفضول ، فأشار لهم جعفر محييا ، ثم قال حمداني للشاب : أين صاحبة النزل ؟

ـ نحن في الخدمة .. ماذا تريد أيها السيد المحترم ؟

ـ نريد صاحبة البنسيون ؟

وقال جعفر : السيدة كاتي ملاطيوس.

ـ نعم .. من أنتم ؟

وضع جعفر بطاقته أمام الشاب وهو يقول : شرطي ، المقدم جعفر.

بحلق الشاب في البطاقة ، ونهض قائما وهو يقول مرتبكا : ما الأمر ؟!

ضحك جعفر لارتباك الشاب وقال : ستعرف بعد قليل.

فطلب لهم قهوة وهو يقول : مرحبا بكم ..وأخذ يضرب على رقم معين ثم يقول : أنا ناجي .. يا سيدتي .. رجلا بوليس هنا يريدان الحديث معك .. لا أدري ما الموضوع .. يريدان الحديث معك شخصيا .. حاضر.

ووضع ناجي موظف الاستقبال في البنسيون السماعة وقال : إنها قادمة أيها السادة .. أهلا بكم ومرحبا مرة أخرى.

وأخذ الضابطان يتحدثان معه عن عدد نزلاء الفندق ، ومن هو مالكه حتى أقبلت السيدة العجوز نحوهما وهي تعتمد على عكازة ، فلما وصلت كان ناجي قد أشار لهما أن هذه هي السيدة كاتي مديرة وصاحبة البنسيون، فنهض الضابطان وتبادلا التحية معها فرحبت بهما وقالت : أأنتما رجلا بوليس ؟

رد جعفر : نعم يا سيدتي أنا المقدم جعفر .. وقدم لها بطاقته ، فأخذتها وهي تنظر لناجي فقال : أجل يا سيدة كاتي هما رجلا أمن.

قالت بلكنة عربية : أهلا بكم .. وسهلا .. فأنا أحسن العربية، فلي في بلادكم أكثر من عشرين سنة .. ما الأمر ؟

فقال جعفر : نتكلم في البهو .. الأمر مهم.

فأشارت السيدة كاتي لناجي ، فأسرع وفتح لهما غرفة ، فلما دخلاها أدركا أنها مكتبة متواضعة فلما جلسوا قال جعفر : سيدة كاتي .. هل تعرفين امرأة اسمها ستيلا داميان ؟

فغرت العجوز فمها دهشة ورددت قائلة : ستيلا داميان! ..ما الأمر ؟! ..كيف لا أعرفها ؟ أنا

خالتها .. أين هي ستيلا مقدم جعفر ؟!

تبادل الضابطان النظرات وقال جعفر : نحن نريد رؤيتها ؟

ـ تريد رؤيتها .. ولماذا تريدون رؤيتها ؟!

فقال حمداني : عفوا سيدتي .. هل السيدة ستيلا داميان متزوجة من شخص اسمه لماعة .. عزمي لماعة ؟

فقالت : أوه .. هذا كان قديما مقدم..

ـ حمداني.

ـ كان هذا قديما مقدم حمداني تزوجا سنة ثم تطلقا.

تنهد حمداني وقال : عزمي تزوج من ستيلا ثم انفصلا .. سيدتي الأمر باختصار .. أن عزميا هذا قد قتل منذ أسبوع.

صاحت بذهول : قتل عزمي !.. أوه مؤلم هذا ! .. مؤلم هذا !.. إنه شاب أديب وحزين .. رحمه الله .. فعلا له أكثر من أسبوع لم يزرنا .. ولكن ما دخل ستيلا في مقتله .. فابنة أختي تزوجته من أربع أو خمس سنوات وعاشا سوية عاما واحدا ، ثم فشل زواجهما .. وغادرت ستيلا إلى اليونان، ولم ترجع من ذلك الوقت .. ما شأنها في الموضوع ؟

فقال حمداني بهدوء تام : لا شيء .. إنما علمنا أنها زوجته ، فقلنا ربما نجد لديها شيئا يساعدنا في الوصول للجاني .. قد نستفيد منها معلومة تقربنا من القاتل ؟

ـ لم تعرفوا المجرم بـعد .. إنكم تبحثون عنه.. إيه .. لا بأس .. ماذا تريدون منا ؟

قال حمداني بتردد : سيدتي علمنا أنه كان يسكن هنا أيام زواجه.

ـ أجل .. سكنا أيام الزواج هنا ، بناء على رغبة ابنة أختي لتبقى بجواري ، ولما انفصلت عنه ستيلا ظل نزيلا عندنا .. ولكنه عودنا الاختفاء الأيام والليالي ، ثم يعود ، فمن أجل ذلك لم ننتبه لموته.

فقال جعفر بدهشة : هل للسيد عزمي حجرة هنا ؟!

فقالت : نعم ، بـعدما انفصلا قرر عزمي البقاء في البنسيون .. لقد كان يحب ابنة أختي حبا عارما ، وبعد سفرها ظل مستأجرا للحجرة ، وهو مازال يضع لها رسما كبيرا داخل الحجرة يجلس أمامه يبكي على حبه لها ..ولقد حاولت إرجاعها إليه ؛ ولكنها أصرت على الابتعاد عنه

فقال حمداني : سيدة كاتي نحن نحقق في مصرعه .. فهل تسمحين لنا بمشاهده حجرته ؟ .. حجرة الوفاء والحب والذكريات.

استدعت ناجيا وقالت له : رافق الرجلين حيث غرفة عزمي ، وبـعد خروجهما أو في الصباح اجمعوا أشياء الرجل الخاصة وضعوها في المستودع حتى نرى ماذا نفعل بها ؟ .. وأنزلوا بها من يشاء من المستأجرين في البنسيون .. هل من سؤال آخر

أيها السادة ؟

قال حمداني : الآن فلا ، أما بعد رؤية حجرة عزمي قد نحتاجك في بعض الأسئلة .. ممكن أن يكون ذلك بواسطة الهاتف .. ونأسف لإرهاقك شكرا جزيلا .. خذنا يا سيد ناجي لحجرة لماعة لنر ما فيها .. أنتم لم تقرؤوا عن مقتله في الصحف كما يبدو؟

رد ناجي المستغرب مما يسمع قائلا : من النادر أن أقرأ صفحة الحوادث، ولا أدري هل تـقرأ السيدة ذلك ؟

ردت وهي تبتعد عنهما نحو مدخل شقتها : لا أهتم كثيرا بقراءة الصحف العربية .. آسف أيها السادة وداعا.

فرد حمداني قائلا : مع السلامة وإلى لقاء.

صعد الضابطان برفقة ناجي إلى حجرة عزمي في البنسيون ـ فلم تكن مغلقة بمفتاح إنما هي مغلقة بلسان القفل فقط ـ فسبقهما ناجي ، وفتحها وأشعل النور، فسأل جعفر الشاب عن سبب عدم إغلاقهم الغرفة بالمفتاح، فأجابه ناجي قائلا : تبقى الغرف أثناء خروج أصحابها مفتوحة ليقوم العمال بتنظيفها، ومن يملك شيئا مهما وثمينا عليه أن يضعه في صندوق حماية في الفندق أو في بنك .. وأما عندما يدخلها النزيل يغلقها كيف يشاء.

كان في الغرفة سرير لشخص واحد وبجواره طاولة صغيرة ، وخزانة ثياب وعلاقة ثياب عليها ثياب نوم يبدو أنها خاصة بعزمي ، وتلفاز ، وصور معلقة على الجدران ، تأمل الرجلان الغرفة جيدا، ثم فتح جعفر خزانة الثياب التي لم تكن مغلقة بأي مفتاح ، وجد فيها بدلات، ملابس نوم ، تفحص جعفر جيوب الجاكيتات والقمصان والبنطالات، لم يجد فيها شيئا ، وكان في أرض الخزانة حقيبة رقمية حجم صغير أخرجها جعفر ووضعها على المائدة الصغيرة، وكان حمداني يتفقد السرير لعله يجد في الفراش أو تحت السرير شيئا ، وبينما هو يحرك الأباجورة الكهربائية وجد عندها بطاقة تعريف ؛ ولكنها قديمة بعض الزمن فيها اسم وعنوان طبيب أسنان ، فقال لنفسه لعلنا نجد عند هذا الطبيب معلومة عن عزمي فوضعها في جيب قميصه وقال : قد تلزمنا في لحظة من اللحظات.

ولما انتهيا من التفتيش سألا الشاب عن عزمي وأخلاقه فقال بحزن : الأخ عزمي .. رجل مريض .. مريض نفسيا .. ومما علمته منه أنه كان وحيدا في هذه الدنيا لا أخ ولا قريب ولا أب ولا أم .. تركهم بعد وفاة أمه منذ الصغر ، وأتى العاصمة هاربا من أهله، واشتغل عند تاجر ملابس معروف السيد حازم عبشل؛ ولكن علمت منه أنه مشلول الآن وابنته الوحيدة هي التي تدير أملاكه .. فقد تعرض عبشل لحادث سير أصابه بكسر

قوي في عموده الفقري، فأصبح على أثره مقعدا في البيت، وابنته السيدة شيرينة المسؤولة عن المحلات والمشاغل .. فعزمي يعرفهم جيدا ، وكان يقول إنه كاد أن يصبح زوج ابنة عبشل لولا سقوطه في قضية مخدرات منذ سنوات مضت .. كان يخبرني السيد عزمي بذلك في ساعات الفضفضة .. وللعلم فالسيد عزمي كان سكيرا من الطراز الأول.

فقال جعفر : اكمل يا ناجي فأنت تعرف عزميا جيدا ؟

ـ أجل .. أجل .. فلي في هذا الفندق عشر سنوات قد تزيد قليلا .. من قبل أن يسكن فيه المرحوم عزمي .. المهم أيها السادة عمل عزمي منذ صغره عند عبشل حتى أصبح شابا وكبرت ابنة المعلم فعشقها عزمي ، وبعد قصة حب عنيفة رضخ الأب الثري لرغبة شيرينة وعشيقها فوافق على خطبتهما لبعض ثم بعدئذ الزواج ، وبعد سنوات تقرر تحديد موعد الاقتران، وكان السيد عبشل له علاقات تجارية في اليونان وقبرص، وكان السيد عزمي ينوب عنه في استيراد البضاعة وعقد الصفقات، وسافر في استيراد صفقة وتحدد أن يكون الزواج بعد عودته من السفر من اليونان ، فلما رجع ودخل المطار تم القبض عليه ووجدوا بحوزته مخدرات ممنوعات ، فحكم عليه خمس سنوات سجن فعلي ، وعلى أثر الحكم فرط الزواج والحب ، وخلال فترة الحبس تزوجت المعشوقة من طبيب أسنان وهو الذي وجدتم اسمه مكتوب على البطاقة الدعائية.

فقال حمداني: هل كان يرى عزمي أن السيد حازما دس له المخدرات أو اتصل بالبوليس ووشى عليه ؟.

ضحك ناجي وقال : أبدا أبدا ، فالسيد حازم ليس له إلا ابنة واحدة ، ولا يستطيع منعها من الزواج ممن أحبته وعشقته عشقا قاتلا .. ويمكن أن أقول بصراحة كما أخبرني عزمي أنهما كانا يعيشان كزوجين قبل التفكير بالزواج ، بل حملت منه سفاحا وذهبت لليونان وعملت على التخلص من الحمل والجنين ..فالوالد بعدما عرف كل ذلك لم يستطع منع الزواج ..ولكن السيد عزمي والسيدة شيرينة أثناء رحلاتهما لليونان تعاطيا المخدرات ، وأدمنا عليها ، وكلما يعودان يدخلان الكمية المناسبة حتى يأتي موعد السفرة التالية ، وكانا يسافران كل فصل مرة فكما جاء أثناء المحكمة أن إشارة أرسلت من بوليس أثينا إلى شرطتنا تخبرهم بالمخدرات الموجودة في حوزة عزمي .. فتم القبض عليه وإيداعه الحبس خمس سنوات .. ولما خرج وجد المحبوبة متزوجة ، وقد نسيت الحب والغرام والأحلام ، ودفع إليه السيد عبشل عشرة

آلاف دينار مكافأة عن سنوات الخدمة التي أمضاها لديهم ، وخرج من حياتهم فسافر إلى اليونان ، فعاد وهو يحمل مخدرات.. وعزمي متعاطي لا يتاجر بها ، واستمرت حياته بين المخدرات والسجن حتى التقى بالآنسة ستيلا ابنة أخت مدام ملاطيوس وبعد حب قصير اتفقا على الزواج والاقتران ، وحضرت إلى هنا وتزوجا وسكنا في هذا البنسيون .. ولكن الفتاة لم تطق الحياة هنا ، وتبين لها مرض زوجها جنسيا، فهو من الصعب أن ينجب، فطلقها بناء على رغبتها وظل يبكي عليها ، واستأجر هذه الحجرة في الفندق ليعيش على ذكراها وينظر إلى هذه الصورة المعلقة التي ترونها .. فهذه هي صورة ستيلا .. فهو مستمر في سفره لليونان أو قبرص ثم يعود ويغيب عنا بالأيام والأسابيع فلا نكترث لغيابه .. هذه المعلومات سمعتها منه عندما كنا نجلس أحيانا نتحدث .. وهذا ما أذكره عنه أيها السادة.

قال جعفر : أحسنت بسرد هذه المعلومات على أسماعنا .. لقد أنارت لنا الطريق ..في السنوات الأخيرة هل كان يأخذ مخدرات ؟

ـ ليس تماما .. لقد زاد شربه للكحول المحرمة، قد يكون ذلك أكثر من الماء .. وكان يتعاطى حبوب مخدرة .. لقد ترك الهيروين منذ التقى بستيلا .. وهذه الحبوب يشتريها كما يقول من بعض الصيدليات المخالفة للقوانين والأنظمة.



قلب الوطن

وهج الحرب

الحلقة ٤

جهاد يتحدث عن غزة

دعا عصام وزوجته جهادا وزوجته رندا ، وسالما وزوجته ريم ـ زوجاتها شقيقتان ـ للعشاء بمناسبة عودته من غزة بعد إيصاله المساعدات التي قدمتها الجمعية الإغاثية رحمة التي يتطوع للعمل معها من بضع سنوات .

وحين انتهوا من الطعام انتقلوا إلى صالة البيت ؛ لشرب المشروبات الطيبة من الشاي والقهوة والزهورات ؛ لأن عصاما من يوم تصالحه مع دينه لم يتعاطَ خمرا مسكرا ، واختفت من البيت نهائيا.

وبعد دردشة في أخبارهم الشخصية ، وأخبار عائلاتهم ، قالت وردة : حبيبي جهاد كيف تركتم الأهل في ذلك الجزء من العالم؟

قال حزينا أسفا : كما كنت أذكر لكم على الموبايل وضعا يمزق القلب .. وضع مخز لجميع الشعوب .. وضع مأساوي بحق وكارثي بكل معنى للكلمة !

قال سالم : كما تعلمون ، ويعلم العالم في آخر كانون الأول العام الماضي ، شنت إسرائيل المجرمة حرباً لا هوادة فيها على قطاع غزة ، أسمتها "الرصاص المصبوب"، فيما أطلقت عليها حركة المقاومة الإسلامية اسم حرب الفرقان تيمنا بمعركة بدر الخالدة ، استخدمت فيها إسرائيل أسلحة غير تقليدية ضد الفلسطينيين العزل ، كان أبرزها قنابل الفسفور الأبيض ، واليورانيوم المخفف الذي ظهر على أجساد بعض القتلى ،والذي استخدمته أمريكا في حرب العراق ، للأسف صرنا حقول تجارب لمثل هذه الأسلحة ، وقالت تقارير دولية إن الجيش الإسرائيلي ألقى في الحرب قرابة "مليون" كيلوغرام من المتفجرات على قطاع غزة فماذا سينتج عنها يا دكتور عصام ويا أم جوهر ؟!

قال جهاد : نحن اطلعنا على القليل من المأساة ،كنا نعمل في مناطق محددة ، عائلات فقدت كاملة أو جزء كبير منها ، فكنا نتابع الأخبار عن طريق الموبايلات وأجهزة اللاب توب ، والأجهزة الكفية الايباد ، فقد علمنا من تقارير عالمية نشرتها الصحف الغزية وحتى الغربية ـ وفتح جهازه الخلوي ليقرأ على مسامعهم بعض فقرات من التقارير ـ اسمعوا ، فقد هدمت إسرائيل في تلك الحرب أكثر من (٤١٠٠) مسكن بشكل كلي ، و١٧ ألف منزل بشكل جزئي

وقال : ورأينا بأعيننا ـ وأشار لعينيه ـ قدرا منها .. عمارات مدمرة ، أحياء مدمرة وعاد للخلوي يقرأ بصوت يسمعونه : وبلغت خسائر الحرب الاقتصادية في قطاع غزة أكثر من "مليار" دولار أمريكي، حسب بعض المصادر ، وتطلع فيهم وقال : وهذا وطن محاصر من سنوات ؛ لكنهم شعب صامد رغم شدة المحن والظلم والعدوان ، وبحسب إحصاءات لجنة توثيق الحقائق التابعة للحكومة الفلسطينية والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ؛ كما هو مكتوب على شاشة هذا الجهاز :"فقد أدت عملية "الرصاص المصبوب"، إلى مقتل وسقوط (١٤١٠) شهيداً ، منهم(٣٥٥) طفلاً و(٢٤٠) امرأة و (١٣٤) شرطياً و(١٠٣٢) من المدنيين و(١٨) نتيجة عمليات اغتيال ، وبلغ عدد المصابين (٥٣٨٠)، منهم (١٨٧٢) طفلاً و٨٠٠ امرأة" وتابع القراءة بعد صمت يسير : ألحقت الحرب دماراً شاملاً بالبنى التحتية في مختلف أنحاء القطاع؛ بسبب عمليات القصف العنيف والمتواصل على مدار الساعة طول فترة الحرب حيث دمرت ٥٠ ٪ من شبكات المياه ، و٥٥ ٪ من شبكات الكهرباء. دمرت الحرب آلاف المنازل دماراً كلياً ودماراً جزئياً ؛ مما أدى إلى تشريد سكانها وتشتتهم بين منازل الأقرباء أو الأصدقاء، أو اللجوء إلى المدارس ، أو إنشاء خيام

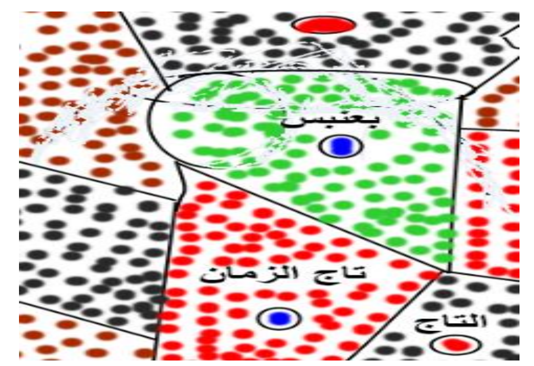
على أنقاض المنازل ، تم تدمير(٥٨١) مؤسسة عامة، منها (١٤٩) دمرت تدميراً كلياً و(٤٣٢) جزئياً، (٣١) مقراً لمنظمات غير حكومية، و(٥٣) مؤسسة تابعة للأمم المتحدة ، و(٦٠) مؤسسة صحية، بما في ذلك (١٥) مستشفى طالها القصف، وتدمير ٢٩ سيارة إسعاف ، توقفت (٣٩٠٠) منشأة صناعية عن العمل، وفقد أكثر من (٤٠) ألف شخص وظائفهم في القطاع الزراعي، و(٩٠) ألف شخص لوظائفهم في قطاعات مختلفة، مما رفع نسبة الفقر في قطاع غزة إلى (٧٩) في المائة، ووفقاً لإحصاءات الأمم المتحدة (٨٨) في المائة من مجمل سكان قطاع غزة، قدموا طلبات للحصول

على مساعدات غذائية.. هذه أرقام أصدرتها عدة جهات ، وليس هذا فحسب.

قالت وردة مصدومة من الأرقام : هل بقي شيء؟!

قال وهو ينظر للجهاز : ألحقت الحرب دماراً واسعاً بالمزروعات أيضا ، حيث اقتلعت (٣٩٦٥٩٩) شجرة مثمرة و(٥١٦٩٩) شجرة غير مثمرة ، وأتلفت (٩٩٩٧٨٥) دونماً من الخضراوات تدمير (٦٩٥) منشأة تجارية ، منها (١٦٥) مؤسسة دمرت تدميراً كلياً و(٥٢٨) جزئياً.. الدمار لحق بمختلف القطاعات وفوق ذلك لم يرفع الحصار الإسرائيلي عن قطاع غزة

وقال: والأخطر يا أم جوهر ! أدت الحرب إلى تعميق الانقسام الفلسطيني الداخلي ، حيث ظهرت مشاكل وتعقيدات جديدة في العلاقات الفلسطينية الفلسطينية ، كالمسؤولية عن تسلم أموال إعادة الإعمار والإشراف على العملية، والإشراف على معبر رفح ، إضافةً للحملات الإعلامية المتبادلة ،وانتهت الحرب بالعودة إلى مربع التهدئة ، وتوقفت حماس والتنظيمات الفلسطينية الأخرى عن إطلاق الصواريخ .



مقاطعة بعنبس فيها تسعة عشر حيا كبيرا ومعمورة بالسكان والمباني ، فحي خالد غرب بعنبس يعيش فيه سالم وجهاد ، حيث بنيا بيتيهما ، وزكية بنت فيلتها في حي الساعة أقدم أحياء بعنبس غرب جنوب بعنبس ، والحي يطل على شارع تاج الزمان جنوبا وغربا شارع القوس ، وعصام بنى فيلته في حي شامل ، الواقع بين شارع الساعة وشارع رمانة

بعد رجوع المحامي جهاد نجيب إلى حي بعنبس

من غزة ؛ حيث تسكن الكثير من العائلات الأرستقراطيات تلقت الدكتورة وردة اتصالا من رجل عرفها بنفسه بأنه والد الطبيبة علا خميس اللواء المتقاعد خميس جعلونة ، وبعد التعريف ذكر لها أنه عم وائل زياد زوج ابنته ، وأخبرها بعودة ابنته إليه بعد حرد وهجر طويل، ثم قال مبينا سبب الاتصال بها : منذ عشرة أيام غادر الشقة ، ولم يظهر حيا ولا ميتا .

وهذا سبب الاتصال ،كما وضح ، لقد ظن أنه قد يكون لديها علم بذلك، فذكرت لها الطبيبة أن علاقتها به انتهت من سنة ، واختفى من حياتها ، وهي كذلك .

وذكرت له أنها لما عاشت معه كصديقة لم تكن تعلم أنه متزوج ، ثم ذكرت أنه بعد انتهاء حرب غزة ، وذهاب حملات الوطن الإغاثية لغزة ، ومن ضمنهم شقيقها المحامي جهاد عارف اتصل بها يسأل عن جهاد ، وقطعت الاتصال ، ولم تعرف سبب السؤال .

قال خميس موضحا : نحن يا دكتورة حين تزوج ابنتي كنا في ظروف سيئة في نظري ، جعلت عليه خمسين ألف دولار مؤجلا حتى أردعه عن طلاقها أو يذهب في حاله ، ويا دار ما دخلك شر ، فهو تزوجها مطلقة ، وتابعت حكايتك معه بصفتي والد زوجته الحردانة .. والحمد لله أننا نسمع عنك أخبار جميلة وطيبة .. ووفقك الله .. وعصام حبيب طبيب فاضل ومحترم مثلك فعرفته شخصيا أيام دراستكم في الجامعة بصفتي مسؤول الأمن في الجامعة .. فنعرف المحسن من السيء والمتحزب وغير المتحزب .

قالت بفضول الإنسان : ولماذا تسأل عنه؟!

قال مشبعا فضولها : تصالحنا من شهور كما قلت أول الحديث ، ومن عشرة أيام خرج تاركا العمل ولم يعد بعد .. فأخذنا نسأل عنه في المشافي ومراكز الشرطة وحتى الحدود فخطر في بالي أنت أيضا ، وتحدثت مع حزب العصبة ، وللساعة لم نجد نتيجة عن اختفائه لهذه الساعة ، لم يخرج من البلد حسب بيانات الحدود جميعها.

قالت : أنا كما أخبرتك قطعت علاقتي به قبل عودتي كزوجة للدكتور عصام حبيب ، وانتهت الاتصالات بيننا منذ ذلك الوقت ، وطلبت منه عدم الإتيان للعيادة يا سيدي إلا الاتصال الذي ذكرت لك ،وكنت في البيت وفتحت السماعة ؛ ليسمع الدكتور زوجي ، وحتى استغربنا يومها عن سؤاله عن شقيقي ؛ حيث لا أعلم أن بينهما معرفة وعمل ، وكان جهاد المحامي مع المتطوعين لقطاع غزة للإغاثة ؛ لأن جهادا ليس طبيبا فهو قانوني .. قلنا ونحن نحاول معرفة سبب الاتصال حتى قال زوجي : لو صبرت حتى نفهم ماذا يريد

من جهاد ؟ وفي النهاية قلنا لعل هناك قضية له في المكتب يا سيدي .. على كل جهاد عاد من غزة فتحدث معه .. نحن سألنا شقيقي العزيز ، فقال : أنا لا أعرفه ، ولا قضية له في شركتنا ومكتبنا .

قال معتذرا : آسف يا دكتورة على الإزعاج ، وشكرا لكل المعلومات الشجاعة التي قلتيها عن الاتصال الغامض ، وسآمر على مكتب جهاد ؛ لعله يتذكر شيئا حول السؤال الغريب عنه .. وهذا الرقم الذي ظهر عندك رقمي الشخصي ؛ فإذا علمت شيئا يساعدنا فتحدثي معي مشكورة .

ـ ولا يهمك يا سيدي ! سلم على الدكتورة علا .. فنحن نعرف بعضنا قليلا بحكم المهنة والنقابة

قال : وهي تعرفك جيدا ، وكانت مصدومة مما فعل بك صاحب لسان العقرب .. والحمد لله أنت اليوم أم فاضلة وزوجة مخلصة ، فالصحف تكتب كل شيء .. ونحن ابتلينا به .. وقد أذهب بابنتي للطلاق بعد هذه الفعلة ؛ لعله سخر من امرأة جديدة واختفى معها .

قالت بامتعاض : لا تستغرب ذلك يا سيدي ! .. ولعله مصاب بشيء وعاجز عن الاتصال بكم .

قال : شكرا يا سيدتي الدكتورة ! سوف نرى الصواب والجواب .. سلمي على أمك فهي معرفة وقد تملكت من معرضها سيارة قبل سنوات ، وسلمي على الطبيب عصام سلاما خاصا.

قضية الاختفاء

قصة اختفاء وائل زياد كانت في شهر آذار عام ٢٠٠٩ قبل عودة جهاد من غزة بأيام ، وقد شغلت الرأي العام في بعنبس، ثم في تاج الزمان ، وسائر مدن البلاد أين ذهب الرجل ؟!

هو طبيب أطفال مشهور في بعنبس بصفته سكرتير حزب العصبة النسائية التي مقرها الرئيس في بعنبس ؛ حيث أهم أعضاء الحزب يسكنون فيه ، ومع بروز قصته مع وردة في العيش دون عقد زواج رسمي في الإعلام ، زاد اسم الرجل انتشارا ، هو لم يكن من سكان وأهالي بعنبس أصلا ، ولا البلاد الشامخة ، هو جاء من فلسطين من شمالها المتصهين قديما عام ثمان وأربعين ؛ لدراسة الطب في جامعة بعنبس العالمية ، فالجامعات تستقطب الطلبة من جميع البلدان ، فجامعة بعنبس جامعة عالمية ودولية ، ففيها طلبة من بلاد شتى ، وفيها كوادر من بلاد شتى بصفتها العالمية ، وهي جامعة خاصة لا تتبع لدولة معينة أسستها مؤسسات علمية عالمية ، فقدم له والده زياد المال ليدرس الطب ، ثم لحقت به أخته أسيل درست في كلية الإعلام والسياسة ؛ لتعمل في الصحافة والإعلام ، ولما تخرج بعد سبع سنوات أحب البقاء في البلد ، وحصل على الجنسية العربية ، فهو يحمل جنسية إسرائيلية كسائر عرب إسرائيل ـ عرب ٤٨ ـ

بحكم الولادة في دولة الإجرام ، فأصبح يحمل جنسيتين ، فلو فكر بالعودة الدائمة ستسحب جنسيته العربية ، فهو حسب قانون المقاطعة العربي لإسرائيل لا يستطيع التنقل بجوازه اليهودي في البلدان العربية .

والتحق بحزب النهضة العربية لفكره اليساري ، ثم تزوج علا ابنة ضابط الأمن الذي انتقل للإدارة العليا في الجهاز ، تخرجت أخته في نفس الفترة ، وتزوجت من زميل لها ، ولم ترجع لأهلها ، فهم أقصد أهاليهم الكبار لهم معارف من بلدهم الفلسطيني الذين خرجوا من فلسطين من قراهم ومدنهم عام النكبة والهجرة القسرية ، وضعفت صلتهم ببعض بسبب الهجرة ؛ لأن القرى الفلسطينية والعربية فيها ناس من عائلات شتى؛ ليس بالضرورة أن يكون سكان القرية من عائلة وحمولة واحدة ، القرية ليست قبيلة.

فمن المعروف اليوم أن الشعب الفلسطيني تشتت في كل بلاد العالم ومدنه ، وشابهته الشعوب العربية بسبب الحروب والاقتصاد والعمالة ، فلذلك لا تخلو مدينة من مدن العالم المهمة إلا وتجد فيها من الشعب الفلسطيني من يسكنها.

وجامعات البلاد العربية والإسلامية والبلاد الشامخة وبعنبس تستقبل الطلبة من جميع إنحاء فلسطين من غزة من الضفة من إسرائيل ، والدولة تسمح بالحصول على جنسيتها كالدول الغربية أمريكا كندا بريطانيا ؛ لأن هؤلاء أصحاب علم ومهن مهمة .

هذا ما حصل لوائل لم يعد لقريته ومدينته الساحلية ، استقر طبيبا في البلاد ، وتزوج ابنة خميس جعلونة ، أثناء عملها الطبي في مستشفى جامعة بعنبس العالمية فقوي مركزه الاجتماعي في المدينة ، وذكرنا فصولا وصفحات من قصة زواجه بعلا ، وذكرنا سعيه بإرجاعها لبيت الزواج لعجزه عن دفع المؤخر الكبير ، وتحقق ذلك بواسطة أبناء الخير ، خرج للعمل في أحد مستشفيات البلاد كالعادة ، ثم اختفى عند الظهر كما جاء في تتبع الساعات الأخيرة من قبل الاختفاء ، وآخر خبر مهم عنه ، هو اتصاله بوردة مساء ليلة يسألها عن سفر جهاد لغزة.

زار خميس أسيل أخت وائل في تاج الزمان، فهو عرف بيتها من ابنته ، فكانت بينهن مناسبات اجتماعية رغم برودة العلاقة بين الأخوين ، وزوجها عامل في إحدى الصحف الكبيرة ، وهي لا تعمل على شهادتها ، اهتمت بالولادة وتربية الأطفال ؛ إنما تكتب مقالات وأبحاث للصحافة المحلية والخارجية والإسرائيلية بحكم حملها لجنسيتها .

أخبرت خميسا أنه منذ غضبه من ابنته لم تقم بزيارته

، كانت بينهم اتصالات تلفونية قليلة ؛ لنقل أخبار من بلدهم إسرائيل ، وقالت هو أخ فاسد وسيء معها حتى في الأعياد الدينية لم يكن يطرق بابها ، ولا تعلم عن اختفائه إلا منه ، ومن زوجها الصحفي .

ومضى كل آذار دون حس ولا خبر عنه ، لم يظهر حيا ولا ميتا ، ولم يظهر اسمه على الحدود ، لا داخلا ، ولا خارجا ، فرجح البوليس قتله وأخفيت جثته بمهارة .. والسؤال لماذا قتل اذا كان هذا صحيحا ؟ ومن قتله؟!

شغل اختفاء طبيب الأطفال وائل بعنبس أولا ، ثم تاج الزمان حيث يعمل في مستشفى خاص

اسمه "ماريا ناسيس" مستشفى للجالية اليونانية بداية ، التابع لجمعية البيئة الخضراء في البلاد الشاخة ، ثم انتشر الاختفاء في عموم البلاد ، الصحف في ١٧ آذار تحدثت عن غيابه الغامض أثناء عمله في المستشفى الخاص التابع لجمعية البيئة الخضراء في البلاد الشاخة ، ثم مع مرور الأيام في حياة البشر تلاشى الخبر ، وخفتت القضية التي شغلت الأهالي ، لماذا شغلتهم ؟ أولا لأن الطبيب وائل زياد صهر اللواء جعلونة زوج ابنته علا خميس ، وثانيا قصته التي شاعت في المدينة من حياته مع امرأة بدون عقد شرعي معلن عنه ؛ لإشاعة هذا الشكل من أشكال الزواج بين السكان ؛ ليتقبلها المجتمع بعد حين ، وتصير أمرا مقبولا .

انتهى نيسان دون خبر ومعلومة عنه ؛ كما تتبعت الشرطة وخميس حركاته الأخيرة هو يعمل في المستشفى الخاص ماريا في مقاطعة تاج الزمان ، عند الظهيرة بدأت الاستراحة العامة لتناول الطعام للمرضى والعاملين ، والسماح للزوار بعيادة المرضى ، وعادة في هذه الفترة تزدحم المستشفى بالناس .

ذهب كسائر الأطباء لتناول الطعام أو شرب القهوة ، دخل مطعم العاملين وبرفقة طبيب يعمل معه في طب الطفل ، وقبل شربه القهوة التي طلبها ؛ كما قال رفيقه رن هاتفه الخلوي ، فابتعد عن زميله بضع خطوات ، ثم أغلق الهاتف، وقال له : سأعود تناول طعامك.

قال الطبيب : وغادر القاعة مسرعا "سأعود تناول طعامك" هذا ما قاله يا سيد خميس!

كان المستشفى في هذه الفترة يعج بالزوار ، فلم ينتبه لخروجه أحد .

سيارته في موقعها ، ونفى موظف موقف سيارات الموظفين نفى رؤيته ظهرا ، والسيارة في مكانها ، وهذا يشير ويدل أنه عندما ترك زميله لم يركب سيارته ، ولم يعرف من اتصل به ؛ ليترك طعام الظهر .

زار خميس المحامي جهاد نجيب عارف في مكتبه في "شركة إبراهيم للمحاماة" ، وقص عليه القصة ، وسبب مجيئه إليه ؛ لأن الرجل تحدث مع شقيقته يسأل عنه قبل اختفائه ، سأل عن سفر جهاد لغزة مع حملات الإغاثة ، وذكرت شقيقته لوائل أن أسماء البعثة تنشر في الصحف .

قال جهاد : أنا لا أعرفه شخصيا، سمعت به عندما حدثت قصته مع وردة عارف وشيوع فضيحتهما في الصحف ، فعرفت اسمه ، ولكن أيام الحملات بعد توقف حرب غزة أخبرني موظف معنا في جمعية الإغاثة من العاملين على هواتف الجمعية لاستقبال المعونات والتبرعات أن رجلا يعمل دكتورا اسمه وائل زياد يرغب بالتبرع ، ويزعم أنه يعرفني ، ولما ذكر لي اسمه قلت أعرفه من الصحف لم أره قط وذهب أحد العاملين معنا للعنوان الذي ذكره له ، فوجد فيه شيكا بمائة دولار باسم الجمعية ، وأعطاه الموظف وصل قبض وشكره ، حتى اذا جاء المدقق للإيرادات والمصروفات يرى الوصل ، والموظف الذي تلقى الاتصال أحمد علي هذا اسمه ، والذي استلم المبلغ اسمه زيد عبد الرحمن ، يمكنك الحديث معهم في مقر الجمعية في شارع الشهيد حي عمود ، ولما رحت غزة مع حملة الجمعية ، لم أقابله قبلا ليسأل عني.. أنا لحد الآن مستغرب سؤاله عن سفري ؛ التحليل لعله كانا راغبا بمرافقة الحملة كطبيب متطوع ، وحين أعلنا للأطباء لمن يرغب بالذهاب مع حملة الجمعية إلى غزة لم يتقدم للمشاركة ، ونحن نقبل التبرعات من كل الناس بغض النظر عن دينهم ومبادئهم ، فنحن تأتينا مساعدات من أوروبا ؛ لأن هذه الجمعية أسست من أيام الانتفاضة الأولى ٨٧ لمساعدة غزة كفقراء وأيتام فلنا امتدادات شرق وغرب ، وفروع في البلاد وخارج البلاد ؛ وبما أنك رجل أمن أكيد لك معرفة بأنشطة الجمعية .. الحقيقة ذكر اسمه قبل السفر من عمال الجمعية أما بعد السفر فهذا غريب ، لم أدرك مغزى هذا السؤال عني ، وسؤال وردة بالذات لم أفهمه ، ولا هي ، ولا زوجها .. كان يمكنه الاتصال بهذا المكتب بالجمعية ليعرف سافرت أم لا .. وهو ملحد وأنا مؤمن ، رؤية عين لم تحدث بيننا ، وهو حسب ما علمت جاء البلد لدراسة الطب والعودة لبلده وقريته ، فارتاح لهوى بلادنا ، وتيسر له العمل .

قال : هو وحيد في البلاد ، له أخت تسكن تاج الزمان لا تعرف عنه شيئا ، ويبدو ذلك صحيحا لا تواصل بينهم ؛ كما أخبرني زوجها وحموها ، وله ناس من مدينته الفلسطينية لا يعرفونه ، يعرفون أباه وجده وعائلته .. وأبوه خدم في الجيش الإسرائيلي ؛ لأن إسرائيل كانت تجند البدو

والدروز والقليل من الفلاحين من أجل اللسان العربي ، ولغتهم العربية .الصحف عادتها نسيان




b a
جهاز التعقيم بالبخار

الأخبار بعد عدة أيام ، فيبدأ الخبر بالتلاشي من صفحاتها رويدا رويدا فبعد شهر يكون الخبر قد زال تماما، ولما تظهر إشاعة ولو صغيرة ، يعود التذكير بالخبر المختفي .

كانت زكية حسني والدة أشخاص بعض أفراد هذه الرواية والحكاية ، قد تابعت حكاية اختفاء وائل من خلال الصحف ، فالاسم أصبح معروفا ومألوفا لها ، وأيضا اللواء خميس معروف لها وقد اشترى من متجرها سيارة آخر طراز أو موديل قبل سنين .

كانت في مكتبها في المتجر ، وزوجها بلص زكور يجلس معها في المكتب ، فهي ما زالت تباشر العمل بنفسها وتتابعه بنفسها ، وتراجع الملفات والسجلات .

وكان بلص قد طلب من محل بيع القهوة والشاي القريب والمجاور للمكان كوبا من القهوة لنفسه وفنجانا لزكية ، وخلال شربه للقهوة يطلع على صحف الصباح التي تبتاع للمحل ، رأته زكية يدع الجريدة التي كانت بيده وينظر إليها ويقول : هذه الجريدة تنشر خبرا صغيرا أو إشاعة عن نسيب خميس جعلونة !

قالت : إشاعة في الجريدة عن وائل زياد!

هزّ رأسه بنعم ، قالت: ما هي الإشاعة أو الخبر؟

قال وهو يخرج السيجارة من فمه : تخبر الإشاعة أن زوج ابنة خميس شوهد في غزة!

صاحت دهشة : غزة ! غزة مرة واحدة ! هل جنت الصحيفة ؟! الحدود قالت: لم يخرج من البلد !

ـ وقالت الصحيفة ما قلت عن الحدود .. وذكرت أن جواز سفره الإسرائيلي يحمل نفس الاسم العربي فكيف خرج؟! لعله خرج به .

لما شاع هذا الخبر في المدينة اهتمت بالخبر ، وقد تناقلته الألسن باستغراب اذا صح وهي لها معرفة بخميس معرفة شخصية ، حيث ابتاع منها سيارة ، فقالت : وماذا ذهب هذا المخلوق يفعل في القطاع ؟! ولو مشى مع حملة إغاثة لما اعتبر مفقودا ومختفيا ، فالصحف تنشر أسماء المشاركين ووظيفتهم وطبيعة ذهابهم .

لم تستطع زكية الصبر على عدم فهم ملابسات القصة ، فبعد يومين من عدم نشر الصحف معلومات أخرى ، اتصلت باللواء المتقاعد ، فرحب بها ، فذكرت ما نشر في الجريدة عن مشاهدة وائل في غزة ثم قالت : ما صحة ذلك يا أبا سليم ؟

قال : لا حقيقة عن صحة الخبر .. وها نحن نتابع دقة الخبر ، وتحدثت مع أصدقاء لنا في الأجهزة فلم ينفوه ، ولم يؤكدوه .. تحدثت مع رئيس تحرير جريدة فجر الأمة أول صحيفة ذكرته ، فقال: مراسلنا في غزة بعثه .. الإشاعة قيلت وبدأت هناك كما نقلت إليه .. الأمور في غزة بعد الحرب مرتبكة وفوضى إغاثية للآن .. أجهزة جاسوسية تدخل مع بعثات الإغاثة ؛ لعلها تحصل على معلومات وأشياء خفية من خلال الفوضى وارتباك قيادة حماس التي تدير القطاع ، وجهات الإغاثة من دول كثيرة .. لديهم كثير من الفوضى ، فيبدو أن أحدهم أو جماعة قابلوه فظنوا أنه الطبيب المفقود في البلاد الشامخة ، ووصل الخبر المشوش إلى المراسل ونقله لجريدته ، واحتارت الجريدة هل تنشر الإشاعة أم لا ، فرأت أن النشر أفضل لسمعتها وتعتذر اذا كان الخبر غير صحيح ، وكتمه قد يسيء للجريدة اذا تأكد ، ورفضت نشره إلا كإشاعة ، والذين شاهدوه مع قوافل الإغاثة ، بعضهم يقول هو ، وبعضهم يقول شبيه به ، فهو لم يكن مع بعثة عربية.

قالت : شيء غريب يا أبا سليم! طيب كيف خرج اذا صحت الإشاعة ؟ ولم يظهر اسمه على الحدود

قال: هذه بسيطة يا أم عارف ! الدكتور يحمل جنسية إسرائيلية ، وإن كان عربيا فهناك ما يسمى بعرب ٤٨ ، فالراجح عقلا أنه خرج به بجوازه الإسرائيلي ،فعندما يقوم ضباط الحدود بالترجمة سيكتشفون أنه خرج بجوازه الإسرائيلي .. هم كتبوا الاسم الذي قدم به الجواز لا يكتبون الترجمة ، وتأكد هذا الاحتمال ، لكنه لم يذهب إلى بلده في دولة إسرائيل ، ذهب إلى اليونان بصحبة طبيب يوناني صديق له ، ومن هناك ذهب مع حملة إغاثة يونانية دخلوا مصر ومنها لغزة .

قالت بدهشة : يعني حقا أنه موجود في غزة!

قال مقرا : هذا ما ثبت يا أم عارف ؛ ولكن طريقه خروجه غريبة ومريبة وغامضة وما أحد من زملاء العمل سمعه يتحدث عن ذلك الخروج ، وتبين لي أنه أنهى عمله في المستشفى منذ مطلع العام الساري .. وأشكر اهتمامك .

———

كانت رباب أم سليم تسأل ابنتها علا : وماذا ذهب هذا المجنون يفعل بغزة ؟!

قالت علا : والله يا أمي لا أعلم ، لم يكلمني عن عطفه وشهامته ووطنيته ، فأهل غزة فلسطينيون مثله ، خرج للعمل كالعادة ، ولا حتى أعلمني أنه تخلى عن الوظيفة ؛ لأنه لم يترك المستشفى .. أنا قلت لكم كرهته بغضته .. الطلاق كان خيرا لي منه .. دعونا نترك بعضنا ، وننفصل ونترك الخمسين ألف .. هذا رجل نسوان .. صحيح منذ

تصالحنا لم تزرنا ولا امرأة ؛ ولكن كان ثلاثة رجال يكثرون من زيارته ، فيستقبلهم في وقت متأخر من الليل يدخل بهم إلى حجرة ، ويغلق الباب بالمفتاح لمعاقرة الخمر التي يجلبونها معهم ويلعبون الورق ؛ وربما القمار .. وأنا بدوري أغلق الباب على نفسي بعد نوم الطفلتين .

قال خميس الذي كان جالسا على كرسي ذي مساند : يا ابنتي يا حبيبتي تورطنا بزواجك منه .. وكلنا أخطأ .. وعلينا أن نتحمل .. وأنا لما ضخمت مؤخرك لهدفين الأول منهما منع طلاق جديد لك أو يعتذر عن الزواج .. لا تلومينني وقضيتم سنوات بعيدين عن بعض .. فعل فيها فضائح لا تعد ولا تحصى.. أنت الضحية .. هو يجد من تلبي رغبته المجنونة دون أي عبء .. وأنت محرومة ، فطلاقك ثانية لن يكون سهلا عليك .. وسيصعب زواجك من جديد ..سيضع الناس لومهم وعتبهم عليك .. وأنت سبب الطلاق .. هو يجد من الزواني ما يتسلى بهن .. وأنت مجروحة وشابة ناضجة.

قالت : سأتكلم بصراحة يا أبي .. ساعة معاشرتنا عذاب لي .. لا ساعة متعة .. المرأة لما تعاشر رجلا بغيضا إلى قلبها تكون في حالة ألم وتمزق واغتصاب .. أنا لا أريده .. رجل وقح.. يراني أو يريدني عاهرة تمارس الدعارة .

قالت أمها : خلاص كفانا عندما يعود عليك يا خميس إنهاء الموضوع وإنهاء عقد زواجهما فعلا إنها لا تطيقه ، وهي بغنى عنه ، وتسلم أمرها إلى ربها ، وتعيش لأطفالها .

ـ أنا راضية أنا راضية .. تعبت يا أبي !

قال: كانت لحظة شفقة وعطف عليك! ونحن قبلناه بناء على رغبتك أنت .. فكل زملاء المستسقى قالوا ابحث عن غيره ؛ ولكنك قلت تعهد لك بالصلاح ، وترك النسوان .. والزواج يغير الأخلاق .

قالت وهي تمسح دموعا سالت على وجنتيها : قبلت من كلامه المعسول وتعهده بالتحسن ، صدقت لسانه .

ـ فصدقناك ، وظهرت لنا رغبتك بالزواج منه ، فقلنا مضطرين على بركة الله وحاولت بتضخيم المؤجل وصرفه بالتي هي أحسن.

صاحت مقهورة : صدقته صدقته كانت نظرات الطبيبات والعاملون معنا قاسية عليّ ؛ لأنني مطلقة ، ولم يتطلع في خلقتي أحد إلا هو .

قالت رباب: ما حصل حصل ، ولا داعي للبكاء على الأطلال .. خلاص يا خميس لما يرجع الملعون من غزة علينا أن ننهي هذه المأساة .. الكل فينا أخطأ .. ما أدري لم ذهب اليونان؟!

قال : كشفت أن له أصدقاء أو معارف من اليونان

، دكتور اسمه إسكندر أحب هذا اليوناني العودة لأثينا للمشاركة في حملة إغاثة ، فمشى معه دون إخطار البنت بشيء ، ربما أزمة ثقة ، وفجوة بينهم ، ولما ترك المستشفى بتلك الطريقة شغلنا وهو كان يلمح لعلا بأنه سيهاجر لكندا أو نيوزلندا أو أستراليا ؛ فلعله يفكر بالهجرة لليونان ، ومنها لأوروبا .. هؤلاء اليونانيون يملكون مستوع أدوية اسمه فينوس ، يملكه صيدلي عجوز اسمه فينوس ؛ وكأنه اسم إله يوناني وهو والد إسكندر .. يستوردون أدوية قبرصية ويونانية ؛ ربما بسبب ذلك تعرف عليهم بحكم المهنة ؛ فكأنهم حملوا شحنة منها لغزة من اليونان ؛ كما يفعل الناس اليوم هذا ما قاله لي صاحب المستودع ، وهو رجل عجوز يعمل هنا من زمن بعيد .. فاتصل ابنه رفيق وائل من باب المستشفى، ومشى إليه وائل وإلى المطار ، ثم أثينا ومنها لمصر بالباخرة الإغاثية .. القاهرة معبر رفح المصري والفلسطيني ، ومع لجنة التنسيق الغزية قدمت المساعدات ، وقضوا أياما ، ثم رجعوا اليونان ، ولم يمكث طويلا في غزة .. مساعدات صور .. وهما الآن في أثينا يمارسان الدعارة .. هذا قاله الرجل العجوز بالتفصيل وعلى لسان ابنه الدكتور .. كان ابنه على اتصال دائم معه .. متى سيعودون ؟ لا يعرف الرجل.. السيء أنه لم يخبر علا بغايته ؛ لكنه اتصل بعشيقته السابقة وردة بنت زكية يسألها عن سفر جهاد ؛ ربما كان يرغب بلقائه بغزة لأمر ما .. وأخته أسيل ، لم تعلم بذلك السفر.. فبدا الأمر غريبا وعجيبا .

ـ المهم عندي أن تطلق البنت ونخلص من الزفت وائل.

ـ أكيد أكيد يا رباب طفح الكيل !

ـــــ

اتصل جهاد عارف بالسيد خميس جعلونة يعلمه بما نشر عن وائل فرد خميس : علمت بما أشيع حتى والدتك اتصلت تخبرني بما نشرت فجر الأمة ، وقد خرج بجوازه اليهودي ، فهو يحمل جنسية تلك الدولة بحكم ولادته وعيشه فيها ، وأشكر اهتمامك أيها المحامي !

فكر المحامي ثم سأل :كيف دخل غزة بجوازه الإسرائيلي ؟!

قال خميس : القصة أنه سافر برفقة طبيب يوناني من الجالية اليونانية إلى اليونان ، لهم وللأرمن حي في تاج الزمان ، ورافقا حملة يونانية من هناك ، لابد أنهما دخلا مصر بجوازيهما اليوناني والإسرائيلي .. فأنت تعلم أن لمصر سفارة في إسرائيل ولإسرائيل سفارة في القاهرة ، فلا مشكلة هنا ، وفي ميناء رفح الفلسطيني أشهر جواز بلادنا ، ويمكن أن يدخل حامل الجواز الإسرائيلي الأردن ، فهذه دول

تعترف بإسرائيل ، وتقيم معها علاقات دبلوماسية ومعاهدات ما يسمى السلام والبلاد التي لا تعترف بإسرائيل من الدول العربية وباكستان وماليزيا وما شابه يمنعون من الدخول بالجواز اليهودي فيدخلون بجنسياتهم الأخرى، والذي أزعجنا وشغل بالنا هو طريقة إخفاء أمر سفره عنا وعن زوجته ، وحتى عن زملاء العمل ، هي التي أثارت الغموض حول الاختفاء .. إنسان حقير ونذل .. رجل مثل إبليس يأتيك من كل الجهات .

ـ حكيت معه كلمته.

قال : حاولت من البداية ؛ ولكن رقمه مفصول وخارج دائرة الخدمة .. أكيد اشترى بطاقة دولية .. ولم يتصل بنا خبيث ..خلاص لما يرجع اللعين سنطلق البنت.. يكفيها شقاء وبهدلة أكثر من خمس سنوات.

ـ يرجع بالسلامة يا حاج خميس!

صاح بألم : والله لو يموت هناك أفضل .. أسوأ زوج في العالم يا أخ جهاد ! لما تزوجت به علا ابنتي كانت مطلقة ، وفي حالة نفسية سيئة ، فرهبة الطلاق مزعجة للبنت وأهلها ، واستغل حالتها النفسية ، وظهر بالمتعاطف والشريف معها ومشفقا والكلام الناعم حتى صدقت المسكينة برغبته على التحسن .. أنا وضعت عليه خمسين ألف دولار لينسحب ويعتذر ؛ لكنه قبل بدون تردد.

ـ خمسون ألف!

قال : وهذا ما منع طلاقها بعد هجرة لعامين ؛ لأني لا أريد أن يطلقها وتصدم البنت ثانية ؛ ولكن الأموال لا تمنع الطلاق .

ـ الله يصلح القلوب ! أنت علمت قصة أختي .. وكيف ضحك عليها ؟ ليعيش معها بدون عقد زواج ، وكان قد أوهمها أنه مطلق .

قال : مهما تعلمت الفتيات فيبقين مغفلات ، بكلمات الحب والعسل يفرحن ويستدرجن .. فهو زوج ابنتي .. تعرف لما كنا نسهر معه يسألني عن الجيش .. طبيب يهتم بأهم أسلحة العسكر والطيران وأجهزة التجسس ، الحرب السلام ، وأيام حرب غزة ؛ كما تخبر علا ، كان يتابع القنوات التي تبث الحرب أولا بأول مشفقا على أهل غزة من الإبادة ، وخشية رحيلهم إلى مصر .

اهتم عصام وزوجته في منتصف الربيع بمحاولة الحمل الخارجي عن طريقة طفل الأنابيب ، فقاموا بالتحاليل المطلوبة والتمهيدية للتلقيح المختبري . طفل الأنبوب والمختبر ، عرف الناس هذا التعبير لأول مرة عام ١٩٧٨ عندما ولدت الطفلة لويس براون ، وهي أول طفلة أنابيب في العالم.

وقد أمكن بهذه الطريقة التغلب على بعض العوائق

التي تمنع حدوث الحمل عند المرأة ، مثل انسداد قناة فالوب ؛ حيث يبدأ تكوين الجنين ، ثم يسير إلى رحم الأنثى ليستقر فيه ، أو عند ضعف الحيوانات المنوية عند الرجل.

ويتم اللجوء إلى طفل أنبوب الاختبار في الحالات التي يتعذر فيها التلقيح الطبيعي للبويضة داخل قناة فالوب .

إنَّ ما يجري في عملية طفل الأنبوب باختصار هو أنَّ عملية الإخصاب تحدث خارج جسم المرأة.

في المدينة عنبس وبعنبس مراكز طبية متخصصة ومعروفة لعلاج العقم ومشاكله الكثيرة ، ومستشفيات فيها أقسام لعلاج العقم والتلقيح الخارجي ، وهي مستشفيات متقدمة ومتطورة ومستمرة في التحديث ومتابعة الجديد ، فتعاقدوا مع أفضل المراكز للقيام بالعملية.

الطريقة الأنبوبية تبدأ بتنشيط وتجهيز المبيضين للزوجة بأدوية مساعدة لإنتاج أكبر عدد من البويضات ، فالبويضات تخلق في المرأة وهي في رحم أمها وتسمى جريبات ، وفي كل شهر من الحيض تسقط بويضة في قناة فالوب ؛ لتكون جاهزة للإخصاب، واذا لم تخصب تنتقل للرحم وتخرج مع دم الحيض ، يتم سحب هذه البويضات جراحياً في وقت محدد تكون فيه كاملة النضج لتُخَصَّب في المختبر باستخدام الحيوانات المنوية التي أُخذت من عيِّنة للسائل المنوي للزوج ، أو من الخصية . توجد العديد من الطرق التي يمكن من خلالها استخراج الحيوانات المنوية من شخص يعاني من انسداد في الأوعية الناقلة على الرغم من قدرته على إنتاج الحيوانات المنوية بصورة طبيعية تماما ؛ لكن فإن أفضل إجراء وأقل تكلفة هو تقنية شفط الحيوانات المنوية من احدى الخصيتين ، حيث يتم إجراء الشفط تحت تأثير تخدير موضعي، ويستغرق حوالى ١٠ دقائق فحسب.

يتم إجراء الشفط للمني بالتزامن مع عملية استخراج البويضات من الزوجة ، حيث يتم استخدام إبرة خاصة وغرسها داخل الخصية لامتصاص الحيوانات المنوية الموجودة بداخلها، وتصلح هذه الطريقة للرجال الذين يعانون من عدم وجود حيوانات منوية بالسائل المنوي نتيجة لانسداد الأوعية الناقلة أو الاستمناء.

يتم عمل شق جراحي محدود بالخصية وفحص القنوات الدقيقة الموجودة بها بحثا عن الحيوانات المنوية ، وقد يتم إجراؤها بصورة منفصلة أو بالتزامن مع عملية استخراج البويضات من الزوجة ، ويتم عادة إجراؤها بغرفة العمليات تحت تأثير التخدير الكلي ، و يمكن أيضا استخدام التخدير النصفي أو الموضعي، وعموما فإن هذه الطريقة الجراحية عادة لا يتم اللجوء إليها حاليا ،

حيث تم استبدالها بالطريقة المجهرية، وذلك للحصول على الحيوانات المنوية من الرجال الذين يعانون من عدم وجود حيوانات منوية بالسائل المنوي نتيجة لوجود خلل في إنتاجها .

كما قلنا تُعد تقنية سحب الحيوانات المنوية من الخصية من الحلول التي يلجأ لها اختصاصيو أمراض الذكورة والعقم لعلاج حالات تأخُّر الإنجاب بسبب انعدام وجود الحيوانات المنويّة في السائل المنوي المقذوف أثناء الجِماع.

وتُعتبر طريقة سحب الحيوانات المنويّة من الخصية من الطُرق البسيطة والأقل تكلفة نسبةً للطرق الأُخرى. حيث يقوم الاختصاصي بإدخال إبرة ماصّة في الخصية لاستخراج الحيوانات المنويّة في عمليّة لا تستغرق أكثر من ١٠ دقائق كأقصى حد وتحت تأثير التخدير الموضعي. وسحب عيّنة من الحيوانات المنويّة أو من أنسجة الخصية ، غالبًا ما تكون عمليّة شفط الحيوانات المنويّة بهذه الطريقة بعد الحصول على البُويضة من الزوجة ، بحيث يتّم الحصول على عيّنة من

الحيوانات المنويّة في اليوم المُقرّر لانفجار البُويضات من حويصلاتها .

لابد من فحوصات تمهيدية قبل عملية أطفال الأنابيب، يخضع أَحَد الزوجين أو كليهما لبعض الفحوصات السابقة للبدء بخطوات عملية أطفال الأنابيب، وهي تشتمل على فحص مستوى الهرمون المُضاد المولري ؛ لتقييم وظيفة المبيض لدى الزوجة والقدرة على إنتاج بويضات ناضجة للإخصاب ، فحص مستوى الهرمون المنبّه للحوصلة ؛ لتقييم اضطرابات المبايض لدى الزوجة ومشاكل الخصية لدى الزوج ، فحص تعداد الجُريبات ؛ لتقييم عدد البويضات البدائيّة في المبيض.

فخضعت وردة لعملية تنشيط الجريبات البويضات المخلوقة في كل أنثى مذ صارت أنثى، أما الحيوان فهو يتخلق باستمرار . خضعا للفحوص الممهدة لشفط المنوي والبيوض ، تنشط البويضات قبل شفطها بعملية خاصة ويكون المختبر قد سحب بعملية عاجلة منويات الرجل من احدى خصيته ، ثم يختار أجود البويضات وأجود المنويات ، ويتم التلقيح بعد فحوصات للبويضة ، ثم تحقن البويضة بالحيوان المنوي بمساعدة بعض الأجهزة حتى يتمكن الحيوان من دخول البويضة ويلقحها داخل أنبوب المختبر ؛ فإذا حدث التكاثر للزايجوت ، ولم يمت ينقل بواسطة أنبوب إلى رحم الأنثى ، الطبيعي أن يتكون الجنين في قناة فالوب ثم يرحل للرحم ؛ فإذا نجح في الاستقرار في بطانة الرحم تكون العملية نجحت إلى حد ما ، ونسبة نجاح التلقيح والحمل

حسب السن للزوجة وبالمجمل درجة النجاح ٣٠ ٪ .

يتم إدخال الحيوانات المنوية التي تم أخذها من الرجل، مع البويضات الأكثر جودة التي تم سحبها من جسم المرأة ، إلى داخل خلية موجودة في بيئة مراقبة وتسمى عملية جمع الحيوانات المنوية مع البويضة، عملية التلقيح. تم زرع بيضتين في رحم وردة ، عندما تبدأ البويضة المخصبة بالانقسام، تصبح جنيناً ، يقوم طاقم المختبر بفحص الجنين بانتظام للتأكد من أنه ينقسم كما هو متوقع ، بعد خمسة أيام تقريبا، يكون الجنين السليم هو الذي لديه عدد من الخلايا التي تستمر بالانقسام بشكل فعال ، تنفيذ هذا الإجراء بعد حوالي ٣ إلى ٤ أيام من الإخصاب ، يتم إرجاع الأجنة إلى رحم المرأة بعد ٣ إلى ٥ أيام تقريباً، من لحظة إخراج البويضات وتنفيذ عملية الإخصاب يتم إرجاع البويضات في عيادة الطبيب ، وتكون المرأة بكامل وعيها ، يدخل الطبيب أنبوبة طويلة ورفيعة (قثطار) تحتوي على الأجنة، عن طريق المهبل إلى الرحم. في حالة انغراس الجنين بجدار الرحم ، واستمراره في النمو، تكون النتيجة الحمل ، يتم إدخال أكثر من جنين واحد إلى رحم المرأة ، قد يؤدي هذا الأمر إلى حدوث حمل متعدد الأجنة.

زرعت بيضتان ملقحتان في رحم وردة ، ويمكن طبيا زرع أكثر من ذلك. وخرجت من المستشفى للراحة والدعاء ، وسيستمر متابعتها لبضعة أيام ، ثم توقف إلى حين ، ثم متابعة شهرية حتى تكتمل مدة الحمل ، وقد تلد الأنثى قيصريا أو طبيعيا .
تخصبت البيوض مخبريا ، ونقلت للرحم أو بدأت رحلة الحمل الصناعي والقلق والأمل والانتظار لتسعة أشهر.
يجب على النساء اللواتي يخضعن لعلاج الخصوبة بواسطة الإخصاب في المختبر، تناول العلاج الهرموني إما بالأقراص أو بالحقن لمدة ٨ إلى ١٠ أسابيع بعد إرجاع الأجنة إلى داخل الرحم.
بعد علاج الخصوبة بواسطة الإخصاب في المختبر، يجب مراجعة طبيب نسائي على الفور، إذا لاحظت المخصبة مخبريا واحدا أو أكثر من الأعراض التالية ارتفاع درجة حرارة الجسم أكثر من ٣٨ درجة ، آلام في منطقة الحوض ، ظهور نزيف من المهبل أو دم في البول.
فهما لما عادا من فرنسا العام الماضي قاموا بتجربة حمل طفل الأنبوب ، ولكنها فشلت ، وفي شهر أيار من هذا كانت المحاولة وكررت ، ومضى شهر ، ولم يحدث نزيف الرحم أو المهبل أو آلام الحمل الصناعي .

المهندس حبيب

حبيب عارف درس الهندسة الزراعية ، وتملك أرضا زراعية ، واهتم ومارس ما تعلمه عليها ، ثم أنشأ حظائر أغنام وتربية العجول ، واهتم في البداية بتربية الأرانب والطيور ، ثم توقف عن ذلك ، فركّز على الزراعة والشجر والأزهار والزيتون ، وكوّن مشاغل لصناعة الجبنة البيضاء والسمنة الصفراء ، وأنشأ معصرة لزيت الزيتون لما كثرت أشجار الزيتون في أملاكه ، وتمكن من شراء الكثير من المزارع حسب نظرية المال يجلب مالا ، ولديه عيادة بيطرية يعمل بها عدد من البياطرة لخدمته وخدمة أمثاله ، واهتم فترة بتربية الخيول ، ثم تركها ، فركز على النخيل والزيتون والأعناب والفواكه ، فلديه عدد كبير من العمال ، وله شركة تسويق في بعنبس ، وكان يعصر الزيتون في موسمه ، ويورده لشركات تصدره لبلدان خارجية ، وبعضه يذهب لمصانع الصابون البلدي المحلي ، ولديه مصنع لرب الطماطم ؛ حيث مزارع البندورة في البيوت البلاستيكية في بطن الوادي حيث محافظة جزيرة رمضان شرق البلاد شمالا ، جزيرة زراعية ، وله مزارع في جزيرة عفوان ، الجزيرة الأولى لها حدود مع بعنبس من شارع القوس ، وله فيها قصر صغير ومساكن لعمال المزرعة ؛ حيث تنتشر مزارع البندورة والخيار ، ومصنع للمربيات من التفاح والبرتقال والتمر ، كان الرجل مستثمرا بشكل قوي في البلد ، فكان رجل عمليا ومعروفا في بعنبس والبلاد الشامخة كلها ، وكان فوق ذلك معروفا بالتقوى والتدين والإحسان.

في السادس والعشرين من أيار ٢٠٠٩ ، وكان تلك الأيام ينتظر سماع خبر نجاح الحمل لابنة أخيه الدكتورة المشهورة وردة والتي سعت للحمل عن طريق الأنبوب احدى طرق التلقيح المعاصرة ، وكانت قد فعلت ذلك بعد رجوعها من فرنسا ، ولم يثبت الحمل ، وها هم يحاولون مرة أخرى ؛ لأن هذه الطريقة نسبة نجاحها ضئيلة ؛ ولكنها تفلح في بعض الأحيان .

والرجل هو الذي تكفل بكل نفقات العملية رغم رفض ابنه ووردة في البداية ، وأخبره عصام ابنه البكر بزرع حيوانه المنوي الذي سحب وشفط منه في رحم وردة بسلام .

هذا ما كان يشغل بال حبيب تلك الأيام وأواخر أيار ، كان حبيب يملك بضع عمارات في حي بعنبس ، وبعضها في تاج الزمان الحي الأكبر ، وكان يتخذ مكتبا كبيرا في عمارة حبيب عارف في شارع الجامعة في حي البيان في قلب بعنبس ، والعمارة كلها مصممة مكاتب ومؤجرة ، ويتابع إيجاراتها مكتب الدكتور إبراهيم وابن أخيه

المحامي الصاعد جهاد نجيب من عمل العقود وتوثيقها في البلدية والدوائر الرسمية ؛ لتخضع للضريبة كما يطلب القانون ، وكان له مكتب كبير في العمارة يدير منه أعماله التي أشرنا لها أو لبعضها.

اتصل به مكتب محاماة من قلب العاصمة عنبس عاصمة البلاد الشامخة ، عرف على نفسه المتصل بموظف في شركة سام للاستشارات القانونية الدولية ، ومهمتهم متابعة قضايا مالية تجارية محلية ودولية ، تحدث الموظف الذي عرف نفسه بزياد حسن ، وأخبره برغبة الشركة زيارته والحديث معه في موضوع مالي مهم ، وطلب المكتب أن يكون معه محاميه الخاص لحضور المقابلة يوم الخميس قرب العاشرة صباحا أي بعد يوم واحد .

كان المحامي جهاد المكلف بقضايا عمه وأنشطته المالية والتجارية الموظف بشركة محاماة إبراهيم وشركائه التي تتابع أعمال وأموال السيد حبيب .

اتصل حبيب بابن أخيه ، وذكر له اتصال شركة سام به ، وطلب منه أن يحضر اجتماع أو لقاء الخميس بعد يوم من الآن .

قال حبيب وهو يغلق الهاتف كحديث نفس : شركة قانون في العاصمة عنبس ! عمري ما تعاملت معهم " شركة سام للاستشارات القانونية " أنا معاملاتي المالية القانونية عادة هنا في بعنبس ..مع شركة إبراهيم نسيب أولاد أخي نجيب .. هل من شكوى على شركاتنا هناك ؟ فمكتب جهاد وشركائه هم الذين يتابعون عقود الإيجارات والضرائب والقضايا المالية ، وهم يتابعون قضايا عصام وودة منذ عهد قريب ، وبعض قضايا سامي وحسن ونوار وسالم .

وبينما هو يفكر بسبب الاتصال القادم من العاصمة ، ويراجع ذاكرته ، رن التلفون وكان جهاد المتحدث بعد السلام قال :تحدثت مع شركة سام يا عمي قالوا القضية غريبة فعلا وغامضة ! جاءهم خطاب من هافانا عاصمة كوبا في أمريكا اللاتينية أن لديهم أموالا باسمك باسم حبيب عارف من أهالي بعنبس في دولة البلاد الشامخة في الشرق الأوسط .

ردد محتارا: أموال باسمي من هافانا ! أنا فكرت في مشاكل مالية مع عملائنا وشركاتنا ، وأحدهم شكى علينا في عنبس .

ـ هذا ما أخبروني به .. وأن محاميا من شركة محاماة دولية مقرها كوبا سيكون غدا في البلاد ، والخميس سيعقد لقاءه معك .

ما زال يفكر بحيرة : أليس هناك خطأ ؟! منذ ولدت ـ كما تعلم ـ لم أذهب لدول ذاك العالم ، ذهبت القدس ومكة والمدينة ودمشق وعمان والقاهرة وإسطنبول حديثا .

ـ سيأتي المحامي الكوبي لعرض الموضوع وتسويته .. وكل تكاليف الرحلة والنفقات مدفوعة سلفا .

ـ الغموض سيزول الخميس ـ إن شاء الله ـ نحن لنا أقارب هاجروا قديما للبرازيل والأرجنتين ولا اتصالات بيننا وبين أولئك الأقارب المهاجرين يا أبا عبد الله ! أما كوبا فلم أسمع عن قريب أو صديق رحل إليها !



ـ إن شاء الله الخميس نقابل الضيف ونفهم القصة يا عمي!

قال : على بركة الله .. المهم لا تنسى الموعد .

ـ أكدوا لي أن الأموال باسمك يا عمي!

قال مفكرا : إن غدا لناظره قريب .

كوبا

أوقف جهاد سيارته أمام عمارة عمه حبيب حيث مكتبه الكبير ، كان حبيب قدوة مالية ودينية لأبنائه سامي ونوار وسالم وجهاد ، ثم لحق بهم عصام ووردة التي منذ تابت لربها تراه أفضل الناس حتى من زوجها وإخوتها ، فهو خير نموذج ومثال لها في الدين والمال والسلوك والحوار فتحول بغضها الطويل إلى حب وتقدير ؛ فكانت تغمرها السعادة والفرح كلما دخل بيتها أو زارته ، وتقدر حنوه وعطفه ، وتنظر وتعجب كم صبر حتى قلبهم الله ! وتدرك حنوه عليها وعلى عصام ، وحبه لفلذة كبدها جوهر .. ولاحظت كم هو محب أن تلد لعصام ، ولو عن طريق الأنبوب ! فأما أمها فلم تستحسن تلك الطريقة في الحبل ، وقالت : يكفيك جوهر ، الكثرة لم تعد لها فائدة . فأصيبت بالدهشة يومذاك حتى وضحت أنها تخاف عليها من تعب ومصاعب الحمل والولادة .

حبيب رجل مع الله ، فهو موفق ، ولا نزكي على الله على أحدا ، فالله حسيب كل فرد منا ، نقول كما قال عمر " إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إِلينا من سريرته شيء، الله يحاسب سريرتَه، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأْمَنْه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة ".

جمعية الإغاثة رحمة التي يتبرع جهاد ببعض وقته فيها تقع في شارع الشهيد علي تتلقى دائما الأموال من عمه ، وهو يدعم جمعيات أخرى مهتمة بالأيتام في بعنبس وعنبس ومدن أخرى ، فهو يخرج الزكاة سنويا ، وصدقات أخرى ، ويكفل عددا من الأيتام في الحي ، وفي غزة من سنوات قبل الحرب الأخيرة عن طريق جمعيات الإغاثة ، ونشاطات أخرى ، واليوم وردة وعصام يحاكونه

بالإحسان للضعفاء والناس .

دخل جهاد العمارة ومشى إلى مكتب عمه وصافحه ومطمئنا على صحته وعلى زوجته التي نكحها بعد ترمله عن أم عصام رحمها الله ، وسلم وصافح موظفين المكتب ، وتبع عمه لمكتبه الخاص ، ودخل مراسل المكتب العم عطوة ـ رجل غلبان يعمل من سنوات معهم في المكتب ـ فقدم له القهوة المرة ، فمن العادات في بعنبس تقديم فنجان قهوة سادة مرة للضيف ، ثم القهوة العادية المصحوبة بكوب ماء أو الشاي .

قال جهاد وهو يتناول الفنجان المقدم له باسما : كيفك يا عم عطوة ؟وكيف صحتك يا أستاذ عطوة ؟

ـ الحمد لله حمدا كبيرا .. وكيف أنت يا أستاذ جهاد ؟

ـ بخير يا أستاذ عطوة .. كيف عيالك أم حسن ؟

قال عطوة : بخير ، وترسل تحياتها لأختكم الفاضلة أم جوهر .. لها رغبة بزيارتها

ـ تتصل فيها ، وترتب للقاء .. حتى هذه الأيام أم جوهر دائما في البيت.. سلمت العيادة لصديقة لها.

ـ سلامتها .. مالها ؟!

قال : بخير ؛ لكنها تحيا بتعب ، فيمكن لأم حسن أن تتصل وتذهب .. ووردة اليوم تحب البسطاء والمساكين مثلنا .

قال : الحمد لله أنها رجعت لأصلها .. فالعم حبيب يحبها ويذكرها بكل خير ، وهي التي أشرفت وتابعت ولادة أم حسن ، ولم تقبل شيئا .. غمرتنا بفضلها وإنسانيتها .

ـ بارك الله فيك يا عم عطوة!

قال : هي من أجل معروفها معنا حابّة أن تراها وتقدم لها امتنانها .. من لا يشكر الناس لا يشكر الله .

ـ خلاص تتصل بها يا عم عطوة .. أليس كذلك يا عمي ؟

قال : أنا قلت له مثل كلامك.

ـ ستفعل إن شاء الله .

حينئذ دخل باب الشركة رجلان يحمل كل منهما حقيبة خاصة به ، أحدهما بدا أنه غير عربي ،

قام حبيب وجهاد للترحيب بهما ، والتعرف على أسمائهما ، فتبين أن أحدهما المحامي زياد حسن الذي تحدث مع حبيب ظهر الثلاثاء ، ثم مع جهاد من شركة سام الدولية ، والثاني محامي كوبي مندوب شركة محاماة كوبية دولية للقضايا عبر القارات ، وأنه حضر خصيصا لمقابلة شخص اسمه حبيب عارف من أهالي بعنبس في البلاد الشامخة ، تم التعارف وتقدمهم حبيب إلى مكتبه الخاص ، ولما جلسوا رحب بهم ، وقدمت لهما قهوة الضيافة ، وشرح زياد الأمر للمحامي راؤول

إمارتا المحامي في القانون الدولي رسول تلك الشركة لحبيب عارف .

قال راؤول بعد شرب القهوة المرة : القصة أني كلفت بالسفر إلى هذه البلاد ، لأن رجلا كوبيا أوصى إليك بمال عند موته وقد مات .. رجل كوبي من أصل عربي هاجر لبلادنا منذ أكثر من عشرين سنة ، فقد ترك هذا المهاجر ثروة مهمة تبلغ عشرين مليونا غير الأملاك الأخرى، تركها للسيد حبيب عارف من سكان بعنبس البلاد الشامخة في الشرق الأوسط ؛ لعدم وجود ورثة له في بلادنا ، كانت له زوجة كوبية ماتت قبله بزمن ، وأوصت بأموالها كلها إلى زوجها المهاجر ، ولبعض الجمعيات العلمية والثقافية، فكبرت ثروته ، وتوفي الرجل في مطلع العام متأثرا ومصدوما بمجزرة غزة في ٢٧ -١٢ آخر العام الماضي .. المجزرة التي هزت كل العالم .. وهذا السيد اسمه عندنا جيفر كرانسي تزوج سيدة كوبية اسمها أماندا روشيه آند ، تعرف عليها في بيروت ، وتصادقا وترافقا ولما هاجر لكوبا التقيا وتزوجا وتشاركا الحياة .

قدم لهم عطوة القهوة العادية والشائعة في العالم ، ولما انسحب الخادم تابع راؤول : هذه المرأة الكوبية كانت تخدم في جهاز المخابرات الكوبي ، وكان لها نشاط في بيروت ؛ لأن كوبا كانت تدعم المنظمات الفلسطينية الشيوعية أيام القائد فيدل كاسترو ، فكان لهم مكان في بيروت ، عرفته أماندا من خلال العيادة الخاصة به ، هي وفريقها السري ، ولما قرر العالم الحر طرد المنظمات من بيروت ولبنان خرج الرجل إلى قبرص ، ثم اختفى وسافر إسبانيا ، ورافق أماندا ورفاقها إلى كوبا باسم جيفر كرانسي ، واختفى اسم نجيب عارف ، فهو أخوك كما كتب لشركتنا .

هتف حبيب وقد كان يتوقع ذلك لما سمع بيروت والمنظمات : إذن هذا المال من أخي نجيب عارف .

ـ سافر الطبيب نجيب إلى قبرص ثم إلى إسبانيا ثم الأرجنتين ، ثم استقر في عاصمة كوبا بجواز سفر كوبي وشخصية كوبية ، وبحماية ورعاية أجهزة أمن كوبية ، وتزوج كما قلت من تلك الفتاة عميلة المخابرات الكوبية أماندا ، وعاشا معا حتى ماتت ، ثم تبعها في أول العام الحالي .

قال حبيب مشيرا لجهاد : هذا ابنه .. هذا ابنه المحامي جهاد .. اختفى والده وهو ابن خمس أو ست سنوات .

قال جهاد متذكرا وهازّا رأسه : إذن صدقت الشرطة القبرصية عندما أخبرت أن الرجل لم يقتل اختفى بنفسه .. لقد كان ؛ كما علمنا ملاحقا من الموساد.

قال راؤول باللغة الإنجليزية تاركا الترجمة لزياد منذ أول اللقاء : الرجل تشارك مع شركات أدوية

في البحر الكاريبي وفنزويلا ، وعمل في أول أمره مع مستشفيات النظام الصحي الكوبي فكان عاجزا عن مراسلة أهله وأبنائه خشية أن يكتشف خصومه مأواه ، كل هذه المعلومات الخاصة كشفت لنا قبل موته بقليل لما ماتت شريكته ، شركتنا القانونية تتعامل معه من بضع سنوات ، قبل أن تموت امرأته بعام أخبرنا أنه وصى بأمواله لأخيه حبيب في بعنبس ، وترك لنا رسالة لا تفتح إلا بعد موته ، وكشف فيها ما قلت لكم ، وكتب مذكرات تفصيلية لرحلته في الدنيا ، وموجودة في بنك كوبي في خزانة خاصة ، خزانة أمانات كما عندكم لا تسلم المفاتيح إلا لأخيه أو وكيله .

كان حبيب وجهاد ينظران في عيون بعض ، والمحامي زياد يترجم لهما مع أن الحديث دار باللغة الإنجليزية وهما يعرفانها إلى حد كبير .

عاد المحامي الكوبي يتكلم فقال : المذكرات الشخصية للدكتور جيفر كرانسي محتفظ بها في البنك والأموال في عدة بنوك كوبية خارج كوبا ، وبنوك كاريبية ، الرحلة ونفقاتها مدفوعة سلفا وكذلك رحلة السيد حبيب لكوبا لتسوية الميراث والوصية ، ونقل المال إلى أي مكان ، وستأخذ حكومة كوبا الضرائب وحقها حسب القانون الدولي قبل تحويلها إليك ، وعليك سيد حبيب أن تسافر لتصفية أعمال أخيك.. فهذه قصة هذه الثروة ، وأن تنفذ الوصية من طرفنا حال وفاته ولنا شهور نعمل ونرتب لهذه الرحلة واللقاء بكم

قال حبيب متسائلا: لابد من السفر بنفسي !

ـ لابد من السفر وزيارة كوبا والكاريبي.

قال : المذكرات محجورة في البنك !

قال : سنقوم بمساعدتك حال انتقالك إلينا ، ومعنا تكاليف شخص واحد ؛ فاذا أحب أحدهم أن يرافقك فليتحمل التكاليف المادية ، ويمكنك إعادتها للمرافق بعد تسلم المال ـ وأشار لجهاد ـ أنت ابنه يمكنك السفر معه .

قال جهاد : القصة سيد زياد سيد راؤول كما علمنا عندما كبرنا أن البوليس القبرصي أعلن لأمي وخالي هاشم وعلي أن اختفاء أبي كان بإرادته ، وليس هناك جريمة ، وقام بتمثيلية على أمي كما اتضح الآن .

قال حبيب مفسرا : كان والدك مطاردا من جهاز أمن إسرائيلي فاضطر لفعل ذلك الخداع واختفى من حياتنا كلنا ، الظروف تجبر على فعل أفعال شاذة .

قال : أجل ، هذا الصحيح يا عمي ! فلما حلت الهزيمة المؤلمة لمنظمة التحرير وأصبح لبنان خاضعا لإسرائيل ، رأينا عفوا سمعنا وقرأنا ما حدث لسكان صبرا وشاتيلا .. المنتصر يفعل ما يشاء .. فاختار أبي هذا الخيار الصعب.

قال حبيب : هو ما قلت يا جهاد ؛ فكان لابد من الاختفاء عنا وعنكم وعن أمك ؛ لأن النساء هن نقطة الضعف عند المطارد ، فهرب مع امرأة ، ولم تصدق أمك قول البوليس .

أخرج المحامي الكوبي عندئذ مجموعة من الصور عندما خيم الصمت في المكتب ، وقدم واحدة منهن لحبيب قائلا : هذه صورته في هافانا .

وضع حبيب نظارة القراءة على عينيه وتناول الصورة ، وتمعن في الصورة وقال : هو نجيب فعلا يا جهاد ! ولكنه بلحية خفيفة .

تناول جهاد الصورة وعمه يقول : كنت صغيرا حين اختفائه ابن خمس أو ست سنين هل تتذكره ؟!

قال جهاد باسما :صور أبي تملأ البيت يا عمي ! الصالون غرفة نومها كل الغرف فيها صور أبي في مكتبها في السوق .

ضحك حبيب وزياد وقال : راحت عن بالي أفعال أمك .. قد تضطر أمك السنة إلى إلغاء طقوس قبرص .

تبسم جهاد وقال : الله أعلم ! ربما لا تقتنع أنه مات أثناء قتل الناس في غزة ، وأنه تأثر بها أكثر من المئات والألوف في بلاد العرب ؛ بل بعضهم يضع اللوم على حماس كمصر في هذه المعركة الظالمة .

قدم المحامي صورة أخرى قائلا : هذه صورة قديمة أيام بيروت .

قال حبيب وهو يتأملها : نعم ، صحيح . ونقلها حبيب لجهاد ، وتناول صورة ثالثة فقال: هذه صورتي!

ضحك المحامي الكوبي وقال : وهو المطلوب ! هذا تأكيد أنني أخاطب وأجلس مع السيد حبيب عارف يا دكتور زياد ! فلما رأيتك لم يكن لديّ شك بأنك الشخص المطلوب ، حتى زياد غمز لي بأنه هو ؛ لأنه رأى الصورة يا سيد حبيب!

قال حبيب ناظرا لابن أخيه : كيف ستخبر أمك يا جهاد ؟

ـ أفكر بالاتصال بها لتأتي وتقابل الرجل ومندوب سام.

قال : هو الأفضل .

اتصل جهاد بأمه ، فمكان عملها ومعرضها قريب من عمارة عمه ، اتصل محرضا للمجيء لمكتب عمه لأمر ضروري وهام وعاجل .

وقال : دعي بلص وأنا مع عمي في انتظارك .

وفي أقل من عشر دقائق كانت تدخل المكتب ، وتلقي التحية عليهم، وعرفها جهاد على زياد والكوبي ، واختصر لها زياد قصة المحامي وزوجها المختفي من ربع قرن ، وهي مصدومة بين مصدقة ومكذبة ، وأعطاها الصورة الجديدة والقديمة وصورة حبيب ، فكانت تنظر في عيون الجميع في

حيرة وقالت بذهول : نجيب كان حيا طوال هذه السنين يا حبيب!

قال: هذا ما يخبر به المحامي الكوبي ، وترك لكم ثروة كبيرة ومن أجل ذلك جاء من آخر العالم ولكنها باسمي حسب وصية نجيب .

قالت : ألم يكتب لك ؟!

أجاب : لا ، هو فعل ذلك ليختفي من حياتنا كلنا .. اختار الحياة خشية الاغتيال يا زكية ! وشرطة قبرص ذكرت لك أنه لم يمت تزوج أو اختفى مع امرأة .

قالت بشك : من أين عرفوا؟؟!

قال: كأنهم يعلمون من مصادرهم الأمنية ، لو لم يفعل ما فعل ؛ لربما قتل قديما .. فاليهود احضروا أيخمان من الأرجنتين بزعم تعذيب اليهود في أوروبا ، وإسرائيل لم تنشأ بعد للدعاية والتهويل .. وأخي كان متهما بالمشاركة في قتل ضابط إسرائيلي.. وبهذه التضحية يا زكية عاش كل هذه السنين بسلام .

آيخمان ضابط نازي كبير ، هرب آيخمان سراً إلى عدة دول إلى أن استقر في الأرجنتين متخفياً باسم جديد ، وشخصية جديدة مبتعداً عن أية مظاهر قد تفضحه أو تكشف شخصيته الحقيقية حتى العام ١٩٦٠ عندما قبض عليه عملاء للموساد ونقلوه إلى إسرائيل بضجة إعلامية مصنوعة ودعاية مفضوحة للموساد ، هي من الحرب النفسية ضد العرب والعالم ؛ حيث حوكم وأدين وشُنق في العام ١٩٦٢، ثم أحرقت جثته ، وألقي الرماد في البحر الأبيض المتوسط. في ١١ أيار عام ١٩٦٠ نجح عملاء الموساد الإسرائيلي في اختطاف النازي أدولف إيخمان من الأرجنتين حيث مثل للمحاكمة في إسرائيل ، وتم إعدامه عام ١٩٦٢، وقيل إنه اعتنق اليهودية قبل شنقه .

رأت زكية الصور الأخرى ، فبكت بضع دقائق وترحمت عليه .

قال حبيب : رحمنا الله جميعا ! لقد ترك لنا مذكرات شخصية ومال كثير ، وسيذهب فريق منا لاستلام الأموال والمذكرات .

قال المحامي راؤول : لابد من إجراءات ومحاكم سيد حبيب سيدة زكية.

قال جهاد: الأموال باسمك يا عمي ! فهي لك، وأبونا يعلم بأننا أحياء.

قال : نعم ، هذا ما أعلمنا به المحامي ، ولست بحاجة لها بفضل الله .. أنتم أولى بها لا تجادل !

قال جهاد للمحامي: أيمكن أن أذهب وكيلا عنه ، فعمي كمل ترى رجل كبير .

قال : يعمل لك توكيل قانوني مع شركة سام ، فهي شركة دولية تتعامل مع قضايا دولية ، ويمكنهم إرسال محامي معك وتتكلفون بأتعابه سيد حبيب

واذا قبل الوالد حضورك عليكم ألا تنشروا الخبر حتى يتم نقل الأموال بسلام من دون ضجيج .. فالأموال باسمك لا يمكن لأحد أن يستولي عليها.. الدولة تأخذ حقوقها غير منقوصة وأنت تأخذ حقوقك ، لا يوجد بنوك عربية في كوبا ، ممكن تحول إلى الولايات المتحدة أو بنوك سويسرا والنمسا ، لازم تحول إلى أكثر من بنك ولما تصل بلدكم تقتسمونها .. كيف ترغبون ؟

قال حبيب : ما رأي زكية هانم ؟

قالت بارتباك : ما زلت ذاهلة وأتذكر ؛ لأن صورة المرأة التي تظهر مع نجيب أعرفها، لقد صدفتها أكثر من مرة في العيادة مع نجيب على أنها مريضة ، وليست صديقة وعميلة مخابرات كوبية ، لقد نسيت أن نجيبا كان عميلا لمنظمة فلسطينية في رام الله ، وأنه هرب لما قبض على رفيقه في الشبكة أو الخلية ؛ ربما أجد لها صورا في البوماتي القديمة يا جهاد ! اخبرني نجيب أنها موظفة سفارة هي ومن معها ، كان يرافقها دائما شابان كوبيان ؛ لابد أنهم رتبوا لتلك الحيلة قبل ذهابنا بكم لدمشق عندما حضر شقيقي علي لإخذكم لبعنبس عند عمكم ، ثم رحلنا بحرا إلى لارنكا وتمت الحيلة عليّ ، كان خوفنا من مخابرات إسرائيل كبيرا علينا ، كانت بيروت تعج برجال المخابرات والعملاء من كل أنحاء العالم ، كانت كوبا تدعم المنظمات اليسارية بالمال والسلاح .. كاسترو كان مع الثورة ، وكان يدفع ثمن الأسلحة الكورية والصينية .. عادت بي الذاكرة لتلك الجاسوسة ، لقد تزوجت نجيبا وأمنت له جواز سفر كوبي وهجرة لكوبا، وتركت أنا أشرب حسرة نجيب عارف .. فهم رتبوا أمر رحيله ، واعتقد أن والدك أقام معها علاقات جنسية قبل هربه ؛ فلذلك خدمته ؛ لكن الشرطة القبرصية كيف عرفت بأنه لم يقتل ؟ !وبأنه رافق امرأة .. هل مات حقا ؟!

قال الكوبي : مات في أول يناير بسكتة قلبية ، وأحرق جثمانه حسب وصيته ، وقمنا بما اتفقنا عليه معه ميتا وحيا .. وعليك يا جهاد أن تسافر لبلادنا كما وضحت لكم ، فبعد وصولي وتقديم تقرير سفريتي سأتصل بزياد ليرتب معي بسفركم لكوبا ؛ لتصفية أملاكه بمساعدتنا ونقل أمواله لبنوك أخرى ، والحصول على مذكرات الوالد.

انتهى اجتماعهم ودعاهم حبيب عارف إلى قاعة مطعم محترم بعد أن رتب معه منذ الصباح لوجبة غداء ، ولما انتهى الكلام حاول زياد والكوبي التملص من الدعوة ، وأمام إصراره انتقلوا للمطعم وقاعة الأكل المخصصة للأسر ، وحاولت زكية الانصراف ، فرفض حبيب اعتذارها ودخلوا قاعة الطعام ، وقدم لهم ما يشتهون ، وما طلبه حبيب ، فولائم حبيب متكررة

لضيوفه وزواره خاصة من الذين يأتون من أماكن بعيدة .

وبعد الغداء تفرق القوم ، وتقرر أن يذهب جهاد لمكاتب شركة سام للبدء بخطوات التوكيل وتوقيع العقود والسعي لأخذ تأشيرات السفر من سفارات كوبا ، والتوكيل يحتاج لتوثيق من محكمة مدنية ، وليودعوا المحامي الكوبي الذي سيعمل الإجراءات المطلوبة لهم في كوبا ، فالمحامي راؤول سيسافر إلى إسبانيا ومنها إلى كوبا. لا توجد سفارة لكوبا في عنبس ، ولا رحلات طيران مباشرة بين القطرين.

انصرفت زكيه لمعرضها وهي في حالة نفسية محطمة ؛ كأنها لم تستوعب الخبر بحياة نجيب كل تلك السنين ، وغير مصدقة أن نجيب تركها كل هذه السنين ، ثم بعد تأمل تعذره .. حياته أهم من الحياة معها ، وتحت الرعب ، وقد عانى من ذلك أثناء عيشهم بين ألغام بيروت .

قال جهاد وقد لاحظ اضطرابها : أتحتاجين لطبيب؟

تضاحكت وقالت : هذا الفعل كان أبوك بحاجة إليه .. أنا خير من يعرف الذي كان يحيط به كان مرعوبا وإن تظاهر بغير ذلك .. يرى كل غريب يدخل عليه إسرائيلي متخفي أو حتى امرأة آه! لو رأى مع الداخل حقيبة أو كيسا تخيله قنبلة موقوتة .. وينزعج من دخول العيادة رجل معه مسدس أو كلاشنكوف أو قنبلة يدوية .. واذا سمع باغتيال لمناضل فلسطيني من القامات يهمس لي : دوري قرب يا زكية أولئك الملاعين لا ينسون ثأرهم ؛ ليس محبة بالضحية وأهلها ؛ بل ليقال إن إسرائيل لا تنسى قتلاها وأبناءها ؛ كما يبتزون أموال ألمانيا باسم الهولوكوست .. كان مرعوبا.. الكثير من القيادات والأعلام اغتالتهم إسرائيل في بيروت .. فمنهم غسان كنفاني اغتيل في تموز ١٩٧٢ في بيروت بعبوة ناسفة وضعت في سيارته في نيسان ١٩٧٣ اغتالت الموساد ثلاثة قادة في بيروت محمد يوسف النجار كمال عدوان وكمال ناصر في عملية سميت عملية فردان ، في عام ١٩٧٩ اغتيل علي حسن سلامة بتفجير سيارة .. وغيرهم ممن لا أذكرهم نسيتهم مع خضم هذه الحياة وحدثت كثير من المواقف والنهافات تدل على انزعاجه وخوفه كنا اذا طرق أحدهم علينا البيت قرب منتصف الليل نذهب في خوف وقلق ولا نفتح متظاهرين بالنوم العميق .. لأن الحماية الفلسطينية للمهددين والمتعقبين وحتى القيادات ضعيفة ومزاجية احتاج لبعض الوقت حتى استوعب المغامرة الكبيرة التي قام بها أبوك .. أشياء كثيرة لم أفهمها إلا اليوم ..أنا تزوجت أباك في بيروت ولما رحلنا عنها كان عمر وردة عشر سنين .. وكان

عمره من عمر وردة اليوم.. فلا أعتقد أنه تزوج الكويتية رغبة في النساء ، وأنه وقع في غرامها ؛ لنقول إنه أراد التخلص من أمك .. هي امرأة سمراء لما رأيت صورتها تذكرتها .. هو تزوجها من أجل تأمين رحيله وتأمين جواز سفر كويتي باسم جديد .

ـ هل تحبين أن أوصلك للمعرض ، واحضر العم بلص لأخذ سيارتك.

قالت : المسافة قصيرة .. صدق أني تقبلت القصة بصدر رحب .. كان نجيب يبحث عن حل وها هو وجده مع الكويتين .. اليوم عرفت مصير أبيكم ، وأنه لم يقتل أو يخطف في قبرص .. ولولا أن الرجل قال إنهم حرقوا جثته على حسب رغبته ووصيته لسافرت إلى قبره .. لقد أحببته وأخلصت له في مدينة إباحية كبيروت ذلك الوقت.. مع أنه لم يكن مخلصا ؛ ولكنني أكبرت فيه حمله لقضية الشعب الفلسطيني ونضاله في فترة العنفوان الثوري والنضال العالمي من أجل قضية فلسطين والعمل كجاسوس من أجل أمته وقوميته .

قال : هذه هي الصفحة البيضاء في تاريخه ؛ كان شيوعيا ملحدا ، لا يؤمن برب لهذا الكون يا أمي !

الملحدون في بلادهم تركوا الكفر والإلحاد ، وعادوا لكنائسهم وها هو بوتين ابن المخابرات السوفيتية يعود للكنيسة الأرثوذكسية الكنيسة الشرقية.

قالت : سياسة يا ولدي .. هل تظن من ربيب المخابرات الروسية أن يعود لجلده ودين ؟



قصص وحكايات الفوارس

زهلول في ارض الجآن

الحلقة ٢

عندما خرج برهود وزهلول من مجلس الأميرات قاده إلى حديقة من حدائق القصر ، والقيا بجسديهما على الحشائش الخضراء وقال زهلول : يا صديقي هل هذه الملكة الفاتنة متزوجة ؟!

حدق الجني برهود في صاحبه الإنسي وقال : لا ، فهي لم تتزوج بعد .

فقال زهلول بدون وعي : وهل يمكن لإنسي أن يتزوج امرأة من الجن .. من ملكة ..هل ترضى بي .. أنا الغلبان ؟! .

ضحك برهود طويلا ثم قال : صديقي الإنسان لعلك عشقتها من جلسة ؟!

قال زهلول : لا أعلم بالضبط ، بدأت أحلم بالزواج من جنية من الملكة شهلا ، إنها رائعة الحسن والأدب .. قد أكون عشقتها من أول نظرة يا صديقي ! ولكنها ملكة .. ألا تساعدني يا صاحبي في تحقيق هذا الحلم الكبير؟!

كف برهود عن الضحك والابتسام ، وأدرك أن صاحبه يتحدث بجدية فقال : يا زهلول! لا تندفع وراء عواطفك ، فهذه ملكة ، وأنت إنسان لا يستطيع الحياة في بلاد الجآن ، وأنت جربت بعضها رد زهلول العاشق للجنية شهلا : قلبي يقفز في صدري .. فلابد أن تساعدني لعلها ترضى بي آه! وقع حبها في نفسي .. اعرض أمري عليها .

قال برهود بعد صمت طويل : أنا خادمك أيها الشاب ؛ ولكن الأمر شديد وصعب ، وسأحدث زمردة بهواك المفاجئ والعجيب !

لما علمت زمردة بعشق زهلول للملكة شهلا أصابها ذعر واستغراب ، وقالت لبرهود : أرى أن الأمر شاق ، فاصرف صديقك عن التفكير بهذا حتى لا يبقى شقيا طول حياته .

فقال برهود: قد فعلت ؛ ولكنه مغرم بها غراما أدهشني ، وشككت بحبي لك أمام وله .. وهو صديقي يا أميرتي! ومنقذ حياتي ؛ فأنا مدين له بها .. متى تدع الملكة المكان؟

قالت: مضى أربعة أيام منذ مجيئها ، وبقي ثلاثة أيام لرحيلها .. من أجلكما سأكلمها بالخبر؛ وإذا غضبت لا دخل لي فيما يجري لصاحبك .. ولكن كلمه مرة أخرى لعله ينثني عن هواه الغريب ألم يجد عشيقة ليعشقها إلا الملكة شهلا بنت همام بن هدهد من أكابر ملوك الجن الأزرق.. الملكة أخت الملكات وأخت الملوك؟!

فكلمه الأمير مرة أخرى مبينا له خطورة هذا الزواج وصعوبته ، فوجده قد ازداد هوى وهياما بها ، فتجرأت زمردة وفي سهرة ليلية قالت لها : يا مولاتي الملكة! سأتكلم معك بأمر خطير وحدث فجأة ، وأرجوك أن لا تتضايقي مني لجرأتي في الحديث فيه .

ابتسمت الملكة وقالت : يا صديقتنا زمردة ! تحدثي بما شئت ، ومهما كان الأمر خطيرا لن نتضايق منك أيتها الأميرة الهاربة . وضحكت مداعبة لصديقتها فقالت زمردة : هذا الإنسي زهلول! .. وسكتت قليلا ثم قالت: عندما رآك أيتها الملكة الجميلة كأنه وقع صريعا في غرامك، ويطمع بالزواج منك ، وقد بذل الأمير برهود قصارى جهده لصرفه عن ذلك الهوى المفاجيء .

صمتت الملكة طويلا ثم قالت: فعلا هذا أمر خطير ومهم!!..وقع في غرامي! .. وكيف سأتزوجه؟! وكيف سأترك مملكتي؟! ..بل كيف يرضى والدي الملك همام بن هدهد أن تنكح ابنته انسيا؟!

وكذلك أمي وإخواني المغاوير ..الملكة شهلا تتزوج من انسي !..دعيني أره وأكلمه يا أميرة فردوس !!
كانت فردوس تسمع الكلام وهي في غاية الانبهار والقلق ، فأرسلت وراءه ، فهرع مسرعا ورمى نفسه عند قدمي الملكة وهو يبكي وينتحب ويقول: لا أدري أيتها الملكة عشقتك من النظرة الأولى وهمت بك ، ولما سمعت كلامك اللطيف ازدادت نار الهوى في فؤادي ، فبربك ساعديني .
فقالت الملكة بكل هدوء : يعجبني حبك لي يا زهلول الجميل !! .. فأنا ملكة ، وابنة ملوك عظام ومملكتي بعيدة .. الخيول الطيارة تقطع المسافة إليها بأسابيع ، ولو تزوجت منك فلسوف تشقى وتتعب ، فلا أستطيع ترك بلادي للحياة في بلاد الأنس .. فأنا من جنس وأنت من جنس آخر .
وازداد نحيب زهلول العاشق حتى أشفقت عليه الأميرات، وتشفعن له عند الملكة ، فقالت : في العام القادم عندما أزورك يا أميرة فردوس يكون عندي الجواب وأكون قد تأملت جيدا الزواج من انسي.. فلتصبر أيها الشاب المحب.. عليّ أن أفكر تفكيرا عميقا من الزواج من انسي مثلك .. وديع وصادق .. وتكون أنت قد ترويت في حياتك القادمة .
ودع زهلول المحب الأميرات على أمل اللقاء بعد سنة حالما بالزواج من ملكة حسناء فاتنة للبه وقلبه، وحمله برهود وطار به لأرض الأنس، وهما في عنان السماء قال له برهود : أين تريد أن انزل بك ؟
فصاح زهلول: لست أدري يا أخي الجني!.. هل أعود لبلدي الماء؟ .. وماذا أفعل؟ أم تهبط بي في بلاد الهند أم بلاد الثلج ؟..أم بلاد ما وراء البحار؟ قل لي أين اذهب؟!
فأجابه برهود : سأهبك مالا كثيرا يا زهلول! وعد إلى بلدك وابن قصرا لك .. واشترِ دكانا في السوق واتخذها مقرا لتجارتك ، واشتر الثياب وتاجر بها
فقال زهلول : أحلام جميلة .. وأهلي.. أبي .. وزوجة أبي .. وأختي .
قال الجني: اخف نفسك ، ولا تظهر للناس أنك زهلول ابن مدينتهم الغلام الهارب .. سأنزل بك في مدينة الحرير، واشتري لك قافلة منها ، ونسير معا لبلادك لتفتح متجرا ، ومن ثم نبني لك قصرا ، وتظاهر بأنك ابن تاجر كبير من بلاد آسيا تريد الاستقرار في هذه المدينة، وتقرب للتجار والأمراء بالهدايا والإحسان ، فستجد نفسك من سادة البلدة .
كان زهلول يسمع أفكار صاحبه الجني وهو يحلم فرد فقال: والله أفكارك جميلة يا صاحبي !
هبط برهود في مدينة الحرير، وجهز قافلة من مائة

بغل محملة بالثياب ذات الأشكال والألوان، وخمسين غلاما وعبدا وخيمة من الحرير للسيد زهلول وخيام للغلمان ، وبدأت الرحلة لبلاد الماء وكان برهود قد ألبس صاحبه حلة من الحرير الخالص مطرزة بخيوط الذهب والفضة ، وجعل على رأسه تاجا مرصعا باللؤلو الصغير والعقيق يخطف العيون ، وكسا غلمانه ثيابا جميلة ولزهلول بغلة صغيرة عليها سرج ثمين ، وعلى خدمته وخدمة البغلة عشرة من العبيد والغلمان وبعد شهور من السير والتنقل بين المدن والقفار دخلت القافلة مدينة الماء ، وحطت الرحال على أحد أبواب المدينة وأرسل غلامه المقدم على الغلمان جروان إلى سوق التجار يخبرهم بقدوم التاجر الشاب زاهر بن التاجر شرف الدين لأول مرة لهذه المدينة رغبة في التجارة والاستقرار بها ، فذهب جروان إلى كبير تجار المدينة واطلعه على خبر سيده ، واستأجر مناديا ينادي في الأسواق معلنا وصول التاجر زاهر لبلاد الماء ، وهو من تجار الحرير المشهورين في الدنيا ، فهرع إليه التجار الكبار والفضوليون، وهناك شاهدوا خيمة التاجر زهلول الحريرية التي تبهر الأبصار والعقول، ورأوا خيام غلمانه وخدمه وبغاله، فرحب بهم التاجر زاهر وأكرمهم بالطعام وألوان العصائر والحلوى، وأهدى لهم الهدايا، وتفرجوا على بعض الصناديق المحملة بالثياب المزركشة ، ولما انتهت الفرجة صاح بهم زاهر : يا تجار مدينة الماء.. أنا التاجر زاهر الدين بن التاجر شرف الدين تاجر الحرير المعروف في بلاد ما وراء النهر المجاور لبلاد الصين والهند تركت بلادي الجميلة وتركت أهلي وخلاني ؛ لأسكن هذه المدينة ، فاشتري وأبيع الحرير والثياب من جميع الألوان ومن جميع بلاد الدنيا، فأين كبير تجاركم ؟

فتقدم إليه شيخ كبير صائحا : أنا كبير تجار مدينة الماء أيها التاجر الشاب الصغير .. وأهلا بك في بلدنا وعلى الرحب والسعة، وحياك الله ، وعسى أن تتحسن التجارة بقدومك ومقدمك علينا فنحن بلد فقير وأكثر أهله جياع .. فماذا تريد؟!

قال زاهر: حياك الله يا كبير التجار! ..أرغب بدكان واسع كبير في سوقكم يليق بما معي من الأحمال ، وأرغب بمكان لأبني عليه قصرا ، ومهما بلغ الثمن ؛ فإنني أدفع أيها السادة الكرام !

فقال كبيرهم : سندبر لك الدكان ومكان بناء القصر يا تاجر الزمان؛ ولكن أمهلنا عدة أيام .

فقال زاهر كأنه تاجر عريق: بأسرع وقت يا كبير التجار! فأنا لا أحب أن يبات الغلمان في الخيام

قال التاجر: صباح غد ندور بك في المدينة ؛ لتختار المتجر المناسب ، وأرض القصر الذي ترغب ببنائه .. فكلنا في خدمتك أيها التاجر الكريم .

بعد حين كان قصر التاجر زاهر قد انتصب على أرض مدينة الماء بواسطة برهود وأصدقائه من الجن ، مما أدخل العجب والدهشة في قلوب سكان المدينة في سرعة بنائه وجماله ، واشتهر التاجر زاهر الدين بسرعة في المدينة ، وبدأ علية القوم يزورون متجره وقصره الجميل ، وهو ينعم عليهم بالهدايا والثياب ، فقافلة غادية وقافلة آتية، وكثر الغلمان ،وأصبح للقصر حرس ، وزاد عدد الطهاة والسقاة، فكان يجلس في الدكان إلى نصف النهار ، ثم يعود لقصره ويترك كبير الغلمان جروان ومعه عشرة غلمان يديرون المتجر ويستقبلون القوافل، وغلامه صقر يسافر إلى بلاد الحرير مع سبعين غلام لجلب الثياب والمتاع ، وكان يقضي مساءه في السهر مع الأصدقاء والضيوف من هنا وهناك، ووضع يوما لفقراء المدينة يستقبلهم ويتصدق عليهم بالطعام والمال، وكان في هذه المدة قد اكمل بناء قصر للخدم والغلمان والحرس والجواري، وزار أخته تينة وأحسن إليها من غير أن تعرفه، وتعرف على أولادها الصغار ، وزار والده فوجده ما زال على سوء خلقه ، وطلب منه زيارة قصره ليهديه بعض الأشياء ، وشاهد زوجة أبيه التي عانقت قدميه ، وبكت وشكت الفقر والحاجة ، وزاره الملك في قصره وحسده الملك وحاشيته على ما فيه من الخير والنعمة والثراء ، فأعطاهم زاهر ووهبهم هدايا الذهب والعطور النادرة والثياب الناعمة ، ودعاه الملك لزيارة قصره ، وهو يقول : لنا شهور نسمع أخبارك أيها التاجر الشاب زاهر الدين! فلم تزرنا في قصرنا العامر أم لعلك تحلم بأن تصير ملكا مكاننا؟!

قال زاهر : لا ، يا سيدي! معاذ الله أيها السلطان ؛ ولكني لا أحب زيارة الملوك والوزراء ، وقد أرسلت لك أكثر من هدية مع الأمراء والوزراء .

فصاح الملك منكرا وصول أيّ هدية : لم يصلني منها شيء ، وكنت في انتظارك عندما سمعت أخبارك .. ونهض الملك واقفا وهو يقول: وأنا في انتظارك في القصر غدا .

فقال زاهر: يا مولاي الملك اعذرني .

فصاح الملك متعجبا رفضه : ويلك !! ترفض زيارتي وأنا ملك هذه البلدة .. إن لم نرك في مجلسنا سأدمر قصرك .. الملك يزورك ولا تزره .

قال زاهر: سيأتيك الليلة سيدي برهود ويتفاهم معك .

وخرج السلطان حانقا على التاجر الذي يرفض زيارته، وقام برهود بزيارة الملك وأقنعه بعدم رغبة زاهر بالزيارة ، فاستسلم الملك وقنع بما حصل عليه من المال والثياب ، ولما رجع برهود من عند الملك قال لزهلول : هل نسيت الملكة شهلا بانشغالك بالمال والذهب والحساب ؟

تنهد زهلول وقال : لا ، يا سيدي .. متى نسافر ؟
قال برهود : الليلة مع الفجر .
فاجتمع زهلول بقيم قصره سروان وأوصاه على القصر والخدم والغلمان مدة غيابه ، وأوصى جروان على الدكاكين ، وركب هو وبرهود حصانين حتى ابتعدا عن المدينة ، وفي أحد الاصطبلات أودعا الحصانين ، واعتلى زهلول ظهر برهود وطار به إلى قصر الأميرة فردوس التي أطلعته على خبر قرب قدوم الملك همام لوالد الأميرة زمردة متشفعا بزواجها ، وقد فرح زهلول لهذا الخبر ، وعلم أن الملكة شهلا خلال يومين ستكون في قصر فردوس ، كما أخبرتهم بذلك جارية الملكة الجارية بدر .
وأقبلت الملكة بعد يومين فعلا ، فوجدت القوم بانتظارها ، وبعد التحية والسلام ، قالت الملكة شهلا : يا زهلول ..هاك كيسك فقد أحضره فرساني من عند الملكة جمهرة .
فتناوله زهلول وأظهر شكره وامتنانه للملكة ولفرسانها ، وقال برهود : وكيف يا مولاتي الملكة ؟!
فقالت وهي تبتسم : اتصلت بأخواتي واخوتي وأخبرتهم بقصة الكيس العجيب، ونشروا الخبر بين اتباعهم ، وبعد زمن جاءنا الخبر ، وأنه في حوزة الملكة جمهرة ملكة من ملوك جن البحر، فذهب إليها فرساني وأخذوه من غير قتال وحرب، واعتذروا لنا وذكروا لنا أن الملكة كانت يوما في تلك المدينة ، وسمعت بالكيس السحري بحوزة ملك تلك المدينة ، فبعثت تابعين لها وأحضروه من حجرة الملك ، ثم صمتت لحظات تحدق فيها بوجوه السامعين ، ثم قالت : فقط هذه هي قصة الكيس ، وأما أنت يا برهود فوالدي الملك همام سيزور الملك جلاد هود من أجلك قريبا ، ومن أجل عزيزتي الأميرة زمردة .. وأما أنت يا أميرة فردوس لقد أقنعت أخي شهابا بالزواج منك ، وهو قادم مع أبي ليراك .
فقامت إليها فردوس وقبلتها بشكر وامتنان وقالت : وهذا القصر .. وزيارتك السنوية لي؟!
فابتسمت الملكة شهلا ونظرت في عيني زهلول الصامت وقالت مفاجأة للقوم بقرارها: أنتم ستزوروني في قصري ، وأنا مع الشاب الجميل زهلول الذي فكرت بالزواج منه ..الزواج من انسي مثل زهلول الناعم !
فقبل زهلول قدميها وبكى بين يديها من شدة الفرح وقال: كم أنا سعيد بموافقتك أيتها الملكة!
فقالت باسمة : لي شروط يا زهلول قبل الزواج منك .
فرد مستسلما : أنا تحت أمرك .. اشرطي ما شئت مولاتي الملكة !

التزمت الصمت دقائق ثم قالت والابتسامة البيضاء على وجهها الحسن: أمام هؤلاء يا إنسي رضيت بك زوجا إذا وافقت على شروطي ، وأولها أن امكث عندك في السنة أربعين يوما فقط وعلى فترتين ، كل فترة عشرون يوما ، وابني قصرا خاصا بنا ، لا يدخله أحد سوانا وجاريتي الخاصة بدر، وعند انصرافي لمملكتي يغلق ولا يفتح حتى أعود إليك مرة ثانية ، وبجواره قصر ترتع فيه كما تشاء لا أدخله أنا أو جاريتي ، وأنت اختر أي مكان في الدنيا لنحيا فيه كزوجين ، وشرطي الثالث أيها الشاب العاشق أن لا تتزوج عليّ إنسية ولا جنية ما دمت حية ، ورابع الشروط إذا رزقنا بأطفال أنا أربيهم في مملكتي.. فهل توافق على هذه الشروط ؟

فرد زهلول من غير تأمل ونظر: وهل يمكنني أن أرفض؟! ..أنا موافق يا ملكة الروح والجسد!!.

فتمت المباركة لهما وأخذت العهود على الالتزام بالشروط ، وحدث برهود بما فعل لزهلول ، فسرت الملكة من أفعال برهود.. وقالت : إذن فساعد زهلول بتهيئة قصر يليق بزواجنا ، وبعد ستة أشهر بمشيئة الرحمن مالك الجن والانسان سأعود لنحتفل بالزواج ، وأمكث في القصر المغلق عشرين يوما بلياليها ، وأعود لتخت حكمي في بلاد الجن الأزرق .

وأبدى الأمير برهود استعداده التام لبناء القصر ، ومع الصباح انطلقت الأميرات وزهلول وبرهود إلى بلاد الماء ، وعند الاصطبل ركب برهود حصانا ومثله زهلول وتبعهم الجن إلى قصر زهلول ، فرحب بهم رجال القصر من الخدم والغلمان أحسن الترحيب وأقيمت الولائم لهم ، وخلال السهرة أكدت الملكة على شروطها ، وأصر زهلول على الرضا بها والخضوع لتلك الشروط ، ولما غادرت الأميرات المكان قالت الملكة : بمشيئة الرب بعد ستة شهور نتزوج فجهزا القصر تجهيزا كاملا ، وهيئ نفسك لحبسها عشرين يوم في القصر كلما آتي بلدكم .

فقبل زهلول يديها من جديد ، وأبدى هواه وعشقه العارم لها ، فسرت الملكة من حبه واختفت الأميرات، وقد قام الأمير برهود ببناء القصر الخاص للملكة ، وهيئ وأعد بأرقى المتاع والأثاث وجعلت أسواره عالية لا يستطيع تسلقها انسان ، وله باب واحد من حديد سميك ، وزرعت فيه الأشجار والأزهار ، وقد كان قصرا مستقلا وبعيدا عن قصريه الآخرين ، وخلال فترة البناء تزوج الأمير برهود من الأميرة زمردة بعد توسط الملك الكبير همام بن هدهد ، وكذلك جاء الأمير شهاب والتقى بالأميرة فردوس بواسطة زمردة ، ولاقت استحسانا في عينيه ، وطلبها الملك همام

لولده الملك شهاب ، وتم الاتفاق ثم كان الزواج ورحلت لبلاد الجن الأزرق ، وعلى الموعد جاءت الملكة شهلا بصحبة جاريتها بدر ، وشاهدت القصر الصغير الذي شيده زوجها الإنسي وبرهود ، وتم عقد النكاح ، وشهد الأمير برهود وزمردة الزواج ، ومكثت الملكة زوجة الأمير زهلول عشرين يوما ثم ودعته ، وقد استأذنها زهلول على حبس ثلاث جواري على خدمة القصر فقالت : افعل ما تشاء وإلى اللقاء .. واحذر أن يغادرن القصر.

وعلم الأصدقاء والناس أن التاجر زاهرا قد تزوج من جنية ، واسكنها قصره الجديد،

فازدادت رهبة الناس من التاجر زهلول أكثر من ذي قبل ، وسمع الملك الجبار بذلك ، فقدم إليه وهنأه بالزواج ، وسأله عن صديقه الجني برهود ، فاخبره زاهر بزواجه ، وصنع زهلول وليمة عظيمة بهذا المناسبة ، دعا إليها كل سادة المدينة ، وأخرى لفقراء ومحتاجين المدينة ، وتصدق ووهب بمناسبة زواجه من الملكة شهلا بنت همام .

وذات يوم زار زهلول والده فرحب به وقال له : ما أخبار ابنك زهلول ؟

فردد الرجل : من .. من كأني سمعتك تقول زهلول ؟!

فابتسم التاجر زاهر وقال : نعم نعم ..أيها الوالد ..هل عندك من أخباره شيء؟

أجاب الرجل وهو مستغرب بمعرفة التاجر لولده وسؤاله عنه ، وهو قد اختفى عن المدينة منذ سنوات : لقد هجرني ، وهرب من البلد منذ أكثر من ست أو سبع سنوات ، ولا نعلم عنه شيئا ولكن اخبرني ما عرفك بولدي العاق ؟

فقال زاهر : لقد التقيت به قبل مجيئي إلى هذه المدينة ، وقد أوصاني بك خيرا إذا التقينا ، وكذلك على زوجتك القاسية التي كانت تسومه سوء الذل والهوان ، وكذلك على أخته الوحيدة تينة ، وأنا قد رعيت حق وصيته في حقكما .

ثم أكرمه بمزيد من المال والثياب والطعام وأوصى غلامه جروان عليه ، فقد أحب زاهر التجارة وغرم بها ، وبدأ يتنقل مع غلمانه في المدن الكبيرة المجاورة ، وانتقلت شهرته للمدن القريبة ، واشتهر بالعطف والإحسان على الفقراء والأيتام والأرامل ، وعند مضي ست أشهر حضرت الملكة شهلا ، وقضت عشرين يوما في قصر زوجها الخاص بها ، ثم سافرت لمملكتها من جديد وهكذا مشت الحياة وذات مرة وهي منصرفة لبلادها وعند وداعها له قالت: إني قد حملت منك يا زهلول

ففرح بالخبر وطلب منها عند المجيء بعد الولادة أن تحضر ولدهما معها، فوعدته بذلك

وطارت مع جاريتها ، واستمر هذا الحال خمس سنوات أنجبت منه الملكة الجنية خلالها طفلين وقد حاول زهلول إقناع الملكة بالتخلي عن بلاد الجن والاستقرار عنده ، فحذرته من مخالفة الشرط وأن قومها يقتلونها أو يقتلونه، فطلب منها إبقاء الأولاد عنده ، فحذرته مرة ثانية من نقض الشروط ، فحاول تهديدها بالزواج من غيرها ، وأنه بحاجة لامرأة تسكن معه باستمرار وإلى أولاد حوله ، فقالت : إن فعلت سأفارقك إلى الأبد ولن ترى ابنيك أبدا .

فيعود زهلول للصمت ويعود للتوسل والترجي : يا ملكتي العزيزة ! الأيام تمضي لا زوجة ولا أولاد.. خذيني لمملكتك واخفيني فيها ..إنني أحيا في عذاب كل مدة فراقك .. حبك قاتلي .

فتبكي الملكة عطفا وتقول: يا سيدي .. يا مولاي .. الإنسي لا يستطيع الحياة في بلاد الجن ، وأخشى عليك من الغدر من الجآن ومردتها ألم اشترط عليك ووافقت ؟ فلماذا بدأت تتغير ؟!

فيزداد زهلول بكاء وتبكي معه ، فيمكثان للصباح في بكاء وعتاب وندم ، فوقع في نفس زهلول إخفاء ثوبها الذي تطير بها لمملكتها البعيدة ، ووضعها تحت الأمر الواقع ، وهو بقاؤها عنده ، فطلب منها أن تحضر ولديها معها في المرة القادمة ، فهو بشوق كبير لهما ، فهي في كل رحلة تحضر أحدهما ، فألح عليها بإحضارهما معا ؛ ليتمتع باللعب معهما ، فوافقت على رغبته

وكان من عادة زهلول عند حضور زوجته شهلا من بلادها أن يعتزل العمل والتجارة والناس ويترك الأمر لغلمانه يديرون العمل والمصلحة ، ويعتكف في قصره مع الزوجة وأحد الأبناء ، فيستمتعان بالدنيا بالجلوس بين الورود وبحيرات الماء وتحت ظلال الأشجار وسماع أصوات الأطيار ، وأحيانا يرسلان وراء برهود وزمردة ، ويزورون غابة الجن لمشاهدة الأطيار والحيوانات ، وهكذا تمضي أيام اللقاء ، ولما فكر زهلول بالضغط على زوجته الجنية بمنعها من تركه كل تلك المدة أو أخذها إياه لبلادها ارتاح لهذا التفكير ، وبدأ يرسم خطة إخفاء ثوبها السحري ثوب الملكة الذي تضعه في صندوق خاص في قصرها ، ثم ترتديه عند رحيلها لبلادها وهو ثوب من الريش الناعم تطير به مسافات طويلة من أبعد بلاد الجن ـ وهي ممالك الجن الأزرق ـ إلى بلاد الماء ، ثم تؤب به إلى مملكتها بسرعة الريح ، فرتب زهلول الأمر مع إحدى جواريه الثلاث التي سمحت لهن الملكة بالحياة في القصر للقيام بخدمته ، فعلى الجارية أخذ الثوب خفية من صندوق الملكة وإخفائه في

صندوق في قصره الأول الذي يعيش فيه حياته مع الأنس ، هذا ما رتبه زهلول مع الجارية ، ووعدها بالمحافظة على حياتها من أذى زوجته ، وهذه الخطة لابد لها من حضور ولديه حتى لا يضعف ويحزن أمام ضغط الملكة .

وبالفعل عندما أتت الملكة على موعدها كان طفلاها معها ، فالأول ابن أربع سنوات ، والثاني يصغر الأول بعامين ، وقد فرح الوالد بهما فرحا عارما ، وطلب من جاريته أن تنقل ثوب الملكة إلى قصره القديم ، ففي أول نزهة لهما عليها تنفيذ الأمر ، ونفذت الجارية الأمر، ونقلت الثوب كما أراد سيدها زهلول ، ولما حان موعد الرحيل ، وقد حاول زهلول أقصى جهده من جديد إقناع الملكة بالعيش معه باستمرار ، فذكرته بالشروط من جديد ، ولما علمت أن ثوبها السحري قد أخفاه زهلول اشتد غضبها وسخطها من تصرفه الأرعن ، ثم حزنت حزنا شديدا ، وبكت وترجته بإرجاع الثوب ، وأن يشفق عليها وعلى نفسه ، وحذرته من الغدر والخيانة وفي النهاية قالت : يا سيدي ويا زوجي العزيز !! ..لا أستطيع البقاء هنا .. فأهلي لا يعلمون أنني متزوجة منك .. فأبي ملك جبار وعنيد تهابه كل ملوك الجآن ..لا تدعني أكرهك وأبغضك .

فبكى وتضرع وتوسل بين يديها وقبل الاقدام وقال : يا ملكتي ، يا مولاتي ..أنا لم يعد لي صبر على فراقك وفراق الأولاد .. فإن كنت مصممة على الرحيل فذري الأولاد عندي ؛ إني أبوهم كما أنت والدتهم .

فصاحت: أنا لا أصبر عنهم أيها الإنسي ! وأخشى عليهم بنو الإنسان والجآن ..لا أحب الغدر أتريد الزواج ؟ تزوج فأنا موافقة .. وهذا فراق بيننا للأبد كما اتفقنا منذ تزوجنا .

فصاح متذللا : لا أريد سواك .. لا أريد سواك ؛ ولكن ابقِ بجانبي ..ألا يكفي بعد ؟!

صاحت غاضبة : اعطني ثوبي ، ولا تنس أنني ملكة ولي اتباع وجنود ، ولا أستطيع التخلي عن ذلك .

وصمم زهلول على بقائها ، وقد مضى يوم عن العشرين وآخر ، ورأت أن زهلولا مصمم ومصر على الغدر والعناد ، فذكرته بإحسانها إليه ورضاها به ، فأبى أن يسمع لصرخاتها ودموعها ، فتظاهرت بالاستسلام والقناعة والخضوع للأمر الواقع ، وأثناء نوم زهلول أمرت الجنية الجارية التي اخفت الثوب بإحضار الثوب وإلا خنقتها وقتلتها شر قتلة ، فخافت الجارية من شدة غضب الملكة ، وفي ظلام الليل تسللت وعادت بالثوب السحري ، ومن غير أن يشعر زهلول تهيأت الملكة وجاريتها بدر والأطفال للرحيل والعودة لبلاد

الجن الأزرق ، وقد لبست كل واحدة ثوبها السحري ، وكل واحدة حملت طفلا ، وعند ضحى النهار طارتا حول القصر سبع مرات ، ثم صاحت بأعلى صوتها : وداعا يا زهلول .. وداعا أيها الغادر .. وداعا يا زهلول !

وكان زهلول مشدوها مصدوما وهو يبحلق في السماء ينظر إليهن جزعا ، ثم سمعها تصيح : وداعا أيها الزوج الغادر! فأنا ذاهبة لبلاد الجن الأزرق ، ولن أعود ولن تراني .. فالغدر صفة قبيحة.. وإن كنت حقا ترغب بي حليلة فأتني في بلادي، واطلبني من أبي الملك همام بن هدهد ملك الجآن الأزرق .



ثم ارتفعت في الجو وهي تبكي وتصيح : وداعا يا زهلول !

اختفت فرد بصره إلى الأرض وبكى ، واشتد البكاء والنحيب ، وأدرك أنه الفراق الأبدي ، وأغمي على زهلول من شدة الحزن والوجع ، ومرض شهورا ، ثم أقسم بالله العظيم أن يذهب لبلاد الجن الأزرق ، ويطلبها من أبيها أو يموت دون ذلك ، ففرك خاتمه فجاء برهود ، وهو في غاية التعجب ، فأخبرهم زهلول خبره ، فحزن برهود وزمردة على ما جرى .

رحلة زهلول

وبعد سكوت طويل وحزين قال الجني برهود : يا سيدي ! اعلم أنني لا أستطيع إيصالك لتلك البلاد البعيدة بلاد ملوك الجآن الأزرق ، ومن الشاق الدخول إليها إلا بأذن خاص من ملوكها أو بصحبة جني من جنـها ، والرحلة إليها تحتاج زمن طويل ، فنحن الجن قد نصل إليها ببضع سنين ، وإنما كانت الأميرة شهلا تصل بلادنا بسرعة بثوبها السحري ، وكذلك جاريتها بدر ، وأقصى ما أستطيع أن أفعله وأقدمه لك هو أن أوصلك لشيخ الجن جن سلام ؛ فإن أقنعته يا زهلول بعونك ساعدك في لقاء الملكة شهلا بنت همام .

فقال زهلول : لا حياة لي بدونها ، وبدون ولداي ، لقد تعلق القلب بحبها ؛ فإنني أرجوك بكل حب بيننا وصداقة أن تأخذني إليه يا أخي العزيز .

فقالت زمردة : يا زهلول كيسك السحري خذه معك ، لهذه الرحلة ينفع ويفيد .. فخذه معك فالوصول لبلاد الجن الأزرق قد يحتاج منك سنوات وسنوات ، فشهلا الملكة كانت تلبس ثوبها السحري لتقطع آلاف الأميال بساعات .

وقال برهود : سأتركك يومين أو ثلاثة أيها الصديق ! لتفكر في هذه الرحلة الشاقة .. وإذا قررت السفر فرتب أمورك مع غلمانك لأنك

ستغيب عنهم زمنا طويلا ، ثم افرك الخاتم أكون بين يديك أيها الصاحب! لنقلك لشيخ الجن جن سلام ، والوصول إليه يحتاج شهورا من العمر أيها الصاحب .

وعندئذ قالت الأميرة زمردة : أحب نصحك يا أخي يا زهلول!.. فأرى أن تنسى الملكة وتتزوج من بناتك جنسك امرأة حسناء واحدة أو أكثر ، وانشغل بهن ، ودعك من المخاطرة والعناد، وقد تصل إلى هناك بمساعدة شيوخ الجن وملوكهم ، ويرفض الملك همام زواجك من ابنته ، وقد تسبب لها الموت ولولديك .

بكى زهلول وهمس قائلا : ألم تقل وهي تبتعد في عنان السماء وإن كنت حقا ترغب بي حليلة فأتني في بلادي ، واطلبني من أبي الملك همام بن هدهد ملك الجآن الأزرق فكيف الحياة بدونها فعليّ بقبول التحدي والوصول إليها مهما بذلت من الثمن ، ولو خسرت روحي القابعة في جسدي .. يا أخي يا برهود سأرتب أموري وأرسل خلفك لتنقلني لشيخ الجن سلام .. لقد حسمت أمري .

أخبر زهلول غلمانه وحرسه وأصحابه من التجار وابنائهم برغبته في السفر لبلاد الجن الأزرق لجلب زوجته وأولاده ، وأن رحلته قد تستغرق سنة أو خمس أو أكثر، فمن يرغب في البقاء له ذلك ، ومن أحب التخلي والانعتاق فله ذلك ؛ ولكنهم أصروا على البقاء في أعمالهم وخدمته حتى يرجع سالما بمشيئة الله آملين أن رحلته لن تطول ، فسره ذلك وأوصى سروان على القصور والعناية بها ورعاية الغلمان والحرس ، وأوصى جروان على إدارة الأموال والتجارة ، وانتشر خبر الرحيل في مدينة الماء ، فهرع الفقراء والمساكين إلى القصر ولقاء التاجر زاهر الدين، فحث غلمانه على مساعدة الفقراء والضعفاء، وقدم السلطان بنفسه مودعا ومتأسفا على فراقه وسفره لبلاد الجن الأزرق لجلب زوجته الهاربة ، وأوصى وكيله سروان على والده وأخته وأولادها وعلى اخوته الذين ولدتهم زوجة أبيه ، وقد ظهر الأسف والحزن الكبير على سفر زهلول الغريب ، وأشفق الجميع عليه من الهلاك في مدن وديار الجن والعفاريت .

وكثر المودعون وتوافدوا من بلاد شتى ، فقضى شهرا يودع الأصحاب من المدن المجاورة ، وقد حاول بعضهم صرفه عن هذه الرحلة الغامضة ، ومنهم من عرض عليه أخته أو ابنته ؛ ولكن التاجر زهلولا أقسم أن يسعى للوصول لبلاد الجن الأزرق أو يموت دون ذلك ، ولما انتهى المودعون لبس لباسا جميلا ، ووضع كيسه السحري في صدره ، وأمام الفقراء والأحباب المتجمعون قدام القصر فرك خاتمه ، فحضر الجني برهود على عجل وهو يصيح : لبيك يا سيدي زاهر الدين !!

وحاول الفقراء ثنيه عن السفر من جديد بدموعهم ومناشدتهم إياه العدول عن تلك الرحلة الخطيرة ، فأبى وأصر وقال مودعا لهم : إن قدرت لنا الحياة نراكم ثانية ، فقد أوصيت سروان عليكم كثيرا .
واعتلى كتفي برهود فطار به طيرا خفيفا ، وحلق فوق الناس الفقراء الذين ضجوا بالبكاء والصياح لفراقه ووداعه ، ثم اختفى عن الأنظار .. ، ومضت الأيام والسنون ، وبدأ الغلمان بهجر العمل يوما بعد يوم ، وما مضت خمس سنوات حتى انقسم الغلمان على أنفسهم ومات الأمل بحياة زهلول ، وترك صقر السفر بالقوافل ، وقل المال عند جروان وسروان ، وهجرت أكثر غرف القصر ، وما عاد أهل المدينة يسمعون عن زاهر شيئا ولو يسيرا ، فباع الغلمان أثاث القصور رويدا رويدا ، ودب اليأس في النفوس من عودة زاهر الدين ، والانتظار صعب وقاس
بعد أشهر من مغادرته بلدة الماء وصل برهود بزهلول إلى شيخ الجن جن سلام ، وبعد تقبيل يديه وتحيته بألفاظ التبجيل والاحترام قص برهود عليه طرفا من قصة زهلول الذي قلد برهود في تقبيل أيدي الجني الكبير، وروى له حكايته بالتفصيل من الأول حتى وصولهم لشيخ الجن جن سلام ، فتعجب الشيخ عجبا عظيما ، وقد سمع القصة بشغف ودهشة ، ولما انتهى زهلول من الرواية قال : يا ولدي ! حكايتك جميلة وتستحق المساعدة ؛ فأنا جذوري من الجن الأزرق وأنا لا أعرف هذه الملكة الشابة ؛ ولكن أعرف والدها الملك همام ، وأمها الملكة شهدة ، ورغم صعوبة المهمة التي تقصدها ؛ فإنني أرغب بمساعدتك ومد العون إليك، وعليك أن تبقى في ضيافتنا أياما لندبر لك الأمر .
فأظهر برهود وزهلول شكرهما الكبير للشيخ ، وودعهما برهود وقفل عائدا لبلاده وزوجته زمردة ، وبعد أيام ثلاثة طلب جن سلام زهلولا فسقاه شرابا خاصا حماية له من أذى الجن أثناء الطريق لبلاد الجن الأزرق ، وكساه ثوبا رقيقا جدا حافظا له من البرد والحر، ثم قال : أيها الشاب اسمع لم أقول جيدا ، فرحلتك طويلة جدا، وأمامك أهوال مرعبة؛ ولكن عليك بالصبر والثبات وعدم الخوف، فسيقطع بك غلامي مئات الآلاف من الأميال ، حتى يصل بك إلى جبل الصابون، وهناك لا يستطيع المتابعة بك ، هناك حده الأقصى ، فعليك أن تصعد هذا الجبل إلى أعلاه ، ثم تهبطه من الجهة المقابلة ، وليكن مسيرك في الليل ، فالجبل جامد في الليل لين في النهار ، في الليل امش وفي النهار اجلس حيث تكون ولا تتحرك ، لا تنس ذلك .
وأخرج شيخ الجن حذاء وقال : يا ولدي! خذ هذا

الحذاء يساعدك في المشي على الصابون، البسه عند بداية السير على الجبل .. هذا حذاء خاص لاجتياز جبل الصابون ، وعندما تستقر في نهاية الجبل ستجد أسفله نهرا صغيرا فاقطعه ليلا أيضا ، فلا يكون فيه ماء ، وبعد ذلك سوف تصل جبلا مغطى بالزيت، فعليك أن تصعده وتهبطه من الجهة الأخرى ، ولكن هذا الجبل امش عليه نهارا ، فهو سائل وتوقف ليلا فهو جامد ، كلما تصعد منه شيئا ترجعه ، والبس له هذه الثياب حتى تجتازه ودفع إليه ثوب قطع جبل الزيت ، فأخذه زهلول وهو يتمتم بالشكر والثناء لشيخ الجن ، قال الشيخ الجني : إياك أن تغفل عن نصائحي وأوامري ، وعندما تبلغ أسفل الجبل ستلتقي بنهر صغير امش فيه نهارا بعكس النهر الأول ، فهو في الليل نهر وفي النهار نهر لا ماء فيه ، هل أدركت ما أقول ؟

رد زهلول بوجل : أجل يا مولاي الشيخ .

فتابع جن سلام قائلا : حسنا أيها الشاب! وبعد أن تجتاز نهر جبل الزيت ستجد أمامك جبلا آخر جبلا عظيما وكبيرا ؛ ولكنه مغطى بالجليد فيلزمه هذا الحذاء ـ وأعطاه حذاء خاصا بالسير على الجليد ـ واقطع به الجبل الجليدي ، في النهار امش به بطيئا ، وفي الليل يمكنك السرعة ، فلما تنزله من الجهة الأخرى فسترى أمامك بحرا كبيرا فاجلس على شاطئه حتى تمر بك سفينة ذاهبة إلى بلاد الهواء .. ولا تركب إلا بسفينة ذاهبة إلى بلاد الهواء ، واعلم أن كل من يراك في هذه الجبال والوديان يظن أنك جني يحمل رسالة للملك من ملوك الجن أو أمر ما إلى أهل تلك المناطق .. اركب بسفينة ماضية لبلاد الهواء فقط ، وعندما تصلها بسلام اسأل عن شيخ الجن جلمود ، وقل له إنك قادم من قبل شيخ الجن سلام وأعطه هذه الرسالة ـ وأعطي رسالة ـ وهو سوف يساعدك خير مساعدة ، لا تنس كل ما قلته لك ، واحذر أن تختلط الأحذية عليك وأنت تقطع بها الجبال ، وفكر بهذه الرحلة الشديدة قبل الانطلاق ، وإن ترغب بالعودة لبلاد الماء فغلامي جاهز لتوصيلك إليها .



ولما مضى يوم وليلة استدعى شيخ الجن جن سلام زهلولا فخيره بين العودة لبلاده أم مواصلة الطريق لبلاد الجن الأزرق فأبدى رغبته بالاستمرار ، فأمر شيخ الجن غلامه وخادمه المخلص بحمله إلى حيث جبل الصابون ، فطار به أياما وليالي كثيرة ، ثم هبط به عند أول الجبل المذكور، وودعه وقفل عائدا لخدمة سيده جن سلام ، وكان وصوله نهارا فأخرج كيسه السحري ، وتناول طعاما وشرابا

ورقد، وانتظر حتى هبط الليل ، ولبس حذاء السير على الصابون ، وبدأ الصعود على ضوء القمر ، ففي الليل يسير وفي النهار يتوقف وينام ، وتمضي به الأيام حتى اجتاز الجبل بسلام ، وقد بذل من الجهد والتعب الكثير ؛ ولكن رغبته الأكيدة في لقاء زوجته أم أولاده تدفعه على الاستمرار في اجتياز هذه الصعوبات والمشاق ، ثم اجتاز النهر في ظلمات الليل كما أوصاه شيخ الجن جن سلام ، ولما أشرقت الشمس لبس ثياب المشي على الجبل الغارق بالزيت ، فصعده ـ كما علمه شيخ الجن ـ السير بالنهار والاستراحة ليلا ، ومضت الساعات والأوقات والأمور تسير على ما يرام ، ووصل للنهر الذي يلي جبل الزيت فقطعه وتجاوزه على نور الشمس ثم لبس حذاء المشي على الجليد والثلج فكان يمشي ويقطع المسافات بالليل، ويرقد ويستريح ويمشي رويدا رويدا في ساعات النهار ، ولم يعد يحسب ويهتم زهلول للأيام التي يمضيها في هذه الرحلة الشاقة لبلاد الجن الأزرق ، فوصل البحر في نهاية المطاف لينتظر سفينة تنقله لبلاد الهواء ، وقد مرت به سفن كثيرة ؛ ولكنها غير ذاهبة لبلاد الهواء ، وعرض عليه أحدهم أن ينقله لبلد قريب منها ، فتذكر وصية الشيخ واعتذر وشكر ، وبعد طول انتظار ومكث على ذاك الشاطىء أقبلت سفينة كبيرة، وعلم من بحارتها أن اتجاهها بلاد الهواء ، فصعد إليها مع الصاعدين من جن تلك المناطق ، وبعد شهر أو أكثر من المسير في هذا البحر العظيم رست المركب على موانئ مدينة الهواء ، فسأل عن بيت شيخ الجن جلمود فدل عليه ، فدخل على شيخ الجن جلمود وسلم عليه وانطرح بين يديه باكيا متشفعا ، وسلمه كتاب شيخ الجن جن سلام ، فلما قرأه تعجب غاية العجب من وصول هذه الإنسي إليه، وقال : ذه أول مرة أعلم بأن إنسي وصل لهذه البلاد ! يا مرحبا بك ! مرحبا بك ألف مرة ..كيف وصلت إلى هذه الدنيا ؟!

فقص عليه الفتى زهلول حكايته من البداية إلى النهاية ، فتعجب منها شيخ الجن كما تعجب من وصوله ، وقال متأثرا : والله يا بني ! من قطع هذه المسافات حتى وصل إلينا فيستحق منا كل مساعدة وعون ..ابشر بالخير يا سيد زهلول! .. وسوف أساعدك ولكن الرحلة طويلة طويلة ؛ فإذا لديك رغبة بالعودة لدنيا الأنس أساعدك .

فأكد له زهلول الرغبة الكبيرة في لقاء زوجته وأولاده ، ورغبته الأكيدة في متابعة الوصول .

فقال الشيخ لأحد غلمانه: اهتموا به ، وادخلوه

الحمام ، وأكرموه بالطعام والمنام ثلاثة أيام حتى يستريح من وعثاء السفر .. فهذا إنسي يطرق دارنا فتعجب الغلمان من مجيء الإنسي لهذه البلاد ، فقد ظنوه جنيا آت برسالة من عند ملك من ملوك الجن ، فأخذوا ينظرونه بدهشة واستغراب ، فهم بعيدون جدا عن أرض الأنس ، ولم يتيسر لهم المسير إليها ، ولم تدعهم الحاجة للذهاب إليها، ولما انقضت الأيام الثلاثة كان زهلول بين يدي شيخ الجن جلمود يستمع لتعليماته التي تساعده في الذهاب إلى بلاد الجن الأزرق ، فاستمع لها بكل جوارحه وقلبه ، وانطلق الشيخ جلمود بالكلام فقال : اعلم أيها الإنسي أن أمامك صعاب وأهوال ، فأنت بحاجة لقطع واجتياز بحر الدم وبحر الظلام أو الظلمات حيث لا ترى شمسا ولا قمرا منيرا ، ثم بحر العواصف والرياح الهائجة ، وبعد ذلك ستجد بحرا هادئا عليك أن تنتظر عنده سفينة قاصدة أرض الورد والريحان .

فلما صمت شيخ الجن جلمود همس زهلول: بعون الباري رب السموات والأرض ، ثم بمساعدتكم اجتاز هذه البحار بيسر وسلام .

قال جلمود : أرجو لك ذلك ؛ وإنني سأدعو لك في صلاتي لرب الأشياء أن يكون هو المعين لك وحده في رحلتك تلك .. اعلم أيها الإنسي أن غلامي سيحملك إلى أول بحر الدماء فهذا ما يستطيع تقديمه لك ، وعندئذ ستتابع المسير وحدك ، فعليك أن تقطع البحر عوما، وبهذه الملابس الحمراء ـ وأشار لثياب بين يديه ـ التي تغطي جسدك كله من الرأس إلى أخمص القدمين وإذا صادفك في البحر مخلوق ، فقل: أنا رسول شيخ الجن جلمود إلى بلاد الجآن الأزرق إلى الملك همام بن هدهد ، وإذا تعبت يا رجل من العوم فخذ هذا اللوح السحري وافتحه وارقد عليه ويمكنك المشي به ؛ ولكنه بطيء ، واستمر في السير حتى تجتاز بحر الدم ، فاسترح بعد اجتيازه راحة تامة بضعة ليال ، ثم استعد لقطع بحر جديد ، وهو بحر الظلمات بحر شديد العتمة والسواد حيث لا نور ولا ضياء ، فهذه عصا مضيئة ـ وأمر غلامه بأن يدفع لزهلول العصا المضيئة ـ فهذه عصا صغيرة تضيء الظلام حولك فسر على ضوئها حتى تنتهي من هذا البحر المظلم ، وأيضا إذا لقيك أحد واعترضك فاذكر له أنك رسولنا لبلاد الجن الأزرق ، ثم استرح أياما لتقطع بحر العواصف ، فهو أشدها وأخطرها على المخلوقات كلها فهذا القضيب الثقيل ـ وأعطاه الغلام الخادم لشيخ الجن قضيبا صغيرا ولكنه ثقيل ـ امسكه بيمينك وامش به في بحر العواصف والرياح ، ولا تخف من شدة صوتها وعنفها ، واحذر يا بني من النوم والإرهاق ؛ فإذا وقع من يدك هذا القضيب السحري تخسر

نفسك ، وتحملك الرياح الشديدة وتطير بك إلى أرض لا يعلمها إلا الله .. فلا تقطع هذا البحر إلا وأنت مستيقظ نشيط بكل قوة ووعي ، وعندما تخرج معافى وسالما من بحر العواصف والرياح استرح بضعة أيام ، ثم سر إلى الأمام حتى تصل للبحر المائي وانتظر سفينة سائرة لبلاد الورد والريحان ، واسأل عن شيخ الجن هادي بن علام ، فسلم عليه ، وقل له إنك من طرفي وادفع له هذا الجواب ، وهو توصية بك ليساعدك في إكمال رحلتك في البحث عن زوجتك وأولادك من الملكة شهلا بنت همام بن هدهد ـ وقدم له الخادم رسالة الشيخ بعد أن قبلها ، وتناولها زهلول وقبلها كما فعل الجني ـ واذكر له يا بني الشجاع قصتك ليرى أعاجيب القدر وقدرة الخلاق العليم.. ولا تنسى أغراضك ومتاعك ورافقتك السلامة .. قم يا غلام بنقل الإنسي لأول بحر الدم .

وحمل غلام الشيخ زهلولا شهورا وأياما حتى أنزله أمام البحر المخلوط بالدماء الغزيرة ، وودعه وقفل عائدا لبلاده لبلاد الهواء ، وهو يرجو له النجاح في اجتياز هذه البحار المرعبة في أرض خالية .

وارتاح زهلول أياما في هذا المكان الخالي من المخلوقات إلا من طيور عابرة تمر مرور السحاب وكان يأكل من كيسه العجيب ما لذ وطاب من الطيبات ، ثم حمل متاعه على ظهره بعد أن لبس ثياب العوم في هذا البحر ، وألقى بنفسه في البحر متجها إلى وسط البحر ، وقد استعان بلوح شيخ الجن جلمود عند النوم والتعب ، ولم يدر كم من الأيام والليالي قضاها فوق البحر ؟! ولما وصل الجهة الأخرى كان منهكا وقد ضعفت قواه ، فأخذ قسطا كبيرا من الراحة والاستعداد لقطع البحر المظلم ؛ وإذا مر به جني أو أكثر ذكر لهم أنه ذاهب برسالة لبلاد الجن الأزرق من شيخ الجن جلمود ، ولما حان وقت المغامرة ووضع أشياءه في جرابه الواسع وعلقه على عنقه وراء ظهره ، وقبض العصا المضيئة عند اشتداد الحلكة والسواد وانطلق في بحر الظلمات ماشيا شيئا فشيئا ، وقد يسر الله له النجاة من بحر الظلمات بعد أن عانى من السير أثناء الارتفاع والهبوط ، فلما أبصر الضياء خر ساجدا وشاكرا لمولاه ، فقضى أياما أخرى في استعداد لاجتياز البحر الأخطر كما أُعلم ، البحر الذي لا نوم في قطعه ولا غفلة ولا نعس ، بحر العواصف والرياح المرعبة والمزمجرة ، ففي أي لحظة يفقد القضيب السحري سيفقد حياته ، ويخسر كل ما بذله من جهود للوصول لهذا المكان ، فلذلك لما تيقن أنه قد أخذ كفايته من النوم والزاد والراحة أخرج القضيب الثقيل وألقى الجراب على ظهره واقتحم البحر العاصف متوكلا على رب

الأشياء كلها الله سبحانه ، وما كاد يسير بضع ساعات حتى دهمته العواصف والرياح العاتية ، واشتدت المقاومة والدفاع وحب الحياة لدى الفتى زهلول ، وقد كاد القضيب يفلت من بين يديه عدة مرات ، وهو يقبض عليه بشدة ، ويمشي تارة يمنى وتارة يسرى ، وبعد أيام يسيرة ؛ ولكنها عسيرة خرج من بحر العواصف سالما ، وهو في غاية التعب والنعس ، فرمى بنفسه على التراب ، وهو يشكر الإله العظيم على نجاحه وتوفيقه ، وغاب في سبات عميق لا يدري كم قضى من الأيام والليالي في النوم ؟! وكان في كل ساعة ينامها يشكر شيخ الجن سلام على إعطائه ثوبا ناعما يقيه شدة الحر وشدة البرد ، ولما عادت له العافية والقوة اتجه إلى بحر الماء ؛ ليركب سفينة سائرة إلى بلاد الورد والريحان ، وجاءت سفينة كبيرة فصعد إليها زهلول ، واستمرت في المسير ما يزيد عن أربعين ليلة حتى رست في مدينة الورد والريحان ، ثم ودع أهل السفينة ، ومشى إلى منزل شيخ الجن هادي بن علام الذي فوجئ بوصول إنسي لهذه المدينة بسلام ، وتعجب أكثر وأكثر عندما قرأ الرسالة وسمع الحكاية ، ولما انتهى زهلول من الرواية قال له شيخ الجن هادي : يا بني! من وصل لهذه البلاد سالما يستحق منا كل رعاية واهتمام ومساعدة دون إمهال أو تردد ، ولابد بإذن الله أن يتحقق المراد وتعود لك الملكة شهلا والأولاد .

وأمر غلامه الخادم بإكرامه ثلاثة أيام ، ومن ثم المجيء به بين يدي الشيخ الجني هادي ، فقادوه للمغتسل ، فاغتسل وأكل ونام .

ولما قضى زهلول الأيام الثلاثة في ضيافة شيخ الجآن هادي بن علام جلس بين يديه يستمع له ، وهو يشجعه قائلا : لقد قطعت الكثير الكثير من المسافات في بحار وجبال الجآن ، ولم يبق إلا القليل ؛ لتصل بلاد الملك همام بن هدهد الملك العظيم الشأن بين كل ملوك الجن ، فأمامك غابات ثلاث ، مليئة بالوحوش والحيات والطيور المتوحشات ؛ فإذا نجوت من هذه الغابات الثلاث وستنجى بمشيئة الرحمن خالق الأنس والجآن مسير الليل والنهار ، فيبقى عليك أن تجتاز الأنهار الثلاثة نهر الذهب ونهر الفضة وثالثها نهر اللؤلؤ ، وطول كل نهر بضعة أميال ، فحينئذ سوف تطأ قدماك أرض الجن الأزرق ، وهناك تقابل أول الأمر شيخ الجن داود ، وبعد السلام والتحية تسلمه رسالة مني فيها الوصية ، وتروي له قصتك العجيبة مع ابنة الملك همام بن هدهد فهو الذي سوف يساعدك في الالتقاء بها بالملكة شهلا بنت الملك همام ، وأما الآن سأذكر لك كيف تجتاز الغابات ، وتتخلص مما فيها من وحوش من أسود ونمور وفهود وقرود وكلاب وضباع وذئاب وآفات ، بالطبع

سيساعدك غلامي في الوصول لأول هذه الغابات ، وبعدها أيها الشجاع ! تتابع الرحلة وحدك ؛ ولتكن ثقتك بالقوة الأعظم الله كبيرة جدا يا ولدي ! فعندما تصل أول الغابة لا تدخلها إنما اخرج هذا السيف ـ وأعطاه سيفا قصيرا ـ وقل للحارس الجني أنا من طرف شيخ الجن هادي ، وأرغب بمقابلة ملك الغابة وأعطه هذا الطوق أمارة مني ـ وقدم خادم الشيخ طوقا لزهلول فتناوله شاكرا ـ فسوف يأخذه منك وينصرف إلى الملك ثم يعود وحده ، وبعدئذ يقبل وحش ويقول لك: أنا الملك اتبعني .. فلا تصدقه ، وقل اخرج لنا حتى نتأكد ، ولما يقترب منك اضربه بالسيف ، وسوف تسمع صراخا عنيفا ، فلا تخف واثبت كما عهدناك خلال هذه الرحلة الطويلة ، ويستمر الصراخ ساعة من الزمن ، ثم يختفي وعد للحارس حارس الباب ثانية ، وقل له لم يحضر الملك ، فسيذهب إليه ثم يعود وحده ، ثم يأتيك وحش آخر ويخبرك بأنه الملك ، ويطلب منك الدخول ، فلا تطعه ، وقل له اخرج لنتأكد ، ولما يقترب هو الآخر اضربه بالسيف الذي أعطيناك إياه ، وسوف تسمع صراخا حادا يصم الآذان يستمر حينا من الزمن ، فلا تخف منه واثبت ، ثم عد للحارس ثالثة ، وقل له لم يحضر الملك ، فسيغيب بعض الوقت ثم يأتيك وحش ثالث ويقول لك : نعم أنا ملك هؤلاء الوحوش ، ماذا تريد يا إنسي ؟! فقل له بشجاعة وقوة : هات الطوق طوق شيخ الجن هادي ، فلما تأخذه ضعه في رقبته ، وقل أريد أن أقطع هذه الغابة بحمايتك ، ويسلم عليك شيخ الجن هادي ، فاركبه ولا تهب ، ولا تنزل عن ظهره حتى لا تعد تسمع صوت وحش نهائيا ، فتخذ الطوق من رقبته وتنزل عن ظهره ، واشكروه وإياك أن يخدعك وينزلك في الغابة، فعندما لم تعد ترى أشجارا ولا مياه ولا صوت حيوان فاعرف أنك قد اجتزت غابة الوحوش ، واحذر الغفلة والغدر ، وحافظ على سيفك القصير فهو سلاحك المهم في اجتياز تلك الغابات ، وعندما تصل غابة الأفاعي والثعابين لا تخف من فحيحهن وهيئاتهن، وبين له شيخ الجن هادي ما يفعل في هذه الغابة وغابة الطيور المتوحشة .

وحمله غلام الجني هادي إلى أول غابة الوحوش ، فلما وصلها اخرج السيف القصير وتقدم نحو حارس الباب وقال له :اذهب للملك وأعلمه أنني رسول شيخ الجن هادي ، وأعطه هذا الطوق فأسرع الحارس الوحش إلى الملك وأخبره برسول شيخ الجن هادي ، ثم عاد الحارس وحده وهو يقول : إنه قادم إليك أيها الرسول .

وقدم وحش مرعب زمجرته تملأ الغابة يصيح: أنا

ملك الغابة .. أين الزائر؟! .. أين رسول شيخ الجن هادي؟! فأشار الحارس نحو زهلول فصاح الوحش : ادخل أيها البطل ..ماذا تريد من ملك الوحوش ؟

فقال زهلول بقلب أقوى من الحديد: اخرج لنا أيها الملك لنتأكد من أنك ملك الغابة.

وخرج الوحش له ، ولما أصبح أمام زهلول ضربة بسيفه المسلول على أم رأسه ، فصرخ صرخة عظيمة مدوية هزت أركان الغابة ثم خمد فنام ، فذهب زهلول للحارس وقال: يا هذا! هذا ليس الملك اذهب وأعلمه بأني رسول شيخ الجن هادي فأسرع الوحش الحارس إلى القصر ، ثم رجع وهو يقول : إنه قادم ورائي أيها الرسول .

وجاء الصوت المرعب عاليا في الأفق ، وهو يصيح : أنا ملك الوحوش .. أين الزائر؟ .. أين رسول شيخ الجآن هادي؟.. ادخل يا بطل الزمان .. ادخل يا زهلول الإنسان ، مالك خائف ؟! أتحمل مثل هذا السيف وتكون جبانا ؟! .. ادخل .

فصاح زهلول بقلب أقوى من الصخر : بل اخرج يا ملك الوحوش ! لأتأكد منك ومن شخصك .

فزمجر وخرج ، ولما دنا من زهلول فاجأه بالضربة بسيفه القصير ، فصاح الوحش على أثرها صياحا مرعبا، وبعد حين رقد ونام ، هرعت الأسود تزمجر بصوت عال جدا على حدة الصرخة إلى قصر الملك يتسألون عن تلك الصيحات التي هزت الغابة ، فقال الملك : عودوا حيث كنتم أيها الوحوش .. لا شيء .. لا شيء .

وجاءه الحارس وذكره برسول شيخ الجن هادي ، فتبعه الملك بعد انصرافه لمقابلة زهلول ، وهو يصيح عاليا مما قذف الرعب في وحوش الغابة وقال : أنا ملك الوحوش .. أين الزائر؟ أين رسول شيخ الجن هادي ؟.. ادخل أيها الضيف .

فقال زهلول بكل ثبات وشجاعة : اخرج أيها الملك لأتأكد من شخصك .

فخرج الوحش من الباب والطوق معلق في عنقه ، فأخذه عن عنقه ، وقال له الوحش : ماذا تريد مني .. أيها الإنسان؟؟

فقال زهلول وهو يعيد الطوق إلى عنق الوحش: أريد حمايتك ونقلي إلى الجهة الأخرى من الغابة ، ويسلم عليك شيخ الجن هادي بن علام .

فصاح الوحش خاضعا: اركب على ظهري ، فأنت في حمايتي ، ولا تخف يا زهلول

وركبه زهلول ومشى به في طرقات الغابة، والحيوانات تنظر إلى سيدها باستغراب إلى ملكهم القوي يحمل هذا المخلوق الغريب ، وقد حاول الملك أن يغدر بزهلول ، ويدعه في نصف الغابة ولكنه أبى النزول ، وظل ممسكا بالطوق ، وبعد مرور يومين من المسير المتواصل وصل به الوحش

لآخر الغابة ، فأخذ الطوق عن عنقه وشكره ، ورقد في مكان بضع ساعات ثم أكل وشرب من كيسه السحري ، واقترب من غابة الأفاعي، وكم كان منظرها مرعبا لكثرتها واختلاف أطوالها وأشكالها وأحجامها ؟! وفحيحها يقذف الرعب في الأوصال والأبدان ؛ ولكنه بقلبه الذي تمرس على اجتياز الصعاب والأهوال لم يتأثر بها ، وقرب من حارس الغابة ، ودفع إليه الطوق وقال : اخبر الملكة بوصولي ، وأنا رسول شيخ الجن هادي .

وعاد الحارس يخبره بقدوم الملكة ، وعلى أثره جاءت حية كبيرة تتهايل في زحفها من ضخامتها وتضع على رأسها تاجا من الجوهر ، جميل ذو بريق آخاذ، وهي تقول : أهلا بضيفنا أهلا برسول شيخ الجن.. ادخل أيها الصاحب .. ادخل ولا تخف أنا ملكة الحيات.

فقال : اخرجي لنا حتى نصدق أنك الملكة .

فخرجت إليه ، ولما اقتربت منه ضربها بسيفه الضربة القاضية ، فصرخت فترة من الوقت هزت المكان وزلزلت الأشجار، ثم راحت في سبات عميق ، ثم قال زهلول للحية الحارسة : أريد الملكة ، فهذه ليست ملكة .

فذهبت الحارسة ثانية ثم عادت تقول : إنها قادمة أيها الرسول .

وجاءت حية أكبر من الأولى ، وعلى رأسها تاج أجمل وأحلى من تاج الحية الأولى ، وله بريق أشد لمعانا من بريق تاج الحية الأولى ، وقالت مخاطبة لزهلول: مرحبا برسول شيخ الجن هادي! أهلا بزهلول بطل هذا الزمان ..أنا الملكة ماذا تريد مني ؟

فقال : اخرجي لنصدق أنك الملكة .

فخرجت إليه فضربها بسيفه القصير ، فصاحت صيحة هائلة استمرت ساعة من الزمن ثم خمدت أنفاسها ، ثم قال للحية الحارسة : لم تحضر الملكة .



فقالت : انتظر سأخبرها من جديد . وعادت وخلفها حية ضخمة عملاقة تتهادى، وعلى رأسها تاج عظيم تصيح وتولول وتقول : أهلا بالضيف الغالي! أهلا بالبطل زهلول !..أنا ملكة الحيات في هذه الغابة العظيمة .. ماذا تريد منا أيها الإنسان ؟

فقال : أرني الطوق يا ملكة الزمان .

فخرجت وأرته الطوق ، فأخذه منها وجعله في عنقها وقال : يسلم عليك شيخ الجن هادي بن علام ويطلب منك مساعدتي في قطع هذه الغابة والأهوال تحت حمايتك من اعتداء الأفاعي والثعابين .

فقالت مستسلمة : حسنا ، اصعد على متني أيها

الأنسان !
ففعل ، فشقت به الغابة ، والحيات مندهشة لهذا المشهد ، وهو حمل الملكة العظيمة لهذا المخلوق العجيب ، ولما وصل آخر الغابة أثنى عليها الثناء الجميل ، وأخذ طوقه، وجلس يستريح ويستعد لاجتياز الغابة الثالثة والأخيرة غابة الطيور الشرسة .
ولما تهيأ للسفر اقترب من غابة الطيور الوحشية ، وأخرج السيف والطوق ، وتقدم لحارس الغابة وسلم عليه ، وأعطاه الطوق قائلا : قل لمولاك الملك إنني رسول من عند شيخ الجن هادي .
ذهب الحارس برهة ثم عاد وحيدا ، ثم أتى بعدئذ طائر ضخم الهيكل وحام حول المكان ، وهو يصيح بأعلى صوت : يا زهلول ! . . أنا ملك هذه الغابة ! أنا النسر الأحمر ذو التاج المرصع ! ماذا تريد مني يا إنسان ؟!
فصرخ زهلول بقلب كالحديد: ادنو مني يا ملك الطيور؛ لأدقق النظر فيك، وأتحقق أنك سيد هذه الغابة كما علمني شيخ الجن هادي .
فهبط النسر أمامه ، ولم ير معه الطوق ، فضربه ضربة بالسيف ، فصاح النسر منها صياحا مزعجا ، ثم ذهب في نوم عميق ، وقال زهلول للحارس : هذا ليس بالملك .. اخبره بوجودي
فطار الحارس البواب حيث قصر ملك الغابة ، ولما رجع أتى خلفه طائر أضخم من النسر الأول غيم على المكان بجناحيه كأنه غمامة ، فقال له زهلول : اهبط لأراك يا ملك الغابة ! وأتحقق من ذلك .
فلما هبط الطائر الضخم ، ولم يكن معه الطوق ، جرى له ما جرى للنسر السابق ، ثم قال للحارس ثالثة : هذا ما هو بالملك يا حارس الغابة ! أسرع بإخبار الملك بأني رسول شيخ الجن هادي بن علام
راح الحارس للقصر ثم عاد مؤكدا لزهلول بقدوم الملك ، ورفرف على المكان نسر هائل الحجم كأنه سحابة شتاء يصيح قائلا : أهلا بالبطل زهلول ! ..أنا ملك هذه الطيور وسيد هذه الغابة وماذا يريد منا شيخ الجن هادي؟!
صاح زهلول الشجاع : انزل حتى نتأكد من شخصك يا ملك الطيور!
فهبط بالقرب من زهلول وفي عنقه الطوق ، فأخذه زهلول وهتف : أجل أنت ملك الغابة ! ثم وضعه في عنقه مرة أخرى وهو يقول : يسلم عليك شيخ الجن هادي ، ويقول لك ساعديني في اجتياز هذه الغابة .
فقال النسر الكبير خاضعا : أنا رهن أمر شيخ الجن اركب .
فركب زهلول على ظهره ، فطار به حتى قطع به الغابة ، وأنزله على جبل ، ثم قفل عائدا لمملكته فاستراح زهلول أياما آخر على ذلك الجبل

العملاق ، ثم تابع سيره جهة نهر الذهب فوصله بعد أسابيع ، فوجد عنده قاربا وفيه جني ، فسلم عليه ، واعلمه أنه آت من قبل شيخ الجن هادي قاصدا بلاد الجن الأزرق ، وإلى شيخ الجن داود ، فأمره الجني بالركوب قائلا : مرحبا بك في نهر الذهب .

ولما استوى زهلول على متن القارب ، وتحرك القارب قليلا دفع الفتى زهلول الجني في النهر، وساق هو القارب بنفسه كما أوصاه شيخ الجن هادي حتى لا يغدر به الجني ، ويأكله في نصف النهر ، وبعد ساعات وصل إلى نهاية النهر، ووجد جنيا آخر في انتظاره ، فأعطاه القارب ، وسأله عن نهر الفضة ، وتركه حائرا في أمره ، وتذكر زهلول أن شيخ الجن طلب منه اجتياز النهر الفضي ليلا ، وما زالت الدنيا نهارا ، فجلس يأكل ويشرب حتى دخل الليل ، فمشى نحو نهر الفضة ، فوجد قاربا ولا أحد حوله ، فتسلل حتى ركبه وفك حبله وانطلق به ، فسمع حينئذ صوتا يصيح : أين أخذت القارب ؟ .. ارجع يا هذا .

فلم يصغ زهلول لندائه ، واستمر بالتجديف إلى آخر النهر الذي وصله مع إطلالة الفجر ، فربط القارب وسار هدفه نهر اللؤلؤ ، وبعد أكل وشرب ونوم خفيف تابع المسير حيث النهر فوصله بسلام ، فوجد مجموعة من القوارب والرجال ، فطلب من أحدهم نقله إلى آخر النهر بقاربه ، فحمله الرجل بقاربه إلى آخر النهر ، فشكره زهلول ووهبه ثوبا جميلا من الحرير أعطاه إياه شيخ الجن هادي بن علام ، فقد دخل بلاد الجان الأزرق ، وقصد زيارة شيخ الجن داود.

فلما استقبله شيخ الجن داود ، وعلم أنه انسي بعد قراءة رسالة شيخ الجن هادي رحب به غاية الترحيب ، وتعجب من وصوله إلى هذه البلاد النائية باحثا وطالبا زوجته شهلا بنت الملك همام بن هدهد أبو الملوك السبعة والملكات السبعة، فاستمع الشيخ الجني لحكاية زهلول العجيبة والغريبة بكل جوارحه وأركانه وبشغف لم يحصل له من قبل ، ولما قال زهلول: وأنا الآن يا سيدي الكبير بين يديك ! ابغي مساعدتك في الوصول لزوجتي وأولادي بعد كل هذه السنوات في المسير لبلادكم وحكمكم .

فقال شيخ الجن : ابشر يا إنسان بنيل المراد .

وأمر خدمه بالاهتمام والعناية به ثلاثة أيام ، ثم قال له : سوف أدبر لك الأمر أيها الأمير زهلول من وصل إلينا يلق كل خير وعون . بعد أيام ثلاثة طلب شيخ الجن داود زهلولا ، فأتى ملبيا على الفور ، وقبل يدي الشيخ الجني



الذي قال له : يا بني وصولك إلى هنا حي أمر غريب وعجيب في بلاد وممالك الجن الأزرق ! وفي نفس الوقت هو أمر خطير .. فهذه أول مرة اسمع واعلم أن إنسيا دخل بلادنا !! فكيف بمن تزوج بامرأة من بلادنا؟! .. بل ملكة من الملكات.. وأيّ ملكة؟! بنت من بنات الملك همام بن هدهد ..! أبو الملوك وأخو الملك وعم الملوك!! فهذه البلاد والمالك لا يستطيع الحياة بها الا الجن الأزرق فحتى الجن الأحمر والأصفر والأخضر لا يدخلونها إلا برسائل بين ملوك الجن فكيف بالأنس؟! واعلم يا بني أن هذه أول بلاد الجن الأزرق من هذه الناحية ، وبيننا وبين أول مملكة مسافة شهر على ظهر الحصان الطائر الذي يسابق الريح ، فممالك الجن الأزرق أيها الإنسان مائة مملكة ، فالملك همام يحكم هو وأولاده على خمس عشرة مملكة ، وأخوه برهان بن هدهد وأولاده عشر ممالك ، وأبناء عمومته ممالك أخرى ، فالجن الأزرق آلاف آلاف الأعداد فأكبر ممالك همام الملك هو حاكمها وسيدها ، ويحكم أولاده السبعة كل واحد منهم مملكة ، وكل أنثى تحكم مملكة، وكلهم ينطون تحت جناحه ، وبما أن جنيتك من بنات الملك همام سنذهب إلى هذه المملكة مملكة الملك الأكبر أنا وأنت وغلامي سفير، وهذه ثياب الجن الأزرق يا زهلول ـ وأعطاه ثياب الجن الأزرق ـ البسها يا زهلول ، والخيل الطيارة بانتظارنا إلى مملكة الملك همام لمقابلة أم الملك ؛ فهي صديقة لي ، وتحترمني كثيرا جهز نفسك واثبت جيدا على صهوة الجواد ، ولا تترك قيد العنق حتى نصل إلى هناك ونهبط على الأرض يا ولدي .

التحقيق الجنائي والجريمة

شارع البحيرة الخامسة

الحلقة ٣

الفصل السادس

لما ظهرت الشمس اتصل عوني برفيقه جرير في منزله باكرا ، ولم تمض نصف ساعة حتى كان التحري الخصوصي يستمع للرائد عوني في مكتب الدكتور جميل المنزلي عن الحادث الذي جرى قبل ساعات، وأحضر لهم الخادم قهوة الفجر، وكانت سيارات الشرطة قد انصرفت بعد استلام الرائد عوني الموضوع ، وقد أمر بإعادة الحراسة للفيلا والمكتب حتى ينتهي التحقيق في هذه الجريمة ، ولما انتهيا من شرب القهوة ، وظلا وحدهما في المكتب الفاره الجميل قال جرير : هل ترى أن هناك رابطا بين الحدثين ؟

ـ هل المجرم لم يتمكن من أخذ ما قتل من أجله الرجل يوم الجريمة؟

ـ أو أخذ شيئا ولم يكن هو المطلوب.

ـ لقد فتحت كل الملفات .. فلم أجد فيها شيئا

مثيرا .. جداول إحصائيات .. فواتير حسابات بيانات جامعية .. أسماء مراكز علمية في الداخل والخارج وغير ذلك من الأوراق التي ربما تكشف غموض هذه الجريمة .. أسماء .. أرقام..

قال جرير : لقد وجدتم باب الفيلا والمكتب مفتوحين من غير عنف ؟

ـ تأكدت من ذلك ، فالبابان مفتوحان بمفاتيح أصلية أو مقلدة.

ـ كما اتفقنا وقررنا سابقا .. المجرم يعرف البيت من الداخل والخارج .. وها هو يثبت لنا أنه يملك مفاتيح الفيلا والمكتب.. ما هو الشيء الذي جعله يسرع بالعمل؟ .. فهو يعلم أن الحراسة رفعت عن الفيلا ، فهو يبحث عن شيء مهم من أجل ذلك خاطر بنفسه بهذه السرعة وهذا يدل على أنه لم يتمكن من أخذ ما يريد يوم ارتكابه الجريمة ، وهذا الشيء يستحق المخاطرة.

فقطع عوني حديث صاحبه: هذا إذا كانت قصة الرجل حقيقية ولم تكن مصطنعة

ـ أتشك في صدقي يا سيد عوني ؟

ـ ماذا يستفيد الخادم من مقتل مخدومه ؟.. وهل كان جميل يبحث عن حراسة خوفا من هذا الخادم ؟.. أشعر بأن الأمر أكبر من ذلك ؟ جريمة جريئة من قلب قوي.. ولكن لهجة الرجل لا توحي بالكذب ..ولما سألت الخادمة قبل قليل أكدت أنها أيقظته ليتصل بالطبيب ، وبعد اتصاله فعلا بالطبيب أخذ يراقب الشارع ، وأثناء ذلك انصرف اللص واتصل بنا ، وكان قد صرخ : يا أم ماهر رجل يخرج من الفيلا ، ثم هبط مسرعا للمكتب فوجده مفتوحا ، وباب الفيلا مفتوحا ، ثم استقبل الطبيب وساقه لغرفة المريض.

فقال جرير مؤكدا خلاصة كلام عوني : علينا أن نفترض الصدق في كلامه حتى يثبت العكس ودع رجالك يسرعون في تحرياتهم عن أهله وأسرته وماضيه .. ومن المهم أن نعرف ماذا أراد اللص من هذه المغامرة السريعة ؟ .. أسئلة مهمة .. هل نسي الرجل يوم الجريمة شيئا فعاد لأخذه أم يبحث عن شيء معين ؟ ..رائد عوني علينا بطلب خبراء لتفكيك المكتب والمقاعد قطعة قطعة قد يكون فيها جيوب سرية .. أو لعلنا نجد خزانة سرية في جدران هذا المكتب .. أين صدقي لنسأله ؟

فنادى عوني الشرطي الذي يقف أمام باب المكتب وقال له : استدعي لنا صدقيا من فوق ؟

فقال الشرطي الحارس : إنه يجلس في القاعة هنا يا سيدي.

ـ فليدخل يا أحمد.

نادى الشرطي على صدقي الخادم الذي أتى مسرعا ، فأدخله على الرائد عوني بصارة وهو يهتف : نعم يا سيدي ؟!

نظر جرير في عيني الرجل وقال : يا صدقي .. أنت رجل طيب ومتعاون جدا مع العدالة ويهمك أن تعرف القاتل الرهيب..

ـ بالتأكيد يا سيدي .. كلي شغف لمعرفة هذا السفاح .. وأخذ يكيل الشتم والسب للمجرم ، وتركه الضابطان على سجيته حتى قال جرير : سيد صدقي.. هل في هذا المكتب خزائن سرية معدنية أو من نفس البناء ؟

فرد الخادم : يوجد خزانة سرية في غرفة نوم الدكتور أو قل مكتبه الصغير الثاني.

ـ هنا .. هنا في هذا المكتب ؟

ـ لا أدري ، لم أره يستعمل خزانة سرية هنا.

ـ الرجل المجهول الذي لمحته يخرج من باب الفيلا الخارجي ، هل كان بين يديه شيء أثناء هربه ؟

قال بعد تفكير قصير :الحق يا سيدي لم أنتبه ؛ لأنني فوجئت به يخرج من باب الفيلا بسرعة.

ـ الخزانة السرية الموجودة فوق من ركبها أو من أي شركة اشتراها يا صدقي ؟

قال صدقي : لا أدري يا سيدي .. فلما تعاقدت على الخدمة مع السيد جميل كانت موجودة.

فقال عوني : لابد أن اسم الشركة الصانعة أو الموردة مكتوب على نفس الخزانة.

فقال جرير : صدقت يا صاحبي .. هل مفاتيحها موجودة ؟

فقال صدقي : لابد أن مفاتيحها ضمن سلسلة المفاتيح التي يحملها الدكتور ، وقد علمت أنكم تحرزتم عليهن ..لأن الدكتور يضع تلك المفاتيح في جيب الجاكيت باستمرار.

فقال عوني : سنرسل وراءها.

واقترب من الهاتف واتصل مع دائرة البحث الجنائي ، وطلب المفاتيح وطلب منهم إرسال خبراء تفكيكك مكاتب وفتح خزائن معدنية وسرية وبحث عن خزائن سرية.

ولما انتهى من اتصالاته التفت إلى صدقي قائلا : شكرا لك يا أخ صدقي .. أخي جرير هيا نذهب لمطعم قريب نتناول بعض الطعام.

فضحك جرير وقال : لابد أنك جائع فأنت هنا منذ ساعات الفجر الأولى.

فقال صدقي : أيها السادة يمكنني أن أقدم لكم وجبة الإفطار.

عوني رد قائلا : نشكرك يا سيد صدقي .. سنتناول طعامنا في مطعم قريب من هنا .. يكفي ما نشربه من قهوتك وشايك ، ولما نعود سنشرب شايا من بين يديك.

وكان الرائد قد أصبح خارج المكتب فقال للشرطي الحارس : احترس جيدا.. نحن ذاهبون للأكل قريبا من هنا ..وهل تحب نوعا معينا من

الساندويتشات يا أحمد ؟

ـ ما شئت يا سيدي.

ـ سأحضر لك ولزميلك طعاما خفيفا .. انتبها جيدا .. وقد يحضر رجال من البحث الجنائي ، فلا تدخلا أحدا هذا المكتب حتى نعود فلينتظروا في القاعة .. صدقي أغلق الباب .. باب المكتب جيدا حتى نعود.

بعدما أكلا في أحد مطاعم حي الشجرة شارع (حسن باشا) عادا أدراجهما إلى الفيلا ، فدفعا الساندويتشات للحارسين، ووجدا في انتظارهما عددا من رجال المباحث ذوي الاختصاصات المختلفة ، وقد جاء صدقي لما علم بعودة الرجلين ، وقام بفتح غرفة المكتب المغلقة ، وقد تناول الرائد عوني من أحد الأفراد مغلفا مغلقا ففتحه ، وأخرج منه سلسلة المفاتيح التي وجدت في جيب جاكيت الدكتور جميل، ودخلوا المكتب وأعطى صدقيا المفاتيح وهو يقول : أي مفتاح الخزانة فيهن ؟

أخذها الخادم ، وأخذ يقلب في المفاتيح مرة ومرتين ثم نظر للرائد قائلا : لا يوجد فيها مفتاح الخزنة ؟!

فقال جرير: أتعرفه ؟

ـ أجل يا سيدي .. لقد كان يسمح لي في بعض الأحيان بفتح الخزنة ..لأخذ بعض المال النقدي منها أو يطلب ورقة أو دفترا معينا.. فأنا أعرف المفتاح مائة بالمائة.

فقال جرير : ولماذا كل هذه المفاتيح ؟

فرد صدقي : بعضها لجوارير هذا المكتب ، وبعضها الآخر لخزائن المركز .. أما مفتاح الخزنة التي في غرفة نومه فهو غير موجود.

فقال عوني : هذا ما توقعته أيها السادة .. من أجل ذلك طلبت خبير فتح الخزائن؛ لأن القاتل أخذ مفتاح الخزنة أو الخزائن ..هذه خطوة سوف تقودنا للمجرم.

التفت عوني لخبير فتح الخزائن وقال : هل أتيت بعدتك يا سامي ؟

فرد سامي : نعم ، يا سيدي.

فقال الرائد : صدقي خذ ساميا لغرفة نوم الدكتور وأره الخزنة .. وعندما تفتح أرسلوا وراءنا

ولما خرجا قال الرائد : وأنت يا غازي! ويا عماد ! المطلوب منكم فك هذا المكتب قطعة قطعة لنرى هل يوجد فيه جيوب سرية .. وأنت يا حسن ورجالك ابحثوا في هذا المكان عن خزانة سرية في الجدران في السقف تحت السجاد والموكيت .. ونحن يا جرير علينا أن نصعد لفوق نتابع ساميا في فتح الخزنة ؛ ولعلنا نتمكن من الحديث مع السيد أسعد.

لحقا بالخبير الشرطي في فتح الخزائن والحقائب والأبواب ، ولم يجد السيد سامي صعوبة في فتح

خزانة المكتب الصغير ؛ لأنها خزانة معدنية سميكة ، ولكنها منتشرة في الشركات والمكاتب ، ولم تكن أقفالها بالمعقدة ، فما كاد الضابطان يدخلان حتى وجدا الخزنة مفتوحة الأقفال الرقمية واللسانية .. كان بداخلها عملات مختلفة عملات نقدية محلية .. ماركات ألمانية .. فرنكات فرنسية .. دولارات أمريكية ..وهي مبالغ على مجموعها لا تتجاوز العشرة آلاف دينار .. أوراق مكتوب عليه باللغة الإنجليزية ، وبعضها بالفرنسي ، ووجدوا كتابا شبيها بالقاموس الصغير .. ووثائق ملكية أراضي وعقارات في مناطق متفرقة من العاصمة والقطر .. أقلام حبر سائل وجاف ثمينة ومطلية بالذهب ، وبينها قلمان مزينان ببعض الجواهر حب لؤلؤ صغير .. ولاعات جميلة .. عقود بيع وشراء أراضي ، ولما فرغت الخزنة ، قال عوني : لا يوجد شيء يساعد في كشف شيء من الغموض المحيط بنا .. عقود بيع وشراء أراضي وملكيات عقارية .. وهذا القاموس .. أقلام.

فقال جرير : تحفظ عليها فلربما نحتاجها بعد قليل

فقال عوني : سيد صدقي هل يمكننا الحديث مع السيد أسعد ؟

ـ لست أدري ، فهو ما زال متعبا .. بل عرضت عليه أن ننقله إلى المستشفى ؛ ولكنه يرفض ويصر على الرفض.

فقال جرير : دعنا نلقي عليه التحية.

فقال الخادم : تفضلوا.

فأمر الرائد الشرطي ساميا بإغلاق الخزنة ، والتحريز على كل الموجودات فيها ، وانتظاره تحت عند الزملاء ، وكان صدقي قد أخبر سعدى برغبة الضابطين بالدخول على السيد أسعد فقالت له : إنه شبه نائم.

فقال جرير : دعينا نسلم عليه.

ودخل الرجلان يتقدمهما الخادمان حجرة السيد أسعد ، وكان الخادم قد وضع لهما مقعدين ، فجلسا يراقبان الرجل الضعيف الذي لم يشعر بتحيتهما .. فقال عوني : ألا ترغبان بنقله للمستشفى ؟

ردت سعدى : نصحه الطبيب ؛ ولكنه يريد أن يموت في البيت ، إنه يكره المستشفيات جدا جدا.

فقال جرير : رزقه الله العافية ندعو له بالسلامة .. هيا بنا سيدي الرائد نرى قومنا ماذا فعلوا ؟ إنه رجل يحتضر..

ولما عادوا لمكتب السيد جميل كانت في انتظارهم مفاجأة متوقعة ؛ ولكن قبل أن يسمعوا المفاجأة رن جرس الهاتف فرفع صدقي السماعة وقال : آلو.. نعم .. الرائد عوني ..آ .. تفضل

وأخذ الرائد عوني السماعة من يد صدقي وقال : آ .. نعم .. ملازم دشمان .. عندك ريما حسان وأبو

سالم .. جيد خذ أقوالهم حول المشاجرة التي جرت في المركز بين السيد أسعد والسيد جميل .. فالآنسة ربما سمعت والد الدكتور يهدده بالقتل .. وكذلك أبو سالم مع السلامة.

ووضع السماعة وهتف قائلا : لقد وجدتم خزنة سرية .. إنها مفاجأة كبيرة..

كانت خزانة مختفية في الجدار بدقة وهي تشبه الخزانة في الطابق الأعلى ، بل أكد سامي أنهما من نفس المصنع ونفس شركة التجارة ، وكانت الخزنة في زاوية الحجرة بالقرب من الشباك الكبير في الجدار المطل على الحديقة ، ومخفاة بأوراق مصورة كبيرة ملصقة على الجدران تشكل غابة كبيرة من الأشجار وصور الحيوان لا يكتشفها إلا خبير ودقيق النظر .. انشغل سامي بفتحها وكان النجارون قد فكوا المكتب قطعة قطعة ، وتحسسوا في تجاويفه فلم يجدوا فيه شيئا خفيا ، فأمرهم عوني بإعادة تجميعه ، ولما فتحت الخزانة الخفية بشكل متقن تقدم عوني ليرى محتوياتها فوجد فيها أجهزة لاسلكي صغيرة ودقيقة ، وكاميرات تصويرية دقيقة مما يستعمل في دوائر الأمن السري والاستخبارات ، وخرائط جغرافية أجنبية ، وبعض الجواهر الثمينة ، وجوازات سفر غير مستعملة لدول مختلفة ، وأختام تخص دول تلك الجوازات ، ولما انتهى عوني من جردها التفت لجرير وقال : ما هذا يا أخ جرير ؟

فقال الرجل باستغراب : هذه أشياء تصيب المرء بالحيرة ؟

فقال عوني بصوت خفيض : هذه أشياء تحتاج لضابط استخبارات يا أخ جرير؟

فقال جرير همسا : هل هذه جريمة جاسوسية ؟

- إنها تبدو هكذا يا صاحبي .. فهذه أجهزة متطورة في عالم الاتصالات اللاسلكية .. وهي أمريكية الصنع .. أغلق الخزانة يا سامي.

وكان الشباب قد انتهوا من تركيب المكتب ، وأتى صدقي بالشاي بناء على طلب عوني ، فتناول الحاضرون أكواب الشاي بصمت ، ثم صرفهم الرائد جميعهم ، وطلب من سامي الانتظار في صالة الفيلا ، وأغلق باب المكتب من الداخل وقال جرير : ماذا سنفعل الآن ؟ .. وماذا سرق اللص ؟ .. أم خرج هاربا قبل أن يصل للخزانة ؟ .. فإذا لم يحصل على مبتغاه سوف يعيد الكرة .. فهو مجرم خطير ولابد أنه يعمل ضمن عصابة أو منظمة سرية .. إذا كانت الجريمة جريمة تجسس ما دور جميل فيها ؟ ولماذا قتل ؟!

قال عوني بعد تأمل وصمت : لا تنسى الصراع الخفي بين الأب والابن .. هو صراع غامض وجديد .. هل عرف الأب أسعد أشياء خطيرة عن ولده ؟ .. لقد ذكر لنا صدقي أنه كان يخاطب ابنه

قائلا " هل أنهيت علاقتك مع هؤلاء الكفار وهؤلاء الأجانب ؟.. لابد أنه رأى شيئا مزعجا.
فأجابه جرير : ماذا رأى ؟! والدكتور كما نعلم دائم التعامل مع الأجانب، بل المركز العلمي يتلقى مساعدات مالية من جامعات ألمانية وأوربية .. ولكن هل يعرف المجرم موقع الخزانة ؟ وهل كان يبحث عن هذه الأجهزة ؟
فقال عوني متأملا : سرقوا المفتاح يوم مصرعه من جيبه ، وحاولوا سرقة الخزانة ، ولكن اشتداد مرض السيد أسعد ويقظة صدقي واستعماله الهاتف أزعج المجرم .. فهرب قبل أن يفتح الخزانة .. ولكن ساميا يقول إن الخزانة قد فتحت قريبا.
ـ حاول فتحها أو فتحها فلما سمع صوت الهاتف أثناء الدق على الأرقام شعر بالخطر فأغلقها وتسلل هاربا.
ـ أو أنه أخذ شيئا آخر يهمه .. أوراق .. فنحن لم نجد أي ورقة أو وثيقة .. سأكتب تقريرا لمدير الأمن ليخاطب الاستخبارات سريعا ، ثم نرى ما يجري بعد ذلك.
جرير : لا بأس بذلك .. ولكن علينا أن نذهب للمركز ونرى الخزانات المعدنية هناك قد نجد فيها شيئا.
فقال عوني : نحتاج لإذن النيابة العامة ، ونحتاج لمحقق من الدائرة الأمنية السرية .. فلنذهب للدائرة الآن.
أمر بإغلاق المكتب ، وأمر سامي بالانتظار ، وانصرف إلى دائرته ثم قابل مدير الأمن وشرح له التطورات الأخيرة ، ولما سمعها مدير الأمن اتصل على الفور برئيس دائرة الاستخبارات العامة وبعد حديث قصير وضع الهاتف والتفت للرائد عوني قائلا : عد لمركز عملك فسيأتيك رائد أمن دولة.. عبدالله أحمد أبو العبد ومساعده النقيب يوسف صابر يوسف.
فشكر الرائد مدير الأمن ، وقفل عائدا لدائرة أمن حي الشجرة ، وقال مدير الأمن لرئيس الدائرة العقيد حمدي حسان : عقيد حمدي .. أخبروني بالتطورات أولا بأول.
ولما استراح الرائد عوني بعض الوقت حضر الرائد عبد الله أحمد أبو العبد ومساعده النقيب يوسف صابر ، ولما التقيا بزميلهما عوني ومساعده دشمان والمقدم المتقاعد جرير وبعد تعارف سريع قال الرائد عبد الله : مدير الأمن سمح للزميل المتقاعد المشاركة في حل غموض هذه القضية لحساب شركة التأمين.
ـ نعم ، هو مكلف بالمساعدة من قبل شركة الحماية التي يديرها اللواء نهري ، والمديرية وافقت على التعاون الكامل بيننا..

ـ أريد أن أسمع شرحا مفصلا منك يا سيدي .. ثم الاطلاع على ملفات الجريمة والأشياء التي صادرتموها من فيلا جميل.

فشرح عوني قصة الجريمة بإسهاب للزميلين ، وكان شرطي قد أحضر ما تم التحريز عليه في فيلا جميل ، وبعدما انتهى الرائد عوني من ذكر ملابسات الجريمة أخذ الرائد عبد الله مندوب دائرة المخابرات يتفقد ويتحسس أجهزة اللاسلكي والكاميرات الصغيرة ، ثم عقب : إنها فعلا أدوات تجسس .. وهي أجهزة حديثة ، ولكن لماذا وجدت في بيت جميل عازلي ؟!

فقال عوني : لما اكتشفنا الخزانة السرية وجدنا فيها هذه الأشياء كلها؟

فقال عبد الله : ذكرت لي أن أحدهم قد قام بفتح الخزانة أو محاولة فتح الخزانة .. ولما شعر بالحركة في الطابق الأعلى غادرها سريعا .. والخادم صدقي لم يتمكن من رؤية أي شيء يحمله بين يديه.

ـ نعم ، لم يتمكن من رؤية شيء .. لأنه انتبه لحركته عندما وصل الرجل الباب الخارجي للقصر

ـ هناك احتمال يا سيدي الرائد أن يكون الشخص قد وضع هذه الأشياء في الخزنة لأمر ما..

بهت الرائد عوني لهذا الاحتمال الجديد ؛ ولكنّ جريرا قال مقاطعا : لقد خطر في ذهني هذا الاحتمال ، ولكن اختفاء مفاتيح الخزانة بعد مقتل جميل يدل على أنهم يبحثون عن شيء ما.

فقال عبد الله : نحن نريد أن نعتبر الدكتور نظيفا حتى يثبت غير ذلك.. فيمكن أخذ المفاتيح لوضع هذه الأشياء لإثارة الشبهات حول الدكتور ، ثم تشويش مجرى القضية .. ولكن يظهر أن هؤلاء المجرمين يملكون مفاتيح للفيلا والمكتب .. فأرى يا رائد عوني أن تسحب الشرطة العلنية ونضع رقابة خفية .. وكذلك نضع رقابة خفية حول المركز ، ما دامت القضية قد أصبحت من اختصاص دائرة مكافحة التجسس .. وكذلك نراقب شخصيات المركز ؛ لأنه هو قلب العمل .. وأنتم تابعوا البحث الجنائي كالمعتاد .. وأنا ويوسف سنتابع حياة جميل الشخصية .. وعليكم سماع السيد أسعد بأسرع وقت ممكن.. وسآخذ ملف القضية لأقرأه أو قد انسخه على الآلة .. وخذ يا سيدي هذه البطاقة لتتصل بي مباشرة .. وسأطلعك من جهتي على أي تطور.

فقال عوني : أمرك يا سيدي .. ولكن الزميل جرير يقترح عليّ زيارة المركز العلمي وتفتيشه وخصوصا الخزائن السميكة الحافظة .. فما رأيك ؟

ـ لا بأس .. وإن هذا قد يلفت الانتباه إلى تحول مجرى القضية .. ولكن ستبقى الشكوك تحيرهم .. خذ أمر النائب العام ؛ لأن المركز تابع لجامعة

أجنبية .. وما جميل إلا مديره ووكيل لهم.

وغادرهم الرائد عبد الله ومساعده ، وقد حملوا معهم الأجهزة والأقلام والأوراق والخريطة الأجنبية والقاموس الصغير ، ولما ابتعدا قال الرائد عوني : كلما نقول اقترب الحل ازدادت القضية تعقيدا .. هل يمكن أن يكون جميل جاسوسا ؟! .. وجاسوسا لأي جهة ؟! .. ولماذا قتلوه إذا كان جاسوسا ؟ ومن قتله ؟!

فنهض جرير قائلا : هيا بنا نسرع بأخذ تصريح النيابة بمداهمة المركز .. فالوقت يمضي ونحن نتخبط لا ندري من أين نبدأ ؟.. لقد نسينا لقاء الدكتور خالد الضبرة والدكاترة الذين كانوا في بيت جميل أثناء الحادث وقتل صاحبهم وهم نائمون.

فقام عوني أيضا وهو يرد على صاحبه : غريب أمر هذه القضية! .. مع أنها تبدو سهلة ولكنها تتصعب .. مالك ملازم دشمان صامت ؟

ضحك الملازم الشرطي دشمان وقال : إذا أنتم الخبراء في التحقيقات البوليسية في حيرة فكيف أنا الضابط الصغير ؟! .. قضية محيرة .. فنحن لم نحدد بعد دافع وسبب هذه الجريمة .. فالدافع في الجرائم سبب أساسي لكشف غموضها .. فالورثة في جريمتنا خارج القطر ، والأب مريض لم نستطع أخذ أي كلام منه .. موظفون لا يعرفون شيئا عن رئيسهم .. ألهذه الدرجة حضرة الدكتور غامض ؟! .. مع أنه ملء أبصار الناس .. ندوات في التلفزيون ، مقابلات في الإذاعة والصحافة ، محاضرات في الجامعات والفنادق ، مؤتمرات علمية، سهرات في النوادي والملاهي

فقال جرير : حتى الدكتور المحامي لا يعرف عنه شيئا ، بل سكرتيره علاقة عمل وبس .. لا يوجد بينهم علاقات اجتماعية ..الدكتور مع أنه تجاوز الخمسين لم يتزوج .. عجيب .. ما رأيك يا رائد عوني بالحديث مرة أخرى مع الدكتور شارل برس .. نسأله عن حياة جميل الخاصة .. عن حياته في باريس الفرنسية ؟.

قال عوني : ونحن منصرفون من المركز العلمي نمر عليه ليلا ، قد نجد لديه جديدا.

وبعد ساعة من عمر الأيام كان بين أيديهم تصريح لتفتيش المركز العلمي في شارع البحيرة الخامسة ، وكالعادة كان في استقبالهم السكرتير فرج المدير المؤقت للمركز ، فرحب بهم ، ولما اطلع على التصريح أرشدهم للخزائن المعدنية الصلبة الخاصة بالمركز ، بل قام بفتحها لهم خزانة خزانة فهو يملك حق فتحها ، وقاموا بتفتيشها ، ولم تكن تحوي إلا أبحاثا دقيقة ووثائق علمية تخص المركز وأموال نقدية وأقراص للحواسيب اطلعوا على بعضها بواسطة أجهزة الكمبيوتر .. وكان

الضابطان قد أخفيا أنهما اكتشفا خزانة سرية في منزل الدكتور جميل ، فحتى صدقي عمران لم يعرف بالأشياء التي أخذوها من الخزانة السرية.

الفصل السابع

كان رائد الاستخبارات والأمن السري للدولة عبد الله أحمد ومساعده النقيب يوسف صابر وعدد آخر من الضباط والخبراء يجلسون حول مائدة بيضوية كبيرة ، وقد وضعت أمامهم الجوازات الأجنبية والأختام والخريطة والقاموس وأجهزة الاتصال الدقيقة الثلاثة وكاميرات التصوير الخمسة والجواهر وأقلام الحبر الثمينة ، وكان الرائد قد قرأ ملف القضية الجنائية لمهلك الدكتور الأكاديمي جميل عازلي مساء يوم الاثنين العاشر من إبريل سنة ١٩٩٥ ، ولخصه أمام الجميع ، ولما انتهى قال : ما ترون يا حضرات الضباط ؟

فقال أحدهم : دكتور معروف في الوسط العلمي والوسط الاجتماعي المرفه .. هل يعقل أن يتاجر بالجوازات والتزوير؟!

فرد عليه زميل آخر : يا صاحبي هذه الجوازات قد تلزم للجواسيس للتنكر والهرب .. فهذه أدوات تجسس من غير خصام أو نظر .. كاميرات خطيرة لتصوير الوثائق والأماكن .. وهذه الخريطة تستعمل في الشيفرة ، وكذلك القاموس .. أرى أن نبحث عن حياة الدكتور الخاصة الدقيقة.

فقال عبد الله أحمد : أحضرنا ملف سيرة ذاتية وعمل الدكتور في الجامعة .. لا شيء عليه .. سلوكه حسن ، دراسته كلها في الخارج .. شخصية نظيفة.. اهتمام كبير بالمؤتمرات العلمية .. رحلات كثيرة .. وإجازاته كلها في أوروبا وأمريكا .. ثم ترك الجامعة بهدوء .. يعشق السهرات والحفلات الصاخبة في الفنادق .. أعزب .. علاقات مثيرة مع طالباته في الجامعة .. ولكن لم يسجل عليه أي قضية أخلاقية طيلة فترة التدريس والعمل بالجامعة .. هذا ملخص ما جاء في تقرير إدارة الجامعة وتقرير موظف الأمن في الجامعة عن الدكتور المقتول جميل أسعد عازلي .. فلماذا قتل هذا الرجل الأكاديمي ؟! ولماذا دخلوا مكتبه بعد موته ؟! ولماذا يملك هذه الأدوات والأجهزة المريبة ؟؟ فمهمتنا الإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة وغيرها.

فقال النقيب يوسف : عندي اقتراح يا سيدي .. علينا أن نختار عددا من أصدقائه القدامى في الجامعة .. أصدقاؤه بعد ترك الجامعة .. طلابه القدامى ..ونجمع منهم أكبر قدر من المعلومات والخفايا .. وكذلك نعرف أماكن اللهو والسهر التي كان يتردد عليها ؛ فلعلنا نصل إلى شيء يضعنا في المسار الصحيح لفك هذه الألغاز.

وفجأة قال أحد الضباط : يا رائد عبد الله .. فمن

عادة رجال العلم الكبار كتابة مذكرات يوميات ..ألم تجدوا في أوراقه شيء من هذا القبيل ؟

نظر الرائد عبد الله لزميله بدهشة وقال : إي والله ! أين دفتر المذكرات الخاص به ؟ .. سأسأل زميلنا الشرطي الرائد عوني بصارة المكلف بتحقيق هذه الجريمة .. المجرم القاتل ذكي ودبر الجريمة بحيث لم يترك وراءه شيئا ؛ ولكن غلطته الأخيرة بزيارة البيت ليلا هي التي طورت القضية .. عندما اكتشف رجال الشرطة ضياع مفتاح الخزانة المعدنية القوية من سلسلة مفاتيح الدكتور ، وتم نتيجة لذلك الكشف عن خزانة سرية مخفية في الجدار والديكور بمهارة .. نبحث عن أجندة مذكرات الدكتور وعن ماضيه وخفايا حياته بأسرع وقت.. فكل منكم يتصل بشخص صديقا للدكتور قديما أو حديثا .. وأرجو أن تجري تحرياتنا بذكاء وسرية كاملة وحذر .. ويقوم رجالنا بالتعاون مع رجال عوني بمراقبة المركز العلمي ومنزل الدكتور سرا .. وأرجو خلال ثمان وأربعين ساعة أن يكون لدينا معلومات كافية ومهمة عن جميل عازلي .. وتفرق الضباط إلى مكاتبهم الخاصة للقيام بمهمة التحري اللازمة لمعرفة المزيد من المعلومات الشخصية عن الدكتور جميل .. وسار عبد الله ومساعده يوسف إلى مركز أمن حي الشجرة للقاء الرائد عوني .. ودار بينهما نقاش وحوار حول الجريمة وحول الأشخاص الذين كانوا على مسرح الجريمة ، وآخر أخبار الرقابة السرية على البيت والمركز، وبعد ساعة انصرف الرائد عبد الله ومساعده ، وقد طلب من عوني البحث عن مذكرات أو يوميات جميل..

اتصل الرائد عوني بعد انصراف ضيوفه على الفور بالخادم صدقي وسأله عن مذكرات الدكتور جميل، فأكد صدقي ذلك وقال : كان الدكتور يهتم بكتابة مذكراته. ووعد الضابط بالبحث عنها ولكن الضابط قال : إني قادم إليك لنبحث سوية.

وخرج مسرعا نحو فيلا الدكتور جميل ، وصعد للطابق الثاني للبحث في المكتبة الخاصة للدكتور المقتول عن مذكرات جميل ، ولقد وجد بعض الدفاتر والمذكرات القديمة للدكتور جميل ، وأما أحداث السنوات الأخيرة من عمره فلم يجد منها شيئا ، ووجد المذكرات القديمة تتحدث عن لقاءات ومواعيد مع شخصيات مختلفة وتواريخ مقالات كتبها للصحف والمجلات والإذاعات لم يكن فيها سيرة ذاتية وأحداث عصفت به ، وقلب المكتبة والمكتب عن مذكرات أخرى ، فلم يظفر بشيء ، ولما تسلم الرائد الأمني عبد الله أحمد أوراق الدكتور جميل، وجلس هو ومساعده يوسف ينظرون فيها، ويدرسونها فلم يجدوا فيها ما يدل على أعمال سرية وخاصة بالدكتور.. إنها خواطر

صحفية أو تعليقات على مقالات صحفية ، وتضبط مواعيد خاصة بشخصيات مختلفة من المجتمع المحلي والقطري وقال عبد الله في آخر الجلسة : يجب أن نعرف لماذا كانت هذه الأجهزة الخطيرة بحوزة الدكتور؟ .. ولا أعتقد أن أحدا يتهادى مثل هذه الأجهزة .. وهذه الكاميرات الصغيرة هي كاميرات تصوير خاصة.. كاميرات تجسس وتصوير وثائق وتصغيرها إلى حد كبير .. وهذه الخريطة حدثني الخبير بالخرائط في مركز فك الشيفرة السرية ربما تستعمل في كتابة نوع من الشيفرة .. فهي تحتوي على رموز وإشارات تختلف عن الرموز المتعارف عليها في الخرائط الجغرافية العادية المنتشرة بين يدي الناس.

وبعد تفكير عميق بين الرجلين عاد الرائد يقول : يا يوسف .. المركز علينا بمراقبته أكثر .. فإن تكن لنا قضية تجسس لابد أن يكون المركز له علاقة بها .. فهؤلاء الأجانب يستغلون هذه المراكز العلمية للتجسس على قدرات الدول الصديقة والعدوة .. قد يكون هذا المركز الغطاء لشبكة تجسس عالمية .. أريد مراقبة رجال المركز بسرية دقيقة وحساسة ..هواتف رسائل أشخاص .. وتقارير شخصية عن كل العاملين من الفراش للمدير ..لا تكفي المعلومات عن الدكتور فقط .. ورفع الهاتف واتصل بالرائد عوني قائلا : سلام عليك .. القضية خطيرة يمكن أن تكون قضية تجسس .. وإن لم يتأكد لنا ذلك .. وقد يكون مصرع هذا الرجل بسبب صراع تجسسي .. ألم يتكلم حضرة الوالد المحترم ؟

ـ لا، بل نقلوه صباح اليوم للمستشفى .. فوضع القلب صعب ، وأخشى موته قبل أن نسمع أقواله

ـ يفعل الله ما يشاء .. اسحبوا رجالكم من حول المركز العلمي .. سيتولى رجالنا المهمة كاملة وسؤال أخير؟

ـ تفضل.

ـ هذا الخادم .. عمران .. هل يتذكر أن أحدا من الناس طلب منه مفتاح المكتب قبل مقتل الدكتور؟ .. وهل كان مسموح لأحد بدخول المكتب بغياب الدكتور ؟ .. وهل استمعتم لأقوال الضبرة ؟!

ـ أتى إلينا ، وأدلى بأقواله ، وأنكر أي قتل للدكتور ؛ بل ادعى أن قتل جميل خسارة له ولبحثه وبينه وبين الدكتور قضية في المحكمة.

ـ اتصل بي بعدما تسمع رد صدقي عمران.

ترك الرائد عبد الله السماعة وقال لزميله يوسف : القاتل .. لابد أنه يملك مفتاح المكتب ، فهو قد قتل الدكتور ، ثم أغلق الباب وخرج بهدوء ، والتحريات تؤكد أنه يعرف الدكتور والمنزل مثل صاحبه ، وكان يعلم أن عند المجني عليه زوارا

ويجلسون في الحديقة فاستغل الفرصة واغتال الرجل.

فقال يوسف : قد يكون القاتل مأجورا ؟

ـ لو كان مأجورا لا يقتل في أول الليل .. فغالب هؤلاء السفاحين يقتلون بعد منتصف الليل وإذا فعلها بالنهار فيكون ذلك في اجتماع حاشد من الناس ليتمكن من الاختفاء بين الناس .

اتصل عوني مساء الجمعة بعد التاسعة بالرائد عبد الله ، وأخبره أن الزميل جريرا تبين له أن الدكتور المحامي وليدا لم يكن دقيقا وصادقا في تسجيل شهادته وأنه قد ترك "الدكتور خضر" وزوجته في الحديقة ، ودخل الفيلا يتحدث بالتلفون، وأخبره أنه اتصل بالدكتورة وتأكد من ذلك ، وأقرت أن الفترة التي قضاها الرجل وحده داخل الفيلا قصيرة ، ثم قاما بترك الحديقة على أثره لشعورهما بالبرد والتقيا على مدخل الفيلا الأمامي ، وكان طبيعيا ، ولا يبدو عليه أثر انفعال وتوتر ، وأن وقت اتصاله كان قبل السابعة بعشر دقائق ، وثبت لدى دوائر الشرطة أن الجريمة وقعت بين السادسة والثلث والسادسة والنصف ، وتقول إنها دهشت لإخفاء المحامي اتصاله ودخوله للفيلا عن المحققين ، ولما سألناه عن ذلك قال إنه غفل عن ذلك الاتصال ، وليس له مصلحة في مقتل الدكتور ، ولم يكتب له الدكتور شيئا في الوصية ، هذا كله ذكره عوني للرائد عبد الله ، ولما سأله عن سؤاليه الأخيرين رد عوني قائلا : نحن نقوم بالتحري اللازم حول المدعو وليد مع أن شهادة الدكتورة تؤكد أنه لم يكن معه وقت لارتكاب جريمة.

فعاد عبد الله يقول : تحروا عنهم جيدا ، فلربما يكون الثلاثة مشتركين في الجريمة ولكن لماذا ؟ هذا ما ستكشفه الأيام القريبة .. هل قابلت أسعد ؟ ومن يسمح له بدخول المكتب في البيت ؟

قال عوني : ذهبت للمستشفى لمقابلته ، وكان أسعد في غرفة العمليات، فيبدو أنه في الساعات الأخيرة كما فهمت من بعض الأطباء ، ولما سألت صدقيا أكد لي أنه لا يمكن لأحد دخول مكتب الدكتور أثناء غيابه ، هكذا التعليمات من جميل .. أما أثناء وجوده فكثيرا ما يستقبل ضيوفه في داخله ، ويمكنه أن يخرج منه ويتركهم فيه لأمر ما ، ولا يترك ضيفا فيه لوقت طويل بالكاد ثلاث أو خمس دقائق .. والدكتور معه مفتاح ، وصدقي مفتاح ليقوم على تنظيفه وإزالة الغبار ومسح المكتب والخزائن والمقاعد وأحيانا تنظيف السجاد بالآلة الكهربائية "المكنسة" ولكنه ذكر شيئا خطيرا أن "الدكتور فرج" صباح الاثنين يوم عودة جميل من السفر ويوم مقتله فيها بعد حضر السكرتير مبكرا حوالي السابعة والنصف ، وطلب منه فتح المكتب

لإخراج ملف اتصل جميل من أجله من روما ، ويجب الاطلاع عليه أثناء استقبالهم له في المطار لأن من العادة المتبعة كلما عاد من سفر أن يتلقاه فرج السكرتير وسائقه الخاص في المطار ليسمع منه عن نشاط المركز ، وفي ذلك اليوم كان معهم المحامي ، واستقبلوه وذهب لمركز عمله ، المهم أن فرجا أتى لأخذ ملف بناء على طلب الدكتور كما قال لصدقي ؛ ولأن صدقيا يعرف السكرتير جيدا فتح له الباب بمفتاحه فدخل ، وقد طلب منه فنجان قهوة ، وأخذ يبحث في الملفات عن الملف المطلوب ، ولما عاد بالقهوة وجد ملفا أمام السكرتير وشرب فنجان القهوة ، وخرج متجها للمركز العلمي وبيده الملف.

ـ صدقي هذا أكيد ترك المفتاح في الباب عندما ذهب يجلب القهوة ؟

ـ سألته عن ذلك فقال : نعم .. فهل تشك يا سيدي بالسكرتير؟

ـ المعلومات التي بين أيدينا تشير أن المصلحة في مصرع الدكتور جميل تعود فائدتها على الدكتور فرج بقيادة المركز .. ولكن الأجانب الذين يمولون المركز هل يرضون إدارته؟ .. ودخول التجسس على القضية يزيد من تعقيد القضية .. وعلى كل تابع تحرياتك أنت والزميل جرير .. وقد علمنا من سكرتيرة فرج ريما حسان أن فرجا هو الذي لفت نظرها إلى والد الدكتور؛ بأنه قد يكون القاتل ، فأحب أن يصل الخبر إليكم عن طريقها ، فحثها على ذكر ذلك لكم كما حدث

ـ لكنها لم تصرح بذلك في التحقيق معها ؟

ـ لا بأس ، فرجالنا في الميدان الآن .. عليك أن تتحرى عمن سرق المسدس من مكتب الدكتور في المركز .. ونريد معرفة سبب اقتناء الدكتور للمسدسات في مكان عمله وبيته .. ونريد المزيد من التحريات عن سبب رغبته بطلب حراسة وحماية لشخصه بعد كل هذه السنوات في إدارة المركز .. وسألتقي بك مساء يوم السبت للتداول والحديث .. ولابد أن يتوفر لدينا المزيد من المعلومات عن شخص جميل شكرا.

وترك السماعة بعد هذه المكالمة الطويلة وقال لنفسه : أخشى أن تكون هذه المكالمة مراقبة من أجهزة الخصوم والأعداء! .. ولكننا نجري دائما الفحوصات اللازمة حول مراقبة خطوط دائرتنا.

ونزل الرائد حيث مطعم الضباط أو نادي الضباط ليتناول طعاما ، ويسهر مع زملاء المهنة ، وبينما هو يتسامر مع زملائه حضر مساعده النقيب يوسف وأسر في أذنه خبرا صغيرا فقال : شكرا لك.

واستأذن من الزملاء ، وذهب إلى حيث الهاتف ، واتصل بالبيت فردت عليه زوجته قائلة: إن ابنته الوحيدة مريم مريضة ، وإن الطبيب ينصح بنقلها

للمستشفى

وبعدما شرحت له الموقف وضع السماعة لحظات ، ثم اتصل برئيسه واستأذن بالعودة لبيته، ولما وصل للبيت كانت سيارة إسعاف المستشفى تقل ابنته وزوجته، فانطلق خلفها حيث المستشفى الخاص بالضباط من مختلف الرتب ، وأدخلوا الفتاة قسم الطوارئ ، فابنة الرائد عبد الله لديها مشاكل صحية في الجهاز التنفسي تسبب لها ضيقا في النفس حتى يصبح أحيانا وجهها أزرق من الألم



حمامة ومالك الحزين والثعلب

قال الفيلسوف: زعموا أن حمامة كانت تفرخ في رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء، فكانت الحمامة تشرع في نقل العش إلى رأس تلك النخلة، فلا يمكن أن تنقل ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض إلا بعد شدة وتعب ومشقة: لطول النخلة وسحقها، فإذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها، فإذا فقست وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت قد علمه بقدر ما ينهض فراخها، فيقف بأصل النخلة فيصيح بها ويتوعدها أن يرقي إليها فتلقي إليه فراخها. فبينما هي ذات يوم قد أدرك لها فرخان إذ أقبل مالك الحزين فوقع على النخلة. فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها مالك الحزين: يا حمامة، ما لي أراكي كاسفة اللون سيئة الحال؟ فقالت له: يا مالك الحزين، إن ثعلباً دهيت به كلما كان لي فرخان جاء يهددني ويصيح في أصل النخلة، فأفرق منه فأطرح إليه فرخي. قال لها مالك الحزين: إذا أتاكِ ليفعل ما تقولين فقولي له: لا ألقي إليك فرخي، فارقَ إلي وغرر بنفسك. فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخي، طرت عنك ونجوت بنفسي. فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر. فأقبل الثعلب في الوقت الذي عرف، فوقف تحتها، ثم صاح كما كان يفعل. فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين. قال لها الثعلب: أخبريني من علمك هذا؟ قالت: علمني مالك الحزين. فتوجّه الثعلب إلى مالكاً الحزين على شاطئ النهر، فوجده واقفاً. فقال له الثعلب: يا مالك الحزين: إذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك؟ قال: عن شمالي. قال: فإذا أتتك عن شمالك فأين تجعل رأسك. قال: أجعله عن يميني أو خلفي. قال: فإذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية فأين تجعله؟ قال: أجعله تحت جناحي. قال: وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك؟ ما أراه يتهيأ لك. قال: بلى: قال: فأرني

كيف تصنع؟ فلعمري يا معشر الطير لقد فضلكم الله علينا. إنكن تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندري في سنة، وتبلغن ما لا نبلغ، وتدخلن رؤسكن تحت اجنحتكن من البرد والريح. فهنيئاً لكن فأرني كيف تصنع. فأدخل الطائر رأسه تحت جناحه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دقت عنقه. ثم قال: يا عدوي نفسه، ترى الرأي للحمامة، وتعلمها الحيلة لنفسها، وتعجز عن ذلك لنفسك، حتى يستمكن منك عدوك، ثم أجهز عليه وأكله.

جحد العقد

قال الْمُؤلف بَلغنِي أَن رجلا قدم إِلَى بَغْدَاد لِلْحَجِّ وَكَانَ مَعَه عقد من الْحبّ يُسَاوِي ألف دِينَار فاجتهد فِي بَيْعه فَلم ينْفق فجَاء إِلَى عطار مَوْصُوف بِالْخَيرِ فأودعه إِيَّاه ثمَّ حج وَعَاد فَأَتَاهُ بهدية فَقَالَ لَهُ الْعَطَّار من أَنْت وَمَا هَذَا فَقَالَ أَنا صَاحب العقد الَّذِي أودعتك فَمَا كَلمه حَتَّى رفسه رفسة رَمَاه عَن دكانه وَقَالَ تَدعِي عَليّ مثل هَذِه الدَّعْوَى فَاجْتمع النَّاس وَقَالُوا للحاجي وَيلك هَذَا رجل خير مَا لحقت من تَدعِي عَلَيْهِ إِلَّا هَذَا فتحير الحاجي وَتردد إِلَيْهِ فَمَا زَاده إِلَّا شتماً وَضَربا فَقيل لَهُ لَو ذهبت إِلَى عضد الدولة فَلهُ فِي هَذِه الْأَشْيَاء فراسة فَكتب قصَّته وَجعلهَا على قَصَبَة ورفعها لعضد الدولة فصاح بِهِ فجَاء فَسَأَلَهُ عَن حَاله فَأخْبرهُ بالقصة فَقَالَ اذْهَبْ إِلَى الْعَطَّار غَدا واقعد على دكانه فَإِن مَنعك فَاقْعُدْ على دكان تقابله من الصُّبْح إِلَى الْمغرب وَلَا تكَلمه وَافْعل هَكَذَا ثَلَاثَة أَيَّام فَإِنِّي أَمر عَلَيْك فِي الْيَوْم الرَّابِع وأقف وَأسلم عَلَيْك فَلَا تقم لي وَلَا تزدني على رد السَّلَام وَجَوَاب مَا أَسأَلك عَنهُ فَإِذا انصرفت فأعد عَلَيْهِ ذكر العقد ثمَّ أعلمني مَا يَقُول لَك فَإِن أعطاكه فجيء بِهِ إِلَيّ قَالَ فجَاء إِلَى دكان الْعَطَّار ليجلس فَمَنعه فَجَلَسَ بمقابلته ثَلَاثَة أَيَّام فَلَمَّا كَانَ الْيَوْم الرَّابِع اجتاز عضد الدولة فِي موكبه الْعَظِيم فَلَمَّا رأى الْخُرَاسَانِي وقف وَقَالَ سَلام عَلَيْكُم فَقَالَ الخراساني وَلم يَتَحَرَّك وَعَلَيْكُم السَّلَام فَقَالَ يَا أخي تقدم فَلَا تَأتي إِلَيْنَا وَلَا تعرض حوائجك علينا فَقَالَ كَمَا اتّفق وَلم يشبعه الْكَلَام وعضد الدولة يسْأَله ويستخفي وَقد وقف ووقف الْعَسْكَر كُله والعطار قد أُغمي عَلَيْهِ من الْخَوْف فَلَمَّا انْصَرف الْتفت الْعَطَّار إِلَى الحاجي فَقَالَ وَيحك مَتى أودعتني هَذَا العقد وَفِي أَي شَيْء كَانَ ملفوفاً فذكرني لعَلي أذكرهُ فَقَالَ من صفته كَذَا وَكَذَا فَقَامَ وفتش ثمَّ نقض جرة عِنْده فَوضع العقد فَقَالَ قد كنت نسيت وَلَو لم تذكرني الْحَال مَا ذكرت فَأخذ العقد ثمَّ قَالَ وَأي فَائِدَة لي فِي أَن أعلم عضد الدولة ثمَّ قَالَ فِي نَفسه لَعَلَّه يُرِيد أَن يَشْتَرِيهِ فَذهب إِلَيْهِ فَأعلمهُ فَبعث بِهِ مَعَ الْحَاجِب إِلَى دكان الْعَطَّار فعلق العقد فِي عنق الْعَطَّار وصلبه بِبَاب الدّكان وَنُودِيَ عَلَيْهِ هَذَا جَزَاء من استودع فَجحد فَلَمَّا ذهب النَّهَايَة أَخذ الْحَاجِب العقد فسلمه إِلَى الحاجي وَقَالَ اذْهَبْ.

زهرات نبوية

المعروف

قال ﷺ « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ».رواه مسلم عن أبي ذر

الخال نور كان في ضيافة أخته ميمونة ، كان مدعوا للعشاء في بيت شقيقته أم أيمن ، وكانت المائدة معدة لتناول الطعام والذي أوقف الهجوم عليه تأخر والد أيمن في المسجد ؛ وذلك بعد صلاة العشاء ، ثم اتصلت أم أيمن بزوجها مذكرة بالعشاء والضيف نور ، فأذن لهم الرجل بالعشاء دونه ؛ لأنه مشغول في حل مشكلة في الجامع ..ولما يعود سيأكل ويحدثهم عن المشكلة .. وقدم الاعتذار لهم .. فانتقلت الأسرة وضيفها إلى موضع الطعام ، وسمت الله وبدأت الأفواه تمضغ وتبلع .. وحاول أحدهم تخمين المشكلة التي جعلت الوالد أن يعتذر عن مشاركتهم طعام العشاء .. خاصة بأن بينهم ضيفا عزيزا ، وهو خالهم نور .

فقال نور : ماذا ترى المشكلة يا أيمن بما أنك قادم من المسجد ؟

ابتسم أيمن وقال : وأسامة كان معي في المسجد ؛ ولكن المشكلة ليست في مسجدنا ؛ لأن السيد الوالد لم يصل في مسجدنا .

قالت أم أيمن : نعم ، هو قال سأصلي في مسجد خالد ، هو ذهب هناك لحل المشكلة .

فقال أسامة: لعلها قضية ابن أبي سالم .

فقال نور : وما هي قضية ابن أبي سالم ؟

ابتسم أسامة وقال : هل تذكر يا أيمن أنه قبل أيام عندما كان ابن أبي سالم يخرج من المدرسة ، وتعلق به زميله ، واتهمه بالسخرية منه ، والاستهزاء به في قاعة الدرس ، وكلما ينظره يراه ضاحكا مستهزئا ؟ فأنكر سالم هذا الاتهام ، وأنه يبتسم ويضحك في وجه كل الأخوة ، وأنه يفعل ذلك تأثرا بسنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تلقى أخاك بوجه طلق ..

فاغتاظ الزميل من هذا التبرير .. وضربه لكمة موجعة ، ودافع سالم عن نفسه ..وقام رفاق لسالم بالوقوف معه وضرب الطالب الآخر .

فقال نور ضاحكا: من أجل ابتسامة تحدث معركة!

قالت ميمونة مفسرة : ليست من أجل الابتسامة .. الابتسامة رسول سلام .. هناك أمور سابقة وجُعلت الابتسامة السبب .. وفعلا كلنا يعلم أن من السنة أن تلقى أخاك بوجه طلق .

قال نور : الحمد لله .. شكرًا

لكم على الطعام ..كان بودنا أن يكون مجيد معنا على هذه السفرة ؛ لكنه معذور بالإصلاح بين الناس والجيران وانتقل بعد غسل يديه وفمه إلى صالة البيت يتابعون السهرة والتسلية بالمطعومات من الفاكهة والمشروبات الطيبة .

وظلوا يتسامرون حتى رجع مجيد للبيت ، وقدم الاعتذارات لضيفه العزيز ، ولم تأكد من عفوه وقبوله اعتذاره عرضت عليه زوجه الطعام فقال : فيما بعد يا سيدتي .. فلنستمتع بالحديث مع صهرنا وصديقنا العزيز نور .

وبعد حديث عن الأحوال الخاصة والسفر والهجرة عاد الحديث إلى سبب ترك العشاء فقال مجيد: نعم ، معكم حق لمعرفة سبب هذا الاعتذار يا سيدي .. تحدث معي بعض الأخوة عن مشكلة بين طلبة الثانوية .. وبصفتي تربوي مدرس قديم ولي قدرة على السعي في معالجة المشاجرات التي تحدث بين الناس .. طلبوا مني التدخل بين الأسر لحل المشكلة ؛ لأن الأولاد يتقاتلون ويتشاجرون ، وتتحول المشاكل إلى الكبار كما هو معروف .

ـ قضية ابن أبي سالم كما قال أسامة .

ـ نعم ،إنكم تعرفون .. من أين ؟

قال أسامة : سمعت من بعض زملاء سالم .

قال مجيد : القصة يا سيد نور أن أحد الطلاب في نفس الشعبة طلب منه الأستاذ النهوض إلى اللوح وتوضيح الحل للطلاب ، فارتبك وتعثر بالحل .. فبعض الطلاب يبتسمون من سخرية الأستاذ بالطلبة .. ولما غادروا المدرسة اتهم هذا الطالب الطلبة بالسخرية والوقاحة منه .. فقال سالم مدافعا عن نفسه : أنا أحب التبسم باستمرار لك ولغيرك ، ولست ساخرا منك أو من غيرك ..لكن الطالب فادي رفض هذا التبرير .. وزاد الأمر سوءا أو الطين بلة أن ابن أبي سالم قال هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم .. فازداد غيظ فادي ، ولكم سالما على وجهه فجأة وأصابت اللكمة الشاب ووقع على الأرض .. فقام أصحابه المقربون بضرب فادي ومن معه .. وتدخل بعض المدرسين الخارجين تلك الساعة من المدرسة وأبعدوهم عن بعض ، ووصلت المشاجرة للأهل ، وكبر الموضوع حتى وفقنا الله تعالى بالصلح بينهم ، ولما انتهى ذلك عدت إليكم .

ـ وهل سينتهي الصراع بسبب

الابتسامة ؟
ـ الجهل مشكلة بل سيد المشاكل يا أخي يا نور .. الرسول صلى الله عليه وسلم قال « لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ».
وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنْ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ .
هذا ما يجب أو يستحب شرعا بين الناس .. لكن لجهل الناس بسنن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتفهم فادي هذه الابتسامة .. ويمكن أن تقول أن الظرف لم يكن مناسبا للابتسام .
ـ ألم يقولوا عدو عاقل خير من صديق جاهل ؟!
قال : الرسول بقوله لا تحقرن أي لا تستصغر ولو الابتسامة في وجه المسلم ؛ لأنه إذا رآك حزينا كئيبا سيشعر أن أمرا سيئا ألم بك وأحزنك ؛ ولكن عندما تراه ضاحكا ستقابله الفرح والابتسام .. وهي تعابير ومشاعر لا يحسن إتقانها كل الناس .
ـ الآداب تزرع في الناس في سن الطفولة والتنشئة .
وقبل أن يتابع مجيد كلامه سمع طرقا على الباب مع رنين الجرس الكهربائي فتوقف عن الكلام وقام أسامة فاتحا للطارق ، وكان رجلا كهلا طالبا الحديث مع الوالد ، فخرج إليه مجيد وهو يقول : يبدو أن شيئا حدث بعد عودتي إليكم .
قال الرجل : أعتذر عن الإزعاج يا أبا أيمن .
ـ ما الأمر يا نهار ؟
ـ يا سيدي بعد اتفاق القوم على الصلح وانصرافك من أجل الضيوف الذين عندك أخوة الطالب المعتدي نقضوا الاتفاق ، ولم يقبلوا بالصلح ، ويريدون حق الاعتداء على أخيهم من قبل عصابة سالم كما يقولون .
قال مجيد : ألم نتفق على تهدئة الوضع لمساء الغد ؟
ـ بلى ، يا سيد مجيد .
ـ أتحب أن تدخل نحن نتكلم على الباب ؟
ـ لا أريد أن أدخل فجئت إليك مسرعا لنرى رأيك .
ـ حسنا يا نهار ! قل لهم يذهبوا للشرطة والمدير الإداري للمنطقة ما داموا يرفضون الصلح دون اللجوء للسلطات .. قل لأبي سالم أن يشكوهم للشرطة .. ويأخذ التقرير الطبي معه .

ـ هذا هو الحل !

ـ نعم ، نحن سعينا لتصغير القضية ..وهؤلاء يصرون على طلب حقهم ، فالمحاكم تفصل بينهم ..ادخل يا أبا بهاء

ـ شكرًا ..على صلاة الفجر ـ إن شاء الله ـ أخبرك بما نتج .

ابتعد نهار ودخل مجيد وأسامة وقال وهو يجلس : أولاد أبي علي يرفضون متابعة الصلح ، ويريدون حقهم من باقي الطلبة ..فاقترحت على أبي بهاء أن ينصح أبا سالم بالشكوى لدى الشرطة ما داموا قد رفضوا شفاعتنا.

فقال نور : هذه القضية تعقدت !

ـ لا ، لم تتعقد يا سيدي سيحلها الحاكم الإداري بتعهدات ، ويطالبهم برفع قضايا على بعض .. وسيجد أولاد أبي علي أن الأمر سيحتاج لمحامي وتقارير طبية ومن سيدفع أتعاب المحامي ؟

.. وابنهم هو البادي بالعنف قبل أن ينال حظه من الضرب

ـ كل هذا من أجل ابتسامة .

ـ الابتسامة ليست السبب ؛ إنما اتخذت حجة وذريعة لتصفية حسابات .. هناك أشياء سابقة ، وجاءت الضحكات في الصف حجة للتنفيس عنها .. وهو له ثلة ؛ لكنهم خذلوه بعد شحنه على سالم .. هناك طلاب يحبون الشغب والزعرنة وإثارة المشاكل .. أنا مدرس يا نور وأعرف هذه النفسيات التي تكره الدراسة فالبديل المعارك .. أصلح الله الجميع .

ـ كانت في أيامنا مثل هذه النهفات .

ـ لكنها أقل من اليوم ..كان المدرسون صارمين وحازمين ..ومعهم صلاحيات أقوى من اليوم .. ودائما الحق على الطلاب .. أما اليوم فنحن ممنوعون من ضرب أي تلميذ

سوى الصراخ والندب .

ـ أيهما أصح ؟!

ـ الإجابة صعبة ..رأينا أن الضرب قديما لم يجد مع من هو ضعيف التحصيل ، ولم يغير شيئا .. وترك الضرب اليوم يزيد بعض الطلبة ميوعة .. ويضعف احترامهم للمعلم ؛ ولكنها الفروقات الشخصية والنفسية بين الناس .

قال نور : على كل على المرء ألا يترك الابتسامة في وجه الناس من أجل هذه المشكلة .

قال مجيب مبتسما : أتلقاه حزينا خير أم تلقاه ضاحكا ؟! .. "إنه هو أضحك وأبكى " .. هناك من تجده دائما حزينا ؛ كأنه يتعبد ربه بحزنه .. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ

يا رحمة الله

التقيا على مدخل العمارة أبو

حسن وأبو جبر، فلما سلما على بعضهما وتصافحا قال أبو حسن : سمعنا صراخا حادا



ليلة أمس يخرج من شقتكم ..عسى أن يكون خيرا ؟!

ـ أبدا يا أبا حسن .. هذا الولد الملعون أسعد ..ـ الملعون .. ولماذا الملعون ؟ استغفر الله يا رجل.. ماله أسعد ؟! .. هو ولد كثير اللعب .. إنني أعرفه وأميزه.

قال أبو جبر : أخبرتني أمه أنه قتل قطة أم حاتم .. المرأة التي تسكن في الطابق الثاني .

ـ قتل القطة .. ولماذا فعل هذا ؟!

ـ أذى ولعب .. فعل ذلك هو وابن أم فراس .. قتلوها حتى ماتت .. فلما سمع أخوه الكبير عصام القصة قام بجلده ، فملأ صياحه العمارة .. ثم دفعه فخبط بالخزانة فكسرت يده .. فصاحت أمه وصرخت وللملمت نسوان العمارة .

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله !! التأديب ليس هكذا يا رجل .. أين ذهبت الرحمة والشفقة ؟!

ـ هذا ما صار .. ثم حملوه إلى المستشفى ، ووضعوا يده المكسورة بالجبص .. فقلت له هذا عقاب قتل الهرة بدون ذنب منها نحوك .

ـ هو فتى جاهل يا أبا جبر لم يجرِ عليه قلم السيئات .. الرحمة نحو الحيوان مطلوبة .. من لا يرحم لا يرحم .

ـ ذنب قد جر مصيبة على البيت .

قال أبو حسن : غفر الله للجميع .. عسى أن يتعلم ويتربى ويتأدب الفتى أسعد ، ولا يعود يعتدي على قطط الجيران .. كان على عصام أن يرحم أخاه الصغير .. ويعاقبه بالتوبيخ والتخويف .. أفضل من الرفس واللطم والدفع .

ـ الغضب سيء يا أبا حسن .. آه من الغضب لما يستولِ على الإنسان ! .. الشيطان شاطر .. فهذا سبب الضجة والصراخ يا جارنا الطيب .. صوت النساء أنت تعرفه لما يبدأن بالصياح .

ـ لا حرج عليكم ..الأم يا أبا جبر .. عطف الأم معروف .. وأنتم كنتم قاسين عليه .. الشفقة والعطف مطلوبان أثناء الضرب والتربية .. مرة أحد أصدقائي غضب على ابنته ذات العشر سنوات ذاك اليوم .. كان مضطربا متعصبا من شيء ما لم يصرح به وطلب منها شيئا .. فكأنها تلكأت بتلبيته، فغضب الرجل وضربها بعصا فجاءت على عمودها الفقري فكسر .. وما زالت عطيلة لليوم ومحودبة الظهر ..أرأيت ماذا يفعل الغضب وذهاب الرحمة ؟!

وها هو لليوم يبكي دما ، ويلعن تلك الساعة التي فقد فيها أعصابه .. وهي تحقد عليه حقدا أسود .. فالرحمة مطلوبة في تربية الأبناء .. والضرب يستعمل معهم بتعقل وهدوء .. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

ـ لم نحتمل ـ يا جارنا الطيب ـ سماع قتل الهرة المسكينة هرة أم حاتم .. يا رجل قالت أم جبر إنها كانت تبكي بحرقة على الهرة الميتة .. أرأيت ؟! لم يبقَ لنا أعصاب عندما حدثتنا عن دموع أم حاتم .

ـ وهل ارتاحت أم حاتم لما كسرتم يد الولد ؟

ـ أبدا ، بل هي غاضبة وناقمة .. كأنها تريد منا قتل أسعد مقابل هرتها الجرباء .. هي عندها أعز من الأولاد والبنات .

ـ ربما ؛ لأنها محرومة من الذرية .. وكانت متعلقة كثيرا بهذه القطة .

ـ عندها غيرها يا رجل .

قال أبو حسن : عادة تربية القطط داخل البيوت عادة لا أظنها حسنة .. فهذه حيوانات تنقل الأمراض والأوبئة .. هذه القطط المنزلية تحتاج لعناية خاصة .. سمعت من أحدهم أن النبي ﷺ أخبر الصحابة أن امرأة دخلت النار بموت هرة .

ـ إنها تطعمهنّ وتنفق عليهنّ أكثر مما تتصدق عن روحها .. هكذا تقول لأم جبر .. نسأل الله تعالى أن يرحمنا .

ـ آمين .. هداها الله .. هذه مخلوقات لا تحتاج لحبس في البيوت والتمرغ على الملابس والفراش إنهنّ من الطوافين والطوافات .

قال أبو جبر : يا أرحم الراحمين ارحمنا .

ـ آمين يا أبا جبر .. ما لنا إلا رحمة الله .. عندما تنزل الرحمة بيننا ننعم بالسعادة والحب والإنسانية الطيبة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ .صحيح البخاري



كلام المكاتب

مكتب النقل البري

﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾

﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾

كانوا ثلاثة يمتهنون سواقة

السيارات الكبيرة ، عواد ورائد وعمر ويجلسون في مكتب شركة النقليات الشاحنات الكبيرة ، ينتظرون مدير المكتب مروان فقال رائد : العمل هذه الأيام ضعيف .. كل أسبوع رحلة .. كنا كل نهار وليلة ذهابا وايابا رحلة .

قال عواد : الحرب هي التي أضعفت الاستيراد والحركة على الميناء .

قال عمر : هذا الوضع في منه ؛ لكن الصحيح أن الشركة تمر بأزمة مالية كبيرة .. هناك أموال مفقودة أو مسروقة ؛ ربما هذا هو الأصح .

رائد قال: سمعت بذلك ، فشقيق مروان يختلس من وراء مروان.. ما هو بعفيف .. العفة مفقودة ها قد أقبل شيخنا علي .

دخل السائق الشيخ علي وسلم وصافح وقال باسما : بما يتحدث زملاء المهنة والرفاق

رائد : كنا نتحدث عن العفة والسرقة .

قال علي : من يستعفف يعفه الله .. العفة قيمة مهمة في المال في الفرج في الحياة

عمر : ما القصد من العفة في الفرج ؟

ضحكوا وقال علي : العفة في الفرج مهمة .. وهي أن تبتعد عن الفواحش ما ظهر وما بطن.. في السر والعلن .. نبتعد عن مغازلة النساء الغزل الحرام عن المحصنات عن الزنا والقذف والشذوذ .

عواد : هن يتحرشن بنا ويمزحن ويتبرجن لنغازلهن .

عاد الشيخ علي يقول : العفة تحفظ لسانك فرجك عن المحارم ، وقبل ذلك عيناك فالله يعلم خائنة الأعين .

فقال عمر : نحن كنا نتحدث عن العفة في المال واختلاسه .. وما معنى تحسبهم أغنياء من التعفف ؟

أجاب علي : العفة في المال مطلوبة .. والآية عدم إظهار العوز من الفقر .. فالنصب والاحتيال والاختلاس مخالف للاستعفاف أيها الاعفاء ! أنا تكلمت عن عفة النساء لأنني رأيت رائدا قبل حين يمزح ويتغزل بتلك السكرتيرة ، وهو يعلم أنها ذات زوج .

قال رائد بجفاء : كنا نتكلم في موضوع مهم يا شيخ علي!

سخر علي : موضوع مهم عن السهر والنوادي والأغاني .. المهم أين الأهمية ؟

رفع صوته : أتريدون أن أتحدث معها عن الدين والصلاة ؟ !وهي من تعرفون ؟ قل لي يا علي لماذا لحيتك طويلة يا طويل العمر ؟!

ـ دعك من لحيتي .. بما أنكم تتحدثون عن العفة فعفة العين واللسان أهم من عفة المال يا شاطر أو هم سواء على الأقل

قال رائد : صار المجلس مجلس

دين ..أين المدير يا عواد ؟
قال عواد : انتظروني في المكتب.
علي : ساعة وأنت تتحدث معها !.. أما النصيحة خمس دقائق فلم تتحمل يا رائد .. المرأة ذات زوج .. لو رآك زوجها مستغرقا معها بالحديث قد تسبب طلاقها
قال محتجا : يا رجل عندي امرأة زهقان منها !
علي : أنا لم أقل أنه لا يوجد عندك امرأة .. أنا أبين لكم العفة يا عفيف !.. قبل سنوات عملت في الشركة سكرتيرة أصبحت الشركة ماخورا ونادي ليلي حتى اضطرت الإدارة لفصلها وطرد بعض السواقين .. يجب أن يقتصر الكلام مع الموظفات على الكلام الضروري .. الكلام من أجل العمل.. اعلم أن الدولة تلزم الشركات على توظيف واستخدام الفتيات ، وفعلا بعض النساء والأسر بحاجة لعملهن ومالهن لمرض أزواجهن وآبائهن.. أما أن تتحول الشركة لمواعيد غرام وأماكن سهر وسمر فلا يصح هذا يا اخوان .. لا يقول أحدكم المجتمع لا يخلو من ماجنات وماجنين وفاسدات وفاسدين ..على الكل أن يحترم الكل .
رائد : أنت يا علي تريد كل الناس شيوخا وأصحاب لحى طويلة .. لم تجب على السؤال .
ـ لما تصير شيخا أجيب عن سؤالك وتهكمك يا عم رائد !
صاح : أنا لا أسخر ولا أتهكم
ـ لا أحد يصدقك .
دخلت السكرتيرة التي تحدثوا عنها فحيت وقالت: أين المدير يا سادة ؟
رائد : نحن في انتظاره يا مدام ! والشيخ على لا يحب لنا الجلوس معك
قالت وهي تنظر لعلي : رجل معقد ومريض نفسيا يا رائد !.. هل إذا ابتسمت لك يعني أحببتك؟
علي: زوجك يرضى بذلك يا مدام!
صرخت : ومال زوجي ! ما دام قد قبل أن أعمل موظفة فعليه أن يقبل تبسمي معك ومع غيرك
ـ العفاف خلق طيب .
قالت : وماذا رأيتنا نفعل ؟
رائد : سمعنا نتحدث عن الأغاني والنوادي .
قالت بحدة : وبماذا يتحدث الناس يا شيخ علي؟ أنت صراحة شيخ معقد .. لا أدري كيف يطيقك أهل بيتك ؟!
قال : أنا عندي زوجتان وهما راضيتان عليّ !
صاحت : تعال يا رائد إلى مكتبي .. لديّ حديث خاص معك .
قال متظرفا : لا أستطيع.. الشيخ علي سيعمل على

فضحي .. ويعمل لي حجابا!

وَمَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ ٱللَّهُ

قصص الزمردة

همام وجؤذر

الحلقة ٢ والأخيرة

لــقاء في الحديقة

لما أخذت جؤذر موافقة والدها على الزواج من همام استدعت الخادم الذي رافقها إلى الغابة يوم الحادث المرعب ، وذكرت له هماما ، فتذكره فأمرته بالمسير إلى قرية " عمد العالية " ويلتقي بهمام من وراء أهله ، ويخبره برغبة جؤذر في رؤيته والحديث معه ، فانطلق الخادم على سرج جواد إلى القرية المذكورة فسأل عن همام ، فقيل لها إنه مع الرعيان ، فانطلق إلى مراعي القرية ، وبعد جهد يسير أسر له بطلب جؤذر ، وقفل الخادم عائدا للمدينة مخبرا سيدته بتنفيذ الأمر ، فأثنت عليه وصرفته ، ومع صباح النهار الجديد كان همام يطرق باب قصر عمه فريد وقابل امرأة عمه وحياها بأحسن تحية ، وفعلت مثله ، وأثنت على شجاعته وفتوته ، ولما حضرت الفتاة انصرفت الأم ، فبعد ترحيب خرجا للجلوس في حديقة من حدائق القصر ، وهناك حدثته عن مجيء والده وخطبتها له ، وروت له القصة من يوم مجيء والده وعمه حديد ، وظهرت الدهشة على وجهه ، وأعلمها أنه لا علم له بموضوع الزواج والخطبة ، ولم يحدثه والده بشيء من ذلك ، وأقسم يمينا على جهله لتخطيط الأسرة ، فدهشت الفتاة وقالت بفطنة : لابد أنهما كانا يتوقعان رفض أبي فأحبوا أن لا يجعلوا في قلبك شيئا على عمك ..ثم تكلمت عن طلب منذر ابن صاحب والدها يدها ، فبارك لها همام ذلك ؛ ولكنها استدركت وبينت له أنها رفضته وأنها ترغب به ، فوقف همام مبهوتا أمام صراحتها وبعد أن تمالك نفسه وأعصابه قال : ولكني يا ابنة العم لا أستطيع إسعادك.. فنحن قوم فقراء أو قولي ميسوري الحال .. ليس لدينا قصور ولا عربات ..وأنا فتى مغمور ..أرعى الغنم وأحرث الأرض وأقطف الثمار وأصيد الوحوش ، وأحيانا أخرى أحلب الشياه أو البقرات.. فما ندخره في الصيف نأكله في الشتاء ..لا مال ولا أحلام فأنا فلاح ابن فلاح.. وأنت يا جؤذر ابنة المال والغنى والجاه والخيول والخدم والجاريات والنزهات.. كيف ستعيشين في قرية ؟ المرأة فيها تعمل في الحلب والطحن والعجن

والزرع والخبز ، فحياة القرية رغم بساطتها وجمالها فهي قاسية مرهقة متعبة تحتاج لصبر وكفاح يا ابنة العم ، وأنت شاهدت فصلا من حياتنا نحن القرويين ، فقد رأيتني كيف أطارد الوحوش من أجل جلدها وقرونها ؟! وقد يأتي يوم ويفترسني وحش كما سقط أصحاب لنا ..لا قوة دائمة إلا قوة الله .. ومن تعلق بشيء ليس من اليسير تركه .

قالت بعاطفة جياشة : تترك القرية ..وتعيش معنا فأنا وحيدة أبي .. وكما يقول والدي إن هذه الأملاك في النهاية ستؤول لي ..وأنت خير

من يشاركني فيها.. أنت أنـقذتنا من الموت منحتنا حياة جديدة يا همام .

قال بهدوء : كيف يكون ذلك ؟! أأترك أمي وأبي ؟! ..هل يرضيان بترك الحياة التي أحباها منذ أن تفتحت عيونهما على الحياة ؟ وكيف يطيب العيش بدونهما ولا ابن لهما سواي كما تعلمين ؟! لقد أنجبوا الكثير ولكنهم ماتوا صغارا .

قالت : عندما تقدما لخطبتي ـ ولو وافق أبي على ذلك ـ فهل كانا يظنان أن والدي سيسمح لهما بأخذي إلى القرية ؟ ..لابد أنهما كانا يفكران بسكنك في المدينة ..آه يا همام ! لو تعلم كم بذلت من الجهد ليقنع أبي بك ؛ لأني اخترتك على الآخرين ..كن معي أيها العزيز.. لا أريد منذرا ذاك رجل خليع مستهتر ..أنقذ ابنة عمك منه كما أنقذتها من أنياب السبع .

لم يكن الشاب يفكر أو يحلم يوما بالزواج من بنات المدينة ، إنه قروي ابن قروي ، نبت وشب على حياة القرية والكفاف، وإنه وحيد والديه فعليه مسؤوليات كبيرة نحوهما في شيخوختهما ، ووالدها لا يرغب به بـعلا لـقرة عينيه ووحيدته ؛ وإنما رضخ لها مرغما ؛ لأنها وحيدته ، فقال لها : أود إنقاذك يا ابنة العم ..ولكنك ستخسرين الحياة الناعمة يا جؤذر من أجلي .. هناك الحياة متعبة شغل عمل حطب حرث حلب خدمة .. لا تتعجلي في اختيارك لا أحب أن أراك نادمة باكية متأففة من حياة التـقشف .

قالت : وكيف ذلك ؟! وهذه الأموال التي نملكها يا همام.. أبني قصرا عندكم ..أليست قريتنا أليست مسقط رأس أبي ؟! ..ننـقل حياة المدينة للقرية .. نشتري أراضي ..والغلمان والخدم نعيش

سعداء ..أنتم تعملون بأيديكم لقلة المال بين أيديكم ..ولأنكم لا تستطيعون اقتناء الرقيق ..همام إن لم تقبل بي سأحيا تعيسة ، سأفقد روح الحياة ، إنك تدفعني لليأس. . ألا تريد تحقيق رغبة والديك بالزواج من ابنة عمك ؟!
قال أمام هذا الاستعطاف الغريب منها : ولكنّ أباك لا يريدني ، وقد وافق مكرها .. وابن عمي هارون له رغبة فيك ..فأرى أنّ اختيار والدك لابن صديقه خير لنا ، وإخراج لنا من هذه الورطة ..أنت في العلا ونحن في الدنا ، أنت طيبة وكريمة بل شجاعة ، وقد تركت حادثة الغابة أثرها على روحك الطيبة ، ولكن هذا أفعله مع كل الناس ، ولا أنتظر منهم مكافأة .. أتريدين مكافئتي ؟ ..أشكرك من أعماق قلبي ، وصدقيني لن أنسى هذه التضحية الكبيرة التي تقدمينها من أجلي ، سأذكرك في أحلامي وواقعي .. لا أدري كيف فكر أبي بطلبك لي ؟! ..
فهل نسي البون الواسع بيننا ؟
فقالت بإصرار على فكرتها : أنا لا أكافئك على معروفك وشجاعتك .. سأقابل عمي حمدان لعله يقنعك بي أما لأطفالك غدا .
ضحك همام ضحكة قصيرة وقال : والله خالق كل الأشياء ، أنا مقتنع بك ، وأتمنى من أعماق قلبي أن أتزوجك ولكن ..ولكن
قطعت استدراكه قائلا : دعك من لكن .. وفكر في الأمر على مهلك، وشاور والديك ، وعد لي بعد أيام .. لا ..لا ؛ بل سأرسل الخادم إليك .
وأحضر الخدم طعام الغذاء ، وحضر عمه فريد المائدة ، ورحب بابن أخيه ، ولم يتحدثوا في موضوع الزواج أو حادث الغابة ، ولما انتهى همام من الأكل انصرف عائدا للقرية على قدميه فوصلها قبل الغروب بقليل ، وكله أفكار وأحلام وآمال ، وعاتب والديه على عدم ذكرهما له طلبها ليد جؤذر ، وقص عليهما الحديث ، ففرحا بعد غضب أشد الفرح ، وقد دهشا لحزن همام وحيرته ، وأخذت الأم تتوسل إليه بالقبول ، ومن شدة فرحها طلبت منه أن يسكن المدينة وأيد الوالد كلامها ، فرد همام : إني أعجب منكما..هل أتخلى عنكما ؟ هل يعقل هذا يا ناس ؟! سأعيش لكما وبينكما ولن يفرق بيننا إلا الموت.. أنا لا أريد ثروة عمي .. إنني سعيد في قريتي.. أنتم تخافون عليّ من الافتراس .. لن يعدو الإنسان قدره ..فالموت حق .. كم من الناس يموتون في حقولهم ومنازلهم ؟! وكم

يموت منهم في الغابات ؟كل يموت بأجله .

قالت الأم : نحن اخترنا تلك الفتاة ؛ لأننا نحب سعادتك ، ولا نريد أن تقضي عمرك في الشقاء نحن نريد لك السعادة ، فمن جاور السعداء سعد ، وجؤذر قريبة لك ، ومن كلامك معنا فهي تريدك واختارتك على ابن عمك هارون ..وها هي الأقدار تريد ذلك ، وأصبح لك عليهم جميل لا يمكن نكرانه يا ابني يا همام ..

قال الأب : أنت أنـقذت البنات من أذى الأسد من غير أن تنتظر جزاء .. ونحن خطبنا لك قبل حادثة الغابة ..وأنا قبلت اعتذار أخي ونسينا الأمر ؛ ولكن ابنة عمك راغبة فيك .

قال همام : صحيح أنني أنـقذتها ، ولم أكن أنتظر أجرا من أحد ..ومن يصنع المعروف لا يطمع في مكافأة أو جائزة .

فقالت الأم : حق ما تقول يا ولدي ..ولكن كثيرا من الناس يكافئون عن المعروف طواعية ورضا ..ونحن لما اعتذر لنا عمك نسينا الأمر كما قال والدك ، واعتبرنا أن شيئا لم يكن .. ولكن ابنة عمك هي التي تطلب يدك ، هي التي تريد منك أن تنقذها من ذاك الشاب الفاسد ، ألا تريد إنقاذها من أسد دائم كما خلصتها من سبع عارض ؟

قال همام بعد تأمل : أماه إنك تتكلمين بقوة وحماس ..أخشى أن تأخذني من حضنكم من الدفء الذي نعيش فيه ..أخشى أن يزول الانبهار عن عينيها فتستيقظ فتجدني فقيرا بائسا.. فهي فتاة تربت على العز والدلال والخدم والأمر والزجر.. أماه ابحثوا لي عن زوجة من ثوبنا من قريتنا تعرف عاداتنا وتقاليدنا وأحلامنا الصغيرة وأعمالنا الشاقة .. فتاة لا تكلمني من ثروة أبيها وجاهه

قالت الأم القروية : آه يا ولدي ! دع الأمر لله يفعل ما تشاء.



جؤذر تهدد

أتت جؤذر القرية بنفسها على عربة يجرها حصانان وأخذت مـعها الهدايا الثمينة لعمها حمدان وزوجته ولفقراء القرية والأطفال ، فتعجب الفلاحون من كرمها وسخائها ، وتناولت الطعام مع أسرة عمها ، أكلت من طعام امرأة عمها وفرح حمدان بمقابلتها ، وسر سرورا عظيما وفرحا لا يوصف ، فمنذ خرج فريد من الـقرية لم يـعد

إليها ، وها هي ابنته الوحيدة تعود إليها ، وهذه أول مرة تدخل فيها القرية ، وتجلب معها الخيرات والهبات ، وتحسن للفقراء والمحتاجين ، والإنسان عبد للإحسان ، وتمنى من أعماق قلبه أن تكون من قدر ونصيب فلذة كبده همام ، وتألمت جؤذر لعدم مشاهدتها هماما ، فقد أخبروها أنه خرج مع شباب القرية للصيد كما اعتاد ؛ ولكن حليمة طمأنت قلبها بأن لدى همام رغبة بالاقتران بها ، فعاد الفرح والغبطة والحبور لكيانها ، وحثتها على الصبر وعندما يعود الشاب من الصيد سيأتيها بنفسه ، سرت الفتاة من كلمات حليمة ، ولما أعصرت الدنيا ، ودعت عمها وأهل القرية الذين تجمهروا أمام منزل حمدان لوداعها ، فأمرت الخادم أن يوزع كل ما بقي في الصندوق من مال ، وشيعها الناس لخارج حدود البلدة ؛ كأنها ملك هبط عليهم من السماء ، ووعدتهم بالمزيد من الطيبات والاعطيات .



وقالت حليمة لزوجها حمدان : إنها فتاة طيبة يا حمدان ؛ كأنها أميرة من الأميرات التي تتحدث عنهن الحكايات ، انظر كما أثرت فيها حادثة الغابة ، عندما كنا في بيتهم سلمت علينا ببضع كلمات ، ولم نرها بعد ذلك .. فها هو الحادث يعيدها للصواب والتواضع والأكل من تحت يديّ أنا ؛ بل تزور القرية .. ها هم الفقراء يسرون بها ويفرحون لإحسانها .

فقال الكهل حمدان : ليت هماما يتزوجها .

وبينما هم في الأماني والأحلام أقبل نحو البيت رجال لهم ضجة مرتفعة وصياح ، وقال أحدهم

: افتح يا حمدان ..افتح بابك .. همام جريح مصاب !

وولولت حليمة وملأ صراخها القرية ، وأسرع حمدان بفتح الأبواب وهو يتمتم : ولدي ولدي ولدي !!

فدخل الشباب يحملون بين أيديهم هماما الغارق بدمائه ، فأنزلوه في حجرته ، واستدعوا امرأة عجوزا في القرية تعمل في التطبيب من تركيب الأعشاب وغيرها ، ولما أفاق من إغمائه ، سأل حمدان عن القصة ، فذكروا له انّ رجلا رماه بسهم غادر في الغابة ، وقد طاردوه في أول الأمر ثم اختفى رغم بحثهم الشديد عنه ، فقد كان يركب جوادا .

فصاح حمدان معقبا : كمين

إذن وضربة غدر ؟! وقال بدون تردد : الفاعل واحد من ثلاثة .. فريد .. حديد ..منذر فقال أحد الشباب : ماذا تقول يا عم حمدان ؟!

أجاب وهو يتهدد ويتوعد : لا شيء ؛ ولكني سأنتقم أشد الانتقام من السفلة ، ويلهم إن مات همام .

لما علمت جؤذر الجميلة بخبر همام أسرعت إلى القرية ، وعليها آثار الحزن والألم ، وقد ذرفت الدموع بحرقة ، وقد أحست أنها هي وراء هذه الضربة الغادرة ، وخشيت أنّ يكون والدها وراءها ، فازداد نحيبها عندما وصل تفكيرها إلى هذه النقطة ، وطمأنها همام على صحته وقال : أشكر مجيئك يا ابنة العم .. وأشكر لطفك مع أهل القرية .. وسوف يزول الألم بإذن الله ، فكم أنت طيبة ورائعة يا ابنة العم ! فكل أهل القرية يثنون عليك ويحبونك ..أرأيت كيف ابتسمت لك القلوب قبل الوجوه عندما نزلت من عل ؟ ..وأحسنت للضعفاء والفقراء ، فهم يدعون لك بكل خير وجزاء .

ردت بصوت خفيض نابضا بالحزن : الشكر للجميع .. ألا تحدثنا بتفصيل ما جرى لك وما أصابك ودعك مني الآن ؟!

فقال وهو ينظر في عينيها : أتحبين أن تسمعي يا جؤذر الطيبة ؟

قالت وهي قلقة من نظرات عينيه المصوبة إليها : ولم لا ؟!

قال وهو يعتصر ذهنه والمشاهد التي حدثت في الغابة : حسنا .. خرجنا للصيد كعادتنا مع فتيان القرية..وعند دخولنا غابة نبدأ فرادى أو مجموعات بمطاردة الأرانب والثعالب وغيرها..ونكون قريبين من بعضنا البعض بحيث نسمع أصوات بعضنا ؛ لأن الغابة تحمل المفاجآت .. فانطلق بعضنا في مطاردة ظبي ، وآخر ذئب ، فابتعدت عن رفقتي قليلا .. واقتربت من عين الماء فلمحت ثعلبا ؛ كأنه اقترب من الماء للشرب ، فمشيت نحوه بهدوء وروية ، وفجاءة ظهر أمامي من بين الأشجار رجل يقود فرسا ، وكان ملثما فحياني وحييته ، فسقط لثامه عن وجهه بعض الشيء فرفعه ، ثم أسقى فرسه ومضى في حال سبيله ، ودخل بين الأشجار وهذا أمر مشاهد في الغابة لا يثير الانتباه لولا اللثام الذي يخفي نفسه تحته .. وأنا كنت أيضا أتابع الثعلب الذي عاد للماء من جديد ، فانحدرت نحوه وبدأت اسدد قوسي نحوه ؛ فإذا بسهم يخترق كتفي فصرخت صرخة مدوية فزع

على أثرها صحبي ، فأشرت للفارس فلحقوه ؛ ولكنه أفلت منهم ، ولمعت في نفسي صورة لثامه ووجهه ، فلو أراه لعرفته ، وقام الرفاق بمداوادتي بما يعرفون ، وحملوني إلى هنا ، ثم قامت امرأة عجوز متطببة بعلاجي بما تيسر ، والشفاء بيد الله ، وهذه هي قصة الغدر يا ابنة الـعم .

قالت وهي تظهر الحزن العميق على وجهها وصوتها : حمدا لله على سلامتك أيها البطل ولسوف يقع الغادر يوما ما.. وأدعو الله أن يذهب عنك السقم .

وبعد حديث حول المرض والشفاء والـقدر المقدر للأحياء ، قالت جؤذر وقد لملمت شجاعتها : وهل فكرت بشأننا أيها العزيز ..فأبي ينتظر مني الجواب ؟

فتنهد همام بعمق ثم قال : أنا الآن جريح وقد أموت يا ابنة العم ؛ فإن وافقت ستـقولين الضعف والمرض أمليا عليه ذلك ، وها هم أرسلوا لي من يقتلني حتى لا أتزوجك يا جؤذر .

ردت بعزم وقوة : من أجل ذلك يجب أن نتزوج .. أنا أدرك ما يدور في خلدك من خواطر وأفكار ؛ ولكنك أنت تعلم أني اخترتك بقوة ، ورضيت بك عن الآخرين ، ووقعت من نـفسي موقعا طيبا ، فمن أجل أمك الطيبة وأبيك ومن أجل كيد الأعداء المحيطين بنا .. عليك بالرضا أنا لا أريد أن أستـغل ضعفك وعطفك ..أنا رضيت بك قبل حادث الغدر هذا ؛ بل هذا الحدث زاد من تصميمي على الزواج ممن خفق له القلب.

فقال بتأثر واستسلام : كما تشائين أيتها الأميرة .

وبكى البطل تأثرا ، وزغردت حليمة ، وملئت السعادة نفسها ، ولقد أنساها الموقف مصابها بابنها الوحيد والخطر المحدق به من وراء هذا الزواج ، وحلت جؤذر ضيفة في منزل عمها حمدان ، وفي الصباح غادرت القرية ومعها خادمتها لقصر أبيها ، وأعلمتهم بموافقة همام على الاقتران بها ، ومباركة والديه لهذا الزواج عن طيب خاطر ، وهما يحبانها حبا كبيرا ، وأطلعت والدها على محاولة اغتيال وصرع همام ، وشعرت جؤذر بانزعاج والدها من موافقة همام ، وخشيت هي أن يكون له يد في محاولة إبعاده عنها ولو بالقتل ، فأحست بألم شديد لهذا الشعور القاتل ، وأخذت بالتردد على القرية كل يومين مرة حتى تعافى همام ، واسترد صحته والدماء التي نزفها خلال أشهر ثلاثة ، فحضر مع والديه ، وطلبوا من

فريد يد ابنته جؤذر ، فاعتذر لهم وبين لهم أنها مخطوبة من ابن صاحبه منذر ، ولم يفسخوا



الخطبة بعد ، وأغلظ لهم القول ، مما حدا بجؤذر التي كانت تسترق السمع من الغرفة المجاورة أن تدفع الباب ، وتدخل بغضب وهي تقول : ألم تقل لي إنك أخبرته برفضي؟ .. ألا تحب سعادتي يا أبي ؟ .. وداعا .

وخرجت من الغرفة مسرعة والغضب ينفخ أوداجها ، وتركت القوم في ذهول ، وبعد قليل شاهدوها تركب جوادا ، وتغادر القصر مسرعة ، ونادى عليها همام ؛ ولكنها لم تلتفت واندفعت خارجة من باب القصر ، فأسرع همام نحو الاصطبل ، واعتلى ظهر حصان ولحق بها وهو يقول لوالديه : ارجعا للقرية سوف أبحث عنها وألحق بكما .

الاختفاء

ولما انصرف حمدان وزوجه ، قالت أم جؤذر : ألم تستسلم لها وتوافقها على هواها ؟! ما الذي في رأسك ؟ ما الذي فعلته يا فريد ؟ أين ذهبت الآن ؟ ألا تعرف عناد ابنتك ؟

فهاج وأخذ يصيح : لا أريدها ..لا أريدها .. أنا أعطي أموالي لولد فقير معدم .. لا يمكن.. لا يمكن .

ابتسمت أم جؤذر من شدة الغيظ وقالت : أخشى يا فريد أن يكون لك يد في محاولة مصرع الفتى ..كما تهمس ابنتنا فصرخ قائلا ومعترفا : نعم .. نعم أنا ومنذر استأجرنا قاتلا ..من أمهر الرماة ؛ ولكن اللعين فشل ..أهلكه الشيطان فقالت الزوجة وقد بلغ الوهن والدهشة منها أقصاهما : ويحك يا فريد! .. ماضيك يعود .. ألم تحدثني أن أباك طردك قديما من البيت ومن القرية لعقوقك وقسوتك ؟! .. وها أنا تطرد ابنتك اليوم .

فازداد صراخ وتأوه فريد عندما سمع كلام الزوجة الذي يذكره بالماضي ، فخر صعقا ، ففزع الخدم والجواري وعالجوه من إغمائه ، وكان يهذي ويقول : نعم ، كنت عاقا لأبي .. كنت أسرقه وكنت أخدعه أبيع بعشرة دراهم أعترف بخمسة وأخفي خمسة .. بعت بقرة في قرية وقلت إنها فقدت ، وعرف أبي الأمر فضربني أشد الضرب ؛ ولكنني ازددت قسوة وجبروتا ، سرقت المنزل فطردني أبي ، واعتبرني خائنا ، فجئت المدينة بما سرقت من أموال ، واختلست واحتلت ثم ندمت وتبت بعد أن سجنت

بضع سنوات ، ولما خرجت بدأت حياتي من جديد ، فاشتغلت بالتجارة والبيع والشراء ، فكثرت أموالي ، وتعرفت على أخيك ثم زوجوني منك ، وكثرت الأموال ، وأصبحت من أغنى أغنياء المدينة ، نسيت أبي وأمي وأهلي ، المال غايتي ولا أشبع منه ؛ وفجأة يظهر لي هذا الفتى ؛ ليأخذ أموالي بدون تعب وكد.. ويعيدني للقرية التي نسيتها وارتحت منها .. أيعقل هذا ؟ لا .. لا

فقالت أم جؤذر : وما فائدة المال وقد اختـفت جؤذر ؟ وستبقى حسرتها في قلبي ..أنت لا قلب لك يا فريد .. كنت تراوغ وتمكر..ستذهب أموالك للسلطان بعد موتنا إذا ماتت ابنتنا قبلنا.. أين ذهبت يا جؤذر ؟ .. أنا أحب سعادتك يا ابنتي .. فهمام شاب شجاع وشهم والـفقر ليس عيبا وهو من لحمك ودمك .. إن جؤذر تشك بإن لك يدا في جرح همام ، والله لو تتيقن من هذا لتبغضنك بغضا شديدا .

فعاد للصراخ والهياج فقال : ما أقسى كلامك أيتها المرأة ! أنت تعلمين كم أحبها ..وليس لي من الدنيا سواها ، وأنا رضيت بمنذر من أجل سعادتها ، فهو ثري وابن ثري .. قصور وأموال وعمه من قادة حرس السلطان.. كيف تعيش جؤذر مع الفلاحين والمرضى مع البراغيث والقمل؟!

فقالت : هارون ثري مثل منذر ولم تختره لها ؟

قال بحدة : هارون شاب جاهل لا يحسن تدبير نفسه ، وهو فقير بالنسبة لنا ، وهو يربطنا بأقاربنا الذين أجاهد لأنساهم ، ولولا الإحسان الذي كان يقدمه لي حمدان في السجن لـطردته شر طردة .

قالت الزوجة : كفاك أعذارا .. انهض من فراشك وابحث عنها .. أنا لا أستطيع الحياة بدونها أيها الرجل .

فقال : سيجدها همام سيجدها

جاء الليل على قصر فريد ، ولم تعد جؤذر ، وقد خيم الحزن على المكان والخدم ، وارتسمت إمارات الأسف والحزن على الوجوه كلها ؛ فكأن السعادة رحلت عن القصر ؛ فكأن قمر المنزل رحل ولم يمر عليهم هذه الليلة ، وجاء همام طارقا البيت ليلا ، وفتح له البواب وهو يقول : هل وجدت سيدتي أيها السيد الكريم ؟

قال همام بحزن وأسف : أين سيدك ؟

فإذا بصوت قادم ومن خلفه أم جؤذر يقول : أين جؤذر يا همام ؟

فقال همام : ألم ترجع للبيت

بعد ؟!

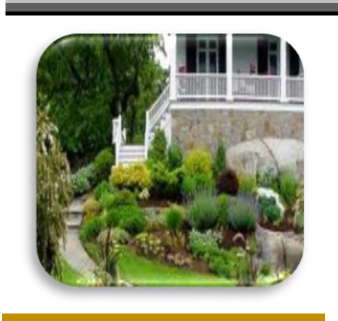
فقالت الأم بلوعة : همام ماذا تقول ؟! .. ألم تذهب خلفها .. ألم تجدها ؟

قال : لحقت بها ، وأدركتها في طريق المدينة فوعدتني أن تعود للبيت ، وتركتها في نصف الطريق وعدت للقرية ، وها أنا قادم منها لأرى جؤذر ألم تـعد بـعد ؟

قال فريد : لا ، لم نرها منذ خرجت .. همام ابحث عنها ، أشهد الله أني سأزوجك منها ، هي لك لا تحرمني منها يا همام ضحك همام قهقهة وقال بسخط : يا عماه! أنت حرمت نفسك منها .. أنت لا تشبع من المال تطمع أن تجمع مال العالمين ، وسوف أبحث عنها ؛ لأنها طيبة وتحب الخير .. آه يا عماه! لو رأيت الناس وهم يلهجون بالدعاء لها عندما قدمت لهم بعض الإحسان ، عندما تواضعت لهم وخاطبتهم بأدب وكلام حسن .. اذهب إلى القرية لتلمس محبة الناس لجؤذر .. مجرد حنوها عليهم في ساعة واحدة أحبوها ..سأبحث عنها ؛ لأنها تريدني أنا دون الناس ..سأبحث عنها ؛ لأن والديّ يحبانها كحبهم لي .. سأبحث عنها ؛ لأنها رضيت بي بعلا دون الآخرين وأنا على فراش الموت .. وداعا يا عماه .. إذا وجدتها سأرسل لك من يخبرك .

رجع للقرية فوجد ابنة عمه مع والديه ، فتعجب من مجيئها ، فقالت : لم تطاوعني نفسي ان اعود للبيت فتبعتك للقرية فقيل لي إنك عدت للمدينة فانتظرت .

فقال : جميل .. سنتزوج خلال أيام أيتها الحبيبة .. نحن خلقنا لبعض !



حجر القمر

المغارة السحرية

الحلقة ٢ والأخيرة

ولما أتم خليل الحيلة أخبر سعيد ، وطلب منه العودة لبلاده والتنسيق مع الأمير شهاب لاستقبال الساحر دينار ، ومضت الحيلة كما رسمها خليل وبمعاونة عنان . وكانت المفاجأة الكبرى لدينار وسعيد ظهور الجارية ليان حية ، وبين يديها طفل ولدته من سعيد .. فقد اكتشفت أنها بعد خطفها بزمن بأنها حامل .. وكان صاحب دينار لما عرف بخطفها من زوجها تضايق من فعل صديقه دينار ، وأعطاها بعض ما يملك سوى ما معها من جواهر وعاشت في مدينة صاحب

دينار حتى ولدت ، وخشيت من العودة لسيدها فيخطفها دينار ثانية ، وفرح بحياتها سعيد وحزن بظهورها دينار .

****

دخل الأمير وأعوانه والقاضي فسمعوا قصة خليل وعنان وسعيد بحضور دينار .. وأمر القاضي بحبس الساحر حتى الموت .

وغادر سعيد وزوجته وطفلها المدينة إلى مدينة يونان ، وغادر قبلهم خليل وعنان إلى بلديهم وهم سعداء بما فعلوه لصديقهم سعيد وجاريته .

ولما وصل عنان لمزرعته وجد شقيقه مرادا في استقباله ، وبعد الترحيب والعناق قال : ما أخبار الذهب والكنوز ؟!

غرق عنان بالضحك للحظات ثم أجاب أخاه : عليّ أن أعترف لك بكل الحقيقة والقصة .. نعم ، وجدنا الكنز الخفي ، وعاد سعيد لزوجته ليان ، ووقع الساحر في كيده ، وأصبح سجينا في مدينة الملك شهاب .

دينار

صبر دينار على مر السجن بضع سنين ، والأيام تنسي الناس الأحداث والأشخاص ، ونسي الحراس جريمة دينار ، فاستطاع إقناع أحد الحراس بمساعدته على الهرب بمقابل خاتم من الجواهر . وأسرع إلى المغارة التي دخل المدينة منها ، واجتازها قبل اكتشاف أمره من قائد السجن ، ونجح باجتيازها واجتاز المدن حتى وصل لبلده بعد رحلة شاقة ، ووجد دغلا مستوليا على منزله وبيته . واعتذر له دغل ، وظن أنه هلك ؛ لأنه قابل خليلا بعد طوال غيبته فاخبره أنه مات . ترك دغل بيت دينار معتذرا له عن الاستيلاء عليه كل فترة غيابه معتقدا أنه هلك اثناء البحث عن كنز المغارة

اخرج دينار بعض أمواله المخفية وأعاد ترميم مسكنه ، وخرج لمدينة الساحل حيث التقى بصاحبه الذي اخفى عنده ليان لما خطفها ، فقال له الرجل : قلت لك غادرت البيت ليلا أنت لم تطلب مني حبسها ، ولما عرفت بهربها تبعتها وعلمت من بعض الشهود أنها ألقت نفسها عن تلك الصخرة المرتفعة بالماء بماء البحر يا دينار !

قال: علمت أنك خنتني.

قال: أنا لم أخنك ، اجتهدت على رعايتها حتى تعود لتأخذها ؛ كما اتفقنا ؛ ولكنك أنت خدعتني ، وعلمت فيما بعد أنك خطفتها ، ولم تكن صادقا معي يا دينار ! وأنك أقحمتني في جريمة خطف ؛ وليس امتلاك جارية ، ولو علم الأمير احمد بأمري وأمرك لسفك دماءنا وخاصة أن السيد سعيد تاجر يونان

صديق للأمير.
عاد دينار لبلده مفكرا بحيلة وطريقة لخطف ليان وإيذاء سعيد ، فهو يعلم عظم صدقات سعيد مع رجال وسادات المدن ؛ لأنه من أكابر التجار في مدينة يونان وهداياه لهم ، ولنسائهم لا تنتهي .
زار دغل سيده دينار فأخبره دينار بأنه راغب بخدماته وعونه في الانتقام من خصومه وخاصة التاجر سعيد ، وقبل الرجل العمل معه مقابل المال ، وكلفه دينار بمهمة السفر لليونان وجمع معلومات عن سعيد وعن الجارية ليان لخطفها من جديد . وبعد تردد وأمام اغراء المال والثروة وافق على السير إليها ومعرفة أحوال سعيد وليان وتحركاتها.
خرج دغل ورفيق له الى مدينة يونان لمراقبة سعيد وبيته لتنفيذ خطة دينار في الانتقام من سعيد
فقال رفيق السفر : ألم تعرف ماذا حدث له خلال هذه السنوات وكيف نجا؟
قال: لم يكشف شيئا ؛ ولكنه مجروح ويتفوه بحقد وبغض على عدد من الأشخاص منهم سعيد صاحب مدينة يونان.
فقال رفيق السفر : ألم يحدثك رجل مدينة خليل أنه مات؟
قال: هذا ما اخبر به ، هو غادر البلد لجلب كنزا من تلك المغارة التي حاولنا معرفة مكانها هذه قصة غامضة وغريبة .. كل هذه السنوات وهو يفتح مغارة !
فقال رفيق السفر : لقد أصابه أذى كبير من خليل وعنان وسعيد ؛ بل من جندوب صاحبنا في مدينة الساحل.. وما المطلوب منها في مدينة يونان؟
قال دغل : معرفة أخبار التاجر سعيد وزوجته التي خطفها يوما ، وهربت أثناء وجودها في ضيافة جندوب.
وصل رسول إلى التاجر خليل معلنا اختفاء دينار ، ورشوته لحارس خائن ، وهربه من نفق المغارة كما تبين من خطوات البحث عنه، انزعج خليل لهذا النبأ ، وأدرك الخطر المحدق به وبعنان وسعيد فلذلك أسرع بكتابة رسالة سريعة للتاجر سعيد ومثلها لعنان ليحتاطوا لأنفسهم.
لما رجع رسوله من يونان ارتاح قليلا من تبعات هرب دينار ، وأخذ يفكر كيف سيكون انتقام وثأر دينار ؟ فهو لن يستسلم للهزيمة والمكر والكيد الذي أصابه منه .. من سيبدأ به في انتقامه ؟ كلهم في خطر ، وليان في خطر لعشقه لها ، وهي سبب نزاعه وصراعه معهم .. وهل سيستطيع سعيد حمايتها والمحافظة عليها من غدر دينار وأعوانه ؟ فكر بأن يجعلها

طعما للإيقاع بدينار ؛ ولكنه خشي عليها من ضربة غادرة حاقدة .. عشرات الأسئلة تحركت في ذهنه .. هل سينتقم اللعين أم يلزم الهدوء ؟ هو رجل حقود وحذر وماكر .. هو اعتدى علينا وخطف ليان ، ثم استطعت تحريرها وإنقاذها وإعادتها لزوجها ، لم يقتل أحد منا لنقتله ، دخل السجن للإيذاء الذي أصاب سعيد وزوجته منه ، أرى أنه لابد من مراقبته والبحث عنه، قضيت شهورا حتى تمكنت من اللقاء به واغراءه بالكنز والذهب والمغارة ، بماذا سأقنعه هذه المرة ؟ وهل سيدع لديّ روحي بين جنبي ؟ هل سيتعاون معي صاحبه جندوب في مدينة الساحل ؛ كما تعاون معي في المرة الماضية ويدلنا على بيته أم عاد لبيته القديم ؟ كيف سنتقابل ؟ وبأي صفة سألتقي به ؟ هل أخطأت المرة الماضية بالإيقاع به ؟ نحن عاقبناه لخطفه زوجة سعيد التاجر الصديق ، والزوجة اليوم عنده وقد ولدت له اكثر من ثلاثة أطفال وهما يعيشان في سعادة ووئام.. أين الخطر؟ أين سيكون المكر ؟ هل سيعمل عنان معي هذه المرة ، كما تعاون معي سابقا ؟ هل سعيد مستعد للقتال والدفاع عن نفسه؟ هل سينتقم منا اللعين ويغدر بنا؟ وكيف سيكون انتقامه وخبثه؟ عليّ الرحيل ولقاء عنان والتشاور معه قبل السفر ولقاء سعيد وليان.. هل يقبل اللعين المال والابتعاد عن هواه وغرامه بليان ؟ أين يمكن إخفاؤها حتى لا تقع في براثنه ومخالبه؟ هل أستطيع فعل شيء للنجاة والخلاص من ضرره ؟ ظننت أنني نجوت منه ، وساعدت صديقنا سعيدا وزوجته الأسيرة .

رحل خليل متخفيا إلى مدينة عنان ، ولما وصل المزرعة اخبره سالم بمرض سيده ، وهو يتعالج في المدينة ، فخاف وقلق خليل أن يكون لدينار يد في سقم عنان ، وعلم أنه لم يمرض إلا من عدة أيام هل دس له سما وكيدا ؟

فرجع للمدينة وزار عنان في بيته ؛ حيث يسكن مع أشقائه وعشيرته ،وكان في وجع شديد وحمى قوية، رحب عنان بصديقه الكهل خليل ، وقال :وصلتني رسالتك وتحذيرك.

قال: أرجو ألا يكون ما حل بك من داء من ذلك اللعين!

قال: لا أظن ذلك أيها الصديق.

قال: لماذا؟

فسر قائلا: لم أطعم شيئا ليسبب لي ذلك ، كنت بكامل صحتي بفضل الله تعالى؛ ربما البرد وقلة الطعام في الايام الأخيرة تسببت بهذا الوجع .

فقال: الحمد لله والشكر لله.

قال: ولماذا قدمت بنفسك لتحذيري؟

رد باسما قائلا: أحببت أن أتأكد من وصول الخبر إليك ، وأؤكد عليك بأن تحذر هذا الحاقد الناقم ؛ لأنني سوف أختفي وأسافر لليونان ، وأبحث عن الساحر ، وأعلم نواياه نحونا وتجاهنا ، وأخشى على ليان زوج سعيد منه ، فهو كما تعلم واقع في عشقها ، والعشق سبب هذه المشكلة ، وغرامه بتلك المرأة ، وأنا ظننت بحبسه بموت هذا الحب ، وهو ما فعل من الهرب إلا للنيل منا ومنها.

قال: معك حق أيها الصديق ! وما الذي تستطيع فعله من أجلها وأجلنا؟

قال خليل : سأتخفى وأتابع فعله؛ فإن ادركت رغبته في الانتقام سأتحصل منه قبل أن يتخلص منها.

قال: لعلك تأخرت!

قال خليل : نعم ، تأخرنا فعلا ؛ لأنهم لم يكتشفوا هربه إلا بعد شهور ، لم يفطن أحد لهربه إلا بعد حين ، وهو خرج من المغارة النفق ؛ كما دخلنا ، ولم يقابل أحدا، وأنا اعتقد أنه هرب لبلده لتأمين نفسه وحاجته للمال.

قال عنان : إذن سترحل لتلك البلدة القريبة من مدينة الساحل .

قال خليل : نعم ،وسأمر على يونان ، وألتقي بسعيد ، وأطمئن عليه وعلى زوجته ، وكنت راغبا بمرافقتك معي ؛ ولكني لم رأيت سقمك وضعفك سأذهب وحدي .

قال عنان : لا بأس اذا شفيت قد ألحق بك؛ لنرى نهاية هذه القصة.

قال خليل : على كل حال اذا أحببت المساعدة ، ورأيت قوة وعزيمة اتبعني ، وكن متنكرا ومتخفيا ، ولسوف أترك له خبرا عند سعيد ؛ لأنني سأتنقل بينها وبين الساحل وبلدة دينار

رحل خليل متنكرا إلى يونان ، ولما استقر فيها تخفى بزي رجل الشرطة والجند ، وبعد مضي يومان زار سعيدا ، وعرف سعيدا بنفسه ، فدهش الرجل وفرح بحضوره ، وطمأنه على وصول رسالته التي يخبر فيها بهروب دينار من سجنه ، واتفقا أن يلتقيان في الميناء ؛ حيث ينزل خليل في فندق أو خان قريب منه.

وكان سعيد قد اتخذ ثلاثة من الشبان لحمايته وحراسته في المحل والبيت والمتاجر في السوق .

وكان خليل لا يثق بالحراس كثيرا ، فهم أسرع بيعا لصاحبهم، بقليل من المال ينسون سيدهم وتحدث بذلك مع سعيد عندما اجتمعا في

الفندق البحري.
فقال: إنني أدفع لهم بسخاء.
قال خليل : المهم لابد من الحذر ، وماذا فعلت لليان وذريتها؟
فقال: لا شيء؛ إنما منعتها من مغادرة القصر .
قال خليل : وهل قبلت بحبسها في القصر ؟!
فقال: على مضض ، وبدأت النساء تتجمع عندها .
قال خليل : علينا إخفاؤها يا سعيد ! حتى نعلم نوايا وحيل دينار .. أنا سأذهب لمدينته وأنظر حاله وهل قبل بالهدوء ورضي بالهزيمة؟
فقال: أرسلت صعلوكا إلى هناك منذ تلقيت خطابك ؛ ولعله سيعود قريبا.
قال خليل : جيد ! سأنتظر عودته قبل السفر إليه ، وأسمع نتائج مهمته.
فقال: وما المطلوب منا ؟! نحن لا نستطيع إعادته للسجن ؛ كما تعلم ولولا الحيلة التي دبرتها لما نلت منه شيئا.
قال خليل : صحيح هذا ، والآن أنا عاجز أن افعل معه شيئا ، فهو هرب من سجن الأمير شهاب، ولا حق لنا في حبسه، فهذا حق شرطة تللك المدينة.
فقال: هذا ما يربك ! وما العمل ننتظر ؟حتى ترتكب حماقة.
قال خليل : عليك الحذر.. سأسعى لمعرفة خططه وأتفاهم معه اذا كان ذلك ممكنا ومقبولا
فقال: اذا الرجل يريد مالا ، فأنا مستعد لدفع المال
قال خليل : أظن أنه لا يتطّلع للمال ؛ بل يتطلع للمرأة ، والخطر محدق بها اكثر منا
فقال: إنها اليوم أم لثلاثة أطفال.
قال خليل : وزوجة يا سعيد! ومبغضة ورافضة له.
فقال: الجنون وادعاء الهوى ، أنا لما قابلتها أول وهلة صعقت بها ، وفتنت ودفعت فورا ثمنها هو لم يفعل ؛ بل ترك صاحبه يبيعها
قال خليل : هذا اذا صدق في زعمه وهواه ، لابد لك من إخفاء ليان يا سعيد!
فقال: أين سأخفيها؟
قال خليل : عليك بامتلاك بيت خفي ونقلها إليه.
فقال: أتقبل يا تراها ؟
قال خليل : عندما تعظم لها الخطر ومكر الساحر ستقبل وترضى.
فقال: أتستطيع القيام بهذا المهمة؟
قال خليل : أستطيع ؛ لكن عليك أن تبدأ أنت أولا ، ثم يكون دوري.
غادر سعيد النزل ورجع لبيته المعروف، ولما سأل عن ليان وأولاده، اخبره الخادم أن

امرأة جاءت ، وتحدثت مع زوجته ليان، وخرجت معها في عربة يجرها حصانان .
فقال: خرجت في الليل على عربة لها حصانان.
فقال خادمه : نعم ، نزل سائق العربة وتحدث معها وقالت إنها ذاهبة للقاء بك .
فقال: للقاء بي أين حرس البيت؟
فقال خادمه : جاء القصر قبل مجيء العربة رجل وأخبرهم أنك تريدهم في السوق وبعده بقليل حضرت العربة
فقال سعيد : يا لها من مكيدة!
لما لملم تفاصيل الحيلة رجع لفندق خليل وأطلعه على جلية الكيد والغدر .
قال خليل : نعم، بدأ الانتقام ، علينا أن نعرف صاحب الدواب ، وعلينا أن نذهب إلى الميناء ونسأل أصحاب المراكب.. أتعرف شيخ ورئيس السفن والميناء بحكم تجارتك عن طريق البحر ؟
تنهد فقال: نعم ، كلهم يعملون معنا ؛ لكنني لا أعرف منازلهم.
قال خليل : من حمالين البحر تستطيع معرفة ذلك.
خرج سعيد مغموما وصحبه خليل جهة البحر حيث يكون التحميل والتنزيل للسلع والأشياء ؛ ولكن لمدينة يونان عدة موانئ بحرية من كل الجهات .
الساحر دينار كان همه الأول والأخير أسر ليان قبل أن ينتقم من الآخرين، فأرسل دغلا ونعمان لمراقبة ليان وسعيد ، واستوعب تحركات سعيد والحرس الذين يصحبونه ويحرسون البيت ، وعادا للساحر وأخبراه بما عرفاه ، وغادر بلده ليونان ، ومعه خمسة رجال من أتباعه وأعوانه ، تابع البيت والمحل ، ووضع الخطة ، ووافق الحادث ليلة ذهاب سعيد للميناء ، وغلب على ظنه أنه سائر للسمر والمتعة عند أحد التجار أو البحَّارة ، فتحرك رجلا من أعوانه لبيت سعيد ، وطلب من البواب الحراس الخاصين بليان الذهاب للسوق للقاء السيد سعيد وصدقوا ذلك دون تردد ، ولما ابتعدوا قليلا عن البيت ، تقدمت عربة ورجل زاعما أن سعيدا أرسله لأخذ ليان وأولادها لحضور حفلة عرس ، وهذا معتاد من قبل سعيد ، وصدقت ليان ذلك ، ولبست ثيابها ، وخرجت مع صاحب العربة ، وكانت قد علمت بطلب الحرس للقاء سعيد ، فلم تستغش في الأمر ، ونسيت الحذر ، والخطر المحدق بها .
ومشت المركبة نحو أحد الموانئ والمرافئ ، ولم تفطن للمكيدة إلا عندما هجم رجال على العربة وحملوها إلى

مركب بحري ، وفرقوا بينها وبين أطفالها، وساقوهم إلى بيت خاص.
استطاع سعيد وخليل الوصول إلى صاحب المركب الذي استأجره دينار وأعوانه ، وأنهم سافروا به إلى مدينة الساحل لمدة أسبوع .
فقال خليل : هذا جيد يا سعيد ! فهم يرغبون ببقائهم أحياء سأسافر وحدي إلى هناك وسيساعدنا ذلك الرجل ؛ كما فعل معنا سابقا .
استأجر خليل مركبا صغيرا لمدينة الساحل بمبلغ مغر للمراكبي، ومع الفجر كان يدخل المدينة فهي ملاصقة لمدينة يونان وربما كانت جزءا منها في يوم من الأيام ، ومع شروق الشمس كان يزور صديق دينار القديم جندوب ويكشف له الأمر، فوعده الرجل بالمساعدة اذا اتصل به دينار ، واستطاع خليل معرفة المكان الذي سيقت إليه ليان من الحمالين والعمال في الميناء ، واتفق خليل مع صاحب دينار على إنقاذ المرأة ، فاحضر الرجل بعض رجال الشرطة الذين يعرفهم واقتحموا البيت ، وألقي القبض على دغل وأعوانه، وأقروا بخطف المرأة لحساب دينار الذي تخلف في يونان مع أولاد سعيد لمساومة سعيد على حياتهم.
وقدم خليل الشكر والمال للشرطة وصاحب دينار ، واستأجر مركبا لتنقله إلى يونان ، وفي الليل كان يدخل المدينة مسرورا لإنقاذ ليان ، وحزينا على فقد الأولاد .
وفرح سعيد بنجاتها، وأخذ يبحث عن صاحب الدابة التي حملوا عليها، وبينما سعيد وخليل يحتفلون بعودة ليان اخبره البواب برجل على الباب، فخرج إليه سعيد ؛ فإذا هو دينار ، فرحب به ، وقال دينار :كيف حالك يا سعيد ؟
فقال: بخير.. أين الأولاد يا مجرم؟
قال دينار: الأولاد في أيدي أمينة يا سعيد!
قهقهة سعيد وقال: يدك أمينة! من أين أتتها الأمانة؟
قال دينار : لم تسأل عن زوجتك حبيبتك!
فقال: ولماذا أسأل عنها؟
وقال دينار : إنها مع الأولاد.
صرخ : كذاب يا دينار ! زوجتي نقلتها يا مجرم للساحل.
توتر دينار وقال: أتريد أولادك؟
فقال: ماذا تريد؟
قال دينار : ألف قطعة من الذهب.
فقال: سأدفع لك على شرط أن تنسى ما بيننا.
فقال دينار : إلا الجارية ليان.
فقال: إنها زوجتي!
قال دينار: طلقها.

فقال: أم أطفالي!

قال دينار :كثير من النساء تترك أطفالها يا سعيد! أنا سأدع لك حياتك وحياة صاحبك أنا ثأري عندكم جميعا.

فقال: أنت البادي والبادي أظلم !

وقال دينار : أنت سرقتها مني.

فقال: أنا ابتعتها من النخاس ؛ ليس منك ولا من صاحبك.

وقال دينار : أحببتها!

فقال: وأنا أحببتها وأعتقتها وتزوجتها.

وقال دينار: طلقها من أجل حياة أولادك.

حينئذ ظهر خليل وخلفه ليان ، فصاح دينار استغرابا وهو يردد : خليل! ليان! كيف عدتِ!

قالت : عدت بفضل الله ،وبمساعدة هذا الشهم ـ وأشارت لخليل ـ أين خبأت أطفالي يا مجرم؟

جلس على الأرض مصدوما ، وطلب سعيد من أحد الشبان الحرس باستدعاء العسس للتحقيق ، فحاول دينار منع ذلك ، فأبى سعيد العفو، فلما حضرت الشرطة ، اعترف بمقر أطفال ليان وسعيد ، وذهبوا وحرروهم ، واقتيد دينار للسجن في مدينة يونان؛ ليعرض على العدالة والقضاة.

جارية بن قدامة

وقال معاوية لجارية بن قدامة: ما كان أهونك على قومك، إذ سموك جارية؟

فقال: وما أهونك على قومك إذ سموك معاوية، وهي الأنثى من الكلاب قال: اسكت، لا أم لك، قال: أم ولدتني، أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا، والسيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا وإنك لا تملكنا قهراً ولا تهلكنا عنوة، ولكنك أعطيتنا عهداً وميثاقاً وأعطيناك سمعاً وطاعة، فإن وفيت لنا وفينا لك، وإن فرغت إلى غير ذلك فإنا قد تركنا ورائنا لك رجالاً شداداً وأسنة حداداً

فقال معاوية: لا كثر الله مثلك في الناس يا جارية، قال: قل معروفاً فإن شر الدعاء محيط بأهله.

قدم لقمان من سفر

قيل: قدم لقمان من سفر، فلقي غلاماً له، فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات، قال: ملكت يا مولاي أمري، فما فعلت أمي؟ قال: ماتت، قال: ذهب همي، فما فعلت أختي؟ قال: ماتت، قال: سترت عورتي، قال: فما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت، قال: جددت فراشي، فما فعل أخي؟ قال: مات، قال: آه انقطع ظهري.

موقعة الثلاثة والعشرين

الحلقة٢

الخطيب الطبيب

في مساء اليوم الخميس ٢٥/٨/٢٠٠٨ حضر لدار الجد الشاب خالد عبد الرحيم محمد الذي سيكون قرينا لشقيقتي هاجر فهو طبيب متخرج من كلية طب القاهرة وهو قصير القامة بدين البدن يلبس نظارة طبية يعمل في مستشفى القدس أحد مشافي القطاع جرى التعارف بيننا ، واخذ يحدثنا عن مصر والدراسة باختصار ، ورتب له غداء عائلي معنا ، وكان العشاء في مطعم كان الجو عندما خرجنا عصرا في جولة ميدانية متوترا وجل الحديث على الحرب القادمة والهدنة وخذلان مصر للغزيين وتهديدات ليفني للفصائل والأهالي من قلب القاهرة وتهديد حماس الحاكمة للقطاع بعد هرب فتح ودحلان.

*****

وكانت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني وصلت إلى القاهرة بدعوة من الرئيس المصري حسني مبارك للتباحث معه في مسألة انتهاء التهدئة ومعاودة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) إطلاق الصواريخ محلية الصنع على جنوب إسرائيل ، وتأتي الزيارة غداة يوم ساخن شهد تصعيدا عسكريا بين إسرائيل والفصائل الفلسطينية في غزة ، حيث أطلقت كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة "حماس" عشرات الصواريخ وقذائف الهاون ردا على مقتل ثلاثة من ناشطيها على يد دورية إسرائيلية الثلاثاء ، من جهتها أعلنت سرايا القدس الجناح العسكري لحركة "الجهاد الإسلامي" إطلاقها سبعة صواريخ على عسقلان وسديروت التي شهدت أيضا سقوط صاروخ أطلقته كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة "فتح" وقالت ليفني وهي في الوقت نفسه زعيمة حزب كاديما الحاكم في مؤتمر صحافي مشترك مع وزير الخارجية المصري احمد أبو الغيط إن "الوضع في قطاع غزة اصبح عائقا أمام إقامة الدولة الفلسطينية ، وحماس يجب أن تعرف أن تطلعنا للسلام لا يعني أن إسرائيل ستقبل بعد الآن هذا الوضع كفى يعني كفى والوضع سيتغير وأضافت "للأسف هناك عنوان واحد للتعامل مع وضع الشعب في قطاع غزة وهو حماس التي تسيطر عليهم"

وتابعت أن "حماس قررت استهداف إسرائيل وهذا شيء يجب أن يتوقف وهذا ما سنقوم به"

وأكدت "أن التصعيد الذي حدث بالأمس غير محتمل والوضع في غزة هو كالتالي: إنها تحت سيطرة حماس ، وهي منظمة إرهابية متطرفة ، ولا

تمثل الفلسطينيين وتهاجم إسرائيل بشكل يومي" واعتبرت ليفني أن "سيطرة حماس على قطاع غزة ليست مشكلة لإسرائيل فقط، نحن نتفهم احتياجات مصر (في أن يسود الهدوء في القطاع) ولكن ما نفعله هو تعبير عن احتياجات المنطقة"، ملمحة ضمنا إلى أن سيطرة حماس على غزة تمثل مشكلة لمصر كذلك.

ومن جهته قال أبو الغيط "لقد أوضحت القيادة المصرية وأوضح السيد الرئيس الأمل المصري في ضبط النفس وعدم التصعيد العسكري بين الجانبين وكذلك تسهيل الوضع الإنساني في القطاع . وتابع "قطاع غزة يمر بفترة صعبة والشعب الفلسطيني يعاني كثيرا " وأوضحت المناقشات إحساس مصر بالحاجة إلى تحلي إسرائيل بضبط النفس وأضاف أن " هناك حاجة لوقف اطلاق الصواريخ كي تعود الأوضاع إلى ما كانت علية" وشدد على أن "الهدف المصري سيبقى الحفاظ على التهدئة والرغبة في تأمينها".

وكانت مصر الوسيط في التوصل إلى تهدئة بين حركة "حماس" والدولة العبرية في ١٩ حزيران الفائت ، استمرت ستة أشهر، قبل أن تعلن "حماس" انتهاءها.

وجاءت زيارة ليفني للقاهرة غداة اجتماع للحكومة الأمنية الإسرائيلية قالت الصحف الإسرائيلية إنه انتهى إلى منح ضوء اخضر للجيش للقيام بعمليات واسعة في قطاع غزة.

واعتبر وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك "حماس" مسؤولة عن إطلاق الصواريخ وهددها بدفع "ثمن باهض"

وقال المتحدث باسم الخارجية الإسرائيلية أن الهدف الأول من زيارة ليفني إلى مصر هو التوصل إلى "تهدئة دائمة"، لكنه حذر من أنه إذا تبين استحالة ذلك، فإن ليفني ستبحث "كل الخيارات الأخرى بصراحة مع مصر " في إشارة إلى عمليات عسكرية إسرائيلية.

قال ايمن : انتهت التهدئة المصرية في ١٩ من الشهر نفسه شهر زيارتي لأرض الأجداد، وكان اتفاق حزيران بينهم برعاية مصرية ، ولا اتصال لأهل غزة مع العالم إلا عن طريق مصر ، وهي التي سلمت القطاع لإسرائيل أيام حرب الستة ١٩٦٧، وكانت التهدئة ملطخة بدم الشعب الفلسطيني البطل ، وهنا حصار فظيع لمليون ونصف وتوغلات مستمرة ، فكانت الطائرات تقصف مواقع المقاومة والمجاهدين من مختلف الفصائل، ويصاب المدنيون بالقصف ، وتغلق معابر القطاع مع إسرائيل أياما، ثم يعود فتحها ، كان الشعب يعيش في كارثة ؛ ولكن كانت هناك

انفاق كثيرة تخفف نوعا ما من شدة الحصار ، وكانت مخاطرة سواء بانهيار الأنفاق على المتسللين أو تعرضها للقصف ؛ فكان التهديد بعملية عسكرية متكرر ومتوقع ، ولاحظت أن الفصائل المقاومة تكاد تجمع على رفض تمديد الهدنة بدون شروط جديدة ؛ لذلك اضطرت حماس إلى إصدار بيان بأنها لن تجدد الهدنة بعد انتهاء المدة ، وهددت ليفني بأن اطلاق أي نار من غزة سيفرض علينا أن نرد من اجل حماية السكان ، وفي حال استمرت حماس في الإرهاب ستعمل إسرائيل بكل الوسائل المتاحة للرد ، الحكومة مسئولة تجاه سكانها والدولة قادرة للرد على الإرهاب الذي يمارس ضدها...لا يمكننا إبقاء غزة تحت سيطرة حماس والإرهاب .

وكانت إسرائيل على أبواب انتخابات كنيست؛ فكان الدم الفلسطيني وقود وقربان التنافس لهذه العصابات والانتخابات .

وسمع ايمن وهو يقف أمام محل لبيع العصير احد الناس يقول: الحرب آتيه.

ـ لماذا؟!

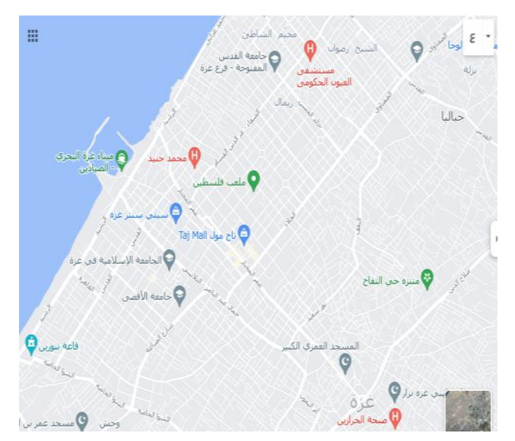
فقال القائل معللا مفسرا: ففي منتصف الشهر اجتمع المطبخ برئاسة أولمرت وليفي وباراك وقادة الأجهزة الأمنية الاستخبارية والجيش ، فهذا الاجتماع الخطير هو لشن حرب للقضاء على سلطة حماس ، وقد اعلنوا عن هدفين إعادة الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط الأسير لدى القسام والهدف الثاني وقف أشكال الإرهاب المنطلق من غزة قصدهم الصواريخ .. ألم نلاحظ أن إسرائيل في حملة دبلوماسية للعدوان وشن الحرب؟!

ـ ألا ترى أنها حرب نفسية ؟ لأننا نحن وإياهم في حرب دائمة .. واجتياح سيكلفهم غاليا عسكريا واقتصاديا وتسولا من الغرب.

ـ وهل انتهت الحرب النفسية؟! فهم يتسولون منذ صنعوا أول مستوطنة في فلسطين .. ديدنهم التسول مع زعمهم انهم اغنى العالم .

أجواء غزة

قادنا الطبيب في شوارع حي الزيتون وأمام مقهى صغير لبيع العصير سمعنا نقاشا آخر ، ولما ابتعدنا عنهم قليلا سأل ابن عمتي ناصر الدين الطبيب



خالد وأخته أمل عن سبب اهتمام الناس في السياسة والأخبار فقالت أمل نيابة عن شقيقها : هذه أخبار الصحف الغزية ومحطات اف أم

المحلية فالأجواء ملبدة بالغيوم كما يقال.
قادنا الطبيب إلى احد المطاعم الجميلة القريبة من شارع عمر المختار الذي يشق مدينة غزة ويمتد من شارع الرشيد إلى شارع صلاح الدين.
فغزة لها شارع يمتد من جنوبها إلى شمالها اسمه صلاح الدين ، دخلنا شارع الرشيد جلسنا في صالة المطعم وتعاون الطبيب والفتيات على اختيار أصناف الطعام والكولا ، وأخذت أتذكر أن هذا القطاع الذي يشغل العالم في حصاره وسفن كسر الحصار التي تتردد عليه وتحت قوافل كسر الحصار وتذكرت الحصار ، وكما قال احدهم: لماذا أبقت إسرائيل هذا القطاع عام ٤٨ بيد المصريين ؟ حيث أقيمت فيه حكومة عموم فلسطين ، فالبحر يحده من الغرب وهو تحت سيطرة الزوارق والبحرية الإسرائيلية وشماله وشرقه محاصر من قبلهم، ولا اتصال له بالضفة إنما اتصاله بمصر والعالم العربي من جهة رفح والعريش وهو ثلاث مدن مهمة غزة شمالا الوسط خان يونس ورفح جنوبه وسكانه كثر ويعتمد العدد الأكبر منهم على معونات الأونروا

*****

وهي وكالة غوث وتنمية بشرية تعمل على تقديم الدعم والحماية وكسب التأييد لحوالي ٥,٦ مليون لاجئ فلسطيني مسجلين لديها في الأردن ولبنان وسوريا والضفة الغربية وقطاع غزة، إلى أن يتم إيجاد حل لمعاناتهم .
يتم تمويل الأونروا بالكامل تقريباً من خلال التبرعات الطوعية التي تقدمها الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة، تأسست عام ١٩٤٩ بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإنجليزية UNRWA : أسست الأمم المتحدة منظمة تسمى "هيئة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين" في نوفمبر ١٩٤٩ لتقديم المعونة للاجئين الفلسطينيين وتنسيق الخدمات التي تقدم لهم من طرف المنظمات غير الحكومية وبعض منظمات الأمم المتحدة الأخرى، وفي ٨ ديسمبر ١٩٤٩ وبموجب قرار الجمعية العامة رقم ٣٠٢، تأسست وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين لتعمل كوكالة مخصصة ومؤقتة، على أن تجدد ولايتها كل ثلاث سنوات لغاية إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية، ومقرها الرئيسي في فيينا وعمان ، بدأت الأونروا عملياتها يوم الأول من مايو / أيار ١٩٥٠ ، وتولت مهام هيئة الإغاثة التي تم تأسيسها من قبل وتسلّمت سجلات اللاجئين الفلسطينيين من اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، أوجه إنفاق أموال الأونروا : لبرامج التعليم ٥٤ ٪ ، لبرامج الصحة ١٨٪ للخدمات المشتركة

والخدمات التشغيلية ١٨٪، لبرامج الإغاثة والخدمات الاجتماعية ١٠٪

تغطي خدمات الأونروا للاجئين الفلسطينيين المقيمين في مناطق عملياتها الخمس وهي الضفة



الغربية وقطاع غزة ولبنان والأردن وسوريا ، والبالغ عددهم ٣,٨ ملايين لاجئ حسب أرقام عام ٢٠٠١ . عرفت الأونروا اللاجئ الفلسطيني بالشخص الذي كان يقيم في فلسطين خلال الفترة من أول حزيران ١٩٤٦ حتى ١٥ أيار ١٩٤٨ والذي فقد بيته ومورد رزقه نتيجة حرب ١٩٤٨، وعليه فإن اللاجئين الفلسطينيين الذين يحق لهم تلقي المساعدات من الأونروا هم الذين ينطبق عليهم التعريف أعلاه إضافة إلى أبنائهم.

وظلت غزة تحكم من ٦٧-٩٣ من قبل إسرائيل ، لها ستة معابر مع الكيان لإدخال المواد

****

تحيط بقطاع غزة سبعة معابر لا يدخل القطاع ولا يخرج منه شيء دون المرور بأحدها، وتخضع ستة منها لسيطرة إسرائيل والمعبر الوحيد الخارج عن سيطرة الاحتلال المباشر هو معبر رفح، الذي يقع تحت إشراف مصر والسلطة الفلسطينية برقابة أوروبية، ولكل معبر من المعابر الستة الأولى تسميتان؛ إحداهما عربية والثانية متداولة إسرائيليا.



ويعاني القطاع من حصار خانق منذ سنوات طويلة، وازداد حدة بعد فوز حركة المقاومة الإسلامية(حماس) بالانتخابات عام ٢٠٠٦، حيث أصبح وجود المعابر كعدمها.

ومعابر غزة السبعة هي:

١- معبر المنطار ويعرف إسرائيليا باسم (كارني) موقعه: شرق مدينة غزة ، السيطرة إسرائيلية كاملة عليه ، هو أهم المعابر في القطاع، وأكبرها من حيث عبور السلع التجارية بين القطاع وإسرائيل، هذا المعبر من أكثر المعابر إغلاقا؛ فلم يفتح إلا ١٥٠ يوما طوال سنة ٢٠٠٧، كما أنه أكثرها خضوعا للتفتيش، خاصة تفتيش البضائع الفلسطينية ، وكانت إسرائيل تشترط تفتيشا

مزدوجا لكل ما يمر عبر معبر المنطار (كارني) فيفتشه طرف فلسطيني ثم تقوم شركة إسرائيلية متخصصة بتفتيشه، بمعنى أن كل حمولة تفرغ وتعبأ مرتين، مما يعرض أي بضاعة لإمكانية التلف فضلا عن إضاعة الكثير من الوقت.

٢- معبر بيت حانون ويعرف إسرائيليا باسم (إيريز)، شمالي مدينة غزة، تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة، هذا المعبر مخصص لعبور الحالات المرضية الفلسطينية المطلوب علاجها في إسرائيل أو الضفة الغربية أو الأردن ، ويمر منه الدبلوماسيون والصحافة والبعثات الأجنبية والعمال وتجار القطاع الراغبون في الدخول بتصاريح إلى إسرائيل، كما تمر منه الصحف والمطبوعات، ظلت سلطات الاحتلال تتعمد إذلال كل فلسطيني عند مروره من معبر بيت حانون حتى ولو كان مريضا، وذلك بأن تفرض عليه السير على الأقدام مسافة تزيد على كيلومتر حتى يتمكن من الوصول إلى الجانب الإسرائيلي من المعبر، ويبقى الفلسطينيون ساعات طويلة حتى يسمح لهم بالمرور.

٣- معبر العودة ويعرف إسرائيليا باسم (صوفا)، موقعه: شرق مدينة رفح ، هو معبر صغير ومخصص للحركة التجارية، وأغلبها مواد البناء التي تعبر باتجاه قطاع غزة فقط، فلا تعبر منه أي مواد نحو إسرائيل، خضع إغلاق معبر العودة لمزاج الأمن الإسرائيلي المرابط به، وإجراءات التفتيش فيه معقدة جدا، فالأمن الإسرائيلي يتعمد إفراغ الشاحنات القادمة من إسرائيل في ساحة كبيرة وتفتش تفتيشا يستمر ساعات طويلة قبل إخلاء سبيلها.

٤- معبر الشجاعية ويعرف إسرائيليا باسم ناحال عوز، موقعه في حي الشجاعية شرق مدينة غزة، هو معبر حساس؛ فمنه يمر الوقود نحو القطاع، ويقع تحت إشراف شركة إسرائيلية يناط بها توريد الوقود نحو غزة، والمعبر عبارة عن مكان تتصل به من الجانبين أنابيب كبيرة يفرغ فيها الوقود القادم من إسرائيل، دأبت سلطات الاحتلال على إغلاق معبر الشجاعية (ناحال عوز) يومين كل أسبوع، مما دفع العاملين في محطة توليد الكهرباء بغزة لاقتطاع كميات صغيرة وتخزينها لتغطية اليومين الذين يتوقف فيهما التزويد.

٥- معبر كرم أبو سالم ويعرف إسرائيليا باسم (كيرم شالوم)، يقع على نقطة الحدود المصرية الفلسطينية الإسرائيلية، السيطرة إسرائيلية بتنسيق مع مصر، هذا المعبر مخصص للحركة التجارية بين القطاع وإسرائيل، ويستخدم أحيانا لعبور المساعدات إلى القطاع كما كان يمر منه بعض الفلسطينيين حين يتعذر عليهم استعمال

معبر رفح القريب منه، يخضع الفلسطينيون عند مرورهم من معبر كرم أبو سالم لإذلال وإهانة وتعقيد وابتزاز الأمن والاستخبارات الإسرائيليين.

٦- معبر القرارة ويعرف إسرائيليا باسم (كيسوفيم)، يقع بين منطقة خان يونس ودير البلح ،

معبر مخصص للتحرك العسكري الإسرائيلي حيث تدخل منه الدبابات والقطع العسكرية كلما قررت إسرائيل اجتياح القطاع، أغلق بشكل كامل منذ انسحاب إسرائيل من غزة.

٧- معبر رفح، جنوب القطاع على الحدود المصرية الفلسطينية ، السيطرة فلسطينية بالتنسيق مع المصريين وبمراقبة الاتحاد الأوروبي.

استخدم معبر رفح وفقا لاتفاقية المعابر الموقعة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية في تشرين الثاني ٢٠٠٥، لعبور كل فلسطيني يحمل هوية فلسطينية، ويستخدم المعبر لتصدير البضائع الفلسطينية، خاصة المنتجات الزراعية رغم اعتراض إسرائيل، اشترطت إسرائيل على السلطة الفلسطينية إبلاغها بأسماء كل من يريد استخدام معبر رفح قبل ٤٨ ساعة، لتقرر إذا كانت ستسمح له بالعبور أو تمنعه، وكثيرا ما فرضت إسرائيل إغلاق معبر رفح متذرعة ببند في اتفاقية المعابر لا يسمح بفتح المعبر إلا بوجود البعثة الأوروبية.

هذه المعابر تتحكم فيها إسرائيل ما عدا معبر رفح المصري ، اذا أغلقت تتوقف شاحنات الديزل والبنزين والغاز دخول القطاع وكذلك المواد الغذائية والمساعدات

****

قال ايمن: أكلنا السمك الغزاوي والدجاج المشوي وما قسم الله لنا، ثم غادرنا المطعم مع منتصف الليل وكان طبيبنا خالد يقول: الجد موسى يقول لماذا لا يتزوج أبناء خليل وعدلي من بناتنا وأبنائنا ؟ فقال جدي محمد : الدكتور يبحث عن عروس ، وكان اتصال بعمي عدلي ، وأنا لم يكن لديّ مانع للزواج من بنات العم على شرط أن تكون متعلمة حتى ولو معهد متوسط على الأقل فذكروا لي الآنسة هاجر ابنة العم خليل تخرجت من الجامعة منذ عامين وأهل للزواج أنت ماذا درست يا هاجر؟ ـ صيدلة

فصاح فرحا : نحن قريبون من بعض ! فكري بقريبك أنا اذا رأيتني مناسبا فحيهلا

ـ أنا جئت لرغبة أبي أولا ومن الجميل أن أعيش في البلاد هذه.

الخداع الصهيوني

كان اولمرت رئيس الوزراء المجرم يحث سكان وأهالي القطاع في إسكات حماس ومنعها من

اطلاق الصواريخ على سديروت وعسقلان والبلدات الإسرائيلية ، ومن قلب القاهرة ١٢/٢٥ صرحت سيبني ليفني وزيرة خارجية اولمرت أن الموقف في غزة اصبح يمثل عقبة في طريق إقامة الدولة الفلسطينية الحلم وقالت: إن سيطرة حماس على قطاع غزة ليست مشكلة إسرائيلية وما تفعله هو تعبير عن احتياجات المنطقة . ومر ذكر تصريحاتها العدوانية آنفا

ونتنياهو صرح ٢٥/ ١٢ على الحكومة شن هجوم على غزة وقال :إنني لا اعرف دولة تسقط عليها صواريخ ولا تفعل شيئا ، وعلينا الانتقال من سياسة تلقي الضربات إلى الهجوم وترميم الكرامة الوطنية إن الوضع الحاصل لا يطاق ونحن سنغير ذلك وسكان الجنوب لا يمكنهم الموافقة على قاعدة إيرانية في النقب"

وللخداع والمكر الذي تبين ووضح فيما بعد دعا ليبرمان اولمرت إلى إقالة وزير الدفاع ايهود باراك اذا عارض شن حرب واسعة على القطاع، قامت إسرائيل بعملية تضليل كبرى وخداع حول الحرب القادمة ، فكنت ترى بعضهم يصرح بأن الحرب على الأبواب وآخرون يرونها بعيدة ؛ إنما مجرد غارات كالعادة.

صباح الجمعة كان على مائدة الجد موسى البيض المسلوق والحمص المطحون والزعتر والدقة والشطة والجبن الأبيض والأصفر وبعد الإفطار اخذ القوم يستعدون للذهاب لصلاة الجمعة فالنهار قصير والمساجد كثيرة في الأحياء الغزية ، ترى بعض المساجد خاصة بطائفة معينة ، هذا مسجد الصوفية الدراويش ، وذا للسلفية وذا للحزب وذا لجماعة التبليغ وذا اكثر رواده من حماس والإخوان أو حزب التحرير ، حقيقة الأسماء كثيرة وفروعها كثيرة وتنقل الشباب من فريق لآخر كثير وفرق المقاومة كثيرة الأسماء والهيئات وهذا حال المسلمين في بلدان العرب والإسلام .

وكالعادة تناول الشيخ موسى الصحف المتوفرة والصادرة في القطاع أو آتية من الضفة :



حماس: لم نتسلم أي دعوة

مصر ستدعو الفلسطينيين إلى محادثات وحدة وطنية جديدة

"هنية" يؤكد تمسكه بوحدة الضفة وغزة ويرحب بجهود استئناف الحوار

اقتحام إسرائيلي لبلدتين في الضفة

تواصل التهديدات الاسرائيلية لغزة والمقاومة تستهدف المستوطنات

الجمهور الإسرائيلي منقسم حول شن عدوان على غزة



لإدخال "مساعدات محدودة"

سلطات الاحتلال تفتح معبري "أبو سالم" والمنطار اليوم

القدس المحتلة الفرنسية: قرر وزير الجيش الإسرائيلي ايهود باراك السماح بمرور مساعدات إنسانية الى قطاع غزة كما أعلن مكتبه في بيان صدر مساء أمس. وأوضح البيان ان "المعابرين (اسرائيل) وقطاع غزة ستفتح الجمعة لإيصال مساعدة إنسانية ملحة الى غزة" واستنادا الى القناة العامة للتلفزيون الاسرائيلي فإن هذا القرار يأتي نتيجة ضغوط دولية ولاسيما من مصر حيث بحثت وزيرة الخارجية 27

الثائب العام يعلن بدء ملاحقة المخالفين

"الحكومة" تحذر التجار من الاستغلال وتتوعد محتكري السلع

غزة-فلسطين: حذرت الحكومة الفلسطينية أمس من محاولات استغلال بعض التجار للحالة الراهنة والقيام برفع الأسعار أو محاولة احتكار السلع والبضائع وإطلاق الشائعات على نحو 27

الإعلام أهم أدوات حرب الاحتلال على غزة



أبو عامر: الإعلام الإسرائيلي حجب دعاة التروي في توجيه ضربة لغزة



اللحام: معظم كتاب الصحف الإسرائيلية تحولوا إلى دعاة حرب

غزة / تقرير محمد أبو جياب:

لم تكن وسائل الإعلام الإسرائيلية بعيدة عما كشفته مصادر أمنية إسرائيلية، أمس، من أن المجلس الوزاري المصغر للشؤون الأمنية والسياسية في (إسرائيل) قد أعطى الضوء الأخضر لقوات الاحتلال للقيام بعملية عسكرية واسعة النطاق في قطاع غزة، إضافة إلى أنها ليست بعيدة عن الإعداد المعنوي والإعلامي والسيكولوجي لهذه العملية إلى جانب المؤسسة العسكرية الإسرائيلية.

سرايا القدس تحذر الاحتلال من ارتكاب أي حماقات في غزة

غزة/فلسطين:

حذرت سرايا القدس، الذراع العسكرية لحركة الجهاد الإسلامي، العدو الإسرائيلي من ارتكاب أي حماقات ضد قطاع غزة، مؤكدة استعدادها لمجابهة أي عدوان والتصدي له. وقال "أبو حمزة" الناطق باسم السرايا إن "المرحلة المقبلة ستشهد تنفيذ عمليات استشهادية داخل العمق الصهيوني، في حال نفذ العدو تهديداته العدوانية".

وأشار أبو حمزة في تصريح صحافي، تلقت صحيفة "فلسطين" نسخة عنه، إلى أن كافة الخيارات والوسائل ستكون مفتوحة أمام المقاومة للرد على الاعتداءات العسكرية الإسرائيلية، واعتبر الناطق باسم السرايا التهديدات الإسرائيلية باجتياح القطاع "دعاية انتخابية للأحزاب لكسب صوت الناخب اليهودي"، مستدركا بأن "إمكانية تطبيقها على الأرض متوقع، ويجد قادة الاحتلال طريقهم إلى سدة الحكم عبر الدماء الفلسطينية، ما يعكس الطبيعة العدوانية للمجتمع الإسرائيلي".

وأشار أبو حمزة إلى أن "الأيام القادمة ستشهد تطورا ملحوظا في أداء السرايا والصواريخ التي تمتلكها باتت تصل إلى ما بعد سديروت، وعلى المستوطنين تحمل نتائج حماقات قادتهم"، على تعبيره.

وفي شأن التهدئة التي أعلنت انتهاءها في التاسع عشر من الشهر الجاري، أوضح "أبو حمزة" أن التصعيد العسكري للاحتلال، والتهديد بتنفيذ عملية عسكرية في غزة "يهدف إلى الضغط على المقاومة للقبول بتهدئة جديدة لم يجن ثمار سابقتها سوى الاحتلال، ودفع أهالي القطاع مقابلها مزيدا من الشهداء، واستمر الحصار وإغلاق المعابر".

وأكد أن سرايا القدس "لن تقبل بتهدئة جديدة مع الاحتلال، ما لم يلتزم الأخير باستحقاقاتها".

لا مصلحة لمصر في التصعيد

د.شراب يستبعد صحة التصريحات المنسوبة لعمر سليمان حول معاقبة حماس

غزة/ محمد الأيوبي:

تعقيباً على تهديد ليفني بإسقاط حماس

تحليل: الظروف المحيطة بـ(إسرائيل) لا تسمح بعملية عسكرية في غزة

غزة / تقرير محمود أبو كميل:

توقع مراقبان للشأن الإسرائيلي أن تقتصر العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد قطاع غزة على طلعات جوية تستهدف مواقع حساسة لحركة "حماس" ومقار أمنية، مستبعدين خيار العملية العسكرية الواسعة. وقالا في أحاديث منفصلة لـ"فلسطين": "(إسرائيل) تريد إسقاط حكم حماس، لكنها تخشى من عدم توفر بديل للإسلام"، وأضاف: إن جيش الاحتلال سيواجه صعوبة إذا اختار المواجهة العسكرية البرية.

الصحف العبرية منشغلة بإحصاء صواريخ المقاومة وأضرارها

قلقيلية/فلسطين:

انشغلت الصحف العبرية خلال الأيام الماضية بمتابعة وإحصاء صواريخ المقاومة التي تسقط في البلدات الإسرائيلية المحاذية لقطاع غزة، لاسيما سيدروت، مسلطة الضوء على الأضرار التي تحدثها تلك الصواريخ على المستوى المادي والمعنوي.

وذكر مراسل ميداني لإحدى الصحف العبرية، أن صحيفته طلبت منه الاستعداد لمتابعة الأضرار الناجمة عن سقوط الصواريخ الفلسطينية على البلدات الإسرائيلية.

وقال خلال مكالمة هاتفية مع إحدى الإذاعات الإسرائيلية رصدتها صحيفة "فلسطين": كنا في عهد التهدئة في راحة وهدوء، وكانت الأمور على ما يرام، وبعد إعلان حماس انتهاء التهدئة طلب منا الاستعداد لأيام ثقيلة لتغطية أعداد الصواريخ القادمة من قطاع غزة وكتابة آثار كل صاروخ النفسية والمادية في المنطقة التي يقع فيها".

وذكر المراسل مصطلح "أوجاع الصواريخ"، ومضى يقول: ليلة الأربعاء سقط ١٤ صاروخاً من طراز قسام على اسديروت والتجمعات القريبة".

وتابع: طلبت منا إدارة صحيفة يديعوت احرنوت كتابة تفاصيل هذا الصاروخ المرعب الذي أوشك على تغيير الواقع بين حماس و(إسرائيل)".

وفي سؤال حول الخطر الذي يحدق بالمراسلين الميدانيين، قال المراسل ساخراً: كل يوم نسلم على الموت، ولا نعلم متى سيكون الحدث الذي ننتقل فيه إلى العالم الآخر. فحماس تطور صواريخها يوما بعد يوم، واستطيع أن أميز صواريخ القسام من مجموع الصواريخ التابعة لفصائل أخرى. فصوت صاروخ القسام أقوى، ودماره أكثر، وحفرته على الأرض أو في السقف أوسع"، حسب تعبيره.

وأشار إلى خبرة المراسلين الميدانيين بصواريخ القسام، ومضى يقول: نخشى أن تكون لدى حماس مفاجأة في قوة صواريخها، وبالتالي يكون الوجع عاليا، وسيكون رد (إسرائيل) أكثر وجعاً". ونفى المراسل الميداني أن تكون صواريخ المقاومة الفلسطينية "ألعاب نارية أو دون جدوى". وقال: من يريد أن يشاهد وجع الصواريخ عليه أن يأتي إلى اسديروت ويرى بأم عينه فاتورة الوجع اليومية التي تطورت إلى كابوس دائم".

وأضاف: "سديروت تحولت إلى جحيم. وكل شيء أصيب من مقر البلدية حتى المنازل. فبقعة الزيت اتسعت كما وصفت حماس عملية إطلاق الصواريخ".

وكانت كتائب القسام الجناح العسكري لحركة حماس قد أطلقت على عملية إطلاق الصواريخ مؤخراً اسم "بقعة زيت"، مهددة بزيادة مساحة تلك البقعة، في إشارة إلى إمكانية إطلاق صواريخ أبعد مدى.

وبحسب كثير من المحللين الإسرائيليين، فإن حركة حماس أوجدت معادلة توازن رعب من خلال الصواريخ، وأنها تعمل من خلال هذه الصواريخ على تغيير كل قواعد اللعبة وكسر الحصار عسكريا.

النائب العام يعلن بدء ملاحقة المخالفين

"الحكومة" تحذر التجار من الاستغلال وتتوعد محتكري السلع

غزة/فلسطين:

حذرت الحكومة الفلسطينية، أمس، من محاولات استغلال بعض التجار للحالة الراهنة والقيام برفع الأسعار أو محاولة احتكار السلع والبضائع وإطلاق الشائعات على نحو

27 »

"ليفني" من القاهرة:

(إسرائيل) لن تسمح بعد الآن باستمرار سيطرة حماس على غزة و"ستغير الوضع"

القاهرة/ الفرنسية:

هددت، أمس، وزيرة خارجية الاحتلال الإسرائيلي تسيبي ليفني بعد لقاء مع الرئيس المصري حسني مبارك، بأنهم لن يسمحوا بعد الآن باستمرار سيطرة "حماس"

27 »

طالب مصر بعدم منح ليفني غطاء لتنفيذ تهديداتها

المصري لـ"فلسطين": (إسرائيل) اختارت التصعيد وعليها أن تتحمل نتائجه

غزة / محمد الأيوبي:

قال النائب مشير المصري: إن دولة الاحتلال الإسرائيلي قد اختارت خيار التصعيد والمواجهة بعد انتهاء التهدئة، بتهربها من استحقاقاتها وشروطها، محملاً (إسرائيل) نتائج وتداعيات التوتر الميداني.

كما أكد في تصريحات صحفية لـ"فلسطين"، عبر الهاتف، على حق المقاومة وفصائلها في الرد والدفاع عن الشعب الفلسطيني بكافة الوسائل المتاحة. وأعلن انتهاء التهدئة في ١٩ كانون الأول/ديسمبر الجاري، ومنذ هذا التاريخ صعدت سلطات الاحتلال المتمركزة على تخوم القطاع من عملياتها العسكرية، راح ضحيتها الثلاثاء خمسة من كتائب القسام، فيما رشقت المقاومة البلدات الإسرائيلية بعشرات الصواريخ محلية الصنع.

وشدد النائب عن كتلة التغيير والإصلاح البرلمانية أن حركته لن تقف مكتوفة الأيدي أمام أي جريمة، مضيفاً: "لن نقف صامتين، وفق معادلة أن مقاومة اليوم ليست كالأمس، هي قادرة على تلقين العدو الإسرائيلي الدرس القاسي والمؤلم". واعتبر رد الذراع العسكرية لـ"حماس" بإطلاق ما يزيد عن ٥٠ صاروخاً في أقل من ساعة بعد قتل الاحتلال خمسة من عناصرها "دليل على قدرة المقاومة الفلسطينية، بل إيلام العدو وتوجيه ضربات غير مسبوقة".

وتوعدت كتائب القسام، بتوسيع دائرة هجماتها ضد (إسرائيل) مهددة بأن أي "عدوان على قطاع غزة سيفتح فوهة البركان، وبقعة الزيت ستتسع لتشمل عشرات آلاف المستوطنين".

في هذا الجانب قال المصري: "إن إعلان الكتائب يعني أن سكان مستوطنة سديروت والمستوطنات المجاورة لحدود القطاع لن يعيشوا بأمن واستقرار ما لم يعيشه أطفال فلسطين".

ورأى المصري في التصريحات الإسرائيلية الداعية لضرب قطاع غزة، والقضاء على حركة "حماس" ليست جديدة ولا تخيف قيادة الحركة، وعناصرها، مشيراً إلى أن ذلك مطلب الأحزاب والرأي العام الإسرائيلي.

وأوضح النائب الفلسطيني أن المقاومة تأخذ التهديدات على محمل الجد، ولا تفترض التراجع عنها، وقال: "حماس وفصائل المقاومة على استعداد للمواجهة، ولكن على الاحتلال أن يدرك أن اجتياحاً وعملية عسكرية في غزة ستكون مقامرة بجنود الاحتلال الإسرائيلي. المقاومة قادرة على إحداث توازن إستراتيجي في الرعب بين آلة الحرب الإسرائيلية المتطورة، ووسائل المقاومة القتالية البدوية".

وهددت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني، أمس، بعد لقاء مع الرئيس المصري حسني مبارك بأن (إسرائيل) "لن تسمح بعد الآن، باستمرار سيطرة حماس على قطاع غزة وبأنها ستغير الوضع في غزة، بعد تصاعد العنف خلال الأيام الأخيرة"، حسب تعبيرها.

وأكد أن أي شيء سيطرح على "حماس" من هذا القبيل سيوضع على طاولة البحث مع الفصائل الفلسطينية.

وأعرب المصري عن رفض حركته استقبال مصر للوزيرة الإسرائيلية، مطالباً الأولى والدول العربية بتعزيز مقومات الصمود والثبات للشعب الفلسطيني، وإنهاء عزلة مليون ونصف مليون إنسان في غزة "وليس منح ليفني غطاء لتنفيذ الجرائم والإرهاب بحقه".

هاتف نظيره الليبي

وزير الصحة يطلع "منظمة الصحة العالمية" على الوضع الصحي في غزة

غزة/ فلسطين:

استعرض وزير الصحة د.باسم نعيم خلال اتصال هاتفي أجراه، أمس، مع د.حسين الجزائري مدير المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية (امرو) الوضع الصحي المأساوي الذي يعيشه مرضى القطاع المحاصر منذ ما يزيد عن ١٨ شهراً.

وقال الوزير نعيم: إن سلطات الاحتلال الإسرائيلي ما زالت تصر على تنفيذ أحكام الإعدام بحق آلاف المرضى من خلال منعهم من السفر للعلاج بالخارج في تحد صارخ لكل القيم والأعراف والمعايير الدولية".

من ناحيته أعرب الجزائري عن استنكاره الشديد لما يفعله الاحتلال من تقويض متعمد للمؤسسات الصحية بمنع إدخال الأدوية والمعدات الطبية، مشدداً على اهتمام منظمته بإنهاء الأزمة الإنسانية الحاصلة في قطاع غزة بكل السبل.

الجدير بالذكر أن ٢٧٥ مريضا استشهدوا في قطاع غزة خلال العامين الماضيين جراء النقص الشديد في الأدوية ونقص الرعاية الطبية، وتعطل العديد من الأجهزة الطبية الضرورية اللازمة لإجراء العمليات الجراحية وإنعاش مرضى العناية المكثفة والأطفال الخدج في الحضانات.

كما أجرى وزير الصحة، اتصالاً هاتفياً مع نظيره الليبي الدكتور محمد راشد، أطلعه خلاله على صورة الوضع الصحي المتهالك في وزارة الصحة وقطاع غزة المحاصر منذ أكثر من ثمانية عشر شهراً.

وقدم نعيم شرحا موجزا عن المعاناة التي يتكبدها القطاع الصحي في غزة، مشيراً إلى النقص الحاد في جميع الأدوية والعلاجات والمستلزمات الطبية اللازمة والأجهزة الطبية، فضلا عن ارتقاء عشرات المرضى من المواطنين بسبب استمرار إغلاق المعابر ورفض الاحتلال الإسرائيلي السماح لهم بمغادرة القطاع لتلقي العلاج في مستشفيات الخارج.

بدوره، أعرب الدكتور راشد عن استيائه الكامل لما يجري في قطاع غزة من جرائم إبادة بحق أكثر من مليون ونصف مليون مواطن، مؤكداً على تضامنه الكامل مع قضية الشعب الفلسطيني ووعد راشد بطرح مسألة أهالي القطاع المحاصر على مجلس الوزراء الليبي، مضيفا أن حكومته ستسعى جادة وبكافة السبل لرفع الحصار وفتح جميع معابر القطاع لإيصال جميع أشكال المعونات لأهالي القطاع المحاصرين.

شخصيات مستقلة تطالب بإطلاق الحوار لمواجهة العدوان الإسرائيلي

غزة/ فلسطين:

ثمنت الشخصيات المستقلة والأكاديمية ورجال الأعمال وعلماء المسلمين ورجال الدين المسيحيين ورجال الإصلاح والمخاتير وممثلي مؤسسات المجتمع المدني في الضفة الغربية وقطاع غزة الجهد المصري المبذول لإعادة الحوار داعية إلى تكثيفه "قبل فوات الأوان".

وقال الأكاديمي ورجل الأعمال المستقل ياسر الوادية في بيان وصل "فلسطين" نسخة عنه أمس: "إن القاعدة الجماهيرية بحاجة إلى تهيئة للأجواء تتيح التوصل إلى الوفاق الفلسطيني قبل فوات الأوان".

وأوضح الوادية "أن المطلوب من فتح وحماس وقف حملات التحريض الإعلامي عبر توجيه المنابر الإعلامية بشكل وطني يخدم الوفاق ويعزز فرص نجاحه".

وشدد على ضرورة تكثيف هذه الجهود للخروج من بوتقة الانقسام قبل الدخول في دهاليز جديدة تعقد الساحة الفلسطينية بشكل أكبر وتصعب من الوصول إلى الوفاق والوحدة الداخلية لمنع أي عدوان إسرائيلي محتمل على غزة". وطالب الوادية بإنهاء ملف الاعتقال السياسي في الضفة الغربية بشكل كامل حتى يكون الدعوة إلى حوار جاد يناقش القضايا الخلافية ويضع حلولا مناسبة لها

حماس تستغرب "استغلال الساحة المصرية لتهديد الشعب الفلسطيني"

غزة/ فلسطين:

استغربت حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، أمس قيام وزيرة خارجية الاحتلال الإسرائيلي تسيبي ليفني بتوجيه تهديدات للشعب الفلسطيني المحاصر في قطاع غزة من العاصمة المصرية القاهرة، مؤكدة في ذات الوقت على فشل كل التهديدات في إرهاب قيادة الحركة وكسر إرادتها. وكانت ليفني قد هددت، خلال مؤتمر صحفي في القاهرة، بأن (إسرائيل) "لن تسمح بعد الآن" باستمرار سيطرة حماس على قطاع غزة، وبأنها "ستغير الوضع" في القطاع. وزعمت ليفني أن "الوضع في قطاع غزة أصبح عائقا أمام إقامة الدولة الفلسطينية وحماس يجب أن تعرف أن تطلعنا للسلام لا يعني أن (إسرائيل) ستقبل بعد الآن بالوضع القائم".

وقال المتحدث باسم حركة حماس فوزي برهوم في تصريح صحفي: "نستغرب أن تستغل ليفني الساحات المصرية وتطلق تصريحاتها الإجرامية والإرهابية باستهداف أبناء شعبنا الفلسطيني في غزة واستهداف حركة حماس".

وأضاف: "نحن نرى في تصريحات ليفني أنها دعوة للعنصرية والتطرف والإجرام وتكشف نواياها في ارتكاب جريمة حرب جديدة تجاه أبناء شعبنا الفلسطيني".

وأكد أنه من الأصل أن تحاكم ليفني على هذه التصريحات في محاكم جرائم الحرب، والأصل أن لا تستقبل في عاصمة عربية ولا أي دولة أخرى، وأن تحاكم على الجرائم التي ترتكبها ضد أبناء شعبنا الفلسطيني.

طرد ليفني

وتابع المتحدث باسم حركة حماس: "نؤكد أن هذه التهديدات الإسرائيلية لن ترهب قيادات الحركة، ولن تستطيع أن تكسر عزيمتها وإرادتها، وأن من يتحمل كل تداعيات هذه المرحلة التصعيدية هو ليفني وحكومة الكيان الصهيوني".

وقال: "من المفروض أن تطرد ليفني من عواصم الدول العربية، لا أن تستقبل بعد مجزرة ارتكبتها في قطاع غزة وبعد جريمة حرب ترتكبها في حصار مليون ونصف مليون فلسطيني"، موضحاً أن ليفني "تريد من خلال تصريحاتها أن تعنون لمرحلة جديدة من الإجرام والإرهاب بحق أبناء شعبنا الفلسطيني هدفها إسقاط حركة حماس وتدمير برنامج المقاومة وإسقاط الشرعية الفلسطينية والخيار الديمقراطي". وشدد برهوم على أن ليفني "لن تستطيع أن تنهي حركة حماس، وأن تدمر برنامج المقاومة ولن تنجح في حشد أي رأي عام ضد حركة حماس وضد برنامج المقاومة". ومضى يقول: إن أي رهان من قبل ليفني وغيرها على إسقاط حماس وإخراجها من المعادلة الفلسطينية هو رهان خاسر لن يكتب له النجاح وسيفشل أمام ضربات المقاومة وأمام التفاف جماهير الشعب الفلسطيني حول خيار المقاومة وحول الشرعية الفلسطينية وحول حركة حماس".

وتابع قائلاً: "نحن في حماس نؤكد أن الذي سيدفع ثمن هذه الحماقات ليس أبناء حماس وحدهم وليس أبناء الشعب الفلسطيني وحدهم بل كل مغتصب صهيوني على الأرض الفلسطينية هو أيضاً سيدفع ثمن هذه الحماقات التي تنوي ارتكابها ليفني".

وتناول الضيوف الغداء بعد صلاة الجمعة في منزل شقيق الحاج موسى جد الطبيب خالد ، وحضر ضيوف من الأبناء والأحفاد للسلام والالتقاء بضيوف عمان من أحياء أخرى من القطاع وليتعرفوا على أقاربهم ، وكان الحديث عن انتهاء الهدنة وتهديدات إسرائيل بالاجتياح واستئصال الإرهابيين والحصار الظالم وعجز العرب والعالم عن إنهائه وحول السيطرة الصهيونية على المعابر السبعة ، وقد أرخت قبضتها عن بعض المعابر وإدخال النفط والغاز للتشجيع على هدنة جديدة
فقال احدهم: فها هي أرخت قبضتها عن بعض المعابر لإدخال المواد ا لغذائية والبضائع
ـ هناك اجتماع امني لمجلس الوزراء المصغر يوم الأحد لمناقشة الحرب والأمن
قال العريس : لا تنسوا أيضا الجهات العربية الرسمية وتهديدها لقيادة حماس .. وها هي مصر تسعى لتجديد الهدنة وتسعى لمصالحة دولة غزة ودولة رام الله
وقال آخر متوجسا : إسرائيل دولة خداع ومكر .. لقد أرادوا اغتيال الرسول ﷺ بإلقاء حجر عليه وأطعموه سما وهو رسول الله ﷺ .
ـ لم ننس ما فعلته زينب الخيبرية حيث رحب ﷺ بأكل هديتها !
وتكلموا عن طباع اليهود وغدرهم وقال احدهم : الحرب لإسرائيل لن تكون نزهة وهينة فإسرائيل هنا لا تحارب جيشا ؛ فليس هنا دبابات ومدفعية وطائرات ..حربنا حرب عصابات كر وفر
ـ غزة لا جبال تورا بورا فيها كجبال أفغانستان وباكستان أرضنا ساحلية وتلال
ـ المقاومة اشتد عودها ونحن نتسابق على الشهادة والموت لن نرحل
فقال ايمن : من هذا ؟
ـ هذا موسى ابن شقيق أبيك يغيب ويظهر .. أصيب في احدى الغارات عندما كانوا ينصبون منصة لإطلاق الصواريخ القسامية فقتل بعضهم ونجا بعضهم وهو من الناجين وهو ناشط وربما يعمل في جهاز امن حماس بعد إصابته ويطارد عملاء إسرائيل
وقال آخر قريب سمع الكلام : اكبر خطر علينا هنا العملاء كان العملاء أيام حكم إسرائيل بشوات يجاهرون بعمالتهم وخيانتهم ؛ لكن الانتقام دفعهم للعودة للجحور والاختباء ولكنهم ينشطون أيام التوتر وصُفي الكثير منهم من قبل عائلاتهم.
قال ناصر جمال الدين: وسبب كثرتهم!
ـ قسوة العيش وضعف اليقين وعديمو الشرف وعبادة الشهوات؛ ولكن الانتفاضة الأولى قضت على الكثير منهم ؛ لعلك تذكر قصة اغتيال

المهندس القسامي يحيى عياش واحمد ياسين فللعملاء دور كبير في تصفيتهم.
بشكل عام مدينة غزة مدينة محافظة يغلب على أهلها التدين الفطري ؛ وخاصة بعد انتعاش الحركات الدينية وضعف الناصريين فيها والمد القومي ولا يعني هذا انه لا يوجد فساد فهو في كل بلاد العرب ؛ لكنه نسبي يتفاوت بين دولة ودولة ومدينة ومدينة ، وغزة مدينة مجاهدة منذ سنوات وعقود ، فالتدين لا يخلو منه بيت ، والمساجد تملأ القطاع وجميع الأحياء والأسواق ـ هكذا قيل لي ـ ولكل مجموعة صغرت أم كبرت مساجد يرتادها اتباعها فكثيرا ما ترى الفتيات مجلببات في الأسواق والشوارع ، وتراهن اكثر بكثير من المتبرجات والسافرات فهي كما أحسست مدينة حرب وجهاد ، وشعرت أنني جئت في وقت غير مناسب ، وما همست بهذا الإحساس لابن عمتي ناصر الدين حتى قال مقرا: هو عندي نفس الإحساس يبدو أننا جئنا في ظرف غير مناسب .
انتبه احد الجالسين لهمسنا فقال مشجعا : لأنكم لم تتعودوا على جو الحرب والرصاص والزنانات.. الصراع الذي لا يكُن ولا يهدأ ، ونشعر بما تشعرون به من التوتر والخوف خاصة بعد انهيار الهدنة واستمرار اطلاق الصواريخ واستمرار القصف وسقوط الشهداء اعتدنا ذلك فنمشي في الشوارع ونركب السيارات ونقف في طوابير الخبز والغاز حياة شاقة ألفناها ولا بديل لنا عنها مع عدو حقود .
قال ايمن: كان الله في عونكم خلال هذه الساعات بينكم شعرت بالمعاناة التي تحيون فيها ومع ذلك أراكم تصبرون صبرا جميلا ، وتقابلون الصلف اليهودي والحقد الأسود بقبول حسن ورضا بالمقدر ، والحياة تمضي والشراء قائم قاعد ، والزواج مستمر ، والفزعة عند الانفجارات دون وجل ووهن ، ولا تكترثون لهذه الطائرات الاستطلاعية طرفة عين ،والقادة يهددون ويتوعدون.
ـ نحن نعاني ونتألم كسائر البشر وهذا قدرنا ، والثقافة الجهادية عمت المدينة ، فثقافة الموت والاستشهاد عمت فصائل المقاومة على تعدد مسمياتها ، فصارت فكرة الرباط الليلي على اطراف القطاع أمر طبيعي وتنافس فيه ، وأمهات الشهداء والمجاهدين يبادرن بإطعام المرابطين ودعمهم ماديا ومعنويا ، والموت حق ، ونحن ما زلنا تحت الاحتلال الغاشم الظالم وبرعنا في حفر الأنفاق ؛ كما سبقنا الفيتناميون في حربهم مع الأمريكان لهم السماء وظاهر الأرض ونحن لنا باطن الأرض، والناس اليوم وعوا دروس النكبة اكثر من الآباء والأجداد ووعوا أن فلسطين لن

ترجع إلا بسواعد أبنائهم، والصواريخ سلاح فعال في أيدي الفصائل والمقاومة وإن لم يكن يوازي ويعادل سلاح اليهود ؛ لكنه مرعب ومخيف للجبناء والقلوب الضعيفة ، فالكثير من سكان بلدان العرب يقضون لياليهم في الملاهي ؛ ربما ضعفنا بكثرة الفصائل والمسميات، وقد تكون قوة في هذه الأيام.. التاريخ الذي سيحكم

فقال ناصر : فعلا أسماء الفصائل كثيرة لا يكاد المرء يستطيع حفظها وتمييزها

فقال الشاب المصاب في احدى الغارات : يا ابن عمتي الغالية السبب في كثرة الأسماء لأن طبيعة الجهاد الفلسطيني متنوعة ، فهي من الأمة العربية ذات التوجهات المختلفة والملونة فخرجت من رحم الأمة العربية والعالمية ، فبعد سقوط الخلافة العثمانية تشرذم العرب فظهر القومي والوطني والشيوعي ، كانوا يرون أن الإسلام سبب هزيمة تركيا في الحرب الأولى مع أن الدين لم يكن له دخل في تلك الحرب ، صراع على الاستعمار ، كلهم نصارى الحلفاء والأعداء، لم تكن حرب دينية، الإنجليز صنعوا في بلادنا نزاعات بين العائلات ، وانزوى الدين عن الصراع ، وما زال العداء بيننا، تحرير باسم القومية بعضهم باليسارية والشيوعية وهذا التنوع انعكس على الجهاد الفلسطيني فصرنا نرى اليساريين يصلون ويصومون ويرتادون المساجد هناك ألوية الناصر صلاح الدين كتائب الشهداء أبو علي مصطفى الجبهة الشعبية وللجبهة الديمقراطية جناحها كتائب المقاومة الوطنية ، وهناك أجنحة حرة كتائب الأقصى وكتائب أبو الريش ، بالتكنولوجيا والتجسس يصطادون القادة فعندهم صواريخ جو ارض مزودة بكاتم صوت تعمل بالليزر المسيطر عليه ، نحن نصنع صواريخنا في ورش حدادة بسيطة .

ايمن: وقصة العملاء ، سمعنا امس أثناء ركوب السيارة إلقاء القبض على عملاء.

قال: لا تنسوا أن بلادنا سكانها كثر وفرص العمل غير متوفرة والاعتماد بعد الله على مساعدات الوكالة ، والكثير من العمالة تعمل في إسرائيل ومناطق ٤٨ منذ اكثر من ربع قرن وقبل وجود السلطة فاستطاعت إسرائيل والشاباك من تجنيد آلاف الناس واستغلالهم واستغلال حاجتهم لتصاريح العمل وقبولهم لدى الشاباك والأمن ، هم بحاجة للعمل وكسب المعيشة ، وحيل إسرائيل كثيرة في غزة الضفة مصر الأردن كل دول العالم لتجنيدهم، حتى أن مادة من مواد اتفاق السلطة وإسرائيل تمنع التعرض للعملاء ، ومن أقام صلة بينه وبين إسرائيل لا مساءلة ولا مضايقة أو انتقام، فالانتفاضة كان من أهدافها هؤلاء العملاء فالقضاء عليهم بشكل دائم شبه مستحيل

نسعى لإضعافهم بشتى الطرق ، فأجهزة أمن إسرائيل من أهم عملهم الاختراق وتجنيد العملاء ، فلا استغناء لهم عن العملاء على الأرض وأجهزة القسام لهم بالمرصاد ، والحديث طويل يا ابن عمتي وابن عمي ، وسررنا باللقاء بكم في وطنكم العزيز.



زيارة للجنوب

بعد صلاة العصر رافق ايمن ابن عم له جهة دير البلح وخان يونس لزيارة بعض الأقارب الكبار في السن وقضوا عندهم ساعة من الزمن ، وكان حديث المجلس عن الحرب الوشيكة ما لم تنجح القاهرة بتجديد الهدنة فإسرائيل تلوح بحرب واسعة ، وإعادة القطاع لحزب السلطة، متى لا احد يعلم ؟ تخمينات وتكهنات وإمارات فأجواء الحرب بينة فمنذ انتهاء هدنة الشهور الستة يدركون أن شيئا كبيرا سيحدث ، اطلاق صواريخ مستمر والقصف الإسرائيلي مستمر لم ينقطع ، وتحركات الجيش على اطراف القطاع ظاهرة للعيان ، والصحف تتكلم عن ذلك ؛ لكن هل تغامر وتعيد احتلال القطاع بعد الانسحاب الأحادي دون اتفاق مع حزب أوسلو؟ حتى تمنى رابين أن يستيقظ من نومه أو حلمه ويرى القطاع اختفى في البحر أو من الوجود ، فاختفى هو وبقي القطاع ، الأمر لله وحده ، عقدة غزة ستبقى حتى تتحرر فلسطين ؛ ليس لدى المقاومة صواريخ قصيرة المدى وبعيدة المدى أو ليزر ، صواريخ محلية الصنع وبعض المهرب ، ومداها قصير وستطول يوما ما ، وإن كان يتردد أن لدى المقاومة صواريخ تصل لتل أبيب؛ ربما إشاعات وحرب نفسية ؛ لأن القطاع محاصر فكيف ستدخل أسلحة متطورة ؟!

والذي لمسه ايمن وشقيقته هاجر وناصر الدين والعمة سعيدة في دير البلح وخان يونس عزيمة التحدي موجودة في كل عائلة قد قدمت شهيدا واكثر كزوج وابن وعم وخال أو أخت ؛ لأن إسرائيل للقضاء على مقاوم تقصف عمارة وحي دون رحمة ، كما حصل في قصف صلاح شحادة قبل سنوات ، فقد قضى الكثير من الأسر معه إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال ايمن: لما سمعنا بذلك الحادث الرهيب وبثت الفضائيات وعلى رأسها الجزيرة القطرية أو المجد السعودية أصابنا الرعب والعجب من أفراخ النازية إنا لله وإنا إليه راجعون

تحدث احدهم عن الضغوط التي تتعرض لها

حماس والجهاد لوقف اطلاق الصواريخ ضد المستوطنات في غلاف غزة.

قال ايمن: ولا ندري لماذا يتحدثون في السياسة؟ منذ وطئت فلسطين والحديث عن السياسة والحرب والمعركة الوشيكة أنا عمري ما كنت في حرب والحمد لله ؛ لكن أجواء القطاع ثقيلة نشطاء المقاومة تجدهم في الشوارع في المساجد فتشعر أنها الحرب .

ـ القصف دائم ، المضحك المبكي أن وزير دفاعهم حث أهل غزة على التسوق والتخزين وأمر بفتح المعابر ؛ لأن المعركة اقتربت ولابد منها للقضاء على سلطة حماس الحكومة المنتخبة من الأمة في غزة والضفة.

فالتفت لهاجر: كيف ترين الدنيا هنا؟

ـ أتابع أنباء غزة من أيام الجامعة، فالتيار الإسلامي كان نشطا وسعيدا بفوز الحركة في الانتخابات البرلمانية نسمع ونناقش ؛ لكن العيش هنا فهذا كان مفاجأة لي ، وستعود مثل هؤلاء البشر ونتأقلم .

قالت عمتي : اذا تزوجت هنا الطبيب ستعيشنها كل لحظة نحن في سجن كبير ؛ ولكننا نعيش ولابد أن نعود لقرانا وأرضنا نحن أو الأحفاد

كان ايمن قد لاحظ شقيقته تقلب جريدة أثناء حديثه مع الأقارب كانت تتصفح جريدة فلسطين الغزاوية فلما سكتوا : آ ماذا قرأت في الجريدة جريدة الجمعة؟

رد احدهم: جريدة يومية تصدر هنا ولا توزع في الضفة لأسباب سياسية

هاجر : كلامها هو ما يردده الأهالي ، مصر تدعو الفلسطينيين إلى محادثات لتخفيف التوتر ووحدة وطنية بين هنا والضفة وتنقل تواصل تهديدات اليهود للفصائل وغزة والمقاومة تقصف مستوطنات غزة وفيها خبر صغير الجمهور الإسرائيلي منقسم حول شن العدوان على القطاع وسلطة العدو تفتح معبر أبو سالم والمنطار لإدخال مساعدات محدودة وليفني من القاهرة إسرائيل لن تسمح بعد الآن باستمرار سيطرة حماس على غزة وستغير الوضع

فقال شاب متحمس : فشر! اليوم ليس كالأمس

تابعت هاجر: الحكم على احمد سعدات بثلاثين عاما ، هنية يؤكد تمسكه بوحدة الضفة وغزة ويرحب باستئناف الحوار هذه اهم العنوانين التي قرأتها ،الله يفعل ما يشاء .

قبل المعركة

عدنا بعد منتصف الليل إلى بيت الجد موسى بناء على اتصال هاتفي ، ووجدنا الأهل مستيقظين وكان الشاب المقعد موسى يخبرهم أن الحرب واقعة ، ويؤكد ذلك بقوة ولا يعرفون ساعة الصفر

بالضبط ، وليستعدوا للعيش في التسوية تحت الأرض التي تعتبر كملجأ حرب وذكرنا أن العمارة فيها طابق ارضي أو تحت مستوى الأرض، اليوم العمارات والأبراج تجد فيها طوابق تحت الأرض كمواقف سيارات .

وقال موسى المقعد الذي يتنقل على كرسي متحرك عربة : تهيئوا يا ضيوفنا الكرام لخطر داهم ولا تجزعوا ، فالله خير حافظا، فنحن كما رأيتم خلال هذه الأيام الصواريخ تطاردنا والعملاء والخونة يكشفون مواقعنا للعدو المجرم ، وينشطون مجبرين ورغم أنوفهم في مثل هذا الظرف المتوتر لكن إرادة الحياة والصمود والرضا قوية لدينا ، ولدى كل الشجعان ، ولن نسلم أسلحتنا، ولن نسمح للعدو بالعودة لغزة مهما بذلنا من الأرواح والتضحيات ، ذلك ما تعاهد عليه المجاهدون ؛ ولعل مصر تنجح في تخفيف التوتر ؛ ولعلها تنجح في تجديد الهدنة قبل ساعة الصفر بيننا وبين القتلى من بني صهيون.

قال ايمن بعدما سمع كلام مطلق الصواريخ فحدث نفسه : هل جئنا لنموت هنا بدل الزواج الذي سعينا من أجله ليبقى امتداد العائلة الكبيرة آل عبد الرحيم ؟ فاليوم نسمى فلسطينيو الشتات وقديما اللاجئون .

وعاد الشاب موسى يحمسنا : لا أقول ذلك لتخافوا ، فالموت بيد الله تعالى ، لا دخل لمخلوق فيه" خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا " "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا" فالحياة والموت من الله ؛ ولكنه قال "خذوا حذركم" وشرعت صلاة الخوف في سورة النساء لتبين لنا أن المسلمين يخافون ونسأل الله السلامة للجميع ، وأنا سألت الله كثيرا وما زلت اسأله الشهادة ، ولما قصفت أنا وزملائي عجبت لبقائي حيا ، وسلمت امري لله ، اليوم الصاروخ يقتل الإنسان في جوف بيته ، فالله هو القاضي بين عباده " فلا تخشوهم واخشون " فإذا طلب منكم النزول للطابق الأسفل فلا تترددوا ، فالنجاة ثواني ، ويموتون في ثوان ويحيون بثواني ، ومهما دمرت الحرب فزلزال ضعيف يهلك دولة وعبادها ، فالله يكرم هذا الشعب بالمزيد من الشهداء "ويتخذ منكم الشهداء" هو المتخذ ، لسنا نحن ، ونحن لم نقدم ما قدمه شعب الجزائر البطل من الشهداء والرجال أمام القوة الأولى في العالم فرنسا ، وها هم أسود العراق يقارعون القوة الأولى في العالم بكل شجاعة وبطولة ، والأفغان من قبلهم الحرب إرادة الإنسان، ونحن المسلمين المجاهدين نستقبل الموت بصدر رحب وها نحن رغم ضعفنا أمام آلة الحرب الصهيونية نقدم البطل تلو البطل والشاب تلو الشاب

عجبت من شجاعته وهو المعاق الذي يمشي على

عجلة المشلول ، وعجبت لبريق عينيه وثقافته ولشغفه للاستشهاد وهو العاجز ، أكيد تملك الفصائل من مثله الكثير ، ولولا هذه الهمة والعنفوان ما خرجت إسرائيل من القطاع ، جيل تلو جيل يتسلمون الراية ، قوى الله تلك السواعد الفتية ، فموسى هذا لم يبلغ ٢٥ سنة أيها القارئ الكريم، وقضينا ساعة أخرى نسمع الحكايات والمواقف عن الأبطال والشهداء، وتبين لنا أنه حبس صغيرا ، ثم خرج والتحق بالقسام.

كانت صحيفة فلسطين الغزية تطل علينا صباح السبت ٢٧-١٢-٢٠٠٨ بأخبار لا تبين أن اليوم أول أيام الحرب حرب الفرقان ؛ كما سمتها كتائب عز الدين القسام، ففيها اتصال مصري مع حماس حول تجديد الهدنة ، إسرائيل تسمح بفتح ثلاثة معابر لإدخال مساعدات إنسانية اولمرت يقرر استكمال بناء الجدار حول القدس ، إصابات في الضفة بنيران الاحتلال مقتل طفلين في انفجار غامض شمال القطاع ، باكستان ترفع مستوى التأهب، وكان من أسباب الحرب الزعم بتحرير الأسير الوحيد الذي بين أيدي المقاومة جلعاد شاليط ، وهو تحت حماية سرية ، وهناك سلطة خاضعة لمتطلبات أوسلو والتنسيق الأمني الكامل كأنها وجدت لذلك الهدف ، والمقاومة الغزية خارج سيطرة السلطة ، والمحافظة على الأسير مهمة صعبة بمدينة مزروعة بالعملاء سواء لإسرائيل أو السلطة، إمكانية حفظ الأسير بلبنان وسوريا اسهل من غزة ولكنهم حفظوه بكل اقتدار ؛ كما تبين لاحقا ، فقد قام بأسره ثلاث مجموعات عام ٢٠٠٦ وإسرائيل تسعى لتحريره بغير مقابل وبلا ثمن ، والمقاومة ترغب بتحرير عدد كبير مقابله

وقصة جلعاد تبين بسالة المقاومة شباب فتيان ورغبتهم في الحياة والانتصار قام بالعملية ثلاثة فصائل أو أجنحة عسكرية سموها الوهم المتبدد يوم الأحد الفجر ٢٥- ٦ -٢٠٠٦ عند معبر كرم أبو سالم شرق محافظة رفح ، كانت عملية معقدة ومذهلة، فغزة محاصرة بالجند برا جوا بحرا .

****


FELASTEEN

العدد No: (593) — 28 صفحة — 1 شيقل

www.felesteen.ps — Saturday 27 December 2008

اتصالات مصرية مع حماس حول تجديد التهدئة

مسؤول: خداع للعالم وتغطية على جرائمها

(إسرائيل) تسمح بفتح ثلاثة معابر لإدخال مساعدات إنسانية

أولمرت يقرر استكمال بناء الجدار حول القدس

بينها حالات اختناق واعتداء على عرس

عشرات الإصابات بنيران الاحتلال في الضفة

استشهاد المصور الصحفي "حمزة شاهين" متأثراً بجراحه

الأجهزة الأمنية تعتقل 14 من أنصار "حماس" في الضفة

على متنها ألفا طن من المساعدات

سفينة مساعدات إنسانية تبحر اليوم من إيران باتجاه غزة

لا شرعية لـ"عباس" بعد التاسع من يناير القادم

أبو مرزوق: قادة الاحتلال ينفذون "حملة مزايدات" للفوز في الانتخابات

مقتل طفلتين في انفجار غامض شمال قطاع غزة

حذرت من مغبة استخدام القوة ضدها

"باكستان" ترفع مستوى التأهب وأنباء عن تعزيزات عند الحدود الهندية

أنينهــا يوجع واستغاثتهــا تزلـزل

لسان حال الحكام العرب: "كفى إزعاجاً يا غزة.. أما آن موعد رحيلك؟!"

غزة / سيد إسماعيل- "صورة قلمية":

هذه ليست غزة مطلقا! لقد غدت غزة وبعد شهور طويلة من الحصار أشبه بعنوان دائم للبؤس والشقاء. أسماء عدة ستحملها غزة، لتضمها غزة إلى قائمة طويلة تحوي ألقابها الفخرية، كـ"غزة هاشم"، و"أرض العزة" و"أرض الرباط". لكن، ومع الأسف، تلك الألقاب لم تمنع شر الأعداء عنها يوما، ولم تحرك النخوة الإسلامية والعربية لدى جيرانها في المنطقة، وهم يرونها ترزح تحت نماذج شتى من "كتالوج" العقوبات التي يتفتق عنها العقل (الإسرائيلي) كل يوم.

ببساطة، إنهم ينتظرون الآتي: متى تموت غزة وينتهي هذا الهم "المزعج" ونتفرغ لملايينا وروحاتنا الأربع ومحلات الذهب ومراقبة أسعار الأسهم والسندات وكيل المزيد من المصافحات والقبلات لرؤساء وزراء (إسرائيل) وعما قريب ربما يتم ذلك في رابعة النهار بـ"تل أبيب"!!

معضلة تحير العقول

في كل مكان ستجد السؤال ذاته يتردد على كل الألسنة في الشوارع والمجالس وأماكن العمل والمساجد: "كيف نحصل على الخبز؟".

في جلسة جمعت مجموعة من المواطنين، يقول محمد زكي (٢٩ عاما) إنه لا يقتنع بما تقوم به بعض العائلات، حيث توزع أطفالها في طوابير على المخابز المختلفة لنيل أكبر عدد ممكن من "ربطات" الخبز رغم اشتداد أزمته.

سمير ياسر (٤٥ عاما) علق على كلام زكي بقوله: "كلامك صحيح لكن من ناحية أخرى أنا أعذر هؤلاء المواطنين في بعض الأحيان، لأنهم لا يستطيعون أن يخبزوا رغيفهم بسبب الأزمة الحالية، أنا مثلا لدي كمية جيدة من الدقيق في البيت، ولكن ماذا أفعل بها دون غاز ولا كهرباء؟".

حلول الأمر الواقع

أما أبو علي (٤٦ عاما) فقد اضطر لشراء مولد كهربائي مُرّب عبر الأنفاق من أجل استمرار عمله، حيث يقول: "المولد رديء للغاية وسعره غال جدا، لكن ما من حل أمامي غير هذا، فأنا صاحب محل للملابس، ويجب أن أستمر في البيع".

لم يكن "أبو علي" الوحيد الذي فعل هذا، إذ اضطر الآلاف من أصحاب المحلات بل وبعض أصحاب البيوت لشراء تلك المولدات، ما جعل دوي المولدات ليلاً ونهاراً واحدا من السمات المزعجة التي تميز أجواء غزة.

جانب آخر من المعاناة يمثله مصطفى صبري ٣٩ عاما يوما بعد يوم، إذ تنسى بيته رائحة الغاز منذ أمد بعيد، حيث يقول: "اضطررت لشراء جرة غاز مصرية ...

أحمد (٤١ عاما) التي استغلت فناء بسيطا في منزلها، فصارت تخبز "فراشيح" على صاج وقوده ما تيسر من الكرتون بسبب ارتفاع ثمن البوابير وما يكلف استخدامه من سولار وغيره من اللوازم.

تصف "أم أحمد" معاناتها التي تبدو نسخة مكررة من آلاف قصص نساء القطاع: "زوجي عالق بالخارج، ولم يستطع العودة إلى غزة مما يعني أنه كان علي تدبر أمور البيت وحدي".

ثم تضيف وبسمة خفيفة ترتسم على ملامحها: "منذ أن بدأت أزمة الغاز والكهرباء وأنا أخبز لأسرتي على هذا الفن البسيط، المكون من "صاج" وثلاثة أحجار، وبهذه ...

ويقول: "لا زالت أمامي الامتحانات النهائية، التي أحاول الاستذكار لها أنا وزملائي، حيث نبقى طوال الليل ننتقل من بيت لآخر، ونتصل على بعضنا البعض لنعرف أينا توجد في بيته الكهرباء لنهرع إليه على عجل".

أما نور الأشقر (١٦ عاما) تجد حلا سوى المذاكرة على ضوء الشموع أو "لمبة الكاز" إن وجدت.

وتقول: "نحن الآن في أيام الامتحانات النهائية للصف الثاني الثانوي، ولا أحد تقريبا يشعر بما يحسه الطالب من معاناة من أجل المذاكرة، أنا مثلا أذاكر على ضوء الشموع لساعات طويلة، ما يرهق عيني بشكل شديد وكلي خوف ألا أحصل ...

الشرطة المصرية تعزز إجراءاتها الأمنية على حدود رفح

غزة/فلسطين:

أفادت تقارير صحفية، نقلاً عن مسئولين في الأمن المصري، أمس، أن الأخير شدد من إجراءاته على حدود قطاع غزة الجنوبية، النقطة الحدودية بين القطاع ومصر.

وقال مسئولون محليون وسكان في شبه جزيرة سيناء المصرية،" إن الأهالي يخشون تدافع أبناء القطاع إلى الحدود ودخولهم إلى الأراضي المصرية على غرار ما حصل في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٨ إثر قيام ناشطين باستعمال المتفجرات لفتح ثغرات في الجدار الحدودي.

وقال مسؤول مصري، لم يكشف عن هويته، "هناك تأهب امني شديد واضح عند الحدود ونخشى أن يجري اقتحام لرفح"، متحدثاً عن نشر مكثف للشرطة والجنود على طول الحدود.

ونقلت الوكالة الفرنسية، عن مراسلها، أن الشرطة المصرية أقامت نقاط تفتيش على طول الطريق المؤدية إلى الحدود في وقت بدأ فيه سكان سيناء بتخزين المواد الغذائية.



أبعاد ○ مصطفى الصواف

بالحقائق حصَنوا الجبهة الداخلية من الاختراق

عادة ما تتعرض الجبهة الداخلية خلال الأزمات والحروب إلى ما يسمى حرب الشائعات، وهذه الحرب عادة ما تبدأ قبل الحرب الميدانية والعدوان في محاولة من العدو لزعزعة الجبهة الداخلية والتأثير بالسلب على معنويات المواطنين. ويستعين العدو في ذلك بالإضافة إلى وسائل الإعلام، بالطابور الخامس وهو يتكون من العملاء وأصحاب المصالح المتضررة من النظام القائم في محاولة لتغيير الواقع واستبداله بواقع يخدم مصالحهم. ولعل الأمر بالنسبة لنا في فلسطين واضح في هذا الموضوع خاصة في قطاع غزة الذي تتولاه حركة المقاومة الإسلامية حماس عقب أحداث يونيو ٢٠٠٧ وهروب قيادات حركة فتح إلى الضفة الغربية لأنهم كانوا يشكلون قيادة أجهزة الأمن التي عاثت في الأرض فساداً. وهذه المجموعات لها مصلحة في ضرب الجبهة الداخلية وزعزعة الثقة بحركة حماس عبر نشر الإشاعات التي تؤدي إلى حالة اضطراب داخلي ما يؤثر عليها خلال مواجهتها للعدو الإسرائيلي فيما لو قام بعملية عسكرية في قطاع غزة في ظل الأزمة التي يعيشها القطاع نتيجة هذا الحصار المفروض عليه منذ عامين.

المسألة هنا تعتمد على الحكومة وجهازها الإعلامي والإرشادي وجهاز التعبئة المعنوية. ولكي تواجه المؤسسة الحاكمة الإشاعة السوداء لابد لها أن تعتمد على ضرورة المصارحة والاعتماد على الحقيقة ومشاركة الجمهور في كيفية مواجهة العدو، وملاحقة الإشاعة في مهدها حتى لا تنتشر في المجتمع من خلال سرعة كشفها والعمل على مواجهتها بالطرق السليمة والعلمية، وضرورة العمل على تبيان الحقيقة والأدلة التي تدحض ما يسعى إليه العدو من خلال نشر الإشاعة.

من الضروري في ظل الأزمة الحالية أن نعمل على تقوية المجتمع المحلي وتحصينه وعدم تركه للعدو والطابور الخامس يعملان على زعزعة الجبهة الداخلية عبر ...

"هآرتس" تنشر ملامح "العدوان المحتمل" ضد غزة

القدس المحتلة/ فلسطين:

نشرت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية ملامح العملية العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة والتي أقرها مجلس الوزراء الاسرائيلي مؤخرا.

وقالت الصحيفة في عددها الصادر أمس إن "عملية محدودة" ستبدأ كما يبدو خلال بضعة أيام تشمل غارات جوية وهجمات برية على أهداف حركة "حماس" وفصائل أخرى. ورجحت الصحيفة ألا تبدأ مثل هذه العملية قبل انتهاء المشاورات التي سيبدأها رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود أولمرت غدا الأحد مع كبار المسؤولين السياسيين والعسكريين.

بدورها نقلت صحيفة "واشنطن بوست" عن مصادر في الدوائر الأمنية الإسرائيلية قولها إن العملية المحتملة في قطاع غزة ستبدأ كما يبدو بغارات جوية على منصات إطلاق القذائف الصاروخية وفي المرحلة التالية تشمل غزوا بريا.

وقالت هذه المصادر إن مثل هذه العملية لن تبدأ قبل تحسن الأحوال الجوية. وصعد قادة الاحتلال مؤخراً تهديداتهم بحق قطاع غزة وفصائل المقاومة الفلسطينية، وذلك بعد أن أقر المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر "الكابينيت" عملية عسكرية في غزة بدعوى الرد على صواريخ المقاومة.

وكانت وزيرة الخارجية الإسرائيلية قد أكدت في تصريحات صحفية لها عقب لقائها بالرئيس حسني مبارك في القاهرة أول من أمس الخميس أن الوضع في غزة سيتغير، ووصفت "حماس" بأنها "منظمة إرهابية".

وهذه التصريحات تأتي بعد معلومات كانت صحف إسرائيلية قد نشرتها قبل أيام من أن جهات عربية أعطت الجانب الإسرائيلي الضوء الأخضر لما سمته "قطع رؤوس" قادة "حماس".

عباس يلتقي العاهل السعودي اليوم لبحث الحوار الوطني

الرياض/ الفرنسية

يتوجه اليوم الرئيس محمود عباس إلى السعودية لإجراء محادثات مع العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز، حسبما أفادت وكالة الأنباء السعودية.

وسيبحث عباس "استئناف الحوار بين حركتي "فتح" و"حماس" التي تسيطر على قطاع غزة، كما سيبحث العلاقات الثنائية بالإضافة إلى القضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك"، حسب الوكالة.

ووجه عباس خلال زيارة إلى مدينة الخليل جنوب الضفة المحتلة رسالة إلى "حماس" وقال: "ندعوهم أن يعودوا إلى الطريق الصواب، الطريق الصحيح. لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يبقى هذا الوطن ممزقا. من هنا دعونا وندعو وسندعو من أجل الحوار الوطني" على حد قوله.

وحذر عباس مؤخرا من أنه إذا لم تعد حماس إلى محادثات المصالحة بنهاية العام، فإنه سيدعو إلى انتخابات برلمانية ورئاسية مبكرة.

بدورها حذرت "حماس" من أنها لن تعترف بـ"عباس" إذا ما بقي في السلطة عقب انتهاء ولايته الرئاسية في التاسع من كانون الثاني/يناير مشددة على أنها لن تسمح بإجراء انتخابات برلمانية جديدة قبل موعدها المقرر في كانون الثاني/يناير من العام ٢٠١٠م.

أبو زهري: زيارة عباس للسعودية جزء من التحريض على "حماس"

دمشق/ وكالات

شككت حركة "حماس" في مصداقية تصريحات الرئيس محمود عباس التي أطلقها في بيت لحم يوم أول من أمس عن رغبته في الحوار معها، مؤكدة أنها تصريحات "لا علاقة لها بالواقع إطلاقاً"، واتهمته بقيادة "حملة تحريضية" في العالم العربي لدفعه إلى الصمت إزاء أي مجزرة يرتكبها الاحتلال الإسرائيلي بحق قطاع غزة. واعتبر الناطق الإعلامي باسم الحركة سامي أبو زهري في تصريحات لـ"قدس برس" أن زيارة الرئيس عباس إلى المملكة العربية السعودية تأتي في سياق ما أسماه "التحريض على "حماس" وإقناع العالم العربي بالصمت إزاء ما يمكن أن يتعرض له قطاع غزة من اجتياح إسرائيلي".

وقال: "يقود الرئيس محمود عباس حملة لتحريض الأطراف العربية على "حماس" والإلحاح عليها بالصمت على أي مجزرة يمكن أن يرتكبها الاحتلال ضد "حماس"، ونحن نعتقد أن زيارته إلى السعودية تأتي في هذا الإطار السياسي ...

"باراك" يعقد مشاورات أمنية للرد على الصواريخ

بيت لحم/فلسطين:

عقد وزير جيش الاحتلال الإسرائيلي إيهود باراك، صباح أمس، جلسة مشاورات أمنية في مكتبه، مع كبار قادة الجبهة الداخلية، تناول فيها استعدادات الجيش وقدرته على امتصاص ضربات القذائف الصاروخية محلية الصنع، التي تطلقها فصائل المقاومة من قطاع غزة، في حال نفذ الاحتلال عملية عسكرية واسعة ضد القطاع.

وقالت مصادر إسرائيلية، إن المشاورات شملت الاستعدادات في المناطق البعيدة عن مدى الصواريخ، والمواقع الواقعة فعلاً في مرمى نار القذائف الفلسطينية، على اعتبار أن كتائب القسام، الذراع العسكري لحركة "حماس"، هددت بتوسيع "بقعة الزيت" لتضع آلاف الإسرائيليين في دائرة الاستهداف الصاروخي.

ونقل الموقع الإلكتروني لصحيفة "معاريف" العبرية عن ضابط كبير في قيادة الجبهة الداخلية، قوله، "من الواضح للجميع أن الجيش تلقى الضوء الأخضر من المستوى السياسي للرد على إطلاق الصواريخ والتقديرات تشير إلى إمكانية توسيع حماس دائرة ردودها إلى مستويات لم نعرفها حتى الآن بهدف ردع (إسرائيل)".

القاهرة تنوي دعوة "الصف الثاني" من الفصائل الفلسطينية الشهر القادم

القاهرة/قدس برس:

قالت مصادر دبلوماسية مصرية مطلعة، إنّ اتصالات مصرية مكثفة وصفتها بأنها "استكشافية" تجري مع الفصائل الفلسطينية، من أجل الوقوف على رؤيتها وموقفها جميعاً من مسألة استئناف الحوار الفلسطيني بالقاهرة، الذي تعثر الشهر الماضي.

ونقل مراسل "قدس برس" عن تلك المصادر، أنها شددت على أنّ الأمر برمته مازال رهن البحث والتشاور وتبادل وجهات النظر، نافية أن تؤثر الخلافات وتبادل الاتهامات التي جرت مؤخراً بين القاهرة وحركة "حماس" على عقد هذا الاجتماع، "بالنظر إلى خطورة الأوضاع في قطاع غزة وما يتعرض له الفلسطينيون من أبناء القطاع من إجراءات قهرية بسبب الحصار".

وأكدت المصادر، التي طلبت عدم تسميتها، أنّ هذه المشاورات ما زالت جارية بين مصر والفصائل الفلسطينية، من أجل الاتفاق على موعد عقد هذا الاجتماع التشاوري بينها في القاهرة، ورجحت عقده في النصف الثاني من كانون الثاني (يناير) المقبل، حال الاتفاق مع كافة الأطراف.

وأشارت المصادر إلى أنه من المنتظر دعوة "الصف الثاني" من هذه الفصائل لوضع جدول أعمال الاجتماع التشاوري، فيما رأت أنه من المقرر أن يتم الاتفاق خلاله لإطلاق الحوار الشامل في وقت لاحق.

ولفتت المصادر في هذا الصدد الانتباه إلى أنّ الورقة المصرية التي قدمتها القاهرة من قبل إلى هذه الفصائل، والتي كان من المقرر إطلاق الحوار على أساسها في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي مازالت قائمة، نافية إجراء أي تعديلات عليها، معتبرة أنّ مثل هذه التعديلات "ستخضع للمشاورات بين الفلسطينيين باعتبارهم الطرف المعني بها"، كما قالت.

"هآرتس" تسأل وتجيب: ماذا تعد كتائب القسام في حال اجتياح غزة؟!



كتائب القسام استغلت التهدئة لتحسين قدراتها القتالية (أرشيف)

غزة/ فلسطين:

"تنتظر قوات الغزو في حال أصرت على اجتياح غزة، قوة فلسطينية تقدر بـ ١٥ ألف مقاتل ينقسمون إلى تشكيلات وأجهزة "حماس" المختلفة تساعدهم وتقف إلى جانبهم مئات المسلحين التابعين لفصائل فلسطينية مختلفة".

هذا ما ابتدأت به صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية، حيث نشرت تقريرا لها أمس، حاولت من خلاله الاجابة على السؤال الذي شكل عنوان التقرير، مدعية أن مرافقة ايرانية حثيثة ... منعة دفاعاتهم في الداخل، يحدوهم الأمل بنجاحها في إعاقة او زيادة صعوبة مهمة الجيش الإسرائيلي وايقاع إصابات كبيرة في صفوفه.

وفيما يتعلق بالمركبات الأساسية التي تشكل "جيش" حماس، تحدثت الصحيفة عن مرحلة انتقالية تعيشها "حماس" تقع بين محاولة تنظيم القوة "على نمط القوات النظامية" وقوات حرب "العصابات" التي تحمل إشارات القوة العسكرية المنظمة الصغيرة "simi army".

وأضافت الصحيفة: "إن من ضمن ... أولها حركة الجهاد الاسلامي ولجان المقاومة الشعبية، اضافة الى ثلاث منظمات أخرى تؤيد الجهاد العالمي "القاعده" ستعمل بشكل مستقل عن "حماس"، كما قالت.

وادعت الصحيفة أن خطة "حماس" الدفاعية بنيت على اساس التموضع بطريقة الكمائن التي من شأنها إعاقة تقدم قوات الغزو، واقيمت لهذا الغرض شبكة انفاق متشعبة تشمل مواقع محصنة واخرى مفخخة وأنفاقاً وابنية مفخخة وانفاقاً مخصصة لنقل الإمداد والتعزيزات ...

"كتائب الأقصى" تؤكد استعدادها لمواجهة أي عدوان إسرائيلي

غزة/فلسطين

أكدت كتائب شهداء الأقصى، مجموعات الشهيد ياسر عرفات استعدادها لمواجهة أي عدوان إسرائيلي على قطاع غزة. وقالت الكتائب على لسان ناطقها "أبو فؤاد": إن "التهديدات بتنفيذ عملية عسكرية واسعة ضد قطاع غزة لن تثني المقاومة أو تضعف عزيمتها أبداً، وستستمر في ضرب الكيان الغاصب، رداً على العدوان بحق شعبنا".

واعتبر "أبو فؤاد" في بيان صحفي، أمس، تلقت صحيفة "فلسطين" نسخة عنه، حصار غزة والتهديدات التي يطلقها قادة الاحتلال " استفراداً بالشعب الفلسطيني، ودليلا واضحا على سياسة العدو القائمة على القتل والدم"، مشيراً إلى أنها سياسة قديمة تتجدد يومياً ضد الشعب الفلسطيني الأعزل.

وقال "أبو فؤاد" إن " رد الكتائب على ممارسات الاحتلال، والاغتيالات والاعتقالات وسياسة الإبعاد سيكون في الميدان ومؤلما للكيان الصهيوني"، مبينا أن عمليات إطلاق الصواريخ محلية الصنع ستستمر ما استمر العدوان.

ودعا الناطق باسم كتائب الأقصى فصائل المقاومة "لرص الصفوف والوقوف صفاً واحداً لمواجهة العدوان الإسرائيلي، وإفشال كل مخططات الاحتلال التي تهدف إلى النيل من صمود شعبنا ووحدته الفلسطينية".

الوهم المتبدد

عملية الوهم المتبدد هي عملية عسكرية واختراق حدودية قامت بها كل من كتائب الشهيد عز الدين القسام، وألوية الناصر صلاح الدين، وجيش الإسلام، والتي بدأت في تمام الساعة ٥:١٥ من صباح يوم الأحد ٢٥ حزيران ٢٠٠٦ م، استهدفت مواقع للجيش الإسرائيلي على الحدود الشرقية لمدينة رفح حيث قام المقاتلون الفلسطينيون بإطلاق قذيفة على برج مراقبة إسرائيلي ومن ثم حدث تبادل إطلاق نار بين المقاتلين الفلسطينيين والجنود الإسرائيليين مما أدى إلى استشهاد اثنين من المقاتلين الفلسطينيين ومقتل جنديين إسرائيليين وجرح ٥ وأسر الجندي جلعاد شاليط

وعقب العملية جن جنون الجيش الصهيوني ، وأخذ يتخبط يمنة ويسرة في حيرة، ومساء ١ يوليو ٢٠٠٦ اقتحمت قوات صهيونية مدججة بيت المقاتل في كتائب القسام تيسير أبو سنيمة أبو المجد بحثاً عنه أو عن شاليط حسب ادعائهم، ويقع بيته على الشريط الحدودي قريباً جداً من حدود قطاع غزة ، ويتحدث والده عما جرى قائلاً: بعد عملية الوهم تركنا ككل الناس بيوتنا ؛ لأننا نسكن في منطقة خطرة ومستهدفة وكنا نأتي البيت من حين لآخر، حدث الاقتحام نحو الساعة ١١ ، وكان أبو المجد قد أوصانا بالاحتياط ومنذ أقل من ساعة توضأ وخرج من البيت وبقي الأهل في الدار ، فإذا بقوات مدججة بالطيران والآليات تقتحم الدار وأخذوا يفتشون عن أبي المجد تحت كل شيء من الهوس، وسألوا زوجتي عن شاليط فأخبرتهم أنها لم تسمع بهذا الاسم من قبل فقالوا لها "واحد راجل ابنك أخذه"، وفتشوا البيت حجرا حجرا ، فلما لم يجدوا شيئا سرقوا نحو ١٤ ألف دولار، وأخذوا ملابس أبي المجد وأغراضه، وأوراقنا الثبوتية، إضافة لخطف ابني الأكبر ياسر وألحقوا بالبيت أضرارا وفسادا كبيرين.

تيسير كان يبعد عنهم مسافة قليلة مشاهداً ما يحدث ، وعزم على الاشتباك معهم فلما رأى اعتقالهم لأخيه "ياسر" وحمل الجنود لأخيه "محمد" كدرع بشري آثر الانسحاب، وبعد وصوله لمنطقة آمنة اتصل به الصهاينة وكلهم غيظ وقاموا بشتمه بالعربية وطلبوا منه تسليم نفسه فأغلق الجوال وانطلق في حفظ الله ورعايته.

تعرض أهله للكثير من المضايقات مما اضطرهم لمغادرة بيتهم والسكن في الخلاء بمنطقة موراج يفترشون الأرض ويلتحفون السماء لمدة طالت لأشهر عدة ، عوضاً عن اتصالات الصهاينة بوالده وقالوا له في أحدها : جيب شاليط من عند

ابنك ، واحنا بنطلع ياسر ، والكثير من التهديد والترغيب، والناتج عن الوهم الذي زرع في عقولهم .

ومن جانبه لم يلق أبو المجد بالا بترهات الصهاينة ، هينا في عينه ما أصابه وأهله من لأواء، وكان مطمئنا إلى أن أخيه سوف يخرج عاجلا، بل كان يسخر من الصهاينة وما يفعلونه.

ومن الجدير ذكره أنه أثناء انسحابه من محيط بيته عطش في الطريق فاضطر لأكل قطف من عنب أثناء مروره بأرض يعرف صاحبها ، وبعدها بأيام اتصل بصاحب الكرم وشرح له الأمر معتذراً إليه فسامحه الرجل، ثم أُفرج عن أخيه ياسر بعد ١٥ يوماً .

أدان رئيس الوزراء" إيهود اولمرت"الهجوم وقال أن رئيس السلطة الفلسطينية "محمود عباس" مسؤول عن حياة الجندي.

أدان رئيس السلطة وزعيم حركة فتح" محمود عباس"هذا العمل وقال على حركة حماس أن تعيد الجندي المختطف.

أدان البيت الأبيض الهجوم ، وقال على السلطة أن تعيد الجندي إلى إسرائيل ودعا الطرفان إلى عدم التصعيد.

قامت إسرائيل بعد ٣ أيام على الهجوم بحشد قوات من الجيش الإسرائيلي ودباباته على حدود القطاع استعداد لعملية أمطار الصيف وبدأت الغارات الإسرائيلية على القطاع ، واستهدفوا محطة توليد الكهرباء وحتى هذا اليوم يعاني سكان غزة من مشاكل في الكهرباء، وقامت الفصائل الفلسطينية بقصف المدن والبلدات الإسرائيلية بصواريخ وقذائف محلية الصنع وأكثر المدن الإسرائيلية التي تعرضت لقصف المقاومة هي: سديروت وعسقلان وكريات ملاخي وكفار غزة وشاعر هنيغف وموقع كيسوفيم وناحل عوز وزكيم وأوفوكيم.

وأدت الغارات الإسرائيلية التي استمرت مدة ثلاثة أشهر إلى مقتل ٢٧٧ فلسطينيا وجرح ١١٦٧ آخرين ، أما القصف الصاروخي لفصائل المقاومة الفلسطينية أدى إلى مقتل ٧ إسرائيليين وجرح ٨٥ آخرين ، أما على صعيد الضفة الغربية فقامت إسرائيل بشن حملة اعتقالات طالت ٦٠ مسؤولا من حماس بينهم وزراء ونواب مثل: عزيز دويك ومحمد أبو طير ومحمود الرمحي ونايف الرجوب وعدد آخر من قيادات حركة حماس ؛ للضغط على حماس لتفرج عن الجندي جلعاد .

قامت لجان المقاومة الشعبية في الضفة الغربية بعملية غضب الفرسان أسفرت عن خطف وقتل صهيوني.

لم تعد التفاعلات الديناميكية لعملية "الوهم

المتبدد" التي نفذتها ثلاثة فصائل فلسطينية مسلحة، تسيطر على الحالة السياسية والأمنية داخل حكومة الاحتلال فحسب ؛ بل أصبحت قضية إقليمية ودولية خاصة بعد التدخلات من كافة الزعماء والشخصيات ذات الوزن السياسي والاقتصادي الثقيل في العالم والتي كان أخرها الولايات المتحدة وروسيا، بالإضافة إلى حكومة فرنسا، وغيرها من الدول العربية والإسلامية .

الوهم المتبدد ربما تكون اسماً على مسمى -كما يقولون - فهي أضحت كابوسا ، يلاحق الإسرائيليين في أحلامهم فيقض مضاجعهم ، شعباً وحكومةً، ساسةً وعسكر، بل أثرت أكثر من ذلك في كونها أحدثت خلافات وانقسامات داخل المؤسسة الأمنية الإسرائيلية ،كون العملية نفذت بمهارة وتقنية عسكرية عالية المستوى تخطيطاً وأداء ، بالرغم من وجود الإنذارات الساخنة حولها .

حينما أقدمت حكومة الاحتلال على اغتيال الأمين العام للجان المقاومة الشعبية جمال أبو سمهدانة ، قالت وقتها أن عملية الاغتيال جاءت لتوقف عملية كبيرة وضخمة ضد الإسرائيليين ، وأن أبو سمهدانة كان يقوم بوضع اللمسات الأخيرة على العملية التي ستقع في معبر كيرم شالوم أو على معبر رفح البري إلا أن استخبارات الجيش والشاباك لم يتوصلا لفك الشيفرة الخاصة بالعملية ، ولم يتمكنوا من معرفة المكان المستهدف ومن القائمين عليها ووقت وقوعها ، بالرغم من التقنيات العالية التي تتمتع بها أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية .

ويقول أبو مالك أحد قادة ألوية الناصر صلاح الدين: إن العملية التي نفذت بالاشتراك مع كتائب عز الدين القسام ، وجيش الإسلام ، اعد لها بشكل مدروس ومخطط بطريقة تمكنها من الخروج لحيز التنفيذ بنجاح ، خاصة بعد العمليات الإجرامية التي نفذتها قوات الاحتلال ضد المدنيين والأبرياء واغتيال القادة العسكريين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، موضحاً أن التجهيز والأعداد لها استغرق ما يقارب أربعة أشهر فيها استغرق حفر النفق وتجهيزه ستة اشهر.

ويضيف أبو مالك لوكالة معاً حول تفاصيل جديدة عن العملية : بأنه تقرر أن يكون عدد الاستشهاديين الذين سوف ينفذون العملية (معبر كرم أبو سالم) سبعة مقاومين ، وقد انقسموا إلى ثلاث مجموعات مهاجمة رئيسية ، عدا عن مجموعة الإسناد التي تولت مهمة التغطية على منفذي الهجوم من خلال إشغال الجنود الإسرائيليين بالقذائف والرصاص وقصف بعض المواقع والدشم القريبة من "كيرم شالوم" حتى يتمكن

المهاجمون من الوصول بسهولة

وأضاف أبو مالك : أن المجموعات المهاجمة لم تدخل الموقع العسكري عن طريق النفق ، بل دخلت بعدة طرق ووسائل مختلفة وكانت مهامها كالتالي:

المجموعة الأولى : قامت بتفجير دبابة الميركافاة المطورة بعد استهدافها بصاروخ مضاد للدبابات فيما تحركت المجموعة الثانية تجاه ناقلة جند وقامت بزرع عبوة ناسفة فيها وتفجيرها مما أدى إلى تدميرها وأما المجموعة الثالثة فقامت بالاشتباك مع ثلاثة عسكريين إسرائيليين داخل أحد الأبراج العسكرية قبل أن تدمره بقذيفة آر بي جي ويضيف "حضرت تعزيزات عسكرية من جنود الاحتلال فاشتبكت معهم المجموعة الثالثة وأوقعت فيهم قتلى وإصابات فأصيب الاستشهادي محمد فروانة في قدمه مما حدا بزميله الآخر الشهيد حامد الرنتيسي للتغطية عليه تمهيدا لخروجه فصعد إلى برج عسكري آخر واشتبك مع من فيه وفجر نفسه بين الجنود –من اثنين إلى ثلاثة جنود– بحزام ناسف كان على وسطه، وقال أبو مالك إن أخر حديث كان

مع الشهيد فروانة عندما كان مصابا بطلق ناري في قدمة ثم بعد ذلك قطع الاتصال به .

وعلى ضوء تلك العملية وما صاحبها من إعلان إسرائيل القيام بعملية عسكرية كبيرة أطلقت عليها " أمطار الصيف "لتحرير الجندي الأسير لدى فصائل المقاومة ،فإن مسئولا فلسطينيا يرى أن الساعات القادمة ستكون مليئة بالمفاجآت غير المتوقعة قائلاً : هناك احتمالات مختلفة للإفراج عن الجندي (جلعاد شليط) أولها : موافقة الحكومة الإسرائيلية على عملية تبادل أسرى يتم بموجبها الإفراج عن عدد من المعتقلين الفلسطينيين المعتقلين لدى حكومة الاحتلال وفق شروط يتم التوافق عليه مسبقاً .

ثانياً : القيام بعملية عسكرية كبيرة يقوم الجيش الإسرائيلي بتنفيذها دون النظر للعوامل الإنسانية والأخلاقية متوقعة رد إسرائيلي أكثر قسوة ،خاصة بعد قيام المقاومة بطي ملف الجندي شاليط.

ويقول المسئول الأمني إن حكومة الاحتلال تحاول الاستفادة بقدر كبير من الوقت لتحقيق هدفين رئيسيين يقضي الأول بتكثيف الجهد الاستخباراتي الإسرائيلي لتحديد مكان جلعاد شاليط و تنفيذ عملية آنية كبرى لتخليصه فيما يتركز الهدف الثاني على تدمير البنى التحتية الفلسطينية والقضاء على السلطة و مؤسساتها وإسقاط الحكومة الحالية وذلك بالاستفادة من العامل الزمني الذي كلما طال فيه أسر شاليط أعطت إسرائيل لنفسها الذريعة بمواصلة الاستهداف."

ولا تستبعد المصادر الأمنية الفلسطينية الرسمية والمقاومة في أن تقوم قوات الاحتلال بتنفيذ هجوم قوي ومركز من خلال عملية إنزال جوي بالمظلات ، إذا ما استطاعت أجهزة استخباراتها من تحديد المكان الذي يحتجز فيه الجندي الإسرائيلي بالتزامن مع تقدم بري للدبابات وعمليات قصف كثيفة ومركزه .

من هو جلعاد شاليط ؟ هو جندي إسرائيلي سابق أسرته حركة المقاومة الإسلامية بعد عدة أشهر من تجنيده في ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ ، ولد جلعاد شاليط في مدينة نهاريا ١٩٨٦ ، والداه نعوم وأفيفا شاليط يهوديان من أصل فرنسي هاجرا لإسرائيل قبل عدة عقود، ثم انتقل مع عائلته إلى بلدة "متسبيه هيلاه" في الجليل الغربي، وهو الثاني من بين ثلاثة أولاد ، في يوليو ٢٠٠٥ جند للجيش (وفقاً لقانون التجنيد الإجباري في إسرائيل) فأدى خدمته في سلاح المدرعات، وبعد عدة أشهر من تجنيده في ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ وقع جلعاد في قبضة المقاومة الفلسطينية .

ويذكر أن عملية أسر الجندي شاليط كانت من أكثر العمليات الفدائية الفلسطينية تعقيداً منذ اندلاع انتفاضة الأقصى الثانية حيث تمكن المقاتلون الفلسطينيون من اقتياد الجندي الأسير إلى عمق القطاع بسرعة فائقة رغم التعزيزات الجوية الإسرائيلية الفورية في الأجواء وخصوصاً في سماء مدينة رفح قرب مكان تنفيذ الهجوم ، عقب هذه العملية قام جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الداخلي الشين بيت بتنشيط مئات من عملائه في قطاع غزة للبحث وللتحري عن مصير شاليط ومكان اعتقاله وهوية محتجزيه، كما شن الجيش الإسرائيلي على مدار السنوات الثلاثة الماضية سلسلة من العمليات الخاصة في مناطق متفرقة في القطاع في محاولة لتحرير شاليط أو إلقاء القبض على أشخاص فلسطينيين يشتبه في ضلوعهم في احتجازه.

مع أن مكان وجود جلعاد شاليط كان مجهولا فإنه لم يكن شكٌ في بقائه على قيد الحياة، إذ في ذكرى مرور عام على أسر شاليط أرسلت كتائب القسام شريطا مسجلا بصوته بمناسبة مرور عام واحد على أسره في التسجيل يقول جلعاد شاليط إن حالته الصحية تتدهور وإنه محبط لعدم استجابة الحكومة الإسرائيلية لمطالب القسام.

ومنذ أسر شاليط تطالب حركة حماس نيابة عن جناحها العسكري ولجان المقاومة الشعبية وجيش الإسلام إسرائيل بالإفراج عن أكثر من ١٠٠٠ سجين سياسي فلسطيني من ذوي الأحكام العالية ورفع الحصار المفروض على قطاع غزة مقابل إطلاق سراح شاليط حياً.

هذا وقد رفضت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة حتى اليوم شروط حماس وقالت: بأنها لن تفرج عن ما أسمتهم "فلسطينيون ملطخة أيديهم بدماء إسرائيلية"

تحملت دولـة مصر مهمة التوسط بين حماس وحكومة إسرائيل لإطلاق سراح جلعاد شاليط ولكن المفاوضات تعرقلت مرات عديدة خاصة بعد تولي حماس الحكم على قطاع غزة في يونيو ٢٠٠٧ مما أدى إلى إغلاق مصر الحدود مع القطاع، حسب وسائل الإعلام الإسرائيلية والعربية اتفقت كل من إسرائيل وحركة حماس على إطلاق سراح ١٤٥٠ معتقلا فلسطينيا في سجون إسرائيل مقابل تحرير جلعاد شاليط ولكن إسرائيل رفضت قائمة أسماء المعتقلين التي أرسلتها إليها حماس عن طريق الوسيط المصري .

بعد تحرير الأسرى اللبنانيين بمفاوضات بين الجانب الإسرائيلي من جهة وحزب الله اللبناني من جهة أخرى وانتصار الأخير إعلاميا بصفقة التبادل فإن حماس تشدد على موقفها بالأسرى التي تريد استبدالهم بجلعاد شاليط.

أصدرت القسام بيانا حول العملية ؛ فكان البيان العسكري رقم (١) لها في اليوم التالي للعملية، وبتاريخ "٢٦/٦/٢٠٠٦م"، واحتوى على التالي: "بعد النتائج المشرفة التي حققتها هذه الموقعة الباسلة، واستجابة للوساطات والتدخلات المختلفة؛ إننا نعلن أن الاحتلال لن يحصل على أي معلومات حول جنديه المفقود، إلا بعد أن يلتزم بالتالي: الإفراج الفوري عن كافة الأسيرات في السجون، والإفراج الفوري عن كافة الأطفال في السجون دون سن الثامنة عشرة، إذ يتنافى هذا الاعتقال مع كل القيم الإنسانية."

فكان البيان العسكري رقم (٢) لفصائل المقاومة بتاريخ "١/ ٧/ ٢٠٠٦م"، واحتوى على تأكيد مطالب الخاطفين وإقرارها مجددًا كالتالي: "الإفراج عن جميع الأسيرات والأطفال دون سن الـ"١٨" كبادرة إثبات جدية وحسن نوايا مقابل معلومات عن الجندي المفقود، والإفراج عن ألف من الأسرى الفلسطينيين والعرب والمسلمين من أي جنسية كانوا، شاملًا ذلك بالدرجة الأولى: جميع قادة الفصائل الفلسطينية، وجميع ذوي الأحكام العالية، وجميع المرضى ذوي الحالات الطبية الصعبة والإنسانية، إضافة إلى وقف كل أشكال العدوان والحصار التي تمارس على الشعب الفلسطيني."

الفصائل الآسرة أصدرت في "٣/ ٧/ ٢٠٠٦م" بيانها العسكري رقم (٣) وفيه جاء: "أمام إصرار العدو على إسقاط جميع المعايير الإنسانية، وإصراره وهمًا على إجراءاته العسكرية ودوام

عدوانه؛ فإننا نمهل العدو الصهيوني حتى الساعة السادسة من صباح يوم غد الثلاثاء الموافق ٤/ ٧/ ٢٠٠٦م."

وأضافت: "إن لم يستجب العدو لمطالبنا الإنسانية الواردة في بياننا السابق حول شروط التعامل مع ملف الجندي المفقود، وابتداءً من تنفيذ البند الأول فيه؛ فإننا نعد الملف الحالي قد "طُوي" بإصرار قيادة العدو واستكبارها، وحينها على العدو أن يتحمل كامل النتائج المستقبلية."

والأعجب قضية إخفائه في القطاع فهي تريد القيام بغزو لتحريره ، العالم يريد تحرير شاليط ولم يتحرك لتحرير آلاف المساجين عند الكيان الغاصب .

الصحف الإسرائيلية تتحدث صراحة عن شن حرب وأن عملية محدودة ستبدأ خلال ايام ستشمل هجوما جويا مع عدد من العمليات البرية المحدودة ضد حماس ومجموعات مسلحة أخرى وللخداع أضافت الصحيفة الابتداء لعملية قبل إنهاء المشاورات خلال اجتماع المجلس الوزاري.

قال محلل عسكري في معاريف : إن الأهداف الثلاثة التي وضعت أمام الجيش الإسرائيلي من خلال العملية البرية هي إسقاط حكم حماس ووقف اطلاق صواريخ القسام باتجاه الجنوب وتحرير الجندي شاليط هي أهداف بعيدة المنال ولن يتمكن الجيش الإسرائيلي من تحقيقها.

صرح مبعوث الرباعية العدوان على غزة ليس كارثة ؛ وليس الحوار هو الوسيلة للتعامل مع إرهاب حماس والحصار لم يجد نفعا مع حماس ولابد من البحث عن وسائل أخرى لإنهاء الوضع الشاذ في غزة حتى تكون جزءا من الدولة ومن وعد أنا بوليس ومسار التسوية"

روايات اجتماعية

الأخ شريف

الحلقة ٢

غداء في البركة

رغم كل التبريرات والاعتذارات والحجج التي بينها شريف لزميليه فواز وعزمي كانت عبير تصر على الحديث معه ، وتسعى إلى اللقاء به ، وتكوين علاقة صداقة معه كما تزعم ، فقال له فواز يوما: يا رجل جننتني عبير بكثرة السؤال عنك .. وعن أخبارك .. ولماذا تتهرب من اللقاء بها ؟..وهي تترجاك أن تزورنا في البيت .. لن تذهب بك إلى حديقة أو فلم أو مسرح .. مجرد لقاء من أجل الحوار .. يا سيدي أرجوك أن تجلس معها وتقنعها بأحوالك وظروفك وكفاحك لتكف عن إزعاجي أنا وعزمي .. تتهمنا بأننا نحن الذين نحول بين اجتماعكم .. تقول لك إنها أخت ترغب بالحديث مع أخيها .. أنا أدرك غرابة هذا

الطلب عندك .. ولكنه بالنسبة لي شيء طبيعي يا شريف .

ـ هذا غير معقول يا فواز .. أرجوك أن تمنعها وتبعدها عني .. فهي تكثر من الاتصال بمأمور الاتصال سائلة عني وعن صحتي .. هذا أمر محرج لي ولك .

ـ أتوسل إليك أيها الصديق .. أن تلتقي بها وجها لوجه مرة واحدة ؛ لعلها تصدق حججك وأعذارك .. حوار ساعة تنهي فيه الموضوع .. فعندما تسمع منك تصدق أنك مرعوب من لقاء النساء ..سأدعوك في يوم عطلة لغداء ..وستتكلم كلنا جميعا لن تخلو بها ما دام الاختلاء من وجهة نظرك حرام ولا يجوز ..فأخشى أن تأتي لزيارتك هنا وتسبب لك حرجا كبيرا ..

فقال شريف وهو يتخيل فعل هذا الأمر : لا أستغرب فعلها ذلك !

ـ إذن قابلها بالحسنى .. وبين لها أنك لا تحب التعرف على الجنس الثاني .. وأن أمامك مسؤوليات كبيرة هي التي لا تسمح لك بمثل هذه الصداقات البريئة .

ـ عندي فكرة !!

قال فواز : هذا ما أحلم به .. قلها يا رجل !

خطرت لشريف فكرة عجيبة قد تكف الفتاة عن ملاحقته ومطاردته بغض النظر عن النوايا فقال :

ما رأيك بأن أدعوك وأختك الفاضلة لزيارة بيتنا وتقابلان أمي وأبي .. لتر الآنسة بيتنا وحياتنا على الواقع ؟

ـ إنها قسوة منك يا شريف !.. أتريد أن تصدمها ؟!

تبسم شريف وقال : أريد أن تعرف مجتمعنا وبيتنا وظروفنا .. فالأخ عزمي يعرف البيت .. قد زار مرة البركة فدعوته وشارك الأسرة طعام العشاء ..وإذا وافق هو أيضا على هذه الدعوة فحياه الله .

ـ وإذا رفضت ؟

ـ آمل أن لا ترفض ما دامت تسعى للقائي .. فهي راغبة بمعرفة أسباب تهربي من الرد على اتصالاتها .. والتهرب من أي لقاء بها.

ـ حسنا ، سأنقل لها هذه الدعوة .. لأنني مللت منك ومنها .. مصممة على تغييرك وجعلك جنتلمان .. حقيقة أنا كنت أرى أنك سهل لين .. ولما تتخلص من عقدة الفقر ..ستتلحلح يا شريف .. وترى أنها فرصة للاندماج في المجتمع الراقي .. لننتظر ما يحدث على الطبيعة .. وكيف ستكف عبير عن محاولة إخراجك من القاع إلى القمة ؟!

ـ أي قمة يا رجل ؟! .. عندما ترانا على الواقع والحقيقة ، وترى أمي التي صبرت وجاهدت حتى كبرنا ، وأصبحنا شبابا سترى أن ابتعادي عنهم لا يمكن .. بل هو المستحيل نفسه .. ولا وقت لدي

للسهر والسمر والنزهات ..أفضل ساعات اليوم هي التي أقضيها بقرب أبي وأمي

ـ ما شاء الله !.. وفاء وحب كبير .. من يسمعك يظن أن عبير ستتزوجك وتأخذك من حضنهما مع أني أتمنى من كل قلبي أن تتزوج عبير من شاب محترم مثلك .. نحن بناتنا تنكح من أجل ثروة أبي يا شريف .. كل أزواج أخواتي تزوجوهن على طمع ورغبة في المزيد من المال ؛ ولكن هذه طبيعة بيئتنا كما يقال .

ـ وأنا أشرف بالزواج من بيتكم يا فواز !.. ولكن كما قلت الفارق الطبقي يقف حجر عثرة بيننا

هز فواز رأسه وقال : نعم ، عند الزواج الأمر يتعقد ، فليس من السهل أن يوافق أبي على زواج آخر بناته من رجل ماله قليل ..مع الاحترام الكامل لك أيها الأخ .

ـ تعجبني صراحتك يا فواز !.. ولكن كيف يسمح والدك لأختك باتخاذ أصدقاء ذكور لها؟!

ضحك فواز طويلا ثم قال : أنا أعرف أنك تستغرب جدا من هذا الانفتاح والاختلاط .. هو عرف اعتادوا عليه أو تربوا عليه وربينا عليه .. فهو يسمح لنفسه بالجلوس مع نساء وبنات الآخرين ، فلابد أن يسمح لنا ولأخواتنا بذلك .. المعاملة بالمثل ، ومع الأيام سادت هذه الأعراف .. أما الزواج ففيه مال ومطالبات ومصالح ومشاريع .. فالزوج أو الزوجة يجب أن يكون صاحب مال أو صاحبة مال .. للتجارة والعمل وللهو .. أحيانا تقام حفلة ينفق فيها المال الكثير الكثير ..أنت لا تعرف المباهج والسمر والملاهي .

ـ هذا من فضل ربي .. فقد تركت السمر لأخي الأكبر قسيم .. فقد تعرض لاعتداء بالسكاكين منذ حين .. ولما ذهبنا لزيارته والاطمئنان عليه طردنا ، ولم يعد يتصل بنا .. هذه إحدى فوائد السمر والسهر !

صدمة

ـ يا الهي! إنه بيت يكاد أن يسقط .. لا أعلم كيف يعيش فيه صاحبك ؟! .. هل ما زال في بلادنا ناس يسكنون مثل هذه البيوت الآيلة للسقوط ؟!

بهذا الاستغراب كانت عبير تحدث أخاها فوازا وعزميا ، وهم منصرفون من بيت صديق فواز المهندس شريف ، وأدرك الشابان أن الرسالة التي أرادها شريف قد وصلت لعبير ، فقال فواز وهو يتطلع في عيني عزمي ومخفيا ابتسامة : كل هذا الحي ..أو هذا الشارع على هذه الصورة يا عبير .. قوم بؤساء مساكين !

وقال عزمي تحزنا : نعم ، حياة صعبة وبيوت ضيقة ؛ ولكنهم يعيشون .

فعادت الفتاة تقول ربما بألم حقيقي : ألا تساعدهم الحكومات المتعاقبة ؟! ..ألا يمدون لهم يد العون

فقال فواز : تقدم لهم الدولة مساعدات يسيرة .. فمؤسسات التكافل موجودة .. ولكنه فتات
هذه البيوت كلها تحتاج إلى هدم وإعادة بناء أو ترحيل لمكان آخر .. وهذا يحتاج لأموال ضخمة
وقال عزمي مكملا : هذا مشروع وطني يحتاج لجهد كل البلد ؛ ولكن من يقرع الجرس؟ .. فمثل هذه الأحياء تنشأ في أغلب المدن الصناعية .. أناس يتركون قراهم وأريافهم للعمل في المدن الصناعية وحولها ..وهنا تجد الإيجارات قليلة .. وأثمان المنازل أيضا قليلة .. فتتكون مثل هذه الأحياء فتضطر الدولة أو البلديات لتقديم الخدمات لهم من ماء وكهرباء وصرف صحي

فقالت عبير بأسف وعتب : على الحكومة أن تهتم بهؤلاء الناس .. عندما أسمع أو كما قرأت منذ فترة عن سقوط بيت على أهله .. فأستغرب وأعتقد أن خللا في الإنشاء سبب ذلك .. أما مع هذه البيوت .. فسقوطها من الزمن .. إنه لشيء محزن أن يوجد مثل هذه الأحياء في البلاد ونحن نسمع أن الثري فلان خسر ملايين على طاولة خضراء في جلسة واحدة .

فقال فواز : هذا هو قصر صديقنا الأخ شريف !

فقالت : هذا يؤكد فعلا أنه بحاجة لإنقاذ ومساعدة .

قال فواز ساخرا : إنقاذ !

قالت : سأتكلم مع أبي ؛ لعله يقدم له قرضا يعينه على شراء بيت أحسن من هذا .

فقال عزمي : هو يفكر بشراء قطعة أرض .. ليبني عليها شقة .

قالت بضيق : يحتاج لسنين قبل أن يخرج من هذا المنزل الكئيب .. لابد من عمل شيء مهم من أجله .. ما دمنا تعرفنا عليه.. وهو زميل لكم منذ سنوات ..

فقال عزمي : يا عبير الأفضل أن تلزمي حدودك .. وحذار من فعل شيء لشريف ، فهو إنسان عصامي مكافح لن يقبل منا أي مساعدة مالية أو غير مالية.. هو لما قبل في الجيش فبعد أول راتب ذهب إلى الجمعيات الخيرية التي كانت تمدهم بالعون وشكرهم واستغنى عن مساعدتهم التي كانت شيئا يسيرا .

قالت : وضعهم محزن .. قلبي تمزق .. لم استسغ طعامهم مما ألم بي من الألم

قال فواز منتقدا : تصرفك هذا ضايقني ..كان عليك أن تراعي الشاب .. وتتظاهرين بالأكل وكيف تزعمين الشبع وأنت مدعوة لغداء ؟!

ـ لم انتبه لذلك إلا بعد انسحابي ونظرتك الحادة إليّ .. وما كان بالإمكان العودة للمائدة بعد أن أعلنت شبعي ..ومع ذلك علينا أن نحاول فعل أي شيء لصديقنا .

فضحك فواز على إصرار أخته بمساعدة شريف فقال : بماذا يا عبير؟! .. دعك من شريف وصداقة شريف ومساعدة شريف .. أنا استعنت بك وبأفكارك لنفتح له الطريق إلى عالم الأغنياء ومجالسهم .

صاحت : لابد من رد الدعوة كما دعاني سوف ادعوه .

قال فواز بحدة : هو دعاك لتكفي عنه .. وترينّ ظروفه على حقيقتها ، وأنه ليس لديه وقت للهو والسهر .

ـ أترضى لي الفشل ؟.

قال فواز : شريف عنيد .. وكرامته زائدة عن كرامات الناس ..

وحساس من جهة ثانية إلى آخر مثل هذه المصطلحات الفارغة .. حتى أنا أفكر بالابتعاد عنه وأنتقل إلى وحدة عسكرية أخرى .. فهو رجل صحبته مزعجة .. ومثيرة .

فقال عزمي : ولكنه مجتهد .. وكل الضباط يحبونه ويحترمون إخلاصه ونشاطه .

فعاد فواز يقول : أنا أشفقت عليه .. وقلت لو احتك معنا في بيئتنا وحياتنا سيتغير ويصبح ابن مدينة بحق .. ويبتعد عن الانطواء والانكفاء .. وهو زميل منذ أيام الدراسة الأولى .

قالت الفتاة : لم نصل محطة اليأس منه .. فالانتقال من جو إلى جو يحتاج إلى وقت .. ليس كل الناس يتغيرون بكلمة وبسرعة الصاروخ .. رويدا رويدا .. بعضهم يحتاج لسنوات ليتخلص من فكرة ثبت خطئها وانتهاء زمنها .

فقال فواز : أنا آسف .. سأرفع يدي من هذه المهمة .. وها هو عزمي معك في الركض لإنقاذ الرجل .. حقيقة أنني أشعر بالندم لذكره لك لسماع مشورتك .. أنا بعد هذه الزيارة والدعوة لبيته رفعت يدي يا عبير .. أرجوك أن تفكري بالأمر بجدية .. والأيام وقيم المجتمع التي ستجد عليه لعلها تغيره ..وإذا رأينا تعديلا في أفكاره وأفعاله سنفتح له صدورنا.. فعلنا نحوه المناسب وهو ينفر ويفر .. نحن لن نأخذ منه شيئا .. وهو يرفض مساعدتنا .

قالت بغضب خفيف : أنت اخرج من الملعب .. سأدبر نفسي معه .. ولسوف تراه يجالسك ويسامرك في أكبر ملهى ليلي في بلادنا .. وسيكون أحد أفراد سهراتنا .

فقال عزمي : الأخت عبير ليست سهلة .. فقد ورطتها مع شريف يا ملازم فواز.

أوليات شريف

شريف ياسر يريد البعد عن عبير ، ولا يحب ولا يرغب بمثل هذا الانفتاح الاجتماعي ، فلم يكن يرى من الأخلاق الحسنة مصاحبة الفتيات ، وكان

يعرف واجبه نحو والديه حق المعرفة ، ويرى أهمية القرش من أجل نفسه وأجل أسرته .. وكان يدرك إدراكا تاما البون الواسع بينه وبين أسرة فواز وعبير، هم أصحاب مال وشركات وتجارات ، وهو إنسان ضعيف الحال ، ويحتاج إلى زمن ليصبح منافسا لهؤلاء الناس ، وقد فكر حتى ولو غامر وتزوج منهم فسيبقى العنصر الضعيف في مجتمعهم ، ولن يتخلص من همساتهم وجرحهم لكرامته وعرضه .. فسيعتبرونه متسلقا ومستغلا لعواطف ابنتهم اتجاهه .. فكان يرى الأسلم الابتعاد عن مثل هكذا مجتمعات ويخشى من سوء تصرفهم إزاء والديه .. فرأى بزيارة عبير لبيت الأسرة ومعرفة وضعه الاجتماعي على حقيقته ، وحاجة أسرته للبقاء معها بأن يصرف الفتاة عن طريقه ودربه ، وأن تبقى علاقته بفواز علاقة زملاء عمل .

هذا ما كان يأمله الأخ شريف من هذه الدعوة وتلك الزيارة لبيت الأسرة ، ولكن هل وصلت الرسالة لعبير وقطعت الأمل من زيادة معرفة بشريف ؟!

والأخ شريف كان لا يرتاح كثيرا لصحبة فواز وعزمي ، لولا حياة الكلية أيام الدراسة التي جمعتهم لانتهوا من حياته ، وكذلك عملهم في وحدة عسكرية واحدة فهو لم يكن يعجبه الكثير من أفعالهم الخاصة ، وكان يرى من مسايرتهم أنه لن يجني منهم إلا الشوك أو الحصرم .. فهذه بيئة كرهها من كثرة ما علق في ذهنه من انحلالها ، وضعف غيرتها وتهاونها في المحرمات ومحاكاتهم الغرب في الشهوات والملذات والتشبه .. فمنذ عرف فوازا وعزميا وهو يراهم يتهاونون في أمور الدين ، لا يعرفون الصلاة .. ولا يصومون ، ولا يتظاهرون بالصيام ، بل يجاهرون بالفطر ، وتعاطي التبغ جهارا في نهار الصوم .. ويلحظ استهزاءهم بالمتدينين وبالدين كلما يتاح لهم المجال .. فجل حديثهم عن النجوم في السينما والرياضة وسباق السيارات وإلقاء النكت والسخرية من خلق الله .. وحول المال والأثرياء في البلد والعالم .. والمال فتنة.. وربما دمار وهلكة على من لا يعرف إدارته والاستفادة منه .. فحياتهم صاخبة بين الموسيقى وشبه الإباحية ، ويتحدثون عن الزنا بكل أريحية وبساطة .. وليس بأنه جريمة واعتداء على أعراض المسلمات .

فلما غادر ضيوفه البيت تنفس الصعداء ، وكأن جبلا أزيح عن كاهله ، فقالت له أمه فجأة : أترغب بالزواج منها يا شريف ؟!

تطلع الشاب في عيني أمه لحظات وقال :أتزوج من يا أمي ؟!

ـ إنها جميلة !!

أخذه الضحك لحظات حتى التفت إليه والده وقال : مالكم ؟

فرفع شريف صوته وقال باسما : اسمع يا أبي ! ماذا تقول أمي ؟ تسألني هل أرغب بالزواج من ضيفتنا أخت فواز ؟ الأخت عبير .

فقال الأب : والله يا ولدي إنها فتاة حلوة ولطيفة !

ـ حتى أنت يا أبي ! ..لا يا ناس ..ءأنا أتزوج من امرأة كهذه ؟ .. إنها كارثة !!

صاحت الأم دهشة : كارثة !.. لماذا يا رجل ؟!.. جمال.. ومال .. وأخت أصحابك.

فقال : هذه يا أمي تحتاج كل يوم لثوب أو اثنين .. كل سنة سيارة جديدة .. سهرات في نوادي الطبقة الثرية ..خادمة أو أكثر في البيت .. يا أمي نحن ناس على قد الحال .. هذه أبوها مليونير

تبسمت الأم أو كأنها حالمة : ماله ! تصير مثلهم يا ولدي الغالي .. سيارة .. دار .. خدم .. بستان .. وهي عروس حلوة .

قهقهة الشاب وقال : أنا جئت بها لهنا لهذه الدار بالذات حتى تعرف من أنا ومن نحن وتبتعد عن طريقي .. كان باستطاعتي دعوتهم لمطعم فخم .. هذه امرأة لا تصلح لي يا أمي .. وقال بصوت هامس لا يسمعه والده لو أصابني مكروه يوما لأرسلت لي ورقة الطلاق .. وعاد رافعا صوته : المرأة ركن مهم في البيت .. فهي عماد التربية والوفاء.. لولاك يا أماه ما حل بنا أنا وأبي وقسيم.. لربما ضعنا.

فقال ياسر : هذا من رحمة الله علينا يا شريف .. بارك الله فيك كنت نعم الابن .. وعلى ذكر قسيم هل تكلم معك ؟

وقالت حسنة : فعلا هل تحدث معك منذ ذاك الحادث ؟!

ـ يتكلم معي ؟! .. أنا منذ دخلت الكلية العسكرية لم يتصل بي ولو نص تلفون .. ومنذ ذهبت للجمعية وطلبت منهم إيقاف المساعدة ، ودعم من هم أحوج منا بها وهو لا يطيق رد السلام عليّ .. هداه الله ـ يا أمي ـ وأصلحه الله .. اسألي عنه أبناء أعمامنا الذين يعملون في المدينة شين



مشاركات اجتماعية

عندما كانت تدعى أسرة ياسر للمشاركة في مناسبة فرح أو عزاء يذهب شريف إليها تصحبه أمه للقيام بواجب المجاملة الاجتماعي نحو أقاربه وجيرانه ، كان في الحي عرس دعيت إليه أسرة ياسر، وكالعادة أخذ شريف أمه إلى دار العرس ،

فتمشي الأم حيث تجتمع النساء يغنين ويفرحن وتشارك النساء فرحهن واحتفالهن سواء كان العرس لذكر أم أنثى ، وأما شريف فيمشى بدوره إلى الخيمة الكبيرة التي ينصبها أهل العرس للرجال يستمعون فيها للغناء الشعبي ويشربون القهوة والشاي والمثلجات ، وفي نفس الوقت يأخذ الضيوف المتجاورون باستماع أخبار وأحوال بعضهم البعض ، فأهل المدن أغلب لقاءاتهم الاجتماعية تكون في المناسبات الاجتماعية لانشغالهم بوظائفهم وأعمالهم ، فكان شريف يتحدث تارة مع الذي عن يمينه ، وتارة أخرى مع الذي عن يساره ، وربما تحدث القوم بآخر الأخبار السياسية أو غلاء الأسعار لسلع معينة ، وفي تلك السهرة جاءت جلسته بقرب أحد أقاربه ، ولما تحول شريف للحديث مع هذا القريب سأله : يا شريف .. ألم تتصالحوا مع قسيم ؟

تأمل شريف عيني الرجل الكبير لثوان وقال : يا عم لحتى الآن لم نتصالح معه فهو حردان علينا عامل زعلان .

ـ هذا ما سمعته من ابني همام أيضا.. فهو كما تعرف يشتغل في العاصمة ، ويلتقي به أحيانا في المقاهي والأسواق .. قال ابني لي: إنه التقى به مرة أثناء ركوبه معه في سيارته ، ولما سأله عنكم قال له لي أشهر لم أرهم ، فهم محاربونني

تبسم شريف وقال : أنت تعرفنا يا أبا همام ! ونحن لسنا سوى اثنين .. ولسنا متحاربين .. فهذا غير صحيح .. بل بالعكس نحن اليوم نسعى لتزويجه ؛ ولكنه يرفض أن يتزوج عن طريق أمه وأنا أكثر وقتي في الجيش والمعسكر .. وإذا كان ابنك همام عزيزا عليه فليحثه على المجيء لزيارة أبيه وأمه .. ولا داعي لكل هذا التشويه والإشاعات لسمعة أهله .. عامل نفسه مظلوم وضحية

فقال الرجل : فعلا لازم أن يتزوج قسيم يا شريف.. ولما يكون له زوجة لابد أن يلتزم بحق البيت .

ـ ساعدونا في تحقيق ذلك يا أبا همام .. سندع له بيتنا هذا ، ونرحل حتى لا يدفع إيجار سكن بس يقوم بواجباته نحو أسرته .. اسعَ في ذلك يا عم وليقم همام بهذا الأمر ما دام يلتقي بقسيم ويقابله في شوارع العاصمة

ـ سأهتم بذلك .. سأحاول التدخل في شأنكم ، وأسعى في الصلح بينكم .

ـ وأنا أكون ممنونا لك ولشفاعتك.

ـ لا شكر على واجب .. أنتم ناس طيبون .. وأبوك رجل صابر .. والبلاء من الله .. ولابد من الرضا والصبر على قضاء الله وقدره .. وأنتم من الراضين والصابرين .. ولا ينكر صبركم إلا جاهل .. وأنت ابن مبارك يا شريف .

ـ بارك الله فيك يا عم .
ثم تغير الموضوع شرقا وغربا ، ثم استأذن شريف بالانصراف ممن حوله ، ومن أهل العرس ، وكان قد أرسل طفلا يخبر أمه برغبته بالانصراف وبانتهاء المجاملة لجيرانهم وأهليهم .
تلقى شريف رسالة من عبير تحثه في خطابها بالنظر إلى المجتمع نظرة تفاؤلية أكثر مما هو عليه الآن .. وتطلب منه أن يغير من طباعه وتقوقعه في حارته .. وعليه أن ينطلق للحياة الأرحب والأوسع ، وأن يوسع من دائرة معارفه ، ويتغلغل في طبقات وفئات المجتمع ، وتتمنى له أفضل الأوقات والسعادة .
وبالطبع هو لم يتأثر بهذا الكلام ، وهذه النصائح ، واعتبرها من الكلام الفارغ ، وأنها دعوة للانحلال ، ونبذ القيم الصحيحة والعادات الحسنة .
وبعد حين جاءته رسالة ثانية تدعوه فيها لمقابلتها مع بعض صديقاتها لتطارح الأفكار وتبادل الخواطر ، وأنها تتيح له فرصة للتعرف على الجنس اللطيف ؛ ليتعلم المزح ومخاطبة الجنس الآخر
فكان الشاب وهو يقرأ أفكار عبير يستغرب لهذه السخافات ، وهذه الأفكار، وهذه الجرأة التي تصدر منها ، ويعتبرها من قلة الحياء والأدب ، ويتعجب من وجود بنات بهذه الأفكار والأحلام ويرى الانحدار الصاعق التي هوت به فتيات الأمة

وقد لاحظ منذ تلك الدعوة الخاصة لبيته اختفاء فواز من حياته رويدا رويدا ، ولم يعد يسمع منه أحاديث الانفتاح والتطور والسهرات والمتع والكيف والمستقبل ، والسيد عزمي بدوره أخذ يبتعد عنه أيضا، وإذا التقيا في مناوبة أو في ظرف ما كان حديثهم حول العمل والمناورات العسكرية والمشاكل العسكرية والتسليح والتدريب .. وتمنى لو فعلت عبير مثلهم ..واختفت من حياته .
وخطرت لشريف فكرة الانتقال لوحدة عسكرية أخرى ، قد ضاق ذرعا بمراسلات عبير السخيفة ، وحتى من رؤية فواز وعزمي ، ويحس أيضا أنهم يضيقون منه ، وأن زمالة الكلية العسكرية قد تلاشت وهزلت .. لذلك فلما أعلن عن عقد دورة خاصة في اللياقة والأمن كان أول المنتسبين لها ، ومدة ووقت هذه الدورة شهران ، ومكان تدريب هذه الدورة يكون الصحراء لا إجازات فيها ، وفيها انقطاع عن العالم .. لا رسائل لا استقبالات ولا اتصال بالأهل والأولاد والزوجات إلا سماع خبر وفاة أحد الوالدين أو الأبناء والزوجات هو الذي يسمح به.
استمتع شريف بهذه الدورة العسكرية المهمة ، رغم القسوة في التدريبات ، ساعات ركض كثيرة وطويلة، وتسلق جبال وتلال ، وأحس أثناءها براحة كبيرة رغم قسوتها ، وشعر بأنه تخلص نهائيا

من عبير وفواز وعزمي ، وكلما لاح فكره نحوهم كان يستغرب من برودة فواز نحو أخته وعدم غيرته عليها ، ويتهاون في حديثه عنها معه أو مع غيره .. ويتساءل: هل سأصل ليوم أسمح لأمي أو زوجتي أو حتى ابنتي لتحتك بالرجال بدون ضوابط ؟! إنه ليوم عسير .

فواز كما عرفنا أحب شريفا منذ أن درسا معا في كلية الجيش ، وأحس بحزن لحياة صديقه البائسة وفكر بنقل أفكاره وعاداته للسيد شريف ، وظن أنه إذا تحسن دخله المادي ، وأصبح ضابطا سيتغير وينتقل من مجتمعه وفقره إلى حياة الانبساط والحفلات الصاخبة ، ولكنه قد تفاجأ بعناد شريف وهربه من مثل هذه المناسبات والسهرات التي يراها مهوى كل شاب من سنه ، ورأى أن أخته التي تعاونت معه قد فشلت فشلا ذريعا بجلب شريف لحياتهم ، وأنه لم يتغير ، بل ينظر لعبير نظرة احتقار، وأنها بائعة هوى ، فانسحب من حياته كما أشرنا لذلك سابقا ، ولكن الذي لم يتأمله شريف جيدا وكان يستغربه ، أن الرجل هكذا تربى ، تربى ألا يغار على لقاء أمه وصحبتها لغير زوجها .. وسهرها مع من شاءت من الرجال .. وهكذا رأى إخوته الأكبر منه وأخواته .. تصاحب هذا يوما والآخر يوما ..وعليه أن لا يتدخل في مشاكل أحد إذا لم يلجأ إليه ويطلب مساعدته .. فأصبح هذا طبعا والنظر إليه ببرود وأمر لا يعنيه .

فشريف فشل في الانتقال إلى بيئة فواز ، وأنه استساغ حياة الابتعاد عن النساء والاختلاط في السهرات والمعارف .. وأنه كما يزعم فواز يعيش في مأساته التي ستقضي عليه ويبقى في قاع المجتمع وعزمي يتحرك بتحرك فواز ومشاورته ، فلما شاهد قريبه يبتعد عن الالتقاء بشريف ويتجنبه ، ويعمل معه في حدود الرسميات .. هو الآخر أخذ يبتعد رويدا رويدا حتى لا يظهر لشـريف أنه مسير وتابع لفواز .. وأنه لمستقل في القرار والحركة فهو لم يقطع علاقته بشريف قطعا تاما ، وكلما حاولت الآنسة عبير الحديث معهما عن شريف طلبا منها أن تنساه ولا تفكر به في خيالها ، فأدركت أنهما ناقمان وغاضبان من شريف ويئسا من دمجه في حياتهما .

حاولت بالرسائل المتكررة ، ولكن الرجل لم يرد على أي رسالة ؛ كأنه لا يقرأها ، ولم يحاول مناقشتها في أي فكرة طرحت في هذه الرسائل .

امتعاض

لما قضى الملازم شريف دورة اللياقة والحماية أعطي إجازة ثلاثة أيام ، وقد قضى ستين يوما لم ير فيها أسرته ، فكان في شوق كبير لهم ، وانتهى من عناقهما، وتناول الغداء الذي أعدته أمه وهو يكاد يطير من السعادة برؤيتهما والجلوس معهما ، وكان

يشعر بسعادة غامرة بهما ، وهما كانا كذلك يبادلونه نفس العاطفة الدافئة والمشاعر الرقيقة ، فهذه أول مرة في حياته يغيب عنهما كل هذه المدة ، ولكنه تفاجأ في آخر النهار بأن الآنسة عبير قد زارتهم وقدمت لهم بعض الهدايا من الطعام المعلب والثياب الداخلية ، فأصابه الوجوم والضيق والانزعاج فقال معاتبا لأمه : كيف قبلت ذلك يا أماه ؟!

ـ فاجأتني بهذا يا شريف !.. ولم أدر إلا وهي تدخل هذه الأشياء للبيت .. وخجلت من الفتاة وقالت إن شريفا في دورة خاصة فقد تحتاجون لمثل هذه الأطعمة .. وطلبت مني السلام عليك وانصرفت .

فقال بغضب : فتاة وقحة فعلا !

فقالت الأم : إنها تمدحك يا شريف ..وتثني عليك خيرا .

قال وهو يكظم غيظه : لا حول ولا قوة إلا بالله .. يا أمي سامحيني إذا ضايقتك .. أرجوك يا أمي إذا جاءت هذه الفتاة ثانية فاعتذري عن استقبالها .. فهؤلاء القوم من طينة غير طينتنا .. تخيلي يا أمي أنها فتاة تحاول الاتصال بي في العمل لتدعوني للسهر معها في مقهى أو ملهى .. أو لتناول الطعام معها .. لا حياء ولا خجل .. هؤلاء قوم أخلاقهم غير أخلاقنا.. وأنا أتهرب من اللقاء بهم .. وأنا دعوتهم للبيت كما تذكرين ليعلموا حالنا ، وأننا أناس بسطاء ، وأن حياتنا غير حياتهم .. ولا أصلح لمسايرتهم والتكيف معهم .. على كل حال انتهى الأمر .. فاستفيدي من هذه الأشياء أو تصدقي بها على الجيران هل من أخبار عن أخي الكبير قسيم ؟ هل طل عليكم خلال هذين الشهرين ؟

قالت : هون عليك يا ابني .. لا أخبار عن المحترم منذ ذلك الحادث .. كأنه ما صدق أن يحدث له ما حدث ليخرجنا من حياته .. ذهبت لهمام لما سمعت أنه هنا وسألته عنه .. فاخبرني أنه تحدث معه ورغبه بالعودة لبيت العائلة ومصالحة أبيه وأمه .. فزعل منه وأمره ألا يحدثه بالموضوع ثانية ، وأنه لا أهل له .. وعلم منه أنه تزوج .

هتف شريف متعجبا ومستهجنا : تزوج ! .. كيف تزوج بدون أهل وأقارب ؟!

ـ زواج مخز وعار يا ولدي ! ..فعلينا أن ننسى هذا الولد العاق .

ـ من أين تزوج وكيف؟!

ـ على ذمة أبي همام .. أن هماما قال له : إنه فجر بامرأة ، وعرف أهلها بأمرها، وأرادوا سفك دمه إلا إذا تزوجها وستر عليها .. هكذا تزوج قسيم أفندي !

صاح شريف بغضب من جديد قائلا : يا للعار!!

.. يا للخزي !!

- هكذا تزوج يا ولدي .. بل أخبر همام والده أنها حملت منه قبل الزواج .. وهذا ما فضح الطابق .. وأرغموه على الزواج منها .

- يا للعار !! أعلم أبي بهذا الخزي ؟!

- حدثته بذلك .. فبكى .. ولكن ماذا سنفعل ؟ لزمنا الصمت .

- على كل حال علينا أن ننساه يا أماه ! .. لا ينفع الآن أي تقويم وإصلاح إذا صحت الرواية وهذه الأخبار المشينة ..هداه الله وتاب عليه .. وأنا قريبا سأبدأ بالبحث عن قطعة أرض في أحد أحياء المدينة الجديدة .. قد تجمع لديّ بعض المال .

قالت وهي تمسح قطرات دمع سالت على وجهها : حفظك الله لنا يا ولدي ..أتمنى لك التوفيق والخير .

- ربما نستأجر شقة يا أمي في مكان قريب من العمل .. فقد حان لنا أن نترك هذا الحي .

- وماذا سنفعل في هذا البيت ؟

- سنعطيه لأحد الأقارب المحتاجين له .

- نبيعه .

- لا داعي لبيعه .. ماذا سيكون ثمنه؟! .. ثمن زهيد فأعطيه لأحد

الشبان المقبلين على الزواج من معارفنا وأقاربنا .

- كما تشاء يا ولدي ! بارك الله فيك وفي قلبك الطيب.

الرحيل

وقبل الرحيل من حي العمال تعرض السيد ياسر سليم لوعكة صحية ادخل على أثرها أحد مشافي مدينة البركة ، وبعد العلاجات الأولية نقل بسيارة طبية إلى أحد مشافي الجيش ، وبعد أيام من العلاج والتداوي فارقت الروح الجسد ، وتلقى الملازم شريف الأمر بقبول واستسلام لقضاء الله وقدره .

وشيع الجثمان لمقبرة حي العمال ، وتقبل الشاب وجده سليم الذي يقطن عند عمه الكبير عمران وأعمامه التعازي بوالده من الجيران والأقارب من أعمام وأخوال ، والكل يوصيه بأمه خيرا .. وقام الشاب بما يلزمه من إحسان نحو أبيه ..وتصدق عنه بالمال .. وكان قد سدد كل الديون التي كانت على أبيه منذ وفق للعمل في القوات المسلحة ، وكذلك ديون أمه .

وقد شاركه العزاء الكثير من زملائه في معسكره ، وقد تلقى برقية عزاء من مكتب قائد الجيش الأكبر ، وكذلك من زميليه عزمي وفواز وشقيقته عبير .

ولما خفت آلام المصيبة وتبعاتها ، وأصبح ياسر في عالم الغيب عند مليك مقتدر أخذت الحياة تعود إلى طبيعتها ، ويسلو الحزن شيئا فشيئا من قلب شريف ، ولا تبقى إلا الذكريات بحلوها ومرها ، نشط في البحث عن شقة ، فكان يتردد باستمرار

على مكاتب بيع وإيجار العقارات والشقق لاستئجار بيت مناسب .
ولما اتصل به أحد السماسرة معلنا له أنه وجد مطلبه ، فذهب شريف للمكتب العقاري وأخذ العنوان الذي هو في أقرب مدينة لمكان عمله ، ثم ذهب للشقة وشاهدها ، واستأجرها من مالكها بعد أن ارتاح لها ووقع العقد ، وما اكتمل العام على وفاة الوالد حتى كانوا يفارقون حي العمال لشقتهم الجديدة ، ويقدمون بيتهم القديم لأحد أقاربهم الذي تقبله مسرورا شاكرا لهم ، وذرفت الأم الدموع الغزيرة على ذكرياتها في حي العمال أو شارع العمارة ..وإن كانت أيام شقاء
وصبر لكنها لا تخلو من أيام جميلة .. من ولادتها فيها وزواج وولادة الأولاد .
رحلت حسنة إلى البيت الجديد ، وأدركت أنها دخلت عالم الشيخوخة ، ولقد أدرك شريف وحدتها حينما ينصرف إلى عمله ، وحينما يضطر للمناوبة في معسكره ، وكان يرى نفسه أنه غير مستعد للزواج ؛ لأنه كان يرى بناء البيت قبل المرأة ، إذا سئل عن ذلك ، وأن أكثر العرسان يسكنون بيوتا مستأجرة يقول لنفسه : لو لم يكن عند أبي بيت ولو كان قنا ، ماذا حل بنا ؟ يوم نستأجر عند فلان ، ويوم عند آخر ..الإنسان لا يعلم الغيب .. البيت يستر العورات والنكبات
فحدث أمه بما يؤرقه من تركها وحدها ، وأنه يفكر بالتعاقد مع خادمة تساعدها وتؤنس وحدتها فقالت له أمه : هات لك زوجة يا ولدي بدلا من خادمة !
ـ إن شاء الله ستأتي يا أمي ..عندما يقام البيت الخاص بنا أولا .. فهذه الخادمة أمر مؤقت حتى أكون مرتاحا أثناء غيابي عنك .
عندئذ ذكرت الأم زوجها ياسرا فذرفت العين الدمع ، وأحست بالفراغ ، فقد كان رغم ضعفه ومرضه أنيس وحدتها ، وتسمع صوته وصراخه وتنشغل بشأنه ، أما اليوم فهي وحيدة البيت شريف ينطلق لعمله اليومي .. لذلك كانت تحب كثيرا يوم الجمعة يوم عطلته ..
وسمعت ابنها شريف يقول : سنة الحياة يا أمي الفراق! .. تذكرت أبي رحمه الله ..
قالت : رحم الله أباك ..لا يعوض عنه يا ولدي إلا أنا أرى أولادك حولي
ـ سيكون ذلك بمشيئة الله ..ابكي كما تشائين .. فالدموع تغسل الحزن والألم .
جاءت الخادمة التي لا تفقه العربية بشيء ، إنما كلمات ركيكة تعلمتها من طول خدمتها في بيوتات الناس ، وكان كل هم أم قسيم حث ولدها على الزواج والاقتران بفتاة ليملأ بيتها بالأولاد والصبية ، ثم تقول أحيانا : أين أنت يا قسيم العاق

؟! يموت أبوك ولا تظهر في عزائه هل أنجب أولادا يا ترى ؟!

وكلما يدخل شريف ويجلسان حتى تبدأ تشكو له الوحدة وحاجة البيت لزوجة وأولاد، وأن الخادمة لا تملأ البيت بالأنس ، فلما أكثرت الحديث بهذه الرغبة ، وأنها تحب أن ترى أحفادها قبل رحليها للعالم الآخر قال : ابحثي لي عن زوجة مناسبة لك أولا يا أمي قبل أن تكون مناسبة لي .. زوجة تحبك ، ولا أقضي ساعات راحتي بسماع شكواها وتدخلك في حياتها .

فتضحك أمه من مداعبته وتقول : وأين ستجد هذه الغادة ؟

وبعد التقاط نفس تقول : وأي بيت لا يخلو من المشاكل يا شريف ..

فقال ضاحكا : مشاكل عن مشاكل تختلف ..مشاكل تحل داخل البيت ليست كالمشاكل التي تحل في خارج البيت وفي المحاكم .

ـ لا تتشاءم كثيرا .. فالنساء خير وبركة .. أخت صاحبك فواز هل تزوجت ؟

فهم مغزى كلامها فتبسم وقال : هل تقبل أن تعيش معك يا أماه ؟..هل ستقوم تتسحر معنا يا أماه ؟ ـ كان زمن هذا التعليق موسم رمضان ـ نحن من طينة وهم من طينة أخرى .. إني أريد امرأة على شاكلتك يا أماه أو قريبا منها .. حسناء صبورة ترضى بالحياة مع أمي الحبيبة أمي هي أمها وزيادة .

ـ طيب ، ما تقول في ابنة الضابط التي أشرت إليها مرة ؟

أخذ الشاب يتذكر تلك الفتاة التي تشير إليها أمه ، وسمع أمه تقول : اسمها أسماء على ما اعتقد

ـ ما شاء الله تذكرين جيدا يا أمي ! .. لم يحدث بعدها شيئا .. كنت يوما في زيارة لقائد المعسكر الكبير .. طلبت الإذن لمقابلة العميد الركن يحيى فأدخلني السكرتير عليه ؛ كأنه نسـي أن العميد يجلس مع ابنته .. ولما دخلت فوجئت بهما يتحدثان .. فحاولت الرجوع معتذرا ؛ ولكن الرجل قال : تفضل يا نقيب شريف هذه ابنتي العزيزة .. كانت قريبة من هذه المدينة فرغبت برؤية أبيها في عمله .. وقال لها هذا المهندس النقيب شريف يا أسماء . فدخلت يا أمي وأغلقت الباب ، وكلي خجل وقلت : تشرفنا يا آنسة .

فرحبت بي وهي تبتسم : أهلا . فأشار لي العميد قائلا : اجلس يا بني .. قال بني يومها يا أمي فقلت : حاضر يا سيدي العميد .

وأخذت الفتاة بعد لحظات حقيبتها ، وبدأت تنهض ، فقال العميد : أسماء يا نقيب شريف السنة تنهي دراستها في كلية التربية .

فهززت رأسي وقلت : أهلا وسهلا .. تمنياتي لها

بالنجاح يا سيدي العميد ثم تفاجأت بقوله أمامها : أما زلت أعزبا يا شريف ؟

ـ أجل يا سيدي العميد .

ـ فتضاحك يا أمي وقال : ما رأيك بأسماء .. ألا تراها مناسبة لك ؟!

فضحكت وكلي خجل وقلت : والله هذا شرف كبير لي يا سيدي العميد !

وخرجت أسماء ولم تتكلم ؛ ووجهها غرق بالاحمرار والحياء مع ابتسامة صغيرة .. بعدها لم يحدث شيء .. بل انتقل العميد إلى قيادة الجيش الكبرى .

هذه ذكريات تلك الفتاة أسماء .. كل هذه تذكره شريف عندما رددت أمه اسم أسماء

فقال : إنها فتاة لطيفة كما بدأ لي .. ولكن والدها رجل فاضل .. وحسبتها دعابة وجس نبض لي ولها والله أعلم .

ـ اتصل به وذكره بك ربما مشاغله الكثيرة أنسته الموضوع .. والفتاة كانت في سنتها الأخيرة .. أعني ربما أنها غير متهيئة للزواج تلك الأيام.

ـ صحيح يا أمي وما زالت السنة الأخيرة قائمة لم تنته .

ـ حرك الماء الراكد .. أرغب أن أفرح بك يا ولدي قبل أن ألحق بأبيك رحمه الله .. وأنت لازم أن تتزوج من بنات العائلات .. لأنك كبير يا بني .. وستكبر بمشيئة الله .. وتصبح قائدا كبيرا إذا عشنا

ـ أخشى ألا نوفق إذا تطلعنا إلى بنات الأسر الأرستقراطية .. هؤلاء يا أمي مطالبهم مثيرة وكثيرة .. وأنا أحب الراحة والسكون .. لا أفكر الليلة في مسرحية .. في فلم .. في مهرجان غنائي .. معرض للثياب والجواهر .

ـ لا تخلو هذه الفئة ممن هم على شاكلتنا يا ولدي ..الفقر كفر يا شريف .. الفقر يذل الرجل ويقصف العمر .. ألم تر عندما كنا نحتاج لدواء مرتفع السعر ما يحل بنا من الضيق والحيرة والبحث عن دائن ؟!.. الحمد الله الذي أخرجنا من الفقر وذل الحاجة وانتظار إحسان فلان وفلان

الزواج

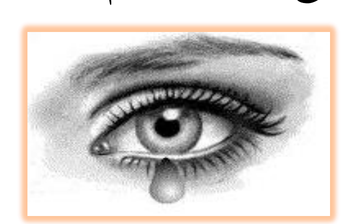
كان الأخ شريف يشعر ويعي الوحدة التي تعانيها أمه في البيت وحدها مع الخادمة الأعجمية ، وأن جهاز التلفزيون لا يبدد تلك الوحدة ولا المذياع ، ويعلم أن أمه لا تحب الاحتكاك بالجيران كثيرا ، وإطالة الجلسات معهن ، وهو لا يستطيع إزالتها ، ويرى السعادة التي ترتسم على وجه أمه عندما تفتح له الباب ، وهو يعلم الضيق الذي فيها من بُعد ابنها قسيم عنها ، ومن قصة زواجه المؤلمة من فتاة فرضت عليه قسرا بسبب علاقة جنسية آثمة ، ومن عدم تواصله معهم ببدنه وباتصالاته ، كان يدرك أن هذا مؤلم على قلب الأم ، ويسبب لها آلاما

نفسية لا تستطيع أن تعبر عنها حتى لا تسبب له ألما وضيقا ، مضت شهور في الشقة الجديدة في مدينة لظ المدينة القريبة من معسكره ، فلما ذكرته أمه بأسماء .. أخذ يفكر بالزواج جديا وتأخير بناء البيت .. فطفقت صورة أسماء تتردد كثيرا على مخيلته ، ويحلم بأنها زوجة لها.. ويفكر بكيفية الوصول إليها .. وأنه شخص لا يحمل اسم عائلة كبيرة وعريقة في البلد مع عائلة كعائلة العميد ، ولابد أن الكثير من أبناء عائلتها ينتظرون تخرجها ليخطبوها ..وليس يملك شيئا مميزا لتقبل به وتفضله على الأقارب سوى شهادته وعمله كضابط .. فالعميد ابن عائلة كبيرة معروفة في البلاد وجل أقاربه من كبار الضباط والرتب العسكرية مثله .. وهل كان سيادة العميد ساخرا وهو يمازحه بهذا الزواج ؟! كيف أعرف ؟ كيف أتصل ؟!

ثم تراه مخاطبا نفسه بصوت عال : لا .. ثم يعود للتفكير والمحادثة مع نفسه : تزوج فتاة بسيطة ثقافتها بسيطة .. تتطلع إليك بأنك زوج وسيد .. وليس بالمثل ..إذا أغضبتها تطردك من البيت أو ... أو ... ربما تريد ابنة العميد أن تشتغل كما تفعل بنات تلك العائلات .. ولكنها ستعمل في قطاع التدريس ..أمي .. إذا عملت ستظل أمي وحيدة حتى ولو تزوجت منها.. الأولاد .. أمي تريد الأبناء لا الزوجة ..أنا بحاجة لزوجة تستقر في البيت .. المرأة العاملة ستسبب لي المشاكل ولن تستفيد أمي من زواجي إذا أصرت الزوجة على العمل .. يا رب يسر ولا تعسر .. أنا يا رب عبدك الضعيف أعني على تحقيق هذا المأرب.. من أتزوج من أختار؟! أنا قليل الاختلاط بالأسر والعائلات.. وأمي ليس لها رغبة بزواجي من أقاربها أو أقارب أبي لم تحدثني عن بناتهم يوما .. إنها ترغب بزواجي من أسرة ذات اسم في البلد .. لقد رأت وعانت من الشقاء وإن عائلتنا وعائلتها لم تستطع الوقوف معنا أثناء محنة أبي .. كلهم فقراء مصروفهم على قد دخلهم.. وبما أنني تعلمت فعليّ أن أخرج من نطاق العائلة .. الفقر مر وعلقم .. ألم يقال لو كان الفقر رجلا لقتلته؟!.. وأنا أحب أن تكون زوجتي وقرة عيني وأم أولادي بمشيئة الله مثل أمي ..ألم تتحمل مأساة أبي بصبر ورضا ؟.. إنني أسمع عن نساء يتخلين عن أزواجهن عند مرضهم المعيق عن العمل والحياة الزوجية .. وبعضهن تهرب مع عشيق لتجبره على الطلاق .. ليس كل النساء كأمي الحبيبة .

أمي .. مرض أبي وهي صغيرة السن وليس لها سوانا أنا وقسيم .. خلفت اثنين وماتا قبل ولادتنا .. وربما لو هجرت أبي وتزوجت لأنجبت غيرنا ؛ ولكنها رضيت بقسمتها وقدرها وتحملت المصيبة

.. ولكنها بعدي لم تلد أحدا .. ولما أصيب أبي كنت ابن اثنتي عشـرة سنة .. هناك فترة طويلة بين إصابة أبي وولادتي ، لم تنجب خلالها أمي .. مع أن خالاتي لهن أولاد كثر .. أنا أستحي أن أسالها عن سبب ذلك .. وما زلت أستحي عن مثل هذا الاستفهام ..لابد أن العائق سبب غير شلل الوالد ..آه .. الزواج .. هل عندنا عقم ؟!



قصص الزمردة

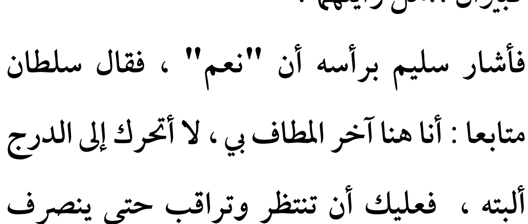
سليم في الغابة المسحورة

الحلقة ٢ والاخيرة

فلما جلسا بجوارها قال سلطان: سليم.. انظر إلى هذا الدرج المرتفع أمامنا

فقال سليم : نعم

فقال سلطان : على رأسه مدخل قصر ملك الغابة ساحر هذا الغابة .. انظر إلى الباب جيدا .. هناك على مدخله فاران كبيران ..هل رأيتهما ؟



فأشار سليم برأسه أن "نعم" ، فقال سلطان متابعا : أنا هنا آخر المطاف بي ، لا أتحرك إلى الدرج ألبته ، فعليك أن تنتظر وتراقب حتى ينصرف الفاران ، ويحضر الغرابان أحدهما أسود والآخر أبيض ، لا تنسى ذلك ، فإذا حضرا فاصعد الدرج ولا تكلمهما بكلمة واحدة فإن سألاك شيئا فقل " سلطان " فقط ، وادخل ولا تخف .. امش خمسين خطوة للأمام فسيقابلك بابا ضخما فاطرقه ثلاث مرات ، لا تزيد ولا تقل ، فسيطل عليك أحد الحراس ؛ فإن وجدت في الحراسة الحمامة الحمراء التي رأيتها على الجوزة فاستأذن بالدخول ، وأما إن كان الغراب أو النسر فلا تدخل يا صاحبي ، وإذا شجعاك على الدخول فلا تفعل ؛ لأن سيد الغابة يكون مستيقظا ، وأما إن كانت الحمامة أو العصفور الأزرق فيكون سيد الغابة نائما فيمكنك الدخول بلا خوف ، ولما تدخل من الباب قل لها : ما كلمة السر لدخول قصر السلطان ملك الغابة ؟ فاحفظه جيدا ، وعندما تصبح داخل القصر سوف ترى حشرات وأفاعي وعقارب ونملا وعناكب لم تر لها مثيلا ، فهي بأعداد هائلة لا ترتعب منها ، وظل ماشيا ، ولا تتكلم مع أحد قد يعترضك طيور أو وحوش .. الزم الصمت وابحث عن غرفة ملك الغابة ، ولسوف تجد على بابها أسدين هائلين مرعبين ، فقل لهما كلمة السر فقط ، ولا تتحدث معهما غيرها ، ولا تسمع لهما ، فلما يفتحا الباب ادخل فستجد ملك الغابة نائما ، فانزع عن رأسه الريشة الحمراء وعلقها في الباب ،

انزعها بسرعة ولا تعدها له ، فسوف يستيقظ ويصرخ فيك .. لا تخف ، فإذا قال لك اعطني ريشتي وأعطيك ما تشاء لا تطعه ، اطلب منه أن يترك سريره ، وأن يذهب ليأخذ الريشة بنفسه ؛ فإذا فعل ذلك ، فارفع وسادته بسرعة وستجد تحتها صندوقا أخضر صغيرا ، فاخطفه بسرعة قبل أن يضع الريشة على رأسه ، وافتحه فسترى فيه عصفورا صغيرا ، فاقبض عليه جيدا ، فهذه هي روح ملك الغابة المسحورة ، فاطلب منه حينئذ أن يعيد أباك والناس الذين سحرهم إلى ما كانوا عليه ، فإذا فعل فاقتل العصفور فورا وابحث عن أبيك بين الخلق ، ولن تجدني بالطبع بعد ذلك ، فها أنا قد كشفت لك السر ، لا تنسى كل ما حدثتك به يا سليم ، إنقاذ هؤلاء الناس اليوم برقبتك كثير من الناس وصلوا إلى هنا ؛ ولكنهم فشلوا ، فمنهم من أكل من التفاح ومنهم شرب العسل الأحمر ومنهم من شم الوردة الزرقاء ، ومنهم من دخل والجرذ على الباب ، ومنهم من اجتاز ذلك ونسي كلمة السر عندما رأى السباع ، ومنهم من ضعف في غرفة الساحر ..ملك الغابة .

فقال سليم بكل ثقة وقوة : إن شاء الله تعالى سأنتصر على هذا الساحر .. قل لي كيف سقط أبي في فخ الساحر وكيف أتى هذا المكان ؟!

قال سلطان : سأرويها لك لتزداد قوة وحماسة يا سيدي الشجاع .. جلس أبوك كما ذكر لك الحطابون تحت شجرة الجوز العملاقة ليستريح ويشرب قليلا من الماء ، فكلمته الشجرة كما فعلت معك ، ففرح وحفظ تعليماتها وصعد لأعلى الشجرة فمر عليه الغراب والعصفور والحمامة ثم النسر حتى وصلني كما وصلت أنت ، ثم أكل وشرب ونام ، وكان مما أكل التفاح المسحور ، فأخبر هذا التفاح الساحر بدخوله الغابة فحضر جنود ملك الغابة أثناء نومه وأخذوه للساحر ، وهناك سحره الساحر قد يكون أفعى أو عقربا أو ضفدعا لا أدري ، فعندما يسقط المغامر أو زائر الغابة لا نعلم ما يحوله الساحر ..

وداعا يا سليم انتبه حتى تأتي الغربان أحدها أبيض والآخر أسود .. وداعا يا صاحبي .

نهاية الغابة المسحورة

ابتعد الطائر سلطان وترك سليم لقدره ، وتابع الفتى التحديق والنظر إلى أعلى الدرج ، فعند الظهيرة انصرف الجرذان الكبيران وحل مكانهما غرابان أبيضان ، وقضى سليم ليلته تحت شجرة الزيتون ، وقد أحس بالجوع فصبر عليه حتى أصبح الصباح ، ولما نظر أعلى الدرج رأى الفارين عادا من جديد ، فبحث في البستان عن طعام فوجد

ألوانا من الفواكه فأكل منها حتى برد جوعه ، وعاد إلى الزيتونة يراقب الباب وعند الظهيرة حضر غرابان أحدهما أبيض والآخر أسود ففرح الفتى ، واستعد للمعركة الحاسمة ، فصعد الدرج رويدا رويدا ، فلما شاهده الغرابان صاحا به ونهراه عن الدخول ؛ ولكنه هتف : سلطان .

ودخل وتابع مسيره ماشيا على ممر ذي رخام ثمين ، محلى برسوم الشجر والطير والزهر حتى وصل لباب ضخم الذي ذكره له سلطان ، فطرقه ثلاث مرات ، فطل عليه غراب ، فلم يكلمه فأغلق الغراب الباب وصبر الفتى ساعة ثم طرقه ثلاثا ، فطل عليه النسر ، فلم يكلمه ، فقال النسر : أهلا بسليم ..أتذكر لما التقينا عند شجرة الجوز ؟ يا مرحبا بك وصلت إلى هنا أتحب أن تدخل ؟ .. ادخل ولا تتردد ..ماذا حدث معك ؟؟.. أرأيت أباك ؟ آه .. أنت فتى لا يحب الكلام حسنا .

وأغلق الباب بغضب ، فصبر سليم ساعة أخرى وطرق الباب ثلاثا ، ففتح له العصفور الأزرق فدخل مسرعا وهو يقول : ما كلمة السر يا عصفوري الجميل لدخول حجرة ملك الغابة .

فهمس العصفور الأزرق قائلا : القمر يا قمر .

فحفظها سليم ، وتقدم إلى حجرات القصر يبحث عن الأسدين ، وأثناء بحثه شاهد الأفاعي والعقارب والعناكب ، فكان يقول في نفسه : هؤلاء كلهم أناس مسحورون سحرهم الساحر اللعين لا لشيء إلا لحبه الظلم والعدوان .. إلا لغروره وتكبره ، فإنه يسحرهم حشرات وثعابين لا لشيء إلا لحقده على البشر والخير .. من هو يا ترى أبي بينهم ؟

فسلم عليه عصفور فلم يرد ، واعترضته حية فلم يكلمها ، وتابع سيره ، ووقف على رأسه صقر فلم يحفل منه ، قفزت أمامه ضفدعة فتجنبها ، وظل يسير ويبتعد عما يقع في طريقه ، ولم يحفل بصراخ هذه الحيوانات والحشرات ، وصعد على الدور الثاني يبحث عن حجرة ملك الغابة فوجد الأسدين بهيئتهما المرعبة يربضان أمام إحدى الحجرات ، فزمجرا عليه فلم يخف منهما وذكر لهما كلمة السر " القمر يا قمر " فصمتا لحظات عصيبة ، وقال أحدهما : ماذا تطلب من الملك الساحر ؟ نحن في خدمتك ..هل نوقظه لك ؟ ..كيف وصلت إلى هنا أيها الإنسان ؟

لزم سليم الصمت ، وفتحا له الباب فزلف سليم لداخل الغرفة ، فإذا هي غرفة واسعة عالية السقف ، ينام في أحد أركانها ملك الغابة على سرير من الذهب والياقوت ، ويتدثر بفراش من الديباج والحرير الموشى بالخيوط الذهبية ، وشخيره يملأ الغرفة رعبا ، فأسرع الفتى الشجاع نحو سرير ملك الغابة ، وشاهد رأسه الكبير وقد غرز فيه

ريشة حمراء ، فنزعها بقوة وعجلة وجرى نحو الباب وعلقها بالباب ، وأثناء ذلك سمع صراخا مرعبا جلجل في المكان ، وصياحا يقذف الرعب في قلوب الرجال ، وزمجرة شديدة من الأسود ، وهي تحاول فتح الباب



واعتدل الرجل الوحش جالسا على سريره ، وجهه على هيئة وجه بومة مخيفة ، وعيناه كالجمر تقدحان نارا ، وهو يصيح : ريشتي ريشتي ..من أنت ؟ .. ماذا تفعل أيها الغلام في حجرتي ؟!.. بل كيف دخلت إلى هنا ؟ نجوت من كل الأسحار والعقبات التي وضعتها في الطريق ويحك .. ماذا تريد مني ؟ اعطني ريشتي وخذ ما شئت من أموال وأشياء .

فقال سليم : خذها يا سيدي الملك ..إنها معلقة بالباب ..لا أستطيع مسها لقد آلمتني عندما نزعتها من رأسك الكبير .

فصاح الرجل : يا غلام إنني متعب ضعيف سقيم هاتها سأعطيك الدنيا

رد سليم : لا أستطيع لمسها مرة ثانية .

وتحول الرجل إلى بومة كاملة وطار إليها ، فقفز سليم بسرعة إلى مخدة الساحر ، ومن تحت الوسادة أخرج الصندوق الأخضر ، وفتحه وقبض على العصفور الذي بداخله ، وهو يقول بصرامة وتحد : الآن سيطرت عليك أيها الساحر .. أين أبي محمود ؟؟

ولما غرز الرجل الريشة في رأسه ، كان سليم يقبض على روحه ، فارتجف الساحر ، وقال بصوت ناعم : يا بني أتريد أباك ؟

فقال سليم : أجل ، وليس أبي وحده ، أريد أن تعيد كل هؤلاء المسحورين إلى هيئاتهم الحقيقية .

فقال الرجل البوم : وإن فعلت أتعيد إليّ روحي ؟

فقال سليم : أفعل .

فقال الرجل : أعدك أن أعيدهم لحياتهم الطبيعية إن أعطيتني روحي ، ولن أغدر بك.

قال سليم متحديا: لا أثق بك وبكلامك .. فأنت ساحر مكار ظالم .. عندما أرى الناس قد رجعوا لصورهم الحقيقية أرد لك روحك .

قال الساحر : أخشى غدرك ومكرك .

وقال سليم : وأنا أخشى غدرك ..

وضغط على عنق الطير قليلا فصاح الساحر : قتلتني ويحك لا تضغط .

قال سليم : نفذ الأمر ، عندما أرى الناس أدفع إليك روحك الخبيثة .

فقال الساحر: وإن لم أفعل .

فضغط سليم على عنقه مرة أخرى ، فصاح البوم : إنك تؤلمني وتقتلني لا تضغط على روحي أرد لك أباك ، وأعطيك هذه الغابة وأعطيك من الذهب ما يغنيك الدهر كله

فضغط سليم بشدة أكثر وازدادت حشرجة البوم وقال: ارحم يا فتى واعف.

ابتسم سليم وهو يرى اهتزاز الساحر وارتجافه وقال : ولكنك لم تعف عن هؤلاء المساكين الذين زلت بهم القدم ، ودخلوا غابتك ، لم تغفر لهم .. هيا ارجعهم إلى صورهم التي خلقهم الله عليها .

حام البوم عدة مرات ثم وقف وقال : سليم ..أرد لك أباك اطعني ولو مرة واحدة .

صاح سليم : أيها البوم الوحش إنك تماطل .. نفذ صبري.

فرد البوم مظهرا عدم المبالاة : اقتلني أنت بحاجتي .. لن أطيعك .. أموت ولن تفك سحر هؤلاء ويبقى أبوك مسحورا .

أجابه سليم : الله الذي ساعدني على الانتصار عليك ، سوف يساعدني على فك سحر هؤلاء أيها الظالم الخبيث .

فعاد البوم مساوما يقول: ألا تغدر بي ؟..عاهدني ألا تقتلني إذا رددتهم لحياتهم الطبيعية .

قال سليم : أعاهدك على ذلك .

فقال البوم مستسلما : أنت عاهدتني أيها الصديق .. سأردهم كما تريد ، وإذا وفيت لي بالعهد سأغنيك غناء إلى أبد الآبدين .



رد سليم : لقد طال الحوار بينا ، أعد الناس إلى صورهم الإنسية ودعنا ننصرف بسلام..

ماذا سحرت أبي أيها الساحر .. بل أين أبي الآن ؟

قال الساحر : سحرته ذبابة كبيرة ، فاقبل اعتذاري أيها الفتى ، هو الذي اقتحم عليّ مملكتي ، وأكل من تفاحي الخاص .

وفتح البوم الباب ثم نادى الأسد قائلا : اذهب إلى حظيرة الذباب فهناك ذبابة صفراء فأتت بها .

رجع الأسد وعلى مقلته ذبابة صفراء ، فلما دخلت الغرفة طارت على رأس سليم وهي تطن طنينا عجيبا ، فقال سليم صارخا : هذا ما فعلته بأبي يا ظالم .. عجل بفك سحره .

فقال البوم : تنفذ وتفي بالعهد .

رد سليم : أنا عند عهدي.

صاح البوم بغضب وهو ينزع الريشة الحمراء عن رأسه : سأفعل . . سأغامر .

وأخذ ينتف الريشة ريشة ريشة ، وهو يقول : يا أفاعي عودي بشرا .. وكلما يقطع ريشة يقول : يا عناكب عودي بشرا .. يا طيور عودي بشرا يا

وحوش ويا طيور عودي لغاباتك ويا وحوش عودي لمواطنك .. يا .. يا .. يا ذباب عد بشرا.

فتحولت الذبابة الصفراء إلى بشر إلى محمود والد سليم ، واحتضن ولده وهو يبكي : ولدي سليم ! .. يا حبيبي .

فصاح البوم : هات روحي يا فتى .. ها هو أبوك أمامك .. لم يبق أحد مسحورا من إنس أو طير أو حيوان أو شجر ، فاسمع ضجيج الناس وصراخهم وفرح الطيور وزعيق الوحوش دع لي حريتي .

فقال سليم : أبي! هل أرد له روحه ؟

قال الأب : لا تفعل يا ولدي ، سيغدر بنا ، من جُبل على الغدر واللؤم لا يمكن أن ينصلح ويعود انسانا سويا صالحا .

فقال البوم : العهد يا سليم !

فقال الوالد محذرا لولده من الضعف : لا عهد لمجرم .. تخلص منه .. أو دعني أقتله أنا جزاء ما فعل بي .. سحرني اللعين حشرة !

صاح البوم : العهد يا سليم أين قسمك وعهدك ؟

صرخ محمود : من الضعف الوفاء لك بعهد .. الساحر والظالم لا أمان له .. هات يا ولدي .

فتباكى البوم وهو يرى روحه تكاد تنتقل إلى والد سليم ؛ ولكنّ سليما تذكر فجأة قول سلطان اقتله فقال : لا يا أبي ..تذكرت قول سلطان اقتله .. لن يموت إلا على يديّ .

فصاح البوم : ويلاه هلكت !! .. ليتك دفعتني لأبيك لنجوت وأهلكتكم جميعا ..إنك غلام ذكي وفطن !..فاعلم أن موتي على يديك فاقتلني الآن .

فضغط الفتى على عنق الطائر الصغير ، ثم قطعه ، فرأى سليم وأبوه أن البومة قد انقطعت من العنق ، ثم خرج سليم من غرفة الساحر ووراءه والده ، وهو يصيح : أيها الناس أنتم أحرار ! لقد هلك الساحر ..مات الساحر .. مات ساحر الغابة !

غردي بحرية أيتها الأطيار

افرحوا أيها الناس بالحرية

هكذا مصير الظالمين

هيا يا أبي نعود لأمي ..أمي التي تمزق فؤادها علينا .. لا نعلم ما حل بها لفراقنا .

فتقدم منهما جوادان فقالا : اركبا لنوصلكما لبلادكما جزاء إنقاذكما لنا من خدمة هذا الساحر القاسي القلب .. هذا البوم الظالم .

فركب سليم جوادا ووالده الجواد الآخر ، وإلى بلادهما انطلقا ، والفرح يملأ صدريهما ، والشوق يتدفق من قلبيهما .

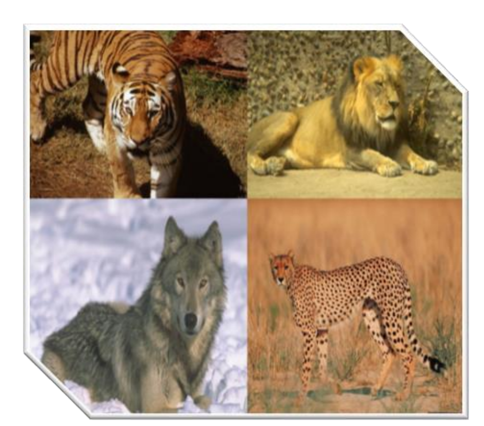
الجواهر العشر

ثـلاثـة أبناء

كان لرجل ثلاثة أبناء وهم إياد وزكي وعلي ، ولقد كان بهم بارا وقد أحسن تربيتهم وعلمهم

السباحة وركوب الخيل بالقول المأثور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وشجعهم ورغبهم على حب الإحسان والشفقة والعطف على الفقراء والأيتام ، ولما كبروا كانوا موضع فخر أبيهم ، وأحس أنه قدم الواجب المطلوب منه نحوهم من التربية والتعليم ، ولم يبق أمامه إلا أن يزوجهم ليستقل كل واحد منهم بحياته الجديدة ، وتبدأ القصة هذه عندما سمع الناس في المدينة منادي السلطان ينادي بأعلى صوته في الأحياء والحارات أن السلطان سيزوج ابنته الكبرى لمن يجلب لها فاكهة جنة عدن وإن كان الفاعل فقيرا معدما .

فسمع الأبناء الثلاثة ما سمعه الناس ، فسألوا والدهم عن جنة عدن فقال أبوهم : اعلموا يا أبنائي



أنه شرف كبير لمن يصبح ختنا وصهرا للسلطان ؛ ولكن الأمر يحتاج لمخاطرة ، وكان يراودني خاطر أن أنكحكم أخوات ثلاث لتبقوا أحبة وأصدقاء طول حياتكم ؛ ولكنني أراكم تطمعون بالزواج من ابنة السلطان الأميرة "زهرة الرمان" ، وهذه الأميرة المسكينة ألم بها مرض منذ سنوات فأنهكها ، وضعف الحكماء عن مداواتها ، فأحضر لها والدها السلطان طبيبا هنديا ، فلما عجز هذا الحكيم البارع عن إزالة سقمها ، وصف لها بأن تأكل من فواكه جنة عدن .. وجنة عدن بستان كبير وعظيم يقع في بلاد بعيدة ، وهو خاضع لساحر ماكر يدعى "بربروش بن حفارش" ، ويقوم على حراسة هذا البستان المسمى جنة عدن الوحوش المفترسة .

فران عليم صمت طويل ثم قال إياد : يا أبتاه! .. ألا ترى أن نحاول ونغامر في إنقاذ حياة ابنة السلطان ؟!

وقال زكي : ونصبح من أصهار السلطان يا أبانا العزيز ؟

وقال علي : ولكن من يذهب منا ويقوم بهذه المخاطرة ويقتحم عرين ذاك الساحر ؟

فهنا قال الأب : يا أبنائي عمل الخير جيد ؛ ولكن لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.. وأخشى أن يدب بينكم الحسد والكره والبغض ويذهب ما صنعته لكم من حسن تربية وأخلاق عالية أدراج الرياح هباء منثورا .

فعندئذ قال إياد : يا أبانا عندي اقتراح قد يروق لكم فاسمعوه .

قالوا : علينا به ؟!

قال إياد : ألا يوجد للأميرة أخوات يا أبي ؟

رد الأب بروية فقال : فمولانا السلطان له أكثر من زوجة .. وهذه الأميرة من زوجته الأولى وقد ماتت عنها أمها في نفاسها ، ولما تزوج ثانية خلفت له ذكرين وأنثى ، ثم تزوج أخرى فوهبه المعطي من الأخيرة ولدا وابنتين ..وهذه الأميرة المريضة يحبها والدها حبا جما لأنه كان يحب أمها حبا جما .

فقال إياد : أحسنت يا والدي ! .. إذن نقابل السلطان ونقول له نحن الأخوة الثلاثة راغبون بالمسير إلى جنة عدن في أقاصي الدنيا ، ولدينا رغبة بالزواج من أخوات ثلاث ، ومن يتمكن منا من إحضار فاكهة تلك الجنة يكون من نصيبه الأميرة المريضة إذا شفيت بمشيئة الرحمن ، ويأخذ الأخوان من بنات السلطان الأخريات أو نذهب كلنا معا ونحضر الفاكهة كلنا وكل أميرة تختار واحدا منا .

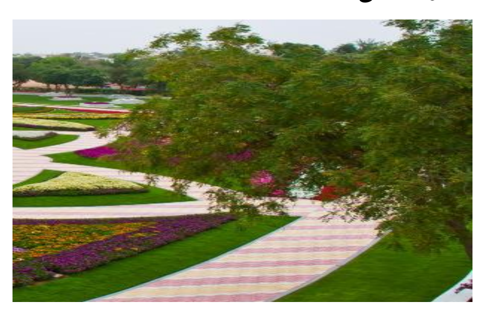
قال الأب : رائع .. أفكار جميلة .. ما قولكم أنتم ؟!

قال زكي : كما قلت يا أبي أفكار رائعة ! .. ولكن نتركك كلنا وقد نفقد كلنا ؟

فقال علي : أنا موافق على أي اقتراح ترونه مناسبا

فقال الأب : فهذه حياتكم .. وعلينا أن نصبر وننتظر أياما حتى نرى هل تقدم أحد من شباب المدينة لهذه المغامرة أم لا ؟ فإن لم يفعل أحد أذهب للوزير الكبير وأعرض عليه رغبتكم بالمغامرة بالمسير إلى جنة عدن .

مرت شهور ثم عاد منادي السلطان ينادي في المدينة من جديد ، فقام والد الشباب عندما سمع النداء بالاجتماع بوزير السلطان ، وروى له رغبة أولاده الثلاثة بالمخاطرة ، فقال له الوزير ناصحا : الأفضل أن يذهب واحد منهم حتى إذا أصابه مكروه ظل عندك اثنان .



فقال الأب : هي رغبة الأبناء فاعرض الأمر على مولانا السلطان

نهض الوزير حيث ديوان السلطان ، وشرح له أمر الفتيان الثلاثة .

وبعد نظر قال السلطان لوزيره : امهلوني بضعة أيام حتى أسمع كلام الأميرات .

وافقت الأميرات على الزواج من الشباب الأخوة الثلاثة إذا احضروا سلة من فواكه جنة عدن ثم تختار الأميرة إذا شفيت من تشاء منهم ، ثم تختار الوسطى واحدا آخر ، ويبقى الأخير للصغرى ، نقل الوالد موافقة الأميرات لإبنائه على اقتراحهم ، فودع الشباب والديهم وأقربائهم ، وقد تزودوا

بنصائح أبيهم وساروا يقطعون الفلوات والمدن والأرياف والجبال والوديان ، أملا في الوصول لجنة عدن ذاك البستان البعيد بستان الساحر بربروش بن حفارش .

بستان جنة عدن

ولما وقفوا على قمة أحد الجبال الشاهقة في عنان السماء نظر أحدهم وقال : ذاك بستان جنة عدن على رأس ذلك الجبل .. ما علينا إلا ننزل هذا الجبل ثم نصعد الجبلين اللذين يفصلانا عنه ثم نرتقي إلى جبل الساحر

واستراحوا قليلا من الساعات ثم هبطوا الجبل الذي يقفون عليه ، ولما صعدوا جبلا آخر اختفى بستان جنة عدن عن أعينهم ، فقال إياد : لقد اختفى القصر الكبير الذي لمحناه على قمة بستان جنة عدن .. لم نعد نراه رغم وجوده على قمة الجبل .

فقال زكي : هل شعر بنا الساحر اللعين فأخفى عنا قصره ليضللنا ؟!

فقال علي : أم أننا ضللنا الطريق واختلط علينا الأمر ؟

فعاد إياد يقول : قد يكون هذا الجبل أقصر من الجبل الذي كنا عليه .. فلنتابع السير ما زال أمامنا وقتا حتى نصله .

فهبطوا الجبل ثم صعدوا الجبل الذي يفصلهم عن جبل جنة عدن ، ولما صاروا على قمته لم يروا قصر وجنة عدن .

فقال علي : ما علينا أيها الاخوة إلا أن نهبط هذا الجبل ونصبح أمام جنة عدن وقصرها فنرى الجبل وما عليه .

قال زكي : يبدو أن هذا الدخان الكثيف هو الذي يحجب عنا رؤية البستان والقصر .



وبعد أن استراح الشباب من نصبهم وأكلوا غداءهم قال إياد راسما خطة لهم : الآن سننفرد بالحركة سيبقى أحدنا على هذا الجبل ، والآخران يهبطان هذا الجبل ، ثم يصعد أحدهما إلى جبل الجنة وينتظر الآخر في بطن الوادي ، فإذا شعر الأول بالأمان ولم يتعرض لمكر يتبعه الثاني أي يصعد إليه ، وينزل المتأخر منا إلى بطن الوادي أي مكان الثاني ويتقدم الأول منا نحو البستان فإن انتصر الأول على الساحر تمت المغامرة ، وإن لم يوفق حاول الثاني وإن لم يوفق حاول الثالث إنقاذ الجميع ، واستعينوا بالله وحده واصبروا ، ونبدأ المعركة على السن الأكبر والأوسط يتقدمان ويتخلف هنا الصغير .

وبعد اعتراضات ومجادلات رضوا بخطة إياد وقالوا : على بركة الله .

نزل إياد الكبير وزكي الأوسط الجبل مع شروق الشمس وقبل أن يصبحوا في وسط الوادي اندفعت أمامهم مياه غزيرة ملئت الوادي ، فقال زكي : الساحر أراد بذلك إغراقنا فسبقتنا المياه قبل أن نصبح في الوادي .

فصبرا حتى خفت المياه وقطعا السيل بالقفز من صخرة إلى صخرة ، وفجأة اشتعلت النار أمامهما ، فعادا أدراجهما خلف الماء المسيل ولما خمدت النار التي اشتعلت في الأشجار التي أمامهما قطعا السيل من جديد ، وصعد إياد فريدا الجبل فأخذت الصخور والحجارة تتدحرج جهته ، فرجع فتواريا في أحد الكهوف حتى سكت تدحرج الحجارة من عل .

فعندئذ اقترح زكي تعديل الخطة قائلا : يا صاحبي .. لماذا لا نصعد الجبل من ثلاث جهات ؟

قال إياد : لا ندري ماذا سيضع أمامنا اللعين من عراقيل فهو ما زال يراقبنا .. وإلا ماحرق الغابة والأشجار ودحرج علينا الحجارة .. سوف أتسلل في عتمة هذا الليل .

فعاد زكي يقول : أرى يا أخي الكبير أن نشتت جهوده إذا حاولنا الصعود من جهات ثلاث .

قال إياد : لا ، الأفضل واحدا واحدا إذا سقط واحد قام الآخر مكانه .

قال زكي : أخشى أن يصيدنا واحدا تلو الآخر .

فقال إياد : وعملنا الثلاثة في آن واحد فيه مخاطرة أيضا .. ولكن يمكن أن نجري تعديلا بسيطا يدمج الخطتين معا .. يأتي علي إلى هنا ونصعد نحن الاثنان سوية .

وافق زكي على هذا التعديل ، وأشارا لعلي بالانحدار ، ولما انتهى إليهما حدثاه بما حدث لهما ، وفي ظلام الليل تحرك زكي من جهة وإياد من جهة أخرى ، ومع الفجر كانا على سفح الجبل ، فكان أمامهما قصر ضخم في وسط حدائق غناء بالأشجار الباسقة وأسوار عالية تحيط بالقصر من الصعب تسلقها ، ولما أشرقت الشمس فتح باب في أسوار القصر خرجت منه الوحوش التي تحرس الأبواب ، فقام الشابان بإلقاء قطع اللحم المسمومة لها من فوق شجرة يجلسان عليها ،وأسرعت الوحوش تأكل قطع اللحم ، وكان صوت هذه الوحوش ارتفع لعنان السماء من شدة غضبها لوجود هذين الإنسيين بينها ، واستعملا النشاب والقوس في صرع الوحوش التي التفت حول الشجرة ، وبعضها يتقافز على الشجرة وبعضها ينطح الشجرة ، وتحاول بعض النمور بالتسلق ، فتصدم بسهم يطرحها أرضا وبعد حين من الوقت سقطت الوحوش بين ميت وجريح

هارب ، وقد سيطر البطلان على ساحة الميدان ، وبينما هما يرتاحان من هذه المعركة الصباحية إذا بحية ضخمة تخرج من باب القصر

فصاح زكي : استعد يا ابن أمي وأبي .

فرماها إياد بسهم ؛ ولكنه بدأ لهم كأنه ارتطم بصخرة ، واستمرت تزحف نحوهم فرماها زكي بآخر ، فلم ينل منها بغيته ، وهجمت عليهما وقد فتحت فاها الضخم لتبلع إيادا ؛ فإذا بسهم يفقأ عينها فأغلقت فمها وهاجت ، فكان سهم آخر يفقأ عينها الثانية ، ثم قفز شخص من بين الأغصان فوقها وطعنها بخنجره ، فصرخت وهمدت جثة هامدة وصاح الأخوان معا : علي !! وقطع رأسها وعلقه على شجرة وهتف قائلا : نأخذه معنا إن نجونا من ساحر جنة عدن .

فقال إياد : ماذا يفعل الساحر الآن ؟! وماذا يضع لنا من عراقيل ؟

فكر إياد بالدخول وحده فقال : لن ننتظر مفاجآته سأدخل وحدي وإذا لم أرجع بعد ساعة افعلوا ما ترونه مناسبا .

قال علي : العمل كفريق واحد أحسن .. نصبر ساعة .. وندخل جميعا .

قال إياد : يا أخي لا أريد أن نقع جميعا في فخ من افخاخه .

قال زكي : لماذا ندخل من الباب ؟! .. فلنتسلق شجرة عالية ومنها نهبط على السور ثم عن طريق شجرة أخرى ننزل أرض البستان .

وافقا على فكرة زكي وتسلقا شجرة ضخمة لها غصون ممتدة نحو سور البستان ، وساروا على الغصن رويدا رويدا حتى أصبح ثلاثتهم فوق الجدار فإذا هو جدار عال وأسفله قناة ماء بدأت كأنها محيطة بالقصر ، فعادوا مرة أخرى إلى الأرض وهم يقولون ليس لنا إلا الباب .

وفجأة قال علي : الماء الذي يجري في جوف القناة من أين يأتي .. أين نبعه ؟؟!

فأجابه إياد : قد يكون من عين داخلية .

فقال زكي : وقد تكون عين خارجية .. هيا نبحث عنها .

وداروا حول السور فوصلوا إلى جبل ينحدر منه الماء نحو القصر والبستان بواسطة نفق واسع من تحت الأرض ، قال إياد : ندخل مع الماء .. ثبتوا سيوفكم ومديكم جيدا .

ونزلوا الماء وسبحوا وبعد حين وجدوا أنفسهم داخل البستان فخرجوا من الماء وهم يحمدون الله على نجاحهم بالدخول لعرين السبع ، فامضوا ليلهم في البستان وهم يرتجفون من شدة البرد

وحمدوا الله صباحا على بقائهم أحياء ، فعرضوا أنفسهم للشمس حتى جفت ثيابهم وأبدانهم ، ومشوا نحو القصر الكبير ، وفجأة سمعوا صوت زئير مرعب ، فأمرهم إياد بالصعود إلى الأغصان ، فصعد كل واحد على شجرة ..وظهر أسد ضخم

فقال إياد : دعوه لي

وقفز عن الشجرة إلى الأرض وقد امتشق حسامه ، فلما رآه الأسد قفز عليه بغضب فتلقاه إياد بقلب قوي وسيف شديد ـ تعلم عليه جيدا ـ فشقه قسمين ، فنزل الأخوان وتابعوا السير نحو البيت العملاق ، فوصلوا أحد الأبواب فدفعه علي برجله وهو يصيح : أيها الساحر اخرج إن كنت قويا .. نحن لا نريد قتالك ولا معاداتك .. نحن نريد بعض الفواكه من جنتك هذه لإنقاذ فتاة مريضة .... هب لنا منا سلة فننصرف بسلام .. تكلم أيها الساحر ؟؟

فجاءهم صوت الساحر مهدرا : ادخلوا أيها الغرباء .. أنا لا يأكل أحد من ثمار جنتي من غير عناء وشقاء .. هذا قصر بناه ملك عظيم من ملوك الدنيا وجعلني وارثا له وحارسا وزودني بكل هؤلاء الجنود الذين تغلبتم عليهم .

تقدم الشباب بحذر وصعدوا درجا ؛ فإذا هم أمام رجل شيخ هرم ضخم الهيئة كثيف الشعر صغير العينين يرتدي ثيابا من جلود النمور يضع على رأسه قبعة صغيرة دميم الخلقة ، فقال لهم : لولا شجاعتكم النادرة وذكائكم الحاد ما وصلتم إلى هنا سالمين لقد خدعتم الأسد الكبير بدخولكم مع مجرى الماء فماذا تريدون مني يا سادة ؟!

فقال إياد : ذكرنا لك ما نريد .. أيها الساحر !.. نريد فاكهة طيبة من هذه البساتين لننقذ حياة الأميرة زهرة الرمان .

ظهر قرد يحمل صينية ذهبية عليها فواكه شهية فقال الساحر : أيها القرد أكرم ضيوف سيدك بربروش .. هذه هدية مني لكم فكلوها . أكرم ضيوفنا يا سيمونا .. ثم خذوا ما شئتم من فواكه البستان .

تقدم القرد أمامهم داعيا لهم لتناول الفاكهة ، فأخذ علي تفاحة منها وقال : أيها القرد كل من هذه التفاحة لتطمئن قلوبنا قد تكون فاكهة مسمومة .

وقبض علي على عنق القرد ووضع التفاحة على فمه صائحا : كل .

أبعدها القرد عن فمه وصاح : دعوني .

ثم ألقى بالصينية الذهبية على الأرض ، وحاول الهرب وقد أراد دفع علي ، ولكن خنجر علي كان في صدره فخر صريعا وهو يقول : إنها

مسمومة !!

فقال إياد بقوة : أيها الساحر ألم تنفد حيلك ؟! .. ألا تريد الاستسلام وتسمح لنا بأخذ الفاكهه ؟!

قال الساحر : لابد أن أدافع عن ملكي بكل قوتي وطاقتي .

فأجابه إياد : نحن لا نريد سلبك ملكك نريد شيئا يسيرا من فواكه بستانك .

فتظاهر الساحر بالاستسلام وقال مرة أخرى : لقد انتصرتم عليّ .. خذوا ما شئتم .

قال إياد : اذهب يا علي وخذ من كل فاكهة حبة أو حبتين ونحن نبقى عنده .

هبط علي الدرج منفذا الأمر ، وبينما الجميع ينظرون إليه هجم زكي وإياد على حين غرة على الساحر ، فصعق الساحر للمفاجأة واستسلم لهما وهو يقول : هذا غدر منكما .

ضحك الشابان وقالا : أنت غدرت بنا أكثر من مرة ..

وجردوه من ثيابه وقبعته ولفوه بثوب معهم ، ولما عاد علي بالمطلوب حملوه ونزلوا الدرج وهما يقولان : أين الباب ؟

فأخذ بالصياح فقال زكي : افعل ما تؤمر خشية أن يصيبك منا ما نكره .. امش .

فدلهما على الباب فخرجوا من القصر ومن البساتين وهو يقول : دعوني .

فقال إياد : سترافقنا إلى نصف الطريق حتى نضمن عدم غدرك ، واحذر الغدر فخناجرنا جاهزة للطعن ، فساروا حتى وصلوا حيث تركوا خيلهم واعتلوا صهواتها ، فقال أحدهم : من هنا ستعود أيها الساحر إلى أرضك وحدائقك ، واعلم أننا عفونا عن حياتك وأن حياتك من حقنا لأنك حاولت قتلنا بالماء والنار والوحوش والسموم .. وقد عرفتنا وعرفت بأسنا .

ففكوا قيده وتركوه يعود لبستانه حافيا شبه عار ، وقد تحطم سحره وجنوده ، وتابع الأخوة الثلاثة مسيرهم جهة بلادهم ، وفي الليل دخلوها وإلى أبيهم قدموا سلة الفواكه ، فحملها مع الفجر الجديد إلى قصر السلطان ، فتقبلها السلطان بترحاب كبير وشكر عظيم ، وقد تعجب من ضخامة رأس الأفعى ، وأقر بشجاعة الأبناء ، وقص عليه مغامرة الأبناء ،وأتى الطبيب فأخذ سلة الفاكهه ، وهو يقول : هذا رائع !.. فقد أحسن الأولاد .. وبارك الله لك فيهم .. فكم مضى على مدة غيابهم ؟

رد الأب : ما يقارب ستة شهور أيها الحكيم .

فقال الحكيم : وانتظرنا عدة شهور قبل أن يتقدم أحد لهذه المخاطرات أليس كذلك يا مولانا السلطان ؟!

رد السلطان محتارا بما يقصد الطبيب : أجل أيها الطبيب .. ماذا تريد أن تقول ؟

فقال الطبيب بفرح : ولي عدة شهور أعالج فيها الفتاة ، فلها سنة تحت المعالجة إذن .. فأرى أن ابنتكم الآن قد تعافت بإذن الله ، فقد كان علاجها يحتاج لهذا الوقت سنة كاملة ، فكان عليّ أن أشغلكم بهذه الحيلة فادعيت أن فاكهة جنة عدن شفاء لها ؛ لأنني كنت بحاجة لهذا الوقت فالعقاقير التي ركبتها تحتاج لهذا الزمن وحتى لا تشغلوننا بالاستفهام صباح مساء ، ويكثر قول الواشين في مهارتنا ، فطلبت منك هذه الفاكهة أيها السلطان .. وها أنا داويت فتاتك المحب لها وعرفتك على ثلاثة أبطال يندر أن تجد مثلهم أزواجا لبناتك الأميرات ، ونسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

قصص الزمردة

نحيف وعريف

الحلقة ١

الرفيقان

كان يا ما كان في قديم الزمان شاب في الثلاثين من عمره ينادى بـ " عريف"، وقد ضاقت به الدنيا بما رحبت في موطنه ، فنصحه أحد الناس بالسفر و الرحيل ؛ لـعل الأحوال تتحسن وتتحقق الآمال والأحلام ، فشد زوادة في كيسه وعلقه على كتـفه ، وخرج من البلد غير آسف على شئ .

وانطلق يقطع الجبال والوديان حتى أشرف على طرف مدينة من مدن ذلك الزمان ، فاختار شجرة وجلس تحتها ليستريح من التعب والإرهاق ، ثم أخرج الطعام من كيسه وبدأ الأكل ، وبينما هو في هذا الحال سمع أصواتا مختلفة .. أصوات خيل .. بغال .. جمال ورجال ، ورأى غبارا يرتفع إلى عنان السماء ، فأعاد الطعام والماء لكيسه ، وتسلق الشجرة على الفور كما تفعل الفهود ، واختبأ بين أوراقها الكثيفة ينظر ويراقب فشاهد فرسانا وخيولا تقترب منه ، فأدرك أنه جيش يتحرك إلى هدف ما ، فقبع بين الأغصان وأمسك أنفاسه ، فقد خشي أن يروه فيصنعوا به العجاب إن لم يفتكوا به ، فكمش وأخذ يتابع حركة الجيش الزاحف ، فرأى الخيالة تحيط بعربة تجرها الخيول الشهباء ، ثم شاهد المشاة وهم يحملون الرماح الطويلة ، ورأى الخدم وحملة الخيام والطعام ، ومر الجيش من منطقته بسلام ؛ ولكنه لاحظ في آخر الحملة العسكرية رجلا يمشي وحده ، وقد تظاهر هذا الرجل المتخلف بأن نعله قد تعطل وأصابه عطب فجلس يعدله ويصلحه ، ثم شاهده يتوارى خلف إحدى الصخور ، فأدرك عريف أنه يحاول الهرب والتخلص من هذه الحملة ، فانشغل بمتابعته ، وعندما ابتعد الجيش تيقن له أن الرجل

قد نجا ورآه يهرب نحو الجبال فتابعه ببصره ، فشاهده يختفي في كهف من كهوف الجبال .

فصمم عريف أن يلحق به ويعرف سره وسر هذا الجيش ، فهبط الشجرة وتسلق الجبل إليه ، ولما اقترب من المغارة المختفي فيها الرجل تلفت فيها فلم يجد أحدا ، فأدرك أن الرجل أحس به وخبأ نفسه فصاح عريف : يا هذا أنا صديق .. أخرج لا تخف ، لقد رأيتك وأنت تهرب من هؤلاء القوم أنا صاحب لست جنديا.



فخرج الرجل من جوف الكهف وهو يقول: أمان أمان .. من أنت؟

فقال عريف وهو يجلس على أرض الغار : أنا عريف ، رجل ضاقت به الدنيا والأحوال ٠٠ فخرج من بلده باحثا عن سعة في الرزق في أرض الله الواسعة ٠٠ وأنت يا أخي ما قصتك ؟

فقال الرجل : يا عريف كيف عرفت أنني هارب من هذا الجيش ؟!

فحكى عريف له الحكاية فابتسم نحيف ؛ وكأنه اطمأن للرجل قال: سأقبل صداقتك يا عريف واعلم أن أمي سمتني نحيفا ٠٠ فأنت عريف وأنا نحيف اسمان جميلان ، لعل الله يجمل أيامنا أيها الصديق ، وأما قصتي فهي تتلخص فيما أقول ٠٠

أنا رجل قليل العمل ٠٠ أعمل يوما عند فلان وآخر عند فلان ٠٠ لا زوجة ولا ولد ولكن لي أم عجوز ٠٠ ولبلدنا أمير جبار ذو قوة واقتدار ؛ ولكنه ظالم لا يخشى الرحمن ، يعتدي على جيرانه ، ويأخذ منهم الأموال ، لا صديق له إلا المال ..وقد خطب فتاة لابنه من أحد الأمراء ، فأبى والدها ، فغضب أميرنا ، وصمم على غزو بلاد ذلك الأمير الرافض ، فجهز هذا الجيش من الفرسان والمشاة ٠٠ ومن عادة أميرنا وسادة البلاد عندما يجردون حملة للغزو والنهب أن يلملوا الشباب من الأسواق ويأخذوهم غصبا عنهم لخدمة الحملة ٠٠ ومن سوء حظي أنني كنت في السوق ذلك اليوم فحملوني إلى معسكر الجيش ، ودونوا اسمي في دفتر الحملة ، وأمروني بالاستعداد لمرافقة الحملة والجيش المحارب ، ولو تخلفت ورفضت يقتلونني على الفور ، فوضعت خطة للهرب أثناء خروج الجيش من البلد ٠٠ فإن فقدوني في الطريق أصبح محكوما عليّ بالموت ، وإن لم ينتبهوا لفراري واشتبكوا مع جنود الأمير الرافض وحدث بينهم قتل فسوف يعتبرونني قتيلا وبطلا ٠٠ فهذا ما جرى معي أيها الصديق ، واعلم أنني في كلتا الحالتين لا أستطيع العودة لمدينتي ٠٠ولست آسفا على ذلك ، إنما الذي يحز في النفس يا صاحبي هو تركي لأمي العجوز ..

ولكن أمي لا تحب لي الموت والقتل في خدمة هؤلاء اللئام ، والموت في معركة لا ناقة لي فيها ولا جمل كما يقول المثل ٠٠ فالهرب هو الحل الأمثل ٠٠ أليس قولي حقا يا صاحبي ؟

فقال عريف : معك حق .. إذن لنتصاحب وندور في الأرض سوية ؛ لعل الله يهيئ لنا رزقا حسنا .

وتعاهد الرجلان على الصداقة والاخوة والوفاء ، وأخرج عريف الطعام من كيسه وبدآ يأكلان وبينما هما يمضغان الطعام والسرور مرتسم على وجهيهما سمعا سائلا يقول : من ؟! إنني أرى في كهفي ضيوفا ٠٠ من أنتم ؟!

التفتا إلى حيث الصوت ، فشاهدا رجلا قصيرا ؛ كأنه قزم بل هو قزم ففزعا منه ثم قال عريف : غريبان مارّان يا صاحب الكهف ٠

فقال القزم : ما أمركما ؟ واصدقاني الحديث .

فروى كل منهما حاله للقزم الذي قال بعدما سمع كل شيء : حسنا أيها الضيفان العزيزان !٠٠ امضيا ليلتكما هذه في كهفي ٠٠ وغدا ـ إن شاء الله ـ سأكرمكما جزاء لجوءكما إلى كهفي كهف الأمان والسعادة واحذرا من إزعاجي الليلة ٠٠ ولسوف أيسر لكما سبيل السعادة فأنا رجل الخير والأحلام .

وتركهما وانصرف في جوف الكهف واختفى ، فأصابهما القلق والتوتر ، وفكرا بالهرب ؛ ولكنهما تذكرا كلمات القزم المطمئنة ، فشجعا أنفسهما على الصبر والانتظار إلى صباح الغد وهذا ما كان

ولما استيقظا من نومهما وجدا أمامهما مائدة عليها من أطايب الطعام والشراب ، ووجدا القزم جالسا



وهو يبتسم لهما ، فأشار لهما بالأكل فطلبوا منه أن يشاركهم فأبى وقال :

أنتم ضيوفي تمتعوا بهذه الطيبات ٠٠واشكروا الرب عليها .

ولما شبعا وامتلأت بطونهما ، فشكرا الرجل القصير وأثنيا عليه الثناء الحسن ، فقال لهما : لقد حللتم ضيوفا عليّ ٠٠ فوجب إكرامكما أيها الصديقان ٠٠ فبما أنكما تعاهدتما على الصداقة كما سمعت منكما أمس ٠٠ سأعطيكما هدية تنتفعان بها معا ؛ فإذا فسدت صداقتكما فسدت فوائد هديتي لكما .

ثم شاهدا القزم يخرج من وسطه كيسين أحدهما أحمر اللون ، والثاني أصفر اللون ، وفتح القزم الكيس الأحمر فأخرج من جوفه كرة صغيرة من الجلد حمراء مثقوبة من جهة واحدة ، فملئها بالماء فانتفخت فأصبحت بحجم بيضة الدجاجة ثم ضغط عليها فأفرغت الماء ووضعها في الكيس الأحمر وقال : هذه البيضة الحمراء لك يا عريف ودفعها ليد عريف الممدودة إليه ، ثم أخرج من الكيس الأصفر كرة أخرى صفراء مثقوبة فملئها

بالماء حتى انتفخت وأصبحت مثل بيضة الدجاجة ، ثم أفرغها من الماء وأعادها لكيسها الأصفر وقال : هذه لك يا سيد نحيف .. خذها .

فتناول نحيف الكيس الأصفر من يد القزم ، ثم قال القزم : أيها الصديقان هاتان البيضتان الحمراء والصفراء متى دخلهما الماء ثم أفرغ منهما معا في إناء واحد أصبح دواء ؛ فإذا شربه إنسان مريض مرضا صعبا أو حتى حيوان أو نبات وقد عجز الأطباء والحكماء وأهل الخبرة عن مداواته تعافى بإذن الله ، ماء البيضتين الحمراء والصفراء معا هو الدواء ، واحدة وحدها لا تشفي العليل ٠٠ فعندما تجدان في تنقلكما بين المدن والقرى مريضا عجز عن علاجه الأطباء وتعسر أهل الدواء عن وصف دواء له تملئا البيضتين بالماء ثم أفرغا الماء منهما في وعاء وأسقياه للمريض فيبرأ بمشيئة الله ، فمن كان غنيا فخذا منه مالا ، ومن كان فقيرا فسامحاه ، وذلك صدقة عنكما ٠٠ فهذه هي هديتي لكما وأرجو أن تظلا شريكين واحذرا الطمع والغدر بينكما وحافظا على البيضتين واحذرا اللصوص والطامعين ٠٠ حافظوا على الهدية ولسوف تغنيان وانصرفا الآن ولا تعودا لهذا المكان البتة ، فأنتما الآن من أمهر الأطباء في الدنيا فحافظا على كنزكما ، وإذا التقينا ثانية سأسترد هديتي منكما .

فقاما وقبلا أيدي القزم ، وغادروا الكهف مسرورين ، يحلمان بالثروة والغنى ، ولما ابتعدا عن الكهف قليلا نظرا إليه فلم يجداه ؛ كأن الأرض انشقت وابتلعته ، فقال عريف : ما تقول بما سمعنا من هذا السيد العجيب ؟! ٠٠ هل صدق بما قال عن فوائد البيضتين السحريتين أم خدعنا ليتخلص منا ؟؟

ابتسم نحيف وقال : ويحك يا عريف! بل نحن كنا خائفين منه٠٠ ألم تر أنه يأتي فجأة ويختفي فجأة في ظلمات الكهف ؟ فمهمتنا الآن أن نبحث عن مريض ذي مرض شديد ونسقه من ماء البيضتين ، ونرى ما يصيبه بعد ذلك من الشفاء والصحة ؛ لنتأكد مما قاله القزم ؛ فإن شفي نبدأ بالمداواة في المدن والممالك الكبيرة ٠٠ ثم نبني لنا قصرا كبيرا فريدا من نوعه ، ثم نتزوج يا عريف من فتاتين جميلتين من بنات حواء ٠٠ونعيش سعداء بما معنا من المال ٠

فقال عريف : يا إلهي معك حق أيها الرفيق !٠٠ فلنتعاهد من جديد على الصداقة والوفاء والإخلاص لبعضنا ٠٠ آه ! ! لو صدق القزم فيما قاله عن فوائد البيضتين ، قد نصير من السادة مثل الأمراء والملوك ٠٠ لا نبني قصرا واحدا بل

قصورا ٠٠ونتزوج أجمل النساء ٠٠ ونملك الجواري والغلمان ٠٠ ونصبح مثل السادة الكبار أصحاب الجنان والرياض ٠٠يا صديقي يا نحيف ٠٠هل يحق للفقراء مثلنا أن يحلموا ويسعدوا بمثل هذه الأحلام ؟!

قال نحيف : علينا يا صديقي الطيب عندما نصل إلى إحدى المدن أن نشترى جرابين كأجربة العشابين والحكماء ؛ لنبدو أمام الناس ؛ كأننا من أبناء صنعة الطب ، ومن ثم نسير بين القرى والمدن نبحث عن المرضى ونداويهم ، ونكسب منهم الأموال لنحقق أحلامنا المتواضعة في هذه الدنيا ٠

فقال عريف فرحا حالما : يبدو أن الدنيا بدأت تصفو لنا أيها الصديق الرفيق ، فعلينا أن نحسن الشكر لله مولانا العظيم !

حزنون

واستمرا يحلمان وهما يقطعان الجبال والوديان حتى هبطوا على إحدى القرى الصغيرة ، وطلبا الضيافة من أهل القرية ؛ فلم يرحبوا بهما ، ولم يقبل ضيافتهما سوى فتى صغير ، فقال لهما بحزن : أيها الضيفان أنا أرحب بكما ، وسيسر والديّ بروءيتكما .

فضحك أهل القرية من نخوة وكرم الفتى ،

وقال أحد الناس ساخرا : حزنون الفقير الذي ليس عنده قوت يومه يستضيف الغريبين يا للكارثة يا للمصيبة !

فأخذ القوم بالضحك والسخرية من الفتى حزنون فقال عريف بصوت عال : لقد قبلنا ضيافتك أيها الغلام الكريم الشهم .



وقادهما حزنون أمام سخرية الجميع إلى بيته الصغير ، وتبعاه وهما متئلمان لبخل أهل هذه القرية ، وأثناء المسير قال لهما حزنون : لا تغضبوا أيها الضيفان من أهل قريتي ، فهم قوم لئام لا يحبون الضيف .. يبخلون عليه ببيضة دجاجة يطعمونه إياها ، وأنا أقول ذلك عنهم وكلي ألم لشحهم وبخلهم ، ولسوف يسر أبي بكم ..فأبي رجل طيب يحب الخير والعمل الصالح ، وهو يحب إكرام الضيف والغريب ، ولا يبخل عليه بشيء من نفسه وماله ، ومثله أمي الصابرة ، لقد سقط أبي ذات يوم عن إحدى الأشجار العالية فكسر عموده الفقري فأصبح عاجزا مشلولا عن العمل ، فأقوم أنا ابن العشر سنوات على إعالته بتأجير نفسي لهؤلاء اللئام ، وتخدم أمي في البيوت حتى لا نمد أيدينا لهم ، وهكذا ندبر أمورنا فدعوتكم على الميسور ، فمن أجل ذلك يسخر مني أهل القرية عندما رحبت بكما ٠٠ يسخرون

من فقرنا .. لقد آلمني وأحزنني بخلهم أيها الضيفان .

أثنى عريف والجندي نحيف على الغلام اليافع ، ومدحا صبره وشجاعته وكرمه ، وسعدا بمقابلة الأب المريض والأم الصبور ، وتعشيا مع الأسرة الصغيرة ، وقبل أن يتـفرق القوم

للنوم ، قال عريف : يا أبا حزنون هل عرضت نفسك على حكيم ليعالجك ؟

فقال الأب : هنا في هذه القرية لا يتعاطى أحد هذه الصناعة ، والمدينة الكبيرة بعيدة جدا يحتاج الوصول إليها عددا من الأيام والليالي ؛ ولكن حدث أن مر بقريتنا طبيب جوال فعرضوني عليه فوصف لي أعشابا ، وقال لي " إن داءك عسير ، ولا أمل لك في العافية ؛ لعل هذه الأعشاب تخفف من آلامك " فحمدت ربي وصبرت .

فنظر نحيف إلى عريف ثم قال نحيف : يا أبا حزنون ! نحن نتعامل بالطب ، ووهبنا الخالق سبحانه القدرة على المداواة ، ولدينا دواء فرخص لنا أن نجربه عليك ؛ لعل الله يجعل فيه المخرج مما أصابك من البلاء والشدة .. فغدا صباحا إذا وافقت فسوف نرى نتائجه فلن تخسر شيئا ، ونكافئك على كرمك وإحسانك إلينا .

فقال الأب : لا أدري ما أقول لكما ..فرغم أنّ ذلك الطبيب قال " لا أمل لي بالشفاء " ؛ ولكني سأسمح لكما بتجربة دوائكما عليّ فالشافي هو الله ..فالحياة بدون أمل لا لذة فيها ..على بركة الله يا إخواني .

فقال عريف : في الصباح الباكر أيها السيد الكريم نسقيك الدواء وبإذن الله تشفى وتعود لك صحتك وقوتك كما كنت ، ويفرح حزنون وأمه بشفائك ، وسنمكث هنا حتى تسترد عافيتك ولن نثـقل عليكم بالطعام فمعنا بعض الدراهم نشتري بها من أهل القرية .. لا تغضب منا يا أبا حزنون ، فنحن نعلم حالتك وحاجتك ونعلم كرمك وشرفك ، وبارك الله فيكم كلكم .

وأخذهما حزنون لفناء البيت الصغير ليرقدا على نور القمر والنجوم في فلك السماء ، ودفع لهما غطاءه ، فرداه وقال نحيف : تدثر به أيها الفتى .. فنحن منذ زمن نتدثر في ثيابنا نفترش الارض ونتغطى بالسماء .

وأمام رفضهما الشديد قنع حزنون وتدثر بغطائه ، وقد طرحه على جسده وتظاهر بالنوم ، فلقد ظل ساهرا على ضيفيه من عوادي الليل من كلاب أو ضباع أو ذئاب .

وحمد الفتى الله كثيرا عندما أشرق الصباح ، ولم يحدث لهما أذى ، فأعطياه درهما ليشتري لهم طعاما ، فرفض الغلام ؛ ولكنه أمام قسمهما أخذ الدرهم واشترى أزكى الطعام ، ثم أكلوا جميعا وبعدئذ

أحضر لهما حزنون الماء ليبدآ بعلاج والده أخرج عريف من كيسه الأحمر البيضة الحمراء ووضع في جوفها الماء حتى انتفخت وأصبحت كالبيضة الحقيقية ، ووضع نحيف الماء في بيضته

الصفراء حتى انتفخت بالماء وأصبحت كالبيضة الحقيقية ، ومكثا بضع دقائق كما علمهما القزم ، والقلق يسيطر عليهما ، فهذه أول تجربة لهما مع هدية القزم ، والقلق أيضا من الأمل الذي تعلق في نفوس هذه الأسرة الفقيرة ، وكان حزنون قد وضع أمامهما وعاء من الفخار ، فقاما بإفراغ الماء من البيضتين في القدح الصغير ، وأمام دهشة الأسرة طلبا من أبي حزنون شرب الماء المفرغ من البيضتين كله ، وهما يدعوان الله تعالى أن يعافى الرجل من سقمه ، وأن يكون ما قاله القزم صدقا ولا يفضحهما أمام هذه الأسرة المسكينة التي تعلقت آمالها بهما .

تناول الأب القدح من يد عريف ، وشربه على دفعات سريعة ، وبعد ساعة من الوقت والانتظار والتوتر الشديد على أعصاب الجميع أحس والد حزنون بآلام قاسية ومؤلمة جدا ؛ ولكنه شعر بعد خفتها بأن قدميه يتحركان ، وارتعش جسده كله ، فصاح من شدة الفرح : لقد برأت يا ولدي .. الله الله !!.

فأوقفوه شيئا فشيئا ثم أجلسوه ، وتنفس عريف ونحيف وحزنون الصعداء ، والفرح يغمرهم جميعهم ، وحمدوا الله كثيرا ، وعانق حزنون الرجلين وهو يبكي من شدة الفرح ، وبكت الأم وهي تلهج بالحمد لله وتدعو للرجلين بالتوفيق والسعادة ، وتمدح براعتهما بالطب ، وكان الأب في هذه اللحظات من أسعد الناس ، ثم أخذ الأب يصيح من الفرح ومن عودة الحياة إلى جسده المحبوس منذ سنوات ، حتى أن أهل القرية فزعوا على صياحهم وفرحهم ، وكانت مفاجأة لأهل القرية ، ولقد كان من السعداء في تلك اللحظات أيضا عريف ونحيف ، وقد بدأ خيالهما يصور لهما تحقيق الأحلام الكبيرة التي كانوا يحلمون بها عندما سمعوا كلام القزم عن فوائد البيضتين ، فلما رأوا النتيجة بعد نجاح هذه التجربة ، تأكدت لهما أحلامهما من القصور والزوجات الحسان والمال الوفير ، ومكثوا أياما في القرية ليطمئنوا على شفاء أبي حزنون ، ولما تيقن لهما برؤه ، ودعوا القرية وهما في غاية السعادة والأحلام ، ومع الفرح الظاهر على أنفسهما تسرب القلق

والخوف لقلبيهما على الكنز المنتظر ، وعلى البيضتين أن تسرقا أو تـفقدا .

شراء القصر

قادتهم أقدامهم إلى مدينة من مدن الدنيا العامرة في ذلك الزمان ، ولما دخلاها لم يبق بحوزتهما طعام ولا مال ، وقد مسهما الجوع بأنيابه فبحثا عن خان



، وقال عريف لصاحبه : فلندخل هذا الخان فقد طال وقوفنا أمامه ، ونحاول مع صاحبه ؛ لعله يقبل بقاءنا عنده حتى يتيسر الحال . وتشجعا ودخلا الخان ، وقال أحدهما لصاحب الخان : يا هذا نحن غريبان ، ولا حول لنا ولا قوة ، وانقطعت بنا السبل ، وليس لدينا مال ولا طعام

فقال لهما بجفاء : وما المطلوب مني ؟!

فقال نحيف : يا سيدي ..اقبل ضيافتنا حتى نلتقط رزقنا ، ولسوف ندفع لك حقك كله لا ينقص درهما واحدا ، والله شهيد على قولنا

فقال الرجل : وما صنعتكما أيها الغريبان ؟؟

فرد عريف : يا أيها الرجل الفاضل نحن نداوي المرضى ، بل المرضى الذين يعجز الأطباء عن مداواتهم ، فاقبل صحبتنا ، ولن تندم ألبته .

فقال صاحب الخان لنفسه : لولا أنهما ماهران في الطب ما جاءا لهذه المدينة الكبيرة وتركا أهلهما وبلادهما مع أن الثياب التي يرتدونها لا توحي بذلك .

ثم قال مخاطبا لهما : حسنا أيها السادة ! سأقبل ضيافتكما ثلاثة أيام فقط ، وبعدها أطلب منكم الأجرة وإن لم تدفعوا أدفع بكم لرجال الشرطة رجال الأمير .. واعتبركما محتالين هل توافقان ؟

فقالا : نعم ، أيها السيد الكريم !ونحن لك من الشاكرين .

ونزلا في خان " مخروم " وأكلا من طعامه ، وفي الصباح أخذا بالتجوال في الشوارع والأحياء ويدللان على طبهما ، ويبحثان عن مريض يعالجانه ويمنحهما بعض المال ، وبعد تعب شديد من الـفر والدوران ساقتهما أرجلهما إلى قصر قديم ، كان يجلس أمامه شيخ كبير ذو لحية بيضاء وبين يديه غلمان ، وكان اليأس والملل قد دب في قلبيهما ، فاقتربا من الشيخ يسألاه عن شربة ماء ، فلبى الشيخ طلبهما وأرسل أحد غلمانه ليحضر لهما الماء البارد والطعام الطيب عندما لاحظ حاجتهما ، ثم أخذ يرحب بهما ثم سألهما عن حرفتهما ، فحدثاه عن صنعتهما وقدرتهما على معالجة المرضى ، فلما شربا وأكلا ، قال لهم الشيخ : لقد أتى الله بكما إليّ

.. لي ولد شاب مريض منذ ما يزيد عن عشر سنين ، وأحضرت له أمهر الحكماء والعشابين في المدينة ؛ بل من المدن المجاورة ، وما نفع معه دواء وعشب ، فإذا شفي على أيديكم فلكم عندي ما تريدون وتشتهون .



فقال نحيف : أيها الشيخ المحترم إذا عالجناه وبريء بإذن الله تدفع لنا ألف درهم كاملة .. أمعك هذا المبلغ ؟

ابتسم الشيخ لهما ونظر إلى قصره وقال : مبلغ كبير ! ولكن والذي خلق الأنس والجن إن طاب الفتى وتعافى من الداء فلكم مني ألفي درهم بالتمام والكمال ، وجملة من الثياب الحسنة .

فقال عريف وقد سال لعابه لهذا المال الذي ما حلم به في الأحلام : ألفا درهم أيها السيد الكريم !. . نحن نملك ألفي درهم ! ..دعنا نرى مريضك يا شيخ الخير والسعادة .

فقال الشيخ مداعبا : يبدو أنك لم تر هذا المبلغ في حياتك يا سيد عريف مع قولكما أنكما ماهران في الطب ..أليس كذلك يا نحيف ؟!

رد نحيف : نعم نحن ماهران في الطب ؛ ولكن هذا المبلغ أول مرة يعرض علينا .

فنهض الشيخ عن كرسيه وأمر الغلمان بإدخال أواني الطعام والماء ، وقادهما الشيخ إلى غرفة ولده المريض ، وشرح لهما قصة سقمه ، وتبين لهما أنه مصاب بمس من الجنون أدى به إلى الضعف والهزال ، فطلبا ماءً ، ولما جيء بالماء أفرغاه في البيضتين حتى امتلأتا وانتفختا ، وأبقيا الماء في جوفيهما قليلا كما علمهما القزم ، ثم دلقا الماء الموجود في جوف البيضتين في وعاء ، وأسقوه للشاب الهزيل السقيم أمام نظرات الشيخ الحائر والمستغرب لطبهما ، وكذلك رئيس الغلمان في القصر شاركه الدهشة والحيرة .. هل يشفى الفتى من كوب ماء !

وقال عريف : يا سيدي الشيخ ابنك بعد حين سيحدث له ألم شديد ، ثم على أثره يتعافى بإذن الله تعالى.. وسنعود لك غدا ـ إن شاء الله ـ لنرى النتيجة يا مولانا الشيخ .. فالظلام قد أوشك أن يملأ الدنيا .

وكان الشيخ متشككا من علاجهما فأصر على ضيافتهما والمبيت عنده ، فاعتذرا واعتبرا تصرفه معهما إهانة لهما فتأسف لهما ، وأمر رئيس خدمه أن يوصلهما إلى الخان الذي ينزلان فيه ففعل فاستقبلهما مخروم صاحب الخان ، وقال لهما :

لعلكما وفقتما في علاج مريض ؟

فقصا عليه حكاية الشيخ وولده المريض المجنون

، فقال لهما بعد سماعها متهكما: وهل سيدفع لكم ذلك السيد ألفي درهم.. إنه مبلغ كبير فعلا يا صاحبيّ ؟!

فقال نحيف : فإذا تعافى الفتى ـ إن شاء الله ـ نستلم المبلغ أيها الصاحب فنعطيك حقك .

فتركهما صاحب الخان وهو في دهشة من حالهما ، ويحدث نفسه قائلا : آه !..إنه مبلغ كبير جدا ! .. هذان الصعلوكان يمتلكان ألفي درهم ، فإن ثيابهما البالية يبدو لي أنهما لم يخلعاها عن أجسادهما منذ سنة .. لنصبر ونرى ما هو دواؤهما السحري ؛ ولكني أخشى أن يلقى بهما في السجن غدا فأخسر ما أنفقته عليهما من ماء وطعام ومنام ! وألحظ أنه لا شيء لديهما يمكنه أن يعوضني عن الخسارة التي ألحقاها بي ..إن غدا لناظره قريب .

وما أشرقت الشمس وسطعت بنورها الذهبي الرائع حتى هرع الصاحبان لقصر ذلك الشيخ قبل أن يأتيهما رئيس الغلمان بالبغال لأخذهما ، فوجداه في انتظارهما على الباب ومعه شاب جميل الهيئة ، فلما التقيا أخذهما بالعناق والتقبيل والثناء على طبهما والاعتذار عن شكه في فعلهما وقدرتهما ، ثم فعل الشاب مثل والده ، ثم قال الشيخ : الحمد لله على شفاء ولدي أيها الماهران على أيديكم المباركة ، وجزاكم الله خيرا ، فها هو ولدي المريض قد نهض من فراشه ، وحللت القيد عن ساقيه ، وقد بدأ يعود لحيويته التي أعهدها فيه منذ سنوات خلت .. فشكرا شكرا لكما .

روايات اجتماعية

أستاذ الفرنساوية

الحلقة ١

فارس محسن

نزل فارس محسن من السيارة الصالون ، وفتح باب الموقف الخاص بها داخل الفيلا ، ثم أدخل السيارة نفسها الموقف ، وأطفأ المحرك ، ونزل منها وأغلقها ، وتفقد سائر الأبواب، ثم ضغط زرا فاغلق باب الموقف أوتوماتيكيا ، وهكذا أغلق باب الكراج ، وهكذا يفعل عادة ، فنظر الرجل الساكن في هذه الفيلا نظرة على ساعة معصمه ، ثم مشى على درب يوصله لمدخل الفيلا فوجد طفلتيه تقفان على مدخل الفيلا في انتظاره ، فصعد درجة واحدة وعانقهما ، ثم رفع الصغيرة منهما إلى أعلى ، وهو يمازحهما كعادته عندما تكونان في استقباله ، ودخل بهما الباب ، وكانت زوجته ترقب دخوله مع الطفلتين ، ولما أصبح في الداخل حيا الزوجة تحية المساء ، وأغلقت المرأة الشابة الباب بالمفتاح ، ولما وضع الطفلة على الأرض ، قالت له الزوجة الحسناء : أين كنت ؟! لقد تأخرت عن الغداء !

خلع الجاكيت وناولها للزوجة وهو يرد قائلا : نعم

، تأخرت يا ثريا .. لقد اتصلت بالبيت ظهرا فلم يرد عليّ أحد ؟!

أمسكت بالجاكيت وأجابت : كنت عند أمي .. اتصلت بي صباحا فهي متعبة متوعكة .

مشت لتضع الجاكيت في موضعها المناسب ، وقد سمعته يتمتم داعيا لها بالشفاء وقال : هل أكلتم ؟

ـ أكل الأطفال بعض الطعام .

ـ هيا بنا للمطبخ إذن .. إني جائع رغم أنهم قدموا لنا بعض الطعام والشاي .. كنا في زيارة لأحد الزملاء المرضى يا أم سلوى .. ذهبنا لبيته .. وبيته خارج المدينة .. في طريق مدينة نصر.. الله يشفي جميع المرضى .. أليس هكذا يدعون في بلادنا ؟

لما رجعا لصالة البيت وجلس فارس على إحدى الكنبات ، قامت ثريا بوضع بطاقة دعوة بين يديه ، فتناولها بإحدى يديه وهو ينظر إليها مستفهما : ممن ؟!

فردت بغير اهتمام : كأنها من أختك خديجة .

فقال كأنه متفاجئ : أختي خديجة !!

وفتح غلاف بطاقة الدعوة وأخرج البطاقة التي تدعوه فيها شقيقته الكبرى خديجة محسن للمشاركة في عرس ابنها عصام مازن ، هذه البطاقات الدعوية اليوم سارت من عادات العرس ويتفنن أصحاب المطابع في صناعتها وأشكالها ، وهي تتضمن دعوة من والديّ العروسين للمدعو لحضور حفلة العرس في مكان ما وزمان ما .

قرأ فارس اسم العروس واسم والدها وعائلتها ، فلم يعرف أحدا منهم ، فتمتم في نفسه بكلمات ، ثم ترك الكرت على منضدة الصالة وقال متبرما : من أحضرها إلينا يا ثريا ؟

قالت : ربما عصام نفسه .. لما رن الجرس لم أكن في البيت كما قلت لك ، كنت عند أمي المريضة وحين عدت من عندها أرسلتها لي جارتنا نهى مع خادمتها .. فاتصلت بها ، فقالت شاب اسمه عصام رن على جرس البيت ، وقال جارتكم أم سلوى امرأة الدكتور فارس غير موجودة فإذا سمحت لو أوصلت لها بطاقة العرس . فأخذتها ، ولما عدت أرسلتها مع الخادمة ..

ـ جميل ! جميل ! ها هي السيدة خديجة تريد تزويج ابنها عصام ، لقد كبر الفتى .. ماذا درس هذا الشاب ؟! .. لم يدرس ، لقد ترك المدرسة ، واشتغل بورش تصليح السيارات .. هل تعلمين أن هذا أول حفيد ذكر لمحسن سيتزوج ؟!

ـ الله يتمم على خير .. من يعش سيتزوج .. هل ستذهب ؟

تبسم بضيق من السؤال : الآن لا أدري لست أعلم .. أنا لي سنوات لم أزر خديجة في بيتها .. الأمور بيننا ليست على ما يرام .

وغرق في ذكرياته مع أخته وزوجها ابن عمه مازن وشقيقته حبيبة .



فارس شاب متوسط الطول ، بشرته خفيفة السمرة ، تعلم في الجامعة دون سائر إخوته الذكور وتعلم في كلية الآداب ، وحصل على ليسانس آداب اللغة الفرنسية ، وأخذ الماجستير والدكتوراه كذلك بهذه اللغة الأجنبية ، مما ساعده أن يعمل معيدا في نفس الجامعة التي تخرج منها ، ثم ترقى في السلم الوظيفي لعضو الجامعة، فهو محاضر معروف في وسط الجامعات والطلاب ، وهو مغرم بتلك اللغة ، ويتعامل معها بطلاقة وحب أكثر من اللغة الإنجليزية ، ومع ذلك فهو يحسن القراءة والكتابة بها أيضا ، وهو ضعيف في لغته العربية ، فلذلك عندما يحتاج لترجمة بحث للغة العربية يعرضه على مدرسين اللغة العربية لتصحيح الكثير من أخطائه النحوية والإملائية ، وهو يقول عن سبب تعلقه باللغة الفرنسية غرامه بالقصص والروايات الفرنسية أثناء فترة المراهقة ، وكذلك هرب الكثير من الشباب من تعلم تلك اللغة ، وأدرك كذلك أن مجال العمل بها ممكن وكبير .

كان الدكتور فارس يجلس في مكتبه في مبنى الجامعة الكبير ، وبينما هو يشعل سيجارة ـ فقد كان هذا الدكتور من يتعاطون التبغ ـ وقد أخذ عليها نفسا عميقا ، ارتفع جرس الهاتف في الغرفة ، فرد قائلا : نعم .. أهلا ثريا هل من شيء ؟!.. لا وقت لديّ لحضور الحفلات .. لن أذهب .. أرجوك .. صدقي لا وقت لديّ .. إنهم لا يعلمون انسِ لن احضرها .. هم أرسلوا البطاقة بحكم العادة .. جاء المدعو أو لم يجء .. اذهبي إلى أمك ، وسلمي عليها وعلى الجميع .

ترك الهاتف وقال لنفسه : ولماذا أذهب ؟! فخديجة تكرهني .. وزوجها يكرهني أكثر .. لا وقت عندي لحضور الأعراس .

ولم يعد للبيت ذلك اليوم إلا بعد منتصف الليل ، ولما فتحت له زوجه الباب قالت : لماذا تأخرت قبل قليل غادر بيتنا أخي ماهر وزوجته.. كان يريدك في أمر .. ثم يأس من عودتك .. هل ذهبت للعرس ؟

ـ أي عرس ؟!

ـ عرس ابن أختك .

ـ لا ، ألم أقل لك ظهرا لا وقت لديّ ؟

فقالت متمنية : أنا أرغب أن تعود المياه لمجاريها بينك وبين أهلك يا فارس .

فقال غير مكترث بتمنيها : لا تهتمي بهم .. أنا نسيتهم منذ تزوجت ثريا جُد.. كم لنا متزوجون تسع سنوات على ما أعتقد .. عشر سنوات ..

وذلك عندما رفضت العروس التي أرادوا تزويجي منها .. فحقدوا عليّ .. وأعلنوا الحرب الشعواء حرب داحس والغبراء على فارس .. على الدكتور فارس ..واعتبر زوج الأخت خديجة رفضي لأخته جريمة وعارا .. وفضيحة كبرى في تاريخ العائلة وكان خلال هذا الكلام قد خلع الجاكيت وناولها لثريا ، وجلس على مقعد وتابع الكلام : هؤلاء الناس لا يعتبرون مشاعر الإنسان شيئا مهما .. هي صحيح متعلمة وتخرجت من الجامعة بعد زواجنا وأصبحت طبيبة ..ولكنها لم تكن تناسبني .. ولا يعلمون مقدار الحب الذي أحببتك إياه .. سخروا من حبي لك ، واعتبروه حب عيال ومسلسلات وتسالي وروايات .. وأنا خفت حقيقة أن تتخلي عني عندما علمت شدة رفضهم لزواجي منك ..

آ.. ماذا يريد الأخ ماهر مني يا أم سلوى ؟

ـ ربما بعض المال .. فهو غارق هذه الأيام في الديون .. المصنع يمر بأزمة ومشاكل حادة كما يقول ، وكما فهمت منه .

ـ يريد مالا !!

السخط

كان والد فارس يقول لولديه محمود وجابر وهم يغادرون قاعة الاحتفال بعرس ابن خديجة : أخوكم فارس لم أره في الحفلة ؟!

فرد جابر بغيظ : ولا زوجته .. لقد كان عندنا أمل أن تتحسن العلاقات بيننا مع هذه الحفلة .. لقد كان أبو عصام يصر على عدم دعوته زاعما أن الرجل متكبر ولا يعتبر أحدا من العائلة له قيمة وأهمية .. وكان لا يقدر أحدا قبل أن يأخذ الدكتوراه ؛ فكيف بعد أن حمل هذا اللقب وأصبح ينادى يا دكتور ..؟

قال محمود : لا تقل ذلك يا جابر عن أخيك ..أنت تعلم سبب زعل مازن من أخيك .. أنتم فعلتم الواجب عليكم وكفى .. حضر المدعو أو لم يحضر .. فهذا لا يؤثر على العرس .

فرد جابر بزعل ظاهر : مهما يكن ، فخديجة الأخت الكبرى وزوجها ابن عمنا.. وابنة عمنا تزوجت زوجا أحسن من مليون فارس .. وهي طبيبة قد الدنيا .. هو كان طامعا بها .. فلما التقى بثريا اللعينة نسي ابنة العم .. لقد تقدم لها الكثير .. فرفض عمي ومازن من أجل خاطر الدكتور فارس ..لا تنس ذلك يا أخ محمود .. ابنة عمنا لم تكن بايرة ..كانت في أول سنوات الجامعة .

ـ تعلمت على حساب الدولة .

ـ ماذا في هذا ؟ ما صاحبك تعلم على حساب



الجمعية .. على حساب الدولة على حساب عمك المهم تعلمت وصارت طبيبة

فقال محسن السامع لهذا الحوار : وأم سلوى لم تحضر ؟

قال جابر : سألت زوجتي هناء ، فأكدت لي أنها لم ترها ، لا هي ولا أحد من أهلها..

فقال الأب محسن : فارس غلطان يا محمود .. المجاملات في مثل هذه المناسبات مهمة فإنها تزيل الكثير من الشحناء والحقد ، وتساعد على تحسين العلاقات .. المفروض بعد كم سنة من العداء أن عاد فارس لحضن العائلة ..أكيد أمكم فاطمة ساخطة عليه وعلى امرأته .. هو الواحد لما يتعلم لازم يكبر على أهله والناس .. عيب .. عيب يا فارس .. أنا متألم منه كثيرا .. هو يعني لما يتحدث بالتلفون قام بواجبه نحونا .. وإذا أهل على دارنا يقضي خمس دقائق .. كيف حالكم ؟ ما أخباركم .. هيا يا ثريا وراءنا شغل و.. و ...

فقال جابر بغيظه الظاهر: كأنه لم يتعلم أحد في الجامعة في هذه الدنيا سواه .. صحيح نحن لم نساهم في تعليمه .. لأن وضعنا المادي يا رب الستر .. وكثيرون يتعلمون على حساب الجمعيات وأهل الخير والوزارات ..

قال محمود : على كل حال دعونا الآن من فارس .. ولنهتم بضيوف ابن عمنا مازن .

بينما الدكتور فارس يلقى محاضرة على طلابه ، دخل عليه أحد الزملاء الدكاترة مخبرا له أن البيت اتصل أكثر من مرة ، فاعتذر من الطلبة لبضع دقائق فقط ، ولما اتصل بالبيت سمع بكاء ثريا قبل سماعه صوتها ، فاضطرب قلبه وقال : ما الأمر ؟ هل سلوى بخير ؟

لقد غادر البيت وسلوى تعاني من التهاب اللوزتين ، فظن أن مرضها تضاعف وزادت درجة حرارتها .

ولما تمالكت الزوجة أعصابها ونفسها علم منها أن أمه بهدلتها وشتمتها وحقرتها ولعنتها ، وغاضبة عليها لعدم مشاركتها حفل زواج حفيدها عصام مازن ، وحذرتها من المجيء هي وزوجها لبيت العائلة ، وستطردهما شر طردة ، حتى تسمح خديجة لهما بزيارتهم ويعتذرون لها.

فلما سمع القصة فقال: أهذا الذي أزعجك ؟! نحن في غنى عن زيارتهم .. أنا ظننت أن سلوى زاد سقمها وتعبها .. هل أخذتيها إلى الطبيب ؟

قالت وهي تشرق بدموعها وتتنهد بالبكاء : جاءت أختي وأخذتها للعيادة ، وأنا في انتظارهم إن أمك جرحتني ، وأساءت إلى أهلي ، وإنهم لم يربوني ، وشتمتهما يا فارس .

فقال غضبا : سأنهي علاقتي بهم للأبد .. إنهم سيئون وحاقدون .. أنا آسف يا حبيبتي .. اهدئي

ولما أرجع سنتحدث في الموضوع إلى اللقاء .
ووضع السماعة وقد أصابه انزعاج شديد وغضب قاتل ، وقال وهو يصر على أسنانه غلا وغيظا : إنهم يكرهونني لا أدري لماذا ؟! موضوع زواجي من ابنة عمي انتهى منذ عشر سنوات .. حفل زواج عصام فتح الجروح من جديد .. أحسن حل الابتعاد عنهم نهائيا .. لماذا لا أغادر البلاد نهائيا حتى لا أسمع أخبارهم قطعيا ؟ .. كيف السفر؟ لا أستطيع .. نعم ، لا أستطيع من ابتلي بالنساء لا يستطيع .. وقبل أن يغادر لإكمال محاضرته رن على بيت أمه ، فردت أمه وقبل أن يتحدث بشيء، كالت له السباب والشتم والغضب عليه ووصفته بالجبان والمحكوم للنساء ـ تعني زوجته وحماته ـ وأغلقت السماعة في وجهه ولم تسمح له بإكمال جملة ، فازداد حنقا على أمه ، وعاد لمحاضرته ، فوجد الطلاب قد تركوا القاعة ، وأن وقت المحاضرة قد انتهى ، فعاد لغرفته يدخن ويشرب القهوة .
وبينما هو يخطط ويدبر للانتقام من أمه التي مسحت بكرامته الأرض كما زعم ، رن الهاتف من جديد فرد صائحا : أنا الدكتور فارس .. آ يا ثريا .. لعلك هدأت .. ماذا قلت ؟! .. أمي ماتت ماتت !! يا الهي قبل قليل كنت كنت ... لا شيء
ترك فارس الجامعة عائدا للبيت ، فوجد زوجته ثريا في انتظاره ، وقد ارتدت ملابس الحداد السوداء ، فلم ينزل من السيارة ، ضغط على منبهها ، فجاءت وصعدت بجواره وهي تقول لأختها : لن أتأخر يا ريما بعد إخراج الجنازة سأعود ..



دخل فارس بسيارته حي درهم جوهر حيث يسكن الوالد والأشقاء ، فأوقف السيارة أمام البيت ، وقد كان المكان مزدحما بسيارات العائلة من الأقارب والأصهار، وكانت هناك جمهرات من الناس أمام البيت ، فنزل من السيارة تتبعه ثريا ، وقد أشار للناس محييا ، ثم مشى نحو بيت الوالد ، ودفع الباب ليدخل فسمع أحد الناس يقول : لم يأتوا من المستشفى بعد يا دكتور فارس
فالتفت للقائل وقد توقف عن الدخول : في المستشفى .. لقد قيل لي إنها ماتت !.. من ؟ يوسف أهلا بابن عمي .. كيف حالك ؟
ومشى إليه مسلما فقال المدعو يوسف : آ ، أما زلت تعرف اسمي يا دكتور فارس .. عظم الله أجرك .. ورحم الله الحاجة فاطمة أم محمود
وتصافحا وتعانقا وقال يوسف : نعم ، هي ماتت .. ولكنهم لم يفرجوا عن جثتها .. ربما يجرون لها التشريح الطبي .
ـ تشريح ولماذا ؟! .. لقد كان عندها أمراض قلب

وضغط .
ـ هذا ما نقل لنا يا دكتور ..
ـ الوالد في الداخل ؟
ـ نعم ، وعمك سالم والدي أيضا .
حياه برأسه وتابع دخوله تتبعه ثريا ، وسمع صوت بكاء نساء في إحدى الغرف فأشار لثريا إلى غرفة البكاء على الميت ، وتقدم هو من غرفة يقف أمامها شقيقه جابر وهو الشقيق الأصغر
وفارس هو أحد أفراد عائلة تتكون من سبعة أبناء وبنات وأم وأب ، وهم حسب السن خديجة الشقيقة الكبرى لفارس ، وبلغت من العمر عند أحداث هذه الرواية إحدى وأربعين سنة ، وزوجها هو ابن عمها مازن ، والتي تليها دليلة فأمينة ثم محمود وهو أكبر الذكور ، وعمره يومئذ سبعة وثلاثون عاما ، متزوج ولم يوهب الذرية بعد ، ثم فارس وكان ابن خمس وثلاثين سنة ومتزوجا من ثريا زميلته في الجامعة أيام الدراسة ، ثم الشقيق جابر الذي لم يفلح في الدراسة ولكنه صاحب مصنع حلويات ، وهناك حميدة الأخت الصغرى لفارس ، وقد تخرجت من كلية التمريض وتعمل في مستشفى للدولة .
فلما مشت ثريا إلى حجرة النساء لتشاركهن الحزن والبكاء على المرأة التي قضت نحبها تقدم فارس نحو الغرفة التي يجلس فيها والده وأعمامه ، وقد كان السيد جابر يقف أمامها الذي صاح عندما دنا منه : أهلا بالدكتور .. أهلا بالقاتل !
هتف فارس دهشا : القاتل! .. ماذا تعني أيها المجنون ؟!
ثريا التي سمعت كلمة القاتل توقفت عن الدخول والتفتت لزوجها وشقيقه الغاضب ، وخرج بعض أفراد الأسرة لما سمعوا صياح جابر متهما أخاه بالقاتل ، فقال الأب محسن : اهدأ يا جابر ليس الوقت وقت عتاب وشجار .. رحم الله فاطمة .
لكن جابرا ازداد هياجا وغضبا وقال : بل هو القاتل يا أبي ويا عمي .. يا ناس كانت تتكلم معه بالتلفون عندما سقطت ميتة .. كانت ..
فصاح محمود الشقيق الأكبر : اسكت يا جابر .. اسمع كلام أبيك .. ادخل يا فارس لا تهتم لكلام جابر .
لكن جابرا مسك قميص فارس ولطمه على خده بصفعة عنيفة ، وهو يقول صائحا : اخرج يا مجرم .. ماتت وهي تلعنك أنت وذريتك .
حدث الصفع بسرعة ، قبل أن يتداركهما الناس الذين وقفوا بينهم حينئذ فقال فارس بغضب : ثريا تعالي .. نحن لا أهل لنا.. أنت حيوان وبغل ستنام الليلة في المخفر.
فهجم عليه جابر ثانية وصفعه مرة أخرى ، وهو يقول : أنا بغل يا حقير ! .. يا قاتل .. افعل ما بدا

لك .

وارتفع الصياح والهياج وعلا صوت النساء ، وخرجت ثريا من الدار باكية ، وقاد الرجال فارسا لخارج الدار ، وأخذ البعض يلوم جابرا على سوء تصرفه ، وأن الوقت وقت حزن وعزاء وليس وقت تصفية حسابات ، وقد سمعوا وهم يخرجون فارسا من داخل البيت السيدة خديجة التي تركت البكاء وغرفة النساء لتقول : يستاهل .. أسد يا جابر أسد !

فقال محسن : يا عالم .. ما هذا !!



غضب الأب

فور انتهاء عزاء أم محمود فاطمة عبد الرحمن زوجة السيد محسن جابر ، طلب الرجل من ولده جابر الرحيل من بيت العائلة ، فقد كان الشاب يسكن في داره ضمن بيت العائلة الواحدة ، فرفض جابر الانصياع للأمر معتبرا أن هذا بسبب غضبه وزعله منه لصفعه فارس أمام الناس.

ولكن الأب صمم على خروجه من بيته ، فاضطر الرجل أمام غضب وتصميم أبيه أن يستأجر بيتا في نفس الحي آملا هدوء والده ونسيان القضية ، ومن ثم العودة لبيت العائلة بعد حين ، ولذلك وسط الكثير من الأقارب والأخوات ليعود ، ولكن الحاج محسن الخباز القديم رفض كل الشفاعات وقال لهم : إن تصالح مع أخيه وجاءا معا لعلي أغير قراري .

ولما رأى جابر أن والده مصر على رفض الصلح رحل إلى حي ياقوت جوهر .. ومع الوقت ضعف اتصاله ببيت الأسرة ، ونسي أمر التفكير بالعودة للبيت الكبير ، وزاد سخطه وحقده ونقمته على الدكتور فارس الذي جعله سببا للعداوة بينه وبين أبيه ، وكان الرجل صاحب مصنع صغير يصنع الحلوى الشعبية .

وهو متزوج كما ذكرنا سابقا ، وقد ولد له البنون والبنات ، وأكبرهم يسمى خضرا وهو دون الخامسة عشرة عندما بدأت فصول رواياتنا هذه ، فجابر هذا قد تزوج قبل فارس بسنوات ؛ لأنه ترك المدرسة قديما وهو في سن المراهقة ، وعمل في صناعة الحلوى في أحد المصانع ، ثم تزوج من إحدى بنات صاحب المصنع .

ولما أصبح صهرا للرجل أنشأ له مصنعا صغيرا ، فكانت حياته هادئة من ناحية العمل ، ولكنه من حبه لأخته الكبرى خديجة يقف معها سلبا وإيجابا ، وكانت قد ساعدته ماديا عند زواجه فحفظ لها هذا المعروف ، فلما رفض فارس قبل سنوات

الزواج من ابنة عمه شقيقة زوج أخته مازن محمد ، بعد أن شاع في العائلة أن فارسا سيتزوج حبيبة ، صدم الرجل كغيره من أفراد العائلة الكبيرة ، وكيف يتزوج من فتاة التقطها كما يقولون من الجامعة وفضلها على ابنة عمه ؟! أصيب القوم بالذهول ، ولم يعجبهم اختيار الشاب ، واعتبروه مخادعا لهم ، ومكر بهم وبابنة عمه .

فصف جابر منذ ذلك الوقت مع خديجة وزوجها بالإساءة والتقريع بفارس ، وكانت خديجة غاضبة جدا من شقيقها ، وأشهرت غضبها ونقمتها على فارس ، ولم تشارك في عرسه ورفضت الالتقاء بزوجه ، وعاداه أيضا زوجها مازن ، ووصموه بالغادر الخائن .

وحبيبة تزوجت بعد تخرجها من كلية الطب من أحد الأطباء الذين التقت بهم في أحد المشافي التي عملت فيها ، فقد تزوجت بعد فارس بعام ونصف تقريبا ، وكانت سعيدة بحياتها الزوجية ولم تنظر لفارس بعداء كما فعل هؤلاء .

وكان جابر الحلواني يعلم أخبار الوالد بالذات من شقيقه الأكبر محمود ، فهو يعمل في بقالة صغيرة في الحارة .. وكان قديما يعمل مع أبيه في المخبز .. فلما تخلص محسن من المخبز وباعه فتح لمحمود تلك الدكان الصغيرة ، ومحمود قد تزوج قريبة له ، ولم ينجب منها لحتى اليوم ، وتعالج الرجل عند الأطباء المختصين بأمراض العقم ، ولكن الأمر بيد الله .

عندما عادت ثريا من حفل خطبة ابن زوجة أخيها حمدي ، وقد خلعت الثياب التي ذهبت بها للحفلة ولبست ثياب البيت ، وذهبت للجلوس في صالة البيت حيث يجلس زوجها فارس ، فسألها عن الخطبة والحفلة فقالت : الحمد لله إنك لم تذهب معنا.. رغم أنني غضبت وتضايقت من عدم مرافقتنا يا فارس .. واستأت لاعتذارك.

فقال مبديا الاهتمام والاستغراب : لماذا ؟!

قالت بضيق : أخوك جابر كان في العرس تصحبه قرينته .

فازداد دهشة وقال : جابر .. وما شأنه بعرس ابن زوجة أخيك ؟! هل دعاه أحد من أهلك ؟ أدعاه حمدي ؟!

ضحكت وقالت متهكمة : حمدي يدعو جابرا !.. هزلت .. ربما لا يكره حمدي أحدا في الدنيا ككرهه لجابر شقيقك .. حتى قبل مشكلتنا الأخيرة مع السيد جابر محسن .. فحمدي يبغضه منذ أيام خطبتنا .. كان مستاء منه ولموقفه المعادي لي .. وحمدي صريح .. هو لم يقل ذلك ؛ لكنه كاشفني بهذا الكره .. وحمدي شجاع ولا يحب النفاق .

ـ ولماذا كان الملعون في العرس ؟!

ضحكت ضحكة قصيرة وساخرة وقالت : كان

هناك يا سيدي لأن العروس ابنة عم هناء زوجة جابر .. دنيا عجيبة .. صحبة جامعة .. فالعرسان مثلنا تماما يا فارس .. أنت تعلم أن أخي حمديا قد تزوج أرملة صديقه العزيز حسون .. فحسون كان عند حمدي أفضل منا ، ولا يكادان يفترقان ، وذلك منذ أيام المدرسة والجامعة .. وتزوج حسون فتاة من حارتنا .. كانت تعد من أجمل فتيات الحي كما يقال في تلك الأيام .. فعشقها الشاب واقترن بها وهما في أول سنوات الجامعة .. ثم تعرض لحادث سير بعد زواجهما مات على أثره ، وكانت قد ولدت طفلا ، وكانت حاملا في مولود آخر .. وكان أخي حمدي عازبا وتخرج من الجامعة ، وأراد أن يخطب فتاة وقبل الاتفاق النهائي التقى بزوجة حسون .. فترك مشروع الخطبة وتحول للأرملة متظاهرا بشفقته على أولاد صديقه من اليتم .. ومن الوفاء لصديقه رعاية أطفاله ، ولإبعاد الشبهات عن الزوجة إذا ذهب لتفقد الأولاد.. تقدم للزواج منها ، ووافق أهلها وهي على ذلك .. فتزوج حمدي من الأرملة فاتن .. وذلك كان قبل أن أشب وأدخل الجامعة .. وها هي اليوم تخطب لابنها وقد تخرج منذ أيام من الجامعة .

فقال فارس معقبا: أخوك حمدي إنسان طيب وجواد .. وقام بتربية أبناء صديقه .. وحسب علمي لم يقصر بشيء معهم .. بل علمهم في مدارس خاصة .. وها هو يزوجهم أو يزوج مرادا ابن فاتن

ـ وفاتن لم تقصر معهم ، فهي قد ورثت عن زوجها بعض المال هي والأولاد .. فأخي كان كالوصي عليهم .

ـ وها هو جابر أفندي أصبح نسيبا لأخيك حمدي

ـ ليس بالضبط .. فمراد لا يمت لنا بقرابة .. إنما هو أخ لأم لأولاد حمدي .. وأنا لما رأيت هناء في العرس اضطربت واستغربت، ولكن أختي هند وضحت لي الصورة والسبب .. وعلقت قائلة إن جابرا مع أهل العروس مثل الديك.. تقول كأنه صاحب العرس

ـ ملعون جابر ، دائما عامل نفسه رأس وسيد ـ ووضع يده على خده ـ اللعين صفعني صفعتين كأنني ولد صغير .. لقد كانتا قويتين ظننت أنني سأموت .. اضطررت لفك رباط العنق .. واللعين ما زال يتحدث أمام الناس بأنني سبب موت أمي بتلك الجلطة .. مع أنها هي أخذت تتكلم بحدة ، ولم تدع لي المجال لقول جملة واحدة .

وكان نحو هذا الحديث يدور في منزل جابر ، بعد عودتهما من حفل خطبة بنت عم هناء زوجته فقالت : سبحان الله ! أرأيت يا سيد جابر؟!

ـ قصدك خطيب رندا ؟

ـ نعم .
ـ نعم ، قد رأيت بعض أقارب ثريا .
ضحكت ضحكة مقتضبة وقالت : العريس يا سيدي ابن زوجة شقيق ثريا السيد حمدي .. وأنت تعرف السيد حمديا .. فحمدي هذا قد تزوج امرأة صديقه حسون والد مراد عندما مات قديما .
ـ الحمد لله تعالى أن فارسا لم يحضر الحفلة .. لو رأيته ربما ضربته أمام الناس ، ونسيت نفسي أنني في عرس وأجرمت فيه .. فلليوم أبي غاضب عليّ من أجله .. قاتل زوجته فاطمة .. قاتل أمي ما زال أبي غاضبا له .. فأكرر الحمد لله أنه لم يحضر وإلا فعلت به الأفاعيل ، ولن يفلت من يدي عندما التقيه سأمسح بكرامته الأرض.
ـ إنه أخوك يا جابر .. وأكبر منك سنا .. ولماذا تحمله مسؤولية موت أمك؟.. أمك ـ رحمها الله ـ كانت مريضة من قبل .. وخديجة ضايقتها جدا عندما عاتبتها عن عدم مجيء الدكتور والهانم لحفل زواج ابنها عصام .. مما دفعها للاتصال بثريا وشتمها ولعنها وقذفها بألفاظ قبيحة .. لا يحتملها بشر .. كان عليكم ويجب عليكم تخفيف وتهوين الأمر .. حتى تهدأ النفوس ثم يجري العتاب .
فضحك الرجل ساخرا وقال : أرى أن زواج ابنة عمك غير أخلاقك نحو ثريا وأهلها .
صاحت به محتجة : أخلاقي كما هي .. أنتم أخوة .. أهل.. وأنت أخطأت بصفعه يوم الوفاة ، ولو كان الرجل عنيفا لأساء إليك ..
فارتفع ضحك جابر وازداد سخرية وتهكما وقال : صار لي أعداء في داخل البيت .. وأنا متحمض عليه من زمان من أيام رفضه الزواج بابنة عمنا محمد .. وجاءت فرصة لأهانته وتهزئته أمام كل العائلة ذكورا وإناثا صغارا وكبارا ..هو لا أحد أخذ الدكتوراه في العالم إلا السيد فارس .. أنا لم أتعلم ؛ لأنني كرهت المدرسة ، ووجدت مستقبلي في السوق في المهن الحرة .. وكان لقائي بوالدك خيرا ، فعلمني هذه الصنعة والتركيبة ..
فقطعت حديثه قائلة : ولكن يا جابر الجامعة والشهادة شيء مهم .. كان عليك احترام أخيك الأكبر منك وعدم إغضاب أبيك واختصار المشاكل .. ألا تحب أن ترى خضرا في الجامعة ودكتورا مثل عمه ؟!
واشتد النقاش والجدل بين الزوجين ، وكان نهايته أن جابرا نقم عليها وطردها من البيت ، وطلب من خضر أن يوصلها لبيت أبيها .
وكان لجابر منها أربعة أطفال أكبرهم خضر ، وثلاثة فتيات ، فحملتهم الأم جميعهم وغادرت البيت في سيارة أجرة .

الطلاق

غضب والد هناء عندما دخلت عليهم ابنتهم في

آخر الليل تحمل أولادها مطرودة من بيت زوجها ، غضب غضبا شديدا ، وحلف يمينا مغلظا أن لا يعيدها له حتى تحفى قدماه من الترجي والندم ، ولما سمع جابر محسن بذلك التحدي واليمين رمى عليها يمين الطلاق .

وحاول شقيقه محمود لملمة القضية والسعي في الصلح بينهم ، وهناء لما علمت بيمين الطلاق رفضت الصلح رغم تدخل أهل الخير والإصلاح ، ولما مضت بضعة شهور ، ولم تحل القضية صلحا تفاجأ الجميع بزواج جابر من امرأة مطلقة له بها معرفة ، قد عملت معه في المصنع فترة من الزمن ، ثم فتحت دكانا صغيرا لنفسها .

فعرض نفسه عليها فقبلته فورا ، وقبله أهلها وسكن في بيت في حيها ، وترك بيت حي ياقوت جوهر .

ولما وصل الخبر لوالد هناء قال لابنته : ها هو زوجك اللعين العاق ركب رأسه وتزوج .. ماذا سنفعل بالأولاد ؟

ـ ألم ترفع عليه قضية نفقة شرعية من أجلهم ؟

ـ رفعت ، وهو يدفع ، وهو مستعد أيضا لأخذهم عنده كما قال شقيقه محمود إذا تنازلت عنهم

فأخذت بالبكاء ، ثم قالت : كنت أظن أنني أسعد امرأة معه ؛ ولكنه منذ وفاة أمه قد ركب رأسه ، وركبه جيش من الشياطين والأبالسة .. فازداد عصبية .. ودائما يسب فارسا وثريا .. ومرت الأيام وهو يزداد حقدا وكرها .. ولما خطبت ابنة عمي قريب لزوجة شقيق ثريا اشتعلت النار في قلبه أكثر .. جن الرجل يا أبتي !

ـ على كل حال إذا أنت راغبة ببقاء الأولاد معك فلن نقصر معهم .. وسأشتري لك شقة وتعيشون فيها .. وإذا كنت راغبة بالعودة كزوجة ثانية .. فاللعين كما قال محمود جاهز من أجل الأولاد أن يتزوجك ، ويعقد عليك ثانية ، بس بدون معاشرة زوجية زوجة بلا زوج .. وأنا عندي حل آخر

فقالت بلهفة : حل آخر ما هو ؟!

ـ أن تتخلي عن الأولاد ، وأزوجك رجلا آخر من معارفنا وأصدقائنا ؛ لأنه إذا تزوجت سيطلب حضانة هؤلاء .

فقالت بغضب وضيق : لا أريد العودة إليه .. ولن أتزوج آخر يا أبي .. اشتري لي شقة .. وأنا سأعمل فأنا أحمل شهادة متوسطة وأستطيع أن أصرف على نفسي والأولاد .

فقال الأب بحزن وعطف : الخير موجود يا بنيتي .. ونحن نعمل ونجمع المال كل هذه السنين لماذا ؟ لن نأخذ معنا منه شيئا إلى القبر .. أنا تهمني سعادتك وراحتك .. فنحن أهلك .. أيام معدودة بإذن الله عزّ وجل وستكون الشقة هدية مني إليك

وقامت هناء معانقة لأبيها وهي تمسح دموعا

تساقطت على وجنتيها أثناء هذا الحوار المفصلي في مستقبل حياتها .

ذات ليلة وبينما الدكتور فارس يهم بمغادرة الفيلا التي يسكن فيها وقفت سيارة صالون أمام البيت ، فلما رأى وعرف من فيها أصابه رعب واضطراب ، ووقف هو وزوجته على الباب ، فنزل من في السيارة أمامه ، وهما أخته خديجة وزوجها مازن ابن عمه فألقيا عليهم السلام ، فتمتم فارس بالرد وبصوت منخفض ليخفي اضطرابه وقلقه ، فقال مازن بصوت مرتفع : نحن على موعد يا حضرة الدكتور .. أتريد الهرب ؟ نحن اتصلنا بالسيدة ..أنتكلم في الشارع أم ندخل ؟

قالت خديجة : آ .. رد يا فارس ..

فقال بصوت ضعيف : نحن على موعد .. ولم نوافق نحن على الموعد على زيارتكم .. أنتم حددتم الوقت بدون موافقتنا .

رد مازن : ليس مهما موافقتكم .. وليس مهما أن ندخل بيت الدكتور .. لسنا مشتاقين لرؤية ابن عمنا وحرمه المصون .. بنت الباشوات .. نحن جئنا لنقول لفارس أفندي.. إن والدك يرغب برؤيتك .. ولقد دمرت حياة أخيك جابر بتكبرك ونفختك ؛ كأنه لا يوجد أحد تعلم في هذه الدنيا إلا فارس محسن جابر .. فيا رجل أختي حبيبة طبيبة وأفضل منك .. وأنت لا تستحقها أصلا ..أبوك عادى جابرا من أجل خاطرك .. من أجلك أنت .. من أجل أن تعود إليه .. ومن يوم الصفعة وأنت لم تره ، ولم تزره يا حضرة الدكتور .. وجعلنا نحن السبب في هجرك له .. وكأننا نحن طلبنا من جابر أن يعتدي عليك أن يصفعك أمام كل العائلة .. أختك دليلة وأمينة وحميدة كلهنّ خاطبنك وترجينك بالحديث مع الوالد محسن والذهاب لزيارته .. والرجل منذ وفاة أمك .. منذ وفاتها بسببك وهو متعب .. وهذا الخباز الذي تستعر منه هو أبوك .. هو باع المخبز من أجلك .. وكل زملائك في الجامعة يعلمون أن أباك كان أجيرا في مخبز ، ثم تملك المخبز ، ثم باعه من كثرة تذمرك .

لم يتكلم فارس بكلمة ظل محدقا بمازن فقالت خديجة لثريا بغيظ وهي تشير إليها بأصبعها السبابة : أنت رأس الفتنة .. أنت إبليس نفسه .. أنت التي تفسدينه على أهله .. تخافين أن نأخذه منك .. حبيبة تزوجت رجلا أفضل منه عشرات المرات .. أنا أختي فارس أعرف أنانيته منذ كان على مقعد المدرسة .. أبوك راغب برؤيتك قبل موته يا نجس .. وبصقت في اتجاهه وقالت : امش يا مازن .. هذا حيوان ونذل .

فقال مازن وهو يلوح بيديه مهددا : يا ويلك إن لم تذهب لوالدك ومات قبل أن يراك .. فأبوك

يحملني أنا عقوقك له وهجرك له .. عمي مسكين . وبصق هو الآخر اتجاه الأرض بشدة وانصرفا .

نظر فارس إلى زوجه وبناته وقال : لا داعي للخروج الليلة .. هذه بلدة لم يعد لنا فيها مقام مع هؤلاء الأنذال .



حادث

أخذ فارس محسن يخلع ثيابه بعد أن تعرض لتلك البهدلة والتحقير أمام بيته من قبل زوج شقيقته وأخته الكبرى ، فلما جلس في صالة البيت كانت ثريا قد أدخلت البنات لغرفة النوم وعادت فقالت قبل أن تجلس : هل تشرب قهوة يا فارس ؟

هتف شارد الذهن أو مصدوما: فكرة ! أنا في انتظارها .

وأشعل سيجارة ، وكان يفكر بالتهديد الذي تلقاه من مازن وخديجة فهمس لنفسه : أأذهب وأتصالح مع أبي ؟! أبي وقف معي ضد جابر .. وموقفه الحاد من جابر يدل على أن جابرا تصرف من تلقاء نفسه ضدي .. ولكنني تعرضت للإهانة في بيته وأمام أغلب أفراد العائلة الكبرى والجيران .. كانت صفعة شديدة صدمت وشللت منها ..أبي أعتقد أن لا دخل له في ضربي وصفعي .. مازن رجل عنيف .. شرس .. وحش ! هو ابن عمي محمد .. أكبر أشقاء والدي كان لا يحترم أباه وهو حي ..

جاءت ثريا بالقهوة ووضعتها أمامه قائلة : تفضل ..إنك سارح الفكر يا فارس

التفت لكوب القهوة وقال : نعم .. كنت أفكر بتهديد مازن

ورشف رشفة وعاد يحادث نفسه : أنا كنت أتعجب من حياة خديجة معه .. لقد كان يضربها أحيانا كثيرة .. يضربها كما يؤدب الطفل .. ويهينها أمامنا دون أية حياء منا .. ثم يتصالحان ويضحكان ؛ كأن شيئا لم يحدث بينهما .. وعندما نثور ونحتج تطلب منا السكوت وعدم التدخل

رشف رشفة ثانية وأشعل سيجارة جديدة وقال لنفسه : لقد وقع في قلبي أنه سيضربني في الشارع وأمام البنات والمرأة .. لديّ مسدس عليّ حمله من اليوم فصاعدا .. هل أستطيع إطلاق النار ؟ أأنا أستاذ الجامعة استعمل المسدس ؟!

قالت ثريا وهي تضع فنجانها بعد أن شربته : بماذا تفكر؟ هل ستذهب لأبيك ؟

نظر إليها لحظات ، ثم تابع شرب القهوة حتى فرغ الكوب ورد : أفكر بالقتل !

جفلت وقالت بخوف : القتل ! قتل من ؟!

ـ قتل مازن .. ابن عمي .. لقد بصق في وجهي أمامكم .

ـ أرجوك يا فارس لا تقل مثل هذا الكلام .. الحيطان لها آذان .. لو أصابه شر لتهموك به .. فكر بالسفر خارج البلد .. تعاقد مع جامعات خارجية

ـ أتخافين من القتل ؟ لم يبق لي كرامة .

ـ أرجوك دعنا من الكرامة والشرف .. منذ تزوجنا وأنا أضطرب كلما أراه ينظر إليّ وأشعر بحقده وكرهه لشخصي ..وأحس بأن نارا تخرج من عينيه نحوي .

ـ وأنا أكرهه أكثر منك ..أنا أكرهه منذ صغري .. عندما كنت أشاهده يضرب خديجة .. كنت أكاد أجن ؛ ولكنها تصيح بوجهي : اسكت لقد تعودت على ذلك .. وأبو عصام رجل عصبي المزاج ومتهور ..



ـ إنه وحش يا فارس .. ما العمل بما طلب ؟

ـ لقد كانت صاعقة في بيت أبي .. وكانت تهمة شنيعة .. اتهمني أمام العالم في بيت أبي بقتل أمي ولم يدافع عني أحد ؛ كأنهم مقرون بالتهمة ..أنا سبب موت أمي فاطمة ؟!

وفجأة رن الهاتف فمشى إليه وهو يقول : من يا ترى؟!

فرد وقال : محمود .. أهلا أخي محمود .. نعم مروا عليّ قبل ساعة .. تحدثنا قليلا أمام البيت في الشارع .. أبدا لم يدخلا البيت .. لا أدري أين ذهبا ؟ .. كيف حال الوالد؟ سلم عليه سأزوره قريبا

ووضع السماعة وشرب ما تبقى في كوب القهوة البارد وقال : يسألون عن المجرم .

ـ أحسن واحد في إخوتك محمود .. فهو مسالم وطيب .. ولكنه بغير ذرية .. مسكين !

ـ مريض بالعقم والضعف المنوي .. تعالج ولم ينجح معه العلاج .

ثم عاد الهاتف للرنين ثانية فقامت ثريا وردت ، وكان المتحدث ثانية محمود وأخبرهم أن السيد مازنا وخديجة قد تعرضا لحادث صدم بعد ابتعادهم عن بيتهم .. وحالة خديجة صعبة فالضربة كانت من جهتها .

بعد انتهاء شهر واحد على حادث مازن وخديجة كانت المرأة قد نجت من الموت ، ولم يكن الأجل قد حان ؛ ولكنها أصيبت بشلل جزئي أضعفها عن القيام بواجبات الأسرة ، وعليها أن تستمر بالعلاج الطبيعي للأعصاب والعضلات .

أما السيد مازن فكانت إصاباته خفيفة ، فتحسن وضعه خلال ذلك الشهر المنصرم ، وكان قد صدم عندما علم أن فارسا لم يذهب لبيت والده ، ولم يكترث لتهديد ، وتعجب من شخص هذا

المخلوق ، وقال في نفسه حانقا : لابد أنه سر للحادث الذي أصابني ، ولابد أنه توقع موتي تعجب من عقوق هذا الرجل لأبيه ، وهو يصر على هذا العقوق ولا يبالي بواسطة وشفاعة أحد فقال معزيا نفسه : ولكنه أخبر شقيقه الأكبر محمودا أنه سيتصل بأبيه ويزوره وقد مضى الشهر ولم يتحرك الرجل .

فلما اطمئن على خديجة اتصل بالسيد فارس في جامعته ، ولما سمع فارس صوته أغلق الهاتف فورا بعد أن طلب منه عدم التدخل بينه وبين أبيه .

وكان الرجل فعلا راغبا بزيارة أبيه وبيت الوالد كما أخبر شقيقه محمودا ؛ ولكنه مع حادث خديجة وعلمه بوضعها الخطير جبن وخار عن الذهاب ، ربما توقع الأسوأ لها ، فقد رفع السماعة أكثر من مرة ليتصل بأبيه ، ثم يضعف عن فعل ذلك ، فيسمع همسا في كيانه يقول : إنك متكبر ..إنك ساخط على أبيك الخباز ..لأنه خباز .. ألم تطلب منه أكثر من مرة أن يترك هذه الصنعة ؟ وأنت على مقاعد الجامعة واعتبرتها حرفة مهينة .. ألم تقل له يوما يا أبي لم تعد هذه تناسب وضعنا الاجتماعي؟ .. ولما أنهيت الماجستير باع والدك المخبز ، واشترى لمحمود الدكان يقتات منها ، وجلس محسن في البيت .

وقال لنفسه : لماذا عاد هذا الحوار الآن أيتها النفس؟! .. رغم تركه المخبز من أجلي بخلت عليه بالمال بزعم الدراسة والزواج .. وسكت الأب والأم .. هل أنا مقصر معهم ؟! .. لم يكن أبي بحاجة لمالي ولا حتى مال إخوتي .. عندما أعاد بناء البيت القديم لم أقدم له شيئا .. بزعم أن جابرا ومحمودا يعيشان معه وهما قادران على المساعدة .. يا الهي !

هل ماتت أمي بسببي حقا كما يزعم ذاك الشيطان ؟ ثريا لم تطلب مني يوما إغضاب أمي أو أبي أو التمرد على قوانين العائلة .. أو تمنعني من زيارتهم .. كنا نزورهم سوية .. صحيح كانت زيارتنا قصيرة .. كنت مشغولا في الدراسة والتدريس .. كان الوقت ضيقا لديّ .. لابد من زيارة سريعة لأبي .. هذا مازن وحش .. سيظل يتصل بي هنا حيث أحاور نفسي الآن .. وفي البيت .. آه ! وتنهد بعمق وقال : لماذا لم يمت في هذا الحادث لارتاح منه ؟وهل الموت يريح الناس ؟!

عاد ليلة متأخرا وكثيرا ما يعود للبيت متأخرا خلال السنوات الأخيرة ، ولما عرضت عليه ثريا العشاء قال : هل أكلت البنات ؟

كان لفارس بنتان الكبرى سلوى ابنة تسع سنوات، والثانية حسناء ابنة أربع سنوات ، فردت الزوجة : نعم، ونمن ، ولا داع لإيقاظهن .. انتظرناك .. ولما أدركنا أنك ستتأخر أكلن بعض

الحلوى ونمن على أمل رؤيتك في الصباح قبل ذهابهن للمدارس .

ـ أحسنت ، اذهبي وتعشي ، لقد كنت في ضيافة صديق وزميل في أحد مطاعم المدينة .. وأصر على مشاركتي طعامه.

فردت بجفاء : لست جائعة .. أتشرب الشاي أم القهوة ؟

ـ الذي يناسبك .

فلما عادت بالقهوة وبدأ الشرب فقالت : ماذا فعلت بشأن الرحيل ؟

ـ أنا لست متشجعا إليه كثيرا .. فأنا أحاول الانتقال لمدينة أخرى .. وربما تكون مدينة نصر .. ففيها جامعة مهمة .

قالت كأنها متهكمة : وكم تبعد نصر عن جوهر ؟!

ـ تزيد عن مائتي كيلو متر

ـ وهل يدعنا أهلك بدون منغصات وتلفونات ؟!

فقال ببعض الحدة : يا سيدتي لو سافرنا القمر سيتصلون وسيزعجون .. فكلما ألم وجع بالسيد محسن أو دخل المستشفى .. أبوك في خطر أبوك سيموت .. يريد أن يراك .. وأنا لماذا لا أريد زيارة أبي؟ حتى لا يعود الحال القديم .. هؤلاء الناس يظنون أن الدكتور في الجامعة وقته فراغ ويظنونه كالمدرس أربع خمس ساعات وفرط الدوام .. لا يدرون أن هناك محاضرة في الصباح وأخرى في المساء

ـ سفر لا يوجد ؟

ـ يوجد ؛ ولكن ليس الآن .. سيكون بعد وفاة الحاج محسن .. عليّ إعداد بحث لمؤتمر قريب وكذلك محاضرة .. فأريد أن اشتغل بهما .. أنت تابعي أفلامك وقصصك .. آ .. ما آخر قصة قرأتيها ؟ ..ألا تفكرين بالعودة للعمل والوظيفة ؟ إذا كنت تشعرين بالملل والضجر .

فردت بملل من الحديث : أنا منذ ولادة حسناء كرهت الوظائف ..

السيدة ثريا هي خريجة كلية الاقتصاد وتحمل شهادة سكرتارية .. وتعرفت على فارس أثناء اشتراكهم ببعض المواد الدراسية ، وكان فارس يسبقها بعام دراسي واحد ، وبعد تخرجها عملت في شركة تجارية ، ولما ولدت ابنتها سلوى فارقت العمل بضع سنين ، ثم استعانت بخادمة في البيت ، وعادت للعمل كسكرتيرة في أحد المصارف ، ولما حملت بحسناء تركت العمل واستقرت في البيت ، وعمر حسناء اليوم فوق الأربع سنوات .. فلما سمعت زوجها يحثها للعودة العمل خشية الملل والوحدة في البيت فقالت : ونعود للمشاكل مع الخادمة .

فقال : قلت إذا عندك وقت فراغ ، ومللت البقاء

في البيت وقلّت زياراتك فالعمل لا بأس به .

ـ لقد فكرت بالعمل قبل وفاة والدتك قبل سنة .. ولكني لم أتحمس له .. لديّ رغبة بمغادرة البلاد كنت آمل أن تسافر .. لقد مللت هذه البلد

ـ المشاكل طبيعية .. الحياة لا تنتهي هنا أو هناك يا ثريا .. الأعداء والخصوم لا ينتهون .

ـ أفكر بالحمل يا فارس .. ها هي حسناء تقترب من الخمس سنوات .. ألا يكفي انتظار ؟ ألا تريد ذكرا يحمل اسمك ؟ لديّ رغبة بولد ذكر يا فارس

ـ قلت لك طفلان فقط .. لا فرق عندي كما ذكرت لك أكثر مرة بين ذكر وأنثى .. سلوى وحسناء وكفى .. أتريدين أن أصير مثل محسن جيش من البنات والأولاد ؟

ـ كلكم سبعة أنفار .

ـ هؤلاء الذين عاشوا .. أمي كانت تتحدث عن موت ثلاثة آخرين .. نحن اتفقنا يا ثريا من أيام حبنا الأول على طفلين فحسب .

فقالت برجاء : بس ولد !!



أَحْذَرُ مِنْ ذِئْبٍ

قالوا: إنه يبلغ من شدَّة احترازه أن يُرَاوح بين عينيه إذا نام، فيجعل إحداهما مُطْبَقة نائمة، والأخرى مفتوحة حارسة، بخلاف الأرنب الذي ينام مفتوحَ العينين، لا من احتراز، ولكن خِلْقَة، قال حُمَيْد ابن ثَوْر في حَذَر الذئب:

ينام بإحدى مُقْلَتَيْهِ، ويتقى ** بأُخْرَى المَنَايَا فهو يَقْظَان هَاجِعُ

سُقِطَ فِي يَدِهِ

يضرب لمن نَدِم وقال الأخفش: يقال سُقِط في يده أي نَدِم، وقرأ بعضُهم (ولما سُقِط في أيديهم) كأنه أضمر الندم، وجوز أُسْقِطَ في يده، وقال أبو القاسم الزجاجي: سُقِط في أيديهم نَظْم لم يسمع قبل القرآن، ولا عَرَفَتْهُ العرب، ولم يوجد ذلك في أشعارهم، والذي يدل على ذلك أن شعراء الإسلام لما سمعوا هذا النظم واستعملوه في كلامهم، خفي عليهم وجهُ الاستعمال، لأن عاداتهم لم تَجْرِ به ، قلت: وأما ذكر اليد فلأن النادم يعضُّ على يديه، ويَضْرِبُ إحداهما بالأخرى تَحَسُّراً كما قال (ويومَ يعضُّ الظالم على يَدَيْه) وكما قال (فأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كفيه على ما أنفق فيها) فلهذا أضيف سقوط الندم إلى اليد .

أشأَمُ مِنْ غُرَابِ الْبَيْنِ

لِزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهلُ الدَّار للنُّجْعة وقَع في موضع بيوتهم يتلمس ويتقمم، فتشاءموا به، وتطيروا منه، إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا، فسموه غراب البين، ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة، وعلموا أنه نافذ البصر صافي العين، حتى قالوا: أصفى من عين الغراب، كما قالوا: أصفى من عين الديك، وسموه "الأعور" كنايةً، كما كنوا طيرةً عن الأعمى فكنوه " أبا بصير" وكما سموا الملدوغ والمنهوس " السليم" وكما قالوا للمَهَالك من الفيافي "المَفَاوز" وهذا كثير، ومن أجل تشاؤمهم بالغراب، اشتقوا من اسمه الغُرْبَة والاغتراب والغَرِيب، وليس في الأرض بَاوِح، ولا نَطِيح، ولا قَعِيد، ولا أَعْضَب، ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغُرَابُ عندهم أنكَدُ منه، ويرون أن صياحه أكثر أخباراً، وأن الزجر فيه أعمُّ، قال عنترة:

خَرق الجَنَاح، كأنَّ لَحْيَيْ رَأْسِهِ ** جَلَمَانِ، بالأَخْبَارِ هَشٌّ مُولَعُ

وَأحذر من ظليم

وَهُوَ ذكر النعام وَلَيْسَ فِي الْحَيَوَان أنفر مِنْهُ وَذَلِكَ أَن

الوحوش إِذا كَانَت فِي خلاء لَا عهد لَهَا بِرُؤْيَة النَّاس لم تنفر مِنْهُم أول مَا تراهم وَلذَلِك قَالَ ذُو الرمة:

وكل أحم المقلتين كَأَنَّهُ ** أَخُو الْإِنْس من طول الْخَلَاء الْمُغَفَّل

وَلَا يُوجد النعام على الْأَحْوَال كلهَا إِلَّا نافراً وَلذَلِك ضرب بِهِ الْمثل فِي سرعَة انهزام الْقَوْم فَيُقَال (خفت نعامتهم وشالت نعامتهم)

الأطيبان الأخبثان

ذكر أن لقمان النوبي الحكيم بن عنقاء بن بروق من أهل الله أعطاه سيده شاة وأمره أن يذبحها ويأتيه بأخبث ما فيها. فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها. ثم أعطاه شاة أخرى وأمره بذبحها ويأتيه بأطيب ما فيها. فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها. فسأله عن ذلك فقال له: يا سيدي لا أخبث منهما إذا خبثا. ولا أطيب منهما إذا طابا

الرازي وصبيان

حكى أبو علي الرازي قال: مررت بصبيان في طريق الشام يلعبون بالتراب وقد ارتفع الغبار فقلت: مهلاً قد غبرتم. فقال صبي منهم: يا شيخ أين تفر إذا هيل عليك التراب في القبر فغشي علي فأفقت والصبي قاعد عند رأس مع الصبيان يبكون. فقلت له: أعندك حيلة في الفرار من التراب. قال: أنا لا أعلم ولكن سل غيري. فقلت: ومن غيرك. قال: عقلك (للشريشي)

قصة مظلوم

روي أن رجلاً من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له واعتدى عليه. فذهب إلى المنصور فقال له: أصلحك الله أذكر لك حاجتي أم أضرب لك قبلها مثلاً. فقال له: بل اضرب لي قبلها مثلاً. فقال أصلحك الله إن الطفل الصغير إذا نابه أمر يكرهه فإنه يفر إلى أمه لنصرته إذ لا يعرف غيرها ظناً منه أنه لا ناصر له فوقها. فإذا ترعرع واشتد كان فراره وشكواه . إلى أبيه لعلمه بأن أباه أقوى من أمه على نصرته. فإذا بلغ وصار رجلاً وحزبه أمر شكا إلى الوالي لعلمه بأنه أقوى من أبيه. فإن زاد عقله واشتدت شكيمته شكا إلى السلطان لعلمه بأنه أقوى ممن سواه. فإن لم ينصفه السلطان شكا إلى الله تعالى لعلمه بأنه أقوى من السلطان. وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك أحد أقوى منك إلا الله تعالى. فإن أنصفتني وإلا رفعت أمرها إلى الله تعالى. قال: بل ننصفك. وأمر بأن يكتب إلى واليه برد ضيعته إليه.

الضيف الضجر الممل

أضاف رجل رجلاً فأطال المقام حتى كرهه. فقال الرجل

لامرأته: كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه. فقالت له: ألق بيننا شراً حتى نتحاكم إليه. ففعل. فقالت المرأة للضيف: بالذي يبارك لك في غدوك غداً أينا أظلم. فقال: والذي يبارك لي في قيامي عندكم شهراً ما أعلم.

(الثعلب) : وهو معروف. ذو مكر وخديعة. وله حيل في طلب الرزق. فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده. وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد. ومن لطيف أمره أنه إذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء إلى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها في فيه ونزل في الماء. والبراغيث تطير قليلاً حتى تجتمع في تلك الصوفة فيلقيها في الماء ويخرج. وفروه أدفأ الفراء وفيه الأبيض والرمادي

وغير ذلك (للابشيهي)

الحجاج والشيخ

حكي أن الحجاج خرج في بعض الأيام للتنزه فصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فلاقى شيخاً من بني عجل فقال له: من أين أنت يا شيخ. قال: من هذه القرية. قال: ما رأيكم بحكام البلاد. قال: كلهم أشرار يظلمون الناس ويختلسون أموالهم. قال: وما قولك في الحجاج. قال: أنجس الكل سود الله وجهه ووجه من استعمله على هذه البلاد. فقال الحجاج: تعرف من أنا. قال: لا والله. قال: أنا الحجاج. قال: أنا فداك وأنت تعرف من أنا. قال: لا. قال: أنا زيد بن عامر مجنون بني عجل أصرع كل يوم مرة في مثل هذه الساعة. فضحك الحجاج وأجازه (لابن قتيبة)

* نظر بعض الحكماء إلى أحمق على حجر فقال: حجر على حجر (للابشيهي) * نظر رجل إلى فيلسوف يؤدب شيخاً فقال له: ما تصنع. قال: أغسل حبشياً لعله يبيض *

قيل إن رجلاً ادعى النبوة في أيام أحد الملوك. فلما حضر بين يديه قال له: أنت نبي. قال: نعم. قال: وإلى من بعثت. قال: إليك. قال: أشهد أنك سفيه أحمق. قال: إنما يبعث لكل قوم مثلهم. فضحك الملك وأمر له بشيء ﷺ

التوبة من الذنب

قال ابن القيم رحمه الله: " وهاهنا نكتةٌ يغلط فيها الناس في أمر الذنب، وهي أنهم لا يرون تأثيره في الحال، وقد يتأخر تأثيره فيُنسى، ويظن العبد أنت لا يغيَّر بعد ذلك، وأن الأمر كما قال القائل: إذا لم يغبِّر حائطٌ في وقوعه.. فليس له بعد الوقوع غبار. وسبحان الله! كم أهلكت هذه النكتة من الخلق؟ وكم أزالت من نعمة؟ وكم جلبت من نقمة؟ وما أكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء، فضلاً عن الجُهّال! ولم يعلم المغتر أن الذنب ينقُضُ ولو بعد حين، كما ينقض السم، وكما ينقض الجرح المندمل على الغش والدّغل".



مشاهد تربوية
منشورات
المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
مواقف ارشادية
حديقة الازهار
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
غربتي وابنتي
قصص
المصباح المضيء
وهج الحرب
موقعة الثلاثة والعشرين
الفوارس
حضرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
قرشا . . .
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالوئيا والملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٧

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

إعداد
جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء السابع

قصة لوط ﷺ

حال قوم لوط: دعا لوط قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن كسب السيئات والفواحش. واصطدمت دعوته بقلوب قاسية وأهواء مريضة ورفض متكبر. وحكموا على لوط وأهله بالطرد من القرية. فقد كان القوم الذين بعث إليهم لوط يرتكبون عددا كبيرا من الجرائم البشعة. كانوا يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، ويتواصون بالإثم، ولا يتناهون عن منكر، وقد زادوا في سجل جرائمهم جريمة لم يسبقهم بها أحد من العالمين. كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء. لقد اختلت المقاييس عند قوم لوط.. فصار الرجال أهدافا مرغوبة بدلا من النساء، وصار النقاء والطهر جريمة تستوجب الطرد.. كانوا مرضى يرفضون الشفاء ويقاومونه.. ولقد كانت تصرفات قوم لوط تحزن قلب لوط.. كانوا يرتكبون جريمتهم علانية في ناديهم.. وكانوا إذا دخل المدينة غريب أو مسافر أو ضيف لم ينقذه من أيديهم أحد.. وكانوا يقولون للوط: استضف أنت النساء ودع لنا الرجال.. واستطارت شهرتهم الوبيلة، وجاهدهم لوط جهادا عظيما، وأقام عليهم حجته، ومرت الأيام والشهور والسنوات، وهو ماض في دعوته بغير أن يؤمن له أحد.. لم يؤمن به غير أهل بيته.. حتى أهل بيته لم يؤمنوا به جميعا. كانت زوجته كافرة. وزاد الأمر بأن قام الكفرة بالاستهزاء برسالة لوط عليه السلام، فكانوا يقولون (ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ)فيئس لوط منهم، ودعا الله أن ينصره ويهلك المفسدين. ذهاب الملائكة لقوم لوط: خرجت الملائكة من عند إبراهيم قاصدين قرية لوط.. بلغوا أسوار القرية.. وابنة لوط واقفة تملأ وعاءها من مياه النهر.. رفعت وجهها فشاهدتهم.. فسألها أحد الملائكة: يا جارية.. هل من منزل؟ قالت] وهي تذكر قومها :[مكانكم لا تدخلوا حتى أخبر أبي وآتيكم.. أسرعت نحو أبيها فأخبرته. فهرع لوط يجري نحو الغرباء. فلم يكد يراهم حتى سألهم: من أين جاءوا؟ .. وما هي وجهتهم؟.. فصمتوا عن إجابته. وسألوه أن يضيفهم.. استحى منهم وسار أمامهم قليلا ثم توقف والتفت إليهم يقول: لا أعلم على وجه الأرض أخبث من أهل هذا البلد. قال كلمته ليصرفهم عن المبيت في القرية، غير أنهم غضوا النظر عن قوله ولم يعلقوا عليه، وعاد يسير معهم ويلوي عنق الحديث ويقسره قسرا ويمضي به إلى أهل القرية – حدثهم أنهم خبثاء.. أنهم يخزون ضيوفهم.. حدثهم أنهم يفسدون في الأرض. وكان الصراع يجري داخله محاولا التوفيق بين

أمرين.. صرف ضيوفه عن المبيت في القرية دون إحراجهم، وبغير إخلال بكرم الضيافة ..عبثا حاول إفهامهم والتلميح لهم أن يستمروا في رحلتهم، دون نزول بهذه القرية. سقط الليل على المدينة.. صحب لوط ضيوفه إلى بيته.. لم يرهم من أهل المدينة أحد.. لم تكد زوجته تشهد الضيوف حتى تسللت خارجة بغير أن تشعره. أسرعت إلى قومها وأخبرتهم الخبر.. وانتشر الخبر مثل النار في الهشيم. وجاء قوم لوط له مسرعين.. تساءل لوط بينه وبين نفسه: من الذي أخبرهم؟.. وقف القوم على باب البيت.. خرج إليهم لوط وبدأ بوعظهم: قال لهم: أمامكم النساء -زوجاتكم- هن أطهر.. فهن يلبين الفطرة السوية ..كما أن الخالق -جلّ في علاه- قد هيّئهن لهذا الأمر) .فَاتَّقُواْ اللّهَ.(يلمس نفوسهم من جانب التقوى بعد أن لمسها من جانب الفطرة.. اتقوا الله وتذكروا أن الله يسمع ويرى.. ويغضب ويعاقب وأجدر بالعقلاء اتقاء غضبه(.وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي) هي محاولة يائسة لِلَمْس نخوتهم وتقاليدهم. و ينبغي عليهم إكرام الضيف لا فضحه (أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ) . أليس فيكم رجل عاقل؟.. إن ما تريدونه -لو تحقق- هو عين الجنون. إلا أن كلمات لوط عليه السلام لم تلمس الفطرة المنحرفة المريضة، ولا القلب الجامد الميت، ولا العقل المريض الأحمق..

ظلت الفورة الشاذة على اندفاعها. أحس لوط بضعفه وهو غريب بين القوم.. نازح إليهم من بعيد بغير عشيرة تحميه، ولا أولاد ذكور يدافعون عنه.. دخل لوط غاضبا وأغلق باب بيته.. كان الغرباء الذين استضافهم يجلسون هادئين صامتين ..فدهش لوط من هدوئهم.. وازدادت ضربات القوم على الباب.. وصرخ لوط في لحظة يأس خانق (:قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) تمنى أن تكون له قوة تصدهم عن ضيفه.. وتمنى لو كان له ركن شديد يحتمي فيه ويأوي إليه.. غاب عن لوط في شدته وكربته أنه يأوي إلى ركن شديد.. ركن الله الذي لا يتخلى عن أنبيائه وأوليائه. هلاك قوم لوط: عندما بلغ الضيق ذروته.. وقال النبي كلمته ..تحرك ضيوفه ونهضوا فجأة.. أفهموه أنه يأوي إلى ركن شديد.. فقالوا له لا تجزع يا لوط ولا تخف.. نحن ملائكة.. ولن يصل إليك هؤلاء القوم.. ثم نهض جبريل، عليه السلام، وأشار بيده إشارة سريعة، ففقد القوم أبصارهم. التفتت الملائكة إلى لوط وأصدروا إليه أمرهم أن يصحب أهله أثناء الليل ويخرج.. سيسمعون أصواتا مروعة تزلزل الجبال.. لا يلتفت منهم أحد.. كي لا يصيبه ما يصيب القوم.. أي عذاب هذا؟.. هو عذاب من نوع غريب، يكفي لوقوعه بالمرء مجرد النظر إليه..

أفهموه أن امرأته كانت من الغابرين.. امرأته كافرة مثلهم وستلتفت خلفها فيصيبها ما أصابهم. سأل لوط الملائكة: أينزل الله العذاب بهم الآن.. أنبئوه أن موعدهم مع العذاب هو الصبح ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾خرج لوط مع بناته وزوجته.. ساروا في الليل وغذوا السير.. واقترب الصبح.. كان لوط قد ابتعد مع أهله.. ثم جاء أمر الله تعالى.. قال العلماء: اقتلع جبريل، عليه السلام، بطرف جناحه مدنهم السبع من قرارها البعيد.. رفعها جميعا إلى عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم، قلب المدن السبع وهوى بها في الأرض.. أثناء السقوط كانت السماء تمطرهم بحجارة من الجحيم.. حجارة صلبة قوية يتبع بعضها بعضا، ومعلمة بأسمائهم، ومقدرة عليهم.. استمر الجحيم يمطرهم.. وانتهى قوم لوط تماما.. لم يعد هناك أحد.. نكست المدن على رؤوسها، وغارت في الأرض، حتى انفجر الماء من الأرض.. هلك قوم لوط ومحيت مدنهم. كان لوط يسمع أصوات مروعة.. وكان يحاذر أن يلتفت خلفه.. نظرت زوجته نحو مصدر الصوت فانتهت.. تهرأ جسدها وتفتت مثل عمود ساقط من الملح. قال العلماء: إن مكان المدن السبع.. بحيرة غريبة.. ماؤها أجاج ..وكثافة الماء أعظم من كثافة مياه البحر الملحة.. وفي هذه البحيرة صخور معدنية ذائبة.. توحي بأن هذه الحجارة التي ضرب بها قوم لوط كانت شهبا مشتعلة. يقال إن البحيرة الحالية التي نعرفها باسم" البحر الميت"في فلسطين.. هي مدن قوم لوط السابقة. انطوت صفحة قوم لوط.. انمحت مدنهم وأسمائهم من الأرض.. سقطوا من ذاكرة الحياة والأحياء.. وطويت صفحة من صفحات الفساد.. وتوجه لوط إلى إبراهيم.. زار إبراهيم وقص عليه نبأ قومه ..وأدهشه أن إبراهيم كان يعلم.. ومضى لوط في دعوته إلى الله.. مثلما مضى الحليم الأواه المنيب إبراهيم في دعوته إلى الله.. مضى الاثنان ينشران الإسلام في الأرض.

قصص من السنة

المتألي على الله

عَنْ جُنْدَبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «وَالله لَا يَغْفِرُ الله لِفُلَانٍ»، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؛ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ. مسلم وعن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: «أَقْصِرْ». فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: «أَقْصِرْ». فَقَالَ:

«خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا». فَقَالَ: «وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ». فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: «أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟» وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي». وَقَالَ لِلْآخَرِ: «اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ» (رواه أبوداود وصححه الألباني)

يَتَأَلَّى: يحلف. أَحْبَطْتُ: أبطلْتُ. مُتَوَاخِيَيْنِ: أَيْ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْقَصْد وَالسَّعْي، فَهَذَا كَانَ قَاصِدًا وَسَاعِيًا فِي الْخَيْر وَهَذَا كَانَ قَاصِدًا وَسَاعِيًا فِي الشَّرّ. أَقْصِر: الْإِقْصَار: هُوَ الْكَفّ عَنْ الشَّيْء مَعَ الْقُدْرَة عَلَيْهِ. من عبر القصة: ١ - القول على الله ﷻ بغير علم من أعظم الكبائر التي تحبط عمل صاحبها.٢ - الخوف من سوء الخاتمة، فقد دخلَ العابدُ النارَ، ودخل العاصي الجنة.٣- في القصة دليل لأهل الحق الذين يقولون: إن الله ﷻ يغفر ما سوى الشرك من الذنوب من غير توبة إن شاء، كما غفر لهذا العاصي وهو مصر على ذنوبه؛ قال الله ﷻ: {إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} وليس معنى ذلك أن يتجَرَّأَ الإنسانُ على معاصِي الله ﷻ فإن الإنسان لا يدْرِي هل سيغفر اللهُ له كما غفرَ لهذا العاصي، أم لا.

توبة قاتل المائة نفس

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: «لَا»، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ. انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدْ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ». فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ. فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ. فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: «جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ»، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: «إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ». فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: «قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ». فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ؛ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ».

قصص وحكايات الفوارس

مملكة مالونيا والملك بربار

الحلقة ١

الأخوة الثلاثة

هرب أهل القرية في شعاب الجبال المحيطة بقريتهم ، فمنهم من اختبأ في الكهوف والجحور

في ذلك الليل الممطر ، وكنت تسمع صراخ النساء والأطفال من عدة جهات ، واستمرت الحركة والهرب حتى وقت متأخر من الليل البهيم حينئذ خمدت الأنفاس وسكنت الأصوات وقد خرج رجال العصابة من القرية بعدما نهبوا بيوتها، وخطفوا الأولاد الذكور والإناث ، وساقوهم إلى شاطئ البحر حيث ترقد سفينتهم .

ولما عاد الناجون والأقوياء في الصباح إلى القرية بعدما انصرف رجال العصابة ، كنت ترى جثة هنا وأخرى هناك ، وتسمع أنين جريح ومصاب ، وترى آخر يلفظ أنفاسه وقد طال احتضاره ومنهم من وجد زوجته مقتولة أو أطفاله ، أو امرأة ناجية وجدت زوجها ميتا أو جريحا ، ومنهم من لم يجد أولاده وصغاره وأمواله ، فقد أخذهم قراصنة البحر ، عصابات خطف الأطفال ، فيمكن أن نقول بكل صراحة وراحة أن حالة القرية كما يقال حال يرثى لها بعد هجوم هؤلاء الأشرار، وانتشر الرعب والخوف في القرى المجاورة من هجوم عصابة الأشرار ، والذي يهمنا في هذا القصة أن رجلا في العقد الرابع من حياته عندما عاد للبيت وجد أن زوجته جريحة بجرح عميق ، وهي تدفع عن أولادها الشر الداهم ، ووجد هذا الرجل أن المجرمين أخذوا أولاده الثلاثة كلهم أسيد وذؤيب وصقير ، فأدرك أن العصابة أخذتهم لتبيعهم في إحدى البلاد كرقيق، فتجارة الرقيق كانت رائجة في تلك الأزمان، فحزن وبكى ولطم وشكى ؛ ولكن المصيبة كانت عامة لأهل القرية جميعهم ؛ فأمام مصائب الآخرين تهون مصيبة النفس، وكما يقال إذا عمت خفت ، هدّأ الرجل هذا من نفسه، واشتغل في علاج زوجته سراجة ، وهذا الرجل اسمه بهرام من أهالي قرية بيت الصبار ، وعلى كل حال لملمت القرية جراحها وأوجاعها بعد هذه الكارثة الفظيعة ، فنوى وقصد صاحبنا بهرام بعد أن تشفى سراجة وتتعافى مغادرة تلك القرية ، والذهاب إلى مدينة الجدول لعل الأمان يكون هناك أكثر ، وذلك في ظلال الحاكم ورجال الجيش والشرطة ، فلما خفت جراح الزوجة بحث عن الأولاد في القرى المجاورة ، وحاول تتبع خطوات المجرمين ، فعلم أنهم أتوا من جهة البحر فغزوا قريتهم وغيرها من القرى ثم عادوا لسفينتهم ، فيئس من الوصول إليهم فعاد يقول لزوجته : لهم الله يا سراجة .

فقالت له ودموعها في عينيها : إنها بلوى كبيرة يا أبا أسيد! .. ولكني أبشرك بأن في بطني جنينا ففرح الرجل المصاب بالخبر وقال : عندما يزول الألم عنك نهائيا ، وتضعين مولودك يا سراجة سنترك هذه البلدة ونهاجر إلى مدينة الجدول ونحيا

فيها .

فقالت : وماذا ستعمل هناك؟ وأنت لا تحسن إلا الحرث والزرع !

فقال : سأجد عملا يا سراجة .

فقالت : سنبقى هنا في بلدتنا يا بهرام ؛ لعل الأولاد يعودون ثانية ، وسنمضي حياتنا هنا فلا تفكر بالرحيل .

فقال : عندما تضعين ما في بطنك سوف نفكر بالأمر يا سراجة .. سأذهب الآن مع ابن عمي هدام .

كان لبهرام هذا ثلاثة أبناء صغار أسيد دون العاشرة ، ويليه ذؤيب وهو ابن سبع سنوات، والطفل الثالث صقير وهو ابن خمس سنوات ، هكذا كانت أعمارهم عندما دخل جيش الغزاة القرية ، وبدأوا بالفتك والنهب ، ووقع الغلمان الثلاثة ككثير من الغلمان بأيدي المحاربين ، وقد حاولت الأم الدفاع عنهم ؛ ولكن طعنها أحدهم بخنجر ودفعها أرضا ، فصرخت ووقعت فاقدة الوعي على الأرض ، وحمل الرجال الصبية مع بقية الأطفال وساقوهم إلى السفن في عرض البحر ، وقبل إدخالهم السفن وقف زعيم العصابة وحوله رجاله الأشداء وبعضهم يحرس قطيع الأطفال ، فيقدمون إليه الأطفال طفلا طفلا فمن رآه سليما خاليا من العاهات حملوه إلى السفينة ومن كان ذا عاهة وعيب قذف في البحر من غير رحمة أو شفقة ؛ لتأكله وحوش البحر ، وكان مشهدا قاسيا مرعبا أمام اولئك الأطفال، لا صراخ ينفع، ولا استعطافا يجدي ، فالزعيم الأسمر الوحش غير مكترث لهم ولحياتهم فهو معتاد على مثل ذلك الفعل القاسي ، وكان من حظ الاخوة الثلاثة أن رفعوا للسفن حتى يباعوا في بلاد أخرى ، وفي إحدى البلاد قام الزعيم الأسمر

درغال ببيعهم لأحد تجار الرقيق ، ثم عاد وأصحابه إلى البحر للتخطيط لقرصنة أخرى .

فأخذ تاجر الرقيق هؤلاء الجيش من الأطفال الذين يبلغون حوالي مائة طفل ما بين ذكر وأنثى، وساقهم للمدينة لبيعهم للأغنياء والأمراء أو تجار رقيق آخرين، وهذا التاجر الذي يشتري هؤلاء



الغلمان من درغال الأسمر عرضهم للبيع في السوق ، فأتاه تاجر يدعى زرفيل واشترى منه خمسين غلاما ، فكان من ضمنهم الاخوة الثلاثة ، وساقهم لمدينة ساحلية يتردد عليها للتجارة ، وقبل الوصول للبلدة باع بعضهم في الطريق وممن بيع صقير ، فترجى أسيد التاجر أن يبيعه واخوته

لرجل واحد ، فرفض التاجر وصفعه على وجهه ، فبكى واشتكى وحزن على فراق أخيه ، والذي اشترى صقيرا رجل كهل اشتراه ليربيه مع ابن له صغير؛ ليكون غلاما وخادما لولده ، وهذا الرجل يسمى صديق ، ويقطن في بلدة جميلة وغنية بالأنهار الصغيرة والأشجار والثمار تسمى بلاد الأحلام ، وأما الغلام الثاني ذؤيب فقد بيع في بلاد النيل لرجل يعمل في قصر السلطان ، وأما الغلام الكبير أسيد وصل لمدينة الساحل ، وفي اليوم الذي عرض فيه للبيع كان أمير إحدى البلاد التي وراء البحر كان قد حضر للسوق لشراء الغلمان والرقيق ، فكان أسيد منهم ، ولما قضى الأمير حاجته، وغادر مدينة الساحل أخذه معه إلى بلده التي تقع وراء البحر ، وأدخله قصره الجميل مع باقي الغلمان الذين تملكهم وأمر قيم القصر بالاهتمام بهؤلاء الصغار وتربيتهم على خدمة الأمراء والأميرات .

كانت هذه البلدة تقع ضمن جزيرة كبيرة ممتلئة بالمدن والقرى والأمراء والأميرات ؛ فإذا ظهر حاكم طامع أو طامح فيضم بعض المدن والولايات لدولته ، أو يتحد مع بعض المدن أو بعض الأجناس لتأسيس مملكة قوية ، فالأمير الذي ابتاع أسيدا كان أميرا مسالما وهادئا ، ولا يحب الحروب كثيرا ، وإنما كان جيشه لحماية البلدة والرعية فحسب ، واسم مدينته مدينة الغرام ، وهي مدينة تجارية نشطة لاتصالها بالبحر ، فالتجار



يتنقلون فيها بكل حرية ، وينقلون بضاعتهم بسلام وأمان ، فتجد تجار السفن يتحركون إليها ذهابا وإيابا ليلا ونهارا ، وكذلك تجار البر والقوافل ذهابا وإيابا وبكل حرية ، ويتبع لهذه المدينة أو الأمارة بعض المدن الصغيرة والقرى ، وكثير من قرى الفلاحين يمدون المدينة بالخضر والفواكة الطازجة يوميا ، في هذه المدينة الهادئة عاش أسيد بن بهرام الذي أصبح يسمى بربار ، فلما كبر بربار وأصبح ابن خمسة عشر عاما أرسله الأمير إلى مدرسة الفرسان ليتعلم الفروسية ، فكان شكله وهيئته تساعده على ذلك حتى يصبح فيما بعد من فرسان الأمير وحرس الملك الخاص ، فأتقن بربار التدريب والمران وركوب الخيل والضرب بالسيف والرمي بالقوس والقفز على صهوة الجواد وقويت عضلات يديه وفخذيه، واشتد بدنه بصورة عامة ، وتعلم المصارعة والمقاتلة بالأيدي والأرجل والطعن بالخنجر والعوم في الماء ، فأصبح فارسا قويا، وكل ذلك خلال أعوام ثلاثة حتى أمسى الأمير الحاكم يفخر

به أمام الأمراء والفرسان والأصدقاء ، فهو فارسه وخادمه وعبده ، وأخلص الفارس بربار لسيده الأمير وفي خدمته ، وظل يحتفظ له بالجميل والمعروف حتى النهاية كما سيرى القارئ ، وكان أطوع له من بنانه؛ ولكنه ما زال يذكر اخوته ويحن إليهم ، ويتذكر أمه وأباه ، والعصابة ومقتل الأولاد الضعفاء ، مشاهد لا تمحى من ذاكراته ، إذن كان الملك جليان سعيدا بالفرسان الذين تبناهم ورباهم ، وكان من أسعد الناس بالفارس بربار، وكان يرى فيه القوة والشجاعة والمستقبل الباهر الغامض .

فجاءت ابنة الملك أو الأمير جليان ذات نهار وطلبت من والدها أن يلحق الفارس بربار المخلص في خدمتها ، وبعد كلام وجدال وافق الأمير جليان على طلب ابنته ، ورضي الفارس الصغير بالالتحاق في خدمة الأميرة وحراسة الأميرة سونيا الصغيرة كما كانوا يطلقون عليها في القصر ، فأصبح يشاركها في النزهات والزيارات إلى أن أتى يوم وزار قريب لأبيها الأمير جليان ـ وكان هذا الرجل صاحب مملكة مجاورة أيضا ـ وخطبها لولده البكر وولي عهده الأمير نابولي ، وقد وافق الأمير والأميرة على هذا الزواج، وبعدما تم جهاز العروس صنع لها حفلا أميريا ، ثم أتى زوجها الشاب الأمير نابولي إلى مدينة الغرام وتزوجا ، وبعد تزوجها بشهر سمح له الملك جليان بالعودة لمملكة والده ، فاستعد فرسانه المائة والخدم للسفر، وتجهز فرسان الأميرة ومنهم الفارس بربار للرحيل معها إلى البلدة الجديدة مالونيا ، وريثما تستقر الأميرة في قصر زوجها، وتزول وحشة انتقالها يعود الفرسان لمملكتهم حسب عاداتهم وتقاليدهم ؛ لأن ملك مالونيا سيجعل لها حرسا من حرس بلاده إلا أن الأميرة سونيا الصغيرة أصرت على بقاء الفارس الحزين بربار كما كانت تسميه في خدمتها والبقاء عندها ، فحاول والدها ثنيها عن ذلك وأمام إلحاحها وتوسلها وموافقة زوجها على بقائه خادما لها رضخ الأمير جليان لرغبتها فأوصى الفارس عليها وحمايتها وحسن القيام بواجبه نحوها وقال : يعز عليّ فراقك أيها الفارس فلقد تعبت حتى أصنع منك بطلا !

فرد عليه بربار : لن أنساك يا مولاي .. وسأبقى وفيا لعرشك .. فأنت أبي وأهلي، ولن أنسى معروفك ، وما أكرمتني به من الخدمة والتربية في بلاطك وسأحافظ على شخص الأميرة ، وأبقى لها الخادم الأمين .

انتقلت الأميرة وفارسها بربار إلى مملكة مالونيا ، ومضت الأيام هادئة وجميلة ؛ وفجأة مات ملك البلاد وأصبح زوجها نابولي ملكا على البلاد

والناس، وكان هذا الشاب مغامرا ويحب المغامرات ، وكان يطمع بتوسيع مملكته ، فبدأ يتحرش بجيرانه ويثير العداوات والأحقاد هنا وهناك ، فما مضى عدة شهور على استلامه الملك حتى كان يخوض معركة دامية مع أمير سلاطية ويأسره ، فتنازل له عن مملكته مقابل العفو عنه ، فضم مملكته إليه ونفاه إلى جزيرة في عرض البحر، وقد شارك الفارس بربار في هذه المعركة، وأظهر براعته وقوته ، وقد أعجبته مغامرة نابولي ، وعلى أثر هذا النصر السريع أرسل نابولي رسولا إلى ملك هيلانة طالبا منه الانضمام لمملكته وإلا له الويل والهلاك ، فرفض وجرت معركة كبيرة بينهما انتصر فيها أيضا نابولي ، وقضى نابولي وفرسانه ، وبينهم بربار حروبا شرقا وغربا استمرت سنتين حتى أصبح يحكم مملكة كبيرة في تلك الجزيرة، وبدأت الملوك تهابه وتخشى مغامراته وجنونه ، وأي مدينة من المدن التي احتلها وضمها لمملكته وبدرت منها محاولة التمرد والثورة على حكمه فكان يدمرها تدميرا، ويحرقها حرقا مخيفا حتى دب الرعب في الملوك المجاورين ، وأخذوا يتطلفونه بالهدايا وبالحسناوات ، واشتهر بشهرته بربار ، فعرض عليه حكم إحدى المدن فأبى وقال : دعني أبقى في صحبتك أيها الفارس .

الأميرة سونيا التي أضحت ملكة لم تنجب من زوجها حتى ذلك الوقت ، فكانت قلقة من هذه الناحية ، وكانت أيضا غير متحمسة لمغامرات زوجها نابولي ، وقد حاولت في أكثر من مقام ثنيه عن هذه الحروب والعودة للدعة والسلام ، فيزجرها بشدة وشراسة ، وحذرها من التدخل في مثل هذه الأمور ، فخشيت منه على نفسها ، وعادت لالتزام الصمت والسكينة ، وقد حاولت ثني فارسها بربار عن المشاركة في الحروب ، فاعتذر لها بأنه قد تورط فيها ، ولا يستطيع التخلي عن نابولي بعد هذه المغامرات .

كان الأمير المغامر يغيب نتيجة الحرب عن قصره الأيام والشهور في المعارك واحتلال المدن وترتيب أمورها ، فذات مرة همس في أذنه أحد رجاله بأن الأميرة سونيا تخونه في غيابه ، فغضب الملك الشاب ، وانزعج لهذا الأمر، وأسر للفارس بربار بما سمع فقال له واعظا : قبل أن تفعل شيئا تأكد من الأمر.. وتأكد من الوشاية أيها الفارس .



فرد الملك مؤكدا : الرجل الذي نقل لي الخبر من الثقات عندي .. وقد أقسم لي على ذلك .. فما العمل ؟!

فقال بربار: أنت ما الذي تنوي فعله إذا تأكدت

من ذلك ؟!

فصاح الملك بغضب : وهل يرد العار أيها الفارس إلا الدم سأقتلها مع عشيقها .

فقال بربار: وهل تعرفه ؟!

فقال : نعم .. إنه ابن عم لي .. إنه الأمير سرياني .. أرأيت الخيانة؟!

فقال بربار : افعل ما تراه مناسبا أيها الفارس .

فقال نابولي : ولكنك حارسها الخاص يا بربار ؟!

فقال بربار : ولكنها زوجتك ! وقد خانتك .. وإنما أطلب منك أن تتأكد من الأمر حتى لا يكون هناك دسيسة أو مؤامرة ومكيدة لكما .

فقال نابولي : أيها الفارس ستكون صديقا مخلصا لي .. ونحن تعاهدنا على حفظ بعضنا بعضا أيها الفارس سأتركك هنا مع الجيش والفرسان.. وسأعود إلى مالونيا متخفيا ، وذات ليلة سأطلب مقابلة الملكة سونيا على أني رسول من عند الملك نابولي ؛ ولعلي أجد عشيقها عندها فاقتلهما معا .. فاحذر أيها الفارس من الأمراء والجنود ريثما أعود اجتمع نابولي بخواص القادة ، وأخبرهم أنه ذاهب لمالونيا خفية لأمر عاجل ومهم وسيعود بعد أيام ، وعاد لمالونيا سرا ، وفي ليلة طلب مقابلة الأميرة سونيا على أنه رسول من عند زوجها الملك نابولي ، فاستقبلته وكانت وحدها مع وصيفاتها ، فكشف لها عن نفسه، وأنه جاء إليها مشتاقا وسرا ليمكث معها ليلة أو ليلتين ، ثم يعود لجيشه الذي يحاصر مدينة ملطة العليا ، وطلب منها أن لا تخبر أحدا بعودته حتى الخدم ، فاصفر وجه الملكة لهذه المفاجأة ، وبينما هما يتحدثان في مخدع النوم أتت جارية وأخبرتها بوصول الأمير سرياني ابن عم نابولي قائلا: إن معه خبرا من عند الملك نابولي ، قالت الجارية ذلك أمام نابولي ، ولم تعرفه وانصرفت ولم تتكلم سونيا ولكن وجهها تغير وتلون ، فبعد قليل دخل سرياني فكأنه على ضوء الشموع لم يتحقق من صورة ابن عمه فقال باسما : من هذا الغلام يا عزيزتي سونيا .. إنه يجلس بقربك مالك لا تنهضين لمعانقتي كالعادة يا عشيقتي الجميلة؟.. أم عشقت هذا الغلام ؟.. نحن نفكر بالحب والغرام .. ونابولي يفكر بالدم والقتل .. اقترب منها كثيرا وهو يتعجب من صمتها وعدم احتفالها به ، فحتى الغلام لم يتحرك لتحيته ، فلما أصبحا وجها لوجه فقال : مالي أراك ممتقعة الدم كأنك تخرجين من قبر أيتها الحبيبة ؟!

تكلم نابولي المذهول بصوت أجش وهادئ معا : سونيا .. ما الذي اسمعه من سرياني ؟!

فأغمي عليها فوقعت على الأرض فقال سرياني : من ؟ ابن عمي الملك نابولي !

أخرج نابولي خنجره بسرعة البرق ، وأغمده في صدر السيد سرياني وهو يصيح : نعم ، ابن عم

سرياني .. مت أيها الجبان الخائن .

هرعت الجواري على صرخته ؛ فإذا بالملك يقتل الأمير سرياني ، فالتفت إليهن قائلا : اهتممن بالأميرة سونيا . ونادى بعض الجنود ، وأمرهم بإلقاء جثة سرياني في النهر الذي يمر من طرف القصر .

لم يقتل نابولي سونيا تركها حية ، وقفل عائد لجيشه ، وكشف لخواص فرسانه خيانة زوجته مع ابن عمه سرياني ، وأنه اعدمه الحياة بطعنة خنجر ، وألقاه في النهر، وعندما ينتصـر في هذه المعركة فسوف يفكر بعقاب الأميرة الزانية، فاقترح عليه الفارس بربار أن يطلقها ويعيدها لوالدها فرد عليه الملك : عندما نعود لمالونيا نفكر بالأمر أيها الصديق فإلى القتال .

بعد حصار شديد وقتال عنيف على أسوار المدينة هرب حاكمها وأكثر جيشه فسقطت المدينة على أثر ذلك، واستسلمت للأمير الملك نابولي ، الذي مكث فيها بضعة أيام فأخذ ما في خزائن الحاكم من ذهب وأموال وخيول ، ووهبها لقادته وجنوده المحاربين ، ورتب أمرها وولى عليها أحد الفرسان، وعاد لمالونيا بالجند المظفر للاستراحة عدة شهور قبل الدخول في حرب جديدة ولما سأل عن زوجته الخائنة ، أخبروه بأنها اختفت وهربت عندما زعمت للحرس بأنها تريد النزهة وما عادت للقصر ، فندم نابولي على تركها حية وعلى عدم الحجر عليها ، فطلب من القادة إجازة بضعة أيام يستريح فيها من هذه البلية ، وأرسل رسالة لوالدها أمير مدينة الغرام يخبره بالعار الذي أصابه من فعلتها الشائنة ، كان الأمير نابولي يعتقد أن سونيا الصغيرة أشرف امرأة عرفها وأوفى امرأة ، فكانت خيانتها قاسية عليه وطال اعتكافه ، فدخل عليه قادة الفرسان وعلى رأسهم بربار فعابوا النساء وصفاتهن وغدرهن ، مما دفعه أن يقسم على أن لا يتزوج امرأة ما دام فيه نبض ينبض حتى يشرب من دم سونيا التي علم أنها لم تهرب لأبيها ، ولما تحسنت حالته النفسية بعد اعتكاف طويل عاد للمغامرات والحروب ، فكثر أعداؤه والحاقدون عليه ، ففي إحدى المرات أثناء حصاره لمدينة جوا دخل عليه شاب قصير القامة على أنه رسول من أحد الملوك في تلك الجزيرة الكبرى ، وهو يحمل بين يديه رقا كأنه رسالة ، فدخل خيمة نابولي وتقدم منه وأعطاه الرسالة التي فضها ونظر فيها، وأعطاها للفارس بربار ليقرأها بصوت مسموع أمام القادة والزعماء ، وبينما هم يتابعون القراءة أخرج الرسول خنجرا صغيرا بسرعة ورمى نفسه على نابولي وطعنه به في صدره ، فصرخ الملك، ورمى بربار الكتاب ، وطرح نفسه على الرسول وهو يقول : لا تقتلوه أوثقوه بالحبال حتى

نعلم من أرسله علينا ؟!
واحضروا طبيب الملك على الفور ليقوم بعلاجه ، فقام الطبيب بالكشف عن جرح الملك الشاب فلم يره جرحا عميقا فعالجه وضمده ، وتم التحقيق مع القاتل الذي اعترف بأن ملك مدينة جوا كلفه بهذه المهمة مقابل العفو عن والده السجين المحكوم عليه بالإعدام ، فوافق على أن يضحي بنفسه للإفراج عن أبيه ومبلغ ضخم من المال ، فاشتد غضب الملك على ملك جوا، وأمر بحبس القاتل حتى يتم أسر ملك جوا ، وأثناء فترة علاج الملك المصاب استطاع الفارس بربار اقتحام المدينة المحاصرة من جهاتها الأربعة ، ودارت بداخلها معركة دامية رهيبة قتلت فيها النفوس ودمرت الأموال ، وما نجا إلا كل ذي عمر طويل ، وقد قتل الحاكم وحاشيته، مما دفع الفارس بربار أن يأمر بحرقها عن بكرة أبيها خوفا من انتشار الأسقام ، وابتعد الجيش المظفر عنها سريعا ، وفرح الملك نابولي بهذا النصر الجديد ، وأمر بسفك دم الرجل الذي غدر به ، وبينما هم يتهيئون للعودة لمالونيا أو مهاجمة مدينة جديدة لضمها لمملكة نابولي جاءتهم رسالة من ملك أقصى الجزيرة الملك بدوان ، وهذا الملك يحكم سبع مدن كبار عنده فرسان بالآلاف ، وكان هذا الملك بدوره ملك جبار في الأرض، وله شهرة وسمعة في أقصى شمال الجزيرة، وقد أخضع كثيرا من الممالك لحكمه وعرشه وملكه ، ويدينون له بالولاء فإذا طلب منهم المال والفرسان لا يبخلون عليه ، فقد سمع هذا الملك بمغامرات نابولي وبربار وأمراء وفرسان مالونيا ، وهرب كثير من الملوك والأمراء والأثرياء من المدن القريبة من مالونيا ، فأرسل رسالة للملك نابولي يدعوه فيها بالكف عن المغامرات والتوسع في الممالك المجاورة لمملكته والتنازل والتخلي عن المدن التي ضمها لبلاده وإلا هاجمه ودمر عليه مدينته ، قرأ بربار هذه الرسالة على القادة والأمراء ، ثم أمر نابولي بصرف الرسول للتداول والتشاور ثم قال لهم : ما تقولون



في هذا الخطاب الخطير؟؟
فكثر اللغط والقيل والقال حتى جاء دور القائد بربار في الكلام فقال : أيها السادة الكبار!.. أيها النبلاء الشجعان! .. نحن اليوم بدأ يحسب حسابنا القاصي والداني في هذه الجزيرة ؛ فإذا رضخنا لهذه التهديد من ذلك الملك القصي عنا طمع بنا غيره من الجبابرة في هذه الأرض ، فأرى أن نكتب له رسالة قوية ، نحذره فيها من خطرنا

عليه وغضبنا عليه ، وننصحه بالبقاء في مملكته .. فالضعف أيها الفرسان لن ينفعنا بعدما كثر أعداؤنا ..حرب تعني أعداء جدد! .. فرغم الكلام الذي سمعناه من القائد سرب عن ذلك الملك علينا أن نظل أقوياء أو الموت .

فأيد كثير من القادة كلام بربار ، وطلب منه نابولي أن يرد على الملك بنفسه ، ثم يضع عليه ختم الملك ، ففعل بربار ، وكتب لذلك الجبار بدوان بما تم الاتفاق عليه ، ودفعوا الكتاب لذاك الرسول ، ورجعوا لمالونيا محملين بالذهب والفضة والتحف والخيل والبغال والغلمان والحسناوات ، ففي هذه السنوات الأربعة خضع لحكم نابولي أكثر من سبع مدن وتوابعها من القرى والمدن ، وجعل عليها أمراء من فرسانه ورجاله إلا من استسلم وشرط البقاء تحت حكمه أميرا لبلاده ، فكثر جنوده ، وكبرت مملكته في تلك الجزيرة ، وكانت تأتيه الهدايا من الملوك والوزراء، وطار صيته وصيت بربار وكثير من الفرسان بين الأنام في تلك المدن والبلاد وما كاد يستريح الفرسان في مالونيا حتى استلم الملك رسالة من جليان يطلب فيها الفارس بربار للعودة في خدمته ، فتعجب الملك نابولي وغيره من هذا الطلب العجيب في هذا الوقت ، واعلم بربار بالطلب فقال : معه حق فهو ما زال سيدي ومولاي ! وأنا جئتكم حارسا لمولاتي سونيا الهاربة فما العمل أيها الملك الشجاع ؟!

فصاح نابولي غضبا : ارفض طبعا.. أنت الآن أصبحت فارسا وقائدا .. ولا يليق بك العودة لحراسة الأمراء والأميرات بعد أن أصبح لك فرسان يحرسونك .. لقد جن جليان .. أو يريدني أن أغزو مملكته وأقصف عمره !!

فقال : له عليّ معروف كبير أيها الملك .. لقد اشتراني بماله ورباني وعلمني الفروسية.. فالفارس النبيل والشريف لا ينسى ذلك .

فصاح نابولي : ويلك ! لا أستطيع أن أعيش بدونك .. فأنت شريكي في هذه المعارك .. وكما تعلم أنا لا ابن لي يرثني لعلي أجعلك وريثي على هذه الدولة التي تكبر كل يوم .. ادفع له ما يشاء من المال .

فرد بربار وهو غارق في التفكير : سأفكر بأمري يا ملكي فلربما أجد حلا مناسبا .

فقال نابولي ضاحكا وجادا : إذا أصر على عودتك سأدمر مدينة الغرام عن بكرة أبيها .. أنا لولا زواجي من ابنته وعلاقتك القديمة به لألحقت بلدته بمملكتي أيها الفارس منذ زمن .

هلاك نابولي

عاد بربار إلى غرفته في قصر نابولي ، ورمى نفسه على سريره وقبل أن تغمض عينيه من كثرة التفكير سمع صراخا في القصر، فنهض مسرعا فسأل

الرجل الذي يقف على باب الغرفة : ما الخطب ؟!

فقال الجندي الحارس : كأن القصر يحترق يا سيدي ! فالدخان من تلك الجهة من جناح الملك

هرع بربار إلى جناح نابولي مسرعا ، فوجد النار تضطرم فيه ، وعلم أن الملك محشور بالداخل فدار من الخلف وتسلق الجدار ، ومشى نحو نافذة غرفة الملك فكسرها فدخل إلى الغرفة ، ووجد الملك يتحشرج من شدة الدخان ، فحمله بسرعة إلى النافذة وتدلى به إلى الجدار وخرج به من جميع القصر بدون أن يشعر به أحد ، فالكل مشغول بنفسه ، وأخذه إلى بيت أحد الفرسان الذين يعملون ضمن قيادته، وهناك قاموا بمعالجته ابتداء ، وذهب الفارس واحضر الطبيب لاكمال العلاج ، وانتشر الخبر في المدينة أن الملك احترق في القصر ، وكثرت الإشاعات في المدينة وقلق الناس ، واجتمع القادة بعدما أمسى القصر أسود ، وأطلع بربار القادة وفرسان الجيش الكبار أن الملك لم يمت في الحريق ، وأعلمهم أن المطلوب معرفة من أضرم النار بالقصر، فقال أحدهم : لقد ألقي القبض على رجل غريب له يد في الموضوع.. وذكر أنه من جماعة الملك بدوان

فهتف بربار بغضب : هذا فعل بدوان إذن ! .. آه .. فلسوف يرى اللعين ؛ ولكن كيف دبر الأمر؟! قصر كامل يحترق بشخص واحد أين الحرس والجنود ؟

فرد القائد : لقد تم حرق جناح منام نابولي فقط.. ومن ثم امتدت النار لسائر القصر .



نجا الملك من الاختناق والاحتراق بالنار ، واسترد عافيته بعد أيام وشكر بربار على إنقاذه حياته وصمم على محاربة الملك بدوان ، فقال بربار : مملكته بعيدة نحتاج شهرا للوصول إليها .. وكم من الممالك بيننا وبينها ؟ فإذا وصلناها نكون منهكين القوى لقمة سائغة له ولفرسانه .. فالأفضل أن يأتينا هو فإذا انتصرنا عليه مهدت لنا الطريق كلها ؛ ولكن كما فعل بنا نفعل به أيها الملك ..نرسل جماعة من الفرسان الأبطال المتخفين بزي تجار فيحرقون عليه قصره أو بساتينه ثم يعودون ؛ ليعلم بأننا لا نهابه.. وأن باستطاعتنا مجاراته ؛ فلعله يصمت أو يتحرك نحونا فنقاتله ونحن مطمئنون وفي مدننا وبين عساكرنا ، فإذا سحقناه نزحف نحو مملكته ونجعلها عبرة لمن اعتبر من ملوك هذه الدنيا .

وافق الملك نابولي والقادة الآخرون على أفكار الفارس بربار ، واقترح بعضهم على بربار أن ينفذها ، فأبدى بربار استعداده لذلك فصاح

نابولي صعقا: ويحكم أنا لا استغني عنه! فالقائد نابام سوف ينـفذ هذه الخطة ، ومعه القائد سربال .. واشرح لهم يا بربار تفاصيل المغامرة .. وأريد أن يكون لنا هناك جواسيس باستمرار يا بربار .

شيد نابولي قصرا جميلا ، وأعاد تنظيم حرس القصر وفرسانه والطهاة والخدم ، وأفرد لمساعده بربار جناحا خاصا أيضا ، كان بربار أثناء انشغاله في الحروب يشتري الفرسان من المدن المهزومة ، فاستطاع في هذه السنوات من تكوين كتيبة خاصة من الفرسان تنسب له ، ويدفع لهم أجورهم ومساكنهم ، فبلغوا مائتين فارس أو أكثر بقليل ، وكان هذا النظام يعمل به الأمراء والقادة ، فكان نابولي يسمح لقادته بتجنيد الفرسان والجنود ، وأثناء المعارك والحروب يدفع لهم رواتبهم وتكاليفهم ، وأيام السلم والهدوء فكل قائد هو مسؤول عن فرسانه ، والملك مسؤول عن جيشه وجنوده ، فكان الفارس بربار يقضـي أكثر وقته بصحبة الملك، وباقي الوقت يمضيه مع فرسانه الذين اشترى لهم ضيعة كبيرة وأمرهم بالحياة فيها والتدرب فيها ، وهذا الفارس كما تعلمون لم يتزوج بعد ، وهو أثناء هذه الأحداث لا يفكر بالزواج ، ولا تشغله النساء ككثير من الجند والفرسان ، فلما وضع الخطة مفصلة لنابام وسربال استأذن الملك بزيارة مدينة الغرام بضعة أيام والاجتماع بالملك جليان ، فأذن له نابولي بعشرة أيام فقط ، فأخذ فرسانه بعد أن ودع الملك وسار لمدينة الغرام التي وصلها بسلام ، فخرج الملك جليان بنفسه لاستقباله والترحيب به بعد كل هذه الغياب وتعانقا وتصافحا ، ورحب الملك جليان بالفارس والفرسان

ولما جلسا في قاعة العرش قال جليان للفارس : لقد نسيتنا يا فارس بربار ؟!

رسم الفارس الشاب ابتسامة على وجهه وقال : لا يا مولاي ! لم أنسك ؛ فأنا صنيعتك وفارسك ولكن انشغالنا في الحروب والفنون أخرنا عنكم .. وأنتم تخليتم عنا لهم .

واستمع جليان لأحاديث وأخبار بربار ولما سمعها قال : لقد أصبحت فارسا مشهورا يا بربار وتملك الأموال والفرسان ، بل سمعنا أنك يمين الملك الجبار نابولي .

فقال بربار بتواضع : أنا صنيعتكم يا مولاي ! ولا أنسى معروفك .. فأنا ما زلت فارسك وتحت أمرك .

فقال جليان : حسنا أيها البطل! فإذا كنت تحفظ المعروف.. فنحن نريدك هنا فارسا لمدينتنا .

لزم الفارس الصمت حتى تكلم الملك جليان ثانية : مالك ؟!

فسأل بربار : مولاي جليان الملك .. ألا تعلم أين

ذهبت الملكة سونيا ؟

فقال الملك مستغربا تغيير مجرى الحديث : على ذكر سونيا أيها الفارس هل صحيح ما يدعيه نابولي في حقها ؟

فأجاب الفارس قائلا : كما تعلم أيها الملك فأن الفارس نابولي مغامر ويحب القتال والفروسية حتى أنه جذبني إليها بقوة ، فكان يغيب عن بيته بالشهور والأسابيع ، والأميرة كانت تكره الدماء والحروب فتظل في المدينة ، فكما علمت استغل الأمير سرياني ابن عم الملك الفرصة فغرر بها اللعين فخدعها بالحب والغزل ، وعلم الملك بذلك فتألم وغضب عليها ، وصرع ابن عمه وطرح جثته في النهر ، ولم يقتل الأميرة وعاد للميدان والحرب ، فلما تحقق النصر ، وعدنا للمدينة وجدنا الأميرة قد اختفت ، فأرسل لك رسالة يشرح الأمر ونسينا القضية .

فقال جليان : الحق أنني تألمت بما علمت وتحريت عنها شرقا وغربا ، فقيل لي إنها هربت لبلاد الشرق وقطعت البحر ولم تحاول الاتصال بي .. وأنت ابن مدينتنا فلماذا لم تعد إلينا بعد هربها ؟

فقال بربار: الملك نابولي لا يستطيع التخلي عني ، ووجودي هناك خير لكم من بقائي هنا ، وصدق أن بقائي عنده حماية لكم ولمدينتكم من مغامرات نابولي .

ابتسم جليان ولم يغضب وقال : صدقت أيها الفارس! .. إن نابولي يحسب لك ألف حساب .. ويحب بقاءك بقربه .. ونحن أدركنا هذا الأمر.. وإنما أحببنا أن نراك ونسمع أحاديثك ومغامراتك .. فلولا وجودك مع الملك لتدخل في أمر مدينتنا وخصوصا بعد اتهامه لابنتنا بالخيانة الزوجية .. هذا نعرفه !

فقال بربار : أنا في خدمة عرشكم يا مولاي في أي وقت .. أيها الملك الطيب اعلم أن الملك نابولي أمهلني عشرة أيام فقط للمكث عندكم .. وأنا رجلكم عنده .. ولن يمسكم سوء منه وأنا حي .

فقال جليان : نرحب بك يا فارس مالونيا .. ونحن قد وهبناك حريتك قديما عندما الحقناك بخدمة الأميرة سونيا الصغيرة ، فكنت نعم الحارس ولكن لا أدري لماذا تخليت عنها أمام نابولي

تبسم فارسنا الشاب وقال : هي يا مولاي الحقتني بخدمة نابولي ومشاركته في الحروب حتى تعلقت نفسي بالحروب وبنابولي حتى صرنا صديقين حميمين .. وكما قلت لك أيها الملك الطيب أنا خادمكم الأمين في أي وقت .. ولا أنسى معروفكم أبدا .. وأنا درعكم من أطماع الملك نابولي .

وقبل أن تنقضي الأيام العشرة كان رسول الملك

نابولي بين يدي الملك جليان والفارس بربار يطلب عودة الفارس بربار لمالونيا ، فالملك مريض وبحاجة للفارس النبيل ، فودع بربار سيده السابق جليان وشكره على حسن الاستقبال والضيافة ، وعاد بفرسانه إلى الملك نابولي الذي رحب به وفرح بمشاهدته ، واعلمه بمرضه الشديد ، فدعا له الفارس بالسلامة والشفاء ، ثم قال نابولي : إن فارسا من بلاد أقصى الجزيرة يدعي أنه صاحب عرش مدينة الملك بدوان يرغب بمقابلتك .

التقى الفارس بربار بالشاب الفارس ملاريون وبعد تعارف بينهما قال الأخير بدوره : أيها الفارس النبيل الذي ملأ صيته هذه الجزيرة شرقا وغربا شمالا وجنوبا .. لقد أصبح الفارس بربار على لسان كل الملوك والفرسان جئت إليك طالبا الانضمام إلى فرسانك الأبطال ، وأما قصتي فسأذكرها لك .. أنا كان والدي ملكا لإحدى المدن التي يحكمها الملك بدوان ، وبعد قتال شديد قتل والدي دفاعا عن مملكته وبلدته ، وكذلك أكثر الأهل والأقارب لقوا حتفهم وفر الباقي إلى المدن والقرى واختفوا عن الأنظار ، وكان لنا خادم أمين أخذني وأمي وأختي الصغيرة إلى قرية بعيدة ، وكان لي من العمر ثلاث سنوات فقط أيام تلك الأحداث الجسام ، وقام الرجل الصالح بتربيتي وتعليمي الفروسية لأخذ الثار من الملك بدوان ، وقد علمت هذه الحقيقة منذ عهد قريب ، وأنا لا حيلة لي باسترداد ملكي المضاع والمغتصب بعد كل هذه السنين ففررت إليكم ملتحقا بجندكم بالفارس العظيم بربار فارس الجزيرة الجديد ، وسأضع نفسي وسيفي بين يديك .. وأنا خادم لك أيها الأمير مدى الحياة ، وسوف ترى صدقي وحبي وإعجابي لكم ، وليس لي حاجة من الدنيا إلا أن أثأر لنفسي ولأهلي من الظالم بدوان ولا أريد مملكة أبي .. فهي هبة مني إليكم فقط أريد الثأر .

ارتاح بربار لشخص ملاريون ، ورحب به جنديا معه ، ووعده خيرا وضمه لفرسانه المائتين لاختباره وامتحان فروسيته ، وجاءت الأخبار بعد حين تفيد أن القائدين سربال ونابام تمكنا من حرق قصر الملك بدوان وحرق بساتينه ؛ ولكنهما سقطا أسرى في قبضة ذلك الملك الجبار وأعدمهم الحياة ، وأتت الأخبار تفيد كذلك أن الملك يعد جيشا لتدمير مملكة مالونيا الكبرى والفتك بالملك نابولي وقادته جميعهم ، فغضب الملك نابولي من هذه التهديدات وتمنى من الله الشفاء لملاقاة الملك بدوان ، فقام بربار بتهدئة غضبه ووعده بالانتقام والثأر لمقتل القائدين البطلين ، وقال : أيها الملك لا بأس عليك! فلقد طلبت من القادة الاستعداد،

وأخبرتهم أن انتصارنا على الملك بدوان سيكون أعظم نصر وسيدعم ملكنا والمدن التي امتلكناها ، وبعد ذلك النصر ستصبح الجزيرة لنا نرتع فيها ونمرح ولا أحد يستطيع معارضتنا ، وتصبح مملكتنا أكبر الممالك وتخضع الجزيرة كلها لحكمنا العظيم وأرسلت الفارس ملاريون لجعل عيونا لنا في المدن والممالك التي تفصلنا عن مملكة أقصى الجزيرة لتصل إلينا أخبار بدوان وتحركاته بأسرع وقت ، وعندما نلتقي أيها الملك العظيم سيرى منا العجب العجاب ، وأرسلت بلاغا حازما لكل المدن التي تخضع لسيطرتنا بأن أي مدينة تتردد في الدفاع معنا والوقوف بجانبنا وتخوننا سنمسحها عن وجه الأرض .. وعليهم بالاستعداد لهذه المعركة الكبيرة وإرسال المعونات والفرسان والحذر من الغدر والخيانة.



استطاع الأمير ملاريون نقل أخبار تحركات جيش مدينة أقصى الجزيرة إلى القائد بربار أولا بأول ، وخلال شهور من الزحف البطيء وصلت جيوش الملك بدوان إلى أطراف مملكة مالونيا وكان الفارس بربار وخمسون ألفا من الفرسان والعساكر على أهبة الاستعداد ، وانتظاره بالقرب من مدينة ملطه ، وما كاد يحط الرحال حتى كانت جيوش وفرسان مالونيا تصطدم بجيشه ، وهم على أتم راحة واستعداد ، ودارت معركة دامية ذهبت فيها نفوس كثيرة ، وتحطمت كتائب وسرايا ، وصدم بدوان ووزراؤه لهول المعركة والكارثة والمفاجأة ، وذهب الغرور من نفوسهم ورجعوا للوراء عدة مراحل حتى التقطوا أنفاسهم ولملموا فلول جيوشهم وعادوا لساحة المعركة ، فنزل بدوان للميدان وطلب منازلة الفرسان فسقط إليه بربار بسرعة الجآن ، وتعاركا أمام الفرسان ساعة من الزمان ، ثم فر بدوان من ضربات سيف الفارس بربار فنزل إليه الوزير الأكبر فأراده قتيلا في دقائق من الزمان ، فأتاه آخر فخر ميتا من طعنة واحدة ، فطلب البراز فارس الجزيرة زهدان فارس الجزيرة الأوحد رجل الشدائد والأهوال فارس الملك بدوان ، ودار بينهما الصراع حتى ولى النهار وأقبل الليل فانصرفا للخيام لثاني الأيام ، وقد استمرت المبارزات عدة أيام حتى التقطت الجنود أنفاسها ، ودفنت قتلاها ، ووضعت الخطط والحيل ، فنشبت معركة تشيب لها الرؤوس كان من نتيجتها ضعف جنود الملك بدوان ، فأرسل إليه بربار الأمير ملاريون يعرض

عليه الصلح والاستسلام ودفع تكاليف الحرب والقتال وإلا الموت والدمار ، فلما سمع الملك هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وطار من عينيه الشرر كالنار ، وما عاد يحسن التفكير ورد ملاريون بكتاب تهديد ووعيد وشواء الفارس بربار ، وكان الأمير بربار قد رتب مع بعض فرسان الملك بدوان سرا مؤامرة للتخلص منه ووعدهم بالمال والملك ، وعرف بدوان بسر هذه اللعبة ، ففقد صوابه وجن جنونه وقتل كثيرا من الفرسان ، وتعجب من قدرة بربار على خداع فرسانه ، وكان ذلك قد تم بمساعدة الأمير ملاريون وأمراء مدينته الذين انضموا لبدوان عندما انتصر على والده وأسرته ، فلما انكشفت الخطة هجم بربار بفرسانه على جيش بدوان هجوما قويا من ثلاث جهات ودارت بينهم معركة أخرى ، وكانت رهيبة هرب على أثرها فرسان بدوان نحو بلادهم ، واستسلم كثير منهم ، ووقع بدوان على أثرها أسيرا في قبضة الفارس بربار ، وانهزم جيشه شر انهزام ، وانتشر خبر النصر العظيم في معارك ملطه في الجزيرة سريعا ، وارتفع اسم الفارس بربار إلى عنان السماء ، وانقلبت الموازين في كل مدن الجزيرة الكبرى كلها ، وعادت جيوش مالونيا إلى المدينة مكللة بالنصر والرايات العالية وعمت الأفراح في مدينة مالونيا ، وازداد خوف الملوك الذين لم تخضع مدنهم بعد لمملكة مالونيا خوفا على ممالكهم ، وبدءوا يرسلون رسل التهنئة للملك نابولي على هذا النصر الكبير ولقد خرج الملك نابولي المريض محمولا على تخت بالذهب والجواهر يستقبل الجيش العائد بهذا النصر ، وبقائده الكبير بربار الذي جرى على يديه هذا النصر العظيم ، ودخل القادة بأكاليل الغار والورود والهدايا ، وبعد الراحة والاستراحة تم توزيع الأموال والمكاسب على الجنود والقواد وأسر القتلى ، وترك بربار خبرا لدى القادة بأنهم سوف يزحفون لأقصى الجزيرة لاستلام حكمها وكنوزها وتسليمها لملوكها القدامى ، وعرض عليهم الاستعداد لتملك تلك المدن ومن رغب في ملك بلدة فليذكر ذلك حتى يولى عليها ، وخلال فترة الانتظار للزحف ومطاردة فلول الجيش المنهزم وتقسيم مملكة بدوان أعلنت كثير من المدن ولائها لمملكة مالونيا الكبرى ، وأغرب شيء علمه الملك المريض نابولي الذي قد هزل بدنه والأمير الفارس بربار بأن سبب هذه الحرب مع بدوان لم يكن سوى الأطماع هو الأميرة سونيا زوجته الخائنة وابن عمه سرياني الذي لم يمت من ضربة الخنجر ، لقد علموا من الملك الأسير بدوان أن الأميرة الملكة الهاربة هبطت لبلادهم مع فارس لها اسمه سرياني ـ وقد كان

مريضا وقد تعافى ـ فحرضته على حرب مالونيا ونهب خيراتها وأغرته بفتحها وغزوها ، وقد وجد لها في نفسه هوى ووقع في غرامها ، أمر الملك المريض نابولي بحبس الملك بدوان وقادته الذين نجوا من الموت ووزرائه حتى يعود الأمير الفارس برباز من السيطرة الكاملة على مملكة بدوان في أقصى الجزيرة ، وودع الأمير برباز الملك ، وتحرك بعشرة آلاف فارس إلى أقصى الجزيرة ، وكان الملوك في الطريق يرحبون به ، ويستقبلونه استقبال البطل الغريب والفارس المخيف ، ويقرون بالخضوع لمملكة مالونيا بدفع الجزية المفروضة عليهم طوعا ، ورضا بحكم الملك نابولي ، وبعد شهرين من الوقت وصل برباز لتلك البلاد واستلم خزائنها وخيراتها ، وبحث عن سونيا وسرياني فعلم أنهما هربا بعد هزيمة بدوان الكبيرة ، وأعاد الأمير برباز ملوك المدن الكبرى لحكم بلادهم مقابل الطاعة للملك نابولي ، فأعاد تجزئة مملكة أقصى الجزيرة ، وبعض المدن نصب عليها ملوكا من قادة نابولي ، فعاد ملوك تلك المدن أو ورثتهم لعروشهم وحثهم على الخضوع لحكم مملكة مالونيا ، وحذرهم من الغدر والخيانة ، وأمرهم بإرسال الأموال اللازمة لجند مملكة مالونيا في الوقت المعلوم ، وأن يرسلوا الجند في أي وقت تحتاجهم مملكة مالونيا بكل سرعة ، وبين لهم خطر التمرد على الملك نابولي ، وعرض الأمير برباز على الأمير ملاريون حكم مملكة أبيه فرفض وقال : إنني وهبتها لك .. وأرغب بالبقاء بصحبتك وركابك أيها الفارس النبيل .

قضى الأمير برباز ستة أشهر يرتب أمور هذه الممالك ، وعاد بمن رغب من القادة والفرسان إلى مالونيا المدينة التي ازدهرت مع هذه المعارك ، وأصبحت عاصمة كبرى لمملكة نابولي ؛ ولما وصل القائد الكبير برباز كان الملك نابولي في أواخر أيامه ، فقد أنهكه المرض الذي دب في جسده وقد فرح كثيرا برؤية الفارس برباز وعودته ظافرا قبل رحيله ، فاعلمه أنه قد جعله وريثه الشرعي على هذه المملكة العظيمة ؛ لدوره الكبير في توسعها ، وفي الحروب التي خاضها ، وفي الدفاع عن شخص نابولي ، والإخلاص له ، وليحافظ على ذلك الملك الواسع ، فاحتضنه برباز وبكى بين يديه بكاء كثيرا ، وحزن الناس على موت نابولي ، واستمر الحزن خمسين يوما ، وقدم المعزون من كل صوب وحدب للتعزية والمباركة للملك الجديد وريث نابولي المحارب الكبير وبعدما انتهت أيام الحداد على مؤسس هذه الدولة العظمى أعلنت الأفراح بتتويج الملك برباز.. فأصبح ينادى برباز العظيم ملك ممالك الجزيرة الكبرى ، وبدأت الوفود تأتي من جديد للتهنئة

والمبايعة من كل الممالك الخاضعة والصديقة ، فيقدمون فروض الطاعة والولاء للملك العظيم بربار، وكان من ضمن الوافدين للتبريك والتهنئة الملك جليان ملك مدينة الغرام ، وكم كان اللقاء بين الرجلين جميلا وغريبا ومشحونا بالإعجاب ، وطال العناق بين الرجلين وضحك جليان وهو يقول : آه !.. يا بربار العظيم ! لقد دخلت الجزيرة غلاما رقيقا لا حول لك ولا قوة وها أنت قد أصبحت السيد المطلق الفارس الذي تنحني له هامات الملوك هيبة ووجلا .. وما بلغت من العمر ثلاثين سنة .. والله إنها لأعجوبة وإنها لدنيا غريبة .

وضحك الفارس بربار من صميم الفؤاد وقال : صدقت أيها الوالد الطيب! وهذا كله بفضل منك ، ومَنٍ من الله الأكبر .. وأنا مستعد أن أتنازل عن هذا الملك العظيم وهذا العرش الكبير لك يا مولاي .

فعاد جليان للضحك وقال : لا أستطيع حكم هذه الممالك الكثيرة .. وأداهن وأحارب أعداء هذا الملك الكبير .. فأنا رجل شيخ على وشك الرحيل ..فهنيئا لك أيها الفارس .. وهذا فخر لي أن أراك باسلا وسيدا كبيرا ؛ ولكن عليك بالعدل .. وحذار من الظلم والعدوان ..



قصص وحكايات الفوارس

زهلول في ارض الجان

الحلقة ٣والاخيرة

في أرض الجآن الأزرق

وبعد وقت يسير كان الرجال يطيرون في عنان السماء على ظهور الخيول الطائرة ؛ وإذا اعترضهم أحد في عنان السماء أو في الطريق صاح داود : أنا داود شيخ الجن يا هذا !

وبعد مسير أكثر من ثلاثين يوما وصلوا أبواب مملكة الملك همام ، ولما عرف حرس الأبواب أن القادم شيخ الجن داود قبلوا يديه ورحبوا به غاية الترحيب، فأرسل غلامه سفير إلى والدة الملك مخبرها برغبة شيخ الجن داود بزيارتها، فسعدت الملكة الأم بهذه الزيارة وهذه الرغبة، وأرسلت وفدا ليستقبل شيخ الجن داود ، ولما دخل قصرها قبلت أياديه ، وشكرته على هذه الزيارة الكريمة التي خصها بها ، وقالت : يا مولانا داود أهلا بك في مملكة ولدي همام !! .. ونظرت لضيوف داود مرحبة بهم وقالت : هذا خادمك سفير قد عرفناه .. ولكني أشم رائحة إنس في المكان!!.. لقد دخلت بلاد الإنس منذ أكثر من ستمائة عام ..

فأعرف رائحتهم يا سيدي داود! فهل هذا الرجل انسي يا شيخ الجن داود بن غسان؟! .. بل هل يعقل أن يصل إنس لهذه البلاد وهذه الديار؟! أم لعلك يا مولاي قادم من بلاد بني آدم ؟!

فابتسم داود ابتسامة واسعة وقال ضاحكا : أولا سلام الله عليك يا ملكة زادة! .. فهذا ولدي وصديقي زهلول! جئنا ومعنا حكاية من أغرب مما ستسمعين يا أم الملوك والملكات.. فهو إنسي كما حزرت وخمنت .. فأين نجلس؟ .. فأحب أن أجلس معك وحيدا .. يا سفير خذ زهلولا وانتظرني في بستان القصر.

وجلست الملكة الأم على انفراد مع داود ، واستمعت لسبب مجيئه ، وإلى القصة العجيبة التي معه فقالت بذهول واستغراب: الله ...الله!! سبحان الله! لا أكاد اصدق ما اسمع يا مولاي!! كيف وصل سالما لهذه البلاد؟! إن هذا جهد يعجز عنه أبطال وعمالقة ومردة الجن ..إنسي يصل لبلاد الجن الأزرق .. إن هذا لشي عجاب!

بعد أن زال الذهول عنها أرسلت الملكة وراء زهلول وسفير ، فقبل زهلول يديها من جديد ، وبكى وبكى حتى أبكى الملكة وشيخ الجن داود وغلامه سفير حتى أنها قالت : ألهذا القدر تحب ابنة ولدي ؟!

فقال شيخ الجن : يا ولدي يا زهلول ! فليسكن قلبك ، فقد وعدت الملكة أم الملوك والملكات بمساعدتك والوقوف معك ، فهي تقول بوصولك إلى هذه البلاد لأول مرة تستحق أن تكون ملكا من عظام ملوك الجآن .. فاطمئن فقد أشفقت الملكة عليك، ووعدتني بالمحافظة عليك وتبليغك مرامك ، فقص عليها قصتك من أولها لآخرها مع أنني ذكرتها لها ؛ ولكنها تريد أن تسمع الحكاية مرة أخرى من صاحب الشأن ، وعندما تنتهي منها ، ومن جمعك بحفيدتها بمشيئة الرب ستأمر بتدوينها وكتابتها لتحفظ في خزائن ملوك الجآن من بني نبهان ؛ لتعد من غرائب وعجائب ما يحتفظون به .

فتكلم زهلول ساعة وساعة وساعة عن هربه من زوجة أبيه ليلا إلى غابة الجن المرعبة ، وعن شفقة فتيات الجن عليه تلك الليلة ، وعن فقد الكيس السحري في القرية ، ومن ثم العودة لغابة الجن وقتله للجني الأسود ، ثم حبسه في بلاد الجن الأسود ، ثم العفو عنه بجهود صديقه الجني برهود ، ثم تعرفه على الملكة شهلا في قصر الأميرة فردوس ، وعن حبه وعشقه لها ، ثم زواجها بعدما رضخ لشروطها ، ثم هجرها له ، ثم مسيره إلى بلاد الجن الأزرق كل هذه السنوات الطوال حتى وصل إلى بين يدي الملكة زادة ، وقد عطفت عليه الملكة العطف كله ، وتأثرت من اخلاصه وغرامه

بحفيدتها ، وعادت للبكاء شفقة وتأثرا بحكاية الفتى زهلول وحبه لابنة ابنها وقالت : أعجب حكاية اسمعها في عمري المديد! .. فوصولك يا زهلول إلى هنا من أغرب ما في الدنيا ! فقد بلغت من العمر ما يزيد عن سبعمائة عام ما سمعت بدخول انسي لبلادنا كلها .

فقال داود باسما : أنا زدت على الآلف يا مولاتي ! وما سمعت بمثل ذلك ، ما العمل يا ملكة الدنيا ؟

فقالت الملكة بعد صمت عميق : أيها الشاب المغامر والذي أمضى سنوات عمره في المشي للوصول لزوجته شهلا بنت همام الملك .. فهمام ولدي يا ولدي يا زهلول الطيب! ولكن ليست لي حفيدة اسمها شهلا .. هل سمعت جاريتها تناديها بغير هذا الاسم ؟؟

أصاب زهلول الذعر والدهشة ، وكذلك شيخ الجن داود ، ورد عليها: لا ، يا مولاتي الملكة! اسمها الملكة شهلا ابنة الملك همام بن الملك الهدهد .. من ملوك الجآن الأزرق !

فرسمت الملكة الأم ابتسامة كبيرة على وجهها الساكن ، ونظرت لشيخ الجن داود الذي كان هو بدوره مندهشا مما يسمع وقالت: هون عليك أيها الإنسي ! ستصل إلى زوجك بمشيئة الله سبحانه.. سوف أدعو الملكات بنات ابني لتراهن خفية ؛ فإذا عرفت زوجتك منهن فاذكرها لي بعد انصرافهن .. وأنت يا شيخ الجن داود هل لديك رغبة في البقاء في ديارنا أم تريد العودة إلى قصرك في أول بلاد الجن الأزرق ؟؟

قال داود: سأمكث يومين أزور الملك هماما والملكة شهدة وبعض الأصدقاء بمناسبة حلولي ضيفا عليك ، ثم ارجع لقصري ، وأنا قد سلمتك هذا الإنسان فحافظي عليه كل الحفظ ، وحققي له مرامه جزاء سعيه وغربته كل هذه السنين ، ولتعلقه النادر بزوجته وولديه ، مع أنه كان في غنى كبير عن هذا التعب والهلاك ..فابحثي له عن زوجته ، ولا تخيبي أملي ورجائي فيك يا ملكة زادة يا أم الملوك والملكات يا صاحبة المكرمات المشهودات !.. وأما أنا يا زهلول فقد وهبتك الحصان الطيار فاحتفظ به وعد به لبلاد الأنس ذكرى من والدك الشيخ داود .

فقبل زهلول يدي الشيخ وشكره وأثنى على حسن اهتمامه به ، وغادر داود وغلامه سفير قصر الملكة وهو يقول : سوف أمر عليك أيتها الملكة مودعا قبل مغادرتي هذه المملكة .

ردت الملكة بكل احترام: أنا بانتظارك يا والدي العزيز .. فكلما أراك أيها الشيخ الجليل اذكر والدي ـ رحمه الله ـ واذكر حبه لك .. رافقتك السلامة .

رحبت الملكة بزهلول وأنزلته في جناح خاص لا

يدخله أحد إلا بإذنها ، وأوصت به الخادمة على أنه ضيف عزيز من رجال شيخ الجن داود ، وطلبت منه أن لا يكشف أمره لأحد ، ولا يذكر أنه من الأنس ، وعليه أن يبقى مرتديا للباس الجن الأزرق الذي وهبه له شيخ الجن داود حتى حين وأعلمته أنها أرسلت وراء حفيداتها من ابنها الملك همام لزيارتها في قصرها ، وحضرت الملكات في اليوم التالي ملبيات دعوة جدتهنّ الملكة الكبيرة ، وقد حولت الملكة زهلولا لجوهرة في تاجها وقد طلبت منه أن يحقق ويدقق النظر في بنات ابنها همام ؛ ليعرف من منهن حليلته ، ثم ليقل عنها وصفتها ، ولما اجتمعت الحفيدات بجدتهن بقاعة كبيرة ، كانت الجدة تضع في رأسها تاجا جميلا شديد اللمعان ، وفيه جوهرة جديدة هي زهلول ، وبعد أن رحبت الجدة بحفيداتها سمعت إحداهن تهمس : رائحة غريبة في القاعة أيتها الأخوات .. رائحة غريبة فعلا ..!!

فقالت الجدة : فلعلها رائحة تاجي الذي أضعه على رأسي في السنة مرة .. فقد أمرت الجواري بوضعه بالطيب والبخور .

ولما انصرفت الملكات من زيارة جدتهن المشتاقة لهن ، وغادرن المكان أسرعت الملكة إلى جناحها الخاص، وأعادت زهلول لصورته البشرية ، وهي متلهفة لمعرفة من منهن المتزوجة من بشر ؛ لأن بعضهن عزباوات لليوم فقالت بلهفة : من .. من هي ؟!

فقال بحزن ودمع : لا واحدة منهن .. غير موجودة معهن يا مولاتي !!

فقالت: أتعرف زوجتك جيدا ؟! فرد واثقا وهو يتنهد : مولاتي !! مكثت علاقة الزواج بيننا أكثر من خمس سنين، ولي منها ولدان .. صدقيني أنها غير موجودة معهن .

قالت : أصدقك ، فاعلم أن حفيداتي من الملك همام سبع ملكات ، ولم يحضر منهن إلا أربع.. دعني أتفكر قليلا .. إذن هي ليست واحدة من هؤلاء الأربع ، من الغد يا زهلول ساحولك لزر في ثوبي ، وأدور بك على الملكات الثلاث ، ولما نرجع إلى هنا تذكر لي من هي منهن .

قال : أمرك أيتها الملكة الطيبة .



في الصباح تحول زهلول لزر في ثوب الملكة زادة ، وانطلقت بزيارة إلى حفيداتها اللواتي تخلفن عن زيارتها في ذلك النهار ، فزارت الملكة شفة ، والملكة وردة الجن ، والملكة الصغيرة ريم النساء ولما تمت الزيارة لهؤلاء الملكات الجنيات ورجعت الملكة الكبيرة إلى قصرها ، ثم أعادت زهلول

لحالته الإنسية فقالت له : من هي يا أمير زهلول ؟!

فابتسم الرجل وقال : إن لم تخني الذاكرة يا مولاتي ! فامرأتي هي الملكة التي زرناها في الأخير فقالت الملكة الكبيرة وهي تهز رأسها : ريم النساء!! ..أنا توقعت ذلك منذ أن حدثتني بقصتك يا زهلول .. فهي ملكة غريبة الأطوار! ولليوم ترفض الزواج .. والجنية فردوس التي التقيت في بيتها بريم النساء قد تزوجت من أحد أحفادي الرجال .. عرفتنا عليها الملكة ريم النساء .. ولكني أجلت الحديث معها عن حكايتك حتى أرى وأتثبت من صدقك ومعرفتك لجسم زوجتك! اسمع يا زهلول سأرسل وراءها ، وعندما نجلس معا سأطلب دخولك علينا فتدخل وتجلس بجواري ؛ لنرى هل تعرفك الملكة بعد كل هذه السنوات ؟! .. كم لكم متفرقان ؟

رد بأسف وحزن : قريب من خمس عشرة سنة يا مولاتي! المدة التي قضيتها للوصول لبلادكم

أرسلت الملكة زادة غلاما لدعوة الملكة ريم النساء وحاجتها لها لتقضي معها بضعة أيام ورجتها ألا تتأخر عليها ، فردت عليها ريم النساء بأنها قادمة إليها خلال أيام ، وجاءت الملكة ريم النساء بعد أيام إلى مملكة والدها فزارت والديها ، ثم اتجهت إلى قصر جدتها زادة التي أخذتها بالعناق والتقبيل ، مما أدهش الملكة فهي منذ أيام التقت بجدتها ، وبعد أن استراحت الملكة وتناولت الطعام مع الجدة انتقلت بها الجدة إلى حجرتها الخاصة ولم تحدثها خلال هذه الساعات بشيء من شأن الفتى زهلول ، ولما استقرا في الحجرة الخاصة بدأت تسألها عن أخبارها وعن علاقتها بالأنس وصديقتها زمردة ، فابتسمت ريم النساء وقالت : يا جدتي العزيزة ! ذكرتيني بصديقة قديمة .. إيه .. ذكرتيني بغابة الجن القريبة من بلاد الأنس! .. وتنهدت بعمق وهي مسنغربة لحديث جدتها عن الأنس وزمردة ، وقالت : آه .. يا جدتي لي سنوات وسنوات لم أذهب إلى هناك .. وذرفت الدموع .
فقالت الجدة : لابد إنها ذكريات جميلة .. مالك تبكين يا عزيزتي ؟! .. مالك تبكين يا جنيتي الصغيرة ؟! .. هل من شيء يؤلمك ؟! هل تذكرت شيئا يبكيك ؟!

قالت ريم النساء : لا أدري .. ولكنها ذكريات!! وأخذت بالبكاء فتركتها الجدة ، وأدركت أنها لابد تذكرت زوجها في تلك الأمصار ، وخرجت وهي تقول : لا تخرجي سأعود بعد قليل يا حفيدتي .

وطلبت زهلول وقالت : سأدخلك الآن ، ولا تتكلم .. إياك والبكاء ، فالأميرة تبكي كأنها تذكرتك .. الزم الصمت .

عادت الملكة لحفيدتها وبرفقتها زهلول بثياب الجن الأزرق ، فنظرت إليه الملكة ريم النساء لترى من المرافق لجدتها زادة ، ونظر إليها بحب وشغف فارتجف قلبها لتلك النظرة الحزينة الباكية ؛ ولكن لم يخطر في بالها أن يكون هذا الداخل زهلولا ، وكيف يخطر ذلك ؟! ومع ذلك قالت لجدتها : يا جدتي ..هل هذا إنسي ؟! إني أشم رائحة الأنس في هذا المكان .. من هذا الرجل يا جدتي ؟!

فقالت الملكة وفي صوتها اضطراب : انظري إليه جيدا يا ريم النساء .

فصاحت الملكة وكلها توتر وقلق : زهلول ! .. هل يمكن أن تكون أنت؟!

وشهقت شهقة فأغمي عليها ، وشهق زهلول هو الآخر شهقة خر صريعا مغمى عليه ، فهرعت الجواري لمعالجتها وأشفقت عليها الملكة من الهلاك ، ونقلت زهلول إلى غرفته ، وظلت الملكة ريم النساء في غرفة جدتها ، ولما أفاقت من إغمائها قالت : يا جدتي ..هل هذا الرجل انسي ؟!

فهمست الجدة في أذنها : هذا زوجك يا ريم النساء ! يا ملكة شهلا ! ..وسأسمع منك القصة وأذكر لك قصة مجيئه إلى هنا .

روت الملكة الصغيرة قصتها في بلاد الأنس ، واستمعت ريم النساء بذهول وعجب إلى رحلة زوجها زهلول من بلاد الإنسان إلى بلاد الجن الأزرق ، واجتيازه كل المسافات والعقبات من أجل اللقاء بها وبولديه ، فأخذت بالبكاء والنشيج من جديد وجدتها تخفف من آلامها وهمها وقالت : قصتك وقصته عجيبة يا حفيدتي ، وسوف أقف معك ، ولا تخشي على زوجك من أذى الجن ، وهل أنت راغبة بالعودة معه لبلاد الإنسان ؟! إن كان الجواب بنعم ، فلسوف أتكلم مع والدك الملك ، ومع الأهل كلهم ، فهذه أول مرة ترتبط جنية زرقاء بإنسان ، فبعد كل هذه السنوات من التعب لا أظن أنك لا تريدين الذهاب معه .. أليس لك ولد منه ؟؟

قالت ريم بانكسار : بلى يا جدتاه!.. فقد كبرا وأصبحا فارسين شابين .. أين زهلول الآن ؟!

فقالت : أصابه إغماء وهو قادم ، فهذا الإنسي وفي لك ، ولولا حبه العميق لك ما قطع هذه البلاد والجبال والبحار للوصول إلى هنا .

دخل زهلول فقامت الملكة وقبلت يديه وعانقته ، وهي تذرف الدموع ، وفعل مثلها وهو يقول بخشوع : ألم تقولي وإن كنت حقا ترغب بي حليلة فأتني في بلادي ، واطلبني من أبي الملك همام بن هدهد ملك الجآن الأزرق . فها أنا قد جئت لأطلبك من أبيك الملك همام بن هدد ملك الجآن الأزرق .

قالت باكية : الحمد لله على السلامة .. اغفر لي ما

سببته لك من تعب وبأس .. أنت لم تف بعهدك ، العهد الذي تعاهدنا عليه يا إنسان .

فقال وهو يمسح دموعه الحارة المنسابة على خديه : الحب والصدق فيه هما اللذان دفعاني للمسير لبلادكم .. والأولاد فلذة من الكبد أيتها الملكة .. جئت لبلادكم بناء على رغبتك ؛ لتتأكدي من صدق عواطفي نحوك وتعلقي الكبير بك أيتها الملكة العظيمة ؛ فجئت لأطلبك من الملك .

واستمر القيل والقال بينهم ساعة من الزمن حتى قالت ريم : يا جدتي ، ما العمل الآن ؟

فقالت زادة: أفهم من كلامك ، ومما شاهدته من مشاعركم أنك ترغبين بالمسير معه إلى بلاده ألا تريدين التفكير بالأمر قبل أن يعلم أهل هذه البلاد بالقصة ؟!

قالت ريم : مولاتي الملكة ! أبعد كل هذه السنوات من زواجنا لزهلول لا أستطيع أن أقول لا ولكن هذا الأمر يحتاج إلى موافقة الأب والأم والجدة والاخوة ، وسأترك المملكة والتاج وأعيش معه حتى يفرق بيننا الموت إذا رضي الجميع بهذا الاقتران .

فقبل زهلول يدها وهمس قائلا : بارك الله فيك يا شهلا .. أنا مشتاق للصبية .. أرغب برؤية الأولاد يا مولاتي الملكة .

ضحكت الجدة زادة : وأنا يا حفيدتي ريم النساء لديّ شوق لرؤيتهما مثل الفتى زهلول قبل مقابلة الملك ؛ لأشرح له أمركما وأتشفع لكم عنده ، فهذا حدث غريب ونادر في بلاد الجن الأزرق !!

قالت ريم : هما ـ يا جدتي ـ في جزيرة الليمون مع خادمتي الخاصة ، ترعاهما وتقوم على خدمتهما

قالت الجدة : سوف نذهب كلنا إلى جزيرة الليمون .

مضت الملكة ريم النساء إلى والدتها لتودعها ، وكذلك لوالدها الملك همام ، وأعلمتهم أنها أنهت زيارتها لجدتها زادة ، وأنها ستصحبها معها إلى مملكتها وتستضيفها بضعة أيام ، وغادرت الملكة مملكة والدها برفقة حرسها وخدمها ، ثم لحقت بها الملكة زادة وزهلول ، وسافروا جميعهم إلى جزيرة الليمون ، وكم كان هنالك اللقاء سحريا وجميلا ، وبكى الجميع تأثرا عندما التقى الوالد بولديه ، وتعرف الشابان على والدهما ، وسرت العجوز بالشابين الصغيرين وبحسنهما وأدبهما ، ووعدتهم الملكة الأم بجمع شملهم من جديد إلى الأبد ، ثم غادرت إلى مملكة ابنها همام وبصحبتها زهلول ، ولما استراحت من الإرهاق الذي ألم بها من رحلتها الأخيرة أرسلت رسولا لولدها الملك تطلب مجيئه إليها لأمر مهم وخطير ، فلما حضر الملك همام كان منزعجا قلقا لطلب أمه العاجل ، فلما هدأت من روعه قالت : سأقص عليك أغرب حكاية في

حياتي !! ..وعليك أن لا ترد طلبي بعد سماعها أيها الملك الهمام !! ..فأنا أمك الملكة زادة بنت الملك شاهان ؛ وأحذرك من الرفض والغضب .

فقال دهشا : لقد أصابني القلق يا أمي ! ..أعاهدك على تحقيق مطلبك مهما يكن .

قالت : مطلبي عظيم ، ولا يمكن أن يخطر لك على بال !

فرد بعجلة وثقة يصاحبها استغراب لمَستطلب أمه العجوز : سأحققه ، ولو كان التضحية بنفسي أو تركي ملك هذه الأمة .. تكلمي يا أماه !

فقصت عليه قصة زهلول وريم النساء ؛ وطال الحديث لمنتصف الليل ، والملك يظن أن أمه تتخيل ما تحكيه له ، ولما انتهى الكلام قال : إنها لقصة خيالية ممتعة يا أماه !! أيعقل أن يصل انسي إلى هنا حيا ؟!

قالت : هذا ما جرى !!

قال وهو غير مصدق : أين هذا الإنسان الذي قطع كل هذه الأهوال والأسفار ؟!

فنحن عندما نزور بلاد الإنسان نلبس ثياب الريش السحرية لقطع تلك المسافات ، ونحن من الجن !

أتى زهلول ووقف بين يدي الملك ، وهو مصفر الوجه رعبا وقلقا ، ثم قبل يدي الملك الذي بهت وهو يقول : إي والله هذا بشر !!..هذا إنسي يا أماه !!

وبعد صمت مهيب قال الملك : هل صحيح ما سمعته من الملكة يا زهلول ؟

رد وجلا : نعم يا ملك الزمان ! .. قطعت كل هذه الفيافي والقفار والبحار والجبال ؛ لأطلب منك أن تبارك لي زواجي من الملكة شهلا عفوا ريم النساء .. من شيخ جن إلى شيخ جن إلى أن وصلت بلادكم الرائعة وملككم العظيم .. كما أرادت مولاتي الملكة ريم النساء .

قال الملك بهدوء وبعد صمت عميق : رغم خطورة الأمر واستحالته ..فأمام هذه التضحيات والصبر لا يستطيع المرء أن يقف عائقا أمامكم .. ولقد تعهدت لأمي الملكة زادة بتحقيق طلبها فهنيئا لك يا زهلول الملكة ريم النساء .. وأمام رغبة أربعة من شيوخ الجن الكبار لا نستطيع منعك عن زوجتك ؛ ولسوف أصنع لكما حفلا عجيبا تتحدث عنه ملول الجن الأزرق إلى آخر الزمان .. ابشري يا أماه ..فهذه أول حادثة في تاريخ الجن الأزرق أن يصل بشر لبلادنا .

فنهضت الملكة العجوز تقبل ولدها وتشكره لصفحه عن ابنته وغلطها بحقه وحق اخوتها وقانون الجآن ، وباركت لزهلول رضا الملك همام وصفحه ، وأرسلت رسولها إلى الملكة ريم النساء تدعوها وولديها للاجتماع بوالديها ، وانتشر خبر دخول زهلول الإنسي لبلاد الجآن الأزرق ،

وتعجب كل من سمع بذلك ، وهرع كثير منهم ليسمع القصة من الملك همام بنفسه وينظر هذا المخلوق الذي دخل بلادهم فأخذ الأمراء يتوافدون على قصر الملكة العجوز لمشاهدة هذا الإنسي ويسمعون قصته ، فأصبح زهلول حديث الجن الأزرق ، وأقام الملك همام حفلا عظيما وبهيجا دعا إليه ملوك الجن الأزرق كلهم ، فوصول إنسان لبلادهم يعد حدثا غريبا ومثيرا ، ودعي شيخ الجن داود لهذا الحفل ، وهنأ الملك بتجديد زواج ابنته الملكة من الإنسي زهلول ، ودام الحفل حين من الزمان ، وأصبحت الملكة ريم حديث فتيات الجن ، وشارك زهلول بالاحتفالات التي أقيمت له ببلاد الجن ، ولما انتهت مواسم الفرح والبهجة دخل زهلول على مولاه الملك وأخبره بحنينه لبلاده ورغبته للسير لبلاد الماء مع زوجته الملكة ريم النساء وولديه ، فأذن لهم ، وعزلت الملكة ريم النساء عن تخت مملكتها ونصبت ملكة مكانها واستأذن زهلول من الملكة شهدة والدة زوجته ، وكذلك من الملكة زادة ، وجرى لهم حفل وداع لائق بها ، وقد هيئ لزهلول ثوب من الريش السحري ولولديه ، وأخذت الأميرة خادمتها الخاصة بدر وبعض الجواري للحياة معها في بلاد الأنس ، وخرج الأمراء والملوك لوداع الملكة ريم النساء ، ورافقتها جدتها زادة وبعض الملوك إلى أطراف مملكة الجن الأزرق ، وذهب معها ألف جني من الجنود لحراستها وتوصيلها لبلاد الأنس وحمل معها ألف صندوق ممتلئة بالجواهر والأموال المتنوعة ، وركب زهلول حصانه الطيار هديه شيخ الجن داود ، وبعد مسير طويل بين الأرض والسماء وصلوا لبلد الماء ، فوجد قصوره مهجورة تعيش فيها الوحوش والغربان والبوم والأعشاب اليابسة ، فقام الجند بنصب الخيام الملكية حتى يتم اصلاح القصور الخربة ، فقال زهلول : كأن الناس هجروا المدينة يا ريم النساء !

قالت : لا تحزن ، سيعود كل شيء كما كان وأحسن وأبهى .

وأمرت الجند بتنظيف القصور والحدائق ، وانطلق بعضهم لشراء المتاع والأثاث من أكبر المدن وفرشوا ما جلبوه من بلادهم ، واتصل زهلول بصديقه برهود الذي جاء مسرعا ، وكان يظن أن زهلولا قد مات وانقطع أثره ، فسر لنجاحه وحمد الله على عودته سالما ، وبارك للملكة زواجها وعودتها لزهلول ، وقام بمشاركة الجند والخدم بترتيب القصور وفرشها وعمرانها ، وما دخل الليل حتى كانت القصور جاهزة للسكن ، ودبت فيها الحياة وازدانت بالأنوار ، وانصرف برهود وهو يعد صديقيه بالمجيء غدا وبصحبته

زوجته زمردة صديقة الملكة القديمة لتسلم عليهم وتبارك لهم الحياة الجديدة .

ودبت الحياة في القصور من جديد ، فكل من يمر من الناس من حولها يدهش ، ويذهب مخبرا لأهل المدينة ، فأخذ الناس يندفعون للقصور من جديد ، فهم ما زالوا يذكرون التاجر زاهر الدين وهم يتهامسون : هل عاد زاهر الدين؟! فإن الحياة قد دبت في قصوره ، فكان زاهر الدين يستقبلهم ويرحب بهم ويصنع لهم الطعام والولائم ، ولما كمل تجهيز القصور، وأفرغت صناديق الأموال والهدايا عاد الجند الآلف لبلادهم، وقد اشترى برهود عددا من الغلمان والخدم لسيد هذه القصور، وعلم الملك ملك مدينة الماء بعودة زهلول سالما وبصحبة زوجته الملكة الجنية ، فنهض مع وفد كبير من الأمراء والوزراء بزيارة المكان ، فوجدوا الأنوار تملأ القصر وتقدم جندي وقرع الباب ، فخرج إليه شاب جميل الصورة فقال : نعم ، من أنتم ؟

فتقدم الملك وقال للشاب : بل من أنتم ؟!

فقال الغلام : هذا قصر والدي الأمير زهلول .

قال الملك: من زهلول هذا ؟!

الغلام: أبي!! .. زهلول أبي .. من أنت أيها الرجل ومن هؤلاء الذين معك؟!

رد الملك بصوت حاد : هذا القصر كان لزاهر الدين بن شرف الدين .

ابتسم الغلام عندئذ وتذكر أن هذه اسم والده التاجر وقال : نعم ، هذا اسم له أيها السيد من أنتم ؟

رد الملك بحدة : أنا ملك هذه المدينة ! وهؤلاء أمرائي وجنودي ..هل أبوك هنا ؟

رحب بهم الغلام وأخبر والده بأمرهم ، فنهض زهلول بنفسه لاستقبالهم، وكان الملك يقول لرجاله: هذا ابن زاهر من زوجته الجنية إذن ، لقد رجع زاهر الدين أيها السادة .. ستعود الحياة لهذه المدينة مرة أخرى !

عانقهم زهلول فردا فردا ، وشكر لهم مجيئهم وسر بهم أمام الملكة ، وقادهم لقاعة الجلوس الكبرى ، فقص عليهم بعض حكايته وتجديد زواجه عند ملوك الجن الأزرق ، وعرفهم على ولديه الأمير نجم السماء والأمير قمر السماء ، ثم قال : عدت ولم أجد غلماني ورجالي وتجارتي .

واستمر الحديث بينهم والسمر حتى الفجر، وتخلله طعام لذيذ وفواكه شتى، ومنحهم زهلول الهدايا الجميلة، وودعهم حتى الباب، وهو يقول : بعد أيام سنعود للماضي والتجارة والبيع ، وتعود الشهرة للمدينة من جديد .

ركب الأمير زهلول جواده الطيار ـ حصان الشيخ داود ـ وركبت زوجته جوادا من جياد والدها ،

وفعل الأميران الشابان مثلهما ، وانطلقوا جميعهم ينظرون المدينة بعد غياب هذه السنوات الطوال ، وسأل زهلول عن والده فوجده قد هلك ، ووجد اخوته لأبيه في شر حال ، فمد لهم يد العون من جديد وأكرم أمهم ، وتفقد أخته تينة وأحسن إليها ، ودار على عدد كبير من الفقراء كان يراعهم قبل سفره لبلاد الجآن ، وفي المساء رجع لقصره فوجد أن برهود أحضر له المزيد من الغلمان ، وخصه الملك بعشرة من الجنود الأقوياء لحراسة القصور ، ولم يمض زمن حتى عاد إليه سروان وجروان ، وقد اغتبطا برؤيته وسر هو بهما ، فحدثاه عما حصل في غيابه ، فقال لهما : ما فات مات ؛ فلنبدأ من جديد .. ولسوف أجهز لكما قافلة من مائة حيوان ، وتأخذان خمسين غلاما واستأجروا عددا من الحراس ، واذهبوا لمدينة الحرير فبيعا ما على دوابنا واشتروا ثيابا حريرية حتى نجد غلاما يصلح لقيادة القوافل فيستلم العمل مكانكما .. وعندما ترجعان سالمين بإذن الله ستجدون المتجر قد تم تجهيزه .. ولعل صاحبنا صقرا يسمع بمجيئنا فيؤب إلينا ..فتعود يا سروان لإدارة القصر ، ويعود جروان لإدارة الدكاكين والمساكين وبعد أشهر عادت قوافل زهلول محملة بالبضائع الحرير والإستبرق والديباج، وأخذت الحياة تعود كما كانت عندما رجع زهلول لبلده ..وكان صاحبنا زهلول يعتقد بأنه أسعد البشر ، وقام بخدمة أخويه وزوجهما ، وفتح لهما دكانا يعملان بها ، وما عرفهما على نفسه ، فهما ما زالا يرونه التاجر زاهر الدين الرفيق بالفقراء والمساكين ، وذات ليلة قال زهلول لزوجته الملكة شهلا أو ريم النساء : أين الغلمان؟! نجم وقمر لم أرهما هذا النهار .

قالت : طلبا زيارة غابة الجن ، فأذنت لهما ولم يرجعا بعد ..هل أرسل خادمتيهما تبحثان عنهما في غابة الجن أم ننتظر بضع ساعات أخرى؟

قال زهلول : بل تذهبا الآن إني قلق عليهما ..أشعر بانقباض في صدري .

ذهبت الجنيتان الخادمتان في ظلام الليل الدامس إلى غابة الجن تبحثان عن الأميرين ، وعادتا مع الفجر من غير الأميرين ، فقلقت الملكة كثيرا ، وأيقظت زوجها الذي غلبه النوم وهو في انتظارهما ، وأسرت له بالخبر، فقام مسرعا وارتدى ثيابه وأمر بإعداد جواده ، وقال بغضب يشوبه خوف عليهما : هيا نذهب للبحث عنهما !

فقال لغلامه سروان بأنه ذاهب مع زوجته لغابة الجن يبحث عن ولديه الغائبين، وركب جواده الطيار والملكة على جوادها وأسرعا إلى غابة الجن يبحثان؛ ولكنهما لم يجدا شيئا في طول غابة الجن وعرضها ؛ ولكنهما في أحد أطراف الغابة وجدا

جنية عجوزا، فسلما عليها وسألاها هل رأت أحدا في الغابة أو شيئا غريبا؟!

قالت العجوز: أنا وصلت هذه الغابة قبل قليل ؛ ولكني وأنا في طبقات الجو مساء أمس شاهدت فرسانا من الجن يحملون شابين صغيرين ، وهما يصرخان ويستغيثان ، فتكلمت معهم فنهروني بشدة ، وهم سائرون جهة المشرق .. وأنا الآن وصلت هذه الغابة ، فلابد أنهم الآن قطعوا مسافة بعيدة بها .

قال زهلول وهو يحدق البصر في زوجته : لابد أن يكونا ولدينا يا ملكة الزمان !

قالت الملكة : يا أمي ! هل عرفت من أى جن هم ؟

أجابت العجوز : إن لم أخطئ الظن فشكلهما من الجن الأسود .. فأنا أعرف مثل هؤلاء الجن يا بنيتي ..ولكني مندهش منك ومن صاحبك ! فأنت جنية وهو إنسان ؟

تناولت الملكة شهلا يد العجوز وقبلتها وقالت : أيتها العجوز! لي قصر قريب من غابة الجن ما رأيك بأن أستضيفك؟!.. وهل من حاجة اقضيها لك ؟ فأنا ملكة من ملكات الجن الأزرق ولكني لما تزوجت هذا الإنسان خلعت عن تخت الحكم ، ونصبت مكاني ابنة أخى الأكبر.. أنا ريم النساء! وإذا سمعت بالملك همام بن هدهد فأنا إحدى بناته

نهضت العجوز وعانقت الملكة بكل حب وإعجاب واحترام ، ثم قالت : كأني سمعت بقصة غريبة لك!..فأنا لي صديقات من الجن الأزرق .. إذن أنت التي تزوجت بشرا وتركت مملكة والدك ؟!

ردت ريم : أجل يا أماه !..وكما قلت لك هذا زوجي الإنسى .

فقالت العجوز : قبلت ضيافتك يا ابنتي الطيبة .

قالت شهلا : هيا نعود للقصر يا أمير زهلول .. ثم نذهب إلى ملك الجن الأسود ونقص عليه أمرنا

رحبت الملكة شهلا بالجنية العجوز ترحيبا طيبا وأكرمتها غاية الإكرام، وأوصت خادمتها بالاهتمام بها حتى ترجع من عند الملك جلاد هود ، ورحلت برفقة زهلول لبلاد الجن الأسود

فرح الملك جلادهود برؤيتهما وبارك لهما الزواج ، ولما سمع الغاية من زيارتهما طلب أحد وزرائه وأمره بالاهتمام والسؤال عن ولدي الملكة ، وأعلن الملك مهددا بأن أي شخص من الجن الأسود يخفي معلومات عن الأميرين نجم السماء وقمر السماء فمصيره الهلاك والعقاب الأليم ، فهذا الحدث قد يسبب ويثير حربا بين بلاد الجن الأزرق والجن الأسود ، فلما انتشر الخبر في البلاد قدم جني واعترف أمام الملك جلادهود بأن يتيم زاد هوا هو الذي تعرض لهما وخطفهما ، فأرسل الملك وراءه

فقيل إن له عدة أيام غائب عن بيته ، فأصدر أمرا بالبحث عنه وجلبه قدام الملك ، وقال لزهلول والملكة : يا ملكة الجآن الأزرق .. زهلول هذا كان سجينا عندنا في مصرع ابن أخى زاد هوا منذ سنوات كثيرة .

وذكر لها قصة زهلول عندما سجن في سجنه ، والملكة تسمع وهي تعرف وتعلم هذه القصة بالتفصيل وبسببها دخل زهلول عالم الجن ، ثم قال : وأعتقد أن زهلولا قد رواها وفصلها لك

ردت بأدب جم : أجل يا ملك الدنيا ! وكانت سبب دخوله عالم الجن ، ومن ثم تعرفي عليه في قصر الأميرة فردوس .

قال الملك : حق .. حق هذا يا مولاتي الصغيرة !.. فزاد هوا المقتول خطأ كان عنده صديق يحبه كثيرا له ولد صغير ، فقتل هذا الصديق في معركة من معارك زاد هوا ، فكفل هذا الصبي الصغير وعنى بتربيته وتعليمه وتدريبه ، فلما قتل زاد كما تذكرين وسمعت كان عمر هذا الصبي خمس عشرة سنة ، وكان يدعى بيتيم زاد هوا فحقد على زهلول ، ولما تدخل ملك من ملوك الجن الأصفر وعفونا عن زهلول زاد حقد الفتى عليه وكرهه له .. فكأن هذا الرجل ما زال حاقدا رغم مضي كل هذه السنين ، وعندما التقى بأولاد زهلول في غابة الجن ربما تذكر ثأره والماضي ونسي أم الأبناء ، .. فأرجو أن لا يكون المنحوس قد آذاهما .. ولسوف يعاقب عقابا مرا .. فنحن لا نستطيع معاداة ملوك الجن الأزرق يا مولاتي الصغيرة .. أمهلينا بضعة أيام حتى يعود أتباعنا من البحث في نواحي البلاد والأرض .

فقالت الملكة : يا مولاي الملك ! سأصبر سبعة أيام ؛ فإن لم يأتني خبر عنهما وعن يتيم زاد هوا سأطلع والدي الملك همام بن هدهد على جلية الأمر ؛ وليبحث لي عنهما .

فقال الملك : اصبري يا ملكتنا الصغيرة ! لابد أن يكون الخبر عندنا قبل مضي الأيام السبعة .

وغادرت الملكة وزوجها بلاد الجن الأسود إلى قصرها وهي على نار الجمر والقلق والخوف من غدر يتيم زاد هوا بهما ، وعلم أهل بلدة الماء بضياع ولدي الأمير زهلول زوج الجنية فتألموا لألمها وحزنها ، وخشوا عليهم من القتل ؛ ولكن زهلولا استمر في عمله كالمعتاد من بيع وشراء وزيارات واستقبال وتصدق على الفقراء والضعفاء ، ولكن خف سهره مع الأصدقاء في الليل وأما الأميرة فقد اشتغل واشتعل قلبها على الولدين ، ولما عادت من بلاد الجن الأسود سألت عن العجوز الجنية فأخبرتها الخادمة قائلة : لقد سافرت ، وشكرتك على حسن الضيافة ووعدت بزيارتنا وهي عائدة من سفرها .

قالت الملكة : ألم تذكر لك قصتها وسبب مجيئها لغابة الجن ؟!

ردت الخادمة : بلى يا مولاتي .. لقد ذكرتها لي لأذكرها لك .

فقال ريم النساء : اسمعينا ما عندك ؟

فقالت الخادمة بدر : إنها تبحث عن رفات ولدها.. فقد جاءها الخبر بأن ولدها قتل في بلاد الغان .. فهي ذاهبة هناك للتأكد من موته وانقضاء أجله .. وقالت إنها عند عودتها ستمر على الملكة ريم النساء وتذكر لك قصة ابنها المقتول ، وتركتني وطارت ..هذا ما سمعته منها يا مولاتي الملكة .



ولدا زهلول والملكة شهلا

قدمت الأميرة زمردة وزوجها برهود لزيارة صديقتها الملكة شهلا ، ولما عرفت باختفاء الشابين شاركت صديقتها الحزن والأسف ، ثم قالت معاتبة لها : لم لم ترسلي لي يا عزيزتي؟!..ألسن صديقات منذ عهد بعيد؟! ..فالذي أتى بنا إليكم الأبناء ، فهم قادمون وراءنا لزيارة نجم السماء وقمر السماء ، فهم بشوق لهم والبقاء عندكم بضعة أيام ، ولسوف يحزنون الآن لضياعهم فهم يحبونهم جدا .. فحتى ابنتا الأميرة بحر تتمنى أن تتزوج من الأمير قمر السماء عندما تصبح عروسا ، وهي قادمة معهم.. ماذا يجري لها عندما تعلم الحدث وقد اختفى العريس؟!

ابتسمت الملكة لهذا الكلام ، وأبدت اعتذارا على عدم إخبارها ، ثم قالت: شكرا على هذا الكلام يا صديقتي الطيبة .. ظل يوم واحد ويرد والدك الملك علينا .. ثم اطلع والدي على جلية الخبر ليساعدنا في البحث عنهما .

تكلم برهود قائلا : لا تخافي عليهما أيتها الملكة؛ فإذا ذكرا ليتيم زاد هوا أنهما ولداك فلا يستطيع أن يفعل بهما شيئا .. فهو يعلم أن مصيره الفناء والموت إن مسهما بسوء.. وأن يظل هاربا من بلد إلى بلد حتى يقبض عليه أو يموت ..اطمئني يا ملكة الزمان .. ولا تخافي .

قال زهلول بقلق الأب : الحقد والبغض يدفعان المرء إلى عدم النظر في العواقب .

قالت الملكة وهي تنظر في السماء : أرى في الأفق جندا قادمين .. لعلهم من عند والدك الملك يا زمردة الطيبة !

هبطت مجموعة من الجن الأسود أمام باب القصر ، ثم دخلوا على الملكة مسرعين ، وقد كانوا فعلا رسلا قادمين من عند الملك جلاد هود ، وبعد

التقاليد المعتادة قال كبيرهم : أيتها الملكة الكريمة نحن رسل الملك جلاد هود إليك ، فهو يطمئنك على ولديك ، ويعلمك بأنه قد تم القبض على أعوان وأصدقاء يتيم زاد هوا ، ولسوف يتم القبض عليه سريعا ، فهو هارب من أتباعنا ، ويطلب منك الملك التأني وعدم التعجل باطلاع والدك على الأمر .. وقد يزورك قريبا ليحدثك عن أخبار ولديك وعن مكان إخفائهما .

وقبلوا أيدى الملكة والأميرة زمردة ابنة سيدهم ، ثم انصرفوا إلى ملكهم ، فقالت زمردة : يا مولاتي ..لا تخافي واطمئني .. سيأتى والدي بنفسه قريبا ويخبرك عن مكان الفارسين الصغيرين إن لم يحضرا معه .

الذي حدث لنجم السماء وأخيه قمر ، بينما هما يلعبان في غابة الجن مساء ذلك اليوم اقتربت منهما جماعة من الجن الأسود فيهم يتيم زاد هوا ، وبعد حديث وتعارف جاء ذكر زهلول ، فتذكر اليتيم مولاه المقتول قديما في غابة الجن ، فقال لجماعته : هذه فرصة أيها الشجعان ! للانتقام من زهلول قاتل زاد هوا .

فغدروا بالأميرين وأوثقوهما بالحبال ، وطاروا بهما إلى بلاد بعيدة ، وفي الطريق التقت بهم الجنية العجوز التي مر ذكرها فزجروها عن الفضول ، ونهروها عن التدخل في شأنهم ، وفكروا بأخذهما لبلدهم وأماكن سكناهم ؛ ولكن يتيم زاد هوا قال: لنأخذهما إلى بلد في آخر الدنيا.. إلى بلاد الثلج والجليد .. فهناك قصر مهجور ، كان لأحد ملوك الأنس ، فلما قتل هجر القصر ولا يعيش فيه أحد منذ سنوات كثيرة ، فنرميهما هناك حتى نوجع قلب أبيهما عليهما ، ويطول البحث عنهما ، كما أوجع قلوبنا بقتل سيدى الفارس زاد هوا .

وبالفعل ألقوهما في ذلك القصر الخرب ، ونزعوا عنهم لباس الجن حتى لا يستطيعا الطيران ، وقال لهم يتيم زاد هوا وهو يشيعهما مودعا : دبرا نفسيكما في هذه الأرض الجرداء .

فاستغاثا به وبأعوانه ، وذكروا لهم أن جدهم من سادة وأكابر ملوك الجن الأزرق همام بن هدهد فلم يكترثوا لهم وأعمى الكره قلوبهم ، بل قام بعضهم بتحقيرهم وشتمهم وعادوا لبلادهم .

ولما رجعوا علموا أن أمرهم افتضح ، وأن الملك جلاد هود غاضب ناقم عليهم ، وأمر رجاله بالبحث عنهم في كل بقاع الدنيا ، فخافوا على أنفسهم من العقاب ، فقام أكثرهم بتسليم نفسه

ومنهم من تبع يتيم زادهوا وأوغل في الهرب، ثم ذهب هو والهاربون مرة أخرى للقصر المهجور ليتصالح معهما ؛ ولكنه لم يجدهما ، فازداد هلعه وخوفه وأحس بغلطته ، فبدأ يفكر بطريقة يتخلص بها من غضب الملك جلاد هود ، فهام في الأرض على وجهه هو ومن معه ، وقد وصل جند الملك جلاد للقصر المهجور ولم يجدوا الشابين ، فأصابهم الهلع وخشوا أن يكون قد عاد يتيم زاد وفعل بهما أمرا منكرا ، فبحثوا في جميع حجرات القصر وما حوله من الغابات والكهوف والآبار ولا أثر لهما ، والذي حصل لهما أنه عندما تركهم رجال الجن الأسود كان في القصر جنية لم ينتبه لها هؤلاء ، وسمعت استغاثة الشابين بخاطفيهما ، فاختبأت حتى لا يشعروا بها ، ولما انصرفوا وابتعدوا عن المكان ظهرت للصبين ، وهي تقول لهما : لا تخافا .. من أنتما ؟! ..أنا الجنية زرقاء .

قال نجم : نحن ولدا الأمير زهلول من بلاد الماء ، وأمنا من الجن الأزرق الملكة ريم النساء .

قالت بدهشة : من زهلول هذا؟! ..ولماذا تركهما هؤلاء الجن هنا ؟!

فقال أحدهما : زهلول هذا إنسي تزوج من أمنا الجنية ، ويبدو أن هؤلاء الجن حاقدون على والدنا فخطفونا من أجل ذلك للانتقام من أبينا زهلول .

قالت: اطمئنوا لي ، ولا تخافا ، سآخذكما معي إلى مدينة الصغد ، وهي مدينة يسكنها الأنس ، ومنها تسيرون لبلادكم .. فأنا لا أستطيع ترك هذه المنطقة ، فحياتي مهددة بالخطر ؛ وإذا قابلتما والديكم ، فسلما عليهما واذكراني لوالدتكم ؛ لعلها تساعدني فيما أنا فيه من العذاب .

نقلتهم الجنية زرقاء لمدينة الصغد ، وهي في أشد الخوف ، وعادت مسرعة للقصر ، فوجدت عملاقا من الجن ينتظرها ، وهو غاضب عليها الغضب الشديد ، ويصيح فيها : أين كنت أيتها الفاجرة ؟؟ هل كان عندك أحد؟!

قالت : لقد هربت ! لقد دخل المكان مجموعة من الجن الأسود .

فصاح هائجا حاقدا حانقا : أنت كاذبة ! أنت ملعونة !!

وأخرج سوطه بعد أن قيدها ، وانهال عليها ضربا بالسياط ، وهي تصيح وتولول ولا مجيب

ولا مغيث ، ولما حضر الجن الأسود يبحثون عن الغلامين مرة أخرى ، شاهدوا العملاق والجنية فقادوهما مكبلين لملك الجن الأسود الذي اتهمهما بقتل الشابين الأميرين ، فأنكر العملاق مشاهدتهما ، وذكرت الجنية زرقاء ما فعلت بالأميرين ، فأمر الملك بحبسهما حتى يظهر الأميران ويتأكد من برائتهما .

وانطلق الجند الأسود لمدينة الصغد يبحثون عنهما

، والذي جرى لهما أنهما عندما تركتهما الجنية زرقاء في طرف مدينة الصغد كانت الدنيا على وشك الظلام ، فمشيا وقد نهش الجوع جوفيهما فطرقا أحد البيوت ، فخرج لهما رجل ضخم الجثة غزير شعر الرأس وطويله ، فقال لهما : مرحبا ادخلا ..ماذا تبغيان أيها الجميلان ؟!

فقال نجم السماء : نحن جائعان ، فتصدق علينا ببعض الطعام والشراب ونحن غريبان من بلاد الماء .

فأدخلهما الرجل الضخم إلى غرفة ، وأحضر لهما قطعة لحم مشوية ، وهو يقول لهما بهدوء وبرودة أعصاب: هذه رجل طفل صغير .. الآن أخرجتها من الموقد كلوها ، ولا تذرا منها شيئا .

فقال نجم السماء وهو يبحلق في الرجل : طفل !!.. تعني رجل إنسان يا هذا ؟!

فقال الرجل ببساطة : نعم .. أنا آكل لحم البشر.. فكل طفل أو إنسان يقع في قبضتي يصبح لي قوتا وطعاما ، فأنتما الآن كلا ما قدمته لكما قبل أن تصبحا طعامي .

نظر الشابان في عيني بعضهما لحظات ، ثم قال قمر : يا هذا نحن جن من الجن الأزرق .

فقال الإنسان الوحش : أنا لم أتذوق في حياتي لحم الجن فهذه فرصة طيبة .

فرد عليه نجم : لا بأس أيها الوحش أتريد أن تأكلنا ؟! .. حسنا ، فهات لنا طعاما عاديا ، ولما نسترد عافيتنا فكلنا .. فنحن لا نأكل لحم البشر .

فابتسم الوحش وقال: هذا كلام مقبول، لدي فراخ سمينة سأشويها لكما انتظراني ، وأخذ الرجل المشوية ، وقضم منها قطعة لاكها وخرج وتركهما في الغرفة ، وعاد بعد زمن يسير وهو يحمل الدجاج المحمر ، فأكلا قليلا واستردا بعض عافيتهما ، ثم قال نجم : كيف ستذبحنا أيها الوحش ؟!

فقال : اتبعاني ؛ لأدخلكما على المسلخ والموقد لتشاهدا ذلك قبل موتكما .

فحمل مشعلا وقادهما لسرداب لا يسع عرضه إلا شخصا واحدا وهو يقول : ادخل الفريسة من هذا النفق وحده على غرفة الذبح ، ثم افترسه واقطعه بالسكاكين والفؤوس واضعه في الفرن واشويه ..ادخلا السرداب فأنتما شابان وديعان .

قال نجم : نعم .. نعم أيها الوحش .. نحن هاربان ونكره الحياة ، فهذه فرصة لنتخلص من الحياة ، ونكون لحما طازجا لبدنك السمين .

فتقدمهما الوحش ؛ فإذا هم في غرفة صغيرة ممتلئة بالفؤوس والسيوف والمدى ، ومنها منفذ إلى موقد النار ، فلما استقرا في الغرفة قال قمر : كيف تصيد البشر ؟

رد الوحش : يأتون إليّ بأنفسهم مثلكم ، أو يبيعني

إياهم بعض الأصدقاء ، فلي معارف في هذه البلدة ، وكل الناس يعرفون أني آكل البشر .

قال نجم السماء مخاطبا أخاه : يا أخي الطيب اسمح لي أن أقدم نفسي بالذبح عليك .

فصاح قمر: لا .. أنا أولا .. أنا سأقتل نفسي قبلك .. لا أحب أن أراك مذبوحا قبلي

فصرخ نجم : وأنا لا أريد أن أراك مذبوحا قبلي ؛ فأنا أكبر منك سنا ، ولحمي أسمن من لحمك دعني أيها الوحش أن أقتل نفسي قبل أخي .

فقال قمر : يا وحش .. اختار أحدنا ليذبح نفسه قبل أخيه أمامك .

فقال الوحش : ألم أقل إنكما وديعان مسالمان؟! ..لا تتشاجرا على الموت أمامي .. اقتلا نفسيكما معا .. سأدفع لكل واحد منكما مدية حادة ؛ وليضرب كل واحد نفسه بها .

فصاح نجم : هذا هو العدل .

وتناول سكينا من يد الوحش ووضعها عند عنقه ، وفعل قمر مثله ، وجلس الوحش على كرسي وهو يقول : اقتلا نفسيكما .

فلما تأكدا من حدة السكاكين ، واستعدا لسفك دميهما ، فغمزا بعضهما ، وهجما على الوحش بالسكاكين ، فصاح الوحش وحاول القيام ؛ ولكن قمرا تناول فأسا وضربه على رأسه فخر صريعا ، وقد تناثر دمه ، وقد ملأ الغرفة والشابين ، فخرجا من القبو مسرعين ، وهما سعيدان بأنهما أنقذا البشرية من مثل هذا الوحش الغادر ، وكانت الدنيا ظلاما دامسا ، فإذا هما في الشارع يركضان ، وهما يسمعان شخير الإنسان الوحش يطاردهما ، ولم يتوقفا إلا على صوت رجل يصيح بهما ويأمرهما بالتوقف ، فتوقفا فقال لهما : مالكما تركضان كأنكما هاربان من شيء مرعب

فقصا عليه قصتهما مع الإنسان الوحش، فقال: سآخذكما إلى قائد الشرطة؛ ليسمع منكما هذه الحكاية ، ليذهب معكم إلى منزل هذا الوحش ، ويتأكد من صدقكما !

فذهبا مع الرجل إلى قائد الشرطة ، فاستمع القصة ، وشاهد الدماء المبللة ثيابهما ، ثم قال : أخشى أن تكونا قد قتلتما الرجل طمعا في ماله وثروته ؟!

وأمر رجاله بحبسهما في السجن حتى يتأكد من صحة وصواب أقوالهما ، وأمضيا يوما وآخر في السجن ، فسألا السجان عن أمرهما ، فنصحهما بالصمت ، فقال : اسكتا ولا تتكلما ، ذلك خير لكما .. وبعد أيام نعتقكما ، فلا أمن هنا ولا راحة .. هنا القوي يأكل الضعيف .

وبينما هما يفكران بطريقة يخرجان بها من السجن ناداهما السجان ، فأخذتهما ثلة من الجند إلى سلطان البلد الذي سلمهما لمجموعة من الجن الأسود ، فتعجبا للأمر وخافا ؛ ولكن قائد المجموعة

طمأنهما قائلا : لا تقلقا ، نحن نبحث عنكم منذ أيام .. نحن أصدقاء .

الذي حدث أن الجنية زرقاء زوجة العملاق أخبرت ملك الجن الأسود بأنها تركتهما في مدينة الصغد أقرب المدن للقصر المهجور ، فانطلق الجنود لمدينة الصغد يبحثون عنهما إلى أن علما أنهما في السجن ، فمشى وفد منهم إلى ملك المدينة ، وطلبوهما منه ، فأعطاهم إياهما من غير تردد وغير إمهال ، فحملوهما إلى ملكهم الذي حمد الله على عودتهما سالمين ، وأرسل رسولا عاجلا لأمهما وأبيهما، فقصا على الملك قصتهما مع يتيم زاد هوا الذي وقع بدوره في قبضة الجن الأسود فأمر الملك بطرحه في السجن حتى يظهر الشابان ، فلما ذكرا الجنية زرقاء ومساعدتها لهما ، قال الملك : أخرجوها على الفور ؛ لنسمع قصتها مع هذا العملاق .. ثم نكرمها جزاء مساعدتها للشابين .

فحضرت وزوجها أمام الملك جلاد هود ، فسألها الملك عن قصتها مع هذا العملاق ، فصاح العملاق محتجا : إنها خائنة يا مولاي الملك ! .. إنها عاشقة لغيري !

فطالبه الملك بالصمت ، وطلب منها أن تروي حكايتها ، وكانت تبكي بحرارة وغزارة ، ثم قالت : يا مولاي الملك ! هذا الرجل تزوجني رغما عني ، وهو يعلم أنني راغبة بابن خال لي .. فضحك على أبى وتزوجني رغما عن إرادتى ، وشاهدني مرة مع ابن خالي ، فاتهمني بالفجور والخيانة ، وما زال يعذبني ، وحبسني في القصر المهجور الذي سجن فيه الأميران .. فأنا يا مولاي الملك لا أرغب فيه ، وأتمنى أن تخلصوني منه .

فقال الملك مخاطبا العملاق : ولماذا لا تتركها وهي لا ترغب فيك ؟!

فقال : لا استطيع .. لقد أعطيت والدها مالا كثيرا ، ووافق على زواجي منها .. ولن أتخلى عنها أبدا أيها الملك ولو قطعتني إربا إربا .

فقال الملك مبديا تعجبه واصراره : كيف تحيا مع أنثى لا ترغب بك وتبغضك ؟!

وقبل أن يسمع الإجابة أخبره الحاجب بمجيء الملكة ريم النساء والأمير زهلول ، فنهض الملك عن كرسيه مرحبا ومستقبلا لهما ، وتعانق الأبناء مع والديهم ، وسلمت الأميرة زمردة التي أتت بصحبة الملكة شهلا على والدها الملك ، وفعل برهود مثلها، ولقد كان لقاء الأسرة دافئا وخصوصا بين الأم وولديها ، وأظهرت شكرها وامتنانها للملك جلاد هود ، وعاد الفرح للقلوب بعد هذا الغياب اليسير ، واستمعوا لقصة خطفهما بالتفصيل ، وحبسهما في مدينة الصغد جزاء قتلهما للإنسان الوحش ، ولما انتهت الوليمة التي رتبها لهم الملك ، وهموا بمغادرة البلاد ، قال لهم الملك :

فما تريدون أن نصنع بيتيم زاد هوا ؟!

فضحكت الملكة ثم قالت : افعل به ما تشاء يا ملك الزمان !.. فهو أحد رجالك ، ومن المهم أن لا يعتدي علينا مرة أخرى .

ورجعوا لبلدة الماء والحبور والسعادة تملأ نفوسهم بعودة الأميرين سالمين، وعم الفرح من جديد مدينة الماء على عودة أبناء زهلول ، وصنع زهلول كعادته وليمة كبيرة لسكان المدينة ، وتصدق ووهب وأنفق ، وشكر الله على نجاة أولاده من كيد يتيم زادهوا ، واستمرت الولائم مدة عشرة أيام للخاصة والعامة ، وحضرت العجوز السالفة الذكر من بلاد الغان ، ونزلت ضيفة على الملكة شهلا التي سعدت بعودتها ، ولم تنس فضلها في مطاردة الخاطفين ، فحمدت العجوز الله الملك العلام على سلامة الأميرين ، وقالت لشهلا قصتها إن لها ولدا تعلق بساحرة في بلاد الغان وبدأ يعمل معها بالسحر والشعوذة والسخرية من بني الإنسان ، وفي يوم سحروا امرأة ، وفرقوا بينها وبين زوجها ، فاستعانت بساحرة ثانية لها رئي من الجآن ، فحدثت معركة دامية بين ولدي وجني الساحرة الأخرى ، فقتل على أثرها ولدي ، فجاءني الخبر ، فذهبت لأتأكد من مصرعه وأنا في طريقي سمعت صراخ الشابين ، وما جرى بيني وبين الجن الأسود معروف لكم ، ثم سافرت لبلاد الغان ، وقابلت الساحرة ، ورأيت جثة ولدي ، فوجدته هو المقتول فعلا ، فدبرت مكيدة للساحرة أوردتها المهالك ، وعدت إليك لأتابع مسيري إلى بلدي أيتها الملكة .

ولما انتهت العجوز من رواية قصتها ، قالت الملكة : أنا في خدمتك ، ولن أنسى معروفك وفضلك عليّ ما حييت .

عادت الحياة الهادئة إلى قصر زهلول ، فتجارة قادمة ببضاعة ثمينة ، وبيع وشراء ، وسهر مع الأصدقاء ، وإحسان على الضعفاء ، ونزهات هنا وهناك ، وذات نهار دخل عليه رجل كهل ، فطلب منه المال والإحسان ، فحدق به زهلول بضع دقائق وقد عرفه فقال : يا هذا من أى البلاد أنت ؟

فذكر اسم بلدته ، فقال زهلول : كان يسكن في قرية قريبة من غابة الجن قروي عجوز .. ووصفه زهلول ، فقال الرجل : من أين تعرفه يا سيدي الكريم ؟! ..إنه والدي .

قال زهلول : أعرف أنه والدك .. ما أخباره أما زال حيا ؟!

رد الرجل : لا .. قد مات منذ زمن .

رجع زهلول للوراء سنوات ، عندما كان غلاما معدما ، ثم هتف قائلا : أتذكر يا هذا الغلام الذي سرقتم كيسه العجيب عندما حل عليكم ضيفا ؟!

فقال الرجل: ويحك! يا سيدي الكريم ، كأنك كنت معنا .. أتقصد زهلولا الغلام الساحر؟!

قال زهلول وهو يبتسم : أى نعم ، زهلول ، فيا هذا أنا زهلول صاحب الكيس العجيب

فقال الرجل : سبحان الله ! أمعقول هذا؟ آنت الرجل الغني زوج الجنية التي يتحدث عنهما الناس في القرى والمدن ؟!

قال زهلول وما زال الماضي أمام عينيه : نعم ، يا هذا! أنا ذاك الغلام المغفل الساذج الذي اشتريتم له الثياب الجميلة ، وأدخلتموه الحمام ليستحم لتسرقوا ذاك الكيس .. ولولا سرقتكم لكيسى ـ بعد مشيئة الله ـ لما تعرفت على الملكة شهلا ، وما صرت التاجر زاهر الدين الذي تراه أمامك.. لله في خلقه شئون .

وبينما هما يتذكران ، ومسروران بذكرى تلك الليلة ، جاء غلام وهمس في أذن زهلول : الملكة ترغب برؤيتك الآن ، فقام زهلول وهو ينادي على جروان ويقول له : اكرم هذا الرجل ، فهو من الأشخاص الذين كانوا سببا في هذه السعادة والأموال التي أكرمنا الله بها .. فالملكة تريدني في أمر عاجل .

وركب جواده الطيار للقصر ، ودخل على الملكة ، فوجدها تبكي ، فرق قلبه واضطرب ، فنظر للجواري ؛ فإذا هن يبكين أيضا ؛ فازداد دهشة ورعبا ، ورأى رجلا غريبا من الجن الأزرق فقال : ما الأمر يا ريم النساء ؟! .

فاقترب الجني ، وقبل يدي الأمير ، وقال بحزن : والدة الملكة مريضة جدا! وترغب برؤية ابنتها ريم النساء .

فقال زهلول وقد عاد الهدوء لقلبه : لا تجزعي يا مولاتي الملكة !..فجهزي نفسك واذهبي لرؤيتها .

فقامت وقبلت يديه وقالت : خشيت أن تمنعني من ذلك .. جزاك الله خيرا .. سآخذ الأولاد معي .

فقال زهلول : إذا رغبوا بذلك فخذيهم معك لا مانع لدي .

فقالت وهي تمسح دموعها : شكرا لك يا زوجي الكريم الطيب ، سأغيب ربع سنة فقط ، وأكون عندك بإذن الملك العلام .

وافق نجم السماء على مرافقة أمه إلى بلاد الجن الأزرق ، وأما قمر السماء فقال: أما أنا فسوف أزور الأميرة بحر بنت برهود وزمردة ، وأقضي عندهم بضعة أيام ، فلي أكثر من شهر لم أرها فمعذرة يا أماه !.

ولبست ريم النساء ثوبها الريش ، وفعلت خادمتها الخاصة مثلها ، وكذلك فعل نجم السماء ، وأحضر زهلول كثيرا من عقود الجمان والجواهر الجميلة؛ لتأخذها الملكة معها لتهديها لأهلها وجرى وداع كبير في القصر للملكة ، وكتب زهلول رسالة للملك همام بن هدهد ، ثم سافروا

لبلاد الجآن الأزرق ، وبعد رحليهم سافر قمر السماء إلى الأميرة بحر بنت برهود ، وذهبت معه جاريته الجنية لتلك البلاد .

وبعد سفرهم بأيام مات ملك البلاد ، ولم يكن له ولد حي يرث تاجه ، وتشاور الناس والأمراء على تتويج الأمير زهلول أو زاهر الدين ملكا على البلاد والعباد ، واجتمعوا على باب قصره واطلعوه على رغبتهم وشهوتهم تلك ، فاعتذر لهم قائلا : أنا لا أصلح للحكم ! .. أنا أصلح للبيع والشراء وعد النقود !

وضغط عليه الشعب والأمراء ، فأبى وأصر على الرفض ، فطلبوا منه أن يختار لهم حاكما ، فبعد تفكير قال : ليخرج أهل البلدة جميعهم صغيرهم وكبيرهم غنيهم وفقيرهم إلى أكبر ساحة ، ثم نخرج حمامة الملك من قفصها ، ومن تقف على رأسه أو بدنه نتوجه ملكا علينا.

عين يوم صحو لمثل هذا العرض ، فخرج الناس إلى أكبر ساحة في البلد ، واجتمعوا فيها رجالا ونساء شبابا وكهولا لاختيار ملكا لهم ، واحضروا حمامة الملك للميدان ، وأخرجوها من القفص وأطلقوها فطارت في عنان السماء ، ثم عادت للقفص فزجروها ، فطارت ثم عادت للقفص فطردوها ، وأخفوا القفص ، فحلقت في الفضاء ثم اقتربت من الناس ، فارتفع الصراخ فطارت قبل أن تهبط على الأرض حتى وصلت إلى حيث يجلس غلام بعيدا عن الناس ، فنزلت عليه ، فأسرع الناس إلى الغلام وحملوه على الأكتاف وقالوا : جلست الحمامة على رأس هذا الغلام الصغير !

فصاح زهلول : هذا ملككم الجديد !!

فأخذه الأمراء إلى قصر السلطان ، وأدخلوه الحمام ، وألبسوه الثياب الملكية ، ونصبوه ملكا عليهم ، واختاروا له كبير الأمراء والوزراء ، وبدأ الناس بمبايعة هذا الغلام بالملك على بلدة الماء ، وكان عمره ثلاث عشرة سنة ، ويدعى زجاج ، وهو غلام يتيم الأب والأم ؛ فإذا هو ملك من ملوك الدنيا !!



روايات اجتماعية

أستاذ الفرنساوية

الحلقة ٢

حبيبة محمد

كانت حبيبة عائدة من بيت أخيها مازن وقد صحبها زوجها خالد موسى في تلك الزيارة الخاصة لأخيها وزوجته المريضة خديجة ، ولما تعشيا العشاء الخفيف كما تعودا ، وأخذت الخادمة

الأولاد للنوم جلس الزوجان في صالون البيت ، فقال خالد وهو يترك كوب الماء على منضدة صغيرة أمامه : أخوك مازن ناقم جدا على ابن عمه فارس .. اشتكى منه كثيرا .. كل الجلسة شكوى منه ..

ردت حبيبة قائلة : رغم أننا متزوجون أنا وأنت منذ أكثر من عشر سنوات ما زال أخي حاقدا عليه ؛ لأنه لم يتزوجني .. والكل منهم يقول الزواج قسمة ونصيب وقدر.. مازن كان يعتقد أنني سأكون زوجة لفارس كما أنه زوج لخديجة .. ولما أحب فارس تلك الفتاة التي تزوجها بعد تخرجه من الجامعة ، وعلم مازن بذلك أصابه جنون ، بل لوح بتطليق خديجة إن لم يتزوجني فارس .. كنت أنا أيامها أدرس في الكلية .. لم يكن بيني وبين ابن عمي علاقة خاصة .. كنا كأولاد عم وأقارب وجيران .. كنا نسكن في حي واحد قبل رحيل أبي لضيق المكان فيما بعد .. فلليوم يبدو أن السيد مازنا غير مقتنع أنني متزوجة من حضرة الدكتور خالد ـ كلها أخبار قديمة والزواج قدر .. والدكتور فارس مرتاح مع زوجته .. وأخوك للأسف يعتبر حادث زوجته خديجة أن سببه فارس ؛ لأنهما كانا في زيارته وتهديده للصلح مع والده .. والرجل لم يستقبلهم الاستقبال اللائق ، بل كان حديثهم على باب الفيلا على رصيف الشارع ويفتخر أنه حقره وشتمه وبصق عليه في الشارع وأمام زوجته وبناته

قالت حبيبة : أخي مازن عنيف وأخلاقه فيها خشونة .. لا أدري لماذا كل هذه الأحقاد والمشاجرات ؟! .. كل إنسان حر في زواجه وحياته .. وأنا كذا مرة ذكرت له أنه ليس بيني وبين فارس رباط أو كلام في الزواج .. لاعتبره غدر بي أو خانني .. فالرجل اختار .. لم يرفضني أو أنه كان يحبني كعروس الغد .. وإنما هذا كان كلام الكبار .. كأبي وعمي .. وكان الشاب يتردد علينا بحكم القرابة ، وبحكم زواج مازن من شقيقته .. ولم نأخذ كلام الكبار على محمل الجد .. بل لما التحق بالجامعة لم نعد نراه في البيت إلا نادرا .. وكان مازن هو الذي يدندن حول زواجي من فارس .. فارس لحبيبة وحبيبة لفارس .. فلما لم يحصل النصيب ؛ كأنه تعقد وأحس أن فارسا غدر به ، وأن كرامته سقطت في الوحل .. ووقفت خديجة معه مؤيدة بحكم أنه زوجها ، ولترسخ ذلك في ذهنها ظانّة كغيرها أن الرجل فارس أحلامي ومتلهفة للاقتران به .. وأنا لم يكن بيني وبين الرجل شيء يا خالد .. ولا حتى رسالة أو كلام فارغ ممن يسمونه الحب .. وحتى جلساتنا كانت جلسات عائلية في غاية الاحترام والحشمة .. وكان الرجل ذكيا وحديثه ممتعا ؛ لأنه قارئ نهم وجيد .. فكان يقرأ ويقرأ .. فكنا ننبهر بمعلوماته

لصغرنا فهو يكبرني بسنين .. ولما دخل الجامعة قلّت زيارته لبيت العائلة .. ولما دخلت الجامعة مثله زادت ثقافتنا ومعلوماتنا ..

ـ أنا ليتني مرة أقابله، ولا يجعل من عداوته لفارس موضوع حديثنا يا حبيبة ..آه ! إذا كان معنا جابر تحلى الجلسة .

تبسمت وقالت : جابر ..أيضا تعصب لخديجة ومازن .. واعتبر ترك فارس للزواج مني إهانة كبرى للعائلة كلها .. فكان من الجوقة التي اشتد غضبها ونقمها على فارس .. ولكن لما دخلت أنت على الخط خفت الحملة بعض الشيء على فارس .. وما زالت النار مشتعلة للأسف رغم مرور عشر سنوات على زواجي منك .. فالحقد عليه يجمعهم ويربطهم .. وأن إهانة حلت بهم جهل .. جهل .. حقيقة لمت مازنا أكثر من مرة ؛ لأنه هو المتعلم منهم ، فهو متخرج من الجامعة وإن احترف العمل في بيع وتجارة السيارات وتعلق بها من العمل مع أخواله .. ولكن لما اتركه ينسى ما لمته به .. ويعتبر كلامي كلاما في الهواء والفضاء .. والنساء عنده لا شيء حتى لو تخرجن من أكسفورد .

فقال خالد : أنا وربما لاحظت أحب التهرب من لقاءات شقيقك الفردية لكثرة حديثه عن عدوه فارس ورفضه نكاحك.. وهو للأسف ينسى أنه يتكلم مع زوج حبيبة .. ولا يعجبني هذا الكلام .

ـ يا سيدي لا تهتم به .. نحن لولا مرض أم عصام لما زرناهم .. فزيارتي لهم في المناسبات لا مهرب منها .. ولكن يا عزيزي لا أستطيع منعهم من زيارتي والمجيء إلينا بحكم القرابة وبحكم أننا أطباء .. فأقل الناس تواصلا اجتماعيا مع العائلة هو الدكتور فارس .. فهو للأسف منذ أساء له جابر يوم وفاة امرأة عمي لم يزر والده ، وحتى أسمع أنه لا يحدثه بالهاتف .. هدى الله الجميع وغفر الله لهم .. رغم كثرة الشفاعات فما زال السيد حاملا على أبيه زاعما أنه وراء تطاول جابر عليه وصفعه مرتين أمام الناس .. وأن زعله على جابر تمثيل في تمثيل .. ومشهد مسرحي



اتصلت خديجة محسن بزوجها في متجره معلمة إياه أن والدها وعمها سالما في انتظاره في البيت لأمر هام .

فترك المتجر عائدا للبيت وهو في حيرة من هذه الزيارة في نصف النهار ، فرحب بهما، وتظاهر بالسعادة برؤيتها وهو متوجس خيفة منهما ، وبعد المجاملات التقليدية قال مازن : عسى أن يكون مجيئكم لأمر طيب ؟!

تنحنح محسن ثم قال : أنا يا مازن عتبان عليك .
لم يرد مازن إنما زاد تحديقه في وجه عمه ، فتابع محسن الذي زاد عن الستين سنة من العمر قائلا : هل أنا يا ابن أخي طلبت منك الذهاب لفارس لتهدده ليزورني ويتحدث معي ؟!
فنهض مازن قائما وقال : ويلاه ! .. وهل أنتظر يا عمي العزيز حتى تطلب أنت مني ذلك ؟! الرجل لم يبق عنده ذرة حياء .. هو لم يأخذ أحد الدكتوراه في الدنيا إلا فارس ؟ ذهبت أنا وهذه المسكينة ـ مشيرا لزوجته ـ لنصحه وإرشاده وتذكيره بحقك .. فهو يزعم أنك أنت الذي دفعت جابرا لصفعه أمام العائلة ويتهمه بقتل أمه بالجلطة التي أودت بحياتها .
فلما سكت فقال العم سالم : اهدأ يا ابن أخي .. وعد للجلوس .. نحن نعلم قصدك الشريف ولكن علمنا أيضا أنك أهنته ، وبصقت على اتجاهه في الشارع وهددته .
فصاح مازن معترضا : إذا الواحد رفع صوته على ناس فهل معنى هذا تهديد ؟ أنا ضقت ذرعا من فعله وهجره لعمي وقد طال الهجر .. قد بلغ العام .. والرجل غير مبال وغير مكترث .. وكثيرا ما أسمع عمي يقول : لماذا لا يأتي فارس ؟ ماذا فعلت له ؟ ألم أغلق المخبز من أجل خاطره ؟ ألم .. ألم ... ؟ فحز هذا كله في نفسي .

ـ والبصق ؟!
ـ لقد رفض دخولنا بيته للمعاتبة .. أنا وأخته الكبيرة .. تصور هذا التصرف ، هذا الموقف اللئيم يا عم .. نحن نحل مشاكلنا في الشارع .. بل كان يسعى للفرار .. لا يريد مقابلتنا .
فقال محسن : يا ابن أخي أنا رجل كبير وبمقام والدك الغالي محمد جابر ـ رحمه الله تعالى ـ فأرجوك وأرجوك لا تتدخل بيني وبين فارس وغير فارس ..
احتد مازن وصاح : هو اشتكى لك ..
فقال سالم : لم يشتكِ أحد يا مازن .. إنما علمنا بهذه المعلومات من ابن عمك محمود .. ومحمود علم ذلك من ابنك عصام .
ـ ما المطلوب من يا عمي ؟ عدم التدخل بين العم وابنه العاق اللعين .. حاضر يا عمي ـ ووضع يده اليمنى على رأسه ـ .. أنا أصلا طول عمري أكره هذا الفارس العاق القاتل لأمه .. سأبتعد عن حياته .. وأنا أشفقت عليك يا عم محسن .. فجابر حردان .. وفارس حردان .. لم يعجبني هذا الحال والكل يتفرج .. اعمل خيرا تلق شرا ..
فقال محسن محاولا تهدئة الوضع : يا عم جزاك الله خيرا على نيتك الصالحة
وقال سالم : يا ابن أخي الزمن كفيل بإصلاح الأمور .. وسعيك مشكور

فقال مازن : على كل حال أنا آسف يا عمي محسن ويا عمي سالم أنتم كبار العيلة ماذا أقول ؟

غضب مازن

بعدما رافق مازن أعمامه حتى باب البيت ، وركبوا السيارة عاد إلى حيث كانت خديجة تجلس وكلها رعب وتوجس فهي أعلم الخلق بسلوك زوجها وعنفه ، فقال بنبرة غاضبة : أرأيت عاقبة السعي في إعادة فارس للأسرة ؟! أرأيت الحسد والغيرة ؟ ألم أقل لك دعينا من فارس وأبي فارس ؟

حاولت خديجة التخفيف من حدة وغضب زوجها ، ولكن لطبعه الخشن صب غضبه ونقمته على زوجته المريضة العليلة ، وهي تترجاه أن يهدأ وأنها تتعهد له بعدم التدخل في شؤون فارس وغير فارس .. ولما احتدم الصراخ والغضب فزع عصام هو وزوجته على الصياح وبكاء أمه .

ولم تجدِ دموع وبكاء خديجة في تخفيف سخطه ، حتى أن الشجار وصل لعصام الذي تلقى صفعة قوية من يد أبيه نتيجة حشره نفسه بينهم ، فاشتد غضب عصام وهدد بترك بيت العائلة فما كان من رد مازن إلا أن قال : مع ألف قلعة .. نرتاح منك ومن المصروف عليك .. هو الكراج الذي تعمل فيه يطعمك خبزا .. اغرب عن وجهي .

عادت خديجة للتوسل والرجاء لتهدئة الحال ، ولكنّ عصاما ركب رأسه وأصر على ترك بيت العائلة ، وأنه ليس بحاجة لقرش منهم .

وكان خلال أيام يغادر بيت العائلة إلى بيت استأجره ، ولم يهتم ويكترث لدموع أمه وتوسلها لخزي الشيطان .

ولما عاد مازن في مساء ذلك اليوم واخبر أن ولده البكر رحل عن البيت قال لخديجة : هذا ما جنيناه من التدخل في شؤون فارس اللعين .. الحادث الذي عطلك عن الحياة الزوجية .. وأبعد الولد عنا .. فاعلمي يا ابنة العم أنني صممت على الزواج .. وعليك أن ترحلي أنت وبنيك للحياة مع السيد عصام ما دام قد صار رجلا ويقدر يفتح بيتا .. وأنا سأبحث عن زوجة جديدة وإذا لم يعجبك هذا القرار فالمحكمة بيني وبينك .. أنا بحاجة لامرأة .. أنا رجل كهل .. لا استطيع الحياة مع امرأة عليلة تحتاج لمن يخدمها .. وامرأة ابنك تخلت عنك .. أريد امرأة أخرى

قالت بانكسار : افعل ما تشاء يا ابن عمي .. تزوج .. من حقك الزواج .

بعد مضي أسابيع على خروج عصام من بيت أبيه مازن حتى سمع الناس أن الرجل قد خطب امرأة جديدة قد تخرجت من الجامعة حديثا ، ولما سأل محسن ابنته عن السبب قالت : أنت السبب يا أبي .

قال محسن دهشا : أنا ؟!

ـ نعم ، أنسيت لقاءك والعم سالما بمازن ؟ وقد

حذرته من التدخل بينك وفارس .. فلما انصرفتما صب جام غضبه عليّ يا أبي .. واعتبرني زوجة غير صالحة مشلولة ، وهو بحاجة لزوجة حتى لا يقع في الحرام .. فتدخل عصام لفض الخلاف بيننا فطرده من البيت وأسكنني محله .. فكل هذا من تحت رأس فارس .. فهو لعنة من اللعنات يا أبي .

ـ لا ، وألف لا ، هو اتخذ ذلك ذريعة للزواج ، فهو كان يلحن ويدندن للزواج منذ أصبت بالمرض .. وهو كان عامل نفسه شيخا علينا يا خديجة .. فلما طلبت منه الكف عن التدخل بيني وبين أولادي .. حسم أمره وتمرد .. على كل حال يا بنتي الرجل القوي لا يستطيع أن يبقى بغير زوجة .. وأنت لا تحبين لزوجك الزنا والفاحشة

ـ الحمد لله يا والدي أنا قبلت ورضيت بنصيبي وقدري .. ولولا وجود الأولاد الصغار لربما طلقني ورماني في الشارع .

ـ بيتنا يسعك يا أم عصام .. هذه الدنيا وتقلباتها .. علينا الرضا بالمقسوم والمقدر ..لا يكمل الإيمان إلا بالتسليم للقضاء والقدر .. فالحلال أفضل وأشرف من الحرام فمازن ليس كأبيك العجوز ليس له رغبة وإرب في النساء .. فتحملي .. وأعود فأقول بيتي بيتك ومالي مالك .. وهو يبقى ابن عمك ووالد أبنائك .. اصبري اصبري واتقي الله

تزوج مازن واسكن زوجته الثانية في شقة زوجته القديمة ، وقنعت خديجة بالحياة في ظل راجل كما يقال .

خيانة

ذات صباح كان حمدي جُد شقيق السيدة ثريا متجها إلى عمله كعادته ، وكان عليه قضاء مهمة للعمل في منطقة قريبة من سكن فارس قبل أن ينطلق لمكان عمله ونشاطه ، ووجد أن لديه متسعا من الوقت بأن يمر على بيت شقيقته لشرب كوب قهوة أو شاي ، ويتحدث معها ويسمع أخبارها ، وهو يعلم أن ثريا لابد أن تكون في البيت في مثل هذا الوقت الباكر.. لأن الوقت لم يكن وقت زيارات خارجية فما زال النهار في أوله.



ولما اقترب بسيارته من مدخل فيلا فارس شاهد شخصا يدخل الفيلا مرتديا لملابس أنيقة ، فظن للوهلة الأولى أن فارسا ما زال في البيت لم يخرج لجامعته ، فتحمس للدخول أكثر ، فركن السيارة على طرف الشارع ثم مشى نحو الفيلا .. وتطلع حيث الموقف الخاص بسيارة فارس فوجده فارغا .. فدخل ولم يقرع الجرس ، وقد وجد باب الفيلا الداخلي مفتوحا وقال لنفسه متشككا: لم يخدعني بصري رأيت شخصا دخل الفيلا ؟!

فلما دخل الفيلا ونظر الصالة التي تواجه الباب ،

فلم ير الداخل ولا فارسا .. فاضطرب وهتف : ثريا ثريا

فجاءت مسرعة مضطربة خائفة وهي ما زالت بثياب النوم فقالت : حمدي .. حمدي .. هل من شيء ؟!

ـ أين فارس ؟

ـ ذهب لجامعته

ـ لقد رأيت رجلا يدخل الفيلا !

ـ لم يدخل أحد .

نظر إليها نظرة حادة وقال : ثريا لست أعمى .. كنت أركن السيارة عندما دخل ظننت فارسا في البيت

ـ لم يدخل أحد .. بصرك خدك

تقدم بجراءة نحو غرفة .. فخرج الرجل وقال : عفوا

فنظر لأخته مستنكرا وقال : من هذا يا ثريا ؟!

فصاحت برجاء : استر يا حمدي استر

ـ أتخدعين زوجك ؟! .. هذا آخر شيء توقعته منك

توسلت إليه قائلة : استر عليّ يا حمدي أغواني الشيطان

صاح بغضب : أي شيطان ؟! أنت الشيطان .. لقد عادى الرجل أهله من أجلك من أجل الزواج منك .. من هذا العشيق ؟

تسلل الرجل هاربا ، وصفع حمدي أخته وقال : ماذا سنقول لفارس ؟ لقد فضحتينا

أخذت تقبل يده وتبكي وتترجى أن يستر عليها وأنها ستتوب

فقال بحدة وغيظ : لا تريدين زوجك اطلبي الطلاق ..أما الزنا وخداع فهذا عمل مشين

فقالت من بين دموعها : لم نزن .. إنما نحن أصدقاء

قهقهة وهو في ذهوله وقال : أصدقاء ؟! صديق يأتي في هذا الصباح بعد خروج الزوج والبنات تقابلين الصديق بهذه الثياب العارية .. يا للعار!

أختك يا حمدي خائنة ماذا سأفعل يا ملعونة ؟

فقالت : انس كأنك لم تر شيئا

ـ يا للوقاحة .. ثم ؟

ـ ثم لن ترى مني شيئا

ـ أهو أول عشيق ؟! لا أعتقد هذا .. ماذا ستقولين لبناتك يا ثريا هانم ؟ يا ثريا العفيفة ؟

ـ سامحني يا حمدي .. أنا أخطأت ..استر عليّ .. إن فارسا لم يعد يحبني إنني لم أعد أراه كثيرا .. هذا الذي سمح لي بالتمرد .. يخرج من الصباح ولا يعود إلا في وقت متأخر

ـ هذا لا يبرر الانحراف .. والإساءة ليست لفارس وحده .. العار يلحق أباك وأخاك وأهلك لو الأمر محصور فيك لهان الخطب .. هذا لا يبرر ما رأيت .. ألم تكوني تعايريني من الزواج من امرأة

صديقي الميت يا ثريا .. يا للعار !! إني حائر .. ماذا أفعل ؟! أنا لا أرضى لنفسي الزنا فكيف أراه لأختي ؟!

قالت بتوسل : صدق أنني لن أسمح لأحد أن يدخل بيتي من جديد

ـ من جديد ..ألم أقل لك إن هذا ليس أول رجل تخونين زوجك معه ؟! .. أنا لا أحب العنف وأنت تعرفين ذلك .. هذا زوجك المغفل يجب أن يعرف ليقرر

فصاحت : هل جننت يا حمدي ؟ سيقتلني

ـ لن يقتلك .. فهو ليس من الرجال الذين يقتلون .. لقد ضربه جابر وبصق عليه ولم يحرك ساكنا ، فالرجل هادئ يا خائنة .. فارس رجل مسالم وأكاديمي .. ونحن علمنا أن ابن عمه مازنا أساء إليه وتحمل وسكت .. وليست المشكلة في فارس وحده ..المشكلة أمك وأبوك .. ماذا أقول لهم ؟ أأقول لهم ذهبت لشرب فنجان شاي عند ثريا هذا الصباح ووجدتها تستقبل عشقيها في بيت زوجها

ـ هذه حياتي ..أنت تضخم الموضوع .. صدق لم يحصل بيننا أي شيء حرام

ـ لا أدري كيف أصدق ؟!.. ولماذا خرج من غرفة نومك؟ .. جاء يتغزل بك وينصرف .. ثريا ذاكرتي تعود للوراء .. الخادمة التي اتهمتيها بالعشق والهوى منذ سنوات .. وإنك وجدت معها رجلا .. لم أنس دموع تلك الخادمة .. إنها تنظر إليّ الآن .. إني أتذكر بشكل جيد .. إنني أتذكر اتهامك إياها ..ألم أقل إن هذا ليس أول رجل في حياتك ؟.. أنت خائنة رغم أنك أختي .. وصدق يومها زوجك أن الخادمة هي الخائنة وليست أنت .. وأن الخادمة بعد خروجك تتصل بعشيقها .. صدقناك يومذاك .. اليوم أنت وحدك في البيت من ستتهمين ؟ ما الحل ؟

قالت : الحل دعني وشأني .. لما يعرف فارس يفعل بي ما يحلو له من العذاب .. أنت لست زوجي ولا أبي ولا أمي .. وصرخت : أنا حرة .. أنا حرة !!

خرج حمدي في غضب وحيرة من بيت ثريا ، وهو يفكر بماذا يفعل بجريرة ثريا ؟ هل يفضح نفسه وأسرته ؟ هل يصرح لفارس بما عرف ؟ كيف سيكون موقفي أمام فارس اللعين ؟ هل اصمت حتى يكتشف الزوج جريمة زوجته وخيانتها ؟ نحن لن نستطيع أن نكون مثل الغربيين وغيرهم بدون غيرة وشرف .

كتب رسالة صغيرة لفارس زوجتك تخونك

لما قرأها فارس تعجب منها فهتف قائلا : من كتبها من أقاربك يا فارس؟! مازن لا أعتقد .. جابر .. لا أظن .. كيف تخونني ؟!

بعدما تلقى فارس تلك الرسالة القصيرة والتي فيها خبر خطير وهو أن زوجته تخونه ..أخذ يفكر

بمن فعل ذلك وكتب له ؟ فكر بمازن وجابر .. وعادت به الذكريات عندما اشتغلت زوجته في المصرف وإلى ذلك الشاب الذي كان يرافقها ويوصلها للبيت .. وتذكر الخادمة .. والتهمة التي ألصقتها بها ثريا .. لأنها نبهته لدخول الرجل الغريب بيته دون علمه .. وبعد تفكير عميق طلب إجازة لمدة أسبوعين من إدارة الجامعة ..



لما علمت ثريا بهذه الإجازة تفاجأت للوهلة الأولى .. ولم تبد حماسا لبقائه في البيت ، فهو منذ تزوجها فمن النادر أن يأخذ إجازة داخلية لمدة أسبوعين .. وبعد أسبوع وضع أمامها الرسالة القصيرة زوجتك تخونك .. فلما قرأتها تلون وجهها فقال لها : من تظنين كتب لي هذه الرسالة يا ثريا ؟

لزمت الصمت ، وامتقع لون وجهها رعبا ، ثم لما رأته لم يتكلم قالت : لست أدري!! حسادنا كثر كما تعلم .

فقال بهدوء فهو له أسبوع يعد نفسه لهذه الحوار: ولكني مصدق ما في هذه الرسالة هذه المرة .

فصاحت فجأة : أتخونني يا فارس ؟!

ـ لم أنس تلك الخادمة .. لم أنس ذاك الزميل موظف البنك

ـ قلت لك لم يكن بيننا شيء يا فارس .. مجرد زميل يحب توصيلي للبيت ، وأنت تعلم زحمة السيارات .. وهو موظف في البنك

ـ لا تظني أنني صدقتك تلك الأيام .. كنت أخشى الفضيحة .. بعد أن قاتلت بقوة من أجل زواجنا .. من أجل أن تكوني زوجتي يا ثريا .. كانت العائلة ترفض الاقتران بك .. ضغطوا بقوة .. ومع ذلك صممت على الزواج منك رغم تهديدهم أن مازنا سيطلق خديجة إن لم أتزوج شقيقته .. فاضطررت أن أصدق أنّ الخادمة تكذب وتفتري عليك .. وأن الرجل الذي كان في البيت صديق للخادمة وعشيقها .

فأخذت تقسم وتحلف أنها لم تخنه ، ولما كفت عن الحلف قال : ولكنك تحبينه .. ذهب حبي لك في الهواء .. ذهبت حرارة ودفء الحب الذي كان في ساحات الجامعة مع ولادة سلوى .. أنا مصدق لهذه الرسالة ؛ لأنه لا يكتبها إلا صديق ناصح .. ليس جابر ولا مازن .. فهم لا يعلمون بقصة الخادمة .. وذاك الموظف ماذا كان يعمل في البنك ؟ حسنا سأذهب لمقابلته ، أريد أن ارتاح يا ثريا أم أطلقك ويذهب كل في حال سبيله بدون فضائح .. حياتي وعملي في الجامعة لا تحتمل الفضائح الأخلاقية .. ومن أجل بناتنا عليك الانفصال بهدوء وبغير شوشرة

وعدته بأنها ستحبس نفسها في البيت لن تخرج إلا معه، ولو حتى مات أبوها ، وأن يحضر خادمة لتكون سجانة لها قال : لا ، لا أريد المزيد من الشهود .. علينا أن نفترق بهدوء وبدون شوشرة أنا لا أقبل أن يكون لي شريك في الفراش .. وأنا لا أستطيع ترك عملي لمراقبة تحركاتك وتلفوناتك .. فهذه الرسالة لم تأت من فراغ .. لا تنفع الدموع اليوم .. البنات فكرت بأمرهن ستذهبين لأهلك بدونهنّ ..سأطلب لهن مربية خاصة وأجنبية .. وسأنقل سلوى لمدرسة داخلية

صاحت هائجة : أنت مجرم !

ـ لست مجرما .. أنا أعطيتك كل هذه السنوات كفرصة لتصلحي اعوجاجك وحالك ولكن السماح لم ينفع معك .. ما زلت تغدرين بي ، ولولا أن الرجل الناصح رأى شيئا جديدا ما كتب لي هذه الرسالة.. وإذا رجل البنك محب لك فبمجرد طلاقنا سيتقدم لك حتى لو كان متزوجا كما زعمت أيام تلك الخادمة

بكت بين يديه فقالت : كيف تثق بهذه القصاصة ؟

فقال: وكيف أثق بك أنا بعد هذه القصاصة زوجتك تخونك ؟ أتخشين أن لا يقترن بك بعد زواجنا ..؟

بعد صمت يسير قال الدكتور فارس : ولكن أحب أن أخبرك قبل ذهابنا للمحكمة .. أنني متزوج عليك يا ثريا متزوج منذ ثلاث سنوات يا ثريا

فقالت مغتصبة ضحكة : لست غبية يا سيد فارس .. فأنا أعرف ذلك لا تظن أنني مغفلة كما تزعم ..فالمرأة تعرف الرجل عندما يعود من عند امرأة غيرها ؛ ولكني سكت ظننتها نزوة عابرة كما نسمع .

فقال : تزوجت لما أصررت على خيانتي .. لم أكن جاهلا سوء أعمالك .. صبرت على أمل أن تعقلي وتتركي ذلك الموظف .. صبرت من أجل حبنا المزعوم فكان حبنا وهما ..فمبارك عليك عشيقك يا مدام .. اسمه حسون .. مبارك عليك حسون .. لما جاءت الرسالة قلت انكشف الأمر .. سوف يشيع الأمر وأنا في غنى عنك وعن خيانتك .. ما أدري ما الذي أعجبك فيه ؟! لزمت الصمت .



وتم الطلاق قبل انقضاء إجازة فارس، ولما قابلت حمديا شقيقها قالت : ارتاح ضميرك . فنظر إليها باحتقار وقال : ماذا تقصدين ؟!

ـ الرسالة التي كتبتها لفارس .

ـ لم أكتب شيئا لفارس .. وإياك أن تدخلي بيتي يا ثريا .. أنا أكره شيء عندي الخيانة الزوجية فليأت

عشيقك ويتزوجك .

ـ أنت مجرم أيضا ..

ـ مجرم .. مجرم ، عندما تصبحين امرأة صالحة ..

ستعود الأخوة بيننا

ـ لست بحاجة إلى هذه الأخوة .

ـ لو كنت تحترمين الأخوة ما فعلت فعلتك .

وغادر منزل أبيه غاضبا .

الفضول

لما انتشر خبر طلاق فارس لثريا نزل هذا الخبر على مازن وجابر خبرا صاعقا ومثيرا ، والكل يسعى لمعرفة سبب هذا الطلاق لمعرفة السبب الحقيقي لذلك ، فحب الرجل لفتاته كان مدويا في العائلة والجيران ، فقد رفض الرجل ضغط والديه وأعمامه للزواج من حبيبة من أجل الزواج من ثريا ، فكان مازن يقول لجابر بفضول شديد : ألم تعرف شيئا من أمر هذا الطلاق المفاجئ ؟

ـ لقد حاولت بكل قوة ، ولم أعرف شيئا إلا إذا كانت لعنة أصابت أبناء الحاجة فاطمة ..

ـ ويلك ! أنا لم أطلق خديجة إذا كنت تلمح عليّ .. أختك أنت تعلم أنها لم تعد صالحة للمعاشرة الزوجية ..

تعذر جابر فقال : لم أقصد شيئا ..والأعجب تبين أن الرجل كان متزوجا سرا منذ سنوات .. أرأيت يا ابن العم ؟ اللعين متزوج من سنوات.. من قبل وفاة أمنا التي لو كانت تعرف ذلك لماتت سعيدة من بغضها لزوجة فارس .. ليس لها نصيب بالطيبات

ـ هذا الزواج الخفي لماذا كان؟.. فثريا فتاة جميلة وفاتنة .. وتلبس دائما آخر صرعات الموضة .. وحبيبته وزميلته في الجامعة وأم بناته

ـ هذا ما صدمني حقيقة .. لقد قاتل الدنيا بشراسة لينكحها رغما عن اعتراضنا الشديد على شخصها .. لقد دافع عن زواجه منها بكل قوة ، ولم يأبه لأب وعم وخال وأم .. تلك أيام لا تنسى

سأل مازن : هل لمعرفتها بزواجه عليها دخل لطلب الطلاق ؟

ـ هذا الظاهر وهذا ما يشاع .. أمعقول أنها طيلة هذه السنوات الثلاث لا تعرف أنه متزوج عليها يا سيد مازن ؟ .. يقال إن للمرأة حاسة سادسة في مثل هكذا أمور

ـ ربما عرفت وصمتت لبعض الوقت ، ثم لم تعد تطيق الوضع ، وطلبت منه إنهاء الزواج منها فرفض ، فطلبت الطلاق فوافق ما دام قد انتقل حبه لامرأة أخرى .

عاد جابر يقول بعد فترة صمت : لن يهدأ لي بال يا أبا عصام حتى أعلم أسرار هذا الطلاق ..

وأنت ما أخبارك مع الزوجة الجديدة ؟ هل عادت بعد حردها الأخير ؟

ـ إنها ملعونة .. النساء ماكرات ..آه لو تعلم كيف كانت تقابلني قبل الزواج منها؟! .. كنت أظن نفسي في الجنة وهي عند أهلها ؛ لكن بعد الزواج صارت نمرة .. هذه المرأة ما أن أمد يدي عليها حتى تلم ملابسها وترحل .. لقد ذلتني يا رجل .. لن أجد مثل أختك كانت تتحمل إهانتي وضربي لها دون تبرم .. لقد هممت بطلاقها أكثر من مرة .. لو أن أختك تشفى لطلقتها وخلصت من حردها .. وأنا هذه الأيام أفكر بالزواج مرة ثالثة لعلها تكون مثل أم عصام .

ـ النساء بلاء .. فأنا تزوجت مطلقة كما تعلم وامرأة فقيرة لتسلك معي ؛ ولكنها بعدما ولدت لي الولد الجديد تكاد تطلعني من ثيابي يا رجل .. بدأت تتمرد .. لولا شماتة هناء لطلقتها

فقال مازن : فعلا نساء ماكرات .. عليك يا جابر أن تعرف أسرار زواج فارس السري وأسباب طلاقه لتلك الحسناء .. إنني بشوق شديد لمعرفة ذلك فقد حاربنا بشدة من أجلها .

ـ سأسعى إلى ذلك الكشف .. وسيأتيك بالإخبار بمن لا تزود

ضحك مازن وقال : يا سلام دخلنا على الشعر !

***

اضطر فارس بعد انفصاله عن ثريا أن يظهر زواجه الثاني للعلن ؛ لإخفاء دوافعه الحقيقية لطلاقه لها ، فاعتقد الناس أنها اكتشفت أنه تزوج عليها فطلبت الطلاق ، وزواجه لم يكن سريا بمعنى الكلمة الحرفي لا يعرفه أحد ، كان الزواج معروفا لأهل الفتاة ، فهو كان مخفيا عن عائلته الكبيرة وأسرة ثريا أيضا ، وعن الفضوليين في الجامعة.

والزوجة الثانية كانت إحدى طالبته ، ووافقت على الزواج منه وإخفاء الأمر عن الزوجة الأولى والمقربين ، وكان يعدها وأهلها بالصبر حتى يشهره للعلن ، وبعد هذه السنين جاء الوقت ، وعلم القاصي والداني أن الرجل كان متزوجا على زوجته الحسناء ثريا . والزوجة الجديدة قد اعتقدت أن الرجل طلق زوجته أم بناته من أجلها ، وأن ثريا رفضت أن تعيش زوجة أولى ، فوقع ذلك الطلاق ، وأبقى الدكتور هذا الإيحاء لدى أهلها وغيرها .

زهرة ـ وهذا اسم الزوجة الثانية ـ لم تكن طبعا تتوقع طلاق ثريا؛ كانت تظن أن الدكتور يمهد لإخبارها بزواجه الثاني ، فلزمت الصمت والسكون ، فهي أم بناته سلوى وحسناء .

لما أشهر هذا النكاح رحل فارس بزوجه إلى مدينة نصر، وانتقل للعمل في جامعتها ، وهي أيضا جامعة خاضعة للدولة ، وقد استقر في المدينة .

وكان الرجل قد ادخل ابنته سلوى في مدرسة داخلية في جوهر المدينة ، وأما حسناء فأخذها

للعيش معه في نصر ، واستعان بخادمة للبيت ، فزهرة فتاة عاملة كانت تعمل بعد تخرجها في جامعة زوجها ، ولما انتقل نقلها معه أيضا . وبعد استقراره في مدينة نصر واجهته مشكلة جديدة كانت مؤجلة لحين ، كان الرجل قد طلب من الفتاة ألا تفكر بالحمل والولادة لريثما تتضح المواقف مع الزوجة ثريا ، ولما صار الطلاق ، وصار الرحيل ، استأذنته في الحمل ، وتوقفت عن أخذ موانع الحمل ، واستسلم الرجل لرغبتها من أجل ولادة مولود واحد ، ومضت الشهور ولم يحدث الحمل ، ترددت زهرة على عيادات العلاج النسائي والعقم ، فاخبروها أنها صالحة للحمل وليست لديها مشاكل جنسية وإخصاب .

ولما أخبرت الطبيب أن زوجها له بنات ، فطلب منها أن يعرض الرجل نفسه على العلاج والفحص الطبي . وبعد جدل عقيم استسلم لرغبتها ثانية ، وأجرى فحصا لجودة حيواناته المنوية ، وبعد عدة فحوص تبين للطبيب المعالج أن عنده ضعفا شديدا في حيواناته المنوية ، وبحاجة لمعالجات قد تستغرق بعض الوقت .

وبدأ فارس على مضض رحلة علاج من أجل بقاء زواجه الثاني عامرا ومستمرا ، وقد بلغت البنية الستة والعشرين سنة وهي بدون ولادة ، وكانت كل عودة من عند العيادة تقول له : أنت السبب .. قلت لك دعنا ننجب من أول زواجنا ، فكنت تقول اصبري أنا لا أحب المواليد الكثر

فيحدث بينهم الشجار والصياح والعتاب ، وينام كل واحد منها في حجرة لعدة أيام أو حتى يقترب موعد مراجعة الطبيب المعالج ، وبعد حين من الزمن قال فارس بغضب خفيف : إذا كنت مصرة على الأولاد .. علينا أن ننفصل .. لأنني مللت من زيارة هؤلاء الأطباء والمختبرات الذين لا يفقهون شيئا .

فصاحت غضبا : اشتقت لثريا .. لابد أن هذه الهواتف منها .. اشتقت لحبك الأول .

فقال ساخطا : لم أحن لها .. ولن أرجع لثريا يا زهرة ..ولم تكوني أنت السبب لطلاقي لها .. فقد كانت تعلم بزواجنا منذ أول سنة .. من روائح العطور التي كانت تعلق بثيابي بعد مغادرتك .. فهي أنثى ولها حاسة شم قوية

ـ لا أصدق ما تقول .. اتصلت بها ، وسألتها عن سبب الطلاق .. فقالت لي أنت السبب يا زهرة .. أنت التي خطفت حبيبي مني .. لن أسامحك يا زهرة

صرخ في وجهها : كذابة

ـ أنت الكذاب يا فارس .. إنني فعلا أفكر بالانفصال عنك .. رفضت أن أحمل .. رفضت أن يكون لديّ أطفال كباقي نساء العالم .. رضيت

بالحبس والتنقل بين شقتي وبيت أمي .. وأتحمل الكلام القاسي من أجلك .. أما حياة بدون ذرية ما الفائدة منها ؟!

ـ تركت بناتي من أجلك .. سلوى في مدرسة داخلية .. وحسناء مع المربية في العاصمة يا زهرة وإذا جاءوا هنا الخادمة تقوم على خدمتهم لست أنت .

ـ صحيح ما تفوهت به ولا أنكره .. ورغم صغرهن فهنّ يكرهنني كرها ألمسه من أعينهن وحركاتهنّ .. وسلوى لما تأت إلى هنا تجعل البيت نكدا وشرا وحقدا

ـ أنت السبب ! لماذا لا تشعريهنّ بأنك تحبينهنّ وإنك أم لهنّ ؟! .. لم تعترضي على تعاقدي مع مربية لم تعترضي على وضعي سلوى في مدرسة داخلية .. فكيف سيتعاطفن معك ويظهرن مشاعر الود نحوك ؟! .. وأنا قبلت بهذا الوضع خشية المشاكل المعروفة بين الأبناء وزوجات الأب ..

أتحبين أن تعرفي لماذا طلقت ثريا يا زهرة ؟

صاحت : أجل ؟

ـ جيد ! .. إنها امرأة خائنة !!

تفاجأت زهرة بالخبر وقالت : خائنة ؟!

ـ لقد خانتني قبل الزواج منك .. لقد عشقت رجلا غيري .. مات حبنا

العشيق

التقت ثريا بالرجل الذي كان السبب في إفساد حياتها الزوجية ، الرجل الذي صاحبته أثناء عملها في البنك ، كانا يجلسان في حديقة عامة وواسعة ، فقالت له بنبرة فيها غضب وتهديد : حسون لي أشهر في انتظار خطبتي ..وأنا شبعت من تعذرك وتصبرك .

اخرج السيجارة من فمه وقال : أنت تعلمين كم أحبك ؟! لي سنوات غارق في هواك .. ولكن لا أدري كيف سأتخلص من امرأتي هذه الأيام ؟ فهي حامل كما أخبرتك .

ـ أنت قلت لي في المرة الماضية إنك ستدفعها لإسقاط الحمل .. واليوم أسمع كلاما آخر .. يبدو أنك نسيت الكثير من كلامك منذ التقينا قبل سنوات في البنك .. لقد نسيت فارسا من حسن كلامك وهواك فيّ .. خلي فارسا يطلقك اليوم وغدا سأتزوجك أو اطلب يدك .. أنسيت هذا الكلام وغيره ؟.. لي أشهر انتظر قدومك .. الكل حائر لماذا طلقني فارس الولهان في حبي وغرامي ؟ .. لماذا تخلى عن هذا الحب ؟ .. رفض ابنة عمه لأكون زوجته .

ـ ألم أقل لك اطلبي الطلاق قبل أن أتزوج ؟ ولكنك رفضت ورضيت بالعيش معي كصديقة وعشيقة .. فاضطررت للزواج كما تعلمين يا حبيبتي وطلبت مني الزواج فتزوجت .

ـ كنت أظن أن فارسا لن يكتشف الأمر ، ولن يعرف القصة خاصة بعد أن طردنا الخادمة التي فضحتني أمام زوجي الغارق في جامعته ومحاضراته .. وأنت تعلم أن فارسا صدق الأيمان التي حلفتها له .. ولولا مجيء حمدي المفاجئ لما كشف السر .. عليك بتطليق زوجتك بأسرع وقت ممكن .. لم أعد أطيق البقاء في البيت كالمنبوذة .. كما ضحيت بشرفي من أجلك عليك أن تقابل ذلك بالتضحية بزوجتك .. لا أحد يعلم السبب الحقيقي لطلاقي .. عليك بالحركة يا حسون.

بعد صمت قد طال قال : والمولود القادم ماذا أفعل به ؟! إنها ترفض إسقاط الحمل فهي تقول : أنا ما صدقت وحملت به

صاحت غضبا: طلقها بهذا العذر .

ردد قائلا : أطلقها بهذا العذر .. إنه ابني يا ثريا

ـ أنا تركت بناتي من أجلك يا حسون .. فارس لا يمكن أن يعيدني بعدما استقرت الحقيقة في قلبه .. قبل حدوث الطلاق كانت مجرد شكوك .

ـ لابد من زواجنا إذن . قالت بحدة: لابد .

قال بنوع من التوسل : ألا تتحملين حتى تلد ؟

ـ مللت الانتظار

ـ شهر واحد فقط

تنهدت أسفا وقالت : شهر واحد من أجل حبنا .. اقتربت السنة أن تنتهي منذ فارقت الرجل

ـ شهر واحد .. أنا لا استغني عن حبك .. علينا أن لا نلتقي حتى أنهي علاقتي بزوجتي .

ـ لن نلتقي بالعين المجردة حتى يذهب الشهر ..

بعد هذا اللقاء الذي تركت فيه الفرصة لحسون لترتيب أموره للخلاص من زوجته ، فقد اتصلت بعد أسبوع فطمأنها قائلا : الأمور تسير على خير ما يرام .. المشاجرات والمنازعات اشتدت بيننا .

وبعد أسبوع آخر لم يرد عليها البيت مما اضطرها للاتصال بالبنك ، فقيل لها إنه غير موجود .

وبعد حين اضطرت لزيارة البنك للقاء به ، فجاء الخبر الصاعق إنه ترك العمل .. وربما سافر

صاحت غير مصدقة: سافر !!

ـ سمعنا بذلك وأنهى خدماته عندنا

قضت أياما وهي تتصل بالرقم الذي بينها وبينه ، لا أحد يجيب .. هي لا تعرف بيته ولا حيه ولا زوجته .. تعرفا من خلال البنك ، وكان يصحبها بسيارته ويوصلها لبيتها .. ثم كانت تدعوه لشرب الشاي أو القهوة مع كل توصيلة ..حتى تطور الأمر للحب والعشق والزنا .. وأحيانا يصحبها لغداء في أحد المطاعم .

فبعد فشلها في اللقاء به والعثور عليه استوعبت غدره بها ، وأن دوره انتهى معها .. وأنها دمرت حياتها من أجل سماعها لكلام غزل ناعم .. ذكرها بأيام الحب بين ساحات وأشجار الجامعة .

الصلح

حميدة محسن تعلمت في كلية التمريض وهي تعمل في مشفى حكومي في مدينة جوهر بمؤهلها العلمي ، وهي صغرى ولادات فاطمة وزوجها محسن ، والعمل في المستشفيات يكون مجموعات مجموعات كل مجموعة لها جزء من اليوم والليلة ، ويتادور العاملون على ثلاث فترات عادة تسمى ورديات ، فشهر نهاري وشهر ليلي وشهر بين بين ، والفتاة هذه عندما بدأ سرد أحداث هذه القصة كانت متزوجة من أحد شباب الحي والجيران ، ولها عدد من المواليد ، وهي ما زالت تسكن في نفس حي والدها السيد محسن منذ ولدت وتزوجت ، وكانت حميدة هي البنت الوحيدة التي تعلمت في الجامعة من أسرة محسن ، لأنها أصغر البنات ، وقد تشجع الناس في إرسال بناتهم للجامعات .

كانت تسمع أخبار العائلة كما يسمع غيرها ، طلاق زواج ، كانت تتأثر بما تسمع ؛ ولكنها تلتزم الصمت ، ولا تعلق بشيء ، ولا تحشر نفسها مع أي طرف ، ولم تحاول ذلك .

وبينما هي في العمل ذات ليلة اتصل بها المكتب أن شقيقها يريد أن يراها ، فتركت طابق العمل إلى حيث مكتب إدارة التمريض في المستشفى لتجد فارسا في انتظارها، قد تفاجأت بطلبه ، ولما رأته أدركت أن الأمر لا يتعلق بعلاج ، فهو يتعالج في مستشفى الجامعة التي يعمل فيها لوجود مشفى كبير بين صروحها .

رحبت به وهي في غاية القلق والاستغراب فقال بعد الترحيب : مفاجأة أكيد !!

نظرت إليه قائلة : نعم .. مفاجأة خاصة من فارس !

مشيا نحو المقاعد في تلك القاعة وقال : أنا بخير يا حميدة .. لست مريضا بدنيا .. وإن كنت مريضا نفسيا .. الحياة صعبة .. أريد أن أسألك عن الوالد وأخباره وصحته .. أنا أعلم أنني مقصر في حقه وحقكم جميعا .. إنما الحياة التي أعيشها معقدة يا حميدة .. ومشاكلي لا تنتهي .. فمنذ طلاقي لثريا وأنا أعيش في جحيم .. ما أخبار الوالد ؟

ـ أراه كل يوم بفضل الله ، وهو بكل خير ، وصحته ممتازة .. ماذا تريد منه ؟!

ـ أريد أن أراه .. أراه بعيدا عن الحي وبدون علم أحد .

ـ ولماذا ؟!

ـ إنني بحاجة لدعوة منه .. بحاجة لرضى منه .

قالت : من هذه الناحية هو راض عنك رغم الجفاء منك .

ـ أريد أن أقبل يديه يا حميدة .. رتبي لقاء به

ـ أين ؟

ـ في بيت خالتي أم حسن ..

ـ بيتها بعيد عن بيت أبيك

ـ لا بعيد على السيارة .. فلنبق على اتصال .. وتحدثي مع خالتي أم حسن ومع أبي وردي لي الجواب .

ـ سأفعل يا فارس .. أبي مشتاق لرؤيتك وسماع صوتك يا فارس .

ـ اعرف ذلك .. حياة تعيسة يا حميدة .. لا تظني أنني سعيد بحياتي ..

كلية الطب

نحن اليوم في خريف سنة ١٩٩٥ ، وقد بدأ العام الجامعي الجديد ، وقد دخلت سلوى فارس مكتب والدها وبعد أن سلمت عليه قالت : معي صديق يجب أن تتعرف عليه .

ـ صديقك من ؟!

ـ أحد الزملاء يسبقني بسنة.. طبيب صاعد .

ـ رائع فليتفضل !

فتحت سلوى الباب ، ونادت على زميلها سامر : تعال يا سامر أبي هنا .



دخل سامر المكتب باسما ومرتبكا إلى حد ما

وصافح الدكتور وهو يقول : سامر خالد يا سيدي طالب كلية الطب .

ـ أهلا وسهلا .. فارس محسن والد سلوى ودكتور لغة فرنساوية عميد كلية الآداب .. أتدرس مع سلوى في كلية الطب ؟

ـ أجل يا سيدي واسبقها بعام واحد فقط .. وكما تعلم يا سيدي أن هناك محاضرات مشتركة .. فتتيح لنا الالتقاء بزملاء جدد .

قالت سلوى : نعم يا أبي قد تعرفنا في أواخر الفصل الماضي .. والدكتور سامر شاب لطيف وصديق عزيز على قلبي .

تبسم فارس وقال: على قلبك .. أفهم أن هناك أكثر من الصداقة .

تبسمت وقالت : يعني ..

فقال سامر بشجاعة : سلوى عفوا الآنسة سلوى فتاة جريئة يا دكتور فارس .. نحن أصدقاء فحسب لم تتطور الأمور إلى أكثر من ذلك .. وهي رغبت وألحت أن تعرفني عليك ؛ لأنك ـ كما تقول هي ـ أب مثالي ولا تعارض أي صداقة وعلاقة بين الجنسين .

تبسم فارس وقال : حسب الأصول يا ابني نحن شرقيون ..إنما أعني العلاقات البريئة والزمالات الصحيحة.. الحرية جيدة ؛ ولكن لا تتطور إلى علاقات جنسية باسم الحرية .

هتف سامر فقال : نحن أبناء أصول يا سيدي العميد .. أنا والدي طبيب ، وكذلك أمي ، وأنا طبيب في المستقبل .. ونحترم الأخلاق .. والآنسة سلوى صديقة عزيزة عليّ .. وإنني اقدرها يا سيدي الدكتور

فقالت سلوى ضاحكة : رائع .. رائع يا دكتور سامر !! لقد خشيت أن يغمى عليك وأنت تتعرف على أبي الغالي .

تبسم الرجلان وعاد الدكتور للترحيب بسامر قائلا : أهلا وسهلا .. أتشربون شيئا يا سلوى بمناسبة هذا التعارف ؟

ـ لا ، لم يبق وقت يا أبي لشرب شيء ؛ لكني أحببت أن أجمعك بصديقي سامر الذي كان يتهرب من اللقاء بك ..وكان مستصعبا لهذا اللقاء .. رغم كلامي الكثير عنك ليقتنع أنك لن تغضب من تعارفنا ولقاءاتنا ، وقلت له إن أبي على خلاف كثير من الناس .. المهم الاحترام المتبادل بين الأصدقاء.

فقال فارس : حسنا يا سلوى .. احرصي على نفسك ولا تسيء للثقة التي أوليتك إياها .. أهلا بالدكتور سامر ..أنا سعيد بالتعرف عليك وبصداقتك لسلوى العزيزة .. والبيت مفتوح لك ومد يده مصافحا له ، وقبلت سلوى يد والدها وقبلته على خده وهي تهمس : شكرا أبي !

ولما أغلق الدكتور باب المكتب وراءهم قالت سلوى بفرح : أرأيت والدي العزيز ؟!.. أبي ليس معقدا .. ولا يعني هذا أنه متحرر للغاية .

ـ شكرا آنسة سلوى على إتاحة الفرصة للتعرف على والدك أستاذ الفرنساوية

أمسكت يده وقالت : قلنا كلمة آنسة مشطوبة .. نحن أصدقاء وفي أول طريق الهوى والحب

توقف ونظر في عينيها : أتحبينني يا سلوى ؟

ـ جدا جدا .. كأنك أول رجل أراه في حياتي التي مضت .. أضع رسمك في غرفتي الخاصة .. واليوم سأضعها علنا ..

ـ أيقبلني أبوك زوجا لك يا سلوى؟ .. الصداقة غير الزواج

قالت محتجة : من سيتزوج هو أم أنا ؟

ـ أنت طبعا .. أمك .. عفوا أخبرتيني أنها طلقت منذ سنوات .. هل أخبرتيها بحبك لي ؟

تضايقت وضغطت على يده وقالت : اخبرها ولماذا اخبرها ؟! فهي بعيدة عنا

ـ الأمور بينك وبينها يبدو ليست ولابد .. لماذا انفصلت عن أبيك ؟.. أذكر أنك أخبرتيني أنه تزوج سرا عليها، ولما عرفت بذلك الزواج طلبت الطلاق ، لم تقبل فكرة التعدد .. ثم طلق والدك الزوجة الثانية لعدم قدرته على الإنجاب .. سيء الحظ يبدو والدك

ـ فعلا يا سامر!! .. ولكنه طيب ويحبني أنا وحسناء حبا عظيما بعكس أمنا .. وفكر قبل سنوات بإعادة الكرة ولم يوفق .. فله أكثر من خمس سنوات أعزب حتى ربما أكثر من ذلك .. التقى بامرأة شابة وتصاحبا لفترة .. ولكنها رفضت الزواج منه كما علمنا منه ، ثم تباعدا لم يتم الزواج ولدينا شغالة تهتم بنا في البيت ، ولما ارجع من الجامعة تغادر إلى بيتها وعائلتها .. وفي البيت أيضا خادمة آسيوية دائمة من جنوب شرق آسيا .

ـ أنت درست في مدرسة داخلية ؟

ـ نعم ، طلق أبي أمي ، وأدخلني مدرسة داخلية ، وأحضر لأختي مربية أجنبية ؛ كأنها فرنسية فأبي مغرم بالفرنسيين وحياتهم وتقليدهم وطعامهم ..

ـ أتزورين أمك ؟

قالت بتأن :لا يمنعنا أبي من ذلك ، نذهب في المناسبات والأعياد بالضبط لماذا طلق أبي أمي ؟ لا أحد يعرف .. ورفض أبي بقاءنا عندها عند حصول الافتراق حتى حسناء الطفلة.. وزوجته التي كان متزوجها لم تقبل حياتنا معها .. ولكنهم بعد إعلان الزواج رحلوا لمدينة نصر .. وبعد حين اتفقا على الطلاق بسبب عدم قدرة أبي على الإنجاب بعد محاولات علاج أخذت سنة أو أكثر ..

فقال سامر : وكيف يكون لقاؤكم بأمكم ؟

قالت بضيق : أمي لا تحبنا كثيرا ولا قليلا يا سامر .. يكون اللقاء ساعة أو نصف ساعة وربما أقل من ذلك .. لا أشعر بشوقها لرؤيتنا .. أمي معقدة .. وهي متزوجة من رجل كبير في السن من جيل والدها ، وهو رجل له أبناء شباب وهو أيضا عليل وسقيم .. تزعم أمي أنه يضيق بوجودنا ؛ ولكني لم ألحظ ذلك منه .. فنمكث بعض الوقت ونغادرها غير آسفين على اللقاء يا سامر .. هناك سر عميق بين أمي وأبي حتى تتضايق من لقائنا وزيارتنا .. أو زوجها الهرم حقا لا يرغب برؤيتنا معها .. وهي لم تنجب منه ، وهي كثيرة لشرب المسكر والدخان

كأن سامرا تفاجأ بذلك : أمك تسكر ؟

ـ نعم ، أنا لا أحبها كثيرا يا سامر .. لا أدري لماذا ؟! ولكنها أمي

ـ أنا سعيد بصحبتك يا سلوى .. بس لا تفكري أنني زوج الغد الواعد

ـ لن اسمح لك بالزواج من غيري ..

قال مازحا : قد ألتقي قبل مغادرة الجامعة بفتاة أحلى وأجمل منك ..

ـ أنا أجمل فتاة في الكلية صدق ذلك وربما في الجامعة

تابع ضحكه وقال : عندما أتحدث معك يا سلوى أظن أنك فتاة أوروبية ولست عربية .

فتضاحكت وقالت : ربما ؛ لأنني تعلمت في مدرسة داخلية نظامها أوروبي يا سامر .. ولكنك أنت الحبيب الأول وستبقى الحبيب الأول ـ إن شاء الله ـ .. أتحبني يا سامر ؟!

ـ أنا لا أدري !



جلس فارس في بيته الذي استأجره بعد عودته للحياة في جوهر المدينة الكبيرة ، ووضعت أمامه الخادمة الأجنبية إبريق الشاي وبعض قطع البسكويت الأجنبي ، وطلب منها إرسال سلوى إليه ، فعادت تقول : إنها تتحدث بالتلفون .

فرفع صوته مناديا : سلوى الشاي يبرد .

فردت سلوى : يا أبي إنني أتحدث مع سامر .. سأعتذر منه بعد قليل .. سأشرب الشاي باردا

ـ كما تشائين .. أخذ يشرب الشاي ويقرأ في كتاب بين يديه ، حتى أتته سلوى التي سكبت لنفسها كوبا من الشاي وأخذت ترشف الشاي منتظرة كلامه معها ، ولما لزم الصمت ، قالت محتجة : نعم يا أبي .. الآن سيغضب مني سامر .. سامر لا يحب أن أقطع عليه المكالمة ، يحب أن ينهي هو المكالمة يا أبي الفاضل .

اعتذر الأب لابنته وقال : هذه المرة سماح ..إني أريد أن أسألك عن سامر هذا .. أتثقين بأخلاقه أم هو شاب عابث .. ؟

صاحت بدهشة مستهجنة : عابث! .. كلمة خطيرة يا أبي .. لو سمعها سامر لهجرني وبحث عن فتاة أخرى .. قلة بنات في الجامعة يا دكتور فارس ..

ـ لم تفهمي قصدي

قالت : فهمت قصدك يا دكتور .. سامر يا أبي شاب يصلي .

ـ يصلي .. يصلي ؟!

قالت مؤكدة ما تقصده : ويتردد على مسجد الجامعة ،ويستمع للمحاضرات والندوات الدينية

قال وما زالت الغربة تعتريه : سامر الذي عرفتينني عليه قبل أيام ؟!

ـ أجل ، هو يحب التدين، وإن لم يظهر عليه ذلك ..

وهو لا يجلس في الجامعة مع أي فتاة سواي أنا وحدي

ـ سامر خالد ؟!

ـ نعم ، سامر خالد يا أبي ..حتى أنه يحثني على الصلاة والصيام .. فأقول له أنا لا أعرف ذلك في البيت .. نحن لا دين لنا ..لا أذكر أننا تسحرنا ليلة من الليالي .. أو أنني رأيت سجادة صلاة في البيت

قال : عجيب ما أسمع يا سلوى .. سامر يصلي

ويصوم !

قالت مضيفة : بل أكثر أصدقائه من شباب التيار الإسلامي ؛ ولكنه أحبني .. أو قل أنا أحببته هو لم يصرح بذلك .. ولكن أفعاله وتعلقه بي تدل على حبه لي يا أبي .. وهو جيد في الدراسة ومحبوب من الأطباء

سكت فارس قليلا وقال : ولماذا لا تصلين ؟!

ـ هو يقول الذي يصلي عليه بلبس ملابس حشمة .. فهذه الثياب التي ألبسها سيئة وقبيحة في نظره ..

ـ هو الذي يقول لك ذلك .. عجيب هذا الشاب ! أصادق في عواطفه نحوك ؟!

قال معترضة : وإلا لماذا يصاحبني؟! .. عابث ساخر .. أتظن أنه ممثل طامع بجسدي ؟ .. فكثيرات هنّ اللواتي يهبن أجسادهن للرجل بزعم الهوى والحرية .. لم يطلب مني قبلة واحدة سامر هذا .. يمسك بيدي أحيانا ليعبر لي عما في قلبه نحوي .. ونتصافح كلما نلتقي .

ـ ويصلي الدكتور سامر ؟!

ـ نعم ، هو يعتبرني مخطوبة له .. ويفكر جديا بطلب يدي منك

ـ أتقبلين به يا سلوى زوجا لك في المستقبل ؟

قالت بولهه الولهان : أنا يا أبي لا خيار لي نحوه .. الخيار له .. إنني أقول هذا بصدق لقد أحببته منذ التقينا .

ـ والصلاة والثياب ؟!

ـ هو لو أمرني بذلك بقوة لفعلت ونفذت يا أبي !

ـ أنا حقيقة معجب بصراحتك يا سلوى .. وأنت فعلا ابنة المدرسة التي تعلمت فيها .. ولكن احذري الغدر .. احذري من الذئاب

ـ سامر ليس ذئبا.. إنني أثق به.. وسيحبني ويخطبني .



فمن طبيعة وتقاليد الدراسة في الجامعات وجود فواصل بين المحاضرات بالنسبة للطلبة والمحاضرين ، فكان يقضي الطلاب هذه الأوقات بين المكتبات والنوادي العلمية والثقافية إذا كانت متوفرة في بعض الجامعات إن لم يكن كلها ، والبعض وربما الأكثر يقضي وقته بالثرثرة مع الطلاب الذكور والإناث ، ويذهب بعض الوقت في المطاعم وأمام آلات بيع الشراب ، والجامعات تتوفر فيها الحدائق والمتنزهات والأشجار .

فكلما التقت سلوى فارس بزميلها سامر في أحد أوقات الفراغ بين المحاضرة والأخرى تشتري له علبة عصير مثلجة فيتناولها الشاب شاكرا ، ثم يجري التعليق على شيء ما ، فذات نهار بعد أن أخذ

منها علبة العصير قال : كأن ثوبك جديد .. هذه أول مرة أراه عليك .

تبسمت وقالت مسرورة : بدأت تهتم بما ألبس ..

ضحك على غمزها وقال : دائما أرى ما تلبسين .. ولكني لا أفهم كثيرا في الموضة والموديلات أنا أمي جاهل في ذلك صدقي يا سلوى

قالت : اعتراف جميل!! لقد كان أبي يسألني عنك منذ أيام قليلة ..

ـ جميل أيضا!!.. أن يسأل عني الدكتور فارس محسن

ـ أجل تحدثنا عنك في جلسة خاصة بيني وبينه

ـ ماذا يريد أن يعرف السيد الوالد العزيز ؟!

قالت مفكرة للحظات : يريد أن يعرف عن مدى العلاقة التي تربط بيننا .. هل نحن مجرد زملاء ورفاق جامعة .. أم أن بيننا علاقة عاطفية .. أي هل أنت صادق بحبي كما أحبك أنا ؟

ضحك سامر وقال : أحبك ، هل قلت له إنني أحبك .. لم أقلها يوما حسب علمي .. نحن أصدقاء وزملاء كلية واحدة .. أنت التي تظهرين لي حبك ليل نهار .. هل في رأيك هذه اللقاءات علامات الحب ؟

وتسألت : واتصالات الليل ؟!

فأجاب بابتسامة بريئة : الملل يا سلوى الملل .. أنا لا أحب الخروج من البيت كثيرا .. فلما أشعر بالزهق والملل اتصل بك ليزول ويذهب ضجري ومللي .

تبسمت وقالت : تسلية إذن

ـ أرأيت أنّنا تحدثنا يوما جادين عن الحياة الزوجية ؟.. أنت لا تصلين يا سلوى .. وأنت تتبرجين وهذه أشياء قلت لك أكثر من مرة إن أهلي لا يرضونها

ـ المهم أنت

فقال معترضا : وهم رأيهم مهم

ـ أنا إذا تزوجنا سأكون لك وليس لهم .

ـ لي ولهم

قالت : هل تعلم أن والدي تعجب من صلاتك وصيامك وعلاقتك بي ؟ .. أنا التي تلبس على الموضة وتأكل على الموضة .. تعجب جدا من صحبتنا .. فوالدي كما أخبرتك أنه لا يعرف الصلاة ولا الصوم

قال بأسف وحزن : قلت لي ذلك يا زينة .. وهذا الذي قد يعطل مشروع الزواج والخطبة .

ـ دخلنا في الجد .. هل حقا تفكر بخطبتي يا سامر أم تعبث بي ؟

ضحك ساخرا : أعبث بك ؟! .. لقد فتنني حسنك وهدوءك يا سلوى .. رغم أنك ابنة المدنية كما تزعمين .. فأنت ذات أخلاق تؤهلك لأن تكوني زوجتي ..

قالت بحب واضح : أشكرك .. آه كم أنا مفتونة بك !.. ألا يدل حديثك عن الخطبة على اعتراف أنك تحبني ؟!

ـ ليس ذلك شرطا .. كثير من الناس يتزوجون ثم يأتي الحب أو لا يأتي .. رجل يرى امرأة حسناء فتعجبه فيتزوجها قد يسعدان وقد يفترقان بعد حين .. ألم تخبريني عن الحب الكبير الذي كان بين والدك وأمك ؟ .. ثم انفصلا .. الحياة ليس شرط لنجاحها الحب .. ولكن الحب من مكملاتها .. الحب يضمد الجراح والتعب ..

ـ فلسفة إذن

قال : هذا الواقع .. أسباب نكاح المرأة بينها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

فرددت الصلاة على النبي فقد علمها سامر ذلك ، ثم قالت : لم أفهم

ـ أنا أعرف أنك لا تفهمين .. للأسف أنتم تعيشون بين المسلمين بأسمائكم فقط .. لكن ماذا أفعل لقلبي ؟!

ـ قلبك ؟!

قال : المهم .. الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن المرأة تنكح وتزوج لأربعة أسباب .. منها الجمال والحسن

ـ وما هي الأسباب الأخرى ؟

ـ أتحبين أن تعرفي ؟

ـ صدق أنني أحب .. ولا تظن أنني أتضايق عندما تتحدث عن الصلاة والصوم والوضوء .. إنني أتمنى من أعماق نفسي معرفة ذلك

قال فرحا : بشرى خير .. الأسباب الأخرى المال والنسب والدين .. قد يرغب الرجل بالزواج من امرأة لها مال كثير .. أو ابنة سلطان أو وزير .. أو دكتور كأبيك .. أو امرأة متميزة بالدين والخلق العظيم .

ـ جميل !.. أنا عندي جمال ومال ينقصني الدين يا سامر !



روايات اجتماعية

أيتام الحداد

الحلقة ٥

سعد الدين

تبعت حنين منى ، وجلستا في حجرة منى التي فارقتها قبل دخولهم بقليل ، وقالت لها : هو الأخ سعد الدين المتآمر عليّ ؟

ـ نعم سعد الدين أبو زكي هو المتآمر على أخت حنين .. هو برهان لم يقل لك ذلك ؟! .. أنا فهمت من سعد أن برهان ذكر لك ذلك .

هزت رأسها وقالت : ذكر برهان كل شيء .. وأنه لم يلتق بي صدفة إنما كان عن قصد وتخطيط وأن أحدهم دفعه لذلك ؛ ولكنه لم يذكر اسمه .. وما توقعت أن تكونا أنتما .. ولما سألتك ذات يوم تعرفين برهان أنكرت معرفتكم به .

ـ أنا لم أنكر .. فأنا لا أعرفه يا أختي فهم جيران قدامى .. سعد الدين كان خائفا وقلقا عليك كالآخرين .. فتحدث معه برهان ذات يوم عن رغبته في الزواج .. فأشار سعد إليك وحدثه بقصتك الرائعة .. وتكبرك على جنس الرجال .. فبدأت مزحة .. ولم هو معروف عن برهان من كثرة التفاف البنات حوله أيام الحي والصغر وكذلك أثناء الدراسة الجامعية.. استغرب طبعا هذه المعلومات وهذه الوسيلة .. وبعد تردد وافقنا على الفكرة والمحاولة .. ثم قبل بداية المغامرة المثيرة طلبنا منه الانسحاب ، خشينا على عواطفك الغالية علينا من الصدمة إذا لم يقتنع بالزواج منك .. لأنه لم يكن حسم أمره بالزواج بعد .. وكان سعد قد تعجب كثيرا من رفضك زواجي منه .. وكنت أنا قد ذكرت لعائشة أخته بعض ظروفك يا حبيبتي .. فكانت مشكلتك مشكلة لسعد .. وهم جيران وأصدقاء قبل أن يبني والد سعد ويرحل من حي أبو حسبة، وبقيت العلاقات والجيرة بينهم مستمرة ، فأشفق عليك وأراد أن يتحدى برهان بك ، وأنك لا يمكن أن تتحدي غروره ، ولما أقنعني بالفكرة طلبت منه أن يعرفني بصاحبه برهان هذا .. واتفقنا على المغامرة .. رغبة منا لإنقاذك من مرضك ، نحن كنا نرى أنك مريضة ولكن خفنا عليك بعد الاتفاق مع برهان ، خفنا أن يحدث شيء ليس بالحسبان فهذه عواطف ومشاعر .. ونحن ظننا أن المهمة انتهت .. لأنه وافق على الزواج وقبل بالزواج إذا لمس عندك قبول للتغير ، أما إذا لم تقبلي فسيعتذر .. ورفض أن يربط نفسه بوعد مجهول العواقب .. فوافق على الانتهاء من المهمة وانتهى دورنا.. ولكن ظهر لنا أن برهان أخلف الوعد وتظاهر بالانسحاب خوفا علينا .. وتابع مغامرته حتى اصطاد السمكة ونجح في الوصول إلى منى ربيع .

هزت رأسها وقالت : اصطاد السمكة ! أنا سمكة في رأيكم ! والله يا سعد! لا يوجد أحد في الدنيا غير مهم .. من معرفتي بسعد لم يخطر في بالي أبدا .. خطر في بالي في الأول مالك .. وسبحان الله لما عدت للبيت في ليلة اتفاقي مع برهان وجدت مالكا في انتظاري فاضطرب مخي وتسألت: هل بينهما اتفاق مالك وبرهان؟ .. وكان برهان قد أنكر أن يكون لمالك يد في اللعبة ثم فكرت بعدنان ابن أخت خليل .. أما سعد فكنت أراه حاقدا عليّ ولا يطيقني ومنذ رحلت أمي ومالك

لبرقوقة لم أره .

ـ سعد لا يعرف الحقد .. كان قد قلق من تدخلك في منع زواجه ، وصعب عليه موقفك الحاد واللئيم منه ؛ ولكنه لما شرحت له قصتك بالتفصيل طبعا أشفق عليك وخشي عليك الضياع ، مثلنا يا عصفورة ..

ـ عصفورة .. سمكة .. على كل حال برهان رجل لا بأس به ومقبول .. فيوجد كثير من التوافق بيننا .. والقدر حكم بيننا .. أنا شاكر لك ولزوجك وأعرف محبتك لي وستبقين أختي الصغيرة مع أنك اليوم أم لطفل والثاني على الطريق.

واحتضنت أختها لدورها ولو البسيط في زواجها وتعرفها على برهان ، كانت منى تشعر وتدرك مشاعر القوم اتجاهها ، ويبدو أنها بعدت عنهم كثيرا في السنوات الأخيرة ، ولما أنهت حنين ما عندها التفتت للرسالة التي ما زالت مطروحة على المنضدة وقالت : من ربيع ؟!

ـ لا .. انظري إليها

أمسكت بها حنين وقرأت ما عليها ثم قالت : ليست من ربيع .. ممن ؟

ـ حازم !

ـ من حازم ؟!

ـ الله ! زوجي السابق .

ـ أوه ..! لقد نسيته ! عمره ما دخل مخي .. والله ما أدري كيف تعلقت به ؟! .. عفوا ، أنت تعلقت بأموال أبيه .. وماذا يريد ؟! ألم ننتهِ منه لليوم ؟! وهل يعرف برهان بهذه الرسالة ؟ وماذا فيها ؟!

ـ ما زلت كما أنت لا تحبين المذكور ؟

صاحت حنين فجأة : خلاص انتهى من حياتنا ، صدقي أنني لم ارتح له يوما ولم يدخل عقلي منه شيء .. دعينا منه .. آ ماذا يريد منك اليوم ؟

ـ لا شيء .. وجدت هذه الرسالة في الشركة صباح اليوم ، ولما رأيت الخط عرفت أنه خط السيد حازم ناصر ، مع أنه لم يكتب اسمه عليها ، فوضعتها في الحقيبة ، واتصلت ببرهان ليفتحها فاعتذر وأذن لي بقراءتها .. فوضعتها لأقرأها وما زلت مترددا في النظر فيها .

ـ مزقيها .

ـ الفضول يا حنين ، قد يكون فيها شيء غير التهنئة كما أتوقع ، فنحن عشنا مع بعض سنوات قبل الزواج وبعده والمحير لي كيف عرف بزواجي بهذه السرعة ليبادر بهذه الرسالة والتهنئة ؟ وهو يعرف مكان عملي من أخته عبير ، دخلت شركتنا مرتين أو ربما من أحد أصدقائنا القدامى الذين يعرفون مكان عملي .. أما الزواج وعقد القران كيف عرف به ؟!

ـ لك أكثر من أسبوع كاتبة لكتاب الزواج ، والناس تنشر الأخبار بسرعة !

وفتحت الرسالة وهي تقول : ها أنا فتحتها ، وسأقرأها نيابة عنك يا منى .. ترى ماذا سيكتب الحبيب السابق ؟!

ـ حنين !

ـ منى !

ـ أنا أختك الكبيرة سأبقى .

ـ أعرف وأنا سأبقى أختك الصغيرة !

وأخرجت الرسالة المكونة من صفحات أنيقة يفوح منها العطر ، فقالت : يا سلام يا سلام ! هذا مجنون إذا ما زال يفكر بك عاطفيا .

كانت رسالة يتحدث فيها عن أيام الشركة ، أول أيام تعرفه على منى ، وكيف تولع بها وهام بها دون كثير من فتيات العمل؟.. ثم يعتذر لها عن فشلهما، وتحطم أحلامهما معا.. ثم تهنئة بالزواج وذكر أنه عرف ذلك من بعض الأصدقاء، وتمنيات بالسعادة ، ويطلب منها المسامحة والعفو.

ولما انتهت حنين من القراءة بصوت مسموع صفنوا ببعض وقالت حنين : هل أمزقها أم تحبين أن تحتفظي بها ذكرى ؟!

ـ مسكين يا حنين! حازم .. ضحى من أجلي ..

صاحت حنين : لم يضح بشيء .. فالطلاق كان واردا حتى لو رضي والده .. فهو ضعيف الشخصية عابث ، ومن أجل هذا لم يجعله والده في منصب مدير شركة مصنع .. كان يعمل تحت إدارة أخته لضعفه وحمقه.. وأنت تعلقت به واستغللت هواه لك ليكون درجة وسلما لتصلي لعرش أحلامك الخيالية .. تقفزين مرة واحدة .. وكنت ترين أن ضعفه سيجعلك تحكمينه كما تحبين .

سكتت منى ثوان معدودات ثم قالت : أنا أعرفك ! وأعرف رأيك فيّ وفي حازم .. وتنهدت وقالت : دعينا منه هل اطلع برهان عليها ؟

ـ كما تشائين .. برهان رجل متزن وعاقل وطموح مثلك ، ويستخدم عقله وفكره قبل عاطفته أنا سأرسله لك

خرجت حنين وأرسلت برهان الذي دخل قائلا وقد وجدها تمسك بالرسالة بعد أن رمتها عليها حنين : آ ؟

ـ فتحتها حنين وقرأتها عليّ فإذا أنت تحب قراءتها فافعل .

ـ شكرا يا عزيزتي .. قالت لي حنين ملخصها .. واحتفظي بها إن شئت .

ـ إن شئت ماذا تقصد ؟!

وطفقت تمزقها قطعا قطعا وكان برهان يقول : يا منى! هذا جزء من حياتك ، أيام عمر، لا يمكن نسيانها بسهولة ستبقى تاريخ .. المهم أن يبقى تاريخ ولا أطلب منك عدم تذكرها .. فالإنسان يتذكر مواقف من طفولته .. فكيف من شبابه

وأعصابه ؟! .. ولكن راعي مشاعري واعلمي أنني لا أكن لهذا الإنسان أي حقد وبغض ؛ لأنني لا أعرفه .. فالزواج قدر رباني .. ممكن غدا أموت ؟ وتتزوجين غيري هذه سنة الحياة

ـ أنت كما تراك حنين عقلانيا تستخدم العقل أكثر من العاطفة يا سيدي البطل

ـ ولو حدث العكس ، هل تقبلين أن أبقى من غير زوجة ؟ .. هكذا العقل يقول .. بطل لا بأس .. صراحة حنين ناضجة أكثر منك مع أنها الصغرى آسف لقول ذلك .. ربما لأنها لم تخضع لتجربة عاطفية في حياتها ، فرغت عاطفتها بعد الزواج ، فلذلك تحكم عقلها في فعلها واختيارها لا تغاري من أختك أنا لم أرها إلا بضع مرات بحكم زيارة سعد لبيتنا ، وذلك بعد كتابة كتابنا فلمست فيها رجاحة العقل .. ولا يعني ذلك أنك لا تفكرين .. بل تفكرين ولكن للأحلام والخيال دور كبير في حياتك .. الواقع غير الخيال .

ـ لولا أنني أعلم أنك تحبني وتموت فيّ لصنعت لك مشكلة .

ـ وأنا أعرفك وأعرف أنك تحبينني؛ ولكنك ما زلت متمسكة ببقايا من الماضي .. هيا نمشي للقوم .. سأجلس قليلا وآخذ أمي وانصرف .. المهم أنك علمت الليلة من كانوا وراء تعارفنا وارتاح قلبك .

تبسمت قائلة : سعد الدين .. صدق أنه لم يخطر في ذهني .. لأنه لم يدخل كما يقولون لي من زور ما أحببته يوما ..

ـ ليس مهما أن تحبيه أنت ، المهم أن تهواه وتحبه امرأته .. هو أيضا لا يهمه حبك له ولا يسعى إليه .. مشكلتك أنك لا تحبين أحدا .

ضحكت وقالت : مالك عصبت ؟! .. كنت أراه إنسانا مهملا ، وأعجب من رضا حنين به زوجا .. فهو غير متعلم لم يأخذ الثانوية .

ـ الشهادة ليست كل الدنيا يا سيدتي .. ولكنه تاجر ماهر ، هذا الذي ترينه نجح في التجارة أكثر منك .. ويدير حسابات المحل مثلي أنا المتعلم في الجامعة محاسبة .

ـ عظيم ! .. إنك مغرم به وتدافع عنه بقوة .. هدئ أعصابك ، أنا أقول لك رأيي فيه قبل أن أتعرف عليك ..

ـ لست غاضبا ، وأنت تعرفين أنني لا أغضب بسهولة ولا استفز .. ولكنه صديق وأخ عزيز وأريد أن أبين لك من هو هذا الذي لم يملأ عينيك ؟

ـ خلاص يا سيدي الآن عرفت من هو سعد الدين ؟.. وسأحسب له ألف حساب .. وفعلا وحق أنه نجح في التجارة والبيع مع والده وأنا لم أنجح في التجارة .. يبدو لي فعلا أنني كنت مغرورة .. لا

تضحك .. ولا أحسن الفهم والتقدير ..

ـ سعد الدين لا تحسبي له ألف حساب ، فهو صديق وأخ ، ولن يتدخل في شيء بيننا كما أنا لا أسمح لنفسي بالتدخل في حياته .. فنحن اليوم أسرة واحدة .. وأنت تحسنين التفكير والتقدير ولكن الخبرة العملية عندك نظرية أكثر مما هي في واقع السوق والحياة .. وكذلك تتعجلين النتائج ولا تكملين التقدير ، وحصول الانحرافات خلال الممارسة وارد ، ثم تقويمها ومعالجتها مهم ..

ـ على كل أنت زوجي وحبيبي وأميري ، وستعلمني من جديد وتجعلني ملكة غير متوجة .

ـ رائع .. رائع استسلامك يا سيدتي ! وأنا أحب فيك الاستسلام للواقع الجديد وعدم التشدد للماضي .. لقد قالوا لي إنك تحبين الرفض والعناد .. فمنذ التقينا لم ألمس هذه الصفة ولا هذا الطبع .

ـ أنت محاور بارع ..لا أجد مجالا للمكابرة أمامك .. فما أريده تعدني بفعله !

وأحنت رأسها للأسفل وقالت صادقة : غيرتني يا برهان .. جعلتني أعرف من أنا .. كلما أفكر بكلماتك وأفكارك أقر بين وبين نفسي أنك فاضل وخيّر وتبسط الحياة جدا .. لم أكن أظن في يوم من الأيام أن رجلا عاقلا مثلك ومن سني يقبل بالزواج وبفتاة مطلقة مثلي .

ـ هذه عقدتك يا فتاتي .. لست أول إنسان في الدنيا يتزوج امرأة تزوجت من قبل .. فما الفرق بين الأرملة والمطلقة كليهما من غير زوج ؟! .. النساء تضخم هذه الكلمة حتى أصبحت كلمة مخيفة وظلالها مرعبة .. فالطلاق كما يقال ليس نهاية الدنيا والمطاف .. إنما هو حل لمشكلة بين زوجين .. ولكنّ الإعلام وحقوق المرأة في زماننا جعلت منه قضية كبرى وفضيحة ومأساة .. وتحمل عادة المرأة المسؤولية عن الطلاق .. فيخافها الرجال .. فلا يتقبلها كزوجة إلا الناس المتزوجون من قبل على أساس أن لديهم خبرة ومعرفة للتعامل مع هذا النوع من النساء .. وكل هذا وهم.. إنما تسلك المرأة في الزواج الثاني خوفا من الطلاق من جديد .. فترضى بكل هوان وذل ليبقَ الزواج ، فيصبح الزوج الثاني سيد الموقف ، وأنه استطاع ترويضها .. مع أن الأوائل كانوا يتزوجون ويطلقون ويترملون ولا يعتبرون ذلك قضية كبيرة فالحياة وجدت لتستمر حتى حين .

ـ ها أنت صرت فيلسوفا وواعظا عليّ يا سيدي !

ـ نحن أبناء الثقافة الإسلامية.. ومنذ التقينا لم أتحدث معك عن الحلال والحرام ، إنما من الأعراف والعادات والعرف الشائع بيننا أتعامل معكِ يا سيدتي .

ـ أنت كنز حقيقي يا سيدي! ولست مجاملة أو لأنك زوجي.. كلما أتحدث معك أستفيد شيئا

كثيرا .. مع أنني ابنة جامعة ؛ فكأنني لم أتعلم شيئا

ـ لا ، أنت تعلمت ولكن الجامعة لا تعلم إلا العلم الأكاديمي والنظري .. أنا درست كذا مادة في المحاسبة والبنوك والشركات العامة وغير ذلك من فروع البكالوريوس ؛ ولكني عمليا أمارس جزءا صغيرا جدا من المحاسبة ، ربما طفل إذا مرن عليه قام به .. ولا أعني بكلامي هذا التقليل من العلم الأكاديمي .

فرح منى

انتقلت منى لبيت زوجها بعد أسابيع قليلة من عقد قرانها ، وبدأت الحياة الزوجية الثانية لمنى ربيع ، ومرت الأسابيع الأولى من حياتها العائلية طيبة وهادئة، وقد لمست الفرق الكبير بين أيام زواجها من حازم وزواجها من برهان ، كان زواجها الأول كله هموما وتوترا ونكدا من جهة أهله ومن جهة أهلها ، كان يوم زفافها من حازم كيوم إخراج جنازة ، الكل مكشر ومنقبض وينتظر انتهاء حفل الزفاف بفارغ الصبر ، فقد كانت الوجوه واجمة وحزينة ، ويوم زفاف برهان كانت المشاعر الرقيقة والصادقة والابتسامات والفرح واضحا لكل الناس ، وكان الناس كأسرة واحدة ، وكان خليل من أفرح الناس كأنه قد زوج ابنيه برهان ومنى .. وشارك كثير من الجيران وأهل برقوقة العروسين والأسرتين حفلهم وفرحهم ، فحضر عدنان ووالده وأمه صبرية وزوجته ، وخالتها لمنى وأخوالها وأعمامها ، مما دفعها لأن تسكب الدموع تأثرا ، وعجبت من مشاعرهم وحبهم لها ولأهلها ، فعندما تزوجت والناس راضون عن العريس وأهل العريس خرجت عواطفهم محبة .. ورأت الفرح أيضا في عيون أخوات زوجها وزوجات أخوته فقد كانوا جميعهم مسرورين ، كأنهم يزفون بكرا لأخيهم ، وكأنها تتزوج أول مرة ، حتى أنها لم تشعر بأنها امرأة مطلقة من فرح الناس بزواجها ، فقدرت هذا كله لبرهان ، وعرفت فضل الله عليها ، ثم فضل هذا الرجل الذي اقتحم عليها حياتها ليخرجها من البؤس والشؤم الذي أحاط بها فيزداد تساقط الدموع تأثرا .. وأدركت حب الناس لبرهان وبهذه السرعة .. فقد فرض نفسه على الجيران وأهل الحي بأسابيع قليلة ، ومن مصاحبته لخليل للصلاة في المسجد ، فأصبح كأنه من أهل الحي .. فبدأت تعرف أهمية الناس في حياة بعضهم البعض .. وأن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بمعزل عن الناس وإن حاول صنع ذلك .. لابد من الأصدقاء والأهل والأصحاب .. رأت أشياء جديدة في احتفال الناس بزواجهما .. وكانت تحاول فهم ذلك ثم قالت : هو نفس السر الذي شدني إليه وجعلني أقف ضعيفة للغاية أمامه ..

كأنه مغناطيس .. أتمنى أن أحقق له السعادة التي أملها مني .. أنت حياتي يا برهان .

مرت أسابيع على الزواج ، وهي تعيش هذه الخيالات واللمسات التي مضت من عمرها .. أحست أنها مدينة بهذه السعادة والفرح والمشاعر لزوجها برهان ، أعادها للحياة من جديد .. كانت تهرب من جمال الحياة لتسكب لنفسها كأس خمر لتتوه في ظلمات الشراب ، لتنسى نفسها ومشاكلها التي صنعتها بيدها وبيد من اختارته شريكا لها .. الرجال يتفاوتون في المواهب والقدرات .. تريد أن تسد زوجها الذي صنع لها كل هذه السعادة وغمرها بتلك الأيام الجميلة ولو شيئا يسيرا من المعروف ؛ لذلك كانت تلح عليه منذ زفا لبعضهما بأن يفتح مكتبا للتدقيق المحاسبي كما كان يحلم وكما ادعى لها فيقول : إن شاء الله سأفتح هذا المكتب يا عزيزتي .. ولكنني لست بعجلة من أمري فقطعت عليه اعتراضه قائلا : أنا أعلم أن العرس كلفك مالا كثيرا ، ورفضت أي مساعدة مني مع أنك قلت لي إننا أصبحنا شيئا واحدا.. فاعلم يا عزيزي أن كل من مالي وسيارتي هو لك من غير منة .. أنا لو قدمت روحي لك ما وفيتك معروفك .. أنا عندي كلام كثير أحب أن أسمعك إياه .

ـ جميل منك هذا الكلام .. والاعتراف بالفضل أجمل وأرقى !

احتجت بأن هذا ليس كلاما بل أنها تريد وتقصد تحقيق ذلك .. ولتعبر له عن مقدار سعادتها به وبأن أحلامه هي أحلامها .. وأقرت له أنها تحبه من أعماق فؤادها ، وأنه أسرها بأخلاقه وفضله وتحس أنها تريد أن تعبر له عن ذلك بشيء عملي ، فأخبرها أنه لا يوجد بين الزوجين فرق فهما جسد واحدة وروح واحدة .. وأن الحياة تفاهم وتحمل وقناعة ، وكادت أموال منى أن تجعل بينهم فتنة ، وتغضب منه منى ، فرفضه الاستفادة من ثروتها يعني أن يعاملها بحساسية وحذر فيصبرها قائلا : يا ابنة الحلال .. اصبري .. ليس المكتب هو أن نشتري الخشب ولوحة يكتب عليها اسم المكتب .. الشغل هذا يحتاج لعلاقات عامة مع أصحاب الشركات والبنوك .. مكتب بدون زبائن لا شيء .. سيغلق بعد أول إيجار لصاحب العمارة .. سأضع الأمر جديا في دماغي وسأعمل في مكتب تدقيق بعد دوامي في البنك حتى أتمرن وأعرف أسرار عمل مثل هذه المكاتب ، حتى أتقن المهنة ، وبعد سنة على الأقل أكون قد تعلمت أهم أسرار العمل ، ثم أبحث عن شركاء وأنت منهم ، وإن شاء الله تعالى نفتح هذا المكتب .. الكلام كما تعلمين سهل أنا صحيح دارس محاسبة وأحمل بكالوريوس فيها ومن كلية تجارة واقتصاد .. فالتدقيق جهد وتعب ومسؤولية أمام الشركة

وأمام أجهزة الرقابة وأمام أصحاب الشركة من مساهمين وغيرهم .



اقتنعت منى في النهاية بوجهة نظره ، ووضح لها أن العلاقة الزوجية ليست شركة تجارية وليست علاقة امتنان وهبة ، وأن الزوج إذا فعل شيئا حسنا لزوجته ينتظر أن تكافئه عليه وهو يفعل مثل ذلك .. فكلمة طيبة ودعاء أفضل من ذلك .. والحياة الزوجية أكبر من التعزيز والحوافز .. هي حب وانسجام وتفاهم .. فتقر له باسمة : يكفيني نجاحا في هذه الدنيا أنني امتلكت قلبك في أسابيع يسيرة .

ـ أنا لا أنكر ذلك .. رغم العيوب التي صورت عنك أو كانت فيك ، فكنت معي غير ما قيل وأحسست أن سعادتي الدنيوية عند قلبك .

فتقر له معترفة أنه ملك قلبها منذ طلبها تلك الليلة للزواج ، وتعترف أنها كانت تغالط نفسها في ذلك ، فيفرح من صدقها ويقول : من سعادة المرء أن يجد امرأة تفهمه وتقدره ويفهمها ويقدرها .. وإذا خيم عليهم الحب بظلاله الكبيرة فهذا خير وسعادة ؛ لأن الحب الحقيقي يذلل الصعاب والمشاكل ، وتظهر علامات صدق الحب عند المشاكل الدقيقة .

وبعد حملها عرض برهان عليها ترك العمل إذا رغبت في ذلك للتفرغ للحمل ومتاعبه التي ظهرت عليها ، ووعدها أنه عندما يفتح المكتب الذي بدأ يخطط له سيكون لها عمل فيه حتى ينصرف من البنك فتعود هي للبيت .. التناوب في إدارة المصلحة ، ترددت في البداية لقبول هذه الرغبة ، ثم تركت معرض شفيق للأثاث والتحف والثريات .. وبعد شهور وضعت منى ربيع مولودها الأول ، وعندئذ عرفت معنى الأمومة والولادة والرضاعة والحضانة وبكاء الطفل في أي ساعة من ساعات اليوم والليل .. تستيقظ في نصف الليل لترضع الطفل الباكي لتنظف الطفل الشاكي .. وكانت تتذكر أحاديث أختها حنين لها عن رسالة الأمومة ، وهذه العاطفة بين الأم والطفل .. فتحتقر أفكارها الرديئة ، وتضع اللوم على حازم ، ثم نفسها ، وتتعجب لعدم حبهم لسرعة الحمل الذي يقوي الروابط الزوجية بين الزوجين ، ويدفعهم للتنازل عن كثير من الأخطاء والمشاحنات من أجل هؤلاء الصغار .. واستغربت أكثر عندما أطلق برهان على ابنها اسم زوج أمها خليل ، فلما تسألت عن سبب ذلك الاختيار، فهو لم يسم على اسم أبيه أو أخيه أو جده ، فقال باسما : هذا الرجل كبير عندي يا منى رغم

أنني لم أعرفه إلا عندما تزوجتك ؛ ولكنني أحبه حبا كبيرا ..وأحبني هو نفس الحب .

ـ الكل مستغرب منكما ، حتى والدتي تتعجب من حبه لك وكثرة سؤله عنك .. متى سيزورنا برهان ومنى ؟ .. متى سيأخذنا مالك إليهما ؟ .. ولما سألته أمي عن سبب هذا الحب الكبير بينكما فلم يقل سوى أن هذا الولد دخل مخي ..

فكر برهان لحظات ثم قال : هذا رجل مجاهد .. علم إخوته وتنكروا له .. أنا أعرفهم .. لقد درسني أحدهم في الجامعة .. ولما أتذكره وأتذكر خليلا استغرب لكليهما أحدهم متواضع بسيط والآخر معقد منفوخ .. لا يزورونه ولا يودونه وهو أكبرهم .. وهم المتعلمون المثقفون الكبار وهو مع ذلك صابر ومتحمل لجفائهم وقال لي لولا أنهم لا يحبون رؤيتي لمشيت إليهم، ولو ذهبت لا يخرجون لمقابلتي، يتركون معي بواب القصر أو إحدى الخادمات والأخ الثاني عرفته من تردد اسمه في البنك وأعرف بعض أبنائهم يا منى .

ـ لست قليلا يا برهان .. نحن عشنا في بيت خليل دهرا ولم نعرفهم ولم نلتقِ بهم .

ـ أنا تعجبت في البداية لما حدثني عنهم .. فظننت أن في عقل الرجل شيئا .. ولكنه لما بين لي أنهم بعدما تعلموا وتزوجوا من بنات أكابر البلد انسلخوا من جلدهم .. أدركت عظمة هذا

الرجل وصبره وإيثاره ، وكان يزورهم قديما ، وكانوا يعاملونه كمتسول أتى إليهم .. ولما عرف ذلك الواقع السيئ وطفح الكيل نسيهم ، ولما تزوج أمكم أصبحوا أسماء يعرفها فقط وهو يحبكم حبا جما ، وذكر لي مرة أنه مرض وكيف وجدكم حوله دون أهله ؟ .. فهو لم ينس لكم هذه الجميل الذي ربما لا يأبه له كثير من الناس .. يا منى الناس في الشارع لو وقع أحدهم مغمى عليه لأخذوه المستشفى وعطفوا عليه وانتهى الموضوع ، ولكنه يراكم خيرا من أهله الأقربين .. وعرفته على أخي الدكتور عبد القادر ، فهو طبيب أمراض صدرية ، وطلبت منه أن يهتم به ، وترجيت خليلا أن يمر عليه باستمرار .. فعبد القادر طبيب يحب الخير والمساعدة أكثر من المال أم أنا غلطان .

ـ أبدا ما شاء الله! .. أنتم عائلة رائعة يا برهان! تعلمتم جميعا ذكورا واناثا ، وقد تفاوت تعليمكم ، وتحبون بعضكم وتحترمون بعضكم احتراما واضحا وحبا واضحا للعيان .. ولا تمايز بينكم.. فالدكتور عبد القادر متواضع جدا لآخر درجة .. بل لا تحس أنه طبيب إلا في العيادة كلكم بركة حتى عمتي الحجة ووالدك الفاضل .. أنا محظوظة بكم جميعكم ..الألفة والانسجام يجثمان عليكم.. وحتى أخواتكم المتعلمات قد علمت منهن أنه لم يصدف أن حردت إحداهن عن بيت زوجها ولو

بضعة أيام .. مهما حدث بينها وبين زوجها من شجار وعتاب .

ـ نحن نعتبر هذا عيبا كبيرا يا منى وخطرا كبيرا على الأسرة ، فأبي يأمرنا ويحثنا على الصبر والتحمل للأخطاء وأنه لا كمال بشري .. والحرد وترك بيت الزواج مفسدة .. والتي لا ترتاح مع زوجها تذهب به إلى المحكمة ، وتتنازل عن حقوقها وتعود لبيت أبيها .. والحمد لله حمدا كثيرا أن وفقنا جميعا في اختيار زوجاتنا ، وكذلك الأخوات اختار الله تعالى لهنّ من الأزواج الصالحين والطيبين .. ونسأله تعالى أن يديم هذه النعم على الجميع .

ـ آمين .

ـ وأنا سميت ابني البكر والأول خليلا لحبي لخليل ، ولفضله الكبير عليكم ، وهو لا ينتظر منكم شيئا إنما فعل ما فعل لوجه الله .. ولأن منى جرحت قلبه يوما ما ، فبهذا الاسم نعيد لقلبه الطيب الحنان والعطف اللذين فقدهما أثناء تمرد منى .. وأيضا لأنه محروم من الذرية ؛ فلعل هذا الاسم يرد له شيئا معنويا هو يبحث عنه ويأمله .. ولقد رأيت كم فرح وتعجب من اختيارنا لهذا الاسم المبارك !

ـ أنت دائما رائع يا برهان !.. والله ما فكرت بهذه التفكير .. وأنا أقر أن المعلم خليلا له أكبر الفضل علينا وعليّ أنا بالذات ، كل تعلمي وشهادتي بفضل إنفاقه وسخائه ، وكان يكرمني بالمصروف أكثر من إخوتي حتى لا أشتهي شيئا في الجامعة ولا أحصل عليه .. لقد غلبتني أحلامي وجعلتني جاحدا لهذا الرجل ، ولم أحسن أن أشعره أنني ابنة حقيقية له .

ـ إذن هذا الاسم شيء رمزي نقدمه يا منى لهذا الرجل .

ـ جزاك الله خيرا يا برهان .

مع ولادة خليل الصغير بدأت منى تستعيد حيويتها وروحها ، وصارت تنظر للحياة نظرة جديدة وآمالا جديدة ، وتتخلص من أفعالها الماضية ، وتعيد ترتيب حياتها وعلاقاتها الاجتماعية مع أهلها وأقاربها من خالات وعمات وأعمام وأخوال وأولادهم ، وكذلك مع أهل زوجها ، ومنذ انتقلت لبيت برهان لم تعد تسمح لنفسها بالجلوس مع الرجال إلا في حدود ضيقة وبوجود زوجها.. وابتعدت أيضا عن الدخان والخمر وهجرت الملاهي والسهر مع الأصدقاء والصديقات خارج البيوت كما كانت تفعل.. ابتعدت أيضا عن السينما والتعلق بالأفلام والمسرح والمهرجانات .. فلما تقارن بين هاتين الحياتين ، الماضية مع حازم الشاب الغني ابن الأموال الكثيرة .. وحياتها مع الشاب الميسور

الحال ، فتلمس السعادة الحقيقية مع برهان وحياة الأسرة الممتعة ، وأن السعادة لم تكن بكأس خمر وقهقهة تملأ المكان وغمزة من هذا ولمسة من ذاك .. فحازم يحب اللهو والمزح والخمر ، وبرهان يحب البيت والأسرة والحياة داخل الأسرة .. داخل البيت .. الحنو والاهتمام بمشاكل العائلة والتعاطف والتعاون الإيجابي ففكر برهان ناضج ويعتمد على نفسه .. فحياتها مع برهان ساكنة وهادئة .. تفاهم ونقاش وإقناع .. ليس فقط عرض الفكرة ثم تنفيذها كيفما طرحت .. والاعتماد على التمويل فقط .. شكرت الله كثيرا على تداركه لها قبل السقوط والهاوية .. كان الأصدقاء من حولها أثناء حياتها مع حازم لا يرون فيها إلا جسدها ، ومحاولة الوصول لهذه الجسد ولو رويدا رويدا ، ولولا المقاومة الفطرية الموجودة في داخلها لسقطت منذ تعلق بها حازم .. ألم يراودها عددا من المرات قبل الزواج منها

ولكنها وإن كانت تساير الرجل السابق فهو كالخاتم بيدها.. أما برهان يستخدم ذهنه وفكره ثم يطيع ، ووجدت أن أهلها وإخوتها يحبون هذه الحياة .. يحبون المرأة أن تكون امرأة وبس طائعة للزوج .. تذكرت دموع ربيع وهي تقارن بين حياتيها عندما أتى من الخليج ولمس التغير الذي طرأ عليها ، لقد تفاجأ بالانقلاب الكبير ، فبكى بين يديها حتى أبكاها.. أدركت كم كان في قلبه من الألم والحزن الذي تظاهر بإخفائه وكتمه .. وأدركت أن الانتقال من بيئة تراعى التقاليد والعادات التقليدية ليس سهلا ربما يحتاج لجيل أو أكثر حتى يستقر التغير ولا ينتكس .

فهمست وهي تتذكر ذلك: مسكين ربيع ! تحمل المسؤولية صغيرا وكان يخاف مني وعليّ .. لا زالت المرأة أسيرة مجتمعها مهما تطور وتحدث .. الانفلات يعني النبذ ولو من أقرب الناس .. كانت تمر عليّ لحظات عندما أدخل في جدل مع مالك أشعر أنه سينقض عليّ صفعا ولطما وضربا وإهانة؛ ولكنه يسمع كلام أمي ويخشى عليها العوارض .. لم استطع أن أصنع عالمي الموهوم .. والله الولادة حلوة وجزء من حياة الأنثى ولمَ المكابرة ؟! .. بكاء الرضيع أجمل موسيقى على قلب الأم إنه نداء إليها .. هناك ظلم في الجامعات وكلام كثير عن البنات والتحرر والمجتمع الذكوري .. مع أن أكثر الرجال مساكين في هذا الزمان .. يصارعون ويطاردون من أجل لقمة العيش .. ها هو ربيع يتغرب من أجل المال والطعام ..

أختي حنين الصغرى بيننا كانت أنضج مني تعلمت في الجامعة مثلي، وتحقق حلم أمي وهدفها الأهم وتعلم الجميع بفضل الله .. ولكنها لم تحاول

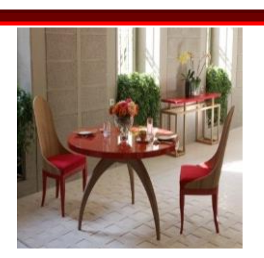
التمرد على ما تعارف عليه الناس في بلادنا.. الناس لا يحبون ولا يرتاحون للمرأة التي ترتدي ثياب الرجال.. ولو تماشوا معها وسايروها.. التقليد الأعمى نحن من نقلد ؟! الشرق أم الغرب .. فالبنات في اليابان وكوريا يفعلن مثلنا ولم يخرجها من أفكارها وخواطرها إلا بكاء خليل الصغير فانتبهت وعادت للواقع ، وهرعت للسرير سعيدة ومفعمة بالشعور العبق من صياح الطفل . الأمومة كنز لا يعلمه إلا من يعرفها حق المعرفة .. الأمومة عواطف جياشة .. تجديد للحياة جزء من الأم كيف ستصبح أما بغير أبناء ؟

وعادت الخواطر إليها وهي تلقم ثدها للوليد الذي كف عن الصياح وانشغل بالرضع فتممت : أنا أسمي ابني خليلا .. لم أعترض صمت عندما علمت ذلك .. كم فرح خليل للاسم ودفع مائة دينار نقوطا وهدية للصبي .. حتى أمي فرحت ، ولم تصدق ذلك وسرت لاختيار برهان هذا الاسم ، مع أنه لم يكن اسم زوجها الأول .. والدنا الحبيب رحمه الله .. أهل زوجي فرحوا ولم يعترضوا ويحتجوا على الاسم .. وبرهان أكثرهم سعادة ، وكان سعيدا باختياره الاسم وصمتي وعدم اعتراضي .. أبو خليل .. أم خليل .. اسم عظيم .. والله في الدنيا أناس ذو أخلاق كبيرة .. يرغمونك على الخضوع والرضا والاستسلام .. حتى أخي ربيع كان مسرورا لاختيار برهان لهذا الاسم مع أنه هو لم يسم ولده على اسم خليل .. أنا منى التي سببت المشاكل للعائلة تسمي ابنها خليلا .. مع أنه ليس بالرد الكافي لمكارم خليل علينا فرحوا بذلك الاسم .. إنه اختيار سيدي وحبيبي برهان ؟ أسرني هذا الرجل بدماثة أخلاقه .. أخي كان أولى أن يطلق اسم خليل على أحد أبنائه .. هل أنا كنت وحشا وعنيدة ورديئة قبل لقائي بهذا الإنسان؟ .. هل في التمرد على التقاليد ومسايرة الحداثة والمعاصرة قساوة قلب وعناد ؟ لم أكن شريرة أبحث عن المشاكل والشر .. ولو لم يقم والديّ حازم بمحاربتنا هل حصل هذا الانقلاب ؟ هل نصنع نحن أقدارنا بأيدينا ؟! هل أنسى يوم دخلت عليه مكتبه ؟ مكتب ناصر ! وجرحني وشتمني وحقرني واتهمني بسارقة وخاطفة ابنه وأنني دمرته وأغرقته بالديون وطامعة في ثروته وطردني شر طردة .. تذكرت منى كل ذلك وهي ترضع وليدها الأول .. فسقطت الدموع بحرقة من غير أن تشعر وهي تتصور ذلك المشهد الذليل بين يدي رجل لا يرحم مشاعر الآخرين .

وبينما هي في هذه الحالة دخل برهان وانتبه لاحمرار عينيها فهمس : أأنك وجعة ؟!

ـ وجعة !

وتنهدت بخجل وقالت : قلبي مجروح يا برهان!



كما وعدها برهان ، فعلا الوعد دين عند الرجل الحر، بعد سنة وشهور قليلة وقد عمل في مكتب تدقيق كمتدرب بعد انصرافه من البنك تشجع على إنشاء مكتب صغير للتدقيق المحاسبي للشركات الصغيرة والمتوسطة ، وحصل على الترخيص اللازم له من الدوائر المختصة في البلد ووضع زوجته مديرة للمكتب خلال فترة دوامه في البنك ، ووضع عندها سكرتيرة فتاة متخرجة من الجامعة حديثا .. ولما يرجع من وظيفة البنك يجد زوجته قد عادت من العمل وأعدت الغذاء فيأكلان معا ، ثم يذهبان للعمل ، وتنصرف السكرتيرة في المساء عند الرابعة بعد الظهر .. وبعد حين أدخل زميلين للعمل معه في الفترة المسائية ، ولزمت منى البيت في الفترة المسائية .. ومن خلال علاقاته الشخصية وعلاقات إخوته الآخرين تحرك نشاط المكتب وحصل على عقود محاسبية وتدقيق لكثير من الشركات العاملة الصغيرة الحجم ، وكان يتقدم عمل المكتب ويتوسع وكثر الموظفون ، فقد أضاف فراشا للمكتب ومندوب علاقات عامة متجول .. عدا السكرتيرة وزميليه .. وما مضت سنوات ثلاث على المشروع حتى قدم استقالته للبنك ، وأصبح مديرا للمكتب وعلت شهرته بين الناس ، وكما هو معروف في القطاع التجاري أن الموازنات المالية للشركات سنوية ومستمرة .. فهذا يعني عملا محاسبيا دائما ومستمرا ، وخلال هذه السنوات ولدت منى ابنتها الأولى ، وكانت منى أيضا تدير العمل باقتدار ، وحصلت على دورات في المحاسبة المالية والبنكية وإعداد الموازنات العامة وحسابات الأرباح والخسائر .. وكان الدوام في المكتب على فترتين صباحية بإدارة برهان وزوجته وفراش وموظفة السكرتارية .. والثانية بعد الظهر ينصرف برهان وزوجته للبيت .. وعند العصر في الرابعة مساء يحضر صاحبا برهان للعمل في المكتب والقيام بالمهام الموكولة لهما .. وتنصرف موظفة السكرتارية عند الثالثة مساء ، ولما يحضر حسن وعمران ينصرف المراسل أبو غسان ، وعندما يشتد الضغط في العمل يداوم برهان معهم مساء وبعض الليل .. كانت الأمور تسير على ما يرام ، والعمل يتقدم والدخل يزيد ، وخلال فترة الصباح كان برهان يترك زوجته منى في المكتب ويتحرك إلى الشركات المتعاقد معها لمراجعة سجلاتها التجارية والمحاسبية قبل أن يعود بما يلزم من تلك السجلات والدفاتر التجارية للمكتب لدراستها وتصحيحها ليقوم بوضع التقرير المالي لها أو

تصحيح الأخطاء المحاسبية الموجودة فيها ثم إعادتها للشركة .. ولما استقل برهان بالعمل كانت منى تضع مولودها الثالث .. فانقطعت عن الدوام بإجازة ولادة خاصة ، فقام برهان وحده بالأعمال التي كانت تقوم بها ..وعندما يخرج للمرور على الشركات المتعاقد معها كان يعتمد على السكرتيرة في إدارة المكتب ريثما يعود .. ولكنه كان يعاني من تبدل السكرتيرات .. فلأن أي سكرتيرة إذا وجدت فرصة عمل أفضل انتقلت إليها ، فكانت هذه مشكلة عند برهان ولم يتمكن من حلها بعد ، فما تكاد العاملة تتأقلم على نشاط المكتب حتى تترك العمل .

انتهت إجازة منى بعد شهر من الولادة ، ورجعت للدوام في المكتب بضع ساعات صباحية حتى يرجع برهان من جولته الصباحية على الشركات ، وتعود للبيت لرضاعة مولودها الذي تتركه عند والدة زوجها .

ذات يوم وبعد ولادتها الثالثة التي أشرنا إليها وقد انتهت إجازاتها ، وكانت تجلس في المكتب لتقوم ببعض الأعمال ريثما يأتي برهان الذي خرج بعد قيامه ببعض الأعمال داخل المكتب .. وبينما هي مستغرقة بما كلفت به من مراجعة دخلت عليها فتاة ، فلما رأتها عرفتها ، ولا يمكن أيضا نسيانها رغم مرور هذه السنين ، إنها عبير ناصر أخت حازم الزوج الأول لمنى ومديرتها السابقة مديرة الشركة العالمية للتجارة .. كانت مفاجأة للاثنتين بعد كل هذه السنين .. لقد التقتا مرة عندما كانت منى تعمل في شركة الأثاث المستورد ، فقالت عبير بدهشة كانت واضحة : منى ! .. مرحبا .. ماذا تفعلين هنا وراء هذا المكتب ؟!

نهضت منى وقد زالت دهشتها وسلمت على عبير، وأذنت لها بالجلوس ورحبت بها وقالت : أهلا بك .. ها نحن التقينا من جديد .. أي خدمة نقدمها لك يا سيدتي ؟!

ـ خدمة .. أين برهان ؟!

ـ قهوة .. شاي .. ماء ..

ـ لا شيء شكرا .

ـ يا أبا غسان فنجان قهوة للأخت المحترمة .

قالت عبير: أتشتغلين هنا ؟ تركت معرض شفيق .. أذكر أننا تلاقينا هناك في الشركة مرة .

ـ هذا زمان .. منذ خمس سنوات .. اليوم أنا أعمل هنا .

قالت عبير مستفسرة: لقد جئت مرتين خلال الأسابيع الماضية ولم أرك .. أاشتغلت حديثا ؟!

ـ أهلا بك .. لي سنوات هنا ؛ ولكني كنت ألد .

ـ كنت تلدين ! الحمد لله على السلامة .. آ ، قد علمنا بزواجك .. مبارك يا منى ربيع ..إن شاء مرتاحة مع زوجك الجديد ؟

ـ جدا على أفضل زوج وقعت والحمد لله .. عندي اليوم ثلاثة أطفال بفضل الله .. وأنت هل تزوجت بعد؟

ـ حظي تعيس يا منى .. يبدو أن حظك أحسن .. تزوجت مرتين ، الأولى فشلت قبل ليلة الزفاف.. والثانية عشنا تحت سقف واحد مدة سنة ، ثم حدث الانفصال .. أنا حظي سيئ مع الرجال .. وأنت كيف وزوجك الحالي ؟

ـ كما قلت لك قبل دقائق أفضل الأزواج .. تمام .. أتردين شيئا من المكتب قبل عودة السيد برهان أم تنتظرينه ؟.. هو الآن موعد عودته .

ـ والله الزواج رائع يا منى ! خصوصا الأطفال .. عندك ثلاثة أطفال .. أكيد الحياة حلوة معهم كيف حياتك اليوم مع زوجك الجديد ؟

ـ هي بالتأكيد أفضل من الحياة مع أخيك .. فأنا في قمة السعادة والحياة .. تركت الدخان والخمر والتبرج والسفور والمكياج خارج الدار .. الحمد لله أنا سعيدة .

ـ أنا نصحتك يا منى .. ولكنك لم تفهميني جيدا تلك الأيام .. نحن رغم ملكنا الكثير فحياتنا تعيسة يا منى .. الحياة ليست المال فقط .. فأنا خطيبي الأول بعد كتابة الكتاب طلقني ؛ لأنني رفضت أن أضع في حسابه آلاف الدنانير .. أرأيت المال ؟ هو تزوج المال كما قال لي مودعا .. والآخر مثله صديق لأبي تزوجني من أجل مال أبي .. ولما طلب من أبي المال ، ورفض والدي في قصة لا داعي لسردها هو الآخر قال أنت لا تصلحين لي .. نحن تزوجنا لنستفيد من مال أبيك لفتح مصنع ، فرفض أبوك ، وطلب مني أن أعود لبيت أبي وخلال أسبوع كان الطلاق .. أرأيت طمع الناس ؟!.. وأنا أعترف أنهم تزوجونني من أجل المال .. ولكن طمعهم كبير ..

وبينما هما تتحدثان بحكم صداقتهما القديمة أقبل برهان ، ولما رأى عبير رحب بها وقال لها : معذرة لم أتأخر كثيرا ؟

ـ أبدا .. هذه الفتاة الحلوة ـ وأشارت لمنى ـ كانت تعمل عندنا في يوم من الأيام يا سيد برهان ومضى الوقت بدون أن نحس بتأخرك إذا تأخرت . ونظرت للساعة التي على معصمها .

والتفت برهان نحو منى زوجته ؛ وكأنه دهش من قولها تعمل عندنا وقال : عندكم ؟!

ـ مالك دهشت ؟! منى فتاة جبارة .. وتتقن الإنجليزية بطلاقة .. وتحب العمل وتجتهد فيه .

تطلعت منى في عيني برهان وقالت : أيام شركة التجارة العالمية.. حدثتك عنها ، وكان ذلك عندما تخرجت من الجامعة ، كانت أول شركة أعمل فيها .. أوه ذكريات حلوة ! وهزت رأسها بغيظ .

قالت عبير: فعلا ، كان لمنى هناك ذكريات حلوة

..أليس كذلك يا أخت منى؟!
تبسمت منى وقالت : أكيد والسيد برهان يعرفها بالتفصيل الممل .. أليس كذلك يا سيد برهان؟!
وقبل أن يرد برهان قالت عبير باستغراب : أمعقول هذا يا برهان ؟!
مشى برهان نحو مكتبه وجلس على كرسيه وقال : أتعرفين منى يا عبير؟
ـ ألم تسمع ما قلنا ؟ أول عمل كان لها عندنا .
قال برهان لمنى : أتدرين يا منى؟ .. أن هذه الفتاة كانت معنا في الجامعة ، وكانت تسبقني بسنة أو سنتين .. أتذكرين كم يا عبير؟
ـ سنتان على ما أذكر .
قال برهان وهو ينظر لمنى ويبتسم: أتدرين يا أخت منى أن عبير هذه ـ وأشار بإصبع السبابة إليها ـ التي اشتغلت عندها سنوات كانت تطاردني لتتزوجني مع أنني أصغر منها بسنتين أيام الجامعة ؟ ولكني رفضت .. صح يا عبير؟!
ضحكت المرأة وقالت : صح يا برهان أما زلت تذكر؟! .. لقد كنت شابا جميلا ومثيرا ! ولست الوحيدة على ما أذكر التي كانت هائمة بحسنك .. لقد كنت مثار اهتمام الكثير من البنات ، وكلنا تحلم بأن تفوز بقلب البطل .. ولكنك سخرت منا وخرجت من الجامعة بلا واحدة منا
وكان برهان يبتسم وهو يسمع الرد ، ولما صمتت عبير قال : أتدرين يا أخت منى ؟.. هذه عبير كانت تترجاني لأشارك في حفلة عيد ميلاد لها أو لأخواتها أو مناسبة ما.. كانت تراني مثل هؤلاء الأوروبيين طويل وأبيض وعيون ملونة .. وتسعى لأتعرف على والدها .. فأرفض كل هذا .. صح يا عبير!
كانت هي مستغرقة بالضحك وقالت : صح .. آه .. إنك ما زلت تتذكر .. أيام ممتعة .. لا تنسى .
وتنهدت ثانية وهي تقول : فعلا لا تنسى ها أنت لم تنسها يا برهان .. كنت أسعى لأتزوجك رغما عنك .. فلو تعرفت على والدي ربما أجبرته على أن يزوجني منك .. ولكنك كنت تخاف من لقاء والدي صاحب الملايين .
فقالت منى غامزة بقصتها مع حازم : ولو وافق برهان على الزواج منك يومذاك أيقبل أهلك ووالداك على الخصوص ؟
ضحكت عبير وفهمت مقصد منى الخفي وقالت: كنت أعتبر نفسي أنني ما زلت في فترة المراهقة ، ونحن نعتبر الجامعة امتدادا لتلك الفترة ، ويحق لنا أن نفعل ما نشاء من لهو وحب وغزل .. وفي تلك الأيام كان لا يستطيع ناصر أن يرفض لي طلبا .. ولنا طرقنا في إجبار والدينا على الاستسلام لرغباتنا .. ولو وافق اللئيم لكان الآن يملك نصف شركات أبي ؛ ولكنه يحب الفقر

والتعاسة .. وأنا أرى أن الأخت منى محل ثقة كبيرة عندك يا برهان .. فأتحدث أمامها بكل شيء وبصراحة.

طبعا برهان أدرك منذ أول الحوار أن منى لم تكشف لها أنهما زوجان فلزم الصمت في هذه النقطة فرد على الفتاة : طبعا .. ومنى جزء كبير ومهم من العمل وأكثر من ثقة وتكلمي بكل راحة .

ردت وهي ترمقه هل هو ساخر متهكما أم جادا ؟ : تستحق ذلك فأنا أعرف كفاءتها.. هل تعلم أن الأستاذة الفاضلة كانت في يوم من الأيام زوجة لأخي حازم ؟

تبسم وقال : أعرف ذلك .. حدثتني بذلك منى ؟

ـ حدثتك ! كيف حدثتك؟ هي فاجأتني بوجودها هنا .. لما زرتك في المرتين السابقتين لم أرها وذكرت لي أنها كانت في ولادة ورضاعة .. وهي اليوم عرفت أنني أتيت لشغل معك .. وأنا عرفتك وتذكرتك كما تعلم من الإعلان في إحدى الصحف .. فلما قرأت اسمك على الفور عرفت اسمك وتذكرتك وتعارفنا من جديد .. فكيف حدثتك عن أخي حازم ؟!

ـ صدقي أنها حدثتني بقصة زواجها من شخص اسمه حازم ؛ ولكن لم أكن أعرف من هو حازم ؟ أي شخص هو حازم بالذات فقط رجل ، ولم أكن أعرف أن لحازم زوج منى السابق أختا اسمها عبير إلا الآن .. وأن هذه العبير هي زميلتنا أيام الجامعة ..وهل لك قصد آخر؟!

ـ أتزوجك مثلا ؟! أنا أعرفك؟ وهل أنت لليوم بغير زوجة ؟ .. حتى أفكر بالزواج منك .. صدق أن الذكرى والعمل جمعتنا هذه الأيام .. ولا بد أنك متزوج .. أنا غير محظوظة في الزواج يا سيد برهان يا أبا خليل .. أذكر أنك قلت إنك تنادى بأبي خليل وهذا يدل على أنك ذا زوجة وقبل حضورك كنت أشكو حظي لمنى .

ـ حسن هذا ، ألا تريدين أن ندخل في موضوع الشغل ؟

ـ انسَ يا رجل! أنا جئت لأتحدث مع برهان الصديق الغزال المحبوب .. الشغل لا ينتهي أنا آتيك للتسلية وقليل من الشغل .

فهز برهان رأسه ضاحكا وهو يقول لمنى : اسمعي بنات الأكابر .. نحن فتحنا المكتب للشغل وهي تريد أن تعود للوراء عشر سنين كانت يا منى السيدة عبير قديما تحاول أن تكتب بي شعرا.

وأخذ يرتفع صوته بالضحك فقالت وهي تضحك معه : هل تنكر أنك كنت أوسم شاب في الجامعة ؟ وأننا كنا لا نراك إلا أحد أبناء الأوروبيين .. كانت ابتسامة منك تذيب قلوبنا ، وكل منا تدعي أن الابتسامة كانت لها.. هند قتلت نفسها لتحظى بعلاقة عاطفية معك .. كنت غريبا

يوم ذاك يا برهان.. كنت تقترب منا .. وفجأة تبتعد .

ـ عبير.. دعينا من الماضي حتى لا تتضايق منى من كلامنا وذكرياتنا القديمة .

ـ أنا لما شعرت أنك تتحدث أمامها بحرية وراحة ، وأنها حدثتك بكل شيء عن حياتها الخاصة فرأيت أنه لا شيء يخجل منه إذا سمعته منى.. فمنى معرفة قديمة وأخت عزيزة رغم فشل زواجها من أخي حازم ، لو لم يحدث الزواج لربما أصبحت موظفة كبيرة في شركاتنا اليوم .. والله لقد نصحتها بعدم الزواج من أخي .. ليس عن حقد وغيرة ؛ ولكنني أعرف أخي أكثر منها ، وطلبت من أخي أيضا بالوقوف عند حده ؛ ولكن غلبتهم العواطف ونسوا العواصف أمي لما سمعت أن الفتاة التي يريدها حازم تسكن في حي برقوقة كادت تنتحر لتمنع هذا الزواج

ـ يا عبير.. يا سيدة عبير ندخل في الشغل ما الذي تريدونه بالضبط مني؟ .. أنا راجعت حسابات الفرع كلها ، هناك بعض الأخطاء ، وهناك فقد لبعض الفواتير

فقطعت منى استرسال برهان قائلة : ربما وجودي يشوش على عبير .. أنا سأجلس في مكتب السكرتيرة .. انتظرك يا عبير . ـ شكرا لك .

قال برهان مخاطبا منى : منى إذا أحببت الانصراف فافعلي ، لابد أن الرضيع الآن يحتاج لحليبك

ضحكت عبير وقالت : الله ! الله ! حتى في الحليب تتدخل !

ضحك هو ومنى وقال باسما : حتى في الحليب يا عبير ! .. منى ربيع ـ يا أخت عبير ـ هي زوجتي أم أولادي!!

دعوة عبير

كانت كلمات برهان الأخيرة مفاجأة صاعقة ومذهلة لعبير ناصر، فبحلقت لحظات عميقة بعيني برهان حتى استوعبت الحقيقة وقالت : منى هذه ـ ورفعت يدها مشيرة لها ـ زوجتك أنت؟!

لم تتكلم منى ، فقال برهان المبتسم : أجل ، منى ربيع زوجتي ، وأعلم أنها كانت زوجة لشخص اسمه حازم ناصر ، واليوم عرفنا أنه أخوك .. ومنى شريكتي في هذا المكتب يا مدام عبير .

كانت تحرك رأسها وتنقل بصرها بينهما دهشة وعجبا وتقول : دنيا عجيبة يا منى !!

همست منى وقالت محاولة التقليل من دهشة عبير واستغرابها : ما العجب؟! هل الزواج ثانية عجيب لهذا الحد؟!

قالت عبير: ليس الزواج هو العجيب .. فكل يتزوج مرة وثانية ولكن الزواج من برهان هو العجيب .. هل تزوجت قبلها ؟!

رد بصراحة : لأ .. هي أول امرأة ارتبط بها .. وهي سيدة فاضلة ومن عائلة فاضلة كريمة.

قالت عبير : ولكنها مطلقة !

ـ وماذا تعني مطلقة ؟! ها أنت طلقت مرة وتزوجت ثانية وستتزوجين ثالثة إن شاء الله .

قالت بحسرة : إنهم لا يتزوجونني أنا .. إنهم يتزوجون مالي ومال أبي ! قلة بنات غير متزوجات

فقال بحزم وثقة : وأنا أتزوج أخلاقا أهلا كراما .. فربيع أخوها مهندس يعمل في دول النفط العربي منذ سنوات .. وأخوها مالك محام نشيط وله مستقبل باهر في سلك المحاماة والصحافة وبما إنك تحبين قراءة الصحف فسوف تجدين له مقالات موقعة باسم مالك ربيع وربما يكبر ويصبح نقيبا للمحامين ذات يوم .

ـ أنا فعلا أقرأ لهذا الاسم وتعجبني مقالاته يا برهان .. بس اليوم أكتشف وأعرف أنه شقيق منى ربيع ونسيبك يا أخي .. وأنت غارق في الحب لأذنيك .

ـ لنا خمس سنوات متزوجون تقريبا .. وأنا فرضت نفسي عليها .. وهذا هو الحب الحقيقي .. تعرفنا على بعض فترة ربما امتدت لشهرين وحصل النصيب .. أليس كذلك يا أم خليل ؟!

تبسمت منى لكل كلام برهان ، والتفتت نحو عبير وقالت : أتمنى لك التوفيق يا عبير .. وكل الكلام الذي سمعته منك قبل دخول برهان وبعده لا يهمني كثيرا .. فالحياة عجيبة كما قلت .. وتسرني صداقتك .. وأنا سعيدة بزوجي هذا .. والله ييسر لك زوجا تقر به عينك رغم النكد الذي كنت تسببيه لنا أيام الشركة فهو أصبح من التاريخ .

ـ سامحيني يا منى .. ربما كنت أسيء إليك ولكن من أجلك ، وقلت لك ذلك مرارا ، وإن أخي حازما ليس الرجل المناسب لك .. والأخ برهان أعرفه جيدا منذ أيام الجامعة وهنيئا لك به وهنيئا له فيك .. فهو إنسان يستحق الحب والحياة السعيدة .. وأنا لمست التغيير الذي في حياتك من هذه الجلسة .. لحظت لباسك الجديد وتغطية شعرك ، ولم أرَ المكياج الذي كنت تبالغين في وضعه على وجهك وعيونك .. ولحظت أيضا تركك للدخان ، فلم تدخني أي سيجارة منذ التقينا قبل ساعة أو أكثر .. والآن أدركت مصدر هذا الانقلاب وأنكما متوافقان وستوفقان .. فبرهان رغم ما سمعتي مني عن التفاف البنات حوله ومطاردتهنّ وعبثه بهن أيام الدراسة لم يكن فاسدا وهاملا ،ولم يكن من أهل الدخان والتبغ ، وإن كان يومها ينفق على الحسناوات بسخاء ، ولابد أنه تخلص من هذه العادة .

ضحك الزوجان وقال : تسرنا صداقتك يا عبير أنا ومنى ، ولا تحسس لدينا من جهة زواج منى من

أخيك ، فهذا تاريخ كما قالت منى ، والإنسان لا يهرب من تاريخه .. ولكن لا تدعيننا لحفلاتك وسهراتك .

قهقهت عبير وقالت: أنت أيام العزوبية ولم تفعلها ! .. ولم يعد لتلك الحفلات بهجة وروعة ، بل صارت كلها مللا وضجرا وإرهاقا ، وسأحتفظ بصداقتكما .. واسمحوا لي الآن بالانصراف لقد تأخرت عن الشركة .

ـ والعمل ؟!

ـ سأعود .. ألم نصبح أصدقاء؟!

وصافحتهما وخرجت مسرعة ، وهي مستغربة للقدر الذي جمع بينهما ، ولما خرجت أغلق أبو غسان الباب خلفها، وكان برهان يقول لمنى بعد مغادرتها مكتبهما : مفاجأة لك !

ـ ولك !

ـ نعم ، عندما كنت تذكرين اسم عبير على لسانك لم يخطر في بالي أنها تلك الفتاة التي أعرفها في الجامعة .. كانت معروفة بثرائها ولهوها .. وفتيات اسمهن عبير كثر في هذه الدنيا .. فأنا أصلا بعدما تخرجت نسيتها فهي تخرجت قبلي .. وكيف سأفطن أن السيد حازما أخ لعبير إحدى زميلات الكلية .. وهي اطلعت على عنوان المكتب كما قالت اليوم وقبل اليوم من أحد الإعلانات في الصحف .. فإذا كان يا منى في العمل معها ما يزعجك ويذكرك بالماضي سأعتذر لها عن الشغل الذي بيننا وأرسلها لمكتب آخر .. ولكنهم أصحاب شركات وأموال والتعامل معهم مفيد .

ـ لا ، لا أنظر للقضية يا صاحبي من هذه الزاوية وبحساسية .. العمل عمل يا رجل .. ولا أخاف منها ولا من أخيها .. فالماضي كما أخبرتني وعلمتني سابقا هو ذكرى لا يمكن نسيانها بسهولة ولا تجاهلها وهي كامنة في النفس .. ولن تشوش على حياتنا ، وأنا واثقة بك ، ولم يخطر في بالي يوما أنك ستسيئ إليّ .. وحتى ولو فعلت ، فأنا سأسامحك ، فأنت غيرت دنياي وطريقة نظري وتفكيري للدنيا .. ودفعتني لأنظر إليها بمنظار وعين أخرى ... وأنت والد ثلاثة أطفال فهذا أمان آخر .. أنت أعز إنسان عندي يا أبا خليل .

ـ آه ما أقسى هذا الكلام يا عزيزتي وأحلاه ! .. الحياة الزوجية سكن ومودة ورحمة واندماج هذا كلام ربنا .. أنا قصدي حتى لا تشعري بالضيق والنفور والتوتر من دخلوها المكتب أو ذهابنا لشركاتهم لمراجعة السجلات والدفاتر .. هذا تعامل واحتكاك .

ـ افعل ما تراه مناسبا ولا يهمني أمرها .. واعلم أن هذه ليس أول مرة التقي بها بعد طلاقي من أخيها وتركي للعمل معها ..

ـ هذا عمل ليس لقاء فحسب .

ـ لا تخشَ على أحاسيسي ومشاعري من الغيرة والخوف أيها العزيز.. صدق أنني تعاملت معها بأريحية ، وغضضت الطرف عن كثير من إشاراتها فأنا أعرفها .. فعبير إنسانة بسيطة يا برهان ولكن الثروة والأرستقراطية الواهمة تظهر هؤلاء الناس بثياب أخرى .

ـ معك حق .. هيا اذهبي يا عزيزتي للبيت لابد أن محمدا أزعج جدته بالبكاء .. وأنا أحببت أن أعبث بها أمامك .. فأنا لم تهزني أموال أبيها وهي صغيرة لم تعرك الحياة ، مع أن المال أصبح في هذا الزمان كل شيء عند الكثير من الناس .

عادت منى للبيت ؛ ولكنها لم تنسَ هذه الساعة التي قضتها مع عبير، وهمست لنفسها وهي تركب السيارة عائدة للبيت: أنا أثق ببرهان ثقة كبيرة وعمياء ، ولا يمكنها أن تهز شعرة في شاربه ، وإن فهمت من مجمل كلامها أنها جاءت للمكتب لتدور وتلف حوله .. فهي ما زالت تفكر بعقلية الطالبة التي دخلت الجامعة .. فبرهان رجل عاقل ولا يسمح لعواطفه في القضايا ولا يحكمها في قضاياه .

ولكن قلقا ما خيم في باطن منى .. فقالت لنفسها : هل صدفة لقائها في المكتب أم أنها تعرف أنني زوجة برهان وتريد بي شيئا ؟! .. عبير ليست ذكية لقد تعاملت معها سنوات .. هي تقليدية في عملها وإداراتها إنها تنفذ تعليمات والدها وأعمامها ليس عندها إبداع مميز ..

ولم تكن حقيقة قلقها من علاقة بين زوجها برهان وعبير.. فبرهان يتعامل مع عدد كبير من النساء العاملات .. إنما كان قلقها من جهة حازم أن يعرف مكان عملها ، ويحاول اللقاء بها لصنع المشاكل لها ، عندما يعلم بأنها دخلت مشروعا جديدا مع زوجها الجديد ، ولكنها

تهمس لنفسها منذ افترقنا لم نتصل ببعض إلا تلك الرسالة اللعينة التي تحدث فيها عن ماضينا الأسود ، وكانت بعد عقدي على حبيبي برهان ، ولأنه يعتبرها كما قال مرات أثناء الزواج إنها سبب تدمير حياته وفشله .. جعلها السبب .. من هذه الجهة كان القلق الذي لمس قلب منى وتفكيرها وهي تعود للبيت ذلك النهار .. ربما تفكر عبير بوضع أخيها في طريقنا ثانية لتعكير صفونا .. فأنا أعرف حقدها الماضي عليّ ، وإن كانت تتظاهر أن ذلك لمصلحتي.. إنها عادتنا بشدة ، وكم مرة سمعتها تهدد أخاها وتحذره من التورط معي ؟.. قبل أن يعرف والداها شيئا بل هي التي عرفتهم على هذه العلاقة والصداقة .. ولابد أنها هي التي ملئت قلبيهما علينا .. فكيف الفتاة الفقيرة التي أتت من حي برقوقة تتزوج من حازم الثري ابن الثري بسرعة وسهولة وعلى طبق من فضة ؟ وغدا

يسيطران على الشركة ويطردانها ..

كانت هذه الأفكار والخواطر والخيالات تمر في ذهنها وهي تعود للبيت مغادرة المكتب حيث أولادها خليل وزهرة ومحمد .

ولما وصلت البيت وأدخلت السيارة الخاصة بها لمكانها مشت إلى أم زوجها ، وجلست معها بعض الوقت ، وحملت أطفالها ودخلت شقتها ، وكانت قد شعرت أن لقاءها بعبير هذه المرة ترك في نفسها هما غامضا .. ولكن معرفتها لبرهان الزوج الذي اختارها دون النساء لا يمكن أن تؤثر به فتاة لعوب ، وإن كانت أموال أبيها تملأ الأرض .. فيسكن القلب ويهدأ من جديد .

بعد هذا اللقاء بين عبير ومنى في مكتب برهان الذي ألقى ظلالا وتوجسا في قلب منى كانت عبير ترسل إحدى موظفات الشركة للمراجعة مع السيد برهان ، ولحظ برهان ذلك وأنها تحاول تجنب اللقاء به شخصيا .. فلم يكترث لذلك فهو يهمه في معرفته بها العمل والشغل ، ولا تهمة العلاقات الاجتماعية الأخرى .

وبعد حين يسير تلقى المكتب دعوة من عبير ، تدعوه فيها وزوجته للمشاركة في حفل افتتاح مصنع جديد .. وذكرت في الدعوة موقع المصنع ومكان الاحتفال الذي سيحدث وساعة الاحتفال ..وكانت هذه الدعوات مهمة لرجال المال والأعمال للالتقاء والتعارف والدعاية والإعلان وأخذ عقود عمل .. فهي ليست أول مرة يتلقى مكتب برهان دعوة لحضور افتتاح أو احتفال .. فسبق له أن دعي لمثلها .. أما من عبير فالأمر يختلف وخصوصا منى المدعوة باسمها وزوجها برهان وزوجته .. لأنه من الممكن الالتقاء بحازم زوجها السابق ، وليس بينهم رابط من ولد أو قرابة .. فتشاور برهان مع زوجته فقالت : اذهب أنت كالمعتاد ، وأنت تعرف أنني قليل ما رافقتك لمثل هذه الاحتفالات ولا أشارك فيها كثيرا .. والأخت عبير تريد التعبير لنا بهذه الدعوة عن صداقتها لنا.. وصدق لو أرى حازما سيكون الأمر كرؤيتي لأي رجل ..

تبسم برهان وقال: العاطفة مشكلة يا سيدتي .. فأنا لا أعتقد أنك عندما ترين طليقك ستشتاقين للماضي ، فهذا ذهب ومات ؛ ولكنّ الرؤية تجدد الذكريات والجروح ، وقد تسبب لك إحراجا من نوع ما وألما وضيقا .

ـ قد يحدث ذلك ، وأنا في غنى عنه .. اذهب وحدك فهذه المناسبات تفتح لك عملا ومعارف جددا من رجال المال والعمل .

ـ هذه هي الفائدة المرجوة وحدها من مثل هذه الدعوات ، وهي التي يسعى إليها المكتب .. ولكنني قررت الآن أن لا أذهب .. ليس خوفا من

رؤية من كان زوجا لك أو حرجا منه .. الإنسان يتزوج ابنة عمه ويطلقها ويزورها ويصل رحمه .. وقد لا نرى حازما هناك .. ولكني سأرسل حسنا وعمران .

ـ هذا جيد ، ولكن عبير تريدك أنت وأنا فخصتنا بالدعوة .

ـ هي تعرفها .. لقد أرسلتها للشركة مرات .

ـ على كل حال الأمر سيان عندي يا برهان ذهبت أنت أو غيرك .. أنا لا أتعامل معهم بحساسية التي قد تبدو لك .. فأنت حياتي ، وثقتي بك أكثر من ثقتي بنفسي .. فلولاك لضعت ، ولا يمكن أن أنسى اقتحامك لحياتي ، وجودك في حياتي غيرني يا برهان .. من المهم أن أذكرك أن اليوم سيأتي ربيع من السفر كما أخبرتني أمي.. أراغب أن تذهب معي لنكون في استقباله كما تعودنا أم على تسهيل المولى؟

ـ ربيع ! بل سأكون أول الناس ، فالعم خليل اتصل بي وقال لي إني مشتاق للقياك وللحديث معك ولخليل.. وهذه فرصة لنراه ونسمر معه .. ثم نرى مالكا فهو يفكر بالزواج كما علمت ويريد أن يطلق العزوبية .

ـ الزواج ؟! هذا خبر سعيد ومفرح .. لم أسمع أمي تتحدث عنه .. متى قال لك ذلك ؟!

ـ زرته من زمن قريب في مكتبه.. وربما ينقل مكتبه إلى حي برقوقة عندما ينتهي بناء العمارة التي أوشكت على التشطيب كما أخبرني .

ـ من سيتزوج ؟!

ـ لم يقل لي شيئا عن الزوجة .. إنما يفكر بالزواج بعد انتهاء البناية .. ولا أدري هل التقى بفتاة أم لا ؟!

ـ على كل هذا خبر يستحق النشر الليلة .

وعاد برهان يقول : أنا أظن أنها فتاة بنت أحد المحامين الكبار .

ـ تظن .. كيف ذلك ؟!

ـ قديما منذ سنة أو أكثر .. تحدث مالك أمامي بشيء عن فتاة ، وأنه يفكر بالاقتران بها إذا وافق أهلها .. ثم انقطع الحديث عنها وعن أهلها ، وبعد ذلك لم يذكر شيئا فاعتقدت أن الموضوع قد انتهى ، وأن تلك الفتاة رفضت أو أهلها رفضوا .

ـ ومن هو هذا المحامي الكبير ؟!

ـ أظن أنها ابنة النقيب الحالي أو الذي قبله .. لا أدري بالضبط .

فغرت منى فاها استغرابا وقالت: أوه ابنة النقيب!.. هذه قصة كبيرة يا برهان!

ـ مالك شاب نشيط في النقابة كما تعلمين ، وصاحب ثقافة وعلم .

وهج الحرب

الحلقة ٥

حفل عزاء

اتصلت وردة بجهاد ليلا سائلة : صحيح ما أخبرتني به أمي يا أبا عبدالله!

قال : صحيح ، والدنا اختفى بإرادته ؛ كما قالت شرطة قبرص يومذاك ، ولم تصدق أمك .. هاجر إلى كوبا بجنسية كوبية وجواز سفر باسم جيفر كرانسي تخلصا من مطاردة إسرائيل ؛ حيث كان متورطا في قتل صهيوني .. ومات في أول يوم من هذه السنة في يوم الحرية عند الكوبيين ، مات متأثرا بأحداث غزة من اطلاعه على صور المجزرة .. وفيديوهات مجزرة غزة حرب الرصاص المصبوب .. وترك أموالا في بنوك جزر الكاريبي وكوبا باسم عمي حبيب .. وعمل طبيبا وتجارة الأدوية في كوبا وبوليفيا والمكسيك وجزر الكاريبي .. وأوصى بكل ثروته وأملاكه لعمنا حبيب.. وسأذهب لكوبا أنا ومحامي شركة سام زياد حسن . . فهو دكتور في شركة قانون دولية لها فروع في أوروبا وأمريكا .

ـ أكيد أبونا كان هناك ليست لعبة مخابراتية يا جهاد!

قال متأملا : لعبة مخابراتية لاغتيال عمي أو أنا .. لا ، الاغتيال من الأمور السهلة عبوة ناسفة تلصق بالسيارة ينتهي المقصود .. وسائل القتل والاغتيال كثيرة يا وردة ، وأنت كيف الحمل عندك ؟

قالت : الحمد لله .. ما زال الحمل ثابتا ، والباقي والسابق على الله .. كيف زوجتك أم عبدالله؟

قال : مشتاقة .. قد نمر عليكم الليلة .. وعصام تحدث معي في نفس القضية.

قالت : سمعت أمي تريد أن تقيم عزاء .

ـ آخ على ها الأم .. العزاء سيحتاج لكشف الحقيقة للجمهور يا وردة .. فلتصبر حتى نعود من كوبا وتلك البلدان .. ونعلن عن الوفاة رسميا .. اقنعيها بذلك .. عمنا حبيب يرى أن نؤجل العزاء والنعي في الصحف حتى نرى ما يحصل لنا في كوبا .

ـ تعالوا تعشوا معنا ونتحدث.

قال : تكلمي مع سالم فهو موجود .. ولم يتفاجأ كلانا من حياة نجيب ؛ لأن شرطة قبرص ذكرت الحقيقة من ربع قرن ؛ لكن أمنا رفضت تصديقهم .. ونحن لما وعينا اعتقدنا قتله وإخفاء بدنه أو ذوب كما نسمع عن تذويب البشر في سجون إسرائيل وزعماء العرب.. تذويب ابدأن خصومهم بالأسيد .

ـ شكرا حبيبي جهاد ، سأتصل بزوجة سالم وزوجتك مع السلامة .. تحياتي نلتقي على مائدة

عصام بإذنه تعالى.

قال : السلام عليكم ، وسلمي على عصام والبطل الشجاع جوهر الذي لمنا بعد فرقة .

ـ شكرا جهاد شكرا ! كم كنت جاهلة ! غابت عني معاني الأخوة حتى جريدة ربما تنهي عقدها وعملها في الخليج إنهم يضايقونهم بالعمل ، لم تعد تلك الدول ترحب بهم .

ـــــ

تكلمت مع المطعم الخاص الذي تتعامل معه في الوجبات الجاهزة ، وطلبت ما تحب أن تقدمه لضيوف المغرب ، ولها خبرة في التعامل مع المطاعم من أيام حزب العصبة النسائية ، ولها خبرة بالأصناف التي يرغبها إخوتها وأطفالهم ، سالم وجهاد تزوجا أختين تعملان في الطب مثل وردة وجريدة ، امرأة جهاد طبيبة أسنان، واختها طبيبة باطني وأسرة ، كان مدير الشركة الدكتور إبراهيم وشركاؤه التي يعمل فيها جهاد بعدما تخرج من كلية حقوق جامعة بعنبس الدولية يتحدثان في مقر الشركة فسأله جهاد ذات مساء عن امرأة تصلح للزواج وابنة ناس محترمين .

فقال المدير : لي أخت طبيبة أسنان في سن الزواج ، توظفت حديثا ،كم عمرك ؟

ـ بالضبط خمس وعشرون سنة وتسعة شهور من جيل أختك حسب ما قلت .

قال : نفس السن تقريبا ، على كل شاهدها .

وجلسوا معا الشاب والشابة ـ كانت رندا لها سنة متخرجة من كلية الطب ـ فعرفها بنفسه ، وبعض المعلومات ، وشقيقها إبراهيم أثنى على جهاد ، وأنه شاب متدين ، ويحافظ على الفروض ، وابن ناس محترمون ، وله سنتان يعمل موظفا في شركته ، ثم أحضر عمه حبيب للقاء والد رندا الدكتور المهندس أمجد محمد ، ووجد الرجلان نفسيهما يعرفان بعضهما قديما ، فسر الدكتور المهندس العامل في كلية الهندسة الحكومية في عنبس العاصمة من المصاهرة حتى أن حبيبا سأله: ألها أخت ؟

فتعجب أمجد : أتريد الزواج على أم عصام ؟!

ضحك حبيب قبل أن يجيب : لا ، أخ لجهاد المهندس سالم قبل وقت قريب طلب مني مساعدته بالزواج .

فقال امجد : لها أخت أصغر منها بسنة ، وقريبا ستتخرج من الجامعة طب عام وستتخصص بطب الباطني .. نادي عليها يا رندا قبل أن نغامر بالقبول .

نهضت رندا ، وهي تبتسم وبعد دقائق حضرت ريم ، وسلمت وأشار لها أبوها بالجلوس وقال : صديقنا الحبيب حبيب عارف يريدك لابن أخيه شقيق جهاد ما رأيك ؟ تتزوجان شقيقان.

ابتسمت وقالت : رأيي! ما هو رأيي يا رندا ؟

قال جهاد: سالم أكبر مني بسنة ونصف ، مهندس يعمل في التجارة والمصانع

قال امجد : خلاص يا حبيب ريم موافقة رندا لجهاد وريم لسالم .

قالت ريم : لم أر العريس.

قال حبيب : الآن سترينه .. اتصل يا جهاد بأخيك لا داعي للقاء جديد يا أبا إبراهيم .

اتصل جهاد بشقيقه سالم ، واختصر له الموضوع ففرح بذلك ، وقال: حلوة والله أن نتزوج أخوات يا جهاد! أنا قادم .

أخذ العنوان ، وسالم يعرف شقيق رندا المحامي إبراهيم ، عرفه عليه جهاد عندما كان يزور الشركة التي يعمل جهاد ، وهكذا خطب الشابان الأخوات ، وكان زواجها في ليلة واحدة ، وولد لسالم طفلتان لحد الآن ، وجهاد ولدت له عبد الله ومي .

ودعت وردة عمها وزوجته فاعتذر بأن عليه زيارة لابنة أخته فاطمة الطبيبة علياء عبد السلام في تاج الزمان التي يجلها ويقدرها ، فأختاه سعيدة وفاطمة أكبر منه بسنوات ، فتمنت له التوفيق وأن يسلم على ابنة عمتها وزوجها الدكتور صالح الذي يعمل محاضرا في كلية الهندسة في جامعة تاج الزمان الحكومية .

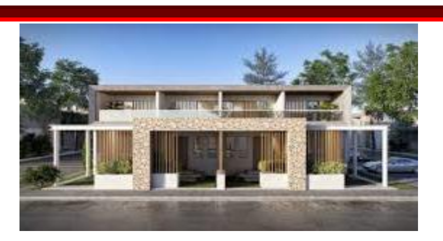
تناول المدعون الطعام والشراب ، وشكروا الله تعالى على نعمه ، وانتقلوا لصالون الفيلا التي بناها عصام قبل الحادث بسنوات قليلة .

كانت وردة تميل بعمل البيت على المربية منذ بداية الحمل لوصايا الطبيب الخاص بعمليتها أن تقلل من الجهد البدني والعضلي حتى يثبت ويستقر الحمل ، فقللت من تعاملها مع المطبخ سواء الطهي الغسيل الكوي ، فكانت تساعدها المربية وسلمت العيادة لصديقتها علياء .

ومنذ زرعت الأجنة في رحمها وهي تسير بحذر وتعمل بحذر ،وتتعامل مع المطبخ بحذر ، لا تعمل إلا الشاي أو القهوة المحبوبة لزوجها ، والشاي المحبوب لهما، قلنا أحيانا تميل وتطلب من مربية جوهر القيام ببعض الأعمال .

جلس الأخوة الثلاثة وزوجاتهم وأزواجهن يتسامرون ، ويتبادلون الأخبار ، وقص عليهم جهاد مقابلته مع محامي شركة سام والمحامي الكوبي راؤول عن سبب اختفاء الوالد ورحيله لتلك الديار متخفيا ومنتحلا اسما جديدا وجنسية جديدة ، وتكلم عن الصور التي أحضرها معه لنصدقه ، ويتأكد من صورة العم حبيب.

وداعبهم سالم قائلا : هذا والدنا غني للغاية يا جهاد !



قال جهاد : لا يقل نشاطا عن عمنا حبيب البركة .. وجدنا عارف كان ثريا أليس كذلك يا عصام ؟

قال عصام متذكرا يوم شكى له أمر العيادة وشريكه : علمني أبي كيف أصير غنيا ؟ لقد ترك الجد عارف ثروة كبيرة في زمانه ، كان يملك أراضي زراعية ربما أكثر من أبي .. عشرات من الدونمات الزراعية ، ولذلك وجه أبي لدراسة هندسة الزراعة ، واستفاد جدي ـ رحمه الله ـ من علم أبي الزراعي .

قالت وردة : عصام نحن تعلمنا من أموال جدنا عارف.

قال عصام :أبي الحاج حبيب لم يأخذ قطعة أرض من أملاك أبيه كميراث لما توفاه الله ، وفرق ميراثه لجدتي التي عاشت بعده ، أما جدتكم أم نجيب ماتت في حياته فأبوكم كما تعلمون من أم وأبي وعمتنا سعيدة وفاطمة من جدتي.. فأبي وعماتي شقيقات من أم وأب ، فورثت الجدة حصة .. وأبي باع كل أملاك أبيه ووزعها حسب الدين .. وبدا من الصفر في أملاكه.. هو كان له بعض الاستثمارات الخاصة في حياة أبيه .. فعمارة حبيب حيث حي البيان المطلة على شارع الجامعة بناها بالحصة التي ورثها عن الجد ، وحصة نجيب عمي وزعها عليكم باعتبار وفاة أبيكم ، ووضعت في مؤسسة رعاية الأيتام إلا وردة كانت تدرس في كلية الطب وبالغة السن المالي ، واعتقد عارفا ورث حصته أيضا ، فهي ظلت في البنك باسم نجيب حتى تيقن موته قانونا ؛ بحيث بقيت حتى أصدرت المحكمة حكما بموته بعد أربع سنوات من الاختفاء .

قال سالم : كان مال أبينا وميراث الجد عارف قصة عشنا فصولها ، ولما بلغنا السن المالي نقلت الأموال بحسابات بنكية لكل من بلغ السن القانوني للمال.

قالت وردة : أذكر أذكر ـ رحم الله جدي ـ كان غنيا .

ـ رحمه الله كان مثل عمنا .

قالت رندا زوجة جهاد : عفوا يا دكتور عصام سمعتك تقول عن عمي حبيب هو الذي صيرك غنيا كيف؟!

ضحك عصام ووردة وقال عصام موضحا : قل الناتج من دخلي في العيادة بسبب مرضي وعجزي ، وشريكي فيها كثر تذمره ، وكنت على وشك تطليق وردة كما تعلمون ، فقال لي : فك الشراكة ما دمت عاجزا عن العمل بيديك ، واعمل استثمارات تشرف عليها لا تحتاج لعضلات ، فامتلكت صيدلية في البداية ، ودفعني لشراء الكثير

من الأسهم وامتلكت عمارة بمساعدته لتأجريها ، فتحسن الدخل يا دكتورة بدون أن أعمل بيدي ، فزاد دخلي بفضل الله ولما عادت وردة لذمتي امتلكنا صيدلية أخرى وشاركنا في مصنع دواء .. المهم فتح والدي لي أبواب الرزق كما يفعل هو ، واليوم كل العائلة تستثمر ، ولا تكتفي بعملها .

قالت معجبة بحله لمشكلة عصام : رائع عمي حبيب يا وردة !

قالت بحب : أفضل رجل عرفته ! حكيم ألمعي .. كان له الفضل في عودتي لعصام .. وأنت تعرفينه جيدا.

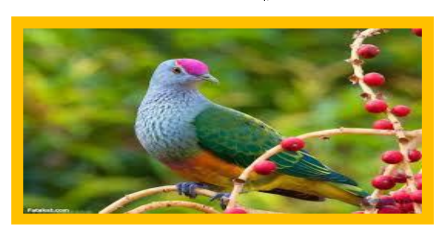
قالت : نعم جاء مع أبي عبد الله لخطبتي ، وخطب ريم بالمعية لسالم ، وهي على مقعد الدرس .. هو والد لجهاد وسالم كما علمت .. وكم يحب الأطفال ، ويرسل لهم الألعاب والهدايا ؟.. وأكيد جوهر يأخذ نصيبه .

السفر إلى كوبا

تراجعت زكية حسني عن إشهار موت زوجها وإقامة سرادق عزاء ، وتأجل حتى يعود جهاد بالخبر اليقين من رحلة كوبا وبوليفيا وجزر الكاريبي.

قامت شركة سام الدولية بترتيب أمر الوكالة باسم جهاد عارف ، وهي وكالة خاصة لنقل أملاك وأموال جيفر كرانسي المسجلة باسم حبيب عارف لجهاد نجيب عارف ، وتم تفعيل الوكالة في محكمة مدنية ، فوافق حبيب على نقل الأموال والأملاك المسجلة باسمه إلى شخص المحامي جهاد ، مضى حزيران في ترتيب الأوراق والوثائق المطلوبة في هذه الرحلة ، وأرسل لهم راؤول إذن السفر لدخول كوبا لتصفية ممتلكات جيفر ، ورحل جهاد وزياد من بعنبس إلى إسبانيا ؛ لأن إسبانيا قد استعمرت كوبا وكل دول أمريكا اللاتينية ما عدا البرازيل كانت من حصة البرتغال ، واستمر الاستعمار إلى أربعة قرون.

وهي التي اكتشفت الأميركتين ، وبدأت الهجرات الأوربية والاستعمار إليها وامتصت خيراتها حتى بدأ الاستعمار الأوربي ينحسر عن تلك البلاد ،



فكوبا أغلب سكانها الأصليين قضت عليهم إسبانيا ، والأمراض التي حملها الأوروبيون معهم قضت على الباقي ، لذلك أغلب اليوم سكانها من الأوروبيين والملونين والعبيد الأحرار والعبيد غير الأحرار ، وظهرت الأحزاب الاشتراكية في القارة ، ثم تحولت لأحزاب شيوعية متأثرة بلينين وستالين ، وأخذت تتملص من القبضة الأمريكية الشمالية ، وفي مطلع تسع وخمسون سيطر

الشيوعيون على حكم كوبا بزعامة فيدل كاسترو .
وأصبح القطاع الخاص ضعيفا ، وسيطر القطاع العام على الدولة ومؤسساتها وبقيت بعض المؤسسات للتعامل مع دول الاقتصاد الرأسمالي الحر. كانت كوبا ضمن منظمة أمريكا ، ثم انسحبت بعد سيطرة فيدل كاستر الشهير على الحكم الشمولي للبلاد ، حتى اضطر أكثر من مليون كوبي للهجرة للولايات المتحدة. عُقد المؤتمر العالمي التاسع للبلدان الأمريكية في بوغوتا بين شهري مارس ومايو عام ١٩٤٨ بقيادة وزير خارجية الولايات المتحدة جورج مارشال، وقاد الاجتماع إلى تعهد الأعضاء بمحاربة الشيوعية في الجانب الغربي من الأرض ، كان هذا هو الحدث الذي شهد ولادة منظمة الدول الأمريكية كما هي اليوم ، بتوقيع ٢١ دولة أمريكية على ميثاق منظمة الدول الأمريكية في ٣٠ إبريل ١٩٤٨ ، دخل حيز التنفيذ منذ ديسمبر ١٩٥١، وتبنى الاجتماع أيضًا الإعلان الأمريكي لحقوق وواجبات الإنسان، وهو أول أداة عالمية لحقوق الإنسان ، ومقرها الرئيسي في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة، وأعضاء منظمة الدول الأمريكية هم الـ ٣٥ ولاية المستقلة في الأمريكيتين.

كانت أمريكا تمنع الأوروبيين من التدخل في العلاقات بينها وبين الجنوبية؛ ولكن الحركات والثورات الاشتراكية والشيوعية تؤرق أمريكا ، وخفت القبضة الشمالية عن الجنوبية ، وتكلفها غاليا ، وهي عدوة لكوبا وتحاصرها من مطلع الستينيات ، سكان كوبا يقربون من عشرة ملايين وتشتهر كوبا بالتبغ والسيجار الذي يتهادى بك ملوك وزعماء العالم ، وتشتهر بصناعة السكر ، وتصديره لأكثر دول العالم.

مكثا ليلتين في مدريد ، وسافرا إلى ميامي في فلوريدا ، وبعد يومين الراحة رحلوا إلى مطار هافانا الدولي ؛ حيث كان في استقبالهم المحامي راؤول ورجل آخر من الشركة ، وساقوهم إلى فندق تم الحجز لهم فيه لمدة أسبوع قابلة للتمديد.

كان يحكم كوبا قبل سفرهم فيدل كاسترو شيوعي ماركسي ، أكثر شيوعية من شيوعي الاتحاد السوفيتي . استراحا يومين كضيافة ، ثم باشروا العمل ، وبدأت حركتهم مع البنك المركزي الكوبي البنك الرئيسي للمعاملات المالية في كوبا ، ومراجعة بعض المؤسسات المالية الكوبية والكاريبية لنقل أموال جيفر لجهاد عارف وكيل حبيب عارف ،ولم تكن الإجراءات ميسورة بسبب البيروقراطية والتشاركية المعقدة .

استمر تحركهم شهرا ونصف ، وتم الخلاص من بعض أملاك جيفر ، وترك المحاميان ما تبقى للشركة بتوكليها بالمتابعة ، لقد كان له مساهمات

في شركات تبغ ومشاغل أدوية ، وتركوا لهم تحويلها لسويسرا لينك لهم فيه حساب لشركة سام تم تحويل أموال جيفر بعد إجراءات بنكية إلى بنك إسباني ، فتحوا فيه حسابا قبل مغادرتهم مدريد حسب تعليمات شركة راؤول، فأصبحت الأموال باسم الوكيل جهاد نجيب عارف ، وفكوا أسر مذكرات نجيب ، وإفراغ خزانته الخاصة ، وأخذ الصور منها وتحويلها لحبيب عارف في بعنبس .

فلما استقرت في يدي حبيب وضعها في خزانته الخاصة في البنك الإسلامي الدولي في المدينة ؛ حيث يستأجر خزانة أمانات من البنك يضع فيها الوثائق والعقود المهمة خشية السرقة والحريق، ومعها بعض المجوهرات الثمينة التي تملكها في ظروف معينة أو أهديت إليه من الخلان .

في منتصف آب وصل جهاد وزياد للديار ، وتركوا لشركة راؤول الدولية تصفية وبيع ما تبقى من أملاك جيفر ، وأخذ مستحقاتهم وإرسال الباقي لحساب شركة سام في سويسرا.

فكوبا دولة كانت تعتمد اعتمادا كليا على الاتحاد السوفيتي ، لأنها مخلب له في الغرب ، وتعتمد عليه في النفط والغاز ، وبعد سقوط الاتحاد أصبحت تحت حماية الروس والصين ، وتسليحها سلاح روسي ، وكان شافيز زعيم فنزويلا يدعمها بنسبة كبيرة من النفط ، ورغم انتهاء الحرب الباردة ، فهي لم تنته عندها الحرب الباردة ، وظلت موالية للشيوعية العالمية ، ومخلب الصين وروسيا .

———

حينما وصل جهاد المدينة بعد رحلة طويلة في أمريكا الجنوبية استغرقت ستة أسابيع نشرت زكية نعيا لزوجها في عدة صحف ، وربما في كل الصحف اليومية والمحلية في البلاد الشامخة تعزي فيه نفسها وأولادها وأقاربهم بوفاة الدكتور المناضل نجيب عارف في كوبا بعد اختفائه في دولة قبرص .

كان الإعلان مثيرا ومدهشا للناس الذين يعرفون زكية أو قريبن منها ويعرفون قصة الوفاء ، وذهابها المستمر والمتكرر كل عام لقبرص ؛ حيث فقدته لإحياء الساعات الأخيرة من حياتهما كزوجين ، كانت تسافر لتلتقي زوجها المختفي .

ونشرت بعض الصحف مقابلات قصيرة مع المحامي جهاد وسالم وحبيب وزكية نفسها أكدوا فيها أن اختفاءه كان بمحض إرادته واختياره بعد خروج الثورة من بيروت ، وزالت عنه الحماية الشخصية بسبب الانسحاب الشهير ، وأنهم عرفوا بحياته من عهد قريب .

وعملت زكية بيت العزاء في نادي العائلة الخاص ، وأم العزاء خلق كثير ممن عرفها وتاجر معها وشارك في هذه المأتم الاستثنائي سوى زوجها ابنها

الدكتور عارف فقط.

أما حبيب فتقبل العزاء في بيته دون مظاهر عزاء ، ولم ير ما فعلته زكية صحيحا ، ومثله جهاد وسالم ووردة اكتفوا بتقبل التعازي على الهاتف ، ومن أتى البيت لهذه الغاية مما دفع بعضهم ليقول لزكية عن سبب عدم ظهورهم في العزاء ، فأجابت هؤلاء لا يؤمنون بالعزاء على هذه الصورة ، وهم يرون أباهم كافرا .

وعلم الناس بالثروة الكبيرة التي تركها نجيب لأخيه حبيب ، وفهم الكثير من المعارف والناس سبب اختفاء نجيب وتغيير اسمه وحمله جنسية كوبا ، وأنه كان مناضلا ملاحقا ، وكان عضوا في المنظمات والفصائل الثورية لتحرير فلسطين ، وشارك في قتل ضابط إسرائيلي قبل أربعين سنة .

ولما استقرت الأموال في بنوك المدينة تبين لهم أنها أموال كافر، ولا يجوز أن تكون ميراثا ، واقترح أحد المفتين بها أنها وصية لحبيب ، فهي صارت مالا حلالا ؛ لصحة هبة الكافر للمسلم والوصية له ، والعكس صحيح ، فالنبي ﷺ تقبل هدايا الكفار كالمقوقس ملك مصر في عهده وغيره من الملوك ، واليوم الدول العالمية الغنية تمنح وتقرض الدول العربية والإسلامية ، فتصح الوصية بالمال للكافر والمسلم للكافر كوصية ، وبما أن حبيبا لا يرغب بتملكها ، وأنها من حقهم كأبناء توزع على الجميع بالتساوي الذكر والأنثى ، فهي أموال لا يجوز التخلي عنها وإضاعتها ، وتركها للكفار ، وحلت المسألة حسب هذه الفتوى ، أي أنها هبة وعطية من العم لأبناء أخيه وزوجته، ووجد هذا الحل ارتياحا لدى حبيب وجهاد وسالم ووردة ، وقبلت زكية وعارف وجريدة بذلك بل فرحت جريدة ؛لأنها المستفيدة بتساوي نصيبها مع إخوانها الذكور، مع أن مفتيا آخر أجاز تقسيم الهبة والعطية على طريق الميراث الشرعي ، وهي لا تعتبر ميراثا لهم ؛ لأن حبيبا حي فهي عطية .

وقدمها حبيب مسرورا لأبناء أخيه ، فهم أحق بها منه. وهو ليس بحاجة إليها ، بل رفض بشدة عندما رغب أبناء أخيه تقديم سيارة كهدية وعرفانا بالجميل أو فيلا تسجل باسمه، شكرهم ورفض بكل قوة .

وقال : أخي جعلني أمينا عليها ، فهي لكم ، وإن كنتم لستم بحاجة إلى المال ، لكن زيادة الخير خير .. هل استلمت جريدة نصيبها؟

ـ وضعناه في البنك على حسابها ، وهي ممتنة لك ، وتقدر موقفك الشهم ، وهي تنتظر إنهاء العقد آخر هذا العام ، وستقوم بعمل مستشفى خاص بها وبزوجها شهاب.

ـ أحسن عمل وفقكم جميعا الله.



وائل

تكلم اللواء خميس هاتفيا مع زكية ، وقدم لها العزاء مع أنه أمّ بيت العزاء ، واتصل بالمحامي معزيا ، ولخص له جهاد حكاية اختفاء أبيه بعد بدء خروج محاربو المنظمات من بيروت حين الاجتياح الإسرائيلي عام اثنين وثمانين ، فذهب لقبرص وهناك عمل تمثيلية على أمي ، واختفى إلى كوبا ، وقضى ما تبقى له من العمر حتى توفاه الله ، ولولا الأموال التي جمعها ؛ ربما ما عرفنا بحياته أبدا ، ترك ثروة باسم العم حبيب أخيه .

لما سمع خميس المعلومات التي قرأ مثلها في الصحف ، وأشبع جهاد فضول ضابط المخابرات المتقاعد سأله عن آخر أخبار الدكتور وائل .

فقال بسخط : علمنا أنه ترك غزة هو ورفيقه إسكندر بن فينوس حتى أخبرني أبوه اللعين أنهم بعد تقديم المعونات تركوا الحملة ، ورجعا لمصر ، ثم اليونان ، وأخبرني السيد فينوس أن ابنه انفصل عنه، وسيمكث في أثينا عدة أشهر ليعمل في أحد مشافي المدينة ، فهو له عشيقة أو صديقة في المدينة ، وأن الدكتور وائلا ترك اليونان تجاه أوروبا ، والراجح في رأي ابنه نحو روما .

قال جهاد مستفهما : هل تراه تعاقد على عمل ؟

ـ لا أحد يعلم .

قال : هل هو غني ؟

قال بغموض: منذ استقر في بلادنا وهو يعمل في المستشفيات والعيادات الصحية ولا تلفن مع زوجته ليطمئنها .. وضعنا في وضع حرج .

قال : ما الحل يا سيدي ؟!

أجاب :لا ندري ! أخته أسيل زياد لا تعرف شيئا ، ولا يتصل بها ، وتكلمت مع أسرتها في فلسطين ، لا يتصل بهم منذ زمن بعيد ، فهو منذ حمل جنسية بلادنا لم يذهب لوطنه الأصلي إلا ثلاث مرات .. وذلك بعد التخرج .. أما أيام الدراسة فكان كل فصل صيفي يعود للأهل ولأخذ المال .. وحين ضحك على علا وتزوجها لم يذهب ولا مرة لفلسطين ..كان يسافر قبرص اليونان تركيا لعلاقته القوية مع اسكندر وشقيقته وزوجها ، ولما تهاجرا هو وابنتي ، كان يسافر لأوروبا وشرم الشيخ للبغاء والزنا.. كل إجازاته يقضيها في السفر والسياحة ، لا زوجة ولا أولاد ، حتى كما تذكر لما ضحك على الدكتورة وردة احتفلوا بزواجهما الوهمي في سويسرا

قال : أنت ذكرت لي أنه كان يهدد ابنتك بالسفر إلى كندا أو نيوزلندا أو أستراليا

قال خميس : سمعنا كلامه وتهديده ، وكنت وما زلت أظنه كلاما فارغا ؛ ليضغط عليها وترجع لشقته .. السؤال المثير يا جهاد لماذا فعل ذلك بعد عودة علا ابنتي إليه ؟! كان يهدد بالهجرة لتعد له الصبية .. ونجح .. هو رجل حقير انتهازي.. سلم لي على عمك حبيب ، فهو رجل عظيم الذي تنازل عن هذه الثروة التي كتبت باسمه! فالتخلي عن دينار صعب على النفس ، وأعاد المال إليكم كما ذكرت بعض الصحف.

قال : عمي رجل يحب الآخرة يا سيدي!

ـ سلم عليه شكرا لك.. وأنا في خدمتكم .. هل نستطيع رفع قضية طلاق على الملعون ؟

قال : تستطيع ؛ لكن تأخذ وقتا يا سيدي اللواء .

ـــــ

اجتازت وردة الشهور الأولى من الحمل ، وثبت الحمل بفضل الله ، مضى أيار وحزيران وتموز وآب ، وغمرت السعادة محبيها ، وسمح لها مركز علاج العقم بمزاولة عملها الطبي مع الكثير من النصائح والإرشادات . عادت للعيادة بحيوية ونشاط ، وفرحت كاتبة العيادة بعودتها وقدرتها على متابعة المريضات والمراجعات ، ورحبت زميلتها علياء بمجيئها للعيادة ، فعلياء كانت تعمل في العيادة بعد الظهر بسبب دوامها الصباحي في مستشفى الحكومة مستشفى بعنبس العام القسم النسائي.

طلبت وردة منها الاستمرار معها حتى تلد ، وعرضت عليها المشاركة في العيادة وترك عملها في المستشفى .

قالت علياء: أشكرك جدا .. سأفكر .. عقدي معهم ينتهي نهاية العام في ديسمبر وهو قابل للتجديد ، عملت معهم بعقد على أمل أن أجد فرصة في الخليج .

قالت : علمت قصتي والمال الذي هبط علينا كما يقال من السماء.

قالت: الصحف أوجزت قصة الدكتور نجيب عارف والدك .. ولماذا عملت أمكم عزاء ، وأنتم لم تشاركوا فيه ؟ !.. ذهبت إلى المكان ، ولم تكوني بين الأهل فعزيتك على التلفون .. وقلت عندما نلتقي وجها لوجه ستبينين لي ما خفي.

ابتسمت وردة وقالت : أبي مات يا علياء منذ عام (٨٢) اختفى من حياتنا واعتقدنا أنه ميت .. ونحن عشنا أيتاما أمام الناس ، ولم تظهر جثته للعيان على أنه ميت ، وبعد سنوات اعتبرته المحكمة ميتا ، كان عمري عشر سنين تقريبا ..وأنا أكبر إخوتي .. كنا تلك الأيام نسكن في بيروت لبنان .. فأعرفه جيدا .. فعشنا على أنه ميت .. ولما كبرنا عرفنا أهم تفاصيل حياته .. قبل أشهر أثناء انشغالي بزرع الأجنة ، حضر محامي من كوبا

علمنا منه بحياة نجيب باسم وجنسية كويبة ، ولم يكن ميتا حقيقة ، وأعلمنا القادم من غرب المحيط أن والدنا نجيب مات في الأول من يناير من هذا العام ، وترك ثروة باسم عمي حبيب والد زوجي ، وأن عليه أن يسافر لأخذ هذه الأموال .. وعرفنا قصة الخلاص من أمي ومنا من أجل العيش والحياة بسلام وأمان.. وحمل الجنسية الكوبية باسم كوبي .. وقد سجل كل أمواله للعم حبيب.

قالت بدهشة :كلها!

قالت : نعم ، في حال موته تنقل كلها لحبيب عارف ، وذهب شقيقي الغالي على قلبي جهاد بتوكيل رسمي موثق وحولها إلى بنوك أوروبية ، ولما رجع قسمت بيننا بالتساوي ، فهي ليست لنا ميراث هي لعمي ، وتنازل عنها لنا ، ولم يأخذ شيئا منها رفض البتة.

قالت بعجب :كلها طبعا!

قالت : هو عمي أخو أبي ، وعمي بزواجي من ابنه ، رفص حتى أي هدية منا فلذلك أفكر بعمل مستشفى خاص مع أختي مع أن أختي هي التي طرحت علينا هذه الفكرة فزوجها طبيب وزوجي أيضا طبيب ؛ فاذا لم نوفق إلى ذلك سيكون مصنعا لصناعة بعض الأدوية ، واذا أنشأنا مستشفى سيكون مخصصا لعلاج النساء والعقم والأمراض التناسلية للنساء ، وسيكون قسم أو جزء للنساء الفقيرات كوقف يا علياء .. وأما العزاء المشوه فرأى عمي أن الوقت قد فات وغير مناسب لعزاء .. فأبي مات بالنسبة للعائلة من ثلاثين سنة ، ومات واقعا في أول يناير وثالثا لا ير عمي وسالم وجهاد صواب ذلك ، وأن الاجتماع للعزاء بتقديم الطعام والأشربة ؛ كأننا في عرس بدون موسيقى ورقص ..وهذا مخالف للدين ؛ إنما هو عادة لا أكثر .. كانوا غير موافقين على أفكار أمي .. فقامت بتنفيذ أفكارها وحدها وابنها المدلل الدكتور عارف .

ـ الذي يسكن معها.

قالت : أنت تعلمين أن أمي لا دين لها، تؤمن بالله كما تقول ؛ ولكنها لا تطيعه قريبة للإلحاد مثل الذين يسمون أنفسهم اللادينيين يقولون الله خلق الكون وأهمله وتخلى عنه حتى يتحرروا من الصلاة والصوم والأخلاق الحسنة، ويتعاملون بالربا والرشوة.

قالت : رحم الله والدك .. والإنسان حر في اعتقاده ..يا وردة كلما أجلس معك ونتحاور أقارن بين وردة القديمة ووردة الجديدة أتعجب فعلا من قدرة الله الرب سبحانه وتعالى!

تنهدت وهمست : آه يا علياء ! كنت في ظلام دامس وليل أسود حالك .. فعلا الجهل بالله سواد وظلم للنفس .. كيف أنت مع الإيمان ؟

ـ أنا وسط.. أصلي مثلك ؛ ولكني أتساهل في

اللباس الديني !

قالت وردة : أدعو الله أن يقوي إيمانك .. اللباس مع الوقت يصير عادة ، وأمر طبيعي ، ويذهب الحرج وكلام الناس .. هداك الله ، وما دمت تصلين فسوف تتغيرين للأفضل بإذن الله .. كيف الدكتور ناصر زوجك ؟ هو ملتزم.

قالت بابتسامة : هو مثلي يصلي ويصوم ؛ ولكنه غير متشدد مثل شقيقك جهاد.

قالت : الإنسان بدون إيمان وعمل صالح كالأنعام ؛ بل أضل كما أخبر القرآن قال ربي في سورة محمد صلى الله عليه وسلم ـ وتمتمت علياء بالصلاة على النبي ـ : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} وقال سبحانه في سورة الأعراف { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } أرأيت ؟!

قالت بانبهار : حفظت المصحف !

قالت : لا ، حفظت جزئيين عم وتبارك وآيات متفرقات أتوقف عندها وأتأملها أجد لها صدى في قلبي وحياتي .

وقالت : فتح الله عليك وبلغك الغاية .

قالت: جميعا بإذن الله .

هولندا

عندما دخل شهر تشرين الأول أكتوبر تلقى جهاد عارف هاتفا من خلال مكتب صهره الدكتور إبراهيم امجد من أمستردام ، استغرب بداية الاتصال ، فهم لا معاملات لهم خارج البلد ، قضايا مكتبهم داخلية أو محلية ، عادة اذا كان الاتصال على التلفون الأرضي يرد على الاتصال الدكتور احمد أولا ، ثم يشير لمن تخصه المكالمة ، ومكالمات الموبايل كلٌ له هاتفه ، قال احمد موظف الشركة القانونية : مكالمة لك من أمستردام !

قال جهاد دهشا : أمستردام هذه عاصمة بلجيكا!

لا ، لا عاصمة هولندا!

ـ نعم ، هولندا .

ـ ممن؟!

ـ صوت رجل عربي لم يذكر اسمه يريد الكلام مع المحامي جهاد عارف ؛ ربما أموال من كوبا.

ضحك جهاد وقال : أموال كوبا ستذهب إلى سويسرا على حساب شركة سام الدولية .

قال احمد: ارفع السماعة .

كل مكتب عليه هاتف أرضي ، رفع السماعة وقال وهو يضع الهاتف على أذنه وفمه : السلام عليكم المحامي جهاد عارف .

ـ كيف حالك؟

قال : الحمد لله .. من المتحدث ؟

ـ أنا وائل زياد ، لابد أنك سمعت بهذا الاسم.

صمت جهاد حتى سمعه يقول : أنت ما زلت على الخط !

انتبه جهاد بأنه سرح فقال مهاجما : ما المطلوب مني ؟! أنت تتكلم من هولندا اخبرني عمك خميس أنك تركت اليونان !

قال : أنت تعرف العم خميسا والد الملعونة زوجتي!

قال : أجل ، وهو منزعج من تصرفاتك الغامضة.

ـ تصرفاتي الغامضة جميل ! إنك تعرف خميسا.

قال : وما الجميل؟

قال : الجميل يا سيدي المحامي أني أريد أن أكلفك بإقناع خميس جعلونة بالتخلي عن الخمسين ألف دولار لأطلق ابنته ، فلن أرجع إلى بعنبس نهائيا ؛ لعلها تجد ذكرا غيري يا أستاذ جهاد ! قد أعود لبلدي إسرائيل حيث أني عربي ومواطن إسرائيلي بحكم الولادة ، ولم يهرب أهلي من إسرائيل ، وقد أبقى هنا مع عشيقتي الأوروبية ، ونحن في غاية الانسجام لحد الآن ، فأردت تكليفك بهذه المهمة وتكليف مكتبكم بطلاقنا .

فقال جهاد بنفس الهجوم والاحتقار : جيد يا دكتور ! السيد الفاضل خميس جعلونة فعلا راغب بالطلاق .. فهو غاضب جدا من خروجك لغزة واليونان دون إعلام زوجتك .. فكان على الأقل بعث رسالة الكترونية تبين الحال .. فقد ظنوا أنك أصبت بحادث ، ودخلت في غيبوبة واتصلوا بكل مستشفيات البلد

ـ هذا أنت مطلع على الملف بشكل جيد !

قال: سأتكلم معه في موضوع الخمسين ألف ؛ ولكن .. كيف سيكون الطلاق هل ستدفع للبنت شيئا ؟

ـ سأدفع فقط خمسة آلاف يا سيد جهاد من باب الإحسان وعشرة الشهور التي عشناها سوية .

ـ سأرتب لك قضية الطلاق مع محامي شرعي مختص ، وأعمل بينكم إتصالا .. ألا تستطيع الحضور لإيقاع الطلاق في المحكمة أمام القاضي وتعود لعشيقتك الهولندية ؟

قال : هي أوروبية ليست هولندية يا أستاذ جهاد .. سأفكر بعرضك .. وأشكر تعاونك وتطفلي عليك .. شكرا والسلام عليكم.

وضع جهاد السماعة والتفت لإبراهيم نسيبه ورفاق الشركة وقال : شخص بغيض يا إبراهيم نسيب اللواء خميس جعلونة الهارب من زوجته المختفي من عام يريد تطليق زوجته علا ابنة اللواء ، ويريد مساعدة في ذلك .. كيف حصل على رقم مكتبنا؟

قال إبراهيم شقيق رندا زوجة جهاد مجيبا : عن

طريق النقابة أو عن طريق وردة أختكم وهناك طرق أخرى .

قال : لا أعتقد عن طريق وردة ، فوردة بعدما اتصل بها يسأل عني أثناء وجودي في غزة الأبية تخلت مضطرة عن خطها القديم ، واشترت رقما آخر من شركة ثانية .. ولماذا يريد مني أنا التوسط بينه وبين اللواء ؟ .. لماذا لم يتحدث مع زوجته مباشرة ، ويعرض عليه العرض؟ .. فهم يريدون الطلاق فعلا .. اخبرني اللواء بذلك .. فحشري في الموضوع لم افهمه!

قال مهران الشريك الثالث مع إبراهيم واحمد : فعلا ، لماذا جهاد عارف؟!.. أنت لست صديقه ولا تحدثت معه قبلا .. فهذه أول مرة أعرف أنك تكلمت معه .

قال : يريد تخفيض مؤخر الصداق من خمسين ألف إلى خمسة آلاف ؛ ليعلن الطلاق ، وأتصور أن السيد اللواء سيوافق .. فالأسرة حزمت أمرها على الخلاص منه.. لقد أسأ لهم كثيرا .

ـ هل ستكلم أبا سليم ؟

قال : الأفضل أن أفعل .. ولسوف تتكشف أسباب هذا الاتصال وحشرنا فيه أو حشري فيه شخصيا .

خرج احمد ومهران لتأجيل جلسة في المحكمة .

رن على عيادة وردة ، فقالت له نوال بعدما عرفته: إنها في غرفة الفحص والعلاج يا أستاذ جهاد

ـ العفو ، لما تخرج دعيها تتكلم معي ولو دقيقة.

قالت : ماشي يا سيدي .

وضع السماعة وقال : مشغولة .. احمد ومهران ذهبوا للمحكمة ..

قال إبراهيم : هناك تأجيل لجلسة كما فهمت منهما .. لدينا قضية جديدة يا أبا عبدالله

ـ قضية تاجر القطن !

ـ أجل ، قضية تاجر القطن سميح .. ملخص القضية كما سمعتها منه إنه استورد كمية من القطن الهندي لمصنع جيهان للنسيج ، ولما وصلت الكمية من الهند أو باكستان رفضت الشركة استسلامها وقبولها بزعم أنها لم توافق المواصفات في العقد الأولي .. غير مطابقة ، ولم تدفع تكاليف الشحن ، وثمن البضاعة ، فيريد رفع قضية على شركة جيهان للنسيج ؛ بل الشركة رفعت عليه قضية غش وتلاعب بالمواد القطنية ، وهو يقول يعطوني تكاليف النقل والتحميل والتفريغ .. والبضاعة سأبيعها لشركات أخرى .

قال : كقضية زيادات التي قتل فيها صاحب المخبز

ـــــ

بعد يومين من مكالمة هولندا اتصل جهاد من المكتب بأمسترادام على الرقم الذي أرسله وائل برسالة نصية **"مسج"** فردت عليه امرأة ، فتكلم

معها بالإنجليزية وأدرك أنها عشيقة وائل ، وذكرت أن الدكتور خارج المنزل ، فطلب منها أن تخطره باتصاله ورغبته بالحديث معه.

بعد مضي أكثر من ساعتين اتصل وائل بمكتب وشركة المحاماة ، ولما رد جهاد نجيب قال وائل متعذرا : كنت في السوق أشتري بعض الكحول يا أستاذي هل كلمت خميسا ؟

قال : لا ، سأكلمه في الوقت المناسب إن شاء الله تعالى.

قال مستفهما : لماذا ؟! وما هو الوقت المناسب ؟ أنا اذا وافق على العرض سأحول المال على حسابك أنت فأنت ثقة عندي .. وأنت أهل ؛ لتكون وسيطا مقبولا يا أستاذ جهاد .

قال : أشكرك ؛ ولكن الذي سيتولى القضية محامي شرعي ؛لأن هذا الأمر يتعلق بالأحوال الشخصية زواج طلاق ميراث.

قال مستلسما : محامي شرعي محامي شرعي المهم أن الأموال ستكون باسمك وأتعاب المحامي ستكون بيني وبينه .. المهم أخلص من علا والخمسين ألف وفقه خميس.

ـ والطلاق!

قال متنهدا : اذا رتبت الأمور قد أحضر ؛ كما اقترحت في التلفون الماضي أو يقوم المحامي الشرعي بنقل طلاقي للمحكمة ويكون غيابيا.

ـ ممكن .

قال : رتب الأمور مع خميس وزميلك المحامي الشرعي.

قال : سؤال يا دكتور!

قال وائل : لماذا اتصلت بك بالذات ودخلتك بالموضوع؟

ـ آ

قال : لم احصل على رقم مكتبكم من وردة يا سيدي .. أنا تكلمت مع شقيقة علا القانونية بسمة خميس .. أتعرفها؟

قال جهاد : أجل ، أعرفها كزميلة وعضوة في مجلس النقابة .

قال : صحيح .. أنا أقدر هذه الفتاة حق التقدير .. وهي تفهم الدنيا والناس أكثر من علا وغيرها .. فعُلا مغرورة ! وكأن لا أحد والده في المخابرات إلا هي .. فهي أنثى خبيثة أيضا .. تحدثت مع بسمة باحثا عن حل ، فأشارت إلى مكتبكم وإليك شخصيا، وبينت أن بينك وبين والدها علاقة شخصية فتصلح أن تكون وسيطا بيننا .. فالرجل يتحدث عنك بإعجاب ومدح وأعطتني رقم مكتبكم والاستعانة بك .. أريد أن أخلص منهم ، ويخلصوا مني.. أرجوك تفاهم معهم مع اللواء خميس اللواء الفاضل.

قال : حسن يا دكتور وائل! بعد أربع وعشرين

ساعة بعون الله سأخبرك بنتيجة الشفاعة حول الخمسين ألف .. كيف قبلتها أنت؟ الرجل وضعها ليصرفك عنها

قال باسما : لست غبيا .. أنا فهمت ذلك يا جهاد! هو لا يريدني زوجا لابنته ، لو كنت ترى دموعها وذلها بين يديّ عندما أتحدث معها وأواسيها لما استغربت .. الآباء الذين مثل خميس لا يفهمون بناتهم .. هم يعتقدون أن البنت اذا حصلت على شهادة كبيرة أصبح الأزواج مجرد ديكور ، تشير إليهم بطرف إصبعها فيلبون أو غمزة عين فيركعون ، ولعبة الزواج زواج ، مهما كان مستوى الذكر.. هم الناس لماذا يتزوجون ؟! من أجل تلك الدقائق بين العشيرين فحسب لا شهادات ولا راتب في الجماع .. فعلاقات الرجال والنساء معقدة مهما حاول علماء الاجتماع فهمها.

انتهت المكالمة مع هولندا وحول الاتصال إلى مكتب الدكتورة المحامية بسمة خميس ، وطلب الحديث معها بعد أن عرف عن نفسه ، فذكر له المجيب أن المحامية في المحكمة تتابع جلسة في قصر العدالة في عنبس العاصمة .

وقال : إن كان الأمر مستعجلا سأرسل لك رقمها الخاص أو أعطني رقم مكتبكم أو رقمك الخاص.

قال : شكرا ، ما دامت في المحكمة .. حين تعود تتصل بمكتبنا شركة العدالة القانونية إبراهيم وشركائه .

وذكر رقم الشركة الأرضي ، وهذه الشركة تهتم بقضايا التجارة ومنازعاتها الداخلية وقضايا الجنايات الكبرى والقليل من القضايا الأخرى.

قبل حلول الإغلاق اتصلت الدكتورة بسمة بمكتب شركة العدالة القانونية وطلبت الحديث مع المحامي جهاد نجيب ، فأخذ جهاد السماعة من يد إبراهيم ورحب بالدكتورة ، وعرف بنفسه وأشار لزملائه بالانصراف .

قالت بسمة بعد التحية والسلام : أنا سعيدة بالحديث معك يا أستاذ جهاد علمت أنك اتصلت بنا للحديث معي .

قال : كيف الحال؟

قالت: نحن نعرف بعضنا من خلال النقابة ، وأنت دائما مع التيار الإسلامي ومحسوب عليه ؛ ولكن لم يكن بيننا لقاءات خاصة.

قال : صحيح .

قالت : أبي خميس معجب بك بأخلاقك ونشاطاتك الاجتماعية والإغاثية وهمتك العالية.

ـ شكرا لك ولأبيك المحترم .

قالت : ما المطلوب مني؟!!

قال : لا شيء ، فقط أريد أن أتأكد من أنك حدثت زوج أختك الدكتور عن الحديث معي.

تبسمت بصوت مسموع وقالت: صحيح ، اتصل بي من أجل تدخلي من أجل شقيقتي الطبيبة وطلب مني أن أحدث والدي عن التنازل عن المؤخر المؤجل الخاص بعقد زواجها .. أتعرف عنه شيئا ؟

قال : الخمسون ألف أعرف أمرها من والدك أولا

قالت : بحكم أنني محامية وأخت زوجته كان يتحدث معي أيام السلام حول بعض القضايا والمشاكل القانونية ، فقلت له يا وائل الحديث مع أبي بشأنها والتنازل عنها لا يليق بي ، فهم يرغبون بالطلاق لتصرفاتك الهوجاء قد يقبلوا تخفيضها .. وخطرت في بالي ؛ ربما لكثرة مدح أبي لك .. وقد زارك لما رجعت من غزة الأبية يتحدث معك بشأن اختفاء وائل .. وأنت على علم بالتفاصيل وأهم مجريات القصة فأعطيته رقم شركتكم القانونية على أمل أن يقبل أبي شفاعتك وتساعدنا في حل المشكلة ومأساة شقيقتي .. أرجو ألا أكون تطفلت عليك !

قال : أبدا ! الناس لبعض يا دكتورة ! أنا عرفت والدك المحترم بسبب وائل .. وبيننا اتصالات طيبة .. ووائل يريد تقليص المؤخر لخمسة آلاف فقط بدلا من الخمسين أترين هل يقبل الوالد ذلك ؟

قالت: الواقع والوضع يقول إنه سيقبل هو وعلا حتى ولو لم يدفع شيئا ، خلاص ملّت وبغضته فهي تعبانة نفسيا للغاية .. على كل حال يا أستاذي تحدث مع أبي

قال : ماشي وشكرا.

قالت : الدكتور فهد زوجي يسلم عليك ويرحب باللقاء بك ، وعلى رأيه قد صرت من العائلة

أخذ جهاد موعدا مع اللواء خميس للحديث حول طلاق علا طبيبة الأطفال في مستشفى تاج الزمان ؛ حيث تخلت عن رئاسة قسم الأطفال في مستشفى جامعة بعنبس من سنين ، رحب اللواء بجهاد في بيته ، وعلى مسمع من ابنته وأمها وشقيقها سليم الضابط في قطاع الشرطة .

كانت الجلسة في صالون الفيلا الخاصة بخميس ، بين جهاد قصة الاتصال الهولندي بمكتبهم على غير سابق معرفة بينهم ، وطلب وائل منه التوسط بينهم في قضية الطلاق ، وهو مستعد للطلاق اذا تنازلوا عن الخمسين ألف ، وهو يفكر بالاستقرار في أوروبا ، ولا يرغب بالعودة لبعنبس ، وهو يعيش مع امرأة أوروبية لم يحدد جنسيتها تغافل عن ذلك ، ويعيشان في أمستردام

فقال خميس متسائلا : أليس من الغريب أن يتحدث معك يا جهاد أنت ، ولم يناقش الموضوع مع علا؟!

قال جهاد : هو من الغريب حقا ! لا صلة بيني وبينه ولا معرفة خاصة ، وحتى شركتنا لا تتعامل

مع قضايا الطلاق .. لا أدري لماذا لم يتحدث معكم مباشرة يا سيدي اللواء ؟! أنا لم ألتقِ به شخصيا كما تعلم .. هذه أول مرة أسمع صوته .. أنا وضحت له أن مكتبنا لا يعالج قضايا الطلاق ، ووجهته لزميل يعمل على مثل هذه القضايا .. فهناك محامون يتعاملون مع المحاكم الشرعية المسلمة والطوائف الأخرى.

قالت علا وهي تكاد تبكي : يعني اذا تنازلت عن المؤخر اللعين سيتم الطلاق!

قال جهاد : هذا ما تفاهمنا عليه ، سيدفع خمسة آلاف فقط يا سيادة اللواء ! وسعيت لإقناعه بالمجيء لجلسة الطلاق ، وعدني بالتفكير في هذا الاقتراح مع أنه يستطيع إيقاعه غيابيا بواسطة موكله .

قال اللواء : لا أظن أنه سيقدم البلد ؛ لأنه جبان وحقير.

قال سليم بحدة : حتى لو لم يدفع الخمسة علينا أن ننتهي منه يا أبي ويا علا.. رجل مأفون نذل

قالت وقد دمعت عيناها وتهدج صوتها : لا أريد درهما منه ، ولا حتى الأثاث حتى الخمسة اذا دفعها لن أمتلك منها شيئا .

قال جهاد : هذا تعويض بسيط عن الأذى والضرر اللذين سببهما لك .

صاحت : المهم أخلص منه يا حضرة المحامي !..

فضحني في كل مكان ، كرهت من أجله كل الرجال والزواج .

قالت رباب: اهدئي يا بنية ! الزواج قسمة ونصيب .. وأقدار لن نصنعها يا بنتي! لا تنفعلي أمام المحامي جهاد .

قال خميس : هلا أعطيتني رقمه.

قال : رقمه معنا ؛ ولكن أخشى عليك الانفعال يا سيادة اللواء ! والرجل خارج البلاد لا نريد تعقيد الأمر .

قالت رباب : كلام المحامي صحيح يا خميس ! هل عينت محاميا شرعيا؟

قال : سيقوم المحامي بهلول بذلك ، وأنا أفضل أن لا نقيم دعوه وقضية .. يقوم المحامي وعلا بتقديم استدعاء أمام المحكمة ، ويدخلون على القاضي الشرعي ويعلن الطلاق أمامه، بعد أن تعلن علا أمامه أنها استلمت حقها الشرعي وينتهي الموضوع بدون رفع قضية طلاق.

أرسل وائل خمسة آلاف دولار على حساب جهاد نجيب ، وقدم بهلول طلب طلاق لدى محكمة شرعية بحضور سليم وعلا ، وتعين يوم الطلاق أمام القاضي وإعلانه .

عندما يتفق الطرفان وديا على الطلاق الرسمي يقدمان استدعاء أمام المحكمة بواسطة الكتبة غير

الرسميين أمام المحكمة ، ويدخلان على القاضي ، وخلال دقائق ينتهي الأمر .

حضر وائل من هولندا والتقى ببهلول وجهاد وشكرهما ، وأعطى جهاد المال لبهلول ، وصحب وائل عشيقته الأوروبية معه للمحكمة بسيارة مستأجرة ، وتسلم سليم المبلغ بشهود أخته ، وأعطاه لعلا التي وضعته في حقيبة اليد بنفرة وكره ، ورفضت مصافحة وائل وعشيقته

دخل بهلول على القاضي وأعلمه بحضور الطرفين ، ولما صارت أمام القاضي سألها هل قبضت مؤخرك ؟ أشارت برأسها وقالت :نعم .

وطلق وائل الزوجة ، وأصبحت أجنبية شرعا عنه . ذهبوا بالقرار إلى كاتب المحكمة ، فسجله ووثقه ، وذهبوا إلى الطابع ، فعمل لكل واحد منهم قسيمة طلاق ، صدقت من القاضي وانتهى الأمر .

غادر الجميع المحكمة سليم مع أخته ، ووائل وصديقته ، وجهاد مع بهلول بعد أن تسلم أتعابه، وافترق القوم .

واتصل خميس بجهاد : شكرا لك يا أبا عبدالله ! والحمد لله خلصنا من وائل وحكايته .. المبلغ أيها الصديق الذي قبضته علا لا ترغب فيه ،ولا تحب أن تنتفع به .

قال : حقها الديني يا أبا سليم !

ـ لا تريد أن تنتفع به لنفسها تريد بعثه لغزة .

قال : جيد ! وهذا نفع عظيم ؛ لكن صبرها أسبوعا ، قد تغير رأيها ، ويذهب السخط والضيق وتتبرع بجزء منه .

ـ هذا رأيك !

قال : أجل هذا رأيي ، أنا أعلم كما تعلم أن الدكتورة تعمل وتملك المال .. فلتصبر بضعة أيام قد تغير رأيها .

ـ شكرا على النصيحة .. سأعطيها رقمك لتتحدث معها ، وأبسط لها النصيحة فهي محطمة نفسيا وأخذت إجازة لمدة أسبوعين .

قال مواسيا: كان الله في عونها ، رغم بغضها للرجل ، فالطلاق في مجتمعنا المعاصر نكبة وكارثة للأنثى.. هنا جمعية أعمل أو الأصح أتعاون معها يديرها منذ تأسست الدكتور الأستاذ احمد نبيل عميد كلية الإدارة في جامعة تاج الزمان من أهالي البلدة هذه يا أستاذ خميس جمعية تنشر العفاف والفضيلة ..اسمها جمعية العفاف والزواج .. تعمل على مساعدة الأرامل والمطلقات والعوانس على الزواج .. وهي معروفة بعنبس ، ولها أكثر من عشر سنوات في المدينة ، تساعد على التوفيق بين هذه الفتيات والشباب الذكور ؛ فإذا رغبت علا أن نضع اسمها على قوائم الجمعية فنرحب بذلك .. تناقش معها ، وخذ رأيها يا سيدي.. جمعية العفاف والفضيلة شارع سلمان الفارسي قرب

مدارس التحرير العربية.

ـ سأعرض عليها الفكرة واقتراحك وعطفك..

فهي اليوم كفرت بالزواج والرجال.

قال : لا غنى للناس عن الزواج يا أبا سليم ! كل شعوب الأرض تتزوج ، وأشكاله مختلفة ، لكل أمة منظومة وتقاليد معينة فيه .. أعطها رقمي لنتكلم في موضوع المال لجمعية الإغاثة .. فهي ما زالت تسير القوافل إلى غزة الأبية ، وتهتم بأيتامهم.

التحقيق الجنائي والجريمة

شارع البحيرة الخامسة

الحلقة ٤

الفصل الثامن

بعد الواحدة ليلا وبينها الرائد عبد الله أحمد أبو العبد يجلس هو وبعض أفراد أسرته في انتظار خروج ابنته الوحيدة من غرفة العمليات ، رن جرس الهاتف المحمول الخاص به ، ففتح الجهاز واستمع ، كان الاتصال من دائرته ، فلما أغلقه التفت لزوجته وأخيها وقال : مهمة أيها الأحباب !

فالتزم الجميع الصمت ، فهم يعرفون طبيعة عمل أبي مريم ، فانسحب بهدوء وركب سيارته منطلقا بها نحو شارع البحيرة الخامسة ، وإلى عمارة كبيرة تسمى عمارة " زكي الملاح " ، فلما وصلها وجد عددا من سيارات الأمن والشرطة والنجدة تقف أمام البناية الكبيرة ، فتحدث مع أحد رجال الشرطة فقال: إنهم في الطابق الثامن.

فركب المصعد الكهربائي إلى الطابق الثامن ، ولما خرج من باب المصعد ، وجد أيضا أعدادا من رجال الأمن منتشرين ، فتحدث مع أحدهم فسأل عن مكان الحادث ، فأشار إلى أحد المداخل ، فاتجه إليه ولما وصله ، وجد لوحة صغيرة على يمين الباب مكتوب عليها "جمعية أصدقاء العلم الأوروبية " ، ففتح الباب ودخل فوجد عددا من كبار الضباط داخل شقة الجمعية ، فألقى عليهم السلام ، ووجد مساعده يوسف صابر بينهم ، وكذلك الرائد عوني بصاره ، والملازم دشهان فاقترب من مساعده وقال هامسا : حدثني بالتفصيل.

فقال بصوت هامس : اتصل بنا المخبر فايز .. حوالي الساعة الواحدة وعشر دقائق ، وأخبرنا أنه سمع إطلاق نار مسدس في هذه المكاتب التي نحن فيها الآن .. فهو كما تعلم يراقب السكرتير فرج حسيب حسب التعليمات .. خرج فرج من شقته حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا فهو يسكن في حي الشجرة شارع الدكتور جميل شقة بالإيجار ، وهو غير متزوج مثل مديره الميت .. جاء إلى شارع البحيرة فظن فايز رجلنا أنه ذاهب للمركز العلمي

في ذلك الليل فكما تعلم المركز يقع في هذا الشارع في عمارة قريبة من هنا ، ولكنه نزل أمام هذه العمارة ، ولما اختفى فرج داخل العمارة ، ترك زيادا في السيارة قريبا من العمارة ، وسار خلف فرج ونظر إلى لوحة المصعد فرآه يصعد للطابق الثامن ، فتبعه بعد قليل ، فكانت كل المكاتب مغلقة إلا بصيص من النور يتسرب من تحت باب شقة الجمعية هذه ، فتوارى في أحد الزوايا ، وكان أحيانا يقترب من الباب بخفة القط ، وكما قال لي : إنه كان يسمع أحيانا بعض الصراخ العالي المكتوم.

وبعد نصف الليل جاء شخص للعمارة ، وكان زياد قد أخبر فايزا على الجهاز فأخفى نفسه .. وكان الشخص يضع على رأسه قبعة تخفي جزءا كبيرا من وجهه، وهو طويل القامة نحيف البدن .. اقترب من باب الجمعية ودخل ، وبعد حين سمع فايز صوت طلقات الرصاص .. فألصق أذنه في الباب ، فكان المكان هادئا ، وانتظر فترة فلم يسمع صراخا ولا صوتا، وبينما هو يتابع الموقف والحيرة تنتابه اتصل به زياد قائلا : ما الأمر يا فايز؟ .. لقد خرج الرجل ذو القبعة ومعه آخر .. ولكنه ليس فرج من هيئته ومشيته.

فدهش فايز ورد : ولكني لم أرهما يخرجان .. انتظر قليلا.

واقترب من باب الجمعية وحركه يمينا وشمالا ، فوجده مغلقا من الداخل ، فدفع الباب بكتفه بقوة ففتحه ، ثم دخل المكان المعتم حتى وصل إلى هذه القاعة الموضوع فيها المقاعد الخمسة حول هذه المائدة البيضوية ، فأضاء الإنارة فوجد السيد فرجا مجندلا بدمه ، فاتصل بزياد وقام زياد بإخبار الشرطة والإسعاف .. فحضروا وها هم يقومون بواجباتهم ، فلما عاين الضباط والطبيب الشرعي الجثة نقلوا الجثة إلى المستشفى ..ويقوم رجال المختبر الجنائي والبصمات بما يلزمهم.

فقال عبد الله : الرجلان الهاربان ماذا فعلتم بهم؟

ـ لا شيء .. لأن رجالنا يراقبون فرجا فقط .. ولم يقع في خلد فايز أن هناك جريمة قتل هو سمع صوت رصاص .. ولم يخرج أحد من الباب الذي يراقبه ، فقد تبين أن للجمعية بابين الذي دخلت منه ، وآخر الذي خرج منه القتلة .. فهل هذا يدل على أنهم يعلمون أننا نراقب فرجا فتخلصوا منه ؟.. ولكنّ زيادا أخذ أرقام السيارة التي ركبها الرجلان وقد بلغت دوائر السير والمرور بذلك.

فلما استمع الرائد أقوال مساعده يوسف ، عاد حيث يقف الضباط ، فقال أحدهم وهو عقيد في الشرطة : رائد عبد الله يقول الرائد عوني أن رجال الاستخبارات في القضية ؟؟ هل هي قضية تجسسية ؟

اقترب الرائد من العقيد السائل وهمس بصوت

ضعيف : يبدو أنها كذلك ، فرجلنا هو الذي أخبركم بوقوع الجريمة .. فأنتم تابعوا الموضوع ؛ كأنها قضية شرطة جريمة قتل عادية .. فهذا الرجل المقتول كان تحت مراقبتنا على مدار الساعة .. ولكن ما توقعنا أن يقتل بهذه السرعة .. فكأنهم شعروا بنا .. ولكن لماذا قتل ؟ هذا هو المهم ؟!

فقال العقيد : إذا شعر هؤلاء الخصوم بأنه تحت المراقبة تخلصوا منه ؟!

ـ ولكنهم يعلمون أنه تحت المراقبة فلماذا غامروا ؟!

ـ الخوف .. والخطر.

ـ على كل يا سيدي نرجو تقريركم بسرعة وعجلة.

فقال العقيد : لقد تحركنا بسرعة ، فصاحب العمارة في الطريق إلينا ، وعرفنا منه أن بواب العمارة يتغيب عن العمارة بعد عصر الجمعة حتى صباح السبت ، فهو يقوم بزيارة عائلته .. والبواب رجل مسن تجاوز الستين من السنوات ، وسيمر عليه السيد زكي الملاح ، ويأتيان معا لنسمع منهما قصة هذه الجمعية.

وما كاد الضابط العقيد ينهي كلامه حتى أخبره أحد صغار الضباط بحضور المدعو زكي ملاح فأمر بمجيئه إليه ، وبعد التحايا قال العقيد الشرطي : يا سيد زكي هذا المكان كان مسرحا لجريمة قتل رجل ..علمنا أن اسمه فرج حسيب هات ما عندك من أقوال ؟

كان السيد زكي رجلا طويل الجسم يضع على عينيه نظارة طبية، وهو قد تجاوز العقد الخامس وبصحبته شاب وهو ابنه والبواب الذي كان في غاية الوهن والخوف فقال زكي : ماذا تريد بالضبط ؟؟

فقال العقيد بهدوء : يا هذا .. من هؤلاء المستأجرون عندك ؟

فقال الشاب ابن زكي : عفوا يا سيادة الضابط .. نحن نملك هذه البناية ، هذه الشقق والمكاتب يقوم على تأجيرها محامي الوالد .. فنحن لا نعرف شيئا عن هؤلاء المستأجرين .. فالأستاذ المحامي وليد بكرز هو محامي الوالد وهو الذي يستطيع الإجابة عن هذا السؤال ؟

لما سمع عوني اسم وليد بكرز نظر في عيني الرائد عبد الله ، وعلى وجهيهما علامات استفهام وقال مخاطبا العقيد : نحن يا سيدي العقيد .. نعرف هذا المحامي، وهو أحد شهود جريمة مقتل الدكتور جميل.

ـ أتعرفونه ؟

ـ نعم ، نعم ، يا سيدي.

فعاد العقيد يقول : إذن يا سيد زكي أنت لا تعرف عن المستأجرين عندك شيئا .. حسنا وأنت ـ

وأشار للبواب ـ بواب هذه العمارة .. لماذا تركت العمارة ؟.. ومن هؤلاء المستأجرون هنا في هذه الجمعية ؟

فقال البواب والخوف مرتسم على وجهه : يا سيدي .. يا سيدي الضابط .. أذن لي السيد أبو موسى .. بزيارة أسرتي مساء كل جمعة والمبيت عندهم لصباح السبت .. لأن العمارة تكون شبه خالية يوم الجمعة.

ـ جميل هذا !.. إجازتك تبدأ عصر الجمعة منذ متى هذا النظام يا سيد زكي ؟

فرد السيد زكي ببطء : نعم ، سمحنا له بترك العمارة عصر كل جمعة لقضاء بضعة ساعات عند أسرته ، وخلال ساعات النهار يمكنه أيضا الانصراف بضع ساعات ثم يعود .. وهذا المحترم يعمل في هذه البناية ..وهذا نظام اتفقنا عليه منذ وظفناه بوابا عندنا .. أعتقد منذ عشر سنوات أو أكثر

فنقل العقيد بصره إلى البواب أبي أحمد وقال : وما تعرف عن هذه الجمعية ؟

فقال أبو أحمد وما زال في صوته اضطراب : استأجروا هذه الشقة .. وصارت جمعية منذ أكثر من خمس سنوات أو ست ، وأكثر روادها من الأجانب .. قليل من العرب يعملون بها أو حتى يدخلوها.. وقبل سنة غادروا الجمعية وذكروا لي لما سألتهم أنهم استأجروا مكانا آخر .. ولكن السيد الدكتور فرج حسيب وكان من ضمن أعضائها قال إنهم سيبقون مستأجرين الشقة على أنها فرع للجمعية الرئيسية، وكان يتردد عليها هو والدكتور جميل عازلي مدير المركز العلمي القريب من عمارتنا هذه .. وقد قتل منذ أيام .. وهو الذي جدد العقد مع حضرة المحامي وليد بكرز .. وكانت في الحقيقة لا تفتح إلا مساء يوم الجمعة من كل أسبوع يحضر بعض الأجانب ويلتقون ليلا .. ولا أعرف أكثر من ذلك يا سيدي.

فقال العقيد : أفهم من كلامك أيها السيد أن الدكتور فرجا كان يدير الجمعية بعد رحيل الأجانب إلى مكان آخر.

فتدخل الشاب ابن زكي ملاح : يا سيدي العقيد .. كل المعلومات تجدها عند المحامي بكرز.

فقال البواب : هذا الحق يا سيدي العقيد.

وقبل أن يرد عليهما العقيد تقدم أحد الضباط وقال : يا سيدي .. انهينا عملنا وشغلنا ، ورفعنا البصمات عن المكاتب والملفات ، وتحفظنا على كل شيء مهم موجود هنا ، وفتشنا الخزانة المعدنية ولم نجد فيها شيئا ذا بال.

فقال العقيد : أحسنتم !.. شمعوا الأبواب بالشمع الأحمر ، وضعوا الحراسة المناسبة .. وشكرا لك يا سيد زكي أنت وابنك.. وشكرا لك يا أبا أحمد ..

قد نضطر لأخذ أقوالكم بشكل رسمي وتقليدي .. وأنت رائد عوني أحضر لي المحامي وليدا إلى مديرية الأمن لنسمع أقواله .. هيا بنا يا حضرات الضباط.

انطلق عبد الله الرائد بسيارته وراء الرائد عوني نحو مركز أمن حي الشجرة، ومكث عنده نصف ساعة، ثم انتقل إلى المشفى فوجد أن ابنته قد خرجت من غرفة العمليات الجراحية بسلام وأمان ، وما زالت تحت تأثير المخدر الذي خفت حدته فقبلها ، ودخل على الطبيب المعالج في مكتبه واطمئن على نجاح العلاج ، وبعد حين يسير عاد لمركز عمله في دائرة الاستخبارات قسم مكافحة التجسس يتابع قضية مصرع الدكتور فرج سكرتير المركز العلمي الصناعي ، فوجد مساعده النقيب يوسف في انتظاره ، وقال له : اتصل الأخ عوني بدائرة المرور، وحصل منها على اسم مالك السيارة ، وتبين أن السيارة مسروقة يوم الأربعاء ، وهناك بلاغ رسمي بذلك ، وتم وضع مالكها تحت المراقبة ؛ فلربما يكون أمر سرقتها مدبرا ومرتبا لارتكاب هذه الجريمة .. وهم قد كثفوا البحث عنها في جميع أنحاء القطر

قال الرائد عبد الله : نريد معلومات عن جمعية أصدقاء العلم .. وما علاقة جميل وفرج معها ؟

فقال النقيب : عندما يتم استجواب السيد بكرز قد يضيء لنا بعض الطريق.

فقال عبد الله بتشاؤم واضح : لا أعتقد أن لديه كثيرا من المعلومات .. فمنظمات التجسس عادة يتحركون بذكاء وحنكة .. فهو لا يعرف عن موكله جميل شيئا .. فهو هنا مجرد محامي يقوم بتوثيق العقود نيابة عن السيد زكي ، وربما يحصل الإيجارات له .. من المهم أن نعرف الآن متى بدأت علاقته بالسيد جميل وفرج ؟ .. ونريد أن نعرف مدى الارتباط بين مركز البحث العلمي والجمعية بالجامعات الألمانية .. فلذلك علينا مخاطبة السفارة سفارتنا للتأكد من ذلك الارتباط.. وليكن ذلك في غاية السرية والكتمان وبعجلة .. أرسل فاكسا باسم مدير الدائرة .. وأريد مراقبة كل موظفي المركز بدقة من الفراش حتى أكبر موظف .. هل لقطتم شيئا من مراقبة الهاتف والبريد؟

ـ لا شيء .. جاءنا تقرير يفيد أن المكالمات الهاتفية عادية.

ـ قد يكون فيها إشارات وشيفرة ورموز معينة ؟

ـ هي مسجلة ، وهي طبيعية لا غريب فيها .. وأما الرسائل فمنذ مقتل السيد جميل أرسلوا فاكسات وبرقيات نعي وإخبار بموت الدكتور إلى جهات مختلفة من أوروبا، واستقبلوا كثيرا من برقيات التعزية والمواساة .. قد لا يكون نشاطهم من ضمن المركز .. ربما من خلال هذه الجمعية أو غيرها.

ـ يوسف فلتبق على اتصال مع الرائد عوني ، ولما يأخذوا أقوال حضرة المحامي حاول الحصول على نسخة للاطلاع عليها .. وأما أنا فإني بحاجة لقسط من الراحة والنوم.



ـ لا حرج يا سيدي.. اذهب إلى منامك .. وسوف أتابع القضية هنا وهناك وستجدني عند حسن الظن يا سيدي.

ـ أنت دائما عند حسن الظن.

وتركه عبد الله وذهب حيث ينام ضباط جهاز الاستخبارات ، وما ألقى بنفسه على سريره حتى استغرق في نوم عميق ، ولم يكد يأخذ حاجته من النوم حتى جاءه أحد العاملين يخبره بأن ابنته تطلبه في المستشفى ، وترغب برؤيته ، فقفز قائما ، وارتدى ملابسه ، وأسرع نحو المستشفى وهو في قلق وترقب فوجدها قد استيقظت تماما من البنج .. وهي تريد رؤيته شوقا وحبا .. فاقترب منها وقبلها من جبينها المرهق ، وحمد الله على سلامتها وجلس بجوارها يداعب خصلات شعر متدليات على ووجهها المتعب ، وهو في غاية السعادة فإنها ابنته الوحيدة .. عندما ولدتها أمها أصابها مرض منعها الأطباء من تكرار الحمل حتى تشفى منه تماما.

الفصل التاسع

في التاسعة من صباح يوم السبت ترك الرائد عبد الله المستشفى إلى مركز شرطة حي الشجرة ، والتقى بالرائد عوني ، ووجد عنده التحري الخاص جريرا، ولما علم الأخير بمقتل السكرتير فرج ليلة أمس أصابه الذهول وعلق قائلا : جريمتان في أسبوع واحد .. إن هذا المجرم لجريء أيها السادة ! وهل يعقل أن للسيد بكرز يدا في هاتين الجريمتين ؟!

فقال عوني : إنه لم يصدق معنا في أقواله عند مقتل جميل .. لكن لا أرى أنه القاتل .. فوقت حدوث الجريمة ، كان يجلس مع الدكتور خضر وزوجته ، وعلاقته في عمارة زكي ملاح علاقة أجرة وإيجار فحسب.

فقال الرائد عبد الله : بيت أو شقة فرج تحتاج لتفتيش ومراقبة شرطية ، فهيا نتحرك نحوها الآن وتحركت بهم سيارة نحو العمارة التي يقطن فيها السكرتير فرج ، وتحدثا مع البواب الذي فاجأهم قائلا : يا سادة بعد منتصف الليل حضر رجلان ودخلا شقة فرج الدكتور.. وكان معهما مفاتيح الشقة ، وامضيا ساعة من الوقت ، وخرجا وبين أيديهما حقيبة كبيرة ، وتركا المفتاح عندي قائلين " إن السيد فرجا سوف يسافر بضعة أيام ثم يعود"

فأخرج الرائد عوني بطاقته للبواب ثم قال : نحن يا هذا رجال مباحث شرطة .. فاذكر لنا صفة هذين الرجلين.

فقال البواب : كنت يا سيدي أجلس في هذه الغرفة ـ وأشار لغرفة صغيرة في مدخل العمارة ـ فلما سمعت صوت سيارة تقف فتحت نافذتها وأخرجت جزءا من رأسي وقلت "من؟!" فقال أحدهم : أصدقاء فرج .. أما أحدهما فطويل ونحيف وذو وجه رفيع وشارب كثيف جدا ويضع على رأسه قبعة عميقة .. وأما الثاني فاقصر من الأول وجسمه أسمن منه.. وكان يلبس بدلة زرقاء قاتمة ، ويضع على عينيه نظارة خضراء، وله شارب سميك كصاحبه .. وظللت مستيقظا حتى هبطا وحيياني بعدما دفعا لي المفتاح ، وأخبراني بسفر الدكتور فرج ، واختفيا في جنح الظلام الدامس.

فقال عوني : هات مفتاح الشقة واصعد بنا لشقة فرج .. واعلم أيها الرجل أن السيد فرجا قد قتل .. وهذان الشخصان الراجح أنهما قاتلاه .. واكتم الأمر حتى تعلن الشرطة عن مقتله مفهوم.

تباكى الرجل وقال : حاضر .. إيه كان رجلا محترما .. آه .. لقد كان كريما معي!

وأتى البواب بمفتاح شقة فرج ، وصعد إلى الطابق الثاني حيث الشقة ، وفتحها وأضاء الأنوار وقال : تفضلوا.

كانت الشقة مقلوبة رأسا على عقب لا شيء في مكانه .. ملابس متناثرة، وكتب مثل ذلك ، وكثير من الأوراق مطروحة على الأرض ، وخزانات فارغة ، فبدا لهم أن الرجلين فتشا الغرف تفتيشا دقيقا ، وأخذا ما يلزمهما من أشياء فرج ، وما قد يلقى ضوءا على الجريمة فقال عبد الله : علينا أن نعيد ترتيب هذه الأشياء بسرعة لعلهم تركوا لنا شيئا يعجل في مطاردتهم والقبض عليهم.

وبعد ساعة من العمل السريع أعيد ترتيب الشقة ، ولكنهم لم يجدوا ما يساعد على كشف الغموض المحيط بهذه الجريمة ، ووجدوا في أحد أدراج مكتب السيد فرج وفي ركن من أركانه مفتاحين صغيرين ، لما شاهدهما عوني وتأملهما جيدا قال : إن لم أخطىء فهذان مفتاحان خزائن الدكتور جميل اللذين اختفيا عند بحثنا عنهما .. أخذا من سلسلة مفاتيح جميل بعد مقتله.

فقال جرير بعد أن قلبهما بدوره : أكيد أنهما هما .. ولكن قد يكونا قد وضعا بكيد من العصابة للمزيد من التضليل ؟

فقال عبد الله : أرى أن السيد فرجا له يد في مقتل جميل.

فقال الآخران بدهشة : كيف ؟!

ـ أما كيف ؟! .. ففرج سكرتير جميل ، فهو الذي

يستطيع أخذ المسدس من مكتب جميل بدون أن يشعر به أحد، وجاء متأخرا إلى الحديقة وشرب الشاي، وأشغل أصدقاء الدكتور بمرض قلبه، ولكنه قبل أن ينصرف للمطار للمجيء بشارل برس ضيف الجامعة والدكتور جميل دخل على الدكتور، وجرى بينهما حديث قصير قام السكرتير بالغدر بجميل، ورتب الأمور بسرعة وخرج مسرعا، وقد ادعى أنه شاهد أجنبيا بسيارة أمام الفيلا لتضليلنا، ولابد أنه هو الذي اتصل بصدقي لما لم يجد الزائر مغيرا صوته مخبرا بموت الدكتور ليصل رجال البوليس قبل عودته .. وإن لم يفعل هو الجريمة بنفسه، قام أحد الذين يعملون معه بفعلها .. والراجح لديّ أنه هو؛ لأنه هو الذي يعرف تفاصيل بيت جميل، وأن جميلا يجلس في المكتب وحده، وأن ضيوفه في الحديقة يثرثرون، وهو الذي يعرف مسدس جميل، وهو الذي يعرف هذه المفاتيح التي بين أيديكم، وأرى أنه هو الذي تسلل للبيت لسرقة الأجهزة وغيرها، ولكن للاتصال المفاجئ بالطبيب أغلق الخزانة السرية وتسلل هاربا .. وهو الذي أتى مكتب جميل صباحا، وطلب القهوة من صدقي ليتمكن من أخذ شكل مفتاح المكتب والفيلا؛ لأن صدقيا يضع المفاتيح في سلسلة واحدة، ويخيل لي أن الرجلان جميلا وفرجا عضوان في جمعية سرية أو عصابة تجسس .. ولكن لماذا قتلوا جميلا ؟!.. هل أصبح يشكل عليهم خطرا ..؟ ولماذا قتلوا فرجا ؟ هذه تصفيات لرجال انكشفت أوراقهم ! .. لكننا نحتاج لأدلة دامغة على تجسس هؤلاء .. وتصفية الحسابات التي تجري ستعجل بالقبض عليهم ..قضيتكم قضية جاسوسية.

فقال جرير : ترتيب جيد للأحداث ! ..ولا لأحد مصلحة في مقتل جميل إلا لفرج .. وهو رجل ذكي وماكر .. ولكن من يحركهما إذا كانا جاسوسين ؟ ولحساب من يعملان ؟

فقال عوني : وفرج هو الذي دفع الآنسة ريما للتحدث عن صراع الوالد أسعد وابنه .. وهو الذي كان مهتما باختفاء المسدس من مكتب جميل في المركز؛ ليرى هل أحد شاهده .. وهو يأخذه ؟.. ولذلك سنعيد التحقيق مع أفراد المركز بهذا الاتجاه الجديد.

فقال عبد الله : ركز على الفراش أبي سالم .. لعله رآه وهو يأخذه، وخجل أن يحدثنا بذلك لاستبعاده أن يقتل فرج جميلا أو تعرض لتهديد شديد منه.

ـ سأطلبه في المركز.

ـ والد الدكتور عنده كلام خطير ومهم .. دعوه يكتب إقراره ما دام لا يستطيع الكلام .. لابد أن كرهه لولده أن له سببا مهما .. وأقوال صدقي

تدل على أنه يعرف عن ولده أشياء بغيضة قد يكون عرفها أثناء تواجده معه في الغرب.

ـ إني أتابع حالته باستمرار .. وهو في وضع صحي حرج لا يتكلم ، ولا يستطيع الحركة ، ويرى الأطباء أن حالته صعبة وعلى وشك الرحيل ومفارقة الدنيا ، فقلبه منهك جدا وضعيف وقد غيرت بعض الشرايين أكثر من مرة.

فقال عبد الله بأسف : نسأل الله له العافية .. هيا بنا .. اطلب حرس على الشقة وتشميع بالختم الأحمر قبل رحلينا.

ولم تمض نصف ساعة أخرى حتى كانت الشقة تحت حراسة الشرطة ، وقد حضر رجال المباحث والأمن للقيام بإجراء اللازم.

لما عاد الرائد عوني لمكتبه وبصحبته الضابطين الآخرين ، وجد مساعده دشهان يخبره بأن رجال المرور والأمن قد وجدوا السيارة التي كان يركبها القتلة في منطقة خاصة بتصليح السيارات ، وتم الحجر عليها وتفتيشها ، ولم يجدوا بها شيئا حتى البصهات ممسوحة عن مقود السيارة وغيره وأبلغ مالكها وطلبوا منه أن يراجع دائرة المرور لاستلامها وحصر ما فقد منها.

فلما استمعوا لتقرير دشهان عقب الرائد عبد الله : إنهم يتحركون بذكاء ، ولكنهم سيقعون فهم يعملون بسرعة ، والسرعة تجلب الخطأ ، فهم يشعرون أنهم مطاردون .. وهل وصل محضر التحقيق مع المحامي بكرز.

فقال دشهان : اتصل العقيد بنفسه ، وقد أخذ أقوال المحامي ، وعرف منه أنه مجرد وكيل عن السيد زكي ملاح .. وتعرف على الدكتور جميل وفرج عندما استأجروا منه شقة للجمعية المعروفة في عمارة ملاح .. ثم تعاقد مع جميل لرعاية مصالح المركز القانونية بعدما فصل محاميه السابق الدكتور "مجدي سعدانة" ، وقبل سنة عرف أن رجال الجمعية نقلوا عملهم إلى مكاتب أخرى ، ولكنهم استمروا يدفعون الأجرة عن هذه الشقة، ولكن باسم الدكتور فرج ، وقال إنهم كثيرو السفر للخارج وخصوصا الدكتور جميل.

فقال عبد الله : الرجل صادق .. فقد تحرينا عنه منذ استلمنا القضية .. كان هؤلاء القوم يعملون بحنكة وفطنة وحذر شديد.. وهذا يؤكد لنا أنهم يرتبطون بأجهزة مخابرات دولية .. وأنهم يسيطرون على شبكة تجسس أو أكثر .. فالخريطة التي وجدت في بيت جميل تستخدم في كتابة الرسائل السرية والشيفرة .. كما يؤكد الخبراء لدينا ، وكذلك القاموس الخاص يستعمل لفك الرسائل المشفرة .. والخطر المخيف أن يكون لهم أعوان في وزارات الدفاع والأمن والصناعة والبحث العلمي والمصانع الحربية .. فالكاميرات

التي وجدت لدى جميل متطورة جدا.. وتستخدم في التجسس الصناعي والعسكري.

فقال جرير : قضية مرعبة وخطيرة! هل كان جميل يدير هذه الشبكة أم فرج أم شخص ما زال مجهولا

فقال عبد الله : قد لا يكون جميل الرأس الكبير في هذه الشبكة ، وقد يكون .. فهو رجل معروف على المستوى الرسمي للدولة والجامعات ومراكز العلم.

فقال عوني : هل كان المركز وكرا للعمالة والخيانة والتجسس ؟.. فعلاقة جميل بخضر الدكتور وفريدة زوجته والمحامي علاقة طيبة وبريئة.

فقال جرير : حتى موظفي المركز .. أم المركز تغطية وجر رجل ؟

فقال الرائد عبد الله : فلماذا قتلوه ؟ هذا السؤال الكبير؟ هل أصبح يشكل خطرا على الشبكة أو طلب منهم أشياء خطيرة حتى اضطروا لتصفيته؟ .. ولماذا صفوا سكرتيره فيما بعد؟ .. لابد أن فرجا يعرف الكثير .. تخيلوا لو لم يكن رجلنا يراقب فرجا وتبعه للجمعية لظل فترة فيها ميتا .. ومع أنهم يعرفون بمراقبتنا له أقدموا على الجريمة.

فقال عوني : الحقيقة أن السيد فرجا كان شديد الذكاء والحذر معنا.. وكان يتظاهر بالسذاجة والبلاهة وعدم الاكتراث ونحن نحقق مع موظفي المركز.

فقال الرائد عبد الله : على كل نحن مستمرون في مراقبة عمال المركز، وقد أرسلنا لسفيرنا ورجلنا الأمني في ألمانيا للتأكد من تابعية المركز لإحدى الجامعات الكبرى هناك ، وطرق تمويله.. وأوصيناهم بالعمل في سرية تامة وحذر شديد.

وغادرهم عبد الله أحمد إلى مقر عمله وتحدث مع المستشفى فاطمئن على ابنته مريم وأمها، وذهب حيث يعقد كبار الضباط اجتماعا خطيرا للنظر في قضية مقتل جميل وسكرتيره فرج ، واطلع على المعلومات التي تجمعت لديهم عن جميل منذ بداية حياته وأثناء تدريسه في الجامعة وعلاقاته مع أصدقائه وزملاء التدريس، ولما عاد إلى مكتبه تحدث مع مساعده النقيب يوسف وكلفه بمهمة عاجلة وسرية ، ثم مشى نحو المطعم ليأكل بعض الأكل ويشرب الشاي وهو يفكر في هذه القضية المعقدة ومن يسير هذه الأحداث المتسارعة .. قتل جميل .. سرقة سيارة .. سرقة بيت جميل .. مصرع فرج .. سرقة شقة فرج .. ظهور السيارة المسروقة .. ثم اتصل بأحد العاملين معه ، وأرسله للمطار الدولي والمجيء بكشف بأسماء القادمين يوم الاثنين العاشر من إبريل.. وما حل مساء السبت حتى تجمعت معلومات كثيرة عند الرائد عبد الله ، ومكث هو ومساعده يوسف يتناقشان حتى الساعة العاشرة ، ثم غادر الرائد إلى المستشفى

والتقى بابنته ثم أخذ زوجته وعادا للبيت بعد أن أوصى الممرضات على ابنته الوحيدة ، وفي البيت تناول العشاء مع الزوجة ، ثم ذهب لسرير النوم فألقى نفسه عليه ليستريح وينام ، فإنه منذ ثمان وأربعين ساعة يتحرك ويعمل بجد وتفكير وانشغال بال على الابنة ؛ ولكن جاءه هاتف ليلا فسمع الصوت يقول : لقد وجدوه نزيلا في فندق شعبي.. لا ينزل فيه إلا رعايا الدول الفقيرة.

فقال : راقبوه جيدا .. ولا تغفلوا عنه لحظة .. هذا الرجل سيقودنا إلى قيادة الشبكة واحذروا أن يسافر لابد أنه يستعد الآن للرحيل .. يوسف دعهم يراقبوه مراقبة فقط .. مراقبة دقيقة .. وإذا حاول المغادرة عوقوه بطرق دبلوماسية .. قد يكون هو رجلنا .. فتركه الفندق بهذه الصورة يجعله موضع ريبة وشك .. ولكن علينا أن نتعامل معه بحذر وذكاء فهو من رعايا دولة أجنبية والخطأ بألف خطأ.. وضجة وفضيحة على مستوى العالم.

وترك السماعة وعاد للنوم من جديد وهو يقول : يقول عامل الاستقبال في ذلك الفندق إنه خرج مساء يوم الجمعة ولم يرجع إلا عند الصبح.. ومكث قليلا من الزمن ثم اعتذر من مندوب الجامعة.. وادعى أن برقية عاجلة جاءته فهو يعتذر عن الاستمرار بحضور باقي الندوات والمحاضرات وراغب في السفر .. ولكنه لم يسافر كما ظهر من كشوف المغادرين .. بل نزل في فندق قديم وشعبي .. هل هو خائف من الرحيل أو أن مهمته لم تنته بعد ؟ .. من سيقتل هذه المرة ؟ من يا ترى سيكون الضحية الثالثة ؟! آه .. مستر شارل برس أمعقول أن يكون هو الرجل الخطير ؟!.. أمعقول أنه هو الرجل الذي قتل جميلا وفرجا ؟!.. أمعقول أنه دكتور في البيولوجيا؟! ولكن رجال الجامعة يؤكدون أنه عالم كبير ودكتور مشهور في البيولوجيا.. ولكن جميلا أيضا كان رجل علم وبحث علمي .. وقد غرق في أوحال وعالم الجاسوسية ..وهذا لم يثبت عليه بعد ! .. ولكن كل الإشارات والدلائل تؤكد ذلك .. ولماذا يحتفظ بأجهزة تجسس دقيقة وجوازات سفر لدول مختلفة وكاميرات تصوير وتصغير؟ .. فمقتل فرج يعجل في النهاية .. سوف تكون فضيحة مدوية في القطر والعالم .. رجال العلم عندما ينحرفون .. ولكن جواسيس هذه الأيام أكثرهم علماء ويحملون شهادات علمية كبيرة هل سنصل لكل أعضاء الشبكة التي تلوح بالأفق ؟! .. هل ستكون شبكة علمية فقط ؟! .. أم ستتبعها شبكة سياسية واقتصادية وعسكرية ؟؟ .. وعاد يقول في نفسه : شارل برس دكتور بيولوجيا أحياء مائية أجنبي جاء من باريس لتصفية جميل زميله .. ما خطأ جميل

؟ هل تورط جميل معهم حديثا ثم ندم فعاجلوه بالموت ؟ .. ولكنه منذ خمس سنوات وهو عضو ورئيس جمعية أصدقاء العلم الأوروبية .. لابد أن يكون معهم منذ فترة طويلة .. قد تطول إلى أيام الدراسة الأولى أم أثناء عمله هناك في أوروبا بعدما استقال من التدريس في الجامعة .. ولكن ملفه في الجامعة يؤكد شدة حذره .. لا يتكلم في السياسة إلا لماما ..لا ينتقد الشخصيات الكبيرة ، بل كان حريصا على التعرف على الشخصيات الكبيرة وعلى رجال المال الكبار.. رجال البنوك.. اقترب الفجر يا عبد الله ارقد ساعة من الزمن .. فوراءنا عمل وحركة في الصباح ، وعاد يفكر قائلا : من الذي كان معه في عمارة الملاح تلك الليلة ؟ قد لا يكون شارل هو المطلوب أو من هو الرجل الذي كان مع الشاب الطويل ؟؟

ونام عبد الله وهو يحلم بالقبض على عصابة الجواسيس وتفكيك الشبكة الخطيرة.

الفصل العاشر

استيقظ الرائد عبد الله في السادسة صباحا وتناول إفطاره وخرج للدائرة مبكرا وجلس مع معاونيه وقال ليوسف : ما أخبار مستر شارل ؟

فقال يوسف : ما زال ينزل في فندق الأمراء متنكرا بجواز سفر آخر ، ورجالنا حول المكان يتأهبون للقبض عليه في اللحظة التي تأمر بها.

ـ جميل! .. نحن نريد أن نعرف شريكه في القتل ونعرف أعضاء جمعية العلم .. أريد تفتيش حقيبته من غير أن يشعر بنا .. وأخذ كل الأوراق والوثائق الموجودة فيها من غير أن يحس بكم وكذلك رصد كل المكالمات الهاتفية التي يتلقاها أو يرسلها مع تسجيلها.

فبعد أن تابع الرائد خطوات العمل خطوة خطوة استأذن من رئيسه لزيارة ابنته مريم في المستشفى ساعة من الزمن ، وطلب من مساعده يوسف الاتصال به أولا بأول، وأثناء وجوده في المستشفى جاءه اتصال من يوسف يخبره فيه أن شخصا تكلم مع شارل في الفندق ، وظهر من الحوار بينهما أن شارل غاضب ، وكان يتكلم بصوت حاد ، فقال عبد الله : أنا قادم .. أريد أن أسمع تسجيل المكالمة كاملا سلام.

ودع الضابط أسرته ودخل إلى مكتبه في الدائرة بسرعة ، وكان النقيب قد أعد جهاز التسجيل والشريط الذي سجلت عليه المكالمة ، كان وقت المكالمة حوالي التاسعة وعشر دقائق صباحا .. رن جرس الهاتف في الفندق .. استدعي شارل برس باسم " وليم برناس " ، أخذ وليم السماعة من عامل الفندق بغضب ورد بعربية ضعيفة : نعم ، أنا وليم برناس .. أين أنت ؟؟

الصوت : هدأ أعصابك .. لا تقلق الصحف لم

تنشر خبرا عن السيد.

فقال شارل : لا صحف السبت ولا صحف الأحد ؟!

الصوت : لا .. فجرائد أمس واليوم لم تذكر شيئا عنه.

شارل : أخشى أن يكون حيا لم يمت .. ابحثوا في المستشفيات.

الصوت : أليس حولك أحد؟

ـ لا .. لقد انصرف العامل إلى الداخل .. إنه يشرب الشاي أو يأكل الطعام .. ولماذا لم تحضر أمس؟.

ـ الوضع خطير ومقلق .. فالتعتيم على موت ... يثير التوتر والقلق ..وقد سألوا عنك في الفندق الكبير فاصبر بضعة أيام حتى أجهز لك تذكرة سفر إلى كينيا أو أديس أبابا .. لا تصرخ .. اهدأ وكان شارل قد أخذ بالصراخ والشتم بلغته الفرنسية ثم قال : الموظف اللعين مقبل نحوي كأن صراخي أزعجه كيف أراك ؟.. أنا في غاية القلق. اقترب العامل وقال : مستر وليم أما زلت تتحدث التفت إليه شارل وقال : قليلا مستر فؤاد ، فرد فؤاد : خذ راحتك مستر وليم وعاد شارل يقول لمخاطبه بغضب : متى تأتي ؟.

الصوت : الليلة بعد العاشرة سوف أمر عليك .. احذر كل من حولك وانقطع الاتصال.

ولما انتهى الرائد من سماع المكالمة الخطيرة ، أخبره النقيب يوسف أنه تلقى اتصالا من رجالهم أن السيد شارل ترك الفندق ، ولسوف يدخل رجالنا غرفته للبحث في حقائبه ، ثم قال النقيب : وما ترى في هذه المكالمة ؟

فقال : يبدو أنهم قلقون على مصير فرج وعدم نشر خبر مصرعه في الصحف ، وأرى أن المكالمة طبيعية لا يوجد فيها الغاز وخفايا .. فهو يريد أن يغادر البلد بأسرع وقت ممكن .. لماذا لم يسافر بعد ارتكاب الجريمة ؟.. هل جهزتم الملف لتقديمه للنائب العام لأخذ التصريح اللازم للقبض عليه ؟

ـ لقد جهزنا ملفا للمدعي العام للدولة ، وآخر للمدعي العام الأمني والعسكري .. فلربما يكون معه أفراد من وزارة الدفاع..

قال الرائد : جيد ! .. علينا بالحصول على التصاريح اللازمة .. الليلة سنرى من هو شريك شارل ؟ .. أتكلم معكم الرائد عوني ؟

ـ أجل .. وأخبرني أن تقرير الطب الشرعي حول وفاة فرج قد جهز ، وقد تبين لهم أن هذه الجمعية لا أوراق رسمية لها.. ليس لها أوراق صادرة عن وزارة ثقافية ولا صناعية .. وعقد الإيجار هو عقد إيجار شقة فقط .. وكان باسم الدكتور جميل وفي السنة الأخيرة أصبح باسم فرج .. ثم وضعت لوحة صغيرة تقول : جمعية أصدقاء

العلم الأوروبية " لا ترخيص ولا تصريح.

ـ أمعقول هذا ؟

أجاب يوسف : نعم .. ولقد اتصلت وتابعت ذلك.. فتحدثت مع وزارات فلا يوجد لها اسم عندهم حتى في دليل الهاتف هي باسم جميل .. ونحن في بلادنا كما تعرف إذا رأينا مؤسسة أو شركة تنتمي لجهة أوروبية أو أمريكية لا أحد يدقق في شأنها.

ـ أخشى أن يكون المركز هو الآخر لا أصل له .. ولا ارتباط له في جامعة معينة.

ـ لا تستغرب ذلك .. ولكن المركز معروف على مستوى الجامعات لا أعتقد هذا الاحتمال .. وأعتقد أنه سيغلق أبوابه بعد مصرع فرج .. أوراق تقدم للدوائر المختصة ، وعليها أختام رسمية فيتم ترخيصها والسماح لها بمزاولة العمل ، ولا يوجد في القوانين الوضعية ما يمنع فتح مثل هذه المراكز ما دامت لا تشكل خطرا على الأمن الاجتماعي والسياسي في البلد.

فعاد يسأل الرائد : ألم يأت شيء من ألمانيا بعد ؟

ـ لا .. والأمر يحتاج لوقت لعدة أيام إن لم يكن أسابيع .. ولكن سيأتي الخبر اليقين بإذن الله وهذا لا يقدم كثيرا على التحقيق نريد أن نقبض على المتورطين والاعتراف سيد الأدلة.

ـ القرائن تضعف المتهم وتدفعه للاستلام

..ويكتمل الموضوع أكثر فأكثر.

بعد الظهيرة كان رجال الاستخبارات الذين قاموا بتفتيش حقائب برس أو وليم قد عادوا بما حصلوا عليه من أوراق ووثائق ، وكان من بينها خريطة أجنبية كالتي وجدت في بيت جميل ، وكل الوثائق مكتوبة باللغة البريطانية والفرنسية ، فأمر بتحويلها لمترجمين ، وقد وجد رجال الأمن أدوات تنكر من أقنعة وشوارب رفيعة وسميكة ولحى طويلة وقصيرة ونظارات وأقلام غريبة ومسدس صغير جدا وقالوا : لم يبق سوى الملابس وبعض كتب العلم باللغة الفرنسية وبعض صور الأبحاث.

رجع شارل للفندق عند السابعة مساء ، ودخل غرفته بعض الوقت ، ثم نزل حيث الهاتف واتصل برقم معين ، ولكن الرقم المطلوب لم يرد عليه فعاد لغرفته مرة أخرى ، ثم هبط وهو يحمل حقيبته وقال لفؤاد عامل الفندق : كم حسابك وأعطني جواز سفري ؟؟

وكان يقف بجوار فؤاد شخص ، فلما سمع وليم يطلب جوازه قال : مستر وليم .. اليوم اكتشفنا لصا يخرج من غرفتك.. فظنّنا أن أحدا سرق شيئا من عندك ؟ فلما جئت ونزلت قبل قليل ظّننا أنك جئت تبلغ عن السرقة ..كان أحد الشغالين قد صعد لينظف حجرتك عندما تفاجأ بخروج رجل

منها ، ودفع العامل أرضا وفر سريعا .. فاتصلنا بالشرطة فجاءت ونظرت في الغرفة وانتظروك .. ولكنك تأخرت وقالوا لما يعود النزيل يراجعنا عليك مراجعتهم لمعرفة ما أخذ منك لمتابعة الأمر فقال فؤاد : أين كنت طول النهار مستر وليم ؟.. هل فقدت شيئا ؟

تريث قليلا وليم قبل الرد ثم قال : لا .. لم يسرق مني شيء .. ولكني اليوم التقيت بصديق وأكلنا معا ودلني على فندقه فأريد أن أذهب إليه .. أرجوك كم حسابك ؟

فتح فؤاد دفتره ونظر فيه وقال له : عشرة دنانير يومان سبت أحد.

وسمع شارل الرجل الآخر يقول : أمتاكد يا مستر وليم أنه لم يختف من حجرتك شيء؟.. فاحذر أن تأتى بعد خروجك وتقول فقدت كذا وكذا .. سأخبر رجال البوليس بأنه لم يسرق منك خيط.

لم يرد وليم على الرجل ، ودفع الأجرة وأخذ جوازه وقال : مستر فؤاد ممكن أتكلم بالتلفون ؟

قرب إليه فؤاد التلفون وهو يقول : تكلم مستر وليم.

فضرب رقما معينا وقال : آلو .. آلو .. أنا وليم .. نلتقي في البحيرة الخامسة .. أمر مهم .. لا تتأخر أمام نفس المكان .. أنا الآن منصرف .. لا تمر .. سنلتقي هناك.

ووضع السماعة وشكر فؤاد ورفيقه ، وأردف حقيبته على ظهره وخرج بسلام وهو يقول : لص دخل غرفتي وسرق الأغراض .. لا .. إنه لص محترف في المخابرات .. لص لم يسرق مالا رجال المخابرات وصلوا إليّ ؛ ولكن منذ متى ؟ لا بد أني مراقب الآن .. وأكيد تنصتوا على مكالمتي هذه ، بل هذا الرجل الذي يقف مع فؤاد رجل مخابرات وليس عامل فندق .. كما يتظاهر أنه لا يعرف شارل برس .. ولكن لماذا لم يقبضوا عليّ بعد؟! .. إنهم يريدون الرجل الآخر .. أخطأت أنا بالاتصال به .. ولكني أصبحت كالفأر وقع في مصيدة .. كيف وصلوا إليّ؟ أخطأت خطأ كبيرا بمجيئ إلى هذا البلد من غير حرس .. جئت بثوب عالم باحث .. عندما قتلنا فرجا وركبنا السيارة لم يلحق بنا أحد ..والرجال الذين كانوا يراقبون فرجا ألم يعرفوا بموته؟ لقد كان أحدهم يتجسس علينا في الطابق الثامن .. هل فرج لم يمت؟ لقد تأكدت من موته .. سكتت أنفاسه كليا هو الذي دفعني لقتله .. أصبح يشكل خطرا على الشبكة كلها .. لقد سقط كما سقط جميل .. لقد أصبح تحت مراقبة رجال الأمن السري .. لقد فضح نفسه بمغامرته تلك الليلة ومحاولة سرقة الأجهزة والكاميرات والأوراق المهمة .. هرب كالأرنب .. سأذهب الآن إلى فندق وأضع هذه الحقيبة ..

وأحاول تضليل من يتبعني .. ولكنهم إذا سمعوا المكالمة فسيعرفون شارع البحيرة الخامسة ويذهبون لانتظاري هناك أمام الجمعية ..مشى شارل على قدميه في شوارع المدينة .. وكان يتوقف أمام المحلات .. ويحاول كشف وجوه مراقبيه ..واستمر المشي والتفكير ساعة من الزمان .. ودخل أحد الفنادق الصغيرة الشعبية ، وحجز فيها سريرا في غرفة مشتركة ، ومكث نصف ساعة في الفندق وهو مازال يشعر بأنه متبوع ..ثم خرج وذهب إلى دار سينما اشترى تذكرة ودخل .. كان الفِلم قد بدأ منذ وقت طويل .. جلس على مقعده بضع دقائق .. ثم ذهب لدورة المياه .. ثم تسلل خارجا يتلفت يمنة ويسرة .. كان يرى في كل رجل يراه أو امرأة رقيبا عليه ومطاردا له .. أحس إحساسا قويا بأنه سقط ، وأن ذكاءه في الاختفاء والتنكر قد خانه .. عاد يتجول في شوارع المدينة الكبيرة .. ثم اقترب من سوق المجوهرات واجتازه ، ودخل شارعا صغيرا ذا أضواء خافتة ، وكانت الساعة تقترب من العاشرة ليلا ، وفي زاوية من زوايا الشارع الصغير كان هناك مقهى صغير ما زال مفتوحا .. إنه مقهى البحيرة الخامسة .. مكان تواعد شارل وشريكه المجهول .. كان الشارع الخلفي الصغير خاليا من المارة .. إلا رجلا يقف أمام كابينة تلفون تبعد عن المقهى حوالي مائة متر .. نظر إليه شارل لحظات ودخل المقهى الصغير .. كانت هناك جماعات من البشر تلهو بأوراق اللعب "الكوتشينة" ، جلس على مقعد في عمق المقهى .. طلب كوبا من الشاي .. وأشعل سيجارة .. وأخذ يتفرس في الوجوه الموجودة بالمقهى خلسة .. أتاه الشاي فنقر على الطاولة بقطعة نقدية مرة ثم سكت ، وبعد برهة نقر مرتين متتابعتين وسكت ، وبعد حين شرب الشاي وضرب بقطعة العملة الطاولة ثلاث ضربات متتابعة .. وبعد حين اقترب منه رجل كان يجلس وحده يدخن النرجيلة.. وهمس : ما الأمر .. رجال الأمن يراقبونني؟

ـ وأنا كذلك .. نلتقي في مسجد إبراهيم ياسين صباحا الساعة العاشرة والربع.

وفجأة امتلأ المكان برجال ، وأغلق الباب بحراسة رجال الأمن السري ، وسمع صوتا يقول : مستر شارل .. لا تتحرك ولا تستعمل مسدسك .. وسلم نفسك.

وضع المنادى عليه يده ليخرج مسدسه ، ولكن كان رجال الأمن قد قبضوا عليه وعلى صاحبه وتقدم الضابط عبد الله أحمد منه ، وخلع الباروكة عن رأسه ورفع الشارب الرفيع واللحية الصغيرة ، وهو يقول : مرحبا مستر شارل .. الآن انتهت شخصية وليم!

وتقدم من الرجل الآخر ، ورفع الباروكة عن رأسه، وخلع النظارة عن عينيه والشارب الرفيع واللحية الصغيرة ، وصاح بدهشة : سيد عماد سامح !.. ولماذا هذا التنكر؟! هو أنت شريك برس في جريمة عمارة زكي ملاح ؟! .. ألست سائق الدكتور جميل ؟! .. إنك ذكي جدا يا هذا مع مراقبتنا الشديدة لكل أفراد المركز .. لم يخطر في بالنا أن تكون أنت .. نحن دهشنا عندما اتصل بك مستر وليم الليلة في بيتك .. قلنا تضليل ومكر.

قال شارل بقهر وغيظ : إنها غلطة كبيرة ! ولكنني أصبحت كفأر في مصيدة فاضطررت للاتصال به

فقال الرائد بثقة كبيرة : ها نحن التقينا في البحيرة الخامسة .. أنت تريد منا أن نذهب لشارع البحيرة الخامسة وليس المقهى .. ولكن رجالنا معك في كل خطوة تخطوها .. في الشارع أمام المحلات في السينما .. حتى وصلت إلى هنا .. وأنت سيد عماد خرجت من البيت وركبت سيارة أجرة .. إنها سيارتنا.. ونزلت في شارع معتم .. ولبست أدوات التنكر شعر طويل نظارة شارب رفيع ولحية صغيرة ـ أما يوم مقتل فرج فقبعة واسعة نظارة سوداء وشارب كثيف من غير لحية ـ ثم وقفت تنتظر سيارة بعدما تنكرت .. ركبت سيارة أجرة .. وسرت في شوارع المدينة شرقا وغربا ثم جئت إلى هذا الشارع بعدما نزلت في الشارع المجاور وسرت على قدميك وأنت تظن أنك ضللت رجالنا إذا ما زالوا يتبعونك.

تم وضعهما في صندوق سيارة عسكرية ، وتسليمهما لمركز أمن حي الشجرة ليتم استجوابهما بشأن الجريمتين ، وكان الرائد عبد الله قد اتصل بعوني وأخبره بذلك التطور ، فكان الضابط في استقبالهما هو ورجال الأمن في المركز ، فقال عوني وهو مستغرب عندما رآهما : أنتما ! .. مستر شارل عالم البيولوجيا الفرنسي .. أخشى أن تكون منتحلا لهذه الشخصية يا هذا ! .. يا لك من رجل ماكر ..ونظر لعماد وقال : عماد! .. سائق الدكتور .. السائق الهادئ الذي ليس له عمل إلا نقل وتوصيل الدكتور .. يا مرحبا بكم أيها السادة.

قال عبد الله : خذ اعترافاتهم بمقتل الدكتور جميل وفرج ودوافع ارتكاب الجريمتين ، ثم سوف ننقلهما للتحقيق معهم في قضايا التجسس لنعرف باقي أعوانهما.

الفصل الأخير

جلس عدد من الضباط من جهازي الأمن والشرطة والأمن السري الاستخبارات حول مائدة كبيرة ، وأحضر الرجلان مكبلين بقيود البوليس ، وبعد أن فتح المحضر قال الرائد عوني : نحن رجال الشرطة نريد سماع أقوالكم واعترافاتكم حول الجريمتين .. وأما التحقيق في

نشاطكم التجسسي فيكون في دوائر الأمن الخاصة فقال شارل : أنا لن أتكلم بشيء قبل أن أتصل بالسفارة وأمام محامي دولي.

فقال عوني : ما رأي وكيل النيابة ؟

قال وكيل النائب العام : لك ذلك يا مستر شارل .. وأنت يا سيد سامح ..عماد سامح .. هل تريد أن تقر بما تعلم أم نحضر لك قانونيا ؟

فالتفت عماد إلى عيني رفيقه شارل وقال : سوف أتكلم ، ولكل شيء نهاية .. أريد أن أقول ما عندي فأمر الرائد عوني بإخراج شارل بناء على تشاور الضباط ، وطُلب لعماد كوب من الشاي ، ثم بدأت اعترافات عماد الخطيرة التي طال انتظارها ، فبعدما عرف بنفسه من ذكر اسمه وسنه وعمله وعنوانه قال : أنا التقيت بالسيد جميل في بون قبل ما يزيد عن عشر سنوات .. كان لي أخ يشتغل هناك ذهبت لزيارته ، وكان من أصدقاء جميل ، وكان متزوجا من فتاة ألمانية ، وأنا لم أنجح في المدرسة ولم أحصل على الثانوية العامة .. ولما كنت هناك في زيارة أخي أعجبتني حياة الانفلات والملاهي، فكان أخي جاسر ينفق عليّ ، وكان الدكتور جميل يدس عليّ خفية عن أخي كثير من الماركات الألمانية .. وفجأة مات أخي بحادث سير رهيب هناك .. وزوجة أخي الألمانية لم تنجب أي طفل لأخي .. فعندئذ فكرت بالعودة للبلاد بعد ثلاث سنوات أمضيتها هناك .. في تلك الفترة لما رأى السيد جميل رغبتي القوية بالعودة أقنعني بالعمل لديه في المركز العلمي سائقا خاصا له .. ولما عاد من سفره ذهبت وقابلته فكنت سائقه الخاص ، وأصبح السائق القديم سائقا للمركز ، وكان يعطيني راتبا ممتازا وساعدني في الزواج ، ولكني فشلت فيه ولم يدم سوى بضعة أشهر ، وكان أحيانا يكلفني جميل برحلات خارجية لنقل وثائق ورسائل لجهات مختلفة ، وكنت أظنها أول الأمر أبحاثا علمية .. واستمر هذا الوضع لأكثر من خمس سنوات حتى التحق بالعمل الدكتور فرج السكرتير .. فعرفت منه بعد عدة مهمات خاصة أنني أعمل ضمن منظمة سرية تجسسية تخدم دولة أوروبية مقرها في ألمانيا الغربية .. وللحياة التي أعيشها من ترف ومجون لم أكترث لهذا الاكتشاف .. وظللت السائق الخاص للدكتور جميل ، وأحيانا فرج إلى أن حدث أمر خطير وهو أن الدكتور جميل عازلي أخذ والده أسعد عازلي المريض بالقلب للعلاج في أوروبا في بون عاصمة ألمانيا ، وذات يوم والدكتور يجلس مع جماعة من هذه المنظمة السرية استمع الوالد لحديثهم من غير علمهم .. والسيد أسعد مدرس قديم ويتقن اللغة الإنجليزية والفرنسية كالناطقين بها .. المهم عرف الأستاذ أسعد بأن ابنه عميل

لمنظمات تجسسية غربية.. فهو جاسوس كبير لهم.. وهو يدير شبكة تجسس في وطنه لصالح هذه المنظمة السرية التي عرف أنها تعمل لصالح المخابرات الأمريكية والإسرائيلية في أقطار العالم العربي أو الشرق الأوسط .. فهذا الأب لم يحتمل تورط ابنه فانفعل سريعا .. واقتحم عليهم الغرفة وتشاجر معهم ومع ابنه وحقره أمامهم وبصق عليه أمامهم .. وقطع جميل العلاج أو متابعة العلاج وعادوا إلى هنا .. وقد اشتد الصراع بينه وبين أبيه .. وهنا دخلت المنظمة السرية .. وطلبت منه إنهاء حياة والده بأي طريقة .. فصعب عليه الأمر وتوسل وترجى ومن غير فائدة .. فرفض تنفيذ القتل أشد الرفض وفي كل سفرة كان يستعطف القوم وأن والده لا يمكن أن يكشف الأمر ويفضحه .. ولكنهم لم يقتنعوا .. فتكفلوا له بتنفيذ المهمة فرفض .. وفي الرحلة الأخيرة ذهب إليهم ليتفاهم معهم .. وهناك رفضوا أعذاره وأقواله ، فهددهم بتسليم نفسه للسلطات المختصة أو الانتحار .. وقبل عودته جاءت الأوامر للسيد فرج بالخلاص منه بأسرع وقت ، وقدم شارل المتسربل بثياب العلماء والحكماء للإشراف على المهمة وضبط الأمور هنا بعد مقتل جميل .. وكان جميل يعتقد أن مجيء الرجل باسم حضور ندوات الجامعة للتفاهم معه على حل وسط .. قد تقولون لماذا لم يقتلوه هناك عندهم ؟ فقتل الدكتور جميل هناك سهل وميسور ولكنه خطير ، وقد يدفع والده بكشف أوراق كانوا يخشون أن تكون عنده .. فقد كانوا يظنون أن جميلا يخبئ أوراقا تخص المنظمة والشبكة هنا ؛ فإذا قتل هناك فيقوم الوالد بعد موت ابنه بإخبار دوائر الأمن السري.. فيتم تفتيش كل شيء عند جميل فتسقط شبكتهم هنا .. المهم تلقى السيد فرج الأمر الخطير ، ووصل شارل دون علم جميل صباحا .. واتصل به من الفندق الكبير والتقيا بعد الظهر .. وكلفه بمهمة تصفية جميل بأسرع وقت .. والرفض مستحيل عند هذه المنظمات الرهيبة .. ذهب فرج مساء لبيت الدكتور جميل بعدما استولينا على مسدس جميل من المكتب .. وركب له كاتم صوت.. وكانت مهمة فرج أمام الدكتور وضيوفه هي الذهاب للمطار واستقبال الدكتور شارل وإحضاره إلى بيت جميل للعشاء .. وشارل قادم لإلقاء محاضرة علمية في أسبوع ونشاط الجامعة ، وموعد الطائرة كما تعلمون السابعة مساء .. فشارل عالم حقيقي معروف في علم الأحياء ؛ ولكنه مجرم وعالم من علماء المنظمة السرية .. الدكتور جميل لا يسمح لأحد بدخول مكتبه أثناء غيابه إلا لي ولأبي سالم الفراش .. اتصل بي فرج .. وطلب مسدس جميل فأخذته خفية عن

عيون الفراش ودفعته لفرج .. وكان فرج قد رتب قتل الدكتور بأسرع وقت .. والدكتور هيأ الفرصة لفرج بقتله .. عندما شرب القوم الشاي كان الدكتور في مكتبه ، فدخل عليه فرج قبل أن يغادر للمطار والذين يجلسون في الحديقة يظنون أنه ذهب للمطار ، ولم يعرج على مكتب جميل .. دخل الفيلا بدقة وخفة وسرعة يمتاز بها فرج ودخل المكتب.. فلو رآه صدقي أو غيره سيفهمه أنه يريد الحديث مع الدكتور ..وكان فرج قد صمم لباب مكتب جميل مفتاحا وللباب الأمامي آخر بغفلة من صدقي منذ عهد قريب .. منذ بدأت مشاكل جميل تزيد مع المنظمة السرية .. دخل على الدكتور وبعد حديث يسير قتله بمسدسه .. وأخذ كاتم الصوت ، ومسح بصماته عن المسدس والمكتب والمقعد الذي جلس عليه وأغلق الباب على الدكتور .. وانطلق إلى المطار .. وكما قال لي العملية لم تستغرق ثلاث دقائق .. وقد تأخرت الطائرة الفرنسية أو الطائرة التي من المعتقد أن على متنها شارل .. تظاهر بالسؤال عن الدكتور شارل أمام الموظفين ليشهدوا أنه أتى فعلا لاستقبال الضيف.. ثم اتصل بشارل وأخبره بتنفيذ الجريمة والقضاء على جميل .. ثم اتصل بمنزل جميل قريبا من الثامنة مخبرا بموت جميل .. فهو يريد أن يرى هل اكتشفت الجريمة أما بعد ؟.. فلما أدرك أن صدقيا لا يعرف شيئا أخبره بموت جميل .. وأغلق الهاتف .. وأتى مع دخول رجال الشرطة متظاهرا بأنه قادم من المطار .. فرج هو الذي قتل صاحبه جميل رهبة من المنظمة الرهيبة وتنفيذا لأمرهم .. هذه الأولى أيها السادة .. ولكن الغلطة التي حصلت أن الدكتور فرج أخذ مفاتيح الخزائن السرية الخاصة بالدكتور جميل .. وتسرع بالمجيء لبيت جميل للاستيلاء على الأشياء المهمة والخفية من حياة جميل قبل أن تهدأ الأمور .. والسبب الخشية أن يكون فيها أوراق مهمة أو مذكرات مهمة .. أما الأجهزة فلم تكن تشكل خطر علينا مع أنها أدوات تجسس ، لكنها لا تساعد على كشف الجريمة بل تزيدها غموضا وتعقيدا .. أنتم عجلتم بسحب الحراسة عن الفيلا .. فأسرع فرج لتنفيذ المهمة الدقيقة .. وبينما هو يعالج الخزانة السرية طقق جرس الهاتف .. وترك الخزانة واستمع للمكالمة المفاجئة وسمع شخص يقول : إني قادم إني قادم لا تخافوا.

فلم يظن أنهم يكلمون الطبيب كما فهمنا بعد وإلا لبقي قابعا حتى ينهي الدكتور مهمته ثم يغادر المكتب.. إنما ظن أن أهل البيت شعروا به وكلموا الشرطة فهم قادمون ، فأخذ دفتر مذكرات الدكتور ، وأغلق الخزانة المخفية بدقة ، وخرج مسرعا ظانا أن أحدا لم يره ، ثم عرفنا أن الخادم

صدقيا لمحه فارتبكت الأمور لدينا ولما شعرنا بمراقبته ، وأن المركز قد أصبح تحت المراقبة ، جاءت الأوامر لشارل بتصفية فرج ، فجاءني شارل متنكرا إلى مقهى البحيرة الخامسة حيث نلعب القمار خفية متظاهرين بلعب الورق .. وكما تعلمون بجواره خمارة وملهى ليلي .. فرتب معي خطة تصفية فرج ، وأعطاني النظارة والشارب الكثيف ، وكلفني بسرقة سيارة، ورتب لقاء مع فرج ليلا في الجمعية، وطلب منه دفتر مذكرات جميل، ولما حضر فرج للجمعية حسب الموعد أخذ منه دفتر المذكرات، وتحدث معه بشؤون المنظمة وإدارة المركز وتسيير أمور الشبكة بعد موت جميل ـ وكنا نعرف أنه مراقب ـ فأمرني بتصفيته .. فنفذت سريعا .. ثم خرجنا من الباب الثاني ؛ لأننا رأينا رجلكم يقف أمام الباب باب الجمعية المعروف.. ثم ذهبنا لمنزل فرج بالسيارة المسروقة ، وأخذنا ما يلزمنا.. ثم ذهبت به إلى الفندق في سيارتي الخاصة بعد أن تركنا السيارة المسروقة بالقرب من ورشة تصليح ـ لنثير شهوة الشرطة نحوهم أي أنهم سرقوا السيارة لبيعها قطعا ـ فأخذ حقيبته من الفندق ، وغادر وقد غير شكله في السيارة وانتحل شخصية وليم برناس.. ونزل في فندق شعبي والباقي تعرفونه.

فقال عوني : صحيح ؛ ولكن المحضر لا يعرفه .. تكلم بكل شيء.

وتابع عماد اعترافه الذي يعرفه القارئ من مطاردة البوليس له حتى سقط في مقهى البحيرة الخامسة.

وبعد أيام يسيرة ألقي القبض على شبكة تجسسية رهيبة في طول البلاد وعرضها ، وكشفت الصحف والمجلات الصادرة صباح الخميس تفاصيل هذا الموضوع للرأي العام.

تمت بفضل الله تعالى

جحا الاحمق

* قال رجل لجحا: سمعت من داركم صراخاً، قال: سقط قميصي من فوق، قال: وإذا سقط من فوق! قال: يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه؟

* ومات جار له، فأرسل إلى الحفار ليحفر له، فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر، فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها، فسئل عنها فقال: إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم، وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونربح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير.

* واشترى يوماً دقيقاً وحمله على حمال فهرب بالدقيق، فلما كان بعد أيام رآه جحا فاستتر منه، فقيل له: ما لك فعلت كذا؟ فقال: أخاف أن يطلب مني كراه. *وسمع قائلاً يقول ما أحسن القمر! فقال: أي والله خاصة في الليل. * ومر يوماً بصبيان يلعبون ببازي ميت، فاشتراه منهم بدرهم وحمله إلى البيت، فقالت أمه: ويحك ما تصنع به وهو ميت؟ فقال لها: أسكتي فلو كان حياً ما طمعت في شرائه بمائة درهم.

نفس كربة

قال ﷺ « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ "رواه مسلم عن أبي هريرة

ترك إبراهيم مكتبه حيث يعمل في إحدى الشركات الكبرى العاملة في المدينة ، ومشى إلى مكتب زميله زياد ، وسلم عليه قائلا : غبت أمس ، ولما تحدثت معك قلت مضطر !

ـ نعم ، لم يكن معي وقت لشرح لك الأمر.. كنت مرافقا لشخص إلى المستشفى .

ـ من المريض ؟ أنت أم هو ؟

ـ لا أنا ولا هو ..كنت معه

لزيارة مريض بحاجة لمساعدة ..إنسان مكروب .

ـ ولماذا هو مكروب ؟! أمن أجل المرض ؟ كلنا نمرض ونراجع المشافي والأطباء .

قال زياد : مكروب ؛ لأنه فقير معدم ، يمكنني أن أقول ذلك .

وتابع فقال : القصة يا صديقي إبراهيم أن الرجل لا يملك الكثير من المال عندما حمل للمستشفى .. أغمي عليه في الشارع ، وحمله الناس إلى أقرب مستشفى .. ورفض المستشفى إدخاله بسبب الفقر .. فقام الإخوان بدفع المناسب .. وأخذ العلاج ؛ ولكن المستشفى بين لهم أنه بحاجة للبقاء تحت المراقبة الطبية لعدة أيام .. ثلاثة أيام على الأقل .. فتحدث معي صديق عنه ، وعن حاجته للمعونة ..فهو مكروب مغموم من بقائه في المشفى .. فكما تعلم كل ليلة يبقى فيها تكلف ماديا ونفسيا .. فزرته وقدمت له المناسب .. وسنساعده أيضا في دفع تكاليف العلاج .. وسنصله بالجهات التي ترعى الفقراء والضعفاء .. فهو عاجز من الاتصال بهم .

ـ أله أسرة ؟

قال زياد : نعم ، له أسرة زوجة ، وثلاثة أطفال صغار كما أخبرني رفيقي إليه

ـ ماذا يعمل ؟

ـ عتال .

ـ عتال ، لم أفهم !

قال زياد باسما : يقف أمام متجر جملة يساعد في نقل الحمولات مقابل بضعة درهيمات .. وهكذا حتى يخف التحميل والتنزيل فينصرف من السوق بشراء أو تسول بعض حبات البطاطا أو البندورة ، ويمشي على قدميه لبيته .

ـ ويسكن في حيكم .

ـ لا ، كان مارّا من شارع الحي .. ورفيقي إليه إياد

هو يعلم اهتمامي بالمساعدات والمواساة للفقراء والمحتاجين فطلب تعاوني من أجله .

ـ جزاك الله خيرا .. وأنت معروف بهذا الهمة ..وأنا سأكون شريكك في العناية بهذا المكروب ؛ لعلنا نكون ممن قال فيهم سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ "

ـ بارك الله فيك ! بعد الدوام نزوره في المستشفى ، وندفع تكاليف العلاج كما وعدت إيادا ..طبيا تحسن حاله .. واليوم ربما يخرج أو غدا .. وسنقدم لأسرته معونة عاجلة .. فقد كلفت أحد التجار بعدد من المواد الغذائية بتجميعها لحملها إليه .. وسنساعده حتى تصرف له مؤسسة رعاية الفقراء ما فيه النصيب .

قال : ذا فضل الله يؤتيه من شاء .. نسأله المزيد من فضله .. شكرًا لك يا زياد

ـ لا شكر على واجب

ـ هؤلاء الضعفاء حقهم على المجتمع ككل ، وعلينا خاصة بما أننا صرنا في المشهد الإنساني

قال : جهود مقبولة بإذن الله .

التقى زياد وإبراهيم وإياد أمام المستشفى الذي يرقد فيه العتال عوض ، ورحب بهم كادر المستشفى خاصة الذين يهتمون برعاية المريض عوض ، وطمأنهم الطبيب المشرف على حالته أن وضعه الصحي تحسن كثيرا ، وغدا سيغادر المشفى لبيته .. واستبشر بهم عوض خيرا ورحب بهم ، وشكرهم على عطفهم وشفقتهم .. وأخذ المال من يد إبراهيم على استحياء ، وهو يقول : ما زالت الدنيا بخير وأنتم فيها!

وتطوع إياد بالمجيء صباحا لنقله لبيته ، وكان إياد قد نقل إلى بيته المواد التموينية المناسبة التي طلبها زياد من التجار ، ووعده بزيارته مساء ، وشكرهم والدموع تنساب على وجنتيه .

ولما غادروا المستشفى مسرورين بما قاموا به من خير نحو هذا الرجل المسكين قال زياد : أنا أشكرك يا أخ إبراهيم على تعاونك معنا !

ـ بل أنا أشكرك أن قدمت لي هذه الفرصة لمساعدة الضعفاء والمساكين .

فقال إياد: جزاكم الله خيرا .. فهذا المطلوب منا نحو هؤلاء المساكين .. ما رأيكم في زيارة أسرة فقيرة نتفقد أحوالهم ؟

قال إبراهيم : على الرحب والسعة يا أخ إياد .. كل خير تحب أن تشرك به زيادا شاركني فيه ..أين هذه الأسرة ؟

ـ أنا يا سيد إبراهيم باحث اجتماعي في لجنة زكاة مسجد الحي .. عندما نعلم بفقير في الحي والأحياء المجاورة نذهب إلى دراسة الحالة ، والتأكد من

وضعها ، ومن صدق المعلومات التي قدمت لنا ؛ ليجري صرف مساعدة ثابتة لها .. وقبل الوصول لهذه المساعدة الثابتة نحتاج إلى تقديم دعم عاجل .. فنعتمد فيه على الأخوة الكرام كزياد وغيره ممن يرغبون في ذلك .

ـ فهمت عليك

قال : لدينا أسرة محتاجة أكثر مما يقدم لها من دعم ؛ فإذا أحببتم ذهبنا إليهم لتفريج بعض كربهم .

ـ سأذهب معكم ، وسأطلب تأجيل موعد لي يا زياد مع نورس .

فقال زياد : نؤجل زيارة الأسرة .

ـ خير البر عاجله هيا يا أخ إياد

وركب إياد في سيارة زياد ، وتبعها إبراهيم بسيارته إلى الحي الذي تعيش فيه الأسرة المحتاجة .. توقفت السيارتان أثناء الطريق أمام متجر لشراء بعض المواد الغذائية بناء على رغبة إبراهيم ولما وصلوا البيت وفتحت لهم الأرملة ادخلوا صناديق الطعام والفواكه ، وقضوا مع الأسرة بضع دقائق ، وقدم إبراهيم بعض المال ، وغادروا الحي ، وودعهم إبراهيم على أمل اللقاء بهم مجددا

قص زياد على بعض أصدقائهم في الشركة نشاطهم في مساعدة بعض الفقراء فتعجب أحدهم من فعل إبراهيم ، فقال لزياد : عجيب !! نحن نعرف أن إبراهيم صديق لك منذ سنوات ما الذي غيره ؟! وهو يعرف نشاطك في مثل هذه الأفعال والأنشطة .

ضحك زياد وقال : نعم ، هو صديقي كما أنتم أصدقائي.. سألني عن سبب تغيبي عن العمل ذلك اليوم ، فقصصت عليه القصة .. وأنا أفعل ذلك لتحريك العواطف نحو هؤلاء الناس المساكين .. فتأثر بكلامي كما تتأثرون أنتم ، ورغب بالمساهمة في ذلك .. أما هل هناك أمر آخر لم أسأل؟ وإبراهيم مثلكم رجل طيب وكريم ويساهم في كل نشاطاتنا التعاونية في الشركة .. وأذكر أنه مرة أقرض زكريا ألف دينار .. ولما انتهى وقت الدين طلب زكريا الإنظار فأنظره وزاده ستة شهور .. ولما مضت الشهور عجز عن السداد فسامحه إبراهيم وقال يومها لعلني أكون ممن يسر على معسر .. وانتهى الموضوع .. وأعتقد أن لدى إبراهيم صدقات عن طريق غيري .

ـ لم نعلم .

قال : لعلها صدقات خفية وسرية .. لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .

ـ ممكن ؛ ولكن يجوز الجهر بالصدقات .

قال زياد : يجوز ، ولماذا لا يجوز ؟ وجاء في السنة ما يرشد إلى ذلك .. وفعل ذلك النبي والصحابة .

ـ أنا استغربت الموقف منه ؛ ولعل فرصة تأتيني وأعرف منه الدافع .

وجاءت الفرصة بعد أيام ، دخل حامد على إبراهيم طالبا منه مساعدة لمريض ، ولما رأى تردد إبراهيم .. قال حامد : حدثني زياد عن كرمك مع العتال فرأيت أن لا أحرمك من المساعدة والأجر حك إبراهيم رأسه عدة مرات وقال : تحدث زياد عن مساعدتنا العتال عوض كنت لا أحب الحديث عن ذلك .

ـ لماذا ؟ وكيف سنساعد الضعفاء إذا لم نتحدث عنهم ونعرفهم ؟!

ـ كيف سنساعدهم يا حامد ؟ حسنا سنذهب لزيارة مريضك .. أنا أحب أن أمارس العمل بيدي يا حامد ليس عدم ثقة بك وبغيرك .. أحب أن أرى وأسمع هؤلاء البؤساء هناك أحاسيس يحصل عليها المتصدق من المباشرة للعمل .. يحس بهم وبضعفهم أكثر .. ويتحمس لدفع المزيد أرجو أن تكون فهمت قصدي .

ـ رائع يا إبراهيم ! لو باشر الغني الفعل بنفسه لزادت الدافعية للسخاء أكثر .

قال : الحمد لله أنك لم تغضب .. وتأخذ الأمر بحساسية .. الثقة موجودة بيننا .. والمعطي عندما يوكل غيره لا يهتم بما يحصل للصدقة بعد خروجها فهي قد وصلت للرحمن .

ـ عظيم عظيم يا إبراهيم ! كأنني أعرفك من جديد

ـ وأنا أعجبتني كلمات زياد أن بعض الفقراء يجب أن يعرفوا ليأخذ الناس بالهم منهم .. ولكن صدقة السر أعظم في الأجر !

ـ حسب الموقف كما يقول زياد .

ـ أكيد حسب الموقف !

مشاهد تربوية

أحبك في الله

ـ والله إني لأحبك . تبسم سعيد في وجه صديقه كريم وقال : وأنا والله أحبك .

قال كريم : عبارة رائعة! .. وأنا قلتها لك من أعماق قلبي

رد سعيد : بارك الله فيك ، وأنا أحبك في الله الذي أحببتني من أجله .

كريم : أتدري من أول من قالها ؟.. لتبيان عظمة هذه المحبة .. إنه رسول الله ﷺ قالها لمعاذ بن جبل ﷺ الشهيد البطل .

ـ قالها الرسول ﷺ لمعاذ يا الهي !!

ـ نعم ، تخيل لو قالها رسول الله ﷺ لنا .. لابد أننا نطير من الفرح والسعادة.. أن يحبنا رسولنا ﷺ ويعلن ذلك على الملأ .. اللهم نسألك حبك وحب نبيك محمد ﷺ .. وبمتابعة النبي ﷺ والاقتداء بهديه ومنهجه نتحصل على محبة الرسول ﷺ .. الحب في الله شعور وعبادة .

قال سعيد : يا سلام يا كريم لو تقوم علاقة الناس مع بعضهم البعض على حقيقة الحب في الله ولله ﷻ

.. لابد أن البشرية ستتغير للأفضل والأكمل والأجمل !

ـ أجل ، علاقة المصالح الدنيوية زائلة ومتقلبة حسب الأهواء والشهوات ..عندما يحب شخص آخر لمعاملة تجارية .. كشراكة في متجر أو مصنع .. تجدهما على خير ما يرام من الود والمجاملات والزيارات .. وإذا تخاصما لسبب ربما يكون تافها .. يكثر بينهم القيل والقال والغيبة والنميمة والكذب والإساءة للأعراض ، وكل يتهم شريكه بأنه سبب فشل المصلحة والمشروع المشترك وأما المحب في الله لو تعرض من حبيبه لموقف ما من ضيق أو خطأ فإنه يغفره ويصبر .. الحب في الله أجمل عاطفة بين الناس .. من أحب في الله وأبغض في الله كمل إيمانه .

ـ شكرا يا أخ كريم ، أنت صديق رائع! ومن نعم الله تعالى أن يوفق المرء إلى صديق مثلك .

ـ هذا من لطفك وفضلك وحسن ظنك يا أخ سعيد !.. هل تعلم أن المتحابين في الله ﷻ يظلهم الله تعالى في ظله يوم الحشر العظيم .

ـ سمعت عنه يوم الخمسين ألف سنة ..إنه يوم رهيب ..والله إن المرء في ذاك اليوم بحاجة عظيمة لظل العرش .. ما يكون عمرنا الدنيوي بالنسبة ليوم الحشر !

ـ نعم ، إذا كنا نحب بعضنا صدقا في ذات الله ﷻ سواء افترقنا في الدنيا بسبب المعايش أو اجتمعنا ومتنا على هذا الحب .. لسوف نستظل بظل العرش إن شاء ربي .. وهذا قول نبينا ﷺ { وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ}

ـ سأظل أحبك يا كريم لله وحده !!

ـ مهما أسأت إليك في وقت ما ؟!

ـ الحب يذيب الشحناء .. والمحب لا يسيء لأخيه .. الحب كنز عظيم !!

قال كريم : والمتحابون في الله يا سيد سعيد على منابر من نور .. أسمعت ؟ على منابر من نور .. أيوجد في الدنيا منابر من نور ؟! وهما في الجنة أصدقاء وأحباء.. لأن المرء كما بين الرسول ﷺ مع من أحب .. ونحن نحب النبي ﷺ في الله ومن أجل الله .. ونحب الصحابة كلهم في الله ﷻ

قال سعيد حالما : تخيل معي يا كريم لو سادت هذه المحبة الخالصة بين أفراد الأسر.. بين أفراد الحي .. بين أبناء المدرسة .. بين المعلمين والمديرين .. في السوق .. في المجتمع .. كم سيصيب الناس من السعادة والألف والأمان ! .. سيجد الضعيف حاجته ..والفقير مبتغاه .. لا حقد لا حسد .. إنه حلم حلم !!

ـ الحب يزيل الأحقاد والحسد والبغضاء والنميمة والكذب والنفاق .. فهل يستطيع محب أن يثير الشبهات والإشاعات لإخوانه ؟ .. فهل يستطيع

محب أن يتهم أخاه المسلم بالغش والخداع والمكر؟

.. الحب قيمة إيمانية وأخلاقية كبيرة لو عمت المجتمع .. المحبة خلق نبيل يدفعنا لستر عورات بعضنا البعض .. والعطف على بعضنا .. فالمحب يحب لأخيه ما يحب لنفسه .. حريص على إنقاذه من النار ومن عذاب جهنم .. الحب يقلل الفساد بين الناس قال ﷺ { « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لله ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيه . } ..

واسمع قول الله ﷻ في الأنصار {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) } الحشر

فقال سعيد : أرى أن الحب يجب أن يسود بين الناس .. ويصبح ثقافة شائعة بين الصغار والكبار والذكور والإناث .. لو تحب النساء بعضهن حق الحب سيقل نهش الأعراض ونقل المعائب والمثالب بين البيوت وأسرار البيوت .

ـ وبين الرجال أيضا .. الكل سواسية في الأخلاق والمحبة .. المحبة أكرر أنها كنز عظيم نفتقده بين بعضنا البعض .. نحن بحاجة لقوته بين الناس

ـ أنا خصصت النساء يا كريم

من كثرة ما نسمع عن ثرثرتهنّ ، وترددهنّ على بيوت بعضهن ، فيطلعن على أسرار البيوت أكثر من الرجال .

ـ اللهم اجعلنا من المتحابين في جلالك يا الله يا عظيم .

ـ آمين .

كلام المكاتب

مكتب المعسكر

{قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا } {ثَلَاثُ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ }

جلس القوم في الخيمة التي نصبت لإدارة المخيم الصيفي في بلدة الكرم ، لقد أتم الشباب تركيب وبناء عدد من الخيم لإفراد المعسكر ، وبقي القليل .

فقال شاب للمسؤول الأول عن الرحلة : يا استاذ محمد سمعتك تتحدث مع الأستاذ إبراهيم عن العورات واللباس وعن تتبع العورات والنهي عن

ذلك ففهمت أن هناك أكثر من عورة .. فما تقصدون بالعورات ؟

ضحك المعلم محمد تبسما وقال : سؤال جيد يا غالب! أليس اسمك غالبا ؟

- بلى .

- اهلا ومرحبا بك وبكم جميعا .. علينا أن نستريح قليلا ، ونشرب الشاي بالنعناع ، ثم نتابع تركيب ما تبقى من الخيم في معسكرنا ، ثم نقوم بتوزيع أنفسنا على الخيام .. أما بالنسبة للعورات والذي تحدثت فيه مع الأستاذ إبراهيم هو التنبيه على عدم كشف العورات البدنية أمام بعضنا البعض .. فلكل انسان عورة يمنع من اظهارها للناس .. فعورة الرجل الشرعية ما بين الصرة والركبة .. وبعضهم أقصد الفقهاء رخص بكشف جزء من الفخذ أمام الآخرين إلا لمن أذن لهم الدين برؤيتها .. كالاضطرار للعلاج عندما يحتاج الطبيب لرؤية العورة أو الرجل وزوجته .. فالمرء المسلم الصادق طبعا لا يكشف العورة البدنية .. وللمرأة الأنثى عورة تختلف عن عورة الرجل .. أيها الشباب الأنثى عورتها جميع البدن ، واختلفوا في جواز كشف الوجه والكفين والقدمين أمام الأجانب .. وهناك ثلاث عورات لا يسمح حتى للصغار برؤيتها .. والتفصيل الآن غير مهم أن نتحدث عنها .. الآن نحن نريد أن ننبه على عدم جواز التعري أمام بعضنا البعض أثناء النشاط واللعب بالكرة وغيرها .. هذا مختصر ما تحدثنا به والأستاذ إبراهيم، وهناك عورات أخرى مهمة في الدين .

- مثل

- مثل العيوب الذاتية الشخصية من صفات وأخلاق .. فالشارع نهى عن تتبع هذه العورات وعن عيوب الرعية .. فمن كشف عورة أخيه كشف الله عورته ومن ستر عورة أخيه ستر الله عورته في الدنيا والآخرة .. ومن تتبع عورات وعيوب الناس فضحه الله ولو في وسط وعقر بيته .. يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين .. الحديث .. فقد نهي القرآن أن يدخل أهل البيت الصغار والكبار على بعض في ثلاثة أوقات قبل الفجر عند الظهيرة وبعد صلاة العشاء حتى لا يرى أشياء خاصة بين الزوجين أو غيرهم

لسانك لا تذكر به عورة أمرئ ..

فكلك عورات وللناس ألسن

كما قال ذاك الشاعر يا غالب .. ويمكنني أن أقول العورة أمور خاصة للرجل أو المرأة لا يجوز الحديث عنها وإفشائها بين الناس .. كما يقال للبيوت أسرار فمن عرف ذلك فلا يكشفه إلا اضطرارا يا شباب .. رجل عنده عيب في بدنه لا يعرفه إلا أهل البيت الزوجة الأولاد فلا يجوز

إفشاء وفضح هذا الأمر الخاص وهكذا .. وكل إنسان له خصوصيات شخصية أو أسرية فلماذا ننشرها ونظهرها للعلن أيها الأصدقاء ؟ ها قد حضر الشاي تفضل يا أحمد .. سنشرب الشاي ونصلي الظهر ، ثم نعاود تركيب ما بقي من الخيم ، ثم يتعرف كل منا على منامته ، ونحافظ على عوراتنا أثناء تبديل الملابس ، وأثناء النوم .. ويستر كل منا عورة أخيه .. وسنمكث هنا عشرة أيام ممتعة ـ إن شاء الله ـ بين التدريب والمشي والركض والرياضة في هذه الجبال والوديان .. فهذه المعسكرات مهمة للنفس والبدن والروح عسى بأن تستفيدوا منها بدنيا وعقليا ؛ لأنه سيكون بعض المحاضرات الفكرية خلال الأيام العشرة .. ربما بعضكم رافقنا في سنوات ماضية.. أنت يا غالب أول مرة تحضر مثل هذه المعسكرات الكشفية .. معسكر رياضي شبه عسكري في حياتك .

" يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته "

قال مؤكدا ظن الأستاذ : صح يا أستاذ محمد أول مرة يتيسر لي ذلك .. عسى أن أنتفع منها كما تحدثت وتكرمت وهو المأمول منها .. أخي الأكبر مني قد شارك فيها ، وشجعني على المشاركة ..

أخي فواز .

قال محمد : فواز شقيقك!..

كان طالبا نشيطا رياضة وعلما .. وكان مثلك محبا للنقاش والمعرفة ، ويكثر من الأسئلة والاستيضاح .. كان صديقا لي حدثك عن ذلك !

قال : نعم ، وهو يذكرك بكل خير وفضل في اللياقة والدراسة .

قال : نعم ، أيها الشباب النشاط والقوة مطلوبان ..قال تعالى عن الملك طالوت "وزاده بسطة في الجسم والعلم " علم وجسم فالتربية تكون بهما .. ففي الصباح الباكر بعد صلاة الفجر سنسير بضع كيلو مترات نحو الصحراء القريبة منا فاستعدوا لذلك.

شربوا الشاي ثم نهضوا بعزم وحماس لصلاة الظهر ثم ليتموا إقامة الخيام والغذاء والقيلولة .. تابع الشباب تركيب ونصب خيامهم ولما اكملوا عملهم بكل همة ونشاط وتعاون ، قام محمد مدير المعسكر ورفيقه إبراهيم بتوزيع الطلبة حسب صدقاتهم وفصولهم وتوافقهم .. وكان في كل خيمة ثلاثة طلاب أو أربعة ..وأعلن طباخ المعسكر جهوزية طعام الغداء حسب المخطط وقال محمد بعد أن ذكرهم بآداب الطعام الشرعية : تناولوا غداءكم هنيئا مريئا وقيلوا حتى صلاة العصر وبعدها سيبدأ تنفيذ برنامج المعسكر كما

رسمنا وخططنا واطلعناكم عليه.

قال إبراهيم : إلى الطعام أيها الشباب !

الجواهر العشر

الصياد البحري هارون

الحلقة ١

أما قصة الصياد البحري هارون فهي قصة جميلة فيها معان نبيلة ، فهارون صياد يملك شبكة صيد قديمة ، فبعد صلاة الفجر ينطلق إلى شاطئ البحر فيقذف شبكته في الماء ؛ فإذا خرج بها شيء فرح وسعد ، وذهب إلى السوق فباع ما صاد واشترى طعامه من الخبز واللحم وأحيانا الحلوى أو الفاكهة ، ثم يعود لكوخه الصغير فيجد الزوجة في انتظاره ، فتعد له الطعام الذي ابتاعه ، ويقضيان يومها في سعادة ومرح ، وعندهما قناعة تامة بأن رزقهما على الله فعليه توكلا ، وقد قيل قد أفلح من كان رزقه كفافا وقنعه الله بما آتاه .. هارون وزوجته مروة لا يحلمان بقصور شامخات ولا بجنان باسقات ، وأعظم حلم يحلمان به في هذه الدنيا الفانية أن يهبهما الوهاب وليدا سواء كان ذكرا أم أنثى ، فهذا حلمهما الأعظم الذي يتمنيان أن يتحقق لهما في حياتهما الدنيا ، فهما زوجان منذ عشرين سنة ولم يقدر الله لهما الذرية بعد ، ومع هذا فأملهما كبير برحمة الله التي وسعت كل شيء علما .

هذا هو يوم عمل هارون .. أحيانا أخرى لم يكن يصيد هارون شيئا ، فيعود عند الظهيرة فيمر على صاحبه الخباز فيأخذ رغيفين ، ويمرّ على البقال أو الجزار فيأخذ حاجته ويعود للبيت متأخرا عن العادة ، فيجد

الزوجة تستقبله بلطف وصبر ورضا ، وهكذا الحال إلى أن جاء يوم متأخرا ، فأدركت الزوجة أنه لم يصب شيئا ، فلما أكل وشرب كالعادة ، بشرته زوجته بأنها حامل فلم يصدق للوهلة الأولى ، ولما أكدت له حملها وأنها صبرت عن إخباره حتى تطمئن وتثق بحملها ، فأخذ الصياد البحري يقفز في الهواء من شدة الفرح .. وخيمت على البيت سعادة جديدة كانا ينتظرانها منذ عشرين سنة مرت عليهما ، وأخذا يحسبان الأيام بالساعات ساعة بساعة إلى أن أهل المولود لهذه الدنيا بقدر معلوم ، فسمياه فرجا لأنه مولود ذكر .



وكان هارون من شدة حبه لفلذة كبده عندما يرجع من صيده اليومي يلازم الطفل ، وكم ينزعج ويتألم عندما يسمع بكاءه ؟! وأحيانا تطفر الدموع من عينيه تأثرا ببكاء الصبي الرضيع ، وقد قام الزوجان بتربيته خير تربية من عناية و محافظة ،

ولما بلغ السنوات الأولى من عمره ألحقه الصياد البحري بأحد كتاتيب الأطفال المنتشرة في المدينة الصغيرة ليتعلم شيئا من القرآن ، والذي تطور في حياة هارون أن أصبح يخرج للصيد جولتين مرة في الصباح ومرة ثانية في المساء ؛ ليستطيع دفع تكاليف الكتاب ، ومع ذلك مرت الحياة هادئة رتيبة إلا من بعض نوبات المرض تمسهم فتنغص حياتهم بضعة أيام أو ساعات ، ثم تعود الحياة لطبيعتها الهادئة ، وأكثر القلق والخوف يصيبهم عندما يمرض الابن الوحيد فرج

سمكة فرج

كبر فرج وأصبح ابن خمس عشرة سنة ، وقد تعلم مهنة الصيد من والده ، وكان يشارك الوالد في صيده ، وذات يوم كان يحرك الشبكة ـ وكان والده يتحدث مع صياد آخر ـ فأحس أنها صادت شيئا ما فصاح بفرح : أبي .. أبي .. الشبكة ثقيلة تكاد أن تجرني .

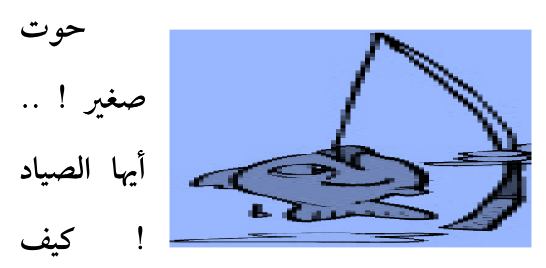


أسرع الصياد ملبيا النداء ولما أمسك بالشبكة وحركها قال : إنها ثقيلة فعلا .. الله اعلم ما الذي علق بها ؟!

وتعاونا على سحبها وساعدهما جارهما في الصيد ، وخرجت الشبكة بسمكة كبيرة تزيد عن خمسة أذرع ، ولما استقرت على البر ، قال جارهما : يا أبا فرج .. هذه سمكة مميزة وكبيرة فالأفضل أن تذهب وتبيعها للأمير في قصره .. فسوف يدفع لك مبلغا كبيرا فيها .. واذكر أمامه أنك خصصته بها فسوف يسر من ذلك .

ووجد الاقتراح هوى في نفس هارون الصياد ، فهو يطمع بمبلغ كبير ليشتري به بيتا كبيرا ريثما يكبر ولده فرج ويزوجه من عروس جميلة .

فاستأجرا عربة لحمل السمكة الكبيرة ، وساروا خلف العربة نحو قصر الأمير في أعالي المدينة ، فرحب بهم حرس الباب واخبروا السلطان بالسمكة الكبيرة ، وفي هذه الساعة كان يجلس الأمير هو وزوجته وابنته الأميرة " جنة " فأمر بإدخالها ، فأعطى الصياد سائق العربة أجرته ، وحمل السمكة هو وابنه فرج ودخلا بها حيث يجلس الأمير ووضعاها بين يديه ، فتعجب السلطان وزوجته وابنته من حجمها وقال : إنها حوت صغير ! .. أيها الصياد ! كيف



اصطدتموها بهذه الشبكة العتيقة ؟

فأخذ الصياد يروي قصة صيد السمكة ، وكان الشاب فرج يختلس النظر للأميرة الجميلة الشابة التي راقت له ووقعت من نفسه موقعا حسنا ، وأخذ يحلم أحلاما كبيرة ، والفتاة شعرت بنظراته نحوها فرمقته بنظرة طويلة فلحظت احمرار وجهه فقالت في نفسها : إنه ابن صياد فقير وأنا ابنة سلطان .. لا يا نفس .

ولكنها ابتسمت للغلام الذي انبهر بها ، وأحس بالفرق الكبير بينه وبينها وتمنى لو لم يدخل هذا القصر أبدا ولم يرى هذه الفاتنة .. فهذا حلم صعب المنال .. فأطرق حياء مما خطر في قلبه واستغفر من وسواس نفسه .. ولكن النظرة في أوقات يعقبها حسرة وندامة ، وكما قيل في الحكم النار من مستصغر الشرر .

حلم ابن الصياد

دفع السلطان للصياد خمسين دينارا مقابل السمكة الكبيرة ، ففرح بها الرجل فرحا كبيرا لا يوصف وقبل يد السلطان من شدة الفرح ، وفعل ابنه فرج مثله ، وغادرا القصر ، وكان الأب يكاد يطير من السعادة ، والابن حزين من تلك النظرات التي كانت بينه وبين الأميرة الحسناء ، ولما وصلا البيت وجدا الأم قلقة عليهما ، فلما اطمأنت عليهما وسكنت جوارحها وقلبها ، قص عليها الأب قصة الثروة التي هبطت عليهما من البحر ، وكان الصياد يتحدث بسعادة وحبور كأنه ملك الدنيا بهذه الدنانير التي منحه إياها السلطان ؛ ولكن الأم قد لمحت الحزن والضيق على ولدها فاحتارت في تفسير ذلك ، الأب سعيد لدرجة كبيرة والابن حزين لدرجة كبيرة ، فقالت لأبنها بعد سماعها قصة السمكة الكبيرة التي اشتراها مولاهم السلطان : يا أمي ..ما بك .. هل أنت مريض .. هل أصابتك حمى ؟!

فانتبه الصياد هارون لحال ولده فهو لم ينتبه له منذ خرجا من القصر وسمع الولد يجيب أمه قائلا : لا يا أمي .. أصابني أمر أشد وأمرّ من الحمى .

فقالا معا وبلهفة : ما هو ؟!

قال بحسرة واسف : وآسفاه يا أمي الحبيبة ! .. هل يمكن لابن صياد متواضع أن يتزوج ابنة سلطان من سلاطين هذا الزمان ؟! .



ففطن الأب لمغزى كلام ولده فعض على شفته وقال : ويحك يا فرج لعل قلبك تعلق بابنة السلطان التي كانت تبتسم لك ؟ !

فقال الغلام بكل وضوح : أجل يا أبتاه .. كانت

نظرة محب .. فكأنها شعرت بخفقات القلب فابتسمت في وجهي فازدادت النار في فؤادي ..

قال الأب : يا ولدي الحبيب .. فكر بعقلك لا تستسلم لعواطفك .. وأنت في عمر تغلب على الإنسان فيه عواطفه .. تذكر يا ولدي ما بيننا من فارق فهم في الثريا ونحن في الثرى .. وهذا قدر الله .. واعلم أن الزواج كذلك بقدر من الله .. فليس إلا أن أقول اصبر صبرا جميلا .. فهذه خمسون دينارا أستطيع أن أزوجك بها من أي فتاة من بنات اخوتنا الصيادين الذين هم من ثوبنا .

قالت الأم : أجل يا فرج .. الزواج ينسيك ما وقع في قلبك من العشق .

مسح الشاب دمعة الفقر عن عينيه وقال : أنا أعي من نحن يا والديّ .. لا أريد الزواج من أي فتاة سأحاول الزواج من ابنة السلطان ..

قالت الأم بلوعة : ألا تخشى غضب السلطان ؟! .. أنت ولدنا الوحيد يا فرج لا نريد أن نشرب كأس الحسرة عليك

قال الأب ميئسا لولده : يا فرج يا ولدي .. هذه فتاة قد تتزوج قريبا .. والمشوار أمامك طويلا .. فالأفضل أن لا تشغل بالك فيها كثيرا .. فالصبر والتقوى ينال بهما المرء ما يتمنى .

فرد الفتى بعزم الرجال : لابد من الصبر ولا مفر من التقوى .. سأمضي الآن للمسجد اعتكف فيه هذه الليلة وأصلي العشاء جماعة مع القوم لعلي أجد مخرجا مما لـمّ بي من الوجد .

ولما انطلق فرج للمسجد قال الصياد هارون بحزن : لا يدري الإنسان كيف تأتى السعادة ؟! .. لقد طار مخي من الفرح عندما قبضت من مولانا السلطان خمسين دينارا ثمنا لسمكة .. فأخشى أن تكون هذه بداية تعاستنا يا زوجتي الحنون

فما كان من الأم إلا أن قالت : سلم أمرك كله لله .. بيده مقاليد السموات والأرض .. فأنت عندما ذهبت لبيعها للسلطان كنت تسعى لسعادتنا ..

فقدر الله أن يرى ابننا الأميرة .. فهذا ليس بيدك .

قال الصياد : أنت تعلمين كم نحب ابننا فرجا ولا نحب له الشقاء والتعاسة ومكابدة الآلام ؟! .. ومثل هؤلاء الناس لا يزوجون بناتهم إلا من أبناء الملوك مثلهم .. فأخاف أن يضيع الفتى منا ونحن عاجزون أن نعمل له شيئا في هذه الحياة الدنيا .

قالت الأم بكل ثقة : ماذا نفعل ؟ .. فلنصبر ولندعو ربنا بأن يبعد عنا الشقاء والنكد .. ولنقل .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. وحسبنا الله ونعم الوكيل .



قال الوالد باستسلام لمدبر هذا الكون : هو ما تقولين .. حسبنا الله ونعم الوكيل .. ومن يتقه يجعل له فرجا ومخرجا ..لا إله إلا هو .

الصياد الشاب

لما صلت الأسرة صلاة الفجر ،كان فرج قد عاد من مسجده ، وكان الصياد يستعد للانطلاق للصيد كعادته فاستشار ابنه بمرافقته فقال فرج لأبيه : أمس يا أبي أدركت أن الناس طبقات بعضهم فوق بعض ، أمس يا أبي الطيب علمت أنك صياد صغير .. وهناك صيادون كبار .. أبي الطيب أريد أن أعمل مع صيادي القوارب والمراكب .. فأتعلم منهم واركب البحر معهم .. لقد غفلت عيني أثناء اعتكافي في المسجد فرأيت نفسي في مركب كبير .. فرأيت أن انضوي تحت جناح أحد كبار الصيادين قد أصبح مثلهم .. اعلم أن الفراق عنكم بضعة ليال قد يشق عليكم ؛ ولكن عليّ أن أتغير يا أبي الطيب .. ولكنك لا ترضى لي أن أظل صيادا صغيرا .. فلم لا أحاول أن أكبر يا أبي .. أحاول أن أصبح سيدا لي مراكب وعندي رجال يشتغلون .. لماذا ؟

فقالت الأم التي كانت تسمع الحوار بينهما : يا ولدي وهل ذهابك مع صيادي القوارب سيرفع من شأنك ويجعلك من علية الناس والقوم ؟

فقال فرج : لا يا أمي .. القصد من الذهاب معهم ازدياد المعرفة عندي .. ويكبر الطموح في نفسي لعلي أصير كبير الصيادين في يوم من الأيام .. قد أصير صاحب مركب كبيرة تغوص في البحار البعيدة والكبيرة .. قد أصبح أمير البحر عند السلطان ذات يوم من الأيام .. أما الصيد في هذه الشبكة على شاطئ البحر سيبقيني كما أنا .. عليّ أن اجرب حظي يا أمي قبل فوات الأوان .. قد تكون يا أبي الطيب قد فعلت ما أنوي فعله في أول عمرك .



كانت الدموع تتساقط على لحية الأب من كلمات ابنه ، ولما سمع استفهام ولده رد قائلا : أجل يا ولدي يحق لك أن تحاول وأن تكبر وتتغير .. لقد ركبت البحر مرة مع الصيادين وكدت أغرق في تلك الرحلة ونجوت بفضل الله تعالى فما عدت بعدها اركب البحر .. افعل ما تشاء يا بني !.. حاول .. جرب قد يكون بختك خيرا من بختنا .

التحق فرج بالعمل مع أحد المراكب الكبيرة العاملة بالصيد في الجزر وفي أعماق البحار ، وتعلم الصنعة وبدأ يلتقط أسرارها وخباياها ، وكان الوالدان في كل سفرة يغيب فيها فرج يقضيان

الأيام والساعات على أحر من الجمر .. وفي دعاء وابتهال وصلاة بأن يعود المركب سالما ، وعندما يسمعان عن عاصفة أو حادث في البحر يدب في قلبيهما الخوف والتوتر مع شدة توكلهما على الله وتأكدهما أن الحافظ للإنسان هو الله وحده ، مضت ثلاث سنوات على الأسرة ترعرع فيها فرج وكبر سنه ودخل في فترة الشباب ، وفي كل مرة يحدث والديه عن المخاطر التي تعرضوا لها في هذه الرحلة يزداد خفقان قلوبها ، وكثرت النذور منهما كل مرة يتأخر فيها ، وكان الوالدان يلحان عليه بترك الصيد في أعماق البحار وأن يفتح دكانا لبيع السمك ، خلال هذه السنوات تنقل فرج بين أكثر من مركبي ، وعرض عليه شاب من جيله أن يعمل معهم ، ولما عاد والد محصن من رحلته الأخيرة ذكر لوالده رضا فرج بالعمل معهم ، ولما حان موعد الرحيل ودع فرج والديه وداعا حارا وسألهما الدعاء له بالعودة سالما .

فقال له أبوه : سوف نشتري بيتا كبيرا عندما تعود من هذه الرحلة ، ونرحل إليه ونبحث لك عن زوجة صالحة .. لعلنا نرى ذريتك قبل انتقالنا للدار

الأبدية .

فعانقهما وانطلق إلى البحر مع ضوء الفجر ، فوجد أبا محصن ورجاله يستعدون للانطلاق ، ومحصن صاحبه بينهم ، واستمرت هذه الرحلة عشرة أيام عادوا منها ومعهم كميات كثيرة من الأسماك المختلفة الألوان والأحجام ، وقضى فرج عشر أشهر عند معلمه البحار أبي محصن ، ثم عرض عليه صاحب غوص أن يعمل معه في استخراج اللؤلؤ في جزيرة الريح ، فوافق فرج وسافر معه في موسم البحث عن اللؤلؤ ، واستغرقت رحلتهم فصل كامل من العام ، وعاد للمدينة وقد أخذ نصيبه من اللؤلؤ والأسماك ، وكانت رحلة موفقة وطيبة ، ولقد حاول الوالدان تزويجه ودفعه للاستقرار في المدينة ، فأجاب والديه قائلا : سأبيع ما حصلت عليه من اللؤلؤ وأشتري مركبا صغيرا



قصص الزمردة

نحيف وعريف

الحلقة ٢ والاخيرة

وأولجوهما البيت وأكرموهما غاية الإكرام ، وساقهما رئيس الخدم إلى أحسن حمام في المدينة وأوصى الحمامي عليهما ، ولما استحما وجدا في انتظارهما أحسن الثياب فارتدياها ، ثم رجع بهم الغلام للقصر ، وتناولا الغداء مع الشيخ وولده ،

ثم دفع لهما الشيخ أكياس المال وهو في غاية السرور ، وحين انصرافهما قال : إذا احتجتم لشيء أيها السيدان في هذه المدينة فأنا رهن إشارتكم وفي خدمتكم ، وهل ستبقيان نزيلان في الفندق ؟

رد نحيف وكله سعادة وبشر : في الوقت الحالي نعم فقال الشيخ مودعا لهم : لا بأس ، فأنا أعرف هذا الخان وصاحبه .. فاحذراه يا صاحبيّ فهو رجل معروف بالجشع ، واحرصا على أموالكما جيدا .. لا تخلو مدينتنا من اللصوص والمحتالين

وودعوا الشيخ وولده وهما في غاية البشر والحبور للمال الكثير الذي حصلا عليه لأول مرة في حياتهما من هدية القزم لهما ، وهرعوا للسوق واشتروا جرابين كأجربة الحكماء والعشابين في تلك الأيام ، ثم عادوا للخان ، وكم سعد صاحب الخان وهو يقبض منهما أجره وقال : لقد أصبحتما من الأثرياء سأخصكما بأجمل حجرة في فندقي حجرة تليق بمقامكما أيها الطبيبان الماهران .

فقال عريف: بوركت يا سيد مخروم ، وهذه خمسون درهما هبة منا إليك جزاء تحملك لحاجتنا وغربتنا .

وتناول مخروم المال من يد عريف وهو يقدم شكره الجزيل لشخصيهما ، وقدم إليه نحيف ثوبا ثمينا هدية منهما ، فقال مخروم : لقد غمرتموني بكرمكم الكثير .. إنكما تستحقان السعادة والهناء ففي صدوركم قلوب رحيمة ومشفقة .

وذاع خبر الطبيبين في المدينة وقدرتهما الفائقة على مداواة الأمراض المستعصية ، فهرع إليهما المرضى من كل حدب وصوب ، وضاق الفندق بالنزلاء من المرضى وذويهم ، فيقوم عريف ونحيف بمعالجتهم ، فيأخذان من الغني ويدعان الفقير كما أوصاهما القزم الغريب صاحب البيضتين السحريتين ، فكثرت الأموال بين أيديهما ، فاشتريا صندوقا واسعا ليضعا فيه المال ، فأصبح الفندق مع الأيام ؛ كأنه مشفى ، وقد استفاد مخروم من مهارة الطبيبين ، وكثر ماله بسببهما ، فذات مساء قال لهم صاحب الخان : يا سيدان أنتما بحاجة لمن يحرس لكما مالكما الذي يزداد كل يوم ، فاستأجرا فتى جريئا يقوم على حمايتكم من لصوص المدينة ، فهم كثر في مدينتنا ، والعسعس مقصرون في المحافظة على أمن ومال الناس .

فقال عريف: يا سيد مخروم .. نرغب في شراء قصر في هذه المدينة الكبيرة .. فانظر لنا في ذلك ولسوف نكرمك .

فحك مخروم رأسه عدة مرات ثم ابتسم وقال : حسنا أيها الأصدقاء ! سيكون لكم بعد أيام أجمل قصر في هذه البلدة .. سأبذل قصارى جهدي في تحقيق حلمكما في السكن في قصر كبير ويليق

بطبكم وثروتكم العظيمة .

وما مضت أيام يسيرة حتى أتاهما مخروم وبصحبته رجل يلبس ثيابا براقة جميلة من الحرير الخالص ، ويداه مزينة بالخواتم الثمينة مما يوحي لمشاهديه وناظريه بأنه رجل ثري صاحب أملاك ، فقال لهما مخروم وهو يشير للرجل : هذا الشاب لدى والده قصر يريد بيعه ويطلب فيه مبلغ خمسين ألف درهم.

فرحبا بالشاب ، وانطلقا معه إلى قصر والده في قلب المدينة ، وشاهداه وتفرجا على غرفه الواسعة وحدائقه الرائعة مما أسال لعابهما على امتلاكه وشرائه ، ثم رجعوا للخان والشاب يقول لهم: هذا هو القصر الذي يملكه والدي ويرغب ببيعه ؛ لأنه قد بنى قصرا جديدا أكبر منه ، وبعد شرائكما لهذا القصر سأدعوكما لزيارة قصرنا الجديد والغداء مع والدي .. وما عليكما أيها الحكيمان إلا أن تؤثثاه وتشتريا خدما وحرسا للقصر فتصبحان من السادة الأغنياء حقا .

وكان صاحب الخان قد أمر بإعداد مائدة فخمة تليق بضيفه الثري ونزيليّ فندقه عريف ونحيف وعلى المائدة المعدة تم الاتفاق ، وقبض الشاب المال المقدر ، وأخذ الصاحبان منه المفتاح الكبير وهو يلهج لهما بالدعاء والهناء بسكنى القصر الجميل ، وأختـفى بعد الأكل ، وقد تبعه مخروم مسرعا .



واتفق عريف ونحيف أن ينتـقلا صباح الغد لقصرهما الجديد ، فلما استـقرا في حجرتهما وجدا أنه لم يبق لديهما من المال سوى خمسة آلاف ، وهي لا تكفي لتأثيث ذاك القصر الواسع وشراء خدم وحرس ، فقال عريف : نشتري بعض الأثاث لبعض الحجرات ونصبر قليلا ثم نفرشه بأجمل الرياش والمتاع بعد حين .

ولكنّ الصباح كان يحمل لهم عددا من المفاجآت ، فأول هذه المفاجآت أنّ صاحب الخان قد اختفى من ليلة أمس ، وقد باع فندقه منذ أيام فتعجبا من الأمر ، فأخذوا أشياءهم على عربة من عربات الفندق وتدرجوا نحو قصرهم ، وهنالك لقد كانت في انتظارهم المفاجأة الثانية ، فلقد وجدوا رجلا يجلس أمام القصر ، وعلما منه أنه حارس القصر الخالي ، فرويا له قصتهما ، ووصفا له الشاب فتعجب الرجل وقال : لابد أنكما محتالان .. لم يشتر أحد القصر !

فأعادوا على مسمعه القصة وأخرجا له المفتاح ، فتناوله الحارس وأخذ ينظر إليه ويقلبه ، ثم جربه بالباب ففتحه ، ثم قال : هذا القصر معروض

للبيع فعلا .. وللحق زارني شاب من يومين أوصافه قريبة مما وصفتموه ، وبين لي رغبة أبيه في شراء القصر ، ومنحني مائة درهم وأخذ مني هذا المفتاح ـ وأخرج مفتاحه ـ ومفتاحكم شبيهه ، وطلب مني أن أترك حراسة القصر نهار أمس حتى لا يثرثر والداه معي عند حضورهما لمعاينة القصر ، فنفذت رغبته ، ثم عاد مساء أمس ورد لي المفتاح ـ وحرك الحارس المفتاح بيده ـ وقد قال لي " إنّ والديه لم يعجبهما القصر ، وأعطاني مائة درهم أخرى اعتذارا عن إزعاجه لي ، فأرى أنه ماكر قد سخر منا جميعا وأن صاحب الخان متآمر معه فاحتالوا عليكم وفرا معا ، فاذهبا لرئيس الشرطة ، وقدما شكوى ولسوف أشهد معكم إن صدق وقبل الرئيس شكواكم

ولما تذكرا أن صاحب الخان قد باع فندقه خفية عنهم ، فأيقن عريف ونحيف أن صاحب الخان احتال عليهما ودبر لهما هذه المكيدة مع ذلك الشاب الكاذب المزور ؛ فلذلك باع خانه دون أن يشعرهما بذلك ، فذهبا إلى زعيم الشرطة وقدما شكوى بمخروم وصاحبه المخادع ، ثم مضيا كاسفين البال يبحثان عن فندق ينامان فيه بعد خسارتهما ذلك المبلغ الكبير ، ومكثا ثلاثة أشهر في المدينة يتحسسان عن المحتالين ، والشرطة بدورها لم تصل إليهما ، ودخل اليأس قلبيهما من العثور عليهما واسترداد مالهما فجمعا ما بين أيديهما بعد تلك النكسة فإذا هو ما يقارب عشرة آلاف درهم ، ثم غادروا المدينة إلى مدينة أخرى .

شقاء أخر

وفي المدينة الجديدة استأجرا بيتا لممارسة العمل ، ولم يكد الناس يعلمون بقدرتهما على المداواة حتى عمّ صيتهما في أنحاء المدينة الكبيرة ، وبدأت تتوافد عليهما جموع المرضى للاستشفاء ، وكنت ترى الفقراء والأغنياء على باب المنزل للعلاج ، وكانا يمارسان عملهما في النهار فقط ويستريحان ليلا ، واستمر هذا الحال عدة شهور إلى كان ذات ليلة حدث .

فبينما هما منهمكان بإحصاء
وحساب ما جنياه خلال النهار ، طرق الباب ، فنهض نحيف لينظر الطارق في هذا الليل فقال : من بالباب ؟

فجاءه صوت غلام صغير يقول : يا سيدي ..افتح أنا إيهاب .

فتح نحيف الباب فإذا الفتى يقول : من منكم الحكيم المداوي ؟ .. فجدي مريض وحالته يرثى لها ، وهو بحاجة لطبكم ، وقد أخبروا جدي عن مهارتكما ، فأرسلني إليكم لتذهبوا إليه ، وهو رجل ذو مال جسيم ، فابشرا بالغنى والعز الكبير إن تعافى جدي على أيديكم المباركة

فقال نحيف : أيها الفتى قل لجدك الطيب نحن لا نعمل في الليل ، فعد إلينا غدا صباحا .. أين يسكن جدك يا إيهاب ؟؟

فرد الفتى بحزن : جدي يسكن في وسط البلدة وهو سيد ميسور يدعى أبا السر ، وهو معروف عند كل الناس .

وكان عريف قد خرج من الغرفة ليرى من الذي يتحدث مع رفيقه فقال : أيها الغلام .. ارجع صباحا وسترى ما يسرك من شفاء جدك أبي السر

فقال الفتى : لا أستطيع الرجوع بدونكما ؛ فإن جدي لا يصدق أنكما اعتذرتما فقد يضربني أبي ، أرجوكم لا تكونوا سببا في إيذائي .. أمرني جدي ألا أعود إلا بكما ، فإن كنتما قلقين أو خائفين فليذهب معي أحدكما ؛ ليطمئن الجد والوالد أني جئت إليكما ، ثم لتأتيا غدا لعلاجه .

وبعد تهامس بين الصديقين قال عريف : سأنطلق معك أيها الغلام الصغير ! لقد رقت قلبي نحوك ، سأذهب معك لأطمئن جدك وأعرف البيت هيا امش أمامي.

وظل نحيف وحده في البيت ، وما كادت خطوات عريف تبتعد عن البيت حتى سمع نحيف قرعا على الباب ، فظن أن عريفا قد رجع فصاح : ما بالك قد رجعت ؟!

ولكنه سمع صوت طفل يقول : افتح أيها السيد أنا حيدر أرسلني أبي إليكم ، فهو مريض ، ولا يستطيع السير على قدميه ، وبيتنا قريب فنحن جيران .

فقال نحيف لنفسه : ما الأمر ؟ الفتيان الصغار يقرعون بابنا الليلة ! وتقدم وفتح الباب ، وقبل أن يتكلم مع الطفل انقض عليه عدد من الرجال ، وهم ملثمون فأوثقوه بعجلة قبل أن يستيقظ من المفاجأة ، وأخذوا صندوق المال والجرابين واختفوا في ظلام الليل ، وبعد حين دخل عريف فوجد الباب مفتوحا ، فأسرع بالدخول فلقي صاحبه مقيدا في الحبال ، فخلصه من القيد وهو يقول : ما الأمر أيها الصديق ؟!

فأخذ نحيف بالبكاء وقال : بعد ابتعادك بقليل دق صبي آخر الباب ، فلما فتحته هجم عليّ رجال أشداء فكتفونني وسلبوا صندوق المال والجرابين وهربوا ، وأنت ماذا جرى معك ؟

فأخذ عريف هو الأخر يبكي ويقول : إنها مكيدة كبرى يا صديقي ! تعرضنا لمكر كبير ! سرت مع الفتى الصغير حتى وصلنا إلى منزل فدخله ، وأمرني بالانتظار ليستأذن لي ؛ ولكنه دخل ولم يخرج ، فطرقت الباب عدة مرات لا أحد يجيب ، فدرت حول المنزل ، فتبين لي أنه بيت مهجور ، فعدت إليك وأنا أحس بقلق عليك ، وصدق حدسي ، فهناك من تآمر علينا وطمع في أموالنا

ورسم هذه الحيلة .. تنهد عريف ثم قال : علينا العمل الآن لاسترداد البيضتين ..آه ! .. لقد دمرنا تماما يا صديقي ، فنحن مغفلان وطيبان ، ولم نأخذ جانب الحيطة والحذر مع أننا سخر منا سابقا العم مخروم .. حسبنا الله ونعم الوكيل .

فقال نحيف : من حسن الحظ أنّ اللصوص تركوا لنا بعض المال ، فهم لم يأخذوا سوى المال الموجود في الصندوق لاعتقادهم أن كل أموالنا فيه ثم رفع صوته متحديا وقائلا : سندافع عن مالنا ، وعن كنـزنا ، لا طعم للحياة الآن بدونه .. سنترك هذا المنزل ، ونسكن غيره ، ونتنكر ونتخفى ، ونبحث عن اللصوص ، فلابد للسارق من أن يحاول الاستفادة من البيضتين فيداوي الناس بهما فنسمع به .

فقال عريف : نعم ما قلت يا صديقي ، المال يحتاج إلى قوة لتحافظ عليه ، كثير من الناس أشرار والحسد يملأ نفوسهم .

رحلا لمسكن جديد ، وغيرا من هيئتهما ، وصاروا يتنقلون في أحياء المدينة يبحثان عن طبيب جديد ، ولم يطل انتظارهما ، فقد ظهر الطبيب الجديد في أحد الأحياء فتحسسا عنه ، فتأكد لهما أنه غريمهما وضالتهم المنشودة ، وعلما أنّ حوله أعوانا وحرسا، فرسما خطة محكمة للوصول إليه واسترداد البيضتين السحريتين منه .

فتنكر نحيف بثياب تشبه ثياب حرس السلطان في تلك المدينة ، وذهب إلى بيت السارق ، وأخرج كيسا حريريا ممتلئا بالدراهم ، وألقاه أمام الطبيب وقال بخشونة ؛ كأنه جندي قديم : هذا الكيس فيه مائة درهم ، ولك عشرة أمثالها إذا تعافى مريضي ، فلقد وصفوك لنا خير وصف

وأمام إغراء المال نهض الطبيب على الفور ، وتبع الجندي السلطاني ، فقاده نحيف إلى بيت أعد لتنفيذ الخطة ، وهو يقول : ادخل أيها الطبيب الماهر ..فالمريض في انتظارك .



والتفت نحو رجال الطبيب الذين حضروا مع رئيسهم قائلا :

أما أنتم أيها الأشراف فانتظروا أمام هذا الباب حتى ننتهي من العلاج .

وأغلق الباب في وجوههم ، وقاد الطبيب حيث يرقد المريض المتمارض عريف ، وتحدث الطبيب السارق مع عريف متظاهرا بأنه طبيب ماهر ، فأخذ يسأله عن سقمه ، ثم طلب الماء ليصنع الدواء ، وعندما ملأ الرجل البيضتين بالماء ، وتأكد لهما أنهما هدية القزم لهما ، انقض نحيف على الرجل بسرعة البرق وكتم أنفاسه وصرعه أرضا ، وقام عريف بإغلاق فمه وتربيطه بالحبال المعدة

لذلك ، وأخذوا البيضتين وتسللا من باب خلف المنزل ، وأسرعا إلى بيتهما الجديد الذي استأجراه بعد أن سرقا من قبل هؤلاء الرجال ، وأما رجال الطبيب المحتال فبعد صبر وملل تسللوا إلى الداخل ، وكانت في انتظارهم مفاجأة قاسية ، فكما احتالوا وسرقوا البيضتين احتيل عليهم ، فأصابهم الجنون وحب الانتقام ، وأمرهم الزعيم بالانتشار في المدينة والبحث عنهما ، وأما عريف ونحيف فقد ظلا ملازمين البيت عشرة أيام يخططان للهرب من المدينة وهما يقولان : هذا المال متعب لنا حتى جعل الأشرار يطمعون بنا ، فكيف العمل ؟! نخشى أن نخسر أرواحنا مع هؤلاء الأشرار .

ثم رحلا عن المدينة خلسة واستقرا في مدينة أخرى ، واتفقا على توخي الحذر الشديد في تعاملهما مع أهل هذه المدينة ، وكتم أسرار مهنتهم عن أعين الناس وملء البيضتين خفية عن أعين الناس ، ووضع المال في مكان أمين ، فترتب على هذه الأفكار استئجار مكان لممارسة العمل ، ومكان للمنام وحفظ المال .

خاتمة المطاف

ولم يمض سوى أيام قليلة حتى انتشر خبرهما في المدينة الجديدة ، فتهافت عليهم المرضى من كل أحياء المدينة ، ومع جريان المال بين أيديهم نسوا ما جرى لهم سابقا ، وما تعرضوا له من خطر وشر ، وذات مساء وهما يستعدان لمغادرة مكان العمل ونقل المال إلى بيتهم الذين يبيتون فيه ، وقف على باب العمل رجل يعتلي متن جواد وهتف قائلا : يا سادة ..أنا شفيق ابن الوزير الكبير لهذه البلاد ..ووالدي الوزير مريض وهو بحاجة لدوائكما ..هيا اذهبا معي فورا واعلما أن والدي أرسلني إليكم ، ولم يرسل الجند لإحضاركما تكرمة منه لكما ولطبكما .

فقال عريف بفرح ظاهر :آبوك الوزير أيها الفارس ؟!

فقال الفارس : نعم ، وهو مريض مرضا صعبا ..ولقد تشجع أبي على إرسالي إليكم لشفاء المرضى على أيديكم الكريمة ، واعلموا إن تعافى والدي الوزير مما ألم به من سقم وألم فلابدّ أن يضمن لكم الغنى والثروة ، وقد يجعلكم من زمرة أطباء السلطان .



فقال نحيف : يا سيدي العزيز ألا تؤجل لقائنا بوالدك الفاضل إلى صباح الغد ؛ فإن دواءنا لا ينفع إلا في النهار .

فقال الفارس بحدة : ويحكما قد يموت الوالد

الليلة ! فيحل عليكما مولانا السلطان .. حاولا معه الليلة وأمضيا ليلتكما في القصر .. هيا لا ترددا ، وإلا أرسلت لكما الجند يجرجرونكما لقصرنا جرا .

فقال عريف : حسنا أيها الفارس ! سأذهب معك أنا .. وانتظرني يا نحيف في البيت

سأقابل الوزير إن شاء الله .

ثم همس في أذن نحيف : هذه فرصة العمر أيها الصديق أن نتـصل بالوزراء!

وتناول الجرابين وركب خلف الفارس على حصانه ، وأما نحيف فإنه أخذ الأموال وهو في قلق وخوف على صاحبه عريف ، وقفل عائدا لبيتهم الآخر .

وأما عريف فقد واصل المسير مع الفارس حتى أدخله منزلا كبيرا ، فإذا هو في غرفة واسعة جميلة مفروشة بأجمل الأثاث ، ولما جلس واستراح قليلا قدم له خادم طعاما وماء ، فلما أكل وشبع نام سريعا .

ولما استيقظ من نومه وجد نفسه مطروحا في الصحراء تلفحه الشمس بحرارتها ،

فظن نفسه للوهلة الأولى في حلم يفيق منه ، فبدأ يفيق لحظة فأدرك ما جرى له ، وأنهم سقوه مخدرا واستولوا على الجرابين ، فانطلق إلى البيت بيت النوم ، فوجد نحيفا في انتظاره وهو في غاية الخوف والتوتر ، فقص عليه الكارثة .

فقال نحيف : علينا يا صديقي أن نلزم جانب الحذر ، فكما تعلم ، لقد قلدت بيضة تشبه بيضتي السحرية ، وهي التي أضعها في جرابي ، وأما البيضة الحقيقية فكنت أخفيها في سروالي حذرا من الغدر ، ولما سحبت الجرابين لم أنبهك ؛ لأن قلبي لم يطمئن لهذا الفارس ، فقد ساورني قلق منه ؛ ولكنك أصررت يا صديقي على مصاحبته ، ولم يكن أمامنا وقت لمزيد من الحوار .. والحمد لله على سلامتك .. واعلم أنّ هؤلاء اللئام سيكتشفون أننا خدعناهم ، وسوف يطاردوننا ، ويقلبون الأرض بحثا عنا .

فقال عريف : أريد أن أعرف الوزير وابنه المحتال واسترد البيضة السحرية .

فتنكرا بعد دفن كنزهما ، ونزلا أحد الخانات ، وهما يتظاهران بأنهما غريبان قادمان من سفر بعيد ، وهدفهما الوصول للبيضة الحمراء لمغادرة المدينة للبحث عن الأمان في بلاد أخرى ، وقد تعبا من التفتيش والاستخبار ، ولما سألا عن الوزير علما أنه لا ابن له إنما له ابنة واحدة ومتزوجة من السلطان ، وحاول عريف الوصول للبيت الذي تناول فيه الطعام ، فلم يتعرف عليه ، وفي ليلة

جلس الشابان في حجرتهما في الفندق يتناجيان ، فقال عريف بعد تنهد عميق : أين القصور التي بنيناها ؟! ..أين الزوجات اللواتي تزوجنا بهنّ ؟.. أين الأولاد اللذين أنجبناهم ؟.. أين الغلمان والخدم ؟وأين الأحلام التي حلمناها أيها الصاحب ؟! .. لقد تعبنا قبل أن نجني قصرا واحدا .

قال نحيف : يبدو أن أمي غاضبة عليّ ..لا أدري ما حل بأمي في أرض الوطن ـ يا عريف ـ بعد هذا الغياب .. لقد حلمنا كثيرا ..آه ! .. عندما كنا فقراء محتاجين كنا مرتاحين من الجمع والحساب والخوف وننام براحة ونأكل عن جوع .. أما اليوم فنحن في خوف وقلق نخاف على أنفسنا ونخاف على المال من الفقدان .. كم هو رائع الغنى ؟! وأحيانا أرى أنّ الفقر فيه الراحة والسكون ؛ ولكن الجوع مؤلم أكثر يا عريف !

فقال عريف : أين تكمن السعادة ؟! أنا تركت بلادي وأهلي لضيق ذات اليد ، وأنت خرجت من بلدك هاربا من الموت ، فذقنا طعم المال والطعام اللذيذ ، فعلينا أن ندافع عما تحقق لنا بكل قوة وحيلة نملكها ، فلا ندع اليأس يحطم أحلامنا ، ولا ندع الأشرار يهزموننا ، والحياة لا تسير حسب رغباتنا ، فالحياة تحتاج لكد وتعب وفرح وبكاء ، يجب أن نبحث عن كنزنا ومالنا ، لقد غلبت علينا الغفلة أكثر من اللازم ، ننسى الأشرار ونحسن الظن بكل الناس ، فالطمع والشر موجودان بين العباد وغير منقطعين إلى يوم الحساب .

وفي الصباح الباكر استيقظا على طرق الباب فقالا : من الطارق ؟!

فجاءهما صوت صاحب الفندق : أنا صاحب الخان .. ضيف يرغب بلقائكما ، ها هو يقف بجواري افتحوا الباب .

فتوترت أعصابها وظنا أمرا خطيرا واقعا لا محالة ، ونهض عريف وهو يقول : لا مفر من فتح الباب ، ثم صاح : من هو هذا الضيف ؟

فرد صاحب الخان : افتح الباب ، وسوف تراه.

وفتح عريف الباب ، فقال صاحب الخان ، وهو يشير للضيف : هذا الرجل القصير يسأل عنكم ثم خاطب القزم قائلا: هذان هما الرجلان اللذان وصفتهما لي. وانصرف

فهتف عريف بدهشة : من ؟! صاحب الكهف ..صاحبنا القديم .. يا مرحبا .

واعتنقه وهو يقول : حياك الله .. ادخل .. هذا صاحب الكهف يا نحيف

وأسرع نحيف يرحب بالقزم ، وهما في دهشة من وجود القزم في هذه المدينة ؛ بل من ظهوره ومعرفته مكانهما ، فقال القزم وهو يدرك الاستغراب الذي حل عليهما من ظهوره بينهم :

كيف حالكم ؟ .. ما أخباركم ؟ ..لقد تركت كهفي لأطمئن على أحوالكما .

فرويا له الحكاية منذ فارقاه حتى استصبحا به ، فقال القزم : لقد قلت لكما إنكما ستتعبان مع الناس رغم العمل الطيب الذي تقدمونه للناس ، وحذرتكم من غدرهم ، واعلموا أن الذي جاء بي إليكم أنه قد وصلتني البيضة الحمراء فأدركت أنكم في ضيق ، فجئت باحثا عنكم وراجيا منكم أن تردوا لي البيضة الصفراء ، وكفاكم ما وجدتم من شقاء وتعب ، ويكفي ما جمعتما من مال .. هيا نفذا ما أمرت ، وكما وعدتكم وقلت لكم سوف أعود يوما واسترد الأمانة ولكنكما لم تحافظا عليها وتناول البيضة الصفراء من الجندي القديم نحيف وهو يقول : وداعا أيها الصديقان ، وحافظا على المال الذي معكم ، وحققوا بعض أحلامكم ، وانتبهوا من غدر الغدارين ، واعرفوا الخير والشر والطالح والصالح وداعا أيها الطيبون .

{تمت الحكاية}



قصص الزمردة

وسيم والأميرة المغرورة

الحلقة ١

ثعبان الثعابين

ظل يمشي وحده حتى كلّ من التعب ، فنظر حوله باحثا عن مكان يستظل به من شدة التعب والحر ؛ ولكنه يسير في فلاة خالية من العمران والأشجار ، ومع هذا لمح صخرة ضخمة على يساره فتحرك نحوها ، وهو يسحب قدميه على الرمال سحبا من شدة التعب والإرهاق ، فما وصلها حتى كان على آخر رمق من العطش والنصب ، فرمى نفسه في ظلها ، وذهب يبكي بدمع غزير ، ومن غزارة الدمع بلل شفتيه من العطش ، ثم ذهب في نوم عميق ، لم يصحُ منه إلا مع الغروب ؛ فإذا بطائر عملاق يقف على الصخرة ، الدماء تنزف منه ؛ فكأنه خاض معركة مع طيور السماء ، فأخرج وسيم الشاب الصغير منديله وربط جرح ساق الطائر وهو يتمتم : عافاك الله أيها الطائر من الألم .. فهذه عصابة ؛ لعلها تساعد في وقف الدم النازف من جرحك

فقال النسر العملاق : جزاك الله خيرا يا وسيم الطيب .. اعتبرني صديقك ، وتمنى عليّ ما تشاء أنت إنسان طيب يتألم ويشعر مع الآخرين .

قال الفتى وسيم : أيها الطائر العزيز أتمنى أن تهبني

جناحين كجناحيك أطير بهما في أفق السماء.

فقال النسر العملاق : انتظرني هنا .. سأعود إليك عند نصف الليل بجناحي نسر كبير وماء وخبز ، لابد أنك شديد الجوع بعد قطعك كل هذه المسافة من الصحراء القاسية .



قال وسيم : صدقت أيها النسر العملاق .. أكاد أهلك من الجوع والعطش .

طار النسر وحلق في الجو ثم اختفى عن ناظري وسيم ، فحاول وسيم النوم ثانية رغم شدة جوعه وعطشه ، فقضى ساعات يحلم بلذيذ الطعام والشراب والفواكه ، واستيقظ من أحلامه على رفرفة الطير ، فتناول منه سلة الطعام ؛ فإذا فيها منديل جميل وجناحي نسر وذيله وطعام وماء ، فشكر النسر وأثنى عليه وانشغل بالأكل ، واختفى النسر في عتمة ليل الصحراء .

أكل وسيم وشرب حتى شبع وارتوى ، ثم خلع ملابسه ولبس ثياب النسر ثم لبس ثيابه عليها ، ومكث حتى لاح نور الصباح فتابع المسير سيرا على الأقدام حتى وصل لنهر عظيم ؛ كأنه البحر الكبير ، فجلس فوق بقعة من الحشائش ، وأخذ في البكاء من جديد ، ثم نام ولما صحا من نومه رأى بالقرب منه حوتا صغيرا تـنـزف منه الدماء الغزيرة ، فنهض نحوه ووضع المنديل هدية النسر على جرح الحوت وضغط عليه ساعة من الزمن ثم قال : أيها الحوت الوديع اصبر قليلا فلسوف يقف النـزف عافاك الله من الألم أيها الحوت الوديع فهذه عصابة توقف النـزيف إن شاء الله .

قال الحوت :جزاك الله خيرا يا وسيم الجميل اعتبرني صديقك وتمنى عليّ ما تشاء فأنت إنسان طيب ، يشعر ويتألم مع الآخرين .فقال وسيم : أتمنى أيها الحوت الوديع أن تهبني ثوب حوت إذا لبسته أستطيع أن أسبح في البحر ، ولا أخاف من حيوان البحر .



فقال الحوت : حسنا يا صديقي وسيم امكث هنا الليلة حتى ارجع إليك بما تمنيت وأحضر لك من أزكى طعام البحر .

وودع الحوت وسيما وغطس في أعماق النهر الكبير ، وراح وسيم في نوم عميق لم يستيقظ منه إلا على صوت الحوت الذي أحضر له سلة طعام ، فـتناولها وسيم فوجد فيها منديلا جميلا وثوب

حوت صغير وطعاما وشرابا ، فأظهر وسيم شكره للحوت الذي ودعه وغطس في النهر من جديد ، فأكل وشرب وأمضى ليلته عند النهر ، ثم لبس جلد الحوت وأغلقه على نفسه ، ثم نزل الماء وقطع للجهة الأخرى من النهر ، ثم خلعه ولفه على وسطه وتابع المسير حتى أدركه الظلام عند أحد الجبال العظام ، فبحث عن مغارة يأوي إليها ، فلما وجدها وجد فيها رجلا مصابا ، فسلم عليه وسأله عما أصابه ، فأشار الرجل إلى سهم في فخذه .

وقال : لقد رمى عليّ أحدهم هذا السهم وأحس بأنه مسموم يا فتى .

فقام وسيم إلى حيث السهم ، ووضع عليه منديل الحوت بعد أن نزعه رويدا رويدا ، وهو يقول : عافاك الله أيها الرجل اصبر قليلا وسوف يخف النـزيف بإذن الله . فرد الرجل وهو يضغط على أسنانه من شدة الألم : جزاك الله عني خير الجزاء يا بني العزيز .. ليس عندي ما أكافئك به على إحسانك إلا هذا السيف العزيز المثال ورثته عن آبائي فهو هدية مني إليك لعله ينفعك في رحلتك هذه .

وأمضى الشاب الصغيروسيم ليلة مع الرجل ، وما ظهر الصباح حتى كان الرجل الجريح يفارق الدنيا، فقام وسيم بدفنه في نفس المغارة وتابع المسير .

اجتاز وسيم الجبل العظيم ، وظل يسير حتى أطل على بحر هائل فهبط إلى شاطئ البحر ، وظل هناك حتى أقبلت سفينة فلوح لها بخرقة معه ، فاقتربت السفينة الصغيرة منه ، ونزل منها رجل ضخم الجثة يصيح بقوة : أين أنت مسافر أيها الفتى ؟ فصاح وسيم بأعلى صوته : إلى بلاد " ألواح ماح " بلاد الثعابين احملني معك أيها الرجل المحترم .

فأشار له الرجل الضخم بالصعود فانتـقل من الأرض إلى السفينة ، ثم تحركت السفينة الصغيرة من جديد ، وأخذ البحار منه درهمين ولم يكن يملك سواهما ، وبعد ليال وصل الفتى الشجاع وسيم إلى شاطئ بلاد " ألواح ماح " بلاد الثعابين ، فهبط من السفينة وشكر الربان وزبانيته ومشى نحو البلدة وهو يسأل عن بيت العجوز أم المحاسن ،كما أوصاه الشيخ الخفي ، وصل بيتها مع حلول الظلام فطرق عليها الباب ، ولما عرفها بنفسه ، وأنه قادم إليها من طرف الشيخ " وهيب الزمان " ، رحبت به وأنزلته في بيتها ضيفا عزيزا مكرما ، فصنـعت له الطعام والشراب ، وقالت له بعد العشاء الطيب : أيها الشاب الجميل .. أين التقيت بالشيخ وهيب الزمان "؟!

فبكى وسيم بكاء أليما ثم قال من بين دموع وزفرات حارة : يا سيدتي أم المحاسن أنا من قرية

حلت بها كارثة عظمى ، كنت أرعى بضع غنيمات لأهلي مع رعاة البلدة ، ولما عدنا للقرية وجدناها قد أصابتها زلزلة شديدة لم تبق أحدا من أهلها إلا من كان خارج القرية ، فقد انشقت الأرض وابتلعت الناس عن بكرة أبيهم ، فأصابني الحزن القاتل والبكاء الأليم ، وأصبحت وحيدا في هذه الدنيا ، فقد هلك أبي وأمي وكل إخوتي وأصدقائي ، فقضيت أياما أقف على مكان بيتنا أبكي بكاء تتفطر له الجبال العاليات ، ولا آكل الطعام لما حل بأهلي من الدمار والهلاك وبينما أنا ذات مساء أجلس على صخرة كالكرسي أناجي أبي وأمي رأيت الشيخ يقول : يا وسيم لا تحزن .. هذا حال الدنيا موت وحياة صحة ومرض.. أنا الشيخ "وهيب الزمان" الشيخ الخفي .. أعرف ما حل بك من المصاب ؛ ولكن أيها الفتى هنالك في بلاد بعيدة .. بلاد الأميرة المغرورة .. هنالك قدرك .. عليك أن ترحل لتلك البلاد وتتزوج تلك الأميرة ؛ لتصبح أميرا من أمراء الزمان .

ثم تابع الكلام فقال : ثم اخبرني أنني احتاج لأيام وأيام حتى أصل لتلك البلاد ، فقطعت الصحراء والنهر العظيم والجبل الهائل والبحر العظيم حتى وصلت إليك ؛ لأنني سأقتل ثعبان الثعابين ؛ لأنه سيموت على يديّ كما أخبرني الشيخ الخفي ، وقد طلب مني أن أنزل عندك وأستعين بك وبأغنامك لأدخل حمى الثعبان الكبير وأقتله وآخذ قلبه معي لبلاد الأميرة المغرورة ولما أصرع الثعبان بإذن الملك العلام سيطلب مني أهل القرية تخليصهم من الفيل العملاق حامي حمى الغابات السبع ، ثم آخذ قلبه لبلاد الأميرة المغرورة ، فهذه قصتي وغايتي من المجيء إليك يا جدتي أم المحاسن .

قالت العجوز مرحبة : مرحبا بك يا ولدي .. لقد أخبرني الشيخ الخفي بأن الثعبان الظالم مقتله سيكون على يد فتى من بلاد بعيدة ، فأنت هو الفتى فارس الميدان ، فمرحبا بك في بيت خالتك العجوز أم المحاسن .. لقد آن للظلم بالزوال .

ومكث الليل ضيفا مكرما عند أم المحاسن ، ومع بزوغ الفجر أخذ غنيمات العجوز ، وانطلق مع رعاة الحي حيث المراعي ، ثم سألهم عن مرعى ثعبان الثعابين ، فجفل السامعون من سؤاله ولما طمأنهم بحسن الكلام دلوه على المرعى ، وهم يحذرونه من الهلاك والتورط بدخول مرعى الثعبان ، فقال لهم : لا بأس عليكم ، فما أرسلني الله إلى هذه القرية إلا لأخلصكم من هذا الثعبان الظالم .

فتعجب الرعاة من كلامه وتمنوا له التوفيق في مهمته ، ومضى نحو حمى الثعبان ، والرعاة في خوف عليه من غدر الثعبان الطاغية ، ودخل

المرعى بقلب أقوى من قلب الأسد الضاري وبحفظ من رب العباد الباري ، فرعى الغنمات حتى رتعت وشبعت ، ثم عاد مع المساء للقرية والرعاة يعجبون من عدم تعرضه لخطر الثعبان ، وروى للعجوز ما جرى له فقالت : احذر غدر الثعبان، فلابد أنه لم يكن داخل الحمى اليوم .

ومع الصباح الباكر أخذ غنيمات العجوز وانطلق نحو حمى الثعبان ، وقد دخل الحمى متحديا والرعاة قد تجرأ بعضهم واقترب من الحمى يتـفرج على الراعي وسيم ،



ومضى يومان وثلاثة وغنمات العجوز ترتع في الخيرات ، وانتشر الخبر بين الناس أن الفتى وسيما يقتحم مرعى الثعبان ، ولم يجرؤ الثعبان على التصدي له ويؤذيه ،وجبن عن الظهور له ، فبدأ أصحاب الأغنام يشجعون رعاتهم بدخول مرعى ثعبان الثعابين ، وبدأ بعضهم يتشجع ويدخل مع وسيم ليرعى داخل الحمى ، وهم يعجبون لإختفاء الثعبان الظالم ، فقد كانوا يسمعون صراخه وفحيحه عند أول وهلة تقترب فيها غنم من حماه إن لم يفترسها قبل أن يسمع صوته .. بل كم من الرعاة قتلهم بسُمه لإقترابهم من حماه ، فيسألون وسيما عن السر الذي يملكه ويحميه من الثعبان فيجيب : لقد قدمت من بلاد بعيدة للفتك به ؛ فكأنه عرف سري فيصيب الناس العجب لهذا الكلام الغريب ، وذات ضحى والرعاة قد دخلوا عرين الثعبان ، سمع الرعاة زمجرة وفحيح الثعبان من بعد وهو يصيح : أيها الرعاة اخرجوا من حماي قبل أن افتك بكم جميعا .



فهرب الرعاة بجلودهم على الفور ، وتركوا أغنامهم خوفا من بطش الثعبان الوحش ، وقد سمعوا وسيما يصيح : أين أنت يا ثعبان الثعابين ؟! لي أيام أرتع في مرعاك ، ولا أسمع فحيحك وصياحك .. ألا ترحب بضيفك ؟ أنا وسيم حامل سيف الانتقام .. إليّ أقبل ..

فقال الثعبان الضخم بكل هدوء : أنا أعلم لماذا جئت يا وسيم ؟! .. أتريد قتلي وإنقاذ الناس من شري ؟! فاعلم أنا لست شريرا ، فهذه الأرض لي ، هذه مملكتي ، فأنا أحميها ، فمن أجل ذلك منـعت الناس من دخولها ، مَن آذاني آذيته ، هل في هذا ظلم وعدوان ؟! أتحب أن يعتدي أحد على أملاكك وحماك وأرضك وبيتك ؟

رد وسيم قائلا : حق ما تقول أيها الثعبان .. ولكنك نسيت أمرا مهما وجليلا ، وهو أنك سلبت هذه الأرض من أهل القرية وفتكت بأصحابها ، فلم تكن الغابة والحقول هذه ملك لك ولا لأبيك ، إنك اعتديت على أصحابها ، وأصاب عدوانك الرعاة والأغنام ، فكم من راع قتلته ؟! وكم من نعجة أهلكتها ؟! وأنت تثير الخوف والرعب بين أهالي القرية ، وتمنعهم من الرعي في أراضيهم ألا يعتبر هذا ظلما وعدوانا ؟!

قال الثعبان : أيها الفتى! .. أنا أرضى بحكمك بيني وبين هؤلاء الناس .

فقال وسيم : أنا لست حاكما لأحكم بينكم ، أنت خصم لي وعدو ، وأنا قادم للفتك بك وأخذ قلبك معي لبلاد الأميرة المغرورة ، فعليك أن تصارعني إما أن تنتصر عليّ وتظل سيدا وملكا في حماك ، وإما أن أصرعك وأخذ قلبك للأميرة المغرورة .

فرفع الثعبان من صوته لما استوعب كلام وسيم فقال : وسيم البطل ..اعلم أنني غضضت الطرف عن اقتحامك حماي كل هذه الأيام ، ومع ذلك سأسمح لكم بالرعي من أجلك أنت لنبقى أصدقاء .

هزّ وسيم سيف الانتقام بيده وقال : أنا ذكرت لك الغاية من مجييء لهنا .. فأنا سيف النقمة والقصاص .. فقلبك أريده فلا مناص لك من محاربتي .

قال الثعبان بوجل واضح : وسيم البطل .. أهبك كنوزي كلها على أن تعود لبلادك ودعك من الأميرة المغرورة .

قال وسيم وقد هز سيفه يمينا ويسارا فازداد لمعانا مع بريق الشمس : أيها الخصم دافع عن نفسك حان وقت القصاص .

فتحرك الثعبان يمينا وشمالا عدة مرات وقال : لابد من القتال .. إنك ترفض صداقتي ، وعليّ أن أدافع عن كرامتي وهيبتي وملكي ..تذكر أنك أنت الآن أصبحت ظالما معتديا .

قال وسيم وهو في غاية الانتباه والحذر : أنا أريد أن أقتص منك للذين ظلمتهم وأكلتهم فاستعد للعراك .

ونشبت بينهما معركة حامية الوطيس ، كان يقاتل فيها الثعبان باستماتة ويأس حتى تمكن وسيم من ضربه بسيف النقمة على رأسه ، فانفلق وخر الثعبان صريعا يتخبط بدمه يصيح : اضرب رأسي مرة أخرى .

فرد وسيم وهو نشوان : أوصاني الشيخ الخفي أن لا أفعل .. ضربة واحدة على الرأس بسيف ذلك الرجل الذي أهلكتموه في الجبل .. ألم ترسل من يغتاله يا غدار ؟ حتى لا يصل سيفه إليّ وأقتلك فيه كما هو مقدر ، فلقد وصلت إليه قبل أن يموت

وأخذت السيف السحري منه وعرفت أسراره قبل أن تأخذوه .. كم صخرة دحرجتم نحوي وأنا صاعد في الجبل .

عندئذ شهق الثعبان نفسه الأخير ومات ، فشق وسيم صدره وأخرج قلبه ووضعه في كيس ، ثم قطع الرأس وخرج من الحمى وهو يصيح على الرعاة : لقد مات الظالم! جاءه يومه .. هذا هو رأسه أيها الناس .. أين حمى الفيل ؟؟

هجم الرعاة على وسيم يعانقونه ويهنئونه على سلامته ويمدحون شجاعته وقوة قلبه ، وانصرف الناس إلى المدينة وهم يتحدثون عن شجاعة وسيم وبسالته ، وأخذ وسيم رأس الثعبان وانطلق مع بعض الرعاة نحو غابة الفيل ، وقد أوصى أحد الرعاة بإعادة غنمات أم المحاسن إليها حتى يرجع من غابة الفيل ، ولما وصلها علق الرأس على عصاة طويلة على مدخل الغابة ، وكروا راجعين للمدينة ، وعند بيت أم المحاسن وجد الناس مجتمعين ليتفرجوا عليه على البطل الذي خلصهم من عدوهم الثعبان ، فشكر الناس ووعدهم وبشرهم بقتل الفيل الضخم ليتمتعوا بخيرات بلادهم وحدهم دون غيرهم ، ثم أقبل رجال القصر وهنئوه على انتصاره الرهيب على الثعبان المرعب ، وشجعوه على تخليصهم من الفيل العملاق فقال : ابشروا بالذي يسركم اليوم أرسلت له رسالة علقت رأس الثعبان على مدخل حماه غدا ـ إن شاء الله ـ سأقتحم عرينه .

فقال وفد القصر : إن الأمير السلطان راغب بلقائك والاجتماع بك .

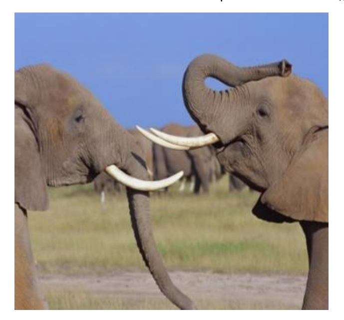
فرد بلطف : سأفعل لما أقتل الفيل العملاق حامي السبع غابات .

فدعوا له بالتوفيق والنصر المؤزر ، وتفرق الناس نحو منازلهم .

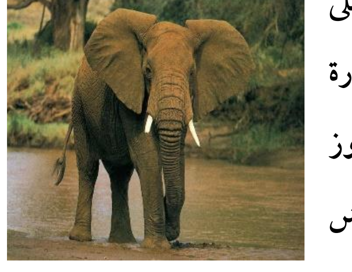
الفيل العملاق

ولما أصبح الصباح أخرج وسيم غنمات أم المحاسن من زريبتها ، وسار إلى الغابات السبع حيث يسكن الفيل العملاق ، فلم يجد رأس الثعبان معلقا ، وعلقت على العصا راية سوداء ، فدخل الغابة مع غنيمات العجوز وكان يصيح : أيها الفيل العملاق ! .. اظهر ها أنا أرتع في غابتك جئت لرؤيتك وتحيتك .

فما كاد وسيم يتم كلامه حتى كان الفيل يبرز أمامه كأنه الجبل ويصيح : أيها الفتى الغبي ! .. ما الذي رماك عليّ ؟! .. إنهم يريدون قتلك والحاقكك



بأهلك ..هل ظننت أنني جبان كالثعبان الكبير ؟
.. لا .. لا .. لا .. أنا الفيل العملاق قاهر الحساد والأعداء .. اسمع نصيحتي وارجع لموطنك قبل فوات الأوان .. يا أيها الفتى الغبي ! عد لوطنك ودعك من الأحلام الكبيرة التي تراود خيالك .. فالحصول على الأميرة المغرورة دونه المفاوز والصعاب .. عش في بلادك ودعك



من المعالي فاسمع نصيحتي وارحل بسلام .

رد وسيم وابتسامة جميلة ارتسمت على محياه : أيها الفيل العملاق ! ..أنت مغرور ومخدوع بقوتك وضخامتك .. سمعت كلامك ووعيته ؛ ولكنني مرسل للقضاء عليك وأخذ قلبك الضخم لبلاد تلك الأميرة وإنقاذها من الغرور والشرور وقتل سيدك الساحر " فلول " ، هذا وعد وعدني به الشيخ الخفي الشيخ "وهيب الزمان".. وأنت طغيت وتجبرت وحرمت الناس والبشر من خيرات هذه الغابات السبع .. الثمار تذهب هدرا ، والأعشاب لا تنتفع بها أنعام القوم ، وفوق ذلك كم من الناس آذيت وقتلت لدخلوهم الغابات جهلا أو نسيانا ؟ كل هذا طاعة لسيدك الساحر ..ما ذنب هولاء الخلق الصرعى سوى أن زلت بهم الأقدام ودخلوا أرضك ؟.. حان وقت القصاص والخلاص منك أيها الظالم .. فهذا يومك .. الحق له حين ورجال ..فبدأت النهاية لك ولسيدك الساحر اللعين ـ وأخرج وسيم السيف من غمده وصاح ـ دافع عن نفسك أيها الفيل المغرور !

التزم الفيل الصمت والهدوء برهة من الوقت ثم قال : سمعت كلامك ووعيته .. لا أدري هل تقتلني حقا أم أسحقك كما سحقت غيرك ؟ .. ولكني أول مرة أشفق على إنسان يدخل غاباتي.. فقد عطفت عليك أيها الغلام الغبي .. فعد لوطنك ودعك من المعارك .. ولماذا أرسلك الشيخ " وهيب الزمان" ؟ أم أنه خائف على روحه ؟ ويريد أن يقدمك على مذبح رعبه وخوفه .

هز وسيم السيف عدة مرات وقال وهو يتقدم نحو الفيل بخطوات ضعيفة : لن تشغلني بالكلام دافع عن ملكك وروحك .

فهاج الفيل هيجانا عظيما ، واشتد الغضب في قلبه ، فحرك خرطومه الطويل في الفضاء عدة مرات ، فكان له صوت رهيب ، واندفع على وسيم اندفاع النمر الضاري ، فانزاح وسيم من طريقه بخفة الريم ، ودارت معركة مرعبة ومطاردة مخيفة ، فتمكن وسيم من قلع إحدى عينيه فزاد هيجانه فأصبح كالمجانين ، وانطلق يقصف الأشجار

والأغصان ، وهو يهدر هدير البحار، ثم ينقض على وسيم من جديد الذي كان له بالمرصاد ، ولم تزعجه قوة الفيل وهيجانه المرعب، وحافظ على هدوء أعصابه حتى قلع عينه الأخرى ، ثم ضرب خرطومه فقطعه ، فانطلق الفيل يصيح ويركض في الغابة على غير هدى ، ووسيم خلفه حتى اصطدم بشجرة ضخمة شقت رأسه فوقع أرضا ، وهو يصيح : وداعا أيتها الغابات .. وداعا أيتها الأشجار الجميلة .. لكل حي نهاية مهما امتدت به الأيام .

ثم قتله وسيم حتى خمدت أنفاسه ، ثم استخرج قلبه ووضعه في كيس خاص ، ثم قطع رأسه العجيب وسحبه حتى مدخل الغابة وهو يصيح : أيها الناس .. لقد مات الفيل العملاق وانتهى ظلمه فارتعوا بنعم الله .. واعلموا أن لكل طاغية وظالم نهاية وزوال .. واشكروا واحمدوا ربكم الذي أنقذكم من الفيل والثعبان .

وكان أكثر أهل القرية في انتظار نهاية المعركة ، فهنئوه على السلامة ، وابدوا امتنانهم لفعله وانتصاره الكبير على الفيل العملاق حامي السبع غابات ، وقاده الأمراء والسادة إلى قصر السلطان ، وجرى له عرس كبير في البلد حتى أن السلطان عرض عليه منصب الوزير ، فاعتذر لهم وذكر لهم الغاية من قدومه لهذه البلاد ، وهي إنقاذ العباد من الثعبان والفيل والمسير بقلبيهما لبلاد الأميرة المغرورة ، وإنقاذها من غرورها وساحر الرعب فلول

فمكث ضيفا عندهم بضعة أيام ، ثم أوصى السلطان على العجوز أم المحاسن ، وودعهم وتابع الرحلة إلى بلاد الأميرة المغرورة ، فنزل في فندق قديم لا ينزل فيه إلا الفقراء والمساكين ، واستأجر غرفة وحده ، وقضى بضعة أيام يتفرج على البلد وأهل البلد ، فتعرف خلالها على أحوال الشعب ، فوجد أن أكثر حديث الناس عن الأميرة المغرورة وحكايات غرورها وزهوها على خلق الله ، وعلم أن اسم هذه الأميرة " شمهدان ابنة الملك رمح السماء " ، وعلم أن الأميرة تزدري الفقراء والمساكين وتسيء إليهم وتذلهم ، وعلم أن والدها ترك لها حرية العبث في المدينة ، تقتل من تشاء تذل من تشاء تنفي من تشاء تحرق من تشاء تدمر ما تشاء ، لا أحد يسألها أو يحاسبها ، تيتم الأطفال ترمل النساء تغرق من لا يطيعها في البحر .. إنها وحش رهيب في صورة إنسان ، فأخذ وسيم البطل يتحين الفرصة ليشاهد الأميرة شمهدان ويجتمع بها، فعلم أنها تتردد على تاجر من تجار الثياب الجميلة يجلب الحرير والسندس من أقصى الدنيا ، فعرض نفسه للعمل عنده بقوت يومه ، فوافق تاجر الحرير سماق ، ويوما ما قال لوسيم

وغلمانه : لقد وصلت مساء أمس ثياب جديدة .. سأذهب إلى قصر الأميرة شمهدان .. من منكم يحب أن يرافقني في هذه الزيارة ؟

فقال وسيم : أنا يا معلمي إذا أذنت لي .. فأنا كما تعلم غريب عن هذه البلاد لعلي أحظى برؤية هذه الأميرة الجميلة .

رد التاجر الكبير : استعد يا وسيم .. هذا المساء لمرافقتي إنك فتى شجاع .. هؤلاء الغلمان لا يحبون صحبتي عند الذهاب إلى قصر الأميرة .. فهم يخافون بطشها وغرورها .. فكم أهلكت لي من الغلمان لأتفه الأسباب ؟! ولكنها تندم فيما بعد وتدفع لي ثمنهم ؟

فقال وسيم : ولماذا تقتلهم يا معلمي ؟

فابتسم التاجر : لعلك خفت من لقائها .. أحيانا لا يحسن الغلمان الأدب أمام الأميرة .. تراهم مشدوهين في حسنها وفتنتها .. وأحيانا لا يحسنون الكلام معها .. فهم لا يحسنون الإجابة من الخوف والارتباك أو الفتنة .. فتغتاظ منهم فتهلكهم .. فهي مغرورة .. فيا بني عندما تقابل الأميرة لا تنظر إليها حتى لا تنبهر بجمالها ، فيضيع عقلك فهي باهرة الحسن ، وقد تكون أجمل امرأة يقع عليها بصرك .. فلذلك اغضض بصرك بقوة .. وإذا كلمتك تكلم معها بكلام موجز واضحا، ولا ترفع عينيك إليها فتفتنك فتتلعثم بالإجابة ، وإن لم تحسن الكلام فقل بكل أدب سيدي سماق أمرني بالسكوت .. الآن انصرف واسترح وعد مساء قبل الغروب ؛ لأننا قد نمكث عندها طول الليل أي في القصر حتى يؤذن لنا في عرض بضاعتنا .

جاء وسيم مغربا وقد استعد لصحبة التاجر سماق في عرض بضاعته الجديدة على الأميرة قبل أن يعرضها على الناس ، كما هو متفق مع الأميرة شمهدان ، وحملت صناديق الثياب على ثلاث بغال جميلة ومزينة بأحسن زينة ومدهونة بأطيب عطر ، وقام وسيم بقيادة أحد البغال وتبعه الآخران ، وكان التاجر قد اعتلى بغلة بيضاء عليها من الثياب والألوان ما يبهر الناظرون ، وقد لبس التاجر ووسيم ملابس حسنة بهجة للناظرين ، فكان من يراهما من رجال السوق يدرك أنهما سائران لقصر الأميرة المغرورة ، وسار الموكب الصغير نحو قصر الأميرة ، ولما شاهدهم حرس الأبواب رحبوا بهم ـ فهم يعرفون السيد سماق حق المعرفة ـ وبعد أن أذن لهم دخلوا القصر ، وتقدم عدد من الغلمان فحملوا صناديق الثياب والقماش ، وقام آخرون بنقل البغال حيث اصطبلات الأميرة ، ولحق وسيم وسماق الغلمان الذين حملوا الصناديق ، ورأى الفتى من الجمال والألوان والورود والأزهار والروائح والجواري

والخدم والبسط والشموع الملونة ما يفتن الإنسان ، ويثير شهوة الشعار البارعين في وصف الحدائق والجنان ومجالس الأنس والفرح ، ومن دهليز إلى دهليز ادخلوا التاجر غرفة واسعة مفروشة بسجاد من بلاد الأعاجم ووسائد غريبة الأشكال والأحجام ، وهناك وضعوا الصناديق الثلاثة وقال رئيسهم : امكث هنا يا سيدي سماق ريثما تأتى الأميرة المبجلة مولاتنا شمهدان .. فهي كما أخبرتني الجواري في صحبة أمها الملكة .. فعندما تخرج ستخبرها الجارية بوجودك .

فقال سماق بصوت ناعم هادئ : حسنا أيها الأبطال نحن بالانتظار ، فقد قدمنا بأروع وأجود الثياب والقماش التي وصلتنا من أقصى الدنيا .



حجر القمر

حفيد الهدهد

الأقصى تحت الاحتلال

" العدل قيمة إنسانية عالمية ، وهي مسعى لكل الأمم وسيلة وغاية ، والظلم لا ينتهي ، فالسلطان ياقوت ليبق عادلا في رعيته سمى مدينة حكمه مدينة العدل ، كان هذا السلطان جالسا في ديوان ملكه ، وبين يديه وزيره رشيق وقادته وأمراؤه ، وكانوا يتهامسون ويبتسمون وفجأة تنحنح السلطان ، فصمت القوم ولم تعد تسمع لهم همسا ؛ وكأن على رؤوسهم الطير فقد علموا بأن السلطان عنده كلام ، وقد طال الصمت برهة من الزمن ، ثم قال السلطان مخاطبا وزيره : يا وزيرنا .. يا وزير مدينة العدل .. تأخر وفدنا الذي بعثناه لمدينة السلام .. تلك المدينة المطهرة المباركة من رب السماء ..الوفد الذي أرسلناه لينظر الظلم الذي أصاب البلاد والعباد في تلك الديار .. لينظر ما فيه الناس من سجن وعذاب .. وخاصة تلك المدينة المقدسة .. بيت الله .. ما الخطب أيها الوزير اللبيب ؟

تردد الوزير الحكيم لحظات ثم قال : الخطب يا مولاي السلطان ! أن تلك البلاد احتلها عدو لئيم ، وقاتل مأجور لدول الاستكبار ، وجنس خسيس من إخوان إبليس اللعين .. عدو استغل لحظة ضعف أصابت أهل تلك البلاد ، وغدر بهم ونال منهم ، وأجرم في حقهم ، فشرد الآلاف ظلما وبغيا وعدوانا ، وقتل الكثير وما زال القتل في ذلك الشعب الغلبان .. ومع ذلك بقي الكثير صابرا متحملا الشقاء في موطنه محتسبا عند ربه .. وللأسف الشديد دول العالم الكبرى تقف مع الظالم ولا تنصف المظلوم .. فالوفد ذهب كما تعلم

لمعرفة أحوال تلك البلاد ، وما يحدث من ظلم للمسجد المعظم مسجد الأنبياء .. ولكنّ هؤلاء الظلمة لديهم أفتك الأسلحة ، وأخطر الأدوات والمعدات التي قد تكشف من يدخل من جو السماء .

فقال الملك : أرجو لهم العودة سالمين، وأن يعودوا بخير ويقين ، وبخبر تلك المدينة المظلومة .



فقال الوزير : إن شاء الله أيها الملك السعيد !

وما كاد الوزير ينهي كلامه بين يدي السلطان حتى صاح حاجب الملك معلنا بصوت واضح للعيان : عاد الوفد يا مولاي السلطان !

فتطلعت العيون تجاه مدخل الديوان حيث رفرفت أربعة طيور محببة السلطان وحاشيته ، وجلست حيث يحق لها الجلوس .

وقال السلطان ياقوت : مرحبا ! .. يا مرحبا بوفدنا الشجاع القادم من أرض بيت المقدس .. الأرض المطهرة المباركة !

فلما أخذت الطيور مكانها في المقاعد المخصصة لها ضمن الحاشية الملكية ، وانتهى

الترحيب والسلام وتقديم الاحترام لسلطان مملكة العدل ، قال الوزير رشيق : حمدا لله على سلامتكم بعد هذه الرحلة الخطيرة إلى بلاد المسجد الأقصى .. يا أهلا بالطيور الجميلة وفد السلطان .. أيها الهدهد حفيد هدهد النبي سليمان ﷺ سيد وملك تلك البلاد في غابر الأيام ماذا عندك من الأخبار ؟ وما حل بمدينة السلام بيت المقدس الذي جدد بناءه النبي سليمان بن داود عليهما السلام ؟

رفع الهدهد رأسه إلى السماء ، ثم خفضه ، وأخذ يمسح الدموع المتساقطة على وجهه حتى أبكى من كان جالسا في الديوان ، وأدركوا ما حل في البلدة من ظلم وعدوان وما أصاب المسجد الأقصى من ذل وهوان في زمن علو اليهود على أرض فلسطين المباركة ، ثم قال : يا مولاي الملك ويا سيدي الوزير ! فليحدثنا الطير أبو سعد عن المسجد الأقصى ومكانته وصفته ؛ ليعلم السامع أهميته وقيمته لنا عباد الله المسلمين قبل أن أعلمكم بما أجرم أعداء الله اليهود على ذلك البيت المعظم ، وما جنوا وظلموا ليدركوا عظم الكارثة والمأساة التي أحاطت بالمسجد وأهله الضعفاء .

فأشار الوزير لأبي سعد (اللقلق) أن يتحدث بما طلب الهدهد رئيس الوفد الذي زار الأرض المقدسة ، وهذا الهدهد حفيد هدهد سليمان الذي ذكره الرحمن في سورة النمل من القرآن ، وقد بعثه سليمان بخطاب لملكة اليمن .

رفرف أبو سعد بجناحيه، وتلفت بوجه يمينا

ويسارا ، وحمد الله وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال : لكل أمه أماكن مقدسة تقدسها وتعظمها .. فكيف إذا كان المقدس المسجد الأقصى بتقديس الله ﷻ له فهو الذي ذكره في مطلع سورة الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وقد أسرى الرحمن بعبده محمد ﷺ من مكة المشرفة إلى بيت المقدس المبارك .. والأقصى اليوم أيها القوم .. مظلوم يعاني من جهل كبير من أمته ومن عدو أمته .. فهو محتل من عدو غاصب باغٍ في الأرض . واعلموا أيها الأخوة السامعون أن المسجد هو اسم لكل ما دار حوله السور ، الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس الشريف .. أولى القبلتين وثالث المسجدين فهو يشمل القبة " الصخرة المشرفة "القبة الذهبية الموجودة في وسط قلب المكان ، والمكان مليء بالمعالم الإسلامية التاريخية.. فهناك ما يزيد عن مائتين معلم تقع ضمن حدود المسجد الأقصى ففيه المساجد والقباب وسبل الماء والمصاطب والأروقة والمدارس والمحاريب والمنابر والمآذن والأبواب والمكتبات .. ويمثل المسجد الأقصى نحو سدس مساحة البلدة القديمة ، وشكله شبه مستطيل .. والقدس قائمة على عدد من الجبال جبل المكبر وطور زيتا وجبل المشارف وجبل موريا وهو القائم عليه المسجد الأقصى ويسمى أيضا جبل بيت المقدس وهناك جبل صهيون . والصلاة في المسجد الأقصى تضعف وتفضل على غيره من المساجد ما عدا الحرمين الشريفين المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة .. وهو ثاني بيت وضع للناس في الأرض وقد بناه آدم أول البشر عليه السلام ، ثم جدد بناه يعقوب عليه السلام ، ثم بناه سليمان عليه السلام كما أخبر النبي محمد ﷺ في الحديث الصحيح عنه .

فقال الملك : ذكرنا يا وزيرنا بحديث بناء سليمان للمسجد الأقصى ، فاليهود يزعمون أن سليمان بنى هيكلا لهم .

قال الوزير : أمر مولانا السلطان . . كما قرأنا عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة ، سأل الله عز وجل حكما يصادف حكمه فأوتيه ، وسأل الله عز وجل ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه ، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه . ومعنى ينهزه يدفعه .

فهتف السلطان غابطا الطيور : أوه ! لقد كسبتم

الصلاة فيه في هذه الرحلة ، ونلتم تلك الفضيلة أكمل الحديث يا أبا سعد .

قال أبو سعد : أمر مولانا السلطان .. لم يبق إلا القليل أسرده على مسامعكم .. فتح المسلمون بيت المقدس في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ﷺ العام الخامس عشر من هجرة نبينا ﷺ وبقي في حوزة المسلمين إلا زمنا يسيرا عندما استولى عليه الصليبيون .

ويرجع بناء المسجد الأقصى كبناء إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وأتمه ابنه الخليفة الوليد .. وأما القبة المشهورة فيه بناء مستقل عن بناء المسجد الأقصى .. وبنيت هذه القبة الصخرة في عهد الخليفة الأموي عبد الملك عام ٥٦٦ وكمل البناء في عام ٥٧٢ قام على بنائها المهندسان رجاء بن حيوة الكندي وهو من مدينة بيسان ، ويزيد بن سلام مهندس مقدسي .. وشيد مسجد الصخرة لعلاقة له برحلة المعراج النبوي إلى السموات العلى .. فهذه أهم معالم وأخبار المدينة المقدسة .

فأثنى القوم على الطير أبي سعد على ما قدم لهم من معارف ، والتفت الوزير لرئيس الوفد الهدهد الشجاع حفيد هدهد النبي سليمان ﷺ .. وقال : لقد سمعنا رسولنا أبو سعد أيها الهدهد معرفا لنا بذلك المكان المعظم في شريعتنا .. تكلم .

قال الهدهد الجميل الهيئة : نعم ، القدس بلد عظيم تعرض لكثير من الغزو والاحتلال .. وأشار أبو سعد لاحتلال الصليبيين له مدة من الزمان .. وهو اليوم معذب ، مضطهد من قوم يزعمون أنهم من أبناء يعقوب وأتباع موسى عليهم السلام .. وموسى بريء منهم .. الأنبياء لا يعرفون الظلم ، لا يعرفون المجازر الوحشية .. فبعد سقوط المدينة في يد جيش اليهود الصهيوني تعرض المسجد لمئات الاعتداءات ، كان أسوأها الحريق الشهير عام ١٩٦٩ في شهر آب في اليوم الحادي والعشرين .. على يد دنيس مايكل روهان اليهودي الأسترالي .. فاحترق يومها منبر نور الدين زنكي وصلاح الدين ، منبر فتح بيت المقدس ، وامتد الحريق ليشمل ثلاثة أروقة قضى على أغلبها ، إضافة إلى سقف الرواق الشرقي الخشبي للجامع بالكامل وانصهر الرخام الذهبي عن الواجهة القبلية والمحراب .. واعترف الجاني بجريمته ، ثم زعموا أن الفاعل مختل عقليا فأخلي سبيله .. وللأسف يا مولاي كان رد فعل المسلمين ضعيفا لا يكاد يسمع البتة .

فقال الملك : حسبنا الله ونعم الوكيل .. وهل من مصائب أخرى حلت به ؟

قال الهدهد الحزين : أجل يا مولاي ! فقد صادر اليهود باب المغاربة بعد هدم حارة المغاربة ، وهو

باب مؤد للحرم ، وبدأت الحفريات التهويدية من عام ١٩٦٨ حول الأقصى حفريات بمحاذاة الجدار الجنوبي ، وحفريات بمحاذاة الجدار الغربي وعلى شكل نفق ، فتصدعت نتيجة تلك الحفريات مبان تاريخية وأثرية ، وفي عام ١٩٨٢ قام الجندي الصهيوني ألن جولد مان بإطلاق النار داخل القبة فقتل اثنين من المسلمين وجرح ٤٤ آخرين ، مما دفع اليهود لإدخال قوة حماية داخل الحرم القدسي .. جرت محاولات نسف للمسجد بالمتفجرات ؛ ولكنها لحد الآن باءت بالخيبة والخذلان .. وتهويد المدينة قائم على قدم وساق .. والعالم الإسلامي يتفرجون لا يحركون ساكنا . وكذا الاعتداءات على مقبرة مأمن الله الإسلامية مستمرة ، أرأيتم يا قوم حتى مقابر القدس لم تسلم منهم ؟!

قال الوزير : بارك الله فيك ؛ ولكن الآن انتبهت أنكم أربعة ، والذين سافروا خمسة فأين الطاووس الأبيض ؟

ذرفت دمعة من عين الهدهد وقال : لقد اغتالوه يا مولاي ..!

سمع صوت همهمة ودهشة فقال الهدهد مبينا : أخطأ الطاووس الدرب ، وطار فوق منطقة عسكرية ، فحسبوه طائرة مقاتلة تريد أن تلقي عليهم قنابل ، كما يفعلون في البلاد المحيطة وغزة فسقط شهيدا كآلاف الشهداء .. حتى يتم أمر الله ﷻ .. والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قال الملك : بماذا تنصحنا يا أيها الهدهد الشجاع ؟

قال الهدهد : يقول الناس حائط المبكى والصحيح أنه حائط البراق حيث ربط النبي ﷺ البراق عندما عرج للسماء ، ويقولون هيكل سليمان والصحيح أن نقول المسجد الأقصى .. والقدس هي القدس .. وليس البناء فقط .



حائط مائل

حدثنا القاضي أبو مروان بطرطوشة قال: نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا إلى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم، وكان في تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع، فقال رجل منهم: يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد في هذه البقعة فأبوا إلا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان، فأصبحوا في عافية وحملوا على دوابهم، فبينما هم كذلك إذ دخل ذلك الرجل إلى الدار ليقضي حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته.

صديق أمي

الحلقة ٣

تلف الدماغ

كان عباس قد مشى لبيت شقيقته مريم التي عادت إلى أرض الوطن وهي في غاية الإنهاك والضعف بسبب مرضها الذي عرفه القارئ وعرفناك بخطره ، وأخذت تتابع العلاج وجلساته في مشافي المدينة ، بل أخذ عباس يقدم أوراقها للمعالجة في مشافي الجيش ، وتيسر ذلك سريعا لعلاقات عباس القوية بمؤسسات الجيش والقوات العسكرية ، وكان هو يتابع بنفسه الإشراف على علة القلب .

رحبت مريم بعباس كعادتها ، وكان الحديث عن صحتها وحالتها المرضية ، فكان يقول مشجعا : عليك أن لا تستسلمي للضعف ، وليبق عندك حبا قويا للحياة .. واعلمي أن الأعمار بيد الله وليست بيد المرض .. وهذا الداء يمكن التعايش معه كما يتعايش مريض السكر والسرطان مع مرضه .. ويحيا العشرات والمئات وهم يعانون مع مرض القلب .

ـ أشكرك يا عباس أنت الباقي لي في هذه الدنيا .

قال : كلنا لك .. يوسف وأولادك وأولاد أبي .. فهم محبون لك ، ويتعاطفون معك كلنا أخوة وأهل .

ـ كيف أمنا يا عباس ؟

ـ مرضها صعب ، ربما أصعب مما أصابك .. وسنها لا تساعد على المقاومة ، والأطباء يقومون بواجبهم ، وهي ترقد في دار رعاية المرضى والكبار في السن قصر الوفاء لرعاية المرضى والمسنين يطلقون عليه هذا الاسم ، هو مكان جيد يجمع بين فندق ومستشفى وحديقة ؛ لأن حياتها في بيت خاص يحتاج إلى خدم وممرضات ورعاية خاصة.

بعد لحظات صمت قالت : أريد أن أقابلها يا عباس .. رغم مرور كل هذه السنوات من الجفاء والبعد .. وعدم سؤالها عني .

ـ عند زيارتي لها في المرة الآتية سنذهب سوية .. لقد سألت عنك المرة الماضية ، وكأني نسيت أن أقول لك ، ولقد دهشت ، .. وربما لأنني كررت زيارتي لها تذكرت أن لها ابنة أيضا

وبعد سكوت ضئيل تابع فقال : أنا حقيقة أستغرب من عدم اهتمامها بك !

قالت معللة مفسرة : إنها تخشى من مقابلتي لها .. أمر نفسي .. فهي تخلت عني طفلة أكثر منك ربما تأنيب الضمير كما يقال .

هزّ رأسه وابتسم وقال : لا أعتقد أن لأمنا ضميرا .. من يتصرف مثلها لا ضمير عنده

ـ أنت تقسو عليها يا عباس

ـ أم تهجر طفليها لغير سبب مهم أيكون لديها

ضمير ؟!

ـ الحياة همومها وأحوالها عجيبة .. وكما تقول راضية ستبقى أمنا ، وهي تقول علينا أن نستأجر لها بيتا خاصا .. من المعيب لنا أن نتركها في دار رعاية المرضى .. وهي تلوح بأنها ستفعل ذلك بنفسها .. فهذا معيب لكل العائلة ، فإذا تخلى عنها أبناء الحبيب ، فعلينا أن نقف معها من أجل خاطر المرحوم جدنا الحاج عزام .. تقول راضية : لو كان والدنا حسن حيا ما قبل بهذا الفعل .

فقال متضايقا مما سمع : ما أشد كلام راضية على القلب! .. ماذا سنفعل لها في البيت ؟ إنها مريضة دماغيا ، وتحتاج إلى مراقبة وعلاج طبيعي دائم .. وأخذ يتذكر مرض تلف الدماغ علميا فهو جراح دماغ كما نعلم.

تلف الدماغ هو تدمير خلايا المخ أو تدهورها ، تحدث إصابات الدماغ نتيجة لمجموعة كبيرة من العوامل الداخلية والخارجية ، وهناك إصابة الدماغ الرضية التي تتبع الصدمات الجسدية أو إصابة في الرأس من مصدر خارجي ، ينتج عن إصابات الدماغ في كثير من الأحيان ضعف أو إعاقة تتباين بشكل كبير في شدتها ، في حالات إصابات الدماغ الخطيرة ، يوجد احتمال كبير بحدوث إعاقة دائمة في بعض مناطق الجسم ، بما في ذلك العجز العصبي ، أو مشاكل في الحركة والكلام ، والتخلف العقلي، كما سينتج عنها أيضًا تغيرات في شخصية المريض ، ينتج عن الحالات الأكثر شدة غيبوبة أو حالة أنباتية مستديمة ، حتى الحوادث الخفيفة يمكن أن يكون لها آثار على المدى الطويل أو أن تسبب أعراضًا تظهر بعد سنوات.

يمكن لإصابات الدماغ سواء الناجمة عن السكتة الدماغية، أو إدمان الكحول، أو إصابة الدماغ الرضية، أو نقص فيتامين ب أن تؤدي في بعض الأحيان إلى ذهان كورساكوف ، حيث يُصاب الفرد بهذيان الأراجيف بمعنى ينطوي هذيان الأراجيف على عدم القدرة على فصل ذاكرة أحلام اليقظة عن الذاكرة الحقيقية .

قد تنخرط عدة مهن في الرعاية الطبية وإعادة التأهيل للشخص الذي يعاني من ضعف بعد إصابة الدماغ ، أخصائيي الأعصاب ، وجراحي الأعصاب ، وأخصائيي العلاج الطبيعي وإعادة التأهيل ، وأخصائي علم النفس العصبي ، ويمكنهم المشاركة في تقييم مدى شدة الإصابة أو عمل استراتيجيات إعادة التأهيل، يمكن أن يشارك المعالجون المهنيون في إدارة برامج إعادة التأهيل للمساعدة في استعادة الوظائف المفقودة أو المساعدة في إعادة تعلم المهارات الأساسية .

يلعب أخصائي العلاج الطبيعي أيضا دورًا هاما

في إعادة التأهيل بعد إصابة الدماغ ، وتشتمل العلاجات الأخرى لإصابات الدماغ على الأدوية ، والعلاج النفسي، وإعادة التأهيل العصبية وتعتمد العلاجات على مكان تلف الدماغ، وطبيعته وسببه .



مريم وهدى

بعد مغادرته مكان عمله ، التقى بمريم وزوجها يوسف في صالة استقبال الزوار في دار رعاية المرضى التي تديرها شركة خاصة فهي مؤسسة خاصة ، فبعد التحية والسلام مشى أمامهم طبيب مقيم في الدار قصر الوفاء لزيارة هدى عزام ، والطبيب المشرف هو طبيب نفسي ، وكان عباس حدثه عن هذه الزيارة وظروفها ، وأن هذا أول لقاء بين أم وابنتها منذ أكثر من أربعين سنة . لذلك كان الطبيب قد تحدث مع هدى ، وذكر لها أن ابنتها الوحيدة ترغب بزيارتها ، وهيئها لمثل هذا اللقاء العاطفي ، لم تتكلم وإنما كانت تهز رأسها بالموافقة ، وكان الدكتور قد رتب مع الممرضة المكلفة برعاية هدى الاستعداد لأي طارئ .

ركب الزوار المصعد للطابق الخامس حيث غرفة هدى ، ورحب بهم الطبيب النفسي المشرف عليها ، وكذلك حيتهم الممرضة الخاصة نوال ، دخل الدكتور سعيد ، وقال مخاطبا السيدة المريضة : كيف حالك يا أم عباس ؟ ها هو الدكتور عباس ومعه الدكتورة مريم.

دخل عباس وخلفه مريم ويوسف ، كانت نوال الممرضة قد أجلستها على سريرها ، وأسندت عدة وسائد خلف ظهرها ، كانت تبكي قبل دخول مريم وزاد البكاء والنشيج عند دخولهم ، ومريم تبكي مثلها ، ولما وضع عباس يده على رأسها اقتربت منها مريم وضمتها لصدرها ، وقد زاد نحيبها وارتفع وهي تهمس : أمي أمي أمي حبيبتي يا أمي .

وتلك تردد مريم مريم مع مزيد من الدموع والنهنهات والشهقات ، وعباس يداعب شعرها واستمر البكاء والنشيج والتمتمة لدقائق ، وقال الطبيب المشرف : الحمد لله سارت الأمور على خير ما يرام .. اسمحوا لنا بالانصراف ..

وسيكون العشاء حسب توصيتك يا دكتور ..

شكره عباس ، وكانت أمه تقول لمريم : أخطأت في حقك كثيرا يا مريم لقد ظلمتك معي .. استحيي أن أطلب مسامحتك وصفحك .. غلبني الهوى والعناد .. كان والدك أميرا ورضيا ومطيعا.. مريم كنت أخشى اللقاء بك .. تركتك رضيعة هل تسامحيني يا مريم ؟

كانت مريم تضع رأسها على صدره أمها وتبكي بعنف وصوت بكائها عال ، وتتنهد وتشهق بعمق ، وهي تسمع كلام أمها ، ولم تتكلم ، فأراد يوسف أن يبعدها ، فقالت : دعها يا ولدي لقد حرمتها من هذا الصدر .. غلبني الهوى والعناد .. أنت يوسف زوجها ؟

ـ أجل يا عمتي .. جئت البلاد منذ أسبوع .. شفاك وعافاك المولى .

قالت بحسرة وانكسار : شفائي يا ولدي برضا عباس ومريم عني ، رغم الصداع الذي أحس به ؛ فأنا سعيدة برؤيتي لهما قبل الفراق الأبدي.. لقد أخطأت وقصرت في رعايتهما .. غلبني الهوى والتحدي .. نسيتهما في صراعي مع أبي عزام .. كنت أظن أنني أفهم من أبي وعمي مسلم لقد تعلمت ودرست في الجامعة وهما أميان .

قال يوسف ساعيا للتخفيف من أثر الماضي على هذا اللقاء : ماض وانتهى بحلوه ومره يا أم عباس

قالت متمنية : ليته ينتهي يا يوسف! إننا ما زلنا ندفع الثمن .. فهذا عباس يذكرني بجرمي كلما أذكر أنه شاب بدون زواج .. يرى أن النساء شر .. سيظل ضميري يعذبني بسبب هذا .

قال عباس : لست راغبا بالزواج يا أم داود ؟

فقالت وهي تداعب شعر ابنتها : دائما يريد تذكيري بالمرحوم أبي داود ، فلا يناديني بأمي أو بأم عباس

فقال عباس بجفاء اعتاد عليه : لم أتعود ذلك بعد .. والجرح لا يشفى سريعا يا أم داود .

قالت مريم وهي ترفع رأسها عن صدر أمها : عباس .. يوسف يجب أن نأخذها لبيتي .. دعونا نعيش ما تبقى لنا معا .

فقال عباس معترضا الرأي : أرأيت المكان يا مريم ويا يوسف ؟.. هذا بيت خاص لرعاية المرضى أصحاب المرض الصعب والذي يحتاج لوقت من العناية والمراقبة .. فهنا الأطباء والممرضات ، هذه ليست دار رعاية المسنين كما يرغب أولادها أولئك.. هذا شيء جديد في بلادنا .. هذا فندق طبي .. وهذه الخدمة تقدم بمال ، وليست صدقة .. هذه الخدمة تقدم في هذه الدار بعد وضع رصيد عشرين ألف دينار في حساب المريض .. وأنت يا مريم صحتك ليست ولا بد .. وها أنا أقول بكلام غير عاطفي كلما تتحسن صحتك سيأتي يوسف بك إليها وقضاء ساعة أو أكثر معها ، وحتى أخوتك سيرحبون بصحبتك إليها إذا كان يوسف في عمله ومشغولا .. فهنا أفضل من البيت لها ولك .. أليس كذلك يا يوسف ؟.. هنا الأطباء والممرضات وإذا احتاجت لأخصائي ودواء فيوفرون ذلك فهم متعاقدون مع أطباء .. وأنا حصلت لها هذا المكان بصعوبة .. فهذه خمسة

طوابق للنزلاء ، وأغلبها مشغول يا يوسف .

ـ أنت أمنت لها هذا المكان؟

ـ صحيح دار المسنين تخدم المرضى وغير المرضى ..وأجرتها أقل ، ولكن هنا أفضل ، وقد حولت إليها عددا من مرضاي الأثرياء .. ويمكن أن يأتي الأطفال لزيارة جدتهم يا مريم .. لا تدعوا العاطفة تتحكم فينا .

فلما رأوا أن المرأة تريد أن تستقر في البلد ، اجتمعت العائلة للتشاور في شأن هدى عزام ،

اجتمعوا ليتفقوا على التصرف الأمثل لهم ولسمعة العائلة ، كانت مريم وإخوتها من أبيها يرغبون أن تعيش في بيت خاص لها ، ويشرف عليها طبيب خاص من خارج العائلة صديقا لهم ويقوم على خدمتها ممرضة دائمة وخادمة خاصة لتساعدها في الطعام والشراب والحمام .

وكان من رأي عباس وبعض أبناء أعمامه بقائها في دار رعاية المرضى لتستمر متابعتها صحيا وعقليا ، وأن الدار تقدم خدمة راقية للمرضى مقابل التكاليف المادية العالية .

فقال أحد الأخوة : قد يطول مكثها وتتعبون من الدفع .

فقال عباس مبددا هذا الهاجس: هي التي تدفع من مالها ، وثروتها التي ورثتها عن أبيها ، ولها تقاعد اجتماعي من ضمان كندا .. فلحتى الآن ليست بحاجة لفلس واحد منا .. وأخبرني أخي عزام أن داود ويحيى اخبروه باتصال بينهم أن وضعها المالي جيد ، وقد جمعت مالا أثناء حياتها هناك ، وورثت عن زوجها المال الكثير ، ولها نصيب في متاجرهم .

قالت راضية : القضية يا عباس بعد دار الرعاية عن المدينة .. مرة على مرة سيطرأ علينا الملل والتملص من زيارتها .. وأنت خاصة تعمل في الليل والنهار .

ـ أنا وعدتها بزيارة واحدة كل شهر يا راضية .. أنا لست مدينا لها بشيء .. حتى لو سكنت في شقة خاصة سأبقى على هذا الترتيب .. وأنتم أحرار .. أنا فعلت ما أردتم نحوها ، ومن أجل خاطر حياة أبي وجدي .

فقال يوسف لما رأى توتره : هدأ نفسك يا عباس .. كلنا يدرك الألم الذي يسكن قلبك .. ؛ ولكنها اليوم مريضة وكبيرة وضعيفة ، ونحن نقدم هذا العطف من أجلنا نحن ، ولسمعة العائلة ككل يا عباس .. الزيارات توزع على الجميع ، وبترتيب معين والذي يريد أن يزيد فلا حرج .

عادت مريم تقول وهي تبكي وتمسح دموعها وتضعف عن مقاومتها : الشقة حولنا أفضل لنا فلا يجب أن نعاملها بالمثل يا يوسف .. إذا كانت قريبة يمكنني التردد عليها باستمرار .. لولا

مرضي ما قبلت لها الحياة دون بيتي ، فأنا طبيبة ؛ ولكن عندما يهيج المرض عندي أصبح ميتة فأزيد من ألمها .. هي اختارت الحياة هنا ، فعلينا أن نكون عند حسن الظن .

قال عباس بضيق واضح للعيان وعصبية : هم شجعوها للحياة هنا ، فعندهم طب وعلاج متقدم ، وهذا كله تحصله هناك بأسعار زهيدة وعلى التأمين الصحي ، ولكنهم ملّوا منها ، ولا وقت لديهم لرعايتها ، وزوجاتهم سيئات .. هذا كلام ابن عم لهم عاش هناك معهم بضع سنوات ، ثم رجع وكله خيبة ، قال لي وقد التقيت به أيام المستشفى إن حياتهم سهرات ورقص ومجون ، ولا وقت لديهم للاهتمام بها ومتابعتها

ـ هكذا حياتهم هناك يا عباس .. ونحن لا تهمنا حياتهم الخاصة .

عاد عباس ليقول بسخط بين : الآن صار لنا أم يا سادة .. سأترك البلد من أجلها

قالت راضية معترضة : ولماذا تترك البلد يا دكتور عباس ؟ وهل الهروب حل ؟ وهي لا تريد منا شيئا يا ابن أبي .. ليست بحاجة لمالنا .. هي تحتاج لرعاية معنوية وعطف وبعض الشفقة .. ووالدك وصاك عليها يا عباس ليس من أجلها هي .. من أجل أنها ابنة الحاج عزام الجد الذي أحبك أكثر من ابنته ، كما كان يحدث أبونا حسن رحمه الله .

قال بسخط : لا يريد قلبي أن يصفو لها يا عالم .

قال يوسف : الإنسان يزور عدوه وغريمه يا حضرة الدكتور .. أنت لو تزوجت لعرفت الأمومة والأبوة حق المعرفة يا عباس .. ألم تكن تلاحظ أيام الدراسة الفرق بين المدرس المتزوج وله ذرية والمدرس الأعزب ؟ .. فالحنان يتفاوت بين الناس .

ضحك عباس وقال : لم ألاحظ ذلك كنت أيام المدرسة حزينا ، وغارقا في همومي وهرب أمي الشائن ، كنت مخزيا يشار إليّ بالفتى الذي هربت أمه لعشيقها في أمريكا، كانت قصة جارحة

خيم الوجوم القاتل على كل الجالسين ، وأدركوا عظم المرارة التي يعيشها الدكتور عباس ، حتى أن مريم ارتفع بكائها وقالت بعد حين : لماذا تذكرنا بمثل هذه المشاهد يا عباس ؟ كانت أياما مريعة .

ـ ليعلم هؤلاء الجالسون من أين تخرج هذه الألفاظ القاسية ؟ هم لم يعيشوا تلك اللحظات المؤلمة .. لقد قتلتنا وعذبتنا طوال سنوات عمرنا

قالت راضية : الزمن لن يعود يا أخي يا عباس .. ويقولون الزمن كفيل بتخفيف المصائب .. ولكن زمنك ما زال يؤلمك ويجرحك ..والأمر محزن لك ولنا ..كان الله في عونك .. وهل نستطيع إعادة دورة الزمان يا دكتور عباس ؟ هل نهرب من مواجهة الواقع ؟ ونترك ابنة الحاج عزام دون أدنى

العطف والمساعدة .. نحن نساعد الغريب بالعطف والتواد والدواء والمال ..

قال بحدة : الغريب يساعد للحظات ووقت محدود .. والغريب لم يؤذنا في أنفسنا وحياتنا ..

قالت راضية : العجيب أنك تصلي يا عباس ، وتقرأ في الكتب الإسلامية!

ـ وهل أصير ملحدا ؟ كان أبي يحب أن نصلي ونصوم .. ها هي أمنا منذ طلقت لم تسجد لله .. لما سألتها مريم عن الصلاة ؟ قالت : وهل يذهب أحد للغرب ويحافظ على الصلاة يا مريم ؟ وزادت وأنا تركتها منذ مات أبي

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. أنا كنت أظنها لا تصلي بسبب المرض والحادث .

قضية هدى

استقرار هدى في أرض الوطن بعد هروب استمر أكثر من ثلاثين عاما، وعودتها كمريضة أربك أحفاد الحاج عزام وشقيقه مسلم ، لقد استقر في وجدانهم أنها ستبقى مهاجرة حتى المات ، هي رافقت زوجها عندما أتى للعلاج عند أهله أو إكمال العلاج في المدينة ، وإذا حصلت الوفاة كان يريد أن يدفن في بلده ، وهذا ما حصل ، ولكنها لم تلتق بفرد من أفراد العائلة ، ولم يسع للقاء بها أحد ، وسافرت بعد هلاكه ورحيله عن الدنيا ، ومضى الحدث ، ولم يهتموا به كثيرا ولا قليلا .

وأما استقرارها بينهم هذه الأيام فقلب حياتهم ، فهي وإن ترملت على زوج غير أبيهم ، فهي أم عباس ومريم ، وهي ابنة جدهم عزام ، وعباس بكرها هو الأولى بها ، وهو ما زال حاملا عليها ، ومتهربا من مسؤوليته الأدبية والدينية اتجاهها .

لذلك كان أشقاء عباس من أبيه بين نارين ، غضب عباس المكبوت والذي يثور بين الحين والأخر نحو وجودها بينهم ، ونار القرابة وأم أخيهم ، ومطلقة أبيهم حسن ، وابنة عم أبيهم وابنة جدهم عزام ، وهم يعلمون أن سبب رفض عباس الاقتران بأنثى هو قصة أمه ورميها لهم صغارا ، والهرب من الوطن للزواج من صديق الجامعة .

لذلك كانت راضية وأشقاؤها كلما التقوا بدون عباس ومريم في بيت والدتهم الأرملة فائزة يتحول حديثهم تلقائيا إلى معضلة هدى وعباس ومريم ، فبعد اللقاء الذي أشرنا إليه سابقا جلس الأخوة يتحدثون عن طريقة لإعادة الحياة إلى طبيعتها بين عباس وأمه ، فهم يعلمون أن أفعاله التي ظهرت لهم كانت ترضية لهم ، وليس من أجل أن هدى أمه ومريضة ، لقد خشي من اهتمامهم بها من دونه فيسبب لنفسه وجع رأس من جديد .

كان عباس بعد استقرار والدته في دار رعاية

المرضى يمر عليها في الشهر مرة واحدة وذلك مساء الجمعة ويصحب مريم إذا كانت طيبة وبصحة جيدة ، ويتناول الغداء الذي يوصي عليه المستشفى مع أمه ، ويسألها عن حالها وصحتها ويلزم الصمت ، وهي أحيانا تحثه على الزواج حتى لا تبقى حزينة ومتألمة لتركه سنة الله في خلقه ، فيقول لها بعد أن تردد أفكارها فات الأوان يا أم داود ويعود الصمت بينهم ، ومرات تسأل مريم عن وجعها وصحتها وتبكيان بضع دقائق وبعد تناول الغداء معها في غرفتها الفندقية يبدأ الاستعداد للمغادرة ، وتعانق ابنتها التي تفعل مثلها ، وتقبل مريم يدها وتلحق بعباس الذي يكون في انتظارها عند باب المصعد منتظرا صعوده واعتادت مريم أن تصحب زوجها يوسف في زيارة أخرى ، ولا تطول زيارة يوسف ؛ لأنه لا يتخللها طعام ، إنما يأخذون معهم بعض العصير والحلوى المسموح لها بتناولها ، وتشكيلة من الفواكه الطازجة .

يوسف التحق بالعمل في أحد المستشفيات ، وأما مريم فانشغلت بمرضها ، ورعاية أبنائها الذين شبوا ، وقد التحق أحدهم في الجامعة ليدرس مثلهم في كلية الطب والجراحة .

وكانت الأم تجعل لقاءها بيوسف ومريم حول الضغط على عباس ليقترن بأنثى ويتزوج فيقول يوسف : لقد تعب لسان والده يا عمتي وهو يرغبه في ذلك ، ومات وهو يحثه على ذلك لكنه في هذه القضية حسم أمره .. ورغم تعامله الكثير مع طبيبات وممرضات ومريضات لم نسمع أنه هم بالزواج حتى أننا مرة سمعنا أن له اهتماما خاصا بمريضة بنت أحد الشخصيات المهمة ، وقد زارها في البيت عدة مرات مما أثار دهشتنا ، واعتقدنا أن تغيرا سيحدث لعباس .. هذا نقل لنا ونحن نعمل في السعودية .. ثم انتهت القصة بدون نهاية .

وهكذا كانت زيارات راضية وإخوتها وزوجها وزوجاتهم ، وهي تترجاهم لتحقيق ذلك الهدف .

قضت هدى سنتها الأولى في دار رعاية المرضى أو كما يسميها شركاء الدار قصر الوفاء ، ولم يتحسن وضعها الصحي كما كان مرجوٌ من كثرة العلاجات التي تعرضت لها ، وأسرة حسن مسلم لم تحسم أمر بقائها في ذلك المكان أم الحياة في شقة خاصة وسطهم ، بل عرضت فائزة أم فضل حياتها معها في عمارة والدها الحاج عزام ، العمارة التي ورثها حسن عن عمه عزام أي والد هدى . أصر عباس على بقائها حيث هي ، فهو يخشى مللهم بعد حين ، فأمراض الدماغ الشفاء منه إما صعب ، وقد يأخذ وقتا طويلا ، وإما لا يذهب إلا بالموت ، فيخشى أن تخفت فورة العاطفة والشفقة على أمه ويتورط هو معها ، وهو ما زال في نفسه غصة منها

وهدى نفسها لما لمحوا لها بهذا العرض رفضت بشدة وغضب .. وهو الحياة في بيت والدها القديم حيث ذكرياتها الأولى وحياتها مع حسن ، وتذكرت مشاجراتها الكثيرة مع حسن ، وكذلك ذكرياتها مع أمها التي ماتت ، ولم تشهد جنازتها وأيامها الأخيرة ، رأت أن العودة إليه عذاب سيؤرق كيانها في سقمها ، وصارحت راضية بذلك بعدما رفضت الاقتراح بالعودة لبيت والدها . وبينما هم يتجادلون ويقترحون قدم عباس طلب تقاعد من الجيش ، وقبل طلبه وخلال شهور ترمج كطبيب من الجيش برتبة عميد ، وقد بلغ من العمر خمسين سنة ، وعرض عليه العمل في عدد من مستشفيات القطاع الخاص ، وبعضهم عرض العمل عليه في عيادات متخصصة في طب وأمراض القلب ، وتعاقد مع شركة عالمية للعمل في عمليات خاصة في أي مكان في العالم حسب الطلب ، لذلك بعد قبوله لدى تلك الشركة الطبية العالمية الطبيب الطائر بدأ يتنقل في بلدان العالم حيث يطلب منه السفر ، فمرة يجري عمليات في الهند ، ومرة أخرى في البرازيل ، ومرة ثالثة في جنوب أفريقيا ، فقل وجوده في البلد

فقالت له مريم : أهذه حياة يا عباس ؟

ابتسم لها وقال : ولماذا الخوف؟ عليّ لا أسرة ولا أولاد.. بل ارتحت من مشاكل أم داود ..

ـ أمك يغمرها الندم يا عباس

ـ وماذا ينفع ندمها عباسا اليوم يا أختاه ؟ ـ إنها في النهاية أمنا.

ـ وماذا نفعل لها ؟ ها هي في مكان من أفضل أماكن الرعاية للمرضى في الشرق الأوسط.. وأطباء أكفاء يهتمون بها ، ونزورها كلما تحين الفرصة .. ماذا نفعل لها أكثر من ذلك ؟ ليس لدي أحفاد وأبناء يلتفون حولها .. حكموا عقولكم يا ناس

قال يوسف : صحتها تتدهور يا عباس

ـ المرض الدماغي ـ وأنتم الأطباء ـ تعلمون أنه من الصعب الشفاء منه نهائيا ، ولا تنسوا السن التي هي فيها ، ولم تكن الضربة والحادثة سهلة .. بل من فضل الله أن عاشت بعد الحادث .. أنا قرأت كل التقارير الطبية ، وتحدثت مع إدارة المرور في مونتريـال عن تفاصيل الحادث ، ومع المستشفى الذي تعالجت فيه بعد الحادث ، فقالوا إنها اليوم بخير لما أرسلت لهم صور التقارير لقد توقعوا موتها بعد حين يسير ظنا أن التلف سيزداد مع الوقت . حمدت مريم ربها وقالت : كلما أراها وحيدة أحزن عليها ويتمزق قلبي .



ـ يا مريم العزيزة هي التي شاءت الحياة بعيدة عن العائلة وعنا .. هي بغضت أبي ؛ لأنه تزوجها غصبا عنها .. ولما مات أبوها طلبت الطلاق فور انتهاء العزاء ، وبعد ضغطها وتهديدها لهم بالانتحار وافق أبوك على الطلاق تحت الأمر الواقع .. وهي التي اختارت البعد والهرب عن الأسرة ، وضحت بنا من أجل شهوة حب مزعوم .. ومع ذلك سكت الناس عن فعلتها المشينة للأبد ، وقبلوا التعايش معها وفاء للحاج عزام ولأبي زوجها الأول .. وحتى لو سكنت بيتا سيكون مستشفى لها .. طبيب ممرض طباخة خادمة

ـ أنت تعقد الأمور .. لو كانت تعيش بيننا .. في أي وقت ليلا نهارا نمر عليها .. نسهر معها .. نشد من أزرها .. أنا لولا الناس حولي أولادي أولاد إخوتي وأولاد إخوة يوسف بناتهم نسائهم لانشغلت بمرضي وهلكت قديما

ـ صحيح هذا الكلام بحقك أما بحق أم داود فكل نساء العائلة لم يعجبهن فعلها .. فهل سيأتين ببناتهنّ ليتعلمن تفاصيل قصتها ؟ وإنها أحبت شابا في مقاعد الجامعة وضحت بالعائلة والعادات من أجل الهوى .. لقد أجرمت في حق العائلة المحافظة .

وصية مريم

لقد عمل عباس بعد تقاعده في مؤسسة طبية عالمية تعمل حول العالم ، ونتيجة لهذا العقد أصبح متنقلا بين مدن كثيرة في العالم لإجراء جراحات القلب والدماغ ، وكان يعمل ضمن فريق جراحي عالمي ، ولذلك كانوا يذهبون لإجراء عمليات في مواقع الكوارث العالمية من فيضانات وزلازل وبراكين . ووجد الرجل راحة نفسية في هذه التجوال رغم مشقة السفر في الطائرات والقطارات والحافلات ، ولم يقصر بالاتصال مع أخته مريم وزوجها يوسف ، فقد صادقه منذ الطفولة ، فلذلك عندما كان يستقر في مدينة فكان أول هاتف يكون معهم ، وكانت تشغله صحة مريم كثيرا .

وبينما هو يوما في مدينة من مدن جنوب أفريقيا يعملون نشاطا طبيا ، وعندما عاد للفندق وقام بالاتصال بمنزل مريم ـ وقد كان له أكثر من أسبوع لم يتصل بهم ـ رد عليه ابن شقيقته محمد طالب كلية الطب ، فنقل إليه خبر وفاة شقيقته منذ يومين ، فاسترجع الرجل ، وترك السماعة وأخذ بالبكاء ساعة من الزمن ، ثم عاود الاتصال واستفصل من زوجها عن لحظاتها الأخيرة ووصيتها ، فقال يوسف بعد تقبله العزاء ورواية أيامها الأخيرة : كانت ترغب برؤيتك وهي تودع الدنيا ، ولم نتمكن من الاتصال بك .. وكانت وصيتها لك برعاية أمك والزواج ..كانت تتمنى أن تراك زوجا وتحضر حفلة زواجك .

وعاود عباس البكاء وقال : سأتصل بك ثانية .. كنت أحبها كثيرا يا يوسف ، كانت هي دنياي وكنت أعطف عليها كثيرا ، في أقرب فرصة تتاح سآمر على البلاد ، وأزور قبرها ، وأتصدق عن روحها العزيزة إليّ .. لقد كانت النور لي في هذه الحياة .. أظلمت الدنيا في وجهي .. صبرك الله يا يوسف ..سلم لي على الأولاد سأكون بينكم قريبا أغلق الهاتف وعاد يسكب العبرات على شقيقته التي قضت عمرها في الألم والحزن والمرض ، كان يتذكر دموعها ونشيجها لما تخلو بنفسها ، عندما كبرت وعلمت بهرب أمها وتركتها صغيرة ، كانت في البداية تظن أن أمها ميتة ، ولما وعت لقضية هربها ، كانت تبكي كثيرا وعباس ينظر إليها حزنا وألما وضيقا .. سخط على الحياة التي اختارت له هذه الأم ، ثم يتوب إلى الله ويستغفره عندما يعاتبه والده بصوت رقيق وهادئ .. كان حسن المدرس يشعر بالألم الذي يعانون منه من تصرف أمهم الأرعن .. ويقول لهم أسوأ الاحتمالات افرضوا أنها ماتت .. وهل هذا الأسوأ يخفف الجرح النازف ؟ وهم يعلمون أنها مهاجرة .. تركتهم للزواج من رجل دغدغ عواطفها ، وأخذ مال جدهم ليبتعد عنها ؛ ولكنه خان العهد ، وظلا يتراسلان من وراء أبيهم الذي تظاهر بالغباء والجهل حتى لا يموت عمه كمدا وحزنا ، ولربما كان الجد يعلم هو الآخر بتلك الرسائل ، وتظاهر بالجهل حتى يدفع حسنا لطلاقها ، ثم مات معلولا بالقلب ، وأحب لعباس أن يكون طبيب قلب .

وها هو عباس يحلق في أجواء العالم ليعالج قلوب البشر ؛ ولكنها قلوب القادرين على دفع المال بل كان يسر سرورا كبيرا عندما يعالج جنديا صغير الرتبة في الجيش أكثر من معالجة كبار الضباط والشخصيات المهمة في البلاد .

شريط الذكريات والأحداث سواء الأسرية أم العلاجية يدور أمام ناظريه ولم يتوقف إلا عندما اتصلوا به للنزول لقاعة الطعام ، فاعتذر وطلب العشاء في غرفته ، وقد ذكر لمدير الحملة التي يصحبها ظرفه الحالي .

قضى عباس ست سنوات مع الفريق الطائر ، ثم عاد ليستقر في بيته الذي شيده في حياة والده حسن ، ولما زاره يوسف ابن عمه الذي تزوج ثانية بعد وفاة مريم بشهور . فقال له : لقد وعدتني بآخر زيارة للبلد بأنك تفكر بتحقيق وصية مريم بالزواج .

فقال عباس متظاهرا بالبلاهة : هل يتزوج المرء بعد الخمسين ؟!

ضحك يوسف وقال : المرء يتزوج على الثمانين يا

عباس .. ها أنا تزوجت وأنا في الخمسين وولدت المرأة طفلين ، وعدنا نسمع بكاء الصغار من جديد بعد انقطاع طويل .

ـ كيف عائلتك الجديدة ؟

ـ هي من بنات بنات الخال ماجد ، قبلت بي ، وهي قد أنهت الجامعة قبل زواجنا بسنتين ، فيها عيب خلقي منع زواجها أو قل نفر الشباب عنها .. أختك راضية هي التي حدثتني عنها وسعت بذلك النكاح .. وهي طيبة ومسكينة .

ـ لقد رأيتها وهي فعلا طيبة ومسكينة .

ـ أنت الآن متقاعد فعليا !

ـ تقاعد من الالتزام بعقد أو مستشفى ، ولكني سأقوم بعمليات خاصة مع عدد من العيادات حسب الطلب والاتفاق .. وهل يتقاعد من معالجة الناس ؟! .. التقاعد فقط من الوظيفة .. بل تحدث معي الدكتور سرور لإنشاء مستشفى خاص ، فاعتذرت لا أحب العمل الإداري كثيرا

قال يوسف محمد : جميل هذا الكلام ! .. سأتحدث مع المستشفى الذي اشتغل فيه ليتعاونوا معك في إجراء عمليات خاصة ، ففيه قسم عمليات للقلب ، سواء القسطرة أم القلب المفتوح

ـ حسب الظروف والفراغ .

ـ حسن ذا .. نعود لوصية مريم الغالية على قلبك

ضحك عباس وقال : الزواج .. وهل من تقبل بهذا الشيخ الذي لم يعرف النساء ؟

ـ أختك راضية تحسن الاختيار ، فهي بحكم عملها طبيبة بمؤسسة اجتماعية ، ولعلاقتها بعدد من الجمعيات ستختار لك العروس المناسبة لرجل يكره النساء ..

قال مادحا لأخته : راضية أخت عزيزة أكثر من أم أسامة .

ـ أولاد وبنات عمي حسن كلهم أفاضل .. هل أتحدث معها أنا ؟

ـ نعم ، وصية مريم غالية على قلبي يا يوسف .. افعل لأنني أنا أستحي أن أحدثها بمثل هكذا موضوع .

تبسم ابن عمه وقال : أعرف ، ومن أجل ذلك تطوعت لفتح الموضوع معها .. وهذا الأمر سيسعد الجميع يا عباس ، وعلى رأسهم أم عباس

ـ غفر الله لها ـ فصحتها للأسف في تدهور هل رأيتها ؟

ـ تعشيت معها ليلة أمس ، وسهرت عندها للعاشرة ليلا.

قال بسرور : تطور رهيب يا عباس .

ـ كانت متعبة ونقلوها لغرفة الفحص ومتابعة القلب ، فاضطررت للبقاء معها حتى انتهت الفحوصات ورسم القلب والدماغ .. من قبل المغرب وهم يتابعونها .. وهي كما قلت تضعف

رويدا رويدا ؛ ولكن الدار تقوم بواجبها على خير ما يرام .

ـ ليس مجانا قد دفعتم ربع مليون منذ استقرت فيه

ـ سندفعها في أي مكان ستكون فيه

ـ نسأل الله لها العافية وحسن الخاتمة ؛ ولكنها لو عادت للصلاة على الأقل .

ـ ضعف الذاكرة والوهن لا يمكنانها من معرفة الصلاة .. الله يلطف بها .

حضر العشاء من المطعم المتعاقد معه عباس ، وقامت الخادمة وشقيقها بتهيئة السفرة في قاعة الطعام ، ونهض إليها الرجلان ، وقال يوسف : كان محمد ابن شقيقتك راغب بالمجيء معي ، ووجد زوجته الحامل عندها صداع فأجل المجيء

ـ كيف زوج فاطمة ابنتك ؟

ـ شاب طيب، وأهله من خيرة الناس ، ويعبرون عن سعادتهم بالتوفيق لاختيار فاطمة يوسف لابنهم .

ـ هو ليس من أقاربنا كما فهمت منك مرة ؟

ـ تعرفت على والده في المستشفى الذي أعمل فيه ، فهو رئيس قسم المحاسبة ، وتعمقت صداقتي به ، ولما تخرج ابنه من كلية الهندسة رغب بمصاهرتي ، فهو قد رأى البنت كذا مرة عندما كانت ترافق أمها للعلاج عندنا .. وبعد موت مريم وانتهاء ابنه من الجامعة كلمني وحصل القدر .. وهو شاب هادئ مثلك ، وها هي قد ولدت منه طفلة جميلة .. ولسوف يأتون للسلام عليك كما اتفقت معهم ، فأنت خالهم الغالي .. وسيف الصغير فهو يدرس في القاهرة كما تعلم .

ـ قابلته مرة أو أكثر هناك ، وقضى معي ليلة في الفندق

ـ وأعطيته خمسمائة دينار ليتبحبح بها .

ضحك عباس وقال: أقال لك ذلك ؟

ـ وهل يستطيع إخفاء ذلك ؟



تلقت راضية رغبة عباس بالزواج بحماس شديد ، وقالت ليوسف مبتهجة : هذا خبر رهيب! عباس يريد أن ينفذ وصية مريم ـ رحمها الله ـ سأهتم بتحقيق هذه الرغبة التي احتاجت لعشرات السنين حتى تتحقق ـ إن شاء الله ـ سنفترض أنه ترمل مثلك .. ولكنك تزوجت صبية شابة بينك وبينها ثلاثون سنة .. أتراه يريد فتاة مثل أهلك ؟ عباس معقد من جهة النساء يا أبا محمد

ـ امرأة فوق الثلاثين ودون الأربعين حتى تنجب له ذرية يا راضية .

ـ اسمع يا يوسف ما رأيك بأخت زوجي الأرملة ؟

ـ نبيلة سليم .. كم ولد عندها ؟

ـ مات زوجها عنها على طفلين سعيد ابن اثني

عشرة سنة وخولة عشر سنوات وهي دون الثلاثين سنة .. أصغر شقيقات عيسى كما تعلم ترملت منذ سنتين فقط .

ـ هل لعيسى زوجك كلام ؟

قالت : لا أعتقد أن يعترض عيسى .. فهو يحترم عباسا كثيرا رغم أنه يراه معقدا أو مكبر موضوع أمه أكثر من اللازم .. وهناك والديّ نبيلة أحياء .. وهم من العائلة الكبيرة .

ـ تحدثي مع أخيك بشأنها قبل أن يغير رأيه.. فمريم كما تعلمين كانت شيئا كبيرا بالنسبة لعباس

ـ هذا معروف يا أبا محمد .. سأتصل به الآن وآخذ موعدا معه .

ـ هو أغلب الوقت في البيت منذ عاد من سفره الأخير ، وقد فسخ عقده مع الطب الطائر .. هذا الكلام كان بيننا ليلة أمس ..وذكر لها تعب أمه وقضاء ساعات معها في دار الرعاية .

لما انتهت المكالمة بينها وبين يوسف ، وقبل أن تتصل على عباس قال لها زوجها الذي دخل عليها وهي تتكلم في آخر المكالمة : أبو محمد الذي كان على الخط ؟

ـ أجل يا أبا سليم .. عرجنا على ذكرك أثناء الحديث

ـ ذكري .. خيرا إن شاء الله !

ـ يقول يوسف إن عباسا يريد تحقيق وصية مريم

ـ وصية مريم أختكم !

قالت : وهل هناك غيرها يا سليم ؟! .. وصيتها له وهي تحتضر بالزواج

ـ تذكرت نعم ، وهل سينفذ الوصية اليوم ؟

ـ يبدو ذلك ، فكان يوسف عنده ليلة أمس ، وحدثه عن تلك الوصية ، فكلفه بالبحث عن امرأة تقبل به في هذا السن ، فقال له يوسف وها أنا تزوجت وأنا بمثل سنك .. لا يهم السن بالنسبة للزواج خاصة الرجال.. وكان يوسف يحدثني بذلك ، ويطلب مني السعي له بذلك فتذكرت نبيلة ما رأيك أنت ؟

ـ أختي نبيلة .. لا أدري يا راضية .. عباس جيد وأخوك ثانيا وقريبي ثالثا.. أيصلح عباس للزواج بعد كل هذه السنين من الهجر للنساء ؟

ـ من ناحية القدرة الجنسية الباءة لا أحد يعلم إلا هو .. هو إنسان له شهوة كغيره من الناس وأختك أرملة وعندها أولاد ، فلو لم تنجب منه لا حرج في نظري ، وسأتحدث معها صراحة بكل هذه المخاوف ..

ـ نعم ، عليك بالحديث معها دون مواربة يا راضية ، وقد عاشت سنوات بدون ولادات .. ابنتها عشر سنوات ، وفهمت منها أن زوجها اكتفى بالاثنين

وأكدت راضية قائلة : وكانت قابلة لذلك يا عيسى .. وسيهتم عباس بأولادها ورعايتهم

وتدريسهم .. هي عصبية بعض الشيء كما تعلم ، وأرى أنها مناسبة لعباس ، فعباس من عشاق الصمت .

ـ وهي من عشاق الثرثرة . ـ هل يعترض والدك على عباس إذا قبلته نبيلة ؟

ـ أمي تحب عباسا ، وتتألم لمأساته ، والوالد يحترم عباسا ، ولا تنسي أن نبيلة أرملة.

ـ وأنا فكرت بها ؛ لأنها سيدة أرملة ، وأن عباسا كبير السن ، إنه يقترب من الستين ولم يعرف الحياة الزوجية .. فنبيلة عندها خبرة تستطيع تحمل عباس وظروفه ، وهي تعرف قصة أمه هدى سأتصل بعباس الآن وأرتب معه لقاء.

من قصص عمر

لما أنهت راضية حسن دوامها في العيادة الخاصة بها ، ركبت سيارتها ـ وكانت الساعة قد اقتربت من السادسة مساء ـ وسارت باتجاه بيت أخيها عباس الذي كان في انتظارها على موعد مسبق بينهما ، ولما دخلت الفيلا وجدت عنده بعض الضيوف ، فألقت التحية عليهم وقالت : سأدخل للصلاة فقد سمعته يؤذن للمغرب .

ولما قضت صلاتها ناداها عباس قائلا : تعالي لقد انصرف الزائرون .. إنهم أصدقاء الجيش .

فقالت وهي تغادر حجرة الصلاة : أذكر أنني قابلتهم هنا أكثر من مرة عساهم بخير .

ابتسم لأخته وقال : هم يعرفونك أيضا ، فهم أطباء ، ويهدونك السلام ، لما سمعوا باستقالتي من المستشفى الطائر جاءوا للسلام .. أهلا بالأخت الغالية .. العشاء قادم .

ـ أنت لماذا لا توظف عندك طاهيا بدل طعام هذه المطاعم ؟!

ضحك عباس ورد قائلا : عندي طباخ وأخته.. ولكني أحببت طعام السوق والمطاعم منذ استقلالي بالحياة .. فهم يقدمون الإفطار لي وأحيانا العشاء الخفيف ، أما لما تزورني أم سليم فمن الواجب إكرامها.. وكيف وهي قادمة لي بعروس؟

ضحكت راضية وقالت : أنت عزيز على قلبي ! أنا أحبك يا عباس بحق ! .. وأنت نعم الأخ وأنت وصية أبينا حسن ـ رحمه الله ـ فقد ذهلت لما نقل لي يوسف أخيرا خبر رغبتك بتنفيذ وصية مريم الغالية علينا ـ رحمها الله الرحمة الواسعة ـ وقد عانت كثيرا في حياتها الدنيا ، وستجد ذلك الثواب الجزيل عند الله ..

ترحم على شقيقته مريم وقال : في رأيك أأصلح بعد هذا العمر للزواج ؟

ضحكت وقالت : أكيد لن تكون مثل الشباب .. فالسن له دوره في ضعف الناس ؛ ولكن الرجال يتزوجون ولو بلغوا مائة حتى أننا نسمع حكايات

أن بعضهم يتزوج فتيات دون العشرين .. واليوم يستخدم الناس الأدوية والمنشطات ..

دخلت الخادمة تخبر بوصول الطعام ، فنهض الأخوان إلى حجرة الطعام ، حيث كان الخادم يدخل المواد من سيارة شركة الأطعمة والوجبات ، وكان عباس يعرف الطعام الذي تشتهيه راضية ، ولما جهزت المائدة جلسوا يأكلون ، فقال عباس : أنا لليوم ـ كما تعرفين ـ لم أقرب النساء ، عافت النفس ذلك .. مع أني عشت أيام الشباب عدة سنوات في ألمانيا ، وتعرضت فيها للإغواء أكثر من مرة ، فكنت أرفض ممارسة الجنس مع أن فتياتهم لا يرون ذلك شيئا كبيرا ، كما هي نظرتنا نحن للجنس خارج الحياة الأسرية .. وهم عندهم ـ كما تعلمين ـ ثقافة الجنس أو الزنا الآمن

ـ هذا هو الصح الزنا .. عندهم وسائل الوقاية المتعددة ، ويعتبرون المعاشرة الزوجية كمن يأخذ إبرة بنسلين والعياذ بالله من سخط الله ، ورغم كل هذه الحمايات يا عباس تنتشر عندهم الأمراض الجنسية والعيادة الجنسية .. لا مجال للمقارنة بين نظافة وطهارة الإسلام والأديان الأخرى .. أنت تحسن اختيار الأطعمة يا عباس !

ـ علمتني الحياة ذلك والسفر خاصة ، بعض الناس يسافرون من قطر إلى آخر من أجل أكلة شهية في طوكيو في روما ..

ـ كل الناس تأكل ؛ لكن الأموال أين سينفقونها ؟

ـ هو مالهم ورزقهم ، فلماذا لا يتمتعون به في حياتهم؟ وما الفائدة لتركة للورثة والجمعيات وهو كثير ؟

سكب لهم الخادم الذي كان يقف مراقبا لهم شراب العصير عندما لاحظ أن الدكتور بدأ يمسح فمه ، وتناوله عباسا وجرعه ، وأعاد الكرة وهو يقول : كلي حسب طبعك يا راضية .. أنا تناولت بعض الفاكهة مع ضيوفي الكرام .

شكرته بعينيها ، ولما بلعت ما في فمها قالت باسمة : ألست في بيت أخي الغالي ؟

ـ إني أحترمك جدا يا راضية وأنت تعرفين هذا .. كيف أمك اليوم ؟

ـ إنها بشوق لرؤيتك بعد عودتك هذه .. وعندما تعلم برضوخك لوصية أختنا مريم ستدب فيها الحياة

قال : أمراض المفاصل تتعب الصغار قبل الكبار .. تكلمت معي بالهاتف ، ووعدتها بالمرور عليها .. فانقلي لها شوقي وتحياتي .

وانتقلوا لصالون الفيلا وقد وضعت أمامهم الفاكهة والشاي الأحمر وبعض أنواع من المكسرات التي يحبها عباس، ولما استرخوا على المقاعد قالت راضية : أفهم من كلامك الصريح أنك لم تعاشر امرأة طول حياتك .

ـ أبدا يا راضية حتى أثناء عملي الأخير مع المستشفى الطائر تعرضت لي بعض الطبيبات والممرضات العاملات ضمن الفريق لمثل هذا ، فاعتذرت ، بل استغربن جدا من عدم ممارستي للجنس لذلك اليوم .. لولا معرفتي بتهاونهم في مثل هذه العلاقات لتعجبت من حياتهم البهيمية .

ـ إنما هي ثقافة سائدة عندهم .. لذلك قد تعيش المرأة عندهم مع الرجل سنوات وسنوات بدون زواج وعقد رسمي .. حسنا يا أخي الحبيب أعندك صفات معينة للمرأة التي ترغب بها زوجة لك ؟

ـ حقيقي عندي قلق كبير من الزواج ، ولكن زواج يوسف بعد وفاة المرحومة مريم من فتاة تصغره بزمن كبير رفع من معنويتي للزواج ، وأخشى في نفس الوقت أن لا أنجح في الحياة الزوجية خاصة من ناحية المعاشرة يا راضية فأحطم المرأة التي ستكون زوجة لي ..فالطلاق عليّ سهل إذا لم أعد أصلح لهن .

ـ المشكلة هذه! وهي الضعف الجنسي لدى الرجال ، وهو سبب الكثير من حالات الطلاق في كل بلاد العرب والمسلمين .. وثقافة الأفلام الشائعة تثير الشجون لدى الجنسين ، ويعتقد الرجل أنه مثل الجرذ لديه طاقة كبيرة في مخدع الزواج ، ولما يتزوج يكتشف أنه إنسان ليس حيوان .

ـ أنا أريد امرأة محترمة تقدر أنها تزوجت رجلا كهلا أو شيخا ، ولم تتزوج فتى مراهقا .. لو استطعت أن أقربها في الشهر مرة أن تحمد الله على ذلك .

ـ جيد هذا يا عباس! قرأت أن بعض الفقهاء جعلوا حظا للأنثى في الجماع مرة كل فصل أو أربعة أشهر.

ـ أبحث الفقهاء هذه المسألة يا راضية ؟!

ـ أو ليست من الدين ؟ اسمع هذه القصة التي اطلعت عليها ، وقد سمعتها أكثر من مرة من مرضاي ، يرون أن القاضي كعب بن سور أحد قضاة المسلمين في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعا ، كان جالساً عند عمر بن الخطاب ، فجاءت امرأة تمدح زوجها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجي ، والله إنه ليبيت ليله قائماً (يصلي صلاة قيام الليل) ، ويظل نهاره صائماً (تقصد صيام النفل) ، فلم يفطن عمر لمغزى مدحها وشكواها ، فاستغفر لها ، وأثنى عليها ، واستحيت المرأة وقامت راجعة .

فقال كعب : يا أمير المؤمنين : هلا أعديت المرأة على زوجها ، فلقد أبلغت إليك في الشكوى .

ففطن عمر فقال لكعب : اقض بينهما ، فإنك فهمت من أمرها ما لم أفهم

قال : فإني أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة هي

رابعتهن ، فأقضي بثلاثة أيام ولياليهن يتعبد فيهن ، ولها يوم وليلة .

فقال عمر : والله ما رأيك الأول بأعجب من الآخر ، اذهب فأنت قاض على البصرة ، نعم القاضي أنت .

أعجب عباس بقضاء كعب وعقب فقال : لها ليلة من أربع ليال .. جميلة هذه القصة منك يا راضية! .. وهل أطيق ذلك بعد أن كبرت سني ؟!

ضحكت راضية وقالت : أنت تناسبك هذه القصة فاسمعها جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقالت إن زوجها لا يصيبها فأرسل إلى زوجها فسأله ، فقال كبرت وذهبت قوتي ، فقال له : في كم تصيبها ؟ قال في كل طهر مرة (أي في الشهر الواحد) فقال عمر : اذهبي فإن فيه ما يكفي المرأة ... يتبع .

روايات اجتماعية

الأخ شريف

الحلقة ٣

ابنة العميد

فكر شريف تفكيرا معمقا مع من يتحدث في موضوع الآنسة أسماء يحيى .. هو يعلم أنها ما زالت على مقاعد الجامعة .. وفي سنتها الجامعية الأخيرة ..هكذا فهم من حديث والدها في ذلك اللقاء الخاطف .. لقد راوده خاطر بأن تكون أنهت دراستها قبل انقضاء السنة الجامعية .. فاستعرض الأسماء التي يعرفها ويمكن أن تفيده في مثل هذا الأمر .. فلم يرسُ على بر ، ولن يفيده أحد إلا بالحديث مع نفس العميد .. وهذا أمر لا يستطيعه .. فكر أن يعرف مكان سكن العميد ، ويرسل أمه للتعرف على أسرة الفتاة ، والتحدث معهم في هذه القضية الحساسة .. فوجد نفسه لا يعرف أين يقطن العميد يحيى؟ .. ولكنه قال لنفسه : هذا سهل .. مكان السكن أستطيع معرفته بواسطة أحد الضباط الكبار .. آخذ منه عنوانه .

وعاد يساوره قلقه على أمه فيهامس نفسه فيقول : هل هي الفتاة الصالحة لي ولأمي قبلي ؟! هل يقبل والدها بجلوس ابنته في البيت لمراعاة أمي ؟ رغم معرفتي بلطفه وحسن أخلاقه معنا ومع الزملاء الضباط .. فأقول هذا زواج وليس لعبة تنس أو كرة قدم .. الزواج حياة .

ولكنه عزم على معرفة مكان البيت ، وستقوم أمه بهذه المهمة السؤال والتحري .. رفع سماعة الهاتف وطلب من عامل المقسم (السنترال) أن يصله بمقدم له معرفة به أثناء إحدى الدورات والتمرينات العسكرية ، وهو مهندس أقدم منه خدمة ورتبة طبعا .. ورحب المقدم نصار به وتبادلوا التحيات ، وسأله شريف عن عنوان العميد يحيى لأمر خاص ، وتفاجأ النقيب شريف

عندما قال له المقدم نصار إنه كان منذ أيام باجتماع ضم العميد يحيى .. وسأله عن شريف ياسر فدهش شريف وقال : العميد سأل عني ؟!

ـ أجل ، وها أنت تسأل عن عنوانه ..أنا أعرف أنه يسكن في مدينة (شين) في الجهة الشـرقية ربما في حي ابن زيدون .. في بيت مستقل ليس في شقة .

شكره شريف ودعا له بخير ، ولما سمع السماعة توضع وضع هو الآخر سماعته وقال معقبا : العميد من سكان عاصمة البلاد .. حي ابن زيدون في شرق المدينة في بيت مستقل .. يا رجل هل أنت مناسب لمصاهرة مثل هذا الرجل ؟ الزواج قدر يا شريف .. تقدم ولا توجل .. كله بأمره سبحانه .

وبعد يومين أو ثلاثة من محادثة شريف ونصار رن هاتف المكتب عنده ، وسمع مأمور الاتصال

يخبره بأن العميد يحيى على الخط فرد قائلا : نعم ، يا سيدي العميد أنا شريف ياسر.

ـ أخبرني المقدم نصار أنك كنت تسأل عن عنواني هل من شيء يا بني ؟!

طبعا ارتبك شريف وضاق نفسه مع احمرار وجهه وتمالك أعصابه بسـرعة وقال : شكرا يا سيدي العميد على هذا الاتصال .. كنت أفكر بزيارتك يا سيدي .. لأسألك في شأن خاص بي

ـ ألا يمكن الحديث على التلفون ؟

ـ ممكن يا سيدي الكريم ..

ـ تفضل !

ـ أفكر يا سيدي العميد بأن أتقدم لدورة خارج القطر ، فأحببت أن أسمع نصحك ..وأنا أعيش مع والدتي وليس لها إلا أنا .. وأنا راغب بالتدريب في الخارج .. ودورات الخارج مهمة للضباط في أيامنا هذه .

ـ أحسنت ! .. على كل حال يوم الجمعة القادم كن في بيتي بين المغرب والعشاء .. ويمكنني استقبالك يا ابني للحديث معك .

ـ أشكرك يا سيدي العميد .. أشكرك الشكر الجزيل .



نزل شريف العاصمة بعد تناوله الغداء مع والدته.. فالعاصمة تبعد عن مدينة لظ ثلاث ساعات بالسيارة الصغيرة .. وبعد العصر وصل المدينة .. فذهب لأحد المساجد الكبيرة وصلى العصر ولما صلى المغرب بعد تفرج ومشي في شوارع العاصمة الكبيرة استأجر سيارة خاصة إلى حي ابن زيدون ، واستدل على البيت بحسن السؤال ، وهناك وجد العميد في استقباله ..وأعاد شريف شرح الوضع وغايته من الدورة الخارجية ، وشرح ظروفه وأن أمه تعيش معه وليس لها إلا هو

بعد وفاة والده .

فبين له العميد محاسن الدورات في الخارج ، وأنه يكسب خبرة كبيرة مع هؤلاء الأجانب، وهم يتحلون بمهارات وقدرات تدريبية كبيرة ، ولا مجال عندهم للمجاملات أثناء الدورات إلا بحدود ضيقة ، فالاستفادة منهم محققة إذا كان لدى المتدرب رغبة حقيقية في الفائدة منهم ، فيأخذ الطالب خبرة عسكرية جيدة في حياته العسكرية ، وأما الدورات الداخلية فهي مهمة للعلاقات العامة ، وهي تظهر كفاءات الفرد في بيئته، ويتعرف عليه كبار الضباط ، ويطلعون على مواهبه ، ويستفيد الفرد منها في الترقيات العسكرية، وكلما كنت قريبا لكبار الضباط والوزراء فسيراعيك المدربون والمحاضرون لعلهم ينتفعون من قريبك الضابط أو الوزير في يوم من الأيام ، أما في الدورات الخارجية لا يراعى مثل هذا الجانب .. وبين له أن الدورات العسكرية بالجملة مفيدة وبحاجة لها الضابط النبيه .. وفي نهاية البيان قال العميد الركن : وبما أن ظروفك يا بني لا تسمح لك بترك أمك بدون رعاية.. فالأفضل أن تحرص على دورات الداخل .. ويمكنك أن تدرس دراسات عليا في الجامعات المحلية .. في التاريخ العسكري أو الجغرافيا العسكرية.. أو حتى التخصصات المدنية .

ـ أيسمح لنا بذلك ؟

ـ يسمح لك بذلك خاصة كلما ارتفعت رتبتك العسكرية .. ويمكنك التقدم لكلية الأركان العسكرية .. لتأخذ دورة أركان حرب .. المجال واسع .. والأم شيء عظيم.

ـ لا يسعني إلا أن أشكرك يا سيدي العميد على سماعك لي ولنصحك لي

وفجأة قال العميد : ألم تتزوج بعد يا شريف ؟ .. لم تتحدث عن زوجتك أمامي؟

ـ لا ، يا سيدي .

ـ عليك بالزواج .. فربما إذا تزوجت فتاة طيبة تستطيع أن تعتمد عليها إذا اضطررت للسفر إلى الخارج ؛ لأنه أحيانا يحتاج الجيش إلى إيفاد ضباط لدورات خارجية قصيرة .. وللتدرب على أجهزة حديثة .. فيلزم بعض الضباط بدون اختيار يا بني .. وإذا تعين ضابط لهذه المهمة فليس هناك مجال للرفض .. فالزوجة تهون عليك الأمر أثناء الغياب

ـ فتيات اليوم تصعب حياتهن مع أمهات أزواجهنّ ..خاصة إذا تزوجت فتاة تحب العمل ومتخرجة من الجامعة .. إلا إذا تزوجت فتاة لم تتعلم في الجامعة .. ربما ترضى بالحياة مع أمي

ـ صحيح هذا الكلام إلى حد ما ؛ ولكن لا تخلو الدنيا من الطيبات ..وإذا تزوج الشاب من فتاة جاهلة وأمية فهذا سيسبب للمتعلم ضيقا وحرجا

.. كم عمرك اليوم يا شريف ؟
ـ تجاوزت الخامسة والعشرين يا سيدي العميد .
ـ لي زميل وصديق عنده بنت حلوة مثلك.. سأحدثه عنك لعله يقبلك زوجا لابنته .. ولو كان لديّ ولد لزوجته إياها .
ـ عفوا يا سيدي أليس عندك أولاد ؟!
فقال بحزن واضح للعيان : لا يا بني ، أنا وهبت ابنة واحدة فقط ؛ ولكنها ماتت منذ شهور .
فقال : أسماء ؟! ـ نعم ، أسماء .
ـ كيف ماتت يا سيدي ؟! لم أسمع بذلك .
ـ بعد انتقالي لقيادة الجيش بأيام صدمها أحدهم بسيارته المسرعة .
بدأ شريف متأثرا للغاية ومتفاجئا وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .. والله يا سيدي لم أسمع بهذه المأساة عظم الله أجرك .. وآسف على تذكيرك بها
مسح الرجل دمعة تساقطت على خده وقال : الحمد لله على كل حال .. قدر الله وما شاء فعل هذا حال الدنيا يا بني .

العروس

بعد نصف الليل بقليل وصل شريف البيت ووجد أمه ما زالت في انتظاره ، وهو كان متوقعا لذلك ، فرد السلام وقال باسما : أما زلت مستيقظة يا أمي ؟

الأم كانت تحلم بأن يعود ولدها بعروسه سريعا ، تتمنى لو تفتح عينيها فتجد ابنها مع عروسه وهي تدعو بارئها ليل نهار بأن يسهل أمر زواج فلذة كبدها ، وآخر من تبقى لها في دنياها ، ولما أنارت النور وردت السلام وجلسوا في صالة البيت قالت : أجائع ؟
ـ أكلت في العاصمة يا أمي .
ـ إنك حزين يا ولدي !
ـ أنا حزين ! فعلا أنا حزين يا أمي ..كيف عرفت ؟!
ـ من نبرات صوتك ومن وجهك.. كأنك عائد من مأتم بدلا من عرس
ـ معك حق ؛ كأنني عائد من مأتم ..الدنيا مآسي يا أمي .
ـ ألم تذهب لمقابلة العميد يحيى وترى ابنته ؟!
ـ بلى ، يا أمي .. قد التقيته ويا ليتني ما قابلته !
وضعت الأم يدها على صدرها ، وتنهدت بعمق وهمست باضطراب : رفضك! ولماذا يرفضك
ـ لم يرفضني يا أمي ، بل رحب بي ، وكان يخاطبني بيا بني .. ولكن أسماء ماتت يا أمي !
وبكت العين ، وهتفت الأم بلوعة : ماتت !!
ـ رحمها الله .. صدمتها سيارة منذ شهور وماتت .. وجدتها ميتة.. وأنا لا أعلم .
ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

ـ أسماء التي رأيتها مرة واحدة وحلمنا بأن تكون زوجا لنا .. ماتت !

قالت: أليس لها أخوات؟

ـ رحمها الله تعالى ..إنها وحيدة أبيها يا أمي .. ليس للعميد يحيى سواها .. لا ذكور ولا بنات أنجبها بعد علاج طويل .

ـ يا الهي كم الدنيا ضيقة ! ..حسبنا الله ونعم الوكيل .. سبحانه يا بني في علاه .. لا يبقى إلا هو

ـ بعدما انتقل من وحدتنا العسكرية بزمن يسير تعرضت الفتاة لحادث سير أدى إلى موتها بعد أيام على سرير المستشفى .

ـ الدنيا مليئة بالمصائب ، ومن نظر مصيبة غيره هانت عليه مصيبته .

ـ واعتذرت له عن عدم سماعي بخبر موت ابنته .. وتأسفت له عن تذكيري له بها وتجديد الحزن في قلبه .. وقال بصبر هذا قدر الله وإرادته .. وقبلني بكل رضا وقال يا ابني يا شريف هذا أمر ربنا.. وقد حثني على الزواج يا أماه ..وأنه سيسعى لدى صديق له ليخطب ابنته لي .. تصوري يا أمي الشجاعة والإحسان.. وقال لي: لو كان لي ولد لخطبتها له يا ولدي من كثرة إعجابه بتلك الفتاة وبأهلها .

ـ هذا رجل مفضال يا بني !

ـ وحبب إليّ بأخذ الدورات الداخلية حتى أبقى بقربك يا أماه .. مع أنه بين لي أن ميزات الدورات الخارجية أهم وأخطر وأفضل في حياة الضابط .. ولكنه قال من أجل الأم .. تهون كل الدورات .. وحثني على الزواج وعلى الدراسة العليا كالماجستير والدكتوراه في الهندسة وغيرها مما يفسح لي المجال لإلقاء المحاضرات في الجامعات والكليات .

ـ النفس تهفو أن ترى هذا الإنسان وأحيه لمحبته لك يا شريف .

ـ عندما أسمع بمناسبة سأفعل يا أمي حتى تريه وتتعرفي على زوجته المحترمة .. وإذا قدر الله لي الزواج من ابنة صديقه لسوف ترينه ، ونتعرف عليه أكثر، ونحسن صحبته بإذن الله .

زواج شريف

سعى العميد يحيى سعيا جادا في زواج شريف من ابنة صديقه الدكتور سمعان فارس الطبيب العامل في أحد مشافي العاصمة ، ولم يتردد شريف في قبول الدعوة من العميد للتعرف على الدكتور سمعان والتي جرت في منزل العميد يحيى ، وقبل الشاب واسطة العميد بدون أي تردد ثم قامت أم شريف وشريف بزيارة تعارف لمنزل الدكتور سمعان ، وعلى أثر هذا اللقاء وافقت الفتاة على الزواج من النقيب شريف ، وتبين لشريف أن الفتاة تعمل معلمة في قطاع التعليم والتدريس ،

وكان العميد يحيى يقوم بدور الوالد للعروسين .
وأعلن الزواج وحجزت صالة للاحتفال ، ودعي الأصدقاء والأقارب ، وشارك بعض أقارب شريف من حي العمال وغيره وبعض الجيران حفل الزواج ، ودعي فواز وعزمي ؛ ولكنهما اعتذرا لشريف لظروف خاصة .
وكان شريف ياسر يرى أن السعادة قد حلت عليه بزواجه من تلك الفتاة ، وفرحت بها أمه ، وارتاحت لها كثيرا ، وكانا قد ذهبا إلى إحدى المدن السياحية ليقضيا أول أيام الزواج .. فهذه عادة تسربت لبلاد العرب والمسلمين من اتصالهم بالغرب الأوروبي ، ولما رجعا فرحين للبيت في لظ فكانت أول زيارة لهما للعاصمة إلى بيت العميد يحيى ، الذي سر من هذه الحركة اللطيفة وقدم لهما التهاني والدعاء بالتوفيق ، وتمنى لهما السعادة والحياة الهادئة .
وكملت سعادة العروسين وحسنة بولادة يسرا على رأس الحول من الزواج ، ولدت ذكرا جميلا أطلقا عليه اسم ياسر من أجل خاطر أمه وذكرى أبيه .
ولا نكاد نصف فرحة أم شريف برؤية حفيدها ياسر ..هي تعلم أن ابنها قسيما متزوج ؛ ولكنها لم تحظ برؤية أحد من أبنائه ، فكانت الجدة تقوم بدور الأم من فرحها بالمولود الجديد وربما كانت عندها أحلى الساعات عندما تخرج أمه لعملها بعد انقضاء إجازة الولادة وتبقى هي ترعى الوليد .
وذات ليلة أخبرها شريف أنه قرر بناء البيت الذي أجله من أجل الزواج .. والذي خطط له منذ حياة أبيه .. فقد اشترى قطعة أرض في مدينة البركة ..
ولما بدأ الفتى الصغير ياسر يخطو ويمشي كان الزوجان يتهيآن لبناء البيت بما تجمع لديهم من مال .. وقد وعده الدكتور سمعان بمساعدته وتقديم القروض اللازمة له عند الحاجة والنقص ، وألا يلجأ للمصارف والبيوت المالية ، وكانت يسرا قد أصرت على المساهمة في البناء من مدخراتها ، فقبل شريف ذلك على أن يكتب البيت باسمهما معا
وعندما ولدت يسرا المولود الثاني كان الطابق الأول قد جهز ، ولم يبق إلا الأثاث والرحيل ، وكانت الأم قد طلبت من ابنها بأن يسمي مولوده الجديد بيحيى تيمنا بمعروف العميد يحيى ، ووجد ذلك قبولا طيبا لدى الزوجين ، ولما أخبر سمعان العميد يحيى بذلك اتصل بالزوجين شاكرا ومهنئا ، وأرسل لهما هدية مناسبة مع والد يسرا سمعان فارس .
وبعد تعافي الأم من آلام الوضع وقد استردت عافيتها ، انتقلت أسرة شريف إلى مدينة البركة في حي الأمل .
عندما ارتقى الأخ شريف لرتبة رائد في القوات

الهندسية ابتعث لكلية القيادة والأركان العسكرية ليؤهل أن يكون قائدا لكتيبة عسكرية ، يُمنح عادة الخريجون بعد إتمام الدراسة بنجاح درجة الماجستير في العلوم العسكرية ولقب أركان حرب ، فيقال الرائد الركن للضابط المتخرج من كلية الأركان ، ويكون ارتباط مواد المنهاج بكليات القادة بمهمة الكلية وفلسفتها التعليمية في العمل على تخريج ضابط قادر على العمل بكفاءة في المستويات التكتيكية ، وكضابط أركان حرب عام في كافة المستويات في القوات المسلحة.

ينقسم المنهج الدراسي في كليات الأركان إلى مراحل رئيسية : المرحلة الأساسية تكون بعد تأهل الضابط لهذه الدورة ، وتكون مدتها نحو أربعة أشهر، وتشمل على المواد العامة مثل التنظيم والاستخدام، والتكتيك العام ، والتدريب ، وواجبات الأركان ، والاستطلاع ،والجيوش الأجنبية، والمدفعية، والمهندسين، والحرب الكيمائية، والإشارة السلكي واللاسلكي والشؤون الإدارية، والحرب الإلكترونية، والتأمين الفني .. ويؤدي الدارس اختباراً في نهاية تلك المرحلة .

ثم المرحلة المتقدمة مدتها حوالي ثلاثة أشهر، وتشتمل هذه المرحلة على الدراسة النظرية والتطبيقية لمستوى اللواء في المعارك الهجومية والدفاعية والمسير والمعركة التصادمية ، وجميع الأحوال الخاصة مثل القتال في المدن والقتال في الأراضي الجبلية، والحصار، وفك الحصار، العمليات الليلية.

ثم المرحلة الراقية ومدتها ثلاثة أشهر كسابقتها، وتشتمل على الدراسة النظرية والتطبيقية لمستوى الفرقة في المعارك الهجومية والدفاعية والمسير والمعركة التصادمية والعمل كنسق ثاني للجيش.. فالفرقة العسكرية تكتل ضخم من أفراد الجيش ، فهي تتكون من عدد من الألوية ، ربما ثلاثة ، دروع أو مشاة ، واللواء يتكون من ثلاث كتائب ، والكتيبة من ثلاث سرايا ، والسرية من فصائل سوى وحدات الإسناد والخدمات الأخرى .

ثم تأتي المرحلة النهائية التي مدتها حوالي شهرين، وتشتمل على مشروع مركز قيادة خارجي مستوى فرقة ، مناقشة البحوث الماجستير ، والاختبار النهائي.

ولما أنهى الرائد شريف دورة الأركان العسكرية عين كقائد إحدى كتائب المشاة العسكرية ، وشارك في مناورة عسكرية أبدع فيها، فعين بعد انتهائها مساعد قائد لواء مشاة ، وأرسل إلى الولايات المتحدة الأمريكية في دورة عسكرية متقدمة ، قضى جزءا منها في ألمانيا ، فأصبح الأخ شريف حينئذ معروفا على مستوى قيادات الجيش

العليا وكبار العارفين بشؤون الضباط ، وقد كان مبرزا في جميع مشاركاته، وبعد عودته ألحق فترة بالقيادة العسكرية لبلده للاستماع لعدد من المحاضرات التثقيفية والتوجيهية ، وبينما هو يسمر ليلة في نادي ضباط القيادة مع الزملاء من وحدات الجيش المختلفة ، سأله أحد الضباط القريبين منه من قادة كتائب الدروع : هل لك يا أخ شريف أخ اسمه قسيم ياسر الكمن ؟

لم يرد شريف على الفور بل حدق في عيني زميله متفاجئا من الاستفهام، ثم قال ببطءٍ كأنه يتذكر أن له شقيقا بهذا الاسم : قسيم !! .. قسيم ياسر الكمن.. أين التقيت به ؟!

ضحك الضابط : لم ألتقِ به ، ولم أره يوما .

ـ نعم ، أنا كان لي أخ اسمه قسيم ..

ـ ميت ؟!

قال : لأ ، لي أكثر من عشر سنوات لم أره ..طردني وأنا أعوده في المستشفى المصاب فيه .. تعرض لحادث ضرب من بعض الناس ، ونقل للمستشفى ولما زرته طردني ، وطلب مني أن لا أسعى لرؤيته .. وأساء للأسف لي ولأمي .. في قصة طويلة .. وهجرنا ، ومن ذلك الحين لا نعرف عنه شيئا ..حدثني عنه .

ـ قسيم ياسر الكمن شقيق لك .

ـ نعم .. هذا اسم أخي الأكبر المختفي منذ عهد ليس بالقصير .. أين سمعت عنه يا سيدي ؟!

ـ ربما خمس عشرة سنة لم تروه ؟!

ـ ربما كل هذه السنوات .. لقد نسيناه كما نسينا يا رجل.. مات والده ولم يحضـر جنازته ، ولم يشارك في العزاء .. قصة مرة !

ـ على كل حال .. هو الآن في السجن .. متهم في قضية قتل .

بهت شريف وهتف للمفاجأة : قتل !! .. يا الهي !

ـ لي أخ من جيلي ضابط أمن في السجون .. جرى حديث بيننا ، وذكرت اسمك أمامه ذات ليلة فقال لي عندي في السجن شخص اسمه قسيم الكمن.. ذكر لي مرة أن له أخا ضابطا كبيرا في الجيش اسمه شريف الكمن .. فلما ذكرت اسمك أمامه تذكر ذلك السجين .. وذكر ذلك السجين .

ـ كيف جريمته ؟!

ـ لا أدري بالضبط كيف تفاصيلها ؟.. ولكني فهمت من أخي أنها جريمة قتل ، وهو شريك فيها .. وكأن الجريمة قتل زوجته .

ـ زوجته المقتولة !! .. يا الهي ! .. إذا علمت لي تفاصيل الجريمة .. ولم يكن في هذا إزعاج لك فأرجو أن تعرفني بالتفاصيل ، قد أتمكن من مساعدته بشـيء أو بمحامي .. وسألخص لك فصلا من سيرته يا رائد سمير لتتضح الصورة لديك .

اختصر شريف قصة أخيه قسيم للضابط سمير الذي قال معقبا على ما سمع : مات أبوك وهو عليه غاضب!.. هذا عاقبة العقوق يا شريف.. ثم يتزوج بغي!.. معذرة مما تفوهت به .

ـ لا عليك ، هذا هو الصواب .. هذا ما نقل لنا من قريب لنا اسمه همام كان يلتقي به في العاصمة بعد حادثة المستشفى التي ذكرتها لك لم يأت بيتنا في حي العمال .. ولما دخل والده المستشفى طلبت أمي من همام أن ينقل إليه مرض أبيه ..ولم يأت .. ومات أبونا وهو يرفض المجيء لرؤيته وهذه المرة الوحيدة التي أسمع عنه خبرا بعد وفاة أبي رحمه الله تعالى .. وهذا المستقبل الرديء كنت أتوقعه له .. وهذه عاقبة الشر عامة !

أخبار عن قسيم

وفي اللقاء التالي الذي جمع بين شريف وسمير قال الأخير : لقد جاء أخي بملخص القصة يا أبا ياسر .. واعلم أولا أن أخاك له خمس سنوات في السجن ..وهو محكوم بخمس عشرة سنة مع الأشغال الشاقة .. وهو مشارك في الجريمة مع أخوين لزوجته .. وقد قتل معها رجل آخر .. كان موجودا معها في البيت ..أنا آسف .

قال شريف : لا عليك .. هذا نتيجة سوء الاختيار .. هذا واقع حدث فهل نهرب منه ؟.. فأخي فاسد وفاشل .. وقد حاولنا تقويمه وإعادته للأخلاق الحسنة .. لكنه كان معتدا مغرورا بقوله وأفكاره .. تابع

ـ القضية يا سيدي كما فهمت من أخي .. أن زوجة أخيك امرأة فاسدة من قبل الزواج منها .. سجل لها الأمن قضايا أخلاقية قبل لقائها بأخيك قسيم .. ولكن لما كشف إخوتها علاقتها الجنسية بأخيك وكانت حاملا .. ألزموه بالزواج منها وهددوه بالقتل .. وهم معروفون بالشراسة والإجرام .. فرضخ للتهديد وتزوج الفتاة ، وعاش معها كزوجة شرعية .. ومع غيرها من بنات الليل والزانيات .. وقد ثبت عليه أنه كان يأتي بالعشيقات للبيت على سمع وبصر زوجته .. ويطردها ليعاشر عشيقاته في بيتهم .. بل سمح لبعض الناس باتخاذ بيته للدعارة ، كما تكشف ذلك أثناء التحقيق في الجريمة .. بل تكشف أيضا عن دعارة جماعية كانت تحدث في غرفة نومه ..حتى أن بعض إخوة زوجته شاركوا في مثل هذه القبائح والمفاسد .. رياح انحلال الحضارة الغربية يا سيدي وصلت إليهم في الانحلال والفجور.

ـ حسبنا الله ونعم الوكيل ، هذا ما يكسبه الناس من مشاهدة أفلام الجنس والإباحية ، التحلل من الأخلاق .. أمر فظيع يثير الاشمئزاز والقرف في النفوس الحية! ثم ماذا أيضا ؟!

ـ وكانت زوجته أمام هذا الواقع المتحلل والوقاحة تتخذ بدورها العشاق وتحضـرهم للبيت في فترة غياب رجلها عن البيت .. فهو كما أخبرتني يعمل سائقا على سيارة أجرة .. وهو عندما حدثت الجريمة كان يعمل في نفس هذه المهنة .

ـ صحيح .. مأساة !..فعندما تذهب الأخلاق والمروءة .. فيهون عليه كل شيء .

ـ ثم أحس أخوك أو قد اخبر أن زوجته تفعل ما يفعله من ورائه ، وأنها تخونه في وسط بيته.. فحدث بعض إخوتها بذلك الأمر ، فرفضوا أن يصدقوه وزعموا أن أختهم شريفة مع علمهم بقصة زواجها منه ، وإنما يريد التخلص منها لدعارته وفجوره .. وأكدوا له أنها بعد زواجها هدأت وعقلت وصلحت .. واتفقوا أن يعملوا لها كمينا قبل أن يطلقها كما هدد .. فيبدوا أنه بعد معاشرته لهم عرف نقاط ضعفهم .. فاستقوى عليهم بتهديده ، ووافقوا على خطته .. خرج كعادته في الصباح للعمل ، وبعد ساعة عاد ومعه اثنان من إخوة البنت ، وتسللوا للغرفة فوجدوا المرأة عارية والرجل العشيق مثلها مضطجعين على السـرير يأكلون بعض قطع الشوكولاتة أمام هذا المشهد المثير قتلوهما بالسكاكين على الفور.. وسلموا أنفسهم للشرطة.. هذه هي القصة يا أبا ياسر .

خيم الوجوم على شريف والحزن ثم قال : قصة محرقة وكلها خزي!.. هل لأخي أولاد من تلك العاهرة ؟ . . أوصل لمسمع أخيك شيئا من ذلك ؟

ـ نعم ، وتوقعت سؤالك عن ذلك ، وعلمت من أخي أن لهم ولدين فقط .. ولكنهما لم يكونا يعيشان مع والديهم ، كانا عند أم زوجة قسيم .. كان أخوك يضربهما ويسـيء إليهما ويتهمهما بأنهما ليس منه .. فأخذتهم جدتهما لأمهم ، وهم عند مقتل أمهم كان أحدهما في العاشرة والآخر يزيد عنه بسنتين ..

ـ أيحتاج الأمر لمحامي بعد كل هذه السنوات ؟

ـ الحكم صدر والتنفيذ جارٍ .. وإعادة المحكمة لا تفيد شيئا لأنهم اعترفوا بجريمتهم وأدينوا وهم لم يأخذوا حكم إعدام لأنها تعتبر من قضايا العرض والشرف .. وهم لم يأخذوا حكما مخففا بشكل كامل .. إنما خفف عنهم الإعدام والمؤبد ..

فتبسم شريف وقال كأنه متهكما : أين الشرف ؟! لقد حاولت أمي تقويم هذا الإنسان .. ولكن الدموع لا تقوّم الرجال يا أخ سمير .. حاولت إبقاءه في المدرسة .. ولكنه أصر على الفشل ، وأن الأسرة بحاجة لمن يعيلها ..فأصبحت الأسرة تعيله وتراعيه لعله يعود .. ولكن دون فائدة وهاجر للعاصمة للمال والعمل الأكثر .. حقيقة

سيرة لا تسر أيها الصديق .. الحمد لله على كل حال ..لابد من زيارته .

ـ الزيارة مسموح بها وحسب المواعيد المقررة .. وسأحدث أخي ليرتب لك زيارة خاصة .. هل ستأتي أمك معك ؟

ـ لم أحدثها بشيء بعد ولن أروي لها شيئا مما سمعت وبعد زيارته لسوف أطلعها على شيء من قصته .. فهو ابنها لابد أن ترى ابنها العاق .

ـ سأكلم أخي بموضوع زيارتك وأنا آسف لإزعاجك بحديث أخيك .

ـ بل جزاك الله خيرا .. نحن لنا سنوات وسنوات لم نسمع عنه شيئا أكيدا .. فهذه القصة لم نسمعها من أحد غيرك ..هو أخي ولكنه كان بعيدا عن كل معارفه من أهل البركة .. كانوا يلتقون صدفة في السيارة في الشارع في المطعم .. ولو عرفت هذه القصة لأهل البركة لنقلت لأمي من قريباتها .. أو لعلهم عرفوا وصمتوا لخروجنا بعد موت أبي من بينهم .. ولكني أذكر أني تزوجت منذ عهد قريب ..ورأت بعض الجيران فالراجح لي أنهم لا يعرفون هم شريف

كانت حسنة أم قسيم تعرف متى يكون شريف منزعجا وقلقا من شيء يخص البيت والأسرة من النظر في وجهه وعينيه؟ فمنذ أيام والرجل يخفي ألما وحزنا ويبدوان واضحين على قسمات وجهه ، وكان يلزم الصمت وهي تنتظر أن يتكلم كعادته التي تعرفها فيه ، وظنت في نفسها أول الأمر أن بين الزوجين مشكلة خاصة ، فظلت محافظة على صمتها حتى طفح الكيل كما يقال ، فقالت لكنتها يوما : إنني أرى أبا ياسر منذ أيام مشغول الذهن يا أم ياسر هل من شيء يقلقه ؟

فقالت يسرا : وأنا مثلك لاحظت ذلك ؛ ولكنه صامت ، وقلت لنفسي ربما هناك شيء في العمل ففرحت الأم بهذا الرد وقالت والسعادة تطل من عينيها : خشيت يا ابنتي أن يكون بينكم زعل شيء .. فلم أحب سؤاله عن ذلك .

ـ أبدا يا أمي .. كسائر الأزواج تحدث بيننا مماحكات خفيفة نسيطر عليها فورا ونتمالك أعصابنا أنا سعيدة جدا بزوجي وهو نعم الرجل

ـ وأنت نعم الفتاة والزوجة .. سعادتك هي سعادتي .. ولسوف أسأله الليلة فأنا أعرف ابني عندما يكون متضايقا من شيء خاص بنا.. بالبيت .. فضيق العمل ومتاعبه اعتاد أن ينساه بعد خروجه من مكان عمله .. لأنه يعتبر ذلك من لوازم العمل مهما كان .. قد لاحظت ذلك منذ أسبوع فاستحييت أن أحشر نفسي بينكم

ـ أبدا ..أنت أم رائعة ! واحشري نفسك بيننا ..عِشرة سنوات يا أمي .. اطمئني ليس من سوء بيني وبين العزيز شريف .. كلنا عيوب .. لا يخلو

منها البشر !

ـ أنت بنت فاضلة ، وأنا أقدرك وأحبك كثيرا .

ـ أعلم ذلك الحب يا عمتي .. وأنا سعيد جدا بوجودك معنا .. فأنت نور حياتنا وبيتنا.. ولا أشعر بأي ضيق نحوك ..وأنا لن أجد حماة مثلك .. وأمي وأبي دائما يثنيان عليك الثناء الجميل ويمدحان أخلاقك .

قالت : بارك الله فيك يا بنية ، وبارك الله في أهلك .. وجزى الله العميد يحيى خير الجزاء أن اختارك قرينة صالحة لشريف .

ـ نعم الصديق لأبي .. فكان كلما يراني يقول مبتسما آه ، يا يسرا لو عندي ولد لكنت أفضل زوجة له بإذن الله .. فسر أبي لما رآه يتدخل في زواجي ، وفاجأنا حقيقة باختياره يا أمي .

ـ الحمد لله .. الحمد لله .. بوركت يا ابنتي .. سأتكلم مع شريف ؛ لأنني لا أحب أن أراه منزعجا .. يبدو لي أنه عرف شيئا مزعجا عن أخيه التائه .. وقسيم ليس وراءه إلا الأخبار السيئة هداه الله .

ـ افعلي كما تشائين يا أمي الطيبة .. حتى أحفادك الأعزاء يحبونك أكثر منا .. لقد تعلقوا بك .

ـ حفظهم الله .. إنهم أولادي يا عزيزتي .. أنا حرمت من الذرية قبل مرض أبي قسيم .. حملت مرتين بعد ولادة شريف وأسقطت الحمل بعد شهرين تقريبا من كل حمل .. ثم علمت أن عندي مشاكل داخلية لا تسمح لي بالحمل وتحتاج إلى علاج مستمر والنتيجة غير مضمونة .. فرضينا بقسمة ربنا واكتفينا بشريف وقسيم الذي لا نعرف عنه شيئا منذ سنوات .

اطمأنت وارتاحت الأم حسنة على أن الزعل المرتسم على وجه ابنها لم يكن بينه وبين زوجه ، فقد وضعت في قلبها أن لا تتدخل بين الزوجين مهما حدث ، ومهما سمعت إلا إذا طلب منها الطرفان أن تتدخل ، ولكن الفتاة كانت طيبة وتحسن معاشرتها ، ولم تتبرم يوما من مشاركتها حياتهم ، وتتعامل معها كأم ثانية لها ، لذلك كان الاحترام بينهم متبادلا ، ولم تنظر يسرا لنفسها بأنها ابنة دكتور وعائلة غنية ، فهي تتحمل مسؤوليتها كاملة ، وتعرف لكل ذي حق حقه ومقامه

والأم حسنة منذ دخل ابنها شريف الكلية العسكرية اعتبرته رجلا ، ولم تحاول التدخل في خططه وتفكيره إلا إذا فتح لها قلبه وأحب سماع مشورتها فكانت تتكلم وتبدي مشورتها ورأيها ، وشريف كما مر معنا في الصفحات السابقة قد تحمل المسؤولية بقوة ، وعلم المطلوب منه لتسير السفينة بكل سلام وأمان .

وكانت مشاكل الزوجين والحياة الزوجية واختلاف وجهات النظر بينهما تحل داخل غرفة

النوم بالتشاور وسعة الصدر ، وفهم كل منهما طريقة تفكير الآخر ، ووعيا قول النبي ﷺ (كلكم راع ومسؤول عن رعيته) .. ولم يتخلل حياتهم لحتى الآن مشكلة معقدة وكبيرة ، ويسرا سمعان استوعبت أم شريف وارتاحت لها .. فمشت الحياة هادئة منسابة كالماء المنهمر في نهر هادئ ، وكانا لا يتحدثان في مشاكل عملهما أمام بعضهما إلا في القليل النادر ، وخاصة شريف لأنه يعمل في مؤسسة مهمة، وليس من المستحسن ذكر قضاياها وهمومها أمام الناس .

لذلك لما رجع ذلك المساء ، وكانت الوجبة الرئيسية عندهم وجبة العشاء ، لأنه في فترة الغداء يكون في عمله ووظيفته ، وهم يحبون الاجتماع على المائدة ، فلما لبس ملابس البيت وصلى صلاة العصر ـ لأن الصلاة تدركه وهو في الطريق ـ التف الجميع حول المائدة المستقرة في المطبخ .. ولما ترفع الصحون والأوعية يتحولون إلى صالة البيت أو ما يسمى الصالون ..فتقدم لهم الخادمة الشاي ، وتضع أمامهم الفواكه ، فإما يتفرجون على برامج التلفزيون ، أو يتحدثون بما عندهم من أخبار الأهل أو ما قرأ أحدهم من خبر مثير في الجرائد .. وعند صلاة العشاء .. يذهب شريف للمسجد القريب إن وجد في نفسه خفة ونشاط بعد وجبة العشاء الدسمة في الغالب .. أو يصلي في البيت إذا كان مثقلا من الطعام .. ثم تقدم لهم القهوة في الصالون .. أو في أماكن تواجدهم لأن الأخ شريفا أحيانا كثيرة بعد صلاة العشاء يدخل المكتبة الصغيرة التي كونها في منزله فيصلي فيها العشاء ويبقى جالسا فيها ، فتأتيه القهوة تحملها زوجته أو أمه أو الخادمة .. فيتحدثون قليلا ، ثم يتركونه يقرأ .. ومكتبته هي مكتبه في البيت .. وتخرج الأم إلى الصالون لتشاهد مسلسلات التلفزيون أو تستمع لمحاضرة أو ندوة .. وأحيانا تجالسها يسرا وأحيانا أخرى تبقى فريدة وحدها لاشتغال يسرا بتحضير دروس مدرستها أو تصحيح كراسات الاختبارات .

ذاك المساء الذي حسمت حسنة فيه قرارها بمفاتحة شريف بالذي يضايقه فلذلك بعدما انتهى شريف من صلاته وطلب القهوة قالت له أمه هامسة : مالك يا شريف ؟!

ـ مالي !!

ـ لا يخفى عليّ حالك !..أهناك شيء عن قسيم ؟

ـ قسيم !!

ـ نعم ، لي أيام ألحظ حزنك وضيقك وأنت لائذ بالصمت لا تنفس عن نفسك .. والسرحان واضح عليك .. ولما تأكدت من عدم وجود شيء بينك وبين يسرا .. قلت الأمر يهمني أنا .. ولا يهمني في هذه الدنيا إلا أنت وأخوك .

نظر شريف إلى أمه وهو متعجب كما يقولون من حاسة الأم وابتسم ورد : أنا أعلم أنك تحبين الحديث معي من أيام .. عشرة عمر يا أمي .. تهمين بمفاتحتي بأمر ثم تكفين .. وأنا لم يكن لدي المعلومات الكافية .. فمثلك متردد في إسماعك أخبار أخي قسيم .

ـ أشركنا في همك يا ولدي .

ـ الهم يا أمي هو قسيم .

ـ ماله ؟!

قال : وصلني منذ أيام مضت أخبار سيئة عنه .

ـ مات ؟!

ـ أتخيل لو مات لوصلنا الخبر أسرع .. لا ، لم يمت ولكنه كميت يا أمي .. أيحتمل قلبك أخباره يا أمي ؟

ـ سيحتمل ، فقلبي تعود على تحمل المآسي يا شريف .. هكذا حوادث الدنيا بين نعم كبيرة ، ربما لا يحتملها القلب ، وبين نقم ونكبات يحتملها القلب .. تكلم .

قال : آه يا أماه! .. يجب أن أتكلم .. قسيم في السجن منذ سنوات .

ـ في السجن !.. وهذا الذي يضايقك .. وهل هذه أول مرة أسمع أنه في السجن يا أبا ياسر .. رجل عاق لوالديه أين سيكون ؟

ـ سمعنا من قبل مثل هذه الأخبار ؛ ولكنه هذه المرة مسجون بقتل زوجته .. وضعت يدها على صدرها وتابع شريف كلامه : ألم تسمعي أبا همام يخبرنا يوما أنه تزوج رغم أنفه ؟

ـ سمعت ، قال لي ذلك العم أبو همام .

روى لها شريف ما سمعه من الضابط سمير ، ولما انتهى قالت : لا حول ولا قوة إلا بالله .. هذا يا بني نتيجة المشي في طريق الضلال والزيغ ، والمشي مع أولاد الفجور والحرام والنساء الفاجرات .

لم تبك أم قسيم كما توقع شريف ، ولكنه أدرك الحزن الذي يغمر قلبها ، وتساءل هل مات حب قسيم من قلبها أو ضعف؟ ثم قال بعد فترة صمت : طلبت من صديقي الرائد سمير أن يؤمن لي زيارة خاصة عن طريق أخيه الضابط في السجن .. ولما كلمه الضابط محمود أخو سمير برغبتنا بزيارته ، وأننا قد علمنا بحبسه حديثا ، قال للضابط بغضب : هم لا يعرفون أنني مرمي هنا منذ خمس سنين .. كل البلد تعرف أنني مسجون .. فأكد له الضابط جهلنا ، وأنه لم يرسل رسالة يخبرنا بها ، وأننا لا نعرف عنه شيئا منذ خمس عشرة سنة ..فقال لصديقنا هؤلاء كذبة فجرة .. هم يعرفون كل شيء ؛ ولكنهم يستعرون مني .. لا أريد رؤية أحد منهم .. أنا لا أعرفهم .. فقال له الضابط : استقبل أمك وحدها .. رفض يا أماه .. ولما أخبره الضابط بموت أبيه قال سمعت وسب أباه

وشتمنا جميعا .. وما زال الضابط يحاول إقناعه بلقيانا .

ـ لا تحزن يا ولدي .. فقسيم منذ رحل من البركة تغير وقسى قلبه .. كان لا يأتينا إلا إذا احتاج لمال أو لم يجد أحدا يطعمه .. لقد غرق في الفساد وشرب الخمر وارتياد دور البغاء .. يعود إلينا ليس للسؤال عن أحوالنا وحاجتنا ويعطينا .. يطل ليأخذ فأعطيه بعض الدنانير فيعود من حيث أتى .. لقد نصحت وبكيت أمامه وترجيته أن يمشي على الطريق السوي على الصراط المستقيم وأن والده غاضب عليه .. فلم يهتز له شارب ، ويقول إذا لم نتمتع بشبابنا متى سنتمتع ؟!.. عندما نشل مثل أبينا .. فألزم الصمت راجيا ربي تغيير الحال .. لكن الحمد لله ـ ورفعت يديها إلى السماء ـ الحمد لله .. الله عوضني بك خيرا .. وها هو وحده أكرمنا بأم ياسر البنت الحلال الأميرة الرائعة .. اجعلها في بؤبؤ عينيك يا شريف .. قسيم لا تشغل فكرك فيه .. انتهى من حياتنا كما يحب هو .. دع عنك الحزن يا شريف .. فقد تعودنا على غيابه .. حسبنا الله ونعم الوكيل .

الميراث

سعى شريف بعد فشله بلقاء أخيه للوصول إلى أبناء أخيه بمساعدة الضابط محمود أخو زميله سمير، فسأل الضابط محمود قسيما عن مصير أولاده ، ولماذا لا يأتون لزيارته ؟ فرد قسيم عليه بجفاء إنهم ليسوا أولاده ، وإنهم يحملون اسمه كرها وغصبا عنه عندما كان ضعيفا وجبانا عندما استسلم للزواج من أمهم رغم أنفه ، وذكر له أن المرأة الخائنة إذا خانت مرة استمرأت الخيانة ، وعندما وصل هذه الكلام لأشقاء زوجته المقتولة ، رفاقه في السجن والحكم ، نشب بينهم صراع وتهديد بالقتل داخل السجن ، حتى اضطرت إدارة السجن إلى نقل أشقاء المرأة إلى سجن آخر.

فشل شريف من مشاهدة أخيه ورفضه لزيارته رغم كثرة المحاولات والشفاعات ، ولم يفصح عن مصير أولاده للضابط محمود ، سعى الضابط محمود لمعرفة مصيرهم بواسطة دوائر الأمن الأخرى ، وتبين لهم أنهم كانوا يعيشون مع جدتهم أم البنت المقتولة التي وضعتهم بنفسها في بعض دور الأيتام ، ولما تبين لهم أنهم ليسوا بأيتام أعادوهم للمرأة الجدة ، ولعدم اهتمام الأم والأب بهم أخذتهم جمعية تبشيرية ، وفي الحقيقية تنصيرية ، وقامت على رعايتهم فترة من الزمن ثم أخرجوهم من البلاد بدون علم أحد .. وثبت لرجال الشرطة أنهما لم يقتلا ، وإنما تم تصديرهم لدول النصارى وخاصة أمريكا الشمالية لحياة أفضل من حياتهم هنا بعد أن نبذهم أهلوهم ، وقد غيرت أسماؤهم وأصبحوا نصارى بعد تعميدهم

كعادة النصارى .. وإلى هنا وقفت تحريات البوليس ، وتركت للأهل إقامة دعوى طلبهم وإعادتهم ، ولكن الأب يرفض ويصر على البراءة من أبوتهم ، وأمهم هالكة .. فلزمت الشـرطة الصمت .. وكان قسيم مسرورا لاختفائهم من حياته للأبد .

وتألم شريف وأمه لهذا المصير السيء للطفلين ، وليس باستطاعتهم فعل شيء أمام عناد قسيم وسروره بهذا الأمر ، كما أعلن لهم الضابط محمود ذلك .. وما دام الأهل لا يستطيعون تقديم قضية للمحاكم المختصة .. فالحكومة ليست ملزمة في متابعة الموضوع ورفع قضية للمحاكم الدولية .. لأن الأمر سيبدو أمام المحاكم باختيار الوالدين ، ولم تكن هناك عملية بيع .. وصدم شريف من تخلي أخيه عن ولديه بسهولة وقال لنفسه مواسيا : هو أعلم بهم ..وإنهم لا يحملون سوى اسمه .. قد يكون هذا صحيحا !

وبعد حين من الألم والضيق رجع الهدوء لبيت شريف ، ولكن ظل يراودهم الأمل بأن يطلب قسيم لقاءهم والاجتماع بأمه .. وخرج قسيم من السجن بعد قضاء مدة الحبس كاملة ، ولم يحن لصدر أمه ، ولا لأخيه ، وظل مكابرا ومصـرا على عدم رؤيتهم وسماع صوتهم ومعانقتهم.

انتقل الأخ شريف للعمل في قيادة الجيش في قسم إدارة مشتريات الأدوات والمواد الهندسية في الجيش خاصة الوحدات الهندسية ، وكانت الحياة العسكرية تسير على خير ما يرام ، ولا تخلو الحياة بالطبع من المنغصات المعتادة من مشاكل العمل ، ومن موت صديق أو رفيق أو حتى من مرض الإنسان نفسه أو أحد أفراد أسرته .. لابد من هموم وغموم وأحزان هكذا سنة الحياة .. وحتى صاحبنا شريف نفسه دخل المستشفى العسكري عدة مرات لعلاج مرض عارض أو قلع ضرس أو لإجراء فحوص طبية .. ولكن بالمجمل كانت حياته رتيبة وطيبة بفضل من الله ﷻ

وبعد حين يسير من عمله في قسم المشتريات عين مساعدا لمدير القسم الهندسي في القوات المسلحة كلها، وكانت بين يديه صلاحيات وأعمال كثيرة ، منها متابعة التدريبات والصناعات الهندسية داخل مصانع الجيش ومعسكراته ، الحرب الكيماوية ، الجسور الخاصة لسير الدبابات وناقلات الجنود عليها، وهندسة المتفجرات والألغام ، وبعض المحاضرات في كليات الجيش وأسلحته المختلفة.

وعلى حين غرة جاءته رسالة من أخيه قسيم ، وكان قد علم من بعض معارفه في الأجهزة الأمنية والشرطية بخروج أخيه من السجن ، وتفاجأ حقا من خطاب أخيه الذي جاءه على قيادة الجيش وكان فيه إخباره بخروجه من السجن ، وأنه ما

زال يكرهه ، ويتمنى له التعاسة والمصائب والموت ، وبين السبب الذي دفعه لكتابة هذه الرسالة وهو المطالبة بميراث أبيه .

ألقى شريف الخطاب أمامه على المكتب ، وابتسم استغرابا وقال : ميراث أبي !! ميراث أبي !! هل ترك أبي شيئا ؟! .. حسب علمي أن أبي مات ولم يترك شيئا .. لم يدع وراءه درهما ولا دينارا ليطالب به هذا المجنون .. من قال له إن أباه ترك ميراثا ؟؟

وعاد وتابع قراءة الرسالة التي وجدها مليئة بالسب والتهديد إذا لم يحصل على الميراث المزعوم وتفاجأ في نهايتها بوجود رقم هاتف يمكنه الاتصال عليه لتسوية الميراث .

أعاد قراءتها ثانية وقال لنفسه : إنه بحاجة لفلوس ..أنا على استعداد لمساعدته إذا تعهد بالتوبة والأوبة .

ورفع سماعة الهاتف واتصل بالرقم الموجود على الورقة ، فوجده محل بقالة صغير في قلب العاصمة ، ولما أخبره الرجل أن أخاه ليس قريبا منه ، وعده بالاتصال ثانية في الساعة الثانية ظهرا ، فلينتظر مكالمته .

وما كاد يترك الهاتف حتى رن فرفعها ثانية وقال : نعم .. أهلا فواز .

فواز : هل صحيح أنه ثبت تخابر لعزمي مع جهة معادية ؟

ـ أنت أدرى يا أخي .. ألست في قسم الأمن العسكري ؟

ـ أنا أختي عبير حدثتني بذلك ، قالت إن زوجها عزميا مشتبه به في قضية أمنية ، وإنها علمت ذلك من قسم الهندسة حيث تعملون ؟!

ـ على كل حال أنا سمعت مثلما سمعتم .. ولكن ليس لدينا أوراق رسمية في عملية تخابر مع جهات معادية لمهندسي القيادة .. هل تحدثت معه ؟

ـ ممنوع الاتصال به .. هو موقوف في قسم مكافحة التجسس العسكري .. لقد توقعت وأملت أن يكون لديك المزيد من المعلومات .. رغم خطورة ما تحدثنا به .. فمعذرة وشكرا لك .

عندما وضع شريف السماعة عاودته الذكريات القديمة أيام تعرفه على عبير التي أصبحت فيما بعد زوجة لصديقه عزمي ..ورغم معرفة عزمي بأسرار عبير .. فقد تزوجها بعدما تركها زوجها الأول الذي طلبت منه الطلاق قبل أن تكتمل السنة الأولى للزواج .. فتقدم لها عزمي وقبلت به وتزوجا ..

وتذكر أنهم ابتعدوا عنه بعد زيارتهم لبيته أيام حي العمال في مدينة البركة .. وتذكر بعد ذلك أن الأمن العسكري اشتبه بعزمي هو ومجموعة من الضباط بالتخابر مع جهات أجنبية والعمل لصالحها داخل قيادة العسكر .. وهو يعلم أن الأمر لا يعدو سوى

تحقيقات أولية .. ولم تكشف كل الخلية .. وقد لا تحدث محاكمات .. فهو يعلم أن بعض الضباط تستهويهم الاتصالات الخارجية للحصول على جنسيات أخرى ، والرحيل لتلك البلاد عند التقاعد والانصراف من حياة الجيش .. للحياة في بلاد الأجانب .. فتراهم يتهاونون في نقل أسرار الجيش وصفقات السلاح لتلك الدول طمعا بجواز سفر أجنبي .

ولما بلغت الساعة الثانية بعد الظهر اتصل شريف بالبقالة وعرف بنفسه ، وسمع البقال ينادي على أخيه قسيم فقال : أهلا يا قسيم .. الحمد لله على السلامة .. السلام عليكم .

ـ لا سلام ولا كلام .. أنت عدو لي .. أنا مضطر للحديث معك .. أريد حصتي من ميراث أبيك ياسر.

ـ رحمه الله .. يا رجل قبل ميراث أبيك ..اسأل عن أمك.. التي ربتك وعانت من أجلك ما عانت وما زالت ، والتي كانت تصرف عليك من المال الذي كانت توفره .

ـ أنا لا أم لي ولا أهل .

ـ ليس لك أم ولا أهل ، ولماذا تطلب ميراث أبيك ؟.. إذا كان له ميراث

ـ أبي لم يقف ضدي ولم يعادني .

ـ أنت عاديت نفسك .. أنت عدو نفسك ..

لنتقابل لنعرف هذا الميراث المزعوم الذي تطالب به .. أمك حسنة رغبتها أن تراك قبل أن تموت

ـ أنا أريد فقط ميراث أبي .

ـ وهل تأخذ ميراث أبيك على الهاتف؟.. تعال على القيادة .. سأنتظرك على الباب وندخل النادي الخاص .. ونتحدث عن ميراث أبيك ..وما هو ميراث أبيك ؟.. ذكرني به ؟

ـ ما زلت لا تعرف الميراث يا حضرة الباشا ؟ .. ميراث أبي يا حضرة الباشا .. الدار .. ألم يترك أبي لنا الدار ؟ .. وقد بعتها لفلان من الناس .

ضحك شريف وقال : بعتها !! .. هكذا قالوا لك .. لابد من المقابلة للحديث بموضوع الدار

أين قسيم

انتظر شريف أسبوعا كاملا ليتصل به أخوه قسيم وآخر ولم يحدث الاتصال ، وكلما تحدث مع البقال أخبره بأنه لم يره منذ حين ، فأخذ



منه عنوان البقالة ، وزار المكان وتعرف على البقال ، وسعى لرؤية أخيه أكثر من مرة ؛ ولكنه لم يوفق إلى ذلك ، ونتيجة لهذا الغموض زار شريف صديقا له من كبار ضباط الأمن والشرطة ، ومن رجال البحث الجنائي ، وفاتحه بموضوع قسيم

وأعلمه شريف بأن هذا الرجل شقيقه، وطلب منه أن يساعده باللقاء به ، فأخبره الضابط أن هذا الرجل معروف لدى دوائر الشرطة وأنه سجين سابق.. ولكنه تفاجأ بأنه شقيق له ، فأطلعه شريف على طرف من حكايتهم ، ووعده الضابط أن يسأل له عنه قائلا : إذا عرفت عنه شيئا سأخبرك بك .

ـ اتصل يا سيدي على مكتبي في قيادة الجيش .

كان شريف يعتقد أن أخاه بعد خروجه من السجن بعد كل هذه السنوات خلف القبضان سيعود للطريق السوي ، وأنه أخذ درسا مفيدا من قضائه كل هذه المدة وراء القضبان ، وسيترك الفجور ، ويكف عن الشرور ، ويبدأ حياة جديدة ، فكان يطمح بأن يساعده ماديا ومعنويا ، ويعينه على الزواج من جديد لعل وعسى .. ويصفى قلبه تجاه أمه وأخيه ، وبعد محادثته لقائد البحث الجنائي العام ، تلقى اتصالا من العميد دبور فقال لشـريف : بعدما عرفتني بأخيك بل على اسم أخيك .. وبينت لي رغبتك بمساعدته على ابتداء حياة نظيفة وجديدة وإبعاده عن حياة الضياع .. وأنا مهتم بأمره يا سيدي !

ـ لك مني أفضل الشكر ، وجزاك الله خير الجزاء يا سيدي .. أحب أن أخلي ذمتي نحوه .. وهو أخي مهما انحرف وضل .. وتلزمني رعايته إذا تعاون معي ورغب بحياة صافية هادئة.. فهو الآن بلا زوجة ولا أولاد .. ولا مأوى .

ـ جميل منك هذا أيها الأخ الكريم !.. ضابط كبير مثلك يفعل ذلك أو يسعى لذلك فهذا نبل نادر .. فبعض الناس ربما يستعر من ذلك ويخفيه .. المهم أنني قمت بالاتصالات اللازمة والدقيقة .. فتبين لي أنه بعد تاريخ مكالمتك معه خرج من البلد .. قد سافر لجزيرة قبرص.

ـ سافر ؟!

ـ نعم ، بعدما أطلق سراحه وقضاؤه مدة الحكم ، جدد جواز سفره ، وهو غير ممنوع من السفر فقد قضى محكوميته كاملة.. وهو غير مطلوب للإنتربول الدولي ، هو قد كان مجرما محليا وغير متابع دوليا.. وعلمت ذلك من رجالنا في المطار لأنه سافر جوا ، وقد كان بصحبة فتاة اسمها أو تسمي نفسها نبيلة زوف يبدو أنها أجنبية متعربة



ـ والفلوس ؟!

ـ السجن يا سيدي العميد يسمح للسجناء بالعمل داخله .. ليعيل نفسه وأسرته إذا كان متزوجا ..وفي السجن يتعلمون الحرف والمهن المختلفة حتى إذا خرجوا منه ، وأحبوا الحياة

الكريمة يكون لديهم حرفة يعملون بها .

ـ ما العمل الآن يا سيدي العميد ؟

قال : عندما يدخل البلد بإذن الله تعالى سأتحدث معك ، فقد طلبت من رجالنا المساعدة في هذه الخدمة لحضرتكم ..وأنا أقدر شجاعتك وحبك لأخيك رغم سمعته السيئة .

ـ جزاك الله كل الخير .. هذا واجب عليّ .. لا تنسى يا سيدي الاهتمام بهذه المساعدة .

ـ توكل على الله تعالى .

ولما وضع شريف سماعة الهاتف علق قائلا : سافر للخارج !.. ماذا يفعل في قبرص ؟! .. هل ذهب يبحث عن أولاده ؟ وإنما هجروا لأمريكا .. ومن هي نبيلة زوف ؟! .. والله إني راغب في إنقاذه والوقوف بجانبه ، ما تبقى لنا في هذه الحياة الدنيا !..ألا يحب حياة السكون والحياة الوادعة الطيبة ؟ .. قبرص يا قبرص !! إنها جزيرة في البحر الأبيض المتوسط .. هل سيشتغل هناك ؟

قلب الوطن

موقعة الثلاثة والعشرين

الحلقة ٣

السبت الدامي

قال ايمن: تناولنا الإفطار صباح السبت مع جدي موسى كما اعتدنا منذ وضعنا اقدمنا في القطاع وسمعنا التلفزيون ، وقرأت صفحات من الصحف المحلية والدولية عن طريق الأنترنت فقلت لأختي وأنا أذهب للحجرة التي خصصت لنومي وناصر ، هل نحن في حرب يا هاجر ؟

فابتسمت وقالت : الحرب قائمة منذ زمن وهم يسمونها هدنة استراحة محارب كما يقال

فقلت مداعبا : اذا قدر لك الزواج هنا ستكون حياتك شاقة ورعب دائم!

ردت باسمة : نتعود ؛ كما تعود هؤلاء الأبطال وهؤلاء النسوة ، الطائرات والصواريخ لا ترهب هؤلاء الناس ، يبدو أنك نعسان للغاية.

ـ منذ جئنا لم اعرف النوم المستغرق كنوم بلادنا ..كم الساعة الآن ؟ ونظر لساعته ، وقال : العاشرة إلا دقائق أيقظيني يا هاجر قبل صلاة الظهر .. فاليوم غدائنا عند العمة حسنة أم وائل في شمال القطاع في بيت لاهيا؛ كأنني سمعت هذا الاسم وسيأتي الطبيب خالد لمرافقتنا بسيارته.

دخل الحجرة وألقى نفسه على السرير وذهب في سبات خلال دقائق .

في الساعة ١١,٣٠ بدأت الحرب المتوقعة والعدوانية والمخادعة ٢٧-١٢-٢٠٠٨ كانت بضربة جوية بستين طائرة أمريكية إف ١٥ وإف ١٦ انطلقت من قواعد منسدر وحتسريم ورامات ديفيد استهدفت المراكز الأمنية والعسكرية ومقرات القيادة مستخدمة الصواريخ وتلاها

الساعة ١٢,٠٠ بعد أقل من نصف ساعة ٤ طائرات قاذفة مقاتلة قصفت منصات الصواريخ المحضرة.

قصف الطيران الحربي الغادر نحو ٣٠ مقرا لشرطة غزة في الجولة الأولى وسميت حرب الرصاص المصبوب ، وسقط في هذه الضربة المباغتة القائد العام للشرطة اللواء توفيق جبر والعقيد إسماعيل الجعبري مدير جهاز الأمن والحماية ، وتعرضت الجامعة الإسلامية في وسط غزة للقصف بصاروخ، وقع في ملعب كرة القدم ، وكانت اشد الغارات في مدينة غزة ؛ حيث مدينة عرفات للشرطة المحاذية لمدارس الوكالة حيث كان فيها احتفال تخرج لطلبة من الشرطة المستجدة وفيما بعد اعلن عن استشهاد أربعين شرطيا ، قصفت مؤسسة واعد للأسرى في تل الهوى .

******

نزل سكان بيت الحاج موسى إلى الطابق الأسفل ، وكانت هاجر أيقظت ايمن وناصرا ونزلوا للأسفل وخلال ساعات بدأت يتضح حجم كارثة مدينة عرفات، واعلن الحداد الرسمي .

وغطت الغارات شمال القطاع إلى جنوبه فكان ايمن وهو يسمع الكلام مصدوما مرعوبا ، ولما سأل عن موسى المقعد علم أنه ذهب للجامع للصلاة ، فتعجب من ذلك، فقال شقيق له : موسى يبحث عن الشهادة يا أخ ايمن ، والغارات والقصف رغم اشتداده عرفناه .. فنحن نعرف ذلك الخطر ، الخطر الأكبر الحرب البرية ، وما دامت تستخدم هذا العنف وتدمير المواقع الأمنية كما نسمع في إذاعات القطاع ، فهل ستتوغل وتعيد احتلالنا أم هي حرب محدودة ؟ فهي هددت بالاجتياح ولكنها الحرب .

كان هجوما دمويا بامتياز ؛ ربما فاجأت شدته رجال المقاومة والإدارة الحاكمة ؛ وربما تفاجأ به الناس ، رأيت هول الصدمة والذعر بعد صور مجزرة مدينة عرفات ، ذرفت العيون وهي تسمع عدد الشهداء والجرحى ، فسيارات الإسعاف لا ينقطع صوتها ؛ حيث أماكن القصف وأصبت بذهول وعدت اسأل روحي : أجئت لحتفي ؟ هل كتب عليّ أن أموت بهذه الحرب ؟ دمرت مقرات الشرطة بعنف وقتل طلاب وجرحوا وهم شرطة مستجدة.

الحياة مستمرة مهما بلغت التضحيات ، هكذا يقول لسان حال أهل غزة ، وأدرك قادة حماس أنهم خدعوا بتصريحات القادة العرب ومصر وتجاهلوا تصريحات ليفني وباراك واولمرت وتحركات مصر على الحدود ؛ خشية تدفق البشر نحوها .

وقال الجد مستنكرا : هل ستحتل إسرائيل القطاع؟ بعدما خرجت عام ٢٠٠٥ ، ولم تنظر

الاتفاقات المبرمجة مع سلطة عرفات، اليوم شباب الجهاد اكثر صدقا ، فالقسام وحدها أعلنت عن اكثر من ١٥ ألف محارب ، كل يسعى للشهادة ، أصبحت القيادة تحت الأرض، والناس

رغم هول الاعتداء ما زالت تتردد على المساجد وما زالت صلوات الجماعة تقام .

وقال الجد موسى وهم يسمعون بث قناة الجزيرة الإخبارية وهي تغطي الحرب: يا أحفادي لا تظنوا أنكم حضرتم في ظرف غير مناسب ، نحن لم نخلص من الجند الإسرائيلي إلا منذ ثلاث سنوات ، شارون انسحب منذ زمن يسير ، وحتى ولو عادوا كرة أخرى سيخرجون منها اليوم وضعنا غير زمان تعلمنا من مئات الدروس الإرادة غير إرادة ٤٨ ، نحن بلد الشهداء والشهادة مهوى الكثير من الناس رجالا ونساء ، نستقبل الموت بصدر رحب ، لا عائلة هنا لم تقدم الأبطال ، فكل ظروفنا قتال وحرب ، ونحن نحب الحياة مثلكم ؛ ولكن هذا واقعنا واختيار ربنا ، فمنذ أيام الإنجليز ونحن في معارك ، تشتد يوما وتخف يوما آخر .. حرب٤٨ حرب السويس ٥٦ ، حرب البسوس وداعس والغبراء لم تنته ،ولو خرجتم للشوارع سترى الناس حول مواقع القصف والدمار ، فصائل المقاومة اشد عودا وبسالة ، لولا النفوس المريضة التي تتعامل مع العدو لما نال العدو شيئا ؛ ولكن لابد من وجود طابور خامس ومتعاونين أيها الابن العزير .. والأعمار بيد الله ، هل يموت أحد ناقص عمرا ؟ ابدأ ولا يجوز التفكير بذلك قال النبي ﷺ : «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلْكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهَّ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» هذا خبر وإرشاد لنا من الشفيع ﷺ ولو علمنا أبنائنا الخوف والرعب لتعقدت حياتهم اليومية الموت في الورشة بالسكري والقلب بالسيارة بالصاروخ سيتوقف العمل والزرع ، ولن نجني شيئا من الخوف غير الطبيعي سوى الرهاب .. كان اليهود يمشون بيننا قبل مجيء رجال اوسلو فانتقلوا للأطراف، ورقابتهم ٢٤ ساعة، فها هم يدمرون مواقع الأمن وشرطة السير ، أهذه حرب ؟ وهل الشرطة جيش ومقاومة ؟ مواقع المقاومة معلومة وليست خفية ، الحقد والكره للفلسطيني والعربي والمسلم ، الشرطة اخترعت لحماية الأمن الداخلي وتأمين حياة الناس من الحوادث والجرائم والسير والمنازعات بين المواطنين .. ضربوا مدينة عرفات

والجوازات وقتلوا عددا من رجال وطلاب الشرطة أهذه بطولة ؟! ناس مسالمون يفرحون بتخرجهم ووظيفتهم ، هل هذا عدو عاقل ؟ إنه الحقد يا أحفادي ، تلك الأيام نداولها بين الناس، لا تخشوا إلا الله.. عذبهم النازي في أوروبا وجاءوا يعذبوننا في فلسطين عذبهم النازي ست سنوات فهم يعذبوننا من عقود .

تناول الجد كوب الشاي الذي قدم له ورشف منه رشفات ثم عاد يقول : لنا عمر نقارع هذا العدو اللئيم ، وسوف نعود ليافا ، شبابنا اليوم يصنعون الكثير من السلاح بأيديهم خاصة الصواريخ والتنافس في تطويرها وقوة تفجيرها ، فسلطة هؤلاء انتهت فلا احد يمنعك من صنع السلاح ، وتركت للقسام من الذخائر والأسلحة الكثير ما يساعد على الصمود والقتال الدمار سيعم الناس ولدينا التكافل لإعادته .

***

اليوم الثاني الأحد قصفت الطائرات مقر قناة الأقصى الفضائية في غزة، والمجمع الأمني المعروف باسم السرايا وقصفت مستودعا للأدوية في خان يونس، ومسجد الشفاء المقابل لمستشفى الشفاء المستشفى الرئيسي في القطاع مما عرضها للأضرار كما قصفت مبنى محافظة غزة.

وقامت الطائرات الإسرائيلية بقصف الحاجز الحدودي بين رفح المصرية والفلسطينية مما أدى لمحاولة بعض الفلسطينيين للتسلل إلى الجانب المصري فقامت قوات الأمن المصرية بفتح النار على المتسللين مما أدى لمقتل شاب فلسطيني، واشتبك مسلحون فلسطينيون مع قوات الأمن المصرية فقتل أحد ضباط الشرطة المصريين برصاصهم.

قائد المقاومة

قائد حماس إسماعيل هنية رئيس الوزراء الفلسطيني المقال والقيادي في حركة حماس أكد في كلمة مساء امس أن الهجمات الإسرائيلية لن تجعل حركته تتراجع ويدعو للصمود : "حتى لو أبادت إسرائيل غزة"، وقال هنية "نقول للاحتلال لن نتنازل ولن نتراجع حتى لو أبدتم غزة ولن تتمكنوا لأنها عصية على الكسر". وأضاف هنية "إن هذه المجزرة البشعة لم توقف زحف المقاومة وسنواصل مسيرتنا في وجه الاحتلال المتغطرس وسياساته الماكرة" مشددا على أن حكومته "ستستمر في مهامها". وقال "إنهم يريدون استهداف الأمن والاستقرار والنظام ويريدون مؤسسة تبنى على أعينهم ووفق إرادتهم وهذا لن يكون".

وتابع هنية "أمام أهداف الخطة الإسرائيلية والمجزرة نقول لو علقنا على أعواد المشانق

ووزعت دماؤنا في الطرقات وتناثر أشلاؤنا على الجدران ما ركعنا ولا تنازلنا عن فلسطين والقدس وعودة اللاجئين وحرية أسرانا". وأضاف "لو قتلتم الآلاف منا فلن تقتلوا منا روح الأصالة والوفاء للشهداء.. نحن لسنا طلاب دنيا ؛ بل طلاب كرامة واستقلال وعودة للديار وسنظل رغم هذه الدماء من شرطتنا وأطفالنا نحمي مشعل الحرية والعودة".

وقال هنية "العدو يحاول أن يغطي هذا الوجه القبيح من خلال المفاوضات والمصافحات والاحتضان لبعض القيادات والزعامات على ساحتنا الفلسطينية والعربية".

ودعا هنية مصر والجامعة العربية إلى "رفع الحصار عمليا عن قطاع غزة وأخذ قرار عربي وإسلامي لفتح معبر رفح إلى الأبد."

****

قالت الصحف والوكالات: إن الغارات الجوية طالت مساجد ومستودعات أدوية ومنازل وسيارات مدنية ، وقد عم الحزن والغضب الشديدين قطاع غزة ، فساد الإضراب العام والحداد ، وأغلقت المحال التجارية والوزارات والهيئات والمؤسسات أبوابها ، وخلت الشوارع من المواطنين والسيارات إلى حد كبير ، باستثناء سيارات الإسعاف والصحافيين. وانتشرت مئات بيوت العزاء والجنازات في شوارع القطاع ، التي شارك فيها آلاف المواطنين، ومع ذلك بدت معنويات الفلسطينيين مرتفعة ، وهم مصممون على الصمود وتحدي العدوان الإسرائيلي ورفض الاستسلام .

ذكر في ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٨ أن الطائرات الحربية الإسرائيلية نفذت غارة على مقر الجامعة الإسلامية غرب مدينة غزة حيث اطلقت خمسة صواريخ دفعة واحدة استهدفت مبنى المختبرات في الجامعة ما أدى إلى تدميره بشكل كامل وتدمير عدد كبير من المنازل المجاورة ، كما قصفت الزوارق الحربية الإسرائيلية بشكل كثيف ميناء الصيادين في مدينة غزة ما أدى إلى تدميره كما استهدفت سفن الصيادين المتمركزة في الميناء ما أدى إلى تدمير بعضها. وفى مخيم جباليا شمال قطاع غزة استهدفت الطائرات مسجد عماد عقل ما أدى إلى تدميره بشكل كامل وأدى استهداف منزل يعود لعائلة بعلوشة ما أدى إلى استشهاد أفراد من العائلة من بينهم أربع شقيقات إلى جانب وقوع عدد من الإصابات في صفوف المواطنين وتدمير عدد من المنازل المجاورة ؛ كما استشهد أربعة مواطنين على الأقل بينهم طفلان وأصيب ثمانية آخرين في قصف للطائرات الحربية الإسرائيلية لمنزل يعود لأسرة من عائلة العبسي في

مخيم يبنا بمدينة رفح جنوب قطاع غزة.

وقد ارتفعت حصيلة شهداء قطاع غـزة إلـى ٣٤٥ شهيدا ١٦٥٠ جريحا ، وذلك بعد أن استشهد سبع فلسطينيين، من بينهم طفل وأربعة من عناصـر سرايا القدس، في غارة استهدفت مجموعة من عناصر السرايا في بلدة عبسان الكبيرة بمدينة خان يونس جنوب قطاع غزة، الحكومة الغزية تطالب بإرسال طواقم طبية وأدوية لإقامة مستشفيات ميدانية في غزة؛ لإنقاذ مئات الجرحى الذين يتساقطون بـسبب العـدوان الإسرائيلي المتواصل

وقال مشعل: إن الحكومات العربية سبق وطلبت عام ٢٠٠٣ هدنة لحل الأزمة ولم يفعلوا شـيئا وكـرروا ذلك عام ٢٠٠٥ بعد اغتيال عرفات ولم يفعلوا شيئا وانتهت الهدنة الأخيرة ١٤ يونيو الماضي ولم يفعلوا شيئا، والمعابر لم تفتح وظل مليون ونصف عربي مسلم داخل سجن كبير مـساحته ٣٦٥ كـم فطلبنـا استحقاق التهدئة ولم يفعلوا شيئا، متسائلا: أي حر يقبل ذلك وأنا أخاطب جماهير واعية حرة أقول لهم أن اللوم على الغطاء الدولي والتواطؤ الفلسطيني العربي وسيعلمون انهم ارتكبوا حماقات كثيرة.

أكد الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي رمضان عبد الله شلح أن ما يحدث في غزة هـو تآمر إقليمي عربي دولي يهدف لتصفية قطاع غزة، مشددا على أن كل ما يخطط له الاحتلال لن يتحقق ووصلت الصواريخ إلى عسقلان، وأظن أننا لن نستسلم ولن نرفع الرايات البيضاء، ونحن متوكلون على الله وسنقاتل من أجل الدفاع عن أرضنا وشعبنا."

قال نزال" :نحن موقفنا أننا لن نستجدي أحدا، ولن نطلب من أحد أن يتدخل، فالصور التي تبثها الفضائيات أبلغ وأكثر دلالة من أن نناشد أحدا، وأعتقد أن الأمة بكل مستوياتها عليها أن تبادر بما أتاها الله سبحانه وتعالى وكل في موقعه لنصرة الشعب الفلسطيني"

أكد أبو مجاهد الناطق الرسمي للجان المقاومة الشعبية "بأن الحرب العدوانية الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة لن تكسر إرادة المجاهدين ولن تركع جماهير شعبنا الصامدة رغم الحصار وموجات القتل العنيف في كل ساعة بفعل الطائرات الصهيونية المجرمة". وقال أبو مجاهد في بيان صحفي له "إن العار كل العار يكلل جبين كل المتفرجين على جماهير شعبنا وهي تواجه آلة الحرب الصهيوأمريكية ومشاهد القتل العشوائي الذي يمارس في قطاع غزة الصامد علامة فارقة في تاريخ الأمة تكشف عورتها القبيحة، وهي تخشى عاصمة الكفر أمريكا وربيبتها الصهيونية التي تغتصب مسرى الرسول

صلى الله عليه وسلم". وأوضح الناطق الرسمي لجان المقاومة الشعبية "أن هذه الجرائم الصهيونية والصمت والتواطؤ العربي والدولي لن يصنع فينا لحظة انكسار بل يزيدنا تمسكا بخيار المقاومة والجهاد كخيار استراتيجي عقائدي لتحرير فلسطين كل فلسطين." ودعا أبو مجاهد جماهير شعبنا إلى مزيد من الالتفاف حول خيار المقاومة وتوجه بالتحية إلى كل المقاومين والمجاهدين وجميع أبناء شعبنا الفلسطيني الصامدين المدافعين عن كرامة الأمة في هذه الحرب المفتوحة على كل ما هو حر وشريف ومقاوم في فلسطين المحتلة.

من أحداث اليوم الثالث – الاثنين بعد منتصف ليل الإثنين ٢٩ ديسمبر قام الطيران الإسرائيلي بست غارات جوية وقصف الجامعة الإسلامية في غزة.

****

قال ايمن: منذ دخلنا القطاع واسمع صوت الصواريخ وتحليقها في الفضاء وكذلك طائرات التجسس ، وسيارات الإسعاف والمطافئ تتحرك ليل نهار ، ولما قصفت مدينة الشرطة ظننت نفسي في حلم ولما صحتني هاجر انزعجت لتوقف الحلم وكنت مذهولا والحمد لله على كل حال .. يا جدنا نحن جئنا ونحن نعلم الخطر عندكم وربما القول والحكي ليس كالمشاهد الحي جئنا لتحقيق رغبتك في زواجي أنا وناصر وهاجر من أقاربنا الغزازوة لتبقى حبال الوصل بيننا والعلاقات العائلية فكله بأمره سبحانه .. "قل كلٌ من عند الله"

والتفت لهاجر: وأنت !

ـ لا تظن أنني اقل شجاعة من ايمن وناصر اسمع القصف والانفجارات دون وهن وخوف وتعرفت على الدكتور كما رغبتكم والأمر لوالديّ كان الإفطار مع الجد صباح يوم الاثنين وكان اليوم موعد الإضراب المعلن عنه ؛ لذلك لم يذهب أبناء وأحفاد الجد لفتح متاجرهم وأماكن العمل، إضراب دعت إليه حكومة غزة ، وشاركوا في تشييع الجنائز والدفن رغم الحرب ، وبعضهم عاد الجرحى، وبعضهم أم سرادق العزاء القريبة ؛ كأنه لا قصف ولا موت ؛ فكان ايمن يتعجب من شجاعتهم ويقول لهاجر: تعود الناس على شهادة الموت فأنا منذ بثت الفضائيات مشاهد الموتى والجرحى وأنا لا استسيغ الطعام حتى راودتني النفس بالخروج من غزة لمصر ولكن المعبر في رفح مغلق أو يفتح ساعات لإخراج المصابين المخطرين والقصف يشمل كل الأماكن لقد تعودنا على أصوات الصواريخ وقذائف المدافع وخفت دقات قلبي كنت أظنه توقف عن النبض يا الهي على وحشية اليهود !

فما فعله فيهم هتلر ما هو بقليل جعلوا انفسهم ضحية في الحرب الثانية .. وكيف كانت أسلحة تلك الحرب لسلاح اليوم .. اليوم القذيفة تدمر عمارة إنها فرن غاز ، ضربوا مختبرات جامعة علمية كأن القنابل والمتفجرات تصنع فيها يا للسخرية مختبر طلبة اصبح هدفا كبيرا ومصنع متفجرات وهناك في أمريكا وأوروبا من يصدق الهراء.. إنا لله وانا إليه راجعون

هاجر: هل تزيد من القهوة ؟

ـ صبي وشكرا

قال ناصر: أنا مثلكم كنت مرعوبا أول الأمر وفي هذه الساعات تحسنت نفسيتي واستوعبت صوت الصواريخ وارغب بالبحث عن مكان أحارب فيه هؤلاء القتلة .. هؤلاء الناس زرعوا في قلبي حب الشهادة ـ مثل اليوم غادرنا عمان نحو القاهرة ـ ناس لا ترهب الموت ينقلون الموتى والجرحى للمستشفيات ويرافقهم المسلحون أي شجاعة في هؤلاء الخلق؟!

هاجر : الله يقذف في قلوبهم القوة الراديو يخبر أن الحرب البرية لم يحن وقتها وبعضهم يقول استمرار للتمويه سيقدمون عليها ونحن ننتظرها بحرارة

ايمن: موسى منذ خرج إلى مسجد صلاح الدين لم يرجع

ـ لو قتل لبلغنا بالخلويات

ناصر: شاب شجاع وبطل لو يصل بيتنا لشجعت أبي أن يزوجه احدى أخواتي رغم عجزه فرغم تعرضه لصاروخ ويمشي على عجلة يتحدث بقوة وشموخ ولا يعتكف في البيت بل يخرج ويتحرك ويصلي في الجوامع فقد قدم ما عليه لله والوطن ويجاهد بمتابعة العيون ويتعقب الجواسيس فهذه فروسية القدماء

هاجر مظهرة الإعجاب بموسى وحيويته : وهو مطلع بشكل جيد على أحوال الجهاد والفصائل بل همست إحداهن باذني رغم ضعفه العضلي استطاع رصد خلية عميلة كان لها دور في قصف موقعهم فلما تماثل للشفاء ساعد في معرفة أفراد الخلية ثم ثبت فعلا أن لهم دورا في ذكر موقعهم للعدو عندما تقدموا لإطلاق الصواريخ ورغم إحساسه بالخطر أمرهم بالتقدم وكشفوا تقدمهم نحو منصتهم ثم قصفوا فقتل بعضهم وجرح الأخرون وأصيب بحروق وشلل

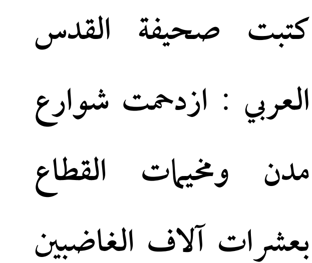
ايمن: سبحان الله نحن رغم رعبنا عند سماع صوت المدافع والصواريخ بدأنا نتأقلم ونأخذ على الجو بل افكر بالذهاب لصلاة الجماعة ومشاهدة الناس

ناصر: الجد يصر على عدم خروجنا بحكم أننا ضيوف خشية إصابة احدنا بشظية فقلت السنا أهلا للشهادة مثلكم فقال بلى ولكنكم لم تحملوا

سلاحا في يوم من الأيام فمنذ عهد بعيد ومنذ خروج الفدائيين لم تتدربوا على السلاح والإنقاذ في حالة الحرب.. انتقل العمل الفدائي إلى بيروت وحدثت حروب المخيمات في لبنان بين امل والمنظمات الفلسطينية فعاد فدائيون للأردن حيث أهاليهم

فقال ايمن: من اجل هذا لا يفكر احد بترك بلده غزة .. سأسعى للصلاة في بيت الله فمجزرة السبت لا تنسى

الجنائز





كتبت صحيفة القدس العربي : ازدحمت شوارع مدن ومخيمات القطاع بعشرات آلاف الغاضبين الذين شيعوا اكثر من ٢٨٤ شهيدا سقطوا في غارات جوية إسرائيلية .. وقد ساد حداد مناطق القطاع وشارك اكثر من ٥٠٠٠ في جنازة اللواء توفيق جبر قائد شرطة القطاع وفي وسط منزل أسرته سجي الجثمان الملفوف بالعلم الفلسطيني وفي حي الزينون شارك اكثر من ١٠٠٠٠ في جنازة عشرين شهيدا من عناصر الشرطة وعناصر القسام وجابت شارع صلاح الدين الرئيسي باتجاه مقبرة الشهداء في المدينة، وفي مدينة غزة لا تكاد تخلو حي من جنازة تسير نحو المسجد العمري الكبير

في منتصف الليل قصفت الطائرات ورشة حدادة في حي بني سهيلا شرق خان يونس وقد استهدفت المحددة من قبل، قصف مبنى المختبرات في الجامعة الإسلامية وميناء الصيادين وموقع خفر السواحل بحرا وجوا وقصفت عبسان

لم تمنع الغارات والقصف المدفعي والبحري السكان من تشييع قتلاهم المستمر في أنحاء القطاع رغم خفة الحركة في الشوارع والتنقل في حذر كان الناس يخرجون للصلاة دون خوف ولا وجل كانوا يسيرون في التشييع المستمر ينبطحون على الأرض عند سقوط صاروخ ، اصر الجد موسى رغم حماسهم عدم الذهاب للمساجد مع أحفاده فإسرائيل استهدفت المساجد دون أي اعتبار لدور العبادة وقد هدم بعضها كليا أو جزئيا واصروا على الخروج ، ظل الخلق يتسللون إليها ويبتهلون إلى الله بالنصر والصبر ، وفعلهم تكلم خيرا من لفظ اللسان وبعد انقضاء الجماعة تكلم الإمام الشيخ عن الصبر والعزيمة وأسباب النصر والثبات ثم تفرق الناس وعاد ايمن وناصر وتامر ومروان إلى البيت فسر الشيخ من عودتهم وقال : تحدث خليل معي ويسأل لماذا لا ترد على الموبايل ؟

ـ نسيت شحنه فلما قطعت الكهرباء غفلت عنه

هل شغلتم المولد ؟

قال مروان: سنأتي بمولد جديد لقد تعطل الموجود ، واذا لم يتسر الجديد سيأتي الفني لتصليحه فخذ هذا الموبايل وتكلم مع العم خليل وأنت يا ناصر تكلم مع أبيك

ـ لنصبر حتى يصلح المولد .. أمي تتحدث مع الأسرة .. قد تحتاجه في ظرف صعب

ايمن: لم نر موسى منذ الحرب يا جدي

ـ موسى كما تعلمون مع المجاهدين رغم العجلة التي يسوقها فهو يعمل بنشاط وهمة كما علمتم وهو بعد الإصابة تحول إلى عضو امني يتعقب العملاء بأذنيه وعينيه وتحدث مع أبيه وطمأنه أنه ما زال على قيد الحياة وان المجاهدين يستعدون بكل حماس وبسالة لدحر العدو عندما يزحف نحو المخيمات والبلدات

هاجر بضيق قالت : للأسف لهم أعوان وجواسيس منتشرون في ساحة المعركة كما تنشر محطات الإذاعة المحلية والصحف فقد وشو على عدد من المجاهدين فقصفت منازلهم وقتل بعضهم أو أفراد من عائلتهم كما تقول أسماء .. إسرائيل قبل الخروج تركت عشرات آلاف من العملاء والمخبرين فالمعركة معارك

قال الجد موسى : أيام الاحتلال المباشر كان الوضع مزري الفقر والمرض والحاجة للسفر والتصاريح كل ذلك يستغل يا هاجر والتوبة ليست سهلة والمال يذل الرجال ولسنا على قلب رجل واحد

عقب ناصر: رغم مظاهر الشجاعة يا جدنا التي تظهر على الناس فعيوب المجتمعات العربية والسلبيات موجودة .. الأهواء تتفاوت

ـ كانت ضربة السبت شديدة وموجعة لكل القطاع فسمعت أننا لم نصاب بمثلها مرة واحدة من قبل .. تصور ضرب وقصف ثمانين طائرة على مكان مثل غزة ولا في حرب ٥٦ ولا ٦٧ ٢٨٥ شهيدا يا ولدي واكثر من ألف جريح ضربة جبان غادرة بعد تطمين مصر وبعض دول الغرب للقيادات السياسية .. كان الشباب يصطفون للاحتفال بتخرجهم لحماية أمن الناس وبضربهم مقرات الشرطة يريدون نشر الفوضى وفسح المجال للصوص والخروج للنهب وسرقة المتاجر بضعف الشرطة والأمن ويخرج الناس لطرد حماس والجهاد وغيرهم من غزة نحن كنا نعاني من الفلتان الأمني قبل هرب فرسان السلطة لإسرائيل ومصر وسيناء ؛ كأن الأمة حماس والفصائل المجاهدة فحسب ؛ وكأنهم ليسوا من الشعب ، فلهم ثلاثون سنة بيننا ، فحماس خلال السنوات قدمت آلاف الشهداء والقادة على رأسهم الشيخ احمد ياسين والرنتيسي ويحيى عياش وعماد عقل رحم الله الشهداء .. أبطال كثر قدمتهم المقاومة ..

أناس لا يسعون لعروش وكراسي ومناصب حتى يتحرر الوطن .. كراسي وتيجان ونحن تحت سنابك الاحتلال يقدمون انفسهم وأهليهم وأولادهم لاستمرار الثورة والجهاد لن تهزمنا إسرائيل مهما طال الزمن ولو دخلوا القطاع من جديد رغم قوة آلاتهم الحربية .. فالله اقوى منهم والنصر من عند الله يا أولادي هذا يقين .. ما زالت غزة وستبقى تقدم الشجعان والشهداء حسبنا الله ونعم الوكيل

كان الشيخ الهرم يتكلم بحماس وعنفوان.

شارك ايمن وناصر ومروان الناس الصلاة في المسجد عصرا وصلي على عدد من الجنائز ثم مشوا بالتوابيت نحو مقبرة الشهداء .

******

توعدت ليفني بتغيير الأوضاع كما هددت قبل المعركة ، ومع انقضاء يوم استشهد ٣٥٠ فلسطينيا منهم ٥٧ مدنيا وإسرائيل تلوح بالاجتياح والحرب بلا هوادة واعلن الجيش الشريط الحدودي منطقة عسكرية مغلقة وحشدت قوات ومدرعات ومعلنة عن شروط هدنة على حماس أن تقبلها تفرضها إسرائيل ، واجهت المقاومة هذه التهديدات بمزيد من صواريخها وقذائفها حتى وصلت عسقلان

قال مدير الإسعاف بلغ عدد الشهداء ٣٤٥ شهيدا من السبت إلى مساء الاثنين ونحو ١٦٠٠ إصابة وبينها ٢٠٠ حالة خطرة أو حرجة ، وقال العدو لن يبق أي مبنى لحماس في غزة ، دمر مكتب رئيس الوزراء هنية ومسجد في جباليا ، وقد قتل في انهيار المسجد شمال القطاع خمس شقيقات في منزل متواضع عندما انهار المسجد عليه ، وما كان أمام الأب إلا أن يردد لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأثناء التشييع من هول الصدمة كان يقول لماذا ابقى حيا بعد استشهادهن وانهمرت دموعه وهو يقول الحمد لله الحمد لله ماذا أقول لإسرائيل انهار المنزل على المدنيين والأطفال .. فهل بناتي كن يحملن الصواريخ جواهر ٤ سنوات دينا ٨ سمر ٧ إكرام ٩ عزيزة ٧

*****

في اليوم الخامس الأربعاء ٣١ / ١٢ أحاط رئيس الشين بيت مجلس الوزراء الإسرائيلي قائلا: إن حماس عانت من أضرار جسيمة وقد ضعفت قدرتها بإحكام الأمور بغزة ولذلك فإن الكثير من قادة حماس يختبئون بالمستشفيات متخفين بالزي الطبي، أو مختبئين بالمساجد ويستعملونها كمقرات قيادة، معتقدين بأن إسرائيل لن تهاجمهم هناك.

والرئيس المصري حسني مبارك يرفض فتح معبر رفح ويحمل حماس مسؤولية العدوان

***

عباس زعيم السلطة يدعو لاجتماع الفصائل ، حماس ترفض العرض، تحدى المواطنون القصف وخرجوا للمخابز والاصطفاف صفوفا طويلة لشراء الخبز، المذياع لا يفارق اغلب السكان لسماع الأخبار باستمرار ، امل احد السكان من زعماء العرب حضور ساعة لمشاهدة الغارات

اطلق شاب مسلح يركب دراجة نارية ثلاثة أعيرة نارية على فلسطيني فقتله بالقرب من مستشفى الشفاء في اطار تسوية الحسابات مع مشتبه متعاون ويقول السكان انه ثاني مشتبه يقتل خلال ٢٤ ساعة .. الغيت حفلات رأس السنة تضامنا مع غزة .

ذهب ايمن وناصر نهارا للمسجد لصلاة الظهر وكان الوجوم والترقب على وجوه الناس ومضى مروان إلى المخبز وبعد ساعة تمكن من شراء ربطة خبز واحدة وكان يقول لأيمن : لا ادري كم فم ستكفي هذه الربطة ؟ سأذهب إلى مخبز على رأس الشارع لعلي احصل على المزيد

قال ناصر : كان الله في عونك وعون الناس

فابتسم مروان وقال : ولولا عونه تعالى لهلكنا حصار منذ سنوات تدخل المواد بالقطارة كما يقال يحسبون كم يلزم كل فرد من الأغذية حتى لا تحدث مجاعة ونموت فيسمحون بإدخالها أرأيتم متى بدأت الحرب ؟ ! يوم السبت اليوم الذين يزعمون أن السبت يوم مقدس ومعظم أيام ما سموه مؤتمر السلام في مدريد كانت المفاوضات تتوقف يوم السبت لأن السبت مقدس أما قتلنا وذبحنا أيام السبت فحلال ومباح عند الجميع حتى المتدينين .. كل أركان الدولة حتى المعارضة الوهمية متحدون على ذبحنا ولكنهم من ٤٨ وهم يذبحوننا ويسلخون جلودنا ونحن لا نموت قبل أن يفارق احدنا الدنيا يترك دزينة .. يقتل مائة تلد النساء ألف .. ضحية لا تموت الحمد لله على كل حال وأتمنى لكم السلامة والعودة لعمان بكل سلام لتخبروا أهلنا وأقاربنا وأعمامنا بمعاناة الشعب والأمة الغزية .

قال ايمن: إنها الحرب يا مروان ! الحرب لا ترحم والذي يموت لا يرجع ، الدار قد تعود مع الوقت لكن الإنسان الميت لا يرجع وعزاؤنا نحن المسلمين أن قتلانا في الجنة بإذنه تعالى وقتلاهم في النار كما ذكر وورد في الآثار .. أليس كذلك يا ناصر ؟

- بلى يا ابن خالي هذا كلام جاء في قصة احد يوم احد عندما أصيب المسلمون بما أصيب به أهل القطاع ذلك اليوم قتل من الصحابة سبعون وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ ومصعب بن عمير الداعية والسفير العظيم بل

النبي أصيب يوم احد .. شج رأسه وكسرت رباعيته كان يوما عصيبا وكان له ما بعده .. وأنا ادرك يا مروان أن الإنسان له قدرة وطاقة ونألم كما يألمون ولكننا كما قال القرآن نرجو من الله مالا يرجون قتيلنا في برزخ يعيش حياة خاصة أحياء ولكن لا تشعرون رحم الله الشهداء

مروان: الكلام بلسم الجراح سبحان الذي علم الإنسان البيان فعندما نسمع عن مقتل حمزة أسد الله وأسد الرسول نقول ما نحن أمام هؤلاء الكبار .. لله ما اخذ ولله ما أعطى وكل شيء عنده لأجل مسمى

لهيب الحرب

واصل الطيران الحربي الصهيوني غاراته وقصفه على مختلف المناطق رغم الأمطار مستهدفا المنازل والدوائر الحكومية والمشافي والأنفاق ولما تتوقف الغارات تقصف المدفعية .

فجرا ١٢,٣٠اطلقت طائرة صاروخا باتجاه مجموعة من المتواجدين بالقرب من جبل الرس مما أدى شهادة احدهم وإصابة آخر ، ولما اقتربت سيارة الإسعاف تم قصفها بصاروخ فاستشهد المسعف وجرح الطبيب والسائق.

٢,٥ قصف نفق قرب حي البرازيل ، وبعد ساعة غارات على خان يونس وقصف عربة كارو يجرها حمار ، ظهرا أعلنت إسرائيل استمرار العمليات طالما استمر اطلاق الصواريخ ، ٥ مغربا دمرت مسجدا في غزة بزعم انه يستخدم لإطلاق الصواريخ ، اطلقت الفصائل هذا اليوم ٦٠ صاروخا قسام وهاون

اعلن وزير الدفاع عن وقف اطلاق النار كهدنة ، لقد فشلت العملية في دفع الشعب للثورة على المقاومة والهرب لمصر ، وفشلت في المسارعة لهجوم بري ، صمد الشعب وخيب آمال المتربصين وعملاء الصهيونية .

ايقظ مروان ايمن وناصرا لصلاة الفجر صباح الأربعاء فلما استيقظ ايمن فقال مضطربا : ماذا؟! هل من شيء؟

ـ كنت تحلم ! الصلاة حانت نريد أن نصلي جماعة مع الجد

ناصر: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور .. أهلا مروان كيف حال الجد الشجاع؟

ـ انه في الانتظار ومعنا موسى

ايمن فرحا : هل عاد موسى ؟!

ـ نعم عاد قبل ساعة وهو بخير

ـ أين ذهب؟ أين اختفى ؟

ـ انه يترصد العملاء فالخونة ينشطون أثناء القصف لعنهم الله

مشى ايمن للحمام وتوضأ وعاد يقول : ما زال الماء ينهمر

ـ الشتاء رحمة من الله للعباد انه يغسل الذنوب لقد ذكرنا بالمطر الذي تساقط على الصحابة ليلة بدر إذ يغشيكم النعاس الآية في الأنفال

ايمن معجبا : رائع أنت يا مروان ! تحب ربط الأحداث بأحداث السيرة .. هيا ناصر الحمام فارغ مالك صافن والجد ينتظر

لما رجع ناصر مشوا إلى صالة في طابق الملجأ وسلموا على موسى بعد تقبيل يد الجد قال ايمن: قلقنا عليك خلال الأيام الأربعة

هز رأسه شكرا وقال : ما زال في العمر بقية ، ذهبت لجباليا قصفوا مسجدا وكنا قريبين منه الأفاعي في المعارك تخرج من جحورها ، يقصفون المساجد ظانين المآذن صواريخ بالستية يزعمون بقصفها أن احد النشطاء دخل للصلاة فيها أو تخزن الصواريخ فيها ، المخبر العميل وطائرات التجسس ؛ كأنها لا تكشف من دخل ومن خرج ؛ لكننا نزيل الهدم ونصلي وبعد الصلاة نتحدث .

تقدم الجد للإمامة كالعادة وانشغلوا بالصلاة وتبعها التسبيح والاستغفار وعاد موسى فقال : هم يفكرون رجال المقاومة الباسلة أغبياء يقصفونهم في المساجد انهم يكرهون الشعب والناس يرغبون بحرق غزة ، لكن الحمد لله لدينا طاقة وصبر .. خدعنا من العرب بزعمهم أن إسرائيل ترغب بتمديد الهدنة ؛ فلذلك سقط العدد الكبير من الشهداء يوم السبت وزعموا لنا أنها ستكون حربا محدودة ليقبل الشعب اليهودي الهدنة .. بفضل الله سيطرنا على الموقف وعادوا يلوحون بالعودة للهدنة السابقة وتعديلات طفيفة .. فغلاف غزة لا دراسة ولا ملاعب كلهم في الملاجئ ، وبعضهم هرب ليافا وشمال فلسطين آه لو لدينا ما لديهم من سلاح لوصلنا إلى تل الربيع تل أبيب اسمها الحقيقي تل الربيع .. سيأتي اليوم الموعود كيف عشتم هذه الأيام؟ ربما أنها أول مرة تجدون أنفسكم في حرب حقيقية .

تبسم ناصر: نحن نعرف الحرب من خلال الأفلام وألعاب الأتاري والكمبيوتر

قال ايمن في غبطة : ما شاء الله يا جدي ! كلام موسى يجعل معنوياتنا في السماء هل من نهاية يا موسى لهذا القصف المتواصل ؟

موسى الجد باسما وقال الحفيد : من خيبتهم يقصفون الأهداف نفسها ، بنك أهدافهم فارغ قصفوا مواقع الشرطة لدفع الناس للفوضى وانتشار السرقة والنهب والجريمة .. الحمد لله لم تسجل سوى أحداث بسيطة كما أذاعت المحطات الإذاعية المحلية .. قصفوا مرئية الأقصى وعادت من مكان خفي وشبكات النت تبث العنف والشهوة للإجرام في أنحاء العالم والدليل هذه المظاهرات التي تعم الكثير من مدن وعواصم

العالم تعاطفا مع الشعب المظلوم .. يحاربوننا كأننا دولة عظمى ونعلم أن النصر بيده تعالى .. يتحدثون عن وقف النار كما طالب رئيس فرنسا لكن عزائم المجاهدين تستعد لمعركة برية .. لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .. القتال حتى أخر طلقة ولن يسمح لهم بدخول القطاع قبل هلاكنا ، لم ينس الناس سقوط فلسطين بوعود زعماء العرب والجيوش السبعة ثم تبين أنه لا جيوش ولا طرد للصهاينة نحن الذين طردنا ..ولا ننسى هدن حرب ٤٨ .. العرب يلتزمون بالهدنة والهاغانا تعزز مواقعها وأسلحتها حتى تشرد الجد موسى ـ وضحك ـ وسرنا غزاوية من يافوية .. ونواسي انفسنا كلنا أبناء فلسطين

فقال ناصر معجبا : ما شاء الله تحفظ تاريخ القضية يا موسى ! لكن الناس تنسى وتجهل التاريخ

ـ الحق يتجاهلون ، ونحن نتثقف والظروف أتاحت أن نفهم وندرس صفحات من التاريخ وسير الأبطال نحن نرى العودة رأي العين .. لكل شيء اجل .. ونخضع أحيانا لشروط وأحوال لضعفنا وقلة الحيلة وعجز الدعم الخارجي فنأخذ نفسا واستراحة محارب واستعدادا لجولة قادمة ونعد لها .. لا نركن لوعود في الهواء وإنما من اجل الناس .. نحن أمة ولادة ولا ندري من سيحمل راية النصر .. سمعنا أن صلاح الدين خرج من العراق مولودا جديدا وأهله هاربون إلى الشام صراع سياسي بين أمراء المدن الكبيرة ثم صار إلى مصر قائدا وحالما بالقدس أنا جئت أيها الأخوة لأنام بعض الوقت فلي أيام لم احصل على النوم وأبشركم بثبات رجال المقاومة من جميع الفصائل فنحن نعيش تحت الأرض ننام تحت الأرض

ناصر: تعلمتم من حرب الشعب الفيتنامي

رغم أجواء الحرب الدامية منذ أيام مضت ورغم سقوط مئات الشهداء وآلاف الجرحى كان الناس يمشون في الشوارع ويرتادون المساجد غير عابئين بالصواريخ والانفجارات واذا سقط قربهم صاروخ ينبطحون أرضا ويتذارون خلف جدار ، والسيارات تنتقل في الشوارع لنقل الجرحى والمصابين ونقل الناس لأعمالهم ومزارعهم بعدد قليل ، المخابز تعمل بانتظام والبقالات ومحلات الخضار تقدم الخدمات ، والجيش المصري عزز قواته على الحدود تحسبا لنزوح جماعي ، يريد منع الناس من اللجوء لمصر ، فرنسا تطرح مبادرة لوقف النار ، وباراك يدرسها ، الكفار وأذنابهم يستعدون للاحتفال بدخول سنة جديدة ، والقذائف تتساقط على شعبنا وبمزيد من الشهداء يرتقون للجنان لا دول كبرى ولا صغرى ولا أمم متحدة ولا مصر قادرون على وقف اطلاق النار

من الطرفين ، وإسرائيل هي البادئة بزعم القضاء على المقاومة تلقت أعدادا كثيرة من الصواريخ من كافة الفصائل ولليوم لم تستطع البدء في الحرب البرية المزعومة لاحتلال غزة والقضاء على حماس تناول الضيوف الإفطار البسيط على مائدة الجد كالعادة منذ حطوا رحالهم في القطاع ولا تختلف عن مائدة الأيام الخالية. وقال الجد: الفنا العدوان والقتل منذ وصلنا هنا قبل عقود احتلال خروج احتلال لا هدوء حتى أثناء الحكم المصري لا نعرف الهدوء فكل عملية للفدائية غارات على غزة وبعد خروج المصريين لم يخلُ القطاع من قتل جندي إسرائيلي واعتقالات واغتيالات وهذه حرب مستمرة حتى يندحر العدو الغاصب من بلادنا ورغم التغريب ونشر الفساد والخمر والمخدرات ظلت المساجد عامرة بشباب النكبة والهجرة والأطفال ويكثرون ويكبرون ايمن لمروان وغيره :لا تظن أننا ندمنا على قدومنا إليكم في هذه الفترة ، ونحن قبل أن نخرج من

عمان ونحن نسمع الحديث عن الهدنة وعن الصواريخ وعن الحصار ومهما حصل لنا فكله من عند الله "قل كل من عند الله" .. قدر لنا أن نشارككم هذا الألم والحزن .. الشهداء أحباب الرحمن كما يردد المشيعون فموسى شارك في تشييع جنائز في جباليا من أقارب زوجة أخيه

قال الجد: نعم مات شقيقها بعد جروح أصابته في اليوم الأول أخبرت بموته في المشفى رحمه الله وكان يجاهد بماله ويدعم الجهاد والفقراء تاجر من تجار الشمال .

ناصر: رحمه الله فهل تسمح لنا بالسير للمشاركة في التشييع ظهر اليوم

ـ أنا ليس لدي مانع ، اليهود لا يتركون خيالا يمشي إلا قصفوه ، يقصفون الأموات بعض الأحيان طمعا باصطياد رأس من القادة .. فهل بعد قصف فوج تخرج طلاب أمان ؟ تقصف مكاتب الجوازات ومختبرات الجامعة ثم كرروا قصفها ظنوا أن رجال الشرطة الناجون عادوا إليها .. الهدف من قتل الشرطة ومواقعهم لدب الفوضى وإنهاء العمل الشرطي فاذا أحببتم المشاركة فعليكم المشي على الأقدام خذوا حذركم رتبوا الأمر مع مروان .. لكم زيارات فالحرب عطلتها فلموسى أخ اصغر منه اسمه عماد فهو على الثغور يحرسونها وهم في انفاق وخنادق المقاومة .. فعماد شاب شجاع مثل موسى يرفض الزواج كموسى قبل الإعاقة من اجل نيل الشهادة في وقت ما .. فولدي عبد الرحيم محظوظ بهؤلاء الشجعان وقد احتسبهم عند الله ﷻ وها انتم ترونه يذهب إلى متجره بكل ثقة وشجاعة وهو يردد اذا حضر الأجل والموت لا يمنعه احد ولو

كنا في بروج مشيدة .. فقلت له خذ إجازة حتى تخف حدة الأوضاع فقال وهل تهدا الأوضاع يا أبي ؟ فلسنا خيرا من العائلات التي سحقت تحت الأنقاض والصواريخ هذا قدرنا والحمد لله رب العالمين

الصمود الغزي

قبل صلاة الظهر توقفت سيارة خاصة أمام عمارة الحاج موسى وفي خلال دقائق كان موسى المقعد يركبها بمساعدة السائق وابن عمته مروان قال لهما: هل أنتما جاهزان للمشي للمخيم هو البيت في المخيم .. نسيبنا قرب المخيم .. المخيم يحمل نفس اسم المنطقة بلدات صغيرة قبل النكبة كبرت مع النكبة كسائر بلدات القطاع وجباليا ومخيمها قدمت الشهيد تلو الشهيد ولسوف تقدم وتقدم حتى تعود الناس لمدنهم وقراهم كما دحر الإنجليز والصليبيون نحن واثقون من ذلك هذا من عقيدة أهل الإيمان لكن متى ؟ عسى أن يكون قريبا علم ذلك عند الله قرأنا أن بني الصليب عاشوا في القدس تسعين عاما ثم تلاشوا كما يتلاشى الضباب وتلك الأيام نداولها بين الناس .. الصهيونية العالمية قالت للعالم فلسطين ارض بلا شعب ومن اجل ذلك جاءوا ليسكنوا الأرض المقدسة ، وتسولهم أمام قصر يلدز في تركيا لمنحهم فلسطين اليوم معروف لكن السلطان العثماني رفض ورفض الرشوة رحم الله السلطان عبد الحميد رغم ضعف الدولة وشيخوختها ؛ ولذلك خلده التاريخ كبطل ، أما زعماء اليوم فليس لهم من فلسطين شبر من التراب ويتنازلون عنها ويبيعون ، وسيذهبون إلى مزابل التاريخ كما زال غيرهم فهل ترانا نحفظ اسما من الخونة قبل صلاح الدين ؟! أما عماد الدين نور الدين صلاح الدين فأسماء على كل المنابر .

كان مروان يتحدث بهذا الكلام وهم يمشون بجوار الجدران باتجاه منطقة جباليا للمشاركة في جنازة زوج قريبتهم فلما صمت قال ناصر :أنا معجب بك ما شاء الله لا قوة إلا بالله فثقافتك واسعة فانت تقرأ كثيرا ونستمع لما تتكلم به

ضحك مروان وقال: هذ المعلومات اليوم متوفرة للجميع في الكتب في الصحف في الشبكة العنكبوتية نحن في عصر المعلومات

ايمن: أنا كنت أتخيل أثناء الحرب أن يحبس الناس انفسهم في الدور خشية القنابل وتعطل المصالح

مروان: في البداية نفعل ذلك ثم نخرج لنساعد بعضنا ، والكثير من المصالح فعلا تتوقف عن العمل لان عملية التوزيع والتسويق تتوقف ؛ لكن في محلات ومتاجر لا تتوقف مثل محلات الخبز والأطعمة والدخان والبترول ، وحرب الصواريخ تختلف عن حرب الرصاص والبر .. تخف حركة

السيارات كثيرا خشية القصف .. المواد التي تفقد من الصعب إحضارها لأنها في مخازن الجملة .. وها هم القتلة يقصفون متاجر بيع الجملة بيع مواد الغذائية ؛ لان المقاومة تحت الأرض يريدون موت الشعب جوعا .. الحمد لله أن الله فرض علينا الصيام ففيها المخرج .. علمنا التيمم عند نقص الماء وفقده .. والمساعدات الإنسانية والإغاثية تستفيد من وقف النار لساعات .. والاهم تكافل الناس مع بعضهم في الكوارث والمحن .. المشكلة تقل وتنقص الأدوية وحليب الأطفال والرضع .. والله معنا ولولا معيته لهلكنا .. لقد ضربوا قنابل اكثر من عدد سكان القطاع خلال الأيام الخمسة الماضية .. والجميع يعلم أن حرب الطائرات لا تحقق نصرا ولا أهدافا رغم القتلى والإصابات .. الحرب البرية هي التي تغير الميدان

ايمن متشككا : أيفعلونها؟

ـ المعطيات والحشود تقول سيفعلونها ، هذه الحشود ستفعل شيئا ؛ لكن الخبراء هنا يرون انه محدود والا الخسائر ستكون كبيرة من الفريقين وهم يخشون الخسائر الكبيرة ؛ لأنها حرب انتخابات ، هم قصدوا بالضربة الجوية الشديدة أن يثور الشعب على حكومة حماس ويقتتل الناس وتنتهي المقاومة بكل فصائلها ، وتدخل إسرائيل للإصلاح بين الناس وتعود سلطة رام الله ؛ ولكن الله خيب آمالهم ومكرهم وأحلامهم.. الناس أو اغلبهم مع المقاومة والأمل يحدوهم للعودة لبلادهم الأولى .. النصر بيد الله .. أمريكا بجبروتها صفعت في عقر دارها وفي العراق وأفغانستان وتحرك حكومات عربية للتفاوض مع الطالبان .. وهل تقاس طالبان بما يملك الأمريكان؟ الأخبار كما تتابعون لابد من هجوم بري ، أما حجمه فعلمه عند الله وقال موسى الشباب يستعدون له مهما بلغت التضحيات وانتم تسمعون رغم القصف المتواصل فصواريخ الفصائل تقصف محيط غزة وعسقلان والنقب وسمعنا عن استخدام صاروخ جراد واستخدموا صواريخا اكثر .. اللهم انصرنا على القوم الظالمين .. قدرنا أن نولد في غزة ولسوف ننصر بإذن الله هنا

اليوم السادس – الخميس ١ يناير ٢٠٠٩ قامت طائرات حربية إسرائيلية بقصف مباني حكومية في قطاع غزة منها مقر المجلس التشريعي الفلسطيني بغزة ووزارتي العدل والتربية والتعليم التابعتين للحكومة المقالة، وغارة على مناطق خالية شمال القطاع، وغارة خلف كلية المجتمع للعلوم المهنية والتطبيقية جنوب غزة، وغارة استهدفت سيارة تابعة للشرطة وسط مدينة غزة، كما استهدفت مجموعة أخرى من المسلحين خلف مدرسة خالد بن الوليد في مخيم النصيرات وسط

القطاع، وقد قصف منزلين بمخيم جباليا شمال غزة ومخيم رفح جنوبه، ما أدى إلى مقتل ثلاثة فلسطينيين بينهم سيدتان. كما نقل عن كتائب القسام قولها إن مقاوميها تصدوا فجر اليوم شرقي خان يونس لقوة إسرائيلية خاصة كانت تحاول التوغل إلى القطاع وأجبرتها على التراجع، مشيرة إلى أن أحد المقاومين قتل خلال العملية

قتل د. نزار ريان القيادي في حركة حماس في هذا اليوم مع زوجاته الأربعة و١١ من أبنائه غالبيتهم من الأطفال في غارة استهدفت بيته في مخيم جباليا.

***

شارك الثلاثة في تشييع قريبهم وصهرهم في أجواء جهادية في منطقة جباليا رغم تحليق طائرات العدو وتساقط الصواريخ وقذائف المدافع شيع الأهالي الأموات وإرادة التحدي تغمر الكثير من الناس وما هي إلا موتة واحدة وعند الكثير الصبر والرضا ولا حول ولا قوة إلا بالله وسأل ايمن

مروان : أين موسى ؟ ألم ترونه ؟

ـ لا ادري فموسى غامض كما علمتم

فكأن رجل سمعهم وهو يعرف الأستاذ مروان فقال: تتحدثون عن موسى عبد الرحيم ابن حي الزيتون ؟ أشاروا بنعم

ـ لقد رميت السيارة التي يركبها بصاروخ أول جباليا

ناصر : وهل استشهدوا ؟

ـ لقد خرجا من السيارة سالمين ونقلا للمستشفى لجروح أصابتهم .. الصاروخ لم يصب السيارة مباشرة

ايمن: أي مستشفى ؟

ـ مستشفى جباليا ....

مروان بحزن : بعد الدفن نمر عليه نذهب إليه ..

هل أنت من أقارب الشهيد؟

ـ نحن جيران وأنا أعرفك واعرف موسى وجدك موسى .. وكان من نعم الجيران أبو خيري

مروان : زوجته قريبة لنا .. الحمد الله الذي خلف ما مات .. عنده يا ايمن ٥ أبناء و٥ أو ٦ بنات زوجته ولود بفضل الله

فابتسم جار أبي خيري : وأنا عندي تسعة ، فنحن أهل القطاع رغم فقرنا وحالنا وصغر قطاعنا نحب الخلفة ربما نحن اكثر شعوب العالم ولادة

فقال ناصر معقبا : هكذا دائما مناطق النزاع والحرب والزلازل تكثر فيها الولادات سبحان الله ها هي المانيا خلال الحرب كادت تفنى ؛ ربما هي الأكثر سكانا في أوروبا بشرا واليابان مثلها رغم قساوة الحرب وآلمها ما زالت النساء تلد ولو في عز الحرب حتى الصحف تنشر عدد المواليد خلال الأيام الماضية

ايمن: ربما يلدن من الخوف والحالة النفسية فيسرع المواليد بالخروج لهذه الدنيا أعان الله أولئك النساء أثناء الولادة وحتى الحمل .

مروان: هذه حياتنا منذ وجدنا في غزة ، النساء بعضهن يلدن في المنازل على أيدي القابلات الدايات يقولون القبالة أول مهنة طبية في التاريخ وهي حواء .. القابلة الأولى والله اعلم

الرجل الجار : هو لولا النظرات لكانت الولادة في البيت افضل واستر.. فاغلب أولادي وأولاد المرحوم ولدوا في الدور على يد القابلات العجائز ، ومع كثرة المستشفيات والتطور الطبي أصبحت النساء تخاف من ولادة البيت ، وما زالت بعضهن يمارسن التوليد في الدور .. فالفقر صعب وعملية الولادة في المستشفى تكلف ، وعيادة الوكالة لا تقصر في تحويل الحوامل إلى مشافي القطاع الخاص .. يبدو هؤلاء الشباب عزاب

مروان: هؤلاء الأخوة أقارب لنا من الأردن .. هم عزاب وأنا مثلهم

وقبل أن يعلق الرجل بدا الناس يغادرون المقبرة وسمع احدهم : هيا أبا محمد

ـ نلتقي اذا كتب لنا البقاء السلام عليكم .. سلموا على الحاج موسى أبي عبد الرحيم

ـ سلمك الله نقول له أبو محمد ماذا ؟

****

ساروا بعد مغادرة المقبرة نحو مستشفى جباليا فلم يجدوا قريبهم موسى فعادوا لحي الزيتون وطلب مروان ألا يذكروا إصابة موسى حتى يتضح الأمر ، حاول مروان الاتصال به عن طريق الخلوي ولكن دون جدوى ، الصحف مواقعها تنشر أخبار القصف ومواقعه والإصابات والتفاصيل وإذاعات القطاع القصيرة لم تذكر الحادث وما نتج عنه ، ذهب مروان لجلب ما يستطيع من الخبز الطازج وبعض المواد الغذائية التي ما زالت تباع في البقالات كعلب الفول والسردين حتى بعض محلات الحلوى الصغيرة تبيع للناس

مروان بعدما عاد قال لأيمن وناصر : لولا الطائرات وزعيقها لقلت أننا نعيش بسلام

ـ كما قررت سابقا اصبح الموت بالصواريخ كحادث سيارة أمرا طبيعيا من سيموت سيموت بحرب وبغير حرب .. الصعب على الناس هدم البيوت والعقارات التي يأوون إليها وتحويشة العمر الله سيعوض الجميع بفضله

وقضى أهل القطاع ليلة أخرى تحت العدوان ، وسقط المزيد من الشهداء والدمار وارتفع عددهم صباح الخميس ، ويتنقل القصف من الجنوب إلى الوسط ثم شماله ، وكان الحدث الأبرز الخميس في جباليا حيث قصفت الصواريخ منزل القائد نزار ريان المجاور لمسجد الخلفاء الراشدون في مخيم

جباليا ، وقد دمر البيت المكون من خمسة طوابق على أهله ، فقتل الدكتور وزوجاته الأربع وأبناؤه ١١ ، وتم تدمير بيوت مجاورة ، وكان استشهاده حديث الساعة والأخبار ، والأحداث المتسارعة تنسي بعضها البعض ، وسجل التاريخ شجاعة هذا الشيخ القسامي ورفضه إخلاء البيت بعد تحذير خلوي له ، ورفض الانصياع والجبن أمام صلفهم وعنجيتهم ، فهز مقتله وأسرته قلوب الناس الحية ، قال أيمن : تعجبنا من شجاعة الفارس وجبن اليهود بقصف إنسان في بيته .. هذه شجاعة اليهود الرمي عن بعد .. وهل احتج العالم الحر على قصف المدنيين ؟ الصمت والبكم .. حقد عجيب على الفلسطيني ، وكان التأثر كبيرا في بيت الحاج موسى .. كم استمع لدروس ومواعظ الشيخ عن الجهاد والسلف في مساجد جباليا والقطاع عامة .. وكم رابط الشيخ على الثغور الغزاوية مع رفاق الجهاد .. كان الفارس اجتماعيا والرجل طالب علم على مذهب السلف والاحاديث ، واكبر الناس شهادته وتضحيته بنفسه وأهله ورفضه تهديدات المغادرة قبل القصف الهمجي

في مجلة فلسطين المسلمة عدد فبراير ٢٠٠٩ كتبت : رائع في عقيدته صلب في إرادته وقف على الثغور ورابط في الميدان وصد الاجتياحات ، جمع بين التأصيل الشرعي وبين التطبيق العملي للمقاومة ، عالم قائد ومقاتل شبه بالعز بن عبد السلام ، وشبه بعز الدين القسام لكنه .. الأخ المجاهد أبو بلال قضى حياته بالعلم والدعوة والجهاد وختمها بالاستشهاد مع زوجاته وأبنائه وبناته رفض الذل ورفض والهوان أثناء العدوان الإسرائيلي والانصياع للابتزاز .

كان مساء الخميس ٣-١ يوما داميا على شمال غزة باغتيال نزار وأسرته اظهر موته شجاعة الرجل للعيان الدرع البشري رغم تهديدات العدو بتدمير البيت ، ذكر هذا الحدث بجريمة السبت وعنفها والسعي إلى نشر الفوضى من المعلوم أن الناس تتأثر بالموت والمصائب ضعفا وقوة حسب المعرفة والعلاقة بين الميت والأحياء فتأثر بعض أفراد أسرة الحاج موسى بنبأ اغتيال القائد نزار وأسرته حتى ايمن تأثر بحزنهم وشمل الحزن والغم شقيقته وابن عمته ناصر وسمعوا مناقب الشيخ ومزياه وحبه للجهاد وصموده وتابعوا الحكاية على الإذاعات المحلية والخلويات التي يملكونها والاشتراكات الدولية ونشرت الفضائيات صور البيت المدمر وروا حجم الجريمة والكارثة ، وذكرت مواقف الشهيد من العامة والخاصة وعلمه ونشاطه الدعوي والجهادي وتحدث أصحابه على المحطات الأرضية والفضائية حتى

زملاء الدراسة في الأردن تكلموا بذلك وذكرياتهم معه وكذلك أصدقاء جامعة محمد بن سعود في السعودية أشادوا به وبعلمه وثقافته وحبه للجهاد وذكرت قصصه مع المرابطة .

قال مروان وهو يسمع الرن: انه موسى !

ايمن : موسى!

فتح الخط فقال : الحمد لله على السلامة علمنا أثناء التشييع تعرض سيارتكم لقصف

ـ نعم لم تصب السيارة أصابت سيارة تسبقنا بأمتار ونجونا وكذلك أصحاب السيارة التي قبلنا والحمد لله رب العالمين

ـ الحمد لله على سلامة الجميع .. والجميع يحمدون الله على نجاتكم قصف عشوائي أم مرصود ومقصود ....

ـ لم نتثبت بعد .. اخبر الأهل أن العدو يستعد لاجتياح بري ربما وسط غزة فتحركات الجيش واضحة للعيان على الأطراف لا نعرف اجتياح شامل أم جزئي فحي الزيتون سيكون احد الأهداف من العدو اللئيم ..الحافظ هو الله سلم على الجميع

انتهى الاتصال ونقل مروان الإشارة والتحذير للموجودين

فقال الحاج: موسى بخير

ـ أصيبت في الضربة سيارة أخرى أمامهم ولم يقتل احد .

ـ الحمد لله لن نذهب حتى تحرر فلسطين لن نرحل لمصر ورفح المصرية لا اعتقد أن شعبا عانى ما عانياه خارج وطننا .. تاريخ اسود مع الجميع جربنا المصريين هنا .. وغيرنا جرب في لبنان وسوريا والأردن والعراق وفي الخليج أيام أزمة الكويت .. فلا احد يفكر بالهجرة من جديد الموت في الوطن احلى من الحياة.. فسنسلم امرنا لله فهو يتولانا ولن تموت نفس ناقصة العمر والرزق .. في اليابان سمعنا أنها ضربت بالقنبلة النووية مات الكثير ويقي الأكثر أحياء

ايمن: أنت قدري يا جدي ! الناس لا تهرب إلا للكر من جديد

ـ نحن هربنا من الدعاية السوداء والتهويل الإعلامي وشفاعات زعماء الاستعمار ، ولم نكر من جديد .. نحن ندافع عن انفسنا ، وتشتتنا في أنحاء العالم خشينا على بناتنا ونسائنا .. فاليوم بنات الأمة نقول قلة عاريات مغنيات متبرجات .. فصرنا نسمي طائفة منا فلسطيني الشتات وهم بحدود خمسة مليون وما ادراك ما الشتات ؟ غزة هذه مليون لاجئ فيها اكثر من أهلها .. لو رحت الصين ستجد جالية فلسطينية .. نسأل الله العافية والرحمة .. حال صعب يا أولادي ولولا الخطر المحدق بنا لطلبت منكم العودة لعمان حتى تتوقف

هذه المعركة المفروضة علينا

ناصر: هذا قدرنا ..لا تدري نفس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس باي ارض تموت .. إن قدرت الحياة والنجاة سنعود لبلادنا الأردن وأهلنا .. لا تقلق علينا فالمقدر لا يتغير من اجل لحانا وتعلمنا الكثير من الشجاعة والإيمان خلال هذه الأيام .. الشباب السائر للغرب للعمل وتحسين الدخل يهلكون هناك على أيدي العصابات في حوادث سيارات ومخدرات لم ينجح الجمع سوى الذوبان في العادات الغربية "قل كل من عند الله " لا يهرب احد من قدره في اللوح المحفوظ ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

وضع العشاء بين أيديهم وطفقت الأفواه تمضغ وتبلع والوجوم والقلق مخيما على الوجوه فالأخبار والقتل كما يقال يسد النفس عن الطعام ،كان الطعام بيضا ومعلبات وأطعمة معلبة وأنواع من الجبن أطعمة سهلة التحضير ، حمدوا الله وشكروه على ما رزقهم من طعام وشراب وعلى نعمه ودعوه ألا تزول ، وتحدثوا قليلا ثم تفرقوا إلى أماكن نومهم على امل الحياة ليوم جديد وكان يسمع دوي القصف بعيدا وقريبا وأزيز الطائرات لا يكاد يتوقف ألا أنها الحرب!

روايات اجتماعية

غربتي وابنتي

الحلقة ١

حفلة زواج

كان الطبيب البشري مجدي حسن يستقبل ضيوفه على مدخل صالة الفندق المخصصة لحفل زواجه ، وكان الأقارب والمدعون يتوافدون إلى القاعة لمشاركة الطبيب فرحه.

وكان يقف معه في الاستقبال والترحيب بعض إخوته وخاصة منهم شقيقه الأكبر عادل حسن وبعض أبنائهم ، وكانوا يشيرون للضيوف إلى الأماكن الخالية والموائد المناسبة.

فسلم عليه زميل له أيام الدراسة في كلية الطب الدكتور ماهر طه وعانقه وبارك له ، وهتف قائلا والفرح يغمره : أخيرا ! أخيرا استسلمت يا دكتور مجدي !

ضحك العريس وقال : نعم ، لقد استسلمت أخيرا للزواج .. يا مرحبا بك.. أهلا وسهلا بالعزيز ماهر

وحيا ورحب بزوجة الدكتور بهز رأسه ، فهو يعرفها حق المعرفة وقال مداعبا : كم طفلا عندكم اليوم ؟!

ضحكت الزوجة فاطمة وقالت : بفضل من الله وحده خمسة يا دكتور مجدي .. دكتور وعنده خمسة مواليد عقبال عندك .

تابع الطبيب العريس ضحكه وقال معقبا : واحد

يكفي اليوم.
وقال ماهر وهو يشير لرجل قريبا منهم : أخي مروان .. أيضا طبيب.
حيا مروان مجديا وبارك له اقترانه ، وتابعوا الدخول للقاعة ، وتابع مجدي الترحيب بالضيوف واستمر الاستقبال والمداعبات البريئة والنكات الظريفة حتى انهمك المدعوون بتناول ما قدم إليهم من طعام وحلوى أعدها لهم الفندق .. وبعد ساعتين من الفرح والمرح المتواصل أخذ المشاركون بالحفل بالانصراف والمغادرة وهم من جديد يباركون للعروسين ، ويدعون لهم بالحياة السعيدة والذرية الصالحة.
وبقي بعض الأهل والأقارب للطرفين العريس مجدي ذو الأربعين عاما ، والعروس ذات الخمس والعشرين سنة السيدة هناء محمد ينتظرون مغادرة العروسين للمطار حيث سيغادران
البلاد إلى تركيا وبعض بلدان أوروبا لقضاء ما يسمى شهر العسل ، عادة انتشرت في العالم ، ومنه العالم العربي والإسلامي .
جاءت سيارة خاصة لتقلهما للمطار الدولي للسفر لتركيا لقضاء عدة أيام فيها ، ومنها للنمسا وسويسرا حيث يستمتعون بالحياة في ربوع تلك البلدان ، وبالأيام الأولى من الزواج.
ولقد طلق الطبيب مجدي العزوبية من عهد قريب عندما التقى بالآنسة هناء محمد عن طريق أخته بسمة حسن التي كلفها بالبحث عن زوجة له بعد حسم أمره وقرر الزواج ودخول قفص الزوجية كما يقال ، وخاصة أنه شارف على الأربعين، ولم يخض تجربة الزواج والأطفال
السيد مجدي عندما تخرج من كلية الطب كطبيب بشري عمل بعضا من السنين كطبيب في مشافي الحكومة ، ثم تعاقد للعمل في إحدى دول الخليج في أول فترة الطفرة النفطية والاستقلال ، وكان قد أخذ شهادة الاختصاص في طب وجراحة العظام فهو جراح عظام ، وأخذ كذلك يلمع اسمه على مستوى أقطار الخليج الستة حيث الثروة والمال وانتشار السيارات ، وما أدراك ما حوادث السيارات ؟!
وكان صاحبنا مجدي قد التقى بفتاة أثناء الدراسة الأولى وجرى بينهما استلطاف كاد أن يؤدي لزواج بعد التخرج ، ثم اكتشف الشاب أن الفتاة التي وثق بها تحب زميلا آخر فكرهها وكره جنس النساء من أجلها ، كما كان يزعم لرفاقه ، ثم هجر فكرة الزواج نهائيا حتى أشرف على الأربعين فغير رأيه فجأة ، وطلب من شقيقته بسمة السعي في اختيار زوجة مناسبة له ، رغم عمله في المستشفيات بضع سنوات والتقائه بالكثير من الموظفات والممرضات والطبيبات العزباوات لم

يقترن بواحدة منهنّ ، وكان يصد كل فتاة تقترب منه صدا جميلا ، حتى كبر سنه وبلغ الأربعين ، وعلى أثر وفاة أمه بعد أبيه أخذ يفكر بالنكاح بشكل جدي ، وقد أخذت أخته الكبيرة بسمة حسن تكثر من الكتابة في رسائلها إليه حول سنه وحاجته للزواج ، وكذلك في مكالماتها الهاتفية معه فلان وكلفها بالسعي في تحقيق هذه الغاية الكبيرة من حاجات الإنسان البالغ العاقل ، فكانت ترسل إليه بصور الفتيات التي تراهن مناسبات للزواج من شقيقها فبعد عدة محاولات أعجب بصورة واحده منهنّ ، وأخذ إجازة وعاد للبلد وقابل الفتاة هناء محمد ، واستحسنها وقبلها زوجة ، وهي فتاة عاملة في إحدى شركات القطاع العام تحمل شهادة علوم إدارية من إحدى الجامعات ؛ ولكنها بعد الاتفاق على الزواج ودعت الوظيفة ، واستسلمت لطلب زوجها بهجر العمل والاستعداد للزواج والسفر لخارج القطر ، وكتب عقد الزواج ، وها هو قدم في إجازة ؛ ليكون الزواج الذي تحدثنا عن في أول الكلام ، وسافر العروسان إلى تركيا ومنها لأوروبا لقضاء بضعة أسابيع قبل العودة للعمل .

الحياة منحة وهبة ربانية ، وحياتنا أسرارها عجيبة ، وسعادتها كما تعلمون قصيرة .. لا تخلو الحياة من منغصات وآلام تتفاوت بين الناس ، والسعيد من اتعظ بغيره ، قضى الطبيب المهاجر ثلاث سنوات من الزواج ولم يتمكن من الإنجاب ، كان الزوجان سعيدين ببعضهما ؛ ولما مضت السنة الثانية من حياتهما الزوجية دون تمكن من الإنجاب تسرب الخوف والانزعاج إلى قلبيهما ، فالخلفة أمر مهم في حياة الأسرة الشرقية كما هو معلوم وشائع ، أجرى الرجل فحصا طبيا خاصا بالقدرة على الإنجاب [١]، فتبين له رغم ضعفه الجنسي بسبب السن يمكنه الإنجاب ببعض المتابعة الطبية وفعلت الزوجة الفحوصات اللازمة للإخصاب والحمل ، فوجدت أنها سليمة مائة في المائة وتستطيع الحمل من غير عوائق مادية ، ولما مضت السنة الثالثة دون نجاح أي حمل وافق الطبيب مجدي وللهفة هناء على مولود وافق على أخذ أدوية منشطة للجهاز التناسلي ومقوية للحيوان المنوي ، وسيكون ذلك تحت إشراف مستشفى خاص بالعقم والولادة ، واستمر ذلك سنة ودون فائدة ، وقبل انقضاء السنة الخامسة لزواجهما جاء الفرج والحمل بدون أدوية وشاء المولى أن يكون حملا طبيعيا ، فعمت السعادة والبسمة البيت من جديد

---

[١] – تبدأ هذه الفحوصات بتحليل السائل المنوي للزوج ثم بعد ذلك إجراء الفحوصات الخاصة بالزوجة مثل السونار للكشف عن المبايض والرحم والأشعة بالصبغة للتأكد من سلامة الأنابيب وعدم وجود انسداد .

خاصة بعد أن ثبت الحمل ونجا من الإجهاض المتكرر ، وغمر الود والحب الأسرة من جديد بعد أن كادت تنتهي بسبب الحمل والذرية ، وحملت أسلاك الهاتف الخبر للبلد ، وغمرت الفرحة أم هناء ووالدها ، وكذلك أهل مجدي من أخوة وأشقاء فقد وصلتهم المعاناة التي يعاني منها الزوجان ، ففرحت خالاته وعماته بذلك ، وكان الكل يخشى الطلاق للزوجين ؛ لأن مجديا لو فشل زواجه فلن يكرر الزواج ثانية خاصة أنه اقترن بعدما وصل سنه الأربعين سنة .. سبحان الباري في علاه ! .. فالناس تفرح وتسعد للمواليد الجدد والأجيال الجديدة.

ولدت هناء بنتا جميلة كاملة وتامة أشهر الحمل ، فسميت زهيرة لأنها أزهرت عليهم حياتهم بعدما نغصت حياتهم قضية الحمل .. فحمد القوم الله المنعم الوهاب ، وتذكر مجدي ليلة زفافه عندما تمنت له الدكتورة فاطمة زوجه صديقه ماهر الذرية وأنها قد ولدت خمسة أبناء، فرد عليها يومها واحد يكفي اليوم تذكر ذلك الحوار القصير .. لقد كانت المعاناة شديدة من أجل هذا الواحد فقال لنفسه التي تستذكر تلك الثواني هل واحد يكفي يا ترى ؟! البنت ألا تريد أخا كما يقال عندنا ؟ ألا تريد أنت ؟ مضت خمس سنوات في انتظار زهيرة

التفت وهو يفكر في ذلك للبنت الرضيعة وحملها وعانقها وهو ينظر لعيني أمها التي انزعجت من طريقة حملها فقالت : مجدي إنها نائمة.

فأعادها للسرير الخاص بها وتنهد وقال : خمس سنوات انتظار يا هناء عشرات الساعات قضيناها من أجل أن نراها.. حياتنا الزوجية كانت على كف عفريت كما يقال قبل أن تطل علينا بطلعتها البهية .. نظرة الحياة والأمل.. لم أكن أدرك حب الأطفال أنه بهذه القوة لو عرفت ذلك لتزوجت قديما ؛ ولكنه القدر .. أنت أم هذه الطفلة ليست علا .. أتعرفين علا ؟

قالت : حدثتني عنها عندما سألتك لماذا لم تتزوج لليوم ؟ إنها زميلتك في الجامعة الزميلة التي غدرت بك وتعلقت بأعز أصحابك ، سمعت هذه القصة

ـ القدر !! ما هو القدر يا هناء ؟ أتفهمين في الدين؟

ـ بعض الشيء ربما ثقافة عامة

عانق الطبيب فتاته من جديد وأعادها ثانية للسرير وقال :إنها جميلة مثلك يا هناء رغم سمارها الجميل إني أحبها أحبها

ـ شد حيلك لتنجب لها أخا أو أختا

نظر إليها شزرا وقال : أمستعجلة على الحمل ؟!

قالت بجفاء : لم نعد صغارا يا دكتور مجدي.

كانت هناء محمد لديها أشد الرغبة بالحمل والولادة من جديد ، فكانت ترى أن السنين تتقدم بها سريعا ، فعليها أن تدرك نفسها بعدد من الولادات قبل فوات الوقت ، مع أنها تبلغ من العمر يومئذ الثلاثين عاما ، وما زال لديها الوقت للإباضة والحمل ، وكانت تلح بشدة على زوجها لمحاولة العلاج من ضعف وجودة حيواناته المنوية ، ويضطر الرجل لتذكيرها بفشل ذلك قبل إنجاب زهيرة ، وليترك الأمر لمشيئة الله ، فتحتج أن العلاج من مشيئة الله تعالى، فيثور ويقول كله من مشيئة الله بالتأكيد ؛ وإنما قصدي يا محترمة أن يكون طبيعيا دون هذه الوسائل .

ثم تبرر فتقول العمر يمضي يا مجدي .. اليوم عندي صحة لمزيد من الحمل

ـ دعِ الأمر لصاحب الأمر ، إذا وفقنا لتربية زهيرة وتنشئتها فهذا أكبر خير وأكبر فضل.

ـ أنت تكبر يا مجدي ، وتضعف قدرتك على الإنجاب، الأمومة لا تكون بمولود واحد فحسب .. لو كل سنة أرزق بمولود سأكون أسعد الناس ، لا تحرمني من هذه النعمة .. ليتني ألد التوائم .

تنهد ضيقا وحزنا وقال : عجيب أمرك يا زهيرة ! ولماذا تأخر زواجك ما دمت بكل هذا العشق للذرية ؟!

ـ تأخر ابن الحلال .. كنت في القدر من نصيبك

فقال بسخط : أنا لا أحب الأبوة كثيرا ؛ لذلك كرهت الزواج وجنس النساء .. فتكفي زهيرة وسلمي أمر الإنجاب لله .. هل طلبت منك استخدام أي مانع للحمل رغم أنك وضعت من شهور ؟

ردت بنوع من الغضب : ربما أنت تستعمل الموانع يا حضرة الدكتور .. أليس هناك موانع ذكرية ؟ ! لنا ست سنوات زواج حتى أكرمنا المولى بزهيرة ..وها هي بدأت تحاول المشي يا مجدي .

ـ لتأخذ حقها في الرضاعة الطبيعية واللبن يا بنت الكرام .. الرضاعة سنتان .. أربعة وعشرون شهرا.

اعترفت قائلة : توقفت عن الرضاعة الطبيعية

قال دهشا : ماذا ؟! لمَ لم تخبريني يا هناء ؟ ألسنا شركاء ؟ فمن حق زهيرة أن ترضع حولين كاملين.

ـ أكمل لمن أراد أن يتم الرضاعة.. وقبل أن تثور فاعلم أنها هي التي تركت صدري .. لم تعد تحب الرضاعة ، وسألت طبيبة المركز الطبي قالت بعض المواليد يكرهون حليب الأمهات ..

ويستلذون على اللبن الصناعي

ـ لابد أنك مقصرة في الرضاعة ، وأكثرت من رضاعتها بالقنينة والحليب الصناعي فأحبته .. الرضاعة دواء لك ولها يا جاهلة.. فالرضاعة الطبيعية تضعف أمراض السرطان عند النساء عندما يكبرن ويتركن الحمل والرضاعة ، وتقوي جهاز المناعة للمولود .. أنت الخاسرة قبل زهيرة

ـ صدق أنها تخلت عن صدري بدون ضغط مني ، لم أفعل شيئا لأحرمها من لبني ، لا حليب لديّ.. أمي أخبرتني أنها هكذا .. سنة واحدة رضاعة فقط ، ثم يجف اللبن .

قال ساخطا : وراثة إذن هل هذا معقول أم أنّ هناك مرضا ؟!

فصاحت في وجهه غضبا : إنها ابنتي.. وأنا أحبها أكثر منك.. أنا لم احرمها من الحليب.. ضعف ثم انقطع .

فعاد يقول بصوت هادئ : اهدئي يا حبيبتي ولماذا انفعلت ؟

ـ إنك تثير الأعصاب يا مجدي! إنك تشعرني بكلامك ونظراتك كأنني ارتكبت جريمة بحقها أليس من حقي أن أنجب الأطفال ؟ فعندما أكلمك حول ذلك تكبر القضايا وتجعلها قضية مصيرية .. تردد على الأطباء خذ أدوية ومنشطات .. تنفعل وتقول دعي الأمر للخالق وحده وهل ينفع علاج بدون رضا الخالق وتيسيره؟ .. فالعلاج من الخالق

ـ الأمر لله يا بنت الناس! وأنت تعلمين أنني لست بحاجة لعلاج جنسي .. والهبة من الله وحده

فقالت بحدة خفيفة : ولماذا يتداوى الناس؟!

ويذهبون لعيادة الطب يا حضرة الطبيب

ـ سألت كذا طبيب .. وكلهم يقول إنني سليم من ناحية الجهاز التناسلي.

ـ لديك بعض المشاكل في القلب والدم ربما يكون لها تأثير على نطفك ، وإنني يمكنني أن أنجب مرة وثانية وثالثة .. عمر زهيرة قريب من السنة ولم يحصل حمل!

ـ الرضاعة من موانع تأخير الحمل عند بعض النساء

فقالت بضجر : لا أدري لماذا أنت تكره الخلفة؟! كأنك أنت الذي سيحمل الجنين .

قهقهة الدكتور ، وتابعت هناء قائلة : وأنت الذي أخبرتني أن زوجة الدكتور ماهر الطبيبة أنجبت سبعة منذ زواجها قبل عشرين سنة

قال : نعم عندهم سبعة بنين يريدون بنتا ولم تأت البنت

ـ أريد أخا أو أختا لها يا مجدي لا سبعة

تبسم وقال : أنت ما زلت صغيرة تجاوزت الثلاثين بقليل .. فالأمل موجود .. وسأذهب إلى

أفهم أخصائي عقم في المدينة ـ الطبيب بارود صاي ـ لتعلمي أنني لست المشكلة .. أتمنى أن تصبح هذه القضية قضية ثانوية يا عزيزتي وأن نسلم الأمر لله .

فقالت : وأنا مسلمة أمري لله .. والأخذ بالأسباب ليس ضد الدين كما أعرف وأسمع كثيرا.

نشأت زهيرة وأصبح عمرها خمس سنوات ، ولم يتحقق الحمل ثانية لهناء ، كانت في ضيق ونكد بسبب ذلك ، كان الألم يعصر قلبها لهفة لحمل آخر ، وكم تضيق نفسها عندما تسمع عن أخت لها أو لزوجها قد ولدت ! وتكاد أن تنفجر عندما تزور أهل زميل أو صديق لزوجها ولدت امرأته ، كانت تذهب مكرهة ؛ وكأنها ذاهبة لعزاء ليس لفرح ، كان ذا مما يثير شجونها ويهيج عواطفها ورغبتها بأن تكون هي التي وضعت المولود ، لديها لهفة وشوق لذلك ، وكلما سمعت المرأة عن طبيب نسائي وأخصائي علاج عقم تذهب إليه مسرعة ، وتضغط على مجدي ليعرض نفسه من جديد عليه ؛ ولكن دون جدوى ، فالكل يؤكد أنه يستطيع الإنجاب لا مشاكل تمنعه من الإخصاب ، لذلك كانت تكثر المنازعات بينهم قبل الذهاب لعيادة هؤلاء الأطباء وبعد العودة من عندهم ، فأخذ الدكتور بسبب هذه المنازعات المتكررة يكثر من المناوبات الليلية في المستشفى العامل في صرحه تخلصا من المضايقات التي تحصل له بسبب هذه القضية ، ثم في الأيام والليالي التي لم يكن لديه عمل يقضيها في الزيارات والسهر مع المعارف والأصدقاء ، ويعود للبيت بعد أنصاف الليل ، كان يرى الهرب من الجلوس والتناقش في أمر معها أمر عقيم

جاء ليلة متأخرا ، وكان قد نسي أخذ مفتاح الشقة عندما خرج ليسهر ، وبعد أن تأكدت من شخصه فتحت له الباب وكلها سخط وغضب ، فلما دخل البيت وأغلق الباب وراءه سمعها تصيح في وجهه لماذا عدت ؟ الفجر سيطلع لم يتكلم بل دفعها بقوة فوقعت على الأرض ، وكانت قد صرخت من الألم فقال صارخا: أصبحت الحياة معك لا تطاق .. جحيم

وزاد صراخها فقال صائحا : أفكر بإرجاعك لأهلك.. منذ تزوجنا وحياتنا نكد وعذاب بسبب الخلفة .. خلف خلف كأن الأمر بيدي .. ورغم عرض نفسي على عدد من أهل الاختصاص ، وعلى سمعك كلهم أكدوا سلامتي من هذه الناحية وعلى قدرتي على الإنجاب وأنت غير مصدقة .

فصاحت وقد جلست على إحدى الكنبات : كلهم كذابون إنهم متواطئون معك ..كلهم يعرفون عجزك عن الإنجاب .. أنت متفق معهم

ليزعموا أمامي أنك سليم .

ضحك قليلا وقال بسخط : رائع ! أنا تعبت منك .. كما دخلنا بالمعروف فلنخرج بالمعروف أو تكفين الحديث عن الولادة ، وفلانة صار عندها ثلاثة والثانية عشرة .. علينا أن نرضى بقدر الله .

.اختاري المناسب البقاء مع الصمت أو الفراق بالتي هي أحسن

هاجت وقالت بغضب : من الآن اختار لماذا ننتظر الصباح ؟ أبعد هذه الدفعة تريد مني البقاء والاختيار ؟! أنت وحش

ـ وحش وحش

وتركهامتضايقا ومتألما إلى حجرة ينام فيها أثناء غضبه ، ونام على أريكة فيها، ولما تبعته بعد حين يسير حيث ينام لتبلغه باختيارها الحاسم وجدته قد غفي سريعا فقالت بصوت مرتفع : الله اكبر ! نام إن شاء الله أن تكون آخر نومة لك يا مجدي

ولما خرجت من الحجرة وجدت زهيرة تقف عند باب غرفتها فقالت لها وهي تبكي : لماذا تدعين عليه يا أمي ؟! سمعتك .

ـ أنت صاحية يا زهيرة

ـ صحوت على صياحكم وعلى بكائك يا أمي.

ـ نامي تصبحين على خير يا زهيرة

ومشت إلى حجرة نومها لتنام ، ولم تعرف للنوم طعما ، فرجعت إلى حيث ينام مجدي وهزته وقد سيطر عليها الشيطان والهوى ، وهزته ثانية مع النداء فلم يستيقظ ، وأعادت التحريك مرة ثالثة مجدي مجدي

لم يستيقظ مجدي ، ذعرت ، ثم أسرعت للهاتف المنزلي واتصلت بالمستشفى الذي يشتغل فيه ، فجاءت سيارة الإسعاف، ولما دخل طبيب الإسعاف لبيت المريض وفحصه التفت إليها وقال إنه ميت يا هناء!

كانت زهيرة تسمع فقالت للطبيب صديق والدها: ميت لن يعود للحياة معنا يا أمي!

توقفت هناء عن الصراخ وقالت : أجل يا زهيرة رحل أبوك إلى رحمة الله تعالى

مات الزوج مجدي حسن بعد عشر سنوات زواج ..تركها وترك لها زهيرة .



الوصي

عادت هناء وابنتها إلى البلد على أثر دفن زوجها حيث كان مهاجرا ، وكانت في غاية الحزن والألم ، عندما تتذكر الليلة الأخيرة لزوجها ، وكلما تخطر في مخيلتها تلك الدقائق تنفجر باكية ، ويلازمها الحزن القاتل من جديد ، قد رجعت بصحبة

شقيق لها وشقيقين لزوجها عادل حسن ونبيل حسن ، وكلاهما أكبر سنا من زوجها مجدي ، هؤلاء من شارك في جنازة مجدي من أهله وأهلها ولما استقر عادل في البلاد فتح بيت عزاء عن شقيقه الميت لمدة أيام ثلاثة بلياليها كما هي عادة القوم في بلادنا ، وكان ذلك في منزله الكائن في حي الجبر القريب من وسط العاصمة والمطل عليها لأن عاصمتنا تتكون من عدد من الجبال ، والرجل قد عمل معلما في مدارس الدولة ، ثم كان مديرا عند أحداث هذه القصة ، وهو يكبر عن مجدي ببضع سنوات.

السيد الطبيب مجدي لم يكن يمتلك بيتا خاصا في وطنه ومسقط رأسه ، كان قبل وفاة والديه كلما يجيء في إجازة للبلد يسكن في منزل الوالد ، ويقضي الإجازة بينهم ، وبعد وفاتها بيع البيت بحكم الميراث ؛ وذلك بعد نقل ملكيته للأم بعد تنازلهم عنه للأم أثر وفاة الأب.

فكان الطبيب يقضي إجازته بعد موتها نزيلا في أحد فنادق المدينة إن كانت الإجازة قصيرة الأيام ، وأما إن كانت شهرا فأكثر فكان يستأجر شقة مفروشة.

ومع إمكانياته المادية ظل بغير عقار ، فسكنت هناء وابنتها في بيت والدها الكائن في حي مصعب ؛ وذلك بعد انتهاء أيام العزاء التي أقامها الشقيق الأكبر عادل في منزله الواسع في حي الجبر.

وكان على السيدة حسب الشرع الإسلامي أن تقضي عدة الوفاة البالغة أربعة أشهر وعشرة كما أمر الشرع ونظم في بيت الوالد محمد بكرم ، وكانت كما قلنا في غاية الحزن والندم عندما تستحضر الليلة الأخيرة من حياتها الزوجية ؛ فتشرق بالدموع والبكاء ، ويتألم المشاهد لها ، ويعتقد أنها كانت متعلقة بزوجها تعلقا كبيرا مع معرفتهم بالمنازعات التي شاعت بينهما ، فيستغربون هذا الحزن الشديد فيسعون للتخفيف من وقع المصيبة عليها.



ثم انشغلت الأسرتان أسرتها وأسرة أشقاء مجدي بترتيب أمر ميراث الطبيب مجدي وترتيب أمر الولاية والوصاية ، وكانوا قد علموا أن السيد مجديا كان قد رغب بتكليف صديقه السيد ماهر طه زميله في الطب بالوصاية على ابنته ، فقد مرض قديما بعد ولادة الفتاة بشهر أو شهرين وطلب من ماهر أن يكون وصيا على ابنته إذا مات؛ ولكنه تعافى يومذاك ، وكان ماهر حينئذ قد طلب من محام زميل لهما بعمل عقد الوصية على الطفلة ، فلما

تحققت الوفاة جدد المحامي عقد الوصية في المحكمة الشرعية وقبل القاضي الوصية ، وعين رسميا وشرعيا الدكتور ماهر وصيا على زهيرة مجدي حتى تبلغ السن القانوني لإنهاء الوصية عليها وتملك ثروتها الموروثة ، وعين عمها عادل وليا عليها بحسب القانون الشرعي أو ما يسمى بقانون الأحوال الشخصية التابع للمحاكم الشرعية ، وكانت الحاضنة لها طبعا الأم هناء حتى تتزوج فتنقل الحضانة لأمها إذا كانت على قيد الحياة.

وبعد حين يسير قام المحامي القانوني والشرعي للسيد ماهر طه بما يسمى بحصر الإرث الخاص للطبيب مجدي ، وبالتعاون مع أشقاء الميت تم حصر ثروة الرجل وتقسيمها حسب قانون الميراث الإسلامي ، فدفع للسيدة هناء ثمن التركة وكانت حصة زهيرة نصفها حولت إلى دائرة رعاية أموال الأيتام ، وتحت وصاية السيد ماهر حتى تبلغ الفتاة السن القانوني المالي ، وورث أشقاء مجدي وشقيقاته ما تبقى من التركة للذكر مثل حظ الأنثيين لأنهم عصبة الميت.

قضت هناء عدة الوفاة الشرعية في بيت والديها ، وكانت تفكر باستئجار شقة للحياة فيها مع ابنتها الوحيدة ، ولكن أهلها أقنعوها بالحياة في بيت الوالد محمد وأن البيت يسعها في الوقت الحالي ، وما زالت عقدة الليلة الأخيرة من حياتها الزوجية تؤرقها وتزعجها وتحسسها أنها كانت وراء موت زوجها بالسكتة القلبية ، ثم أخذ المشهد يتلاشى رويدا رويدا ، وتبقى الحياة أقوى من كل الأحداث ، ولو كانت محرقة ومحزنة

، فصار المشهد تتذكره بين الحين والآخر ، ثم اختفى تماما وهي تقول هل ستنساه زهيرة عندما تكبر كما أنا قد نسيته ؟ ! هل أدركت ما سببته لأبيها من موت ؟! هل رأت حقيقة تلك الليلة عندما دفعني الرجل غضبا ؟ هل سمعته وهو يلوح بطلاقي ؟ لكني كنت أريد المزيد من الذرية أريد أشقاء لها ؟ ولماذا تتزوج النساء ؟ أمن أجل قضاء الشهوة فقط ؟ من أجل اللذة فقط ؟ لا ، الأطفال أهم من تلك الغاية في هذه الدنيا ، البنون من زينة الحياة الدنيا ، الأطفال هم الحياة ، هم دوافع الحياة الزوجية من حقي الأولاد ؛ وكان يقول إن ذلك من حق الزوج فقط .. هل هذا صحيح ؟! .. الزوج هو صاحب الحق في الخلفة والمواليد .. وكم يجب أن يولد له !.. أمعقول هذا الفكر ؟! وبعد تفكير همست : هو لم يكن ضد الولادات لكنه غير مكترث بالعلاجات والأدوية والمقويات .. ها هو قد رحل يا هناء وترك لك زهيرة وحيدة لا أخ لها ولا أخت .. هل أعود للعمل والدوام ؟ وزهيرة طفلة وأمي عجوز ..

أصبحت أرملة يا هناء .. إنما الأعمار بيد الله تعالى



لقد أصبح الدكتور ماهر وصيا على زهيرة على حسب رغبة والدها الذي سعى لذلك قديما ، وأصبح عمها عادل وليا عليها بحكم الشرع ، فلما قضت هناء أشهر الحداد الشرعية تفاجأت بعد حين قليل أن والدها الشيخ يحدثها عن رغبة شقيق زوجها الراحل الأستاذ عادل بالزواج منها ، وقد طلب يدها من أبيها ، ودافعه لهذه الرغبة هو أن تحيا ابنة شقيقه مع أبنائه حتى لا تشعر باليتم ، وتتربى مع أسرته ، دهشت جدا هناء لهذا الطلب ، وبعد نظر قصير اعتذرت لأبيها عن هذا الزواج ، وبدوره قدم السيد محمد اعتذاره للرجل، وأن ابنته اليوم لا تفكر بالزواج ، ويترك الأمر للزمن ، والسيد عادل وغيره كانوا يعلمون علما واضحا بالمشاكل الزوجية التي كانت ناشبة بينهم بسبب الحمل والولادات وتأخر الحمل بزهيرة ، ولولا الضغط المتتابع من أبيها وأمها لما صبرت خمس سنين حتى تحمل ، وليس عادل بجاهل أن شقيقه كان يتحدث عنها بعض الأيام ببغض وقهر ، والسيد عادل له عدد من المواليد ستة أولاد بعضهم دخل الجامعة ، وبعضهم ترك المدارس والتحق بسوق العمل والمهن ، وقد تجاوز الخمسين سنة من العمر ، فهناء لديها رغبة بتجديد حياتها الزوجية أملا بمزيد من الولادات ، فهي لم تكن زاهدة بالزواج ، ولكنها لم تره الرجل المناسب ، وكانت ترى أن تصبر سنة على الأقل قبل أن توافق على زواج جديد.

والغريب أن الرجل لم ييأس من رفضها ، فقال لوالدها لنصبر قليلا يا أبا فوزي لعلها توافق فلذلك بعد حين حاول عن طريق شقيقته بسمة التي طلبتها لأخيها من قبل زاعما أن ابنة أخيه يجب أن تعيش في أسرتها وبين أعمامها وعماتها ، وجاء الاعتذار هذه المرة مصحوبا بكلام شديد ورجاء حاد بالابتعاد عن طريقها وحياتها ؛ لذلك كان رد فعل الرجل على البهدلة الأدبية أن خطب امرأة أخرى ، وقد تزوج من امرأة قريبة لهناء ، والذي سعى له في ذلك والد هناء مما أسخطها على أبيها وعم ابنتها ، فلما سألت أباها عن سبب فعله ذلك قال من أجلك فعلت ذلك ، ليكف عن التطلع إليك .. والرجل راغب بالزواج ، فامرأته كما يقول مريضة ولا تصلح للمعاشرة الزوجية..

فذهبت هناء تتخيل أيام زواجها الأولى وسعادتها بالزواج من مجدي الطبيب المغترب الذي أغدق عليها المال والهدايا والأحلام التي تناجيا حولها ، وكيف قبلت الزواج من رجل يكبرها بخمس

عشرة سنة ؟ .. آه ! لقد أغرتها الشهادة والغربة والمال .. وكان العمر يمضي والخطاب يقلون خاصة المتعلمين منهم ، والرجل عندما رغب بها لم يكن متزوجا من قبل .. وكان أهلها يحبون لها الزواج قبل دخولها في حال العنوسة وضعف الفرص .. رغم أن العنوسة في زمان زواجها لم تكن تشكل مشكلة اجتماعية .. كان الأهل يرون أن الفتاة إذا تجاوزت العشرين من سني العمر قد لا تتزوج البتة.. لماذا ؟! لا تسمع جوابا وتعليلا لذلك .. لأن الكثير من الفتيات لا يكملن التعليم الجامعي بل يسرعن إلى الزواج والأمومة ، وهما خير وأفضل من متابعة المعاهد والجامعات .. تذكرت كل ذلك عندما علمت أن الرجل تزوج إحدى قريباتها العوانس .. ثم ذهب الفكر بها إلى المشاكل الحادة والخفيفة بينها وبين زوجها الميت حول الخلفة والولادة.. وأخذت تقارن بينه وبين شقيقه عادل الذي أنجب ستة مواليد وها هو يتزوج للمزيد من الأولاد ، ثم ختمت قائلة لماذا لم أتزوجه؟! إنه شقيق مجدي ـ وهذه عادة كما سمعت ـ يقولون أن يعرض أحد الإخوة الزواج على أرملة أخيه إذا كان عندها أطفال .. عادة ! .. أي عادة هذه ! أليس في هذه عيب ؟! .. الزواج حلال وهذا شائع بين الناس والأصهار .. لماذا رفضت ؟ هل تزعمين أنك تحبين مجديا لتبق بدون زواج ؟ ألم يكن الرجل في لحظاته الأخيرة قد قرر الانفصال والطلاق ؟ وأنا لم أرفض وأعترض كنت أميل لذلك .. ربما هذا دفعني لرفضه .. كان شقيقه يريد الابتعاد عني .. أكنت سببا في موت زوجي ؟! هل يستدعي الحمل كل تلك الصراخات والاحتجاجات ؟ عندما حصل الزواج كان ابن أربعين.. ويقولون الرجل يستطيع الإنجاب ولو كان ابن مائة .. النساء عندهن سن معين ثم ينقطع الحمل والحبل لديهن ..بنات اليوم يقللن من المواليد ليس كأمهاتنا هل لدراستهن في الجامعة تأثير ؟ ها هي أختي جميلة اكتفت بولدين كالأجانب لماذا لم أكن مثلها ؟ وأرضى بنصيبي ولكنني أحب الحمل .. ها هي أمي ولدت عشرة .. ألسنا عشرة أخوة وأخوات ؟! وعلمت أنها فقدت اثنين صغارا.. مسكينة زهيرة ستعيش بدون أخوة وأخوات .. وحيدة .. لماذا لم تقبلي شقيق مجدي ؟ فهو لديه ذرية كثيرة .. خجلت من الزواج منه قد يكون هذا هو السبب الحقيقي ..ولماذا هو لم يخجل من الاقتران بي ؟!

الغضب

كانت زهيرة تكبر وكانت هموم أمها تكبر ، فهي ترملت عن خمس وثلاثين سنة وما زال أمامها فرصة للزواج والإنجاب ، ولقد كانت والدتها تكثر عليها بهذا الحديث منذ قضت عدة الوفاة

حسب الشريعة الإسلامية ، فقد طلبها بعض أقاربها بعدما شاع بينهم رفضها لشقيق زوجها ، وكل من تحدث عنها كان يريدها زوجة ثانية أو ثالثة ، فكل الذين يكبرونها متزوجين ، فالشباب الصغير يتزوج فتيات صغيرات ، فمن النادر أن يتزوج شاب صغير فتاة أكبر منه سنا ، كانت تأمل أن تتزوج رجلا مطلقا أو أرملا وأن تكون امرأة وحيده بدون ضرة فكانت ترى أن الحياة ستكون شاقة مع زوجة ثانية ولها أولاد.

دخلت زهيرة المدرسة والأم تقبع في بيت والدها ، وبين الفينة والأخرى تسمع وترى سعي عادل حسن ورغبته بأخذ ابنة أخيه للحياة مع أولاده ، ورغبته الشديدة بضم الفتاة لأسرته ؛ بل رحب بحياة الأم معهم في بيته الواسع في حي الجبر ، والأم ترفض بشدة وبكل قوة هذا العرض ، وتصر على بقاء البنت معها، وتشيع بأنها لو تزوجت ستصحبها معها ، وأن حق الحضانة لها قانونا وشرعا ، وحتى لو رفض زوجها ـ إذا تزوجت ـ ستبقى البنت عند جدتها أم هناء فهي ما زالت على قيد الحياة وكذلك بعض خالتها.

والدكتور ماهر الوصي ما زال مهتما برعايتها ماديا ومعنويا، وقد تابعها دراسيا منذ فترة ما قبل المدرسة ، ويهتم بشأن الأم ماليا وطبيا وفاء لصديقه ، وكانت زوجته الدكتورة فاطمة حمدي تقوم بزيارتهم والاطمئنان عليهم مباشرة بدون الهاتف.

ذات ليلة كانت مناسبة اجتماعية تجري في بيت السيد محمد فوزي ، وكان يسكن العمارة مع الوالد بعض من أبنائه ، وبعضهم الآخر يسكن في أماكن أخرى ، ومن عادة الأسر أن تلتقي وتتجمع في المناسبات والأزمات ، فأقبل الآباء بأبنائهم وبناتهم ونساءهم، وتجمعوا في بيت الوالدين حيث الطابق الأرضي للعمارة ، فانشغل الكبار بشرب القهوة والشاي والمرطبات بعد أن تناول الجميع ما قدم لهم من طعام ، وأخذوا بالسمر كعادة البشر في مثل هذه اللقاءات وانشغل الأطفال باللعب والتنقل بين الأدوار ، ويرتفع صياحهم حينا ويخفت حينا آخر ، فهم أبناء عم وعمات وخالات ، فكان الصغار يركضون صعودا وهبوطا إلى الطوابق العليا ، فالعمارة تتكون من ثلاثة أدوار ، ولها درج طويل يصل بين الأدوار كما هو معلوم ـ وهو درج داخلي بالطبع ـ فكان الدرج وسيلة الصعود والنزول ومسرح اللعب ، وبينما هؤلاء الاطافيل يلهون ويتدافعون ويمرحون دفع أحدهم زهيرة بقوة فتدحرجت عن الدرج ، فوقعت ولم تتمالك نفسها ، فسقطت في الفاصل بين الدرجات حيث الالتفاف لطابق آخر، وأخذت بالصياح من الألم والوقعة ،

وشاركها الأطفال ذلك، ففزع الكبار وأدركوا أن حدثا قد حدث فوجدوا زهيرة أسفل السلم تصيح وتصرخ ، وهذا يقول وقعت وحدها ، وذاك يقول دفعها فلان أو فلانة ، فهرعت الأم فوجدت ابنتها ملقاة على الأرض ويدها تحت ظهرها ، فقال أحدهم : إن رجلها مكسورة فدعيها حتى تصل سيارة الإسعاف .

وذهب إلى حيث الهاتف وطلب سيارة الإسعاف الطبي ، وكانت هناء من غضبها تصيح في ابنتها وتدعوها لكف صراخها وتدعوها للصمت ، وأخذ بعضهم يحقق في الحادث ويبحث عن الجاني الصغير ، وكانت بعض الفتيات يبكين ويشاركن زهيرة البكاء ، ثم وصلت سيارة الإسعاف وتم نقل زهيرة إليها وذكر لهم المسعف اسم المستشفى الذي سيذهبون إليه ، فطلبت هناء منهم نقلها لمستشفى خاص ذكرت اسمه لهم ، وأنها ستتصل بالطبيب ماهر وقام أحد أشقاء هناء بالاتصال بالسيد عادل.

فقال ماهر لهناء : سأكون عند المستشفى ـ إن شاء الله ـ شكرا.

وبينما هم ينتظرون الانتهاء من تجبير يدها المكسورة وقدمها أقبل عمها عادل ومعه ابنه الكبير وأحد إخوته أيضا، وكان غاضبا من أمها وصاح في وجهها قائلا هذا إهمال يا هناء .. أين أنت عن مراقبتها ؟ هذه ابنة أخي الوحيدة .. لا يجب أن تبقى عندك .. نحن أولى بالمحافظة عليها ورعايتها .

وقبل أن يرد عليه أحد ممن سمع لهجته الحادة والساخطة صاحت في وجهه إنها ابنتي يا سيد عادل قبل أن تكون ابنة أخيك.. فأنا أقرب إليها منك يا حضرة المدير وأنا لست مهملة في رعايتها ..أولاد ويحبون اللعب والركض .. وأنا حياتها وأمرها يهمني أكثر منك.. والزم حدودك

ـ لم لم تتصلي بي لتخبرينا بالحادث ؟.. الناس تتحدث معنا .. الحق ابنة أخيك وقعت عن الدرج ضحكت بضيق وسخرية وقالت : يا سيدي نحن الذين اتصلنا بكم.. أخي هو الذي اتصل ببيتك ولم يرد عليه أحد ثم اتصل بشقيقك منذر

فقال وقد خفت صوته : حتى الدكتور لم يتحدث معنا وها هو على رأس القوم !

فقالت : وليس من الضروري الاتصال بك يا حضرة العم .. هل سأنتظر حتى تأتي يا سيد عادل ..وننقلها للمستشفى ؟.. ونحن اخبرنا الدكتور ماهرا لأننا طلبنا من سيارة الإسعاف نقلها لمستشفى خاص.. فهو الذي سيدفع وليس العم الذي سيدفع .

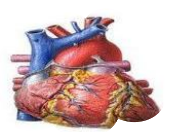
ـ ولماذا لا أدفع ألست عمها ؟!.. المال معنا والحمد لله .. وهل سيدفع حضرة الطبيب من جيبه الخاص

؟ إنما هي أموال أخي يا حضرة الأم

واحتد النقاش بينهم والمعايرة ، وحاول البعض التدخل ؛ ولكن هناء أشارت إليهم بالصمت حتى اضطرت هناء في النهاية إلى طرده وشتمه ، فاستشاط غضبا ونارا وحقدا وقال : يا بنت الأنذال يا حقيرة . وكان يرفع يده بين الحين والآخر لصفعها ثم ينزل يده متمتما بكلمات غير واضحة .

فقال أحد السامعين : يا رجل أعقل.. أنت مدير مدرسة مربي أطفال وشباب.. ولن تكون محروقا عليها مثل أمها .

ولكن الحمق والغضب وشيئا في النفس زاد من اشتعاله وهيجانه فزاد شتمه وتجريحه حتى تدخل رجل أمن ، وأخذه إلى مكان أخر، وأخذ بتهدئته ويعتذر له عن أم الفتاة ، ولما حاول الطبيب ماهر الوعظ والنصح صاح فيه متهما إياه بالطمع في أموال ابنة أخيه والطمع بالزواج من أمها ، مما فاجأ السامعون بهذا الاتهام الصارخ ، وكانت هناء تبكي ، وأخذ بعض الأخوة والأخوات المرافقين يهدئن من روحها ويتعجبن من وقاحة هذا الرجل ..ولعلهم أدركوا أن سبب كل هذه الكلام هو رفض هناء الاقتران به بعد ترملها.



عند غروب الليل التالي زار ماهر وزوجته بيت السيد محمد حيث تعيش هناء وابنتها فبعدما اطمأنوا على الطفلة المكسورة انتقلوا لصالة البيت حيث كرر الوالد وأهله الترحيب مجددا بالضيوف ، وبينت أم هناء أن البنت صغيرة وسيجبر عظمها سريعا، قال ماهر لهناء بعد طمأنة الأم لهم على كسر ابنتها : لماذا فعل الرجل كل تلك المهاترات والملاسنات في المستشفى لماذا ؟!

انتبه الجميع لسؤال الطبيب ، وكلهم سمع عن مشاجرة هناء وعادل في المستشفى أثناء معالجة زهيرة ، فردت هناء وقد عاد إليها الذهول ، وكانت تحدق في وجه أبيها : أتريد أن تعرف يا حضرة الدكتور ؟ لماذا افتعل تلك المشاجرة أو الملاسنة ؟ لماذا كل هذا الحقد من رجل يعمل مدرسا ؟

همس ماهر : نعم أود معرفة ذلك !

قالت بحدة : لأنني رفضت الزواج منه بعد موت أخيه ، أرأيت يا سيدي وقاحته ؟ يزعم أنه مشفق على يتم ابنة أخيه من اليتم ، وأنه أحق الناس بالزواج مني من أين جاء بهذا القانون ؟ لست أدري يا حضرة الدكتور.. فإذا رغبت بالزواج ثانية فهو الأولى بي من أين جاء بهذه الأولية؟!

ضحك ماهر وقرينته وتابعت هناء كلامها الغاضب : تصوروا لما رفضته سعى للزواج من

قريبة لنا ظن أنه بذلك يغيظني أو ينتقم مني.. فاعتقدت أنه مجنون .. وزعم للناس أنه فعل ذلك ليبقى قريبا منا ومن عائلتنا.. وقبل الحادث لزهيرة عاود الكرة .

وعاد الدكتور للضحك والابتسام فقال والد هناء :يا دكتور ماهر هذه عادات قديمة .. كان إذا مات رجل عن أيتام يقوم أحد الأخوة بضمها لحريمه.. أظن أن هذه العادات سارية في الأرياف والقرى بزعم بقاء أموال الميت وميراثه في عائلته .. ويبدو أن الأستاذ عادل حسن مازال متشربا هذه العادات القروية .. فهناء مستهجنة من ذلك ..

فقالت هناء وهي تترك كوب الشاي : هل لم يبق رجال في الدنيا إلا هو حتى أقبل به وأرمي نفسي عليه ؟!

قال ماهر بروية :كلام والدك صحيح يا أم زهيرة ..بعض عادات القرية ترحل إلى المدينة وتحتاج لزمن حتى تختفي .. فكنا نسمع أنه إذا تقدم شاب لفتاة ليس من أقاربها يذهب الأب ويعرض ابنته على أبناء إخوته وأقاربه .. فإذا سكتوا زوجت للغريب .. وكما يقال ابنة العم لابن العم .. وهناك أمثال شائعة بين الناس في ذلك (ابن العم بنزل بنت العم عن الفرس) ولكن المدينة مع الوقت تصهر هذه العادات والتقاليد

وقال محمد فوزي : وذا مثل يقول (البنت مثل مدقة الباب مين ما كان بدقها) وابتسم وقال ضاحكا وشارحا : يضرب هذا المثل في ضعف البنت أمام الأهل والأخوة والأعمام .

فقالت هناء عندما صمت الدكتور والأب : هذه الحكاية يا سيدي .. ونحن تحدثنا معه مخبرين عن الحادث منذ البداية ؛ ولكنه لم يكن في البيت ، ولما أخبر وصل متأخرا كما رأيت ، فأراد أن يزعم أمام الناس أنه حريص ومهتم بابنة أخيه أكثر منا ، ومبررا تأخره بالهجوم علينا

وقالت أم هناء : ويزعم أنه خائف على أموال زهيرة من أمها .. هذه هي القصة

فقالت الطبيبة : هذا هو مربط الفرس !

فقال ماهر : ستبقى الأموال تحت الوصاية حتى تبلغ زهيرة سن الرشد المالي ثماني عشرة سنة ، وهي كاملة الأهلية فحينئذ تنقل إليها الأموال ؛ كأنني سمعت المحامي يحدثني بذلك .. لا إلى عادل ولا لي ولا لأمها .. هو رجل مثقف .. واليوم في محاكم وأنظمة وصناديق حفظ أموال الأيتام والقُصر .. وهناك أختام ووثائق وقد تحسنت الأحوال اليوم.. فكل شيء منظم ومدون حتى ولو صار بين عادل وهناء زواج سيبقى المال باسم البنت حتى تكبر وتملكه ملكا كاملا .

قالت أم هناء : هو يعلم ذلك يا دكتور .. ولكن

بزواجه منها يظن أنها ستسحب أموال زهيرة من تحت الوصاية ليعمل مشروعا أو إنشاء مصنع هكذا نقلت لنا قريبتنا التي تزوجته .. هذا هو الكلام الفارغ .. يريد أن يعمل مشاريع بأموال اليتيمة .

فعلق ماهر باسما أو ساخرا : آ .. يريد أن يعمل مشاريع في أموال زهيرة .. حسب علمي فقد ورث حصة من تركة أخيه .. وهو مبلغ جيد لمشروع صغير .. فلماذا لم يتشارك مع إخوته وأخواته ؟!

رد والد هناء على سؤال الدكتور فقال : رفضوا يا سيدي ، فرغب في أموال هناء وابنتها .

قال الطبيب : مال القاصر لا يستثمر بشكل فوضوي ، فهو يخضع تحت حكم محكمة شرعية حتى يكبر القاصر ويستلمه وإلا لو استثمر ربما كبر اليتيم ولم يجد منه شيئا ، فهو يستثمر في حدود معينة حسب علمي .

فعاد محمد يقول : هذا لب المشكلة بيننا وبين السيد عادل .. يظن أننا نستثمر مال زهيرة ونصرفه على بيوتنا .. وسوسة .

قالت زوجته : طمع .. وأراد استغلال الحادث ليتهمنا بالتقصير وعدم الحنان والرعاية لابنة شقيقه .. يظن أنه أحن عليها من أمها ، فجعلنا أمام الناس مقصرين في حق اليتيمة .. يريد أن نحرمها من اللعب والركض مع أقاربها

قالت الطبيبة : تفكير غبي .. وهل إذا كانت في بيته لا تلعب مع أبنائه وأحفاده ؟!

قال والد هناء : أخته بسمة أحسن منه .. لامته وصفت معنا ضده .. حتى أن بعض أخوته سمعت أنهم لاموه على فعلته السوداء في المستشفى .. وأخته أم محمد دائما تتصل بنا قبل الحادث وتسأل عن البنت وأمها ، بل زارتنا عدة مرات وتجلب الهدايا لابنة أخيها من ألعاب وحلوى وفاكهة .

استأذن الدكتور بالانصراف لما طلبت الدكتورة فاطمة الحديث مع هناء على انفراد ، فودعه الرجل أبو فوزي حتى الباب المطل على الرصيف والشارع ، وانتقلت زوجة ماهر وهناء إلى حجرة خاصة ، فلما أغلقت هناء الباب قالت هناء باسمة ومرتبكة : ما الأمر يا أم جواد ؟

رسمت فاطمة ابتسامة صغيرة وخاطفة على وجهها وقالت : خير إن شاء الله يا سيدتي .. الموضوع باختصار ومباشرة .. زواج .

أدركت هناء ذلك منذ طلبت الخلوة بها، فليس بينهن مواضيع خاصة ، وإن ظنت للوهلة الأولى أن الدكتور يريد أن يدفع لهم مالا كهبة بسبب الحادث ؛ ولكنها أدركت سريعا أن ذلك لا يحتاج لخلوة خاصة .. فلو أراد تقديم مال لزهيرة فهو

يعلم أن الكل سيعرف بذلك ، لذلك قالت محاولة الدهشة : زواج ممن ؟!

من شقيق ماهر الدكتور مروان طه .. لقد رأيته.. فقد كان يرافق ماهرا كلما نزلتم البلاد للسلام على مجدي رحمه الله .. فهم رفاق الجامعة

وهم ماهر ومجدي كانوا يسبقونه بعامين .. وأنت تعرفين زوجته مرام أجل .. ولماذا يسعى للزواج ؟!

الأخت مرام حسين ـ شفاها الله ـ مريضة منذ سنوات .. فبعد ولادتها لابنها الثالث وهي تعاني، ووضعها الصحي صعب .. ومروان لديه رغبة بالزواج ثانية وهي سمحت له بذلك ؛ لأنها عاجزة عن القيام بحق الزوج الشرعي .. فتحدث ماهر عنك لمروان فقال مروان لشقيقه إذا قبلتني فأنا موافق .. وهي في سن مناسبة لي .. وبيننا بعض المعرفة .. وابنتها ستكون معززة مكرمة ..

وهي ابنة صديقنا مجدي ـ رحمه الله تعالى ـ وستكون في عيوننا .. فطلب مني ماهر الحديث معك في ذلك .. وهذا الأمر بيننا قبل حادثة المستشفى .. فكري جيدا في الموضوع وشاوري العم محمد وأم فوزي .. ليتكلم ماهر وشقيقه الأكبر محمود مع حضرة الوالد والأسرة الكريمة ..وأنت ما زلت شابة تصلحين للزواج لم تبلغي الأربعين بعد

تبسمت هناء وقالت : قريب منها .. أنا التقيت بالدكتور مروان فعلا وهو شخص محترم..

كلكم ناس طيبون .. وكان مجدي دائم الثناء عليكم.. وأنا لست ضد الزواج ثانية ؛ لأن هذه طبيعة الحياة .. وأنا أعرف أن فرصة الزواج من رجل متزوج فرصة جيدة .. والناس لا تستغني عن الزواج إلا إذا كان للشخص مهمة وغاية كبرى .. وزهيرة تكبر ولن تمانع في زواجي ثانية ..سأفكر جيدا لا تخافي على البنت .. فالبنت في قلوبنا وعقولنا.. والأخ مروان شخص هادئ بطبعه .. والزواج فطرة أشكرك ، ولا أنسى وقوفكم معي في هذه المحنة .. ونحن أهل وأصدقاء منذ اقترنت بوالد زهيرة



نهضت فاطمة حمدي مصافحة شاكرة قائلة تشاوري مع الأهل .. وأنا قريبا سأتصل بك من أجل ذلك.. وإذا صار نصيب سنقترب منكم أكثر ، ونصبح عائلة واحدة بفضل الله وحده.. فالمصاهرات تقرب الناس لبعض

تعانقت المرأتان وغادرت فاطمة .. وهمست هناء قائلة : سأتزوج طبيبا مرة أخرى! .. لم تقل لي ما هو مرض مرام حسين ؟!

قطبة بن سنان

الحلقة ١

قطبة يودع الدنيا

قطبة شيخ كبير يجلس على فراش الموت في ليلة معتمة شديدة البرودة ، وذات أمطار غزيرة ، وفي وسط البيت موقد النار ، تكاد ناره أن تخمد أنفاسها الأخيرة مع ساعات ليل طويلة ، هذا الشيخ الهرم الذي يجلس على فراش الموت ، وحوله أبناؤه مالك وسالك وأختهم نازك ، فكان الرجل المحتضر يقول لهم في تلك الليلة الباردة التى لا تنسى وصيته الأخيرة ـ وهم قد أسندوه على الوسائد المريحة، يستمعون وصاياه الأخيرة ـ فيقول : يا أولادي ! النهاية قد أقبلت ، وكأس الموت لابد من شربها اليوم أو غدا ، لا مفر من الموت ،وعندي كلام أحب أن تعقلوه عني ؛ لعله ينفعكم في دنياكم.. فأنا خبرت الدنيا ، وعاشرت الإنس والجآن .. فالحياة الدنيا متاع زائل ، والأصحاب الأخلاء فيها قليلون ، وأنتم لا تعرفون عن أبيكم كثيرا من الأخبار ، ومن يعش منكم فسوف يسمع الكثير ، فلا تحزنوا وتأسفوا على ما سمعتم ؛ ولكن حسنوا من حياتكم وكونوا خيرا مني ، فكما تعلمون يا أولادي أنا تزوجت أمكم بعدما كبرت ودار بي الزمان، فأنجبتكم لي ، ورعتكم حق الرعاية حتى أتاها أجلها ، وانتقلت لدار الآخرة بما كسبت من الخير .. والصبر على أذى هذا الرجل الهرم قطبة ، فلعلها سامحتني ، فهي قد ماتت وأنا بعيد عنها .. وها أنا استعد للرحيل إليها .. فيا أولادي عندما أموت تقومون بدفني حسب الأصول والتقاليد ولا تبكوا على أبيكم قطبة بن سنان ؛ ولكن أوصيكم بفعل الخير والعمل الطيب ، وترك القبيح ، والحذر من الصديق السيئ الحسود فأحسنوا اختيار الخلان .. وبعد دفني أيها السادة اذهبوا إلى البئر المهجورة في أقصى البستان، وفي قعرها صخرة وهناك تحت الصخرة تجدون جرة فخارية محكمة الإغلاق ، فتخرجونها وتحضرونها الحجرة التي سأموت فيها ، ثم تفتحونها بعد ذكر اسم الرحمن في ساعة السحر ، وحذار أن يراكم أحد من أهل البلدة مهما كان لكم صديقا ، واحذروا أن تتكلموا بما فيها أمام الخلق ، فاكتموا سرها حتى تجنوا الثمار ، والآن انتبهوا لم أقول حتى لا تخسروا ما استطعت تحصيله لكم بعد كل هذه السنين من الترحال في الأقطار .. من المهم أن تخرجوا الجرة من تحت صخرة البئر المهجورة ، وفي السحر وفي هذا المكان تذكرون اسم الرحمن ،

وتفتحون الجرة ، ولسوف تجدون المال الذي جمعته لكم مع الأيام ، وستجدون معه صندوقين صغيرين جميلين ، وهما مقفلان، وكل صندوق معه مفتاحه ، فالصندوق الأحمر لمالك والصندوق الأخضر لسالك لا تنسيا ذلك، فاقتسما الذهب والمال بينكما بالتساوي ، ولا تعطوا نازكا منه شيئا ؛ ولكن احسنوا رعايتها ، وأكرموها غاية الإكرام والإحسان، ولا تبخلوا عليها بشيء مهما صغر، وأما الصناديق فلا تفتحوها حتى تتزوج أختكم ، فبعد سنة من زواجها يحق لكم فتحها، لا تنسوا ذلك يا أولاد ، ومن فتح صندوقه قبل ذلك الموعد يخسر ما فيه، ويندم على ما فرط وقصر ..

وبعدما التقط قطبة نفسا عميقا قال : وأما أنت يا ابنتي نازك فلم أنسك يا بنية ، فعلى وسطى حزام جميل ، وفيه خير وفير، فهو لك ، فإذا مت فالبسيه ولا تتخلي عنه في ليل ولا نهار ، ولا في بيت ولا حمام ، فهو حزام يحميك من أذى الشياطين والجآن ، فحافظي عليه واحذري أن يسرق منك ، فموتي قبل أن تفقديه ، واسمعوا ما أقول لكم الآن .. فلسوف يأتيكم رجل مهما طال الزمن ، وسوف يكون معه خطاب، فاحسنوا إكرامه مهما فعل وأساء إليكم ، ولا تقابلوا الإساءة بالإساءة بل الإساءة بالإحسان ، وهذا الخطاب مني عليه ختمي واسمي ، وقبل أن يرحل سوف يخطب منكم أختكم ، فإليه زوجوها ..

والتفت لابنته قائلا : هذا الرجل يتزوجك يا بنية! فأنا وهبتك إياه فارضيه، وهو سوف يروي ويذكر لك القصة في يوم من الأيام .. مهما كان بشعا وقبيحا فوافقي عليه، لا تنفري منه ، ولن تندمي ، وإن طلب منك ترك الحزام فارفضي، وقولي والدي قطبة بن سنان أوصاني بذلك ، وعاهدته على ذلك ، فسوف يترك هذا الأمر ، فاصبري يا نازك على قسوته وآذاه فهو يختبرك .

والتفت إلى الأولاد متابعا: المهم لا تزوجوها إلا له ، ولا تذكروا أمامه الصناديق ، وأنت يا نازك كأنك لم تسمعي بها .. ولا تزوجوها لأحد غيره ، فلو أتاكم خاطب أمير أو ملك أو غني أو فقير لا تنكحوها إلا للذي يأتيكم بخطابي ، ذلك الرجل الغريب ، وبعد زواج أختكم بسنة افتحوا صناديقكم .. وفي الختام دعوا أختكم ترحل معه ، فإن فعلتم ما ذكرته لكم سعدتم وبعد عنكم الشر، وإن خالفتم ندمتم وتعبتم وخسرتم ، وحافظوا على بعضكم ، ولا تخسروا بعضكم، وتعاونوا على ما وهبتكم تعيشون سعداء ، ولا ترددوا على مجالس السلاطين، فيطمعون بما أوتيتم، ومرة أخيرة أقول لكم كونوا معا ، وساعدوا بعضكم بعضا ، ولا تفترقوا ولا تنسوا أختكم .. وتصدقوا عني بالأموال.. وداعا يا أولادي وسلام الله

عليكم .

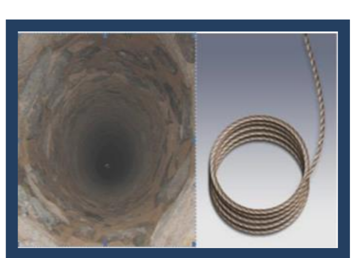
مع الفجر كان قطبة بن سنان يلفظ نفسه الأخير ، وكذلك النار قد لفظت نفسها الأخير، وخيم السكون على البيت ، وكانت الدموع تنساب على خدود الجميع مخرجة للحزن على فراق الأب رغم ما قاسوه منه في سالف الأيام ، ولما أشرقت الشمس ضعيفة؛ ولكنها معلنة بداية بزوغ فجر جديد .. واسى الاخوة أنفسهم ، وذهب مالك للسوق واشترى الكفن اللائق بأبيه ، وأخبر الأهل والجيران بالمصيبة ، وقبل أن تغيب شمس ذلك النهار كان القوم قد واروا قطبة الثرى ، وأصبح من سكان الدار الآخرة .

وتزنرت نازك بنت قطبة بحزام قطبة العجيب كما أوصاها الوالد ، واستمر الحزن والأسف سبعة أيام ، وحضر الأصدقاء وأخرجوهم من بيت الأحزان ، وذكروا لهم أن هذه الدنيا ما عليها أمان ، وذهب مالك إلى عمله مع تاجر الليف والحبال، وسالك إلى عمله مع الحداد كروان وكانا يعودان في المساء فيجدان أختهما قد أعدت لهم الطعام ، كما تعودا على ذلك منذ وفاة أمهما سروة ، بعد حين ذكروا أمر البئر ، وما سمعوه من والدهم من الكلام فقال مالك : سننظر هذه البئر المهجورة ، فلابد أنها ممتلئة بالأفاعي والعقارب.. فكيف سندخل فيها فهي عميقة ؟

فقال سالك : فكرت بالأمر .. نشتري حبلا من عند التاجر فروة ، ولابد من نزول أحدنا حتى لا ينكشف سرنا أو ينزل كلانا لنتعاون على إزاحة الصخرة.. ولسوف احضر قدوما أو فأسا من عند المعلم كروان، وتساءل قائلا: كيف دفنها أبونا هناك؟! كيف كان ذلك ؟!

احضرا ما يلزمها لنزول البئر المهجورة وأغلقوا بوابة المنزل والبستان بشكل جيد ، وكان كل منهما ترخص من معلمه في غياب ذلك النهار ، ومع ضحى النهار كانوا يجلسون بالقرب من حافة البئر، وقد أزاحوا من حولها الأعشاب، واتفقوا على أن ينزل سالك ؛ وذلك بعدما ثبتا طرف الحبل بوتد قوي وعقدوه فيه بقوة ، وقبل أن يتدلى سالك سمعوا صراخا عند بوابة البيت فأصغى مالك وقال : هذا صوت ابن عمنا بوصة ما الذي أتى به بمثل هذا الوقت ؟! فهو يعرف أننا نكون في العمل في مثل هذه الساعة!

فقال سالك : لنترك المكان ونرى ما يريد ؟ وتركوا الحبل المربوط حول البئر، وأسرعوا إليه ، وفتح له



مالك الباب ، فدخل بوصة بسرعة وهو يقول : ما الأمر لماذا تغلقون الباب؟! .. هذه أول مرة أرى

بابكم يغلق في النهار أنتم في كثير من الليالي لا تفعلونها هل من شيء يا مالك ؟

تضاحك مالك وقال : أبدا أبدا لا شيء ، ما الذي أتى بك علينا هذا الصباح ؟!

فقال بوصة: سألت المعلم فروة عنك فاخبرني أنك طلبت استراحة هذا النهار، فعجبت ، وأتيت أسأل عنك.. فإني أرى سالك أيضا في البيت ما الخطب أيها الأخ العزيز ؟!

فقال مالك ونبرة غضب في صوته : لا شيء يا ابن العم .. اتفقت أنا وسالك أن نترك العمل يوما أو بضعة أيام لنساعد اختنا نازكا بزراعة البستان وحراثته وإزالة الأعشاب والأوساخ منه وكانا قد وصلا لمدخل البيت حيث الحجرات فرحب به سالك قائلا : أهلا ببوصة .. هل من أمر ؟

رد مالك : بوصة قلق عليّ ؛ لأنني تركت العمل اليوم مع المعلم فروة ، فظن أن وراء غيابي شأنا ولما لمحك أمام البيت زادت دهشته لوجودك معنا في البيت فأعلمته أننا أخذنا إجازة لتدبير شأن البستان والأرض ومساعدة أختنا نازك في حرثه وزرعه وتشذيب أشجاره .

وبالحيلة استطاعوا أن يتخلصوا من ابن عمهم بوصة ، وصرفوه بالتي هي أحسن ، ثم عادوا للبئر ، وقبل أن يتدلى سالك طرق البيت متسول ، فتطيروا وذهب مالك وأعطاه رغيفا، وصرفه وهو يشتم ويلعن، وبينما سالك ينزل رويدا رويدا سمعوا صوتا ينادي على نازك ، فسحبه من جديد وقال مالك : يبدو أن العمل في وضح النهار غير مناسب فلنعد للبيت حتى المساء .. فالبرد والريح تشتد .

فعادوا للبيت ، وكانت نازك قد سبقتهم ؛ فإذا عجوز جارتهم تريد الحديث مع نازك، فهي تتردد عليهم في العادة فرحبوا بها ، ودخل الشابان لحجرتها يستريحان ويدفئون المكان ، وفي المساء ـ بعدما انصرفت العجوز، وقد شاركتهم طعام الغذاء ـ ارتفع تساقط الأمطار فأجلوا العمل ليوم آخر ، ومكث الشتاء أياما فلم يتمكنوا من الذهاب للبئر ، وذات يوم أتاهم ابن عمهم الكبير سدرة يسأل عن أخيه بوصة ، فذكروا له أنهم رأوه منذ أيام خلت ومن بعدها ما شاهدوه فذكر لهم سدرة أنه منذ يومين اختفى ، ولم يرجع للبيت ، ولم يقل لنا أين ذهب ؟ ولكن أحد أصدقائه ذكر لنا أنه نزل في بئركم المهجورة ، ثم ختم كلامه قائلا : فظننت أنكم تعلمون ذلك

فصاح مالك : البئر .. ولماذا البئر المهجورة ؟!

انزعج الاخوة الثلاثة من كلام سدرة وأخذوا ابن عمهم نحو البئر المهجورة على مضض وغيظ ونادوا على بوصة من باب البئر فلا صوت ، فأشعلوا نارا على خشبة ونظر سدرة ثم قال : أشم

رائحة قبيحة قد يكون هناك شخص ميت في داخلها ، فنادى بصوت عال ثم قال : لماذا هذا الحبل مدلى يا مالك ؟!

فكأنهم انتبهوا للحبل الساقط في البئر فقال مالك بغضب : قررنا تخزين الماء في هذه البئر ، فاشترينا هذا الحبل منذ أيام ؛ ولكننا مع الشتاء والريح لم نتمكن من العناية بالبئر.. والآن كيف سنبحث عن بوصة؟ .. فليأت صديقه الذي ذكر لك أنه نزل البئر ويخرجه .. ونسمع حكايتهم مع هذه البئر .

وفي صباح اليوم التالي أتى صاحب بوصة سورة ، وبعض الأصدقاء إلى منزل قطبة، فقال صاحب بوصة للجميع : جاءني بوصة قبل أيام ، وذكر لي أن في البئر ذهبا وكنزا لعمه قطبة، وأنه رأى أولاد عمه حول البئر، وأنهم وضعوا حبلا طويلا للنزول في البئر ، وفأسا للحفر عن الكنز الدفين ، فلما أتاني وأطلعني على الخطب، وأنه اكتشف أنكم تحاولون إخراج الكنز، وأخفيتم الأمر عنه، فطلب مساعدتي للنزول لجوف البئر الجافة ، فحضرنا قبل ثلاثة أيام مع ساعات الفجر الأولى ، ونزل بوصة بمساعدتي ؛ ولكن فجاءة انقطع صوته ، فناديت عليه فلا جواب، فتركت المكان هاربا وخائفا وحائرا ، وأحضرت بعد الأصدقاء في اليوم التالي، وحاولت النزول ولكني خفت بعدما تدليت للنصف ، وناديت على بوصة ، فلم أسمع صوتا فصرخت أخرجوني فأخرجوني إلى أن جئت يا سدرة وسألتني .. فلابد أنه هلك في قاع البئر

انزعج الاخوة لهذا الحادث كثيرا ، وخشوا على ضياع كنزهم فقال مالك : إذن بوصة مات في قاع البئر ..حسنا هيا نخرجه .. أخرجوه وإذا وجدتم كنزا فخذوه يا إخوان.. نحن عندما أتينا بالحبل والفأس ليس ذلك لإخراج الكنز من بئر مهجورة ولو كان فيه كنز فهو من حقنا أولا وأخيرا .. نحن أردنا ملئها بماء المطر حتى تقوم اختنا نازك بزراعة البستان وسقيها بماء البئر.. فالبئر الأخرى صغيرة .. ونشرب من مائها ولا تساعدنا في السقي والزرع .. وقد ذكرنا هذا الكلام أمام بوصة ولم نذكر له كنزا وذهبا .

ذهب بعضهم واستأجر رجلين للنزول في جوف البئر ، واحضروا حبلا ثانيا ، وقد اتفقوا أن يتدلى الرجلان معا أحدهما يحمل مشعلا والآخر ليقوم بربط الجثة بأحد الحبلين، ويتعلق الاثنان بالحبل الثاني ، ونزل الرجلان معا ، وكانت النار قد بددت ظلام البئر ، ووصلا لقاع البئر ، فوجدا جثة بوصة منفوخة ورائحة كريهة ، فقاما بربطه بالحبل ، وقام الآخرون بسحبه وسحب، فلما خرجوا من البئر سألهم مالك : هل وجدتم عقارب وأفاعي في البئر ؟

فقال أحد العاملين : لا .. البئر نظيفة من الحشرات الكبيرة ، ولم نر سوى بضع حشرات صغيرة تزحف على جدران البئر .

فقال مالك ثانية : ولكن كيف مات هذا الرجل فيها ؟!

فقال أحد الرجلين بعد تقليب الجثة ، ولم يجدوا مكان أي ضرب أو سقوط : لابد أنه اختنق من قلة الهواء أو شيء آخر .

فقال سالك : هل وجدتم شيئا مهما في قاع البئر ذهبا مالا كنزا ؟!

فرد الرجل الآخر : البئر خاوية ، لا شيء فيها حتى نبته لا توجد بقاعها .

فقال مالك : نزل هذا الفتى ليستخرج كنزا أو ذهبا من قاع البئر .

فقال أحد الرجلين : لا يوجد في قاعها إلى التراب.. ضيع المسكين نفسه وروحه .

بعدما انتهوا من دفن بوصة اجتمع الاخوة الثلاثة للتفكير في شأن البئر وكيف سيخرجون الجرة التي حدثهم عنها أبوهم قطبة ؟

فقال سالك : الذي يحيرني كيف دفنها أبونا في البئر ؟! وهو رجل كبير كيف كان يهبط ويضع المال فيها ؟!.. أم أن أحدا فعل له ذلك ومتى دفنها؟! هذه البئر موجودة من قبل أن نولد ، وهي مهجورة من قبل نرى الدنيا .

فردت نازك على أخيها قائلة : ولكن الوالد كان يهتم بها كثيرا ..ولا أذكر أنه أتى من سفر أو رحلة إلا وزار البئر واشتغل قريبا منه .

فقال سالك : بحثت في أغراض والدي، فلم أجد حبلا واحدا عنده ، فكيف كان ينزل للبئر؟!

فقال مالك وهو يفكر : قد يكون لها مدخل آخر فلنبحث في البستان .

صاح سالك : هذا هو الصواب..لابد أن للبئر مدخلا خفيا عن الأنظار .. ولابد أن يكون بين الأعشاب والشجر .

فقالت نازك محذرة : لنصبر حتى ينسى الناس قصة البئر .. فالناس تعشق قصص الكنوز والذهب .

فأيد مالك كلامها فقال : نعم القول ما تقولين يا نازك! .. فلنصبر فلابد من الصبر حتى لا ينكشف أمر الجرة التي يحاشرنا بها الناس أو يسمع بنا حضرة السلطان فنخسر المال والصناديق المجهولة .

كان الأخوان يمارسان العمل كالمعتاد ، وانشغل بال نازك بما سمعت من كلام أخويها حول المدخل الخفي لهذه البئر المهجورة ، وأدركت إدراكا تاما أنه لا يمكن للأب أن ينزل للبئر العميق بواسطة الحبل ، فصممت في قرار نفسها أن تبحث هي عن هذا المدخل خفية عن أخويها ، وقد اجتهد الأخوان الاندماج في شغلهما ونسيان قصة هلاك

بوصة الغامض ، وعندما يتحدث أحد أمامهما عن البئر والكنز وموت بوصة والجن والعفاريت لا يجد عندهما جوابا ، بل يغيران الموضوع والحديث إلى أن كان ذات ليلة بعدما تناول الأشقاء الثلاثة طعام العشاء ، قالت لهم نازك إنها وجدت في شجرة ضخمة تجويف غريب ، ويستطيع أن يدخل فيه إنسان نحيف البدن وأرشدتهم إلى تلك الشجرة ، ومع الفجر كانوا بجوارها دخل سالك في جوف الشجرة ؛ فإذا به يهبط إلى درجة ثم أخرى فعاد يقول لاخوته همسا : يبدو أن هذا مدخل لسرداب .. فليذهب أحدكم إلى البئر وينتظرني .. لابد من المغامرة ، فهذه أشياء نكتشفها أول مرة !

دخل سالك تجويف الشجرة مرة ثانية ، ونزل بضع درجات ، ثم هبط على الأرض بعد نزول درجات على شكل حلزوني ، ثم وصل لسرداب لا يستطيع الشخص الوقوف فيه ، فهمس وهو يحني قامته " لابد من المغامرة ، فهذا سرداب يسير نحو البئر .. هذا أحد أسرار قطبة بن سنان " .. فمشى عشرات الخطوات، فإذا هو فعلا في فتحة تطل على البئر ، فدلى نفسه منها ، فإذا هو في قاع البئر، فنادى فسمع صوت نازك ترد عليه.. كانت البئر شديدة الظلام ، وكان يسمع حركات بعض الحيوانات الصغيرة كالجرذ في السرداب ، فعاد لاخوته وقد تعفر بالتراب والأوساخ والعرق ، وكانوا ينتظرونه على أحر من الجمر والقلق ، فأعادوا الأعشاب حول جوف الشجرة الضخمة ، ودخلوا البيت وهم فرحون لهذا الاكتشاف.

وقال سالك : هكذا كان والدنا يدخل هذه البئر ؛ ولكن متى تم إنشاء هذا السرداب ؟

فقال مالك : لابد أن يكون ذلك قبل وجودنا على الدنيا من زمن طويل ، فها هي نازك ابنة البيت الدائمة ولم تعرف به إلا أمس .

فقالت نازك : ما فكرت بمثل هذا الأمر .. كان قطبة عندما يعود من رحلاته الطويلة يقضي أياما في العمل في البستان، وحول تلك الشجرة والمكان.. فكنت أعتقد أنه مهتم بالحفر حول الأشجار ورعايتها فحسب ؛ ولكن لما سمعت كلامكما تلك الليلة عن الطريقة التي كان يدخل بها الأب البئر أخذت أفكر وأتذكر أفعال أبينا في البستان والأرض.. وأخذت بالبحث دون علمكما حتى وجدت ذلك التجويف في جذع الشجرة الضخمة ، فوقع في نفسي أنه مدخل سري لنفق .

فقال مالك : لنحافظ على هذا السر الجديد أيها الأعزاء .. ولكن كيف مات بوصة ؟! ومن قتله؟! لم يقتل بقرصة ثعبان أو عقرب ، ولم يختنق لأن السرداب يمنع الاختناق ، وسالك لم يختنق .. هل وصل للجرة وغدر به سورة وقتله خنقا ؟ ولكن كيف يخنقه وهو في أسفل البئر وسورة في أعلاه ؟!

فقال سالك : هذا ما أفكر فيه ! .. مات والدنا ، وحمل كثيرا من أسرار حياته الغامضة معه هيا للعمل ، واكتمي الأمر يا اختنا العزيزة حتى نتدبر شأننا ونستخرج كنز أبينا .

وأثناء النهار أتى رجال الشرطة رجال السلطان يسألون عن مالك وسالك، فذكرت لهم نازك مكان عملهما، فانقسم الرجال فريقين مجموعة ذهبت حيث يعمل مالك عند صانع الألياف والحبال فروة ، والأخرى إلى سالك الحداد العامل عند كروان الحداد ، وساقوهما إلى رئيسهما الزعيم جبرا ، ولما مثلا بين يديه قال لهما : أيها الأخوان علمنا بأن عندكم في البئر المهجورة كنزا وقد هلك فيها أحد الناس .

فذكر مالك قصة بوصة للزعيم جبرا ، فلما انتهى الشاب من القص قال جبرا : الملك الكبير مهتم بالأمر ، وهو مستعد للحصول على الكنز بأي ثمن ..

فقطع سالك كلام الزعيم فقال : يا سيدي الزعيم .. هذه البئر أمامكم فإذا كان فيها كنز ، كما تزعمون فخذوه فهي بئر عميقة ومهجورة .. وصدق أننا لم نخرج منها كنزا ولا ذهبا .. فهذا البيت أيضا أمامك .. فاذهبوا وتأكدوا بأنفسكم .. نحن قوم أحدنا يعمل حدادا والآخر عند جدال الحبال .. لو كان لدينا كنز لتزوجنا وتركنا العمل الشاق وعملنا لأنفسنا دكاكين كبيرة

فقال الزعيم جبرا : على رسلك أيها الشاب.. سنذهب ببعض الرجال وننظر هذه البئر .. لعلنا نخرج نحن كنزها إذا كنتما خائفين عن اقتحامها .

استسلم الشابان لأمر الزعيم جبرا وقال مالك: افعلوا ما شئتم.. فنحن في انتظاركم .

فرد الزعيم : صبرا .. سنذهب معا فهذه رغبة الملك الكبير .

وكما بدا للشابين كان الزعيم جبرا قد هيئ الرجال لهذا الشأن ؛ وكأنه كان ينتظر موافقتهما فحسب، فحزن الشابان لضياع الكنز وقال مالك لنفسه بحزن وأسف: إن كان لنا فيه رزق فلابد أنهم سيفشلون..وإن لم يكن لنا فيه رزق ونصيب فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومثل هذا الكلام كان يدور في خلد سالك الشقيق الأصغر ، فسار الزعيم ومعه أعوانه ومعهم مالك وسالك إلى البئر المهجورة ، فوجدوا الحبال ما زالت موجودة فيها ، لم يحاول الشابان رفعها ، فقام رجلان بتثبيت نفسيهما فيهما ، وبدأ الآخرون يدلونهما قليلا قليلا، واصطف الآخرون يحدقون في البئر وإلى الرجلين الهابطين إلى قعرها ، وبعد وصول الرجل الذي يحمل المشعل إلى نصفه انطفأ نوره ، فأصبحا يعتمدان على نور الشمس والنهار ، ثم اشتد الظلام وأخذ الرجلان بالصراخ

ويطلبون الخروج ، فأخرجوهما بسرعة ، فخرجا وهما يرتجفان من الرعب فصاح فيهما جبرا : ويلكما ما خطبكما ؟!

فقال أحدهم : النار اطفئت والظلام حالك .. وفي البئر أصوات غريبة ؛ كأنها أصوات جن وعفاريت تسكن في هذه البئر يا سيدي الزعيم .

فضحك الزعيم ورجاله وصاح فيهما : ما هذا الكلام الفارغ ؟!.. هذا جبن وخوف فلينزل غيرهما !

فقام آخران بالنزول ، ولما اقتربا من نصف البئر انطفأ الموقد، وأخذا بالصياح والصراخ ودب فيهما الخوف ، فأمر جبرا الرجال بالاستمرار في تدليتهما لقاع البئر، وزاد صراخهما حتى استقرا على أرض البئر، فلم يعد يسمع لهم صوت وخمد صراخهما ، فسحبوا الحبال فإذا هي خاوية من الرجلين ، فتبادل الجميع النظرات ثم قال جبرا لمالك : ما الأمر ؟! ألم تقل لي إن رجلين دخلا لإخراج جثة بوصة من قاع البئر ؟ كيف فعلتم ؟!

فأعاد مالك قصة بوصة وموته وإخراج جثته ، فأتوا بسدرة ثم ذهب سدرة وأتى بالرجلين الذين أخرجا جثة بوصة، فأتوا فنزلوا البئر وأخرجوا الرجلين فوجدوهما منهكين من الضرب ويكادان يشرفان على الموت ، فعجب القوم من حالتهم، فأمر الزعيم بإعادتهم لبيوتهم ويقوم الطبيب على مداواتهم ، ثم خاطب الزعيم جبرا الرجلين اللذين اخرجا المضروبين قائلا : يوجد في هذه البئر سر .. كنز ما رأيكما بالنزول والبحث عنه ولكما ما شئتما ؟

فأظهرا الخوف والجزع ، وأنهما يخشيان من العفاريت التي تحمي الكنز والتعرض لهما بالصفع والضرب كما حصل مع هذين الرجلين ، وبعد تمنع رفض جبرا اعتذاراهما فربطوهما بالحبال ثم دلوهما مرة أخرى ، وبعد حين سمعا صراخهما وصياحهما فأخرجوها فكانا منهكين القوى ووجوههما صفراء من الخوف والرعب فقال الزعيم : هذا يؤكد أن بداخلها كنزا عظيما وأنها بئر مسحورة .. على كل حال سنفكر بالعودة مرة أخرى أيها الرجال .. فكوا هذه الحبال ، وخذوها معكم لا تبقوها هنا .. ففيها خطر على الشباب مالك وسالك .

فقال مالك : افعلوا ما شئتم أيها السادة .. ما تقولون بشراء هذه البيت ؟! .. فذلك الأمر يزعجنا ونخشى أن تؤذينا العفاريت بعدما انكشف سرها ؟

فقال جبرا ملوحا بالتهديد : تمهلا في الأمر وسوف نفكر بعرضكم .

أخذ جبرا رجاله وابتعد عن المنزل ، وهو في غيظ شديد من فشله، وعدم استيلائه على الكنز ،

وكانت نازك وبعض الجارات يتابعن الأمر عن بعد ، فلما عادوا قال مالك لهنّ : إنهم يبحثون عن كنز مخبوءة في البئر؛ ولكن الجن والعفاريت منعتهم من الوصول إليه .

وقص على مسامع الجميع ما حصل وحدث للرجال الأربعة الذي نزلوا في جوف البئر المهجورة ، ولما انصرف الناس وجلا من حديث الجن والضرب والصفع والخنق ، قال مالك : أمر هذه البئر محير وغريب .. فمن ينزل للاستيلاء على الكنز يتعرض للأذى! ومن ينزل للإنقاذ لا يصيبه شيء؟! .. بوصة دخل لأخذ الكنز فمات مخنوقا بداخلها ؛ لأنه لم يجد من ينقذه ويخرجه فهلك ، فلما قام الرجلان بإخراجه لم يصبهما شيء .. أنت يا سالك دخلت البئر للمعرفة فلم يصيبوك بشيء .. فلما دخل رجلا الزعيم جبرا للنيل من الكنز تعرضا للضرب واللطم، وكادا أن يموتا ، فجاء الرجلان لأنقاذهما فلم يصبهما ضرر ، فلما أرغما على سرقة الكنز تعرضا للأذى

فقال سالك: إنني أتذكر الكلام الذي سمعناه من أبي ليلة موته في تلك الليلة الحزينة.. لقد ذكر الجن وعلاقته بهم.. وها هؤلاء القوم يتحدثون عن العفاريت والجن.. فلابد أن والدنا قطبة بن سنان يعلم الخطر الذي قد نتعرض له أو يتعرض له البئر فطلب من أصدقائه الجآن أن يحموا البئر وهذا الكنز .. الليلة بإذن الله سندخل البئر يا مالك نأخذ المشعل، ونمشى حتى الصخرة ، ونحفر ونخرج الجرة ونخبئها حتى يأتي الرجل الذي سوف يتزوج نازك ، كما رسم لنا الأب الميت .. لابد من المغامرة أيها الاخوة قبل أن نفقد الجرة .

فقال مالك : أرى أن ننتظر حتى تخف عيون الفضوليين وينسى الناس أمر هذه البئر .

فقالت نازك : بل سيزداد مجيء الطامعين إليها ، فلنعجل بالأمر ، كما يقول سالك، وبما أن الأمر وصل للحاكم ورجال البلاد فلن يكفوا عن هذه البئر وعن هذا الكنز .

فقال مالك: يا اخوتي لو أخرجنا الذهب فلن نستفيد منه في هذه المدينة ، فكيف سنبيعه؟!.. فلنترك الجرة في حماية الجن .. والصندوقان أنتم تعرفان أمرهما .. فزوج نازك لم يأت بعد ..

فقال سالك : يا مالك! ولكن الوالد طلب منا إخراجها بعد موته ، ولم يطلب منا الانتظار.. فلنعجل بإخراجها ونتوكل على الله ..



كنز قطبة

وبعد تشاور وتحاور وافق مالك على إخراج الجرة ، فبعد نصف الليل حمل سالك الفانوس ، وحمل

مالك الفأس، وتبعتهم نازك، فدخلوا من جوف الشجرة ونزلوا الدرجات ، وكان سالك يتقدمهم فوصلوا للسرداب ، وحنوا قامتهم ، ومشوا ببطء داخله حتى وصلوا فتحة البئر ، وتدلى سالك وتناول الفانوس والفأس من مالك الذي تدلى بدوره ثم نازك ، وبدأ الحفر تحت الصخرة ، وبعد ساعة استطاعوا رفع الصخرة جانبا ، وحفروا قليلا من التراب وأخرجوا الجرة الصغيرة ، ثم أحالوا التراب مكانه ثم أعادوا الصخرة مكانها، ولقد كانت أعصابهم مشدودة ومتوترة ، وصعدت نازك وتناولت الفانوس والفأس ثم الجرة ، وصعد مالك وتبعه سالك ، وسارت نازك أمامهم وعندما اقتربوا من جوف الشجرة سمعوا أصواتا في المنزل فقالت نازك : تمهلوا .. حتى أرى ماذا يريد هؤلاء الرجال ؟!

فقال سالك : بل أنا أذهب .. انتظروا هنا لا تخرجون وإذا اضطررتم للخروج فدعوا الجرة وتقدم نازكا ومالكا وخرج متسللا ، وما شعر الرجال إلا وسالكا بينهم ، وهو يقول: من أنتم ؟!

رجف الرجال وصاحوا معا : ويلك من أين أتيت ؟

فقال : هربنا لبيت خالتنا بعدما هبط الليل ثم احتاجت اختنا متاعا فجئت آخذه فمن أنتم ؟!

كانوا خمسة رجال ،ولولا شدة الظلام لرأوا حال سالك من التراب والعرق فرد أحدهم قائلا : لنا وقت طويل نبحث عنكم .

تظاهر سالك بالضحك الخفيف وقال : لماذا تبحثون عنا ؟ الحبال وقد أخذتموها

فقال رئيسهم : الملك الكبير يرغب برؤية البئر المسحورة .. فاستعدوا لزيارته ولا تتغيبوا عن المنزل .

فقال سالك بهدوء أعصاب ومتعجبا : الملك ! ملك البلاد يريد زيارتنا في هذا البيت .. يا مرحبا به .

فقال رئيسهم : نعم، الملك عماد بن واد بنفسه .. استعدوا ولا تتركوا البيت .. في الصباح بعد ساعات يسيرة سيكون هنا .

وساق الرئيس جنده وانصرف ، فنزل سالك على اخوته وروى لهما الخبر فقال مالك : أمر هذا الكنز محير.. الملك مهتم به بنفسه.. ما العمل أيها الناس؟! يظهر لي أن هذا الكنز سيجر علينا المتاعب والمشاكل .. فمنذ وفاة والدنا قطبة ونحن في هم وقلق وترقب .

فردت نازك قائلة : كانت حياة والدنا غريبة الأطوار شديدة الغموض ، وذهب وتركنا في الحيرة والجهل ..وقد نهلك ونحن في حيرة أيضا .. فما يجب أن نعمل الآن ؟

فقال سالك : رأسي يكاد أن يتصدع مما أسمع وما يحصل أمام أعيننا ، ما هذا الاهتمام الكبير بهذه البئر؟! كأنه مال لهم وفي بيوتهم .. وكيف وصل لعلمهم أن بها كنزا؟! نحن لم نتحدث لأحد .. فلعل أحدنا أخطأ وتحدث أمام آخرين.. تذكروا يا أخوان لعله أفشى السر من غير شعور

فأقسم الجميع أنهم كتموا السر، ولم يتفوهوا به أمام الناس .. والسؤال المحير على الشفاه كيف عرف بوصة بكنز البئر؟! .. هل سمعهم يتحدثون بذلك ؟!

فقالت نازك : إذا نزلوا البئر صباحا ، ولم يجدوا شيئا ، ولاحظوا الحفر فسيشكون بنا .

فاقترح أحدهم دلق بعض الماء في البئر لإخفاء حفرهم وأقدامهم ، ورأى أن يفعلوا ذلك قبل بزوغ الشمس من مشرقها ، وتابع قائلا : ندخله عن طريق السرداب ؛ لأننا لو قذفناه من باب البئر قد يكشف امرنا.. وأمرنا إلى الله.. أو نأخذ الصندوقين، وبعض الذهب ، ونخفيه ، ونعيد الجرة تحت الصخرة ؛ فإن وصلوا للجرة نكون أخذنا ما استطعنا ، ولن يكتشفوا ذلك

فقالت نازك : قد يفتشون البيت.. فاقترح أن نحفر حفرة للجرة في هذا السرداب وندلك الماء في قاع البئر لتختفي آثار الحفر والأرجل .. فالوصول لهذا السرداب ليس سهلا .. فبما أن الأمر وصل للملك ، فلابد أن أمر هذا الكنز خطير ومهم، وهناك غيرنا يعرف به .

نفذوا الاقتراح وعادوا للبيت ، يزيلون عن أنفسهم التراب والطين والعرق ، ولما أشرقت الشمس الصفراء هيئوا أنفسهم لاستقبال الملك ، فارتدوا أحسن ثيابهم، ولما أضحت الشمس أقبل الملك وبرفقته الزعيم جبرا وعددا من الأجناد ، وأحيط البيت والبستان الكبير بالفرسان ورحب الاخوة الثلاثة بصاحب الملك والسلطان وقبلوا يديه فشكرهم ، وقال مطمئنا لهم : لا تخشوا شيئا أيها الشباب الطيبون لقد علمت بأن في هذه البئر المهجورة في بيتكم كنزا ثمينا .. وقد علمت بما جرى لابن عمكم بوصة، وكيف هلك عندما حاول استخراج هذا الكنز؟ وعلمت بما حصل لرجال الزعيم جبرا والأجيرين ، فتبين لنا أن هذه البئر مسحورة أو محفوظة فجئت بنفسي إليكم لنستخرج هذا الكنز الثمين فما قولكم ؟

ابتسم مالك بتهيب وقال : يا مولانا السلطان مرحبا بك في بيتنا ، ونحن ولابد أنهم ذكروا لك أننا لا علم لنا بكنز في هذه البئر ، هم اخبرونا بوجود الكنز، ونحن بشوق لرؤيته وما هي إلا بئر مهجورة ، ولما مات والدنا قطبة بن سنان فكرنا ـ نحن الاخوة ـ باستصلاح هذا البستان بزرع أرضه .. والزرع كما تعلمون يا مولانا يحتاج لماء

باستمرار ففكرنا من الاستفادة من هذه البئر المهجور ، فأنا أعمل عند صانع الحبال المعروف فروة ، فاشتريت منه حبلا لتكون رشا للبئر ، وأخي سالك يعمل عند المعلم الحداد كروان فجلب لنا فأسا لنحرث بها الأرض ، فظهر لنا ابن عمنا بوصة فقصصنا عليه الحال، ثم أتى خفية عنا ونزل في البئر ومات مخنوقا ، وقالوا فيما بعد من العفاريت ، ونحن قلنا للزعيم جبرا أن يتصرف بالبئر كما يشاء ، ويبحث عن الكنز المزعوم بدون اعتراض ، بل عرضنا عليه أن نبيعه البيت لنبتعد عن الجن والعفاريت حتى أننا هربنا الليلة وخفنا من المبيت في البيت ..

ضحك الملك وقال : هذا الكلام أكثره وصل مسامعنا .. فظهر لنا أن هذه البئر لا يستطيع أحد دخلوها لأخذ الكنز ؛ فإذا كانت هذه الكنوز محفوظة باسم أحد فلربما تكونون أنتم ، فإذا نزل أحدكم فقد له يعترضه حرس البئر ؟!

فهم الشباب غاية الملك فقال سالك : أنا سأنزل ، وسأحمل الفانوس، وينزل معي رجل من رجالكم؛ فإذا هلكت يا ملك الزمان ، فأوصيك على أخي مالك وأختي نازك .

فشجعه الملك وقال : لا تخف يا بني! .. ولن يحدث لك شيئا .. هيا بنا لنرى هذه البئر .

احضر رجال جبرا الحبال والفأس والمصباح ، وتجمعوا حول البئر ، وتدلى سالك بأحد الحبال وهو يحمل القنديل، ورجل آخر بالفأس حتى وصلوا لقاع البئر، ودخلت أقدامهم في الطين والماء، ومكثا ساعة وهم يسمعون صراخا من الأعلى بين الحين والآخر من الرجال في أعلى البئر ثم أخرجوهما ، ثم قال رجل الملك : لم أجد شيئا يا مولاي سوى الماء والطين كما ترونه على أرجلنا، وصخرة حفرنا حولها وتحتها حتى خلعناها فلم نجد تحتها شيئا أيضا .

فقال الملك بدهشة : ماء.. أمر غريب ! من أين أتى الماء ؟! غريب كل شيء حدث هنا غريب على كل حال فعلت ما عليك يا سالك ، أشكرك على شجاعتك ، الأمر غامض.. فعلى كل حال هذا الكنز هو لكما .. ولابد أن تصلا إليه ، ومرا على الزعيم جبرا ليكافئكما عن هذا الإزعاج والخوف الذي أصابكم .

ثم أخذ الملك أعوانه وانصرف وهو حائر شاك ، وفزع الناس على بيت قطبة يسمعون الحكاية ولمعرفة سبب تجمع هؤلاء العساكر حول البيت.. فأعاد مالك على مسامعهم قصة الكنز ..وأن الملك عماد بن واد مهتم بأمره ، وجاء بنفسه ليشرف على إخراجه ولكنهم للأسف لم يجدوا الكنز المزعوم .

أرسل الملك بعد أيام يسيرة من هذه الحادثة يخطب نازكا زوجة له، فتعجب الاخوة من ذلك

الطلب.. وتذكروا وصية أبيهم .. فاعتذروا للوسيط ، فطلبهم الملك فسار إليه الأخوان وحدثوه بوصية والدهم بشأن زواجها، فلم يقتنع فبعث وراء الفتاة وعرض نفسه عليها، فذكرت له قصة قطبة ، فصرفهم ، وتعجب الناس والفقراء خاصة من عدم قبول نازك بالزواج من ملك البلاد ، وتقدم إليها شباب في سنها يطلبون يدها ، فرفضتهم لنفس السبب حتى أن ابن عم لها طلبها من اخوتها فاعتذروا له وذكروا له وصية أبيهم ، ولما هدأت العاصفة ، وعاد الهدوء للبيت ذهب الاخوة للسرداب، وعلى ضوء المشعل اخرجوا الجرة الفخارية ، وإلى الغرفة التي خرجت فيها روح قطبة ، وعند السحر ذكروا اسم الرحمن بعد أن تأكدوا من عدم وجود عيون الرقباء والمتلصصين ، وفتحوا الجرة فتساقط منها الذهب واللؤلؤ والفضة ، ثم اخرجوا الصندوقين فأخذ مالك الصندوق الأحمر ، وأخذ سالك صندوقه الأخضر ، ونازك تنظر إليهما بصمت وتفكير ، واقتسما المال بينهما بالتساوي بدون أن تأخذ نازك منه شيئا، ثم أعادوا الجرة للسرداب ، وبدءا يفكران كيف يتصرفان بالذهب بدون أن يقعا في قبضة الملك؟ ربما لو يكشف أمرهما فسوف يتعرضان للموت والأذى أمام كل الناس ، فما كان أمامهما إلا الرحيل من هذه المدينة وبيع المنزل الذي بناه قطبة ، ولكن كان يعيقهما عن تنفيذ هذا الاقتراح عدم إتيان زوج نازك المنتظر ، وبعد مرور سنة على وفاة قطبة أتاهم رجل غريب أعور العين مقطوع الأذن سليط اللسان قصير القامة دخل البيت عليهم بغير استئذان ، فما وجدت نازك نفسها إلا وهو عندها يتغزل بها بأقبح الألفاظ ، ويتوعدها بالضرب والإذلال ، ولما زالت عنها الدهشة والاستهجان صاحت به : يا وقح ! كيف تدخل البيت بغير إذن يا أقبح الرجال ؟! وتقول مثل هذه الأقوال القبيحة .. وليس عندي في البيت رجال

فراح يضحك بصوت يجلجل في حجرات البيت ثم قال : اسكتي يا ابنة قطبة أنا زوجك زهمان لقد خطبتك من أبيك وأنت صغيرة في المهد لا تحسني غير الرضاع .. فمتى يرجع الأخوان مالك وسالك ؟ اللذان طال بهما الانتظار لفتح الصناديق ومعرفة ما فيها من الأسرار .. رحمك الله يا قطبة فهذه عروس تفتن الغلمان فكيف بكهل مثل زهمان ؟! .. متى يعود الأخوان ؟ لابد أن النار تسري في دمائهما ويقولان متى يأتي عروس نازك الجميلة الموعود بزواجها من أبينا قطبة حتى يتركا البلد ويهجراه للتمتع بثروة قطبة بن سنان .. مساكين لا يعلمون ما قدر لهما عند الملك الديان !

فلما استوعبت نازك كلامه وصمت عن الكلام

قالت : يا هذا آنت زوجي؟! الرجل الذي حدثني أبي عنه .. أأنت زوجي الذي طلب مني أبي أن انتظرك لأكون لك حليلة ؟! .

فضحك زهمان القبيح ضحكا عاليا وقال: نعم ، نعم ، أيتها الغزالة الصغيرة .. أنا خطيبك منذ عهد بعيد ، وسأكون زوجك من قريب .. أين اخوتك ؟ .

وصار يشتمهم ويلعنهم حتى دب الخوف في قلبها من قبح لسانه ، وقالت وهي ترجف من الخوف : هما في العمل .. أحدهما يعمل عند صانع الحبال فروة ، والآخر يعمل عند الحداد كروان .

فصرخ فيها قائلا : جهزي أفضل الطعام ، سأذهب وأحضرهما لنأكل الطعام، ونتعرف على أولاد قطبة بن سنان .

وغادرها وهو يقذفها بسوء الكلام والألقاب ، فأخذت بالبكاء على هذا الزوج ذي اللسان البذيء الوقح ، وتفكر كيف ستقضي حياتها عند هذا الرجل ؟! وكانت تتذكر وصية أبيها قبل عام فتكف عن البكاء والشكوى ، وتعلم أن عليها بالرضا والصبر، وأنها في اختبار وامتحان .

ذهب زهمان إلى مكان عمل مالك ، ودخل المكان وهو يسب ويلعن ويصيح على مالك بلفظ قبيح ومما قال : يا مالك يا هالك لي سنوات أبحث عنك ، وأسال عنك هنا وهناك .. فأنا زهمان خطيب أختك نازك.. أأصل الدار ولا أجدك في الانتظار.. فيا ويحك من لساني ذي الكلام القاني يا هالك بن هالك ! .

أدرك مالك المدهوش من هجوم الرجل الغريب عليه أن هذا الرجل القبيح اللسان والصورة هو الرجل الذي هم في انتظاره ؛ ليكون بعلا لأختهم نازك.. فحزن وأسف لاختيار أبيه لهذه الرجل البذيء وركبه الغم ، وأخذ بالاعتذار لصاحب الحانوت من سلاطة لسان نسيبهم القادم فقال : يا إخوان لا تغضبوا على صاحبنا زهمان وأعتذر لكم عن سوء كلامه ، وأمسك بيد زهمان وقال : هيا أيها الرجل فضحتنا أمام الخلق لا أدري كيف ستعيش معك نازك المسكينة ؟

فصاح زهمان قائلا : خزاك الله يا مالك ! أما أوصاك قطبة بحسن الأدب معي والكلام ؟

فرد مالك بحدة : لولا هذه الوصية يا رجل لرأيت مني العجب .. هيا للبيت ولا تكثر الكلام والشتم

فقال زهمان سليط اللسان : فلنذهب لإحضار سالك المنافق يا ابن قطبة .

وفي متجر كروان الحداد أعاد زهمان الكرة بالسب والقذف والتحقير مما أزعج سالك ومن كان معه في المكان ، وقال زهمان : يا نجس ! .. يا قليل الأخلاق يا ابن قطبة بن سنان أأصل بيتكم وما تكون في استقبالي؟ وما لقيتك في الانتظار! يا مهان

يا جبان لا تنظر اليّ شذرا مذرا أنا زهمان خطيب أختك نازك يا بن الكرام .

استمع سالك لقبيح كلام زهمان على مضض وصبر، ولم يتكلم وتذكر وصية قطبة لهم بالصبر على أذى ولسان هذا الرجل الموعود ، واعتذر للمعلم كروان والحدادين الآخرين من سوء لسان ضيفه ، وساروا الثلاثة للبيت فوجدوا نازكا قد صنعت الطعام من بين دموعها الغزيرة مما سمعت من قبيح كلام ممن سيكون بعلا لها ، وصبروا على هذا الرجل الغريب وحثوا أختهم على الرضا به فهو اختيار الوالد، وأعطاهم خطاب قطبة الذي ذكره لهم أبوهم قبل موته بساعات ، وكان فيه "لقد وافقت على زواج ابنتي نازك منك يا ولدي" وعليه اسم قطبة بن سنان بحبر ذهبي ، وأخبروه أن والدهم أوصاهم به خيرا ، وأوصاهم على الموافقة على طلبه وتزويجه لأختهم ، وبعد شهر أبدى الضيف رغبته بالزواج من نازك أمام أقرباء وجيران قطبة ، فعقدوا لها الزواج على الضيف الغريب الأطوار خضوعا لوصية قطبة لأولاده عند موته، فحزنت عليها الصديقات والقريبات، وأسف الأصحاب والأقارب من زواجها من هذا الرجل الغريب القبيح، فصبرت نفسها وقالت: إن والدها أوصاها بالزواج منه ، وعليها الرضا به مهما كان بشعا وقبيحا ، وإن اخوتها لم يجبروها على الزواج منه .

وعلم الملك عماد بن واد بزواج نازك من الغريب زهمان ، فاستدعاه للقصر ، فلما رآه تعجب من هيئته وصفته ، وحزن على نازك الصغيرة الجميلة أن تتزوج من مثل هذا الرجل القبيح ، فحاول إغراءه بالمال ليترك الفتاة الطيبة وينفصل عنها ، فأعاد الاخوة على مسامع الملك والحاشية وصية قطبة الغريبة والعجيبة ، فقام أحد الوزراء بتحريض الملك على الفتك به وتخليصها منه ، فابتسم زهمان وقال بصوت عال : آه!.. منك يا وزير السوء .. تحرض الملك عماد بن واد على الفتك بي ما بيني وبينك يا عدو الله ! وهل لأنني قبيح الخلق والخلق لا أتزوج مثل هذه الحسناء؟! .. فأنت يا وزير السوء لا تصلح بالجلوس في حضرة الملوك ..

الوزير الحاسد

حكي أن رجلاً من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه. وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه: إن لم أحتل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه. فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به إلى منزله فطبخ له طعاماً وأكثر فيه من الثوم. فلما أكل البدوي منه قال له : احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى

من ذلك فإنه يكره رائحته. ثم ذهب الوزير إلى أمير المؤمنين فخلا به. وقال: يا أمير المؤمنين إن البدوي يقول عنك للناس: إن أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه. فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم. فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال: إن الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح. فكتب أمير المؤمنين كتاباً إلى بعض عماله يقول له فيه: إذا وصل إليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله. ثم دعا بالبدوي ودفع إليه الكتاب وقال له: امض به إلى فلان وأتني بالجواب. فامتثل البدوي ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب إذ لقيه الوزير فقال: أين تريد. قال: أتوجه بكتاب أمير المؤمنين إلى عامله فلان. فقال الوزير في نفسه: إن هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل. فقال له: يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي دينار. فقال: أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأي أفضل. قال: أعطني الكتاب.

فدفعه إليه وأعطاه الوزير ألفي دينار وسار بالكتاب إلى المكان الذي هو قاصده. فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير. فبعد أيام تذاكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فقال له: أنت قلت عني للناس إني أبخر. فقال: معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث بما ليس لي به علم وإنما كان ذلك مكراً منه وحسداً. وأعلمه كيف دخل به بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه. فقال أمير المؤمنين: قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله. ثم خلع على البدوي واتخذه وزيراً الوزير بحسده.

ضيق على يزيد

ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد إلى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الأموال، ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولي يزيد بن أبي مسلم أفريقية، وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدّد في طلبه فأتي به إليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه: يا محمد بن يزيد، قال: نعم، قال: طالما سألت الله أن يمكنني منك، فقال: وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك، فقال: والله ما أجارك ولا أعانك، وإن سبقني ملك الموت إلى قبض روحك سبقته، والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك. ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة، فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي، وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما

رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله، وقيل لمحمد بن يزيد: اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وفك الأسير.

رضيع الكلبة

وأخذ الطاعون أهل بيت فسدّ بابه، ففضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل حيا قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرو لها، فسبحان القادر على كل شيء لا إله غيره ولا معبود سواه.

يا غياث المستغيثين

ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم، فأرسل إلى قائد البحر وقال له: انفذ الآن مركبا إلى أفريقية يأتوني بأخبارها، فعمد القائد إلى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا إذا بالمركب في موضعه كأنه لم يبرح، فقال الملك لقائد البحر: أليس قد فعلت ما أمرتك به؟ قال: نعم، قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب، فأمر بإحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك: ما منعك أن تذهب حيث أمرت؟ قال: ذهبت بالمركب فبينما أنا في جوف الليل والرجال يجدفون إذا بصوت يقول: يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا، فلما استقر صوته في أسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادي يا الله يا الله يا غياث المستغيثين، فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال: كنا مقلعين من أفريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت وما زلت أصيح حتى أتاني الغوث من ناحيتكم، فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه في قصره لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة، فسبحانه لا إله غيره ولا معبود سواه.





مشاهد تربوية
منشورات
المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
نبوية
حق المسلم
حسن الخلق
ازدراء النعم
فليصل رحمه
حسن الاسلام
كل واشرب
مضغة
نفس كريمة
الزهد
المعروف
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
غربتي وابنتي
قصص
المصباح المضيء
وهج الحرب
موقعة الثلاثة والعشرين
الفوارس
حصرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
قريشا . . .
هو أنت لاجيء
عبد الله البحري
مملكة مالونياوالملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٨

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الأزهار

جواهر القصص

قصص أخرى

المكتبة الخاصة

إعداد
جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء الثامن

قصة يوسف الصديق ﷺ

طفولة يوسف عليه السلام: ذهب يوسف الصبي الصغير لأبيه، وحكى له عن رؤيا رآها. أخبره بأنه رأى في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له. استمع الأب إلى رؤيا ابنه وحذره أن يحكيها لأخوته. فلقد أدرك يعقوب -عليه السلام- بحدسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤية شأنا عظيما لهذا الغلام. لذلك نصحه بأن لا يقص رؤياه على إخوته خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير - غير الشقيق، حيث تزوج يعقوب من امرأة ثانية أنجبت له يوسف وشقيقه- فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم، فتمتلئ نفوسهم بالحقد، فيدبروا له أمرا يسوؤه. استجاب يوسف لتحذير أبيه.. لم يحدث أخوته بما رأى. اجتمع أخوة يوسف يتحدثون في أمره. نحن مجموعة قوية تدفع وتنفع، فأبونا مخطئ في تفضيل هذين الصبيين على مجموعة من الرجال النافعين! فاقترح أحدهم حلا للموضوع: {اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) إنه الحقد وتدخل الشيطان الذي ضخم حب أبيهم ليوسف وإيثاره عليهم حتى جعله يوازي القتل. أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله. وطرحه في أرض بعيدة نائية مرادف للقتل، لأنه سيموت هناك لا محاله . ولماذا هذا كله؟! حتى لا يراه أبوه فينساه فيوجه حبه كله لهم. قال قائل منهم -حرك الله أعماقه بشفقة خفية، أو أثار الله في أعماقه رعبا من القتل: ما الداعي لقتله؟ إن كنتم تريدون الخلاص منه، فلنلقه في بئر تمر عليها القوافل.. ستلتقطه قافلة وترحل به بعيدا.. سيختفي عن وجه أبيه.. ويتحقق غرضنا من إبعاده. انهزمت فكرة القتل، واختيرت فكرة النفي والإبعاد. نفهم من هذا أن الأخوة، رغم شرهم وحسدهم، كان في قلوبهم، أو في قلوب بعضهم، بعض خير لم يمت بعد. توجه الأبناء لأبيهم يطلبون منه السماح ليوسف بمرافقتهم. دار الحوار بينهم وبين أبيهم بنعومة وعتاب خفي، وإثارة للمشاعر (..مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ) ؟ أيمكن أن يكون يوسف أخانا، وأنت تخاف عليه من بيننا ولا تستأمننا عليه، ونحن نحبه وننصح له ونرعاه؟ لماذا لا ترسله معنا يرتع ويلعب؟ وردا على العتاب الاستنكاري الأول جعل يعقوب عليه السلام ينفي -بطريقة غير مباشرة- أنه لا يأمنهم عليه، ويعلل احتجازه معه بقلة صبره على فراقه وخوفه عليه من الذئاب}:قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ .{ففندوا فكرة الذئب الذي يخاف أبوه أن يأكله.. نحن عشرة من

الرجال.. فهل نغفل عنه ونحن كثرة؟ نكون خاسرين غير أهل للرجولة لو وقع ذلك.. لن يأكله الذئب ولا داعي للخوف عليه. وافق الأب تحت ضغط أبنائه.. ليتحقق قدر الله وتتم القصة كما تقتضي مشيئته! خرج الأخوة ومعهم يوسف، وأخذوه للصحراء. اختاروا بئرا لا ينقطع عنها مرور القوافل وحملوه وهموا بإلقائه في البئر.. وأوحى الله إلى يوسف أنه ناج فلا يخاف.. وأنه سيلقاهم بعد يومهم هذا وينبئهم بما فعلوه. عند العشاء جاء الأبناء باكين ليحكوا لأبيهم قصة الذئب المزعومة. أخبروه بأنهم ذهبوا يستبقون، فجاء ذئب على غفلة، وأكل يوسف. وجاؤوا على قميصه بدم كذب لطخوه به في غير إتقان ونسوا في انفعالهم أن يمزقوا قميص يوسف.. جاءوا بالقميص كما هو سليما، ولكن ملطخا بالدم.. وانتهى كلامهم بدليل قوي على كذبهم حين قالوا: (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ(أي وما أنت بمطمئن لما نقوله، ولو كان هو الصدق، لأنك تشك فينا ولا تطمئن لما نقوله. أدرك يعقوب من دلائل الحال ومن نداء قلبه ومن الأكذوبة الواضحة، أن يوسف لم يأكله الذئب، وأنهم دبروا له مكيدة ما، وأنهم يلفقون له قصة لم تقع، فواجههم بأن نفوسهم قد حسنت لهم أمرا منكرا وذللته ويسرت لهم ارتكابه؛ وأنه سيصبر متحملا متجملا لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو، مستعينا بالله على ما يلفقونه من حيل وأكاذيب } :قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ{يوسف أثناء وجود يوسف بالبئر، مرت عليه قافلة.. قافلة في طريقها إلى مصر.. قافلة كبيرة.. سارت طويلا حتى سميت سيارة.. توقفوا للتزود بالماء.. وأرسلوا أحدهم للبئر فأدلى الدلو فيه.. تعلق يوسف به.. ظن من دلاه أنه امتلأ بالماء فسحبه.. ففرح بما رأى.. رأى غلاما متعلقا بالدلو.. فسرى على يوسف حكم الأشياء المفقودة التي يلتقطها أحد.. يصير عبدا لمن التقطه.. هكذا كان قانون ذلك الزمان البعيد. فرح به من وجده في البداية، ثم زهد فيه حين فكر في همه ومسئوليته، وزهد فيه لأنه وجده صبيا صغيرا.. وعزم على التخلص منه لدى وصوله إلى مصر.. ولم يكد يصل إلى مصر حتى باعه في سوق الرقيق بثمن زهيد، دراهم معدودة. ومن هناك اشتراه رجل تبدو عليه الأهمية. يوسف وامرأة العزيز وها هو ذا السيد الذي اشترى يوسف يقول لزوجته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا. وليس هذا السيد رجلا هين الشأن ..إنما هو رجل مهم.. رجل من الطبقة الحاكمة في مصر.. سنعلم بعد قليل أنه وزير من وزراء الملك. وزير خطير سماه القرآن" العزيز"،

وكان قدماء المصريين يطلقون الصفات كأسماء على الوزراء. فهذا العزيز.. وهذا العادل.. وهذا القوي.. إلى آخره. وهكذا مكن الله ليوسف في الأرض.. سيتربى كصبي في بيت رجل يحكم. وسيعلمه الله من تأويل الأحاديث والرؤى.. وسيحتاج إليه الملك في مصر يوما. ثم يبين لنا المولى عز وجل كرمه على يوسف فيقول: كان يوسف أجمل رجل في عصره.. وكان نقاء أعماقه وصفاء سريرته يضفيان على وجهه مزيدا من الجمال. وأوتي صحة الحكم على الأمور.. وأوتي علما بالحياة وأحوالها. وأوتي أسلوبا في الحوار يخضع قلب من يستمع إليه.. وأوتي نبلا وعفة، جعلاه شخصية إنسانية لا تقاوم. وأدرك سيده أن الله قد أكرمه بإرسال يوسف إليه.. اكتشف أن يوسف أكثر من رأى في حياته أمانة واستقامة وشهامة وكرما.. وجعله سيده مسئولا عن بيته وأكرمه وعامله كابنه. ويذكر الله تعالى هذه المحنة في كتابه الكريم: { وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ{ فيبدوا أن امرأة العزيز سئمت تجاهل يوسف لتلميحاتها المستمرة وإباءه.. فقررت أن تغير خطتها. خرجت من التلميح إلى التصريح.. أغلقت الأبواب ومزقت أقنعة الحياء وصرحت بحبها وطالبته بنفسه. ثم يتجاوز السياق القرآني الحوار الذي دار بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام، ولنا أن نتصور كيف حاولت إغراءه إما بلباسها أو كلماتها أو حركاتها. لكن ما يهمنا هنا هو موقف يوسف -عليه السلام- من هذا الإغواء. يقف هذا النبي الكريم في وجه سيدته قائلا (مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ{أعيذ نفسي بالله أن أفعل هذا مع زوجة من أكرمني بأن نجاني من الجب وجعل في هذه الدار مثواي الطيب الآمن. ولا يفلح الظالمون الذين يتجاوزون حدود الله، فيرتكبون ما تدعينني اللحظة إليه. لا يعني هذا أن يوسف كان يخلو من مشاعر الرجولة، ولا يعني هذا أنه كان في نقاء الملائكة وعدم احتفالهم بالحس. إنما يعني أنه تعرض لإغراء طويل قاومه فلم تمل نفسه يوما، ثم أسكنها تقواها كونه مطلعا على برهان ربه، عارفا أنه يوسف بن يعقوب النبي، ابن إسحق النبي، ابن إبراهيم جد الأنبياء وخليل الرحمن. يبدو أن يوسف -عليه السلام- آثر الانصراف متجها إلى الباب حتى لا يتطور الأمر أكثر. لكن امرأة العزيز لحقت به لتمسكه، تدفعها الشهوة لذلك. فأمسكت قميصه من الخلف، فتمزق في يدها.

وهنا تقطع المفاجأة. فتح الباب زوجها العزيز . وهنا تتبدى المرأة المكتملة، فتجد الجواب حاضرا على السؤال البديهي الذي يطرح الموقف. فتقول متهمة الفتى):مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (واقترحت هذه المرأة – العاشقة– سريعا العقاب –المأمون –الواجب تنفيذه على يوسف، خشية أن يفتك به العزيز من شدة غضبه. بيّنت للعزيز أن أفضل عقاب له هو السجن. بعد هذا الاتهام الباطل والحكم السريع جهر يوسف بالحقيقة ليدافع عن نفسه) :قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي (تجاوز السياق القرآني رد الزوج، لكنه بين كيفية تبرئة يوسف – عليه السلام– من هذه التهمة الباطلة: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) (28) يوسف} لا نعلم إن كان الشاهد مرافقا للزوج منذ البداية، أم أن العزيز استدعاه بعد الحادثة ليأخذ برأيه ما يذكره القرآن أن الشاهد أمرهم بالنظر للقميص، فإن كان ممزقا من الأمام فذلك من أثر مدافعتها له وهو يريد الاعتداء عليها فهي صادقة وهو كاذب. وإن كان قميصه ممزقا من الخلف فهو إذن من أثر تملصه منها وتعقبها هي له حتى الباب، فهي كاذبة وهو صادق. {فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) (28) يوسف {فتأكد الزوج من خيانة زوجته عندما رأى قميص يوسف ممزق من الخلف. لكن الدم لم يثر في عروقه ولم يصرخ ولم يغضب. فرضت عليه قيم الطبقة الراقية التي وقع فيها الحادث أن يواجه الموقف بلباقة وتلطف.. نسب ما فعلته إلى كيد النساء عموما. وصرح بأن كيد النساء عموم عظيم. وهكذا سيق الأمر كما لو كان ثناء يساق. ولا نحسب أنه يسوء المرأة أن يقال لها: (إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (فهو دلالة على أنها أنثى كاملة مستوفية لمقدرة الأنثى على الكيد. بعدها التفت الزوج إلى يوسف قائلا له) :يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا (أهمل هذا الموضوع ولا تعره اهتماما ولا تتحدث به. هذا هو المهم.. المحافظة على الظواهر .انتهى الحادث الأول.. لكن الفتنة لم تنته.. فلم يفصل سيد البيت بين المرأة وفتاها.. كل ما طلبه هو إغلاق الحديث في هذا الموضوع. غير أن هذا الموضوع بالذات .وهذا الأمر يصعب تحقيقه في قصر يمتلئ بالخدم والخادمات والمستشارين والوصيفات. بدأ الموضوع ينتشر.. خرج من القصر إلى قصور الطبقة الراقية يومها.. ووجدت فيه نساء هذه الطبقة مادة شهية للحديث. إن خلو حياة هذه الطبقات من المعنى،

وانصرافها إلى اللهو، يخلعان أهمية قصوى على الفضائح التي ترتبط بشخصيات شهيرة.. وزاد حديث المدينة} وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ{وانتقل الخبر من فم إلى فم.. ومن بيت إلى بيت.. حتى وصل لامرأة العزيز. { فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ للّهِ مَا هَـذَا بَشَرًا إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ) (32) يوسف{ عندما سمعت امرأة العزيز بما تتناقله نساء الطبقة العليا عنها، قررت أن تعد مأدبة كبيرة في القصر. وأعدت الوسائد حتى يتكئ عليها المدعوات. واختارت ألوان الطعام والشراب وأمرت أن توضع السكاكين الحادة إلى جوار الطعام المقدم. ووجهت الدعوة لكل من تحدثت عنها. وبينما هن منشغلات بتقطيع اللحم أو تقشير الفاكهة، فاجأتهن بيوسف):وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا) (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ (بهتن لطلعته، ودهشن) .وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ (وجرحن أيديهن بالسكاكين للدهشة المفاجئة) .وَقُلْنَ حَاشَ للّهِ (وهي كلمة تنزيه تقال في هذا الموضع تعبيرا عن الدهشة بصنع الله) ..مَا هَـذَا بَشَرًا إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (يتضح من هذه التعبيرات أن شيئا من ديانات التوحيد تسربت لأهل ذلك الزمان. ورأت المرأة أنها انتصرت على نساء طبقتها، وأنهن لقين من طلعة يوسف الدهش والإعجاب والذهول .فقالت قولة المرأة المنتصرة، التي لا تستحي أمام النساء من بنات جنسها وطبقتها، والتي تفتخر عليهن بأن هذا متناول يدها؛ وإن كان قد استعصم في المرة الأولى فهي ستحاول المرة تلو الأخرى إلى أن يلين: انظرن ماذا لقيتن منه من البهر والدهش والإعجاب! لقد بهرني مثلكن فراودته عن نفسه لكنه استعصم، وإن لم يطعني سآمر بسجنه لأذلّه. إنها لم ترى بأسا من الجهر بنزواتها الأنثوية أمام نساء طبقتها. فقالتها بكل إصرار وتبجح، قالتها مبيّنة أن الإغراء الجديد تحت التهديد. واندفع النسوة كلهم إليه يراودنه عن نفسه.. كل منهن أرادته لنفسها.. ويدلنا على ذلك أمران .الدليل الأول هو قول يوسف عليه السلام) رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ (فلم يقل) ما تدعوني إليه ..(والأمر الآخر هو سؤال الملك لهم فيما بعد) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ (أمام هذه الدعوات –سواء كانت بالقول أم بالحركات واللفتات– استنجد يوسف بربه ليصرف عنه

محاولاتهن لإيقاعه في حبائلهن، خيفة أن يضعف في لحظة أمام الإغراء الدائم، فيقع فيما يخشاه على نفسه. دعا يوسف الله دعاء الإنسان العارف ببشريته، الذي لا يغتر بعصمته؛ فيريد مزيدا من عناية الله وحياطته، ويعاونه على ما يعترضه من فتة وكيد وإغراء)قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (واستجاب له الله.. وصرف عنه كيد النسوة. وهذا الصرف قد يكون بإدخال اليأس في نفوسهن من استجابته لهن، بعد هذه التجربة؛ وهكذا اجتاز يوسف المحنة بلطف الله ورعايته، فهو الذي سمع الكيد ويسمع الدعاء، ويعلم ما وراء الكيد وما وراء الدعاء. سجن يوسف عليه السلام ربما كان دخوله للسجن بسبب انتشار قصته مع امرأة العزيز ونساء طبقتها، فلم يجد أصحاب هذه البيوت طريقة لإسكات هذه الألسنة سوى سجن هذا الفتى الذي دلت كل الآيات على برائته، لتنسى القصة. قال تعالى في سورة) يوسف) :(ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) (يوسف (صدر قرارا باعتقاله وأدخل السجن. بلا قضية ولا محاكمة، ببساطة ويسر.. لا يصعب في مجتمع تحكمه آلهة متعددة أن يسجن بريء. بل لعل الصعوبة تكمن في محاولة شيء غير ذلك. دخل يوسف السجن ثابت القلب هادئ الأعصاب أقرب إلى الفرح لأنه نجا من إلحاح زوجة العزيز ورفيقاتها، وثرثرة وتطفلات الخدم. كان السجن بالنسبة إليه مكانا هادئا يخلو فيه ويفكر في ربه. يختصر السياق القرآني ما كان من أمر يوسف في السجن.. لكن الواضح أن يوسف –عليه السلام– انتهز فرصة وجوده في السجن، ليقوم بالدعوة إلى الله. مما جعل السجناء يتوسمون فيه الطيبة والصلاح وإحسان العبادة والذكر والسلوك. انتهز يوسف –عليه السلام– هذه الفرصة ليحدث الناس عن رحمة الخالق وعظمته وحبه لمخلوقاته، كان يسأل الناس: أيهما أفضل.. أن ينهزم العقل ويعبد أربابا متفرقين.. أم ينتصر العقل ويعبد رب الكون العظيم؟ وكان يقيم عليهم الحجة بتساؤلاته الهادئة وحواره الذكي وصفاء ذهنه، ونقاء دعوته. وفي أحد الأيام، قَدِمَ له سجينان يسألانه تفسير أحلامهما، بعد أن توسما في وجهه الخير. إن أول ما قام به يوسف –عليه السلام– هو طمأنتهما أنه سيؤول لهم الرؤى، لأن ربه علمه علما خاصا، جزاء على تجرده هو وآباؤه من قبله لعبادته وحده، وتخلصه من عبادة الشركاء.. وبذلك يكسب ثقتهما منذ اللحظة الأولى بقدرته على تأويل رؤياهما، كما يكسب ثقتهما كذلك لدينه. ثم بدأ بدعوتهما إلى التوحيد،

وتبيان ما هم عليه من الظلال. قام بكل هذا برفق ولطف ليدخل إلى النفوس بلا مقاومة. بعد ذلك فسر لهما الرؤى. بيّن لهما أن أحدها سيصلب، والآخر سينجو، وسيعمل في قصر الملك. لكنه لم يحدد من هو صاحب البشرى ومن هو صاحب المصير السيئ تلطفا وتحرجا من المواجهة بالشر والسوء. وتروي بعض التفاسير أن هؤلاء الرجلين كانا يعملان في القصر، أحدهما طباخا، والآخر يسقي الناس، وقد اتهما بمحاولة تسميم الملك. أوصى يوسف من سينجو منهما أن يذكر حاله عند الملك. لكن الرجل لم ينفذ الوصية. فربما ألهته حياة القصر المزدحمة يوسف وأمره .فلبث في السجن بضع سنين. أراد الله بهذا أن يعلم يوسف -عليه السلام- درسا. فقد ورد في إحدى الروايات أنه جاءه جبريل قال: يا يوسف من نجّاك من إخوتك؟ قال: الله. قال :من أنقذك من الجب؟ قال: الله. قال: من حررك بعد أن صرت عبدا؟ قال: الله. قال: من عصمك من النساء؟ قال: الله. قال: فعلام تطلب النجاة من غيره؟ وقد يكون هذا الأمر زيادة في كرم الله عليه واصطفاءه له، فلم يجعل قضاء حاجته على يد عبد ولا سبب يرتبط بعبد. رؤيا الملك ـ ملك مصر ـ في هذا المشهد تبدأ نقطة التحول.. التحول من محن الشدة إلى محن الرخاء.. من محنة العبودية والرق لمحنة السلطة والملك. في قصر الحكم.. وفي مجلس الملك: يحكي الملك لحاشيته رؤياه طالبا منهم تفسيرا لها) .وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (لكن المستشارين والكهنة لم يقوموا بالتفسير. ربما لأنهم لم يعرفوا تفسيرها، أو أنهم أحسوا أنها رؤيا سوء فخشوا أن يفسروها للملك، وأرادوا أن يأتي التفسير من خارج الحاشية -التي تعودت على قول كل ما يسر الملك فقط. وعللوا عدم التفسير بأن قالوا للملك أنها أجزاء من أحلام مختلطة ببعضها البعض، ليست رؤيا كاملة يمكن تأويلها .وصل الخبر إلى الساقي – الذي نجا من السجن.. تداعت أفكاره وذكره حلم الملك بحلمه الذي رآه في السجن، وذكره السجن بتأويل يوسف لحلمه. وأسرع إلى الملك وحدثه عن يوسف. قال له: إن يوسف هو الوحيد الذي يستطيع تفسير رؤياك. وأرسل الملك ساقيه إلى السجن ليسأل يوسف. وكان الساقي يسمي يوسف بالصديق، أي الصادق الكثير الصدق.. وهذا ما جربه من شأنه من قبل. جاء الوقت واحتاج الملك إلى رأي يوسف)وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (سُئِلَ يوسف عن تفسير حلم الملك.. فلم يشترط خروجه من

السجن مقابل تفسيره. لم يساوم ولم يتردد ولم يقل شيئا غير تفسير الرؤيا.. هكذا ببراءة النبي حين يلجأ إليه الناس فيغيثهم.. وإن كان هؤلاء أنفسهم سجانيه وجلاديه .لم يقم يسوف –عليه السلام– بالتفسير المباشر المجرد للرؤيا. وإنما قدم مع التفسير النصح وطريقة مواجهة المصاعب التي ستمر بها مصر. أفهم يوسف رسول الملك أن مصر ستمر عليها سبع سنوات مخصبة تجود فيها الأرض بالغلات. وعلى المصريين ألا يسرفوا في هذه السنوات السبع. لأن وراءها سبع سنوات مجدبة ستأكل ما يخزنه المصريون، وأفضل خزن للغلال أن تترك في سنابلها كي لا تفسد أو يصيبها السوس أو يؤثر عليها الجو. بهذا انتهى حلم الملك.. وزاد يوسف تأويله لحلم الملك بالحديث عن عام لم يحلم به الملك، عام من الرخاء. عام يغاث فيه الناس بالزرع والماء، وتنمو كرومهم فيعصرون خمرا، وينمو سمسمهم وزيتونهم فيعصرون زيتا. كان هذا العام الذي لا يقابله رمز في حلم الملك. علما خاصا أوتيه يوسف. فبشر به الساقي ليبشر به الملك والناس. عاد الساقي إلى الملك. أخبره بما قال يوسف، دهش الملك دهشة شديدة. ما هذا السجين..؟ إنه يتنبأ لهم بما سيقع، ويوجههم لعلاجه.. دون أن ينتظر أجرا أو جزاء. أو يشترط خروجا أو مكافأة. فأصدر الملك أمره بإخراج يوسف من السجن وإحضاره فورا إليه. ذهب رسول الملك إلى السجن. ولا نعرف إن كان هو الساقي الذي جاءه أول مرة. أم أنه شخصية رفيعة مكلفة بهذه الشؤون. ذهب إليه في سجنه. رجا منه أن يخرج للقاء الملك.. فهو يطلبه على عجل. رفض يوسف أن يخرج من السجن إلا إذا ثبتت براءته. لقد رباه ربه وأدبه .تجاوز السياق القرآني عما حدث بين الملك ورسوله، وردة فعل الملك. ليقف بنا أمام سؤال الملك لنساء الطبقة العليا عما فعلنه مع يوسف. يبدوا أن الملك سأل عن القصة ليكون على بينة من الظروف قبل أن يبدأ التحقيق، لذلك جاء سؤاله دقيقا للنساء .فاعترف النساء بالحقيقة التي يصعب إنكارها) قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ .(وهنا تتقدم المرأة المحبة ليوسف، التي يئست منه، ولكنها لا تستطيع أن تخلص من تعلقها به.. تتقدم لتقول كل شيء بصراحة. يصور السياق القرآني لنا اعتراف امرأة العزيز، بألفاظ موحية،) أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (شهادة كاملة بإثمها هي، وبراءته ونظافته وصدقه هو. شهادة لا يدفع إليها خوف أو خشية أو أي اعتبار آخر.. يشير السياق القرآني بحافز أعمق من هذا كله. حرصها على أن يحترمها الرجل الذي أهان كبرياءها الأنثوية، ولم يعبأ بفتنتها الجسدية. ومحاولة يائسة لتصحيح صورتها

في ذهنه. لا تريده أن يستمر على تعاليه واحتقاره لها كخاطئة. تريد أن تصحح فكرته عنها) :ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ (لست بهذا السوء الذي يتصوره فيني. ثم تمضي في هذه المحاولة والعودة إلى الفضيلة التي يحبها يوسف ويقدرها) وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (وتمضي خطوة أخرى في هذه المشاعر الطيبة) وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ .)إن تأمل الآيات يوحي بأن امرأة العزيز قد تحولت إلى دين يوسف. تحولت إلى التوحيد. إن سجن يوسف كان نقلة هائلة في حياتها .آمنت بربه واعتنقت ديانته. ويصدر الأمر الملكي بالإفراج عنه وإحضاره. خروج يوسف من السجن بعد ما رأى الملك من أمر يوسف. براءته، وعلمه، وعدم تهافته على الملك. عرف أنه أمام رجل كريم، فلم يطلبه ليشكره أو يثني عليه، وإنما طلبه ليكون مستشاره .وعندما جلس معه وكلمه، تحقق له صدق ما توسمه فيه. فطمئنه على أنه ذو مكانه وفي أمان عنده. فماذا قال يوسف؟ قال يوسف: (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ .(لم يكن يوسف في كلمته يقصد النفع أو الاستفادة. على العكس من ذلك. كان يحتمل أمانة إطعام شعوب جائعة لمدة سبع سنوات.. شعوب يمكن أن تمزق حكامها لو جاعت.. كان الموضوع في حقيقته تضحية من يوسف. وهكذا مكن الله ليوسف في الأرض.. صار مسؤولا عن خزائن مصر واقتصادها.. صار كبيرا للوزراء. دارت عجلة الزمن.. طوى السياق دورتها، ومر مرورا سريعا على سنوات الرخاء، وجاءت سنوات المجاعة.. وهنا يغفل السياق القرآني بعد ذلك ذكر الملك والوزراء في السورة كلها.. كأن الأمر كله قد صار ليوسف .الذي اضطلع بالعبء في الأزمة الخانقة الرهيبة. وأبرز يوسف وحده على مسرح الحوادث أوسلط عليه كل الأضواء. أما فعل الجدب والمجاعة فقد أبرزه السياق في مشهد إخوة يوسف، يجيئون من البدو من أرض كنعان البعيدة يبحثون عن الطعام في مصر. ومن ذلك ندرك اتساع دائرة المجاعة، كما كيف صارت مصر – بتدبير يوسف – محط أنظار جيرانها ومخزن الطعام في المنطقة كلها. يوسف عزيز مصر لقد اجتاح الجدب والمجاعة أرض كنعان وما حولها. فاتجه إخوة يوسف – فيمن يتجهون – إلى مصر. وقد تسامع الناس بما فيها من فائض الغلة منذ السنوات السمان. فدخلوا على عزيز مصر، وهم لا يعلمون أن أخاهم هو العزيز. إنه يعرفهم فهم لم يتغيروا كثيرا. أما يوسف فإن خيالهم لا يتصور قط أنه العزيز! وأين الغلام الصغير الذي ألقوه في الجب منذ عشرين عاما أو تزيد من عزيز مصر شبه

المتوج في سنه وزيه وحرسه ومهابته وخدمه وحشمه؟ ولم يكشف لهم يوسف عن نفسه. فلا بد من دروس يتلقونها) :فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ .(ولكنا ندرك من السياق أنه أنزلهم منزلا طيبا، ثم أخذ في إعداد الدرس الأول) :وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ .(فنفهم من هذا أنه تركهم يأنسون إليه، واستدرجهم حتى ذكروا له من هم على وجه التفصيل، وأن لهم أخا صغيرا من أبيهم لم يحضر معهم لأن أباه يحبه ولا يطيق فراقه. فلما جهزهم بحاجات الرحلة قال لهم: إنه يريد أن يرى أخاهم هذا) .قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ .(وقد رأيتم أنني أوفي الكيل للمشترين. فسأوفيكم نصيبكم حين يجيء معكم؛ ورأيتم أنني أكرم النزلاء فلا خوف عليه بل سيلقى مني الإكرام المعهود:)أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ .) ولما كانوا يعلمون كيف يضن أبوهم بأخيهم الأصغر – وبخاصة بعد ذهاب يوسف – فقد أظهروا أن الأمر ليس ميسورا، وإنما في طريقه عقبات من ممانعة أبيهم، وأنهم سيحاولون إقناعه، مع توكيد عزمهم – على الرغم من هذه العقبات – على إحضاره معهم حين يعودون: (قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ .(ولفظ) نراود (يصور الجهد الذي يعلمون أنهم باذلوه. أما يوسف فقد أمر

غلمانه أن يدسوا البضاعة التي حضر بها إخوته ليستبدلوا بها القمح والعلف. وقد تكون خليطا من نقد ومن غلات صحراوية أخرى من غلات الشجر الصحراوي، ومن الجلود وسواها مما كان يستخدم في التبادل في الأسواق. أمر غلمانه بدسها في رحالهم – والرحل متاع المسافر – لعلهم يعرفون حين يرجعون أنها بضاعتهم التي جاءوا بها. إرسال يعقوب لولده الثاني رجع الأخوة إلى أبيهم.. وقبل أن ينزلوا أحمال الجمال ويفكوا متاعهم، دخلوا على أبيهم. قائلين له بعتاب: إن لم ترسل معنا أخانا الصغير في المرة القادمة فلن يعطينا عزيز مصر الطعام. وختموا كلامهم بوعد جديد ليعقوب عليه السلام) وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . (ويبدوا أن هذا الوعد قد أثار كوامن يعقوب. فهو ذاته وعدهم له في يوسف) !قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) (يوسف (وفتح الأبناء أوعيتهم ليخرجوا ما فيها من غلال.. فإذا هم يجدون فيها بضاعتهم التي ذهبوا يشترون بها.. مردودة إليهم مع الغلال والطعام.. ورد الثمن يشير إلى عدم الرغبة في البيع، أو هو إنذار بذلك.. وربما كان إحراجا لهم ليعودوا لسداد الثمن مرة أخرى. وأسرع الأبناء إلى أبيهم) قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي.. (لم نكذب عليك.. لقد رد إلينا الثمن الذي

ذهبنا نشتري به. هذا معناه أنهم لن يبيعوا لنا إلا إذا ذهب أخونا معنا. واستمر حوارهم مع الأب.. أفهموه أن حبه لابنه والتصاقه به يفسدان مصالحهم، ويؤثران على اقتصادهم، وهم يريدون أن يتزودوا أكثر، وسوف يحفظون أخاهم أشد الحفظ وأعظمه.. وانتهى الحوار باستسلام الأب لهم.. بشرط أن يعاهدوه على العودة بابنه، إلا إذا خرج الأمر من أيديهم وأحيط بهم.. نصحهم الأب ألا يدخلوا -وهم أحد عشر رجلا- من باب واحد من أبواب بمصر.. كي لا يستلفتوا انتباه أحد.. وربما خشي عليهم أبوهم شيئا كالسرقة أو الحسد.. لا يقول لنا السياق القرآني ماذا كان الأب يخشى، ولو كان الكشف عن السبب مهما لقيل. دخول الإخوة على يوسف في مصر عاد إخوة يوسف الأحد عشر هذه المرة. { وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (69))يوسف{(يقفز السياق قفزا إلى مشهد يوسف وهو يحتضن أخاه ويكشف له وحده سر قرابته، ولا ريب أن هذا لم يحدث فور دخول الإخوة على يوسف، وإلا لانكشفت لهم قرابة يوسف، إنما وقع هذا في خفاء وتلطف، فلم يشعر إخوته، غير أن السياق المعجز يقفز إلى أول خاطر ساور يوسف عند دخولهم عليه ورؤيته لأخيه.. وهكذا يجعله القرآن أول عمل، لأنه أول خاطر، وهذه من دقائق التعبير في هذا الكتاب العظيم. يطوي السياق كذلك فترة الضيافة، وما دار فيها بين يوسف وإخوته، ويعرض مشهد الرحيل الأخير.. ها هو ذا يوسف يدبر شيئا لإخوته.. يريد أن يحتفظ بأخيه الصغير معه. يعلم أن احتفاظه بأخيه سيثير أحزان أبيه، وربما حركت الأحزان الجديدة أحزانه القديمة، وربما ذكره هذا الحادث بفقد يوسف.. يعلم يوسف هذا كله.. وها هو ذا يرى أخاه.. وليس هناك دافع قاهر لاحتفاظه به، لماذا يفعل ما فعل ويحتفظ بأخيه هكذا!؟ يكشف السياق عن السر في ذلك.. إن يوسف يتصرف بوحي من الله.. يريد الله تعالى أن يصل بابتلائه ليعقوب إلى الذروة.. حتى إذا جاوز به منطقة الألم البشري المحتمل وغير المحتمل، ورآه صابرا رد عليه ابنيه معا، ورد إليه بصره. أمر يوسف -عليه السلام- رجاله أن يخفوا كأس الملك الذهبية في متاع أخيه خلسة.. وكانت الكأس تستخدم كمكيال للغلال.. وكانت لها قيمتها كمعيار في الوزن إلى جوار قيمتها كذهب خالص. أخفى الكأس في متاع أخيه.. وتهيأ إخوة يوسف للرحيل، ومعهم أخوهم.. ثم أغلقت أبواب العاصمة) ..ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (كانت صرخة الجند تعني وقوف

القوافل جميعا.. وانطلق الاتهام فوق رؤوس الجميع كقضاء خفي غامض.. أقبل الناس، وأقبل معهم إخوة يوسف)..مَّاذَا تَفْقِدُونَ (هكذا تسائل إخوة يوسف.. قال الجنود) :نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ ..(ضاعت كأسه الذهبية.. ولمن يجيء بها مكافأة.. سنعطيه حمل بعير من الغلال. قال إخوة يوسف ببراءة: لم نأت لنفسد في الأرض ونسرق! قال الحراس وكان يوسف قد وجههم لما يقولونه : أي جزاء تحبون توقيعه على السارق؟ قال إخوة يوسف: في شريعتنا نعتبر من سرق عبدا لمن سرقه. قال الحارس: سنطبق عليكم قانونكم الخاص.. لن نطبق عليكم القانون المصري الذي يقضي بسجن السارق. كانت هذه الإجابة كيدا وتدبيرا من الله تعالى، ألهم يوسف أن يحدث بها ضباطه.. ولولا هذا التدبير الإلهي لامتنع على يوسف أن يأخذ أخاه.. فقد كان دين الملك أو قانونه لا يقضي باسترقاق من سرق. وبدأ التفتيش. كان هذا الحوار على منظر ومسمع من يوسف، فأمر جنوده بالبدء بتفتيش رحال إخوته أولا قبل تفتيش رحل أخيه الصغير. كي لا يثير شبهة في نتيجة التفتيش. اطمأن إخوة يوسف إلى براءتهم من السرقة وتنفسوا الصعداء، فلم يبقى إلا أخوهم الصغير. وتم استخراج الكأس من رحله. فأمر يوسف بأخذ أخيه عبدا .أعقب ذلك مشهد عنيف المشاعر.. إن إحساس الإخوة براحة الإنقاذ والنجاة من التهمة، جعلهم يستديرون باللوم على شقيق يوسف) قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ (إنهم يتنصلون من تهمة السرقة.. ويلقونها على هذا الفرع من أبناء يعقوب. سمع يوسف بأذنيه اتهامهم له، وأحس بحزن عميق.. كتم يوسف أحزانه في نفسه ولم يظهر مشاعره.. قال بينه وبين نفسه(أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ .(لم يكن هذا سبابا لهم، بقدر ما كان تقريرا حكيما لقاعدة من قواعد الأمانة. أراد أن يقول بينه وبين نفسه: إنكم بهذا القذف شر مكانا عند الله من المقذوف، لأنكم تقذفون بريئين بتهمة السرقة.. والله أعلم بحقيقة ما تقولون. سقط الصمت بعد تعليق الإخوة الأخير.. ثم انمحى إحساسهم بالنجاة، وتذكروا يعقوب.. لقد أخذ عليهم عهدا غليظا، ألا يفرطوا في ابنه. وبدءوا استرحام يوسف: يوسف أيها العزيز.. يوسف أيها الملك)..إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (قال يوسف بهدوء: كيف تريدون أن نترك من وجدنا كأس الملك عنده.. ونأخذ بدلا منه أنسانا آخر..؟ هذا ظلم.. ونحن لا نظلم. كانت هي الكلمة الأخيرة في الموقف. وعرفوا أن لا جدوى بعدها من الرجاء، فانسحبوا يفكرون في موقفهم المحرج أمام أبيهم حين

يرجعون. عودة الأبناء إلى يعقوب بدون أخيهم الصغير عقدوا مجلسا يتشاورون فيه. لكن السياق القرآني لا يذكر أقوالهم جميعا. إنما يثبت آخرها الذي يكشف عما انتهوا إليه. ذكر القرآن قول كبيرهم إذ ذكّرهم بالموثق المأخوذ عليهم، كما ذكرهم بتفريطهم في يوسف من قبل. ثم يبين قراره الجازم: ألا يبرح مصر، وألا يواجه أباه، إلا أن يأذن أبوه، أو يقضي الله له بحكم، فينقاد له وينصاع. وطلب منهم أن يرجعوا إلى أبيهم فيخبروه صراحة بأن ابنه سرق، فَأُخِذَ بما سرق. ذلك ما علموه وشهدوا به. أما إن كان بريئا، وكا هناك أمر وراء هذا الظاهر لا يعلمونه، فهم غير موكلين بالغيب. وإن كان في شك من قولهم فليسأل أهل القرية التي كانوا فيها -أي أهل مصر- وليسأل القافلة التي كانوا فيها، فهم لم يكونوا وحدهم، فالقوافل الكثيرة كانت ترد مصر لتأخذ الطعام. فلما رجعوا إلى يعقوب وأخبروه قال لهم يعقوب) :بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحُكِيم(۩ كلمته ذاتها يوم فقد يوسف.. لكنه في هذه المرة يضيف إليها الأمل أن يرد الله عليه يوسف وأخاه فيرد ابنه الآخر المتخلف هناك. يعقوب -عليه السلام- لم يبكي أمام أحد.. كان بكاؤه شكوى إلى الله لا يعلمها إلا الله. ثم لاحظ أبناؤه أنه لم يعد يبصر ورجحوا أنه يبكي على يوسف، وهاجموه في مشاعره الإنسانية كأب.. حذروه بأنه سيهلك نفسه: { قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85)قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } يوسف ردهم جواب يعقوب إلى حقيقة بكائه.. إنه يشكو همه إلى الله.. ويعلم من الله ما لا يعلمون.. فليتركوه في بكائه وليصرفوا همهم لشيء أجدى عليهم إنه يكشف لهم في عمق أحزانه عن أمله في روح الله.. إنه يشعر بأن يوسف لم يمت كما أنبئوه.. لم يزل حيا، فليذهب الإخوة بحثا عنه.. وليكن دليلهم في البحث، هذا الأمل العميق في الله. ذهاب الإخوة للبحث عن يوسف تحركت القافلة في طريقها إلى مصر.. إخوة يوسف في طريقهم إلى العزيز.. تدهور حالهم الاقتصادي وحالهم النفسي.. إن فقرهم وحزن أبيهم ومحاصرة المتاعب لهم، قد هدت قواهم تماما.. ها هم أولاء يدخلون على يوسف.. معهم بضاعة رديئة.. جاءوا بثمن لا يتيح لهم شراء شيء ذي بال.. وعندما دخلوا على يوسف - عليه السلام- رجوه أن يتصدق عليهم انتهى الأمر بهم إلى التسول.. إنهم يسألونه أن يتصدق عليهم.. ويستميلون قلبه، بتذكيره أن الله يجزي المتصدقين. عندئذ.. وسط هوانهم وانحدار

حالهم.. حدثهم يوسف بلغتهم، بغير واسطة ولا مترجم: { قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩ (قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (يوسف} يكاد الحوار يتحرك بأدق تعبير عن مشاعرهم الداخلية.. فاجأهم عزيز مصر بسؤالهم عما فعلوه بيوسف.. كان يتحدث بلغتهم فأدركوا أنه يوسف.. وراح الحوار يمضي فيكشف لهم خطيئتهم معه.. لقد كادوا له مرت السنوات، وذهب كيدهم له.. ونفذ تدبير الله المحكم الذي يقع بأعجب الأسباب.. كان إلقاؤه في البئر هو بداية صعوده إلى السلطة والحكم.. وكان إبعادهم له عن أبيه سببا في زيادة حب يعقوب له. وها هو ذا يملك رقابهم وحياتهم، وهم يقفون في موقف استجداء عطفه . ولعلهم فكروا في انتقامه منهم وارتعدت فرائصهم.. ولعل يوسف أحس ذلك منهم فطمأنهم بقوله لا مؤاخذة، ولا لوم، انتهى الأمر من نفسي وذابت جذوره.. لم يقل لهم إنني أسامحكم أو أغفر لكم، إنما دعا الله أن يغفر لهم، وهذا يتضمن أنه عفا عنهم وتجاوز عفوه، ومضى بعد ذلك خطوات.. دعا الله أن يغفر لهم.. وهو نبي ودعوته مستجابة. ها هو ذا يوسف ينهي حواره معهم بنقلة مفاجئة لأبيه.. يعلم أن أباه قد ابيضت عيناه من الحزن عليه.. يعلم أنه لم يعد يبصر.. لم يدر الحوار حول أبيه لكنه يعلم.. يحس قلبه.. خلع يوسف قميصه وأعطاه لهم وعادت القافلة إلى فلسطين. عودة الإخوة ثانية إلى يعقوب ما إن خرجت القافلة من مصر، حتى قال يعقوب -عليه السلام -لمن حوله في فلسطين: إني أشم رائحة يوسف، لولا أنكم تقولون في أنفسكم أنني شيخ خرِف لصدقتم ما أقول. فرد عليه من حوله { قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ(٩٥{ (يوسف لكن المفاجأة البعيدة تقع .وصلت القافلة، وألقى البشير قميض يوسف على وجه يعقوب – عليهما السلام– فارتدّ بصره .هنا يذكر يعقوب حقيقة ما يعلمه من ربه فاعترف الأخوة بخطئهم، وطلبوا من أباهم الاستغفار لهم، فهو نبي ودعاءه مستجاب. إلا أن يعقوب عليه السلام ونلمح هنا أن في قلب يعقوب شيئا من بنيه، وأنه لم يصف لهم بعد، وإن كان يعدهم باستغفار الله لهم بعد أن يصفو ويسكن ويستريح. ها هو المشهد الأخير في قصة يوسف: بدأت قصته برؤيا ..وها هو ذا الختام، تأويل رؤياه فجمعه الله بوالده وإخوته في مصر { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ(٩٩)وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا

تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ{ (100)

قصص من السنة

عجوز إسرائيلية

عن يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، أَنَّهُ تَلَا قَوْلَ اللهِ ﷻ : {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ} فَقَالَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَعْرَابِيٍّ فَأَكْرَمَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعَهَّدْنَا ائْتِنَا» فَأَتَاهُ الْأَعْرَابِيُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا حَاجَتُكَ؟» فَقَالَ: نَاقَةٌ بِرَحْلِهَا وَيَحْلِبُ لَبَنَهَا أَهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " عَجَزَ هَذَا أَنْ يَكُونَ كَعَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: " إِنَّ مُوسَى حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ضَلَّ عَنْهُ الطَّرِيقُ فَقَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مَا هَذَا؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللهِ أَنْ لَا نُخْرِجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى تُنْقَلَ عِظَامُهُ مَعَنَا. فَقَالَ مُوسَى: أَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ؟ فَقَالَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَكَانَ قَبْرِهِ إِلَّا عَجُوزٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مُوسَى فَقَالَ: دُلِّينَا عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ قَالَتْ: لَا وَاللهِ حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي. فَقَالَ لَهَا: مَا حُكْمُكِ؟ قَالَتْ: حُكْمِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَكَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ مُسْتَنْقِعَةٍ مَاءً، فَقَالَتْ لَهُمْ أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ. فَلَمَّا أَنْضَبُوا قَالَتْ لَهُمْ: احْفِرُوا فَحَفَرُوا فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ فَلَمَّا أَنْ أَقَلُّوهُ مِنَ الْأَرْضِ إِذِ الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ . المستدرك على الصحيحين للحاكم

حديقة الأزهار

زهرات نبوية

مضغة

عندما كان أمير يغادر البقالة سلم عليه شخص اسمه خليل قائلا : السلام عليك يا أبا محمد .

توقف أمير محدقا بمخاطبه وقال : وعليكم السلام

ـ أنا خليل مروان صاحب صديقك عبد المعطي حامد .

ـ أهلا بك ..وصديق صديقي صديقي مرحبا بك

قال خليل : ذهبت لبيتك لمقابلتك ، فقالوا إنك ذهبت جهة السوق .. فأنا أعرفك ، وقد رأيتك كذا مرة مع عبد المعطي .

ـ هل تحب أن أعود بك إلى البيت لنسمع مشكلتك ؟

قال خليل : إذا لم يكن في ذلك إزعاج لك .. ويمكن أن أتحدث معك هنا .

قال أمير : الموضوع مهم .

ـ نعم ، هو في رأيي مهم لا أدري رأيك !

عاد أمير بخليل مروان إلى سكنه ، ولما استقر بهما المقام في غرفة الاستقبال رحب أمير بضيفه من جديد ، وطلب له الضيافة وقال : ما الأمر يا سيد خليل ؟

ـ جزاك الله خيرا على الاستقبال ، وأعتذر لك عن الإزعاج .

قال : أبدا لا إزعاج ولا هم ..الناس بعضها لبعض .. عبد المعطي أرسلك إليّ ؟

ـ نعم ، القضية يا سيد أبا محمد أن لي شقيقا سيئا ، وقد امتهن السرقة وظيفة وعملا .. وقد حاولنا تقويمه دون فائدة ترتجى .. ومنذ أيام خرج من السجن .. وهو يتوعد بالعودة للسرقة ، وأخذ أموال الناس والجيران .. والمصير كما تعلم الحبس من جديد .. فقُدر لي أن أتكلم مع عبد المعطي عن هذه المشكلة المؤرقة للأسرة والجيران ...

ـ هل شقيقك متزوج ؟

قال خليل : خطب مرة فتاة ، ولما عرفوا أنه حرامي ابتعدوا عنه .

ـ جيد يا خليل ! ما المطلوب مني ؟

ـ قال لي عبد المعطي إنك كثير ما سعيت لإصلاح الشباب من الحرام والمخدرات .. وإنك وفقت في ذلك أكثر من مرة .. وطلب مني أن أعرض الأمر عليك ؛ لعله يتوب على يديك .

ـ كم عمره ؟

قال خليل : خمس وعشرون .

ـ أتعلم في المدارس في الجامعات ؟

ـ فشل في المدارس .. وتعلم عدة حرف .. ولم يستقر على واحدة .

ـ أيشرب الخمر والدخان ؟

ـ نعم ، كلاهما .. هو فاسد ؛ لكنه لص ، وأكثر ما يعرف بهذه الصفة .

ـ رتب لي لقاء معه .

قال خليل : متى ؟

ـ هو يحدد المكان والزمان .. وأنا سأبذل جهدي وقدرتي في العلاج .. وأرجو من الله تعالى أن أوفق

ـ وأنا مستبشر بجهدك .. فالأخ عبد المعطي تكلم كثيرا عنك في معالجة المنحرفين ، ولك تجربة شائعة بين الناس .

وافق شقيق خليل اللص عفانة على مقابلة مع المصلح الاجتماعي أمير محمد ، وكان اللقاء بعد صلاة المغرب في بيت والد خليل ، رحبت الأسرة بأبي محمد .. وتعرف أمير على عفانة ونظر صورته .. وبعد الضيافة طلب من الجميع مغادرة الغرفة ، ولما أغلق الباب عليهما قال : أنا مسرور أنك قبلت هذا اللقاء .. فهذا يعني بالنسبة لي بشرى طيبة ، وأن لديك بذرة خير تحتاج إلى تنمية .

ـ وأنا قبلت اللقاء بك ؛ ليعلم أهلي أني أرغب بالإصلاح ، وترك العادات القبيحة .

قال : جميل يا سيد عفانة! متى كانت أول حادثة سرقة لك ؟ ولماذا سرقت ؟

ـ أنا أسرق منذ الطفولة وكانت سرقات خفيفة ولا تذكر ..كأن أسرق قلما جميلا من أحد التلاميذ ، مبراة ، مصروفا أجده في الحقيبة المدرسية .. ولم تكن هناك معاقبة يعلن الأستاذ من أخذ قلم فلان دفتر فلان مذكرة فلان .. من وجد مبلغا .. لم يكن يوجه لي اتهام .. وظل هذا الحال حتى فشلت وتركت المدرسة .. وكنت أجد لذة في نجاحي المتكرر .. عملت في عدة حرف ، ولما كنت أسرق اكشف وأتشاجر مع أصحابها واطرد من قبل صاحب العمل أو الورشة وبعد حين وانتشار هذه الحكايات عني قلّ من يقبلني عاملا عنده .. فأخذت بسرقة بعض المحلات خفية عن أصحابها وذلك أثناء انشغالهم بالبيع ..وأحيانا اكشف وتحدث معركة أو اهرب .. وتعرفت على بعض الأصدقاء مثلي .. وصرت أخطط معهم لسرقة دكان أو مطعم بخلع الأبواب وفتح الشبابيك .

قال : لا تذكر أول حادثة لك ؟

ـ بالضبط لا أذكر .

ـ السرقة كسب سريع ؛ ولكن عاقبته وخيمة عند الدولة أتقر بذلك ؟

ـ نعم ، أقر بذلك ؛ وربما قضيت شهورا في أروقة السجون .

ـ أعرف .. أنا قلت لك يا عفانة إن قبولك اللقاء بي وجدت به أن لديك رغبة بالتوبة وترك أموال الناس لأصحابها .. هل فكرت بذلك بالتوبة قبل الآن ؟

ـ نعم ، كل مرة أخرج من الحبس أفكر بفتح صفحة جديدة ، ثم أضعف ..ولما حدثني خليل عنك ومساعدتك للمنحرفين مثلي قبلت أن أجرب معك .

قال : نعم ، هل تعلم يا عفانة أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ؟

ـ نعم ، أعرف ذلك وسمعت بها وهي القلب .

قال أمير : القلب ! إذا صلح القلب بالإيمان صلح البدن .. لو كسرت لك يد مثلا ماذا تفعل ؟ نطلب لك سيارة الإسعاف لإجراء الإسعاف الأولي .. ثم تنقل إلى المستشفى للعلاج بتصوير الكسر وجبصنة الكسر والتصوير بعد الجبص للتأكد من نجاح الجبر .. بعض الأدوية والمسكنات .. بالجملة تجري عملية إصلاح للعضو المكسور .. وهذه العملية الإصلاحية قد تحتاج إلى وقت قصير إذا كان الكسر بسيطا .. وإذا كان كبيرا يطول وقت الإصلاح .. وأنت الذي يستطيع إصلاح القلب وعلاجه من الفساد .. وقد يقصر العلاج ،

وقد يطول يا صديقي العزيز .. والمريض عليه بتحمل ألم الكسر ، ويصبر على تجرع الألم ، ويقاوم لينجح العلاج .

ـ أفهم عليك .

قال : هذا علاج المرض البدني سواء مريض القلب البطن الرجل .. فعلاج القلب الفاسد يكون بالإيمان يكون بتنشيط الإيمان بتقوية الإيمان بزرع الإيمان .

ـ نعم ، صحيح .

ـ قلب المسلم بماذا يصلح ؟

ـ بالصلاة ، لقد صليت كذا مرة ، ثم مع الوقت أنسى وأعود للعصيان .

ـ التوبة عندنا مستمرة مرة اثنتان ثلاث حتى الموت .. الصلاة من غاياتها العظمى النهي عن الفحشاء والمنكر .. والإنسان لديه غرائز وشهوات فبدل أن يشرب الخمر ليسكر يشرب الماء العصير بمسمياته التي لا تعد .. فبدل أن يزني يتزوج .. ومن المهم ليصلح القلب أن تغير الرفاق والأصحاب .. أن تتخذ من الصالحين التائبين رفاقا وأصدقاء حتى تنجح عملية الإصلاح .. سأقوم يا سيد عفانة إذا قبلت التوبة ببرنامج معين معك .

ـ سأحاول .

قال : أول خطوة أن تتعهد لي بعدم الالتقاء والسهر مع رجال السوء حتى ينجح العلاج .. وإذا ضعفت والتقيت بأحدهم اتصل بي لنلتقي فورا ونعالج هذا الضعف .. ثم الصلاة التي تعرفها وفي المسجد .. ولا تهتم بالغمز واللمز من ضعفاء الإيمان والجهال ..وبعد حين شهر زمان إذا نجحت هذه الخطوات سأرتب لك عملا تجريبيا عند أحد الأصدقاء عملا مؤقتا ؛ لتكسب مالا حلالا .. هل أنت مستعد للابتداء ببرنامج الإصلاح للكسر وفساد القلب ؟

ـ من متى ؟

قال : من هذه اللحظة .

ـ أخشى الفشل .

ـ فلنحاول .. الآن تذهب وتغتسل للصلاة في الجامع معنا .. وسأكون عندك غدا مغربا .

ـ أخشى الفشل.

ـ ولو فشلت ستنجح في العاقبة .. بعد وضع الجبص يجدون أن التجبير في غير محله ويعاد العلاج من جديد .. المهم الرغبة الحقيقية في البحث عن الدواء والشفاء .. وفي أقل من سنة إذا نجح البرنامج ستكون ملتزما بعمل ومتزوجا .. وهذه مائة دينار لنبدأ .

ـ لا ، لا أقبل هذه المال .

ـ هذه دين قرض لنبدأ الطريق ولا تضطر للسرقة .. انطلق للاغتسال لنبدأ بالصلاة والإصلاح .. وأنا أتوسم أنك ستنجح يا عفانة .. وستنمو

البذرة وتصبح شجرة طيبة .

ـ أرجو ذلك .

خرج الشاب للاغتسال ، ودخلت الأسرة ، فقال لهم : سنذهب للجامع برفقة عفانة ، وسيبدأ برنامج العلاج للأخ عفانة يا أستاذ خليل ونرجو التوفيق من الله .

"أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " .

مشاهد تربوية

اصبر يا صابر

دخل حمدان بيته مع غروب الشمس وكانت عيناه محمرتين ، من شدة البكاء ، ولاحظت ذلك أم محمد وهي تفتح الباب مرحبة ببعلها العزيز فقالت: كأنك كنت تبكي يا أبا محمد ؟!

فتنشج الرجل وذرفت عيناه الدمع من جديد وقال : الحمد لله على كل حال .

واتجه إلى حوض الماء (المغسلة) وغسل وجهه بالماء البارد وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .



التف الأولاد حول أبيهم الباكي ، وهم يتهامسون عن سبب هذا الألم المرسوم على وجه أبيهم ، ويتسألون لماذا يبكي أبوهم ؟! وقد وقع في قلوبهم أن كارثة أصابت الوالد ، وليس من علاماتها سوى الدموع والنشيج ، وبعد أن استرجع الرجل تساقطت دموع أم محمد متأثرة بفعل وقول أبي محمد ، وهي ما زالت تجهل سبب هذا الحزن والدموع .

وظل الصمت مطبقا حتى تنهد حمدان عميقا ، وكفكف دموعه مرة أخرى وقال : الله يرزق أخي حسونا الصبر والمزيد من الصبر !

فهتفت الأم بلوعة : حسون ابن عمك ! .. ما أصابه .. لم نسمع شيئا! لم نخبر بشيء !

قال باكيا : حادث قبل ساعات حدث .. وها أنا عائد من مكان الحادث ..عندما كنت مغادرا مكان العمل كلمني ابن عمي حسان ، وأعلمني بتدهور سيارة ابن أخي حسون وقد سقطت في واد .. ومات كل من في السيارة لم ينجُ أحد منهم .. مصيبة كبرى .. وكان مع ابن أخي أخوه سليم .. وبعض الموظفين الذين يعملون معهم .. والحمد لله على كل حال .. والحقيقة أن ابن عمي حسونا تلقى الكارثة والمصيبة بصبر أدهشني يا أم محمد .. ونقلت الجثث للمستشفى للكشف عليها والإذن بدفنها .. رحم الله أموات المسلمين .. وهذا المشهد

ذكرني بلقاء النبي ﷺ مع المرأة الثكلى بولدها ، عندما أمرها النبي ﷺ بالصبر فقالت إليك عني لم تصب بمصيبتي ..وابتعد عنها النبي ﷺ ، فلما أخبروها أنه رسول ﷺ لحقت به فقالت : أصبر يا رسول الله فقال ﷺ " إنما الصبر عند الصدمة الأولى " .. وهذا ما رأيته في قريبي حسون .. دموع أغرقت عينيه فقط .. وكان يردد " إنا لله وإنا إليه راجعون " اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها .

قالت أم محمد : ابن عمك رجل قوي ومؤمن ، ولا نزكي على الله أحدا .. عسى الله أن يرحم جميع الأموات والأحياء .. هيا يا أولاد نذهب لمواساة امرأة عمكم ونعزيها في مصابها الكبير .. حسبنا الله ونعم الوكيل ..أتريد أن تذهب معنا يا أبا محمد ؟

ـ سأذهب بعد صلاة العشاء .. قد تركت ابننا أحمد معهم في المستشفى لاستلام الجثث .. لابد من إخراج تصاريح الدفن .. ولكني اليوم تعلمت كيف يكون الصبر عند الصدمة الأولى ؟ .. وعدم الجزع .. وعدم الاعتراض على القدر بلو .. ولو .. تعلمت اللجوء الحقيقي إلى الله سبحانه في اللحظات الدامية .. عندما أخرج رجال الإسعاف الجثث من الوادي إلى طرف الشارع ، وقع في قلبي أن ابن عمي سيندفع نحوها صارخا مولولا .. ولكنه تمالك نفسه وقال هامسا : إلى اللقاء يا ماهر عند مليك مقتدر .. رحمك الله وغفر لك ما كان من تقصير في طاعة ربك .. إنا لله وإنا إليه راجعون ..واقترب منه وقبل جبينه ومسح دموعه .. وهكذا فعل مع الابن الآخر .. كان شامخا أمام الأقارب والأهل وهو يقول لأحدهم : سنة وهدي نبينا ﷺ أهم من مداهنة ومنافقة الناس .. ولما وصلنا المستشفى ورأينا أن الأمر سيأخذ بعض الوقت .. استأذن بالعودة للبيت ، ورافقته مع بعض الأقارب .. ثم استأذنته بالمجيء إليكم

ـ وأم ماهر كيف تلقت الأمر المؤلم المفجع ؟

ـ قد وصلها الخبر منذ وقع الحادث ، وإنها لا تقل صبرا عن أبي ماهر .. فالدين كمنهج حياة حصان وأمان من الاعتراض على قضاء وقدر المولى ﷻ .. ولله ما أخذ ولله ما أعطى .. أليس كذلك ؟

ـ بلى .. بلى ، وعظم الله ثواب الجميع ..فالفاجعة أصابتنا جميعنا .

ـ اذهبوا أنتم الآن لمواساة أم ماهر .. وبعد صلاتي للعشاء وتناولي بعض الزاد سألحق بكم .. هذه ابتلاءات كما أخبر الله تعالى في الكتاب .. وكما بين النبي ﷺ .. والصبر عند الصدمة الأولى يثاب عليه المرء خير الثواب .. ويوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .. وكل شيء هالك إلا وجهه .. لقد أخذت درسا كبيرا من مأساة الأخ حسون.. وأرجو أن نستفيد منها في حياتنا جمعيا يا أم محمد .

كلام المكاتب

مكتب البيت

{إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ}
{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ}

دخل الأب حازم مكتبه في الشقة التي يعيش فيها ، وكان الوقت بعد العشاء وتبعته ، بعد حين يسير الزوجة تسأله إن كان راغبا في الطعام والزاد .

فقال : طعمت مع الموظفين يا سيدة الكل ! كنا في اجتماع مجلس ادارة من أجل ذلك تغديت معهم أو تعشيت كيفما شئت احسبيها !

ـ أتشرب شيئا ؟

قال : نشرب معا قهوة لا بأس .

نادت على احدى بناتها وطلبت منها فنجانيّ قهوة وكوب ماء ، وأثناء الانتظار قالت : خالد لم أعد أعجب بأفعاله يا حازم !

تطلع في عينيها : ما الامر ؟

قالت : الامر ـ يا سيدي الفاضل ـ أنه يسهر كثيرا خارج البيت.. ألم تلاحظ أنت ذلك ؟

ـ لم انتبه .

قالت : لديه وقت فراغ ، يذهب إلى ابن أم حسن ابن جارنا كما يزعم .. وقالت أم حسن يذهبان للمقاهي والملاهي .

ـ الوضع فعلا مقلق .. والمدرسة!

ـ يعود منها ، يتناول طعاما مع أخوته ينام قليلا ، ثم يخرج .

قال مفكرا : سأسأل عنه في المدرسة .. رغم أني هاتفت مديره من زمن قريب .. فقال إنه جيد !

قالت : هو يدرس قليلا .. وقبل غروب الشمس يذهب لبيت حسن ويعودان قرب منتصف الليل

قال : هذا الوضع خطير فعلا ! هل هذا جديد ؟

قالت : منذ بداية الفصل الثاني ؛ كأنه اكتشف حسنا من زمن يسير !

ـ هو الآن خارج غرفته !

جاءت القهوة والماء ، وتلقت الطالبة الشكر والثناء ، وتعرضت للسؤال عن المدرسة والدراسة ولما غادرت قال حازم : حسنا ! سأنتظر الليلة عودته.. أنا لا أحب السهر كثيرا حتى يستيقظ المرء لصلاة الفجر نشيطا قويا ، ويكون أثناء أداء الصلاة بكامل وعيه .. لا يكون ناعسا نصف نائم

لما دخل الشاب خالد البيت أخبرته أمه أن والده في انتظاره مستيقظا راغبا بالحديث معه ، وحاول معرفة ما الذي يريده والده ليتنظر كل هذا الوقت والسهر ؟ فعلم منها أنه سيناقشه بموضوع السهر خارج المنزل .

ذهب إلى مكتب أبيه وسلم ، فأشار له أبوه بالجلوس ، وبعد مقدمة قال : يا ولدي وقت الفراغ الذي تعاني منه من أهم مشاكل وقضايا

الشباب .. فلا تقضيه في أشياء غير مفيدة .. ما الفائدة من لعب الشدة والأفلام عددا من الساعات؟ مرة في الشهر .. في الشهرين.. الوقت ثمين يا ابني .. اقرأ في الكتب الثقافية في المكتبة العلمية .. الصحة والفراغ يا خالد نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس كما أخبر وحدث سيدنا النبي ﷺ فعليك الاستفادة منهما قبل دخولك معترك الحياة والعمل والزواج قبل الحياة العملية .. الترفيه عن النفس والجو مقبول ومطلوب ؛ لكن باعتدال .. السهر كل ليلة في مقهى في ملهى في سينما لا فائدة منه .. فبعد حين يصبح الإنسان أسير هذه الأماكن والعادات .. هذا أمر غير سوي في حياتنا وحياة وبيوت كثير من الناس .. تعاني من الملل والفتور اذهب إلى نادي إلى جمعيات تطوعية وتدرب على هواية .. فالحمد لله في مدينتا هذه نوادي كثيرة .. نوادي رياضة.. نوادي ثقافة وعلم .. أنا لا أقول لا تذهب للمقهى وغيره للحديث مع الناس ولقاء أبناء الجيران ؛ لكن عليك التقليل من ذلك .. أنا أعلم أن المرء يصيبه الفتور والملل والضجر فلا بأس بالرياضة .. أما لعب الشدة فما الفائدة منها إلا تضييع الوقت؟ .. ساعة وساعة كما قال الحبيب ﷺ .. هذا ما استطيع قوله لك .. وأنا أعلم أنك في دور المراهقة وفترة التمرد ؛ لكن العقل مطلوب .. فابحث عن الهوايات المناسبة .. اجلس في المسجد مع الإمام مع فتيان الجامع تناقش معهم مع شباب الحي .. وتعلم المزيد من القرآن والحفظ .. اقرأ في التاريخ في الأدب سوف ترى ثمرات ذلك عندما تدخل سوق العمل والحياة العملية .. يا بني افتح على سورة لقمان وتأمل نصائح لقمان الحكيم لولده .. أرجو أن أسمع عنك الأخبار الحسنة .. يا حبيبي عليك أن تحسن من اختيار أصحابك ورفاقك الذين يحبون الخير، ويحبون الحياة الفضلى ، واحذر المجون والسجائر والموبقات.

قال خالد بعد صمت : كما قلت يا أبي الفراغ مشكلة قاتلة للروح والشباب.. نعم ، عليّ أن ابحث عن هواية انسجم معها ، صدق أن لعب الشدة ممل وفيه ضجر ؛ لكن الحديث مع الشباب وأحلامهم مثير وجميل .. هل نحشر أنفسنا في بيت أحدنا ونزعج الأمهات والأخوات بالخدمات ؟ فلا نجد إلا المقهى الملاذ المريح.

قال الوالد : النوادي والعمل التطوعي يغني عن المقهى

قال : بعض الرفاق لا يجدون إثارة في الرياضة والتنافس

ـ القراءة والمناقشة حول ما يقرأ جيد هذا

قال خالد : القراءة لا يستطيعها الكثير .. وبعضنا يتعب ويتأفف من قراءة صفحة .. كتب المدرسة

ننعس منها .

قال الأب : والأفلام هل لا يُمل منها وهي تعيد نفس الفكرة والاسطوانة يا خالد؟! ..المرء يبحث عن المناسب لروحه وقدراته حتى يجده بعد حين

ـ أرجو ألا يطول البحث .. صدق لا أسهر محبة في السهر يا أبي !

ـ حسن ما أسمع منك سوف تصل بإذن الله .. السهر في البيت مقبول يا خالد رضي الله عنك .

جواهر القصص

«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»

الصياد البحري هارون

الحلقة ٢ والأخيرة

مركب فرج

تيسر له شراء مركب صغير ، واستعان ببعض البحارة وسافر إلى إحدى الجزر التي تكثر فيها الأسماك الضخمة ، ولما اقتربوا من تلك الجزيرة هاج البحر وماج ، فهبطوا للجزيرة بسلام وجروا المركب على الرمل وثبتوه بأوتاد قوية حتى تهدأ هذه العاصفة وكان فرج ومعه أربع رجال في هذه الجزيرة فقال أحدهم : لماذا لا نتمشى في هذه الجزيرة .. وننظر ما فيها من الأشجار والكنوز ؟

فقال ثاني : نخشى ان نصطدم بوحوشها . فقال ثالث : بل نخشى ان نفقد المركب .

فقال رابعهم : يبقى أحدنا عنده .. ونتعرف نحن على هذه الجزيرة .

فاختاروا واحدا منهم حارسا لمركبهم ومشوا يتفرجون على الجزيرة حتى يخف هيجان البحر ، وساروا في الجزيرة ، وبينما هم سائرون قال أحدهم : العجيب أيها الأخوة .. أنه لا أحد يصيد في الجزيرة غيرنا .. أين أصحاب المراكب ؟

فرد آخر قائلا : لقد كان أكثر الصيادين يتوقعون مثل هذه العاصفة .. ولولا أنها تأخرت ولم تصادفنا في أعماق البحر وإلا لأصابنا منها الضرر الكبير ولكن برحمة من الله تأخر هيجانها فنجونا منها .. فاحمدوا الله على فضله .

اجتازوا تلالا وأشجارا حتى تعبوا من المشي ، فجلسوا يستريحون ويأكلون الطعام ، وقام فرج وركب شجرة عالية وهو يقول : سأصعد لأعلاها وأنظر هذه الجزيرة من أعلى الشجرة العالية .

وأخذ يتسلق الشجرة المرتفعة في الفضاء حتى اختفى عن أعين رفقائه ، وأصبح يقف على قمتها وأصحابه يصيحون عليه بأن يهبط ويقولون : لم نعد نسمع صوتك .. اهبط .



ولما نزل قال دهشا : لقد رأيت قصرا في الجزيرة ؛ ولكنه بعيد كأنه في آخرها .

فقال أحدهم : قصر ! ..لقد جئت هذه الجزيرة أكثر من مرة فلم أرَ فيها قصرا لعلك رأيت أشجارا فخيل إليك أنها قصر .

فقال فرج مؤكدا مشاهدته : إنه قصر على تلة عالية .. وأنت يا صاحبي جئت الجزيرة لتصيد الأسماك ولم تأتِ للنظر على ما فيها من القصور والعمران .

فقال رجل آخر : معك حق نحن نأتيها لنصيد ، وهذه أول مرة نحاول دخلوها .. فمن عادة أصحاب المراكب أنهم غير مهتمين بالمعرفة بما تحويه هذه الجزر .. لهم الشواطئ فقط .

فقال غيره : إذاً علينا بالوصول لهذا القصر لعلنا نجد فيه كنزا يغنينا عن صيد السمك .. فعند علمي أن هذه الجزر لا يسكنها أحد .. جزر مهجورة من بني الإنسان ، لم يصادف أحد من أهل مدينتنا أحدا فيها .. لعلنا نجد ما لم يجدوه ونرى مالم يروه .

فقال فرج مبينا لهم واجب الحذر : من الأفضل أن يذهب بعضنا حتى إذا تعرضوا للأذى قام الآخرون بمساعدتهم .. وما نجده من مال وأشياء فالكل فيه شركاء ..ومن يتطوع معي للذهاب .

وبعد تردد تطوع أحدهم بالمسير معه حيث رأى القصر ، وعاد الآخرون للقارب وقال لهم فرج : أيها الشجعان إذا لم نحضر حتى صباح الغد فأنتم بالخيار فإما أن تبحثوا عنا أو تنتظرونا بضعة أيام فإذا لم نعد إليكم انصرفوا بالقارب لبلادنا وانعونا لأهلنا .

فدعوا لهم بالسلامة والظفر ، وسار فرج ورفيقه حيث لمح القصر ، وقفل الآخرون نحو قاربهم ، وبعد مسير ساعتين ظهر لهم القصر فوق رابية عالية فقال الرجل : والله إنه لقصر كما قلت يا أخ فرج ! .. لمن يكون هذا القصر ؟! .

قال فرج : لنقترب منه لعلنا نعرف الإجابة .

مشوا نحوه حتى وصلوه فإذا هو مطل على الشاطئ من إحدى جهاته بل متصل به بواسطة درج طويل ، فداروا حيث وجدوا مدخلا ، فحرك فرج مطرقة الباب فظهر لهم غلام ثم فتح لهم الباب بعد دقائق وهو يقول : من أنتم ؟ وما الذي أتى بكم إلى هنا ؟!

قال فرج : غرباء .. صيادون ؟

وقبل أن يسمعوا كلام الغلام ثانية ، ظهر أمامهم على مدخل القصر فتاة جميلة في ريعان الشباب ،

فلما نظرها فرج اضطرب وهتف بصوت منخفض كأنه معقود اللسان : ابنة السلطان ! .

وسمع الغلام يصيح وهو ينظر لسيدته : غرباء يا سيدتي .

فقالت : مرحبا بكم .. ولكن ما الذي جاء بكم إلى هنا ؟ .. هذا قصر السلطان .. فالأفضل لكم أيها الرجلان أن تنصرفا قبل عودة أبي والجنود

فقال فرج : أنا من مدينتكم يا سيدتي الأميرة .. أنا ابن الصياد الذي دخل قصركم من سنوات برفقة أبيه يحملان لكم سمكة كبيرة .. وتبسمت في وجهه ابتسامة ما زال أثرها في قلبه لليوم .

فقالت بدون تفكير وتدقيق : إيه .. والله ما زلت أذكرك .. ذكرت لنا أن اسمك فرج

ورسمت على وجهها ابتسامة جديدة ثم قالت : كيف أنت ؟ وما قصة وجودك في هذه الجزيرة ؟

فقال فرج : ألا تكرمون الضيف ؟

فقالت : أبي واخوتي في الصيد يا هذا .. ولا أستطيع إدخالكم القصر فلا يوجد فيه إلا أنا وهذا الخادم .. فقالت : انتظروا عند الشاطئ حتى يعود والدي ويكرمكم .. وسأرسل لكم طعاما مع الخادم وحدثوه بقصتكم لأسمعها منه ودخلت القصر .

شعر رفيق فرج ما به بصاحبه من هوى نحو هذه الفتاة ، وعجب من معرفته بها فسأله عن ذلك ، فروى فرج قصة السمكة الكبيرة لرفيقه الصياد ، وازداد الرفيق عجبا من عشق صاحبه لهذه الأميرة الجميلة ؛ ولكنه أعاد على مسامعه الفارق الكبير بين ابنة السلطان وابن الصياد ، وأكلا ما قدمه لهما الغلام وقال الرفيق : ألا نعود لأصحابنا فالظلام على وشك الدخول يا صاحبي .

ومضى فرج مع صاحبه ساهما حزينا ، فلما وصلا المركب كان الظلام على أشده ، وكان الأصحاب في غاية القلق ، ودهشوا عندما علموا بوجود القصر حقيقة ، وازدادوا دهشة واستغرابا عندما علموا هوى صاحبهم الصياد الصغير بابنة سلطانهم ، ولما أصبح النهار كانت العاصفة قد خفت حدتها فباشر الصيادون عملهم من نصب شباكهم ، وقد تيسر لهم صيد كمية كبيرة لم يكونوا يحلمون بها ، وبعد أيام استعدوا لرحلة العودة ، وأمضى صاحبهم فرج العمل صامتا لا يتكلم إلا بلا أو نعم ، وغادروا الجزيرة وقد ترك فرج قلبه في الجزيرة ، ولما وصلوا البلدة كان أغلب الصيادين في انتظارهم ، وقد فرحوا بعودتهم سالمين ، وكان أكثر الناس سعادة بعودتهم والديّ فرج ، ووجدوه حزينا على غير العادة عندما يعود من كل سفرة ، لقد كان يكون مرحا ونشطا ، فكشف لهم ما أصابه والتقائه بالأميرة مرة أخرى ، فاشتعلت نار الهوى في قلبه من جديد ، ولم يمكث

قليلا حتى أصابته حمى شديدة البأس ، فمرض مرضا رماه الفراش أياما كثيرة حتى صعب الأمر على والديه غاية التعب والأسف ، فذهب الوالد إلى قصر السلطان وطلب اللقاء به ولما اجتمع به روى له قصة ابنه فرج ، فتذكره الملك واعتذر له بلطف وأدب وانصرف عائدا للبيت وحدثهم بما فعل ، فقال فرج : هل حقا فعلت ذلك يا أبي ؟؟! قال الأب بحزن عميق : لم يكن أمامي إلى أن أحدث السلطان بذلك لعله يشفق عليك .. أنت كل شيء لي في هذه الدنيا .. فقد طال مرضك .
فقال فرج : ماذا أفعل يا أبي ؟ ليس الأمر بيدي .. سلمت أمري لمولاي العظيم فهو حسبي ونعم الوكيل .

قضاء الله تعالى

بعد شهور تعافى فرج من سقمه وعاد لركوب البحر مع الصيادين ؛ ولكن خيال الأميرة في تلك الجزيرة ما زال يراود أحلامه ، وإذا أراد الله أمرا قدره قضاه ، فسافر الشاب الصياد إلى تلك الجزيرة مع ثلة من الصيادين ، ولما بنوا كوخهم في تلك الجزيرة قال الصياد فرج لرفاقه : أريد أن أسير في هذه الجزيرة وحدي أيها الأصحاب فصيدوا ريثما أعود إليكم .

ودخل بين الأشجار وقادته قدماه نحو القصر ، فلما اقترب منه سمع أصوات خيل وأبواق ، ولما اقترب أكثر ازداد سماع الأصوات ، وشاهد جنودا حول القصر ، فسأل أحد الجنود بعد أن بين له أنه صياد أسماك ، فعندئذ قال الجندي : الأميرة ابنة السلطان تحتفل بزفافها على أمير من أمراء البلدة .. انتظر حتى احضر لك بعض الحلوى لك ولأصحابك .

وبينما الجندي ينادي على أحد الخدم ، قفل فرج عائدا ، ثم طلب منهم الانتقال إلى جزيرة أخرى ، ففك الصيادون الخيمة والقارب ، وقد يئس صاحب هذه القصة من ابنة السلطان وانقطع الأمل الذي كان يحلم به ودفن أحلامه وآماله في هذه الجزيرة وهو يقول : سيبقى الفرق شاسعا بين الأغنياء والفقراء إلى الأبد .. فالأفضل للمرء أن يتزوج من طبقته .

وبعد ساعات كان المركب يهبط بهم بجزيرة أخرى ، وما كادوا يستريحون قليلا حتى سمعوا صراخا عاليا في قلب الجزيرة ، فذعروا ووقفوا ينظرون جهة الصوت الذي تكرر أكثر من مرة فقال رجل منهم : يا قوم .. إنه صراخ .. وهو

قريب منا .

فقال فرج : إنه صوت امرأة تصرخ .. ما الأمر ؟ تفقد خنجره وطلب من أحد الرفاق أن يتبعه ، وكان يتحركون مع الصوت حتى اقتربوا منه ، فهمس فرج : لقد اقتربنا يا صاحبي .. علينا بالحذر أكثر فأكثر . ورغم شدة الظلام المخيم على المكان ، شاهدا في دغل رجلين مقنعين وبينهما امرأة ، وكانت الفتاة تصرخ وتصيح ، ويحاول الرجلان الملثمان منعها من الصراخ ويخوفانها من الوحوش حتى أن أحدهم هددها بالقتل ، فقالت لهما : سوف يقتلكم أبي أيها الأوغاد .. أيها الخونة .. بعتني أيها اللعين .

كان فرج يسمع الكلام وهو في غاية الحيرة ، فالصوت صوت يعرفه إنه صوت الأميرة التي تركها في أول النهار تحتفل بزواجها فهمس لنفسه :ما الأمر ؟! .. وما الذي جرى لها لتعذب هذا العذاب ؟! .. ومن هو الخائن اللعين ؟!

واشتد صراخ الأميرة المستغيث بمن يسمعها ، فلطمها أحدهما على وجهها وصرخ بصوت عال : لم أعد أطيق صراخك وصوتك اصمتي .

فلم يعد فرج يطيق الانتظار فقال لصاحبه : عليك بواحد وأنا بالآخر .

وزحفا بخفة نحو الدغل ثم هجما بخناجرهما على الرجلين ، وكان للمفاجأة دورها ، فقد قبض فرج على أحدهما وصرعه على الأرض بعد طعنه بالخنجر ، وفعل صاحبه مثله وصاحت الفتاة : بارك الله في همتكما .. شكرا لكما ؟

وقام الرجلان بربط الرجلين ببعض ثيابهما وقال فرج للأميرة : ما الذي يجري في الدنيا أيتها الأميرة ؟! فقالت بدهشة وقد اقتربت منهما : أتعرفني أيها الرجل ؟!

ولما اقتربت منه والتصقت به عرفته صاحت دهشة : فرج !! .. ما الذي جاء بك إلى هنا ؟!

فقال : نعم ، فرج يا مولاتي الأميرة .. القدر جاء بي هنا ، لقد نزلنا للصيد في هذه الجزيرة ، فسمعنا الصراخ فهرعنا نحوه .

فقاموا بقيادة الرجلين الجريحين نحو المركب وخلفهم الأميرة تسير ببطء وهي تعاني من الألم ، وعلى الفور أمر فرج بفك المركب والخيمة والعودة للبلد ، وتحركت المركب نحو الوطن ، وبعد أيام قضوها في البحر كانت الأميرة تقص على والدها قصة خطفها ، أحد الأمراء طلب الأميرة للزواج ووافقت الأسرة على ذلك ، واتفق أن تكون حفلة الزواج في قصر الجزيرة لحب الأميرة لهذه الجزيرة ، ولما انتهت حفلة العرس ركبت العروس سفينة زوجها الأمير ، وفي وسط البحر تعرضت السفينة لقراصنة البحر فقتلوا من فيها وخطفوا الأميرة وأنزلوها في تلك الجزيرة

وذهبوا يأتون بزعيمهم ، وتبين أن أحد المتعاونين مع القراصنة أحد خدم القصر ، قد طرد من القصر لسوء أخلاقه ، فانضم لعصابة القرصان وأوغر صدرهم لخطف ابنة السلطان ، وسر السلطان بنجاة ابنته وحزن على موت زوجها وحرسه ، وعجب كذلك لتقادير المولى العظيم ، والنهاية معروفة لكم ، فبعد زوال أيام الحزن وشفاء الأميرة من الصدمة الكبيرة التي تعرضت لها أصبح فرج أميرا من أمراء البلاد ، وأذن له السلطان بالزواج من ابنته ، فالأمر بيد الله ، وبيده وحده مقاليد الأمور ، وكل يوم هو في شأن .

تمت بحمد الله



قصص الزمردة

وسيم والأميرة المغرورة

الحلقة ٢ والأخيرة

الأميرة المغرورة

بعد ساعة من الزمن أقبلت الأميرة الجميلة شمهدان وبين يديها سبع وصيفات ؛ كأنهن شمس بين سبعة بدور ، فنهض التاجر عند دخولها محييا ، ووسيم قد ضل عقله من بديع صورتها ؛ ولكنه تدارك نفسه بلمح البصر ، ونهض مقلدا التاجر ، فرآه قد تقدم من الأميرة التي وقفت في نصف القاعة وهي ترحب به ، فقبل التاجر يدها ، وفعل وسيم مثله وهو في غاية الانبهار ، وأخذ التاجر يمدح بضاعته ، ووقف وسيم بجوار أحد الصناديق منتظرا الإشارة لفتحه ، وكان ينظر للأرض ومن طرف خفي يمتع نظره بالنظر لهذه المخلوقة التي حدثه الشيخ الخفي بأنها ستكون حليلته ، ويقول في نفسه : إنها فاتنة حقا ..هذه هي الأميرة التي ساقترن بها بمشيئة الرب العظيم .. هذا ما قاله الشيخ الخفي .. ستبدأ المعركة بعد قليل



وبينما هو مسترسل في أحلامه سمع المعلم يقول :

افتح الصندوق يا غلام

رفع وسيم الصندوق الذي أشار إليه التاجر سماق ووضعه بين يدي الأميرة التي كانت تجلس على عرش من خشب الأبنوس والأرز وفتحه ، وهو يجاهد نفسه باستمرار النظر للأرض ، ثم أخرج منه الثياب التي يشير لها المعلم ، وأخرج لها قطعة قماش خضراء فسمعها تقول : يا سماق .. هذا الغلام يعمل لديك ؟

فقال سماق بقلق وبطء: نعم يا مولاتي.. غلام

جديد أكرمني الله به .. وهو خادمك الأمين

أمسكت الأميرة بقطعة الثياب . وقالت : ما اسمك أيها الفتى ؟

قال وسيم وهو يحدق النظر في الأرض : مولاتي .. اسمي وسيم .

فكأن الأميرة جفلت قليلا فرمشت عيناها وقالت: وسيم .. رائع ! اسم جميل وحسن أيها الغلام !

فقال بصوت هامس : نعم .. أيتها الأميرة العزيزة .. أنا وسيم .

أخذت الأميرة تقلب الثوب وقالت : أيها الشاب .. أنت غريب عن هذه البلاد ؟

نظر وسيم للتاجر فرأى في عينيه أجب فقال : نعم ، يا سيدتي الأميرة .. أنا يتيم .. لا أب لي ولا أم .. تنقلت في البلاد حتى وصلت إلى هذه المدينة الجميلة والتحقت بالعمل عند السيد سهاق بقوت يومي .

كاد سهاق أن ينفجر غضبا من ثرثرة وسيم وخشي عليه الهلاك ، وسمع الأميرة تقول وهي ما زالت تتفرج على الثوب المنشور بين يديها : هل أنت قوي يا وسيم ؟ .. مالك تنظر لسيدك ؟ انظر إليّ أنا !

فرد قائلا : قوي ! .. ماذا تقصدين بقوي يا مولاتي ؟

فقالت : أتحسن ركوب الجياد واللعب بالرمح والسيف ؟ .. وارفع عينيك وانظر إليّ !

فقال المعلم وقد رجح لديه تعرض الفتى للأذى : لا تخف يا بني ارفع عيناك وأنظر في وجه الأميرة ، لقد أذنت لك وأجب على أسئلة الأميرة .. ولا تخف .

أمعن وسيم النظر إلى عيني الأميرة بقوة فقالت الأميرة : أيها الفتى إن في عينيك لسحرا .. أجب على سؤالي .. هل تحسن ركوب الجياد وضرب السيف ؟

فقال وهو مازال محدقـا فيها ولم يطرف له رمش : أركب الخيل يا مولاتي ؛ ولكني لست من الفرسان ، أما السيف فإني أجيد حمله والطعن به .. وقد مررت على بلاد الثعابين وهناك لقيت ثعبانا كبيرا هائلا يمنع الناس الرعي من سنين ، ففتكت به وخلصت الناس من شره .

فصاحت الأميرة فجأة صيحة اهتز لها المكان وقالت : ماذا قلت أيها الفتى ؟

واخرج وسيم من وسطه كيسا كان يخفيه ، وأخرج منه قلب الثعبان الملفوف بمنديل جميل وفتحه وقال للأميرة : انظري يا مولاتي ! .. هذا هو قلب ثعبان الثعابين .

وبسرعة أخرج قلب الفيل وقال وهو ينشره أمامها وأمام دهشة التاجر والوصيفات : وهذا هو قلب الفيل حامي الغابات السبع أيتها الأميرة ، لقد

أرديته ميتا وخلصت الناس من شره .. وأنا قادم إليك لأنقذك من الساحر فلول .. وأتزوجك فاطمئني لي وثقي بالله العزيز القدير وأنا عملت مع التاجر سماق لأصل إليك واجتمع بك فاعتمدي عليّ أيتها الأميرة سأنقذك من الساحر فلول . وأخرج سيف النقمة وهزه بالفضاء حتى سمع القوم أزيزه وقال : أنا وسيم الذي تنتظرينه .. وعدني الشيخ الخفي بالزواج منك أنت قدري .

التاجر سماق قد فقد صوابه لما سمع هذا الكلام ، وظن أن فتاه أصابه مس من الجنون من شدة حسن الأميرة ، وكانت الأميرة بعد تلك الصرخة الحادة عادت تنظر في قلبي الثعبان والفيل وتسمع كلمات وسيم ؛ وكأنها في عالم آخر ولما صمت الشاب ، أشارت للقلبين المطروحين أرضا ثم قالت بصوت ضعيف جدا : أحقا هما قلبي الفيل العملاق وثعبان الثعابين ؟!

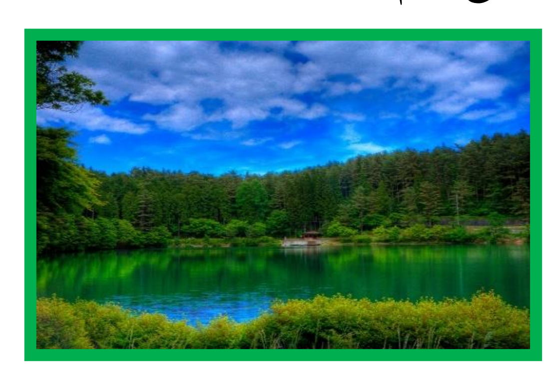
وأمام دهشة السامعين اقترب الفتى من الأميرة ، وربت على كتفها ؛ كأنه يعرفها منذ سنوات : مولاتي دعيني أنقذك من الساحر .. تعاوني معي أيتها الأميرة .. سنعيش سعداء .. سنفرح ونتزوج ويفرح أهلك وأهل المدينة .. سيسر الخلق عندما تعودين أميرة لطيفة .. أميرة تحب الخير للآخرين .. سيغفر لك الناس ما ارتكبتيه في حقهم من العبث والظلم والغرور .. سيعلمون أن هذا كله من تأثير الساحر فلول .. تعاوني معي أيتها الحسناء .. فنقتله بهذا الحسام الذي لا يخيب حامله أبدا .. فهو سيف من صنع السحرة القدماء .. ففي ضربة منه خر الثعبان صريعا ومثله الفيل العملاق .. عمل الخير جميل وممدوح ورائع ويستحق التضحية أيتها الأميرة الشر نهايته شر وظلام .. السعادة في الخير والإحسان للضعفاء والمحتاجين .

كان سماق مدهوشا مما يسمع من غلامه وازداد دهشة عندما سمع الأميرة الصامتة تقول : أحقا يا وسيم تستطيع إنقاذي من ساحري ؟!

فهتف الشاب بفرح ومشجعا للأميرة : من أجل هذا جئت أيتها الأميرة .. ومن أجل ذلك دخلت عليك بهذه الطريقة حتى لا يعلم الساحر بوصولي وبمقابلتك ، ومن أجل ذلك جئت بقلبي الثعبان والفيل لتتشجعي وتثقي بي .. تعاوني معي .. أوصليني إليه وسوف ترين كيف أفتك به .. الحرية .. الحرية .. تحرري من الأسر .. من الغاصب .

فقالت بهمس ضعيف وخوف: وسيم عندما سمعت اسمك من الساحر توسمت فيك الخير والشجاعة وأحببت لقياك ..ولكني خائفة منه .. فهو ساحر لئيم .. دعني أيها الصديق وعد لوطنك .. دعني لقد سيطر عليّ اللعين بسحره .. فعندما يسألني عند الفجر .. سوف أعترف له بوجودك ..

لا أستطيع أن أخفي عنه اجتماعي بك .
أخرج وسيم منديلا وهو يقول :هذا المنديل ضعيه



في ثيابك فلن تكشفي له أمري وستخف سيطرته على أسرارك ، فهو منديل من مناديل الحيتان .. وعندما تركبين على متن الساحر فليبق في ثيابك ، وسأكون أنا في البحر في ثياب الحوت ، ومن رائحة هذا المنديل سأتبعك ولا تخافي وإذا دخلت قصر الساحر اتركي الباب مفتوحا وسوف أدخل وأفتك به .. أنا مستعد للمعركة يا شمهدان تعاوني معي .

قالت وما زال الخوف في نبرات صوتها : أخاف أن تفشل فنموت معا .. إنه يقتلنا شر قتلة .

تبسم البطل ابتسامة تشجيع وقال : يا أميرة الزمان .. أنا مستعد للمعركة .. وإن فشلت فلن يؤذيك إلا ببعض الشتم والسب ، فسيضع نقمته عليّ فهو عاشق لك ولهان .. المهم أن تحتفظي بالمنديل جيدا في مكان خفي بين ثيابك التي تلبسينها ، واحذري أن يسقط منك أو يراه الملعون حتى أتمكن من السير وراءك .. ودعي الباب مفتوحا والباقي عليّ إن شاء الرب العظيم .

فعندئذ قالت الأميرة أمام دهشة السامعين : حسنا أيها البطل سأستسلم لك وأطيعك وأنفذ رغبتك ، كما قلت لابد من التضحيات للنجاة من سحره وشروره .. لقد ضقت ذرعا من طغيانه آه يا وسيم أتمنى من كل كياني أن أتخلص منه .

وبعد فترة صمت وقد خيم السكون على الغرفة قالت الأميرة بهمس : سأدخلك حجرتي المطلة على البحر ..فهو يأتيني بعد نصف الليل فيحملني على ظهره إلى قصره في جزيرة داخل البحر وقبل شروق الشمس يعيدني لغرفتي .. وأنت يا سماق اقض ليلتك هنا مع هؤلاء الوصيفات وفي الغد سأنظر في ثيابك .

وتركت الغرفة وخلفها الشاب الصغير وسيم ، وأدخلته غرفتها وفتحت نافذة وقالت : من هنا يأتي .. وذا البحر .

فأخرج وسيم منديلا وأعطاه للأميرة ، ولبس ثياب الحوت وقفز إلى الماء ورقد تحت النافذة ، ولما جاء نصف الليل فتحت الأميرة النافذة ، ولم يطل الانتظار جاء الساحر فسمعه وسيم يخاطب الأميرة قائلا : كيف حال أميرتي .. مالي أراك حزينة وناعسة ؟

فقالت بحزن وتعب : إنني متعبة ومريضة يا سيدي الساحر .. لقد أتـعبني سحرك .. ألم تجد

أميرة غيري تعشقها ؟ .. ألا تريد أن تعتقني بعد كل هذه السنوات ؟!

فرفع نبرة صوته فقال : مالك تشكين ؟ .. هيا اركبي .. هناك سوف أداويك وأعالجك .. لا خلاص لك مني .. أنت روحي الموجودة في جسدي .. أنا سيدك الساحر .. ألا يوجد عندك أخبار ؟.. هل التقيت بوسيم ؟ .. لقد وصل لهذه المدينة وبحثت عنه فلم ألقاه بعد .

فقالت وكلها خوف ووهن : آه .. لقد شوقتني لرؤية هذا الرجل يا سيدي الساحر .

ضحك الساحر بصوت عال وجنون ثم قال وهو يضحك : علمت أنه سيتزوجك .. ورفع من ضحكه وتابع : لا .. لا يمكن أن يتزوجك وأنا حي .. هيا اركبي .. آه لو يقدر لي قتله .. وقتل سيده " وهيب الزمان " .. أنت لي وحدي أيتها الأميرة .. أنا الذي سيتزوجك عندما أخلص من هذين الشريرين .. الوغدين !

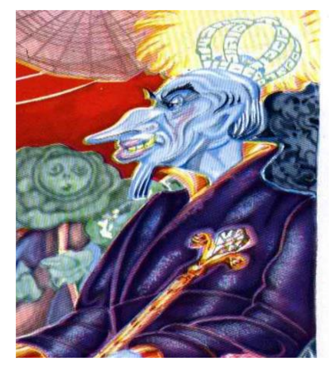
صعدت الأميرة على كتفيه فقال لها : مالك مضطربة ؟! .. إن جسدك ينتفض أيتها الأميرة ؟

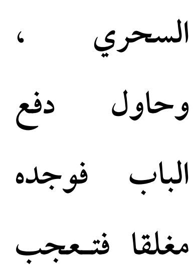
فقالت : ألم أقل لك أنني متعبة ومريضة ؟ .. ما رأيك أن تعتقني الليلة من الذهاب معك ؟

فصاح : لا ..وألف لا .

جزيرة الساحر

وطار بها في الجو فوق مياه البحر ، وتبعهم الحوت وسيم على أثر رائحة منديل الحوت وبعد ساعة دخلوا جزيرة الساحر فلول ، وخرج وسيم إلى البر وخلع ثياب الحوت، وقد شاهد قصر الساحر بأم عينيه ، فكان قصرا عتيقا فزحف نحوه بكل ثقة وأمان ، وتنقل في غرفه حتى وصل للحجرة التي يجلس فيها الساحر مع الأميرة ، وهي تسقيه الخمر وهو يصيح ويعربد ، وهي تغني له بصوت رخيم ، وهو يشتد طربا وأحلاما ويشتم وسيما ووهيبا .





فتفقد وسيم السيف السحري ، وحاول دفع الباب فوجده مغلقا فتعجب من الأمر ، فتابع المراقبة والتنصت من ثقب الباب، ولاحظ أنه كلما تحاول الأميرة النهوض لفتح الباب يمنعها من القيام ومن ترك الغناء والعزف ، واقترب الفجر ولم تتمكن الأميرة من فتح الباب

فتفقد وسيم السيف السحري ، وحاول دفع الباب فوجده مغلقا فتعجب من الأمر ، فتابع المراقبة والتنصت من ثقب الباب، ولاحظ أنه كلما تحاول الأميرة النهوض لفتح الباب يمنعها من القيام ومن ترك الغناء والعزف ، واقترب الفجر ولم تتمكن الأميرة من فتح الباب

فانزوى وسيم في إحدى الغرف حتى خرجت الأميرة على ظهر الساحر وطار بها .



فمكث وسيم في قصر الساحر يفكر وينتظر عودة الساحر ، وهو يخشى أن تضعف الأميرة وتقر بما جرى الاتفاق عليه .. أشرقت الشمس ، ولم يرجع الساحر وأحس الفتى بالحاجة للطعام ، فأخذ يبحث في الغرف عن مخزن القوت ، ودخل غرفة في أسفل القصر .. غرفة كبيرة وفي وسطها موائد جميلة .. ووضعت عليها أوعية وظروف الطعام المغطاة .. ففتح أحد الصحون فوجده ممتلئا بالطعام المطبوخ ، فأغلقه ونظر إلى بقية الصحون فوجدها كلها ممتلئة بالطعام المطهو ، فاحتار في تفسير ذلك فقال : عجيب ..كأنها قاعة ولائم !.. هل يسكن أحد مع الساحر ؟ .. هل آكل منها أم اصطبر ؟

سمع أصوات قادمة وأحس أنها تقترب من الغرفة ، فأخفى نفسه في زاوية المكان ، وكم كانت دهشته عندما شاهد مجموعة من الحسناوات الجميلات يزلفن الغرفة ويجلسن على مقاعد المائدة وسمع إحداهن تقول : ما أخبار ساحر الأميرة شمهدان ؟ .. فهو سيد هذا القصر في الليل ونحن سادته في النهار .

فردت عليها أخرى : ما زال يعذبها فتقوم على خدمته فتسقيه الخمر وتغني له وتطعمه ..حتى الفجر وهو يتوعدها بالزواج .

فقالت ثالثة : وما الذي يحجزه من الزواج منها ؟

فردت رابعة : هو خائف من فتى اسمه وسيم .. لقد أخبره الشيخ الخفي "وهيب الزمان" أن مصرعه سيكون على يد ذلك الفتى ..فهو يأمل بموت الشاب وسيم ، ثم يتخذ من الأميرة المغرورة زوجة .

قالت خامسة : ساحر البحر ساحر شرير .. ولكنه حزين هذه الأيام .. لقد علم بمقتل ثعبان الثعابين والفيل العملاق على يد الفتى وسيم كما أخبره "وهيب الزمان" قديما .. مما يدل على أن وسيما ظهر على مسرح الحياة ، ولابد أنه آت للانتقام منه ، وإنقاذ الفتاة من شروره رغم أنفه

كان هذا الحديث يدور بين الفتيات وهن يأكلن الأطعمة الشهية ، ووسيم يسمعه حيث توارى عن أبصارهن ، فسمع أيضا إحداهنّ تقول : سمعت الشيخ وهيب يحدث أبي بأن وسيما سيتزوج الأميرة شمهدان .. وأنه قادم لهذه الجزيرة .. وسيفتك بالساحر فلول .

قالت ثانية : ولكن كيف سينتصر عليه ؟ وكلنا يعلم أن فلول ساحر رهيب .. فأبوك الأمير يا قطر الورى يخاف منه ويحسب حسابه ويصمت على شروره .

ردت بنت الأمير : حق ما تقولين .. فلول ساحر كبير وخطير ولا رحمة في قلبه ، فكثير من ملوك الجآن يخافونه ويتقون شره .. فقد نال السحر عن أكابر سحرة الجآن في زمانهم .. ولكن الشيخ " وهيب الزمان" .. أعلم أبي بأن زمان موته أهل واقترب .. وأن وسيما الفتى الشجاع دخل بلاد الأميرة شمهدان وأن الملحمة قادمة .. هيا نخرج للعوم قبل أن نعود لمدننا وممالكنا .

ثم نهضن عن الطعام وإحداهن تقول : سوف تأتي خادمتي نورا اليوم لتنظيف المكان فقد أمرتها بذلك .

وتركن قاعة الطعام سريعا ، وانطلقن نحو البحر ، فخرج وسيم من مخبئه وهجم على الصحاف يلتهم ما فيها من قوت ؛ وفجاءة إذ به يفاجأ بفتاة تنظر إليه ، وهو يبتلع لقمة كبيرة فكاد يشرق ثم سمعها تقول : من أنت ؟؟!

فقال وهو ينظر إليها : لا تنذعري يا فتاة .. ما بك فاغرة الفم ؟ كأنها ترى شبحا يريد أن يبتلعها

فقالت ببطء : من أنت يا هذا .. إنسي أم جني ؟

فقال : بل إنسي .. ماذا تريدين ؟ !

قالت : نسيت شيئا فعدت استرده .

فقال : تعالي فخذيه .. أنا وسيم هل سمعت باسمي يا فتاة ؟

فازدادت دهشتها فكل حديثها ورفيقاتها على مائدة الطعام قبل قليل كان عن وسيم والساحر و "وهيب الزمان" فقالت : حقا ما تقول أيها الفتى .. أنت وسيم صاحب شيخ الزمان وهيب ؟!

رد قائلا : أجل .. أخبريني ما قصتك أنت وهؤلاء الفتيات؟ لقد سمعت حديثكن رغم أنفي

فقالت : أجئت لتقتل الساحر فلول ؟.. كيف وصلت ؟ بل كيف عرفت هذه الجزيرة ؟!

فقال بهدوء أعصاب تعود عليه منذ بداية هذه الرحلة العجيبة ، منذ اجتياز الصحراء والنهر والبحر والجبل : أتيت أيتها الحسناء لإنقاذ الأميرة شمهدان بنت السلطان رمح السماء ، وكذلك إنقاذ الناس والخلق من شرور الساحر فلول .. فلكل شر نهاية ولكل ظالم ساعة .

أخذت الأميرة حاجتها وهي تقول : أخشى أن أتأخر عن صويحباتي فيفتقدنني واعلم أن خادمة الأميرة قادمة .. سوف تراك .

قال : حسن ؛ ولكن اكتمي أمري ، الليلة ـ إن شاء الله ـ اجتمع بساحر البحر فلول .

خرجت الجنية واستمر وسيم بمضغ طعامه حتى

شبع ، ثم صعد للغرف العليا في القصر يشاهد الفتيات وهن يلعبن بالماء ، ثم رأهنّ يلبسن ملابس الغربان ويطرن في عنان السماء ، ثم تفرقن اثنتين اثنتين أو واحدة واحدة ، ولما حل الليل كان وسيم قد اتخذ قرارا بالاختفاء في غرفة سهر الساحر ؛ ولكنه اكتشف أنها مغلقة . فقال :سوف استقبله وعندما أراه يهبط على الأرض أرديه قتيلا .. لا .. أريد أن أعرف كيف أفك سحر الأميرة منه قبل موته .

اختفى في غرفة بعيدة من غرف القصر ونام فيها ، ولما نهض من النوم تفقد السيف الذي وهبه له قتيل الجبل والخنجر المعلق على وسطه ، وانتقل إلى غرفة الساحر يرقبها وينتظر ، وكالمعتاد قبل الفجر بساعات يسيرة أتى الساحر وعلى ظهره الأميرة ، وهبط بها على ظهر القصر ، ثم هبطا نحو الحجرة وهو قابض عليها ؛ كأنه خائف عليها أن تهرب ، وسمعه يقول : مالك منهكة القوى أيتها الأميرة ؟!.. منذ أمس وأنت ضعيفة وأمورك مزعجة لي .. ماذا أصابك ؟

فصرخت بوجهه : تعبت منك .. لقد أهلكتني بسحرك .. أنا مريضة .. فكني من سحرك .. سأطيعك سأكون جاريتك .

فقال قلقا منزعجا: شمهدان .. آنت حقا مريضة ؟! .. فوجهك أصفر .. وليلة البارحة لم تأكلي جيدا ، ولم تشربي الشراب المنعش الذي أحضره لك من بلاد الماح .. أروع شراب ! شراب ملوك الجن النادر .. ما بك يا أميرة الدنيا ؟ .. ألم أمنحك أثمن الجواهر ؟ .. وأندر الأثواب .. اصبري قليلا ، عندما أتخلص من أعدائي الكثر سأفك سحرك .. لا تبكي .. لا تبكي .. لا تؤثر بي الدموع والتؤهات فقلبي قُد من الصخر .. اعلمي أيتها الأميرة .. أنت أخطر شيء على حياتي

فعن طريقك سيصل وسيم اللعين إليّ .. فأنت حياتي .. هيا ندخل الغرفة .. بل اسبقيني حتى أجلب الطعام من قاعة الطعام ، وفتح لها الغرفة وهو يقول : اصبري يا أميرتي .. وخذي هذا الشراب الرائع شراب ملوك الجن السبعة . أمسكت الأميرة المنهكة القوى الزجاجة ، ودخلت الحجرة ، وذهب ليأتي بالطعام ، وطرق وسيم الغرفة وهمس: أنا وسيم .. لا تخافي ـ ودخل بسرعة ـ إنك ضعيفة يا أميرة .. قبل شروق الشمس سيموت .

وشد على أسنانه بقوة وقال : لقد سمعت حديثكما وكنت أريد الفتك به ؛ ولكني أريد معرفة فك سحره لك .. اثبتي .

فقالت بخوف : إنه قادم .. ألا تخاف منه ؟!

قال مشجعا : لقد علمني الشيخ الخفي الشجاعة والإقدام .. حاولي جره لكشف أسرار سحره لك

وخبأ نفسه بالغرفة الواسعة .

وأتى الساحر يحمل سفرة الطعام خروفا مشويا ، قد جهزته له خادمة القصر نورا ، ثم ذهب وأتى بقوارير الخمر وبدأ الأكل أكلت الأميرة لقيمات ، وتظاهرت بالضعف ، وقامت بسكب الخمر له أكثر من مرة فقال لها وبين فكيه فخذ خروف : مالي أراك مضطربة ومتوترة أيتها الحسناء ؟! .. أتخافين وأنت في حضرة الساحر فلول الذي يحسب حسابه كل ملوك الجن ؟ .. أنا تلميذ الساحر "راب نال" أعظم سحرة بلاد الماح .. هيا أخرجي عودك الجميل وغني لي بصوتك الشجي فقالت بتأوه وألم : آه منك يا فلول! .. لم تذكر لي يوما كيف استطعت سحري ؟ .. وأنا طفلة صغيرة .

قهقهه الساحر طربا وقال : ذكريات!.. ذكريات يا شمهدان .. إنك أميرة فاتنة جدا ! أجمل صورة وقع عليها نظري .. القمر الجميل في ليالي الصيف الحارة يخجل من حسنك !.. قال لي ساحري الكبير ذات يوم عندما رأيتك لأول مرة .. أنا وإياه في ذلك المساء الذي كان يحتفل أهلك بك في القصر..وكنا من الذين قدر لهم أن يشاهدوا تلك الحفلة الملكية برفقة كاهن والدك ، فكنا في جملة الكهنة ، ويومها قال لي الساحر الكبير :" هلاكك يا فلول على يد هذه الأميرة .. وقتلك لها لن ينجيك من الموت .. فهناك فتى من بلاد بعيدة سيتزوجها .. فدافع عن نفسك .. هذه كانت البداية يا شمهدان .. أنت موتي .. فالمحافظة عليك هي حياتي .. فصنعت لك سحرا في بلاد الماح .. أتذكرين يوما كنت فيه محمومة ؟ وصنع لك الكاهن شرابا خاصا لشفائك ، فقمت بإبداله بالشراب المسحور .. شراب من عصير الليمون .. ثم تعافيت وسر الملك وقومك بشفائك وأثنى على كاهنه ، ومن يومها أصبحت تحت سيطرتي .. وأصبحت صفحة بيضاء أمامي لا تخفين عني شيئا .. حتى كبرت وبلغت سن الرشد ، فظهرت لك وأصبحت معشوقتي المفضلة ساقيتي الخمر مغنيتي الحسناء .. فسكنت هذا القصر المهجور ، فأحضرك فأمتع عيناي بالنظر إلى جمالك الفاتن وأشرب الخمر من بين يديك .. وأطرب على صوتك الساحر وأحلم بالزواج منك ؛ ولكن بعد موت ذاك الفتى .. فأنت سري وسر حياتي فهذه الذكريات والبدايات يا أميرة القلب .

فقالت كأنها عاتبة : ولكنك جعلتني شريرة ..

مجرمة .. مغرورة لا يعجبني شيئا .. أفتك بالصغار قبل الكبار .. أحب الشر وأفرح له .. لقد كنت قاسيا عليّ يا فلول الساحر .. حسنا يا سيدي الساحر ، فهل عندما تقتل غريمك وسيما ستعالجني من السحر وأعود فتاة طيبة ناعمة تحب الخير وتطيع والديها وتحبهما ؟ .. بل كيف ستعالجني من السحر ؟!

قالت ذلك وهي تتظاهر ببراءة الأطفال، فأخذ الساحر بالضحك بأعلى صوته ؛ وكأن مسا ألم به ويقول : ويلاه!.. عندما أتخلص من أعدائي .. ستكونين أسعد أميرة في الدنيا .. سوف آتيك بشراب يعيدك فتاة خيرة .. تعودين آنسة محبوبة تحب الخيرات .

فقالت بلهفة وهي تقدم له كأسا أخرى من المنكر : من أين ستحضره ؟ !.. من بلاد الماح ستأتي به يا سيدي الساحر .. ليتني أعرف الطريق لبلاد الماح هذه .

فقال بحدة ؛ كأنه صحا من سكره : مالك متلهفة لمعرفة سر شفائك وعافيتك ؟!

ونهض واقفا وهو يصرخ : أيتها الأميرة إنني أشم رائحة الغدر .. ويلك إن تآمرت عليّ ..

سأقتلك رغم تحذير ساحري الكبير لي عن قتلك .. هل التقيت أيتها الأميرة بوسيم ؟ .. تكلمي .. أول مرة تخفين عني أسرار روحك ..

واقترب منها وأخرج من صدرها منديلا فأخذ يتشممه وهو يقول : ما هذا يا شمهدان ؟! .. هذا منديل مسحور .

فقالت وقد امتقع لونها فأصبحت صفراء الوجه كأنها تموت : نعم .. هذا منديل أعطانيه إنسان يدعى وسيما .. قال لي وسيم احفظي هذا بين ثيابك فلا يستطيع الساحر فلول .. معرفة أسرارك

فقطع عليها الكلام والاعتراف وزاد صراخه : ويحك يا خائنة ! .. لقد التقيت به إذن ولم تخبريني

فقالت : وعدني بالنجاة منك وإنقاذي من شرك وسحرك ، فذكرت له ضعفي أمامك وأنني لا أستطيع اخفاء شيء عنك ، فدفع لي هذا المنديل يحميني به من الضعف أمامك .

فقال الساحر وقد بلغ منه الهياج مبلغا عظيما : ويحك يا غادرة ! يا خائنة !

وهم بصفعها بكل قوة ؛ فإذا بسيف وسيم يفلق رأسه ، وصوت وسيم يقول : خذها من الفتى اليتيم وسيم !

فسقط الساحر أرضا وقال : اضرب يا وسيم لم أمت بعد .

فصاح وسيم وهو متوتر الأعصاب : لقد أوصاني الشيخ "وهيب الزمان" بضربة واحدة .. مت أيها الجبان الغادر .. ولكن أطلب منك قبل موتك أن تعمل خيرا ولو مرة واحدة .. كيف نفك

الأميرة من سحرك ؟

فقال وهو يحتضر : لقد صدق الشيخ وهيب عندما بشرني بالموت على يدك أيها الشاب .. ولقد صدق ساحري "راب نال" عندما أخبرني أن هلاكي على يد الأميرة شمهدان .. فظننت أني بسحرها وجعلها تحت سيطرتي أحمي نفسي من المقدر .. لقد كانت غلطة كبيرة دفعت ثمنها حياتي ؛ بل كان عليّ أن أهرب وابتعد عن طريقها .. حتى لا أعرفكم ؛ ولكن ولات ساعة مندم أتريد أن تسعد بها أيها الغلام .. أتريد أن تفك سحرها ؟؟

فهمس وسيم : تكلم اعمل خيرا تذكرك به .. تسامحك وتعذرك به .

فقال الساحر : مع أنني لا أحب الخير ، حياتي الفساد والفتنة والشر ؛ ولكنني في هذه الساعة سأعمل خيرا يا هذا .. سأعمل خيرا لقاتلي .. فاعلم أن فك سحرها في بلاد الماح .. هناك صنـعت لها الشراب المسحور .. فإن كنت ترغب في تخليصها من السحر فاذهب إلى هناك عند الساحر " عظمة " تجد الجواب وداعا أيتها الأميرة . وأسلم الروح الخبيثة .

إنقاذ الأميرة المغرورة

بعدما لفظ الساحر أنفاسه الأخيرة نظر وسيم في عيون الأميرة الباكية وقال : هنيئا لك يا شمهدان .. لقد مات معذبك .. ولسوف آتيك بشراب العافية من بلاد الماح .

مسحت الأميرة دموعها المنهمرة كالنهر ، واقتربت من وسيم وقبلته من جبينه وهي تقول : الحمد لله والشكر لله .. ثم الشكر لك يا سيدي الشجاع .. لقد كنت أعيش في كنفه حياة مرعبة ولدت من جديد .

مسح الفتى دموعها بمنديله وقال : سأجز رأسه ، وأسير به نحو بلاد الماح ، وأقابل أكبر ملوك تلك الدنيا ..واعلمي أيتها الأميرة أنه ستقدم إلى القصر عند الشروق أميرات من الجن يتناولن الإفطار فسوف أعرفهن بأمري وأسألهن عن بلاد الماح .

قطع وسيم رأس الساحر ، ووضعه في منديل كبير يحمله وقال : لنخرج من هذه الغرفة ننتظر قدوم الفتيات .. أو الغربان السود .

واستمعت الأميرة لحكاية وسيم من البداية للنهاية ، فسرت من حديثه وأعجبت بشجاعته وطمعت برؤية الشيخ الخفي " وهيب الزمان " فقال : سوف نراه ليلة زفافنا إذا رضيت بي بعلا .

فقالت : سبحان الله .. وهل أرفض بعد كل هذه المغامرة ؟!

وحدثته عن نفسها وكيف سحرها الساحر واسترقها ؟ فعقب وسيم هامسا : الفرج قريب .. ستعود السعادة لوجهك الحسن أيتها الأميرة .

ولما دخل الفضاء وملأ الكون بالضياء أقبل من جهة البحر سرب من الغربان وهبطن على شجرة عملاقة ، فقال وسيم : هذه هي الغربان التي ننتظرها يا شمهدان .. فلنصبر حتى يخلعن ثياب الريش وأكشف لهن أمري .

نزلت الطيور على الأرض ، ثم قمن بنزع ثياب الريش ، فأصبحن فتيات جميلات بثياب زاهية تمتلئ نحورهن بالقلائد والعقود اللؤلؤية والجواهر الباهرة وأخذن بالزحف نحو القصر .

وفجأة ظهرا أمامهنّ فجفلن وأردن التقهقر



للوراء ؛ ولكن إحداهن صاحت : هذا الفتى وسيم وهذه الأميرة شمهدان .

وذكرت لهنّ قصة لقائها به عندما ذهبت تبحث عن خاتمها المفقود في قاعة الطعام .

فقال وسيم : لا تخفن أيتها الجنيات أنا وسيم وهذه الأميرة شمهدان بنت الملك رمح السماء .. لقد صرعت الساحر فلول ، وأنقذت العباد من شره وشروره .. وهذه الأميرة شمهدان أريد إنقاذها من السحر الذي سحرها به لتبقى تحت سيطرته .. فأطلب معونتكن ومساعدتكن .

فلما اطمأنت الجنيات لهما قالت إحداهن : الحمد لله على سلامتك أيتها الأميرة .. فلول ساحر شرير تحسب حسابه الجآن لشره ومكره .. وأنا والدي ملك عظيم من ملوك الجآن ، وسوف يساعدك في الوصول للساحر" عظمة" وهو من كبار سحرة الجن "وعنده بذرة خير.

فقال وسيم : سأحمل رأس فلول لوالدك الملك ليطمئن ويثق بي وأنني قد قتلت الساحر الطاغي فلول .

فقالت الأميرة : ولكن أيها البطل كيف ستنتقل لبلادنا فأنت تحتاج لثياب طائر ؟.. سأدبر الأمر أنا بنفسي .. انتظرني في الجزيرة .

رد عليها وسيم : لا تذهبي معي ثياب نسر .. ألا تدعوننا لطعامكن ؟!

فأبدين ترحابهن بهم ، وقال وسيم بعد الطعام : ستبقى الأميرة في الجزيرة حتى أعود من بلاد الماح بقارورة الشفاء .. هل تبعد بلادك عن هذه الجزيرة كثيرا ؟

قالت الأميرة : بلادنا وراء هذا البحر .. فهو بحر كبير .

لبس وسيم ثياب النسر وانطلق مع بنت الملك ، وهو يحمل رأس فلول الساحر ، وكان قد حث شمهدان على الصبر والانتظار ، وطلب من إحدى

بنات الجآن أن تمكث معها ريثما ينهي مهمته بسلام ، وتبع وسيم الأميرة الجنية حيث بلادها ، ثم استأذنت على والدها له ، فقام الملك مرحبا به أحسن ترحيب ، وهنئوه على قتل الساحر ، وأمر الملك بأن يعلق رأسه على أحد أبواب المدينة ليعلم الناس أن الظالم لابد له من نهاية مهما طال ظلمه وأرشده الملك إلى حيث يسكن



الساحر عظمة ، الساحر الذي صنع الشراب المسحور للساحر فلول ، وقام عظمة بتلبية رغبة ملك

الجن والبطل وسيم ، وصنع له الشراب الذي يبطل مفعولية الشراب الأول ، وأسف على مقتل فلول الساحر ، وعاد وسيم بالشراب إلى الجزيرة ، وأسقى الأميرة الشراب الدواء فبرئت بإذن رب الدواء ، وبعد ساعات وساعات أخذت الأميرة تتعافى شيئا فشيئا من السحر ، ثم أصابها وجع شديد وصداع أليم وصراخ ملأ الجزيرة حتى ظن وسيم أن الساحر عظمة خدعه ؛ ولكن لما جاء الصباح الجميل كانت الأميرة قد تخلصت من آثار السحر الذي لازمها سنوات وسنوات ، وعادت لطبيعتها البشرية ونضارتها وحيويتها ، وحضرت الجنيات وفرحن لنجاتها ، ولبس وسيم ثياب النسر وحملها على ظهره بعد أن ودعوا الجنيات ، وحلق بها في الفضاء ، ثم طار بها نحو بلاد أبيها ، وهو يهمس قائلا : اليوم يحملك على ظهره زوجك المحب وليس الساحر المنحوس .. هنيئا لك يا شمهدان السلامة .

وعلى ظهر قصر الملك رمح السماء هبط بها ، وكان والداها وأهلها بقلق شديد على غيابها ، وظنوا أن الساحر قد خطفها وهرب بها ، فلما رآوها عادت إليهم البسمة والفرحة ، وعندما علموا ما جرى للساحر ، عانق الملك وسيما عناقا طويلا ، وكذلك فعل إخوتها ، وأعلن الملك الأفراح في البلاد وتوزيع الأموال على الناس ، وإقامة الولائم بمناسبة شفاء الأميرة وموت الساحر فلول ، وعلم الناس بما جرى للأميرة ، وأنها كانت تحت سيطرة ساحر عنيد ، وأن الفتى وسيما قضى عليه ، وأن ما أصابهم منها كان بسبب وقوعها تحت سحره ، ففرحوا لزوال هذه الغمة عنهم ، وكان من أكثر الناس سرورا التاجر سماق الذي ذهب بدوره لقصر الأميرة ، وهنأها بسلامتها وأبدى حبوره بعافيتها ، وأخذ وسيما بالعناق والتقبيل ، وهو يقول له مازحا : اتخذتني سلما يا سيد وسيم .

ولما انتهت الأفراح الكبيرة بنجاة الأميرة من شرور الساحر فلول ، أعلنت من جديد أفراح اقتران

الأمير وسيم على ابنة الملك شمهدان ، وبعد سبع ليال من الاحتفالات تزوج الأمير الشجاع من عروسه الحسناء ، وبدأ الأصحاب والمحبون يأتون للتهنئة والتبريك ، وكان من جملتهم الشيخ الخفي "وهيب الزمان" الذي عانق الأمير وسيما عناق محبة وقال : هنيئا لك يا وسيم ، لقد قمت بالمهمة على خير ما يرام .. ونفذت الخطة بالتمام والكمال .. ولولا شجاعتك وذكائك ما نجحت .. مبارك عليك الأميرة .. وحمدا لله على سلامتك أيتها الأميرة

ولما علمت الأميرة أنه الشيخ وهيب نهضت تقبل يديه وهي تقول : بوركت سيدي الشيخ العجيب .. لقد سخرتك العناية الربانية للمحافظة عليّ وحمايتي من الساحر .. لقد كان يخافك بشدة .. وذكرك دائما على لسانه .

فعندئذ تشجع وسيم وقال : الآن يا سيدي الشيخ الخفي .. ما حكايتك مع هذا الساحر اللعين الشرير الفاجر ؟

فابتسم الشيخ وهو يقدم هديتين لهما ، فأعطى وسيما قلنسوة مطرزة باللؤلؤ والزبرجد والأميرة عقدا من خرز اللؤلؤ والياقوت النادر ، وقال : يا بني لذلك قصة طويلة .. لقد كنا أصدقاء في أيام الشباب ونتاجر معا ونركب البحار معا، فقذفتنا الأمواج لبلاد الماح فالتحق بالساحر "راب نال" ، وعملت أنا في خدمة أحد ملوك الجآن ، ثم أصبح فلول ساحرا يحب الشر ويعشقه ، ونهيته عن ذلك فلم ينته فأصبح لي عدوا مبينا ، إلى أن علمت بسحره للأميرة شمهدان فنهيته عن ذلك فأبى وأصر على الكفر والعناد ، وعلمت من سيده راب أن شفاء الأميرة على يديك ونهايته كائنة على يديك ، فأخذت في البحث عنك في البلاد حتى وجدتك تبكي على أهلك في تلك الحال ، فرتبت الأمور معك ، وأقول لكما أخيرا حافظا على النعم التي وهبكم إياها الرحمن .

تمت بحمد ربي

التحقيق الجنائي والجريمة

صورة الأم

الحلقة ١

١

شارع الأمراء من الشوارع المعروفة في المدينة الكبيرة فهو شارع الأطباء والصيدليات والعيادات والمختبرات الطبية والتصاوير الطبية المتنوعة ومستودعات الأدوية الكبيرة ومتعلقات المستشفيات وكليات الطب في الجامعات المختلفة ، وفي هذا الشارع الواسع الكبير ذو العمارات الشاهقة وفي عمارة النهاري إحدى البنايات المشهورة في الشارع بدأت فصول هذه القصة البوليسية ، ففي الطابق الثالث عيادة لأحد الأطباء

القدماء ، معلق على مدخلها لوحة صغيرة وقديمة عيادة الدكتور غازي الرمانية .. وتتكون هذه العيادة من صالة للجلوس تجلس فيها مساء ذلك النهار فتاة حسناء نهى سالم تقوم بأعمال السكرتاريا للطبيب ومحاسبة المرضى ، وهناك غرفة الطبيب غرفة المعالجة ، وهناك حجرة صغيرة تكون مكتبا للطبيب ، وهناك الحمام ومكان صغير لصنع القهوة والشاي ، ويعمل سوى الطبيب والسكرتيرة في هذه العيادة الخاصة ممرض وخادم للدكتور شاب قد تجاوز الثلاثين من العمر نحيف البدن فايز نائل ، فهذا الشاب النحيف البنية يعمل خادما للطبيب منذ أكثر من خمس من السنوات ، ثم علمه الطبيب مهنة التمريض فأصبح مساعدا له في العيادة ، فأصبح يقوم بالتغيير على الجروح والإصابات وإعطاء الحقن والإبر الطبية وكذلك قياس الضغط وغيره ، ويقوم بصنع القهوة والشاي للطبيب والعاملة نهى سالم وضيوف الطبيب وأحيانا للمراجعين من المرضى ، بدأت هذه القصة في ذلك النهار عندما جلس الطبيب بعد أن فرغت العيادة من المراجعين والمرضى يتحدث مع السكرتيرة الحسناء نهى سالم ، وكان الخادم والممرض فايز يعد لهما كوبين من الشاي ، فكان الطبيب يقول للفتاة الشابة الحسناء : أتمنى يا آنسة نهى أن أعرف لماذا لم تتزوجي بعد ؟! .. فأنت فتاة جميلة ومتعلمة .. حسناء!!

فترد الفتاة المتبسمة من السؤال على الطبيب الذي تجاوز الستين سنة من عمره قائلة : أنا ما زلت صغيرة على الزواج ، وأنا أيضا ليتني أعرف لماذا لم يتزوج حضرة الدكتور الشاب لحتى الآن ؟!

ورسمت ضحكة على وجهها ، فجاراها الطبيب الأنيق في ضحكها وهو يقول : معك حق ، ولكني لحتى اليوم لم أجد المرأة التي تملأ نفسي وكياني نحوها.

فتظهر الفتاة الدهشة ثم تقول : الله اكبر !! ..أمعقول هذا ؟! .. كل هذه السنين ـ وقد تنقلت في مشارق البلاد ومغاربها ـ لم تصطدم بامرأة تأسرك بحسنها وجمالها .. إنك تبالغ جدا يا دكتور !

فصمت الطبيب الكهل أو الشيخ لحظات ثم قال بعد تنهد : إيه .. لقد مضت السنون بدون أن يحس بها المرء ..صدقي يا آنسة نهى أنني لم أجد هذه الفاتنة !! ألا تريدين أن تحدثيني عن سبب تمنعك وعزوفك عن الزواج ؟ !

فعادت تقول وهي ضاحكة : وأنا مثلك لم ألتقِ بفارس أحلامي الذي يملأ روحي وكياني عشقا وغراما.

فيقول الدكتور مازحا : لولا الفارق الكبير بيني

وبينك .. أكثر من خمس وعشرين سنة لطلبت يدك .. عجيب أمر الشباب في هذا الزمان ! .. فهم لا يرون جيدا.

فقالت باسمة : ما تراه جميلا يا دكتور قد يراه غيرك قبيحا!

ـ لا .. لا .. لست أبلها أيتها الحسناء .. لابد أن أحدهم غدر بك وكرهك في جنس الرجال على كل حال مصيري أن أعرف قصة حياتك.

فضحكت الفتاة وقالت : لا يوجد قصص إلا في مخيلتك يا دكتور.

قدم لهما الشاب الخادم فايز أكواب الشاي ، فوضع أمام الدكتور واحدا وآخر أمام السكرتيرة وأخذ لنفسه واحدا وجلس على مقاعد المراجعين والمرضى ، وقد أشعل سيجارة وأخذ يراقب دخانها المتصاعد ويرشف شايه ، وكان يستمع للحوار الدائر بين الطبيب والسكرتيرة نهى ، فلما شكروه عادوا للحديث عن الزواج وتأخر سن الزواج ، والممرض الشاب لم يتفوه وينبس بأي كلمة إلا عندما سمع الطبيب غازي يصرح أمام العاملة بأنه راغب بالسفر لجزيرة قبرص لقضاء أسبوع أو أكثر في الاستجمام فقال دهشا : متى تريد السفر يا دكتور ؟!

فالتفت الاثنان نحو الشاب المستغرب والمستفسر وردت السكرتيرة قبل أن يجيب الدكتور قائلة : لابد أن فايزا يفكر بإجازة وزيارة أمه وجدته كالعادة ؟!

فهز الشاب رأسه مؤكدا ذلك وقال : نعم .. أريد أن أسافر للبلدة فلي أكثر من ثلاثة شهور لم أزرهما

فقال الطبيب : لا بأس يا فايز .. الليلة سأعرف متى يكون السفر؟ سأسافر برفقة الدكتور مالك جبر .. هي رحلة .. نزهة .. تغيير جو كما يقال .. اليوم الاثنين وقد نسافر صباح أو مساء الخميس فإذا تأكد السفر الليلة سأسمح لك بالسفر لبلدتكم يوم الأربعاء .. وأنت يا آنسة فليكن دوامك أثناء غيابي كل يوم ساعتين صباحا لترتيب مواعيد المراجعين والمرضى

فهزت نهى رأسها وقالت : أمرك سيدي الدكتور .. رحلة سعيدة.

فقال الطبيب مازحا : رحلة ينقصها حسناء مثلك ترافقنا.

فضحكت نهى وقالت : أنا جاهزة يا دكتور.

فاستغرب الطبيب وقال بضحك : لا .. أنت تمزحين ..هل يسمح لك أهلك بالسفر ؟!

ـ أنا سيدة نفسي .. لا أحد يتحكم فيّ.

ـ الله!!

فقالت : لا تستغرب ، فأنا أعيش مع أمي .. وكل إخوتي متزوجون ويسكنون في منازل متفرقة .. وأبي قد ترك أمي قديما .. ولا يهتم بنا.

ـ على كل حال سأفكر بسفرك معي المرة القادمة ..لا يوجد معنا نساء في هذه الرحلة .. هي بضعة أيام استجمام يا آنسة نهى.

فقالت : أشكرك يا سيدي الطبيب ، واعلم أنني لا أستطيع السفر هذه الأيام أمي متعبة وأقوم على رعايتها.

فعلق الطبيب وهو يبتسم : أخشى أن يكون هذا هو السبب الذي حرمك من الزواج ؟!

فقالت : لا تخشى شيئا فكل أخواتي متزوجات .. وأنا لي أسبابي الخاصة فاعفني من الحديث والإفصاح عنها.

ـ فقد عفوتك من التصريح .. لكل إنسان أسراره الخاصة .. ولكن الفضول البشري قاتل المهم أيها الأصدقاء قد أسافر صباح الخميس أو مساءه حسب حركة الطائرة ؛ فإذا تقرر ذلك فأنت يا فايز صباح الأربعاء تنطلق إلى قريتكم .. أعتقد أنها تبعد عن المدينة أكثر من ثلاثمائة كيلو متر .. لقد عملت قديما في تلك القرى والمدينة التابعة لها تلك القرى .. أيام عملي موظفا في وزارة الصحة .. أول سنوات الخدمة الحكومية عندما يوظف الطبيب يكون عمله في الريف والقرى النائية .. فسلم على أهلك.

فقال فايز : أشكرك أيها الدكتور .. لو أعطيتني بعض الفلوس.

ـ بالتأكيد.

وأخرج الطبيب دفتر الشيكات البنكية وقال له : كم تريد ؟

ـ راتب شهر.

فكتب الطبيب شيكا بمائة وعشرين دينارا وقال للسكرتيرة بعدما وقع على الشيك : سجلي في الدفتر .. راتب الأستاذ فايز والآن يا فايز يمكنك الانصراف للبيت.

تناول فايز الشيك وشكر الدكتور وأخذ أكواب الشاي الفارغة وغسلها ووضعها في مكانها المناسب ، ثم خلع الثوب الأبيض ثوب العمل وارتدى جاكيته ووضع الشيك بداخلها وودعهما وانصرف لبيت الدكتور .. فمنزل الدكتور عبارة عن شقة في عمارة الساعد وهو الشارع الخلفي لشارع الأمراء ، فمر فايز في طريقه للبيت على محلات الخضار واللحوم واشترى ما يناسب الدكتور للعشاء ، وعاد لبيت الطبيب يعد لسيده طعام العشاء .. وفي صباح الأربعاء استأذن فايز نائل الشاب القروي من سيده الدكتور غازي بالسفر لبلدته فقال له الدكتور بعدما تناولا الإفطار : رافقتك السلامة .. كيف ستسافر ؟

فرد فايز : ربما بواسطة القطار .. سأنطلق بتكسي إلى محطة القطار .. وسأتصل بك من القرية مودعا إن شاء الله.

ـ لا داعي يا فايز بعد عشرة أيام أرجو أن أجدك هنا.

فقال فايز : سأفعل يا سيدي .. لن أتأخر .. صدق عندما أصل للقرية اشتاق للمدينة سريعا القرية مملة .. لا يوجد فيها رفاهية فليس أمامنا هناك إلا مشاهدة التلفزيون والبرامج الثقيلة على النفس.

فقال الدكتور : معك حق أفلام هذه الأيام مكررة ومملة .. إلى اللقاء.

وصافح فايز الدكتور ، وحمل حقيبته على كتفه وهبط بالمصعد على الطابق الأرضي فوجد البواب في غرفته يجلس مستيقظا فسلم عليه ، وأخبره بسفره وأوصاه على شقة الدكتور ، وأن يرسل الخادمة ماجدة لتنظيفها بعد أيام وقبل مجيء الطبيب من السفر ، فوعده البواب الشيخ خيرا ودعا له بالعودة سالما ، فشكره فايز وانطلق لمحطة القطار واشترى تذكرة لأقرب مدينة يصل إليها القطار ومنها سيركب سيارة إلى قريته نسمة الربيع



٢

صباح يوم الخميس كان الضابط المقدم الشرطي علي محمود ضابط البوليس المعروف في شرطة العاصمة يتحدث مع مساعده الملازم يحيى قائلا : كيف عرفتم بالجريمة ؟

فرد عليه الملازم يحيى قائلا : الصدفة ساعدت على كشف هذه الجثة وهذه الجريمة .. البواب العجوز أبو حسونة بواب العمارة كشف ذلك ، فلما جاءت المرأة ونزلت في شقة الدكتور غازي الرمانية ، فقد اتصلت ، بالبواب وطلبت منه أن يرن عليها في الثامنة صباحا .. فلما رن عليها أكثر من مرة ولم ترد ظن أنها مستغرقة في النوم ، فتحامل على نفسه وركب المصعد إلى الطابق الرابع حيث شقة الدكتور المذكور .. قرع وضغط على جرس الباب .. لا أحد يرد ضرب الباب بيده عدة ضربات أيضا لم ترد عليه فهبط ثانية وأخذ مفتاح الشقة المودع لديه ، وقام بفتح الباب وهو في غاية الخوف والقلق .. وهكذا اكتشفت الجريمة .. فاتصل بنا وقمنا بإجراء اللازم وقد حضر الطبيب الشرعي ووكيل النيابة ورجال المختبر الجنائي والبصمات وقاموا بإجراء المناسب ، ثم أمر الطبيب بتحويل الجثة للمستشفى العام للقيام بتشريحها القاتل دخل الغرفة وقتلها وهي نائمة كشف الغطاء عن رأسها وأطلق ثلاث طلقات على الرأس والوجه فأرداها قتيلة وهرب

فقال المقدم علي : وماذا يقول الدكتور ساكن الشقة ؟

فقال يحيـــى : الدكتور سافر مساء أمس .. فلقد كان مقررا كما قالت عاملة العيادة أن يسافر صباح الخميس أو مساءه ..ولكن تبين لهم أن طائرة مسافرة لقبرص ليل الأربعاء بدلا من صباح الخميس فسافر عليها مع زميل له طبيب أيضا اسمه مالك جبر ، والفتاة لا تعرف بموضوع هذه المرأة التي نامت في فراش الطبيب ؛ ولكنها تقول قد تكون قريبة له.

كان المقدم علي قد جاء للدائرة لما سمع بهذه الجريمة ، وذلك عندما اتصل به مساعده الملازم يحيى ، وكان من توه قد عاد من إحدى المحافظات ، فهم يتابعون قضية مطاردة لإحدى العصابات المختصة في تهريب المخدرات في إحدى المدن الكبيرة ، فلما استمع لكلام مساعده

قال : ألم تعرفوا هوية الضحية أو المجني عليها بعد ؟

فقال الملازم : لا .. إنها امرأة في الأربعينيات من عمرها ، قد تكون دخلت في الخمسينيات متوسطة الطول وليست بالبدينة ، ولم نجد في حقيبتها ما يدل على شخصيتها .. لا توجد بطاقة شخصية أو رخصة قيادة ، وحتى خادم الدكتور قد رحل وسافر لبلدته وقريته من صباح يوم الأربعاء ، والدكتور فعلا قد سافر مساء أمس، ولم يترك عنوانا له هناك ، وقد يغيب عشرة أيام على الأكثر كما تقول السكرتيرة نهى سالم.

ـ جريمة غامضة فعلا .. ننتظر تقارير البحث الجنائي المختبر والآثار .. فتقرير الطب الشرعي لن يفيدنا كثيرا في هذه الجريمة ، فهي جريمة مدبرة ، ودخل القاتل الشقة بكل ثقة.. فهو يملك مفاتيح الشقة قد نستفيد من التقرير فقط في بيان وقت الجريمة .. سؤال لماذا اتصلت بالبواب ليوقظها في الثامنة صباحا ؟

فقال يحيى : لا نعرف .. اتصلت به حوالي العاشرة ليلا فقالت له إنها تنزل في شقة الدكتور غازي وترجوه أن يتصل بها في الثامنة صباحا.

ـ ألم يستغرب البواب من وجودها في شقة الدكتور رغم سفره مساء ؟!

ـ لا .. فالدكتور غير متزوج ، وهو معتاد على فعل ذلك ، وكثيرا ما أعطى مفتاح شقته لنساء ورجال .. فكان الأمر طبيعيا بالنسبة له ، وهو لم ير المرأة عندما دخلت العمارة ؛ لأنه ربما كان في إحدى الشقق مع بعض المستأجرين.

فقال المحقق: الخادم فايز.. ألا يمكننا الاستفادة من أقواله ؟ ما اسم قريته ؟

ـ تقول نهى السكرتيرة إنه لما علم برغبة الدكتور بالسفر إلى جزيرة قبرص طلب إجازة لزيارة أهله في قرية نسمة الربيع من قرى مدينة الرواحل غرب العاصمة ويقول البواب أبو حسونة إنه

ودعه صباح الأربعاء وذهب لمحطة القطار ويوجد رقم هاتف له عند البواب.

فقال المقدم علي مفكرا: نحن يلزمنا الحديث مع الدكتور نفسه أكثر من الآخرين لنعرف منه من هي المرأة المقتولة ؟ ولماذا أتت لتنام في شقته أثناء غيابه وغياب الخادم ؟.. متى يرى الدكتور الشرعي حدوث القتل ؟

ـ يعتقد أنها بعد الواحدة ليلا ؛ لأن المرأة قتلت وهي مستغرقة بالنوم ويظن أنها قد تناولت حبة منوم ، وسيتأكد من ذلك عند تشريح الجثة ، وسيقوم البواب بمشاهدة المرأة في المشرحة ليؤكد عدم معرفته لشخصها ، وكذلك الآنسة نهى ولكنها رفضت مشاهدة الضحية ، وتخاف من مشاهدة الأموات ، وسنحاول عرض رسمها عليها ؛ لعلها تكون قد رأتها في عيادة الدكتور منذ عهد قريب.

فقال علي : إجراءات لا بأس بها ؛ ولكن معرفة اسم الضحية وعنوانها سيوضح بعض الغموض من حولها ، ولقاؤنا مع الطبيب غازي سيوضح الكثير من الغموض ولا بأس من جمع بعض المعلومات عن هذا الطبيب قبل عودته من رحلته لقبرص.

فقال يحيى متعجبا : العجيب أن هذا الطبيب رغم وصوله الستين كما تقول السكرتيرة غير متزوج لليوم ، فلا أسرة له ، ولا أم ولا أب ، وحتى أقارب لا تعرف له السكرتيرة ؛ ولكن البواب ذكر أن له بعض الأقارب يزورنه بين الحين والآخر.

فقال علي : هذه السكرتيرة حديثة عهد بالعيادة ؟

أجاب الملازم : لها أكثر من سنة تعمل عند الطبيب غازي ؛ ولكنها خائفة من شيء ؛ ولكن لا أرى أن له علاقة بالجريمة.

فقال المقدم وهو ينهض عن كرسيه : لا بأس يا ملازم يحيى من مشاهدة مسرح الحادث .. هيا نذهب.

رافق الملازم الضابط علي إلى مسرح الجريمة ، فانطلق الضابطان المحققان في جريمة شقة الدكتور غازي إلى عمارة الساعد فاستقبلهما البواب ، ورحب بهما وسار معهما إلى الشقة فوجدا الشرطي الحارس يقف أمامها ، وهو يحمل رشاشه الصغير فأدى لهما التحية العسكرية ثم قال : سمعت جرس الهاتف يرن أكثر من مرة في الداخل.

فتح البواب باب الشقة وزلف أمامهما ، ومشى الملازم يحيى أمام الضابط علي نحو حجرة نوم الطبيب حيث وجدت الجثة ، فكانت حجرة فاخرة وفارهة ولها حمام داخلي خاص بها ، وأخذ الملازم يشرح الوضع الذي كانت عليه الجثة عندما دخلوها أول مرة ، ولما انتهى الملازم من

الشرح والوصف قال المقدم علي : ألم تجدوا آثار أقدام والحذاء أو الأحذية على السجاد ؟

فقال يحيى : هذا السجاد لا تظهر عليه آثار الأقدام جيدا ولكن رجال الرسم والتصوير قاموا بتصويرها ؛ ربما تنفع عند وضع الأدلة بين يدي النيابة العامة .. ويبدو أن القاتل ـ وأشار لمكان ما قرب السرير ـ وقف هنا ورفع الغطاء عن رأس الضحية أو كان الرأس مكشوفا مستغرقا في النوم وأطلق الرصاصات الثلاث وغادر الغرفة بكل هدوء ثم غادر الشقة.. ولم تفتح الشقة بأي عنف ، فالقاتل يحمل مفاتيح لها ، وقصة المفاتيح ليس من الصعب الحصول عليها ما دام أن الدكتور يسمح للآخرين بالنوم بشقته .. وتحدثنا مع بعض سكان العمارة فلم يشاهد هؤلاء شيئا ، ولم يسمع أحدهم صوت الرصاص كما يزعمون.. وأبو حسونة البواب يقول إن عينيه غلبهما النوم بعد منتصف الليل ، ولم يشعر بحركة المصعد صعودا وهبوطا ، ولم يسمع صراخ وصوت رصاص تلك الليلة ؛ ولكن لا يعتمد على أقواله ، ربما نام من العاشرة أو قبلها واستيقظ على اتصالها.

وأخذ المفتش علي يتفرج على الصور المعلقة على جدران الحجرة فدهش منها ، فأكثرها صور لنساء جميلات شبه عرايا فقال وهو ينظر لإحدى الصور : ألم تخبرني يا ملازم يحيى أن الدكتور أعزب لم يتزوج ؟

ـ هكذا أخبرنا البواب أبو حسونة، وذكرت ذلك كذلك الآنسة نهى سكرتيرة العيادة.

ـ فلماذا إذن يعلق مثل هذه الصورة المثيرة للشهوات ؟!.. بل لماذا هذا السرير الكبير في غرفة النوم ؟! .. أليس هذا غريبا ؟!

ـ غريب فعلا!!

ـ يبدو أن صاحبنا الدكتور صاحب عشق وغرام ثم قال المقدم بكل ثقة : أول ما يصل هذا الدكتور من قبرص فأحضروه للدائرة لنسمع أقواله .. لنعرف لماذا قتلت هذه المرأة هنا في حجرة نوم الدكتور الرمانية ؟!

ـ ألا ننشر رسمها في الصحف ؟ .. فقد كلفت رجال الرسم والتصوير بإعداد صورة لها لنشرها في الصحف فقد يتأخر الدكتور .. فسكرتيرته تقول إنه قد يغيب عشرة أيام وهذه فرصة لهرب المجرم.

ـ مهما هرب سنصل إليه.. وإذا قصدت بالهرب خارج البلاد فقد هرب من ساعات ، وربما هو كان يسعى أن تكتشف الجثة بعد عودة الطبيب ؛ ولكن اتصال تلك المرأة بالبواب هو الذي ساعد على اكتشاف الجريمة بعد ساعات .. ونحن لم نصل لهوية القتيل أو جسم الجريمة لمن ؟ ولا نعرف الدافع بعد فكيف سنعرف القاتل ؟!

٣

لما هبط الدكتور غازي لأرض المطار ومشى إلى حجرة تدقيق وختم الجوازات وقرأ الموظف اسمه حجز الجواز وتحدث مع رجل آخر ثم قال : الرجاء الانتظار بضع دقائق.

فتعجب الطبيبان وهمس مالك جبر للموظف بعد أن ختم جوازه واستلمه : ما الأمر أيها المحترم ؟

فأجابه الموظف قائلا : لا تنزعجا .. بعد قليل ستعرفان.

وبينما هما يتحدثان مع الموظف اقترب منها ضابط وقال : مرحبا بكما .. ممكن السير معي نحو هذا المكتب ـ وأشار لمكتب خاص به ـ وطلب لهما فنجانين قهوة وشرح لهم بإيجاز الأمر فاستغربا وقال غازي : تحدثت مع السكرتيرة نهى مرتين ولم تتحدث عن تلك الجريمة والحادثة؛ بل قالت الأمور على ما يرام.

فابتسم الضابط وقال : تعليمات البوليس ، الأخ مالك يمكنك الانصراف ، أما الدكتور غازي فبعد دقائق ستأتي سيارة بوليس لنقله لدائرة التحقيق لسماع أقواله على وجه السرعة.. نحن نعتذر لهذا الإزعاج .

فقال مالك : أيحتاج الأمر لمحامي ؟!

فقال غازي : وهل نحن متهمون يا مالك ؟! .. امرأة وجدت ميتة أو مقتولة في شقتي .. هل يعني هذا أنني مجرم أو قاتل ؟!

فقال الضابط : لا يحتاج الأمر لمحامي سيأخذون أقوالك ، ثم يخلون سبيلك وتنصرف إلى شقتك ..

وابتسم الضابط وقال : وبالطبع لن تجد جثة المرأة المقتولة فقد تم دفنها.

فتبسم الرجلان ابتسامة مقتضبة وقال مالك : هل يمكنني البقاء مع صديقي ؟

ـ بالتأكيد .. وها هي حقائبكم قد وصلت..

ولم يمض وقت طويل حتى كان المقدم علي محمود ومساعده الملازم يحيى يحييان الطبيبين ويظهران أسفهما الشديد لهذا الإزعاج ولكن ظروف الجريمة الغامضة اقتضت هذا الإجراء العاجل والمزعج ثم قال علي : يمكننا سماع أقوالك هنا يا دكتور غازي.

فقال الدكتور غازي : أنا جاهز .. وذكر اسمه وسنه وعمله وعنوانه ثم قال : الحق أنا لا أدري لماذا قتلت تلك المرأة ؟! .. وهي قريبة لي وأمها خالتي .. فهي ابنة خالتي ونحن أصدقاء منذ زمن بعيد .. تزوجت مرتين ؛ ولأنها لا تنجب طلقت مرتين ، وأنا أساعدها ببعض المال بين الفينة والأخرى ، فهي تسكن في مدينة السمراء تسكن بجوار أخ لها متزوج هناك .. وهي قد اتصلت بي قبل السفر وأخبرتني أنها قادمة لزيارتي فرحبت بها، فأتت يوم الأربعاء قبل سفري بساعة أو

ساعتين ..وحدثتني عن مشاكلها مع أخيها رامي ، فأخبرتها أنني مسافر بعد قليل وتركت لها مفتاح الشقة ، وسمحت لها بالمبيت في شقتي ريثما أعود وأتحدث مع أخيها .. وأما لماذا قتلت ؟! فالجواب لا أدري ولا أعلم .. والأمر غريب فعلا !! ولا أظن أن أخاها يفعل ذلك مع شراسته وقسوته فهي تساعده في النفقة على عياله بل سيصدم بموتها.

ولما كتب الشرطي اسم القتيلة وعنوانها قال المقدم علي : شكرا لك يا دكتور غازي .. وبعدما تستريح من السفر سنذهب معا لزيارة هذا الأخ قد نجد شيئا عنده ، ويا حبذا لو ذكرت لنا عنوانه.

وبعدما وقع الطبيب غازي على أقواله بشأن الجريمة غادرا المطار ، وهو يقول لصاحبه : ولماذا قتلت هذه الملعونة في بيتي وعلى فراشي ؟! أمعقول أن يكون لها عشيق وغار مني فقتلها ليورطني ؟.!

فقال مالك : ولماذا أذنت لها بالسكن في بيتك لو أعطيتها بعض المال وصرفتها ؟!

فرد غازي قائلا : كان الوقت ضيقا ، والوضع شديد بينها وبين أخيها؛ بل أخبرتني أنه هددها بالقتل ، وأخشى أن يكون قد فعلها المجنون .. فهو يتعاطى المخدر ويشرب الكحول بحماقة ، ووضعه المادي سيئ وهي لا تلجأ إليّ إلا عندما تتأزم الأمور جدا بينهما.

فقال مالك: أيها الصديق الساعة الآن السابعة ليلا هل ستنام في الشقة أم تنزل عندي ؟

فكر غازي قليلا قبل أن يرد ثم قال : نعم أين سأنام الليلة ؟ .. السرير يحتاج إلى تغيير لقد قتلت في فراشي .. حتى لم تنم في غرفة الضيوف لتموت أو تقتل فيها لم يحلو لها النوم إلا على سريري .. أخشى أن استأجر شقة جديدة .. فأخشى أن يظل شبحها وخيالها يطاردني.

فقال مالك : أتظن أن رجال البوليس سيعرفون الجاني ؟ فهم لهم عشرة أيام لا يحركون ساكنا ولم يعرفوا اسم المغدورة ..

ـ لا أعلم ومن أين سيعرفون اسمها إذا لم تكن بطاقتها معها ولا يعرفها البواب ؟ .. إن لم يكن الجاني أخاها راميا فسيكون أمر معرفة القاتل صعبا وسيكون من الصعب معرفته .. أمر هذه الجريمة محير ومخيف يا صديقي ولكن المجرم اللعين يعرف أنها في بيتي وقتلها في بيتي.

ـ قد يكون القتل صدفة أو طارئا لم يخطط له ، مشاجرة بينها وبين شخص فتسلل إليها وغدر بها ..أو هي اتصلت بصديق لها ودعته للشقة وتشاجرا.

ـ ولكن البواب أبو حسونة لم يشاهد أحدا يصعد إليها ، بل لم يعرف بوجودها إلا عندما اتصلت به تطلب منه إيقاظها في الثامنة صباحا .. ولماذا

يوقظها ؟!

ـ يا صاحبي هذا البواب رجل كبير ، ولا يجلس في غرفة البواب كثيرا ، فهو يتنقل بين الشقق هنا وهناك يشتري لهذه ويشتري للأخرى فيغيب في المتاجر والمحلات فلا يرى من يدخل ويخرج إلا من صدف ووجده أمامه.

ـ لست أدري .. فالضابط يرى أن أحدهم دخل عليها وهي نائمة بعد نصف الليل وقد فتح الشقة بالمفاتيح المقلدة ووقف بجوار التخت ورفع الغطاء عنها وأطلق الرصاص عليها وهي مستغرقة في النوم .. ألم تسمعه يحدثنا بذلك ؟ بل يرى الطبيب الشرعي أنها أخذت قرصا منوما ربما ظنته دواء الصداع أنا أضع علبة الأقراص المنومة على حافة السرير .. ولم يحدث أي عبث في محتويات البيت بل يقولون إنها تناولت طعاما خارج البيت لم تستعمل الثلاجة ولم توجد آثار وبقايا طعام سوى أنها شربت كوبا من الشاي من مطبخي ..أنا أعطيتها المفتاح وأخذت سيارة لبيتك ثم سار بنا التاكسي للمطار ..هل خرجت وجاءت برجل ؟ فالضابط ذكر لنا أن وضع مسرح الجريمة لا يوحي بسهرة بينها وبين شخص آخر

ـ إذن نعود للسؤال المهم .. لماذا قتلت ؟!

فقال غازي بحيرة : والقاتل من كلام المفتش حريص على أن لا يترك أثرا وراءه ولا أظن أن أخاها راميا يفعل ذلك .. يقتلها وهي نائمة ومن أين له مفاتيح الشقة ليدخل عليها ؟ هل فتحت هي له ؟ فقتلها وأغلق الشقة من الخارج ..فالضابط ذكر أن مفاتيح الشقة موجودة معهم .. فهو ليس ذكيا ليخطط لمثل هذه الجريمة المدبرة .. عشيق فعلها لا يوجد آثار تدل على ذلك والشرطي يقول إنه لم يسرق من البيت شيئا وهذا عليّ أن أوكده لهم .

فقال مالك : طال تفكيرنا فلنركب وتسير معي وتقضي هذه الليلة ضيفا عند صاحبك مالك وغدا صباحا نسير إلى شقتك ونتفقدها وننظر محتوياتها .. وخادمك فايز ألم يعد من بلده ؟

ـ كما تعلم ، فلما علم بسفري إلى قبرص طلب إجازة لزيارة أمه وجدته أم والدته، فهو من بلدة بعيدة عن المدينة يحتاج عدة ساعات للوصول للعاصمة ، ولابد أنه اتصل بالسكرتيرة العزيزة نهى وأخبرته بتأخري فتراه تكاسل عن المجيء ، وتراه تكلم مع البواب وكلفه بتنظيف الشقة بواسطة الشغالة ماجدة أم حمودة.

فقال مالك : هيا بنا للبيت وبعدئذ نفكر بالخطوة التالية يا صديقي العزيز.

ـ الفضول يدفعني لزيارة الشقة يا مالك .. ومشاهدة سرير الموت .. لعلني أصل لشيء لم يصل إليه الشرطة .. فأنا بشوق كبير لمعرفة الجاني

اللعين .. لماذا قتلها في بيتي ؟! .. ومن أين حصل على مفاتيح الشقة ؟

روايات اجتماعية

صديق أمي

الحلقة ٤ والأخيرة

الخطبية

لما أتمت راضية حسن قصة حكم عمر لتلك المرأة صمتت أو قل اشتغلت بقضم تفاحة ، وكان عباس مبهورا بما سمع فقال بعد صمت قصير : أنت رائعة يا أم سليم! .. لقد أعدت لي الثقة بهذه القصص اللطيفة .. خشية أن أظلم الإنسانة التي سأرتبط بها من تلك الناحية .. الآن ندخل على لب الموضوع ، هل ترين أني أصلح للزواج أم أني تأخرت وفات القطار ؟ عندما يقترب الإنسان من الستين ليس الأمر هينا يا راضية .. معنى ذلك أنه يقترب من سن الضعف والموت

ـ لا أعتقد يا عباس أن الزواج مرتبط بسن معينة .. الرجل لا يستغني عن امرأة في حياته وحتى في أواخر عمره ، ربما المرأة تقبل بالحياة أرملة أو مطلقة أكثر من الرجل .. فهي تقبل في العيش بكنف الأبناء أكثر من الرجل .. القضية الأهم هو اختيار المرأة الملائمة له .. لقد عرفت رجلا تجاوز السبعين عندما ترمل ثم زوجه أولاده ؛ لأنه لم يقبل بحياة خادمة معه .. وتزوج امرأة فوق الخمسين بقليل ، وقد عالجتها أكثر من مرة ، وعرفت قصتها هذه ، وبعد حين افتقدتها ، فأخبرت أنها ماتت .. ماتت قبل الرجل العجوز .. الأعمار بيد الله

ـ أكيد أن الأعمار بيد الله .. أنا أريد امرأة تحب الستر والحياة البسيطة وتعلم من تزوجت .

ـ اسمع عندما حدثني الأخ يوسف عن زواجك اقترحت عليه أن نعرض عليك أرملة أخت عيسى زوجي وقريبتنا أيضا ، فهي قريبة من الثلاثين سنة ، ويمكن أن تحمل إذا لك نصيب في الذرية ، وثانيا هي أرملة وعندها طفلان ولد ابن اثني عشرة سنة وأخته تصغره بعامين يعني لها سنوات لم تخلف لعدم رغبة زوجها المتوفى بذلك .. وهي تعرفك حق المعرفة ، ووالدها وأمها يعرفانك .. وتحدثت مع عيسى ليلة أمس فلم يعترض .. ففكر فيها ؛ فإذا وافقت على الارتباط بها فسأتكلم معها ، فهي أرملة منذ سنتين قد تزيد شهور

ـ إني لا أذكر شكلها .

ـ أتحب مشاهدتها ؟

ـ لا بأس .

ـ حسن هذا ، سأدعوك للعشاء عندي يوم الجمعة القادم ، وأدعوها مع آل عمي سليم

بعد صمت قد طال قليلا قال : أنت ترينها مناسبة لرجل عجوز مثلي .. أليست صغيرة ؟ .. بيننا

ثلاثون سنة .

ـ المرأة البالغة بنت العشرين كابنة الخمسين ما دامت تحيض .

ـ خبيرة في النساء!

قالت باسمة : الحياة تجارب يا أخي .

قال : نعم الحياة تجارب كما قلت .

ـ ومن خلال الالتقاء بالمرضى والصديقات نطلع على قصصهم وتجاربهم وهم يحبون نصحهم خاصة إذا وثقوا بك .

ـ كما قلت خبيرة في النساء!

ـ اسمع قال صلى الله عليه وسلم [فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها] * فهذا نص كلام النبي ﷺ .. ما دامت امرأة صغيرة كبيرة كله من ناحية الجماع سيان .

---

* عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ فَقَضَى حَاجَتَهُ وَخَرَجَ وَقَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ جَابِرٍ حَدِيثٌ صَحِيحٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ (ت) *عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّهُ يُضْمِرُ مَا فِي نَفْسِهِ(د)

ـ أنا ازداد بك إعجابا يا راضية.. تحسنين الإقناع .. وهذا كلام عظيم من الرسول ﷺ .. إذاً علينا رؤية شقيقة عيسى لنتابع المشوار .. أهي راغبة بالزواج ؟

ـ هي مترددة قليلا ؛ لأنني حدثتها بذلك الأمر قديما لزميل لنا في المجمع الطبي .. ربما لأن وفاة زوجها كانت حديثة سنة أو أقل بشهر ..

ـ على كل حال إن قبلت بي .. لا تضغطي عليها يا راضية .. أنا أريد حياة زوجية هادئة ؛ كأنني لم أتزوج .

ابتسمت ابتسامة تشجيع وقالت : ستجد ما يسرك منها .. فأنا أعرف آل عمي حق المعرفة ، لا أذكر أنني تشاجرت مع عيسى مشاجرة يمكن أن تسميها مشاجرة ، فهو يحب الاختصار .. ورغم مرض زوجها في آخر سني عمره كانت راضية بنصيبها وصابرة ، والدليل على ذلك أيضا أنها لم تضغط عليه حسب حدود معرفتي من أجل المزيد من المواليد .. وأنا أراها مناسبة لسنك ولعدم خبرتك في النساء وهمومهن .. وهذا كله في علم الغيب ، وأرجو أن تقبل ، وإذا لم تقبل سأجد لك غيرها إن شاء الله تعالى

ـ سلمت أمري لك في هذه القضية المصيرية ، وأدعو الله أن يوفق ويسهل أمر هذا الزواج .. وأشكرك يا أخت راضية وآسف جدا لإزعاجك

وانتقل الحديث إلى أخبار أولادها وزوجاتهم وحياتهم ومدارسهم وجامعاتهم ، فراضية ولدت ثمانية من المواليد .

بعد مغادرة راضية بيته شرب المزيد من القهوة ، وهو يقلب محطات التلفزيون الفضائية التي بدأت تنتشر وتزداد في أواخر تسعينيات القرن العشرين ، ولما لم يجد فيها شيئا مهما ـ فأكثرها تبث الأفلام الأجنبية القديمة والأغاني العتيقة وحوارات عقيمة ـ انتقل إلى غرفة المكتبة التي أقامها داخل الفيلا ، وكان قد تعاقد مع أكثر من دار نشر ومكتبات تجارية لتزوده بجديد المصنفات ، فكان بريده يحفل بمراسلات المكتبات وجديد الكتب ، وكان الخادم الآسيوي يذهب لتلك المكتبات في أواخر كل شهر مرة لجلبها من تلك المكتبات التجارية ، ومع الزمن كبرت مكتبته أي كثرت موجوداتها من الكتب .

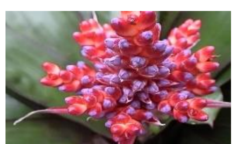
كانت بعض الكتب منتشرة على طاولات المكتبة ، فقد كان قد طلب من الخادم بألا يعيدها لمكانها في الرفوف .

قضى ساعات من الليل يقلب في بعض الكتب التي يقرأ فيها تلك الأيام ، وتصفح بعض المجلات العلمية التي يتابعها ، ومع أن القراءة هوايته الدائمة والمصاحبة له من عهد الطفولة ظل الفكر مشغولا بمشروع الزواج ، وكان بين الفينة والتي تليها يحدث نفسه سائلا هل يستمر في أمر الزواج ؟ أم يستنكف عنه ؟

ثم يتذكر ابن عمه يوسف القريب من سنه وزواجه ثانية وزوجته الشابة سعيدة معه رغم فارق السن بينهما .. كان هاجس الخوف والقلق من الحياة الزوجية بعدما كبر سنه يؤرقه .. ثم تذكر الأرملة التي تسعى راضية للجمع بينهما والأولاد ، فيقول بعد عصف فكري هل سأرتاح لوجودهم معي في البيت ؟ لم أعتد على الحياة مع الأطفال .. أنا كنت أحب أطفال مريم وأداعبهم وأعانقهم عند أمهم وأبيهم .. كنت أحيانا أسمح لهم بالمبيت هنا عندما كانوا يأتون من السعودية في إجازة .. سأضيف عبئا إضافيا لمارتن ودميانا .. أخشى أن أحطم قلب هذه الأرملة وأطلقها إذا ضقت ذرعا من الزواج .. أو لم ترتاح لي ..ولكنها شقيقة عيسى زوج راضية ستتحملني بحكم القرابة والمصاهرة .. ووالدها رجل فاضل أني أتذكره ، وهو مهندس بترول متقاعد ، لقد عالجته مرة في المشفى العسكري ، بل أذكر زوجته السيدة الفاضلة حليمة محمد أنا أذكرهم جيدا كانت تقول لي كلما نلتقي قلبي معك يا عباس أنت أخ طيب لي .. نحن من أبناء جيل واحد إلى حد ما .. ماتت مريم وهي مشفقة عليّ .. إنها تخشى أن أموت ولا ذرية لي اليوم يا مريم دور العناية

بالكبار موجودة وشائعة ومقبولة من الناس .. كان الناس قبل عقود ينفرون من إبقاء الميت في ثلاجة الموتى ، ويعتبر الأبناء هذا من العقوق .. أما اليوم فهو عرف مقبول .. لأن هذه الدور تخدم هؤلاء الكبار نفسيا وصحيا اليوم الأبناء في الوظائف والعمل .. المرأة تعمل والزوج يعمل .. فها هي من تزعم أنها أمي لولا هذه الأماكن ماذا سأفعل لها في البيت ؟ .. سأزهقها من شهر من شهرين من سنة .. هل سأترك العمل للبقاء عندها ؟ كيف كان يعيش الأوائل ؟ .. إنهم سكان أرياف .. فالأقارب كلهم حول بعض البعض ، هذا يرعى هذا ، وهذا يرعى هذه .. وشغلهم حول البيوت .. حياة المدن غير حياة الريف والقرى .. هل

إذا هرمت سأنتظر من ابني أن يبقى بجواري ويترك وظيفته ؟ .. الدنيا تتغير .. نعم الدنيا تتغير



رتبت راضية وزوجها وليمة طعام لحميها وأخت عيسى السيدة نبيلة وأطفالها ، وشاركهم عباس تلك الدعوة ، ولما قضي الأكل انتقلوا لصالة البيت حيث قدمت لهم خادمة راضية أكواب الشاي ، وجلس عباس مجاورا للمهندس المتقاعد سليم ، ودار بينهم حديث مقتضب حول السياسة والأحداث العالمية ، ثم تحدثوا عن أخبار الطب والأجهزة الطبية التي طورت الطب من أجهزة التصوير الطبقي والرنين المغناطيسي وأدوات الجراحة الليزرية ، وكانت راضية مندمجة في الحديث مع حماتها وبنت حميها ، وكان زوجها عيسى يلتزم الصمت ، وأحيانا يعقب بملاحظة على كلام أبيه هنا ، وتارة على كلام أمه هناك ، وأما الأطفال فقد انصرفوا للجلوس مع بعضهم في غرف أخرى .

وبعد ساعة قضاها عباس معهم استأذن بالانصراف لزيارة ليلية أخرى ، فسلم وغادر ، ولما عادت راضية وعيسى من مرافقته لباب الفيلا الداخلي قال والد زوجها : كيف حالك يا أم سليم ؟ كيف أنت وعباس ؟

ضحكت راضية وقالت : أولا طمني على صحتك وصحة العمة ، سمعت أنك كنت عند الطبيب اليوم !

ابتسم السيد سليم لكنته : شكرا أم سليم ، أصبحت متعبا ولم استطع تناول الفطور ..فأخذني نافز إلى الدكتور خيري طبيب العائلة ، وعلل خيري ذلك بالبرد ، وأسمع عنه كثيرا ، ولا أعرف ماذا تقصدون وتعنون بالبرد ؟

ـ سلامتك يا عمي الفاضل ، عندما تتعرض الأجسام للجو البارد الطقس البارد يصيبها تعب

فالجو يؤثر على الجسم ؛ لذلك نلبس في الشتاء الملابس السميكة الدافئة ، والطعام الذي يكون في جوف البطن كالمعدة والأمعاء يتأثر بحرارة الجو من برودة وحر ، وهناك أناس أجسامهم محصنة ضد البرد لا يتأثرون بسهولة .. لكن البرد يسبب الكثير من الأوجاع للبدن ، وكذلك الحر الشديد ، وبالجملة الامتناع عن الأكل لساعات يعيد التوازن للجسم ، وربما إذا أخرج الإنسان ما في بطنه ارتاح يقال برد الصيف أحد من السيف

ـ بارك الله فيك يعني البرد هو البرد

ـ نعم ، لذلك يستحسن للإنسان ألا ينام إلا وقد غطى بطنه وصدره والإنسان يمكنه أن ينام بغير غطاء ، لكن لأن الليل أبرد من النهار لاختفاء الشمس ، فالثياب والأغطية تعطي الجسم الحرارة والدفء وحتى عادة يعالج المصاب بالبرد بالتدفئة ورفع درجة حرارة الغرفة والجسم*

* إِصابةُ البرْد : إصابات ناتجة عن البرد ، التعرض إلى درجات حرارة منخفضة، نتيجة عدم قدره الإنسان على التكيف هناك، إصابات البرد الطرفية وهي تعرض جزء من أجزاء الجسم إلى أصابه البرد ، ، أو إصابات البرد لكامل الجسم ، و قد يحدث أحيانا مزيجا من الاثنين معا ، هذه الإصابات شائعة بين الأشخاص الذي يقضون معظم أوقاتهم خارجا في المناخ البارد مثل الجنود. وتصاب الأنسجة لتعرضها لحرارة منخفضة، وليس بالضرورة منخفضة جداً ، وهناك انخفاض الحرارة الذي يحصل عند المسنين ، ويدوم لبضع ساعات.

ـ لعلي فهمت .. والآن ما مناسبة هذه الدعوة ؟

ـ وهل يكون للدعوة مناسبة ؟

ضحك وقال : خاصة إذا حضرها عباس .. نحن الدعوات قائمة دائما بيننا .

تطلعت راضية في عيني عيسى للحظات فابتسم لها ، فأدركت أنه تحدث بشيء لأهله فردت على عمها فقالت : عباس راغب بالزواج بعد هذا العمر يا عم سليم ، وكما تذكرون ماتت أختي مريم وهي توصي بأن يتزوج عباس .. وكان يماطل بظروف العمل الجوال كما تعلمون فلما عاد وأنهى عقده مع المستشفى الطائر ، ذكره يوسف ابن عمي وزوج مريم ـ رحمها الله ـ ذكره بوصية مريم ورغبتها التي ماتت عليها أن تراه أبا وزوجا ..وأنه أي يوسف ها هو قد تزوج كبيرا .. فطلب منه أن يجد امرأة تقبل به .. وفورا تحدث معي يوسف ونقل لي موافقة عباس على الزواج .. فذكرت له العزيزة نبيلة .. فطلب عباس أن ينظرها ، فكانت هذه الوليمة يا أخت نبيلة .

ضحكت نبيلة وأمها وسليم ، وقالت نبيلة : عيسى لم يستطع كتم الأمر .

فقال سليم : شكرا يا راضية أنت أغلى كنة عندي واسألي أم نافز

ـ وأنت عزيز على قلبي يا عم سليم .. أنا لا أريد

الإحراج للغالية نبيلة .. كان باستطاعتي الحديث مباشرة مع نبيلة ومعكم .. فعباس ما زال مترددا في أمر الزواج والأولاد ، فأبي ـ رحمه الله ـ مات وهو يوصينا جميعنا على عباس ومريم .

خطيبة أخرى

قضى السيد عباس سهرة عند أحد الزملاء وعاد للبيت بعد نصف الليل ، فوجد مارتن الخادم مستيقظا فحياه ، وقال معاتبا له بلطف : ما زلت مستيقظا يا صديقي؟! .. ألم أقل لك إذا بلغت الساعة الحادية عشرة فارقد ، وإذا احتجت خدماتك أرن عليك ..

فتمم الرجل بأنه مرتاح ، ولم ينم بعد ، وكان يتفرج على التلفزيون في حجرته ، فقال عباس : لا بأس ، ما دمت أنت صاحيا .. فاصنع لي الشاي ومعه بعض المكسرات ، فها أنا سألبس ملابس النوم ، وأسهر في المكتبة يا عم مارتن .

هزّ الرجل رأسه بالفهم ، وقبل أن يستدير ناحية المطبخ قال : أخت حضرتكم اتصلت أكثر من مرة

ـ راضية ؟

ـ أجل .

قال وهو يمشي لحجرة النوم لخلع ملابسه وارتداء ثياب البيت : إنها تريد معرفة رأيي في نبيلة الساعة تقترب من الواحدة وراضية لا تحب السهر حتى تستيقظ على وقت صلاة الفجر وقيام الليل .. أنا محظوظ بأخت طيبة كراضية .. إنها تحترمني وتعرف حق الأخ الكبير ؛ ولكنني أنا مسالم ولا أشعرهم بأني الأخ الكبير .. الأم تحتاج لزيارة ..لي أيام لم أزرها، وقد وعدتها أن أزورها في الأسبوع مرة أو مرتين .. واليوم لا عمل .. لا أدري لماذا أبناء الذي تاجرت به لم يزوروها منذ تركت كندا لهم ؟!.. ولكنهم يدفعون في تكاليف العلاج والرعاية .

ولما دخل المكتبة وجد الشاي والفواكه والمكسرات في انتظاره ، فشكر الخادم وطلب منه الذهاب للنوم ، فحنى الخادم رأسه قليلا ، وألقى تحية المساء واختفى .

سكب لنفسه الشاي الأسود ، وأخذ يرشف ويقزقز البزر الأبيض المالح ، والفستق الحلبي المملح أيضا ، ويفكر بقضية الزواج التي تشغله هذه الأيام ، وقد حدثه صديقه الذي سهر عنده عن امرأة طبيبة عملت معهم قبل سنوات أثناء العمل في طب الجيش ، قد تقبل به عندما استشاره بزواجه المتأخر ، وتذكرها عباس جيدا ، وهي مثله لم تتزوج بعد لظروف معينة ، وقال الصديق : إذا كنت لا ترغب بالذرية فهي مناسبة .. بل صارحه صديقه بمناسبة الحديث أنها طلبت منه يوما ما أن يسعى لدى عباس بالزواج منها ، ولأنه يعرف وجهة نظره حول الزواج ، لم يكاشفه بهذا ،

وزعم لها يومئذ أنه رفض وانتهى الأمر .
فقال لنفسه : نبيلة سليم أصغر منها سنا ، وقد تلد مع أنها كما سمعت من راضية لها زمن لم تحمل بناء على رغبة قرينها الذي اكتفى بالولد والبنت .. والدكتورة حسب ما أذكرها أجمل من نبيلة من جهة البشرة ؛ ولكنها قريبة من الخمسين هذه الأيام .. أنا لا أدري لماذا لم تتزوج ؟ فضلت التعليم والشهادات العليا على الزواج والأطفال حتى فاتها القطار كما يقال .

وبينما هو يقارن بين قريبته نبيلة وزميلته القديمة العانس ، رن الهاتف فلما سمع صوتها قال : أهلا أختي الغالية لم تنامي بعد أم نمت واستيقظت؟

ـ كلاهما .. أنا لما انشغل بموضوع مهم يصيبني القلق حتى انهيه بسلام .. لعلك استمعت بسهرتك .

ـ عرضت عليّ عروسا أخرى .. طبيبة عانس خدمت معي قديما .. ذكرني بها الدكتور مراد عبد الله .. ولكنها قريبة من الخمسين قد لا تلد .

ـ بالتأكيد لن تلد ، هذه يا أخي انقطع الطمث عنها من سنوات ، ولو ما زالت تحيض فحملها صعب يا عباس .. فنبيلة هناك أمل كبير أن تلد لك .. إلا إذا كانت القضية قضية زواج فحسب

ـ وهل أستطيع التربية بعد وصولي لهذه السن ؟

ـ أنت خلّف وأنا أربي لك .. فلي أكثر من خمس أو ست سنوات لم ألد .

لم يعط عباس الموافقة لراضية لتبدأ في ترتيب أمر زواجه من السيدة نبيلة ، طلب منها السماح له ببضعة أيام أسبوع على أكثر تقدير ، وقد أعلمته أن عيسى كان قد كاشفهم بسبب هذه الدعوة من دون علمها ، وأن القوم ينتظرون قراره الحاسم .

لما زار عباس أمه بعد تلك المحاورات وجدها ما زالت في الحال التي تركها عليها آخر مرة وتحدث مع الطبيب المقيم ، ومع مدير دار الرعاية وقصر الوفاء ، وهو طبيب أيضا متقاعد من وزارة الصحة ، ومع المرضة القائمة على متابعتها في أغلب الأحيان ، وعلم أن وضعها الطبي مستقر على ما كانت عليه في آخر فحص ، وسيقومون ببعض التحاليل المخبرية للبول والدم ، وستؤخذ لها صورة طبقية للدماغ ، وسيمر عليها طبيب الدماغ والأعصاب بعد التصوير ، وأخبر أن أكلها ضعيف بسبب تعب في الأمعاء .

كانت لا تتكلم ترد عليه بالإشارة خلال الجلسة ، ولما انتهى من متابعة حالتها المرضية ، واقترب موعد المغادرة كاشفها بأمر زواجه ، فلمعت عيناها ببريق خاطف ، وارتسم السرور على وجهها فرحا ، كما بدا لعباس ، ثم قالت بلسان ثقيل : أصحيح ؟

ـ أجل يا أمي، أخيرا سأتزوج بمشيئة الله تعالى .

ـ أسعد خبر سمعته في حياتي ، الآن أحس أنك غفرت لي زواجي من بلال .

ـ الأمر لله يا أم داود .

تقدمت الممرضة القائمة عليها تلك الوردية وأعطتها إبرة تخدير لتنام ،

فسلم عليها عباس ، ولما أغمضت عيناها غادر الحجرة ، ثم نزل لموقف السيارات الخاص بدار الرعاية ، وركب سيارته ، وكان الوقت يقترب من الغروب ووقت صلاة المغرب ، بل أذّن وهو ينطلق في الطريق ، فلما اقترب من أحد المساجد القابعة على طرف الشارع نزل إليه لأداء صلاة الجماعة .

ذهب بعد الصلاة للعشاء في أحد مطاعم المدينة ، وكان على موعد لحضور محاضرة مسائية في أحد الفنادق عن الدماغ لدكتور عالمي من ألمانيا ، وقد تلقى عنده بعض المحاضرات أثناء دراسته لتخصص الدماغ وأمراضه في المانيا ، وكان موعد المحاضرة العلمية التاسعة والنصف بترتيب من جمعية الأعصاب والدماغ .

ورحب به مدير الجمعية وهو يستقبله على مدخل القاعة ، وفي التاسعة والنصف بدأ الطبيب المحاضر محاضرته ، وكان الرجل شيخا هرما ؛ ولكنه بدا نشيطا وواعيا لما يتكلم ويتحدث عنه وقضى عباس أكثر من ساعتين بين سماع ونقاش بين المحاضر والجمهور العلمي ، وقد رأى عباس الكثير من أطباء الدماغ يستمعون للمحاضرة .

ولما وصل البيت صلى العشاء، وكان قد اتصل من الفندق بمارتن ، وطلب منه وضع ترمس شاي وفاكهة ومكسرات في المكتبة وليرقد ، فلما قضى الصلاة ذهب حيث حجرة المكتبة ، وقبل أن يبدأ بمراجعة أحد الأبحاث العلمية رن الهاتف فأدرك أنها راضية ؛ لأنه من النادر أن يتصل به أحد في مثل هذا الوقت ، فرحب بها وسمعها تقول : سمعت من مارتن أنك ذهبت لزيارة الأم الغالية.

ضحك عباس لكلمة غالية ؛ لأنها تعلم برودة العلاقة العاطفية بينه وبين أمه وقال : نعم ، قال لي مارتن أنك اتصلت ـ وكان ذلك عندما تحدثت معه من الفندق ـ إنها بخير ، ووضعها على ما كانت عليه من أيام ، لم تعد تأكل بشكل جيد ، وهذا طبيا مزعج .. وأنت كيف أمك ؟

ـ تحسنت صحتها بعد تلك الوقعة .. وغدا أو بعد غد ستخرج من المستشفى .

ـ سلامتها يا راضية ، سأزورها غدا ما رأيك أن نتقابل عندها ونتغدى سوية لنتكلم بموضوع نبيلة ؟

ـ هل عزمت أمرك ؟

ـ إلى حد ما .. غدا بعون الله نتكلم بالتفصيل .

ـ أقول مبارك يا عم عباس .

ـ قلت المرأة عرفت أننا تغدينا عندك لرؤيتها

ـ عيسى سليم كشف الأمر

ـ أترين أن لها شروطا معينة ؟

ـ هي لم توافق بعد إلا إذا كان السكوت علامة القبول .

لما انتهت زيارة أم فضل زوجة أبيه حسن أخذ عباس أخته راضية إلى أحد المطاعم التي يرتادها منذ عهد بعيد ، وفي صالة خاصة للأسر تناولوا الغداء كل حسب رغبته، ولما بدأ الأكل قالت راضية : أنت تعودت على أكل المطاعم منذ شببت يا عباس .. ماذا ستفعل بعد الزواج ؟ هل ستعود لطعام وطهي البيت ؟

ـ الطباخ موجود مارتن .. وهذا يعود لأم غسان .. أهي ماهرة في الطهي ؟

ـ كغيرها من النساء ليست متميزة حسب معرفتي بها .. أغلب وجباتهم صناعة بيتية ، لم يكن زوجها يحب أكل الأسواق ، وإنما يأكله في المناسبات والدعوات ..

ـ على كل سنجرب ذلك ، فإذا وجدناه أحسن من الأكل الخارجي سيقوم مارتن بالتعاون معها باختيار الأصناف .. على كل حال أنا موافق يا راضية على إتمام الزواج من أخت زوجك المهندس عيسى .. فانظري رأيها ورأي أطفالها أيضا ورأي والديها .

ـ العم سليم والعمة أم نافز لا اعتراض لديهم ، بل قدموا لي الشكر والثناء يوم الغداء ذاك .. فانكشف الطابق بعد مغادرتك ..فاكتشفت فورا أن عيسى صارحهم بسبب هذا الغداء والدعوة .. عيسى صريح يا عباس .. فلما سألوه عن المدعوين قال : عباس فقط فاستغرب الحاج سليم ، وقال : ولماذا عباس فقط ؟ فأخوة راضية كثر؟ فاضطر المسكين للإفصاح بالسبب .

ـ حسب معرفتي البسيطة بالدين فالنظر من أجل الخطبة والزواج مشروع ومباح

ـ أكيد هذا الأمر مشروع فعلا حتى ولو لم يقع زواج ، ورد عن الحبيب صلى الله عليه وسلم ـ وقبل أن تذكر الحديث مسحت فمها وشربت قليلا من الماء وتابعت :ـ إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل وهناك حديث آخر فقال النبي صلى الله عليه و سلم انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما

ـ أنت تحبين حفظ الأحاديث

ضحكت راضية ضحكة قصيرة على بساطة عباس وقالت : احتاج لذلك في المحاضرات التي نقوم بإلقائها في الجمعيات والمحاضرات ، كما تحفظون أنتم أقوال مشاهير الأطباء.. فالنقول ممتعة وترسل بها رسالة واضحة .. اسمع هذه القصة عن النظر إلى المخطوبة

مسح عباس فمه وقد كف عن الأكل ، فهزت رأسها تسأله فقال : شبعت الحمد لله .. هات القصة

توقفت هي الأخرى وقالت : الحمد لله الذي أطعمانا هذا ورزقنيه من غير حول ولا قوة .. أشكرك يا عباس .. أنت نعم الأخ والصديق .

ـ لا شكر على واجب ..

ـ القصة يا سيدي العزيز أن عمر خطب إلى علي ابنته أم كلثوم فذكر له صغرها ، فقال علي : أبعث بها إليك فإن رضيت فهي امرأتك فأرسل بها إليه فكشف عن ساقها فقالت : لولا أنك أمير المؤمنين لصككت عينك ، وقبلها عمر وتزوجها ، وولدت له على ما أتذكر .

قال مندهشا : دائما رائعة يا أخت عباس ! .. كان والدنا حسن شغوفا بقراءة كتب الأحاديث والسنة .

ـ بل كان يحفظ كتاب رياض الصالحين عن ظهر قلب ، ولما صرت أحسن القراءة كان يسمح لي باستظهار حفظه .. إذن نكمل المشوار .. الليلة بعون المولى سأتحدث مع عمي وعمتي وهم يكلمون نبيلة .. وحسب الجو أرى أن نبيلة لا اعتراض لديها ، قلت لزمت الصمت يوم الغداء ذلك .. ولها سنتان أرملة والعلاقة الزوجية تنتهي بانتهاء العدة بين الأرملة والمتوفى ولا أعتقد أن أحدا من إخوتها سيعترض على الدكتور عباس بن حسن حفيد الحاج عزام أقلت لأمك ؟

ـ نعم، ورأيت السرور في وجهها وعينيها ، وقالت : الآن أرى أنك غفرت لي زواجي من المذكور .

ـ مسكينة أمك، للأسف رجعت إلينا وهي مريضة لا حول لها ولا قوة ..

لما غادرت راضية المطعم ذهبت لبيت حميها لقضاء المهمة ، فكانت الفتاة في عجلة من أمرها فهي تريد أن تكسب الوقت أو تسابق الزمان كما يقولون ، فقد مات والدها وكله شوق وحسرة ليتزوج عباس ابنه البكر ، كان كلما يتزوج أحد أبنائه ، يقضي ساعات مع نفسه في البكاء من أجل عباس .. وهذا كله واعية له راضية ، فهي ترتيبها الثالثة من أبناء أمها فائزة ، وماتت مريم وكانت تتمنى أن ترى لعباس بيتا وزوجة وأسرة ، والكثير من أفراد العائلة رغبوا له ذلك ، قرعت الجرس وفتح أحد أبناء نافز فهو بكر عمها ، وهو ظل منذ تزوج ببيت الأسرة مع والديه قدم لها الشاب الصغير خده فقبلته وقالت : أين جدك وجدتك ؟

سمع أمه تصيح : من يا حمزة ؟

ـ امرأة عمي عيسى أم سليم .

خرجت أم حمزة ترحب براضية وتصافحها وقالت : أين عيسى والأولاد ؟

ـ جئت وحدي ، عساك بخير .. كيف نافز أبو صلاح ؟

قالت: كلنا بخير ، كيف أولادك جميعهم ؟ كيف أمك نسيت أن أسألك عنها ؟

ـ الحمد لله ، ربما تخرج غدا تحسنت كثيرا .. الكبار يكبرون ،وتضعف عظامهم ، وهشاشة العظام مرض شائع بسبب بلوغ الناس سنا كان يصعب الوصول إليها إلا بأمر الله .. المداواة والطب بعد تقادير الله رفعت من سن الشيخوخة .

ـ إن شاء الله ربنا يشفيها ويخفف عنها الألم .. أمس ذهبت مع أسرة عمي لزيارتها .

ـ شكرا لكم .. العم والعمة موجودان ؟

ـ عمي مشى للجامع لأنه أذن المغرب قبل قليل .. تفضلي، أكيد عمتي تصلي وإلا خرجت ترحب بك .. فعمتي تحبك ـ كما تعلمين ـ حبا معروفا في العائلة .

ـ شعور متبادل يا أم صلاح ..

تقدمتها أم صلاح لشقة عمها وعمتها ، وفعلا كانت العمة تجلس على سجادة الصلاة تتابع فرضها ، فهي تصلي جالسة خاصة النافلة .

جلسن ينتظرن إنهاء صلاتها ويتحدثن بحديث هامس ، ولما سلمت أم نافز قامت لترحب براضية التي عانقتها ومقبلة ليدها ، فهي منذ أصبحت حماتها وهي تقبل يدها كلما تتقابلان وتدعوان لبعض ، ولما جلسن ثانية قالت أم صلاح وهي تقف : ما تحبين أن تشربي في مثل هذا الجو البارد مع أنه شهر الربيع

ـ نفس الشتاء ما زال فيه .. راضية مغرمة بالشاي مثل حبيبها عباس

ضحكت راضية : أجل يا امرأة عمي .. وأنا كنت قبل قليل أتغدى مع عباس ..

وقصت قصة زيارتها للمشفى حيث الأم ترقد ، ثم الغداء وختمت الكلام قائلة: وأنا جئت إليكم هذا المساء أو الليل من أجل عباس

ـ يا مرحبا بك .. أتريدين الكلام مع أبي نافز ؟

ـ الأفضل يا عمتي .. أيتأخر في بيت الله عزّ وجل ؟

ـ عادة يصلي المغرب ويبقى في المسجد حتى يصلي العشاء.. يتسلى مع الجيران والأقارب خاصة أخوه الأكبر منه محمد من رواد المسجد ..

جاءت أم صلاح بالشاي ، وببعض الكعك ، وقبل أن تجلس طلبت منها حماتها أن ترسل ابنها حمزة للمسجد ويقول لجده سليم أم سليم في انتظاره

سكبت أم صلاح الشاي وقدمته لحماتها وأم سليم ، وخرجت لتكلف ابنها الشاب بالمهمة ، وعادت للجلوس معهم ، وكان جل حديثهم حول عباس وأم عباس ، وعاد الصبي مخبرا أن جده في الطريق ، وذهب ليدرس أو يشاهد التلفزيون ، وتابعت

النسوة أحاديثهن عن المرض والصحة حتى دخل الحاج سليم ، فقامت راضية تسلم عليه وتقبل يده كما فعلت مع حماتها ، ولما انتهى الترحيب قال : لماذا تجلسن هنا ؟

ثم انتقلوا لصالون شقة الحاج سليم ، ولما جلسوا عاد الترحيب من جديد ، وذكر لها الحاج أن ابنها عبد السلام كان عندهم اليوم، ثم وضح لها سبب مجيئه .

قالت راضية بعد ذلك : قبل أن يؤذن للعشاء يا عمي كنت العصر مع عباس وتحدثنا في موضوع الزواج موضوع زواجه ، وباختصار الرجل بعد تفكير قد قبل الزواج من الأخت نبيلة ، وهي تعلم بظروفه وقصة حياته ، وطلب مني أن أعلن لكم ذلك ، وأن تشاوروا الأخت نبيلة بموافقة الدكتور العزيز على قلوبنا عباس على الاقتران بها .. وأنا حقيقة من محبتي لكم اخترتها لأخي الغالي عليّ ، كما تعلمون فعباس وصية أبي حسن رحمه الله تعالى .. ولتأخذ نبيلة وقتها وحريتها في القبول أو الرفض .. هذا زواج ، وحياة قد تكون صعبة مع رجل لم يعاشر النساء إلا في العمل والوظيفة .. فسيكون مضعضعا حتى يتكيف مع الحياة الأسرية وعباس معروف لكم .

أثنى الرجل وامرأته على همتها وأخلاقها ، وأثنوا على عباس الثناء الطيب ، وقال سليم : قومي يا أم نافز البسي لنذهب للبنت ومعنا راضية ، ونعرض عليها الأمر أمام ابنتا راضية .. فهي التي ستتزوج عباسا ولسن نحن .. فبينهم كما تعلمين يا راضية فارقا كبيرا في السن.. والأعمار بيد الله .. وحسب معلوماتي أن صحة عباس ممتازة ، ولم أسمع أنه يعاني من مرض أو سقم خطير هذه حياتها الجديدة ستكون .

خرجت أم نافز لغرفة نومها لتلبس ملابس الخروج ، واتصل سليم بابنته معلنا لها بزيارتهم ، وفي سيارة راضية انطلقوا إلى بيت السيدة نبيلة سليم

كانت نبيلة منذ ترملت تسكن في الشقة المستأجرة منذ حياة زوجها ، وكان والد زوجها هو الذي يدفع إيجارها بدلا عن ابنه الميت ، وذلك من الأموال التي ورثها عن ابنه الميت ، ومن أجل الإنفاق على الطفلين .

رحبت السيدة بوالديها واحتضنت راضية زوجة شقيقها عيسى ، ورحبت بها أحر ترحيب ، وقبل أن يبدأ الحديث ارتفع صوت الآذان في الحي .

فقال السيد سليم : لابد من الصلاة .. وغادرهم لمسجد الحي .. وقالت نبيلة لابنها: ماذا قال لك المطعم ؟

احتجت راضية وقالت : قبل قليل أكلت مع عباس في مطعم { الوزة البيضاء } ، وخرجت من

المطعم لبيت عمي سليم مباشرة .
ـ نحن لم نتعش يا أم سليم .. نتعشى عادة بعد صلاة العشاء
فقال الولد : قال لي مدير المطعم عند الصلاة ستكون سيارتنا أمام البيت ، وكأنني أسمع زامورها ..
وأسرع إلى الشارع ، وتبعه سليم ذاهبا إلى المسجد ، ادخل عمال المطعم الطعام وانصرفوا ، وقامت النساء للصلاة ، فقد صلت راضية المغرب قبل مغادرة بيت عمها .
وكانت نبيلة تعلم سبب هذه الزيارة ، واطمأنت على أم راضية وعن صحتها ، ولما حضر السيد سليم انتقلوا إلى غرفة المعيشة وأكلوا ما قسم الله لهم ، وعندما فرغوا منه حمدوا الله وشكروه ، وهم يشربون الشاي قال سليم : أنت تعلمين يا نبيلة برغبة عباس بالزواج منك ، وهو من جيل أبيك يا نبيلة ، وهو لم يسبق له الزواج كما تعلمين لأسباب خاصة به ، واليوم غير رأيه أو رضخ لوصية مريم ـ رحمها الله ـ وهو معروف لك ، وشقيق راضية زوجة أخيك وابنتنا راضية رأت أنك مناسبة له لأسباب بينتها لي أولا أنك أرملة ، والرجل لا فرق عنده بين أرملة ومطلقة وعذراء لأنه ليس بالشاب الصغير .. وثانيا أنك أم ولك أولاد وهناك احتمال أن تلدي منه واحتمال ألا يتحقق ذلك .. لن تحتاجي لأولاد إن عجز عن تحقيق ذلك .. وثالثا هو لا يمانع بحياة الأولاد معك إلا إذا أهلهم رغبوا بهم .. ورابعا الزواج سترة والحزن لا يدوم والحياة ستمضي ، والعفة كنز من كنوز الدنيا .. وأنا وأمك لا اعتراض لدينا على هذا الزواج ، والأعمار بيد الله .. فالرجل يقترب من الستين مثلي .. وعباس معروف بهدوئه وصمته ، وهو صورة عن أبيه حسن عليه الرحمة من الله .. ففكري في حياتك جيدا .. ولابد أنك منذ تلك الدعوة عند عيسى وراضية تفكرين .. والأمر بين يديك .
قالت نبيلة : وهاهم أبنائي يسمعون ، وعندهم فكرة عن هذا الزواج .
قالت راضية : فكروا كما قال عمي وتشاوري مع الأولاد بكل حرية
قالت نبيلة : حقيقة أنا تحدثت مع أولادي وهاهم يسمعون ، والفتى لم يرفض ، والبنت لم تحسم أمرها ، فهي مترددة .. والآن صار الموضوع بشكل جدي ، وأنا الأخ عباس أعرفه جيدا ولا أعتقد أن السن يعيق الحياة الزوجية يا راضية
ردت راضية : صحة عباس الحمد لله معروفة ، وهو يهتم بذلك ، ولكن الزمن له دوره يا نبيلة يمرض كما يمرض الناس من أنفلونزا رشح صداع .. حسب علمي وأنا طبيبة أسنان لم يخلع إلا

سنا واحدة .. وهو يحب الرياضة ، وله عضوية في النادي الخاص بالضباط ، ولا يدخن ، والكحول لم يعرف طريقها ، هو كما قال عمي سليم ابن أبيه .. ولا أعتقد أن يقف أولادك في طريق سعادتك .. والزواج فرصة جيدة لك يا نبيلة .. وهؤلاء الأبطال سيتزوجون لما يكبروا وكلما كبرت المرأة قلّت الفرص أليس كذلك يا عم سليم ؟

ـ هذا أكيد يا أم سليم .. لذلك بدأت العنوسة تشكل خطرا في المجتمعات الإسلامية والعربية فقد ارتفع سن الزواج بسبب التعليم وبسبب العزوف عن الحياة الزوجية .

ـ الآن حان وقت الانصراف يا عمي ويا عمتي ، لقد نقلنا رسالة الموافقة من عباس للأخت الفاضلة نبيلة

ـ شكرا لك يا ابنتي العزيزة .. سأتصل بنافز ليمر علينا ، ويتحدث مع أخته في هذا الأمر ونعود معه للبيت .



مضى يومان قبل أن يصل الرد إلى راضية لذلك قالت لزوجها : هل من شيء يا عيسى لتتأخر أختك في الرد ؟

بعد تردد معروف في شخصيته قال : أنا على اتصال بأبي وأمي حتى أثناء العمل .. وأولاد نبيلة الولد يقول لها : افعلي المناسب يا أمي ، والبنت ترفض زواجها ثانية

ـ البنت عاطفية هذا شيء شائع ومفهوم

ـ نبيلة لها رغبة بالزواج .. إنما هي مترددة لسن عباس .. فهو من جيل الوالد .. تخشى أن تترمل ثانية

قالت راضية : قد تموت قبله .. لو فكر الناس بهذه الطريقة لما تزوج أحد يا عيسى .. هناك أناس مرضى بمعنى مرضى أي مرض دائم ويتزوجون ، ولو فكرنا بطريقة السنين لما تزوجت أنثى إلا من يوازيها بالسن .. هناك من يحبذون أن يكون فارق بين الزوجين على الأقل عقد من السنين

ـ اقترحت عليها أمي أن يكتب لها عباس شقة باسمها لعلها تتشجع على الزواج .

قالت : رغم عدم اقتناعي بهذا الاقتراح يا عيسى سأنقله لعباس .. فلو مات عباس قبلها سترث الكثير من ماله ، بل ربما ترث قصره كله .

ـ هم يخشون الطلاق .. وليس الموت ، فالموت أمره لله .. الخوف من عدم انسجام عباس معها فيطلقها .

ـ هذا وارد لا أنكره يا عيسى .. قد لا يرتاح أخي مع الحياة الزوجية فيضطر للطلاق .. وأنا من أجل ذلك سأنقل له رغبة نبيلة بأن تكون شقة باسمها

لأنها بمجرد خروجها من شقتها سيسلمها أهل زوجها الميت لصاحبها .. هل هذا شرط أختك نبيلة الوحيد أم هناك أشياء أخرى يا أبا سليم ؟

قال : هذا كلام أمي لتشجعها على الزواج منه وتحسم التردد .. سأتحدث معها أمامك .

واقترب من الهاتف ، وتحدث مع أمه عن موضوع كتابة الشقة باسم نبيلة إذا وافقت على ذلك

أغلق الهاتف وهو يقول : ستتحدث أمي معها بصورة جدية .

وبعد ساعة اتصلت به أمه مخبرة له أنه إذا كتبت شقة باسمها ستتزوج من عباس ، رفعت راضية سماعة الهاتف ، واتصلت ببيت عباس ، ولم يكن موجودا في البيت فقالت لمارتن : إذا عاد قبل العاشرة ليلا اتصل على بيتي يا عم مارتن .

تركت السماعة وقالت : ذهب لزيارة أمه ، لقد اتصل به مدير دار رعاية المسنين والمرضى .

العاشرة ليلا اتصل بها عباس ، وبعد التحية والسؤال عن أمه قالت : انتظرنا سنمر عليك أنا وعيسى .

لبست ثياب الخروج ، وكذلك عيسى والذي سبقها إلى سيارته ، وأدار ماتورها منتظرا ، ولما ركبت بجواره قالت : امش وتوكل على الله .

واستغرقت المسافة لبيت عباس نصف ساعة ، وأدخلهم الخادم لصالة الاستقبال حيث كان عباس في انتظارهم والترحيب بهم ، وبعد مجاملات تقليدية وشرب الشاي الذي جهزه الخادم أو أخته قالت راضية : كما تذكر يا عباس أنا تغديت معك قبل أيام ، وأخذت موافقتك على نبيلة ، وسرت لبيت عمي والد عيسى ، وحدثتهم بقبولك للزواج من نبيلة ، ومشينا أنا وعمي وعمتي لشقة نبيلة ، وذكرنا لها قبولك للزواج منها ، وتركنا الأمر والتفكير لها ولأولادها .. وشرحت له رغبتها بأن يشتري لها شقة وتكتب باسمها .

وأخذت هي وعيسى يذكران تبريرات هذا الطلب ، فقال عباس بعد صمتهم : لست بخيلا ؛ ولكني أرى هذا الطلب في غير محله .. حتى لو قررنا الانفصال وفشل الزواج فيمكن فعل ذلك عند الطلاق ، أما فعل ذلك مسبقا فأنا لا أراه صوابا يا عيسى .. الأصل في الزواج أن يقوم ليدوم ، فالطلاق وارد لكنه بحكم الاضطرار .. وإذا مت قبلها يا سيدي فهذه الفيلا ستكون من نصيبها إلا إذا أكرمني الله بذرية منها ، فسيكونون شركاء فيها وفي غيرها .

ودار نقاش هادئ بينهم ختمه عباس قائلا : إذا كانت ترفض الزواج مني أو من غيري فلتكن صريحة وشجاعة .. لا يجوز أن تخجل من راضية أو من أمها وأبيها في شأن خطير .

قال عيسى : هذا الشرط كان من أمي لتشجعها على الإقدام .

رد عباس قائلا : لا داعي للإغراءات والحوافز لتقبل بعباس يا أبا سليم .. أرجو يا راضية أن يصلني الجواب نهار الغد .

وودعهم إلى بوابة الفيلا ، وتمنى لهما السلامة ، وعاد لمكتبته وهو يقول : لا تريد الزواج تقولها بصراحة ، أما أنها تريد أن يظهر الرفض من غيرها لتبرر موقفها أمام راضية أو والديها .. فهذا غلط .

واتصل بمراد عبد الله وسأله عن صاحبتهم الدكتورة جيهان نادر .



زواج عباس

عند صلاة الفجر اتصلت راضية بعباس واعتذرت له عن زواجه من نبيلة فقال : لا عليك يا أخية .. مري عليّ بعد مغادرتك من العيادة ؛ لنذهب لرؤية الطبيبة التي حدثتك عنها سابقا ، فلما فارقتموني ليلة أمس تحدثت مع مراد عبد الله ، فاتصل بها فورا ، وأخذ لي موعدا معها في بيت أهلها .

ـ اعذرني يا عباس عن هذا المشوار لظروفي وللموقف الذي نحن فيه .

ـ الزواج قدر .. أيتضايق حموك من ذهابك معي ؟!

ـ إحراج إلى حد ما .

ـ شكرا إلى اللقاء .

ترك الهاتف وقال : سأتصل بيوسف لعله يذهب معي وزوجته .

قبل يوسف بعدما سمع قصة فشل زواجه من نبيلة الذهاب معه لمقابلة الطبيبة جيهان وأسرتها ورحب بهم ، وجرى تعارف بينهم ، وقبلت الدكتورة بالاقتران به ، ووافق والداها على موافقتها ، وتحدد بينهم المشي بالزواج حسب عادات أهل المدينة ؛ ولذلك بعدما عاد عباس للبيت ، وتناول العشاء ، اتصلت به راضية تبارك له الزواج ، فقد أخبرها يوسف بما اتفق عليه فشكرها عباس على جهدها معه .

وخلال أسبوع واحد جرت مراسيم الزواج الشرعية من كتابة العقد الشرعي بين يدي القاضي في إحدى المحاكم الشرعية المختصة بمثل هذه الأمور ، وتحدد موعد الزفاف ، ومكان إقامة الحفل في صالة تابعة لأحد نوادي الجيش ، وطلبت أمه منه أن يسمح لها بحضور هذه الحفلة ، فتشاور مع مدير الدار ، فوعده الرجل أن يعمل على ترتيب نقلها لحضور الحفلة والعودة بها ، فشكره عباس ودفع له أجر هذه الخدمة .

وفي الموعد المحدد للحفل توافد المدعون من طرف الفريقين ، وجرى الحفل حسب ما خطط له وقدمت فرقة موسيقية تابعة للنادي نشاطا خاصا ، وتناول الجميع المطعومات والمشروبات من المثلجات والعصائر ، وقبل نهاية الحفل قدمت سيارة خاصة تابعة لدار الرعاية بأم عباس ، وحملت على عجلة متحركة إلى قاعة الحفل ، وتقدم منها عباس مرحبا وأخذ أقاربه يسلمون عليها ، ويباركون لها بزواج ابنها البكر، وهي تهز رأسها بالشكر بدون كلام ، ثم فعل ذلك أقارب وأهل العروس ، وجاءت العروس في النهاية ، وسلمت عليها وأخذت يدها مقبلة وداعية لها بالسلامة .

ثم عاد المدعوون لكراسيهم ، وعادت الموسيقى تعزف من جديد ، ولما انتهى الوقت المحدد للاحتفال بدأ الناس بالانصراف رويدا رويدا ، ولما انتهى العروسان من توديع ضيوفهم أخبرتهم الممرضة المرافقة للمريضة عن وفاتها ، وهي تدعو لعباس بالبركة والذرية الصالحة ، فنظر عباس لعروسه باسما ، وكذلك نظرت إليه ، وقالت : عظم الله أجرك يا عباس .

ـ شكر الله سعيك رحم الله تعالى أمي ابنة جدي الحاج عزام الرحمة الواسعة إنا لله وإنا إليه راجعون تقدم أشقاؤه يعزونه في أمه هدى ويترحمون عليها ، فعانقهم وشكرهم وقال باكيا : هذه لحظة عجيبة من الحياة !

قالت راضية : { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }

تمت بحمد الله وفضله

قصص وحكايات الفوارس

مملكة مالونيا والملك بربار

الحلقة ٢

الملك بربار

دخل القائد الأمير ملاريون على الملك الفارس بربار وذكر له أن أختا له حسناء جميلة سليلة الملوك من قومه ترغب بالزواج منه إذا كان لديه رغبة بالنساء ، فاعتذر بربار قائلا : شكرا لك يا صديقي .. أرغب بالزواج ، ولكني أحلم بأميرة شرقية من أميرات الشرق.. فأنا أتيت لهذه الجزيرة من الشرق ، وذكر له مختصر قصته ، فتعجب ملاريون من قصته ومن قدرة الخالق المدبر وذكر بربار له اسم أحد القادة الفارس جرار فهو فارس جدير بها .

فابتسم ملاريون قائلا : سوف أعرض عليه هذا الاختيار ؛ لأنها هي التي ذكرت لي بأنها راغبة في شخصكم العظيم .

فقال بربار: اشكرها على هذه الرغبة نحوي وهي سليلة الملوك والسادة .. واذكر لها عذري ..

وسوف نتهيأ لغزو الشرق للاستيلاء على كنوزه وخيراته ؛ فإذا أحببت مرافقتنا فجهز نفسك وفرسانك .



استقر الوضع في الجزيرة الكبرى، وخضعت الملوك والأمراء لمملكة مالونيا، وزاد فرسان بربار إلى خمسة آلاف فارس ، يخضعون لمائة من كبار فرسان بربار، وكان بربار الملك لما رأى هذا الملك العظيم بين يديه من فرسان وجنود وأموال بدأ يفكر بالبحث عن اخوته في الشرق فيما وراء البحر ، وقد زاد الحنين للأهل في قلبه وصدره ، ولقد كان يعمل بين يديه كثير من العلماء والحكماء والمفكرين، وكان قد أنشأ لهم مجلسا خاصا يستمع لآرائهم وأفكارهم واقتراحاتهم في تدبير شؤون هذه المملكة ، وكان يكرمهم ويكثر من التودد إليهم والالتقاء بهم ومجالستهم ومناقشتهم ، وذكر لهم رغبته في غزو الشرق لتكوين إمبراطورية يتحدث عنها التاريخ والأجيال القادمة ، وأثناء الاستعداد لهذا الغزو أتاه استعطاف من الملك بدوان فأخرجه من السجن ونفاه إلى جزيرة في وسط البحر الكبير ، ونبهه من عاقبة الغدر والخيانة، وعليه الرضا والقناعة بما حصل معه وله ، ثم انتشر خبر في تلك الجزيرة برغبة الملك العظيم بربار بغزو الشرق والوصول للهند والسند والصين، وبدأ أعوان وأنصار بربار ينقلون إليه أخبار وتعليقات الناس على هذه الحملة، وأتته رسالة من الملكة سونيا تذكره بنفسها وخدمته لها ورغبتها في لقائه، فرحب بذلك فحضرت واستقبلها الملك بربار ، فهنأته بالملك والعز والجاه ، ودار بينهما حديث عن أيام مدينة الغرام وعن أيام مجيئها لمالونيا ، وختمت حديث الذكريات بأن عرضت نفسها عليه زوجة ، فضحك من عرضها وقال باسما : أين سرياني أيتها الأميرة .. لقد علمت أنه كان معك في مدينة الملك بدوان ؟

ضحكت مجارية للملك ، وغيظ يملأ صدرها لغمز بربار بعشقها وقالت : لقد تركني وهرب لما انهزم الملك بدوان أيها الفارس .. عفوا أيها الملك العظيم .

فلم يعر همز سونيا اهتماما بل قال : أميرة سونيا .. لقد علمت أن الملك نابولي قتل سرياني ما الذي حدث بعد ذلك وكيف نجا؟

فقالت باسمة : فعلا هذا ما ظنه نابولي الغاضب ، طعنه بالخنجر في صدره ، وأنا قد أغمي عليّ وخرج ينادي على الجنود ليقذفوه في النهر ، فاستيقظ سرياني وقال لي ـ وأنا قد عاد لي الوعي في

تلك اللحظات ـ أنا لم أمت يا سونيا .. أنقذيني فلما حضر الجنود أمرتهم بنقله إلى كوخ في آخر



القصر ففعلوا ، وقد كافأتهم بخاتمي الماسي ، وهربت به إلى مدينة قريبة وشفي بعد حين ، ثم سرنا إلى الملك بدوان وحرضناه على قتال الملك نابولي .. وحصل بعد ذلك ما تعرفه أيها الملك العظيم .

فقال بربار : وأين هو الآن ؟

ابتسمت وهزت كتفيها قائلة : لا أدري .. أيها الملك .. ألا ترغب بي زوجة ؟

فقال الملك : ولكني أعرفك جيدا أيتها الأميرة .. فلنبق أصدقاء خيرا لنا ، ولا تنسي أنني ورثت العرش من زوجك البطل نابولي .. فالأفضل أن تبحثي عن عشيقك سرياني وتتزوجيه وتعودين لمدينة الغرام عند والدك جليان.

فقهقهت ساخرة من تعليمات بربار وقالت : ويلك إنك تتكلم كالملوك العظام يا بربار كأنك نسيت من كنت !

فقال هازئا من غمزها: ألست ملكا عظيما أيتها الأميرة ؟! هل أحد حكم الجزيرة الكبرى قبلي غير نابولي الملك ؟! انصرفي وابحثي عن سرياني فقد عفوت عنه ـ رغم أنني لا أحب الخيانة بكل صورها ـ واسكنا مدينة الغرام .. فأنا ذاهب لغزو الشرق قريبا بإذن الله .

أمر بربار بتجهيز مراكب لتحمل مائة ألف فارس إلى بلاد الشرق ، وطلب من ملوك الجزيرة الدعوة لهذه الحملة وإرسال من يرغب للمشاركة في هذه الحملة إلى مالونيا للالتحاق بجيش الإمبراطورية ، وتقرر أن يكون الأمير الفارس ملاريون نائبا للملك بربار أثناء هذه الحملة الضخمة ، ومعه مجموعة من القادة المعروفين للناس ، وبعد تمنع رضخ ملاريون لرغبة الملك في البقاء نائبا له ، وقيادة تلك الأمم أثناء غيابه ، وقبل السفر بأيام تزوج الملك بربار من أخت الأمير ملاريون سياسة ، ومكث عندها بضعة أيام ، وأوصاها على حسن إدارة المملكة الكبيرة ، وكانت الملكة راغبة بالسفر معه فتأسف لها عن ذلك وحذرها من الغدر والخيانة ، وقص عليها قصة الملكة سونيا وعشيقها سرياني محذرا لها من الزنا والعشق ، ولما اكتمل الجيش والمراكب والخيل والفرسان سارت بهم السفن في عرض البحر نحو الشرق ، وبعد شهر كانوا قد وصلوا شواطئ مصر بلاد النيل ، فكتب الملك بربار رسالة لملوكها وسلاطينها ، جاء فيها بعد التحية والسلام والإكرام أيها الملوك العظام

نحن لا نريد غزو بلادكم فلتطمئن قلوبكم ، إنما نحن راغبون بالمرور نحو الشرق إلى بلاد الهند والسند والصين ، فنرجوكم تيسير ذلك لنا ، وإن أبيتم ذلك فالقتال يفصل بيننا ورسولنا سيوضح لكم الأمر مفصلا وختمت الرسالة بختم الملك ملك جزيرة البحر الكبرى الملك العظيم برбار .

استمع كبير ملوك مصر وبلاد النيل والسودان والأحباش في ذلك الزمان لوفد الملك برбار ، وتليت على مسامعه الرسالة الملكية، وكان بعض أخبار الملك برбار قد وصلت لتلك البلاد بواسطة التجار والبحارة ، فطلب السلطان الأكبر منهم مهلة للتشاور ، ورحب بالوفد وأرسلهم لدور الضيافة ثلاثة أيام ، واجتمع السلطان المصري بقادته ومعاونيه ووزرائه ، وكان على رأسهم شاب دون الثلاثين من العمر قائد وفارس ووزير في نفس الحين يسمى بالذئب برهان ، واستمع السلطان لهم جميعهم حتى أتى دور الذئب برهان فقال : أيها السلطان هذا بطل مغوار وفارس كرار ، وكما سمعت عنه فأنه قد خاض حروبا كبارا ، وتسلطن على الجزيرة البحرية بقوة الرمح والسنان ، ونحن حقا نملك فرسانا وأبطالا لا يهابون الموت ولا يرغبون بالحياة ؛ ولكن الكثرة قد تغلب الشجاعة ، وبما أنهم لا يرغبون في حربنا وإنما يقصدون العبور لفلسطين متجهين للشرق ، فإذا كان هذا قصدهم فهذا خير لنا ، وكذلك تجنيب البلاد والناس من أهوال الحرب والدمار ، فلنلتقي بملكهم ونسمع منه على الرحب والسعة .

وبعد أن استمع السلطان لجميع الآراء أعجبه قول الذئب برهان ومن قال مثله ، فاستدعى الوفد وتحدث معهم الذئب برهان قائلا : أيها السادة نرحب بكم في بلادنا ، ولسوف نسمح لكم بالمرور نحو الشام وتلك الديار مع الضيافة إذا حضر ملككم للاجتماع بمولانا السلطان زدياب والاتفاق معه على مدة العبور والمكث في البلاد وعدم الاعتداء على أموال الناس فهذا هو الشرط والجواب .

ورافق الوفد جماعة من سادة البلاد بينهم الذئب برهان لمقابلة الملك برбار ويدعونه للقاء السلطان زدياب ، وكان برбار ما زال على شواطئ مصر ينتظر الجواب ، استمع برбار لأقوال الوفد ، واستعد لاستقبال الوفد المصري على متن أكبر سفينة في المراكب التي أتى بها من بلاده وصعد الذئب برهان وبرفقته الوفد إلى السفينة واستقبلهم الملك ، ولما نظر الفارس للذئب برهان خفق قلبه كثيرا ، ولما صافحه زاد الخفقان وهمس قائلا لنفسه : كأنه أخي ذؤيب ما تغير شكله كثيرا؛ ولكنه بشارب ولحية ، وما زال نحيف العظام واللحم ما اسمه يا ترى ؟!

ولما سمع المترجم يقول : رئيس وفد السلطان الفارس الوزير الذئب برهان .

قفز الملك عن سريره وتملل وهمس مخاطبا نفسه : ذئب .. ذؤيب .. آه أكاد أن أقول أخي ذؤيب لعله هو بل كيف سأتحدث بلغته ؟!.. صبرا أيها الفارس صبرا .

أصغى الملك لعرض سلطان مصر وقال لهم : أنتم في ضيافتنا .. ودعوني أفكر بلقاء ملككم زدياب.

بعدما فكر برباز وشاور القادة وافق على زيارة سلطان مصر ، فأذن الوزير الذئب برهان بنزول الجيوش على بر مصر والمسير نحو الشام ، وأوصى الملك برباز بعدم العبث بأملاك الناس وأغنامهم ونسائهم ، وتركوا السفن وبحارتها وحرسا عليها ، ومكثوا في ربوعها ثلاثة أشهر حتى وصلوا أطراف فلسطين ، وازداد برباز تعلقا بالفارس الذئب برهان ، وأحب أن يعرف منه عادات وطباع أهل النيل ، وعرض عليه صحبته للشرق ، وافق الذئب برهان على هذه المشاركة إذا وافق ولم يمانع الملك السلطان زدياب ، وكان الملك قد أحب أهل هذه البلدة ولا سيما السلطان وكثير من الأمراء ، وطلب من الملك زدياب عدة آلاف من الفرسان للمشاركة في الحرب معه ، فوافق السلطان وأذن لوزيره الصغير بمرافقة الحملة طمعا بالأموال والجواهر والتوابل من بلاد الشرق الساحر، ولما اكتمل تقدم جنود برباز نحو فلسطين تحرك بمن بقي معه ورافقهم السلطان المصري إلى أطراف المدينة ، وودعهم وأوصى الملك برباز على وزيره وجنوده المصريين ، ولما دخل برباز الشام استطاع بواسطة المصريين الاتصال بأمراء الشام حكام تلك البلاد ليخبروهم برغبة الجنود الغزاة العبور من بلادهم نحو الهند والسند ، ولا يريدون غزوهم ونهب خيرات بلادهم ، فوافق أمراء المدن واستقبلوا الجيوش بالترحاب والسلام حتى وصل الملك برباز عاصمة الشام دمشق ، فرحب به أميرها وأحسن وفادته ، واستمر السير حتى نزل الملك برباز مدينة الأحلام ، فبرباز ما زال يذكر أن أخاه صقير قد بيع في هذه المدينة ، وما زال رسم ذاك الرجل الذي اشتراه في مخيلته إنه أحد التجار ، خرج أعيان البلد للترحيب بهذا القادم المغامر الذي أقبل من الجزيرة الكبرى ليغزو الهند والسند والصين .

بعد الترحيب والاستقبال الحسن للملك برباز وأمرائه ، دخل الملك وحاشيته وحكماؤه المدينة في ضيافة أميرها ، ونزل الجنود على أطرافها وقد صدرت إليهم الأوامر بعدم الاعتداء على أموال الرعية والناس ، وعليهم التزام السكينة والراحة وعدم التحرش بالخلق ، وطلب الملك برباز من صاحب هذه المدينة أن يجمع له كل تجار البلد

ليراهم ، مدعيا أنه قد التقى ذات يوم بتاجر من أهل هذه المدينة لا يذكر اسمه ويرغب أن يراه ، فاستجاب الأمير لرغبة الملك بربار وجمع له أغلب تجار البلده ليراهم ويتعرف على التاجر الذي يبحث عنه ، وله معه ذكريات ، ويريد أن يكافئه لمعروف صنعه له قديما من أيام الصبا .. حضر التجار وكبيرهم للسلام على الملك الضيف ، فقام بمصافحتهم كلهم ، ولما انتهى من رؤياهم قال لكبيرهم : هل بقي أحد لم أره فإن صاحبي ليس بينكم .. لا أذكر اسمه غاب عن قلبي ؟

فقال كبير التجار : أيها الملك العظيم ! لم يتخلف أحد فقد حضر الكبير والصغير .. صف لي صاحبك لعلي أعرفه !

ذكر بربار صفة للرجل الذي يتخيله منذ أكثر من عشرين سنة ، فقال كبير التجار : لا أدري من هو صاحب هذه الصورة ؟! .. كم سنة مضت على هذه الصورة ؟!

ضحك بربار وقال : كان عمري يومذاك عشر سنوات عندما دخلت هذه المدينة .. أكثر من عشرين أيها التاجر .. لعله قد هلك .

تبسم التاجر وقال : أجل .. هذا عمر يا مولاي !

تحرج بربار أن يذكر قصة طفولته لهؤلاء الناس بأنه كان غلاما رقيقا مخطوفا ، وأن أخا له بيع هنا ، وكان يسمى صقيرا ، فعاد يقول للتاجر : أريد أن أرى تاجرا منذ عشرين سنة يعمل في هذه المدينة لأساله عن صاحبي؟

وأمر الملك بالهدايا السخية للتجار وكبيرهم ، فسر هؤلاء القوم بعطايا الملك بربار وكرمه ، ثم عاد كبير التجار برجل كبير في السن ترك التجارة قديما ، وسأله بربار عن صقير فأنكر الرجل معرفته لهذا الاسم في هذه البلدة ، واجتهد بربار للوصول إلى أخيه صقير ، فوجد الأمر محالا وصعبا ، حتى أن الأمر أثار حكماء وعلماء الملك فسألوه عن الأمر وعما يبحث ، فذكر لهم أن له حاجة في هذه المدينة ولم يسهب في تفصيلها ، وقبل مغادرة المدينة الهادئة مرض الملك بربار، واشتد عليه السقم فخاف القادة والعسكر من هلاكه ، وقد جاءت الأخبار من الجزيرة الكبرى بالثورات على نائب الملك ملاريون ، فانزعج الناس والجيش وقام أطباء الملك بمعالجته فلم يتحقق له الشفاء على أيديهم ، فدخل أمير مدينة الأحلام على الملك بربار عندما رأى عجز أطبائه بدوائه ، وذكر له أن عندهم قاضيا طبيبا ماهرا إذا أحب الملك رؤيته لمعالجته ، فأذن بربار للقاضي الطبيب بالدخول عليه، فحضر شاب صغير ، وهو قاضي الأمير وطبيب أهل المدينة فقد تعلم بعض فنون الطب واشتهر بين الناس بذلك ، فدخل الطبيب على الملك المريض ، وتحدث معه ، وجس نبضه ، وكشف عن

صدره ، وقام بوصف دواء له غير معروف عند أطباء الملك والجند ، وقدر الله الشافي له العافية على يد الطبيب القاضي ، وتماثل الملك للشفاء بعد حين ، فدب الفرح في الجند والعساكر والأمراء والقادة ، وأثنوا على براعة الطبيب كثيرا .



ولما عادت الحياة والعافية للملك بربار، وتحسنت صحته أخبره وزيره الأكبر بأخبار المملكة فتنهد بربار وقال : لابد من غزو الهند والسند قبل العودة لتأديب المارقين فغدا ليتقدم الجيش.

وكتب رسالة مطولة للأمير ملاريون ، وشرح له فيها أحواله ، ووضع له خطوات محاربة التمرد وعدم الاشتباك الحاسم معهم حتى يعود من الهند ، وكتب رسالة رقيقة لزوجته سنديانة ، وذكر لها فيها أخبار سفره ومرضه ، وقبل الرحيل طلب الملك بربار من أمير مدينة الأحلام أن يهبه الطبيب القاضي ذهب النهار ليرافقه في الحملة ليتعلم منه أطباء بلاده ، وبعد جدل ونقاش مع الأمير والقاضي وأمام ضغط بربار الملك وحاجته لطبيب بارع رضخ ذهب النهار لمرافقة الحملة وعندما يعودون يعود لمدينته ، وكان الملك بربار قد كافأه بأموال كثيرة ، فأثنى بربار على أمير المدينة ، وأعطاه الكثير من الأموال مقابل هذه الضيافة الطويلة والصبر على آذاهم وإزعاجهم أكثر من شهر ، ثم سافر الملك وحاشيته ولحقوا بالجيش استمر زحف جيش بربار من بلد إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى حتى دخلوا ممالك الهند والسند دون معارك كبيرة ، فكتب الملك بربار رسالة لملك الهند الأكبر يطلب منه الخضوع لحكمه وملكه حفاظا على حياة شعبه ودوام ملكه على ممالك الهند التابعة له ، وبلاد الهند كانت لعدد كبير من الملوك ، وكان الملك طرخان أكبر ملوك الهند ، وكان ملكا جبارا وفارسا مغوارا ، فجاءت الرسالة إليه، فلما تسلمها غضب وسخر من هذا الغازي ، واتصل بأصدقائه من ملوك تلك البلاد واتفقوا على محاربة ملك الجزيرة الكبرى ، ومنعه من اجتياز بلاد الهند إلى السند والصين ، فرد الملك طرخان على الملك بربار باستهتار واحتقار وطلب منه العودة لبلاده بدون تأخير ، وأن يدع ما يحمل من الأموال والجواهر غنيمة لابطال الهند ، اجتمع الملك بربار بقادة جيشه واستمع لأقوالهم، ثم جمع مستشاريه وعلماءه وقضاته وفرسانه الكبار فكلهم وافقوه على الحرب والقتال وتدمير هذه البلاد وكسب خيراتها وكنوزها وترك غزو بلاد الصين البعيدة ، ثم العودة للبلاد لإخماد الثورات والعصيان ، فوافق بربار على ذلك وكتب رسالة شديدة الوقع

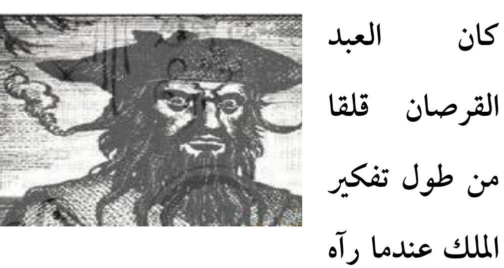
للملك طرخان ويحقره فيها ، ويتوعده ، ويطلب منه أن يجهز له ابنته ريهان للزواج دون إمهال ، وكان بربار يجري المراسلات بينه وبين طرخان ليستريح العساكر من تعب الرحيل ، ويستعد القادة لمعرفة البلاد ويضعوا الخطط المطلوبة ، والتقت جيوش الشمال مع جيوش الهنود وجرت معارك عنيفة ومخيفة ، واستمرت شهور ضعف على أثرها صبر جيش طرخان، وعاد أنصاره لمدنهم يتحصنون بها ، وعاد طرخان لعاصمة ملكه هو الآخر يتحصن بها وأغلقت أبوابها ، فضرب الملك بربار عليها الحصار وبدأ يرسل القادة والجنود إلى مدن أخرى فقاتلوها أشد القتال ، حتى استسلمت له الكثير من الممالك والاقيال وخضعوا لسلطانه وجبروته ، ثم ضاق أهل مدينة طرخان من طول الحصار وسقوط كثير من المدن بيد بربار فطلبوا من ملكهم إما أن يخرج لقتال عدوه أو أن يسلم البلاد له بشروط مناسبة فلم يعودوا يطيقون الحصار ، فأرسل الملك طرخان رسالة للملك بربار يطلب منه الصلح ، وأن يهديه ابنته ريهان حليلة له ، وجرى تفاوض وكلام استسلم على أثره الملك طرخان للملك بربار ، وتم الصلح بين الملكين وأهديت الأميرة ريهان بأحلى الثياب والجمال والجواهر للملك بربار فأنزلها مع نساء الأمراء والفرسان ، وأعلمها أنه سيدخل بها عندما يصل مملكته وتتوج ملكة ـ وفعل ذلك خوفا وحذرا من غدرها وتواطئها ضده ، فقد فقد لها اخوة وأقارب خلال المعارك الطاحنة بينهم ـ ثم أحاطها بالحرس والعيون ، وتابع الملك بربار فتحه لبلاد الهند والسند حتى خضعت له أكثر تلك الممالك ، وتزوج الأمراء والفرسان من بنات أمراء وملوك تلك الممالك الكثيرة ، ثم جعل كل عدد من الممالك تخضع إلى ملك كبير مسؤول أمامه عن جمع الأموال وإرسالها له في الجزيرة الكبرى ، وبعدما رتب الملك بربار أمر تلك الممالك ، وحذرهم من الغدر والخيانة ، وأخذ عليهم المواثيق والعهود على الوفاء ، أعلمهم برغبته للعودة لعاصمة ملكه مالونيا ، واجتمع بطرخان من جديد قبل عودته للغرب وقال له : إن غدرتم وعدت إليكم سأدمر ممالككم تدميرا تاما الحجارة والناس ولنبق أصدقاء وأصهارا.



أخت الملك بربار

وبينما بربار يستعد للعودة لبلاده ، وقد صرف نظرا عن غزو بلاد الصين بلاد أقصى الأرض ، وقد جمع بين يديه الكثير من الأموال والهدايا والجواهر والخيل والبغال والأفيال والعاج والديباج والبهار

، وبينما الملك بربار على هذا الحال دخل عليه الحاجب يعلمه أن رجلا يرغب ببيعه جارية حسناء لا مثيل لها في الدنيا، ويريد أن يقابله من أجل ذلك ، ولقد كان جيش بربار قد أخذ كثيرا من الجواري والسبايا خلال هذه الحروب ، وكثير من هؤلاء الجواري والغلمان آثروا البقاء في جيش بربار والرحيل معه ، وكان بربار يجلس في مجلس عظيم بين رجاله وضيوفه عندما أخبره الحاجب ببائع الرقيق الذي يريد أن يبيعه أجمل جارية في الدنيا ، فأمر الملك بإدخاله ليرى أجمل جارية في الدنيا ، دخل تاجر الرقيق ليبيع جاريته للملك بربار ؛ فإذا هو عبد ضخم أسمر ، وقد شاب رأسه ولحيته الكثة ، وعندما أصبح العبد التاجر بين يديه ونظره ، عاد الملك بالذكريات للوراء قبل ربع قرن انقضى ، تذكر طفولته تذكر قريته بيت الصبار .. الصراخ والصياح والدماء والأنين والخطف .. تذكر بهرام أباه .. تذكر أمه الثكلى وهي تشد وتسحب بهم من الخاطفين الأطفال .. تذكر سراجة .. تذكر ذؤيبا وصقيرا تذكر البحر والسفن وإلقاء الأطفال الضعفاء في البحر .. تذكر كل تلك الصور الرهيبة .. لم ينس تلك الصور.. طال سكوت الملك على تحية الرجل ، حتى أن جلساء الملك ظنوا أن الملك لم يسمعه وذهب في تفكير عميق ، فقال الملك بعدما دار شريط الذكريات في مخيلته فقال : أيكون هذا درغال ؟! يا الله ! لم أنس اسمه .. ووجهه وجه وحش.. ذاك الوحش الأسود رغم قساوة تلك الأيام فهي كانت السبب لما أنا فيه الآن من الملك العظيم.. لو لم يخطفني ويبيعني لتجار الرقيق لما صرت الملك العظيم بربار .. ولكن كثيرا من الذين تعرضوا لإجرامه لم يصبحوا سادة وملوكا ..ألم يفرق بين الآباء والأبناء والأمهات والبنات ؟! .. ألم ييتم الأطفال ويرمل النساء ؟ .. الحرب ألا تيتم الأطفال وترمل النساء؟! .. حياة .. حكمة .. لو لم أبعد عن أسرتي وأهلي ما كبرت هذا الكبر والعلو .. هذه الأفكار وغيرها دارت في رأس بربار عندما شاهد العبد الأسمر القرصان درغال تعجب الحضور لصمت الملك الطويل، ولزموا الصمت مثله فقد أدركوا أن الملك انشغل ذهنه بأمر مهم ، فلما عاد الملك الفارس بربار للواقع وأدرك دهشة القوم قال للعبد : أين الجارية ؟ ولماذا تريد أن تخصني بها ؟!



كان العبد القرصان قلقا من طول تفكير الملك عندما رآه ، وشعر بأن قلبه سقط على الارض ، فلما نطق الملك بالسؤال سري عنه الخوف المجهول ، ورد

قائلا : قالوا لي إنك تشتري بثمن غال وتدفع بسخاء.. وجاريتي جارية جميلة ، بل هي زوجة أمير ، وقد خطفتها حديثا ، ولما سمعت بك وبأخبارك فأحببت أن أخصك بها فهي لا تصلح إلا لك .. فهي معلمة ومؤدبة وذكية فأحببت أن أكرمك بها .

كان بربار يعرف الوحش درغال فقد مكث أياما في سفينته أثناء خطفه ، ولولا ذلك لظن أن هذه دسيسة ؛ وإنما هو خاطف ورجل بيع رقيق ، فسمع الجميع بربار يقول بصوت ناعم حاد: أيها الوحش الأسود.. أحضرها لنراها ونرى حسنها !

أشار درغال لأحد رجاله بأن يدخل بالجارية بين يدي الملك ، فدخلت الجارية الجميلة كئيبة حزينة فأشار لها درغال أن تتقدم وتقبل يدي الملك ورجليه، وأخذت بالبكاء فنهرها درغال وقال : تأدبي أيتها الحسناء أمام ملك الدنيا الملك بربار العظيم !

رق قلب الملك لدموع الجارية لسبب لا يعلمه ، فمسح دموعها بيديه أمام دهشة الجميع ، ثم قال مهدئا من روعها : لا تخافي أيتها الفتاة ! نحن لسنا وحوشا مثل جلادك الوحش .. ولن تبقي مع هذا الإنسان الوحش .. ما قصتك ؟

فقال العبد : يا مولاي العظيم ! قبل أن تسمع قصتها هب لي ثمنها .

فقال الملك بهدوء : اصبر واصمت أيها الوحش .. لن نبخسك حقك .. فأنا أعرفك جيدا ..

منذ أكثر من خمس وعشرين سنة.. بيني وبينك حساب كبير .. عندما رأيتك عندما دخلت علينا تذكرتك أيها القرصان ! تذكرت جبروتك ووحشيتك وقتلك للأطفال من غير عطف ولا رحمة .. تذكرت القرصان الوحش .. عادت بي الذكريات للوراء .. لتلك السفينة التي تملكها لصيد الاطفال .. لتلك القرى التي تغزوها برجالك ..إنني أعرفك جيدا .

استغرب السامعون لهذا الكلام ، بربار الملك ومعرفته القديمة لهذا التاجر، وانزعج الوحش الأسود لهذا الكلام الذي لم يفقه منه شيئا ، ولا يعلم كيف يعرفه هذا الملك منذ ربع قرن مضى لم يلتق بهذا الملك قبل اليوم !.. فهذه أول مرة يدخل عليه !.. حدق الوزير الذئب برهان بعيني بربار لحظات ثم قال للملك : أيها الملك العظيم بربار .. أنا أيضا أعرف هذا الإنسان ، ولم أنس رسمه في حياتي !

جفل الملك لهذا التصريح ، وتبادل مع ذؤيب النظرات العميقة ، وتذكر لقاءه به في مصر أول مرة ، وتذكره يومها لأخيه ذؤيب ، وبينما هما يتبادلان النظرات بدهشة وتعجب ، سمعوا القاضي الطبيب ذهب النهار يقول بدهشة : وأنا أيها القوم

الكرام أعرف هاتين العينين وأذكر هذا الرجل في تلك الأيام الخوالي .. في تلك السفينة وقتله للأطفال وبيعه للأحياء الأصحاء .

فحدق القوم بصقير ذهب النهار وقال بربار همسا كأنه حالم : صقير .. ذؤيب .. أسيد ..

فهتف صقير : هذا اسمي قديما وأنا ابن خمس سنوات أو أكثر قليلا !

وصاح ذؤيب : وأنا اسمي ذؤيب وأنا صبي !

تعانق الرجال الثلاثة ، واحتضنوا بعضهم بعضا

وصاح الملك : وأنا أسيد بن بهرام.

وارتفع البكاء والشهقات والزفرات بينهم لهذه المفاجأة الغريبة ، فرقهم درغال ، وجمعهم لقاء درغال ، وسمع الحاضرون الملك يقول : نحن اخوة فرقنا هذا الوحش عندما كنا صغارا .. وها هو اللعين يجمعنا من جديد !

وكان العبد القرصان حائرا بما يرى ويسمع ؛ ولكنه سمع الفارس يقول : ألست ذاك الوحش درغال ؟

صاح العبد أمام الملك : نعم أيها الملك العظيم أنا خادمك درغال .

طلب الملك من الجميع الجلوس ، وأشار للفتاة بالجلوس بالقرب منه وقال : أيها السادة سأذكر لكم قصتنا نحن الثلاثة مع هذا الوحش .. فهؤلاء اخوتي من أمي وأبي .. فهذا أخي ذؤيب ، وهذا أخي صقير ، ولله الحمد والمنة .. فجلس الأمراء بعدما هنئوا الاخوة على هذا اللقاء الغريب ، وبدءوا يسمعون لقصة الملك بربار وتعجبوا منها غاية العجب ، وتعجبوا للأقدار التي جمعتهم بعدما فرقت بينهم من سنوات طوال، ولما انتهى الملك من سرد قصته صاحت الفتاة الشابة الجارية قائلة: أنت أخي أيها الملك العظيم .. أنا أختك .. أمي سراجة وأبي بهرام !

وسقطت مغميا عليها ، تبادل الاخوة الثلاث النظرات والسؤال الذي تردد على شفاههم هل لنا أخت حقا ؟! هرعت جواري الملك وأخذن الفتاه لعلاجها ، وانتشر الخبر بين خيام الجيش أن الملك وجد اخوته الذين فقدهم وهو طفل صغير، ولحق القاضي الطبيب بالفتاة للقيام بعلاجها ومراقبتها من الصدمة التي ألمت بها ، وأمر الملك بربار بحبس درغال ورجاله حتى يستمع لقصة الفتاة التي تزعم أنها أخته ، ولما استردت الفتاة قواها أتى بها صقير المذهول إلى صيوان الملك بربار، والذين كانوا في الانتظار لسماع حكاية الفتاة ، وكان حوله الحكماء والشعراء والقادة وكبار الفرسان والضيوف من الأمراء والملوك، فقالت البنت أمام الجميع : نعم ، إنكم أهلي يا سيدي الملك .. أنا أختكم .. بعد أن دمر الوحش درغال القرية، ونهب وسلب كما حدثني والدي في ذلك الزمان ، وساقكم

الوحوش إلى البحر .. وقد أصيبت أمي بطعنة سكين وهي تحاول منعهم من سرقتكم لكنها لم تكن قاتلة ، ونجا الوالد من قبضتهم ، عاد بهرام الهارب يلملم جراحه ، فوجد أمي سراجة مصابة فداواها وأنقذ حياتها واعتنى بها حتى تعافت ، وكانت أمي حامل بي ، فأخبرت زوجها بذلك ، ففرح لهذا الخبر بعدما فقد أحبابه الثلاثة ، وبعد ولادتها سافر ورحل عن القرية نحو المدينة الكبيرة ، ترك قرية بيت الصبار التي تعرفها يا أخي الملك فنزل بمدينة الجدول ، وكان حزينا جدا على فقدكم وضياعكم ، وما زال يلهج بذكركم وحبكم ويحلم برؤيتكم ولقائكم قبل موته ، وعاش في مدينة الجدول بكوخ حقير في طرف البلدة ، وكان في النهار يذهب للعمل في قلب المدينة ، وفي المساء يعود لنا بالطعام والشراب إلى أن كبرت وترعررت ، ولم تنجب أمي بعدي أحدا ، وكانت أمي تحب القرية

وتحاول إعادته للقرية ، فيأبى ويصر على البقاء في المدينة والحياة القاسية في مدينة الجدول .

كان الملك واخوته يسمعون القصة وهم يبكون بقلوب حرة ، وتنساب دموعهم على لحاهم بغزارة .. لعذاب والدهم وشقائه عليهم.. عادت الفتاة تقول : المهم كبرت يا أخي وذقت حرارة الفقر والجوع والحرمان ككل أبناء الفقراء .. وكنت وأمي نسير نحو الغابة القريبة لنتحصل على الحطب وبعض الثمار والأعشاب فيذهب بها بهرام للمدينة لبيعها ، فلما صرت ابنة خمس عشرة سنة وذات يوم ونحن في الغابة نخرج الأعشاب البرية والحطب ، وكنا في ثياب رثة ، دخل الغابة علينا شاب جميل نبيل عرفنا فيما بعد أنه ابن أمير المدينة ومعه بعض أعوانه ، فتحدث معنا واستمع لنا ولحالنا ورثى لنا وأشفق علينا من الفقر وقسوة العيش ، فأكرما بالطعام الطيب ، وطلب من أمي أن تبعثني مع أبي للقصر للعمل في قصر الملك الأمير وحيد العصر بن عمران ، فرضيت بذلك العمل لأنني سوف أريح والدي وأمي من عناء العمل وبيع الحطب والأعشاب ، فلماء عاد بهرام أبي حدثته أمي بلقائنا مع ابن الأمير الحاكم ، فرفض وخاف عليّ من الأمراء وشطار المدينة أثناء الذهاب والإياب ، وبعد أيام أتانا الأمير عامر بنفسه أتى إلى كوخنا الحقير وجلس معنا وأكل من طعامنا وأقنع أبي بعملي في القصر، وأن أبات مع خدم القصر ، وأن يزورني أبي كل يوم ، ويأخذ ما قسم الله لهم من الطعام والطيبات ، وبين الحين والآخر اذهب للمبيت عندهم ليلة أو ليلتين ، المهم دخلت قصر السلطان ورحب بي الخدم والحرس، وبدأت العمل في مطبخ السلطان بطهو الطعام وصنع أزكى الشراب وتنسيق الأزهار

والعناية بطيور السلطان ، وكان الأمير عامر يرعاني ويتابع شأني سنة من الزمان ، ثم أخبرني برغبته بالاقتران بي بعدما تمرنت وتعلمت ، وأعلمني أنني سأصبح أميرة من أميرات البلاد ، وتحدث مع والدي بهرام الذي طار عقله من الفرح والسعادة ، فحمد الرب وشكره على هذه النعمة والإحسان ، وعرض عليه الأمير السكن في داخل المدينة ، فأحب والدي البقاء في طرف المدينة ، فقام الأمير بهدم الكوخ وإنشاء بيت جميل مكانه ، وتزوجت من الأمير عامر ، وتغيرت الأحوال ، وأصبحت من جارية تجمع الحطب في الغابة إلى زوجة ولي العهد ، وظللت أعيش بسعادة وراحة بال في ظل هذا الأمير الطيب الشاب ، وقد وهبني الله عددا من الأبناء ؛ ولكنهم ماتوا دون الفطام إلى أن كنت يوما أنا وبعض الجواري في غابة المدينة مدينة الجدول نمرح ونتنزه ونتفرج على الأشجار العملاقة والأطيار خرج علينا الوحش الكاسر درغال وخطفنا ، ثم أحضرونا إلى هنا أيها الملك لبيعنا لك ، وقد أصابنا من الضرب والصفع والاهانة ما يمزق القلوب ويدميها ، ولي بين أيديهم أكثر من شهر ، وقد أخبروني بأنهم سيبيعوني للملك بربار سلطان الهند الجديد ، وها أنا بين يديك أيها الملك العتيد .. وأنا ابنة بهرام وسراجة الأميرة ورود زوجة الأمير الفارس النبيل عامر بن الملك وحيد العصر بن عمران ملك مدينة الجدول.

بكى كل من سمعها وتأثر بقصتها، ونهض الملك الباكي واحتضنها وقبلها من وجنتيها وجبينها ومسح على رأسها ، وفعل أخواه مثله، ولما انتهت لحظات العواطف الجياشة قال الملك بربار : سنعرج على مدينة الجدول لنكافئ ملكها على معروفه معنا ، ونرى الوالدين الطيبين ، ونقابل صهرنا الأمير الجواد عامر .

واصدر الأمر بكتابة رسالة للملك وحيد العصر وابنه عامر يخبرهم فيها بخبر الأميرة ورود ابنة بهرام وأخت الملك العظيم بربار ، كانت السعادة تغمر الملك بشكل بين للعيان، وأرسل مع الرسالة كوكبة من الفرسان الصناديد ، وطلب منهم الإتيان بوالديه معهم ، وبعث معهم مركبة ملوكية لحملهما ، وأقام الملك مأدبة كبيرة بمناسبة التقائه باخوته ، أطعم فيها الجيش والضيوف حتى تحدث عنها الشعراء والقصاص ، ثم أذن الملك بعدئذ لأخيه صقير القاضي الطبيب ذهب النهار بحكاية قصته ، فلما رفعت الموائد والشراب وقدمت الحلوى والفواكه للناس والجالسين في صيوان الملك الكبير ، وقد أشعلت المواقد والمصابيح ، وتهيأ الجميع للسماع قال الأمير صقير باسما : أنا كنت أصغر اخوتي المخطوفين ، والحق أنني

نسيتها مع تصاريف الليالي والايام ؛ ولم أنس مشهد الوحش الأسود وهو يشير لرجاله بقذف أصحابنا وأبناء قريتنا وغيرها من القرى من أصحاب العاهات والضعف في مياه البحر ليموتوا لم يتركهم يعودوا لأهليهم .. فحادثة قرية الصبار لا يمكن نسيانها .. وأطفال البحر مشاهد لا تنمحي من الذاكرة والعقل بسهولة .. فلما رأيت القرصان الوحش في حضرة الملك عرفته تذكرته .. وكما قال الملك العظيم بربار .. اشتراني تاجر من تجار مدينة الأحلام ، ولابد أنني بكيت على فراق اخوتي ، وقام هذا التاجر بإدخالي الحمام ، وقام غلمان الحمام بتنظيفي وإزالة الأقذار عن بدني وسميت بالغلام ذهب ، وكان هدف التاجر من شرائي هو تربيتي مع ولد للتاجر اسمه نهار يكبرني بسنة أو سنتين ، فسميت فيما بعد بذهب النهار أي أنا خاص لابن التاجر ذهب ، وبعد خمس سنين هلك نهار هذا فحزن الأب عليه ، وخسر في ذلك الحين تجارة كبيرة فباعني لصاحب له يعمل في الطب والحكمة بثمن زهيد ، واهتم بي سيدي الجديد شهبار ، وكان فاضلا يحب الكتب والعلم والطب ورغبني في تعلم هذه الأشياء ، ووجدت لدي قبولا إليها فتعلمت منه مهنته ، ولما اقتربت من العشرين سنة كان الملك يبحث عن قاض لبلدته في تلك الأيام ـ أي بعد عشر سنوات قضيتها بصحبة شهبار ـ وأراد الملك أن يجعل سيدي شهبار قاضيا فاعتذر شهبار ، واختارني له فوافق الملك على اختياره ، فأصبحت قاضيا بعدما اعتقني سيدي من الرق ، وكنت في نفس الوقت أقوم بمداواة المرضى ، وتركيب العلاج لهم لإزالة أوجاعهم وتخفيف آلامهم ، فكنت القاضي الطبيب إلى أن قدر الله لنا أن نلتقي بكم أيها الملك العظيم فهذه قصتي بالتمام والكمال .

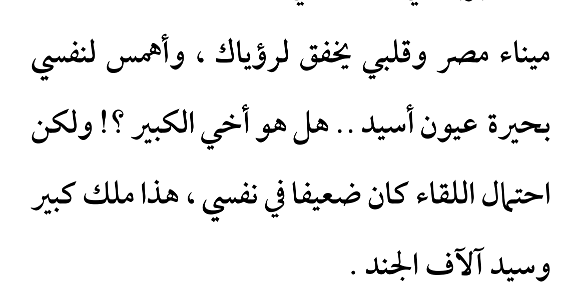
فقال الملك : لقد دهشت لسعة علمك واطلاعك ، وكلما أسأل عنك يقولون لي هو مع كتبه وأعشابه.

فتبسم الأمير صقير وقال : عشقت مهنة سيدي شهبار ، وأخذت شهرته وعلمه وطبه ، وقد مات قبل لقائنا بكم بسنتين ونصف والله اعلم .

فقال بربار : لقد اجتمعت بتجار المدينة جميعهم ، فلم أر التاجر الذي اشتراك ، أتيت مدينة الأحلام للبحث عنك يا أخي .. كنت أظن بأنني لو رأيت ذاك التاجر لعرفته.. إنني أملك ذاكرة قوية بفضل من الرب !

فقال صقير مبينا عدم وجود ذاك التاجر في بلدة الأحلام : أيها الملك بربار بعد أن باعني ذاك التاجر ، وباع كل غلمانه ترك البلدة ورحل بزوجته وابنته إلى العراق ، ولم أره بعدما باعني لصاحبه شهبار فمن أجل هذا لم تره .

فقال بربار سعيدا بأخيه القاضي الطبيب : هذا حكاية أخينا صقير ذهب النهار يا ورود الجميلة فظل أن نسمع حكاية الذئب برهان .. أخونا ذؤيب .



اعتدل الوزير ذؤيب في جلسته وابتسم للجميع وقال : منذ رأيتك أيها الملك بربار في السفينة في ميناء مصر وقلبي يخفق لرؤياك ، وأهمس لنفسي بحيرة عيون أسيد .. هل هو أخي الكبير ؟! ولكن احتمال اللقاء كان ضعيفا في نفسي ، هذا ملك كبير وسيد آلآف الجند .

فقطع بربار الكلام وقال : وأنا أيضا شعرت بهذا الشعور الغامض نحوك ، وقلت صورة أخي لم تتغير إلا الشارب واللحية .. واللغة كانت تفصل بيننا لا أدري كيف أفاتحك بهذا الموضوع الصعب والشاق على النفس فأحببت ـ وقد ذكرت أخي ذؤيبا في شخصك ـ فأحببت رفقتك وصحبتك .. ومن أجل ذلك طلبتك من الملك زدياب لعلي استمع حكايتك أو أجد خيطا يربطني بك إلى أن كان هذا اللقاء العظيم

عاد الذئب برهان يقول : وأنا أحسست بذلك الإحساس الجاذب .. ولكن.. ولكن هل يمكن أن يكون أخي أسيد ذلك الملك العظيم بربار ومن وراء البحار ؟!.. الرق أمره عجيب رغم قسوته ؛ ولكنه يرحل بالإنسان إلى أرض واسعة أنت في الجزيرة الكبرى وراء البحر، أنا في النهر في مصر ، صقير في مدينة الأحلام .. ورجالك الشجعان لا يعرفون عن حياتك الكثير أو لا يحبون الحديث عن أيام عبوديتك .

ضحك بربار وقال : الحق أنهم لا يعرفون الكثير من التفاصيل عن حياتي في الطفولة.. هم عرفوني فارسا دخل مدينة مالونيا حارسا للأميرة سونيا ابنة الملك جليان، ثم شاركت الملك نابولي معاركه الكثيرة ، ثم جعله لي وريثا لملكه هكذا يعرفونني؛ ومؤرخنا العالم بلوح كتب جزءا من سيرة حياتي وهو يؤرخ لحياة الفارس الملك نابولي ، وقد ذكر شيئا عن عبوديتي واسترقاقي في بلاد الغرام ، وأنني من مماليك الملك جليان .. وهذا الرجل لم يخرج معنا في هذه الحملة ، وأما مؤرخو هذه الحملة فهم ثلاثة لم يذكروا كما علمت منهم عن حياتي في بلاد الغرام شيئا يذكر ، هم يكتبون معاركي مع نابولي ، وكيف ورثت هذا الملك العظيم؟ وتحركات هذه الحملة والمعارك التي خضناها في هذه البلاد .. الجميع يعلم أنني من رجال الملك جليان .. تابع قصتك يا أخي الوزير

قال ذؤيب : تذكر عندما افترقنا كنت أنا ابن سبع سنوات ، وقد استرقني رجل يعمل في قصر

سلطان مصر قبل خمس وعشرين سنة ، وكان السلطان والد الملك زدياب فلم يكن زدياب ملكا بعد .. وكان الرجل الذي استرقني من قادة وحرس السلطان فاهتم بي وأدبني وعلمني الفروسية وركوب الخيل ومطاردة الفرسان .. أنا وغيري من الرقيق ، فما بلغت سن الخامسة عشرة حتى اشتد ساعدي وعظمي ، وأصبحت من فرسان القائد ، وكان قد علمني الخط والكتاب فتعلمت ذلك ، وكذلك الخطابة وحسن الكلام ، فلما كبرت ووصل سني الخامسة والعشرون صرت فارسا ومقدما في حاشيته ثم حاشية الملك ، وكان سيدي يدعى السيد برهان وأنا اسمي ذؤيب فسماني الذئب برهان ، واشتهرت بين الأصدقاء والناس بذلك ثم اتخذني ولدا له لأنه كان عقيما ، ولم يرزق بالبنين والبنات ، ثم علا شأنه وأصبح وزيرا عند الملك زدياب بعد وفاة والده ، ثم مات هو بعده بعام وبضعة أشهر ، فلما مات والدي برهان جعلني الملك وزيرا مكانه ، وقد كنت رفيقا وصديقا للملك قبل الملك عندما كنت غلاما في القصر ، فلما حضرت إلى مصر بهذه الجيوش الجرارة وعرضت علينا المرور بسلام درسنا الأمر، وأنا اقترحت عليه حضورك لتوثيق الكلام ، فأوفدني إليك فتعارفنا ، وتجاذبت قلوبنا لبعض ، وما جرى بعدئذ تعرفونه أيها الإخوان خرجت معكم في هذه الحملة إذعانا لرغبة الملك بربار ، فهذه حكايتي أيها الملك العظيم .. ونحن بشوق عظيم أن نسمع حكايتك بالتفصيل يا أسيد الملك وليحضر مؤرخو هذه الحملة ليسمعوها ويجعلوها ضمن صفحات وتاريخ هذه المعارك .

فقال أسيد : أنا أجملت لكم سيرة حياتي ؛ ولكن حبا وكرامة سأفصل لكم بعض الأشياء، وأما الآن فعلينا بالشراب الطيب والعسل الممزوج بروائح العبير .

وبعدما دار الشراب على الملك والأمراء ورجع الهدوء للمكان، واشرأبت الأعناق ، وأصغت الآذان لسماع حكاية الملك بربار ، وكيف أصبح أسيد أسدا وسيدا وامتلك المدن والبلاد والممالك والعباد وسيد من سادات الأرض في ذاك الزمان؟ الفارس بربار مع ما فيه من الملك والعظمة كنت تراه كأنه لم ينس أنه ابن قروي فلاح بسيط ، فذكر لنا بربار كل ما سطرناه في هذه السطور ، فاستمتع السامعون بالحكاية ؛ ولكنها لم تنته أيها الناس الطيبون ، وبعدما انتهى من الكلام أمر أخته بالذهاب إلى المنام وهي مذهولة من حياة الملك ومعاركه الكثيرة في تلك البلاد البعيدة ، وبعد أيام استعد الجيش للرحيل والعودة إلى مصر حيث

السفن والبحارة في الانتظار ، فأتى ملوك الهند والسند لوداعه وتأكيد الولاء لعرشه ، وحثهم على الوفاء وعدم إحراجه بالمجيء مرة أخرى لهذه البلاد ، فوعدوه خيرا وجددوا معه المواثيق ، وتحرك الجيش المنتصر نحو الغرب ، وأثناء العودة عاد فرسانه بأبيه بهرام وأمه سراجة وأتى معهم الأمير عامر وكان لقاء قد تكلمت فيه القلوب والزفرات والتنهدات والقبلات والهمسات ، وسر الجميع بهذا اللقاء الجديد ، وقد تحولت مأساتهم نعمة كبرى عليهم ، وشكروا الباري على كمال تدبيره وترتيبه ، وتابعوا المسير إلى مدينة الجدول ، وخرج الملك وحيد ليستقبل ملك الدنيا بربار العظيم فكان الاستقبال استقبالا كبيرا بين ملك صغير وملك ملك بلاد الغرب وبلاد الشرق ، وأغرق بربار أهل مدينة الجدول وملكها بالهدايا والأموال ، وقدم لهم الشكر وحسن الثناء ، ودعاهم لزيارة الجزيرة الكبرى ، فشكروه ووعدوه بفعل ذلك إذا تيسر الحال ، ثم ودع الأمراء أختهم ورودا التي ظلت على الوفاء لزوجها الأمير والبقاء تحت جناحه ، وقبل مغادرة البلدة أمر بربار بسفك دم القرصان الأسمر درغال ومن معه من الأعوان على ما اقترفت أيديهم من الفساد والدمار ، واستمر المسير نحو مدينة الأحلام .

جزيرة سانتي



رحب بهم أمير مدينة الأحلام ، وبارك لهم الانتصارات في بلاد الهند ، وأولم لهم الولائم ، وسمع قصة القاضي ذهب النهار، وعجب للأقدار ، وهنئه باللقاء بأهله، ورخص له بالرحيل مع أخويه ، ورحلوا للشام ومنها لأرض مصر عند الملك زدياب ، ووهبوه الهدايا والأفيال ، وانفصل من بقي حيا من الجنود المصريين وعادوا لمعسكراتهم وأهليهم ، ومن أحب منهم المسير مع الملك بربار إلى الجزيرة الكبرى أذن لهم السلطان ، وبارك السلطان المصري للملك التقائه باخوته وأهله ، وأرسل الملك رسالة لنائبه ملاريون يعلمه فيها بقرب قدومه ، وأنه في أرض النيل ، ولما تجهزت السفن وارتاحت الجنود من السفر على الدواب والخيل وغيرها أذن الملك بربار بركوب السفن ، فحملت الخيل والدواب والأحمال والأفيال والأموال والسبي والجنود والفرسان ، وودع بربار أهل مصر ، وكان الملك زدياب قد سمع قصة الذئب برهان فأذن له بالرحيل مع أخويه ، وكان وداعه له حارا وكبيرا وهو يقول مودعا : رافقتك السلامة لا تنسانا أيها الوزير !

وتحركت السفن نحو الجزيرة الكبرى ، وانتشر الخبر في الجزيرة الكبرى شرقا وغربا بقرب عودة الملك الفارس بربار مظفرا منتصرا ببلاد الهند ، وانتشر الرعب في قلوب الأمراء والملوك الذين تمردوا على ملاريون ، وأخذوا يرسلون الوفود والهدايا والأموال ويطلبون العفو ويظهرون الندم ولما وصل الملك لسواحل مالونيا خرج كل أهل مالونيا لاستقبال الإمبراطور غازي بلاد الهند والسند ، وكان استقبالا ضخما وهائلا أبكى الملك الفارس وهمس في أذن أخويه أرأيتم ما منحنا الله من النعم والخيرات ؟!

دخل الملك قصره وكان بين يديه القائد ملاريون يكلمه عن أحوال المملكة والإمارات ، فلما

انتهى من كلامه سأله بربار هامسا : أين الملكة يا ملاريون لم أرها في استقبالي ؟!

اصفر وجه ملاريون وقال : سأقول لك كل شيء أيها الملك .

انقلب وجه بربار وقال : حسنا !

فطلب الملك من الملوك والأمراء أن يسمحوا له بالراحة هذا اليوم ، ثم تركهم وخلفه ملاريون نحو جناح النوم ، وخلا الملك بنائبه فعلم منه أخبار ملوك الجزيرة ، وأخبره أن زوجته في السجن فدهش الملك لم سمع فقال له ملاريون : لقد خانتك أيها الملك! ولم تحافظ على شرفها وشرفك فحبستها لترى أمرك فيها وإلا كان باستطاعتي قتلها ودفنها .

فظهر الغضب على وجه وبدن الملك بربار وصاح وهو يتذكر سونيا خائنة نابولي : كيف ؟!

فقال ملاريون : دخلت عليها فجأة ذات ليل لأشاورها في أمر ما ، فوجدت في مخدعها رجلا غريبا ، فتعجبت وارتبت واعتذرت وخرجت وأخذت أراقب هذا الغريب والأميرة ؛ فإذا هما عاشقان فتربصت بهما حتى مسكتهما بالجرم المشهود ، فحبستهما وكتمت أمرهما ريثما ترجع وها أنا قد وضعت الأمر بين يديك .

صمت بربار زمنا مفكرا ثم قال : لا بأس أيها الأمير .. الأمر صعب وشديد على القلب .. وهذا ما جرى قديما لسيدي الملك الباسل نابولي .. في الغد نلتقي ونفكر بالأمر .

ودخل إلى حجرته لينام فهل نام يا ترى ؟!

فكر بربار بموضوع زوجته سنديانة ثم قال مواسيا لنفسه : نساء هذه البلاد لا يحفظن العهد والشرف ، وبعد أيام من استقراره في ملكه اجتمع بالأمير ملاريون نائبه الوفي وقال : سأطلق الأميرة سنديانة ، وسأعفو عنها من أجلك ومن أجل وفائك بخدمتي ، فأحضرها لي الليلة ومعها عشيقها لأنظر إليه ، وأرسل لي رسائل لكل من خرج عن ملكنا ليحضر إلينا ذليلا تائبا حالا .. سأعزل

هؤلاء عن حكم بلادهم وولاياتهم .. وعلينا إعداد جيش ليقوده الأمير ذؤيب إلى جزيرة سانتي في أعماق البحر ..هيئ لي ذلك الأمر .

التقى بربار الملك بجيشه الخاص وتحدث مع قائدهم جرار ، وطلب منه اختيار ألفين من الفرسان للمشاركة في حملة على جزيرة سانتي في أعماق البحر .

ولما دخل الليل وعاد الملك لقصره ، وجد الأمراء والوزراء في انتظاره ، فتشاور معهم في شؤون المملكة وأمر ونهى ، ثم جلس مع الحكماء والعلماء وحضر هذا اللقاء معه الأمير صقير ذهب النهار ، واستمع لقصصهم وعلمهم حتى نصف الليل ، فلما انصرفوا أحضر له الأمير ملاريون أخته سنديانة وعشيقها فوجده رجلا مغمورا ؛ ولكن للنساء في عشقهن فنون ، فتقدمت الملكة منه تعتذر إليه ، وقد انطرحت أرضا تقبل قدميه ، فقال لها باحتقار : أنت التي رغبت بي زوجا فلن أقتلك أيتها الأميرة ! أنا لا أحب قتل النساء .. وقد طلقتك فاذهبي أنت وعشيقك إلى أي مكان في المملكة .. فقد عفوت عنكما من أجل الأمير ملاريون .

فأبدى الأمير امتنانه وشكره للفارس ثم قال بحدة : أنا سأقتلها يا ملك الدنيا .

فقال بربار : لا تفعل أيها الأمير ..اعف عنهما من أجلي وزوجها ، وأعلن في الملأ أنني سأتزوج من الأميرة ريهان ابنة الملك طرخان لنجرب وفاء نساء الشرق .

فقال ملاريون : أيها الملك إنها جرحت شرفي وكرامتي .. ولولا خشية غضبك عليّ لسفكت دمها منذ اكتشفت خيانتها .

فقال بربار : لا تفكر هكذا ، فهي امرأة جاهلة تصرفت عن جهل وعشق ، والنساء كثير .. فدعهما ينعمان بحبهما .



احتفلت البلاد بزواج الملك بربار من ملكة الهند ريهان التي انتظرت هذه الشهور على نار الشوق والقلق ، وفرحت بزواجها من هذا الملك العظيم ، وأتت الملوك والوفود مهنئة للملك بعروسه وأتته الهدايا من الشرق والغرب ، وبعدما تزوج الملك وعزل من تمرد على ملكه إما بالنفي أو الحبس ، فأشهر للناس بأنه يريد إرسال حملة لاحتلال جزيرة سانتي فهي جزيرة غنية ومليئة بالذهب والمرجان والمعادن ، وكان بربار قبل حملته للشرق قد طلب من أهلها الخضوع لملكه فرفضوا ، فلما رجع ظافرا ظلت في نفسه هذه الجزيرة ، فجدد مخاطبتهم من جديد ، وحثهم على الخضوع ، فرفض ملكها بشدة

الخضوع لمملكة مالونيا ، مما زاد من غضب بربار عليها وحنقه ، وعجب كذلك من شجاعتهم من عدم الانبهار بالقوة التي يملكها، فجهز جيشا من عشرين ألف فارس بقيادة الأمير ذؤيب الفارس الذئب برهان فارس بلاد النيل ، وجرى إعداد السفن ، وجرى وداع كبير لهذا الجيش ، وركبوا السفن والقوارب واتجهوا إلى جزيرة سانتي في البحر العميق ، الجزيرة الغنية بالثروات الذهبية والمرجان، ويحتاج الوصول لهذه الجزيرة أكثر من عشرين ليلة مع موافقة الريح لاتجاه السفن ، كان الناس في مالونيا واثقين من انتصار جيوشهم الكبيرة والقوية على أهل الجزيرة البحرية ، بعد عشرة أيام من السير في أعماق البحار حدثت معركة ، كان ملك جزيرة سانتي قد علم بهذه الحركة وهذه الحملة ، فاستأجر مغامرين وقراصنة بحار وأغراهم بالمال والخمر ليعملوا كمينا لجيش الذئب برهان في وسط البحر قبل وصولهم للجزيرة ، وفي وسط الظلام اعترض هؤلاء المرتزقة السفن وهاجموها بالنار والنفط ، فوقعت كارثة لجيش بربار أمام هذه المفاجأة ، وغرقت كثير من السفن بمن فيها من الفرسان والرجال ، ومن نجا من الغرق سقط في قبضة القرصان فأوثقوا بالحبال ، وجروا جر الحيوان ، وبيعوا في الجزر وبلاد السواحل بأبخس الأثمان ، وفرح ملك سانتي لهزيمة جيش بربار المغرور ، وقبض القرصان والمرتزقة منه مائة ألف دينار، وطلب منهم أن يبقوا على اتصال فلابد أن بربار سيغضب غضبا شديدا لما حل بجيشه في جنح الظلام

فلما وصلت الأخبار لمالونيا بالكارثة ، وسمع بربار بها انفجر باكيا ، ودب فيه المرض واشتعلت في رأسه النار، واجتمع بالقادة والفرسان والحكماء ، وبدأت تصل إليه تفاصيل الكارثة من بعض الناجين ، فأقسم قسما عظيما بأن يحرق جزيرة سانتي بمن فيها من الناس والأموال ، وأمر ملاريون بتجهيز مراكب ضخمة لحمل مائة ألف مقاتل ، وبعد سنة من الزمان كانت السفن المصنوعة والمشتراة جاهزة لنقل الفرسان ، ووضع الفارس جرارا نائبا عنه ، وحذر زوجته من الغدر والخيانة ، فطلبت السفر معه فاعتذر وأبى ، وركب الفرسان البحر وساروا بالسفن والقوارب والخيل إلى جزيرة سانتي ، وكانت الخطة أثناء الرحلة السير في النهار والتوقف في أثناء ساعات الليل مع بقاء المشاعل والأنوار وتقوية الحراسات ، واستعداد فرسان القوارب للحرب والقتال في أي لحظة ، كان ملك سانتي على علم بخروج الحملة الكبيرة بقيادة الملك بربار ، وأنه خرج بجيش كبير وسفن كثيرة ، وأنه أقسم على حرق الجزيرة على أهلها ، فحصن الجزيرة وحرض

أهلها على القتال والدفاع عن أنفسهم بكل قوة ، ثم اتصل بالقرصان وأغراهم بالأموال الكثيرة والخمر ، ورتبوا كمينا لجيش بربار ؛ ولكنهم فشلوا وصدهم جيش بربار ، ووقع الكثير منهم أسرى ، فأمر بربار بقتلهم جميعا ورمي جثثهم في البحر، ونجا زعيمهم في سواحل البحر، وعلم أن بربار عرف اسمه وأصدر أمرا بالقبض عليه في كل البلاد ، وأن أي ملك يتكتم عليه ويأويه يجعل مملكته وبلاده عرضة للنهب والانتقام ، فحاول الاختفاء والاختباء والتنكر وعدم إظهار شخصه للعوام ؛ ولكن وصل خبره لأحد الملوك فأسره بعدما احتال عليه ، وأراد أن يقدمه هدية للملك بربار الذي يحاصر جزيرة سانتي من جميع الجهات ، وقد استمر الحصار سنة من الزمن حتى تعب جيش بربار، وظهرت فيهم الأسقام ، فوضع الملك خطة اقتحام جريئة وسريعة ، وهجم الجيش مع الصباح من إحدى الجهات ، واستطاع اقتحام الأسوار بجراءة الفرسان والمغامرين الذين تسلقوا الأسوار ، فدارت معركة هائلة على تلك الجهة سقط فيها آلاف القتلى من الفرسان والأبطال ، وكانت الخطة اقتحام الفرسان لجهة أخرى حيث اقتحم بربار بنفسه جهته ، وبعد تضحيات كبيرة دخلوا وهدموا الأسوار وقتلوا حماتها ، وبدأ الزحف نحو وسط الجزيرة حرقا وتدميرا وفتكا ، فلما وصلوا القصر لم يجدوا الملك وحاشيته ، وجدوهم قد هربوا ، وبعد التحري عن منفذ الهروب والاختفاء وجدوهم قد هربوا عن طريق سرداب يتصل بالبحر ، فأمر الملك بربار بحرق المدينة عن بكرة أبيها مدنها وقراها ، وساقوا بعض أهلها أسرى ، وكانت معركة دامية فلم يبق من أهل المدينة صغيرا ولا كبيرا ذكرا ولا أنثى ، وبعدما أضحت الجزيرة أطلالا وهدمت بيوتها ومساكنها ، وقد أبيدت الجزيرة ودمرت تدميرا كاملا ، عاد الجنود إلى سفنهم ومراكبهم ليعودوا إلى مالونيا بعد هذه المذبحة الرهيبة ، وقد وصل جيش مالونيا إليها منهوك القوى ضعيف البدن ، وقد أصاب بعضهم الأمراض والاوجاع ، هلك منهم أكثر من عشرين ألف بسببها ، فحزن بربار عليهم حزنا كبيرا وأسف لم حل بهؤلاء الجند المخلصين له ، فاعتكف في قصره شهورا وأياما ، وقد خيم الحزن على أهل مالونيا رغم النصر الكبير المدمر الذي حققوه على جزيرة سانتي والانتقام من أهلها ، وفي هذه الأثناء أنجبت الملكة ريهان طفلة فسماها الملك بربار وهم الأيام ، فلنتركه الآن في حزنه على جيشه وأخيه ذؤيب ؛ ولنرى ما جرى للقائد ذؤيب قائد الحملة الأولى لجزيرة سانتي .

ذؤيب فقد كان ممن وقع في أسر القرصان والمرتزقة ، وهؤلاء لم يعرفوا بأنه أخ الملك بربار فظنوه أحد

الجنود فأسروه ، وكان قد أصيب في فخذه بجرح عميق ، وكان ينزف دما ، وكان أيضا قد فقد ذاكرته مصدوما مذهولا لم حل بجيشه من الهزيمة والحرق لأغلب سفنه ، فربط القراصنة فخذه ، وباعوه في مدينة ساحلية اسمها لمعة لرجل أمير



من أمراء تلك البلدة ـ وهذا الأمير صاحب مزرعة كبيرة من الأبقار والأغنام ـ فأخذه منهم بثمن بخس ؛ لأنه مصاب وقد يموت فلا يستفيد منه شيئا ، وقام على علاجه وألحقه بعد العافية مع الرعيان، وحذره من عاقبة الهرب والغدر ، وكان ذؤيب ما زال مصدوما فاقدا للذاكرة ، ولا يعي ما جرى معه ولجيشه في البحر ، فاهتم بالرعي والحلب وأتقن هذا العمل ، ولم يفكر بالهرب لأنه نسي ماضيه ، وكان من نظام هذه المدينة تربية الأغنام والأبقار والعجول ، وربما تقبل سفينة أو أكثر كل ستة أشهر من المدن الأكبر لشراء هذه الدواب وأحيانا أخرى يقوم أصحاب هذه المزارع الحيوانية وبعض التجار باستئجار سفينة وحراس ، ويذهب من كل مزرعة مندوب أو أكثر لبيع هذه العجول والدواب في المدن الأخرى الغنية ، ويعودون بالثياب والملابس والأقوات المناسبة

لبلادهم ، قضى الفارس ذؤيب أكثر من سنتين في هذه المزرعة ، وهو ما زال فاقد الذاكرة ولا يعرف من ماضيه شيئا ، ومن أي البلاد أصله أو أين ولد ، إلى أن جاءه يوما صاحب المزرعة الأمير ضرار وأخبره بأنه سيرسله مع قافلة التجار وأصحاب المزارع لبيع العجول في مدن الشمال الغنية وسيكون مع عفرا ، وكانوا ينادون ذؤيبا في هذه المزرعة بالعبد مروان ، وشرح الأمير ضرار مالك هذه المزرعة للعبد مروان المهمة التي سيقوم بها وهي بيع الأبقار والدواب وشراء الملابس والعطور ، وأعلمه وطمأنه أن عفرا له خبرة بمثل هذه الرحلات ، فاستعد العبد مروان لهذه الرحلة وجهز نفسه كما أراد له سيده ، وبعد أيام تجهزت السفينة ورفعت إليها الأبقار من مختلف الأمراء والتجار ، وركب قائد الحملة وهو أحد الأمراء أصحاب المزارع في سفينة صغيرة وركب الحراس الآخرون مراكبهم وسارت القافلة البحرية نحو الجزيرة الكبرى ، وكان هدفهم مدينة مالونيا القريبة من ساحل البحر عاصمة ممالك الجزيرة الكبرى وبعض المدن الساحلية الأخرى كمدينة الغرام .

نترك القافلة التي تقل الأمير الفاقد الذاكرة ذؤيب في مياه البحر العظيم ونسبقهم إلى مالونيا التي حلت بها كارثة كبرى كما ذكرنا وهي مقتل أكثر

من خمسين ألف فارس بعضهم في حرب سانتي والبعض الآخر بالمرض ، وفيهم من كبار فرسان بربار ، أما الملك بربار فاعتكف من هول الكارثة في قصره عدة أشهر وأياما حتى دخل عليه القادة والأمراء والحكماء وبينهم صقير، وطلبوا منه ترك الحزن والضعف ، وأنه لا يليق بالملوك الاستسلام للحزن والبيوت كالنساء ، وعليه الاهتمام بتدبير شؤون هذا الملك الكبير والبعد عن الهوان والأحزان ، وبعد طول نقاش وكلام اقتنع بربار بكلامهم ، وبدأ يخرج من عزلته رويدا رويدا ، فينزل الأسواق والميادين ، ويزور الملوك الذين يخضعون لمملكة مالونيا ، وما مضت عدة أشهر أخرى حتى تلاشت أكثر أحزانه ولم يبق منها إلا الذكريات المرة، وعاد للمرح بعدما استرد كامل صحته وحيويته بمساعدة الأطباء والحكماء ، نمي إليه خبر أن هناك مجموعة من الفرسان والأمراء يعدون العدة للتخلص منه ، فالتقى بالأمير ملاريون وقائد فرسانه جرار ونقل إليهم الخبر ، فنصحوه بالحذر لأن الشر لا ينتهي من هذه الدنيا إلا بنهايتها ، وأمرهم الملك بتنشيط العيون وأصحاب الخبر المخلصين للوصول للمتآمرين ، وأمر جرارا بتغيير الحرس بدون أن يحسوا ويشعروا بالأمر والشك ، ويظهر لهم كأن الأمر تغيير عادي وأمني طبيعي ، كان من عادة الملك بربار أن يشرب قبل النوم كأسا من عصير البرتقال المخلوط ببعض الأعشاب بناء على وصف أحد الأطباء ، وكان هذا الكوب من مهام جارية من جواريه اسمها سراد ، وعندما علمت هذه الجارية بدخول الملك لمخدع النوم أحضرت له كوب الشراب ليشربها كالعادة ، وكانت تضعها بالقرب من سريره وتنصرف ، فتحضر بعد ذلك زوجته ريهان فتتحدث معه وتشاركه المنام في تلك الغرفة ، وفي خلال حديثهما يشرب بربار الكوب ، ولما شرب الرشفة الأولى لم يستسغ الشراب فرشف ثانية وثالثة وقال معلقا : لا أدري لها طعم غير طيب هذه الليلة ! ورمى الكأس بما فيها



فهدأت الملكة من غضبه وقالت : سأصنع لك خيرا منها بنفسي أيها الفارس .. لا تغضب .

فهمس قائلا : لا أريد شيئا .. مللت من هذا الدواء أين طفلتي وهم الأيام ؟

قلب الوطن

وهج الحرب

الحلقة ٦

رن خلوي جهاد وقد أدرك أن المتصل الدكتورة علا خميس التي تمر بأزمة نفسية ؛ حيث طلقت

للمرة الثانية ، ولم يظهر اسمها على الشاشة للجهاز الموبايل ، وفتح الخط وسمعها تلقي السلام بصوت هادئ ، فرد السلام.

قالت : آسف لإزعاجك يا أستاذ جهاد!

قال : نحن في خدمة الناس فكيف بالأصدقاء ؟!

قالت : المال الذي رأيتني آخذه من أخي سليم .

قال : هو كان معي ، حُول على حسابي أصلا ، وأنا أعطيته لبهلول بوجود وائل ، ثم نقل كما رأيت لسليم .

رفعت نغمة الصوت: أنا لا أريده .

قال : قال ذلك أبوك .. هو حقك شرعا وقانونا .. فهو حلال وليس صدقة.. هو جزء من الصداق كما تعلمين .. هو مكتوب في عقد الزواج ، وهو يعطى للمرأة في حال وفاة الزوج قبل توزيع الميراث، والحالة الثانية عند الانفصال .. والرجل أنت أعرف به منا .. وأنت برغبتك أردت الطلاق حسب معلوماتي.. لم يضغط عليك أب ولا أم ولا أخ .

قالت : صحيح ما قلته .. أنا أعلم أن المال حقي ؛ ولكني لا أريده ، فأريد أن تبعثه لأهل غزة فقراء أيتام .

قال : نأخذ منه جزءا وأجرك على الله .

قالت بضيق بدا لجهاد : كله أبغضه ، وبما أن لك علاقة بالإغاثة فسآتيك به أرجوك .

ـ اصبري أسبوعا واحدا من الزمن وسأمر عليك في بيت والدك العزيز.

قالت : جيد ! رتب مع أبي الموعد ؛ وليكن مساء بعد أسبوع .. نحن في انتظارك يا سيدي المحامي ؛ ربما أباشر عملي .. وعملي في مستشفى العصافير في تاج الزمان أعمل في قسم الأطفال.. وأشكرك بجد على تعاطفك معنا .

قال : بارك الله فيك، والحياة يوم لك ويوم عليك ، يوم سعد يوم شقاء.. المهم الآخرة.. هناك سعادة بلا شقاء ، وشقاء بلا سعادة.

ـ صحيح ، أنا بخير ، وتحياتي لك وأختك وردة الدكتورة . قال : شكرا.

أغلق الجهاز وقال متحزنا : مسكينات النسوان والبنات ؛ ولكن الله وهب لهن الطاقة على التحمل والصبر .. ما اقسى وأظلم الأشرار ! عندما يستغلون عاطفتهن وضعفهن وأنوثتهن يا أنجشة رفقا بالقوارير !.. الطلاق مؤلم في زماننا هذا .. أصبح مشكلة مع أنه وجد لحل مشكلة أصبح مشكلة اجتماعية كبرى على مستوى الأرض كلها .. والكثير من نساء الأمم تعيش بغير زوج خشية الطلاق وتعقيداته .. ممارسات خاطفة مع رجال مرضى بالشهوات .. لا سكن ولا رحمة فيها .. الزوج سيء ومنحل، لا يحترم الحياة الأسرية والميثاق الغليظ ، وتعجز الأنثى الخلاص منه

لضغوط مجتمعية فترضى بالذل والاحتقار ؛ ليبقى المسمى بيتا بيتا .. لا تستطيع الخلاص منه لسوء أخلاقه وإباحيته ؛ لأنها اذا طلقت سيقال هي السبب .. فكيف بعلا التي طلقت للمرة الثانية ؟! الله يستر عليها .. كما قال كثير من المشايخ لا حل لمشكلة الأرامل والمطلقات والعوانس الشريفات إلا بالتعدد الشرعي المنضبط.. والنساء لا يقبلن بالتعدد ، والرجال ضعفاء لا طاقة لديهم لحل المشاكل العائلية ، والجمع بينهن.

الإعلان

قرأت وردة نبأ طلاق علا خميس طبيبة الأطفال في جريدتها المفضلة فجر الأمة ، وتعلن أنها لا علاقة لها ماديا ولا ماليا بالطبيب وائل زياد ، وفي نفس الإعلان تقدم الشكر للمحامي جهاد عارف ، والمحامي الشرعي بهلول بسام على جهدهما في إنهاء علاقتها بالطبيب وائل زياد وإنهاء القضية بالطلاق الهادئ .

فاستغربت وردة صورة هذا الإعلان ، كانت وردة عندما تدخل مكتبها الصغير في العيادة قبل مباشرة العمل في غرفة العلاج واستقبال النساء تجد نوال وضعت لها تلك الجريدة على المكتب لمعرفة وردة وحبها لها ، فتتطلع أولا على صفحة الدين ، واذا وجدت مقالا للصحفي جمال محمود أو احمد عباس تبدأ بها ، ثم تنتقل لصفحة المجتمع ، ثم صفحة النعي .

استغربت الإعلان المنشور في صفحة المجتمعيات ؛ حيث تنشر الأفراح والزواج وحفلاته وإعلاناته ، وحالات الطلاق المثيرة أو التبليغ من المحاكم والمحامين ، وكان زوجها عصام يشاركها قراءة صحيفة الفجر والصفحة الدينية .

لما قرأت الخبر ، واستغربت نشره ، واستغربت وجود شقيقها في الموضوع ، ومحله من الإعراب

فقالت لنوال: حبيبتنا ستأتي اليوم!

ـ بالتأكيد ، ما دامت لم تعتذر ستأتي بإذن الله.

قالت : سأتكلم مع جهاد نجيب قبل مباشرة لقاء النساء.. كم امرأة في الانتظار ؟

قالت : خمس حوامل وواحدة عندها مشاكل التهابات داخلية.

قالت : نبدأ بهن أو الاتصال.

قالت : أنا أقول ابدئي بالتلفون .

ـ رأيك سليم ! سأعمل بنصحك يا جوهرة العيادة ! ما أخبار الخطيب؟

قالت : على رأيهم قرأنا الفاتحة بس .. والله كما يقول الناس إنه شاب كويس ومحترم .. ابن الحلال وقع على ابنة الحلال .

قالت : الله يتمم لك على خير .. تناقشتم حول العمل.

قالت : لحد الآن لم نتكلم بموضوع الشغل ..هو

يعمل نجار موبيليا ، هو وأخوه لهما منجرة .
قالت : جيدا! المهم أن يكون مقدرا للزوجة والحياة الزوجية .
ـ هذه علمها عند ربي .
قالت : كل شيء علمه عند الله يا أخت نوال ! والله أتمنى لك كل توفيق من قلبي
ـ أشكرك بجد ، أنت إنسانة رائعة!
قالت : بارك الله لك وعليك ، ولما تحدث الخطبة أو الزواج اخبريني.. قد لا أتمكن من حضوره بسبب ما ترين . وأشارت لبطنها.
قالت : حفل صغير ، وبعد كتب الكتاب بشهر على الأكثر سيكون الزواج الفعلي وأنت معذورة .
وأشارت هي الأخرى لبطنها.
قالت : الحمد الله .. عقبال عندك في اثنين توائم يا نوال !
قالت : إن شاء الله تقومين بالسلامة . . قربت .
قالت : يعني .. أخرى كم شهر بإذن الله نبدأ بالاستعداد لمرحلة الولادة .. أنا جربتها بجوهر
ـ الواحد ليس مثل الاثنين.
قالت : أحلى شيء في الدنيا الأطفال يا نوال!
قالت : زينة الحياة الدنيا.. المال والبنون زينة الحياة الدنيا
قالت : صدق الله العظيم .
أخرجت التلفون من جيب معطف العمل ورنت على جهاد.

ـــــــ

ضربت رقم جهاد ، فلما فتح هاتفه وحيته ، ودخلت في الموضوع سريعا ، سألت : ما دخلك في قصة طلاق ابنة خميس؟
ضحك وقال: القدر.
قالت : صحيفة الفجر نشرت إعلان البراءة من التزامات وائل المالية ، وأنها انفصلت عنه ، وهي غير ملزمة بأي أموال على ذمته .
قال: لها أسبوع مطلقة ومنهية زواجها .
قالت : ودورك!
قال ضاحكا : ساعدت في إتمام عملية الطلاق ، وتنازلت عن الخمسين ألف ، فجاء من أمسترادام وطلق ، واختفى.
قالت : هل رأيته وقابلته ؟
قال شارحا : بدا الأمر يا عزيزتي عن طريق هاتف المكتب ، وبيته في هولندا .. هو الذي بدا الاتصال وعرفني على نفسه ، وطلب مني التوسط في انفصاله عن علا وعندما تنازلت عن مؤخرها سهل الأمر.
قالت : جيد ، وضحت الصورة ! جهاد عزيزي مع السلامة، السلام عليكم .
أدخلت نوال المريضة الأولى ورحبت بها وردة ، وأجلستها على مقعد تصوير السونار ، وضعت

الحل على بطنها ، ووضعت أداة التصوير وإرسال الموجات فوق الصوتية وظهر على الشاشة الرحم والجنين ، وكانت الدكتورة والأم تتابعان رأس الجنين عموده الفقري الحبل السري الكبد الأعصاء الحيوية.

ثم أعلنت أن الوضع طبيعي ، والطفل الجنين ينمو حسب جدول نمو الجنين .

قالت : تمام بفضل الله نمو كالمعتاد .. وهو ينتظر ساعة الخروج .. الحمد الله على السلامة خلال شهرين ستكون الولادة طبيعية - إن شاء الله - فوزنه طبيعي.

فحصت الدكتورة الحوض وضربات قلب الجنين والأم والضغط وراجعت السيرة المرضية للأم

قالت : تحليل البول والدم ممتاز .. أتمنى لك إتمام الحمل .. وأن تكون حياته حياة سعيدة .. عندك ثلاثة قبله .

هزت المرأة رأسها وقالت : نبضه طبيعي .

قالت : نعم، صحته جيدة .. وأنت تتغذين بشكل ممتاز .. تغذيتك مهمة لتغذيته .

نزلت الحامل عن الكرسي تضبط ملابسها .

وقالت: كيف صحتي ؟

قالت : صحتك بخير .. قلبك وضغطتك تمام .. واستمري على أخذ الفيتامينات والمواد الغنية بالحديد .. ولا بأس في المشي داخل المنزل ، ولو ربع ساعة في اليوم وهذا لا يشكل خطرا عليك ولا على الجنين .. والمهم اقتراب الولادة يا حبيبتي يا أم مصر .

- نفس الأدوية .

قالت : الأهم الأغذية .. الدواء في الغذاء .. كل يوم وجبة فواكه ،واذا كانت طازجة تكون أفضل ..أفضل من المخزنة والمستوردة من برا.

كتبت لها وصفة بالمناسب والمعتادة للحوامل وقالت : واذا أصابك الصداع لا تأخذي أي دواء إلا عند الألم الذي لا يطاق ، وكذلك المضادات للالتهابات الحلقية إلا مضطرة يا أم مصر .

صافحت المريضة وردة داعية شاكرة جهدها ، وغمرتها وردة بالدعاء والسلامة والحب ، ولما خرجت من الغرفة دخلت الثانية ، وجلست على كرسي الفحص وكانت وردة تقلب ملف سيرتها المرضية ، ثم راحت تراقب جنينها على جهاز السونار ، وهي دخلت شهرها الخامس حيث يبلغ الوزن التقريبي للجنين ٢٥٠ غرام إلى ٥٠٠ وعادة يكون طوله قريب من ٢٥ سنتميتر ودقات القلب طبيعية .



كثير من اللوحات الإرشادية معلقة على جدران قاعة الانتظار ومنها جدول تطور الجنين .

جدول تطور الطول والوزن للجنين

قياس طفلك من أعلى رأسه حتى مؤخرته من الأسبوع الثامن وحتى الأسبوع العشرين من الحمل

أما بعد الأسبوع ٢٠ من الحمل يتم قياس الجنين من أعلى رأسه حتى قدميه:

الشهر	الأسبوع	الطول (سنتمتر)	الوزن (غرام)
الأول	الأول إلى الرابع	0.6	0.3
الثاني	الخامس إلى الثامن	1.6	1
الثالث	التاسع إلى الثالث عشر	7.4	23
الرابع	الرابع عشر إلى السابع عشر	13	140
الخامس	الثامن عشر إلى الواحد والعشرين	26.7	360
السادس	الثاني والعشرين إلى السادس والعشرين	35.6	760
السابع	السابع والعشرين إلى الثلاثين	39.9	1319
الثامن	الواحد والثلاثين إلى الخامس والثلاثين	46.2	2383
التاسع	السادس والثلاثين إلى الأربعين	51.2	3462

أسبوع	الطول	الوزن
الأسبوع ٨	١,٦ سم	١ غرام
الأسبوع ٩	٢,٣ سم	٢ غرام
الأسبوع ١٠	٣,١ سم	٤ غرام
الأسبوع ١١	٤,١ سم	٧ غرام
الأسبوع ١٢	٥,٤ سم	١٤ غرام
الأسبوع ١٣	٧,٤ سم	٢٣ غرام
الأسبوع ١٤	٨,٧ سم	٤٣ غرام
الأسبوع ١٥	١٠,١ سم	٧٠ غرام
الأسبوع ١٦	١١,٦ سم	١٠٠ غرام
الأسبوع ١٧	١٣ سم	١٤٠ غرام
الأسبوع ١٨	١٤,٢ سم	١٩٠ غرام
الأسبوع ١٩	١٥,٣ سم	٢٤٠ غرام
الأسبوع ٢٠	١٦,٤ سم-٢٥,٦ سم	٣٠٠ غرام
الأسبوع ٢١	٢٦,٧ سم	٣٦٠ غرام
الأسبوع ٢٢	٢٧,٨ سم	٤٣٠ غرام
الأسبوع ٢٣	٢٨,٩ سم	٥٠١ غرام
الأسبوع ٢٤	٣٠ سم	٦٠٠ غرام
الأسبوع ٢٥	٣٤,٦ سم	٦٦٠ غرام
الأسبوع ٢٦	٣٥,٦ سم	٧٦٠ غرام
الأسبوع ٢٧	٣٦,٦ سم	٨٧٥ غرام
الأسبوع ٢٨	٣٧,٦ سم	١٠٠٥ غرام
الأسبوع ٢٩	٣٨,٦ سم	كيلو و١٥٣ جرام
الأسبوع ٣٠	٣٩,٩ سم	١٣١٩ جرام
الأسبوع ٣١	٤١,١ سم	كيلو ونصف
الأسبوع ٣٢	٤٢,٤ سم	كيلو و٧٠٠ جرام
الأسبوع ٣٣	٤٣,٧ سم	كيلو و٩٠٠ جرام
الأسبوع ٣٤	٤٥ سم	٢ كيلو و ١٠٠ جرام
الأسبوع ٣٥	٤٦,٢ سم	٢ كيلو و٣٠٠ جرام
الأسبوع ٣٦	٤٧,٤ سم	٢ كيلو و ٦٠٠ جرام
الأسبوع ٣٧	٤٨,٨ سم	٢ كيلو و٨٠٠ جرام
الأسبوع ٣٨	٤٩,٨ سم	٣ كيلو
الأسبوع ٣٩	٥٠,٧ سم	٣ كيلو و٢٠٠ جرام
الأسبوع ٤٠	٥١,٢ سم	٣ كيلو ونصف
الأسبوع ٤١	٥١,٧ سم	٣ كيلو ونصف
الأسبوع ٤٢	٥١,٥ سم	٣ كيلو و٦٠٠ جرام
الأسبوع ٤٣	٥١,٣ سم	٣ كيلو و٧٠٠ جرام

مقاييس النمو للأطفال الإناث من الولادة وحتى تمام العام الأول

الشهور	الطول (سم)	الوزن (كجم)	محيط الرأس (سم)
عند الولادة	45.6 - 52.7	2.4 - 4.2	31.7 - 36.1
الشهر الثاني	53.2 - 60.9	4.0 - 6.5	37.2 - 41.9
الشهر الرابع	58.0 - 66.2	5.1 - 8.1	38.2 - 43.0
الشهر السادس	61.5 - 70.0	5.8 - 9.2	39.7 - 44.6
الشهر الثامن	64.3 - 73.2	6.3 - 10.0	40.9 - 45.9
الشهر العاشر	66.8 - 76.1	6.8 - 10.7	41.7 - 46.8
الشهر الثاني عشر	69.2 - 78.9	10.1 - 12.3	42.3 - 47.5

مقاييس النمو للأطفال الذكور من الولادة وحتى تمام العام الأول

الشهور	الطول (سم)	الوزن (كجم)	محيط الرأس (سم)
عند الولادة	46.3 - 53.4	2.5 - 4.3	32.1 - 36.9
الشهر الثاني	54.7 - 62.2	4.4 - 7.0	36.9 - 41. 3
الشهر الرابع	60.0 - 67.8	5.6 - 8.6	39.4 - 43.9
الشهر السادس	63.6 - 71.6	6.4 - 9.7	41.0 - 45.6
الشهر الثامن	66.5 - 74.7	7.0 - 10.5	42.2 - 46.9
الشهر العاشر	69.0 - 77.6	7.5 - 11.2	43.0 - 47.8
الشهر الثاني عشر	71.3 - 80.2	7.8 - 11.8	43.6 - 48.5

الوزن الطبيعي للطفل حسب عمره

	الشهر	
11.8-7.8	الشهر الثاني عشر	11.3-7.1
11.5-7.4	الشهر الحادي عشر	11.0-7.0
11.2-7.5	الشهر العاشر	10.7-6.8
10.9-7.2	الشهر التاسع	10.4-6.6
10.5-7.0	الشهر الثامن	10.0-6.3
10.2-6.7	الشهر السابع	9.6-6.1
9.7-6.4	الشهر السادس	9.2-5.8
9.2-6.1	الشهر الخامس	8.7-5.5
8.6-5.6	الشهر الرابع	8.1-5.1
7.9-5.1	الشهر الثالث	7.4-4.6
7.0-4.4	الشهر الثاني	6.5-4.0
5.7-3.4	الشهر الأول	5.7-3.4
[illegible]	عند الولادة	4.2-2.4

زيارة

صف سيارته أمام فيلا اللواء خميس ، وضغط على الجرس ، وفتحت له الخادم العاملة في البيت وتبعها حتى دخل باب الفيلا ، واستقبله خميس جعلونة وقاده إلى غرفة الضيوف ، وبعد الاطمئنان على الصحة .

قال جهاد ضاحكا : مالك الشقة التي كان مستأجرا لها الرجل يطالب بأجرتها .. أنا لم أكن أعلم أنهما يسكنان في شقة مستأجرة .

قال : الحق عليّ .. أنا نسيت أن أخبرك ، لم أفطن أن الرجل خرج من البلد خلسة فلما اختفى عادت البنت للعيش معنا.. البنت غير مكلفة بدفع الإيجار .. وهو لم يعد كما تعلم التفاصيل فلماذا تدفع علا ؟! هل حاولت الاتصال به ؟

قال: حاولت فعلا .. الرقم الذي تواصلت به معه سمعت منه صوت رجل آخر وكررت الاتصال ظننت أنه كاذب فرد نفس الصوت وقال لي: المستأجر السابق طرد من البيت . حسبت أنه لا يرغب بالحديث معي ، وصرت أرن في أوقات مختلفة لعل امرأة أو شخص آخر يرد .. فيبدو أنه طرد فعلا وحقيقة ..والمالك سيقبل أجرة خمسة أشهر لاختفاء الطبيب .

قال خميس : كم شهر هو اختفى؟ اختفى في آذار ـ وأخذ يعد على أصابعه ـ نيسان أيار حزيران تموز آب أيلول تشرين الأول.. ثمانية أشهر .. تنازل عن ثلاثة كم الأجرة ؟ ذكر لك الأجرة .

قال : أراني عقد الإيجار .. هو استأجر الشقة منذ بداية زواجهما .

قال: ترك شقته القديمة .. شقة الفسق واستأجر هذه الشقة ..كم الأجرة في العقد

قال: ثلاثمائة دولار .. جاءني وقال بها أنك

ساعدت في طلاق البنت فساعدني في تحصيل الإيجار كمل معروفك ، ولك أتعابك .. يكفي أجرة خمسة شهور بدون فواتير الماء والكهرباء والهاتف.. فهذه لم تستهلك خلال هذه الشهور ، فاتصلت كما أخبرتك وتبين لي فعلا أنه اختفى من الشقة بإرادته أو مطرودا.

قال: يريد ألف وخمسمائة دولار .

قال : أنا قرأت إخطار ابنتكم العفيفة بأنها لا تتحمل أي مال وديون عن زوجها السابق .. كانت تقصد عقد الإيجار .

قال: تكلم معها المهندس يوسف صاحب الشقة .. هو له شركاء في العمارة ، فهم يعملون في العقارات والشقق لبيعها أو تأجيرها .. ماذا ستفعل الآن؟ كما ترى لا دخل لها في الإيجار وغيره فالعقد باسمه ، وهو الذي كان يدفع طول كل السنوات .

قال : هذا صحيح ..ما العمل ؟

قال: العمل أن يتحدث يوسف معه ؛ ولكنك تقول البيت طرد منه أو هرب منه .

قال جهاد : هذا هو الظاهر.. أنا عملت كذا اتصال في أوقات مختلفة فعندما يرد نفس الصوت أغلق الخط .. مرة اتصلت أثناء قضية الطلاق ردت عليّ عشيقته التي صحبها لتشهد على طلاقه

قال : هو مجنون لا يستحق الإحسان والصدقة .. فدع المهندس يوسف يرفع قضية عليه .. فنحن لا يمكن أن ندفع عنه يا أستاذ جهاد !

قال جهاد : أنا لم أحضر من أجل إيجار شقة وائل ، ولا يوسف .. هو يرفع قضية كما قلت ، واقترحنا عليه ذلك ، فعندما يدخل البلاد سيُوقف لتسديد دينه ، ويلزم بالدفع ، وعليه الانتظار أنا قدمت كما اتصلت بك للحديث مع ابنتكم الفاضلة لأني وعدتها بزيارة بعد أسبوع من ذلك الاتصال من أجل مال المؤخر.

أرسل خميس وراء البنت وأمها فحضرتا ؛ حيث كانتا في انتظار الطلب، فسلمتا ورحبتا بالضيف الزائر .

فقال جهاد: حتى لا أطيل عليكم .. تفاهمت أنا وسيادة اللواء على قضية الإيجار التي أثارها المهندس يوسف ، ولسوف تستقر في أدراج المحاكم .

قالت رباب: وعلى ماذا رست السفينة؟

قال خميس : رست السفينة أن يقدم يوسف دعوة على الرجل الهارب ؛ وكما قال المحامي في أي وقت دخل البلد تكون في انتظاره القضية ، ونحن لا دخل لنا في إيجار الشقة .

قالت أم سليم : هذا الإجراء الصحيح .. نحن تنازلنا عن خمسة وأربعين ألف دولار لنتخلص منه

قال جهاد : أنا لم أفطن للإيجار والا حدثته عنه ..

حضر المهندس بعد حدوث الانفصال .. وهو قد اختفى من شقته في أمستردام ، سكنها رجل آخر .

قالت رباب: الحمد لله رب العالمين .. انتهى ما بيننا .. وأمره إلى الله .. البنت يا أستاذ جهاد كما أخبرتك لا ترغب بامتلاك الخمسة آلاف .. ورأت أن الأولى بهن فقراء غزة الذين تعرضوا للإبادة ؛ كما تظهر الصور على هذه الفضائيات ، وخير من يتولى إرسالها أنت لعلاقاتك القوية بجمعية الإغاثة العالمية رحمة .

قال: أنا قلت لها تتبرع بجزء منها ؛ لأن هذا المال حقها شرعا .. حلال زلال.

قالت علا : صحيح هو حلال شرعا وقانونا ؛ ولكني كشيت منه وبغضته ، وفعلا أحب أن يرسل إلى هؤلاء وأتخلص منه .. وأنا غني عنه .. وراتبي ممتاز .. الحمد لله .. ولم أقل أنه حرام وهذه رغبتي .

قال : ما دمت مصرة يا دكتورة فإما أن تشرفينا بشخصك إلى الجمعية جمعية الإغاثة الدولية شارع الشهيد علي حي عمود في وسط بعنبس حتى نستلم المبلغ ونكتب به وصل قبض للتدقيق المحاسبي ؛ لأن الدولة وديوان محاسبتها تراقب إيرادات ومصروفات الجمعيات بكل أشكالها ، واذا لا ترغبين بالحضور شخصيا نرسل لك أحد الموظفين لاستلام المبلغ ، ويعطيك الوصل أو يشرفنا الوالد أو السيد سليم .. والوصل يصدر بمن سلم المال .. أنت فكرت بشكل سليم متوازن .. وليست لحظة غضب وانفعال ..لا حرج من التراجع .. وانتظرت عشرة أيام لأعطيك فرصة الاختيار والقرار بالهدوء .

قالت : أنا فكرت بشكل جيد .. ولي كما قلت عشرة أيام أفكر .

قال: متى تأتين أو نأتي ؟

قال خميس : الأفضل أن ترسل محاسبكم لهذا البيت ، عندما يأتي سيكون الشيك جاهزا ، ويستلمه ونأخذ الوصل ، سيكون الشيك باسم جمعية الإغاثة رحمة الدولية.

قال : جمعية الإغاثة رحمة.. والشكر الموصول لكم

قال خميس: الموضوع الآخر .. أنا حدثت علا عن جمعية العفاف والفضيلة وغاياتها .

قال جهاد : حين تنتهي العدة الشرعية يا دكتورة سأبعث لكم إنسانا محترما ، لا مشكلة عنده من الزواج من مطلقة.. فهو أرمل ولديه طفل واحد تنظران بعضكما يا سيادة اللواء .. رجل يحب الفضيلة والعفاف والزوجة الأم .

دخل اللواء بعد ثلاثة أيام من لقائهما الأخير مكتب شركة العدالة القانونية التي يعمل بها أربعة محامين في الوقت الحالي ، وكانت تعمل معهم دكتورة انتقلت للعمل في جامعة بعنبس العالمية

معيدة ، وطابع وطابعة ومراسل ، قاعة الشركة فيها أربعة مكاتب مفتوحة على بعض ، ومكتب المرأة في غرفة خاصة ، ومغلق حاليا في انتظار التعاقد مع محامية أو أكثر ، ومكتب الطباعة وخزائن القضايا والملفات ، ومكتب للخلوات الخاصة مع العملاء ، وحمام للرجال وآخر للنساء وغرفة صغيرة للشاي والقهوة والثلاجة وللمراسل خادم المكتب ، هناك غرفة للاجتماعات ، الدكتور إبراهيم والدكتور مهران والدكتور احمد ، هؤلاء هم مؤسسو الشركة وجهاد تعين عندهم بعد تخرجه بسنة ، ثم تزوج شقيقة الدكتور إبراهيم.

ولما شرب خميس الشاي قال موجها الحديث لجهاد : هل يمكن أن نتحدث على انفراد في مقهى أسفل البناية ؟

قام جهاد وأستأذن من الزملاء قائلا : سأنزل لشرب القهوة مع سيادة اللواء وسماع الحديث الخاص.

فتمتموا بالمناسب فقال خميس : معذرة أيها الأصدقاء الموضوع شخصي لا ينبغي الحديث فيه في مكتب مفتوح كهذا .

قال إبراهيم : توكلوا على الله .. جهاد .. المكتب الصغير لا أحد فيه.

هتف : والله راح عن بالي يا شباب .. تعال يا أبا خالد نظف المكتب المغلق لنجلس فيه أنا وسيادة اللواء لسماع قضية اللواء.

نهض عامل الخدمة في الشركة نحو غرفة المكتب الصغير ليمسح الغبار .

قال جهاد : هذا مكتب نستعمله لسماع بعض القضايا يا أبا سليم ! فبعض الناس خاصة النساء تستحي شرح قضيتها أمام الجميع مع أن الجميع سيطلع عليها ويعلم تفاصيل القضية.. قل نوعا من الخصوصية.

قال أبو خالد : المكتب جاهز .

دخل جهاد يتبعه اللواء خميس قائلا : تفضل يا أبا سليم ! أدخل علينا القهوة يا أبا خالد .

جلس الرجلان على مقعدين متقابلين ، المكتب يتكون من طاولة مكتب حجم صغير لها كرسي وخزانة ملفات ، ثلاثة مقاعد مقابلة لكرسي المكتب ، وجهاز هاتف على طاولة المكتب وضوء مكتب قوي " تيبل لامب " مصباح طاولة رحب جهاد من جديد بالضيف الزائر.

قال خميس : أولا ليس عندي قضية تحتاج لمحامي .. أخي وابني الفاضل لما التقيت بنا قبل أيام فتحت موضوع عريس .. ما عريس .. وإنك بعد الشهور المخصصة للعدة سترسله لنا.

قال قلقا : أجل ، هل من شيء؟ ألا تريد الزواج ؟!

قال : صديقي وابني أنا لم أرغب بالتوسع بالحديث عن العريس للحالة النفسية التي تعاني منها علا لزمت الصمت ، ولنفس السبب كنت حدثتها عن جمعية العفاف والفضيلة ؛ ليبقى في روحها الأمل .. وليس وائل نهاية العالم .. تكلمت مع رئيس الجمعية الدكتور احمد نبيل وعرفته على نفسي وعلى علاقتي بك.. وشرح لي نظام الجمعية والقوائم ، وحدثني عن ألف علاقة زواج قامت بها الجمعية وقال : حالات الفشل قليلة لا تذكر كما قال .. وبين أنهم يضعون خيارات للأنثى والذكر .. ويساعدون في حل مشاكل تحدث بين الأزواج، ويعمل معهم شيوخ دين وباحثون اجتماعيون ، ويعملون دراسة اجتماعية عن مقدم الطلب لا يعتمدون على معلومات الطالب والطالبة فقط .. شغل منظم غير عشوائي وعلى البركة ؛ ليكون الزواج ناجحا إلى حد كبير مع ظروف الحياة هذه الأيام ، ونسبة التوفيق يقول من عمر الجمعية جيدة جدا ، ونسب فشل الزيجات الأخرى لتعصب الأهل وتدخلهم المتشدد في حياة الأبناء ، وانقلاب أحد الزوجين للمعصية والخيانة .. فلما فهمت خطوات عملكم ونظامكم حدثت علا لأنني أب تهمني سعادتها .. الأبوة مسؤولية .

قال : أصيل يا أبا سليم ! البنات فعلا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أُحرج حق الضعفين المرأة واليتيم .. فمهما علت الأنثى بالشهادات والثروة تبقى ضعيفة مهيضة الجناح على غير ما يروجه العلمانيون والإباحيون ، المرأة ليست جسد فحسب .. انظر كل الدعايات والإعلانات تستخدم النساء .. استغلال بشع لجسد النساء .. ليس لهن خير من الإسلام الذي رفع من شأنهن وجعلهن شقائق الرجال .. فتعاليم عظيمة للجميع .. أقصد الإسلام الصحيح؛ ليس إسلام العادات والتقاليد والأعراف .

ردد خميس : صحيح صحيح .. قضايا الطلاق في أيامنا معقدة .. نعود لصديقك الذي اشرث إليه في آخر جلسة بيننا.

قال : هو صديق ونسيب وأخ .. هو شقيق إبراهيم مالك هذا المكتب أخ امرأتي كان يعمل في الرياض دكتور جامعة ، ماتت زوجته أثر مرض عضال ، له طفل واحد عمره خمس سنوات .. هو أصغر من المحامي إبراهيم .. كنا ليلة نتحدث عن زواجه ، فحدثته عن الدكتورة علا وحظها مع الرجال ،

فأبدا موافقته على مقابلتها ورؤيتها ؛ لأنه يبحث عن أم لابنه محمد اسمه وأخته زوجتي شجعته على ذلك .

قال خميس بارتياح بدا على وجهه : ما دام الرجل قريب منك ؛ فأنا سعيد اذا حدث الزواج ، وما دامت زوجتك أخته ترى ذلك ، فهذا خير كبير.. والبنت فعلا يا ابني تحب البيت والهدوء والأمومة كثيرا .. واذا قضى الله الأمر فلن يشعر محمد بالغربة ، ستكون أما له .. كثيرا ما سعى اللعين للتخلص من بنات علا لتتركها عند زوجها الأول .. هو لم يطلق ابنتي .. أمه هي التي طلقتها . واختصر قصة طلاق علا من احمد ، وختم هددته بالمال وقطعة الأرض.

قال : من ناحية عبد الرحيم هو يبحث عن الهدوء والراحة للتفرغ لأبحاثه وجامعته ، لما تزوج أم محمد فبعد وقت يسير داهمها المرض، وتقبل الأمر بروح عالية ، واهتم بعلاجها ، واضطر لإعادتها للبلد بسبب دوام الجامعة ، واهتم بها إبراهيم وإخوته .. فالعمل كما تعلم لا يسمح للشخص باستمرار الغياب والتنقل بين العيادات والمستشفيات خاصة في الغربة .. والأخوة والأخوات قدموا المساعدة قدر الإمكان ، وكذلك أهلها .. ولما تحسنت صحتها عاودت السفر ومرضت قبل شهور ، وذهبت أم إبراهيم للعناية بها وبمحمد الطفل ؛ لكن الأجل حل وحسم الأمر ، ولما انتهى العقد ترك عبد الرحيم جامعة الرياض ، وعاد وعمل في جامعة بعنبس الدولية في تعليم اللغة الإنجليزية.

ـ ممتاز !يدرس لغة الأجانب .

رحلة

عندما دخل كانون الأول ديسمبر عام ٢٠٠٩ اتصلت زكية حسني بجهاد وطلبت منه زيارتها للحديث في أمر خاص ، وتفاجأ جهاد عندما وصل بسيارة وردة وسيارة سالم أمام الفيلا ، يعني أن الطلب لم يكن خاصا ، وكان عارف وبلص في الصالة ، وعلم أن عصاما اعتذر عن الزيارة لإصابته بالأنفلونزا الشتوية الحادة ؛ كما أعلنت زوجته .

قدمت لهم خادمة أمهم شراب الشاي المقبول من الجميع ، والكعك المحلى بالسكر وفاجأت بعضهم برغبتها بزيارة لبيروت ، وأخرى لقبرص ، أسبوع في الأولى ، وأسبوع في الثانية ، هم اعتقدوا منذ وفاة نجيب في أول السنة أن زيارة قبرص السنوية انتهت ، ولم يعد لها حاجة ، ولما دخل آب تأكد أن قبرص ستصبح في خبر كان .

وعلموا سيرافقها في جولتها السياحية ، زوجها بلص ، وعارف وزوجته ميرا وأختها فيرا التي اعتذر زوجها عن الرحلة ؛ لتعذر الإجازة عن

الوظيفة ، وطفلة عارف سلمى ذات الخمس سنوات ، وفتحت المجال لمن يحب مرافقتهم .
فقالت وردة : ما الهدف من الرحلة في موسم الشتاء ؟ فقد تأكد موت أبينا أم هو الحنين والعادة؟!
قالت : ربما هو الحنين رغم فصل الشتاء البارد في كلا البلدين يا أم جوهر ؟ لماذا لم تحضريه يودع جدته ؟ لقد أصبح شابا قويا .. وكيف الحمل؟
ـ الحمد لله ، الوضع تمام طبيعي .
قالت : الله يتمم لك على خير .. لقيت مرة الحاج حبيب فظنته هو الحامل من سعادته بحملك.
قال جهاد مفتخرا : العم حبيب لا مثيل له يا أمي!
قالت وردة مؤكدة : أنا لم أعرف عمي حقا إلا لما قبل عصام إعادتي إلى ذمته .. فالناس معادن يا جهاد !
قال سالم ضاحكا : هل ستذهبين إلى ٣١٣ ؟
قالت متظاهرة بالغفلة والسذاجة : وما أدراك ؟!
غمرهم الضحك ، وقال سالم : لما أشارت وردة للحنين ، تذكرت رقم غرفة الفندق .. هل ما زالت العيادة التي عمل فيها نجيب موجودة ؟
قال بلص نيابة عن زكية : دمرت العمارة أثناء حرب بيروت ، وشيد مكانها عمارة أطول. . برج كبير.
قال سالم لعارف : أنت يا عارف امرأتك بيروتية أين هي عن هذا الاجتماع ؟
قال بلص : في اجتماع سري.
قال عارف بغيظ : اجتماع سري .. هو سألني أنا يا زوج أمي ! عندهم محاضرة في نادي العائلة ومعها أختها فيرا وقريبة لهما شادية.
قال بلص محتدا : لا تكذب يا عارف ! أنا أعرف ميرا الحلوة أكثر منك قلت اجتماع سري اجتماع سري.
قالت وردة متهكمة : هي تعمل مع تنظيم سري يا عم بلص!
رد بحدة : أخطر يا أم جوهر.
قال سالم : أين يعقد هذا الاجتماع السري ؟
ـ هذا زكية تكشفه لكم حتى لا تزعل ميرا .
قال جهاد : متى السفر يا أمي ؟
تنهدت وقالت: عشرة ديسمبر بالطائرة إلى بيروت .
قالت وردة : بالسلامة يا أم عارف !
قامت تعانق ابنتها البكر : الله يسلمك ـ وإن شاء تقومين بالسلامة ـ من أجل ذلك جمعتكم .. فقد تحدثت مودعا جريدة .. أحببت توديعكم .. فالموعد قريب وعلمت أن سالما قد يسافر غدا أو بعده .
أبناء نجيب يعلمون غرام أمهم بالسفر منذ دراستها الجامعية في جامعة تركيا والتقت بنجيب

في بيروت ، فهي تسافر لغرض ولغيره ، فهي تذهب إلى المانيا وكوريا الجنوبية واليابان لعقد الصفقات واستيراد السيارات الصغيرة .

فلما أعلنت رغبتها بالسفر إلى بيروت ولارنكا ؛ فكان الأمر بالنسبة لهم عاديا ، لم يكن جديدا ؛ لكنها منذ ثبت موت أبيهم ، لم تسافر ، فهذه أول مرة تريد الخروج من البلد من بعد ثبوت ترملها .

وشقيقهم عارف ابن أمهم المدلل كما يعتقدون كان متزوجا من فتاة لبنانية ، تعرف زكية أسرتها والدها ووالدتها أثناء عيشهم عشر سنوات في بيروت أيام الثورة الفلسطينية في بيروت وهي تكاد تتردد على بيروت كل عام ، فهي تعرفت على الطبيب نجيب في عيادته في بيروت ، عندما كسرت قدمها اليسرى وقام بعلاجها ومتابعتها ، وتزوجا وولدت مواليدها الخمسة في مستشفيات بيروت ، ولما غادر المقاتلون بيروت أثر حصارهم الطويل من قبل الجيش الصهيوني جيش شارون خرج نجيب وأسرته للشام ، وهناك تسلم شقيقها الأطفال كلهم ، ونقلهم لبعنبس عند عمهم ، وركب هو وزكية البحر إلى قبرص ، ولم تكن أول مرة قد دخلها فقد دخلها كثيرا ، فلزكية أقارب وجذور في هذه المدينة .

كانت ستصحبهم لبيروت فيرا شقيقة ميرا المتزوجة من رجل أعمال يعيش في بعنبس ، تزوجت عن طريق زكية حسني .

كانت خطتهم زيارة بيروت وأسرة ميرا وفيرا ؛ التي ربما يلحق بها زوجها اذا وجد وقتا للراحة والإجازة ؛ ستقضي زكية وبلص معهم أياما ثم يغادران لقبرص .

ليلا عشرة ديسمبر رحلت بهم طائرة خطوط الشرق الأوسط اللبنانية إلى بيروت كان شقيق ميرا وفيرا وزوجته في استقبالهم في مطار بيروت الدولي، هبطت الطائرة البيروتية بهم أرض المطار بعد منتصف الليل بقليل ، ركب بعضهم مع جلال وقسم مع زوجة جلال .

رحبت الأسرة بالضيوف الكرام ، وبعد مشاركة الأسرة الضيوف باقي تلك الليلة انتقلت زكية وبلص إلى أحد فنادق بيروت ؛ حيث كانت قد حجزت عن طريق شركات السياحة ، كانت غرفة بسريرين ، وبعدهم بيومين من الاستقرار في بيروت جاء عارف لنفس الفندق تصحبه ميرا وسلمى ذات الخمس سنوات ، وبقيت فيرا في بيت والدها مع أمها ؛ حيث أن أباها قتل أثناء حرب بيروت الأهلية عن خمسة من البنين والبنات.

كان من المخطط أن تبقى أسرة عارف في بيروت ، وأن تسافر زكية وبلص إلى قبرص لقضاء أسبوع في فندق الشاطئ ؛ حيث فقدت زوجها نجيب عارف .

كلنا يعرف أنها كانت تذهب إليه كل سنة في آخر آب لتعيش ذكريات آخر أيامها مع نجيب ، السنة لم تذهب في آب فذهبت في منتصف كانون الأول ، فنجيب لم يمت في قبرص ، ثبت أنه مات في كوبا ، وورثت عنه أكثر من ثلاثة ملايين دولار وخلال أسابيع سيكتمل لموته عام ، ولم تعتبر فعلته خيانة ؛ بل فعل ذلك مضطرا كما تدل الأحداث ، فقد عاش في بلد اشتراكي شيوعي جلد رغم سقوط الاتحاد السوفيتي في مطلع التسعينيات ، وذلك فتح المجال ولو قليلا للتحول الرأسمالي في كوبا ، وجمع نجيب ثروة كبيرة من حياته في بلاد البحر الكاريبي.

كانت الغرفة الخالدة ٣١٣ في فندق الشاطئ أو الشواطئ في مدينة لارنكا القبرصية الغرفة المختارة لزكية منذ خمس وعشرين سنة مضت ، ولا إراديا بعد تناولها الفطور مشت إلى الشاطئ الخاص بالفندق ؛ حيث يجلس الزبائن يراقبون الماء أو يسبحون في البحر ، ويشربون الشاي أو القهوة أو الخمور ، حيث الموائد والأرائك المنتشرة تحت الأشجار والمظلات ، وبين أحواض الزهور ،وقد يأتي للشرب والسباحة أشخاص من خارج الفندق .

أحضر بلص زجاجة كحول ، فهو مدمن كحول ، ووضعها على الطاولة ، حيث تجلس زكية تراقب الماء والعراة في الماء والشاطئ رجالا ونساء ، رغم أنها فترة الصباح ، حيث البرودة والرطوبة يخيمان على الموقع ، سكب لنفسه كوبا كبيرا ، ولزوجته كوبا صغيرا ، فهي من سنوات حذرها الطبيب الخاص بها من الإكثار من تعاطي الخمر.

قدم لها بلص سيجارة أشعلها من سيجارته ، ولما رشف نصف الكوب .

قال متحذلقا : كان آخر يوم ترين فيه نجيبا هنا .. في هذا المكان كنتم مثلنا تشربان شراب الصباح كما نفعل - هزت رأسها بنعم - وبينما أنتم تراقبون السابحين والسابحات وألوان المايوهات والعراة حضر رجلان وامرأة.

سحبت نفسا عميقا من سيجارتها ، ثم رشفت نصف كوبها .

وقالت: آ .. أنت حافظ المشهد جيدا يا بلص !

- من كثر ما سمعته منك يا أم عارف .

قالت تسترجع الماضي : كنا نجلس هنا على نفس المقاعد .. لا.. لقد تغيرت المقاعد .. هذه شكلها تغير.. انظر - وهي تشير بسبابتها - ها هما رجلان وامرأة يقتربان من مائدتنا .. نجيب

التفت بلص لمن أشارت إليهم وقال: ليس نجيبا .. هذا المدير يا زكية !

شهقت زكية وسقطت على الأرض ، وقلبت

المائدة بيدها وهي تسقط ، وشراب بلص وزجاجته ، وباقي كوبها كذلك ، ففزع بلص وصرخ: مستر.. مستر جورج

التفت مدير الفندق للصارخ : وقال ما بك؟!

فأشار بلص لزوجته التي وقعت على الأرض ، فقال المدير لمرافقه: أحضر الطبيب .. وأنت يا باميلا اطلبي الإسعاف الفوري.

مشى جورج مسرعا إلى المرأة الملقاة على الأرض ، وقلبها على ظهرها ، ووضع أذنه على صدرها ، ثم قال : لا ينبض .. سيأتي الطبيب .

فتحت زكية عينيها ، وقالت: هو .. هو.. هو .

فقال بلص: من هو .. هو ؟ هذا جورج مدير الفندق .

قالت : لا ،لا ، لا ، هو . وخرجت الروح إلى ربها ولما حضر الطبيب ، وجدها ميتة فنهض وهو يقول : إنها ميتة.

وصلت سيارة الإسعاف ، شحنت لأقرب مستشفى ، فأكد المشفى موت زكية حسني .

واتصل بلص بجهاد مخبرا بوفاة أمه ، فقال جهاد : الليلة سأكون ـ بعون الله ـ عندك يا عم بلص!

وفي الصباح التالي نشرت صحف قبرص وفاة زكية ، وكذلك صحف البلاد الشاسعة نشرت وفاة زكية حسني في فندق الشاطئ القبرصي ؛ حيث فقدت زوجها قبل ربع قرن من الزمان ؛ وحيث كانت تعيش ذكريات الاختفاء .

نقلت الجثة إلى بعنبس لتدفن قرب والديها حسب وصيتها عند محاميها الخاص، ودفنت في مقبرة أبيها حسني وأمها عديلة ، وشيعها خلق كثير من معارفها ومعارف أبنائها وأصدقاء العائلة ، فهي تاجرة سيارات معروفة على مستوى البلاد ؛ وليس بعنبس فقط.

وأقام عارف وبلص بيت عزاء كبير حسب التقاليد والعادات الدارجة في المدينة ، كان بين موتها وموت زوجها الأول أقل من سنة ، ماتت في ١٨ كانون أول ، ومات نجيب في الأول من يناير من نفس العام .

كان عصام يتحدث مع وردة بعد انتهاء ديوان العزاء : رحم الله أمك .

قالت بغيظ وأسف : رحم الله أموات المسلمين .. كنت منذ اهتديت دائما أقول لها يا أمي أنت لست صغيرة .. توبي إلى الله.. صلي .. ها أنا عملت الموبقات السبع وتبت .. وقال العلماء توبتنا صحيحة .. والقبول عند الله .

قال آسفا : هكذا نشأت وشبت .

قالت : والدها كان ملتزما يا عزيزي ، وكنا نسخر من صلاته .. هي تعلقت بالإلحاد من أبي زوجها ،

وأبي تأثر بزملاء وأفكار المجرم ماركس عندما درس في الجامعة الأمريكية فرع بيروت رغم أنها جامعة تنصيرية وليست شيوعية ، زرعت لتنصير المسلمين وتشكيكهم في دينهم ، ونشر الشبهات ؛ كما كتب محرر الصفحة الدينية في فجر الأمة ، كثير من طلابها اعتنقوا دين لينين وستالين ، ورأى أبي الاشتراكية هي الأفضل لحل مشاكل المجتمعات والأمة العربية ، وصادق بعض الأسماء الكبيرة في بيروت وسوريا .

قال : لم يتأثر الحمل بهذه الأزمة !

ابتسمت وقالت : أنا نفسي لم أتأثر كثيرا بموتها ، لا أدري لماذا يا عصام؟ أنا أظن أن أكثر من تأثر بها عارف وبلص .

قال : حتى جريدة لم تحضر.

قالت : قلت لها ماتت في قبرص ، لماذا تأتين وأنت على وشك إنهاء عقدك معهم.

قال : الكثير سأل عنها لتعزيتها .

قالت : الناس تريد شيئا تتعزى به ، وتتسلى به.

قال : حق كلامك ! أنا لم أحتمل الكثير من قيلهم

ضحكت وقالت : أكيد كانوا يزعجونك عن الحمل والتوأم القادم في الطريق.

قال : ليس لهم إلا هذا الموضوع ..حتى أن أحدهم يسأل أتضمن يا دكتور أن المني منك ؟ ولم يبدلوه ليلهفوا المال ، قلت يا عمي اذا شككت بالمولود أعمل فحص جينات كما تفعل الشرطة في التحقيقات .. وهل يضمن الرجل أن ابنه في داره منه؟ الزنا يملأ البلاد .

قالت : الشك مرض يهدم البيوت .. هذه طبيعة الناس الثرثرة والقيل والقال.

خيم الصمت للحظات وبدده قائلا : عارف كان أكثركم حزنا ، كلما يتكلم معه معز يأخذ بالبكاء والنواح .

قالت : طول عمره معها في البيت .. وهو لا يصرف على البيت فلسا واحدا.. فالآن سيتغير نظام طعامه وسكره .. هو الذي سيشتري البندورة والبامية والحليب .

ضحك عصام وقال : معك حق .. إذن هو يبكي على المستقبل .

قالت : يعني .. إن أمي كانت تقول لنا إنه لا ينفق شيئا على البيت يأكل يدخن يسكر يلبس على حسابها.

رأس العام

عندما كان الناس المتغربون يحتفلون برأس السنة الغربية الجديدة اتصل عارف في الصبح بوردة على العيادة ، وقال صارخا : هذا الرجل جن يا وردة!

ـ من ؟! بلص .

قال: ومن غيره ؟!

قالت : ماذا حدث ؟!

قال صارخا: احتفل الليلة برأس السنة في البيت ، لم يحترم موت زوجته .. أحضر عشرة أشخاص .. نساء ورجال.. سكر غناء رقص مجون ، لا احترام للبيت وللميتة ، قال لي: كنا كل سنة نحتفل بعيد رأس السنة . قلت له : أمي عمرها ما احتفلت بالمناسبة بالبيت ، كانت تسهر في الفنادق الفخمة.

قالت : أيضا !

قال بنفس العويل : تشاجرت معه ومع شلته ، فحبسوني والمرأة والبنت في غرفة النوم ، وأغلقوها علينا ، ولولا ميرا لكسرت الباب .

قالت : لماذا لم تخبر الشرطة ؟

صرخ : أخذوا منا الموبايلات .. عليكم أن تطردوه من البيت أو أترك له البيت.

ـ أنت حر الآن!

قال: الصبح فتحوا السجن .. أنا لا أقبل أن تتحول الدار لبيت دعارة ؛ كما حصل الليلة .

قالت : سأتحدث مع إخوانك يا عارف ! هذا فعل قبيح ! أين أنت الآن ؟

قال : في البيت ، وقد استدعيت زميلا لفحصنا .

قالت : الحمد لله على السلامة .. بعد الظهر عندما تأتي زميلتي في العيادة سأزورك في البيت أنا وجهاد .. سالم خارج البلاد يتابع أعماله الخارجية في دول الخليج.

قال بصوت منخفض : نعم ، أنت الكبيرة ، يجب أن تجدي لنا حلا .. فميرا في غاية الانزعاج والخوف، وتهدد بالرحيل لبلدها .. وسلمى طول الليل تصرخ ومرعوبة .. الدار تحولت لحانة وصالة رقص وغناء لهذه الأجهزة .. هذا رجل ملعون .. كان قبل شهر مثل الأرنب مذعور .

قالت بابتسامة وضحكة صغيرة : سنرى ما بوسعنا فعله يا عارف! انتظرني بعد الظهر .. فهذا فعل لا يجوز في بيت أمي .

فهمس : أكيد أكيد انزعجت في قبرها من قبح غدره.

ابتسمت وقالت : لابد أنها انزعجت . وكانت تبتسم لساذجة عارف الطبيب.

قال: أنا في انتظاركم ؟. تريد ميرا معرفة موقف العائلة من بقائه في البيت ، نحن أم هو .. فقد ذهبت من كانت تربطنا به يا وردة ! زوجته وماتت فلماذا يبقى يتلصص على بدن ميرا ؟ إنها منزعجة من سوء نظراته الخبيثة.

قالت : يا الهي !

قال : إنه وقح ! منذ انتهى العزاء وهو يتغزل بصدر ميرا وسيقانها وأردافها .. عيون خبيثة .

قالت : من يطعمه يا عارف؟

ـ المطاعم.

****

أخبرت الأخت الكبيرة جهادا بشكوى عارف من

زوج أمها التي ماتت قبل أيام وأفعاله ليلة رأس السنة الميلادية المحتفل بها في أغلب دول العالم ، وقد تذكرت في نفس الحين جنونها وفسقها مع أصحابها ذكورا وإناثا تلك الليلة واهتمامهم بها وهمست : لعنة الله على الجهل ! فكان جهاد يسمع ويقول : معقول معقول هذا فعلا جن بلص!

ولما نقلت إليه أغلب ما سمعته من عارف ، علق جهاد: أنت ما رأيك في صحة ذلك؟

تفاجأت بالاستفهام وقالت : هل يختلق عارف ذلك؟!

قال: لا يختلق ، يبالغ ويضخم .. ما هي ميرا طول عمرها تمشي شبه عارية في البيت .. هذا تقوله أمك وزوجها ؛ لذلك كنت أنا وسالما نطلب من أمنا ألا تظهر عندما نكون عندها ، ولا تجلس في مجلسنا .

قالت بخجل : هذا صحيح حتى أنا كنت أتجنب أن أكون في البيت عند زيارتكم ، فطول عمره بلص يراها بالصدرية والسروال القصير ، ومرة سمعت أمنا تقول له أمامي : لا تظل تتغزل بسيقان ميرا ولحمها ، عارف يتضايق ، فرد أنا أفعل ذلك لتشم وتستر ها اللحم بطنها وظهرها واذا بغار ابنك عليها يأمرها بالحشمة أمامنا.

قال : هذا صحيح أيضا . . المزعج السكر والحفلة في البيت .. فهو وأمك وعارف وميرا يحتفلون بهذه الليلة كل سنة حتى ولو كان الثلج يملأ الأرض ؛ لكن في الفنادق الفخمة والنوادي الخاصة خاصة بمعنى الكلمة.

ـ وغير المزعج.

قال : الحبس لماذا ؟ فهم شركاء الكأس .. يبدو أن ميرا مستعجلة على تملك الدار بحجة أنها كانت تعيش مع أمنا ، وتوزيع ملايين زكية أمنا .

قالت : كيف ستملك الدار ونحن شركاء فيها؟

قال : نلغي شراكتنا بالتنازل لها عنها بحجة سكانهم فيها .. فأنا مهتم بأملاك أمي .. وهي متعددة ولا أحد يرغب بإدارة المعرض وتوابعه .. فسنعرضه للبيع وغيره من الأملاك حتى البنايات والشقق .. فيا سيدتي ميرا وفيرا شقيقتها يحتفلان مع أمي وبلص برأس السنة ، فلماذا لم يفعلوا ذلك هذه السنة ؟ لأن زكية ماتت !

قالت : أنت عميق الفكر يا جهاد ! والله أنا صدقت كل ما سمعته !

قال : إذن هناك إنّ وتضخيم للأمر .. هو لم يذهب للشراب والسهر حتى يبدو أمام الناس أنه ما زال حزينا على أمه ، ولا أحد سيدفع تكاليف الحفل عنهم ،ولم يحتفل مع أصدقائه وزوجاتهم في الخارج ، فعندهم رأس السنة أهم من أعيادنا الشرعية .. فهذا العيد عند العلمانيين ؛ كأنه فتح كبير .

ـ أنا غفلت أن أعرف لماذا لم يسهر في لبنان أو مصر أو حتى هنا!

قال : بلص مثل الكلب الوفي العجوز فقد سيده ، ومقدم له الطعام والشراب ، وهو جالس على مقعده يدخن وأمامه كأس الشراب.. بلص كان ديكور لأمي فبموت زوجته فقد هذا الاهتمام.. فعارف أو ميرا من الصعب أن يتعاملا معه كما تعاملت معه أمك .. وعارف عزل نفسه عنه فضاع وتاه .. وهو مريض بالسرطان يا وردة

قالت : سمعت .

قال : فلا أعتقد أنه يرغب بالرحيل ، وتغيير بيت يعيش فيه ملكا منذ خمس عشرة سنة ، فهو ألف البيت .. والكسل صفة فيه.

روايات اجتماعية

أستاذ الفرنساوية ح ٣

دعوة غداء

قال فارس مخاطبا ابنته سلوى ذات ليلة : إن حسناء ستقضي نهاية هذا الأسبوع معنا ما رأيك بدعوة صاحبك سامر لمشاركتنا الغداء لتتعمق معرفتنا به .. ؟

التقت عيناها بعيني أبيها وقالت: هل تظنه يقبل؟ .. علبة العصير يقبلها مني بصعوبة .. فهو يحب أن يقوم بدور الرجل فعلا .. وأن يقدم المشروبات الباردة والساخنة على نفقته الخاصة

ضحك فارس وقال : هذا صاحبك شرقي مائة في المائة .. الراجل يدفع .. والله إن صاحبك عجيب .. يصلي ويصوم ويصاحب البنات !

قال مدافعة عن صاحبها : سامر لم أره يصاحب أي فتاة .. تحية وبس ..لا يصافح أي بنت يا أبي إلا أنا .. وهو يعتبرني خطيبة له .

قال مازحا : خطيبة بدون موافقة الأب !

ـ فتاة حاولت سرقته مني .. أو أرادت إغاظتي .. حاولت الانفراد معه بحديث .. فاعتذر إلا بوجودي .. ولا تنسى أنه متقدم عليّ بسنة دراسية ومع ذلك يحافظ على مشاعري .. لكنني سأدعوه على لسانك أقول الوالد يدعوك لمشاركتنا الغداء ولتتعرف على الطفلة حسناء .

قال فارس : افعلي ذلك .. ادعوه باسمي .. رغم أنني لم أقابله إلا تلك المرة .. فإن هذا الشاب يستهويني مثلك يا سلوى .

وبعد لحظات صمت قالت سلوى فجأة : أتخشى عليّ منه يا أبي ؟ إنه يريد خطبتي حقيقة كما قلت من قبل رغم أنني لم أسمعه يقول أحبك يا سلوى ابدأ .. ولكن علاقته بي والجلوس معي والمشي معي تغني عن الكلام ..

ـ يبدو أنه لا يحضر مسلسلات ليحفظ هذه الجملة

ـ وأنا فعلا أتمنى الزواج منه يا أبي ..

قال : ولكنكم من سن متقاربة يا سلوى .. ربما يكون فارق السن البسيط من عوامل نجاح الزواج ..كنت أنا وأمك من سن واحدة تقريبا .. وعشنا

قصة حب كما يقال وانسجام .. ومع ذلك فشل الزواج أمام العواصف .. فتزوجت عليها ..

فقالت باسمة : لا أعتقد أن السن سبب في تباعدكما .. فزهرة كانت تصغرك بكثير ثم طلقتها

ـ زهرة تريد الذرية .. وأنا لم يبق عندي ذرية

ـ ما هي العواصف التي فرقت بينك وبين أمي ؟

قال بعد تأنٍ: ضعف الحب بيننا ،ومشاكلي مع أهلي وأهلها

ـ جعلتها تتخلى عنا .. لابد أن شيئا أكبر من ذلك دفعكم للطلاق

ـ مشاكل أكبر!.. كانت علاقتي مع أهلي سيئة جدا يا سلوى

ـ وما زالت يا أبي .. من النادر أن أراك تلتقي بقريب .. فحتى جدنا قليلا ما نراه .. لماذا لا يزورنا الجد محسن ؟

قال ساهما : ظروف يا سلوى .. إنهم يتهمونني بقتل أمي أو إنني سبب موتها بالقلب .. أترين أنني يمكن أن أقتل أمي ؟!.. صحيح أنها ماتت على أثر موقف حاد .. فجعل بعض أقاربك أنني أنا القاتل

ـ تنهد بعمق ـ مشاكل تراكمت فزاد الجفاء بيننا .. فكان البعد عنهم الحل السليم .. ولكني أقابل أبي من زمن إلى زمن في بيت الخالة أم حسن بالترتيب مع حميدة عمتك حميدة

فاجأته بسؤال : هل تحب أباك يا أبي؟

ـ هل أحب أبي؟! طبعا أحب أبي .. قد يبدو لك أن بيننا برودا فالسبب أنهم يتهمونني بمقتل جدتك أمي .. حتى أن أحد أعمامك يوم موتها صفعني مرتين أمام حشد من الأقارب والجيران لأهلي .. وحقرني وطردني من دار أبي .. واتهمني علنا بمقتلها .. كانت إهانة قاسية وعجزت يومئذ عن فعل شيء .. ولم يدفع أحد الظن عني .. فغادرت كمدا مجروحا ناقما .. علمت فيما بعد أن والدي طرد عمك من بيته .

ـ أي عم ؟ لا أعتقد العم محمودا .. فهو يتحين أيام الجمع ليراك

ـ عمك جابر ، ولا أظنك تعرفينه جيدا

ـ إنه مجرد خيال ..أنا لا أعرفه فعلا .. حتى عماتنا لا نعرفهن معرفة جيدة يا أبي .. العمة حميدة عرفتنا عليها قبل سنوات ..

ـ نعم ، للأسف معرفتكم بعماتكم ضعيفة .. وبعد طلاقي لأمك أيضا خفت علاقتكنّ بأخوالكنّ وخالتكنّ .. ومن أجل المشاكل التي أحاطتني أرسلتكن للمدارس الداخلية لإبعادكنّ عن هذه التوترات والمناكفات .. كننا ننهش في بعضنا نهشا ، نحن ليس لنا من أهلنا إلا العم محمود والعمة حميدة التي تلقينها أحيانا عندما تصحبنني لبيت خالتي أم الحسن لرؤية أبي

ـ لماذا لا تتصالحون يا أبي ؟!

ـ الأمور تعقدت يا بنية .. فعمك جابر طلق زوجته الأولى ، وتزوج أخرى بسبب مشاكل العائلة .. وقد طرده أبي من بيت العائلة الكبير .. ووالد زوجته الأولى اشترى لابنته شقة واعتنى بها وبأولادها .. فشب الأولاد يبغضون أباهم ويعتبرونه مجرما ، وأولاده من أجيالكم .. وسمعت أن خضرا تزوج من عهد قريب ، ولم يدعُ والده أحدا منا لعرسه وزفافه .. وعمتك خديجة تعرضت لحادث هلك نصف جسدها منه ، فأصبحت مشلولة فتزوج عليها ابن عمنا عدة نساء .. وباقي عماتكم لي سنوات لم ألتقِ بهنّ .. فخطوط الاتصال بيننا ضعيفة وربما مقطوعة .. كنّ بعيدات عن مشاكل العائلة فظللن بعيدات .. فمنذ موت أمي تشتت العائلة وابتعدنا عن بعض وكلٌ انشغل بنفسه وحاله ..

بعد فترة صمت عاد يقول : نعود لدعوة سامر فبادري بالاتصال به ، وقدمي له العرض .. وما دام يفكر بالاقتران بك وتعتقدين أنه جاد فليتفضل للغداء معنا

ـ لا أظن أن سامرا يعبث بي وسيغدر بي ويتلاعب بعواطفي يا أبي الحبيب .. فأنت خير من يعلم الفساد في الأماكن المختلطة .. وبائعات الهوى كثر رغم تسربلهن بالدراسة .. فنسمع قصصا تقشعر لها الأبدان إذا كانت صحيحة يا أبي .. فبعض الفتيات تبدل ثلاثة أربعة عشاق في كم شهر .. كأن العواطف لعبة ومهزلة .. وعلى رأي سامر معرض الأزياء دائم ومستمر في الجامعة ..

همس فارس : نعم ، انهزمنا أمام الغرب .. بل انسحقنا للغاية يا سلوى ، أنا وأنت وغيرنا فنحن نرى ذلك هو جمال الحياة .. بل الحياة نفسها.. ما كان أمامي إلا أن أمشي أنا وأنت في درب التقليد الأعمى والانصياع له .. نحن الأعضاء الضعاف نلهث وراء القوي في كل شيء

ـ هل نحن نادمون؟!

رد حائرا فقال : نادمون ! كيف نندم ؟ نحن لم نصنع ذلك بأيدينا .. الدول القوية هي التي تصدر لنا كل ذلك باسم الحرية .. وكلنا يحب الحرية.. باسم الديمقراطية .. وليس من السهل السير عكس التيار .. فلما انتقلنا من مدارس الفصل بين الجنسين إلى الجامعة والاختلاط بالنساء والفتيات والأفكار وسماع الحكايات والمغامرات ضعفنا.. فهذا شيء مثير ومبهر لشاب مراهق أن يجد نفسه بين عدد من الفتيات السافرات .. يتحدث معهن في أمور حساسة يخجل أن يتكلم بها أمام الفتيان .. فماذا ستكون النتيجة ؟ يوم مع هذه وآخر مع أخرى .. فأصبحت مصاحبة هذه ومصاحبة تلك أمر هين .. بل رأيت من يتلقى عشرات الرسائل من عشرات الفتيات في آن واحد .. انفلات

عجيب وماكر .. بل يوصف الشاب الذي لا يصاحب فتاة أو أكثر متخلفا ومعقدا .. والشاب المنتقل من بيئة محافظة والمحروم من مصاحبة المراهقات يجد نفسه في بيئة الجامعة والاختلاط في لهفة وهوس .. والجامعة لابد منها اليوم للدراسة والعمل في المستقبل .. حتى أننا كنا نسمع بعض قصص الشباب في كليات تعتبر محافظة كالشريعة والعربية .. أرى الوضع اليوم أخف من أيامنا .. أو أن الناس اعتبرت الأمر عاديا طبيعيا فقل تناقل مغامرات الشباب والشابات كالسابق .. ها أنت تتحدثين عن صاحبنا سامر بأنه لا يرضى بمخالطة الفتيات والعبث بهن .. أنا أذكر أيام دراستي إذا لم نجلس بين خمس طالبات أصبحت منبوذا .. ولا يعني الجلوس معهنّ خداعهنّ بالحب والزواج والأوهام إنما التسلية والعبث .. السخرية من بعضنا البعض.. والكل يخترع حكايات البطولة

ـ لقد حاول بعضهم جري لمثل ذلك بعدم الالتزام والارتباط بشخص واحد خلال سنوات الجامعة ، فهذه سنوات طوال .. ولكنّ سامرا حذرني من اللعب على الحبال ، وحذرني من كثرة الأصدقاء .. سلام وبس .

ـ وهل أطعته بذلك ؟

ـ لا أستطيع أن أرفض يا أبي .. فسامر شيء مهم كما قلت لك في حياتي .. أنا أثناء المحاضرات أحيانا أخرج رسمه وأنظر إليه .. أرغب أن أبقى معه باستمرار.. أحاديثه وأحلامه ساحرة وممتعة .. فلو قال شيء عليّ التنفيذ .. لا تزعل مما أصرح به.. أنا مسحورة به .. أرجو ألا تتضايق من حريتي يا أبي .

ـ كيف أتضايق من صراحتك ومن عواطفك الصريحة ؟!.. أنا أحب الصراحة حتى ولو كانت مؤلمة .. نحن في مجتمع مليء بالعيوب والأمراض .. وأنا تأثرت من كلامك مع سامر .. وحبك وميلك العجيب له .. والعجيب أنه يصلي ويصوم ويعترض على ثيابك القصيرة والبنطالات

قالت : هو يريد أن أتخلى عنها بدون ضغط وإكراه ، ولكني عاجزة عن فعل ذلك .. عاجزة للغاية .. تعودت عليها وأصبحت جزءا من كياني .. وهو يعلم أنني عاجزة وضعيفة .. فقال مرة عندما تصيرين خطيبة يمكنني أن اشدد عليك يا سلوى

ـ أتستطيعين الاستغناء عن هذه الثياب ، وهذا اللبس بعد أن تعودت عليها وعن المكياج ؟!

ـ المكياج لم أعد استعمله .. ألم تلحظ ذلك يا أبي ؟ لا استعمل إلا أحمر الشفاه .. حتى العطور الباريسية أتجنبها في الكلية .. استخدم بعض العطور ذات الرائحة الخفيفة

ـ وأين تذهب عطور باريس التي اجلبها لك ؟

ـ استخدمها داخل البيت .. وبعضها في خزانة

الثياب .. سامر لا يحبها ، وقال إنها تثير الغرائز وتلفت أنظار الشباب أكثر .. للروائح إثارة حادة



حضور الدعوة

قبل سامر الدعوة التي قدمتها سلوى بلسانها عن رغبة أبيها بهذه الدعوة ، بل قبلها سريعا دون تردد أو تفكير مما أثار دهشة سلوى ؛ ولكنها لزمت الصمت في مناقشة سامر بسرعة قبوله .

وبعد صلاة الجمعة انطلق سامر إلى الضاحية التي يقطن فيها الدكتور فارس محسن ، ووجد الدكتور منتظرا أمام الفيلا ، وتصافح الرجلان وبعد التحية والسلام قال سامر : خشيت أن أضيع في هذا الحي .. لا يوجد محلات تسألهم عن بيتكم ..أسمع أن أهل مثل هذه الأحياء لا يعرفون بعضهم بعضا !

ضحك فارس وقال : إلى حد ما يا دكتور سامر.. الكل في عمله .. الرجال والنساء في الغالب فهم يحيون بعضهم بالإشارة ؛ لأن أغلبهم يركبون سيارات خاصة .. وهذه ضاحية من فلل مستقلة .. ربما نظام الشقق يسمح للجيران بالاختلاط أكثر.. أهلا وسهلا بك يا سامر.. أنا خشيت من كلام سلوى أن ترفض ..

قال سامر: هذه أول مرة أقبل دعوة مثل هذه من سلوى خارج الجامعة .. لست محبا لدعوات المحافل والمطاعم والسهرات ..

ـ هذا شيء لم تخبرني عنه سلوى .. ألم تخرجا معا للغداء في مطعم أو نادي ؟

ـ لا ، رغم محاولاتها .. حصرت صداقتنا في الجامعة

ـ ولا مسرح ولا سينما ؟

ـ لا أحب ذلك يا سيدي الدكتور .. قبل الجامعة دخلت السينما بضع مرات ، ثم أحسست بالندم والسخافة بعد حضور كل فلم ، وأنني ضيعت وقتا بغير فائدة وعلم ..أنا يا سيدي أحب العلم والقراءة الكثيرة

قال الدكتور : طال الوقوف بنا أمام البيت .. وسلوى وحسناء ينظران إلينا بغيظ .. انظر إليهنّ واعلم أنني معجب بك وبأفكارك .. فأنت رجل بمعنى الكلمة يا سامر

قال بحياء : شكرا سيدي ، وأنا أفخر بسماعي ذلك من شخصك الكريم

دخلا الفيلا وأخذت سلوى وحسناء تعاتبان أباهما على طول مكثهم أمام البيت فاعتذرا لهم

وتابع سامر قائلا : التلفزيون والفضائيات أخذت موقع السينما والمسرح وحتى المعارض

ـ نعم ، الفضائيات عالم جديد في زمننا هذا

فصاحت سلوى: بماذا تتحدثان ؟ .. التلفزيون .. المسرح .. السينما .. ظننت لما رأيتكما تتحدثان أمام البيت أنك تعتذر لوالدي عن الغداء

ضحك سامر وقال : دعوة الدكتور لا ترد ، ولو أردت الاعتذار لاستخدمت الهاتف .. هذه حسناء الحسناء .. كيف حالك يا حسناء؟ .. أنا سامر زميل شقيقتك في الجامعة .

ـ اعرف .. لقد جننتني بالحديث عنك .. أنت إنسان عادي

ضحك فارس وسامر على مداعبة حسناء فقال سامر : أنا بالطبع إنسان عادي ، ولم أنزل من الفضاء .. من كوكب آخر .. مرحبا بك

رحبت الفتاة بسامر وقالت : أنا سعيدة بوجودك معنا يا دكتور سامر .

جلسوا في غرفة الاستقبال ، وبعدما قدمت لهم الخادمة شراب الفواكه قال فارس : لقد ظهر من حديثي مع سامر شيئا جديدا لم تتحدثي به أمامي ؟

نظرت الدكتورة سلوى لوالدها باسمة وقالت : شيء جديد لا أعرفه ؟!

ـ تعرفينه ولم تتكلمي به أمامي .. علمت أنكم لم تتناولوا طعاما في مطعم خارج أسوار الجامعة لم تترافقا في غداء أو عشاء أو سهرة في نادي أو مقهى

ضحكت سلوى وقالت وهي تنظر لسامر مرة ولأختها حسناء مرة أخرى : سامر رجل محافظ يخشى أن يرانا والده .. فتصير فضيحة

تضاحك السامعون على نكتة سلوى ثم قال سامر: أبي يثق بي وكذلك أمي .. ونحن ليس بيننا رباط خاص لنسهر ونتعشى .. وسمعتك مهمة عندي يا سلوى .. وأنا لست عاجزا عن فعل ذلك .. ولست بخيلا يا دكتور فارس .. فأنا أدرس على نفقة الوالدين .. فلن يعجزهما دفع المزيد من المال

قالت سلوى وهي تنتقل للجلوس بجواره : أنا امزح .. لا تغضب ..

ـ ابدأ لست غضبان ولا متضايقا .. فالذي بيننا سيكون حياتنا

فقالت : وسامر يا أبي ليس من عشاق المسارح والسينمات .. ويعتبر ذلك سخافة وإضاعة وقت فمسرحنا ساحات الجامعة وأشجارها .. وهو يحب الاستلقاء على الأعشاب .. ونقضي نصف وقتنا إن لم يكن كله .. عن الحديث عن النبات والزراعة وفوائدها .. والحشرات التي تعيش عليها وعجائب أفعالها ... فأخرج من محاضرة إلى محاضرة مع أستاذي سامر .

نهض فارس قائلا : لا بأس .. ها هي بيبيانا تقول إن الطعام قد وصل ..

دخل عمال أحد المطاعم يحملون صواني الطعام والعصائر .. ودخلوا به إلى غرفة سبقتهم إليها

الخادمة ، وهم يعرفونها ؛ لأنها ليست أول مرة يقدمون بها لهذا البيت .. فكل مناسبة يأكلون في البيت تحضر لهم شركة صناعة الطعام الطعام للبيت .

فلما خرج عمال المطعم دعاهم فارس للغداء . ثم عادوا بعد طعامهم إلى صالة الجلوس ، فجلس سامر على أحد المقاعد الوثيرة وبجواره فارس وقابلتهما سلوى وحسناء ، ووضع بين أيديهم الشاي ، فسامر من المغرمين بشرب الشاي كما أخبر سلوى ، فلما وضع الكوب أمامه قالت : شاي على الطريقة الفلبينية فخادمتنا فلبينية يا سامر ..

فقال سامر : كلنا أبناء آدم وحواء

فضحك فارس وحسناء وقال فارس : هذا سامر صديقنا يا حسناء

فقالت بحياء : شاب لطيف

فضحك سامر وقال بحياء : شكرا يا حسناء الحسناء .. أنت تتلقين العلم في مدرسة داخلية مثل سلوى قبل الجامعة ..

ـ نعم يا دكتور .

ـ هل أنت مرتاحة فيها ؟

ـ يعني ...

فقال فارس متحسسا: ماذا يعني يا حسناء؟! .. أنت في مدرسة داخلية لظروفنا التي تعلمينها أنا في العمل .. وسلوى في الجامعة .. ولا أم في البيت

فقالت حسناء : أنا أتمنى أن أعرف لماذا تكرهنا أمنا ؟ على غير ما نسمع عن الأمهات !

فقال فارس بضيق : أمك لا تكرهك يا حسناء ، لكل ظروفه وأحواله .. ألا تذهبين إليها كل شهر ؟.. لرؤيتها والجلوس معها

فصاحت بغضب خفيف : إني لا أحب رؤيتها ..

فنظر فارس لسامر وقال : لعل سلوى وضحت لك شيئا من طلاقي لأمهم .

ـ كأنني سمعت بعض الشيء .. لماذا لا تتزوج مرة أخرى يا دكتور فارس ؟! ..أنت ما زلت شابا

رد باسما : سأفعل في الوقت المناسب .. يا حسناء السيد سامر يدرس في كلية الطب مع شقيقتك سلوى ليصير طبيبا في الغد الواعد ..

ـ تشرفنا يا دكتور .. آسف لذكر بعض مشاكلنا وهمومنا أمامك

ـ أبدا يا حسناء .. نحن أهل ، وربما يكون ذلك قريبا إذا وافق الوالد العزيز

ضحك فارس وقد فهم مغزى كلام سامر: أوافق !.. أنت عجيب يا سامر .. اليوم الكلام لكم أنتم .. وهل إذا قلت لا ستقبل سلوى؟ .. سلوى تتحدث عنك أمامي بكلام أشعر بأنها تعبد الأرض التي تدوس عليها ..

قال سامر كأنه معترضا على تعبير فارس : استغفر الله .. استغفر الله .. العواطف في الإنسان عجيبة يا سيدي الفاضل .. أنا كما تعلم أسبق سلوى بعام دراسي كامل .. وقد التقيت بأوانس وموظفات كثر في الجامعة .. ومع ذلك لم اهتم بأي فتاة .. ومع احتكاك عدد منهن بي لتكوين صداقات .. أيضا رفضت أي صداقة بغير حدود المعرفة في قاعة الدرس .. إلى أن كنا يوما في مدرج محاضرة .. فجلست قريبا مني سلوى .. لقد كانت ثيابها جميلة ومثيرة للنظر .. وربما كل من في المحاضرة رآها وتأملها

قالت سلوى : ماذا تقصد بالمثيرة ؟ .. فأنا ألبس مثل كل بنات الكلية .. لا أذكر أني ألبس شيئا مميزا عنهن ..

فقال سامر ضاحكا : مع الاحترام لكم جميعا كنت يومها تلبسين ثيابا من ينظرها يظن أنك بلا ثياب .. معذرة يا دكتور .. لا أعرف أحيانا تلبس الفتيات ثيابا كأنها ليست ثيابا .. ثم تبين لي أنها موضة جديدة كانت تنتشر في البلد .. وكانت سلوى أيضا تضع عطرا ظاهرا للعيان .. ورائحته قوية وجميلة ونفاذة .. فشدت نظري إليها في ذلك اليوم .. وفوق ذلك كانت جميلة .. المهم انشغلت باختلاس النظر إليها وتحركت غرائز الإعجاب نحو هذه الفتاة .. وأدركت يومئذ أن بعض النساء تفتن الرجال .. إنني أتكلم بصراحة يا دكتور .. فصرت استرق النظر إليها .. والمفاجأة أنها كانت تفعل مثلي .. وكلما تتلاقى عيوننا نتبادل الابتسام .. وتكرر النظر واختلاس النظر بيننا .. بالنسبة لي أنا كانت هذه أول أنثى تثيرني يا دكتور فارس .. اغفر لي هذا الحديث الصريح لأن له ما بعده .. وهي زعمت بعد تعارفنا أنها كانت مهتمة بي من قبل ولكني لم أكن مكترثا .. بملاحقتها .. لما رأتني أحدق بها .. اقتربت مني وأحبت أن تتعرف عليّ .. ووجد ذلك في نفسي هوى .. فرحبت بها وقلت لها صراحة إنني مفتون بك يا سلوى .. وهي أول مرة أضعف فيها أمام هذه العيون ثم صرنا أصدقاء بمعنى الكلمة

وقالت سلوى بسرور بائن : وصرت تغار عليّ .. كأننا عنتر وعبلة.. أو قيس وليلى .. افعلي كذا ولا تفعلي كذا

وقال سامر : وجدتها تعشقني عشقا كنت غافلا عنه يا دكتور .. وأنا عرضت عليها أن أخطبها بسرعة الصاروخ ..

فقال فارس : رغم أن هذا الكلام الصريح صعب على النفوس .. ولكني معجب بك .. ومعجب بأسلوبك الراقي في الحديث وتبسيط القضايا .. ولا تشعر بالحرج مع أنك تتحدث مع والد الفتاة التي خفق لها قلب الشاب .. ومع ذلك لليوم لم

تصرح لها بتلك الكلمة الخالدة
ـ كلمة عظيمة .. ولكن أهل العبث جعلوها سخيفة .. بعض شباب الجامعة يقولها لخمس فتيات في اليوم الواحد .. أحبك .. أحبك .. فهل هذا حب ؟ إنه لهو ولعب .. كلمة تتردد على الأفواه بشكل متكرر وممج ، ويتغنى بها المغنون والمغنيات حتى صدعت رؤوسنا منها .. الحب يا سيدي الدكتور بالقلب والفعل
فهتفت حسناء معجبة : فعلا أنت مدهش يا سامر ! .. فأنا أرى أنك محب لسلوى أكثر من روميو الذي قرأنا قصته في المدرسة .. فهي من القصص المهمة لوليم شكسبير المسرحي
الإنجليزي والشاعر العظيم .
فقال وهو يشكر حسناء برأسه : وهل يأتي طالب لخطبة فتاة من غير حب ورغبة وإعجاب ؟! طالب .. أتعرفين معنى طالب ؟! يعني عالة على أهله في دفع ثمن المحاضرات والكتب والمصروف .
فقال فارس : إنك كبير يا سامر ! ..أنت مثقف وقارئ جيد جدا .. فأنا كما قلت آنفا لا دخل لي بالموافقة .. الأمر لكما .. ولكن أهلك يا سامر ؟
ـ أهلي .. أهلي يعرفون بصداقتي لسلوى .. ولما وضحت لهم مشروع الخطبة خلال فترة الدراسة ثم الزواج يكون بعد التخرج .. وأخذت بذكر ما أعرفه عن سلوى وأسرتها .. قالوا إنك قد ترفض بشدة
صاح فارس دهشا : أرفض ؟! هو أنا الذي سيتزوج يا سامر ؟!
تبسم سامر وقالت سلوى مستغربة لكلامه : ماذا تقول ؟ أنا التي يجب أن توافق وتقبل !
صاح سامر : أنت موافقة يا سلوى .. هل غيرت رأيك ؟
فخفضت نظرها للأرض وقالت : وهل لي رأي يا سامر ؟!
فضحك فارس وحسناء لخضوع سلوى لسامر وعاد فارس يقول : ولماذا يتوقع أهلك أنني سأرفض ؟!
نظر إليهم سامر ناقلا بصره للجميع ثم قال : لما أخبرت أمي وأبي عن سلوى ووالد سلوى ضحكا ضحكا عاليا حتى ظننت أنني أتكلم بنكتة أو طرفة .. ولما دعتني سلوى لهذا الغداء قلت إنها فرصة للمكاشفة يا سيدي الدكتور
فقال الدكتور : ما زلت في حيرة ؟ هل لوالدك معرفة بي ؟
فابتسم سامر وقال : بل هم أقارب لك .
أطفأ فارس سيجارته للمفاجأة وحدق بعيني سامر وقال : أقارب لي !
ـ أجل يا سيدي الدكتور ، قالت أمي في يوم من الأيام كان أهلها يرغبون بتزويجها منك

وقف فارس دهشا وقال : يا الهي !.. حبيبة محمد .. أمك ابنة عمي.

ـ عرفت من عهد قريب أن أمي ابنة عمك .. فأبي هو الدكتور خالد موسى وأمي من ذكرت فلما تزوجت السيدة ثريا تزوج أبي خالد الطبيبة حبيبة وأنا ابنهم البكر .

وضع فارس ـ وهو يعاود الجلوس ـ رأسه بين يديه وقال: يا الله !



تلقى فارس اتصالا هاتفيا من شقيقته حميدة محسن قالت بعد السلام والسؤال عن الصحة : إن أختك أمينة وأنا ندعوك لحفل زواج ابنها محمد على ابنتي ناعسة

ـ البنت صغيرة يا حميدة !.. أليست البنت الصغيرة ؟

ـ هي صغيرة بالنسبة لبنات اليوم .. فبعد سنة تأخذ الثانوية العامة .. لكن ابن أختي راغب بالزواج منها .. وأبوها موافق ، وكذلك البنت لم تمانع ولم نجبرها يا دكتور ..

ـ ومحمد هذا ماذا يعمل ؟

ـ هو مهندس .. عمره خمس وعشرون سنة .. درس هندسة مدنية .. أنت لا تعرفه .. أولاد أمينة أربعة وبنت واحدة ..هو معجب بالبنت .. وبين والده وزوجي قرابة أيضا .. وأنا يوم الخطبة لم أدعوك لمعرفتي برفضك لمثل هذه الحفلات العائلية كما عودتنا ..وأما اليوم فربما تغير الوضع

ـ تغير لماذا؟

ـ سمعنا أن ابنتك قد تتزوج من ابن حبيبة الدكتور سامر .

تبسم فارس وقال لنفسه لا شيء يُسر ثم رد : حقيقة كانت مفاجأة لي معرفة سامر خالد بسلوى وهو ولد لهلوب وعقله كبير .. أتعرفينه يا حميدة ؟

ـ لا ، منذ تزوجت حبيبة من الدكتور خالد ، وعلاقتنا ضمن المناسبات الضيقة كعرس أو مأتم والدكتور خالد قليل الاختلاط بنا وبعائلتنا .. وحتى زيارات حبيبة العائلية لا يرافقها فيها كثيرا .. فهو مشغول في عيادته ومرضاه .. وسامر لا أعرفه قطعيا .. ربما كنت أراه صغيرا ولكني اليوم لا أذكره .. فقط أسمع باسمه عندنا يأتي حديث أولاد حبيبة في أثناء أحاديثنا العامة والعابرة .. وحبيبة كما تعلم طبيبة مثل زوجها وعندها خمس أو ست مواليد .. وهي سيدة فاضلة وتكنى بأم سامر ..

ـ متى حفل زواجكم وأين مكانه ؟

ـ يبدو أنك ستغامر بالمجيء .. فحفل زواجنا

سيكون في صالة حفلات عنوانها (صالة الشهد في شارع بهلول الشامي) الساعة التاسعة ليلا يوم الأربعاء

قال مضطربا : إذا جاءتني الشجاعة يا حميدة سآتي ومعي البنات .. هل سيدعى الدكتور خالد لهذا الحفلة ؟

ـ نحن في مثل هذه المناسبات يا فارس ندعو كل بنات العم وأبناء العم وأبناء الخالات .. وحبيبة ابنة عمي محمد .. وأنا وأمينة أهل العروس والعريس .. سندعوهم بإذن الله تعالى .. وسأدعوها بالهاتف أيضا فوق كرت الدعوة .. وأبين لها رغبتك بالتعرف على الدكتور خالد والد سامر .. أليس ذلك جيدا ؟

ـ أنا أعرف ذكاءك يا حميدة .. أنا بالنسبة لزواج سلوى من ابن حبيبة لا اعتراض عندي .. الأمر كله لسلوى وسامر .. فهي التي ستوافق وتتحمل مسؤولية الزواج المبكر .. وأنا ليس في قلبي ضغينة لحبيبة .. أو غيرها .. وأنا لم أقل لحبيبة يوما ما إنني سأتزوجك .. إنما هو كلام الكبار .. تقليدا للعادة التي كانت سائدة قديما لا خيار للبنت .. اليوم الزمن تغير .. والمرأة لها حرية اختيار أكثر .

ـ توكل على الله .. والأمر لله .

قالت سلوى لسامر بهمس: والدي يرغب بأن نزوره في مكتبه اليوم قبل مغادرتنا الجامعة

ـ والدك لم يرفض كما توقعت أمي .

ـ أمك مخطئة .. أبي كما قال رأيي أنا المهم .. وتابعت وهي تبتسم : أنا يا سامر التي ستقبل أو ترفض

فقال متهكما وغامزا : مناي أن ترفضي ..

استمرت في ضحكها وقالت : للأسف لا أستطيع .. لو تتخلى عني يا سامر سأموت كمدا .. رغم وجود الكثير من الرجال هنا .. لم أجد بينهم إلا أنت رغم محاولات البعض معاكستي يا سامر .. جذبتني أنت وحدك

فقال : عجيب أمر القلوب يا فتاتي! ..إنني أسمع صوت المؤذن سأذهب للوضوء لقد فسد وضوئي في إحدى المحاضرات لم اصمد على وضوء الصباح .. ثم سأذهب للصلاة .. هل تعلمت الوضوء يا سلوى؟

تنهدت بأسف وأجابت : أذكر مرة أنك شرحته لي .. صدق سأصلي وأصوم عندما أخرج من بيت أبي .. إني أحب ذلك .. فبيتنا مليء بالشياطين يا سامر

ـ إذا صرت في بيتي فلا أقبل الكسل والتهاون في مثل هذه الأمور .. أمي تغضب عليك وعليّ أنا لما فاتحتهم بأمرك كان أول استفهام لهم كيف هي والصلاة واللباس ؟

ـ مناي أن أرى أمك يا سامر .. التي كان أهل أبي

يرغبون بتزويجها من أبي ..

ـ وهي مشتاقة إليك ، وقالت كما قلت الآن المنى والرغبة أن أرى ابنة فارس يا سامر .. القلوب عند بعضها يا سلوى .. إنهم يتعجبون للقدر الذي جمعنا

فهتف سلوى بسعادة : أنا أحب أمك .. أحس أنني أحبها أكثر من أمي رغم أنني لم أرها

أخرج سامر رسما لها وقال : تأملي هذه الصورة للتي ستكون حماتك في وقت قريب .. تأمليها حتى أعود من الصلاة .

استقبل الدكتور فارس سلوى وسامرا ورحب بهم وسألهم عن المحاضرات التي استمعوا إليها هذا الصباح ، وأحضر لهم فراش القسم قهوة وبعد ذلك قال : أريد أن التقي بأسرتك يا سامر إذا لم يكن لديك حرج .. أريد أن أتعرف على والدك الفاضل .. مع أنني لابد التقيته يوم زواج أمك .. في مناسبات مهمة في العائلة لكني لا أذكره جيدا ..

قال سامر : هو أيضا يعرفك بحكم المناسبات التي أشرت إليها.. وهو راغب بالتعرف عليك أكثر .. فأنا قبل ساعات كنت أقول لسلوى إن أمي راغبة بالالتقاء بها .. ومشتاقة لرؤيتها .

ـ أمك حبيبة .. إني أذكرها جيدا يا سامر .. فأخوها مازن خالك زوج أختي الكبرى خديجة ..

قالت سامر بشفقة : هي اليوم نصف مشلولة شفاها الله .. ومازن عدوك اللدود كما تقول أمي هو خالي .. وأمي سعيدة جدا يا دكتور لو حصل هذا الزواج وتعتبره من أعاجيب قدرة الباري وسلوى أغرقتني بالخجل وقد أقرت بأنها تحب أمي قبل أن تراها ..

ضحك فارس وعلق : يا سيدي ابنتي تموت فيك .. ولو أحببت حجرا لأحبته سلوى .. أنا مستغرب من حبها واستسلامها لك يا سامر ..

فقالت سلوى : بل أحبها أكثر من أمي .. التي تخلت عنا

نظر فارس لابنته وقال : ستبقى أمك يا سلوى .. نحن اخترنا الانفصال لظروف أحاطت بنا وهي كانت تضع الزواج ثانية بين عينيها .. وهي لم تتخلَ عنكما ؛ ولكنني أنا طلبت حضانتكما ورعايتكما بدون تدخل المحكمة وحكم القاضي .. كنت في أول سنوات المراهقة فأحببت تجنيبك المشاكل والعقد النفسية التي ربما تصدر عن انفصال الأبوين يا سلوى .. وكنت أرى يا سامر أنها لا تصلح لهما أما في ذلك الوقت .

فقالت سلوى : وأنا أحببت أم سامر لأنها أحسنت تربية سامر .. ووهبتني إياه .

فضحك سامر وفارس على طيبة سلوى وسذاجتها

فقال فارس : أكيد يا سلوى .. فسامر مخلوق عجيب ومحترم .. فثقافته وسلوكه وفكره أكبر من سنه ما دام يفهم في النباتات والحشرات والفلك والعواطف والعطور .. الاستقرار العائلي له دوره المهم في سعادة الإنسان وتنشئة الأطفال

قال سامر : هو ما تقول يا دكتور فارس .. والحياة لن تكون صورة واحدة .. التباين والتوافق كل هذه من صور الحياة الدنيا .. وأنا يشرفني أنا أكون عند حسن ظنكم .. وسأرتب لدعوة لكم مع الأسرة .. ولا تنسوا بالطبع صحبة حسناء بمعيتكم للتعرف على أهلي وأخواتي إن شاء الله

ـ شكرا يا سامر .. فحسناء طبعا مبهورة بك .. وقد أغدقت المديح عليك وعلى سلوى لحسن اختيارها لك .. بعد مغادرتك ذلك اليوم .. هناك عرس لابن وبنت شقيقتيّ هل دعوت له ؟

فانتبه سامر وقال : كأنني سمعت بعض الحديث عنه في البيت .. بنت السيدة حميدة وابن شقيقتك أمينة ..

ـ نعم ، دعتني حميدة لذلك ووعدتها بالحضور .. فعلاقتي بحميدة دون أخواتي جيدة يا سامر فهذا العريس الذي اسمه محمد صدق أنني لا أعرفه جيدا .. بسبب مشاكل العائلة القديمة .. ولكن ابنها العريس شاب متعلم ومتخرج من كلية الهندسة .. وللأسف أنني لا أعرف أبناء أخواتي يا سامر .. والعجيب يا دكتور أن العروس تعتبر طفلة لم تأخذ الثانوية .. ما زال بعض الناس يتزوجون بناتا صغارا !

فقالت سلوى : ما زالت في المدرسة إذن

ـ ابنة سبع عشرة سنة .. ولكن الشاب يريدها .

التعارف

تناول الدكتور فارس وبنتاه الغداء على مائدة الدكتور خالد موسى وزوجته حبيبة محمد ، وكان لقاؤهم وديا وعاطفيا ، وقد احتضنت حبيبة بنتيّ فارس وهي تستقبلها حتى أن دموع سلوى لامست وجه حبيبه وهما تتعانقان حتى أن حبيبة همست في إذنها : ما يبكيك ؟!

فسمعها فارس فرد عنها قائلا: لابد أنها تذكرت أمها

فمسحت دموعها وقالت : أجل يا أبي

وكانت حبيبة تعانق حسناء وتحضنها بعد أن تركت سلوى ، وسمعت فارسا يقول لابنته مؤنبا أو مذكرا : سلوى يا حبيبتي.. ليست كل النساء واحد .. نحن ضيوف

فقال الدكتور خالد : بل نحن أهل يا دكتور فارس .. أنا منذ زواج حبيبة لم أرك يا أهلا وسهلا بك يا أبا سلوى

ـ وأنا كذلك .. سعيد برؤيتكم .

ومع الغداء نسيت حادثة بكاء سلوى ، واندمج

القوم بالحديث شرقا وغربا حتى قالت حبيبة : لما حدثني سامر أنه التقى بفتاة معه في الجامعة واستلطفها واستحسنها وأن لديه رغبة بطلب يدها والزواج منها .. طبعا لم نهتم أنا ووالده .. قلنا شاب انتقل من مدارس ذكورية لجامعات مختلطة .. فبعد حين سيغير رأيه ويتعرف على فتاة أخرى كعادة الطلاب والطالبات في الكليات المختلطة .. فنحن أيضا تعلمنا في الجامعات ونعرف مثل هذه القصص يا دكتور

فقال فارس : هكذا كل الأماكن المختلطة سواء الجامعات الحدائق النوادي .. وهي من حياة الجامعة .. فاليوم لا يكترث لمثل هذا القصص من كثرتها وتكرارها .. إلا إذا حدثت كارثة أخلاقية أو قصة فاضحة .. فالناس ما زالت تحب سماع فضائح الآخرين ويتذوقونها .. وتلوكها الألسن ، ثم بعد حين تذهب الحكاية أدراج الرياح ولا أحد يهتم بها إذا ظهر غيرها آ ، يا حبيبة لما أعلمك سامر بعلاقته بفتاة في جامعته

تبسمت حبيبة وقالت : قلت أنا وخالد أمر طبيعي اليوم .. ثم أخذ يكرر الحديث عن إعجابه بسلوى والخطبة لتصحيح الأمر بينهما وعدم الانحراف فقال له خالد لا تتعجل يا سامر .. ربما تلتقي غدا بفتاة أخرى وتغير إعجابك فأنت في بيئة مفتوحة وهذه سنوات سبع .. وظل سامر يدندن حول الخطبة والزواج ثم حدثنا أنه اجتمع بوالد الفتاة وهو دكتور كبير في كلية الآداب وبعد حديث عرفت أنها ابنتك فدهشت أنا وخالد للتقدير الإلهي حتى أن أبا سامر علق قائلا فارس يهرب من العائلة ، فهل يقبل بزواج ابنته ممن كانت العائلة ترغب بتزويجه إياها؟! .. ثم لما دعوتم سامرا للغداء معكم وأنه سيتحدث معك بموضوع الخطبة والزواج قلت له إن والد الفتاة قد يرفضك ولا يرضاك زوجا لابنته .. فاستغرب للغاية فصارحته بقرابتنا .. وأنك ابن عم لي .. وأن خاله مازنا متزوج من شقيقتك السيدة خديجة .. وسردت على مسمعه رغبة العائلة القديمة بزواجنا وأنك تزوجت امرأة تعلمت معها وأنا تزوجت من والدك خالد .. وذكرت له المشاكل التي ترتبت على زواج فارس من امرأة غريبة عن العائلة

فاستغرق فارس بالضحك ثم قال بعدما سمع بعض التعليق من السامعين : أقدار يا حبيبة .. لم يكن شيء رسمي بيننا يا دكتور خالد .. وكما تذكرين يا حبيبة .. عندما تزوج مازن من ابنة عمه اختنا الكبرى أرادوا أن يجاملوا بعضهم والدي الأصغر من عمي محمد فقالوا لما يبلغ فارس وحبيبة سن الزواج فهما لبعض .. وشاع الأمر في العائلة فارس لحبيبة وحبيبة لفارس . هو كلام ولا رأي لي ولا لك يا حبيبة هو رأي .. سكتنا ابن العم

لبنت العم .. ولما دخلت الجامعة صار معي ما صار لسلوى وسامر .. تعرفت على ثريا .. ودراسة شاب فقير من أسرة معدومة تشتغل لتأكل ينتقل للدارسة في الجامعة ، ويجد نفسه في مجتمع منفتح بنات تعرض أجسادهن ونحورهن للشباب بدون حياء ولا خجل .. ولا يعني هذا أن كل الفتيات يفعلن ذلك .. فهناك فتيات وطالبات محترمات لكن تلك البيئة التي وجدت نفسي فيها تساعد على العلاقات غير السوية .. الجامعة تعني الانفتاح .. فإما الانحراف والزنا وإما الحب الصادق .. فكانت ثريا القدر والنصيب .. واستمرت صداقتنا حتى تخرجنا ثم كان الزواج لابد منه .. فثارت العائلة ابنة عمك ابنة عمك التي لها سنوات تنتظر .. مع أنك كنت ما زلت على مقاعد الجامعة لم تتخرجي بعد

فقال خالد : العادات .. والتعصب لتلك العادات .. فنحن اليوم نشرف بك يا أبا سلوى وبمصاهرتك .

ـ ونحن نتشرف بكم .. وأنا قلت للدكتور سامر ..لا أستطيع أن أقبل أو أرفض فالأمر لسلوى هكذا علمتني حياة الحرية والانفتاح .. مع اكتشافي للكثير من الشوائب فيها .. ودارت حياتي الخاصة في أحوال صعبة وسيئة حتى اضطررت للزواج السري لابد أنكم سمعتم بهذا بحكم القرابة بيني وبين زوجتك الفاضلة .. تزوجت من إحدى طالباتي ، ثم اضطررت ثانية لطلاقها لرغبتها في الولادة والذرية .. ولم استطع أن أقدم لها ذلك .. وقد غادرنا للحياة في مدينة نصر لبداية حياة جديدة لكن لرغبتها الشديدة للحمل فشل الزواج .. فعدت أعزبا .. وقد حاولت الزواج أكثر من مرة وبسبب ضعفي في الإنجاب .. يرفضن .. حتى مربية حسناء الفرنسية عرضت الزواج عليها ، ولما صارحتها بعدم قدرتي على الإنجاب رفضت .. وحتى قلت لها سأسمح لك بتبني طفل أو طفلة .. فرفضت وقالت تزوجت مرتين وفارقتهم لرفضهم الإنجاب .

فقال خالد : غريزة الأمومة كما يقال .

ـ تقريبا .. فاستسلمت لقدري والبقاء بغير زواج .. نساء يردن أبناء .. حتى أنني أذنت لزهرة زوجتي الثانية بتبني طفل من ملجأ أطفال فرفضت .. أنا منذ تزوجت بثريا شرطت عليها بمولودين فقط

فقال خالد متحمسا: أترغب بالزواج يا دكتور أم انتهى التفكير بذلك ؟!

ـ حاولت ورغم أن لي سنوات بدون زوجة .. ولكن إذا وجدت من ترضى بي على علاتي سأتزوج

قال خالد : والبنات ؟

ضحكت سلوى : أنا لا اعتراض لي يا عم خالد ..

فمن حقه أن يتزوج .. وهو كما سمعته بحث ولم يجد لحتى الآن .

ـ وأنت يا حسناء .

ضحكت حسناء وقالت : نحن يا عمي نحب لأبينا كل خير وتعودنا على زوجة الأب .. ونحن لم نعش معها إلا في فترة العطل والإجازات

فعاد خالد ليقول : أنت تريدها متعلمة ومتخرجة من الجامعة ؟

تبسم فارس وقال : أكيد يا دكتور خالد .. حتى نستطيع أن نتحدث ونتناقش في موضوع ونفهم على بعضنا البعض .. فإذا حولك امرأة تراها مناسبة للعيش معي تالي العمر .. فبارك الله فيك ولابد أنك بحكم عملك مع الناس في العيادة .. مرت عليك مطلقات أرامل .. امرأة ليست بحاجة لخلفة .. وبحاجة لزوج فعلى الرحب والسعة يا دكتور .. جئنا نتعرف على أهلنا فصرنا نبحث عن خطيبة لنا .

قالت حبيبة مشجعة : لن يبخل عليك الدكتور خالد بذلك .. ما رأيك في ابنة الدكتور حمزة يا خالد ؟

هتف خالد من توارد الخواطر وقال : والله هي التي وقعت في بالي يا حبيبة .. تزوجت مرتين وطلقت من أجل الخلفة .. فشل زواجها بسبب عدم قدرتها على الحمل والولادة .. بل حاولت عن طريق أنبوب التخصيب ..ولكنها لم توفق .. وهي ليست جميلة يا دكتور لكنها مقبولة وطيبة .. هل أعرفكم بها وأهلها أم أتحدث بك عندهم ؟

فقالت حبيبة مذكرة : بس هي يا دكتور فارس تصلي وتلبس الشرعي .. لا تحب السفور والتبرج

فحك رأسه فارس وقال : هذه مشكلة .. لن تقبل بي .. بصراحة أنا ابن المدنية .. أشرب الخمر بين الحين والآخر .. أنا متحرر للآخر كما يقال عنا من قبل الشيوخ .. وعملي بتدريس الفرنسية وحبي لها يجعلني أقلدهم .. لبسا أكلا شربا سهرا .. فأنا أعيش مثلهم .. لكني لم أعشق الفجور والخلاعة ..والخليلات ..

فقال خالد مزيلا للحرج : على كل حال إذا تذكرت امرأة غيرها تناسبك وتقبل بتقاليدك وعاداتك.. سأتصل بك

التحقيق الجنائي والجريمة



الحلقة ١

الصغير عرفان

الرجل الكهل ناصر رشيدي كان يخاطب ولديه الصغيرين بخوف وعصبية ، فمنذ أيام انتهى من عزاء زوجته أم عرفان ، ومما قاله لهم : كلي حزن وهم عليكما يا أطفالي الصغار بعد موت أمكم ـ

رحمها الله ـ فأنا قد تزوجت أمكم لأرتاح من الشجار والصراخ والحرب مع زوجتي الأولى أم زياد .. ولكن ماتت أم عرفان وظلت أم زياد .. وشاء القدر لي الحزن والشقاء .. فأم زياد لا تحبكم .. تبغضكم ، تكرهكم ، بل جعلت أولادها يبغضونكم ويكرهونكم .. وأنتم لا دخل لكم ولا ذنب ؛ ولكنكم أبناء ضرتها .. فعليكم بالتحمل والصبر حتى تكبروا وتشبوا وتعتمدوا على أنفسكم .

كان هذا الخطاب موجها لفتاة عمرها أربعة عشر ربيعا ، وشاب دونها بعامين أنجبتهما له زوجته سعادة ، كان ناصر ذا مال ودخل مادي بسيط لا يكفي الصرف والنفقة على البيت المكون من زوجتين وثمانية أبناء وتاسعهم ناصر، فبسبب الحاجة وقلة المال كانت الزوجتان تعملان بأعمال الإبرة والخياطة والصوف للمساعدة في زيادة دخل الأسرة ، ولم يتزوج ناصر الثانية إلا بعدما كبر ابنه زياد وتخرج من الجامعة .. فبعد ذلك غامر وتزوج أم عرفان ، فكان زياد وإخوته الخمسة ـ ثلاثة ذكور (مراد) (فارس) (عصام) وابنتان (أسمهان) (ليلى) ـ لا يتعاملون بود وعطف مع أخويهم من زوجة أبيهم (عرفان وأمينة)، بل كانوا يسمحون لأنفسهم بإهانتهم وضربهم والانتقام منهم والإساءة إليهم لمضايقة زوجة أبيهم .. فزادت المشاكل والمعارك بين الأب وأم زياد .. ويفزع الجيران والأهل للإصلاح.

وكان الأب ناصر حزينا جدا على وفاة زوجته سعادة ، فهو قد أصيب من سنوات خلت بمرض أقعده عن العمل .. فكان يعتاش على إحسان زوجته سعادة وبعض الفتات الذي يأخذه من أولاده الكبار .. ولما تزوج ابنه البكر زياد قطع عنه المساعدة .. فصبر الرجل وزاد كفاح زوجته .. ثم تزوج الآخر والثالث والرابع والبنتان ، ثم رحلت زوجته الأولى للحياة مع أحد أبنائها ، فكان ناصر رشيدي متألما وحزينا لأعلى درجة على موت زوجته الثانية ، ومشاكله المتكررة مع أبنائه لم تدفعهم للشفقة عليه ، ولكن اليوم ماتت الزوجة المواسية العاملة ، فلما أدرك ابن الاثني عشرة سنة الوضع ، أخذ يبيع اللبان وقطع الحلوى والسكاكر على محطات السيارات والباصات ومواقف الحركة ، كان يفعل ذلك بعد عودته من المدرسة ، ولكنه وجد أن المردود البسيط لا يكفي للصرف على أبيه المريض وأخته أمينة ، فرويدا رويدا هجر المدرسة ، وقد أصبح لا يفهم شيئا من الدروس ، ولما بلغ خمسة عشر ربيعا اشتغل خادما في أحد الفنادق الكبيرة في المدينة العاصمة بمساعدة أحد الناس .. فتحسن دخله نتيجة خدمة ضيوف الفندق ونزلائه.

وبعد حين تزوجت أخته أمينة من رجل فقير من سكان الحي ، شعر أن أباه زوجها لابن جار لهم ليخفف العبء عنه ، وخلال هذه السنوات لم يكن إخوته يترددون على أبيهم المريض إلا في مواسم الأعياد أو عندما يسمعون أنه على وشك الموت ، آلام كثيرة في قلب عرفان ، متألم من هجر إخوته له ، وكان ممزق القلب حزينا أن أحدا منهم لم يفكر بزيارة أخته وأختهم في موسم عيد أو مرض ، كانت أكثر أمواله تصرف على شراء الدواء لوالده الكهل ، تحمل عرفان كل ذلك ، ولم ينس تركه المدرسة بسبب ظلم إخوته وتحمله مصروف الأسرة وحده ، تخلوا عنه وعن أبيه وأخته ، لم يردوا جميل أبيهم لهم يوما ما ، كانوا يرون أنهم تعلموا ودرسوا من نقود أمهم وشقاء أمهم بهيجة.

مكث عرفان في الفندق عاملا أكثر من ثلاث سنوات قبل أن يتغير مجرى حياته بصورة عجيبة ذات يوم كان عرفان يخدم رجلا أجنبيا من أمريكا اللاتينية من فنزويلا بالذات ، ومكث هذا الرجل أكثر من شهر نزيلا في الفندق ، وكان عرفان مهتما به وبتوفير الراحة والخدمة له طوال هذه المدة ، فذات يوم قال الرجل الكبير لعرفان : يا عرفان منذ نزلت هنا وأنت تقوم برعايتي وقد لاحظت عليك يا ولدي حزنا ودموعا مرسومة على محياك فقال عرفان : أشكرك سيد رومانوس .. مشاكل الدنيا .. هموم الأسرة.

وفضفض عرفان بحديث عن ذكريات موجعة ، مما رقق قلب الرجل المدعو رومانوس وقال له في النهاية : بلدنا فيه عرب كثير ، سافر سيد عرفان .. هاجر .. هناك دخل أكثر من هنا .. فما رأيك بالهجرة إلى هناك قد انعطف قلبي إليك ؟

بكى عرفان ، وشكر الرجل ، وتمنى ذلك وقبل العرض من غير تردد فأعطاه الرجل ألف دولار ليقوم بإخراج جواز سفر والسفر إلى مصر ، ومنها إلى كاركاس عاصمة فنزويلا ، وأعطاه الرجل عنوان إحدى الشركات التي يملكها فقبل عرفان يد الرجل أكثر من مرة ، وذرف الدموع عندما رأى الحنان الذي أغدقه عليه الرجل الغريب رجل الأعمال الفنزويلي ، هكذا كانت البداية.

سر والده ناصر ، وربما تظاهر بالسرور لما أخبره عرفان بأمر الهجرة، وشجعه على السفر وقال بشجاعة وتضحية : لا تهتم بي يا ولدي ! الله موجود ورحمته واسعة .. سافر .. هذه فرصة للرحيل .. فكثير من أبناء العرب يهاجرون لتلك الدنيا ، وسأطلب من أختك أمينة وزوجها السكن عندي.

فقال عرفان : أخشى أن لا يوافق زوجها أو أهله على ذلك

ـ إن شاء الله سوف يوافق .. فزوجها رجل طيب

ـ وأنا عندما أصل إلى هناك ، وأستلم أول راتب سأرسله لكم يا أبي .. أقسم أن لا أنساك.. عليّ أن أجرب حظي .. أنا حزين جدا على فراقك ، وأنت بهذا الضعف؛ ولكنك كما قلت الحياة فرصة .. فلربما هذه فرصتي لأتخلص من الفقر ، وقلة ذات اليد.

وبكى الرجلان ، وتذكروا جحود زوجة أبيهم وأولادها لهم ، قام الشاب بإخراج جواز السفر وتحدث ناصر رشيدي مع جاره والد زوج ابنته ، فوافق الجار وتردد الابن ، ولكن لما اطمأن أن عرفان سوف يضع بين يدي أخته بضع مئات من الدنانير للاعتناء بأبيها بالطعام والدواء حتى يرسل لهم المال باستمرار من هناك ، فوافق على الحياة في بيت والد زوجته.

تحدث عرفان مع رومانوس الفنزويلي، وأعلمه بإخراج الجواز ، وأنه اشترى تذكرة سفر للقاهرة في مصر، وطلب منه بعض المال لتركه عند والده المريض يشتري به الدواء ريثما يباشر عمله، ثم يسدده إياه ويرسل لأبيه منه ، وكان الرجل سخيا فأعطاه ألف دولار أخرى على سبيل الشفقة والعطف والمساعدة، وأعطاه رسالة للسفارة في مصر لمساعدته للسفر إلى أمريكا.

كانت لحظات الوداع قاسية على قلب ناصر رشيدي، ووقع في قلبه أنه الوداع الأخير، ولكنه غلب مصلحة ابنه الضعيف على حاجته إليه في ساعاته الأخيرة ، ورحل عرفان إلى فنزويلا ، وفي إحدى شركات النفط التي يديرها رومانوس وظفوه عاملا بسيطا في مكاتب الإدارة.

وقد كان عند حسن ظن السيد رومانوس ، فلما تحسن لسانه وأصبح يفقه الإسبانية لغة البلاد الرسمية أرسله السيد الكبير في دورة سكرتاريا ومراقبة إنتاج العمال ، وخلال خمس سنين تحسن دخل عرفان ، وظهر نشاطه وإخلاصه للسيد رومانوس ، وأتقن الواجبات المطلوبة بكل همة ودراية ، ولم ينقطع خلال هذه السنوات من إرسال المال لوالده ، ونزل إلى البلد مرة واحدة خلالها وسعد أبوه برؤيته ، وكذلك أخته وزوجها ، وأدخل والده للمستشفى عدة أيام وفي هذه الزيارة لم يأت أحد من إخوته للسلام عليه ، ثم سافر ثانية ، وأمضى السنوات الخمسة الأولى من عمره في فنزويلا في العاصمة كاركاس.

وهذا الاسم يعود إلى قبيلة هندية ، كانت تقيم في هذا الوادي قبل أن يدهمها الغزو الإسباني عام ١٥٢٢ م وقيل ١٥٤٦ م ، وحضارتها حضارة المايا قبائل الهنود الحمر، والمدينة القديمة يعود إنشاؤها إلى ٤٠٠ عام ، وأنها تمتلئ بالخضرة والأزهار على مدار العام وخصوصا أزهار الأوركيد ، وهي الزهرة القومية للفنزوليين ، ولها ستة آلاف نوع ،

وهناك أشجار الاكاسيا ، وتحمل شوارع كاركاس أسماء الكثير من الأزهار ، وحية أناكوندا وهي أكبر حية في العالم تعيش في مستنقعات فنزويلا ، وقد بنيت العاصمة على نمط المستعمرات الإسبانية ، شارع هياتو يمثل قلب المدينة الثقافي ، وقد تأسست العاصمة عام ١٥٦٧ م ، وهي مطلة على البحر الكاريبي ، وحيث تطل حدود فنزويلا من الشمال على ٣١١ جزيرة ما بين الكبيرة والصغيرة ، ومن أشهرها جزر السلاحف البحرية ، وجزيرة الطيور ، وتعتبر جزيرة مارجريتا لؤلؤة البحر الكاريبي ، ففيها تجتمع الجبال السوداء وشواطئ الشعب المرجانية وخضرة أشجار جوز الهند وأهم ميدان في العاصمة وفي وسطها ميدان بوليفار أو البلازا بوليفار ، ويطل برلمان الجمهورية على الميدان ، وتوجد الكاتدرائية خلف الميدان ، وأمامها قصر الرئاسة القصر الأصفر ، وقد قامت عدة ثورات فيها للتحرر من حكم الإسبان ، وضمت مرة أو أكثر بكولومبيا ، وفي عام ١٨٣٠ م انهار الاتحاد ، وهي خليط من الأجناس الهنود الحمر والأوربيين والإسبان والزنوج وغيرهم ، وأكثر السكان كاثوليك ٩٦ ٪ ، ونسبة ٢٪ بروتستانت ، وفيها عرب مهاجرون من الشام ومصر وأفريقيا.

وبعد مضي السنوات الخمسة الأولى أتته برقيه فيها نعي والده ناصر .. فطلب إجازة بضعة أيام قضاها في البكاء والنحيب على جسد وروح والده الذي مات وهو بعيد عنه، ثم قرر أن ينزل للبلد ، فنزل فزار قبر والده ،وتصدق عن روح أبيه، وقد زاد سنه عن الخامسة والعشرين في ذلك الحين ، فطلب من أخته أمينة أن تخطب له فتاة من بنات الحي تقبل السفر معه ، فأرشده صهره إلى ابنة رجل يدعى خالد سنارة ، فله بنت جميلة حسناء تشتاق إليها العيون ، اسمها مجدية فذهبت أمينة إلى تلك الأسرة ، وتحدثت مع الفتاة وأمها عن محاسن أخيها ورغبته بالزواج من ابنتهم .. فرحبت الأم وزوجها خالد بذلك ، وأما البنت رفضت وأبدت رغبتها بالزواج من رجل مقيم في البلد ، وأنها لا تحب الغربة والهجرة ، ولكن إغراء المال والهدايا والعجلة ـ فعرفان سفره قريب ـ فقد ضغط الأب والأبناء على البنت ، وتعرضت للضرب والإهانة حتى تظاهرت بالرضوخ والموافقة ـ وهذا لم يعرفه عرفان ، ولا سمع به ـ فتمت الخطبة والزواج وسافر بها عرفان لتلك الدنيا ، وقضت معه سنة رأى منها التعاسة والشقاء والشجار، ولما رأى أنها مصرة على الطلاق والفراق والعودة للبلد ، وتيقن أو ترجح لديه أن أهلها أجبروها على الزواج طمعا بماله ، فطلقها وأعطاها مؤخر صداقها ، وسفرها على حسابه الخاص إلى بلادها ، فلما وصلت ذاقت

من أهلها سوء العقاب والاحتقار ، فتقدم لها شاب كان عاشقا لها قبل زواجها وهو السبب الأكبر في فشل الزواج من السيد عرفان ، وكان هو سبب تعاستها مع عرفان ، ولكنها قبل الزواج منه اكتشفت أنها حامل عندما قامت بإجراء الفحوص المعتادة لمعرفة الحمل ، وتأكد لها أنها حامل منذ شهرين ، وهذا هو سبب انقطاع الطمث ، فاضطربت واتفقت مع حبيبها على كتمان الأمر ، وأن يبقى المولود باسمه فوافق ، ولم يدركا خطورة هذا الأمر ، ولما انتهى الشهر الثالث ، وظن الجميع أن فترة العدة - عدة الطلاق في الإسلام - انتهت تم عقد الزواج ، وخرجا من الحارة إلى حارة أخرى ، وبعد شهور وضعت مجدية مولودها ونسبته لزوجها وحبيبها قبل الزواج ، وكانت مجديه في الشهور الأخيرة من الحمل قد هجرت أهلها ، ولم تزرهم ولو مرة واحدة حتى ولدت ، وأصبح وليدها ابن شهرين فتجرأت حينئذ أن تذهب إليهم - والغريب أن الأمر لم يثر دهشة الأقارب والأهل ، وإن اشتهر بينهم تبرير أن هناك حملا وولادة تتم خلال ست أشهر أو سبع -وهمس بعضهم أن معاشرة حدثت بين الزوجين قبل انتهاء العدة ، فحب وعشق مجدية لجاسم كان معروفا لأهلها ولبعض الجيران ، ولم يفكروا بالتدقيق بما يسمعون ، فهم بعد عودتها من فنزويلا كانوا يحتقرونها ويسمونها بالخائبة ، ويرون أنها لا تستحق النعمة أضاعت الثروة والغنى من أجل شاب هامل ساقط في نظرهم فتركوها وشأنها ، لقد ولدت إذن مجدية ولدا اسمته شاهرا وحمل اسم زوجها الأخير والحبيب جاسم ، هذا ما كان من أمر مجدية وجاسم.



بعدما فشل عرفان بزواجه من بنات دينه وبلده وجنسه انشغل بالدراسة والعمل ، وقام صاحب الشركات الكبيرة رومانوس بتزويجه من ابنة أحد كبار موظيفه ، واندمج كليا بحياة المجتمع الفنزويلي ، ونسي وطنه وبلاده ، وكان كل موسم عيد الأضحى يرسل لأخته أمينة ما بين ألف دولار إلى ثلاثة آلاف دولار حسب ما يتوفر لديه ويزيد عن حاجته ، واستمر على ذلك أربع أو خمس سنوات حتى تلقى برقية من بلده فيها نبأ وفاة أخته أمينة أثناء الوضع لطفلها السادس فعندئذ كف عن إرسال المال والهدايا والرسائل ، وانقطع الخيط الذي كان يذكره بالوطن ، واندمج كليا في حياة رجال الأعمال في فنزويلا ، وبعد موت رومانوس الثري الفنزويلي تقاسم أبناؤه وورثته إدارة شركاته

وأمواله ، فتشارك عرفان مع أحد الأبناء في إدارة أحد المصانع ، ونتيجة حادث كبير تعرض له شريكه استطاع عرفان امتلاك المصنع وحده .. ثم زادت الأموال بين يديه ، وزادت المشاريع ، وكبر عرفان سنا وثروة ، وقد أصبح الرجل من رجال أعمال تلك البلد ، فانضم للجمعيات والنوادي الخاصة ، وكذلك حضور مؤتمرات رجال الأعمال ، وكبر الأولاد من زوجته الفنزويلية التي ورثت هي الأخرى عن أسرتها المال الغزير ، وتخرجوا من الجامعات ، ونسي الناس أصله العربي مع طول السنين، وهو كأنه نسي ذلك.

أصابه الحنين بعد أكثر من ثلاثين سنة قضاها عرفان في فنزويلا حيث البترول والحديد والفحم والذهب والنحاس والكاكاو والقصب والذرة والجزر وسيمون بوليفار الثائر الفنزويلي ضد الاستعمار الإسباني، حتى عملة فنزويلا تحمل اسم هذا الثائر ، فاعلم أن جمهورية فنزويلا تقع على الشاطئ الشمالي لأمريكا الجنوبية وتحررت هذه البلاد عام ١٨٢١ ، وأصبحت جمهورية سنة ١٨٣٠ تحكمها حكومات عسكرية حتى سنة ١٩٧٣ م، وتزيد مساحتها عن ٩١٢ كيلو متر مربع ، فهي مساحة كبيرة ، وعدد سكان قليل حوالي عشرين مليون ، فلما بلغ عرفان الخمسين عاما خطر له النزول لوطنه العربي سائحا ، فأخذ إجازة ثلاثة أشهر، وسافر لمصر العربية حيث تتوفر الرحلات بالطائرة بين فنزويلا ومصر أو ينزل المسافر لأقطار الوطن العربي أولا إلى أمريكا الشمالية إما فلوريدا أو تكساس ثم أوروبا فالدول العربية ، وبعدما استراح بضعة أيام في قاهرة مصر نزل مدينته الكبيرة الثعبانية وهي عاصمة كبيرة ، ومركز القطر حيث المطارات ، والضواحي الكبيرة ، ومراكز الثقافة والعلم والجامعات والمدارس الكبيرة ، فوجد عرفان أن البلاد قد تغيرت شوارعها ، وكبرت عماراتها ، وزادت سياراتها ، وتطورت المدينة كثيرا .. فاشترى جبلا يبتعد عن قلب العاصمة ساعة في السيارة المعتدلة السرعة ؛ ولكنه من ضمن حدود العاصمة ، وطلب من مكتب هندسي رسم مخطط لإنشاء قصر عظيم وضخم .. ثم أجرى اتفاقا مع إحدى شركات الإنشاء والعمران لإقامة البناء وتشييده ، وقد وقع عقدا مع مكتب محاماة ليكون وكيلا عنه في متابعة البناء والإنفاق عليه ومراسلته ، وخلال هذه الزيارة لم يحاول عرفان الاتصال بإخوته أو حتى معرفة أخبارهم ، فكأنه نسيهم تماما ، وحتى لم يحاول السؤال عن أولاد أخته أمينة ، إنما كان دافعه الرئيس لإنشاء القصر الحنين والشوق للوطن ، ولما رتب إنشاء القصر رجع لبلاده ، وبعد عامين اكتمل بناء القصر على قمة الجبل كما أحب

ورغب.

وقد أحيط بالأسوار العالية ، والأنوار الباهرة ، وغرست فيه الأشجار، وأحواض الأزهار ، وتم إنشاء شارع معبد يمتد من القصر حتى شارع الحكومة الرئيسي ، وأطلق عليه العمال قصر الفنزويلي ، ولم كمل العمل قام عرفان بزيارته ومشاهدته حجرة حجرة وقاعة قاعة ، ورتب أمر فرشه بأجمل الأثاث ، وأفضله في ذلك الوقت ، ورتب له الخدم والحرس والطهاة ، كل ذلك بمساعدة وكيله مكتب المحامي حميد عز الدين ، وكان كل هؤلاء يقبضون مرتباتهم عن طريق الوكيل حميد ، وقد أصبح القصر مضافة وفندقا لكل ضيوف عرفان ومحبيه الذين ينزلون الشرق الأوسط للسياحة وحضور المؤتمرات والاجتماعات والندوات ، ثم قام عرفان بإنشاء شركة مع بعض رجال الأعمال الذين تعرف عليهم عن طريق المحامي حميد ، وبدأ يخطط لإقامة المزيد من المشاريع والاستثمار في هذه الدولة وقد وجد تعاون إدارة البلاد العليا معه ، ولم يحاول عرفان ذكر أي شيء لمن التقى بهم من أهل البلد عن حياته الماضية والطفولة والمراهقة في هذه المدينة التي شهدت ولادته ، بل لم يحاول الالتقاء بأحد معارفه وأصحابه أيام الطفر والإفلاس والجوع والتعري ، ولابد أنهم أصبحوا أشباحا في ذاكراته ، وكان يخطف نفسه في كل زيارة للقطر لزيارة قبر والده الذي مازال يذكره ، وكذلك قبر أمه، وكان كثير من رجال الأعمال الذين تعامل معهم في هذا البلد يظنون أنه غير مسلم ، ولكنه مستثمر من أصل عربي.

وكان عرفان بعدما اكتمل قصره الواقع على جبل الأعمدة في الثعبانية قد صار ينزل كل سنة أو سنتين للحياة فيه ، ويتفقد الاستثمارات والشركات التي أنشأها في موطنه الأصلي ، ويستقبل محبيه وشركاءه ، ولا ينزل الفنادق الكبيرة ذات النجوم الخمسة ، ويلتقي بمحاميه حميد عز الدين أو مساعديه وشركائه في المكتب ، وكان المكتب يوافيه بتقارير مجالس الإدارة في الشركات ، وتقارير شركات التدقيق المالي ، وكان يرافقه أحيانا في بعض الرحلات سكرتيره الفنزويلي السيد ارباس سبرانتو ، وكان من هوايات السيد عرفان والتي شغف بها جمع المجوهرات النادرة وينافس كبار الأثرياء في العالم للحصول عليها وابتياعها ، بل كان مغرما بهذه الهواية ، وكان يواعد تجار مثل هذه النوادر والالتقاء بهم في قصر جيل الأعمدة في مدينة الثعبانية ، ويعقد معهم الصفقات ، ويؤمن لهن الرحلات لتلك البلاد من أقطار الدنيا على نفقته الخاصة ، وينقلون إلى قصره بسيارات خاصة ذات

مواصفات دقيقة وأمينة وحماية شديدة ، وقد عرفه كثير من رجال الأعمال والمال في الوطن ، وأصبح معروفا خلال سنوات على مستوى كبار رجال البلد ، وتنشر الصحف المحلية أخبار مجيئه وسفره ونشاطه واجتماعاته مع كبار الشخصيات، ويقوم هؤلاء بزيارته للسلام عليه والترحيب به عند مجيئه ، ودعوته للغداء أو العشاء وسهراتهم ولكنه يعتذر لاعتلال صحته في الآونة الأخيرة ، وعدم تعاطيه للخمر، وعدم ميله للسهر، بل فاجأ محاميه يوما بأمره بتشييد مسجد جميل في أحد أحياء العاصمة الراقية ، مما ادهش محاميه الذي اضطر لمصارحته بهذا الأمر وقال له عرفان الفنزويلي كما اشتهر بذلك : أنا مسلم مثلك أيها الرجل، وعربي مثلك.

فقال المحامي حميد العجوز : أنا أدركت أنك عربي منذ سنوات ، منذ بدأنا وتعارفنا، ولكنك لم تتحدث يوما عن عربيتك ودينك، بل ظننت أنك من نصارى أو يهود العرب أيها السيد الكبير

فقال عرفان متبسما : اسمي يدل على عربيتي.

فقال المحامي : هو الوحيد الذي يدل على أنك عربي ؛ ولكن باقي الاسم فنزويلي كما هو في جواز سفركم ..ولكني عرفت أنك عربي أيضا من سكرتيرك سبرانتو .. ، ولكنك تتحدث معنا بالإنجليزية وتتحدث معه بالإسبانية.

فتظاهر عرفان بالابتسام ثانية وقال : لقد درست الثانوية والجامعة هناك .. وأنا أترك كل أقوالي وأفعالي لارباس فهو صديقي منذ أكثر من عشرين سنة.. وأنا صحتي منذ سنوات تحتاج لرعاية خاصة من أجل ذلك يرافقني الطبيب باستمرار .. وأنا يا أستاذ حميد ابن هذا البلد .. هاجرت منه شابا صغيرا دون العشرين سنة .. بسنة أو أشهر .. ولي ما يزيد عن خمس وثلاثين سنة في فنزويلا .. أنا مسلم مثلك.

هذا ما استطاع أن يسمعه المحامي حميد من الثري العربي الفنزويلي بعدما تم الاتفاق على بناء المسجد .. وأخذ يشرف على تجهيز المستشفى الذي أنشأه السيد عرفان في ضاحية من ضواحي الثعبانية.



مضت عشر سنوات على عودة عرفان لوطنه ومسقط رأسه ، وقام باستثمارات متنوعة ومهمة في البلاد ، وذات يوم وهو نزيل القصر قصر جبل الأعمدة قال لسائقه الخاص وطبيبه اللذين يرافقانه في طائرته الخاصة من كاركاس إلى هذه البلاد عبر مطارات أوروبا : أنا لي ذكريات في هذه البلاد ، ومن أجل ذلك أحب التردد على هذه

المدينة فأمكث شهرا أو أكثر .. إن الحنين يدفع بي إلى مسقط رأسي ، رغم أنني لم أر بها يوما جميلا .. منذ وعيت على هذه الدنيا وأنا أرى المشاكل والصراع بين أبي المريض وزوجتيه أمي رحمها الله وضرتها .. ماتت أمي وأنا ابن اثنتي عشرة سنة ، ولما كبرت وأصبحت أملك بعض المال مات والدي ثم أختي الوحيدة ـ ومسح دمعات سالت على خديه ـ لم يبق لي أهل هنا .. وإنما أحب أن أزورها وأنام تحت سمائها .. والله لا أدري بالضبط لماذا ؟! وهمس لنفسه هل أستطيع معرفة مصير إخوتي الظلمة ؟ أو أبناء أمينة ؟ ..أمينة الحبيبة ، ورفع صوته فقال: آ.. أختي أمينة ـ رحمها الله ـ لها أبناء .. نعم ، لها أبناء .. ماتت عند ولادة الابن السادس .. أمينة ما زلت أذكر اسمها.. ما اسم زوجها ؟ قد غاب عن ذهني.. أريد أن أزور أولاد أختي وأتعرف عليهم .. هل يذكرون خالا لهم رحل قبل أربعين سنة ؟ إنني مشغول الفكر بهم منذ حين .. ولكني كرهت الماضي كله.. سيعودون بي للماضي .. بي حنين وشوق لرؤية أطفال أمينة .. لقد أصبحوا كهولا اليوم ..أريد سائقا من أهل هذه المدينة يمكث معي يوما أو بعض اليوم أبحث عنهم عن حارتهم أو حارتنا.

حاول الطبيب منعه من هذه التحركات بنفسه خوفا على صحته ، فقد زاد تعب القلب منذ أتى المدينة منذ أيام مضت ، آثار الزمن بدأت تظهر عليه ؛ ولكنه عزم وأصر على لقاء أبناء أخته .. فهو يتذكر أن لها ولدا اسمه أحمد ، وبنتا اسمها فريدة ، ولا يذكر أسماء غيرها عندما كان في البلد .. وتردده عليها بعد موت أبيه وقبل موتها ، تكلم السائق الفنزويلي بارباريسكو مع المحامي حميد ، وحدثه برغبة السيد الكبير عرفان رشيدي فقال المحامي قلقا : ألا يخشى على حياته الضعيفة ؟

فقال السائق : الطبيب يحثه على عدم تحقيق هذه الرغبة وأن يقوم بها آخرون.. ونحن خائفون عليه من أعدائه وحساده أيضا.

ـ أتخشون عليه الاغتيال ؟! .. هذا أمر خطير!

فتبسم السائق وقال : لا تخلو حياة رجال الأعمال الكبار من هفوات وأعداء يا سيد حميد.

ـ نطلب حماية البوليس..

ـ لا ، فحراسه معه .. وهو يريد أن ينزل بسيارة عادية عامة .. فنريد سائقا محليا كبيرا في السن له معرفة في المدينة وشوارعها القديمة .. دبر ذلك السائق العتيق.. ولا تخبره بالمهمة المطلوبة نحن نخبره .

استقبل السيد عرفان في قصره ليلا المحامي ، وبرفقته سائق سيارة كهل أمضى جل عمره في العمل على خطوط النقل العام ، وكان المحامي قد شرح له نوع المهمة التي سيقوم بها فرضي بذلك ،

وأبدى استعداده لمساعدة السيد عرفان في عملية البحث .. وقد رفض السيد عرفان ذكر أسماء للسائق ، بل أصر على الركوب والنزول معه وزيارة الحي الذي ولد وترعرع فيه قبل ستين سنة .. فانصرف المحامي وقضى السائق ليلته ضيفا على السيد عرفان ، فاستمتع بما في القصر من خيرات ومتع دنيوية ، وسهر مع بعض الحراس العرب ، وسمع منهم ما يعرفونه من معلومات عن الثري الفنزويلي القاطن على هذا الجبل ، ولما أصبح الصباح ركب عرفان إلى جوار السائق بعدما ذكر له اسم الحي فقال السائق: هذا حي قديم جدا يا سيدي .. لقد قامت الدولة قبل سنوات بعيدة بهدمه وإعادة تنظيمه ، وإقامة حي جديد مكانه .. ولكنني أعرفه

كان يركب معهم في السيارة سائق عرفان برباريسكو ، وأحد حرسه الفنزويلي (سيمون توفازي) فقال عرفان بعربية : سر بنا للحي القديم .. لعلي أتذكر اسم زوج أختي.

بعد ساعة من السير في السيارة ، وقف السائق العجوز أمام مدخل شارع مزدوج ، يكاد أن يسع سيارة واحدة فقط في كل اتجاه ، وكان على رأس الشارع محل سوبر ماركت وقال السائق لهم : هذه بداية هذا الحي الذي ما زال يحمل نفس الاسم القديم .. حي البراغمية

هتف عرفان فرحا : البراغمية ! .. حي البراغمية ! .. أذكر أن أكثر عائلات الحي تحمل هذه الاسم .. فمن أجل ذلك سمي الحي باسمهم .. وإن كنا نسميه أحيانا بحارة السعدية.

فقال السائق بنوع من الذهول : قبل أربعين سنة يا سيدي كنت صبيا تلعب وتسكن في هذا الحي!

ابتسم عرفان وقال ساهما : ألعب ! .. نعم ، كنت ألعب قبل موت أمي .. أمي رحمها الله .. نعم أيها الرجل الطيب .. كنت ابن هذه الحارة .. ولكنها تغيرت تغيرت البيوت .. وعُبد شارعها الترابي .. وتغيرت دكاكينها .. والدنيا دول يا بني! .. هنا بدأت الحياة وقسوة العيش عليّ ..الحق أن الدور والمباني مختلفة كثيرا عما أعرف .. ادخل في كل الشارع قبل أن تسأل عن بيت والدي أبي زياد .. كانوا ينادونه أبا زياد .. هذا اسم بيت والدي .. لقد نسيت أسماء الجيران.

قطعت السيارة الشارع حسب رغبة عرفان حتى وصلت منتهاه ، فقال عرفان : الآن اسأل عن بيت أبي زياد الرشيدي.

أوقف السائق أبو خليل السيارة أمام أحد المحلات ، ونزل يسأل عن منزل رجل مات قبل أربعين سنة أو أقل بسنوات ، فرد صاحب الدكان أو الشاب العامل فيها : الرشيدي!.. لا يوجد أحد من آل الرشيدي في هذا الشارع.

وقد كان رجل عجوز يجلس على مقعد مريح في داخل المحل ، فنهض وتقدم نحو باب الدكان وهو يقول : من الذي يسال عن آل الرشيدي ؟!

فتنحنح السائق وقال : مرحبا بك يا عمي الشيخ .. نحن نسأل عن دار الرشيدي أبي زياد يا عم .. هل أنت من السكان القدماء في هذه الحارة ؟

فقال الرجل : أجل ، يا ابني .. ولدت هنا وكبرت هنا وقد أموت هنا .. وأنا لما سمعتك تسأل عن أبي زياد الرشيدي عادت بي السنون والذكريات.. لقد كانت هنا أسرة من دار الرشيدي يا سيدي.

ـ أخوك أبو خليل صاحب هذه السيارة يا عم ..

ثم أشار أبو خليل للسيد عرفان الجالس في السيارة وقال : معي رجل غريب .. ضيف على البلد يسأل عن أبي زياد الرشيدي في هذه الحارة وهذا الشارع بالذات.

فردد العجوز : ضيف .. أهلا وسهلا ولكن الرشيدي الذي تسأل عنه قد مات منذ عهد بعيد.. ولولا أحفاده لنسيت آل الرشيدي .. فقد خلع ورحل أولاده وبناته من الحي قبل موته بسنوات.

فقال السائق : صح .. هو أيضا يقول أن الرجل قد مات ، ولكن لهذا الرجل الرشيدي ابنة تدعى أمينة وتنادى بأم أحمد.

فقال العجوز بفرح : نعم ، نعم .. أم أحمد ..هم فقط من بقايا أحفاد الرشيدي من جهة ابنته أمينة مازالوا يقطنون في هذا الحي .. إنها امرأة فاضلة أتريدونها ؟

ـ بالتأكيد نريدها.. فالضيف الغريب قريب لها .. هو يريد أولادها ؛ لأنه كما قيل له بأنها ماتت هي الأخرى .

بهت العجوز وقالت : ماتت! ومتى ماتت أم أحمد ؟! منذ يومين رأيتها .. أمينة بنت ناصر الرشيدي ماتت .. أمينة ماتت لم نسمع بذلك.

توكأ الرجل على عكازه وتبع أبا خليل نحو السيارة ، وكان أبو خليل قد سبقه يشرح الموقف للسيد عرفان الذي اضطرب وتغير لون وجهه ودقات قلبه حتى خاف السائق والحارس عليه وكان عرفان قد وضع يده على قلبه وقال : لا تخافوا .. إنني أخشى من مفاجأة !.. فأبو خليل أتانا بكلام غريب من هذا الرجل.

تقدم الرجل الكبير في السن وصافح السيد عرفان ، وهو يقول باستغراب : من قال لك أيها الرجل أن أم أحمد ماتت ؟! .. نحن جيران ولم نسمع بذلك.

فقال عرفان وهو في حالة اضطراب : علمنا بذلك يا سيدي .. علمنا بموتها منذ عهد بعيد!

فقال الرجل : إنها لم تمت الذي مات بعلها .. ولم يمت من عهد وزمن بعيد إنما مات من سنوات

قليلة .. من أنتم ؟!

فقال عرفان : دلنا على بيتها .. ونحن لك من الشاكرين .. فأنا صديق أخ لها من بلد في أمريكا اسمها فنزويلا.

فقال الرجل : سمعنا بهذا البلد .. فنزويلا .. أخوها عرفان .. لقد قيل لنا أنه قد مات منذ أربعين أو خمسين سنة.

ردد عرفان دهشا : مات !! ومن قال لكم ذلك ؟

فقال العجوز : ستعرف ذلك منها .. أنا صديق والدها ووالد زوجها الحاج أحمد حماضي.

هتف عرفان كأنه تذكر فقال : أجل أيها الرجل الطيب ! .. آل حماضي وزوجها اسمه داود حماضي

فقال الرجل : صدقت ..هل أنت قادم من طرف أولاد عرفان.. لابد أنه تزوج بعدما طلق ابنة خالد سنارة ؟

فقال عرفان : اصعد أيها الرجل الطيب ، وخذنا إلى بيتها ، وستعرف من نحن عندما نراها.

فركب الرجل بجوار الرجلين الحارس والسائق ، وساروا حسب إرشادات الرجل حتى وصلوا إلى عمارة مكونة من عدة طوابق ، وأمرهم بالوقوف أمامها وهو يقول : هذا العمارة لهم .. دعني أطرق الباب عليها.

فقال عرفان وقد بلع بعض حبات الدواء : افعل أيها الشيخ الطيب.

قام أبو خليل بفتح الباب له فنزل رويدا رويدا من السيارة ، وتقدم نحو مدخل العمارة وضغط على الجرس وهو يتمتم : أرجو أن تكون في البيت.

وسمعوا صوتا يقول بواسطة جهاز هاتف الباب : من ؟

فقال الرجل : أم أحمد .. هل هي موجودة .. أنا أبو سالم عمكم أبو سالم ؟

فقال الصوت : تفضل بالدخول يا أبا سالم.

فرد : لا أريد الدخول أين أمكم ؟

الصوت : إنها غير موجوده الآن هل تحب أن نبلغها شيئا ما ؟

قال أبو سالم : يا ابني هنا رجل غريب من فنزويلا صديق لخالكم الميت عرفان الرشيدي هو الذي يريدكم ويسأل عن أمكم.

فقال الصوت : انتظر يا أبا سالم.

بعد لحظات أقبل شابان صغيران فسلما على أبي سالم ورجال السيارة وهم في حيرة فقال أحدهم : ما الأمر ؟!

فقال أبو خليل : هذا الرجل غريب ، ويسأل عن أمكم أم أحمد ، أين هي ؟ وهو قادم من فنزويلا.

فقال أحدهم وهو ينظر للرجل باستغراب : أنا ابنها وهذا حفيدها.

فصافحهم عرفان وقال : أين أمكم أو جدتكم ؟

ـ خرجت في حاجة و..

ـ متى تأتي ؟

ـ لا ندري .. هل من شيء ؟!

قال : لا تقلقوا .. سيمر عليكم هذا الرجل ـ أبو خليل ـ فأرجو أن تأتوا معه بها وبكم فأنا صديق لخالكم عرفان ناصر.

فقال الابن : عرفان ـ رحمه الله ـ ما الذي أتى على ذكره هذه الأيام ؟

ـ عندما تأتون سوف تعرفون .. وإذا لم تأتوا انتظروني غدا صباحا سأمر عليكم سلموا على أمكم كثير السلام .. وأنا في انتظاركم مساء.

وودع عرفان الرجل العجوز أبا سالم ، وعادوا للقصر والأفكار تلعب بعرفان والسؤال الذي يتردد على عقله وقلبه : من الذي أرسل له بخبر موتها وأخبرها بموته ؟! .. هذا لغز يحتاج لحل وكشف.



ظهور عرفان

لما علمت أم أحمد العجوز التي قفزت عن الستين عاما بزيارة الزائر الغريب القادم من فنزويلا من طرف أخيها عرفان استغربت ذلك واحتارت .. ما الذي ذكر هذا الغريب بهم بعد هذه العقود الأربعة ؟! .. فاتصلت بابنها الدكتور أحمد وابنتها الطبيبة فريدة وجمعت أفراد الأسرة لمناقشة ذلك ، فلقد أنجبت هذه المرأة سبعة أنفار بين ذكور وإناث ، وأصغر أولادها الشاب الذي التقى بالسيد عرفان وهو طالب بالجامعة ، وكذلك ابن أخيه أحمد ، فلما اجتمع الأبناء وسمعوا قصة الرجل القادم من وراء البحار يسأل عن أمهم شرقوا وغربوا حتى قال أحمد : عندما يأتي أبو خليل سنعرف المزيد عن هذا الزائر الغريب .. فخالنا منذ وعينا على الدنيا .. ونحن نعلم بأنه مات في حادث في بلاد الغربة في أمريكا اللاتينية وانقطعت أخباره .. فمن هو هذا الرجل الذي يعرفه ؟! أتظنون أن له أبناء تذكروننا الآن .. ربما !؟

ولما اقترب الغروب كانوا على أحر من الجمر في انتظار السائق أبي خليل ، وجاء أبو خليل مع الغروب فما كاد يضغط الجرس حتى كان الدكتور أحمد يستقبله ويرحب به ويدعوه للدخول لشرب الشاي أو القهوة ، فاعتذر الرجل وبين لهم لهفة الرجل على لقائهم ، فقال له الطبيب : يا أبا خليل .. ماذا يريد هذا الأجنبي من أمنا ؟!

ـ لا شيء .. سوى التعارف ، وهو في انتظاركم ، واطمئنوا فهو رجل فنزويلي .. رجل عظيم وثري ، وله قصر هائل على قمة جبل الأعمدة .. فلا

تقلقوا من جهالته فهو معروف على مستوى كبارات ورجال البلد .. هيا المهم أمكم .. هو يريد الوالدة على الأخص.

ـ الأمر مربك وغريب يا أبا خليل!

ـ بل سار لكم ، وهو مشتاق لكم ، وستسرون من لقائه فهو رجل محترم وكريم.

فصعد الدكتور وتحدث مع الأسرة ، فنزلت الأم والأخوة الذكور ، فركب الدكتور أحمد بجانب أبي خليل ، وأمه وأحد الأخوة في المقعد الخلفي ، وركب أخوان في سيارة الدكتور أحمد ، وانطلقت السيارتان نحو قصر الفنزويلي الكائن على جبل الأعمدة ، وبعد مسير استغرق ساعة أشرف القوم على بوابة القصر الضخمة ، ولما رأى الحارس أبا خليل السائق، فتح لهم الباب ، فدخلوا القصر وأغلق ورائهم الباب .. كانت أمينة متوترة ويكاد قلبها يقفز من صدرها ، وبعد دقائق كانت السيارتان تقفان أمام درجات من الرخام في مدخل القصر .. وكان السيد عرفان يجلس على مقعد على بسطة في أعلى الدرجات ، وحوله رجاله ، فلما فتحت السيارة ونزل أبو خليل يفتح لهم الباب ، وقف عرفان يراقب النازلين .. وعلى ضوء الفوانيس الساحرة شاهد عرفان أخته أمينة حية التي كان يعيش كل هذه السنوات على أنها ميتة .. وأمينة لما رأت عرفان ازداد خفقان قلبها .. واضطربت ساقاها .. فأمسك بها أحمد وآخر ، والتقى الأخوان على منتصف الدرج وهتف عرفان مضطربا: أختي أمينة!

هتفت أمينة : أخي عرفان!

وتعانق الأخوان عناق الأحبة والذهول ، وعرفان يهمس : أخبروني أنك مت أثناء الولادة !

ـ أخبروني أنك مت بحادث سير ودفنت هناك!

وتقدم الشباب يصافحون خالهم ويعانقونه ويلتزمونه ، وهم يذرفون الدموع مثلهم ، وهم في حيرة واستغراب من هذا اللقاء ، وتقدموا إلى إحدى قاعات القصر ذات الأثاث والفراش الوثير والمزينة بالزخارف والأنوار المثيرة والجميلة ، وجلسوا فيها ، وقص عرفان مختصر حياته على أخته والبرقية التي أتته فيها نعيها ، ثم غرقه في حياة المجتمع الفنزويلي ثم قال : لي عشر سنوات أتردد على هذا القصر وعلى هذا البلد .. وأنا أعتقد أن أمينة ميتة وفقدتها كما فقدت أمي وأبي .. لم أسأل عن أحد ؛ إنما أحيانا أخطف نفسي وأزور قبر أمي وأبي .. نسيت إخوتي وأخواتي من زوجة أبي أم زياد .. حتى وقع في نفسي لقاء أولاد أمينة بعد كل هذه السنين .. كنت لا أريد أن أرجع للماضي .. وهو الذي دفعني لبناء هذا القصر .. الحنين للبلد يا أمينة.

وأمضى الأخوة ساعات طويلة بالحديث

والذكريات ، وسر عرفان من كفاح أخته في تعليم أبنائها ، وعزاها في زوجها داود عندما جاء ذكره ، وفرح وسر من أولاد أمينة الأربعة ـ أحمد وسعيد ومحمود وخضر ـ وتمنى رؤية البنات ـ فريدة وسعيدة وسعدية ـ والأحفاد ، ولما أراد الأولاد الانصراف أصر على بقاء أخته معه هذه الليلة ، فوافق الأولاد على تحقيق رغبة خالهم ، وانصرفوا وهم مسرورون لمقابلة الذي كانت أمهم تحدثهم عن صبره وجهاده مع أبيه .. فقد ترك المدرسة واشتغل بائعا في مواقف ومحطات السيارات والباصات والحافلات لتوفير المال لشراء الدواء والمصروف للأسرة ، ثم عمله خادما في الفندق ، ثم رحيله إلى كاركاس ، ثم انقطاع أخباره بعد زواجه من مجدية ابنة الحي وطلاقها.

ولما أصبح النهار كان الأولاد السبعة وأزواجهم في قصر الفنزويلي يتعرفون على خالهم وجدهم ويتناولون الإفطار على مائدته ، وكان عرفان قد طلب من سكرتيره ارباس بتحويل مائه ألف دولار ووضعها في حساب لأخته أمينة، واتصل بالمحامي حميد وكلفه بشراء فيلا كبيرة في حي حديث الإنشاء بأي ثمن وبأسرع وقت ، وهو يقول لأمينة : أنا أعرف أن المال لا يعوض السنوات التي ابتعدنا بها عن بعض ؛ ولكن هذا أقل القليل أقدمه لأختي الحبيبة.

وغمر الفرح عرفان وهو يلتقي بأسرة أخته البنات والأولاد والزوجات والأزواج ، وقدم للجميع الهدايا الذهبية ، وطلب منهم أن يسمحوا ببقاء أمهم عنده حتى ينصرف لفنزويلا ، فميعاد سفره قد اقترب ، وقبل سفره بيومين جاءت امرأة تطلب مقابلة السيد عرفان ، وكان برفقتها رجل فاعتذر عرفان عن مقابلتهم، وأن وضعه الصحي لا يسمح له بذلك ؛ ولكن الحارس أخبره أن المرأة تدعي أنها كانت زوجته قديما .. فلما سمع ذلك تذكر مجدية سنارة .. الزوجة التي عاشت معه سنة واحدة ، فأذن لها عرفان بخمس دقائق ، وأدخلها أحد الحرس إلى غرفة أشار إليها عرفان ، ولما دخل عليها وجدها تتفرج على مناظر معلقة على الجدران ، فلما سمعت صوته استدارت إليه وقالت : والله يا عرفان .. كل هذا الغنى غارق فيه ..! هذا ابني وأشارت إلى رجل متهالك على أحد الكراسي ، مبعثر الشعر ، ساهم العين، رث الثياب ، والذي لم يهتم بدخول عرفان ولم ينهض للسلام عليه ، فنظر إليه عرفان ممتعضا ثم قال : أهلا آ.. يا مجدية .. ماذا تريدين من طليقك القديم؟! .. ألم تكرهيني على الطلاق يا ابنة الناس؟

فردت قائلة : بلى .. كانت الحياة هناك كالجحيم .. أو الجحيم نفسه.

فقال متهكما : الحياة هكذا تكون بدون الحبيب ! ..

ماذا تريدين ؟

فقالت محاولة الحزن : مات الحبيب وترك ثلاث بنات ، وتزوجت آخر وطلقني ، ثم تزوجت رجلا كبيرا ومريضا ، وأنا على ذمته الآن.

عاد عرفان المتحفز للانصراف يسأل : ماذا تريدين مني ؟

فقالت : أترى هذا الشاب الجالس ؟

فقال : نعم ، قد رأيته .. يبدو أنه أحمق مثلك.

فقالت بقوة : إنه ابنك .. ومن صلبك.

قهقهة عرفان وقال : أعتقد أن الخمس دقائق انتهت.

وضغط على زر فدخل الحارس فقال له : اصرفها .. ودع ارباس يدفع لهذه المرأة ألف دولار لأنها كانت على ذمتي في يوم ما .. مع ألف سلامة.

فصاحت : لا تعجل يا عرفان .. والله العظيم إنه ابنك!

فصرخ بها : ابني !.. من أين أتى هذا الابن ؟! .. اخرجي.

وخرج ولم يحب أن يسمع التفاصيل ، فقادها الحارس حيث السكرتير الذي أعطاها شيكا بألف دولار ، فرمته في وجهه وانصرفت هي وولدها ، وكانت قد تركت في غرفة الاجتماع مظروفا ذكرت فيه قصة هذا الابن.

فلما عرف عرفان بالمظروف الذي تركته أخذه وقرأه وكان فيه ، أنها اكتشفت بعدما عادت للوطن بأنها حامل ؛ ولكن لحبها الشديد لجاسم تظاهرت بأنها غير حامل ، ولما انتهت شهور العدة الثلاثة تزوجت على أنها غير حامل ، ولا يعلم بذلك إلا هي وجاسم ، وقد وافق جاسم على أن يحمل الطفل اسمه ، وهذا ما كان ، ولما انتشر وشاع خبر موت عرفان نسيت أنك أبوه ومضت الأيام تحمل هذه الأسرار حتى علمنا بحياتك ، فكان يجب أن تعرف الحقيقة.

قرأ عرفان هذه الرسالة ، فاحتار بها فيها من أخبار وإعلام وصحة المعلومات الموجودة فيها ، فهو يعلم أن زوجته كانت غير راغبة بالحمل منه.. فكيف حملت ؟! ولم يطل التفكير فهو على موعد سفر ، ولما أتت أخته في المساء مع أولادها ليودعوه ـ فقد كانت خرجت أمينة لقضاء أمر ـ فخلا بها عرفان وحدثها بزيارة مجدية وقصة الولد ، ورفضها المساعدة فاستغربت أمينة هذه الأخبار ، وإن لم تنكر أن مجدية وضعت مولودها الأول ، كما سمعت وسمع الناس قبل إكمال الشهور التسعة للحمل ، وأثار ذلك حولها لغط الناس وإشاعاتهم.

فرحل عرفان لفنزويلا وهو يحمل هذا الهم الجديد والغريب، وكيف سيتأكد من هذه البنوة ؟!

ولعن الساعة التي تزوج بها تلك المرأة الشيطانة ،

فلما دخل القصر الذي يقطنه في منطقة لا لاجوتيينا حيث القصور والفيلات الضخمة التي تتجلى فيها أشكال المعمار الحديث، وتقف على حافة منحدر جبلي لتشرف على المدينة كلها ، دخل عرفان القصر وهو مشغول العقل والفكر والفؤاد بما سمع وقرأ عن بنوة شاهر ، فكان يقول لنفسه: لم يتكلم الولد أثناء الكلام لزم الصمت .. وهيئته تدل على بؤسه وتعاسته .. لزم الصمت لماذا؟! حتى عندما طردهم الحارس ظل صامتا .. هل يمثل دورا ما أم هو مثلي غير مصدق بأنه من صلبي؟! .. لذا لزم السكوت ليرى رد الفعل لديّ وبعد أن اطمئن على الأعمال والشركات التي يديرها أولاده العشر المنتشرين في كاركاس وغيرها من المدن المهمة في البلاد كـ ماراكايبو ، وجرمانا ، وكولونيا توفاز، وميريدا ، اتصل بصديق له منذ البدايات الأولى في هذه المدينة، وحدثه بذلك السر العجيب ، ولما استفسر الصديق عن سبب صبرها كل هذه السنين على الكتمان ، فقال عرفان : الحياة كلها غرائب !.. لقد أشيع عني قديما أنني مت منذ السنوات الأولى لي في هذه البلاد ، ولما عرفت بحياتي في الزيارة الأخيرة لي للبلد .. أتت واعترفت لي بذلك الحمل وبتلك الجريمة .. وحتى لو عملنا فحوصات الدم وفصائل الدم والجينات سيبقى الريب في نفسي .. هذه سنوات طوال أربعين سنة .. قتلتني قتلها الله ! .. هذه الحقيقة لا يعرفها إلا هي وزوجها .. وهي تقول أن زوجها قد مات .. وأكدت لي أختي ذلك .. أختي التي وجدتها بعد أربعين سنة .. فقد أكدت لي ترملها من السيد جاسم .. فما العمل ؟!

فقال الصديق القديم الدكتور سيرجي باربوسا : لو تمت فحوصات معينة قد تتبين الحقيقة من زمر الدم والجينات ؛ ولكن يبقى الريب والشك في النفس لأن نصف جينات الولد من الأم .. والزوج الذي رضي بإعطاء اسمه لحمل عشيقته فقد هلك ، وكلام الزوجة وحده غير مطمئن.. فلديّ فكرة ! فعليك أيها الصديق الكبير بالاستعانة بمكتب تحريات بوليسية خاص ليجمع لك أكبر كمية من المعلومات عنها ، ومن اليوم الذي طلقتها فيه ، وعن أسرتها وأحوال البيت وعلاقة الأب الميت بالابن شاهر ، وموقف أهلها من ولادتها المبكرة .. وهل كانت علاقة شاهر بأبيه جاسم علاقة حميمة أم علاقة سيئة تدل على التنافر والصراع ؟ .. دراسة لحياة الأسرة والبنات والزوج الثاني والثالث .. لعلنا من سيرة حياتهم الوالد والأم نصل إلى شيء .. هذا حل .. وهناك حل آخر يا عرفان أن تعرض عليها مبلغا مغريا من المال لتقول الحقيقة .. فإغراء المال قد يساعد أيضا في معرفة الصدق .. ويمكنك الإتيان بالولد هنا وسماع أقواله فلابد أنه

يعلم شيئا من ماضي أمه.

بعدما استمع عرفان لكل أفكار صديقه الدكتور سيرجي قال : سأكتب لصديقنا المحامي حميد رسالة ليكلف مكتب تحريات خاصة بهذه القضية .. ويحاول تسفير شاهر فيما بعد إلى هنا وبعد لقائنا بشاهر سنعرض المال على تلك الآثمة .. تلك المجرمة .. لم تصبر عن عشيقها حتى تضع الحمل .. تزوجت متظاهرة بأنها بريئة الرحم .. صدق يا صديقي لولا كلام أختي أمينة عن الإشاعات التي رافقت حملها وولادتها حول المولود الأول لمجدية لما فكرت بكل ذلك .. فهي التي حرمتني من البنوة والأبوة .. مكثت عندي سنة وهي تصر على رفض الحمل .. لولا تلك الإشاعات لما اهتممت بكلامها إلى آخر العمر ؛ ولكن قد قيل إنه ابني.

كتب عرفان رسالة مفصلة للمحامي حميد ، الذي دهش لمطالب عرفان، واستغرب من تلك القصة ، ولما جلس مع الدكتور أحمد وسمع منه قصة زواج عرفان من مجدية خالد جارة العائلة فهم اللغز والإشكال ، والتقى المحامي حميد نفسه بمجدية ، وأخذ منها بعض المعلومات الأولية ثم زار مكتب تحريات خاصة يديره المفتش الشرطي المتقاعد حمزات عالبوه ، فشرح له القضية المطلوب جمع المعلومات عنها ، فوافق المكتب على القيام بهذه القضية بعدما اطلع على المعلومات والأشخاص المطلوب التحري عنهم ، وقال المحامي : خلال شهر يا سيدي أريد أن يكون بين يدي ملف مفصل عن هؤلاء الأشخاص.

ولما اتفقا على الأتعاب ، وقع المحامي على العقد ، ودفع مبلغا مقدما ، وانصرف شاكرا لمكتب التحري تعاونه واستعداده لجمع المعلومات المطلوبة. .. يتبع

تقرير المكتب الخاص



قصص وحكايات الفوارس

قطبة بن سنان ٢

استشاط الوزير غضبا ونارا لهذا الكلام الشديد ، ونهض وسل الحسام من غمده ، وأخذ بالتهديد والوعيد وهو يقول : لولا عظمة السلطان لأعدمتك الحياة يا نذل يا جبان يا زهمان الخسيس يا قليل الحياء يا جبان .

قهقهه زهمان عاليا وقال : لو أنك تستحي حقا كما تدعى يا وزير السوء ، وتحترم السلطان ما أخرجت سيفك بحضرته دون إذنه ، وهددتني به

وأنا بحضرة الملك وجواره.. فأنا أتيت هنا بناء على دعوته ورغبته.. وهذه المرأة نصيبي وقدري، فكيف تعترض على إرادة الرحمن يا رعديد؟

استشاط الوزير وأكثر الحاشية غضبا من ألفاظ زهمان الغريب ، فقال الملك بحدة : كفى كفى أيها الرجلان .. إنكما في الحقيقة وقحان ، ولا تحترمان مجلس السلطان .. فالوزير اخطأ بامتشاق الحسام بحضرتنا ودون تصريح منا.. وأنت يا غريب أخطأت بالتطاول علينا وعدم لزوم الصمت والاحترام بحضرتنا فلابد من تأديبك لتكون عبرة لغيرك .

تقدم مالك سريعا وقبل قدمي السلطان طالبا العفو عن زهمان صاحب اللسان السليط ، وترجى الملك أن يعفو عن صهره الغريب ، وفعل سالك مثل مالك ، وتقدمت الفتاة نازك تتشفع بزوجها أيضا فقال الملك : حسنا قبلت شفاعتكم بعدم فصل رأسه عن جسده .. خذوه للسجن بضعة أيام ليتأدب في الكلام .

حزن الاخوة لما حل بزهمان ، وتوسلوا لولي الأمر أن يصفح عنه ليتزوج أختهم ويغادر لبلاده ويرتاحوا منه فصرفهم بغضب قائلا لهم : انصرفوا قبل أن أغضب عليكم .. ولا تكثروا من الكلام ؛ فلولا محبة الرحمن لأهلكتكم جميعا .. لقد طلبتها منكم فرفضتم ، ورضيتم بهذا الأجرب .. بقولكم أبونا وصانا .. لولا كراهتي للظلم والعدوان لأخرجتكم من الديار .. اغربوا عني .

فبكوا أمام السلطان وقال زهمان : الظلم ظلمات ، ومرتعه وخيم ، والعدل والإحسان فضله عظيم وذكره دائم بين الناس .. ما بيني وبينك لتأمر بحبسي وترفض شفاعة هؤلاء بي .. ؟

فغضب الملك وقال : أين الجند ؟ أما زال هذا الرجل أمامي ؟ اصمت أيها القذر الوقح! .. أين جبرا ؟ أين الحرس؟ ..وقبل أن ينفذ الجند أمر الاعتقال دخل الحاجب برسالة مهمة وهو يقول: يا مولاي العظيم! رسالة لك من الملك طهمان بن زلمان!

ساق الحرس زهمان والاخوة الثلاثة، وما كادوا يصلون لباب القصر حتى طلبهم الملك من جديد لديوانه ، فخاف الاخوة الثلاثة على أنفسهم وعلى ضيفهم ، وأن الملك أراد أن يفتك بزهمان وبهم ، ولما وقف الجميع أمام السلطان مرة ثانية كان الملك ما زال يمسك كتابا في احدى يديه وبين يديه رسول ، فلما وقفوا أمامه قال الملك وهو ينظر لزهمان : يا زهمان ما علاقتك بالملك طهمان ؟! .. وهذا ملك كبير يحكم ممالك من الإنس والجن .

تبسم زهمان وقال بصوت ناعم: صديقي وصاحبي .. تعرفت عليه منذ زمن فهو نعم الصديق والأخ يا ملك عماد .

فقال الملك بحيرة : الذي يحيرني أنه كيف علم أنك بحضرتي؟! وقد طلب مني تركك وعدم التعرض لك حتى تخرج من البلاد .. فأمرك يا زهمان خطير وغريب ومريب !.

فقال زهمان: أنا جئت من مملكة طهمان بن زلمان لأتزوج هذه الفتاة ..فأنا جندي من جنود طهمان

فقال الملك : اخرج من القصر سالما راشدا أنت وجماعتك .. وهنيئا لك الزواج من هذه الفتاة الطيبة .. وهنيئا لك أيتها الفتاة بهذا الزواج .. فزوجك ذو شأن كبير في قومه ؛ ولكنه متنكر ، والله اعلم .

فقال زهمان لرسول الملك طهمان : اشكر الملك عني أيها الرسول ، فهو لا يغفل عن جندي من جنوده ، وإن كان في مثل خلقي وأخلاقي ، وقل له أنا بخير ، وقد نكحت ابنة قطبة بن سنان

وأعيش في كنف السلطان عماد بن واد .

قفل الاخوة الثلاثة وزهمان للبيت، وهم أكثر احتراما لزهمان ، وشعروا بأنه رجل له سلطة وعشيرة عند الملك طهمان، فهو لم يخش وزير عماد ، ولا عماد نفسه ، وقد شتم الوزير بدون خوف أو وجل ، وحاول زهمان تشجيعهم على فتح صناديق قطبة ، فرفضوا وقالوا لم يحن الوقت بعد ، وقد حاول زهمان أخذ الحزام من زوجته نازك فرفضت بشدة ، وصبر الاخوة على أذى زهمان حتى أعلمهم برغبته بأخذ زوجته والرحيل من هذه البلاد، فاشتروا جملا وهودجا لأختهم نازك ، وزودوهما بأفضل الهدايا والطعام والماء والمال ، وودعوا أختهم وداعا حارا ، كله دموع وبكاء على الفراق الصعب ، فقد اعتادوا على مقامها بينهم ، ومشوا معهم إلى آخر حدود البلد ، ولما حان ساعة الفراق بكت عيونهم بكاء قويا ، وقالوا لزهمان : يا زهمان لا تنسانا من الزيارات رغم شراستك وطول لسانك فقد اندمجنا معك ومع أخلاقك .. فنحن نوصيك على هذه المسكينة في بلاد لا نعرفها ، فهي أمانة في عنقك ، فهي وحيدة لا أهل لها إلا أنت ، ولا أصدقاء لها إلا أنت .

فقال زهمان بجد : اطمئنوا هي في حصن وأمان ، وقد نزوركم في كل عام مرة .

فقال سالك : ونحن كيف نزور اختنا ؟

فقال زهمان : لا تفكروا بذلك .. فعندما نشتاق إليكم نأتي إليكم .. فكروا بأحلامكم وأموالكم وأمامكم أهوال وأهوال .. فاحذروا يا أبناء قطبة أن تخالفوا وصية أبيكم وتفتحوا صناديق قطبة قبل العام .. وداعا أيها الأصدقاء .. لا تنسوا صهركم زهمان .



قفل الأخوان للبيت منهكين الأبدان ، يغمرهم الحزن والضيق على فراق حبيبتهم نازك، ولما ألقوا بأنفسهم على الفراش ، وقد خلت الدار من نازك وزهمان، قال مالك : كان الله في عون أختنا.. لا نعلم إلى أي البلاد ساقها.. آه ! لولا وصية قطبة ما أخذها هذا الرجل الغريب بل المجهول !

فقال سالك : يا رجل لولا وصية الوالد لتزوجت منذ عهد .. الملك خطبها وطلبها للزواج ؛ ولكن هذا الزهمان لابد أن له حكاية وقصة مع والدنا قطبة ..فهو جندي عند الملك طهمان الذي كما سمعنا يحكم قبائل من الإنس والجان .. أين يوجد هذا الملك ؟!

فقال مالك بامتعاض : علينا أن ننتظر سنة ؛ لنعرف سرا آخر من أسرار قطبة .. لقد انشغل القلب بمعرفة ما في هذه الصناديق البراقة تذكرت المال الذي ورثناه عن قطبة ماذا سنفعل به ؟ ما استطعنا أن نفيد نازكا منه بشيء ؟!

فقال سالك : كنا في راحة بال قبل موت قطبة بن سنان .. منذ هلك وأنا مشغول بحياته وأسراره ما علاقته بزهمان وطهمان والإنس والجان؟! أنسيت عفاريت البئر وموت بوصة واختناق الرجال ؟!

فقال مالك : هذه الأسرار مخزونة في الصناديق .. وسنعرف قصة قطبة بن سنان منها.. يا أخي لم نعرف اسم أبي زهمان ، ولا قومه وأهله ، ولا موقع بلاده في هذه الأرض .

فضحك سالك وقال: أما سألته عن ذلك رغم مكثه بيننا خمسة أشهر كأنها الدهر؟!

فعاد مالك يقول: نحن خضعنا لإرادة قطبة ، وانشغالنا بأمر الصناديق والجرة وزواج نازك لهذا المجهول أطار منا الذهن والافتكار.. فاستسلمنا وما حاولنا معرفة هذا الرجل الغريب وكشف أسراره ، فهو رجل فطن ذكي ..ولعله متنكر كما قال له الملك عماد .

فقال سالك: معك حق يا أخي لننتظر حتى تمضي السنة .. والآن فما رأيك بالزواج؟ فنبحث لك عن زوجة بين الأقارب والجيران ونزوجك.. فقد كبرت يا مالك! فأنت قد بلغت الثلاثين من العمر

تضاحك مالك وقال : قبل موت قطبة كنت أفكر بذلك.. أما الآن فلسوف اصبر حتى أعرف سر الصندوق ، ثم أفكر بالزواج .

فقال سالك : كما تشاء ، ولكننا نحتاج لامرأة في البيت.. تعد لنا الطعام ..وتعتني بالبستان .. ونحن لا نستطيع إدخال غريب للبيت حتى لا يطلع على سرنا وحالنا ، ولكن لابد من خادم للبيت .

فرد مالك : نحن حقا بحاجة لخادم وحارس تزوج أنت يا سالك .

فقال سالك : وأنا مثلك قلق من أمر هذه الصناديق .. فلنتعاون إذن على خدمة البيت، يعود أحدنا مبكرا قبل الآخر لإعداد الطعام وشراء الحاجات من السوق ، وفي اليوم التالي يعود الآخر وهكذا كل واحد يبكر بالعودة يوما حتى تنقضي أطول سنة في حياتنا .. ونرى ما خبأ لنا والدنا قطبة في هذه الصناديق .. وعلينا صباحا قبل الذهاب للعمل بأن نسقي سوية الأشجار والزرع ونعتني بالأرض .

اتفق الأخوان على هذا الترتيب لإدارة شؤون البيت ، وتدبير شأنهما بنفسيهما ، وعدم إدخال غريب عليهما البيت حتى تنقضي هذه السنة ، فقاما بتغيير أقفال البيت وتجديدها كلها .

مضت الأيام واقترب الموعد المنتظر لمعرفة أسرار الصندوقين اللذين ورثاهما عن أبيهما ؛ ولكن كما تعلمون الانتظار شاق على النفس ، والفضول دافع قوي للإنسان لمخالفة عقله، والشيطان له دوره .. أمام هذه الأشياء ضعف مالك، فذات يوم عاد مبكرا للبيت قبل أخيه ، فالدور في إعداد الطعام والطهي عليه ، وكذلك خدمة المنزل ، فحدثته نفسه بعد أن أعد الأشياء بالنظر إلى صندوقه وتفقده وتنظيفه ، وكان من عادته أن يتفقده في مخبئه الذي دفنه فيه بين الحين والآخر، فأمام حديث النفس ورغبتها ضعف ونسي قطبة وزهمان ونازكا وسالكا ونسي الموعد المنتظر ، وبدأ يعبث بالقفل والمفتاح وبدون شعور كما يقولون فتح القفل فتك تكة واحدة ثم ثانية ثم ثالثة ؛ فإذا بالصندوق ينفتح ، فوجد بطاقة من ورق مكتوب عليها " يا خسارة الأيام بعد هذا الانتظار!" قرأ الجملة وما فكر فيها فرفعها ، فكانت تحتها بطاقة أخرى مكتوب عليها " الصبر ثمين وجزاؤه ثمين " قرأها ورفعها ، فوجد أخرى أسفل منها "العجلة فيها الندامة" فرفعها ، فوجد تحتها كتابا صغير الحجم،لكنه كثيف مكتوب عليه"أنا كتاب أسرار العلاج والشفاء ، ما من مرض وداء إلا له في داخلي دواء وشفاء إلا الموت والهرم "

قلب أوراق الكتاب لا شيء فيها اختفت منها الكتابة ، فأحس بغضب وغيض ، فوجد تحت الكتاب بطاقة أخرى مكتوب فيها "هذا كتاب له موعد ينتفع به مالكه، ومن خالف الموعد خاب وخسر ، ولا تعود الكتابة إليه إلا بإذن صاحب باب السر "



لما انتهى مالك من القراءة أدرك أنه ارتكب جريمة ، وأنه خسر هذا الكنز، فأصابه الندم والحسرة والحيرة ، وبعد تفكير قال : سأخفي الأمر عن

سالك حتى أرى ما في صندوقه من أسرار ، ثم أقص الأمر عليه .

كان سالك قد أحس وشعر بأن أخيه قد تغير ، وحاله هائجة، وطبعه عجيب، وحاول أن يكون مع أخيه ، فما استطاع إلى أن حان موعد فتح الصناديق ، وفي الليلة التي اتفقا على فتح الصناديق فيها ، قال مالك لأخيه : افتح أنت أولا حتى نرى ما في صندوقك الأخضر .

أخرج سالك صندوقه الأخضر وفتحه تكة اثنتان ثلاث ، ثم انفتح الصندوق الأخضر ، فوجدوا ورقة كتب عليها "ما أحلى الفوز والنصر بعد الانتظار والصبر!" فلما رفعها ظهرت ورقة ثانية كتب عليها "الصبر ثمين وجزاءه ثمين" ، ثم ثالثة عليها "في الصبر والأناة السلامة" ؛ فإذا غمد صغير وبداخله سيف، وقد كتب على الغمد "هذا سيف من سيوف ملوك الجآن .. صنعه العبد عنان للملك "، وعلى الجهة الثانية كتب " من ملك هذا السيف لا يهزم أبدا " ، فاستل سالك السيف من غمده الذهبي؛ فإذا هو يلمع في الظلام كأنه شمس النهار ، وعليه أزرار فضغط على زر منها ؛ فإذا السيف يطول والزر الثاني زاد الطول وهكذا كل زر يطول السيف حتى يصبح طوله ثلاثة أذرع ، فهزه سالك بيده فسمع له صفيرا ؛ كأنه صفير وزعيق الجآن ، فعاد وضغط على الأزرار فكلما يضغط زرا يقصر طوله حتى عاد لغمده الصغير وقال معجبا : هائل عظيم هذا السيف إنه قوة كبيرة لنا !

ووجد تحت الغمد في الصندوق بطاقة كتب عليها "يا صاحب السيف .. هنيئا لك هذا السيف فكن شجاعا غير هياب للمنايا وطول الرماح .. واحفظه من السرقة والضياع "

فصاح سالك عندئذ من الفرح وقال : الله ! الله ! .. الآن يستطيع الفتى أن يتحدى الأشرار والظلام .. هذا كنز ثمين يا مالك بن قطبة .. هيا أرنا ما في صندوقك الأحمر .

كان مالك يبكي ويبكي فقال سالك عندما سمع بكاء أخيه ، وقد انتبه إليه، وقد وضع الغمد على خصره : مالك أخي الحبيب .. ما هذا البكاء في هذا اليوم السعيد؟! .. هل فتحت الصندوق قبل اليوم ؟!

بعدما خفف عن أخيه الهم ، وسمع اعترافه وعدم صبره إلى هذا اليوم ، هدأ من روعه وقلقه وقال : لا بأس عليك يا ابن أمي وأبي .. هذا السيف لنا جميعا ندافع به عن أنفسنا ضد من يعادينا ويحاول سلب مالنا .. هون عليك .. دعني انظر في صندوقك .

أعطاه مالك الصندوق ، ففتحه وقرأ الأوراق التي بداخله ثم قال : الحق أننا فقدنا شيئا جميلا وباهرا

، وبما أننا نملك هذا السيف والمال فلنسافر في الدنيا نسأل عن صاحب باب السر ، ونطلب منه أن يأذن بإعادة الكتابة لهذا الكتاب العجيب في الطب والحكمة ، ولابد أن يكون هذا الرجل ملك من ملوك الجآن ، ونحن كما تعلم يا أخي العزيز كنا ننتظر هذا اليوم لنرى ما في هذه الصناديق ، ثم نرحل لنتصرف في الذهب.. فالآن أصبح لنا هدف آخر ..إن لم يكن أهداف .

فقال مالك : لا داعي للرحيل يا سالك ! مبارك عليك سيف قطبة ، ولنبق بين الأهل والأصحاب ، ونتزوج وننسى أمر هذا الكتاب .

فقال سالك : ويحك يا أخي !.. هذا كلام لا يجوز .. فلنغامر فلنرحل كما كان يفعل قطبة حتى نعرف سر هذه الأشياء ، ومن أين جلبها أبونا ؟! فأمرنا ازداد غموضا، ولم نعرف الأسرار التي كنا نحلم بها ونمني النفس بمعرفتها .. المال موجود والسيف موجود وقوة الله معنا .

اقنع سالك مالكا بضرورة السفر والكشف عن أسرار قطبة وقال سالك: سنأخذ ما يلزمنا من الذهب والمال والسيف والكتاب، وندفن الباقي في السرداب المعروف، ونأخذ ما يلزم من الطعام والشراب ، ونتوكل على الحي القيوم ، ومن عاد منا سالما بعد هذه الرحلة المجهولة فالمال المتبقي حلال عليه ، وكلنا أمل أن نعود كلينا سالمين .

جهزا أمر رحليهما على حين غفلة من الناس ، فلما حانت ساعة الفراق اخبروا بعض الأصدقاء والأقارب عن قصدهم الرحيل والسفر والسياحة في هذه الدنيا، معتذرين للناس بأنهم بعد زواج أختهما صعبت عليهما الحياة ، فهما يفكران بالتنقل والحركة في أقطار الأرض لعلهما يكتسبان من حياتها تجربة وخبرة جديدة ، وإن قدرت لهما الحياة سوف يعودان إلى هذه البلاد كما كان يفعل والدهما قطبة ، وأوصيا أقاربهما وجيرانها على البيت ، وطلبوا من سدرة ابن عمهم العناية بالأشجار والأرض والاستفادة من ثمارها في فترة غيابهما ، وقد أتى كروان الحداد وشيخ الحدادين في سوق الحديد مودعا لسالك ومالك قائلا : تعز علينا صحبتك يا سالك لقد كنت عاملا نشيطا وأمينا متقنا للعمل .. فأنا مستعد لدفع المزيد من الأجرة لك إذا كانت مشكلتكم المال لتبقوا هنا .

أثنى عليه سالك وشكر اهتمامه وقال : مللت هذه المدينة يا صاحبي ويا معلمي كروان .

فقال كروان : يا ولدي .. أزوجك ابنتي شيماء .. وابق عندنا ومعنا .

فقال سالك : هذا إغراء طيب لكننا عزمنا أمرنا .

فقال كروان : ما الذي يدفعكم لتركنا ؟ اصدقني

القول أيها الابن العزيز .. فأنا لي خبرة وتجربة في الحياة الدنيا إن كان هناك أمر يشغلك فأنا أساعدك فقال مالك متأثرا بكلام معلم سالك : أنت رجل فاضل يا كروان .. نحن نريد أن نسافر لنبحث عن شيء اسمه صاحب باب السر .

سكت كروان طويلا لما سمع كلمة " صاحب باب السر " مما أثار انتباه الشابين فقال سالك بلهفة : هل عندك علم عنه يا سيد كروان ؟!

فبعد تفكير ونظر رفع كروان رأسه وتلفت في عيون الرجلين ثم قال : قبل أن أقول لكم شيئا أيها الصاحبان.. فأمركما خطير وهذا اسم مخيف ، وعليكما بقص أمركما عليّ ؟

ذكر سالك له قصتهما وقصة الصندوقين بايجاز مبين ، وأمام تصميمها على الرحيل للوصول لصاحب باب السر خضع لهما كروان الحداد ، وتحدث عما يعرفه عن صاحب باب السر فقال : هذا الاسم لرجل من الجن ..عظيم في قومه .. وعليكما خطر منه ..ولسوف أدلكم على رجل يعرفه أكثر مني .

سر الأخوان لهذا الخبر ، واظهرا شكرهما لشيخ الحدادين ، فتابع الحداد كلامه قائلا : يا ولدي يا سالك .. هل تعرف الحداد " عماد " الشاب الأسمر الذي كان يزورنا بين عهد وعهد ؟.. هل تتذكره ؟ .. المهم هذا الشاب حداد مثلنا له محددة في طرف المدينة الشرقي ..هناك سوق صغير للحدادين كما تعلم .. فاذهبا إليه قبل سفركما .. واسمعا قصته مع صاحب باب السر والجنيات .



عماد الحداد أخرا السفر والرحيل حتى يلتقيا بالشاب الحداد عماد، فلما أشرقت الشمس، وارتفعت في كبد السماء ، ذهبا لطرف المدينة الشرقي حيث يعمل الحداد عماد، ووجداه في دكانه فإذا هو شاب أسمر البشرة قوي البنية ، يجلس على مقعد وحوله بعض الشباب والغلمان ، فسلما عليهم، وذكرا له أن المعلم كروان أرسلهما إليه لحديث خاص ، وأنه سالك وأخوه مالك ، فصرف المعلم عماد العمال إلى أعمالهم ورحب بهما فقال : أهلا بكما وبالمعلم كروان ما عندكم ؟

فقال سالك : أيها الرجل الطيب .. نحن نريد أن نسمع قصتك وحكايتك مع صاحب باب السر لأمر يهمنا ، وذكرا له طرفا من قصة الصندوق الأحمر ، فانتفض الشاب عند سماعها مثل الطير المبلول من المطر وقال : هذا الكلام لا ينفع في الدكان؛ فإن لي سنوات وسنوات في انتظاركما .. لنمش إلى البيت .

وصاح في عماله : معلم كلب .. انتبه للعمال

والصناع ، وأنا سائر للبيت مع هذين البطلين، وعند الظهيرة أرسل لنا الطعام والغداء مع الغلام شهوان .. من أجود الطعام ، وإن تأخرت لليل فاغلق الدكان ..ومر عليّ يا معلم كلب .

ساق عماد الحداد الأخوين إلى بيته ، ولما جلسوا وشربوا الماء البارد قال لهما بشوق : إنني في انتظاركما منذ سنوات طويلة .. آه !.. يا مالك لو لم تتعجل بفتح الصندوق لعجلت بشفائي .

فقال سالك : لو لم يحدث ذلك لما عرفناك وبحثنا عنك .

فقال عماد : معك حق!.. على كل حال قصتي يا سادة قصة محزنة ، تدمي القلب، وسأضعها بين قلوبكم لتساعدوني ولا تنسوني إذا عدتم من عند الملك صاحب باب السر .. أنا في انتظاركم بشوق .. وسأدفع لكم كل مالي وكل ما أملك على أن أشفى من دائي .

فقال مالك : يا رجل شوقتنا لسماع مأساتك .. فلسوف نساعدك بدون أخذ مالك .. تكلم ؟

قال عماد : أريد أن أسمع قسمكما على مساعدتي .

فقال سالك : نسمع ثم نقسم .

فقال عماد : حسن ـ ومسح الدموع التي انسكبت على خديه ولحيته وتنهد من أعماق القلب ـ وقال : أنا حداد مثلك يا سالك ! وتعلمت الحدادة منذ الصغر عند المعلم كروان حتى كبرت وأتقنت المهنة والحرفة ، ففتحت هذه الدكان التي رأيتموها لأعمل بها وحدي ، ونجحت في مهنتي رغم بعد دكاني عن سوق الحدادين ، وصار لي زبائن في كل المدينة إلى أن كان يوم وقد انصرف العمال ، وظللت وحدي اكمل العمل لأحد زبائني ، وكان لي بجوار الدكان حجرة صغيرة إذا تأخرت إلى الليل أنام وأرقد فيها ، وفي ذلك اليوم تأخرت إلى نصف الليل في العمل وكنت اشتغل والدكان مغلقة ، ولما أنهيت ما كنت أعمل به أخذت أحد الفوانيس بعدما اطفأت كل الفوانيس الأخرى ، ودخلت الحجرة الصغيرة لاستريح من تعب النهار والليل وأنام بضع ساعات ، وقبل أن تغفل وتنام عيناي انشق الجدار الذي أمامي ؛ فإذا بصورة فتاة جميلة كبدر التمام تقترب مني فظننت نفسي بداية في حلم .. فقلت بصوت مسموع مشوب بالخوف : هل أنا بعلم أم بحلم ؟!

فسمعت صوتا يقول برقة وحنان : بل في علم .. أنا جنيتك نجمة جارية الملكة بوبا .

فأصلحت جلستي وهمست قائلا : جنية !.. أأنت جنية ؟!.. وماذا تريدين مني ؟!

فقالت وهي تقف قريبا مني: أريد أن أتزوجك.. لقد رأيتك في جولاتي فعشقتك .. وجئت إليك لأتزوجك .. فلا تردني خائبة وتشمت بي صويحباتي يا سيدي عماد .. وأخذت تتغزل فيّ

بكلام معسول حتى وقعت في هواها وعشقتها ، فصرت أتأخر في العمل لليل لأنام في تلك الحجرة .. فتأتيني جنيتي واجتمع بها بعد منتصف الليل عندما تترك خدمة سيدتها الملكة بوبا ، وبعد الحب والغرام وافقت على الزواج منها فهيئت لنا قصرا في مكان لا أعلم أين يقع ؟.. فكانت تأخذني من الدكان في الليل إلى القصر وتعيدني لطرف المدينة في ساعات الفجر الأولى فأمشي إلى عملي ولم أحدث أحدا بسري وبزواجي بعد ، كما أمرتني جنيتي نجمة ، وبعد أشهر من الزواج كسلت عن العمل ، ونفرت منه ، فاقترحت على سيدتي نجمة البقاء في القصر حتى انتهاء خدمتها عند سيدتها الملكة ، فانزعجت نجمة من هذا الكلام وقالت لي : يا حبيب لنبق كما اتفقنا يا سيدي ! نهارك في العمل .. وفي الليل معي حتى انتهي من الخدمة عند مولاتي الملكة بوبا .. ونعيش في بيت في بلاد الإنس يا سيدي عماد .

رضخت لطلبها شهرا آخر من الزمان .. وزاد كسلي وملّلي ، وتحدثت معها وفي هذه المرة صممت على البقاء في القصر نهارا ، فوافقت والدموع تملأ عينيها وقالت لي : سيدي عماد تمتع بغرف القصر كلها خلال النهار ، ولا تخرج على ظهر القصر أبدا حتى لا تندم بعد فوات الأوان ووصتني ألا أنسى هذه الوصية وإلا كان ذلك سبب للفراق والعذاب ، فلما انصرفت كأنني لم أسمع وصيتها ، ودفعني الفضول بعد حين إلى أن أصعد إلى سطح القصر ، فسمعت أنينا في غرفة على سطح القصر الكبير ، فالخوف والفضول دفعاني إلى تلك الغرفة ، وفتحت الباب ؛ فإذا نجمة معلقة في الغرفة كأنها في عذاب وعقاب بل هي في عذاب وعقاب فصحت : نجمة زوجتي نجمة ؟!

فقالت من بين دموعها : وداعا يا سيدي ! لم تسمع نصحي في البداية ، ولا في النهاية .. سامحني يا سيدي! وسأذكر لك قصتي قبل أن يحضر الجلاد .. فقلت وأنا أحاول فك قيودها : تكلمي يا مولاتي .

فقالت بألم ودموع : دع الحبال فلن تستطيع حلها يا سيدي عماد ! .. لقد شاهدتك مرة في حفل زواج لأحد أصحابك ، وقد كنت مارة من هناك فأعجبتني وأحببتك وأثرت بي لواعج العشق والغرام ، فتتبعت أخبارك حتى عرفت مكان عملك ، وانتظرت فرصة لاجتمع بك إلى أن كانت تلك الليلة السعيدة وأحببنا بعضنا بعضا ، ثم قررنا الزواج على الشرع والحساب ، فجهزت حجرة في هذا القصر في هذا المكان البعيد ـ وهذا القصر المهجور كان لأحد مردة الجآن ـ وأحضرتك إلى هنا ، وكنا نعيش في رغد وسعادة ؛

ولكن مولاتي الملكة بوبا علمت بعشقي وزواجي وسري ، وكانت ترغب بتزويجي من غلام لها اسمه شداد ، وكان من أبغض الخلق إلى قلبي ، ولا أحبه ، فرفضت وذكرت لها أمري ، فأخبرتني بأن شدادا اعلمها بذلك كله ، فرجوتها أن تحررني من خدمتها ، وتطلق سراحي لأعيش مع حبيبي عماد فغضبت وقالت : لو أنك ذكرت ذلك سابقا لعلي رضيت وصرفت شدادا عنك ، أما الآن فلا ؛ ولكن يا نجمة سأسمح ببقائكما في القصر، ففي الليل عند عشيقك عماد ، وفي النهار سيقوم بجلدك شداد ، وعند كل مساء يفك قيودك لتذهبي وتـأت بعشقيك للقصر ، هذا مقابل خدمتك لي والعقاب مقابل خيانتك لي ، وستبقين على هذا الحال إلى أن يكتشف عشيقك عماد هذا السر، فعند ذلك سيصاب هو بالعذاب والمس والجنون في كل أسبوع مرة واحدة ، وهو اليوم الذي يكتشف فيه أمر عقابك ، وستبقون على هذا الحال إلى أن يأتي الأمير مالك بن قطبة بن سنان إلى بلادنا ، ويطلبني من والدي الملك صاحب باب السر ويتزوجني .. فأذكر له أمركما ؛ فإن رضي وعفا عنكما باركت لكما زواجكما ، وهذا الشاب سيكون بين يديه كتاب فيه علاج لكل الأمراض ، فيداوي صاحبك مما حل به من جنون ومس .. يا سيدي عماد ! ذكرت لك ذلك لتبحث عن المالك بن قطبة فدواؤك عنده .

فقلت لما سمعت قصتها معي ومع الملكة بوبا : أخرج وكأن شيئا لم يحدث .

فقالت بحسرة وندم : فات الأوان فلا يمكن فتح الباب من الداخل .

حاولت فتحه فلم أستطع ، فوقعت في المصيدة فصحت : سامحيني يا مولاتي لقد سببت لك كل هذا الشقاء والعذاب .

فهاجت وقالت وكلها دموع وحرقة وحزن : بل أنت سامحني ، لقد جلبت لك كل هذا المصائب والمتاعب .

ولما أتى شداد غلام الملكة الجنية ، وفتح علينا الباب أصابه فرح قوي وسرور فقال وهو يضحك ويسخر منا: وقعتما في المصيدة يا غزالان !.. انتظرا حتى أعود .

وغاب ساعة من الزمان ، ورجع من عند الملكة بوبا ، وصفع عمادا صفعة طار صوابه من شدتها وحملني ورماني في طرف بلادنا وأنا أصيح كالمجنون .

وأما ما جرى لنجمة بعد ضرب عماد ، عاد إليها شداد بعدما انتهى من عماد ، وأطعمها الطعام وقال : سيدتي الملكة بوبا لا تريد أن تقسو عليك كثيرا ، فأمرت بحل وثاقك في الليل وإعادته في النهار .. آه ! يا نجمة القلب لو رضيت بي زوجا لك ما

جرى لك كل هذا العقاب ، وما حل بصاحبك البلاء .

فقالت: أنا مستعدة الآن للرضا بك ، وأقبل بك من أجل صاحبي عماد .. سأطلب منه الطلاق وأتزوجك .

فضحك شداد ضحكة عالية وقال : فات الأوان أيتها المعشوقة! وهل أستطيع إغضاب الملكة مولاتي ؟ وداعا .

هذا ما جرى لنجمة بعدما صفع عماد الحداد، أما عماد فتابع الحديث قائلا: أيها الأخوان العزيزان أصابني الجنون والعويل عدة أيام ، وتطببت عند الأطباء فما نفع دواء ، فكل أربعاء ـ وهو اليوم الذي دخلت فيه سجن نجمة ـ تصيبني حالة عنيفة من الجنون ، فيحملني العمال إلى المنزل وأنا في أسوأ حال حتى الليل ، فيخف ما بي من المس والجن ، ومما أوصتني به نجمة قبل الفراق أن أبحث عنك في كل البلاد من أجل الدواء الموجود في الكتاب الذي بين يديك يا ابن قطبة ، وقبل الختام فاعلما أنها أخبرتني أن شخصين حدث لهما مثلما حدث معي من الأهوال ، ذكرتهما لي نجمة أحدهما في بلاد الشمس في مدينة الغراب ، والآخر في بلاد القمر في مدينة البحر فكما أخبرتني نجمة المعشوقة لهما حكايات شبيهة بقصتي.. فاذهبا إليهما لعل عندهما ما يوصلكما أكثر مني لصاحب باب السر والد الملكة بوبا .. واعلما أنني قد بحثت عنكما حتى حفيت قدماي في كثير من المدن .. فعدت لمدينتنا هذه مدينة السرو انتظر مجيئكما ، كما ذكر لي صاحبي في هذا الكرب في مدينة البحر فقد قال "بأنك لابد أن تجدنا"، وما كشفت تفاصيل هذه القصة إلا لكما، وبعضها لسيدي كروان .. فعاهداني الساعة على مداواتي وشفائي وإعادة زوجتي إليّ .. نجمة المحبوبة .. إذا التقيتما بالملكة بوبا لا تنسيا أخاكما عماد الحداد .

حزن الأخوان لما أصاب هذا الإنسان من العذاب والعقاب وقال مالك : أعدك إن حصل ما سمعنا منك ، والتقيت بهذه الملكة الغريبة ووالدها صاحب باب السر أن أعالجك وأساعدك ، وأقسم بالله على هذا الوعد فاصبر أيها الصديق .

وعانقا الفتى ومسحا دموعه ، وبينما هم على هذا الحال المؤلم أتى الغلام شهوان يحمل أجود وأزكى الطعام ، فأكلوا وشربوا ، وانصرف شهوان بالآنية التي جلبها معه ، وقال سالك : سنسافر بإذن العلي العلام إلى مدينة الغراب ، ونبحث عن الشاب الآخر، ونعرف حكايته هل تعرف اسمه يا صديقنا ؟

فقال عماد الحداد : نعم .. اسمه " ايهاب " والثالث " حران " .

فقال سالك: احفظ الأسماء جيدا يا مالك.. وهل

من أوصاف تساعدنا في معرفتها؟

تبسم عماد وهو يرد قائلا: اسأل عن المجنون ايهاب .. فسيدلك عليه أهل البلد كلهم، فأنا الناس يقولون عني "المجنون عماد الذي عشق الجنية حتى جننته وطيرت عقله " فيا أخوان لي أكثر من عشر سنوات في الانتظار .. فأرجوكما أن تتعجلا بشأني .. ولا تنسياني مع الأحداث التي ستمر بكما



الحارس ايهاب

ودعا عمادا الحداد ، ورجعا لبيتهما ومكثا بضعة أيام أخرى ، ثم اشتريا بغلة ، وسافرا عليها إلى بلاد الشمس ، ومنها إلى مدينة الغراب ، وأخذت الطريق منهما عشرة أيام ، وكان دخلوهما لها في ضحى النهار ، فبحثا عن خان ينزلان فيه ويضعان البغل فيه ، ولما تم لهما ذلك نزلا إلى السوق واشتريا



بعض الطعام ، وبعدما استراحا من وعثاء السفر ، سألا مالك الخان عن المجنون ايهاب فاستغرب الرجل وقال : غريبان يسألان عن ايهاب المجنون! .. فهذا شاب مجنون، قد عشق جنية حتى مات من العشق ، ثم تخلت عنه ، فهو هائم في الأزقة والحارات.

فقال سالك : أيها الرجل ـ بارك الله فيك ـ أرشدنا إليه لنسمع منه حكايته.. فصدق أننا جئنا من بلادنا بلاد السرو خصيصا إليه ؛ لعلنا نداويه ونشفيه من هذه اللمة .

فقال صاحب الخان : يا أبنائي .. لقد عرضه أهله على كل أطباء الدنيا ، فما نفع معه علاج ولا دواء ؛ ولكن سأرسل معكم ولدي؛ لعلكم تجدونه عند الحانوتي دهاج.

شكر الشابان الرجل الطيب ، وقادهما الولد إلى الحانوتي دهاج ، وكان بالفعل عنده المجنون ايهاب، فألقى الشباب السلام على الحانوتي الذي ظن أنهما قادمان لشراء كفن وما يلزم لغسل الميت ولباسه ؛ ولكنه سمع الفتى يقول : هذان يسألان عن ايهاب .. وهما غريبان يا سيد دهاج

فقال الحانوتي وهو يلتفت إليهما : مرحبا بكما أيها الشابان ـ وأشار لايهاب ـ فهذا هو ايهاب الذي تبحثان عنه .

ونادى عليه ، فقد كان يجلس في داخل الحانوت ساهما مشغول الفكر واضعا رأسه بين يديه ، فأتى نحوهم وهو يقول : نعم ، يا سيد دهاج إنك ناديت عليّ .

فقال الحانوتي : نعم ، نعم ، هذان الشابان الغريبان يريدانك .

فالتفت إليهما والغضب في عينيه وبجفاء وصراخ

قال : نعم .. أنا ايهاب ماذا تبغيان من مجنون مثلي ؟!

فاقترب منه مالك وقال وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة حزينة : أنا اسمي مالك بن قطبة .. وهذا أخي سالك .. هل سمعت بهذه الأسماء ؟

فلما تيقن ايهاب من اسم مالك بن قطبة ، وقع مغشيا عليه ، فخاف الحانوتي وانزعج وقال : ما فعلتما بهذا المسكين ؟!

فقال سالك : لا تخف عليه .. هات ماء أيها الرجل فنحن لم نعمل معه شيئا إنما ذكرنا له أسماءنا

وبعدما مسحوا وجهه بالماء البارد عاد يهمس : مالك بن قطبة ! .. آه أيها البطل لقد طال الانتظار.. لي خمس عشرة سنة في انتظارك .. أهلا بكما ومرحبا .. لي مسكن فلنذهب إليه .

فصرف الأخوان الفتى ابن صاحب الخان ، وودعا الحانوتي ، وقادهم ايهاب إلى منزله ، وكان المنزل عبارة عن غرفة واحدة صغيرة عتيقة سوداء من سناج المصباح وشحباره ، فمن يراها يرثي على ساكنها ، وقد تنساب الدموع على وجنيته حزنا وألما ؛ ولكنهما لم يهتما بذلك كثيرا ، فهما يهمهما سماع قصة ايهاب التي قد تساعدهم في الوصول لصاحب باب السر .

فجلسوا جميعا وخيم عليهم الصمت ، ثم قال ايهاب : لقد أتيتم تسمعون حكايتي .. فيا أسيادي إنها قصة قديمة ، فأنا ايهاب فارس من فرسان السلطان ضرغام ملك هذه البلاد ، وقد كنت شابا قويا معروفا لأهل المدينة كلهم ، وقد عملت في خدمة الملك منذ الطفولة .. وأنا غلام دون الخامسة عشرة .. كنت محبوبا من الملك ضرغام .. وكان ـ يا أسيادي ـ للملك بستان صغير جميل .. فيه من أجمل وأفضل ثمار الأرض .. وكان فيه شجرة تفاح يحبها الملك ضرغام ، وله عناية خاصة بها ويحب ثمرها .. وكان ينتظر ثمرها بكل شوق وغرام ، وفي إحدى السنوات يا أسيادي عندما ذهب البستاني لقطف ثمرها الجميل فلم يجد عليها شيئا، فاستغرب وحدث الملك بما حدث فغضب الملك ، وفي العام التالي حصل مثل ذلك ، وفي العام الثالث حصل مثل سابقيه ، فازداد حنق الملك وغير البستاني والحرس، ومع ذلك فلم يفلح أحد في معرفة من يسرق الثمر ، فكلفني الملك ضرغام بحراسة الشجرة عند اقتراب نضج الثمر ويبدأ بالصلاح ، وحذرني من الفشل والخيبة ، وكل فرسان الملك كانوا منشغلين بالأمر وقصة هذه الشجرة ، فلما اخبرنا البستاني ببدو صلاح الثمر بدأت نوبة الحراسة عندي ، فكنت أجلس بين أغصان وأوراق الشجرة من المساء حتى الصباح ، وكان البستاني يتفقدني طول الليل بالطعام والشراب حتى كبر الثمر ونضج وتعين وقت

القطاف ، وفي ذات ليلة وبعد نصف الليل وبينما أنا أجلس على جذع شجرة والقنديل معلق على أحد الأغصان إذا بامرأة جميلة تحت الشجرة وهي تقول : طال الانتظار يا فارسي الجميل! .. صبرت فنلت أيها الفارس الحبيب!.. أنا حبيبتك "زهرة" أنا الجنية "زهرة" ، لقد أعجبتني فصممت على الاقتران بك، إذا وجدتني أهلا لقلبك وعينيك.. وفعلت هذا الأمر لأجعل منك فارس الملك الأوحد بأنك استطعت أن تحافظ على شجرة السلطان .. يا أسيادي! لقد سحرتني بجمالها الفتان، وعيونها الساحرة ، وكلامها المعسول، فوقعت في غرامها وعشقتها، وأصبح ملتقانا كل ليلة عند الشجرة بعد منتصف الليل ، ونغرف من سكرات الغرام والهوى حتى حان وقت قطف الثمار بعدما نضجت نضجا تاما ، وفرح السلطان فرحا عظيما لمحافظتي على تفاحته الخاصة ، وكافأني مكافأة مجزية ، وكانت جنيتي زهرة قد هيأت لنا قصرا جميلا ، لا أعلم في أي بقاع الدنيا يوجد ، فلما ازداد لهيب الهوى في أبداننا وأرواحنا اتفقنا على الزواج ، وكان ذلك بعد أن انتهى موسم قطف التفاح ، عندما كنت أعود للبيت من عملي ، وبعد منتصف الليل تأتي حبيبتي زهرة الجنية الساحرة فتسري بي إلى ذلك القصر ، فاقضي الليل عندها حتى الفجر، ثم تعود بي لبيتي ثم أسير لمكان عملي ، وقد علم المقربون مني قصة زواجي من الجنية وأني قد منعتها من سرقة تفاحة السلطان بزواجي منها ، فكنت يا أسيادي في سعادة ما بعدها سعادة ، زوجة جميلة فاتنة ، قصر جميل ، فارس من فرسان الملك ضرغام ؛ ولكن هذا الحال كما تعلمون لا يدوم ، فبعد سنة من زواجنا السعيد، وحياتي في قصر زهرة تقاعست عن العودة للمدينة ، وأحببت أن أنظر القصر في النهار وعلى ضوء الشمس ، فطلبت من زوجتي أن أقضي بعض الأيام في القصر أمتع النظر بمباهجه وبساتينه ، فترجتني أن اكف عن هذا المطلب ، وقد قالت والدموع تملأ عينيها : يا حبيب ! يا سيدي الفارس! لنبق كما نحن ، وكما اتفقنا، لنا القصر بعد منتصف الليل حتى الفجر ..

ونهارك عند السلطان وليلك في قصر الجنية زهرة . توسلت !إليّ أن لا أغير نمط هذا الترتيب ، وهذا الحال حتى يحين الوقت المناسب لكشف أسباب المانعة ، فوافقت أمام دموعها وحزنها وتوسلاتها، فمكثنا على هذا الحال عدة أشهر أخرى ، ثم عزمت وصممت على معرفة القصر والتمتع بمرآه في النهار والتفرج عليه وما فيه وما به ، فبكت وبكت وأنت واشتكت ، فأبيت وعزمت، فلما رأت عزمي وتشددي ولم تجدي دموعها في ردعي قالت بعين باكية حزينة : سيدي ايهاب يا قرة العين

! سأسمح لك بالبقاء في النهار ، ولكن احذر أن تصعد إلى سطحه فتندم أشد الندم.. يا سادة ! فكأنها بهذا التحذير تغريني بالصعود إلى ظهر القصر.. فوافقت على شرطها ، فلما انصرفت تفرجت على القصر حجرة حجرة ، ونزلت حيث الرياض النضرة والأشجار العملاقة مما سر الروح والنفس إلى أن كان نهار جرتني نفسي الضعيفة إلى ظهر القصر ، فسمعت أنينا خافتا وصوت ألم ؛ فإذا غرفة وحيدة على سطح القصر ، فاقتربت منها فازداد صوت الأنين وضوحا ، ففتحت بابها ونظرت ويا ليتني ما نظرت! فقد رأيت زهرة الفاتنة معلقة على الجدار بالحبال ، وهي في أرذل حال ، وسوط معلق بجوارها ، فصحت من الهول والذهول : ويلك من فعل بك هذا ؟!

فارتفع نحيبها وبكاءها وقالت : يا سيدي نصحتك فلم تنتصح .. ورجوتك فلم تأخذ برجائي.. سأذكر لك الآن حكايتي .. فاسمع الآن وبعد فوات الأوان وقبل عودة الجلاد مرة ثانية .. فقلت وأنا أحاول فك القيود والحبال وإنزالها إلى أرض الحجرة : تكلمي يا مولاتي الجنية ؟

فقالت ببكاء وحزن وشفقة : دعك من هذه القيود.. فلن تفكها لو مكثت الدهر في حلها يا زوجي الحبيب .. فأطرقت برأسي نحو الأرض أسمع كلامها الخطير والعجيب فقالت : لقد رأيتك أول مرة في إحدى جولاتي ، وأنت تبارز الفرسان في الميدان بحضرة الملك ضرغام ، فتسمرت في مكاني أراقبك وأنظر إليك ، فهمت بك وعشقتك أيها الفارس ! وحركت في نفسي الحب والعشق والهوى والهيام ، فكيف الوصول إليك والبوح بالسر الكبير؟ فذكرت ذلك لصديقة مخلصة .. فأرشدتني إلى تلك الحيلة لأصل إليك .. وتكبر في عين قومك .. وحصل ما رسمناه .. واجتمعنا تلك الليلة المشهودة وتعلقت قلوبنا ببعض إلى أن فكرنا بالوصال والزواج فجهزت هذا القصر ليكون مخدع حبنا وزواجنا كما تعلم ، وكان لنا ذلك، وهذا قصر مهجور كان لأحد مردة الجان يا مولاي ايهاب ! .. وأنا جارية عند الملكة بوبا ابنة ملك صاحب باب السر ، وكنت قديما جارية عند زوجته الملكة سنديان ، فوهبتني أنا ومملوك اسمه مرجان للملكة بوبا .. وكان هذا اللعين يعشقني عشقا مبرحا ، فلما تمكن من قلب مولاتي بوبا طلب منها أن تزوجه إياي ، فاعتذرت لمولاتي ، ولم تجبرني على ذلك إلى أن عرف سرنا فذكره للملكة ـ والملكة بوبا لا تحب لجواريها مثل هذه الأفعال ـ فغضبت ونصحتني بالبعد عنك ، فلم استطع ، لقد أصبحت لك زوجة ومعشوقة ، فزاد غضبها عليّ ، ورجوتها أن تعتقني من الخدمة فأبت ، ولما علمت أنني أسكن

ذلك القصر المهجور مع حبيبي وسيدي ايهاب أمرت بحبسي وجلدي صباح مساء ، وسمحت لي بالالتقاء بك في الليل حتى الصباح ، ولما أعود بعد توصيلك لبيتك يأتي مرجان اللعين ؛ ليقوم على جلدي ساعة من الزمان وتعليقي بالحبال على أن لا أذكر لك ذلك ، وإذا انكشف الحال كما حصل اليوم.. فقد قالت لي الملكة : يا زهرة .. إن انكشف سرك لايهاب فسيصاب بالمس والجنون، ولن يشفى منه إلا على يد سيدي ومولاي الأمير مالك بن قطبة بن سنان.. وسوف اصفح يومها عنكم وتعودين لزوجك ايهاب إذا وافق الأمير مالك بن قطبة على هذا الاقتران .. وقالت : ومالك هذا الآن يا زهرة فتى صغير.. فانتظري واصبري فهو لابد أن يأتي لوالدي صاحب باب السر ويخطبني منه، كما وعدتني ساحرتي الكبيرة بذلك فيا أسيادي قالت زهرة : فهذا هو الأمر والسر يا سيدي ايهاب ! وقصتي وحبي لك ، فالآن عندما يأتيني مرجان في المساء لحل وثاقي كالمعتاد سيجدك عندي ، فسيقوم بضربك وسوف تصاب بمس من الجن ولا شفاء لك بعد الله إلا على يد الأمير مالك بن قطبة ، فهو يملك كتابا فيه أوصاف الشفاء من كل داء بإذن الملك العلام .. فعليك بالبحث عنه في بلاد الدنيا ليداويك.. وإن لم تجده فاصبر فسوف يأتيك بنفسه .. وداعا أيها الزوج الغالي .. وسامحني على ما قد سببته لك من الشقاء والتعاسة ؛ ولكني حذرتك من الوقوع في هذا الفخ ؛ لأن مولاتي وعدتني بعدم التعرض لك إلا إذا كشف سر عذابي من قبلك .. فبكينا ورثينا لحالنا ، وقد حاولت الخروج فقالت : لا حيلة لك الآن فهذا باب لا يفتح إلا من الخارج فقط .

قال ايهاب للشابين مالك وسالك : وظللنا نتحدث إلى أن أتى مرجان ، فلما رآنا معا أصابه فرح شديد ، واغلق الباب ، وطار إلى مولاته بوبا ، ثم عاد إلينا ، وكله حقد وشماتة بنا فقال بفرح : هلكت يا زهرة وأهلكت صاحبك .

فقالت وهي مشفقة عليّ من العذاب والألم : يا مرجان يا من تدعي محبتي سأدع الفارس يطلقني وأقبلك زوجا على أن تدع الفارس من دون العذاب .

فضحك بسخرية شديدة وقال : فات الأوان يا زهرة .. ستبقين في الحبس هنا إلى أن يظهر مالك ابن قطبة ، ويتشفع لك عندي مولاتي الملكة بوبا .. وكلفت أن آتيك كل يوم بالطعام ، ثم أقوم بجلدك وأفك وثاقك طول الليل وأربطك طول النهار .. ثم صفعني صفعة عنيفة يا أسيادي فقدت من قوتها صوابي ، وأصبت بالجنون وحملني ورماني في بلادي ، فصرت مجنونا أدور في الشوارع والحارات .. وأنا أصيح وأنادي على زهرة زوجتي

الجنية .. وفي اليوم الذي دخلت فيه الغرفة المحبوسة بها زهرة يزداد معي الجنون وفقد الصواب ، ولقد عرضني الملك ضرغام على أطباء الدنيا فلا شفاء إلى أن يأذن الله على يدك يا سيدي مالك بن قطبة .. فأنا في انتظارك كل هذه السنوات، وبحثت عنك في مواقع شتى حتى يئست من العثور عليك ، فعدت إلى مدينة الغراب انتظرك ، كما أخبرتني زهرة بأنك سوف تمر عليّ وتعرف قصتي .. وهذه يا أولاد قطبة سيرتي وقصتي وسبب جنوني فأرجوكم ساعدوني .

وأخذ في النحيب والبكاء فقال مالك مشفقا : أقسم برب العرش إن وصلت لتلك الملكة المسماة بوبا فلسوف أساعدك يا صديق ايهاب .. اصبر مضى الكثير، وظل القليل أيها الفارس أعرفت من صاحبتك زهرة أين تكون بلاد الملكة بوبا ؟ بل أين مملكة والدها صاحب باب السر ؟

فهز رأسه نفيا عدة مرات ثم قال : ويلاه!! .. لا علم لي بذلك ، ولكن لي صديقان حالهما كحالي لعل عندهما علم عن بلاد صاحب باب السر ، فأولهما حران في بلاد القمر مدينة البحر ، والآخر في مدينة السرو اسمه عماد الحداد .. فهذه مأساتي يا أسيادي .

فقال سالك : ابشر أيها المسكين بالفرج والشفاء القريب بمشيئة الرب العظيم .. فإلى اللقاء ..

ولسوف نتابع المسير إلى بلاد القمر التي وصلا إليها بعد أسابيع من الزمن ، فنزلا في خان ، وبعد الراحة من النصب سألا صاحب الخان عن شاب يدعى "حران" ويقال إنه مجنون .

فقال صاحب الخان : ومن لا يعرف هذا المسكين؟!.. هذا شاب كان من خيرة شباب بلدة البحر ؛ ولكن المسكين عشق جنية البحر ، فأوردته المهالك ، وجننته فأصبح مجنونا هائما بها وينتظر خروجها من البحر كل مساء ويقول : لابد أن تخرج من الماء .. مهما طال الزمن .

فقال سالك : نحن جئنا من بلاد السرو لنحاول معالجته .

فضحك صاحب الخان وقال : هو يقول إنه غير مريض ، وقد حاول أهل البلدة وأهله من قبل معالجته فما شفي ثم قال : على كل حال إن كنتم راغبين برؤيته سيذهب معكما الخادم إلى البحر في المساء لتجتمعا به .. لعلكما تنفعاه فلربما جعل المولى الشفاء على أيديكم .

قلب الوطن

موقعة

الثلاثة والعشرين

الحلقة ٤

الشيخ نزار

شيع أهالي جباليا وغزة يوم الجمعة جنائز الخميس

وليلة الجمعة وصدحت الحناجر بالانتقام لمقتل الشهداء وأسرة ريان ، وفرحت إسرائيل وأذنابها بالاغتيال والإنجاز واعتبرته نصرا مؤزرا مع أن الرجل كما هو معروف لم يكن مختفيا ومختبئا كان يمارس حياته كالمعتاد مع الدعوة والمؤازرة والصلاة في المسجد والحث على الصبر والمواساة ورغم تحذيرات العدو أصر على البقاء في بيته وبين أولاده فرحمه الله رحمة واسعة ، ولم يكن الرجل بالزعيم الكبير والمناضل الكبير ليؤثر موته على مجرى الأحداث ولا من كبار قادة الميدان ؛ وإنما هو عالم مجاهد بلسانه اكثر من يده ومارس العمل العسكري والرباط لتشجيع الشباب على العمل العسكري والصمود كعلماء الدين في القوات المسلحة برفع المعنويات، ولكن إسرائيل تريد من التضخيم رفع معنوية الجيش والشعب القابع في الملاجئ والحفر والفاشل في الحرب إلا في اطلاق الصواريخ وقصف بالطائرات فيريدون من استشهاده صنع إنجاز وهمي ، فقد صرع قادة حماس الكبار واستمر النضال قائد يستلم مكان قائد ، والأهل يحلمون بالعودة للديار والأمل في المستقبل الأفضل للعودة ليافا واللد والرملة وعكا وكل الساحل والأبناء يتابعون مسيرة الآباء ولم يتسرب اليأس للقلوب بالنصر والعودة ، رغم العقود التي مرت على ترك القصور والدور والحارات والبيارات ، فهم يقاتلون ببسالة وثقة بالله " ولتعلمن نبأه بعد حين " والأمر بيد الله من قبل ومن بعد .. فهم يقدمون الشهداء من ستين عاما ومن قبل أيام الانتداب المخادع الاستعمار هو الاستعمار ولو تزخرف باللؤلؤ والمرجان هكذا الدنيا ، إجمالا الناس مع الأقوياء رحم الله القسام عز الدين الذي ترك الشام حين اغلق باب الجهاد في سوريا فجاء حيفا وفلسطين ليجاهد فيها وترك جسده الطاهر بمشيئة الله على ارض الشهداء فقتل في أحراش يعبد من جنين ودفن فيها رحم الله الشهداء فهذه القافلة الباسلة ستستمر فبطل يتلو البطل حتى يأتي البطل المحرر ولسوف يأتي ولكن اكثر الناس لا يعلمون.

تتابع القصف يوم الجمعة وليلة السبت وكانت المنشورات المحذرة من إيواء المجاهدين تتساقط من الطائرات على القطاع ، وإسرائيل تهدد بالاجتياح الشامل للقضاء على حماس والفصائل مضى أسبوع من الظلم والعدوان وفي الساعة الثامنة من يوم السبت زحفت الدبابات من جنوب القطاع من شرق رفح من مطار غزة تقدمت بضعة امتار بعد رمي مكثف بالمدفعية والغارات وفي التاسعة زحفت دبابات وناقلات من جهة غزة حي الزيتون وجباليا من عدة محاور تقدمت ، زحف جيش مدجج بأعتى سلاح القتل

في العالم ؛ وكأنه يزحف لاحتلال برلين في نهاية الحرب الثانية ، أي خوف وجبن يجتاح الجنود ؟ لم يهرب الناس بل قاوموا واستمر قصف الصواريخ على البلدات الإسرائيلية ، إسرائيل تزج المزيد من القوات مع المزيد من القصف وطلب المزيد من قوات الاحتلال ؛ كأنها تحارب هتلر في زمانه ،الهجوم البري ليل السبت على عدة محاور واستبسل الأبطال وتعاهدت الرجال على الموت قبل تمكين العدو من احتلال غزة ، نشط العملاء من الشمال للجنوب اشتد قتال الرجال المرابطين على الثغور وخرجوا من تحت الأرض من الأنفاق أي سلاح يحملون ؟ أي شباب يقاتلون ؟ يا الهي رحماك رحماك!

ايمن : هل يستطيعون الوصول إلينا؟

الحاج موسى: ليس المهم الوصول المهم الثبات والاستقرار ، قوى الله قلبك وقلوبنا يا ولدي لقد اعتدنا على اجتياحاتهم انهم أقوياء بضعفنا نحن .. اليوم لدينا أبطال رجال شرفاء يحرصون على الموت كما يحرص اليهود على الحياة .. الرعب سلاح لهذه الأمة .. الحرب صبر ساعة .. آلات هي تقاتل لن تحميهم " تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى" لا يقاتلوننا إلا من وراء جدر يقصفون من البر والبحر والجو ومع ذلك رأيتم بأم أعينكم صبرنا وثباتنا راضون بأمر الله فهو قاتل معنا ولولا معيته فما نحن مع قوة العدو .. سبعة أيام مضت كم طن من السلاح والذخيرة القيت علينا .. ما زلنا أحياء ناكل ونشرب ونشاهد الفضائيات ، فلن يموت احد دون استكمال أجله المسمى عند الله ولو قذف بمدفعية ثقيلة

ايمن: أعجبت بجد وحق من عزيمتكم صغارا وكبارا ونساء وذكورا ومن تصدي المقاومة لدبابات العدو جيش مدجج بالقوة العاتية ليزحف زحف النملة فقد استعدوا للهجوم البري بحق مضى أسبوع ولم يفت في عضد المجاهدين فئة مرابطة بحق لا دبابات عندهم ولا ناقلات جند ولا مدفعية وسلاح جو كلاشينكوف آر بي جي قنابل بسيطة عبوات ناسفة .. القوة بالقلب حقيقة

الحاج: وانتم بإصراركم على البقاء معنا اثبت أنكم أبناء وأحفاد هذا الشعب وقلوبكم مؤمنة بقضاء الله مع انه سمح للعالقين بالخروج .. فالحرب البرية انطلقت ونسأل الله أن يثبت أقدام المجاهدين ويرد كيد المعتدين وان النصر مع الصبر وان النصر مع الصبر وان النصر مع الصبر اللهم افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا القوم الكافرين المعتدين

امن السامعون وقال ناصر: آه يا جدي كم عانيت في عمرك المديد ؟ ما شاء الله عايشت حكم ناصر

واحتلال إسرائيل وغطرسة هؤلاء الطغاة والظلمة قوى الله عزائم وسواعد الأبطال

ـ أمين أمين

***

من أحداث اليوم السابع – الجمعة ٢ يناير ٢٠٠٩ ، اطلقت الطائرات الإسرائيلية صاروخا بالقرب من منزل النائب عاطف عدوان، وقصفت مسجد عمر بن عبد العزيز في بيت حانون. وطال مسجد الخلفاء في مخيم جباليا وأصيب خلاله أربعة فلسطينيين بجراح ، وشنت الطائرات الإسرائيلية سلسلة من الغارات الجوية فجر اليوم استهدفت ١٥ منزلا في مناطق مختلفة في قطاع غزة. وفي مخيم البريج استهدفت الغارات الإسرائيلية منزلين لنشطاء من حماس ما أدى إلى تدميرهما بالكامل، وتدمير منزل يعود لجمال الدرة والد محمد الدرة، دون وقوع إصابات ، فيما نفقت مئات الطيور في قصف مزرعة في مدينة غزة.

******

قسمت إسرائيل القطاع إلى قسمين ، وترك أهالي الحدود منازلهم وسكنوا مدارس الوكالة واشتبك رجال المقاومة البواسل رغم القصف الثلاثي بر جو بحر مع العدو ، واصلت القوات الزحف مع الجرافات العسكرية للضغط على الأهالي ورغم التكنولوجيا والتجسس الجوي والأرضي والقصف ، أغلقت غزة متاجرها ولجأ الأهالي للبيوت وأصبحت المدينة مدينة أشباح توغلت الدبابات مئات الأمتار واستبسل الدفاع عنها ، وتحدثت الأخبار عن اسر جنود وعن مقتل جنود بواسطة العبوات الناسفة وانتشر خبر استخدام الفسفور الأبيض

قال ايمن لابن عمته ناصر : هل ترى أننا سنقع اسرى ؟

ـ الأمر لله قبل وبعد أليس كذلك يا هاجر ؟

قالت : كما قلت سلمنا امرنا له ، فالراديو يتوعد ويشيد بدفاع القسام ويشجع الأطفال على الثبات فهم أبطال الجيل القادم ، والأسر مرعب لكن كم سيأسرون مليون .. ما هم في الأسر

ـ يقال مليون ونصف هنا

ـ ابخل الناس اليهود وسجونهم مليئة بالشباب حسب ما نسمع فيها ٥٠٠٠سجين واقتحموا الضفة قبل سنوات ولم يحبسوا إلا القليل مشكلة إسرائيل قلة السكان ونحن نزيد

ايمن : هم يعتمدون على القوة والردع وليس على العدد البشري وهذا ما يرعبهم على المدى البعيد يهود أمريكا اكثر من يهود إسرائيل، غزو استعماري مصيره الزوال اسمع صوت الانفجارات الضخمة وتساقط المزيد من الزجاج

ناصر: لا حول ولا قوة إلا بالله تفضل يا مروان دخل وحياهم بالسلام واقترب من الجد : آ يا مروان

ـ سقطت قذيفة في بيت شقيقتي ودمر البيت ولم يكن فيه احد بفضل الله وانتقلوا إلى مدرسة مسكونة قبل قصفهم نسأل الله الفرج

فقد جاءهم هاتف أن بيت شقيقة مروان حفيدة الحاج تعرض لصاروخ أو قذيفة فاتت عليه فتسلل مروان واخوه محمود لذلك المكان فوجدوهم قد تركوه لما بدا الزحف البري إلى مدرسة هم وجيرانهم خشية القنابل الطائشة من الفريقين

ايمن: الحمد لله على السلامة لك ولام سليم جاءت سلمت علينا

ـ الحرب لم تنته وشكرا لكم أنا قتلت لي شقيقة وأسرتها قبل سنوات في غارة إجرامية يوم دمروا بيت الشيخ صلاح وجيرانه

هاجر : علمنا بذلك وقدم أبي وعمي العزاء على الهاتف رحمهم الله جميعا

ترحم ناصر وامه خالة مروان وايمن وقال :كان حادث فظيع يومها استخدموا قنبلة نسيت كم وزنها

مروان : العدو قسم القطاع إلى شمال وجنوب واحتلوا مواقع كانت قديما تحكم من قبلهم مستعمرات أفرغت قبل إخلائهم غزة ولكنهم يواجهون مقاومة قوية ويصدون الهجوم بشجاعة ويفاجئونه من خلف خطوط القتال ويلغمون البيوت الخالبة ولكنهم اتخذوا الناس دروعا بشرية قبل اقتحام أي منزل قبل اقتحامها لكن جهادنا لرفع كلمة الله العليا والدفاع عن بلادنا لا نقاتل من اجل فلان وعلان ، مصر تسعى لوقف النار والزحف وجماعة رام الله يتهمون حماس بسبب الحرب ويتآمرون وشامتون

اليوم الثامن – السبت ٣ يناير في الساعة التاسعة من الليل تقريبا بدأ الهجوم البري الموعود بأعداد كبيرة من الجنود الإسرائيليين. بدأ الاجتياح البري العسكري الإسرائيلي على قطاع، وذلك بقرار من المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر خلال جلسة سرية عقدها بمشاركة قوات من أسلحة المشاة والمدفعية والهندسة ووحدات خاصة. بوارج ودبابات ومدفعية شاركت الطيران في إغراق القطاع بالصواريخ والقذائف، ارتكب من خلالها الجيش الإسرائيلي مجازر إحداها في مسجد إبراهيم المقادمة أوقعت ١٦ قتيلا بينهم ٤ أطفال و٦٠ جريحاً، كما استدعى الجيش آلافاً من جنود الاحتياط للمشاركة في العملية معلناً أن الغزو سيستمر أياماً.

اليوم التاسع – الأحد ٤ يناير جدد الطيران الاحتلال الإسرائيلي غاراته الجوية على مدينة غزة

وقصف عددا من المواقع بها. واستهدفت الطائرات الإسرائيلية منازل ومواقع تابعة لحركة المقاومة الإسلامية، في الوقت الذي واصل فيه جيش الاحتلال عملياته البرية في قطاع غزة. انقطاع التيار الكهربائي عن جميع مناطق قطاع غزة وسلطة الطاقة تحذر من كارثة.

اليوم العاشر – الاثنين ٥ يناير أعلنت حماس أن الجيش الإسرائيلي يخفي الخسائر الحقيقية له، وأن الأعداد أكبر مما أعلن، وأعلن وزير الدفاع الإسرائيلي أن مدينة غزة مطوقة بالكامل تقريبا الأمر الذي يعزلها عن بقية القطاع. واستهدفت غارات جوية إسرائيلية مباني تابعة للجامعة الإسلامية وعدة بنايات حكومية ، وتقدمت دبابات إسرائيلية يساندها قصف عنيف صوب مخيم البريج للاجئين في وسط قطاع غزة. وأن ضربة جوية إسرائيلية أشعلت النار في محطة وقود بمخيم البريج للاجئين. ودخلت القوات الإسرائيلية بيت لاهيا وأمرت السكان بالمغادرة. واندلعت معارك في شرق مدينة غزة وفي شمال القطاع.

اليوم الحادي عشر – الثلاثاء ٦ يناير استشهد ما بين ٣٠ و٤٣ فلسطينياً وجرح ٥٥ في قصف إسرائيلي استهدف إحدى المدارس التابعة للأونروا في مخيم جباليا ، كما نفت الأمم المتحدة أن يكون مقاتلون فلسطينيون تواجدوا في المدرسة التي تديرها في قطاع غزة.

اليوم الثاني عشر – الأربعاء ٧ يناير الجيش الإسرائيلي يكشف استراتيجية الاجتياح في غزة ، في الوقت الذي يعلن فيه الجيش الإسرائيلي عن تهدئة مؤقتة. وقد أعلت فنزويلا عن طردها للسفير الإسرائيلي بسبب العدوان على غزة.

المبادرة وقرار الأمن

الخميس في ٨ يناير ٢٠٠٩ في هذا اليوم تم إقرار قرار مجلس الأمن رقم_١٨٦٠، وقد تضمن القرار عدة توصيات ، يشدد على الإسراع والدعوة إلى وقف فوري وقابل للديمومة لإطلاق النار يحظى باحترام كامل ، ويفضي إلى انسحاب تام للقوات الإسرائيلية من غزة . يدعو القرار إلى "تكثيف الجهود لإيجاد ترتيبات وضمانات في غزة بغرض تحقيق وقف دائم للنار وللهدوء بما في ذلك حظر تهريب الأسلحة" وضمان "فتح دائم للمعابر، ويدعو إلى عدم إعاقة وصول المساعدات الإنسانية إلى غزة ويرحب بالمبادرة إلى فتح ممرات للمساعدات الإنسانية".

ويرحب القرار بالمبادرة المصرية لترتيب وتطبيق وقف إطلاق نار (في غزة) وكذلك بالمساعي الدولية والإقليمية الأخرى التي تبذل.

يدعو قرار مجلس الأمن إلى بذل جهود فورية

للتوصل إلى سلام شامل بين إسرائيل والفلسطينيين "حيث تعيش دولتان ديمقراطيتان إسرائيلية وفلسطينية جنبا إلى جنب بسلام".

بالطبع يستقبل الإنسان الفلسطيني والعربي قرارات مجلس الأمن باللامبالاة وأنها حبر على ورق ولا احد يهتم بها ، هي فرصة للتندر والسخرية والنكات ، فمئات من قرارات المجلس صدرت بحق فلسطين ولم ينفذ منها قرار ؛ فكأنها لم تكن وكان القرار موضع تهكم في منزل الحاج موسى الجد حتى أن ايمن قال باسما : يا ترى ألهذا القرار أهمية لدى الناس ؟!

ضحك مروان : أبدا لو كان فيه مصلحة لإسرائيل يسعون لتطبيقه ؛ ولكن لم تحقق إسرائيل أي هدف معلن لحتى اليوم لا احتلوا غزة ولا اختفت حماس ولا توقفت الصواريخ في ضرب ودك إسرائيل فماذا تحقق ؟! لا شيء إلا قتل البشر والشجر والحجر مساجد مدارس مشافي ملاعب كانوا يظنون أننا لقمة سائغة

قال ناصر معجبا : الحق صمود عظيم ! كله بفضل الله .. غدا سيكتمل الأسبوع للاجتياح والزحف على الأطراف .. ما أخبار الدكتور يا هاجر؟

ـ بخير كما تحدث مع الجد ولا يفارق المشفى ، فالإصابات لا تتوقف من المدنيين والمجاهدين حرب إبادة .. واليهود يزعمون أنهم تعرضوا للإبادة وتطهير عرقي أيام هتلر وها هم يمارسون الإبادة لشعبنا منذ ستين سنة

ايمن: الدول العظمى تريد ذلك كم قتلوا من شعب فيتنام وكوريا والصين أول الخمسينات

مروان: لن نموت مهما صنعوا وتجبروا يموت الشباب ، ومئات النساء تلد حتى خلال الحرب

******

المبادرة المصرية : بعد يوم دام شهد مجزرة في مدرسة الأونروا في غزة، حدث تطور جديد على الجبهة الدبلوماسية بمبادرة مصرية من نقاط تدعمها فرنسا لوقف العدوان في غزة. وفي مؤتمر صحافي مشترك للرئيسين المصري حسني مبارك والفرنسي نيكولا ساركوزي الذي عاد إلى مصر ليلة امس بعد مباحثات في دمشق وبيروت رأى بعدها أن هناك أملا ، اعلن الرئيس المصري مبادرة تتضمن دعوة إسرائيل والفلسطينيين إلى "قبول وقف لإطلاق النار فترة محددة" لإفساح المجال لإرسال مساعدات إنسانية عن طريق ممرات آمنة، ولتمكين مصر من مواصلة التحرك من اجل وقف شامل ودائم لإطلاق النار. وثانيا دعوة الفلسطينيين والإسرائيليين إلى محادثات حول جذور التصعيد، وضمانات لفتح المعابر، وثالثا عودة الفصائل الفلسطينية إلى الحوار لتحقيق الوفاق الفلسطيني. وأضاف مبارك انه يدعو

«إسرائيل والفصائل الفلسطينية إلى اجتماع عاجل للتوصل إلى الترتيبات اللازمة من اجل تأمين الحدود وإعادة فتح المعابر ورفع الحصار عن قطاع غزة.

رحبت إسرائيل والسلطة الفلسطينية الأربعاء بالخطة المصرية لإنهاء الحرب في غزة بينما أعلنت حركة حماس أنها تدرسها ولكن رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل حذر من أن الحركة "لن تقبل شروط إسرائيل التي تريد فرض الاستسلام عليها."

كما اعلن المتحدث باسم رئاسة الوزراء الإسرائيلية أن إسرائيل تؤيد المبادرة المصرية. وأضاف "تشكر إسرائيل الرئيس المصري (حسني مبارك) والرئيس الفرنسي (نيكولا ساركوزي) على جهودهما بهدف التوصل إلى حل لإنهاء الأنشطة الإرهابية في غزة ووضع حد لعمليات تهريب

الأسلحة من مصر إلى غزة."

***

اليوم الثالث عشر – الخميس ٨ يناير في هذا اليوم تم إقرار قرار مجلس الأمن ١٨٦٠، أول قرارات ٢٠٠٩، في ما يتعلق بغزة. وقد تضمن القرار عدة توصيات منها:

" الإسراع والدعوة إلى وقف فوري وقابل للديمومة لإطلاق النار يحظى باحترام كامل ويفضي إلى انسحاب تام للقوات الإسرائيلية من غزة".

يدعو إلى "تكثيف الجهود لإيجاد ترتيبات وضمانات في غزة بغرض تحقيق وقف دائم للنار وللهدوء بما في ذلك حظر تهريب الأسلحة" وضمان "فتح دائم" للمعابر.

يعبر عن "القلق البالغ" لتصاعد العنف وتفاقم الأزمة الإنسانية في غزة.

يؤكد "الحاجة إلى تنظيم مرور المواد الغذائية بشكل دائم ومنتظم إلى السكان عبر معابر غزة".

"يدين العنف والأعمال العدائية الموجهة إلى المدنيين".

يدعو إلى "عدم إعاقة" وصول المساعدات الإنسانية إلى غزة ويرحب بالمبادرة إلى فتح" ممرات للمساعدات الإنسانية".

يحث على الجهود الدولية لتقديم المساعدة الإنسانية وإعادة بناء اقتصاد غزة.

يرحب بالمبادرة المصرية لترتيب وتطبيق وقف إطلاق نار (في غزة) وكذلك بالمساعي الدولية والإقليمية الأخرى التي تبذل.

يشجع على اتخاذ "خطوات ملموسة" لتحقيق المصالحة بين الجماعات الفلسطينية بما في ذلك المساعي المصرية وتلك التي تبذلها الجامعة العربية

في هذا الصدد.

يدعو إلى بذل جهود فورية للتوصل إلى سلام شامل بين إسرائيل والفلسطينيين "حيث تعيش دولتان ديمقراطيتان إسرائيلية وفلسطينية جنبا إلى جنب بسلام".

***

استشهاد ٦ فلسطينيين من عائلة بصاروخ على منزلهم فجر الجمعة. استشهاد المصور الصحفي الفلسطيني إيهاب الوحيدي وعائلته جنوب غزة. قصف منزل أبي عبيدة الجراح نائب قائد شرطة حماس. قصف منزل قائد الأمن والحماية بمدينة رفح جنوب قطاع غزة وناشط.

قصف مركز شرطة حي الزيتون غرب مدينة غزة ومسجد الرباط بخان يونس.

قصف سطح برج الصحفيين في غزة وإصابة صحافي بجراح.

*****

قال ناصر : علمت من امك خالتي أم مروان أن والدك إسماعيل منذ عشرين سنة يعمل في الخليج ألم تسعَ للسفر إليه؟

ايمن : هل هو متزوج على عمتي؟

تبسم مروان: هو متزوج على أمي من عهد قريب سبع سنوات، والدي مهندس تخرج في مصر وأنا بكره ، وأنا قلت لكم مدرس إعدادي، توقفنا مع الحرب، وتركنا الاختبارات ، والملاعين يقصفون المدارس وحتى مدارس الإيواء كنت قبل زمن سأتزوج قريبة لابي معلمة مثلي ولكنها قتلت في اعتداء غادر ، وأنا لما تخرجت سافرت للعمل في الخليج، عملت سنة وعدت لما قبلت في الوكالة ، وأبي وفق للعمل هناك ، ويأتي كلما تتاح الفرصة ، وزوجته الثانية أرملة مات زوجها قبل أن تلد وعرضت على أبي والتعدد هنا سائغ ومقبول ، فكثير من نساء الشهداء يقبلن التعدد بدون حرج ، جدنا موسى له أبناء من اثنتين كما تعلمون ؛ لكن الأولى ماتت رحمها الله وبقيت والدة أبيك يا ايمن .. بنات قبل الألفين سهل قبولهن بالضرة لأننا حريصون على الزواج من الأقارب لكن التوسع في تعليم البنات في الجامعات المحلية أتاح الفرص لتغريب النكاح بين العائلات وخف التشدد في ذلك

ناصر : حردت عن الزواج

ـ لا ، لم التق بالمناسبة بعد رغم العروض من الأقارب والزملاء المعلمين

****

حكومة هنية قالت : عُرضت علينا مبادرات وسنعلن موقفنا منها بعد

اعتبر "تحالف القوى الفلسطينية" الذي يضم ثمانية فصائل فلسطينية في دمشق، أبرزها

"حماس" "الجهاد الإسلامي" "الجبهة الشعبية – القيادة العامة" بقيادة أحمد جبريل في دمشق أن المبادرة المصرية الفرنسية لوقف إطلاق النار في غزة "ليست أساسا صالحا للحل" وأنها تهدف إلى "التضييق على المقاومة" في حين قالت مصادر في هذه الفصائل لـ"الشرق الأوسط" إنها رفضت المبادرة لأنها أدخلت "عناصر ملغومة كالتهدئة المؤقتة أو الهدنة الدائمة، أو الوفاق الوطني، إذ ربطت كل هذه القضايا مع وقف العدوان وفك الحصار والانسحاب" ولخصت المصادر رؤيتها لهذه المبادرة بكلمتين "لقد تم إدخال السم في العسل". وأضافت المصادر نفسها أن "المبادرة فيها بنود تتضمن خطورة على المقاومة ومستقبلها، وعلى تطور القضية الوطنية الفلسطينية برمتها" معتبرة أنها تهدف إلى "إجهاض حالة الصمود والنيل من قوى المقاومة في إطار خطة دولية إقليمية صهيونية ."وقالت الفصائل في بيانها إنها تعتبر المبادرة المصرية الفرنسية "أساسا صالحا لأي حل مقبول لدى الجانب الفلسطيني وفيها بنود تتضمن مخاطر على المقاومة ومستقبلها". واستغربت الفصائل "مشاركة أطراف عربية في هذه الخطة التي تعمل لخنق المقاومة ومحاصرة شعبنا" كما رفضت وجود قوات أو مراقبين دوليين في قطاع غزة .

اليوم الـ ١٣ للعدوان على غزة: المقاومة تقتل جنودا وتواصل إطلاق الصواريخ، لا تزال الأذرع العسكرية للمقاومة الفلسطينية تمطر بلدات الاحتلال ومواقعها العسكرية بالصواريخ وقذائف الهاون رغم التحليق المكثف لطائرات الاحتلال التي تواصل قصفها العشوائي والمركز في مختلف مناطق قطاع غزة

وأكدت المصادر الإعلامية الإسرائيلية أمس سقوط أكثر من ١٦ صاروخا على مدن عسقلان وأسدود وباتجاه النقب الغربي

وأعلنت كتائب القسام أنها قصفت مدينة أسدود بصاروخي غراد، بالإضافة إلى تمكن مقاتليها من قنص ثلاثة جنود إسرائيليين على أطراف بيت لاهيا شمال القطاع، وبدورها أكدت سرايا القدس أنها قصفت مستوطنة "نير عوز" بصاروخين من طراز قدس،

فيما تبنت كتائب الأقصى (مجموعات الشهيد أيمن جودة) تفجير عبوة ناسفة بناقلة جند قرب حي السلاطين شمال قطاع غزة، وإطلاق صاروخي "أقصى" على مدينة "عزاتا" الإسرائيلية، وصاروخين على "كيسوفيم" وسط القطاع ، وأطلقت ألوية الناصر صلاح الدين، الجناح العسكري للجان المقاومة الشعبية ١٩ قذيفة هاون من العيار الثقيل باتجاه مواقع

مختلفة من قطاع غزة.

قال أسامة حمدان ممثل حركة حماس في لبنان لبي بي سي عن قرار مجلس الأمن : "لم نستشر في هذا القرار ولم يؤخذ في الاعتبار مصالح شعبنا ولا رؤيتنا ولذلك نعتبر انفسنا غير معنيين بالقرار في الظرف الراهن". وأشار إلى أنه عندما يبدأ تطبيق القرار "يجب على كل الأطراف أن تتعامل مع الطرف الذي يتواجد على الأرض ويدير المعركة ويدير الشأن العام في غزة". وجدد حمدان رفض حماس نشر قوات دولية في قطاع غزة وقال " ليس مقبولا أن يتم نشر قوات لحماية كيان صهيوني اعتدى على شعبنا هذا مرفوض وغير مجدي" موضحا أن هذا الرفض جاء بإجماع قوى المقاومة. واعتبر أيضا أن القرار "يشير إلى فشل إسرائيل في تحقيق الهدف الأساسي لحملتها وهو كسر المقاومة ".

وقال أولمرت خلال لقائه ضباط "لواء غزة" بصحبة باراك ورئيس هيئة أركان الجيش الجنرال غابي أشكنازي وقائد المنطقة الجنوبية المشرف على العدوان على القطاع الميجر جنرال يوآف غالنت، إن"كيفية ضمان الحفاظ على الهدوء في الجنوب ما زالت نصب أعيننا، والجيش الإسرائيلي لم يطلب منه بعد تنفيذ كل ما هو مطلوب لبلوغ ذلك ". وأضاف أن الوضع في الجنوب لم يتغير بعد "لذلك تتواصل الحملة" العسكرية، "وفي السطر الأخير، فإن الاختبار الذي يستوجب حسماً من المستوى السياسي هو كيف نضمن أن الواقع الذي يغيره الجيش الإسرائيلي هذه الأيام لن يعود ليسيطر على الجنوب، وأن يسود الهدوء المنطقة. لم نبلغ بعد هذا الوضع ولم يطلب من الجيش بعد أن ينفذ كل ما هو مطلوب منه لبلوغ هذا الهدف، وهذا الحسم هو المطروح أمامنا اليوم ."من جهته، أكد باراك أن العملية في غزة تتواصل "ونحن نرى هنا أن جهد سنتين مكثفتين واستثنائيتين من التدريبات والتزود بالعتاد وتجديده واضطلاع القادة لميدانيين بها يدور، يثمر". وقال بعد أن راقب تدريبات جنود الاحتياط: "رأينا هنا جنود الاحتياط من أفضل الوحدات العسكرية عندنا في تدريبات على نماذج لمناطق مأهولة. وضباط الاحتياط راضون جداً عن نوعية التدريبات والإعداد، وهم جاهزون ومتأهبون للمهمات التي تنتظرهم غزة ".

اليوم الخامس عشر – السبت ١٠ يناير خطاب لرئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل عبر قناة العربية يبين فيه أوجه النصر لحماس ورأيه في قرار مجلس الأمن ١٨٦٠ ومطالب الحركة لوقف القتال.

اليوم السادس عشر – الأحد ١١ يناير أعلن

الجيش الإسرائيلي أن المقاومون الفلسطينيون يستخدمون مضادات الطائرات لأول مرة منذ بدء الاجتياح في غزة ، وقد حاولت قواتها البرية التوغل عبر عدة محاور في القطاع لكنها واجهت مقاومة من رجال المقاومة.

اليوم السابع عشر – الاثنين ١٢ يناير اشتباكات عنيفة وقصف مدفعي في حي التفاح وحي الزيتون وشرق بلدة جباليا. كما فشلت قوات الاحتلال في التقدم برا في جباليا وشمال غزة، وحاولت التقدم برا نحو مدينة غزة من ٣ محاور، هدمت جمعية دار الفضيلة للأيتام في رفح، والتي تتألف من مدرسة ومركز كمبيوتر ومسجد وتخدم ٥٠٠ طفل، تم هدمها أثناء الهجوم

اليوم الثامن عشر – الثلاثاء ١٣ يناير قادة الحزب الحاكم في مصر منهم جمال مبارك المرشح لخلافة مبارك على الجانب المصري لرفح ينددون بالمجازر ويقدمون مساعدات مادية وأربع سيارات إسعاف للهلال الأحمر الفلسطيني بعد ثمانية عشر يوما من القتال .

اكتمال النصاب القانوني لعقد القمة العربية الطارئة في الدوحة التي دعت قطر لعقدها يوم الجمعة المقبل لبحث الوضع في قطاع غزة بعد إعلان الإمارات اليوم موافقتها على حضور القمة حيث أصبح العدد ١٥ دولة.

حصار الزيتون

قال الجد موسى : يزعمون انهم يحصروننا في حي الزيتون لكن البواسل يتصدون سدد الله رميهم وثبت أقدامهم يخبر موسى عبد الرحيم أن المجاهدين يقاتلون بقوة وعزيمة وحنكة

قال ايمن : مع الوقت اصبح صوت القنابل مثل الألعاب النارية والسماعات المرتفعة

قال ناصر : كان الله في عون الذين في المواجهة والخط الأمامي

قال مروان : تعودوا بفضل الله على الصبر والرضا وكانت النساء تبتهل ويتابع الناس محطات الراديو

***

ووفقاً لصحيفة "هآرتس" فإن أولمرت وباراك معنيان بالتوصل إلى اتفاق بمساعدة الولايات المتحدة ومصر يضمن الهدوء لفترة زمنية طويلة في الجنوب ومنع تعاظم إضافي لقوة حماس العسكرية. ويرى باراك أن العملية البرية استنفدت نفسها وأن حماس تلقت ضربة قاسية وبالإمكان إنهاء العملية

تحدثت الصحف الإسرائيلية عن وجود خلافات كبيرة وواضحة في أوساط القيادات السياسية والعسكرية الإسرائيلية، حول استمرار الحرب أو كيفية الخروج من مأزق العملية العسكرية في قطاع غزة قبل تولي الرئيس الأميركي المنتخب باراك

اوباما مهام منصبه في ٢٠ الشهر الحالي .وقالت صحيفة "يديعوت" أن رئيس الوزراء أيهود أولمرت معني باستمرار الحرب بموازاة المفاوضات التي تجريها مصر بخصوص المبادرة المصرية، فيما يؤيد وزير الحرب ايهود باراك وقف الحرب باتفاق، وخصوصا أنها استنفذت المطلوب منها، ويرى أن حماس تلقت الضربة القاسية، وبات من الممكن إنهاء العمليات العسكرية، فيما اتخذت وزيرة الخارجية تسيبي ليفني موقفا ثالثا وهو وقف إطلاق النار بصورة أحادية الجانب، بعد أن تعلن إسرائيل أنها سترد بهجمات شديدة على هجمات حماس والفصائل الفلسطينية المختلفة في القطاع .

مبينة في الوقت ذاته أن المسؤولين الثلاثة متوافقون على عدم دخول إسرائيل في مفاوضات

مباشرة مع حماس، حتى ولو عن طريق طرف ثالث، وان تكون حماس طرفا في الاتفاق .من ناحية ثانية، ذكرت الصحف الإسرائيلية أن المجلس الوزاري المصغر أعطى الضوء الأخضر للجيش لمواصلة عملياته العسكرية .واعتبرت "يديعوت" أن الوضع الحالي هو "مأزق" وقالت إن إزاء معارضة باراك توسيع الحملة، اضطر أولمرت إلى انتظار تطور الأحداث على صعيد المبادرة المصرية. إلا أن مصادر إسرائيلية اعتبرت أن المرحلة الحالية هي مرحلة التهديد لتحسين شروط وقف إطلاق النار. وبين المحلل العسكري في"يديعوت" ألكس فيشمان، إلى أن "إسرائيل" ليست معنية حاليا بإدخال قوات الاحتياط في ساحة القتال، خصوصا وأن دخول الاحتياط يعتبر خطوة دراماتيكية بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي، في حين أكدت مصادر إسرائيلية أن رئيس أركان الجيش غابي أشكنازي، غير معني بتوسيع الحملة البرية وإدخال فرق الاحتياط إلى غزة. وذهب أحد المعلقين أبعد من ذلك وقال إن أشكنازي يصلي من أجل وقف الحرب وعدم الدخول في المرحلة الثالثة .

*****

إن عدد الشهداء ارتفع إلى ٧٧٩ شهيدا أن طواقم الإسعاف والطوارئ في وزارة الصحة الفلسطينية في غزة، عثرت امس، على ٥٥ جثة لشهداء ارتقوا في غارات جوية سابقة نفذتها طائرات العدو في قطاع غزة .وقال مدير عام الإسعاف والطوارئ في وزارة الصحة: إن هناك عدداً كبيراً من المواطنين ما زالوا مفقودين، وربما يكونوا ارتقوا شهداء وظلت جثثهم مدفونة تحت أنقاض المنازل والمباني المدمرة، من دون أن تتمكن فرق الإسعاف والطوارئ من انتشال جثثهم بفعل الاستهداف "الإسرائيلي" للطواقم الطبية

نزوح آلاف المواطنين من سكان مناطق جنوب المدينة عن منازلهم بصورة جماعية، بعد أن ألقت طائرات إسرائيلية منشورات تطالب نحو نصف سكان رفح بإخلاء منازلهم .وتوجه جزء من النازحين إلى أحياء وسط وغرب المدينة، للإقامة المؤقتة عند أقربائهم، في حين توجه آخرون لبعض المدارس التي افتتحتها "أونروا" لإيواء الفارين من القصف.

أجرى رئيس الاستخبارات المصرية الوزير عمر سليمان أمس محادثات مع وفد إسرائيلي، يضم المستشارين في وزارة الدفاع الإسرائيلية عاموس جلعاد وديفيد حاخام. وقالت مصادر مصرية مطلعة : إن محادثات الوزير سليمان مع المسؤولين الإسرائيليين "تناولت الوضع الأمني على الحدود، وكذلك موضوع معبر رفح". ونفت أن تكون هناك مساع إسرائيلية لتعديل المبادرة التي أطلقها الرئيس حسني مبارك أخيراً، مضيفة أن "الإسرائيليين يسعون إلى الحصول على تهدئة طويلة الأمد في غزة، والسؤال هو مدى قبول حماس بذلك ومطالبها لتنفيذه، وتحفظات "إسرائيل"عن مطالب حماس في ضوء استمرار وجود أنفاق وتهريب للأسلحة". وأشارت إلى أنه "تم البحث في كيفية تنفيذ المبادرة المصرية لوقف النار، خصوصاً أن إسرائيل" أعلنت موافقتها المبدئية عليها". ولفتت إلى أن سليمان "طلب من الوفد الإسرائيلي ضرورة وقف العدوان ووضع حل عاجل للأزمة الحالية في غزة". وقالت: "أكدنا لهم ضرورة وضع حد لهذا العدوان ضد المدنيين واتخاذ خطوات فاعلة وسريعة في هذا الاتجاه، لأن مصر لا يمكنها أن تقف مكتوفة الأيدي إزاء ما يجري في غزة". واستبعدت أن تسحب"إسرائيل" قواتها من غزة. وقالت: "هذا أمر غير مطروح لدى الإسرائيليين على الإطلاق متوقعة أن"هذه الخطوة ستتم وفق آلية وتعهدات دولية وصفقة شاملة". وأضافت: "نحن نرى أن المبادرة المصرية ببنودها هي التي يمكنها أن تعالج الإشكالات كافة وتعد مخرجاً يحفظ للأطراف كافة ماء وجهها".

وعن رفض الفصائل الفلسطينية في دمشق، وعلى رأسها حماس، المبادرة المصرية، قالت المصادر: "لم يصلنا أي رد رسمي في هذا الشأن. وموقف ما يجري في غزة: التعاون مع الجهود المصرية. وأشارت إلى أن رئيس جهاز الاستخبارات المصرية، اللواء عمر سليمان، خاطب مشعل في رسالة بعث له بها أخيراً، قائلاً: "ساعدونا حتى نستطيع مساعدتكم". وعن احتمال إجراء تعديلات على المبادرة المصرية، لكي تنال موافقة "حماس" أوضحت المصادر نفسها أنّ المقاومة

الفلسطينية "تتعرض لضغوط مصرية مكثفة للموافقة على المبادرة من دون إجراء تعديلات جوهرية عليها" محذّرة من أنه في حال إصرار قادتها على الرفض، فإنها ستواجه خطر تجميد مصر اتصالاتها معها". وأضافت "نحن ندرك أن خالد مشعل معنيّ بوقف نزف الدم في غزة والحفاظ على القوة العسكرية لحركته، ومصر ليست طرفاً في القتال، لكنها الطرف الأكثر مصلحة في وقفه على الفور بالنظر إلى ما يحمله من مخاطر على حدودها وأمنها القومي ."وذكّر المطّلعون على تفاصيل رسالة سليمان إلى مشعل، بأن "القاهرة تتعامل مع حماس كحكومة، ولا كدولة منفصلة عن السلطة الفلسطينية، بل كأحد الفصائل القوية أو الفاعلة لكن ليس بحجم الحكومة أو الدولة ."ومن المقرّر أن يصل إلى العاصمة المصرية اليوم وفد من قيادة "حماس" آتياً من دمشق، لتسليم سليمان الردّ الرسمي للحركة على المبادرة المصرية. وعن هذه الزيارة، قال نائب رئيس المكتب السياسي لـ"حماس" موسى أبو مرزوق، إنّ الحركة ستطلب توضيحات لثلاث نقاط تتضمنها الخطة التي أعلنها الرئيس المصري حسني مبارك يوم الثلاثاء الماضي .وتابع أبو مرزوق "هناك مراحل عليها أسئلة كثيرة، وفي كل مرحلة بد من توضيح" موضحاً أن "حماس" لم تختر بعد ممثليها الذي يصلون اليوم إلى العاصمة المصرية. وفيما تكرّر القيادة المصرية تشديدها على أنّ البيان الذي أصدرته الفصائل الفلسطينية أول من أمس، والذي أعلنت بموجبه رفضها لتلك المبادرة، غير ملزم بالنسبة إليها، فإنّ مصادر "الأخبار" تترقّب "تدهوراً مرتقباً" في العلاقات المصرية – السورية من جهة، والمصرية – الإيرانية من جهة أخرى، بسبب انقسام الموقف بشأن غزة .وعن وكالة رويتر أن دبلوماسيين قالوا إن الجهود المصرية للتوسط من أجل وقف اطلاق النار في قطاع غزة تعثرت فيما يبدو الجمعة من جراء خلافات مع إسرائيل بشأن سبل تأمين الحدود لمنع حركة حماس من إعادة التسلح، فيما قالت حركة المقاومة الإسلامية إن وفدا يضم ثلاثة زعماء للحركة التي تحكم قطاع غزة غادر القطاع الجمعة للانضمام إلى محادثات في القاهرة بشأن اقتراح هدنة .وبدلا من القوات الأجنبية أبلغت مصر إسرائيل والاتحاد الأوروبي استعدادها لتلق المزيد من المساعدات الفنية الدولية لمساعدة قواتها على التصدي لتهريب السلاح عبر أنفاق تحت الحدود

أكدت حكومة الوحدة الوطنية المقالة، برئاسة إسماعيل هنية، أنها تدرس الكثير من المبادرات

التي عرضت عليها مؤخراً وستعطي موقفاً منها بعد استكمال دراستها بما يخدم المصالح الوطنية الفلسطينية .وقال طاهر النونو، الناطق باسم حكومة إسماعيل هنية، في تصريح مكتوب له " الخميس، إن "المطلوب وقف فوري للعدوان الإسرائيلي على شعبنا، وإنهاء الحصار الظالم" كما قال .

****** ****

وأكد رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس": "العدو وضع لنفسه أهدافاً، لكن هذه الأهداف بدأت تتآكل مع مرور الزمن، أراد أن يسحق غزة وأن ينهي سيطرة حماس على غزة كما سماها، أراد أن ينهي المقاومة وأن يوقف الصواريخ وأن يفرض وقائع جديدة لمشاريع تمهد لتصفية القضية. ولكن ماذا بقي من أهدافه اليوم؟! إنه لم يحقق شيئاً من أهدافه ."وقال: "بكل تواضع وصدق نأخذ جرد الحساب ما لذي أنجزه العدو، أقول بكل ثقة ومن واقع الميدان، العدو فشل فشلاً ذريعاً ولم يحقق شيئاً، لم يوقف الصواريخ ويزعم عن صنع حقائق في جنوب قطاع غزة، فيما نجح إذن؟"!وتابع: "نجح في شيء آخر، نجح نجاحاً مخزياً في جرائمه بحق أطفالنا ونسائنا. ارتكب العديد من هذه المجازر، حشر الناس في بيوت ثم قصفها وقتل الناس غدراً، اختطف الناس ثم أعدمهم بدم بارد، نجح العدو انه صنع محرقة وهولوكوست حقيقي على ارض غزة ."رسالة للصهاينة وإزاء ما يجري من مجازر؛ وجه مشعل خطابه إلى الصهاينة قائلاً: "أقول لكم، ماذا أنجزتم عبر هذه الحرب التي دعمتموها غير قتل الأطفال الأبرياء، الجماجم المهشمة، بحر الدماء الذي تغرق فيه غزة اليوم، ماذا أنجزته غير محرقة يريد قادتكم أن يكسبوا من خلالها الانتخابات القادمة في فبراير، هذا هو كيانكم الغاصب ."وأضاف: "لكنني أصارحكم لقد حققتم أشياء لم تقصدوها؛ فقد خسرتم الرأي العالمي الدولي، ولقد صنعتم مقاومة في كل بيت وفي كل بلد، في وقت أردتم فيه القضاء على المقاومة، قضيتم على آخر فرصة، ولأي نفس للتسوية والمفاوضات، ولن يسمح لأي مسؤول عربي أن يسوق علينا التسوية والمفاوضات لأن شعوبنا كفرت بهذه التسوية طويلاً وحصادها مر ."وأشار مشعل في رسالته للصهاينة: "لقد قصرتم عمر كيانكم الغاصب، أنتم بهذه المجازر بحق الأطفال والنساء قصرتم أجل كيانكم، ومستقبل هذا الكيان ." وأوضح مشعل موقف حركة "حماس" في جملة من القضايا السياسية كالمبادرة المصرية والفرنسية أو الحراك السوري والتركي والقطري بشأن وقف العدوان ثم قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٨٦٠ مشيراً إلى أن

القرار الدولي "جاء حين صمد شعبنا وصمدت المقاومة وفشلت إسرائيل، وحين انكشف حجم هـذه المذابح والمجازر وصعق العالم بها ورأت الولايات المتحدة انتفاضة الأمة التي تنذر بالخطر؛ عند ذلـك سمحوا بتمرير قرار ١٨٦٠ ولكن نزعوا أظافره، ومع ذلك اضطروا لهذا القـرار لـصمودنا وحجـم المجازر والمذابح، ولكن بعد ماذا بعد أسبوعين من الجريمة"

"ذكرت وكالات ١١ / ١ / ٢٠٠٩ ، أن وفدا من حماس في غزة، يضم أربعـة أعـضاء ويقوده ايمن طه وجمال أبو هاشم، وصل إلى مصر، وسينضم إلى قادة الداخل ممثلون للمكتب الـسياسي في دمشق، وسيجرون محادثات مع مدير المخابرات المصري اللواء عمـر سـليمان، وسينـضم إلـى المحادثات بين مصر وحماس وفد تركي برئاسة أحمد داود أوغلو المستشار السياسي لـرئيس الـوزراء التركي

وأضافت أن معلومات أولية تـوافرت عن الأفكار التي تحملها حماس في جعبتها إلى القاهرة تشير إلى أن هناك خمسة شروط لحماس للتعامل مع أي طرح سياسي خلال المرحلة القادمة وهي: الاعتراف بشرعية حماس ودورها في الصمود علـى الأرض، وأن حماس ترفض أي صيغه لإقصائها أو تجاوزها بحجة التعامل مع السلطة الشرعية في رام الله وقال بعض من رافق وفد حماس في القاهرة إن الحركة هي المعبرة عن الشعب الفلسطيني سـواء بنتائج الانتخابات التشريعية التي جرت في ٢٥ يناير ٢٠٠٦ وفازت فيها الحركـة بإشـراف مـراقبين دوليين، أو بشرعية المقاومة والصمود ورفض التخلي عن الثوابت الفلـسطينية وأهمهـا إقامـة دولـة فلسطينية على كامل الأراضي الفلسطينية من رأس الناقورة شمالا حتى رفح جنوبا، ومـن البحـر إلى النهر، وترى حماس أن من يطالب باستبعادها يحقق الأهداف الإسرائيلية التي فشلت إسرائيل في تحقيقها من خلال الحرب وفي غضون ذلك، واصلت فصائل المقاومة التصدي لقوات الاحتلال المتوغلة براً في أطراف عدد مـن أحياء مدينة غزة، وشمال القطاع، إضافة إلى استمرار إطلاق الصواريخ من طـراز "غـراد" روسـية الصنع، وصواريخ محلية الصنع، على مستعمرات، داخل فلسطين المحتلة عام ٤٨ .

وأعلنت سرايا القدس أنها شنت هجوماً مباغتاً، أمس ضد قوات الاحتلال خاصة كانت تتمركز في أحـد المنازل بالقرب من المدرسة الأمريكية، غرب بلدة بيت لاهيا، مستخدمة قذائف "آر.بي.جي" والقنابـل اليدوية والأسلحة المتوسطة، مؤكدةً وقوع قتلى وجرحى في صفوف جنود الاحـتلال، بينمـا انـسحب المقاومون بسلام .

وأعلنت كتائب القسام مسؤوليتها عن تفجير

منزل تحصن فيه جنود قوات الاحتلال "الإسرائيلي" في حي التفاح شرق مدينة غزة، وأصابت كل من فيه إصابات مباشرة .كما أعلنت كتائب القسام مسؤوليتها عن تفجير عبوتين ناسفتين في قوة راجلة "إسرائيلية" وقنص جندي في منطقة جبل الكاشف شرق مخيم جباليا

وفي إطار المقاومة، واصلت فصائل المقاومة إطلاق صواريخ " غراد" وصواريخ محلية الصنع، على مستعمرات وقواعد الاحتلال، رغم السيطرة المطلقة للاحتلال على أجواء غزة. وأقرت مصادر "إسرائيلية" بإصابة ثلاثة مستوطنين بجروح اثر سقوط ثلاثة صواريخ "غراد" على مدينة عسقلان، فضلاً عن إلحاق أضرار

اكد المجتمعون :وقف العدوان الصهيوني فوراً والانسحاب الكامل للقوات الصهيونية من القطاع . . فك الحصار وفتح كافة المعابر وخاصة معبر رفح ،والسماح بإدخال المواد التموينية والطبية للقطاع . . رفض الفصائل لوجود أية قوات أو مراقبين دوليين في القطاع . . رفض أية ترتيبات أمنية تمس المقاومة ودورها وحقها في نضالها المشروع ضد الاحتلال . .اعتبار قرار مجلس الأمن رقم ١٨٦٠ لا يلبي المطالب والمصالح الوطنية لشعبنا علاوة على أنه يلحق ضرراً بالمقاومة واستمرارها وجوهر القضية الفلسطينية . . يؤكد المجتمعون رفضهم لأية مبادرات أو مقترحات تسعى لتحقيق الأهداف التي عجز عنها العدو من خلال الهجمة العسكرية البربرية أبدت الفصائل استعدادها ومواصلتها للبحث في أية جهود مخلصة تسعى لوقف حرب الإبادة والمجازر التي ترتكب بحق شعبنا . .أكدت الفصائل حرصها على الوحدة الوطنية الفلسطينية التي تجسدت بين جماهير شعبنا في كل أماكن تواجده وأكدت على استمرار الفعاليات الشعبية لدعم صمود شعبنا ومقاومته للاحتلال والعدوان . . طالب قادة الفصائل الزعماء العرب بالإسراع في عقد القمة العربية وتحمل مسؤولياتهم التاريخية أمام ما يجري من حرب إبادة ضد شعبنا والمحاولات الجارية لتصفية القضية الفلسطينية .

وجهت الفصائل التحية لكل قوى أمتنا العربية والإسلامية وكل قوى التحرر والتقدم في العالم التي وقفت إلى جانب شعبنا وفي مواجهة الحرب الإجرامية التي يشنها الكيان الصهيوني بدعم من أمريكا وبعض الدول الغربية والعربية . ووجه قادة الفصائل التحية للإعلام الحر والصادق وضرب مثالاً إلى الكذب الذي ينقله الناطق باسم الجيش للمراسلين العسكريين وهو ذكره بأن الجيش يقتل في كل اشتباك مسلح ما بين ٥٠ إلى ١٠٠

مسلح فلسطيني .

يقـول بـن دافيـد :"إن الناطق باسم الجيش أبلغنا انه في اشتباك حي الزيتون قبل أيام تم قتل ١٠٠ مـسلح فلـسطيني ولكننـي أصبحت أثق بما يقوله لنا باسم الرقابة العسكرية وعلي أن أتابع عدد المسلحين الفلسطينيين بنفسي من جهات أخرى داخل القطاع ."إلى ذلك كتب مستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق اسحق رابين لشؤون الإعلام في مقال نـشره في "يديعوت احرنوت" يقول: "إن المجتمع الإسرائيلي يرى صورة الحرب في غـزة جـراء التعتـيم الرسمي الصارم المفروض عليها وتعاون الصحافة العبرية مع المؤسـسة الحاكمـة أن الإسـرائيليين سيطلعون على صور قاسية وغير محتملة فور رفع الستار الإعلامي الحـالي بعـد انتهـاء الحـرب ويتساءل هل يستطيع "المجتمع الإسرائيلي الديمقراطي إدارة مثل هذه الحرب في غزة وهل يمكن إدارتها دون مشاهدة نتائجها؟ ."فيما أبدى الكاتب جدعون ليفي في مقال كتبه في "هآرتس" اشمئزازه من تغطية الـصحافة الإسـرائيلية للحرب على غزة ويتهمها بالتجنيد الطوعي لصالح الرواية الرسمية وتغييب الحقائق عن الإسرائيليين، مشددا أن القارئ الإسرائيلي يسمع أو يجد سوى صوت واحد وهو الصوت المؤيد للحرب.

اعتبر مراقبون إسرائيليون أن القوات الإسرائيلية دخلت في اليومين الأخيرين إلى مرحلة "الجمود والمراوحة في المكان" وحذروا من تحول تلك القوات إلى صيد سهل لفصائل المقاومة .واعترف ضباط ومسؤولون عسكريون أن "جيش حماس" يظهر بالشكل الذي لم يتوقعوه، وأعربوا عن خيبة أملهم من أن المقاومين الفلسطينيين " يندفعون" باتجاه القوات الإسرائيلي إلى المناطق المفتوحة ليتسنى "اصطيادهم" عن طريق الجو .وانتقد ضباط ومسؤولون عسكريون المماطلة من قبل دائرة صنع القرار في اتخاذ قرار حول استمرار أو وقف الحرب، وأكدوا على أهمية اتخاذ قرار فوري إما بوقف الحرب أو توسيعها لأن الوضع الحالي يعني تراجع زخم الحملة لعسكرية، وانتقالها إلى مرحلة المراوحة في المكان التي تعتبر خطيرة على القوات المتواجدة في محيط قطاع غزة. وقالوا إن الجنود "بدأوا يغرقون في المستنقع الغزي ."وقالوا إن في الوضع الحالي حماس لديها الوقت الكافي لتخطيط هجمات على المواقع التي يتواجد فيها الجنود". محذرين من أن الانتشار الحالي دون شن عمليات هجومية سيكون منوطا بالتعرض لهجمات وفقدان مزيد من الجنود. وأكدوا أنه يجب حسم الموقف بسرعة إما باتجاه الانسحاب أو البقاء، مؤكدين أن "البقاء منوط بأثمان ."ويؤكد

مسؤول عسكري أن الذراع العسكري لحركة حماس لم يتضرر تقريبا. وباستثناء خلايا معدودة فإن القوات العسكرية لحركة حماس لم تأخذ بعد دورا في القتال. ويضيف: في غزة هناك جيش مدرب تلقى التدريب من أفضل المدربين الإيرانيين، وهو مزود بسلاح وصواريخ متطورة. والجيش الإسرائيلي لم ير هذا الجيش الذي ينتظره داخل المدن.

" إن طائرات الاحتلال واصلت ارتكاب المجازر الجماعية بحق عائلات بأكملها "

أكدت صحيفة "يديعوت احرونوت" اليوم أن قائد المنطقة الجنوبية في الجيش الإسرائيلي الميجور جنرال يؤاف غلانت الذي يقود الحرب في قطاع غزة أوصى رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود اولمرت بتوسيع الحملة وتنفيذ مرحلتها الثالثة. ونقلت صحيفة "يديعوت" عن غلانت قوله إن وقف الحملة في مرحلتها الراهنة "سيكون خطأ تاريخيا ." واعتبر غلانت انه يمكن تقويض حكم "حماس" في قطاع غزة من دون احتلاله كليا من جديد. كم رأى قائد المنطقة الجنوبية انه يمكن لإسرائيل الاعتماد على أي جهة سوى نفسها لمنع تهريب الأسلحة إلى القطاع وبدورها، نقلت الإذاعة الإسرائيلية باللغة العبرية عن ضابط كبير في الجيش الإسرائيلي قوله إنه يجب المضي قدما في العملية العسكرية حتى نهاية الشهر الحالي على الأقل معتبرا أن القيادتين السياسية والعسكرية لحركة "حماس" تعتبران "هدفين مشروعين" للجيش الإسرائيلي .

أدلت وزيرة التعليم الأسبق في الحكومة الإسرائيلية، شولميت ألوني، تصريحات اتهمت فيها الجيش الإسرائيلي بإعدام المدنيين الفلسطينيين بشكل متعمد. وقالت ألوني إن خطة الجيش الإسرائيلي وتنفيذها يدلان بوضوح على انهم توقعوا أن تكون الإصابات مرتفعة في صفوف المدنيين، ولم يترددوا في مواصلة العمل بها حتى عندما زاد عدد الضحايا على التوقعات. لكن الأنكى من ذلك، حسب ألوني، هو أن الجيش قتل مدنيين فلسطينيين بشكل متعمد في عدة حالات. وقدمت مثلا عن عائلة من شمال قطاع غزة (عائلة السموني) تم حشر ٧٠ فردا منها داخل بيت واحد ليومين، وحين حاول اثنان من أفرادها الخروج لجلب طعام وماء أطلق الجنود عليهم الرصاص، مع انهم يعرفون انهم عزل من السلاح ولا ينتمون لحركة حماس، وقامت طائرة من سلاح الجو الإسرائيلي بقصف المنزل، مما أدى إلى قتل ٢٣ شخصا منهم وجرح ٢٧ وبعد ذلك اعتقلوا من تبقى منهم حيا من الذكور

القناة العاشرة قالت : بموازاة الحرب العسكرية

البشعة التي يشنها جيش الاحتلال الإسرائيلي والمسؤولون الإسرائيليون في قطاع غزة، بدأت تظهر أصوات داخل المؤسسة الإعلامية عامة، والمراسلين العسكريين خاصة، تبدي امتعاضها من التقييدات والأوامر التي يصدرها الناطق بلسان جيش الاحتلال .فقد ذكرت القناة العاشرة في التلفاز الإسرائيلي في تقرير لمراسلها العسكري ألون بن دافيد :"على سبيل المثال قذيفة الآر. بي. جي التي أطلقت قبل يومين باتجاه قوة من الجيش في شمال القطاع والتي قتل جراءها ضابط وجرح فيه عدد من الجنود يطرح تساؤلا: ماذا حدث للجنود الخمسة الآخرين الذين كانوا على متن الدبابة.؟؟.. هنا يقع التكتيم والكذب.

قوات الاحتلال تشن حربا نفسيا على سكان القطاع من أجل النيل من عزيمتهم إلى جانب القصف المتواصل والذي أسفر عن آلاف الشهداء والجرحى والدمار الهائل في قطاع غزة، وقامت مقاتلات حربية إسرائيلية بعد ظهر اليوم بإلقاء آلاف المناشير على مدينة غزة محذرة السكان من أن الجيش الإسرائيلي "سيكثف عملياته" في قطاع غزة .وجاء في نص المنشور بالعربية أن قوات الاحتلال والتي تسمي نفسها «جيش الدفاع الإسرائيلي» «ستصعد من عملياتها في الفترة القريبة ضد الأنفاق ومخازن الوسائل القتالية والعناصر الإرهابية في كل أرجاء القطاع«

اليوم التاسع عشر – الأربعاء ١٤ يناير عاموس جلعاد (المسؤول الأعلى للمفاوضات من وزارة الخارجية) يتوجه غدا إلى القاهرة وبان كي مون يصل إسرائيل غدا، وستيفي ليفني وزيرة خارجية إسرائيل غدا إلى واشنطن.

سبعة من طاقم الدفاع المدني الفلسطيني يصابون بعد إطفاء حريق في أحد الأبراج حيث تم قصفهم بقوارب حربية وهم يسعفون بعض الجرحى خارج الأبراج وأصيبوا بإصابات حادة، كالبتر بالأطراف. اتحاد الأطباء العرب يرسل فريق من الأطباء للمساعدة الطبية للجرحى في مجمع الشفاء الطبي.

المقاومة تعلن إصابة مصنع للكيماويات في أسدود بالصواريخ، وإسرائيل تنفي أن يكون سبب الحريق له علاقة بالأحداث الجارية وان السبب هو من المصنع نفسه وحريق آخر في عسقلان.

الرئيس البوليفي يقرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، بعد قرار شافيز رئيس فنزويلا طرد السفير الإسرائيلي من فنزويلا.

طائرة حربية إسرائيلية من نوع "اف ١٦" قصفت مقبرة في حي الشيخ رضوان شمال غرب مدينة غزة ما أدى إلى تناثر جثث ورفات الأموات فيها.

روايات اجتماعية

أيتام الحداد ٦

في بيت خليل

سبقت منى زوجها إلى بيت أهلها ، واتصلت برهان تعلمه أن الطائرة التي تقل ربيع وعائلته قد تتأخر عن موعدها المقرر، كما يتكرر ذلك عادة وباستمرار في مطارات الدول العربية ودول العالم النامي ، ولقد كان الترتيب أن يذهب مالك وزوج أخته سعد الدين لانتظاره في المطار .. ولما دخل الليل أتى سعد الدين بزوجته حنين عند أهلها ومع أولادها الأربعة ، ولما حضر مالك وشربوا الشاي ، وكان قد أتى بعدد من الساندويتشات معه فأكلوها ، ولما أراد الخروج للمطار التفت لعمه خليل وعرض عليه الذهاب معهم ومرافقتهم فقال كأنه معتذرا : علمت من منى أن الأخ برهان سيأتي الليلة أيضا .

ـ آ ، فهمت عليك ، حبيب القلب سيأتي .. أنت لا تحب أن تفوت الحديث مع برهان .. الله يجزيك الخير يا عم أبا أحمد .. سلام عليكم ادع لنا يا أمي .. هل جهزت الشاي لهم يا منى ؟

ـ نعم يا حضرة العريس ! هو على طاولة المطبخ .

نظر إليها مستغربا وقال : العريس ؟! إن شاء الله .. سآخذ لهم ساندويتشات خفيفة عن الطريق سلام عليكم . . هل يلزمكم شيء قبل الخروج ؟

ردت جميلة بالنفي ودعت لهم بالسلامة ، وخرج الشابان في سيارة مالك وسيارة سعد الدين نحو المطار لاستقبال ربيع وعائلته ، ولما اختفى الشابان قالت منى بصوت مسموع لأختها وأمها وزوج أمها : هل صحيح أن مالكا سيتزوج ؟!

تطلعت إليها حنين وقالت: أسمعت شيئا ؟ سمعتك تقولين له يا حضرة العريس .. فاستغرب وقال إن شاء الله ..ألديك أخبار؟

وقال خليل : وممن سمعت يا منى ؟!

فقالت منى : يا أم ربيع مالك صامتة ؟! أتعرفين شيئا ولا تريدين قوله ؟! هل طلب منك مالك أن لا تتحدثي بذلك ؟

أصغت جميلة لابنتها ، وهزت رأسها نافية علمها بشيء دونهم ، ولم يخصها مالك بسر وطلب عدم إذاعته ثم قالت : منذ بدأ يبني في العمارة وهو يقول سأتزوج ولليوم لم يتزوج .. والله يا بنات لم أسمع شيئا .. تعال يا خليل ! فقد كان خليل في حضن السيد خليل .

فنهض الفتى الصغير من حضن خليل إلى حضن جدته التي اعتنقته وقبلته وأجلسته في حجرها وهي تدعو له ولأبيه بالصحة وطول العمر .

فعادت حنين تتساءل : آ يا منى أخبرينا بما وصل إليك من علم !

قالت منى: اليوم هذا .. أخبرني برهان وأنا أغادر

المكتب ظهرا أن مالكا يفكر بالزواج وربما قريبا .. وها هي العمارة التي أشارت إليها أمي على وشك الانتهاء منها ، وهو كما يعلم الجميع كان يؤجل موضوع الزواج حتى ينتهي من البناء والعمران .

قالت جميلة : ما دام حدث برهان بشيء من هذا فلابد أنه سيفعل .. فمالك لا يحب الإفصاح كثيرا عن مشاريعه .

فاحتج خليل وقال : لأ يا جميلة ! فمالك لا يكتم عنا شيئا .

قالت مستدركة : قصدي أنه يقول الشيء ولا يدخل في التفاصيل .

وقالت منى : وأخبرني أبو خليل أن مالكا سينقل مكتبه للعمارة الجديدة .

ضحك خليل وقال : هذا أخبرنا به مالك يا جميلة ! .. بل أخبرنا أنه سيفتح مكتبا في العمارة وسيبقى مكتبه القديم حيث هو ؛ لأن له زبائن هناك يريد أن يحافظ عليهم وخصوصا القدامى ومن ثم يتعرفون على المكتب الجديد .. فمالك شاب فطن يا منى ويخطط بهدوء .. فهذه العمارة التي قامت فمنذ تزوجت أمك ثانية وهو يرسم ويخطط لها .. وقد تشارك كما تعلمين مع ربيع أخيك فيها .. ولا أدري هل اشتركتم أنتم فيها ودار حنين أم زكي ؟!

ردت منى قبل حنين فقالت : عرض الأمر علينا .. وكنا أيامها نخطط لفتح المكتب فاعتذرنا يا عم أبا أحمد .

وقالت حنين : وكذلك اعتذر سعد الدين لمالك وشكره على عرضه .

فقالت جميلة : ولكني علمت من مالك أنه مدين لكم ببعض المال .. كم هو المبلغ يا خليل ؟

فحاولت منى وحنين عدم ذكر الدين ، وكم هو المبلغ ولكن أبا أحمد قال : يا بنات ليس هناك أسرار .. فمالك أخبرني أنه استلف من سعد الدين خمسة آلاف ومن برهان مثلها .. والدنيا حياة أو موت .

فقالت منى : ليست أسرارا يا عمي .. فنحن أهل وأسرة واحدة ..

فقال خليل : أخبرنا مالك بذلك لحوادث الدهر .. فلدي ورقة فيها هذه الأرقام وغيرها ، وستجدونها في أوراقي يا جميلة إن حصل لي شيء .. فالإنسان المسلم المتدين بالذات عليه أن يوضح ذلك للأقربين لعوارض الزمان .

قالت جميلة : بارك الله فيك يا أبا أحمد لم تقصد البنات الإساءة إليك

قال خليل : أعرف وأفهم ذلك .. إنهن فعلن ذلك من باب الأدب ليس من باب الإساءة يا جميلة .

قالت حنين: هذا قصدنا يا عم .. رأينا من العيب أن نتحدث عن ديننا لأخوتنا .. ولا نقصد إخفاء

شيء عنك .. فأنت بركتنا ، ولا ننسى أفضالك الكثيرة والكبيرة علينا .

فقال خليل : ولكن الحقوق المالية من المهم أن يعرف بها الأقربون يا أم خليل ويا أم زكي .

ـ بارك الله فيك يا عم أنت بركتنا وخيرنا .. يا منى لم تخبرينا عما قاله برهان عن زواج مالك متى وممن ؟!

ـ هو لم يحدد زمان إنما قال لبرهان إنه يفكر بالزواج قريبا .. ويعتقد برهان أنها فتاة من بنات كبار المحامين .

ردت حنين : كبار المحامين !! من هو ؟!

رن الجرس الخارجي للبيت فقالت منى : برهان! وقفزت مسرعة لفتح الباب ، وفعلا كان برهان الذي دخل مسلما على الجميع وقال : ذهب الشباب للمطار.

قال خليل : نعم انطلقوا منذ وقت قصير .

وتحدث الجميع سوية بضع دقائق ثم خرج خليل وبرهان لصلاة العشاء ، فقد ارتفع صوت المؤذن يعلن للناس دخول وقت صلاة العشاء آخر صلاة في اليوم .

وقامت النساء أيضا بعد انتهاء النداء للصلاة ، وتركوا أطفالهم يلعبون ويحبون ، ولما أنهين أداء الصلاة دخلن المطبخ لأعداد الطعام والعشاء للضيوف والقادمين .



ولما رجع أبو أحمد وضيفه من الجامع جلسوا في غرفة الاستقبال يتسامرون وينتظرون ، ووضعت أمامهم أم ربيع بعضا من الفواكه المختلفة الأشكال والألوان والأحجام، وجلست تسمع حوارهم وكلامهم ، ومع الفارق الكبير في السن بين الرجلين فهما كانا كأنهما صديقان حميمان من أيام الطفولة ، تحدثوا في السياسة والأخبار والأسعار، والانحراف الفكري لدى فئات الشباب ، والميوعة التي تغلب على كثير من الشباب والإناث في هذا الزمان .. وتكلموا حول مشاكل التجار والصناع والاقتصاد والفساد ، كلمة هنا وكلمة هناك ، ولما سأل برهان العم خليل عن سبب تمسكه بالحدادة القديمة وإصراره على ذلك مع ظهور مادة الألمنيوم وكثرة استعمالها في العمران الحديث ، وأن الحدادة التقليدية خف سوقها وقلّ استخدامها في النوافذ والأبواب

فرد خليل وهو يضحك : العادة والإلف يا أبا خليل .. ألفت هذه الحرفة منذ الصغر ، والشغل ما زال مستمرا وإن قل الطلب .. فصناعة الأبواب الحديدية موجودة .. والأسوار ذات الأشكال والزخرفة ما زالت موجودة .. والعرائش

والمراجيح وغير ذلك .. صحيح أن العمارات والشقق لم تعد تستعمل شبابيك وأبواب الحديد ولكن ما زال السوق قائما .. وحتى هذه العمارات ما زالت تستعمل في الأبواب الخارجية الحديد الصلب ، وكذلك أبواب المواقف الخاصة بالسيارات ومداخل العمارات الرئيسية .. فالحديد ما زال سيد المعادن

والصناعة .. فالألف والعادة والوراثة كما تعلم سبب تمسكي بالحدادة القديمة .

ـ رائع جدا يا أبا أحمد .. ما رأيك أن تصبح معلما في مصنع كبير أو محددة كبيرة .. مجرد مشرف لا تعمل بيدك ، فأنت مع قوتك وحبك للشغل فقد كبرت يا أبا أحمد

ـ لا أستطيع .. هذه المحددة منذ عهد وحياة أبي ـ رحمه الله ـ وأنا أعمل فيها .. غيرنا فقد البناء عندما جرى تحديث وتطوير المنطقة ، أنا لا أجد راحتي إلا فيها .. فلو تركتها قد يصير بي كما يصير في السمك إذا خرج من الماء .

ـ حسن هذا ! .. تعمل فيها وفي المصنع .. الصبح في المصنع وعند العصر تعود لمحددتك .. وأنت كما أعلم يعمل عندك شابان .. أنا عارف أنك قانع وراض بما يدخل عليك من المال والرزق ، ولم تعد كما أخبرتني بحاجة لكثير من الأموال ، فأولاد أم ربيع كبروا واعتمدوا على أنفسهم .. وفضل الله

علينا كبير ؛ ولكن العمل سنة الحياة ألا ترى أصحاب الملايين يعملون ويديرون الشركات .. فهل هم بحاجة لمال وراتب آخر الشهر؟ العمل مطلوب للرجال في كل وقت .. ونحن أخي المهندس عبد الرحيم أبو بلال والعائلة نريد أن نساهم في إنشاء مصنع للحديد ، فرن ضخم للصهر ولتكوين الحديد بأشكال مختلفة .. مصنع في المعادن والصلب وهو يحتاج لمراقبين ومعلمين مثلك .. فأبو بلال الذي سيكون مالك ومدير المصنع سيعجبه عمل رجل أمين مثلك معه .



وأخذ برهان يشرح لخليل أحمد نشاط المصنع وطموحه ثم قال : ولما حدثت أخي عبد الرحيم أن يجعل لك مكانا في المصنع رحب بذلك ، وقمنا بزيارتك في المحددة وعرفتك عليه .. فعبد الرحيم كما تعلم مهندس معادن .

فقال خليل : أعرفه جيدا .. بل زارني مرات بعدما تعارفنا ، وكلفني بصناعة عدد من الأبواب والقواعد لخزانات المياه العلوية وللمكيفات المعلقة .. نحن أصدقاء وأخوة يا أبا خليل .

ـ عظيم جدا !! إذن الأخ العزيز بحاجتك فهو سيُكون شركة خاصة ، نساهم فيها نحن الأخوة

والأقارب والأصهار .. وسأكون له شريكا بمبلغ حوالي عشرة آلاف دينار وهكذا الأخوة أقل أو أكثر .. وأنت إذا أحببت المساهمة ، وسأطرح الأمر على سعد الدين إذا أحب أن يساهم في رأس المال .. فالمشروع واعد بإذن الله يا عمتي ويا عمي وعبد الرحيم منذ سنوات يخطط له .. ليس فكرة خاطفة

ـ الحدادة المعاصرة لست بارعا فيها .

ـ يا رجل نحن نريد خبرتك.. فالمصنع سيعمل به مهندسون وفنّيون وسيتكون أكثر من خط إنتاج .. ستصنع فيه قضبان الحدادة والبناء والخزائن المعدنية .. مصنع ضخم ربما يتجاوز رأس المال الأولي المائة ألف دينار يا سيدي في مراحله الأُول .

ـ والله مبلغ كبير!

ـ هو مصنع على مستوى المنطقة ؛ وربما يكون هناك تصدير لخارج الدولة .. وكنت يا عمتي أحب أن يساهم فيه الأخوان ربيع ومالك ، ولكني أعرف ظروفهما وقد أنهك العقار جيوبهما ؛ ولكنه الحمد لله قد انتهى وقريبا سيتم تأجيره وسيدر عليهما دخلا جيدا .. وإذا أحبا المشاركة في المراحل القادمة سندخلهم في المشروع

وقبل أن ترد الأم دخلت منى وحنين وألقيتا التحية ، وجلستا واستمعتا آخر الكلام فقالت حنين : تحدث معهما يا برهان في الموضوع ربما ساهما بمبلغ يسير.

ـ أكيد سأتكلم معهما في ذلك ، ولكن أقدر وضعهما الحالي .. والأخ مالك له علم بالموضوع ، فهو الذي سيرتب لنا العقود والأوراق اللازمة للمنشأ .

فقال خليل : والله هذا مشروع ضخم !

قالت منى : طبعا يا عمي .. هذا مصنع حديد .. عبد الرحيم الأخ عبد الرحيم لديه طموح كبير وسيجعله مصنعا ضخما وعلى مستوى المنطقة ولكن على عدة مراحل كما فهمنا منه ..

فقال خليل: الله يوفق يا إخوان .. أنا وجميلة سنساهم بمبلغ بسيط إذا أحببتم أو إذا ساهم الأولاد سنضع رأس مالنا في حصتهم يا جميلة .

قالت جميلة شاكرة : إن شاء الله .. الطعام جاهز يا بنات ؟

ردت حنين : نعم يا أمي .

فالتفتت جميلة لخليل وبرهان: هل تتعشيان يا أبا أحمد أنت وبرهان .. أم تنتظران باقي الناس؟

قال خليل ضاحكا: أنا عن نفسي شبعت من كلام برهان .. وأستطيع أن أصبر .. وأنت يا أبا خليل .. ألا تريد أن تأكل؟ .. لا تجامل عمتك إذا كنت جاهزا للأكل فتفضل .

فتبسم السيد برهان لكلام الحداد خليل ومداعبته البريئة ورد عليه : شكرا يا عمي .. أنا تغديت متأخرا ، فلما أخبرتني منى عن تأخر الطائرة

أخرت الغداء .. وهذه الفاكهة قد ملئت بطوننا ..

المهم يا أخ أبا أحمد فكر جيدا بالعمل معنا في المصنع ، فأنت صديق عزيز وخبرة لا يستهان بها

ـ هذا من فضلك يا أستاذ برهان .. أنت أحسن إنسان تعرفت عليه في حياتي كلها رغم فارق السن بيننا .

ـ السن ليست عبرة يا صديقي! المهم الانسجام وتلاقي الأفكار والخواطر وقبل كل ذلك المحبة

وتدخلت منى قائلة ومعقبة على كلام أبي أحمد : والله مناي أن أعرف سر تلاقيكما لهذه الدرجة يا عمي يا أبا أحمد .

تطلع إليها ضاحكا وقال : لا أدري يا عزيزتي يا منى !.. منذ دخل هذا الرجل بيتنا في اليوم الذي تعرفينه انشرح له صدري ، ووقع حبه في قلبي ونفسي كأنني أعرفه منذ سنوات ، وحدث انسجام بيننا وأنا أفضله على إخوتي من أبي .

فقال برهان : على ذكر إخوتك يا أبا أحمد ، ذكرت لنا قديما أن لك إخوة من امرأة أبيك الحاج أحمد فرفر .

تنهد الحداد خليل وقال : نعم ، نعم ، يا أخي يا برهان .. عندما تزوج أبي أمي خلفتني أنا وصبرية ، ثم مرضت ولم تعد تستطع الحمل ، وبعد يأس تزوج امرأة عليها أنجبت منه ولدين وابنتين ، ثم ذهبتا إلى الموت هما الاثنتان رحمهما الله .

العمارة

عند منتصف الليل أقبل مالك وسعد الدين بربيع وعائلته ، وتعانق الأحباب واجتمع الشمل في بيت السيد خليل فرفر، وكان لقاء طيبا ظهرت فيه العواطف الرقيقة والمشاعر الناعمة والود والحب بين هذه الأسر الأربعة .. وبعدما استراح المسافرون قليلا وضع بين أيديهم العشاء المتأخر ، وتناول الجميع طعامهم ، ثم أخذ برهان أولاده الثلاثة خليلا وزهرة ومحمدا وزوجته قافلين لبيتهم بعدما استقبلوا ربيعا وأسرته كما اعتادوا على ذلك سنويا ، وبعد مغادرتهم بقليل انصرف سعد الدين بعائلته الأولاد والزوجة مغادرين لبيتهم وقد قاموا بواجب الترحيب بأخ زوجته ، وقضت العائلة ساعة أخرى في الحديث والترحيب ، ثم انصرف كل منهم إلى حيث يرقد وينام ، ورقد القوم سريعا في نوم عميق بعد السهر والعشاء.

وفي الصباح التالي انطلق خليل لمحددته وهو يفكر بعرض صاحبه برهان ، ولم يتخذ القرار الحاسم بعد ، فهمس لنفسه محاولا إنهاء ما يدور في نفسه من تردد .. كان الأمر صعبا على روحه ونفسه ، فهو قد اعتاد على المحددة الصغيرة والعمل البسيط ، بل كان عندما يطرح عليه عرض كبير من الشغل يستعين ببعض المعارف من الحدادين الآخرين لإتمام المهمة والعطاء .. كانت حياته بسيطة لا

تعقيد فيها .. أجرة بيت لا يدفع ، فهو يملك البيت ، والأمور ميسرة ، وكان أخوته قد تنازلوا له عن البيت قديما قبل أن يهجروه وقد قام بتوسيعه وتحديثه .. والفواتير الأخرى من ماء وكهرباء وهاتف لا تكلفه كثيرا ، ومنذ كبر أولاد زوجته قل الإنفاق على البيت فالأولاد قد تحملوا المسؤولية كاملا .. فمالك وربيع يرسلان المال لأمها باستمرار ، وحتى البنات يدفعن المال لأمهن بسخاء فكان أكثر ماله يدخره .. وحياته هادئة والأيام طيبة .. والأولاد دائما حولهم في البيت ، وهم لا يشكلون أي عبء مالي على جيبه رغم محبته لفعل ذلك .. فمالك لا يمر يوم إلا وهو يدخل صناديق الفاكهة المتنوعة للبيت .. فكان يرى العمل في المصنع مشقة وتغيير ما تعود عليه .. ولكن برهان حبيبه يحب تعاونه معهم .. إنه يريد أن يكرمه بطريقة لطيفة فهمس قائلا لنفسه المترددة : عندما يتم بناء

المصنع وصنع الفرن سأقرر وأتخذ قراري الأخير .

فلما وصل لهذه النتيجة ارتاحت نفسه ، فخفت حدة التوتر بينه وبين روحه فهو يقدر برهان ويعتبره أكثر من ابن وأخ .



وأما مالك فبعد أن صلى الفجر جلس في المسجد كعادته ، ولما صلى صلاة الشروق عاد للبيت فوجد أمه قد صنعت له القهوة بالحليب وطعاما يسيرا ، فأكل الطعام وشرب قهوته ، حتى أتى وقت الذهاب للعمل فودع أمه وسألها كالعادة إذا كان يلزم البيت شيء هذا النهار فقالت : سأشترى ما نحتاجه من هنا من دكاكين الحي وإذا اضطررنا لشيء سأتصل بك .. فبعد قليل سيأتي إخوتي للسلام على ربيع وابنتهم .. وربما تأتي صبرية أخت خليل ، فقد تحدثت معي على الهاتف قبل دخولك تسأل عن وصول ربيع وزوجته وأولاده .. المهم أن البيت سيظل اليوم مشغولا طول النهار.. وإذا رغبت أن تتغذى مع أخيك فافعل .. فمنى وحنين ستحضران بعد الظهر .

ـ إذا صار لدي وقت سأحضر الغداء يا أمي .. لا أدري ماذا سيحدث اليوم ؟ . . فالقضايا تملأ المكتب وشركائي لهم رأي .. أحيانا الجلسات تأخذ منا وقتا غير مخطط له .. السلام عليكم يا أمي ومشى نحو الباب الخارجي للبيت ، ولكنه بعد لحظات سمعها تنادي عليه : انتظر يا مالك .

توقف والتفت إليها فقالت : هل صحيح أنك ستتزوج قريبا ؟

تبسم وقال : قريبا ! .. من قال ذلك ؟!

ـ منى سمعت برهان يتحدث بذلك !

ضحك وقال : سأتزوج إن شاء الله تعالى يا أمي ! أما قريبا فصدقي أنني لا أدري يا أمي ! كما قلت لك سابقا عندما ننتهي من العمارة ونؤجر ما نريد تأجيره سيكون الزواج .

ـ بل سمعنا أنها ابنة أحد كبار المحامين .

تعجب مالك وقال : برهان قال ذلك ؟!

ـ قاله لمنى ، ومنى أخبرتنا به .

تبسم مالك وقال لأمه : يبدو أن برهان هذا يعلم أكثر مني يا أمي .

ـ لا تمزح

ـ هو في كلام يا أمي ، ولكن قبل أن يحصل شيء جدي وحقيقي فالكلام غير لائق .. فكما تعرفين الكلام يمشي وأنت تعرفين كيف يمشي ؟ .. فعندما يحدث شيء ستعلمون به .. فبرهان هذا عجيب فعلا من أخبره بذلك ؟!

ـ أنت ؟!

ـ أنا ؟! ممكن ولكن متى كان ذلك ؟! .. أنا تحدثت فعلا منذ عهد قريب مع برهان بفكرة الزواج وأنني قد أتزوج خلال العام ؛ ولكن لم أقل بالضبط متى ؟ ولم أقل من هي المرأة ؟

ـ هذا ما سمعناه من أختك أم خليل .. هو للحق لم يتكلم أمامنا بشيء .

ـ على كل ادع لي يا أمي بالتوفيق .. كلام برهان فيه كثير من الدقة بس الذي أدهشني معرفته بأمر العروس وكبار المحامين!

ـ أنت لم تقل له ذلك ؟! ما بك يا ولدي ؟! وكيف عرف إذن ؟!

ضحك مالك لحظات وقال : لا أذكر أننا تحدثنا بشيء من ذلك .. السلام عليكم يا أمي سلمي على ربيع وامرأته وعلى كل ضيوفك اليوم .. أنا وصيت أبا خضر صاحب المطعم على كمية من الحلويات الشهية لتقديمها لضيوفك اليوم وتكريمهم بها .. لقد صلى الفجر معنا وسيرسلها لكم .

ـ وصيت ، جزاك الله خيرا .. والله أنا نسيت أمر الحلويات ..

ـ أنا لا أنسى .. ألم يعد هذا تقليدا عندنا ؟ كلما يرجع الأخ الكريم من السفر نقدم للناس الحلوى والفاكهة .. وإذا نقصت الفواكه فخذي من عند سعدي وأنا سأمر وأدفع له إن شاء الله

ـ توكل على الله رضي الله عنك ، لقد عوضني الله خيرا بكم يا ولدي الحمد لله على توفيقه .. وهذا الرجل الصالح ـ تعني خليلا ـ ماله حلال جزاه الله خيرا قام عليكم أحسن قيام .

ـ الحمد لله يا أمي.. فأبو أحمد بركتنا وسيدنا وخيرنا، وكسب أجرنا ، فالساعي على الأرملة واليتيم كالمجاهد في سبيل الله.. ونحن بودنا لو نقدم له أفئدتنا ؛ ولكنه بفضل الله تعالى مرتاح منا

، ودائما يثني علينا ، ونحن نقدر له كل شيء ..

ـ صحبتك السلامة يا ولدي .. انتبه وأنت تسوق سيارتك فحوادث السيارات تزداد وتكثر في المدينة .

ضحك الشاب وقال : الأعمار بيد الله يا أمي بسيارة أو غير سيارة .

ـ الحذر مطلوب ..

ـ لا مفر من القدر يا أمي ! سأفعل بنصحك .. المهم رضاك علينا وأكثري من الدعاء لنا ، فدعاء الأم عظيم ومسموع عند الله الرب العظيم .

***

لما استيقظ ربيع عتب على أمه على أنها لم توقظهم للصلاة فقالت: قد فعلت ولكن يبدو أن النعس والتعب حط رحاله عليكم ، فرحلة الطائرة رغم الراحة المتوفرة فيها ففيها مشقة وإرهاق نفسي .

صلى الصبح هو وزوجته ، وما كاد يخرج من الحمام ويتناول الإفطار حتى كان خاله والد زوجته وزوجة خاله حماته يجلسون مع أمه ، وقام الترحيب والعناق والسؤال عن الصحة والعافية والسفر والغربة .

بدأ أقارب ربيع يهلون للسلام عليه كعادتهم عندما يرجع كل سنة من سفره .. وانقضى النهار باستقبال وتوديع ، وفي المساء زاره بعض أعمامه وزوجاتهم وأبنائهم الكبار .. وقام بهذا الواجب أيضا بعض الجيران ، وقضت الأسرة بضعة أيام على هذه الحال والمنوال .. فقد اعتاد أهل برقوقة على هذه المجاملات للتعبير عن حبهم للمغترب .

ولما عاد مالك أحد الأيام مساء مبكرا وقد خفت الرجل عن البيت فجلسوا جلسة عائلية في صالة البيت ، وكانت زوجة ربيع قد أخذت بعض أولادها لزيارة أهلها والمبيت عندهم ليلة قال ربيع مخاطبا أخاه مالكا : ما أخبار العمارة ؟

ـ ألم تذهب إليها بعد ؟!

رد ربيع باسما وقال : الناس ، وأنت عارف ناس برقوقة .. لي أربعة أيام لم أخرج من البيت إلا للمسجد .. وذهبنا فقط لمنزل خالي والد زوجتي للغداء عندهم فقط ؛ ولكن أمي حدثتني عنها بعض الشيء .

ـ الحمد لله رب العالمين شهر ونصف أو شهران سينتهي كل شيء بمشيئة الله .. الطابق الأول تم تأجيره كما اتفقنا محلات تجارية ، والطابق الثاني كما تعلم ثلاث شقق استأجرت شقة لمكتبنا الجديد ، وشقة استأجرها الدكتور حسن عيادة وهو صديق لنا ، والثالثة شبه محجوزة لأحد الأصدقاء وهم يعملون في الطباعة والورق .. والطابق الثالث شقة لك وأخرى لي والثالثة لم تؤجر بعد ، والطابق الأخير كما تعلم عليه شقتان يا سيدي ، هناك بعض الناس حدثوني عنهما ولكن أجلت

الأمر للتشاور معك ، فربما يريد أحد يخصك السكن فيهن ، وسمعت أمك تقول إن أخ زوجتك حسني ابن خالنا ربما يرحل ويسكن في الحي

فقالت جميلة : أنا قالت لي ذلك امرأة خالك فاطمة حماتك يا ربيع .

فقال ربيع : لا حرج يا أمي .. لك الشكر يا مالك على المجهود الكبير الذي بذلته خلال هذه السنوات الماضيات .

ضحك مالك وقال : سامحك الله يا أبا ساعد! هل بين الأخوة مجهود ؟ ولو أن المال متوفر بين أيدينا مرة واحدة لانتهى المشروع منذ سنوات أو من سنة واحدة .. ولكنني أحببت أن نعمل حسب الإمكانيات حتى لا نغرق بالديون كثيرا ، ونحن ما زلنا مدينين لسعد الدين وبرهان وبعض المحلات لها بواقي حسابات ، وكذلك والد سعد له علينا باقي ثمن حديد وإسمنت ومواد طلاء ودهان وهو رجل فاضل قال لي على أقل من مهلك يا بني .. فنحن أهل ولولا أنني أخشى أن يزعل لسددته فورا ولكن قلت رويدا رويدا ، فالرجل طيب ومحترم ، ولو دفعتهن له مرة واحدة لظن أن في النفس شيئا فيزعل ويزعل سعد .. وحنين طلبت مني فعل ذلك ، فالرجل يحب أن يخدمنا ويفعل من أجلنا شيئا ، إنه يريد أن يجاملنا .

فقال خليل : الحمد لله يا أولادي.. الله فضله كبير علينا .. والحقيقة أن أصهارنا أناس أصحاب فضل ومروءة ، وأنتم يا أولاد طيبون وتستحقون كل خير

قالت جميلة: الحمد لله على فضله.. والشكر لله .. كل هذا ببركتك يا أبا أحمد .. ومن حرصك على الحلال وإطعامنا الحلال ، الله يسر لنا أولاد الحلال

.

ـ بوركت يا أم ربيع .. أنت أصيلة وطيبة يا أم الجميع .

قال مالك : بارك الله فيك يا عم أبا أحمد.. غدا إن شاء الله عندما أرجع من المكتب سنذهب للبناية ونتفرج على ما سميته يا ربيع المجهود .. نحن منا المال أما الذين قاموا بالجهد والإنشاء هم العمال والمقاول وأهل الحرف .. وإذا أحببت اذهب في الصباح وخذ معك أمك وزوجتك وتفرجوا .. فستجدون الحارس أدهم فهو ما زال يعمل معنا ، وقد نبقيه بوابا للعمارة إذا أحب البقاء معنا .. ففي الطابق الأرضي سكن قد يصلح لبواب أو حارس عازب .. وظل شيء واحد بعد تشطيب العمارة وقد أجلته إلى أجل غير مسمى كما تعلم وهو المصعد الكهربائي .

واختلط الحديث بينهم في مواضيع شتى حتى جاء ذكر الزواج ، فعاد ربيع يسأل : ألم تقرر الزواج بعد

؟ .. أصحيح ما يشاع عن زواجك ؟

ضحك مالك ووضع كأس الشاي من يده وقال: كما يشاع ..حلوة هذه الكلمة! .. فعلا هي الكلمة المناسبة .. أنا ذكرت قديما أنني عندما أنتهي من العمارة وأستلم الشقة الخاصة بي سأبدأ بتجهيزها ، وعندما أجد بنت الحلال سنتزوج كما يتزوج خلق الله سبحانه .. فالحمد لله والشكر لله والفضل كله لله الأمور تسير تمام لليوم .

وقطع ربيع استرسال مالك قائلا: وهل صحيح ما يشاع أنها ابنة أحد المحامين الكبار؟

ـ هذا الغريب في الأمر يا ربيع! والعجيب أنهم ينسبون القول لبرهان ولا أدري من أين أتى به برهان ؟!

تبسم ربيع وقال: وبرهان حبيبنا لا يرمي الكلام كما تعلم جزافا .. ربما صارحت صاحبا بذلك وألقاه في أذن برهان .

ضحك مالك لحظات وقال : معك حق .. من سيكون ؟!

تبسم ربيع وقال: معناه صحيح .. هناك كلام يبدو في ذلك .. وهذا الكلام وصل لبرهان الحبيب .. هذا الرجل لو ذهب معي للخليج لصار مليونيرا .. فهو رجل فهمان في المحاسبة والشركات والدراسات ؛ لكنه قنع بهذا المكتب الصغير .

ـ الرجل فعلا عجيب عرضت عليه الملايين فرفضها .



قام ربيع كعادته عندما يرجع من السفر كل سنة بزيارة أعمامه وعماته وخالاته وأخواله وبعض الأقارب وأختيه ، فيمكث شهرا في ربوع الوطن بين الأهل ومحبيه ، وبين مستقبل وزائر ومودع ولم ينس زيارة صبرية أخت خليل ، فكان يعتبرها كعمة له ، وكذلك يخص بزيارة صديقه عدنان جابر وزوج ابنة خالته ، وكان يتمنى لو يزور أخوة خليل وأخواته الأخريات ، ولكنهم لا يعرفونهم ولا يعرفون سكناهم ، فهو يقدر ويعظم دور خليل زوج أمه في حياتهم وتربيتهم وتعليمهم ، ولما انتهت الإجازة السنوية سافر من جديد للخليج ، وعاد السكون والهدوء لمنزل السيد خليل فقد سافر الضيف العزيز .

ربيع لم يعادِ ويجافِ أهله وأقربائه وخصوصا أعمامه اللذين تخلو عنهم صغارا .. ولكنه عذرهم ولم يجافهم أو يفكر بالانتقام منهم ؛ بل قدر ظروفهم وحياتهم ، وكان يصل عماته بالمال ، وكذلك أعمامه المحتاجين ؛ بل ساعد بعض أبنائهم للعمل حيث يعمل ، وقد تحسنت العلاقات بينهم خصوصا بعد سكناهم ثانية في حي برقوقة ، وأصبحوا كبارا بل يتطلع بعض

أعمامه وعماته لتزويج بناتهم من أخيه مالك ، وهم مستغربون لتأخر مالك بالزواج لهذا اليوم ، فقد كان ولدا بارا بالجميع، وحتى مالك المحامي لم يكن يقصر في هذا الجانب الاجتماعي والإنساني، فكثير ما يأخذ أمه ويشارك أعمامه وأولادهم في مناسبتهم من فرح وترح ، ويساعدهم بما استطاع ، فعلاقته طيبة مع الجميع بل كانت أسرة خليل مجال فخر لأهل الحي فهم يستفيدون من عمله في سلك المحاماة في حل مشاكلهم وقضاياهم ، وكانوا يفخرون به أيضا بأنه كاتب بارع في الصحافة والمجلات .

وكان مالك الشاب القوي البنية الأنيق دائما يقدر زوج أمه خليلا التقدير اللائق به والكبير كان يراه رجلا عظيما ، ويتمنى من أعماق قلبه أن يقدم له شيئا ولو يسيرا من بعض دينه ومعروفه معهم .. فلليوم هم عاجزون عن سداد شيء ، فهو لم يحتاجهم في شيء مهم .. وكان يحترم زوجي أختيه أيضا الاحترام اللائق بهما ، ويرى أنهم من خير الناس وأحبهم إليه ، ويقدر لبرهان العمل الكبير من زواجه بأخته منى ، لقد كان خائفا عليها جدا من الضياع ، وتؤرق فكره منذ كان يدرس في الكلية الجامعية .. كان يخشى على أخته من هذا المجتمع الذي يتفتت وينفلت كل يوم .. ويزداد فيه تمرد الإناث على تقاليد العائلات ، ومع ذلك الانفلات المعروف إن أصابت الفتاة شيئا سيئا يبقى عار على العائلات ، رغم ضعف الروابط الأسرية والعائلية مقارنة بعقود مضت .. ورغم ترك الناس لبناتهم بالانخراط والتقليد الأعمى والبعد عن الدين.. ما زال يعاب الآباء والأخوة والعشيرة بتصرفاتهنّ المشينة والمنحرفة .. فكان خائفا من انفلات منى وكان يرى ذلك بأم عينيه لقد أصبحت تدخن وتشرب الخمر وتلبس الملابس الفاضحة وتجلس مع الرجال والنساء دون حياء ، وتتكلم مثلهم بسخيف الكلام باسم المدنية والحضارة والحرية والتعليم .. فكان ينظر لبرهان على أنه بطل صنع لهم معروفا عظيما ، ويتمنى من أعماق قلبه أن يجزيه بعض الجزاء .. فكان يرى برهان أكثر من صديق وزوج أخت ، كان يراه أخا لم تلده أمه

دخلت منى المكتب بصحبة زوجها كالمعتاد صباحا ، وبعد حين يسير استأذن برهان للمرور على بعض الشركات للمراجعة والمتابعة والتدقيق ، وبينما منى تقوم ببعض أعمال العمل التي طلب منها برهان القيام بها ريثما يرجع رن جرس الهاتف فرفعت السماعة وقالت : نعم

ـ عفوا .. ألم تعرفيني يا منى ؟!

ارتبكت وهي تسمع السؤال وقالت : آسف ، أرجو ألا أسمع صوتك مرة أخرى!

ووضعت السماعة وتوترت أعصابها ، وظهر الغضب على محياها ، وتغير لونها واكفهر وجهها غضبا.. ورن الهاتف ثانية فرفعت صوتها للعاملة التي في المكتب المجاور أن ترد على الهاتف : ردي عليه يا سلام !

تحدثت سلام مع المتصل ثم قالت لمنى وهي مستغربة رفض منى للحديث مع المتصل: إنه يريدك أنت .. يريد أن يسألك عن سبب عدم حضورك حفل المصنع الذي دعيتم إليه من قبل السيدة عبير ناصر!

ردت عليها بغضب قائلة : أغلقي السماعة في وجهه .. إنه رجل حقير!

عجبت سلام بالطبع لهذا الكلام ، واعتذرت للرجل ووضعت السماعة ، واقتربت من منى الغاضبة وقالت : مالك يا أستاذة منى ؟! عفوا طبعا للسؤال !

عادت منى للجلوس على مكتبها ونظرت إليها لحظات ثم قالت : أنا آسفة يا سلام لرفعي صوتي في وجهك .. المتصل استفزني ، ولما اتصل ثانية أذنت لك أن تردي عليه لأنني أغلقت السماعة في وجهه ولا أريد سماع صوته .. معذرة يا أختي

ـ أتعرفينه ؟!

ـ نعم ، أشكرك .. أين أبو غسان ؟

ـ ذهب للفطور .. هل تريدين شيئا ؟

ـ كنت أرغب بشرب كوب من القهوة .

ـ أصنعه لك .

ـ لا .. أرجوك عودي لمكتبك .. أنا بنفسي سأعد القهوة .

مشت نحو المكان الذي تصنع فيه القهوة والشاي ، وصنعت لها ولسلام القهوة ، شكرتها سلام على تواضعها ، وكررت منى الاعتذار ثانية وهي تقول : اعذريني يا سلام .

ـ لقد عذرتك يا أختاه .. بس لو أعرف سبب انفعالك الشديد فقد احمر وجهك للغاية .

ـ ستعرفين .. وليس الآن .

عادت الفتاة ترشف القهوة وتنظر في الملفات التي أمامها ، وأما منى فدخلت لمكتبها وهي تقول : اللعين ماذا يريد ؟! ليس هناك شيء يربطنا ؟! إنهم يريدون تدمير حياتي .. عبير شيطانة .. إنها تحلم ببرهان! غبية جدا .. فهو أيام الجامعة لم يهتم بها .. فاليوم تتصور أن يقع في حبالها !

لما رجع برهان أدرك بحسه المرهف وهو يدخل المكتب قلق وتوتر منى ، فشحوب وجهها واضح فسألها عم بها فلم تكتمه شيئا وكانت تحدثه بغضب وهيجان ثم قالت : أرأيت تلك الملعونة ؟! ماذا ستفعل ؟!

ـ اهدئي أولا يا عزيزتي .. فالتوتر يوهن التفكير.. سأتكلم مع عبير .. وأيضا سأقطع علاقتي العملية

معهم .

ـ لا تفعل أنا لا أخوض حربا معها !

ـ هذا لا أسمح به يا منى .. هذا عبث ولعب عيال وسخافة .. أنا عند الضرورة سأتكلم مع ناصر نفسه ، ونحن في غنى عن الشغل معهم .. اهدئي أيتها العزيزة .

ـ أفكر أنا بترك العمل !

ـ الهروب .. لا يا حبيبتي .. فالهرب لا يحل دائما المشاكل .. فالسخفاء ..

دمعت عيناها وهي تقطع كلامه قائلة : أنا لا أريد أن أخسرك !

استغرب برهان التصريح وضحك وقال : نحن لنا سنوات متزوجون يا ابنة العم .. أنا لا تؤثر فيّ حركات الصبيان ، ونحن كبرنا على لعب العيال ، وأنت لم تعرفي لماذا اتصل ؟ هل فقط اتصل ليسأل عن سبب عدم حضورك حفل الافتتاح .. ولماذا يريدك أن تحضري ذاك الحفل ؟!.. أنت تفاجأت بالاتصال فتوترت بسرعة وخانتك الحكمة .. وأنا أستطيع أن أوقفه عند حده ، ولكني خائف عليك على أعصابك .

ـ فعلا تهيجت أعصابي .. عندما قال ألم تعرفيني يا منى؟ فما كدت أعرف وأتحقق من صوته حتى ارتبكت ووضعت السماعة .

ـ صدقي لو أراد التعامل معي كعميل ربما لا أهتم ، فسيكون كأي زبون وعميل .. أنا أحب أن تكوني طبيعية وحتى مع حازم ، وأنا واثق بأنه أصبح ماض في حياتك .. على كل حال لا تقلقي سأتحدث مع عبير بداية وأعرف منها سر هذا الاتصال ، وأعرف أيضا مدى دورها في هذه اللعبة إذا كان هناك لعبة ، وإذا وجدت أي عبث سأنهي كل الأعمال التي بيننا وبينهم ، فنحن في ألف غنى عن شركاتهم ومشاريعهم وحفلاتهم .. عودي للبيت الآن ، وسوقي السيارة بكل هدوء ، فأمي تريد زيارة أمك فخذيها وانسِ هذا الهاتف وسأتصرف .

أثنت عليه منى لسانا وقلبا ، وهدأت أعصابها قليلا ، واعتذرت لسلام ثانية وهي تغادر، وانصرفت قافلة لبيتها ، ومع كل حديث برهان المطمئن لها ما زال القلق من المجهول ، وكانت ترى أن هذه بداية لتحرشات جديدة ، فهي تعي بشكل جيد أن حازما ابتعد عنها لخاطر أهله وضغطهم ، وحتى زواجه من قريبته كان رغم أنفه .. وكانت تعتقد أن مجيء عبير بعد سنوات من فتح المكتب لم يكن صدفة وقراءة إعلان في جريدة .. كانت ترى أن عبير لما عرفت من هو برهان صاحب المكتب طمعت فيه ، وظنت أن الأيام والحياة الصعبة غيرته .. ولكنها فوجئت بأن زوجته هي منى زوجة شقيقها حازم .. فإدخال

عبير حازما بطريقة ما سيكون فيه خراب لبيتها ، هذا ما كانت تتخيله منى من الاعتقادات والتخيلات .. بل ذهب بها التفكير أن عبير كانت تعرف بزواجها من برهان للرسالة التي جاءت لها من حازم بعد كتبها كتابها على برهان بأيام .. وإنما تظاهرت بأنها تفاجأت بزواجهما من بعض .. كانت خواطر تروح وتجيء في ذهن فتاة قصتنا هذه لما خرجت منى قام برهان ببعض الأعمال ، ثم تكلم مع عبير وحدثها عن اتصال أخيها حازم بمنى فقالت عبير : لا تزعل يا برهان .. أنا كنت قد حدثت أخي عن زواج امرأته السابقة منك وكان المسكين يأمل برؤيتها في حفل افتتاح المصنع ليعتذر لها عما سببه لها من ألم وعذاب وخذلان

ـ يا عبير .. هذا كلام فارغ وسخيف .. فهي على ذمة رجل اليوم .. وهي لا تريد اعتذارا ولا أسفا ..أنا أعرف أنه ما زال لها في نفسه شيء لأنه طلقها مكرها ومجبرا .. ولكن كل شيء انتهى فليحترم نفسه .

ـ لا .. لا .. يا برهان .. حازم مسكين محطم شخص من غير إرادة .

ـ لا ، هو ما زال في نفسه من ناحيتها شيء .. عندما أعلنت زواجي منها كتب لها رسالة تهنئة ، وفيها كلمات حنين وأسف وغير ذلك ، ولما لم يحدث بعدئذ شيء نسيت الأمر .. فحذار من غضبي .

ضحكت المرأة وقالت ساخرة : ماذا ستفعل ؟!

ـ اضحكي ما تشائين .. أنت تعرفين برهان ماذا يفعل إذا غضب ؟! لقد عرفت بعض حكاياتي أيام الكلية .

ـ هل نحن في العصور الوسطى !

ـ العصور الوسطى .. عصور شيكاغو .. المهم إذا أحببت أن نبقى أصدقاء فلتكن صداقتنا العمل وحده .

عادت عبير للتهدئة والاعتذار وقالت : قلت له دعنا من هذه الدعوة .. دعنا من منى ربيع .. فهي تعيش في كنف غيرك وأنت عندك امرأة .. فالملعون كان مغرما فيها .

ـ كلام سخيف يا عبير .. هذا حب مراهقين .. ساعة هنا وساعة مع تلك .. أليس هو الذي طلقها ؟! والآن أنا زوجها ..فليفهم ذلك وإذا اتصل مرة أخرى سأتكلم مع والدكم مباشرة

ـ خلاص يا سيدي .. أنا آسفة .. سأفعل ما تشاء .. لن يعيدها بل أنا سأتحدث مع الوالد إذا علمت بشيء .. اطمئن .

ـ أنا أقبل منك هذا الكلام.. فنحن عرب ونغار على أعراضنا يا عبير .. نحن ما زلنا نعيش في تقاليد وعادات الماضي .. لسنا مثلكم نتزوج ونترك نساءنا على حل شعورهن ومصاحبتهن للرجال مهما كانوا.. أو الزوجة تترك زوجها

يصاحب من شاء .. نحن عرب مسلمون .

ـ ما أقسى كلامك !

ـ هذا واقعكم لم نأت بالكلام من دورنا .. أرجوك أن تنصحيه أن ينسى هاتف المكتب .. رجاء يا أخت عبير .

ـ ولا يهمك يا عزيزي .

شكرها ووضع السماعة ومسح العرق المتصبب على جبينه وقال لنفسه : أرجو أن تكون قد فهمت الدرس .. أنا إذا غضبت وحقدت أدمر الدنيا .. لعنة الله تعالى عليه .. سم بدني وأعصابي .. مسكينة منى !!

وما كاد برهان يضع السماعة ويتكلم بهذه الكلمات حتى رن الهاتف فإذا هي عبير ثانية ، فاستغرب وقال : آ .. يا عبير؟!

قالت : حازم عندي ويريد أن يعتذر لك ؟

ـ لا أريد اعتذاره .. المهم أن ينسى أنه كان يعرف أنثى اسمها منى ربيع ، فليكن تعاملكم معي في الشغل فحسب ، وإذا شئتم اسحبوا العقود التي بيننا .. فأنا بغنى عن مشاريعكم .

ـ يا ابن الحلال لا تغضب .. فنحن معرفة وزملاء قبل أن نعرف كلينا منى .. ولكنّ حازما مصر على الحديث معك لديه كلام خاص كما يقول

ـ لا أريد أن يكلمني ، أنت فهميه كل ما قلته لك يا عزيزتي يا عبير .. مع السلامة

ـ نعم ، اتصلت بها وبهدلتها وهددتها بالحديث مع والدها ، وترضتني ألا أفعل ، ثم أنهيت الاتصال ، ثم عاودت الاتصال مخبرة أن حازما يرغب بالحديث معي ، فرفضت وأكدت تحذيري .. ولكن قبل مغادرة المكتب رن الهاتف ، وأنا أقف على الباب مغادرا ، فردت سلام ونادتني للرد على المتصل ، فإذا هو حازم ناصر ، ويطلب مقابلتي أنا شخصيا ويترجاني لقبول هذه المقابلة .

ـ مقابلتك ! .. ما أوقحه ! لا حياء عنده !

ـ المهم أننا اتفقنا على اللقاء يا منى .

ـ اتفقتم !.. ماذا تريد منه ؟!

ـ سأسمع ما الذي يشاءوه منا.. ولا تخافي ولا تحزني يا عزيزتي .. هذا إنسان ضائع.. هناك مشكلة كما يقول ويطلب مساعدتي في حلها .. أريد أن أعرف ماذا يريد منا ؟!

ـ أمرك غريب يا عزيزي!

ـ علينا أن لا نأخذ الأمور بحساسية كبيرة يا عزيزتي الغالية.. فحياتنا

وسعادتنا وتفاهمنا أكبر منه .. وأنا مستغرب لهذه التصرفات الصبيانية .

صفنت منى لحظات ببرهان ثم قالت: أنا سأقول لك هاجسا في نفسي واستحيي أن أقوله .

اهتم برهان بكلامها وقال: هاجس ! .. احكي ؟!

ـ أنا منذ رأيت عبير في المكتب وأنا متوجسة خيفة

منها .. وأظن أنها لم تدخل المكتب عن جهل وحسن نية .. فأخشى أنها تريد منك شيئا خاصا ضحك برهان لهاجس زوجته وقال : أتعنين أنها تقصد الزواج مني ؟!

ـ يعني !

ـ لا ، هل هي غبية لهذه الدرجة يا منى ؟

ـ هذا ليس غباء .. هي امرأة فاشلة في الزواج .. وهي تريد زوجا وهي تظن بالاقتراب منك وبدعمها المالي لك سيكبر المكتب ورويدا رويدا تتزوجك .

قهقهة برهان لأفكار زوجته وخوفها وقال : هذا كلام أفلام يا منى ! .. يظهر أن الأفلام القديمة التي كنت تكثرين من حضورها تشوش عليك وتضع هذا الوهم في نفسك .. فخيالك القديم يستيقظ .

صفنت منى بكلام زوجها ثم قالت : أترى ذلك ؟!

ـ بكل تأكيد يا عزيزتي .. أنا لست طفلا لتغرر بي فتاة وتافهة مثلها .. أنا فلوسها لم تشتريني وأنا طالب ضعيف يأخذ مصروفه من أبيه .. ومعها سيارة وعطر وشلة .. فكيف اليوم وأنا مرتاح نفسيا ومبسوط وسعيد بزوجتي منى وخليل وزهرة ومحمد ؟.. لا تخافي أيتها العزيزة .. صحيح النساء ذات مكر وحيل ولكن ليس لهذه الدرجة .

ـ حسنا ، ومقابلتك لهذا الرجل؟!

ـ أقصد أن أعرف ما الذي يريده من طلب المقابلة ؟! .. لا أعلم بالضبط لماذا أنت خائفة وقلقة من هذا اللقاء يا عزيزتي ؟!

ـ أنا لست خائفة من المدعو حازم .. فهو ضعيف الرأي والشخصية أنا خائفة ممن يحركه ويسره

ـ لا أعتقد أن عبير بهذا الذكاء والتخطيط الذي تتحسسين منه .. إنها لا تفكر جيدا إنها تعمل وتنفذ فقط ، أنا راغب أن أعرف ماذا يريدون وما الذي إليه يسعون؟ .. هل يفكر هذا الغبي بأنه الممكن أنك سترجعين إليه ؟ وأين أبوه يا صاحبتي ؟

ـ إنه يعرف أنني متزوجة كما تذكر من رسالته السخيفة قبل سنوات ، ويعرف من هو زوجي عبير تسعى لشيء منا يا برهان !

ـ الأيام ستظهر ذلك .. وأنا فكرت بما حصل ، ومنذ التقيت بعبير أول مرة ولليوم بالهاتف الأخير بيننا لم ألمس مكرا وحيلة .. يبدو لي أن في البيت عندهم مشكلة ما ، فدخول منى على الخط فجأة .. ربما يحدث شيئا ما .

ـ لم أفهم عليك !

ـ تخيلي معي لو أن مشكلة أو مشاكل بين حازم وزوجته التي هي قريبته كما سمعت منك يوما ما .. بل ابنة خالته أو لا أذكر ربما ابنة عمه ناسي الآن

.. المهم أنها قريبته.. وهذه القريبة بالتأكيد تعرف قصة زواجه من منى ، ومحاربته لأهله من أجل الزواج منها والتفاصيل المعروفة لك .. هذه الزوجة غضبى من حازم .. فلقاء مع منى يوم افتتاح المصنع أمامها وأمام الآخرين .. ثم اتصال ثم لقاء .. تسمع هذه القريبة والأهل بذلك .. سيحدث قلق داخل العائلة .. فتعود للهدوء والسكينة وترقيع الموضوع .. ممكن أن يكون هذا صحيحا ؟!

ـ معقول ما تقول! .. فبمثل هذه الحركات والبلبلة تحدث ضجة وكلام وإشاعات عن محاولة السيد حازم العودة إلى مطلقته القديمة .. سخفاء !

ـ معقول ، وهذا الكلام ليس تخيلي أو من عندي ، أنا تحدثت مع فتاة عاملة في مكاتب الشركة عند عبير .. تعرفت عليها أثناء ترددي على دفاتر المحاسبة في الشركة .. فلما عدت للبيت قبل عودتك أنت وأمي تذكرتها وتحدثت معها مباشرة ، وبطريقتي الخاصة علمت منها أن حازما لديه مشاكل كثيرة داخل البيت وكثيرا ما تصل أخبار مشاكله مع زوجته أو أمه للشركة .. وكثيرا ما غضبت منه وهجرته لبيت أهلها ثم تعود ، تصلحهما الأختان أمه وخالته .. بل صرحت لي أن الأمور مرة وصلت بينهما للطلاق .. مشاكل كثيرة داخل البيت.. فرتبت الأمور على ضوء هذه المعلومات فوقع في نفسي أنه يحاول الاتصال بك لإرباك العائلة .. فأقنع أخته بدعوتنا لحفل الافتتاح ، ولكننا خيبنا رجاءه بعدم الذهاب، فلو ذهبنا للحفل لقاء عابر معك باسم الاعتذار تسري إشاعات معينة .. ففكر بعد الفشل بالاتصال .. تحدث إشاعات أن حازما جدد الاتصال بزوجته السابقة .. تصل المعلومات للزوجة والأم .. تعود الزوجة الغاضبة منه خاضعة خوفا من عودة منى لحياتهم من جديد .. فربما اتصل ممهدا لطلب لقاء.. الأخلاق إذا فقدت عند الناس مشكلة، ويستسهلون كل الوسائل لارتكاب ما يشاءون .

ـ كلامك معقول إلى حد كبير .. وهذه سهلة إذا أحببت أن أتصل ببعض الصديقات القديمات وستحدثني بكل شيء مفصلا ولكن لماذا يريد اللقاء بك ؟!

ـ سؤال مهم .. ومربك لم رتبته وتخيلته .. وهذا سنعرفه من اللقاء .. وأنت اتصلي بمن يستطيع أن يمدك بمعلومات صحيحة وواضحة .. وعندما أذهب إلى اللقاء الذي سيكون يوم الخميس الآتي في نادي السبع بجعات المعروف تكونين جمعت لي معلومات مهمة .. للخميس باقي يومين حاولي .

وبعد صمت قالت منى : غريب تفكيرك ! .. ودور عبير في الموضوع ؟!

ـ بعد اللقاء سيتضح دور عبير وغير عبير .. فاصبري أيتها الحبيبة .. فحبنا أكبر من هذه التفاهات .. نحن لا نعيش في مسلسل أو فيلم يا حبيبتي .

ـ معك حق .. الوسواس مخيف أحيانا .

ـ هل ترين أنني أفرط بك بسهولة ؟ تضحك في وجهي امرأة لعوب أنسى منى وأضحي بسعادتنا .. فنحن نعيش حياة طيبة بفضل من الله تعالى .. هؤلاء أبناء القصور العالية والحدائق المعلقة حياتهم ضحلة بحث عن الملذات والمفاسد إلا من رحم ربك .. هدئي قلبك المضطرب منذ سماع صوت ذلك الرجل .. ما أخبار العم خليل ؟

تبسمت وهي تقول : عاتب عليك لأنك لم تأتِ معنا .

ـ معه حق لي أكثر من أسبوع لم أره .. سندعوهم الجمعة للغداء معنا ما تقولين ؟

ـ لا مانع لديّ وجاهزة لصنع أحسن وأطيب الطعام .

ـ لا ، سأوصي على طعام من المطعم .

احتجت منى على الاقتراح قائلة : لا ، لا .. أبو أحمد يحب طهي البيوت يا أبا خليل !

ـ أعرف ذلك ؛ لكني لا أحب إتعابك هذه الأيام ، فالحمل في أوله وهو متعب ومرهق ، وهنا يقولون يكون خوف على الجنين في مراحله الأولى

ـ لا تهتم .. فسوف تساعدني أمي .

ـ كما تشائين .. أنا أستطيع أن أطلب من أختي أم محمد المجيء والمساعدة ، ولكن هذا سيضطرنا لندعوها للغداء معنا .. وأنا أريد أن أقصر الدعوة على أسرتك فقط أمك وأخوك وأبو أحمد .

ـ ادعها إذا شئت ، ويسرني فعل ذلك .

ـ لا ، أنا أريد أن أتحدث وأجلس مع أبي أحمد وحده .

ـ والله أنا أتعجب من هذه المحبة بينكما .. فكلما أجلس مع أمي ساعة يتردد اسمك على لسانه عشرات المرات .

ـ مسكين فقط يا منى !! رجل وحيد في الدنيا .. أهله تخلو عنه لما أصبحوا بشوات وكبار .. فلمس فينا الحنان والحب والإحسان والسماع والإصغاء لحديثه عندما يتكلم .. فأحبنا وأحس أنني كأخ أصغر له .

ـ بارك الله فيك ، فأمي دائما تدعو لك لحب أبي أحمد لك وفرحه بك .. والله يا برهان لقد عرفت رجالا كثرا شبانا وأصحاب أموال في حياتي القديمة قبل أن ألقاك وأتعرف عليك فوجدتك رجلا عجيبا فريدا كأنك لست من طينتهم .. مع أنك طبيعي في تصرفاتك وأقوالك وأفعالك وسلوكك .. لقد كنت قبل أن تتحدث عن عبير وحازم كنت أتخيل أن مؤامرة تحاك حولي .. مع

أنهم لا يربطني بهم شيء .. قدر الله أن لا أخلف منه حتى لا يكون بيني وبينه رابط في يوم من الأيام ، ولا يوجد بيننا أي قرابة .. ومع ذلك لما سمعت صوته وتذكرته .. اشتعلت نار في قلبي وتهيجت مما يجري حولي ، ولكن تبسيطك للأمور أراح نفسي وروحي .. أنت رجل مختلف عن الآخرين

ـ أنا رجل مثلهم ، ولكني زوج وحبيب وأستخدم عقلي قبل قلبي .. ربما لو إنسان غيري سمع أو حدث عن اتصال بين زوج وطليقته وهي على ذمة رجل آخر لهاج الشك والريب في نفسه ولعب الفأر في عبه كما يقال .. وظن أن شيئا يدور من ورائه .. فأنا إذا لم أعرف زوجتي وأخلاقها وطبيعتها فهذا إقلال لعقلي .. المحاسبة والرياضيات مادة عقلية يا منى .. الحساب مادة عقلية معنوية فهي أفادتني في حياتي الواقعية .

ـ الله يجزيك الخير .. سأتصل ببعض الصديقات القديمات إذا استطعت أن أصل إليهنّ بعد كل هذه السنوات ..ثم أتحدث مع والدتي وادعوها للغداء .

ـ جيد .. وأفضل أن لا تذهبي للمكتب هذين اليومين لترتاح أعصابك.. لأ اذهبي .. اذهبي سأغير ترتيب خروجي من المكتب .. أنا خائف أن يأتي فجأة ويصيبك شيء .. انفعال غضب فيضر بك وبما تحملين في رحمك .. أنا أعرف من هي منى ؟! أما إذا كنت معك ستقوى عزيمتك وشجاعتك .

ـ أنا لا أخافه .. لكني لا أسمح لنفسي أن أتحدث معه بعدما غدر بي وتخلى عني وأصبحت زوجتك ..

ـ مشكلتك معه نفسية ، صدقي لو رأيتيه مرة واحدة ، ولم تكترثي به سينتهي كل هذا الإشكال النفسي يا حبيبتي .. الإنسان يخاصم ويعادي كثيرا من الناس ويراهم ويجالسهم ، فقط أول مرة بعد المشكلة يتوتر ويكثر من اختلاس النظر لخصمه .. وبعد حين ينتهي الموضوع ويصبح الأمر عاديا ؛ كأنهم لا يعرفون بعضهم بعضا .. فالإنسان يحضر جلسة ندوة يرى كثيرا من الأشخاص الذين يحضرون تلك الجلسة ، ربما رأى بعضهم أثناء الدخول والجلوس ، وبعد حين لا يعرفهم إلا إذا كان أحدهم لفت النظر خلال الندوة بسؤال ، بظهور موقف منه أو صورة من أحدهم تبقى عالقة في مخيلة الإنسان .. الإنسان يتزوج قريبة ابنة عمه ابنة خاله أو خالته وينفصلان بسبب معين فيلتقيان ويتحدثان ، وربما يتناسبان في يوم من الأيام بأولادهما طبعا .. حركة الحياة والعمر فيها صور وخيالات لا تخطر على البال .. فلو التقيت بذاك الرجل مرة فاجتهدي أن تكوني عادية غير متوترة لحظات ودقائق ولسوف يختفي من حياتك

.. فإذا فعلت ذلك لسوف ترتاح نفسك وخوفك يزول .. وأنت كما كنت تقولين الشخصية الأقوى فلا تهابي .

ـ أنا خائفة على مشاعرك ، وأن تسيء فهمي ، وتظن سوءا ، ويدخل الريب والشك لقلبك نحوي .

قال : لا ، هذا تفكير ساذج للغاية ، فأنا أكبر من ذلك ، وأنا أبني قراري كما تعلمين ـ وقد جربت ذلك ـ على يقين ودراسة وفهم .. ليس اعتباطا .. الموقف والمشهد المريب معروف .. لو ـ لا سمح الله ـ لو رأيتك مع رجل ، حازم أو غيره في وضع مريب ممكن أن يقوى الشك لديّ كأن أراه واضعا يده على شعرك على جبينك .. تجلسين جلسة مبتذلة .. فهذه صور تثير القلق وتزرع الشك في نفس الرائي .

ـ لا سمح الله أن أفعل ذلك . وضحكا معا .

... يتبع في الحلقة التالية

روايات اجتماعية

الأخ شريف

الحلقة ٤ والأخيرة

امرأة قديمة

ذات نهار وصاحبنا شريف مشغول الفكر بسفر أخيه إلى جزيرة قبرص التي قسمت إلى دولتين قبرص التركية وقبرص اليونانية ، وما زال الصراع بين تركيا واليونان على تلك الجزيرة التي فتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أخبره سكرتير المكتب أن امرأة ترغب في مقابلته ، فقال دهشا: امرأة ! .. كيف وصلت إلى هنا ؟

ابتسم السكرتير وقال : زوجة أحد الزملاء .

ابتسم هو الآخر بدوره وقال : آ .. فهمت فلتتفضل .

فلما دخلت المكتب تفاجأ شريف حقا بها ، فهو منذ عهد بعيد لم يرها إنها السيدة عبير أخت فواز وزوجة عزمي ، فنهض عن كرسيه محييا ومرحبا ومشيرا لها بالجلوس على أحد المقاعد ، فلما جلست رحب بها ، وقرع جرسا فدخل عامل الخدمة للمكتب قائلا : سيدي !

ـ حسن .. انظر الأخت الكريمة ماذا تشرب ؟ أنا أعرف أنك تحبين القهوة .

قالت باسمة : لم تنس بعد !

فضحك وقال : وكيف أنساك يا سيدتي ؟!.. وأنت أول امرأة اقتحمت حياتي ..

ـ أول امرأة ! .. ألم تتعرف على فتيات المدارس أيام المراهقة ؟

ـ لم أتعرف .. وكنت أنت أول امرأة تعرض صداقتها عليّ ورفضتها .. أنا لم أعرف هذا الذي يسمونه الحب والعلاقات العاطفية .. أحسبه عبثا يا سيدتي عبثا!.. وعندما درست في كلية عسكرية

كانت النساء فيها قلة ، ولا يسمح بالعلاقات العاطفية بين المجندين والمجندات .. وأكثر الطالبات من أبناء كبار الضباط .. ومن الصعب أن يغامر ضابط في تلك الأيام وهو تلميذ مستجد .. أهلا وسهلا

قالها عندما دخلت القهوة ووضعت أمام السيدة ، وانصرف حسن ، ورشفت المرأة رشفة ، ونظرت في عيني شريف الذي كان يراقبها أيضا ، فابتسمت ووضعت الفنجان قائلة : كيف زوجتك المدرسة والأولاد ؟.. لقد نسيت اسمها .

ـ لا حرج ، ليس مهما أن تتذكري اسمها ؛ ولكنها كانت الزوجة اللائقة بشخص مثلي .. يا سيدتي !

ـ والأم الفاضلة ؟

ـ كلنا بخير .. والحمد لله .

ـ رائع يا سيدي! أنا جئت أتحدث إليك بشأن صديق أو أخ لك كان اسمه عزميا.

ـ وما زال صديقا وأخا .

ـ نعم .. رفيق سنوات الكلية والجيش وهو زوجي كما تعلم .

ـ أعلم ، وكان بودي يوم زواجكم أن أشارككم الحضور بشخصي .. لكن كان عندي يومها ظروف شرحتها للزميل عزمي .. أكيد أنك جئت من أجل عزمي.. وليس من أجل رؤيتي.. ماذا تريدين مني ؟

ـ أرجو أن استفيد من هذا اللقاء .

ـ ما الذي ترغبين معرفته عن الزميل عزمي ؟ أنا قد فوجئت حقيقة بزواجه منك يا أخت عبير

تبسمت وهي ترد : وأنا نفسي فوجئت بخطبته لي .. وكنت خارجة من زواج فاشل فقبلته على الفور دون تردد .. لا أدري لماذا ؟! كأني خشيت أن أظل أحمل لقب مطلقة .. جئت أسالك أيها الصديق القديم .. هل حقا عزمي جاسوس ؟!

بحلق شريف لحظات في سقف المكتب وقال لها ببطء : وماذا قال لك الأخ عزمي عندما سمحوا لك بمقابلته ؟

ـ وتعرف أنني قابلته ؟!

ـ هذا جيش يا أخت عبير .. والمقابلة مسجلة .. والسماح بزيارة مشتبه به في قضية خطيرة في الجيش ليس سهلا .. ولولا أخوك فواز .. وابن عم أبيك اللواء المتقاعد ما تمكنت من مقابلته قبل تقديمه للمحكمة العسكرية .. ودخولك عليّ معلوم لأمن الجيش .

ـ نفى أن يكون عميلا لأي جهة .

ـ رغم الخطر في هذا الموضوع هنا ، وحساسية القضية يمكنني أن أقول لك أن الأخ عزميا لم يثبت عليه التجسس لحتى الآن .. هو كان في المكان الخطأ والأصحاب الخطأ .. للأسف بعض ضباطنا لما يكونوا في دورات خارجية يختلطون إلى نساء

تلك الأمم .. وبعضهم يتصرف بغير مسؤولية ، ويقع في الشهوات والسهرات غير الآمنة .. ويظن أحدهم أنه قائد الجيش الأعلى والأكبر ..ويعود لبلده ليعمل كمخبر أو عضو في شبكة تجسس .. وهنا يعاد تأهيلهم وإعادتهم للصف الوطني والمخلص للوطن .. وأولئك يجندونهم بذكاء .. فالبعض يجند تجنيدا كاملا للعمل مع العدو .. والبعض الآخر يوهم بأنه مجند لتضليل أمن البلد .. فالأخ عزمي لحتى الآن يا سيدتي لا يعرف موقعه في الشبكة التي قبض على الكثير من عناصرها .. فقبض بالخطأ على البعض في اجتماع سري أم هو مجند حقيقي وأنا لم اطلع على ملفات التحقيق ، وذلك ليس من اختصاصي .. ولكن بحكم مركزي الإداري أسمع .. فأنا لا أستطيع أن أنفي عنه الجاسوسية ولا أستطيع إثباتها .. ولكن عندي أمل كبير أن يكون بريئا .

ـ عندك أمل حقيقي ؟.. أم تريد أن ترفع من معنوياتي يا سيدي العميد !

ـ صدقي يا سيدتي لو كان في هذه القضية مجال للشفعة والوساطة لساعدت الأخ عزميا للصداقة القديمة بيننا .. ولكن في هذه القضايا لا يصلح التوسط قبل إنهاء التحقيق والمحاكمة .. فعليك بالصبر والتحمل ، ولا أقول لك كفي عن السعي في معرفة موقفه وحقيقة دوره مع احترامي للجميع .. فالأخ عزمي كان صاحب شراب وشره في ذلك .. وهذا لا يصلح أن يكون عميلا

وقالت : أشكرك أيها العميد .. وكلامك واستقبالك لي .. وشجاعتك تؤكد لي أن معدنك أصيل ، وأنك أهل للوفاء .. وأبارك للأم التي ربتك ، وسلم عليها أحلى السلام ، وكذلك زوجتك العزيزة .. فأنت خدمتني أكثر من أخي فواز .

ـ لا تعتبي على أحد .. ففواز موقفه دقيق أيضا .. فهو قريب عزمي وأخ زوجة عزمي ..لا تنسي ذلك .

قال : هذا ما ردده أمامي .

ـ كان الله في عون الجميع .

ـ شكرا مرة أخرى .. ونهضت مغادرة ، ووقف صاحبنا محييا ، وقد ضغط جرسا فدخل السكرتير فقال له : أوصلها إلى الباب يا سيدي الرائد .

كان منزل الأخ شريف في مدينة البركة يعج بالأنوار والأعلام والألوان والصياح ، كان الرجل يحتفل بتخرج ابنه الثاني يحيى من الجامعة فرع الآداب متخصصا في اللغة الفرنسية ، ولقد كان المجال أمامه مفتوحا للعمل في محطة التلفزيون الوطنية في قسم البرامج الفرنسية ، والذي شجعه على دراسة اللغة الفرنسية خاله العامل في تلك المحطة والحامل لنفس التخصص ، بل تلقى

الشاب وهو في السنة الأخيرة للدراسة عرضا للدراسة في فرنسا للحصول على الدراسات العليا وفي أشهر جامعتها السوربون ، أما الابن الأول فكان يدرس في كلية الطب ولم يتخرج بعد ، فالطب يحتاج لسنوات أكثر من الآداب ، وكانت الجدة حسنة تجلس في الحفل كالعروس بين النساء من قريبات وجيران ، وهي فرحة وتغمرها السعادة والحبور، وهي تتودد لجاراتها القديمات من نساء حي العمال ، ولأخواتها وبناتهن ولقريبات وأخوات زوجها ياسر، وكانت تهمس في أذن أخت زوجها التي كانت تجاورها في البيت القديم ، وتستعين بها لرعاية شقيقها عندما تذهب لعمل ما : كنت أتمنى أن يشاركنا هذه السعادة أخوك ياسر رحمه الله .. لكنه سبقنا إلى رحمة الله .

تساقطت دمعات على خد الأخت وهي تقول : يا ليت !.. لكن كان الموت رحمة الله له .. ما عند الله خير لعباده .

كان شريف رغم المنصب العسكري الذي ارتقى إليه يصل الرحم خالاته وعماته وأعمامه وأخواله وبعض جيرانهم ، ويشارك الناس أفراحهم وأتراحهم كلما تيسر الأمر له ، وإن لم يستطع بنفسه كان يرسل أمه ، ومرات يرسل معها زوجه ، فالواجبات الاجتماعية كان يحب المحافظة عليها قدر المستطاع ، ويراها من الأعمال الموروثة والطيبة ولا يجب التهاون بها ، وعوّد أبناءه على ذلك .

وهذه الحفلة قام بها رغبة لأمه ولزوجه وبعد تشاور قبل فعل هذا الحفل ، وتم تزيين البيت بالأنوار ودعوة الناس إلى حديقة بيته الكبيرة .. وتم تقديم الطعام والشراب الطيب للناس .. والشاي والقهوة .. وكان شريف يستقبل زواره من الضباط في الجيش والشرطة والطيران ويرحب بهم أحسن الترحيب .. وكانوا يحيون ليلة من العمر .. فالفرح والسعادة لحظات تعبر في حياتهم يكسبونها من مشاكلهم وأشغالهم في الصراع في هذه الدنيا من أجل التقدم والتطور والمستقبل .. وبعد نصف الليل بساعة انتهى الحفل بنجاح يحيى .. ثم قام العمال المشرفون على الحفل بتنظيف المكان ، وسحب المقاعد وإنزال الأعلام والرايات ، ومع بواكير الفجر اختفى كل شيء كأن لم يكن هنا سهرة واحتفال .. وبعد انصراف العمال دخل العميد إلى حجرته لعله ينام ساعة أو ساعات ؛ ولكنه لم يكد يخلع ثيابه التي كان يستقبل بها ضيوفه حتى ارتفع صوت الأذان في المسجد القريب مناديا لصلاة الفجر.. فاستعد لذلك ، وانطلق لصلاة الجماعة كعادته ولما دخل المسجد وجد أبناءه الثلاثة في صحن المسجد ينتظرون إقامة الصلاة فقال لنفسه : الحمد لله الذي وفقني لتربية هؤلاء الشباب .. ورحم الله من فقدنا من الأبناء .

هو فقدهم أثناء فترة الحمل ، لم يفقدهم بعد الولادة ، وأحس أنه قام بواجبه نحو أبنائه بتوفيق وفضل من الله ﷻ .

بكاء الأم

دخل شريف مساء ذات يوم حجرة أمه داعيا لها إلى طعام العشاء ، ففوجئ بها تبكي وتتنهد فاستغرب وقال قلقا : أمي ما يبكيك ؟!

مسحت الدموع التي أبت الانقطاع وقالت من خلالها : أهلا بك يا شريف يا قرة العين .. تذكرت أباك المسكين رحمه الله .. لو قدرت له الحياة لهذا الحين لرأى ما نحن فيه من نعيم الدنيا وتذكرت أخاك العاق ..

همس شريف متأثرا : رحم الله أبي الرحمة الواسعة .. ما عند الله ﷻ هو الخير كله .. ونعيم الدنيا زائل ومخلوط بالمنغصات والآلام يا أمي .. لا تحزني يا أمي .. دائما الخيرة فيما يختار الله لنا آلاف الناس إن لم يكن ملايين يموتون وهم فقراء.. هذه سنة الله في خلقه.. يولدون فقراء ويهلكون فقراء .. الله هو الذي يقول ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .. وأما الأخ قسيم أنت تعلمين يا أمي كم سعيت للقياه! .. وقد تمنيت أن يكون بيننا .. توقعت أن يعود من السجن لنا للحضن الدافئ .. حضن أمه ..وكنت أنوي شراء بيت له وتزويجه من امرأة صالحة .. ليبدأ حياة جديدة ..وأن يكون قد استفاد من حياة السجن والحبس .. لكنه كما أخبرتك سابقا خرج من الوطن كله ، هاجر لقبرص مع امرأة روسية أو أرملة روسية .

عادت الأم تتنهد وتمسح العينين وتقول : رغبت برؤيته وأن أعانقه قبل موتي .. أحس أن أجلي قد دنا .. وانتهت رسالتي في هذه الحياة ..

ـ أطال الله بقاءك يا أمي .. حتى تقر عينك برؤية قسيم وأحفاده إن شاء الله .. والأمر لله من قبل ومن بعد .. الهم الذي عندك عليه هو عندي .. هو أخي يا أمي .. ونحن فتحنا له صدرنا منذ عهد بعيد .. ولكنه اختار الدرب المؤلم درب العذاب والشقاء .. ماذا يفعل في قبرص؟

ـ رضي الله عنك يا ولدي الغالي .. هيا بنا إلى الطعام فإنهم ينتظروننا .. كنت أنت العوض يا ولدي أنت البر ..أنت العزيز الغالي على قلب أمك .. مات أبوك وهو سعيد بنجاحك وكبر عقلك ومعرفتك لطريقك .. مات وهو راض عليك كل الرضا .. وكان يقول إذا مت مت وأنا مطمئن عليك يا حسنة .. فولدك شريف رجل بمعنى الكلمة .. احتضن شريف أمه وذرفت الدموع وهو يقول : أنتم كل دنياي يا أمي .. لقد كان الألم يعتصر قلبي كلما أنظر لأبي الإنسان مسكين عندما يصبح ضعيفا لا حول له ولا قوة .. لولا الإيمان لهلكنا .

ـ سامحني يا بني على لحظات الضعف التي تنتابني

ـ ابكي يا أمي كما تشائين .. لو تدمع عيناي على أخي لتركتها تهطل الدمع ليل نهار .. السعادة الكاملة لا تتم إلا إذا اجتمع شملنا بأخي قسيم .. هداه الله .

قالت : رفع الله من مقامك يا ولدي .

ـ بارك الله فيك يا أمي! .. لا تظني أن منصبي يجعلني استعر من عودة قسيم إلينا .. أبدا يا أمي وربما قريبا أحال على التقاعد .. فأنا على وشك إنهاء ثلاثين سنة خدمة في القوات المسلحة .. فقد حان لي أن أستريح فلكل بداية نهاية .. الحمد لله الذي وفقنا وأتم عليّ النعم بالزواج والأولاد والأم العظيمة والزوجة الطيبة .. إنني سعيد بكم جميعا .

ـ ما أخبار والدة زوجك ؟

ـ هي بخير ، وستخرج قريبا من المستشفى ، تعرضت لجلطة قلبية خفيفة .. أو بداية جلطة .. وهي بخير وتسلم عليك وتطلب الدعاء لها منك ومن الأولاد .

ـ وهبها الله الصحة والشفاء .

قلب الأم

كان الأخ شريف يدرك إدراكا تاما أن الأم مهما جفاها ابنها وعقها تُكن له الحب والشوق ، هذه هي الفطرة التي فطرها الله ﷻ عليها {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا }وكيف بقسيم وهو ابنها البكر وأول فرحة لها بالأمومة والنضج ؟.. وكان حزينا لضياع أخيه ، ومن ترديه في مهاوي الفسق والشهوات المحرمة ، ومن سلوكه السيئ لنفسه أولا ولوالديه ثانيا .. لقد كان من أعماق قلبه يتمنى أن ترى الأم ولدها القاسي القلب قبل مغادرتها الحياة من فوق الأرض

وكلكم يذكر الجهود التي بذلها لزيارة أخيه في السجن واللقاء به أو بأمه ، وذاك القسيم يرفض بإصرار وعناد ، وخشي أن ينفذ تهديده بالانتحار إن اقتربا من السجن عنوة .

كان قسيم ياسر ينظر إليهما كأنهما سبب شقاوته ومعانته وفجوره ، غير مبال بعاطفة أمه نحوه فهم اجتهدوا وسعوا لمساعدته وانتشاله من أوحال الضياع ، وهو غير حان لأمه ، وغير عابئ بحنان الأم .

هو الذي ترك مدينة والديه راحلا للعاصمة باختياره طامعا بفرص عمل أكثر ومال أكثر.. مع أنه كان بإمكانه العمل سائقا عند أصحاب السيارات وخطوط النقل في البركة .. فأمه هي التي دعمته بالمال المتوفر لديها ليتعلم القيادة بعد فشله في احتراف أي حرفة .

هذا كله أيضا يتذكره شريف بينه وبين نفسه ، ويتعجب من قسوة قسيم ، وكان يتوقع أن يطلب لقياهم وهو يقبع في السجن ، ويفتح معهم صفحة

جديدة وحياة جديدة .. وكان يمني نفسه أن يقدم له شيئا ماديا يعيد الصفاء لأمه المهمومة عليه ..عادت به الذكريات لأيام مرض والده وتذرع قسيم بضعف أبيه ورغبته بترك المدرسة ؛ ليكون سيد البيت والمعيل للأسرة .. فعمل نجارا .. وعمل حدادا .. وعمل في تركيب المواسير التمديدات الصحية ..والتدفئة المركزية ومع البنائين .. لم يعرف الاستقرار في مهنة .. ولا حتى مع الباعة .. حتى حصل على رخصة القيادة .. فظن أنه أصبح قائد طائرة بوينج .. ثم هاجر لعاصمة الأحلام .. ولم يرسل شيئا من المال للأسرة القلقة بحجج كثيرة ..ومع ذلك كان يستقبل ويرحب به كأن شيئا لم يحدث وليس مطلوبا منه شيء .. أين عداوتنا له التي يزعم ؟! .. رفضي لأموال الزكاة لأن حاجتنا إليها انتهت.. ولكن قلب الأم مليء بالعطف والحنان والحب .. مهما فعل الابن .. قد يبدو قاسيا في لحظات معينة ولكنها لحظات خاطفة قصيرة .. وتجلت قسوته عند وفاة أبيه لم يحن لأمه ويشفق عليها تلك الساعة .. يا إلهي رحماك !

وأنا مهما أساء لي لا يهم ، أما أمه وأبوه لا يصح .. يا الله ارحمنا ! .. أبي مات بحسرة .. كان يسأل عنه كلما عاد لوعيه في أيامه الأخيرة .. هل جاء العاق ؟! هل أتى العاق ؟! ..كان يرغب برؤيته وهو يغادر الدنيا .. يراه وهو يحتضر.. ورغم الرسائل التي كانت ترسل إليه من أبناء الحي والأقارب .. كان لا يعيرها أدنى اهتمام ..وها هي الحبيبة التي أحببتها الحب الكبير تردد نفس الأمنيات .. يا الهي لا تحرمها من رؤية الولد العاق قبل مغادرتها دنيا الأحياء .. سأعاود الاتصال بالزميل دبور مدير البحث الجنائي .. يجب يا قسيم أن تأتي لترى أمك .. لتعانقك يا قاسي القلب .. أنت زعلان مني ..أمك لماذا تزعل منها ؟! وتسبب لها كل هذا الألم والحزن .. يريد المجرم أن يرتكب جريمته وبوائقه ولا يعاتبه أحد .. وينكر عليه تلك الأفعال .. يريد أن يقتل ولا يعاقب بالسجن أو الإعدام

بعدما تذكر هذه الصور والمشاهد التي مرت بهم دخل مكتبه واتصل بالضابط دبور مذكرا له بنفسه ، فأكد له الرجل أنه لم ينسه ، وما زال يذكره ، وما زال يتابع وعده، وسوف يعاود الكرة الليلة بالحديث مع زملائه في المطار ، وحتى مع نقاط العبور البرية والبحرية ، فشكره شريف وقال : إنها رغبة أمي العجوز أن ترى ابنها قبل الموت .. واعلم يا صديقي أنني أكون أسعد إنسان لو تحققت هذه الرغبة لنا .. لها أكثر من عشرين سنة لم تره .. ابن عاق جاحد .. لا يعرف ما في قلب الأمهات .

من اجل الأم

كل متابعات العميد دبور كانت نتيجتها سلبية ، فمنذ غادر الرجل البلاد جوا لم يعد إليها بعد ووعد العميد شريفا بالاستمرار في الانتظار ، ووضع اسمه على قائمة المطلوبين لمراجعة الأمن عند دخولهم البلاد ، وتسمي العامة هذه القائمة بالقائمة السوداء ، وذهب شريف بزيارة خاصة لزميله في دائرة البحث والتحري الكبرى ليشكره على تعاونه ومساعدته ، ومن ثم قص عليه بعض قصته مع شقيقه قسيم .



واتفق شريف على دعوة زميله إلى غداء في أحد صالات الفنادق الكبيرة ، ورفض اعتذار الرجل وأصر على ذلك الغداء ، وغادر مبنى الدائرة آملا بسماع أخبار من جزيرة قبرص ، فمدير الدائرة وعده بالاتصال ببعض زملائه في قبرص ، ووفى بوعده فاتصل بالعميد شريف وأخبره أن أخاه قد انتقل إلى اليونان ، وأنه قضى أسبوعين في قبرص فقط ، فاعتذر شريف عن إشغاله صديقه بقضية خاصة، فرد العميد دبور : أتخيل أنني أقدم خدمة لأمي يا أبا ياسر .. الأم غالية عندنا .. فتحياتي لأمك وسلم عليها سلاما خاصا مني .. والأمر بيد الله ﷻ وأرجو أن يعود الرجل وما زالت أمك على قيد الحياة وبصحة جيدة إن شاء الله .

فسر شريف لهذه الكلمات وقال : إنني عاجز عن شكرك يا سيدي العميد

وبعد هذا الاتصال بأسابيع اتصل العميد دبور ليلا مخبرا السيد شريفا بدخول أخيه قسيم قبل دقائق البلاد ، وأنه سمح لشرطة المطار بعدم توقيفه ، وأنه غير مطلوب للبوليس وأن المطلوب مراقبته فقط ، وأخبره أنه قادم من إيطاليا وبصحبة تلك المرأة الأجنبية، وأن رجالنا شاهدوه يركب سيارة أجرة لقلب العاصمة ، ولسوف نعرف مكانه فيما بعد .

ـ شكرا لكم جميعا .. عسى أن نعرف أين استقر ؟ ولسوف أذهب لبيته وأتواجه معه لعله يلين ويرضى بزيارة أمه قبل فوات الأوان .

وفي اليوم التالي لدخول الرجل البلد ، وبعدما قام شريف ببعض واجبات العمل وانتصف النهار تحدث مع ذلك البقال الذي وصله بأخيه يوما .. ولكن البقال خيب ظنه وأخبره أنه منذ زمن طويل لم يره وعلم أنه مسافر .. فأدرك شريف بأن أخاه لم يمارس مهنته بعد .. وأن عليه أن ينتظر أياما لعله يظهر قبل أن يلجأ للشرطة من جديد .. وتساءل من جديد : من هذه المرأة التي صحبها لأوروبا وعاد معها ؟! هل تزوجها ؟ لابد أنها من غواني البلد .. فالطيور على أشكالها تقع ..أليس هكذا

يقول هذا المثل ؟ .. سنعيد الكرة مع هذا البقال .. وأعاد الكرة خلال الأسبوع عدة مرات .. والرجل يؤكد له عدم عودته للعمل على خط السير .. وأن رفاق الخط يؤكدون عدم مجيئه من السفر

فوضع السماعة بحدة وهو يقول : هل يرفض الحديث معي هذا اللعين ؟ فيطلب من البقال إنكار وجوده .. سنعود لرجال الشرطة هم الأقدر على الإجابة .

من أجلك يا أمي سأفعل كل شيء .. ولن اهتم بهذه النجوم المعلقة على كتفيّ .

مهمة خارجية

وبينما السيد شريف يسعى ويجد للقاء أخيه العائد من أوروبا كلفته القيادة بالسفر في رحلة مشتريات للقوات العسكرية ، وبزيارة معارض عسكرية في أنحاء متفرقة من العالم ، وذلك ضمن لجنة شكلت لهذا الغرض ، وهذه اللجنة أحيانا تستغرق شهورا وهي تدور في المعارض العسكرية ، وتتجول في مصانع الأسلحة العالمية لعقد الصفقات ، وتتكون اللجنة من عدد كبير ومتنوع من الضباط للشراء وشحن الصفقات للبلاد .. فرافق الرجل اللجنة مندوبا عن سلاح الهندسة العسكرية .. والرجل متفان في خدمة وطنه وجيشه، ومنفذا لكل ما يطلب منه بدون تردد .. ربما تكون هذه المرة الوحيدة التي تمنى فيها أن لا يذهب في هذه الرحلة الطويلة للمشتريات والتجوال .. وفكر في الاعتذار ؛ ولكنه لم يعتد على هذا التخلف والاعتذار عن أي مهمة توكل إليه .. ولكن حلمه بأن ترى أمه أخاه العاق كان يلح عليه بالاعتذار .. وأمام الواجب الوظيفي ورغبة قائد الجيش على سفره .. رضي بمرافقة البعثة العسكرية ، ولم يبدُ عليه أي اعتراض، وإن بدا مهموما وقلقا على غير العادة التي يعرفه عليها كبار الضباط مما دفعهم عن الاستفسار عن سبب هذا الهم والحزن .. فتظاهر بكبر السن وضعف أمه وخشيته من موتها أثناء هذه الرحلة .

هم يمرون على المعارض التي دعوا إليها ، وقد يعقدون صفقات شراء بعض الأسلحة التي راقت لهم وهم يزورون أيضا مصانع لعقد صفقات توريد أسلحة وقطع غيار .. واستمر هذا العمل ثلاث أسابيع على الأقل في كل دولة قبل أن ينتقلوا لغيرها .. وربما يسبق بعضهم بعضا لمشاهدة عرض في أحد المعارض قبل إغلاقه مع أن معارض الأسلحة ربما تطول مدة العرض فيها عن المعارض الأخرى كالكتب والثياب وغير ذلك .

لقد كانت هذه الرحلة من أصعب الرحلات على نفسية صديقنا شريف خاصة .. ففي الرحلات السابقة كان يصاب بالفرح والسعادة ، وكان أحيانا يسعى إليها بنفسه .. ففي هذه البعثات تغيير

روتين .. سياحة في الأرض .. فائدة مالية خاصة ..فيستمتع المكلف بمشاهدة بلدان العالم وعادات الشعوب المثيرة للدهشة .. ومن عادة السائح التردد على الأماكن المبهجة للنفوس .. ويرون ما صنعه الإنسان على مدى التاريخ ويرون الأنهار العظيمة التي تخترق المدن فيعجبون من صنعة الباري ، ويلحظون التنويع البشـري في ألوان وصور الناس والمخلوقات ، واختلاف الألسن، وكيف يقف الإنسان كالأخرس ليفهم الآخرين بلغة الإشارة .. أو استخدام لغة وسيطة ..ألم يقل الله تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ} [الروم: ٢٢]

عمل غير مريح

وبينما الرجل يتنقل في بلدان العالم مع الفريق بحثا عن جديد الأسلحة أخبره ابنه ياسر عبر الاتصال المتواصل بينهم أن أحد الضباط اتصل بالبيت يسأل عنه ويرغب بالحديث معه، فأخبرته أم ياسر بأنه غير موجود ، ولم تحدثه بسفره ، ولما عاود الضابط الاتصال رد عليه ياسر، ولما علم بأنه مدير البحث الجنائي في عاصمة الدولة أعلمه بسفر الوالد في مهمة عسكرية خارج البلاد .

لما علم شريف بهذا الاتصال من العميد دبور أعلمهم أنه صاحب له ، وأعلمهم أنه سيتحدث معه ، فاتصل بمديرية البحث الجنائي الرقم المعروف لكل مطالع ومهتم ، فهو ينشـر عادة في الصحف المحلية وأدلة الهاتف .. فهو رقم غير سري .. فرد عليه عامل السنترال (المقسم) فطلب العميد دبور بعدما عرف بنفسه ، فلم يرد أحد من مكتبه ، فحول الاتصال لمساعد المدير الذي رحب بالعميد شريف ، وأعلمه أن العميد دبورا في مهمة .. وأنهى الاتصال ووعد باتصال آخر في وضح النهار .

وقد كان على أعضاء اللجنة في الصباح التالي الانتقال إلى بلد جديد لذلك تأخر الاتصال بالعميد دبور بعض الوقت .

وكان الاتصال كما هو معلوم لنا سيكون حول قسيم شقيق شريف ، فبعد التحية والمجاملات التقليدية أخبره العميد أن شقيقه على وشك فتح وإنشاء نادي ليلي ، وأن سفره لأوروبا كان للتعاقد مع بعض بنات الهوى للعمل في النادي .. وعلم منه أن السيد قسيما سيكون مدير النادي ومعه شريكته نبيلة زوف ، وهي امرأة أجنبية كانت متزوجة من رجل عربي كان يدرس في بلادهم ، ولما عاد عادت معه ، ثم ترملت عنه .. ولما خرج قسيم من السجن زارها عدة مرات فهي معرفة قديمة له، ويعرف زوجها قبل جريمته ومكثه في السجن .. وهي امرأة بغي خلاصة الكلام .

فقال شريف : هي إذن ممولة النادي الليلي .

ـ مع احترامي لشخصك الفاضل .. فهي تعيش معه كزوجة أو عشيقة مثل الأجانب الذين نسمع عنهم .

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله ..وماذا سنجني من علاقة شبابنا بالأجانب غير التقليد الأعمى والانحلال ؟!.. أشكرك يا سيدي الكريم على هذه المعلومات التي لا شك أنك تعبت للحصول عليها .. فالنوادي الليلة اليوم من علامات الانفتاح والحداثة في بلادنا .. والخمور اليوم مباحة في أكثر بلاد المسلمين .

ـ نعم يا صديقي.. فالدول اليوم تسمح قوانينها بفتح مثل هذه الأماكن .. والهدف المعلن منها الأجانب ..السياح وسائقو الشاحنات الترانزيت .. ليرفهوا عن أنفسهم ويقضوا شهواتهم الجنسية .. ولكن للأسف أكثر زبائنها من أبناء البلد .. فروادها الشباب الفاسد .

ـ أصبحت بلادنا كسائر دول العالم ..في الترفيه والمجون .. أشكرك أيها الأخ العزيز عندما نعود سأتحدث معك .. وكلي ضيق وألم من رؤية هذا الإنسان وكيف سألاقي قوادا؟! .. مأساة يا سيدي ! كنت آمل إصلاحه وتوبته بعد قضاء أكثر من عشر سنوات في السجن ، مهنة عجيبة في هذه الدنيا.. بيوت دعارة تسمى نوادي ليلية .. أهناك نوادي نهارية ؟!

ـ لو أنك مثلنا في الشـرطة لرأيت وسمعت العجب العجاب .. قضايا أخلاقية كثيرة ومرعبة الانحلال يزداد رغم الجهود التي تبذل للتخفيف والتقليل منه ، وليس القضاء عليه . ووضع السماعة وهو يتذكر عبير وفوازا وعزميا.

الحزن

عندما تخلى شريف عن السماعة صدم أو شعر بصدمة لهول ما سمع .. أخوه أصبح مدير نادي أو ملهى ليلي .. خمار.. بيت للزنا والخمر.. تمنى لو تبكي عيناه كما يبكي قلبه وهمس : يا للعار!.. يا للخزي!.. أصبح أخي قوادا يدير بيتا للدعارة ..إنا لله وإنا إليه راجعون ..أعلم أن أناسا اليوم في بلاد المسلمين لا يستهجنون ذلك .. ويرون ذلك تجارة ومالا وربحا .. بل هناك أناس تستكثر على الصالحين بناء المساجد والمعابد .. إنما هو التقليد للغرب على قدم وساق ، ولا أحد يمنع ذلك التقليد الأعمى بحجة الحرية الفردية .. بحجة الترويج للسياحة والاقتصاد .. أعلم أننا شعوب غارقة في الاستعمار .. وتنهد بحسرة وعمق وقال لنفسه : وأعلم أن حالنا اليوم لا يسر صديق ولا عدو .. دور البغاء في عرض البلاد وطولها

وعاد يهمس بعد صمت وصفون : الدين اليوم في المعابد فقط .. في المجلات الإسلامية والصحف

الإسلامية.. في المعاهد الدينية ومدارس القرآن فقط ..ألا نقرأ في الجرائد قصصا يشيب لها الولدان عن التحلل والفجور ؟! ..لماذا المتغربون الأوائل لم يأتونا بخير الحضارة الأوروبية ؟! .. العلم .. المصانع ..السلاح القوي .. الطائرات .. أشياء كثيرة كان عليهم أن يعتنوا بها ..احضروا لنا الترفيه والسخافة .. وينتشر السفه بقوة وسرعة ..أخي ابن أمي وأبي يحترف البغاء والزنا .. ماذا أقول لأمي ؟!.. ابنك أصبح زعيم ملهى دعارة .. يأخذ راتبه ومصروفه من وراء الفاجرات .. وهذا كسب خبيث .. يا إلهي لو تعلم أمي الشـريفة بهذا الانحدار لقسيم لخرت هالكة .. يا رب أعني على إخفاء هذا الأمر عنها.. تموت خير لها أن ترى ولدها قوادا .. سافر ليجلب بنات هوى لناديه .. لا يوجد في بلادنا غانيات وراقصات وساقطات .. ربما الأجنبيات يجلبن الزبائن أكثر .. لهذا الماخور .. وهذا بالتأكيد ليس أول مكان لمثل هذه القبائح .

يا إلهي .. هل يمكن إصلاح هذا الإنسان ؟ السجن خمسة عشـر عاما لم تردعه عن الفجور وتعيده للدين والإيمان ..هل طبع على قلبه ؟! ..عار لكل العائلة .. وأي عار؟ يا الله .. ليس لنا خلاص من هذا العار إلا بموته .. بموته ..!! يجب أن يموت هذا الإنسان القذر .. المجرم اللعين..

يموت.. يقتل .. هل نغمس أيدينا بدمه ؟.. لا .. لا .. لا.. إلا القتل .. يقتل الأخ أخاه .. ويح قلبي .. أقول لأمي ابنك أصبح كذا وكذا .. أقول لأولادي عمكم كذا وكذا .. لو كنا في بلاد ضالة .. بلاد لا دين فيها .. لهان الأمر .. فليس بعد الكفر ذنب .. كيف النجاة من هذه الفضيحة ؟ من هذا العار ؟ .. لو كنت من عائلة فواز وعزمي لربما هان الأمر عليّ .. ونظرت إليه نظرة تجارية .. مشروع يدر دخلا .. ولكن هل يقبلون هم مثل هذا العمل ؟ ماذا سيقول عنا أهل البركة ؟!..نحن لا دخل لنا ، نحن ناس أشراف .. وقسيم هجرنا منذ عشرات السنين .. لكنه يبقى أخي.. ولا يهمنا كلام الناس .. ولكن سمعة العائلة ..المهم أمي ماذا سيصيبها لو علمت بمصير ابنها العاق ؟ .. لقد بدأ بتدمير حياته منذ عهد بعيد .. ونحن ضعفاء ماديا نأكل الخبز من إحسان الأغنياء والقادرين ..ألم يكن يرافق الشباب الفاسد إلى مدارس البنات يترصدونهن للعبث ؟!..ويكتب لهن رسائل الحب .. أي حب ؟ الحب الكاذب .. وكان يطير من الفرح عندما تخاطبه فتاة وتسير معه في الشارع .. أو تكتب له رسالة كنا نعتبر ذلك زمن مراهقة .. يومها بدأ فساد قسيم .. نعرف ونسمع أولاد الجيران يتحدثون عنه ونسكت ونعتبر ذلك فعل جهال .. هذا كان أول الفساد ..

ولكن ماذا كان بوسع أبي أن يفعل؟ أبي العاجز الضعيف الذي يعيش على الصدقة .. أمي العاملة في بيوت الأغنياء.. ماذا ستصنع لرجل ظن أنه سيد العائلة وحامل مسؤوليتها ؟! .. وأنا .. الابن الصغير .. لا يجوز لي التدخل في حياة الكبير .. عليّ بالصمت.. ألم يتطور الأمر ويعاكس بنات الجيران وبعض بنات الأقارب؟! ..ألم تشكو بعض الأمهات أفعال قسيم لأمي ؟ ويعتذرون بالمراهقة والجهل والصغر وغدا يكبر ويعقل .. فهذه هي نتائج الجهل والمراهقة؟.. ألم يكن داعرا وتزوج من امرأة منحرفة؟.. ألم يتخلَ عن والديه ؟.. ألم يقتل ويسجن ؟.. فالملهى الليلي هو العمل المناسب واللائق به ..

كيف الخلاص ؟! ..الموت.. لا خلاص لنا من هذه الكارثة إلا بالموت .. أعصابنا لا تحتمل مثل هكذا حياة ..نحن لسنا أبناء أوروبا ..

وبعد لحظات عاد يردد : أنت تكبر الموضوع يا شريف ..ما أنتم طول عمركم لا تسألون عنه.. لماذا أنت مهتم به اليوم ؟.. لماذا أنت مهتم بما يصنع ؟.. ليفعل ما يشاء ..لا داعي أن ترى أمك ابنها العاق.. بعد كل هذه السنين .. فلتمض الحياة كما مضت في السابق ..لا تزر وزارة وزر أخرى أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟! أين التعاون على البر والتقوى ؟! القضية أعقد من ذلك.. هو قد رفض لقاءنا وهو في زنازين السجن .. سلم أمرك لمولاك وادع لأخيك بالتوبة والهداية والنجاة من عقاب الله .. أيكفي هذا ؟ ماذا ستفعل ؟! ..

أمضى صاحبنا شريف عددا من الليالي مهموم الفكر ، ويعصره الألم والحزن على سقوط أخيه السقوط الذريع في الفجور والرذيلة.. وتتنازعه الأفكار المعتمة شرقا وغربا ، ويقارن في بعض الأحيان بين عادات أهل الشرق وأهل الغرب ..كان منزعجا لوضع أخيه .. كان يأمل أن ينتشله بعد ضياع تلك السنوات .. وأن يجعله إنسانا محترما فاضلا يمشي وهو مرفوع الهامة .. فقال : نحن أبناء حضارة عريقة .. تحرم الفاحشة والفواحش ما ظهر وما بطن .. في بلاد الروس ربما مثل هذه الأعمال تجد قبولا بين بعض فئات المجتمع .. ما الحل للخروج من هذه الورطة ؟ .. لقد تأخرنا في علاج الأخ قسيم .. استفحل الداء .. ماذا كان بوسعي أن أصنع له وأنا الأخ الأصغر.. وأب مشلول وأم ضعيفة تسعى لجلب الدواء لأب جريح ؟.. ماذا تفعل لشاب متمرد ولا يحسب حساب أحد ؟ .. شاب ناقم على المجتمع وعلى الأسرة .. وأنا قصرت كثيرا في البحث عنه .. لقد انتهى من حياتنا هكذا اعتبرناه .. ولولا لقائي بسمير .. ما علمت شيئا عن سجن

أخي .. ولو كنا معه في أول القضية ربما وجدنا منه صفحا وندما.. تأخرنا.. لماذا لم يكتب لنا ؟ أو يتصل بنا ؟ ..كان يسير إلى الهاوية ونحن غير مكترثين صممنا آذننا عن سماع أخباره .. لقد كنا مسرورين ببعده عنا وإن لم نصرح بذلك.. علنا كنا نخشى من أعماله الخبيثة وسمعته السيئة .. كنت في مطلع الشباب والاهتمام بأبي ورعايته وأمي الأهم عندي.. نسيت قسيما أثناء قيامي بهذه المهام .. الحل أن نسلم الأمر لله وحده .. كنت أرغب بأن أساعده للزواج من جديد .. وشراء بيت له ولزوجه .. وكنت أحلم أن أفتح له متجرا قرب بيته الجديد .. محل شريف ونظيف.. عليّ بمقابلته وعرض هذه الأشياء عليه .. نعم عليّ أن أسعى إليه ولكنه صديق لامرأة أجنبية يعيش معها كزوج ..وها هي ستفتح له ماخورا !.. وهذا العمل يستهويه عليّ أن أحاول .. أرسل له شخصا شفيعا .. ومن يكون هذا الشفيع بيننا ؟ إني أجهل حياة أخي جهلا تاما .

ومن كثرة الهم والضيق الذي أحاط به من سوء ما سمع عن مهنة أخيه أحس بآلام في صدره مما اضطر اللجنة أن تدخله أحد المستشفيات للمراقبة خوفا من التعرض لجلطة قلبية ..ورغم دخوله المشفى ظل الغم مسيطرا عليه ، بل تدهورت صحته بسبب تفكيره الطويل في القضية ، وترسخ لديه الاعتقاد أنه قصر كثيرا في حق أخيه .. كان عليه أن لا يقاطعه .. ولا يهجره .. والتغافل عنه .. كان يلزمه متابعته رغم زواجه الغريب والشاذ في نظرهم .. وأنه كان ضعيفا وحده أمام أهل تلك المرأة .. وأحس بالندم ولام نفسه .. بل لام أمه.. فقد كان عليها أن تدفعه لإنقاذ أخيه .. فقال صارخا في قلبه : كيف صارت الأمور؟!.. كانت أمي تخشى عليّ الغضب نحوها لكرهي لقسيم .. هل أخطأنا في حقه فعلا ؟ أم أني أضخم القضية ؟.. الظروف التي أحاطت بنا يومذاك جعلتنا نركب رؤوسنا ..وسمعته السيئة جعلتنا نتخلى عنه ونهمله ..

منع الرجل من الاتصال ببلده ، عملوا عليه عزل حتى يسترد الصحة .. فقام الرفاق بالرد على اتصالات الأسرة ..وأخبروهم أنه مريض معلول وطمأنوهم على صحته ..

وبينما شريف يعاني في المستشفى ، وقد ظهرت عليه أعراض الجلطة القلبية .. من الألم الشديد في الصدر .. والتعرق والإجهاد .. فقد أرهقه التفكير أو الندم .

كان هناك في النادي الليلي الذي يديره قسيم وعشيقته زوف تجري السهرات الماجنة ، وتعاقر الخمور حسب رغبات الزبائن والرواد وحسب ما يملكون من مال .. وكان أصحاب اللذة والفسق

يترددون ويلجئون إلى هذه الأماكن لقضاء شهواتهم الجنسية ، ويشربون الخمور .. وبنات الهوى تملأ النادي .. وأغلب رواد الملهى والنادي سائقو الشاحنات الكبيرة الذين يمرون من البلاد في طريقهم لبلادهم فيتركون سيارتهم في أطراف المدينة ويدخلونها للسكر والعربدة فقد كان مكان اختيار الملهى قريبا من محطات دخول السيارات الكبيرة .. وكذلك الشباب الفاسد من معارف قسيم يرتادون المكان .. وزوف الروسية بائعة الهوى معروفة لطالبي اللذة قبل لقائها بقسيم.

وذات ليلة جاء طالب هوى ، ودخل إحدى غرف الملهى لقضاء الشهوة .. وقاده أحد خدم الملهى إلى حجرة ليمارس الزنا مع إحدى البغايا ..ولما أضاء الحجرة .. لينظر الفتاة المحظوظ بمضاجعتها هذه الليلة .. طار صوابه وصحا من سكره .. فقد وجد أن الفتاة شقيقته.. وهي صاحت دهشة ورعبا كذلك .. فقال بدون وعي : ماذا تفعلين هنا؟!

ولم ترد عليه وظلت صامتة ؛ لأنها مستغربة لسؤاله في مثل هذا المكان ، فأعاد السؤال صارخا فقالت بوقاحة : الذي تفعله أنت ؟ ماذا يفعل الناس هنا ؟

أدرك أن سؤاله سؤال غبي فعاد يقول : ألك زمان ترددين على هذا الوكر؟

فردت بوقاحة الفاجرات : منذ أن فتحه صاحبك قسيم .

ـ إنك مجرمة !

ـ أتحله لنفسك ولا تحله لي ؟!من أنت لتحاسبني ؟!..أنت وأنا سواء ..

ـ ألم أحذرك من ارتياد مثل هذا الأوكار ؟!

ـ أتنفق عليّ ؟!

ولبست ثيابها ، وحاولت الخروج ، ومنعها قائلا : بيننا حساب ، ودفعها بقوة فوقعت على الأرض وصرخت بأعلى صوتها ، فأسرع فتوات النادي مسرعين للحجرة ، ودفعوا الباب دون حياء وهم يصيحون : ماذا يجري هنا ؟

وكان الشاب الفاجر يصرخ وفي حالة هياج ، ويضرب المرأة بكلتا يديه ، فأمسكوا به ، وأخرجوه ، وهم يضربونه بقوة باللكمات والصفعات ، حتى أتاهم المدير قائلا : مالك يا رجل لماذا تضرب تلك المرأة المسكينة ؟!.. أأنت جئت لتمتع شبابك أم جئت لتعارك النساء ؟

فصاح وهو يعتدل قائما ، وقد توقف الفتوات عن ضربه : يا مجرمون .. يا قسيم يا ملعون .. الملعونة إنها أختي!

ـ أختك يا للهول !.. هذه أختك ؟!

ـ أجل .

ساقه قسيم إلى غرفة خاصة بصحبة فتوات النادي

ـ هؤلاء الفتوات يعملون في مثل هذه المواخير

لإخراج الزبائن الذين لا يرغب بوجودهم ـ وأخذوا في تهدئته ، وأحضر له قسيم قنينة خمرة فاخرة على حساب النادي ، وقدم له كأسا وقال : صدق أنني لا أعرف أنها أختك .. فتيات يطلبن العمل فنسمح لهن يا سيدي .. سأطردها وأحذرها من التردد علينا من أجلك هدئ أعصابك يا ابن الحلال .. لو كانت هذه أختي لتركتها تفعل ما تشاء ما دامت قد اختارت هذا الكار .. اذهبوا به إلي ... لينسى همه ويجدد نشاطه

فصاح الشاب وقد أفرغ الشراب الذي قدم له في جوفه : أختي فاجرة .. أنا أختي فاجرة !!

فقال له أحد الشباب : هون عليك .. هي حرة مثلما أنت حر.. امرأة غير سائلة عن شرفها لماذا تغضب نفسك وتزعل ويحمر وجهك عليها ؟ .. هل نحن في جامع ؟!.. نحن في ملهى.. دعك منها وانس ما يسمونه الشرف والغيرة المزعومة.. وها هو المعلم سيطردها من هنا من أجل شواربك .. بس .. لكن دور الدعارة كثيرة يا زعيم ..

فقال قسيم معترضا : هذه ليست بيت دعارة .. يا رجل .. هذه خمارة .. من أجل سواد عيونه انتهى رزقها عندي .

فعاد الرجل يحملق في الوجوه المحدقة به ويقول : أختي زانية !

فقهقهة بعضهم وقال أحدهم : زانية !.. وهي آتية هنا تعمل ماذا ؟! .. تتعبد .. ما هو أنت مثلها ، لا تكبر الموضوع .. ستطرد من هنا وستذهب لنادي آخر .. اشرب كأسك ..ومتع نفسك وانس غيرك .. ها هو المعلم سيخسر فتاة من أجلك .. فحيوا المعلم يا شباب .

فصاح الشاب وهو يقذف الكأس على الأرض بعد أن أفرغها في جوفه : أنا مجرم .. أنا نذل .

فسمع أحدهم يقول متهكما: أأنت لليوم لا تعرف أنك نذل وحقير وحثالة المجتمع ؟! كأنك لم تعرف نفسك لليوم .. فكما تحب أن تتلذذ على بنات الناس .. هناك من سيتلذذ على بناتك لا تكن أنانيا يا عم .

وأخذ السكارى بالقهقهة والضحك العالي ، وأخذوا يقرعون آذانه بالنكت والكلمات الجارحة ويتلذذون على مصيبته وذله.. حتى قال المعلم : هي (...) تنتظرك .. انس يا رجل

وأخذ الشاب كأسا من أحد الرجال وشربها على جرعة واحدة ، ثم قذفها على الأرض بقوة مثل السابقة ، وغادر المكان يترنح وساخطا ؛ كأنه يكتشف عهر أخته لأول مرة .. أو أنها تزني أول مرة .. وإنما جاءت لهذا الملهى الليلي بعد أن ملّت من الزنا إذا كان هناك ملال .. بنات الليل يتنقلن من رجل فاسق لآخر من أجل المال .. ورغم وجود الأمراض الجنسية الكثيرة فهن لا يبالين

لأنهن استمرأن هذا العمل القذر والتجارة بفروجهن

وفي اليوم التالي عاد هذا الشاب إلى النادي ، وسأل عن أخته ، فأخبره المعلم قسيم أنه صرفها ، وطلب منها أن تبحث عن مكان آخر .

ويبدو أن الشاب لم يصدق قسيما ، فأخذ يدخل حجر البغايا حجرة حجرة حتى صاح فيه المعلم : هذه وقاحة وقلة أدب ..أنا ساكت عليك من ليلة أمس .. وأنا راعيت شعورك .. وأنت عامل نفسك شريف .. وأنت تعلم أن هذه الأماكن لا يرتادها الأشراف .. اسمع المحل في خدمتك وإلا سأدع الرجال يرمونك في الشارع .

فنظر الرجل إليه لحظات وكان يقف أمامه متحديا .. ونظر إلى زوجة قسيم التي كانت تجلس خلف طاولة تدخن السيجار .. وكان بعض الرجال يقفون حولهم يتابعون المهزلة كما يقولون.

وابتعد الشاب الناقم خطوات عن المعلم قسيم ، وخلع معطفه وطرحه أرضا وهم ينظرون إليه بدهشة، ولا يدرون لماذا يفعل ذلك؟! .. ولكنهم شاهدوه يخرج رشاشا ويطلقه عليهم قبل أن يدركوا الأمر .. وعلا صوت الرصاص والصـراخ والركض وظل الرجل يطلق الرصاص والصياح حتى انتهى مخزن الرصاص .. ورمى الرشاش على الأرض .. وخطف زجاجة خمر وشربها وهو يقهقهه منتشيا بجريمته .. ثم لبس معطفه وغادر الملهى .. ولكنه عندما وصل مدخل العمارة .. وجد رجال الشرطة على الباب .. والناس وأصحاب المحلات متجمهرين أمام البناية

وهرعت سيارات الإسعاف وسيارات الشـرطة .. واعتقل الرجل الغاضب .. فقد اتصل أصحاب المحلات بهم فور سماع الرصاص في الطابق الثالث حيث يقبع الملهى الليلي .

ونقل الجرحى والقتلى إلى المستشفيات .. واعترف الرجل بجريمته ودوافعه للجريمة .. ولفظ قسيم أنفاسه الأخيرة في المستشفى .. وكان يردد وهو يموت : سامحيني يا أمي !.. سامحيني يا أمي !

هذا ما أخبر به أحد المسعفين المرافقين له أثناء نقله للمستشفى لأولاد السيد شريف .. عندما تحدث معهم العميد دبور ناقلا لهم خبر وفاة عمهم قسيم .. ولما علموا بذلك المصاب أخبروا جدتهم بعدما شعرت بما هم فيه من قلق وحزن .. وقالت بصبر: إنا لله وإنا إليه راجعون .. أريد أن أراه .

وبعد تشاور ذهبوا جميعهم إلى المستشفى الذي يرقد فيه الجثمان .. واستقبلهم الضابط دبور عند المستشفى وقدم لهم العزاء ، وقال لأم شريف : كنت أتمنى أن تريه يا أمي وهو حي .. وكنا نسعى أنا والأخ شريف لذلك ولكن سبق السيف العذل

كما يقال .

ـ الأمر لله يا ولدي ..

دخلوا إلى حيث ترقد الجثة قبل تشريحها .. وقبلت الأم ولدها وهي تذرف الدموع الغزيرة وهي تقول : لي أكثر من عشرين سنة أنتظر عودته ورؤيته .. ما أقسى قلبك يا ولدي !! إلى رحمة الله إلى رحمة الله

ثم أخذها أحفادها إلى خارج المبنى حيث ينتظرهم صديق والدهم فقال لهم : عظم الله أجركم وأنا حاولت الاتصال بوالدكم للمجيء وحضور جنازة أخيه الذي كان يسعى للقائه منذ سنوات وسنوات .. ولكنه بعافية .. ولسوف يصل قريبا .. واطمأنوا عليه أنه بخير

قدم الشباب الشكر الجزيل للعميد دبور على جهده معهم ، ودعا لهم الرجل ، وقال : أنا أعتز بصداقة أبيكم .. وهو أخ فاضل وأنا في خدمتكم

أخذ الطبيب ياسر جدته إلى المستشفى للقيام ببعض الفحوصات ومراقبة قلبها بعد هذه الصدمة ، ووجدها بحالة جيدة ، وبعد ذلك عادوا لمدينة البركة للاستعداد لاستقبال الجثة ليجري تشيعيها حيث تريد الأم حسنة .. فهم لم يروا عمهم حيا منذ ولدوا على هذه الأرض ؛ ولكنهم رأوه ميتا مضرجا بدمائه مقتولا بدم بارد .. لذلك كانوا حائرين .. أيحزنون على العم المجهول أم لا يحزنون؟! هم يسمعون أن لهم عما زعلان من أمه وأخيه .. فحتى جدتهم بعدما غادرت المشفى حيث الجثمان لم تذرف الدمع ولزمت الصمت .. وربما كان حزنهم الحق على الحال التي هلك عليها العم قسيم ياسر .



سوء الخاتمة

شيع أهالي حي العمال وجيران شريف في الحي الجديد حي الأمل جنازة السيد قسيم ، وهم يتهامسون بقصة مقتله ومكان موته في ملهى ليلي كما نشرتها بعض الصحف ؛ ولكنّ المحبين متألمون لهذه النهاية ولمكان هذه النهاية ، ويقارنون بينه وبين الذي يموت في ساحات الوغى أو ساحات المساجد .

وأقيمت خيمة العزاء في منزل العميد شريف شقيق السيد قسيم ، ولما انتهى العزاء بأيام دخل عليهم الوالد الحزين قادما من سفره ، واحتضن أمه وهو يبكي كالأطفال حزنا وألما ، وانخرطت هي الأخرى بالبكاء مثله ، وعزاها بولدها البكر وقال : حدثني بعض الزملاء بالأمر وعزوني به .. وتلقيت بعض البرقيات من قيادة الجيش وقادة

الجيش .. وكنت طريح الفراش في أحد المشافي الأوروبية ..إنا لله وإنا إليه راجعون .. رحمه الله.. تمنيت أن أراه مثلك يا أمي ولو جثة .. سيبقى الأخ الأكبر لي .. إنه أخي رغم ما جنت يداه .. عفا الله عنا وعنه يا أمي .. لم يقدر لك أن تريه حيا .. حتى وهو في السجن كان يرفض استقبالنا .. لقد كانت آخر نظرة إليه يوم زرناه معا في المستشفى وحدث ما حدث .. وكانت النظرة الأخيرة إليه منك أيضا في المستشفى سامحينا يا أمي .. غفر الله لأخي ..

واستدار مسلما على زوجته وأولاده ثم قال : قمتم بالواجب وأثلجتم صدري المتعب .. كنت أتمنى لو تعرفتم على أخ أبيكم وهو حي يرزق ، وتصافحوه ؛ لكن كما علمنا النبي ﷺ نقول قدر الله وما شاء فعل فأن لو تفتح عمل الشيطان ..

وجلس الجميع وقال لهم وهو يتخذ مجلسا : هذه هي الحياة يا أبنائي .. حبوا بعضكم .. الأخوة كنز عظيم .. عندما يتألم الإنسان يقول آخ .. كونوا أخوة متحابين .. حسرة العداوة تمزق القلب.. مات العزيز أبي وهو يرغب برؤية قسيم .. هذه هي الدنيا يا أمي .. كنت أسعى سعيا حثيثا إليه.. وأتعبت صديقنا مدير البحث الجنائي في البحث عنه ..ولما اقتربنا منه.. خرج من الدنيا ..أنا متعب من السفر لم تعد الصحة كما كانت .. كدت أصاب بجلطة ..ووقف ثانية وهو يردد : رحم الله قسيما .. سامحيه يا أمي .. الجاهل عدو نفسه .. كنت أتمنى لو كان عمكم فردا صالحا في المجتمع .. ولكنه اختار درب الشقاء والعصابات .

قالت الأم بحزن وغيظ : وهل يمكنني أن أسامحه يا ولدي ؟! وقد مات ياسر أبوك حزينا مغلولا مقهورا منه .. فكان عندما يفيق من الألم ..ألم يأت الابن العاق ؟! .. ألا يأتي لوداع أبيه في ساعاته الأخيرة ؟ .. ومات المسكين وكله أمل بإلقاء نظرة عليه .. رغم كل التوسلات التي أرسلتها إليه مع أبناء الحارة والجيران ..كان يسيء إليهم ويقول أنا لا أهل لي .. أنا مقطوع من شجرة .. ورغم العقوق كله لا أستطيع يا ولدي إلا أن أسامحه.. ولعل قتله كما أخبرتني إحدى الفاضلات كفارة له .. دم تلك المرأة التي كانت تسمى زوجته .. ودم المرأة الأخيرة .. صدقوا يا أولادي منذ سمعت بمقتل زوجته الأولى وأنا ينتابني إحساس بأن ابني سيموت مقتولا .. كان عليه أن يطلقها ولا يغدر بها ..

فقال شريف : كفر عن تلك الجريمة يا أمي خمس عشرة سنة في السجن .. قضاها بين القتلة واللصوص .. سامحك الله يا قسيم .. حاولنا التودد إليك ولكن عجزنا عن الالتقاء بك لإصلاحك وعلاجك .

وبينما هو يواسي أمه ونفسه ليدخل حجرة النوم

وضع يده على صدره وقال : انقلوني للمستشفى إنني أحس بتعب شديد في صدري يا أولادي

فقالت حسنة : رحماك يا رب !.. ليس لي سواه بعدك ..

فقال : لا يا أمي ..فهؤلاء كلهم لك .(وكان يشير لأبنائه)

وأدخل مستشفى مدينة البركة ، وخضع للعناية الطبية مرة أخرى ، ثم نقل لمستشفى عسكري ومكث فيه أسبوعا قبل أن يعود للبيت ، ونصحه الطبيب النفسي ألا يفكر كثيرا بأخيه الميت ولكنه قبل أن يصل البيت طلب من أبنائه أن يأخذوه لقبر أخيه .. وبعد تردد وافقوا ومشوا به نحو المقبرة .. ووقف أمام قبر قسيم يناجي أخاه ويدعو له ساعة من الزمان .. ولما خرجوا به من المقبرة .. زار مكتب الزكاة في مدينة البركة ، وقابل مدير المكتب ، وكان بينهما معرفة قديمة فعزاه الرجل ومخبرا له أن ذهب لبيت العزاء ليقوم بالواجب ؛ ولكنه لم يجده ، وعلم من يحيى بأنه مسافر .. فشكره شريف .. وقدم له شيكا بألف دينار توزع عن روح أخيه .. ثم رجعوا للمنزل .. فوجد والد زوجته وبعض أخوة يسرا في انتظاره .. ومكثوا معه وقتا قصيرا هنئوه فيه على سلامته.. وأدخل الرجل غرفة النوم.. وراح في سبات عميق.

ولما تماثل للشفاء التام عاد لمزاولة عمله في قيادة قسم الهندسة العسكرية.. وظل الزملاء يترددون على مكتبه لتعزيته في موت أخيه .. ويهنئونه على سلامته .. وكان من المعزين العميد دبور قائد البحث الجنائي .. وتعانقا كأنهما أصدقاء منذ عهد الطفولة .

وقضى الصاحب شريف أياما يستقبل معارفه من الضباط في التعزية أو يرد على الهاتف من أجل هذه الغاية .. كان محبوبا من الرتب الأعلى منه ومن الأدنى.. ورغم نصيحة الطبيب النفسي له عندما غادر المستشفى العسكري كان يفكر بأخيه كثيرا ويقول : كأنني كنت أدعو على أخي بالموت !.. ألم أتمنى في قرارة نفسي موته عندما علمت بمشروعه الدنيء؟.. لقد قلت لنفسي لا ينقذنا من سيرته القبيحة إلا الموت .. ولكني كنت أتمنى ذلك من القهر والغل وخيبة الأمل .. يا الله اغفر لي هذه الخطرات القاتلة .. اغفر يا رب .. أحيانا يرى الإنسان أن بطن الأرض خير من ظهرها .. ها هي أمي كانت ترى مقتله منذ مشاركته في مقتل من تسمى زوجة .. فعلا لماذا لم يطلقها بدل أن غمس يده بدمها ؟! بل رتب لها كمينا قاتلا وهو يعرف عنف أهلها الإنسان يتصرف تصرفات شاذة غير منطقية وهو لا يدري ألم يكن طلاق الفاجرة خير من مصرعها ؟! الشيطان يلبس على الإنسان فلا يعرف الاختيار المناسب العار لا يغسل إلا بالدم

أليس هكذا يقال ؟! الطلاق أسلم وأحسن لضمير الإنسان وهل لهؤلاء العصاة ضمير حي؟! ضمير يؤنبهم لست أدري إنهم يمارسون الشر كالأكل والشرب واللعب وذاك الشاب القاتل هل حقا قتل غيرة وشهامة ؟! وهو الذي كاد أن يقع على أخته ألا يعتبر بنات الناس أخواته ؟! أي منطق هذا ؟! ما الذي دفعه لقتل كل هؤلاء الأبرياء؟ .. وأخته نجت من الملحمة .. وهو سيحكم عليه بالإعدام .. وهي ستمارس مهنتها بكل حرية .

الفرح

هذه الحكاية بدأت بمأساة منذ وقع حجر بناء في مبنى يُشيد على ظهر ياسر سليم أدى إلى شلل نصفي ثم أوصله للموت بعدما انتهى أجله ، وها هي الرواية أشرفت على الانتهاء بمأساة أخرى بمقتل قسيم ياسر بحادث مرعب في نادي ليلي .. هكذا الحياة .. بين فرح وترح .. موت وولادة .. ليل ونهار.. فرح وبؤس.. سعادة وشقاء.. ورأينا قصة نجاح الأخ شريف ومحافظته على أخلاقه رغم الإغراءات والفتن ، ورغم العمل الكبير الذي يعمله والمكان الكبير الذي يشغله .

فالجيوش كما هو معلوم قديما وحديثا من أهم المؤسسات في كل وطن وكل بلد .. ورجالها محظوظون ومحترمون عند الغني والفقير.. والأخ شريف حقق كل غايات الدنيا المهمة .. البيت.. الزوجة.. الأولاد .. المال .. والجاه المركز الكبير في جيش بلاده .. والأهم عنده أنه حافظ على شخصيته وكيانه من الذوبان في حمى التقليد الأعمى ، والركض حول كسب الثروات من أي مصدر كان .. من نصب واحتيال.. لقد قنع بدخله وراتبه الوظيفي.. واعتبره كافيا ومؤديا للغرض الدنيوي .. من حياة بسيطة .. وهدوء وسكون .. وهو موقن أن الحياة لا تخلوا من منغصات .. والصحة لا تدوم وأن الضعف سيصيب الإنسان مهما أوتي من قوة ، والسن له دوره .. ألم يقرأ في كتاب الله ﷻ { اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ } الروم: ٥٤

والتعب والمجاهدات التي أصابته أثناء الدورات والتدريبات والمناورات العسكرية تركت بصماتها على بدنه .. وما أصاب والده لابد أنه ترك شيئا على روحه ونفسه.. وها هو آلمه ما صنع أخوه قسيم وأضعف قلبه.. فلذلك قدم طلب إحالة على التقاعد وإنهاء خدماته من القوات العسكرية .. التقاعد من الجيش الوطني .. ولقد كان القائد العام للجيش قد اطلع على تقاريره الطبية فوافق على تقاعده بعد نظر اللجنة الطبية العسكرية عليه .. وبينما هو ينتظر تقارير اللجان الطبية التي

أجرت عليه الفحوص المناسبة تخرج ولده ياسر من كلية الطب والتحق بالعمل في مستشفيات الدولة ليأخذ بعض الخبرة .. وفرح شريف بولده ياسر الذي سماه على اسم أبيه.. وهذا شيء مهم في حياة أسرة مكافحة .. أسرة خرجت من العدم والضعف والفقر .. وقد ذكرنا آنفا أن السيد يحيى تخرج من كلية الآداب متخصصا باللغة الفرنسية ، وقد انهالت عليه عروض العمل سواء في المؤسسات الإعلامية كالتلفزيون القومي حيث يعمل شقيق أمه في قسم البرامج الفرنسية ..أو الصحف الأجنبية في البلد .. أو شركات الترجمة .. ولكنه فضل السفر إلى فرنسا للدراسة على نفقة الجامعة التي تخرج منها ليدرس الدراسات العليا ثم يعمل في الجامعة محاضرا وأكاديميا .. ولكنه أجل الابتعاث حتى ينتهي شقيقه الأكبر من كلية الطب.

وأما الشاب الثالث محمد فهو ما زال على مقاعد كلية الهندسة ليكون مهندسا كأبيه .. هؤلاء فقط الذين أنجبهم السيد شريف ..

كانت الحجة حسنة سعيدة بأحفادها وسرت بنجاح سمي زوجها بالاسم .. وقالت وهي تعانقه فرحا : لو قدر الله لجدك ياسر الحياة لمثل هذا اليوم لمات من الفرح .. وافتخر بكم كما كان يفتخر أمام أقاربه بأبيكم شريف .. عاش المسكين قبل أن يكبر والدكم حياة الشقاء والبؤس .. ولكن الله عوضنا بكم خير العوض .. الآن عليك بالزواج يا ولدي ليكتمل فرحنا بكم ، ويسعد أبوكم برؤية أحفاده بعد كل هذا الجهاد .. ولخالك حسان ابنة رائعة الحسن والأدب .

ضحك ياسر وقال : هذه العروس جاهزة يا جدتي الغالية!.. هذا كله بدعائك وحبك لنا .. أنت جدة وأم عظيمة .

فقال شريف الذي كان يسمع أمه وهي تهنئ حفيدها الأول : يا ياسر .. من رأيي أن تحقق رغبة جدتك لتكمل فرحتها برؤية أولادك ..وأعتقد أن هذا رأي أمك .

فقالت الأم يسرا : هذا مناي يا أبا ياسر .. ونحن أنا وأمك من زمن قلنا له عن ابنة خاله حسان

ابتسم وقال ياسر : عندما أباشر العمل ـ إن شاء الله ـ سأحقق لكم هذه الرغبة .

فقال شريف : أنت باشر العمل ، ونحن سنباشر السعي في ذلك ، ربما يعتذر خالك أو البنت لا تريدك .

وأظهرت تقارير اللجان الطبية التي عقدت للضابط شريف ياسر سليم أنه بإمكانه مزاولة عمله

والاستمرار فيه ، وهو يعاني من مشاكل في عضلة القلب ؛ ولكن بالعقاقير المناسبة يمكنه العمل لعدة سنوات داخل وحدات الجيش ، وأن لا

يتعاطى التدخين والكحول ، وهو لم يعرف التدخين خلال كل سنين العمر التي مضت ، وأما الخمر فهو مبغض لها ، ولمن يشربها ولم يحاول شربها ولو مرة واحدة .. فتم نقله إلى كلية تدريب الضباط لإلقاء المحاضرات على الطلبة العسكريين .. وأثناء عمله في كلية الأركان رفع إلى رتبة لواء ركن ، ولم يمكث عاملا بهذه الرتبة سوى سنة واحدة ثم أحيل على التقاعد ، وكان يعمل آمرا للكلية عندما صدر كتاب تقاعده بعد خدمة تزيد عن الثلاثين سنة في وحدات القوات العسكرية في بلده .

وكان قبل تقاعده واعتزاله الجيش زوج ابنه يحيى من ابنة أحد زملائه القدامى الذين تخرجوا معه من كلية الهندسة العسكرية.. التقى به محاضرا مثله في الكلية، وعادت بينهما العلاقات الخاصة ، وخاصة عندما تعاونا على تأليف كتاب يدرس في الكلية ..ونتيجة الزيارات العائلية كان زواج الشاب يحيى الذي يدرس في باريس من ابنة الزميل حماد .. وأصبح عندهم في البناية التي كبرت زوجتان .. ودخلت عليهم الأفراح والمسرات برؤية الجدة حسنة أبناء أحفادها، وأنستهم هذه المسرات مأساة عمهم قسيم .. ولما كانت زوجة يحيى تضع مولودها الأول كان صاحبنا شريف يغادر الكلية العسكرية متقاعدا عن العمل بعد قضاء زهرة شبابه بين وحدات وسرايا وكتائب وألوية وفرق الجيش .. وما عليه إلا أن يقوم بتبرئة ذمته من مؤسسات الجيش المختلفة ليحصل على راتبه الشهري التقاعدي .. ويجلس في بيته طالبا للسكون والهدوء وملاعبة الأطفال ومداعبتهم .. والحديث مع أمه التي بلغت من الكبر عتيا ، ولا تكاد تفارق حجرتها إلا للذهاب للحمام .. فهي أصبحت تأكل طعامها في حجرتها ..حتى أن شريفا أحضر خادمة خاصة بها غير الخادمة التي تعمل في البيت وكان أحفادها عندما يعودون للبيت يكون دخولهم عليها والسلام عليها أول أعمالهم في البيت ثم الانصراف لرؤية أمهم وأبيهم ، ثم يصعدون لبيوتهم الخاصة بهم .. وإلى هنا نقف في حكاية السيد شريف ياسر الكمن .

انتهت هذه القصة بفضل الله

روايات اجتماعية

غربتي وابنتي ٢

الحمل من جديد

لما تعافت الفتاة الصغيرة من سقمها، وتمت إزالة الجبس الطبي عن ذراعها المكسورة وقدمها أعلن عن خطبة أمها على السيد مروان طه ، ولما وصل الخبر للسيد عادل حسن استشاط غضبا وحقدا من أرملة أخيه ، وكان يرى أنه أولى الناس بالعقد عليها ، فطار صوابه ، وسعى لنقل الوصاية عن

ابنة أخيه لنفسه ؛ ولكنه لم يجد محاميا يقبل دعواه والسعي فيها ؛ لأن الوصي كامل الأهلية والعقل ؛ وأم الفتاة في صفه.

فأخذ يثير الإشاعات حول زواج أم زهيرة ، ورغم ذلك حدث الزواج وانتقلت هناء محمد إلى بيت الدكتور مروان ، واستقلت في جناح خاص بها في نفس البيت ، وكانت هناء قد التقت بمرام زوجة مروان ، وعلمت منها أنها موافقة على زواج الرجل عليها، ولا تمانع في اقترانهما ، وأنها رضيت بنصيبها وقدرها.

وبعد حين يسير عادت دوامة الحمل والوقت والكبر بين هناء ومروان ، والأخير له ثلاثة أبناء من قرينته الأولى ، ولما مضت السنة الأولى على زواجها جن جنونها في تأخر الحمل رغم مراجعتها عدة أخصائيين ، كانت متلهفة للحمل والولادة فأصابها الغم والنكد ، وبين لها مروان أن الحمل ليس عنده مشكلة ، ولترضى بنصيبها ، وأعلمها أنه قام ببعض الفحوص ، وليس لديه عائق ، ولتتوكل على الله وحده ، وعرضها مروان على أحد كبار أخصائيي النساء والعقم في المدينة ، وأكد لها أطباء العيادة أن صحتها الإنجابية جيدة ، وكذلك زوجها ، وأن هناك أملا كبيرا بالحمل ، وعليها أن تتخلص من التوتر والتعب النفسي ، والانتظار حتى يقدر الرحمن لها الحمل ، وإذا لم يحصل الحمل خلال فترة معينة قد تحتاج لحمل بمساعدة بعض الأدوية التي تنشط عملية الاخصاب .

كانت زهيرة تقترب من العاشرة ، وكانت تشعر بأن في البيت مشكلة بل مشكلة كبيرة ؛ ولكنها لم تعرف تحديدها ، ولما حاولت فهم سبب مراجعة الأطباء نصحتها أمها بعدم التدخل في مثل هكذا مواضيع ، وبعد فشل الحمل بأدوية معالجة العقم بعد ثلاث سنوات زواج كبرت المشاكل ، وأخذت صور المشاكل التي كانت بينها وبين مجدي تتكرر ، وأخذ الدكتور مروان يهجرها بالأيام تخلصا من شكواها ورغبتها القاهرة بالحمل والبحث عن أطباء لهم دعاية وشهرة ، حتى تفاجأ أنها لاذت بالمشعوذين والحجابين ، فعاتبها عتابا حادا وساخطا على الجهل واللجوء إلى أمثال هؤلاء المعتوهين ، ورغم دفاعها عنهم ، وقد ذكرت قصصا نجحوا فيها كما سمعت طبعا.. قال هذا كلام فارغ ، الحمل والولادة بأمر الله ، ليس بأمر هؤلاء الكهان والدجالين .. إنهم مرضى يحتاجون لعيادات يتعالجون فيها ، لو ظل الطب على أيدي هؤلاء لظللنا في القرن المائة قبل الميلاد .. الطب علم وهو علم تجريبي أيضا ، قد يصلح دواء اليوم للناس لا يصلح غدا .. وليست مراجعة الأطباء كمراجعة أولئك .. عليك أن

تفهمي ذلك .. وحتى الأطباء الذين ذهبنا إليهم ليسوا هم الذين يصنعون الأولاد.. هو أمر وخلق الله .. أرجو أن تفهمي ذلك .. وأنا إذا اكتشفت أي لعب أو تحايل أو سحر في البيت فالفراق بيننا أفضل وأحسن

فقالت بضيق : وبماذا تختلف يا دكتور زيارة الشيخ عن زيارة الطبيب والمختبر ؟!

ضحك ضحكة مغتصبة وقال : هناك فرق بل فروق يا بنت الناس .. هناك أدوية واختبارات وتحاليل وصور أشعة وفهم أسباب وموانع الحمل .. فالحجاب كيف يعرف عوائق الحمل وهو لا يعرف يقرأ اسمه أو يكتب كلمة صحيحة؟! الطب علم ومعرفة وتاريخ أجيال.. والحجابة جهل واستهبال واستغفال .

قالت كأنها هازئة: والطب يقول لا شيء يعيق حملنا ومع ذلك لم يحصل حمل !

قال : وهل الحجّاب سيمكننا من الحمل والإنجاب .. أنا لدي أبناء، وأنت خلفت زهيرة ..فلنترك شأننا لله.. فالذي يختاره ويقدره هو الخير لنا .. علينا أن نقبل بقدرنا .

فقالت : دعنا نجرب

فصاح متذمرا ألم تجربي قبل أن اكتشف هذا الجنون ؟ لك شهور تجربين.. عليك أن تتوبي من التردد على هؤلاء السحرة .. وعليك أن تراعي سمعتي .. دعي الأمر لله ؛ فإذا كان لنا نصيب بالإنجاب سوف يحدث.. وهذه زهيرة عندك مثل الغزال والقمر .. والأولاد يحترمونك ويقدرون أنك زوجة لأبيهم ويحبونك

هزت رأسها وقالت : يحبونني ! أنا طمعت بالزواج من أجل الأولاد والذرية ليس فقط من أجل الأكل والشرب والنوم والجماع .

ـ هذا الحمل بإرادة الله يا سيدتي .. وأنا فعلت ما عليّ من تأكيد صحتي الإنجابية وبانت لك رغبتي بمزيد من الأطفال .. ولم أتزوجك من أجل الجنس فقط .. وقبلت محاولة الحمل بالأدوية من أجلك ، ومن أجل دوام حياتنا الزوجية ، وتحقيق رغبتك بالأمومة من جديد ، ولازدياد الترابط بيننا .. فالأولاد كبروا ودخلوا الجامعات ومع ذلك رضخت لطلباتك وقلت تستحقين المساعدة والقبول برغبتك للمواليد.. وإذا ترين أن الطلاق حل لحياتنا الزوجية أنا لا مانع لدي الطلاق !

ـ نعم ، أنا تزوجت لارتاح في البيت ، وأرتاح نفسيا.. فنحن في عملنا نتعرض لإغراءات كثيرة .. نتعامل مع نساء شتى .. فالعفة شعار وحياة.. يا سيدتي أرجو أن تفكري جيدا بحياتنا الخاصة .

فصاحت فجأة أريد أن اخلف ولدا منك يا مروان ثم خفت صوتها قائلة حتى يمتد بيتنا، ويمتد بيننا الوصل والحياة الهادئة

ـ لا اله إلا الله.. توكلي على الله، وأكثري من الاستغفار والدعاء لعل وعسى



لقد رفض الدكتور مروان لجوء زوجته هناء للمشعوذين والحجابين لمساعدتها في الحمل ، ولما جاءها بعد أيام استقبلته بالصياح والصراخ والصوت المرتفع والندم على زواجها منه ، فلما حاول معرفة سبب هذه الهياج والثورة والغضب والحسرة قالت : امرأتك تتهمنني بتسميمك وإطعامك أشياء مضرة

قبض يدها وحدق في عينيها وقال : أو لم تفعلي ذلك؟! إنها تريد أن تنبهك أن أفعالك مكشوفة يا هناء

فقالت باستسلام للحقيقة : ومن أخبرك بأني فعلت ذلك ؟!

ـ المرأة التي تتعاملين معها ، هي التي كشفت وصفاتها لي ظانّة أنني لا أعرفك .. أنا حذرتك من أيام يا بنت الكرام ، جعلت البيت جحيما بالنسبة لي .. لابد أن صديقنا مجديا عانى مما أنا فيه اليوم فزاد هيجانها وصراخها واحتجاجها، وأخذت تدافع عن نفسها، وأنها لم تفعل شيئا لمجدي ليموت ، بل هو الذي كان يضربها ويسقطها أرضا...

فقاطعها وقال :لا يهمني ذلك .. إنك متعبة يا هناء .. وأنا تزوجتك لعلة تعرفينها في زوجتي أم جهاد ، ولم يقدر لك الحمل مني لحتى الآن.. ولقد لجأنا بعد الله للطب وأهل الاختصاص دون فائدة .. وأما اللجوء لهؤلاء الدجالين فهذا في نظري جريمة .. وقد حذرتك من العودة لهؤلاء الناس؛ ولكنك رميت بتحذيري عرض الحائط .. واليوم جئت محاولا تهدئة الوضع والسلام ؛ ولكنني أرى كل الشر هنا ..فالأفضل أن نفترق بالمعروف كما دخلنا بالمعروف .. وسأترك لماهر ترتيب أمر الانفصال ؛ لعلك تجدين الزوج الذي تحملين منه ما دامت هذه رغبتك الجامحة .

غيرت هناء من لهجتها وقالت بحزن : مناي أن أحمل منك يا مروان ..لا أدري لماذا حظي هكذا ؟!

ـ الولادة والذرية قسمة ونصيب .. ربما ليس النصيب عندي.. ظننتك الأنثى الصالحة .. ولكن مضت هذه السنوات بصعوبة وتعب وشقاء

قالت بحسرة : لا أستطيع التخلي عن فكرة الحمل ..حسنا افعل ما تراه مناسبا .. فإذا كان الطلاق هو الحل فلن أترجاك ، ولن أتوسل إليك للبقاء على ذمتك ، وكما قلت لعل فرصة ثالثة تحقق لي رغبتي وحاجتي .. وهذا في علم الغيب .. وأنا لم أحاول تسميمك يا مروان .. إنما هي وصفات

وأعشاب يبيعها هؤلاء العشابون ، يزعمون أنها تيسر الحمل .. كالأدوية التي يصرفها الأطباء .. وأنا تمزق قلبي لما مرضت بسبب تعاطيها وأكلها ، واعتقدت أنها سامة فعلا .. ولكن الحمد لله على سلامتك .. وأنا لن أنسى أن زهيرة أحبتك، وتعلقت بك ، فهي حسبتك والدها الحقيقي من حسن تعاملك معها ، فهي ـ كما تعلم ـ لم تدرك والدها جيدا .. وأم أولادك أساءت لي صباح اليوم ، وظنتني طفلة صغيرة وليس لي كرامة وكيان حر.. واتهمتني بالسعي لقتلك وتدمير بيت العائلة .. افعل المناسب يا سيد مروان لم يعد لي مكان في هذا البيت .. الصبر جميل

فقال بصوت حزين وعطف فيه مشهود : أنا مستعد لفتح صفحة جديدة معك حتى لا تظني أن أم جهاد أمرتني بتطليقك قبل القضاء عليّ .. وذلك إذا عاهدتيني على الصبر والرضا بالمقسوم .. فأنا مستعد لأنسى الطلاق .. أنا بحاجة لامرأة لطيفة فاضلة .. وإذا كنت تشعرين بالفراغ فمجال العمل مفتوح أمامك .. فربما الشغل والوظيفة يعوضانك عن المزيد من الأطفال.

وبعد أخذ ورد تعهدت هناء بالرضا بنصيبها وحظها ، ووعدت بالتفكير بالعودة للعمل من جديد .

هناء منذ تزوجت أول مرة لم تعد تفكر بالعمل والشغل ، ولم يطلب منها مجدي ذلك ، ومضت سنوات زواجها بمراجعة أطباء النساء حتى قضى الموت على مجدي ، ولما رجعت من بلاد الغربة في إحدى دول الخليج العربي لم تفكر بالعمل كذلك ، ولم تجد نفسها بحاجة للوظيفة ، فقد ورثت ثروة كبيرة عن زوجها ، فقد كان الرجل غنيا فمنذ تخرج طبيبا وهو يعمل ويجمع المال ، فقد قضى شبابه أعزبا لا عائلة له ، ومضت سنوات الزواج الأولى بدون عائلة ، فتراكمت الثروة بين يديه ، لذلك قبلت هناء فكرة العودة للعمل لعلها تشغلها وتلهيها عن فكرة الحمل والأمومة .. الفكرة الطاغية على تفكيرها بشكل وسواس قهري.

فقبلت العمل في شركة تهتم بتوزيع الأدوية في البلاد وبعض الدول المجاورة بعد استيرادها أو شرائها من السوق المحلي ؛ ولكن أغلبها مستورد من خارج البلد ، وكان عملها قد تم بمساعدة من قبل زوجها مروان وشقيقه ماهر، ولعلاقتها الطيبة بمدير الشركة الذي هو طبيب مثلها ـ لما نجح عمله كتاجر ترك ممارسة مهنة الطب ـ ووظفت في قسم السكرتارية والمراسلات التجارية ، ووجدت صعوبة في أول أيام العمل ؛ لأنها تركت العمل منذ أكثر من عشر سنوات منذ زواجها الأول ، ثم ذهب الإرهاق والتعب مع

الوقت ، وتأقلمت مع العمل بعد حين ، وأخذت تفكر بشراء سيارة خاصة ، وكان زوجها يشجعها على ذلك وأخذ يبحث لها عن مدرب خاص ، ونكاد نقول أن المشاكل البيتية خفت ، وعاد الهدوء والسكون لبيت العائلة ؛ وكأن المرأة استسلمت للمقدر من عدم الخلفة ، والرضا بأمر الله.



وكانت زهيرة تحت رعاية الخادمة الأجنبية ، فتذهب صباحا بحافلة المدرسة الأهلية ثم تستقبلها الخادمة مساء ، وترعاها وتقدم لها الطعام حتى تعود أمها في الخامسة أو السادسة مساء.

وكان مروان الطبيب يقسم وقته في البيت بين مرام وهناء ، ليلة هنا وليلة هناك حسب قانون الدين في التعدد ، وأحيانا تجلس هناء وابنتها في صالون مرام يسهرون ثم يفترقون ، ومضت سنتها الأولى في العمل وقد خيم الجو الهادي على البيتين ، ولم تكن أخطاء هناء في العمل خطيرة ، فكانت مشاكل العمل تحل بين هناء والإدارة ، والعمل لابد أن تقع فيه أخطاء من العاملين لظروفهم وأحوالهم النفسية ، فكانت أخطاء المراسلات تستدرك وتتم معالجتها ، وكان المدير يتغاضى عن كل أخطاء هناء لقوة الصداقة التي تجمعه بمروان وأشقائه خاصة السيد ماهر ، والمرأة تحمل شهادة جامعية بالسكرتارية والإدارة.

وفي أواخر السنة بدأت الأمور تتغير فقد أخذت هناء تطور من صداقاتها بالموظفين ذكورا وإناثا ، وحتى مع موظفين صغار ، وليس هذا المهم في الأمر ، المهم في الأمر أنها بدأت تقبل دعواتهم الخاصة للعشاء والسهر والسينما والمسرح مما صدم المدير ونائبه ، فهي امرأة صديقهم مروان ، وامرأة صاحبة بيت ، وأم فتاة مراهقة ، وكانت تقبل المشاركة في مناسباتهم الاجتماعية دون تردد ؛ لذلك كان الدكتور حازم حمدوز يتحدث مع ماهر بمثل هذا التغير وقال : أخشى أن تنزلق زوجة أخيك إلى أمور لا يحمد عقباها.

فاضطر ماهر لنقل هذه الأخبار لشقيقه لعله يجد عنده حلا لها، فمصاحبة امرأة من بيئتهم ووسطهم الاجتماعي المحافظ إلى حد ما لشبان عزاب ومتخرجين جدد من المعاهد والجامعات مربك لهم ، وذا مما دفع مروان لفتح الموضوع مع هناء قائلا : يا سيدتي الفاضلة لا يجب أن تتوسع علاقاتك بهؤلاء إلى هذا الحد .. فأنت زوجة محترمة ولك أسرة .

فأبدت ضيقها وتذمرها من تدخله بحياتها الخاصة

، ودافعت عن خياراتها ، وزعمت أنها تفعل ذلك طردا لمللها وفراغ البيت من الأصدقاء والزيارات فقال : ومن يمنعك من زيارة الأهل والأقارب والصديقات اللواتي من جيلك .. فأنت لديك اليوم سيارة وتستطيعين التنقل عند أخواتك وإخوتك .

ـ كلهن مشغولات ولا وقت لديهن مثلي .. وهل مشاهدة الأفلام حرام؟

ـ ليس المهم مشاهدة الأفلام ؛ لكن مع من تشاهدينها .. مع شبان وشابات عزاب .

ـ وماذا في تناول عشاء مع زملاء العمل ؟!

ـ وقد يدعى إليه زملاء ليسوا من زملاء العمل .

رفضت هناء التخفيف من السهر خارج البيت بعد انقضاء العمل ، ورفضت قطع علاقاتها معهم بدعوى الحرية الشخصية.

وكرر مروان النصح والإرشاد لها ؛ ولكن دون فائدة حتى أنها أخذت تأتي متأخرة للبيت بعد نصف الليل نتيجة السهر مع زميلاتها وأصحابها الجدد ، شكى مروان الأمر لأخيها فوزي ويسري ، وبين لهم أن مثل هذه التصرفات لا تليق بزوجة طبيب مثله وكعائلة محافظة ، فغضبت هناء بشدة من تدخلهما في تصرفاتها الخاصة. وحاول ماهر معها ، فهددته بسحب الوصاية عن زهيرة زاعمة أن من حقها الوصاية على ابنتها.

واستمر الإرشاد ، واستمرت المناكفات دون نتيجة حتى تفاجأ مروان بعودتها من إحدى سهراتها عند الفجر عندما كان ذاهبا للمسجد للصلاة ، فكانت تركن سيارتها في موقفها أمام البيت ، فصعق ، وكان قد ظنها نائمة في شقتها مع ابنتها لأنه كان تلك الليلة مع زوجته الأولى

وكان حازم يشكوها إليه مباشرة ، ويعلمه بأنه يفكر بفصلها من شركته لولا صداقتهم التاريخية ؛ لأن سمعتها بدأت تلوكها الألسن ، ولما اقترب منها مروان تلك اللحظة رأى أنها ثملة من المسكر فازداد نارا وغيظا فقال وهو يضغط على أعصابه : ألم تكتفي بسكرك في سهراتك فصرت تعودين مخمورة إلى البيت .. إنما اشرب جرعات قليلة .. ماذا افعل بك يا بنت الناس ؟! هذه هي نهاية إرخاء الحبل للنساء .

لم ترد عليه واصلت دخلوها البيت ، وصعدت إلى غرفة نومها ، ورمت نفسها على سريرها، وتبعها الرجل وسمعها تقول : إنني منهكة القوى يا دكتور في الصباح نتحدث

ـ يبدو أنك شربت الليلة كثيرا ، هذه أول مرة تعودين سكرانة للبيت .. ونحن في الصباح يا بنت الناس .. فالحال لم يعد يطاق غدا أو اليوم.. بعد ساعات سنذهب للمحكمة لإعلان الطلاق

ـ الطلاق ! أنا فعلا أريد الطلاق يا دكتور .. مللت

منك .. وجدت زوجا خيرا منك .

في الصباح وبعد فتح المحاكم الشرعية أبوابها للناس ، كان الطلاق بعد هذه الحادثة أمام القاضي الشرعي لتلك المحكمة ، وأخذت هناء ابنتها والخادمة وعادت لبيت الأسرة بعد غياب بضع سنين عنه ، وسمعت من والدها كلاما جارحا ومهينا : أصبحت سكيرة آخر الزمن .. وتتعاطين المخدرات .. عليك الخروج من هذا البيت استأجري لك بيتا.

أخذ أحد الأشقاء أخته لبيته مستضيفا لها بعد طرد أبيها لها غضبا وألما ، وقضت باقي اليوم

باكية في بيت شقيقها سمير ، وفي الصباح التالي مشت للشركة التي عملت فيها فوجدت أن المدير قد فصلها ، ودفع لها أجر ثلاثة أشهر بدون عمل ، فأخذت الفلوس ، وبحثت عن صديق لها في الشركة ، فأخبرت من إحدى الزميلات بفصله هو الأخر من العمل في الشركة ، وانصرف من يوم أمس.

وهذا الصديق شاب فوق الثلاثين من العمر ، متزوج وقد تخلت عنه زوجته بعد سنة من الزواج لسوء أخلاقه ، ثم حصل بينهم الطلاق بعدما تنازلت عن متأخر صداقها الشرعي ، بعدما زعمت أمام القاضي أنها أخذته ، والرجل لم يوافق على الطلاق إلا بعد أن تخلت له عنه ولما لحقت هناء بالعمل كان من الشباب الذين اجتمعوا حولها ، ثم أصبح على رأس الأصدقاء الخاصين بها ، فعلمها الشراب والدخان وتعاطي الحبوب والاستهزاء بالحياة الجادة وأن الدنيا خلقت للهو والمتع والانبساط ، ثم وعدها بالزواج إن طلقت يوما ما ، يقول لها ذلك عندما تهمس له بخشيتها من أن يتخلص منها مروان.

لذلك فبعد مغادرتها الشركة وقفت أمام مطعم ، وتناولت رغيفا من الطعام ، وشربت كوب عصير ، ثم اتصلت به ، والتقيا وحدثته بطلاقها وطردها من الوظيفة وأنها مستعدة للاقتران به فضحك كثيرا وقال : بهذه السرعة !

فطلب منها أن تصبر حتى تنقضي عدة الطلاق ليتحدثوا بالموضوع ، فأخبرته أنها تملك ثروة ستسهل لهما الحياة معا ، فقد ورثت عن زوجها الأول وأخذت مؤخر طلاقها من زوجها الثاني كاملا ، فطلب منها رامي عدة طلبات ، التريث حتى تنتهي العدة ، ويخففان من اللقاءات حتى حين ، وحتى يرتب هو أمور حياته ، وأكد أنه راغب بالزواج منها ، ودعاها إلى كأس شراب ، فاعتذرت عن ذلك لأن والدها غاضب عليها، وهي تعيش في بيت شقيقها بعد أن طردها من بيته ، فودعها قائلا : لنبق على اتصال وقبلها قبلة الوداع ، وركبت سيارتها قافلة لبيت شقيقها

سمير، فوجدت اجتماعا في البيت يناقش قصة طلاقها وحياتها فلما سألها أحد أشقائها المجتمعين :أين كانت ؟

ردت بحدة : فصلوني من شركة حازم

فقال سمير : الشركات كثيرة .. فهذه الشركة كما تعلمين قبلت فيها لعلاقة صاحبها بماهر ومروان ..والبنت زهيرة ماذا ستفعلين بها ؟

ـ لتبق عند أمي أعطيت المدرسة عنواننا القديم قبل الزواج من مروان.. فهم يعرفون عنوان دار أبي.

لم تقض هناء في بيت شقيقها سمير سوى ليال ثلاث ، فقد تم الصلح بينها وبين والدها ، فاستقرت في غرفتها التي عاشت فيها بعد ترملها ، وأخذت تفكر وتخطط باستئجار شقة أو شراء بيت خاص بها ، وجدت نفسها من جديد تعيش في عدة الطلاق الشرعي .. اتصلت برامي في بيته، وتحدثت معه أكثر من مرة ، وكانت تسعى للقاء به ، فرفض ذلك زاعما أن أهله يرفضون زواجه من امرأة تكبره بعشر سنوات ، فخلال هذه الشهور الثلاثة ضعفت علاقتها برامي ، وفشل مشروع الزواج الذي أملت به حقيقة ، وأدركت أنه كلام ليل يمحوه النهار، وأنه سخر منها لينال شهوته وفساده منها ، وحمدت الله أنها لم تستسلم له جسديا رغم كثرة ضغطه عليها ، فكانت حرمة زوجها تمنعها من الوقوع في ذلك.

وحتى شلة الشركة لم يعودوا يستجيبون للقاء بها ، ويتهربون من الرد عليها ، ولا يتصلون بها فأدركت إدراكا تاما أنها أضاعت حياتها وسعادتها أمام سراب ووهم بحياة حرة ، فأخذت تحاول العودة إلى مروان عن طريق الدكتور ماهر ، وأعلنت ندمها وتهورها ، فأعلمها الرجل بكل صدق أن شقيقه على وشك زواج ، فقد التقى بطبيبة مثله تعمل معه في المشفى الخاص ، وهم على وشك إشهار الزواج ، فلزمت الصمت ، وأما تعلقها بالشراب والدخان فلم يختف بعد ، وإنما تركت المخدرات ، ربما لم تعد تحصل عليها، ولا تعرف كيف تتحصل عليها ..؟ .. وحاولت عن طريق رامي مجددا ، فشتمها وتظاهر على التلفون أنه لا علاقة له بالمخدرات والحشيش ، وطلب منها أن تنساه للأبد ، فهو سيتزوج خلال أشهر ، فقد خطب فتاة ، وكانت النهاية بالنسبة لها ، واستوعبت أنه كان يلهو بها هو والشلة والاستفادة من مالها وتبذيرها . حتى أنها لاحظت استياء ابنتها زهيرة منها ، ومن شربها للدخان والخمر ، ولاحظت أنها تخرج من البيت لتناول الكحول في الخمارات والملاهي ، وكانت تتضايق من أخذها للدخان ، وتظهر ضيقها، فتنهرها أمها بشدة ، وتطلب منها عدم التدخل في حياتها ،

وعليها أن تنشغل بدروسها ومدرستها ، وبعد شهور مضت على الطلاق همس أحدهم في أذنها برغبة السيد عادل بضمها لزوجتيه ، فتعجبت من إلحاح هذا الرجل ورغبته بالاقتران منها منذ ترملت ، وبعد تفكير وتردد أخبرت الوسيط برفضها الزواج منه شخصيا ، ولو لم يبق في الدنيا من الرجال إلا هو ما تزوجته ، فأرسل إليها زوجته الأولى ؛ لتأكد لها هذه الرغبة فأكدت لها كرهها وحقدها عليه.

ذهبت السنة الأولى بعد الطلاق ، ولم يتقدم إليها أحد سوى عادل حسن ، حتى أن الأب محمد حدث ابن أخ له بالزواج منها ، فاعتذر ابن أخيه ، وأخبره أنه ابنته لا تصلح له ، فهو رجل على قد الحال كما يقال ، وأن ابنته انحرفت عن الاستقامة والمحافظة على عادات العائلة ، ولا تصلي، ولا تصوم ، وتدخن ، وتشرب المنكر، فلما أنكر عمه ذلك ، وأنها عاهدته على ترك الشراب منذ عادت للبيت من بيت شقيقها سمير ، فأكد له ابن أخيه أنها ما زالت تتردد على الحانات والخمارات .

موت الشيخ

رجع محمد للبيت والغضب يملأ كيانه وقلبه، ولم يجد فتاته في البيت ، فقد خرجت زاعمة زيارة لصديقة ، فلما جرأت أم فوزي تسأله عن سبب كل هذا الحنق والغضب ، فأخبرها بما سمع من ابن أخيه، بأن ابنتهم ما زالت ترتاد الحانات والملاهي الليلية ، فأنكرت الأم التهمة ، ودافعت عن ابنتها وأخلاقها ، وكان يسري ابنهم يعيش معهم في نفس العمارة، وكان يسمع الحوار الدائر بين أمه وأبيه ، وسمع آخر الكلام ، وصاح وقال بضيق : يا أمي لا تدافعي عن انحراف هنا ء .. ادع لها بالهداية ، فقد وصلنا كلام كثير عن سوء سيرتها.. وخففوا من حدة صوتكم فإن زهيرة في غرفتها ، وتسمع صراخكم رغم إغلاقها باب الحجرة

فقال محمد وهو يتنهد بعمق وأسف : ماذا أفعل لهذه البنت ؟! فضحتني بعد أن بلغت هذا السن يا أولاد .. أخشى أن أسمح لها بالسكن خارج البيت أن تزيد وتكثر فضائحها.. ويتحول بيتها إلى بيت دعارة .

فقال يسري محاولا تهدئة الشيخ : لا سمح الله .. لم تصل الأمور إلى هذا الحد يا أبي .. خمر ومخدرات .. لم نسمع بشيء أسوأ من ذلك .. هي لم تطلق إلا من شهور

فقال الأب ساخطا حانقا على ابنته : لم نسمع ! هل ننتظر حتى نسمع ؟!

فقال : هل نقتلها حتى لا نسمع ؟ وهل هذا حل؟!

قال: تحدثت مع ابن عمك أبي صادر للاقتران بها على نسائه ؛ وليستر عليها ، فاخبرني أنها لا تصلح للزواج .. فهي منحرفة والأولاد شباب .. فإني حائر حائر

فقال يسري : علينا أن نعقد اجتماعا عائليا، ونتحدث جميعا في هذه المشاكل ، وإذا لم تستجب لتقاليد العائلة فعليها الابتعاد عنا ، ولتذهب لمدينة أخرى حتى لا نسمع قصصها ومغامراتها ، وإلا عليها احترام البيت وتقاليده .

واقترب من الهاتف ليتصل بإخوانه يدعوهم للاجتماع ، ومناقشة قضية هناء ، وتمردها على تقاليد الأسرة.

اجتمعت الأسرة بعد صلاة العشاء للنظر في المشكلة الكبيرة التي ألمت بالعائلة ، من خرق هناء لعادات وتقاليد الأسرة بدون مبرر ، فكانت مشكلتهم رهيبة ومرعبة في نظرهم ، فتحدثوا واقترحوا أشياء ، وبينما هم يتحدثون ويدبرون حضرت صاحبة الشأن من حيث كانت تسمر ، فظنت كما قالت ساخرة إن مصيبة قد أصابت البيت في غيابها لبضع ساعات!

فقال يسري : نعم ، نحن في كارثة .. بل زلزال نحن نتشاجر بشأنك يا أم زهيرة.

فنظرت إليه بضيق وقالت : شأني ! ما الأمر ؟!

لخص أحدهم لها الأمر والموقف ، فردت بغضب وصوت حاد : حياتي الخاصة ليس لكم دخل فيها .. أنا امرأة بالغة عاقلة وصلت الأربعين من العمر

فقال أحد الأخوة : سمعتنا يا بنت الناس !

ردت باستهتار : أغلبكم يدخن .

فصاح يسري : لو وقفت على السجائر لهان الخطب ! لقد سمعنا أنك كنت على علاقة ـ اسمحي لي أن أقول ـ حميمة مع موظف بسيط في تلك الشركة ، وأنها السبب الأهم في طردك أو فصلك من الشركة ، ثم طلاقك.. فإذا الرجل راغب بك فليأت من الباب كعادة الناس .. أما السهر وشرب الخمر في النوادي الليلة والخمارات ليس من عاداتنا ، ولا يعني ذلك أننا ملائكة .

فصاحت هائجة : هذا كذب.. إشاعات أطلقها مروان لتبرير الخلاص مني .

فرد يسري بقوة وتحد : اسمعي يا بنت الناس ليست إشاعات .. تحدثت أنا شخصيا مع المدير حازم .. فقال لي على استحياء الأمور زادت عن حدها يا يسري .. ونحن كما نحب أن نحافظ على سمعتنا نحافظ على سمعة إخوتنا وأصدقائنا من آل طه .. الأمور ترتب هنا في الشركة والاجتماعات واللقاءات خارج الشركة .. والدكتور مروان قد خطب امرأة تعمل طبيبة مثله وهي أرملة حديثة .. فلماذا يطلع وينشر الإشاعات عليك ؟!

صاحت مرة أخرى : إشاعات ليتزوج من زميلته الأرملة .. فتآمر مع حازم لطردي وتشويه سمعتي .

فقال أحدهم : ولكنك تسكرين، فهل تنكرين ذلك ؟

فقال يسري : الدخان والخمر والسهر والمسرح والسينما والمخدرات والحب .. لا شيء يخفى على الناس يا هناء هل هذا تعلمتيه من مروان ؟

فقالت بسخط : أوه !! هذه حياتي وأنا حرة فيها ..هذا بدني أنا حرة فيه

فنظر إليها أبوها بذل وانكسار : ونحن يا هناء

فنظرت إليه بسخط : ماذا نحن ؟ أنا سأرحل يا أبي ، لن أبقى في بيتك .. أنا عرفت الحرية عرفت الحياة.

هجم عليها يسري صافعا لها وصارخا : أي حياة مع الفساق ؟! أي حياة يا مجنونة في الحانات ونوادي القمار والزنا ؟!

كانت هناء منذ دخلت على الاجتماع وهي قائمة ، فوضعت يدها على خدها، وقد سالت دموعها غضبا وحقدا : تضربني يا مجرم .. تمد يدك عليّ ! فانهال عليها ضربا ورفسا وصياحا حتى خرت مغمى عليها ، وارتفع الصياح والبكاء في البيت ، فلما أفاقت من غشيتها قالت ستدفع الثمن غاليا يا يسري سأدمر حياتك .. لن أرحمك يا مجرم .. تضربني يا حقير



فصاح هائجا : سأقتلك .. فحياتك في القبر أفضل من حياتك فوق الأرض .. أنا أعلم أنك سبب موت الدكتور مجدي .. لقد كتب إليّ أكثر من رسالة للتشفع بينك وبينه من أجل الكف وعدم الإلحاح في مسألة الحمل والحبل .. أنت سبب قصف عمره .

فصاحت وهي ما زالت تجلس على الأرض : أنا سبب قصف عمره ، ولسوف اقصف عمرك لن أبقى الليلة هنا .

ونهضت متجهة نحو الباب الخارجي للبيت ، وخرجت لم يعترضها أحد ، وارتفع اللغط والنقد على تصرف يسري وانفعاله الحاد ، وبينما هم يتعاتبون ويصيحون على بعض وقع السيد محمد على الأرض فنقل للمستشفى بسيارة أحدهم .. وهناك ودع الحياة بعد أيام .

السيد محمد فوزي أبو فوزي لم يحتمل فؤاده النزاع القائم في بيته فوقع مريضا ، ثم مات ، فلما علمت هناء بما حدث لوالدها من الذبحة الصدرية

والموت عادت للبيت ، وكانت ليلة الحادث قد خرجت غاضبة إلى إحدى بيوت شقيقاتها ؛ لأن البنات لم يحضرن الاجتماع؛ إنما كان اجتماعا ذكوريا كما يقال ؛ لذلك لما نقل الوالد للمستشفى ، وذهب في غيبوبة ، تذكرت ليلة موت مجدي عندما دفعها أرضا آخر ليلة كانت له في الدنيا ، فعادت إليها الذكريات ، وأخذت مشاهد الحياة المؤلمة تعود سريعا .. غضب منها بشدة ، ذهب لينام فما استيقظ .. وها هو أبوها يسقط مغمى عليه ولم يستيقظ .. مشاهد حياتها أخذت تتجسم أمامها .. وكانت تذرف الدمع الغزير .. لم تذهب للمستشفى ؛ لأن شقيقتها التي استضافتها أخبرتها أن الوالد في غيبوبة .. فاقد للوعي .. ثم مات .. وكانت تذرف الدمع الغزير وتقول هل أنا شؤم! ؟ هل تعلقي بحب الولادة شؤم ؟! لماذا لم أسلم أمري إلى الله راضية مطمئنة ككثير من النساء العواقر ؟ ! إني حفرت قبري بنفسي .. ها أنا عدت مطلقة بعد أرملة .. لا أمل في الحمل .. هل أنا قتلت أبي ؟ أو السبب في وفاته ؟ وهل أنا التي تسببت بموت مجدي ؟ يا إلهي لماذا تركني مروان ؟! أأنا متعبة ونكدية ؟! ولماذا أوقع بي رامي ودمر حياتي الزوجية ؟!.. وشجعني على الابتعاد عن حياة الدكتور .. لقد صدقت كلامه المعسول .. لقد نسيت الكيد والغدر .. لقد كان صديق عدد من الفتيات نسيت كل هذا .. يا لي من مغفلة.. !! كان يعبث بعدد من فتيات الشركة يعيش على كدهن ومالهن .. مسارح سينمات ثم تحشيش .. بل كانت بعضهنّ أحذر مني وأفطن لخداعه .. أنا الجريئة بينهن .. لماذا وقعت في حباله ؟ كنت الضعيفة بينهن .. نسيت ابنتي المراهقة في لهفتي للزواج من رامي الغادر ..

وعادت تفكر بعادل حسن لماذا المدعو عادل يسعى للزواج مني على نسائه ؟ أمن أجل أموال ابنة أخيه ؟ .. لم أنظر إليه منذ عرفت تلك الأسرة نظرة رضا واستلطاف ، بل كنت أخشى عينيه الخبيثتين

عادت للتفكير بيسري ففكرت يسري يعلم بمشاكلي مع مجدي ، كان مجدي يراسله ليضغط عليّ ليته فعل يومذاك ، تبسمت للحظات ثم تابعت .. ها هو يجعلني السبب في وفاته وإزهاق روحه .. هل تكلمت زهيرة المسكينة بشيء أمامه ؟ .. لقد رأت أحداث تلك الليلة .. هل ما زالت تفتكرها وتتذكرها ؟ .. لكنه كان مريضا متعبا مرهقا من عمله .. كان يفحص قلبه باستمرار .. لكنه لم يأخذ علاجا خاصا بالقلب يا هناء .. ماذا أفعل ؟ مات أبي .. كان السند الحقيقي لي بعد ترملي .. غادر الدنيا ناقما مني .. يا الهي ! كثير من الخلق يدخنون.. الملاهي ملأ بالناس ..

المستشفيات كذلك مليئة بالمرضى والمجانين .. ماذا أفعل ؟ ماذا تفعلين ؟ سأعود امرأة تحترم كيانها بعد هذا السقوط السريع والمؤلم .. هذا هو الحل السليم .. ليتني لم أعد للعمل مع الرجال.. لست بحاجة للمال .. ليتني قنعت بالحياة في ظل مروان .. ظننت نفسي فتاة صغيرة صبية مراهقة تتطلع إليها العيون العاشقة ..إنما هي عيون الشهوة .. عيون الزنا والفواحش.. كانوا يسعون لإيقاعي في الزنا والفحش .. في الحقيقة لولا تدخل السيد حازم ومراقبته لي ؛ لربما كنت صيدا سهلا لهم ولاستدراجهم .. لم أسمح لهم بالنظر لجسدي رغم سعيهم لذلك ، وقد حاولوا إثارتي وإغرائي لممارسة الفاحشة.. كنت على شفير السقوط في الهاوية .. كانوا يركضون للنيل من جسدي .. لقد مات أبي قبل أن يعرف شيئا من جنوني ولهوي .. كيف لو وصلت للفاحشة والتعري لهؤلاء الفتيان ؟! كيف سيكون موقفي أمام ابنتي لو فعلت ذلك ؟! هل مات أبي لاستيقظ من غفلتي ؟!

ها هم أبناء وبنات إخوتي يتخرجون من الجامعات والمعاهد المتوسطة.. وها هي زهيرة على وشك إنهاء المرحلة التعليمية الأولى.. يجب أن اتخذ من حادثة موت أبي نهاية لاستهتاري وسخفي .. عليّ أن أتوب توبة حقيقية .. نعم سأتوب يا الله ساعدني وصرخت بها !

فالتفت إليها أمها وقالت : مالك يا هناء تصرخين ؟!

نظرت إلى أمها طويلا ثم قالت : ارتفع صوتي يا أمي ..إنني استغيث بربي .. الله أغثني وأدركني .. أمي أريد أن أتوب .. أريد أن أعود للصلاة والعبادة .. أبي مات وهو غاضب عليّ

تابت هناء بعد تلك المناجاة ، دخلت الحمام واغتسلت ، وظلت تصلي طوال الليل حتى صلاة الفجر .

أنهت زهيرة مجدي فصلها الأخير في الدراسة ، وبذلك انتهت المرحلة الأساسية للدراسة الابتدائية والإعدادية ، وكانت من الفتيات المتفوقات جدا في المدرسة الأهلية ، وأخذت تستعد للانتقال للمرحلة الثانوية ، وكان ذلك في صيف ١٩٨١ م ، وقد بلغت خمسة عشر ربيعا ، وقبل ابتداء الفصل الدراسي الجديد زارتها امرأة عمها عادل السيدة جليلة أم حسن ، ولم تكن الزيارة الأولى لها ؛ لذلك كانت تظن أنها زيارة كالمعتاد ، ولم يصحبها في هذه الزيارة زوج أو ابن أو بنت ، ولما اطمأنت على صحتها وحياتها ، طلبت منها أن تسمح لها بالجلوس مع أمها ، فاستغربت هناء هذا الطلب النادر ، فتركت الفتاة حجرة الضيوف ـ وهي وأمها ما زالتا تعيشان في

بيت والد هناء وأمها ـ ولما خلت الغرفة من زهيرة كاشفتها جليلة عن رغبتها بتزويج ابنها ميلاد من ابنة عمه زهيرة ، ولما أنهت المرأة غايتها وصمتت ، حدقت هناء بجليلة وقالت ببرود وجفاء البنت صغيرة يا جليلة على الزواج .. أنا تزوجت السيد مجديا ، وأنا بنت خمس وعشرين سنة ، وبعد تخرجي من الجامعة والعمل بضع سنوات

ردت جليلة ضروري تكميل التعليم .. نصف بنات البلد يتزوجن صغيرات .. أنا نفسي تزوجت دون العشرين ، ولو تقدم لي أحد في سن أبكر لزوجني أبي يا سيدة هناء .. فميلاد شاب صغير عمره عشرون عاما ، وراغب بالزواج وتأسيس أسرة ، وهو محب لابنة عمه عادت هناء تنظر في عينيها بضيق ماذا يعمل هذا الميلاد ؟!

أنت لا تعرفينه ؟ .. لقد رافقني بضع مرات إلى هنا .. هو يعمل في تصليح السيارات ، فني سيارات بعد الإعدادية تحول للعمل في سوق تصليح السيارات .. يسمونه ميكانيكي سيارات .وهو شاب معجب بابنة عمه المرحوم مجدي ، وهو راغب فيها يا هناء تذكرته بل اعرفه جيدا ..

وهل هذا يستطيع فتح بيت وتكوين عائلة؟!

ـ هو يشتغل من خمس سنين ، ولما يتزوج يفتح ورشة لحسابه الخاص

ـ أيستطيع هذا تحمل مسؤولية يا أم حسن ؟ وهو كثير الدخان

ـ الشباب كلها تدخن اليوم يا هناء .. الدخان سوسة وبلاء

بعد فترة صمت طالت قليلا قالت هناء لم يحن وقت زواج البنت يا جليلة .. زهيرة ترغب بالدراسة ودخول كلية الطب على رغبة والدها العزيز قبل أن يموت .. تريد أن تعالج وتداوي الناس المرضى

قالت : رحلة طويلة وشاقة يا هناء ..الزواج خير لها

ـ هذا ما تحدثت به أمامي ، وأمام الوصي الدكتور ماهر طه ، ووعدها الرجل بمتابعة المسيرة ، وهي شاطرة وذكية ومتحمسة لتحقيق هدفها وهدف أبيها ، فابحثي له عن فتاة أمية أفضل له ولكم .. فابنتي غير مستعجلة على الزواج يا أم حسن

اتصل الدكتور ماهر بالسيدة هناء ، وأنبأها أن السيد عادلا اتصل به متشفعا بتزويج ابنتها من أحد أبنائه.

فتبسمت المرأة وقالت لقد زارتني زوجته جليلة أم الولد وطلبت ذلك ، واعتذرت لها يا دكتور بأن البنت راغبة بالدراسة ، والدخول في كلية الطب كأبيها ـ رحمه الله تعالى ـ وأيضا اعتذرت بأنها صغيرة على الزواج ، ولا تريده اليوم لا أدري لماذا لا يكفون عن ذلك؟! فقد تحدثوا مع شقيقي

يسري الذي يعيش معنا في بيت الوالد
فقال ماهر: الرجل يقول إن ابنه صاحب صنعة جيدة ، ولما يتزوج تعمل له البنت ورشة خاصة به ، ولسوف يرد إليها كل قرش ساعدته به، وأنفقته على ورشته.
ضحكت المرأة رغم أنفها وقالت : أما عجيب أمر هذا العم ! فما دام ابنه فالحا ومعلم تصليح
لماذا لا يفتح له هو محلا من ماله ؟! لقد ورث عن أخيه هو الآخر .
قلت له هذا يا أم زهيرة فقال : لو فتحت محلا لميلاد ـ اسم الولد ميلاد ـ سأضطر لفتح الجرة للآخرين ..الكل سيطالب بمال يا ماهر ، وثروته وتقاعده لا يغطي ذلك لهم.. أما إذا فتحت له زهيرة المصلحة فلن يطالبه أحد بشيء زوجة ساعدت زوجها وابن عمها .. وسيصمت الآخرون
صاحت هناء دون وعي مع من تتحدث : تفكير أحمق ! .. أنا آسفة لرفع صوتي يا دكتور .. هو منذ مات أخوه وهو طامع فيما ورثناه أنا والبنت .. المصيبة أنه رجل متعلم ، وصاحب ثروة.. لماذا كل هذا الطمع في أموالنا ؟ ! كما تعلم حاول الزواج بي أكثر من مرة ، وحتى عندما طلقني أخوك أعاد الكرة .. واليوم بدأت مطاردة زهيرة .. معتقدا أن زواجي منه يلغي وصايتك على زهيرة ، وتصبح أموال البنت لعبة في أيدينا.. هذا رجل يعيش في القرون الوسطى إذا كان هناك قرون وسطى
ابتسم الدكتور ماهر وعقب قائلا : القرون فقط في أوروبا .. على كل حال أنا آسف يا أم زهيرة .. فقط أحببت أن أبلغ الرسالة .. وسأنقل له الاعتذار ، وأبين له رغبة البنت بتكميل تعليمها ، وأن هواها في دراسة الجامعة ، ولا تفكر أبدا بترك المدرسة والزواج..

ـ شكرا لك يا أبا جواد .

ـ لا شكر على واجب يا سيدتي .. أنا من أحب الناس رغبة بمتابعتها دراستها وتعلمها

ترك الهاتف واستلقى على أريكة ، وقد شرب كوب ماء أثناء سماعه كلمات ورد هناء وقال :فعلا السيد عادل عجيب أمره مع أسرة شقيقه مجدي !.. أرسل زوجه خاطبة ، ثم شفع شقيقها ، وثم دار عليّ .. المال .. يلهث وراء مال اليتيمة .. والبنت ذكية ومجدة في مدرستها، ومعلماتها يثنين عليها خيرا وإعجابا بأدبها وتفوقها ، والبنت جادة في طلب العلم ، ولديها الرغبة في الوصول للجامعة .. التعليم سلاح مهم للبنات قبل الذكور .. ولكن الذي يحيرني أن عادلا مدرس ومتعلم ، وعمل مديرا قبل تقاعده .. فالأولى أن يفرح ويتحمس لرغبتها في الدراسة ، والعمل كطبيبة في المستقبل ويشجعها.
دخلت زوجه فاطمة وألقت السلام .. وقالت :

ستأتي القهوة .. هل أنهيت الحديث مع أم زهيرة ؟
ـ نعم ، وهي ترفض بشدة فكرة اقتران ابنتها بعادل وأسرته .. وأكدت لي رغبة البنت بالاستمرار في الدراسة ، ثم الجامعة في كلية الطب كأبيها .. وأنا أستغرب من أفعال وتصرفات عمها نحوهم .. ورغم مشاكله القديمة مع هناء ما زال يضايقها ؛ بل أخبرتني أنه حاول الزواج منها بعد طلاقها من مروان .. تخيلي هذا وأنا لم أنس الفضيحة التي عملها في المستشفى يوم كسرت يد وقدم زهيرة .. وها هو اليوم يخطط لزواج ابنه من ابنتها .. وكما تعلمين مديرة مدرستها أكدت لي ذكاءها وحسن خلقها وحبها للعلم والدراسة ، وشهاداتها المدرسية تؤكد تفوقها وتقدمها على أقرانها .. وأكدت لي استعدادها للاستمرار في التعلم ، وعدم التفكر بالزواج قبل إنهاء المرحلة الثانوية بسلام ونجاح.. وفرص الزواج أمامها كثيرة.
فلما سكت قالت زوجه : التعليم مهم اليوم للبنات كما قلت .. اليوم المهن والأعمال تحتاج لشهادات وكفاءات .. ماذا ستقول للسيد عادل؟
ـ سأتحدث معه في موضوع تعليمها وأهمية ذلك لها ولحياتها ، وأن تركها للمدرسة غير مناسب فهي مجدة وراغبة بالاستمرار، وتحلم أحلاما كبيرة ، وأن أموالها ستساعدها بتحقيق الدراسة ، ولن تحتاج لمساعدة مالية من أحد.. وهي غير مؤهلة للزواج وهمومه.
لما وضعت فنجان القهوة الفارغ قالت أم جواد أتصور لو لم يبق إلا عادل وهناء في الدنيا ما قبلت بالزواج منه .. ولا ابنتها من ابنه .. فهي تبغض الرجل بغضا لا حد له يا ماهر .
ـ أعرف هذا، وهو يعرف هذا .. ولكن رفضها له جعل عنده عقدة نحوها .. وربما فعلت له شيئا أثناء زواجها من أخيه، فظل حاقدا عليها، ويظن بزواجه منها أنه ينتقم منها .
ـ زهيرة فتاة طيبة وهادئة ، وتستحق كل خير وحماية .. فأيام خلاف أمها مع مروان كانت مستاءة من أمها كثيرا .. وكانت تتعجب من شربها للخمر وتعاطيها للدخان والتبغ .
ـ الله وحده الذي لطف بتلك المرأة .. الحمد لله على أفضاله حدثني حازم
أنها عادت تتصرف كمراهقة .. خاصة وهي تتحدث مع الموظفين الشباب .. ربك لطيف بعباده فله الحمد والمنة.
ورغم فشل شفاعة الوصي ماهر تقدم بعض أعمام زهيرة ، وتحدثوا مع الأم في موضوع زواج البنت من ابن عمها ميلاد ، ورفضت الفتاة حتى التفكير بالزواج ، وأكدت لهم همتها لنيل شهادة الثانوية والالتحاق بالجامعة .
عندما دخلت زهيرة في السنة الأخيرة من الثانوية

العامة تقدم رجل أرمل متقاعد من الجيش للزواج من أمها ، وكان أخ لها يضغط عليها للقبول به ، فهو قريب لزوجته وراغب بالزواج من امرأة لا تنجب ، وكبيرة في السن إلى حد ما ـ وقد ترمل منذ شهر واحد وكل أبنائه كبار وجلهم متزوج ـ وبعد تأمل وتشجيع من أمها وأخواتها وافقت على الزواج من جديد ، والرجل الأرمل يكبرها ببضع سنوات فقط ، لم يدخل على الستين بعد ، وانتقلت للحياة في داره وسكنه ، وتركت زهيرة في بيت أهلها حيث هي تعيش مع أمها العجوز ، وكانت زهيرة قد اعترضت في أول الأمر على زواج أمها الجديد ؛ ولكنها أمام حجج أخوالها وضغطهم رضخت للأمر الواقع كما يقال ، وقبلت بزواج أمها على مضض ، وتمنت من أعماق فؤادها أن ينجح زواج أمها من هذا الرجل المتقاعد من القوات العسكرية السيد رستم علي .

اجتهدت الفتاة اجتهادا كبيرا في المدرسة، ومع أنها التحقت بمدارس أهلية منذ بداية تعليمها وفر لها الوصي ماهر مدرسين خصوصيين لبعض المواد التعليمية المهمة ، وفي النهاية استطاعت النجاح في الثانوية العامة بنجاح كبير ومعدل درجات يسمح لها بدخول كلية الطب في داخل البلاد أو الصيدلة فرحت أمها بنجاحها غاية الفرح والسعادة ، ورأت ذلك من توفيق الله سبحانه لقرة عينها الوحيدة ، وقد غمر الفرح كذلك الوصي ماهر وأسرته ، فهم كانوا يشعرون بعطف وحب كبير للآنسة زهيرة ، وممن سعدوا بنجاحها أخوالها وخالاتها.

وسارع ماهر بتقديم أوراقها إلى كلية الطب في جامعة البلاد ليحقق رغبتها ورغبة أبيها المرحوم مجدي ، وقبلت أوراقها ، ووفقت لها الدراسة في الجامعة ، وبدأت تتهيأ لدراسة الطب

أما عمها عادل فلم يسعد بنجاحها ، ولا بدخولها الجامعة ، وقاموا بتهنئتها على استحياء ، وبدأت عامها الأول في جامعة الطب عام ١٩٨٤ ، وعادة تبدأ الدراسة في البلاد في فصل الخريف (أيلول) وتستمر إلى مطلع الصيف (حزيران) فتنتهي الدراسة السنوية .

وقد سعى ذاك العم إلى تزويجها من ابنه ميلاد مرة أخرى مبينا لها أهمية الحياة الزوجية بالنسبة للأنثى ، وأن زواجها خير من تعلمها، وقضاء العمر في دراسة الطب ، وأن فرص الزواج تقل أمامها ، فتأسفت له ، وأكدت له إصرارها على نيل شهادة في الطب ، وأن الدراسة لديها أهم من الزواج ، وأنها تتعلم ليس من أجل المال ، فقد ترك لها والدها ثروة تغنيها عن العوز للآخرين، وإنما تتعلم مهنة إنسانية تساعد الضعفاء والفقراء من خلالها ، فلما عاد الرجل متأففا من لقائه بابنة أخيه

قال لنسائه حيث كن في انتظاره : ترفض الزواج ، ومصرة على الجامعة والطب ، وتطلب منا بنت هناء البحث له عن زوجة غيرها أرأيتم تربية هناء محمد ؟!

وبعد لحظة صمت قال : نعم ، ليبحث الفتى عن زوجة أخرى يا جليلة ، وليدع هذه المتكبرة فهي بنت من ؟! بنت هناء التي تبغضنا وتحقد علينا .. لا أدري كيف اقترن بها مجدي ؟ لابد أنها هي التي قصفت عمره بكرهها لعائلتنا .

فقال ميلاد الذي كان معتكفا في البيت منتظرا لعودة أبيه : لا تريد الزواج مني نهائيا

ضحك عادل عاليا وقال : إنها ترفضك وهي في المدرسة ، فهل ترضاك بعد شهادة الجامعة وفي كلية الطب ؟ .. هذه الدكتور ماهر راسم عليها لأحد أبنائه .. ألم يقنع أخاه بالزواج من أمها قبل سنوات ؟ لم تعد ابنة العم لابن العم .. هذه الشهادات تباعد بين الناس اليوم.. أصبحت تجعل فروقا بين الأخوة والعائلات .. دكتورة ستتزوج دكتور سيارات .. ابحث لك عن امرأة أفضل وخيرا منها يا ولدي .. لم تعد بنات العم الزوجات الملائمات

فعقبت أمه قائلة ساعية لإبعاده عنها : لا أدري لماذا أنت متعلق بها يا ميلاد ؟! منذ رفضتنا قبل سنوات قلنا لك دور عن أخرى .. بنات عماتك كثر .. بنات خالتك أكثر .. لم يخلق في الدنيا إلا زهيرة .. البنات تملأ الحي والدنيا

فصاح فيها محتدا : لن أتزوج إلا زهيرة بنت عمي مجدي .. لم أر في النساء إلا هي .. وسأتزوجها رغم أنفها .. ولو تزوجت غيري سأقتلها هي وزوجها

قال أبوه : لقد جن الولد يا جليلة! .. نحن أحببنا لك الزواج منها ، وشجعناك على ذلك ؛ لكن ليس بالغصب والقهر والقتل .. هذا كلام فارغ .. من باعك بعه .. ما الذي يعجبك فيها ؟.. فهي اليوم مثل السعدان تتكلم من رأس مناخيرها .

عاد الشاب الغاضب يتوعد : زهيرة لي يا أبي .. هل نسيتم تشجيعكم لي للزواج منها ؟ الآن تريدون أن تتنصلوا من الكلام .. لا .. لا .. سأتزوج منها رغم أنفها

ـ راحت أيام رغم أنفها .. اليوم القانون فوق العادات والتقاليد والأعراف

ـ سأصبر حتى تصير طبيبة.. وأتزوج الطبيبة .. إنها ابنة عمي .. وأنا أولى الناس بها .

قالت أمه : بنات أعمامك كثيرات .. نحن أحببنا أن تكون من نصيبك .. ولكن إرادة الله هي الغالبة.. كان الأمل كبيرا، وهي أصغر سنا .. أما بعد الشهادة والنجاح في التوجيهية فالأمل مات .

فقال الأب : يا ابني سعينا ووسطنا ـ كما تعلم ـ

أخوة هناء ، ووسطنا الوصي على مال أبيها ورفضت .. ومصرة على الرفض .. وتدعوك للبحث عن غيرها .. وهي لليوم لم يتقدم لها أحد سواك .. كل الناس تعلم أن السيد ميلاد عادل يرغب بالاقتران بابنة عمه .. فدعها .. عليك بالبحث عن زوجة غيرها .. فهذه تربت في بيت أخوالها لا تصلح لك يا ولدي .. فقد تطبعت بطباعهم .. ورأيت فعل أمها وكيف لوثت سمعتها ؟ لولا لطف الله بها وبأهلها .. فقد مات أبوها قهرا من أفعالها الدنيئة.

تهديد

أخذت الأم ولدها إلى غرفة أخرى، وطلبت من إحدى بناتها عمل الشاي لأبيها وامرأة أبيها التي حضرت تلك الجلسة ولشقيقها ، ولما جلسا قالت الأم متظاهرة بالحزم والأمر : اسمع يا ميلاد أنا ووالدك كانت لنا رغبة شديدة أن تتزوج من زهيرة .. وكما قلت شجعناك على ذلك كان والدك حابّا لهذا.. ومشينا في هذا المسعى منذ سنوات ، وأنت تابعت تحركاتنا ؛ ولكن كما علمت رفضت البنت وأمها بشدة .. وقلنا لما تكبر الفتاة سنوات أخرى وتنضج قد تغير قولها ورغم همساتنا ، وإظهار رغبتنا بهذه المصاهرة استمر الرفض ، وظل اعتقاد أرملة عمك أننا طامعون في مال زهيرة حتى أن بعض أعمامك وعماتك يرددون هذا الكلام .. وما دامت زهيرة التحقت بالجامعة فعليك أن تتزوج من بنت أخرى.

ـ لن أتزوج يا أمي إلا منها .. ولو قضيت عمري كله بدون زوجة وأبناء .. زهيرة لي ، وأنا لها وأنا لولا حبي لها لما وافقتكم على طلب يدها .. هي المرأة الوحيدة في الدنيا التي يجب أن أكون زوجها

دخلت أخته بالشاي الثقيل الذي يحبه ميلاد عادة ، وأشعل سيجارته ورشف شايا ، ولما أغلقت البنت الباب قال : تعلقت بها منذ سنوات وسنوات ، والأمر لأبي ، وليس لأمها ولا لها.

ـ يا ابني واحدة لا تريدك ، ولا تريد الزواج كيف ستعيش معها ؟

ـ أنا أريدها .. عليّ اللقاء بها بنفسي

ـ لقد حاولت أكثر من مرة ، ورفضت اللقاء بك حتى صارحتني مرة أنها تبغضك .. قالتها صراحة يا ميلاد .

ضحك ساخرا : تبغضني ! أكيد لها فارس أحلام كما نرى في مسلسلات التلفزيون .. زهيرة لي يا أمي ويجب أن تكون لي .

قالت بضجر وملل : كيف ستكون لك ؟ ! وكيف ستقبلك إذا صارت طبيبة ؟!

ـ ولماذا لا تقبل بي إذا أمست طبيبة ؟! .. هي تداوي البشر وأنا أداوي سيارات البشر

ـ دعنا نفرح بك اليوم .. الطب دراسته تحتاج

لسنوات.. فأنت تكون أبا خلال هذه السنوات كف عنها

تنهد بعمق وقال : لن أكف عنها ، لم أحب وأرغب من هذه الدنيا إلا بها ، لو كنت أريد أي فتاة لتزوجت من سنوات .

نادت الأم على زوجها الذي أقبل غاضبا حانقا، وقد أدرك أن زوجته فشلت بإقناعه بنسيان زهيرة مجدي ، فأعلمته زوجه بإصرار الولد على الزواج منها مهما طال الزمن ، ولن يسمح لأحد بالزواج منها.

فقال عادل حسن : نحن رغبناك بها، وشجعناك حسب عاداتنا قبل أن نسكن ونعمل في هذه المدن

رد ميلاد بغضب : قبل أن تشجعني للزواج من ابنة أخيك كانت لدي الرغبة بالاقتران بها.. أنا أحببتها دون نساء العالمين .

ـ الزواج لا يكون بالقهر والعنف .. وهي رفضتك وهي طالبة صغيرة ، فكيف بعدما تصبح طبيبة؟!

فهي تعتبرك أميا جاهلا لا يفك الخط

ـ هذا ليس بعيب يمنعني من زواجها .. لا أريد إلا زهيرة مجدي أو دعوني من الزواج قطعيا .. تعلقت بها صغيرا وأريدها كبيرا مهما طال الوقت بنا

ـ يا رجل تدخل أعمامك والوصي ماهر، وهي تأبى الموافقة.. فكيف سنجبرها على القبول بك؟!

..قد كان هذا قديما قبل دخول المدنية بلاد الناس ..اليوم المرأة لها كلمتها واختيارها .. كان هذا يستساغ قديما

قال ميلاد : سأسعى للقائها .. يجب أن تقابلني شخصيا وأتحدث معها .. أليست ابنة عمي؟.. لماذا لا أتحدث معها مباشرة ؟!

قالت الأم : شجعتها للقاء بك ، وإقناعك برفضها من فمها لفمك .. لا تريد هذا .. قل لي كيف أدفعها لمقابلتك ؟ .. يا ولدي كبرت سنك إنك تقترب من الخمس والعشرين والطب يحتاج لسبع سنين .

قال بعناد : أصبر وأنتظر إذا وافقت .

نادى عادل ابنه الكبير حسنا ليقنع أخاه الصغير ميلاد بترك ابنة عمه في شأنها وجامعتها.

اتصل ميلاد ببيت أم فوزي جدة زهيرة ، فردت عليه الخادمة الأجنبية التي تقوم على خدمة زهيرة وجدتها بعد رحيل أمها ، فأخبرته بعربيتها الركيكة أنها لم ترجع من الجامعة ، فلما عادت الفتاة مساء من كلية الطب أخبرتها الخادمة (روجا) باتصال السيد ميلاد بها ، فانزعجت للاتصال وقال لنفسها ماذا يريد اللعين ؟

وما كادت تنهض عن طعامها حتى رن الهاتف ، وكان المتصل ميلاد عادل يطلب الحديث معها ، فقامت مثقلة وتناولت السماعة من الخادمة ، وبعد

التحية والسلام أبدى الشاب رغبته باللقاء بها ، وزيارتها للحديث معها خمس دقائق فقط ، وبعد رفض وافقت على الحديث معه مباشرة.

وبعد صلاة العشاء ليلا كان الشاب يطرق الباب وبصحبته أمه ، وبعد المجاملات التقليدية والترحيب وأخبار الصحة والأسرة ، طلب ميلاد أن يسمحوا له بالحديث مع زهيرة على انفراد ، فتركت الأم والجدة الشابين في صالون البيت ، وترك الباب مواربا غير مغلق إغلاقا تاما .. فقال بانفعال بين : لماذا ترفضين الزواج مني يا آنسة ؟

فنظرت إليه بحدة وضيق واضحين وأجابت : لك سنوات تتحدث عني يا ميلاد .. ومنذ البداية علمت عدم رغبتي بالزواج منك وحتى من كل عائلة أبي .. أنت لا تناسبني لماذا لا تفهم ؟! لماذا أنت مصمم على الزواج مني ؟! لماذا؟! ألا يوجد بنات في الدنيا غيري ؟!

ـ هل لو كان والدك حيا ترفضين بهذا الإصرار ؟.. ألسنا أقارب وأبناء عم ؟

ـ الزواج لا أفكر فيه قبل شهادة الطب يا سيد ميلاد

ـ أصبر كما صبرت هذه السنوات

ـ لم يقل لك أحد اصبر.. أمي اعتذرت لكم قديما ..وأنت صحيح ابن عمي الكبير السيد عادل ؛ ولكن لا حق لك بالزواج مني رغم أنفي لهذه الصفة .. فأبناء العم كثر لماذا أنت دونهم ؟ وأيضا بنات أعمامك كثيرات

ـ لكني أريدك أنت وحدك ، وتقدمت لطلب يدك على حسب الأصول

ـ وأنا رفضتك حسب الأصول .. الزواج بالتراضي يا ميلاد .. فلنبق أبناء عم فحسب .. لا أصلح زوجة لك

ـ لأنني لم أدرس ، لم أبلغ الثانوية العامة ؟

ـ قد يكون هذا أحد الموانع ، ولكني رفضتك قبل دخول الجامعة ، وقبل الثانوية العامة .

ـ ولكني راغب بك زوجة

فصعقته بنظرات نارية وقالت بصوت ارتفع قليلا :عجيب أمرك ! .. هل الزواج بالغصب يا سيد ميلاد ؟ لا أريدك ، لا أريد الزواج نهائيا من أجلك .. ارحمني يا رجل.. سأبقى عذراء .

ضحك وقال : جميل !! تبقين عذراء .. هل يعقل هذا يا بنت الناس ؟ إذا كان فيّ عيب ومانع اذكريه

تبسمت غاضبة : بس لا أريدك .. هل الزواج بالعافية ؟

ـ هل هناك رجل آخر ؟

صاحت بغضب : وضيق حقير أنت ! .. هل هناك .. هل هناك رجل آخر ؟ أتراني فاجرة بائعة هوى ؟!

قال : اسمعي لن أتزوج إلا من زهيرة مجدي ..

مهما طال الزمن.. أنت المرأة الوحيدة في الدنيا التي سأتزوجها شئت أم أبيت .. أعجبك هذا أو لم يعجبك .. لن تكوني لغيري يا زهيرة .. أنا قلت لما تكبري تعقلي وتعرفي أن لا غنى عن الزواج .. لما تنضجي تقبلين بي

ـ أنت وقح وحقير.. وما أنت برجل !

قال : حقير نذل .. صنفيني بما شئت .. لن أسمح لأحد بالزواج منك وأنا حي يا زهيرة بنت مجدي

ـ لا أريد الزواج أيها الحيوان ! لما أتزوج تتكلم .. انصرف اغرب عني .. أرجوك لا تريني هذا الوجه ثانية

ـ سأنصرف يا زهيرة سأتزوجك غصبا عنك ، وعن كل العائلة .. لن أسمح لرجل أن يأخذك

ـ لولا الحياء لشكوتك للشرطة مع السلامة

وأخذت بالبكاء ، فدخلت جدتها وأمه ، وطلبت منه الجدة المغادرة وهي تقول : يا ابني الزواج بالتفاهم والقبول .. وليس بالتهديد والوعيد .. ابحث لك عن بنت غيرها البنات تملء البلد.

فقال وهو يغادر الغرفة : لن يتزوجها غيري .. أنا ابن عمها وأحق الناس بها .. لن أسمح أبدا لأحد الناس بالزواج منها إلا إذا قتلت أو مت

غادر الشاب وأمه منزل الحاج محمد فوزي وأمه تقول له: يا ابني دعك من وجع الرأس .. بنات أعمامك كثيرات، صاح في أمه وهو يركب في سيارة المحل الذي يعمل فيه : أنا قلت لن أتزوج إلا منها رضيت أم أبت .

ـ إنك تبحث عن الشقاء والتعاسة ، لم تحلَ في عينيك إلا زهيرة .. سخطها الله.

ـ نعم ، لم يحلُ في عيني إلا هي.

قضت هناء ساعات مع زهيرة وهي تهدئ من روعها ، وتخفف عنها جرح الكلمات والتهديدات التي أطلقها ميلاد ، وفي الصباح الباكر لما صلت الفجر قدمت إليها متابعة لصحة ابنتها ، بعد ساعات الليل التي قضتها مع زهيرة مخففة من آثار اللقاء الساخن بينها وبين ابن عمها المجنون ، وأكدت لها من جديد أنها كلمات جوفاء ، وكلام فارغ ، ولن يستطيع فعل شيء من تهديده ووعيده ، فهو شاب أرعن لا يجد أحدا يربيه ، ويدعس على رأسه ، وأنها لما تنهي جامعتها ستجد أحسن عريس في الدنيا، وستكون طبيبة عظيمة ، وتختار العريس المناسب واللائق بها.

وكذلك بين لها خالها يسري أن الزواج لا يكون بالقوة والعضلات والتهديدات ، وما هو إلا شاب فارغ خائب ، وكلامه في الهواء.

وكلمة من هنا وأخرى من هناك خفتت دموع زهيرة ، ومضت إلى جامعتها ، ومع المحاضرات نسيت ميلادا وأهل ميلاد ، واختفى ذلك اللقاء العاصف واشتغلت بدروسها ومع الوقت زال

كل أثر لذلك الكلام القاسي.

وكانت هناء قد تحدثت مع ماهر الوصي عن ذلك اللقاء، فاستغرب الوصي مثل هذه الأفعال في مثل هذا الزمن، ووعد بالحديث مع السيد عادل، وفعلا لما انتهت المكالمة اتصل على الفور بالسيد عادل حسن، فلم يجده في البيت وطلب منهم إخباره باتصاله؛ ليتصل به عند عودته للبيت

ولما اتصل السيد بالدكتور سأله عن سبب تصرف ابنه مع زهيرة ابنة عمه بتلك الطريقة الصبيانية والتهديد والوعيد، فقال السيد عادل: هذا الولد يا سيدي الدكتور متعلق بابنة عمه ويزعم أنه يحبها، ولا يحب في الدنيا من النساء إلا هي، وقد صدم برفضها الشديد، وكان يظن أنها لما تكبر تتغير، فهو منذ وعى وبلغ وهو يرى أنه أولى الناس بها.. وأنا في البداية شجعته على ذلك، قلنا نحن أولى باليتيمة من غيرنا، وسعيت له في ذلك.. وأنت تذكر ذلك، ثم لما رأينا عدم رغبتها فينا كأمها العاقة طالبته بالكف عن الحلم بالزواج منها، وليبحث عن حليلة خيرا منها؛ ولكنه راكب رأسه، ولا يريد إلا هي.. هو صبر على أمل.. وهذا الدراسة طويلة كما تعلم يا دكتور، فهو يريد أن يتزوج وهي تدرس ولا مانع عنده؛ ولكنها تأبى الزواج اليوم.

ـ يا أستاذ عادل.. البنت من البداية بينت لكم أنها تطمح لإكمال الجامعة والعمل كطبيبة.. ونصحت لك سابقا أن تزوج ابنك؛ لأنها تبغضه ولا تريده.. لكنك على ما يبدو لم تكترث بنصحي ..يا أستاذ الزواج إن لم يكن إيجاب وقبول عن طواعية سيفشل.. أنتم تحيون في عاصمة مدينة أفكار الريف والقرى لا تتناسب مع المدن.. فالتهديد والوعيد لا يجدي نفعا.. فأرجوك أن تكف ابنك عن إزعاج البنت.. طلبت مني أمها أن أتقدم بشكوى للشرطة عن طريق المحامي.. فاعتذرت لها وقلت أنتم أهل.. والإشكال يحل بالتفاهم.. أنت رجل عاقل ومربي أجيال يا أستاذ عادل.. فاضغط على الولد أن لا يتعرض لها مستقبلا بشيء مهما صغر إنها فتاة يتيمة ووحيدة أمها..

ـ صدق يا دكتور أني وأمه وأخوه الكبير حاولنا جادين صرفه عن هذا اللقاء، وعن هذا التفكير الأعوج.. ولكن ماذا ستفعل لشاب بلغ الثلاث والعشرين سنة؟!.. لم يعد صغيرا

ـ والحل يا سيد عادل.

ـ أنا لا حل عندي.. الحل عندكم.

ـ عندنا!.. يا رجل أنت عمها والولد ابنك

ـ قل لي ماذا أفعل؟ هل أستطيع أن أخطب له فتاة بدون موافقته؟ مَن مِن الناس سيقبل؟! أنا في الأول قلت ابن عم يرغب بابنة عمه.. ولما رأيت

رفضها قلت له ابحث عن غيرها أو اصبر حتى تنضج أكثر .. فلو لم يكن محبا لها لما صبر ، ولتزوج أخرى دون انتظار .. وأنا أضع السبب واللوم على أمها فهي تبغضنا ؛ كأننا لسنا أسرة واحدة ، وأنها زوجة المرحوم أخي .. وأن البنت بنتنا .. نشرت بين الناس أننا طامعون في ثروتها ومالها الذي ورثته عن أخي، وصدق الناس الكلام .. ولما تحدثنا عن البنت أخذت تنشر أننا طامعون بمال زهيرة .. كل الأولاد تزوجوا يا دكتور وأغلب البنات ، لم يبق إلا ميلاد وبنتان ما زالتا تتعلمان ..وأولادي من الزوجة الثانية وهم صغار بعد

ـ وهل الزواج بالقوة والعنف يا حضرة الأستاذ ؟

ـ القضية أن الشاب متعلق بها ومحب لها

ـ حب من طرف واحد لا يفلح .. وأمامها سنوات في الجامعة .. فأتمنى عليك أن تبعده عن طريقها .. لا أريد أن تصل الأمور لشرطة ومحاكم وأنتم أهل

ـ ذكرت له عن فشل الحب إذا كان من طرف واحد ؛ ولكنه قال يأتي الحب بعد الزواج .. أكثر الناس يتزوجون بدون حب ، ويأتي الحب بعد الزواج

ـ صحيح هكذا نتزوج ؛ ولكن بقبول الطرفين لبعضهما .. لا برفض ولا بقوة تهديد .. لا يوجد إجبار وإكراه .. تقبل به المرأة ثم يأتي الانسجام والقبول .. هي ترفضه بقوة وشدة .. عليك بردع ابنك يا عادل.. هذه ابنة أخيك وأنت وليها الأول ، وهي أمانة في عنقك .. تتزوج بإرادتها ورغبتها ومن تقبله وتوافق عليه .. عليك بتزويجه قبل أن يتمادى معها .. فأنا دهشت من فعلته معها.. الزواج بالتفاهم والتراضي

عاد عادل يردد : ماذا أفعل ؟ هل أحمل له سيفا ؟!

ذكرت له أنا وإخوته أن ينسى هذه الفتاة ، وأنها لا تصلح له ، وستجعل حياته جحيما وشقاء ، لو حصل زواج بالغصب والإجبار.





مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الأزهار
مواقف ارشادية
نبوية
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
غربتي وابنتي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
قصص
المصباح المضيء
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
وهج الحرب
جمال شاهين
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
موقعة الثلاثة والعشرين
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حضرم بن سلام
جمال شاهين
الفوارس
رُمان
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
القصر المهجور
جمال شاهين
قريشا . . .
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
هو أنت لاجيء
جمال شاهين
الفوارس
عبد الله البحري
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
مملكة مالونيا والملك بربار
جمال شاهين
الفوارس
الأميرة نهر الأحلام
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
قطبة بن سنان
جمال شاهين
الفوارس
الأمير جفر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
صورة الأم
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
بصمة وراثية
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
رجل اسمه سنار
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حسان والطير الذهبي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
زهلول في أرض الجآن
جمال شاهين
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
وصية جديدة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
مغامرة النادي
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
مصرع المدير
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
شارع البحيرة الخامسة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
ليموت الماضي
منشورات المكتبة الخاصة

جمال شاهين

قلب الوطن
حكايات الفوارس
روايات اجتماعية
روايات جنائية
حديقة الازهار
جواهر القصص
قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٩

٢٠٢٤

إعداد
جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء التاسع

يونس بن متى

كان يونس بن متى نبيا كريما أرسله الله إلى قومه فراح يعظهم، وينصحهم، ويرشدهم إلى الخير، ويذكرهم بيوم القيامة، ويخوفهم من النار، ويحببهم إلى الجنة، ويأمرهم بالمعروف، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده. وظل ذو النون –يونس عليه السلام– ينصح قومه فلم يؤمن منهم أحد. وجاء يوم عليه فأحس باليأس من قومه.. وامتلأ قلبه بالغضب عليهم لأنهم لا يؤمنون، وخرج غاضبا وقرر هجرهم ووعدهم بحلول العذاب بهم بعد ثلاثة أيام. ولا يذكر القرآن أين كان قوم يونس. ولكن المفهوم أنهم كانوا في بقعة قريبة من البحر. وقال أهل التفسير: بعث الله يونس عليه السلام إلى أهل)نينوى (من أرض الموصل. فقاده الغضب إلى شاطىء البحر حيث ركب سفينة مشحونة. ولم يكن الأمر الإلهي قد صدر له بأن يترك قومه أو ييأس منهم. فلما خرج من قريته، وتأكد أهل القرية من نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم وصرخوا وتضرعوا إلى الله عز وجل، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات. وكانوا مائة ألف أو يزيدون. وقد آمنوا أجمعين. فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي استحقوه بتكذيبهم. أمر السفينة: أما السفينة التي ركبها يونس، فقد هاج بها البحر، وارتفع من حولها الموج. وكان هذا علامة عند القوم بأن من بين الركاب راكبا مغضوبا عليه لأنه ارتكب خطيئة. وأنه لا بد أن يلقى في الماء لتنجو السفينة من الغرق. فاقترعوا على من يلقونه من السفينة . فخرج سهم يونس –وكان معروفا عندهم بالصلاح– فأعادوا القرعة، فخرج سهمه ثانية، فأعادوها ثالثة، ولكن سهمه خرج بشكل أكيد فألقوه في البحر –أو ألقى هو نفسه. فالتقمه الحوت لأنه تخلى عن المهمة التي أرسله الله بهاٍ،وترك قومه مغاضبا قبل أن يأذن الله له. وأحى الله للحوت أن لا يخدش ليونس لحما ولا يكسر له عظما. واختلف المفسرون في مدة بقاء يونس في بطن الحوت، فمنهم من قال أن الحوت التقمه عند الضحى، وأخرجه عند العشاء. ومنهم من قال انه لبث في بطنه ثلاثة أيام، ومنهم من قال سبعة. قال تعالى: { وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ(139)إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ(140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ(141)فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142)فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ(143)لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ(145)وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ(146)وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ

يَزِيدُونَ(147)فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ{ (148) الصافات يونس في بطن الحوت :عندما أحس بالضيق في بطن الحوت، في الظلمات –ظلمة الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل– سبح الله واستغفره وذكر أنه كان من الظالمين. وقال) :لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .(فسمع الله دعاءه واستجاب له. فلفظه الحوت) .فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون .(وقد خرج من بطن الحوت سقيما عاريا على الشاطىء. وأنبت الله عليه شجرة القرع. قال بعض العلماء في إنبات القرع عليه حِكَم جمة. منها أن ورقه في غاية النعومة وكثير وظليل ولا يقربه ذباب، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره نيا ومطبوخا، وبقشره وببزره أيضا. وكان هذا من تدبير الله ولطفه. وفيه نفع كثير وتقوية للدماغ وغير ذلك. فلما استكمل عافيته رده الله إلى قومه الذين تركهم مغاضبا. ذنب يونس عليه السلام: نريد الآن أن ننظر فيما يسميه العلماء ذنب يونس. هل ارتكب يونس ذنبا بالمعنى الحقيقي للذنب؟ وهل يذنب الأنبياء. الجواب أن الأنبياء معصومون.. غير أن هذه العصمة لا تعني أنهم لا يرتكبون أشياء هي عند الله أمور تستوجب العتاب. المسألة نسبية إذن. يقول العارفون بالله: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين.. وهذا صحيح. فلننظر إلى فرار يونس من قريته الجاحدة المعاندة. لو صدر هذا التصرف من أي إنسان صالح غير يونس ..لكان ذلك منه حسنة يثاب عليها. فهو قد فر بدينه من قوم مجرمين. ولكن يونس نبي أرسله الله إليهم.. والمفروض أن يبلغ عن الله ولا يعبأ بنهاية التبليغ أو ينتظر نتائج الدعوة.. ليس عليه إلا البلاغ. خروجه من القرية إذن.. في ميزان الأنبياء ..أمر يستوجب تعليم الله تعالى له وعقابه. إن الله يلقن يونس درسا في الدعوة إليه، ليدعو النبي إلى الله فقط. هذه حدود مهمته وليس عليه أن يتجاوزها ببصره أو قلبه ثم يحزن لأن قومه لا يؤمنون. ولقد خرج يونس بغير إذن فانظر ماذا وقع لقومه. لقد آمنوا به بعد خروجه.. ولو أنه مكث فيهم لأدرك ذلك وعرفه واطمأن قلبه وذهب غضبه.. غير أنه كان متسرعا.. وليس تسرعه هذا سوى فيض في رغبته أن يؤمن الناس، وإنما اندفع إلى الخروج كراهية لهم لعدم إيمانهم.. فعاقبه الله وعلمه أن على النبي أن يدعو لله فحسب. والله يهدي من يشاء.

قصص من السنة

نِسْوَة ثَلَاثة مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ذَكَرَ الدُّنْيَا فَقَالَ: " إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَاتَّقُوهَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، ثُمَّ ذَكَرَ نِسْوَة ثَلَاثة مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ تُعْرَفَانِ، وَامْرَأَة قَصِيرَة لَا تُعْرَفُ،

فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، وَصَاغَتْ خَاتَمًا، فَحَشَتْهُ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ الْمِسْكِ، وَجَعَلَتْ لَهُ غَلَقا، فَإِذَا مَرَّتْ بِالْمَلَإِ أَوْ بِالْمَجْلِسِ، قَالَتْ بِهِ: فَفَتَحَتْهُ، فَفَاحَ رِيحُهُ، قَالَ الْمُسْتَمِرُّ: " بِخِنْصَرِهِ الْيُسْرَى، فَأَشْخَصَهَا دُونَ أَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ شَيْئًا، وَقَبَضَ الثَّلَاثَةَ " حم عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ وَالزَّهْوَ، فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ غَلَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَانَتِ الْمَرْأَةُ الْقَصِيرَةُ تَتَّخِذُ خُفَّيْنِ مِنْ خَشَبٍ تَحْشُوهُمَا، ثُمَّ تُولِجُ فِيهِمَا رِجْلَيْهَا، ثُمَّ تَعَمَدُ إِلَى الْمَرْأَةِ الطَّوِيلَةِ، فَتَمْشِي مَعَهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ سَاوَتْ بِهَا أَوْ كَانَتْ أَطْوَلَ مِنْهَا» ط عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَوْ جَابِرٍ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ خَطَبَ خُطْبَة، فَأَطَالَهَا، وَذَكَرَ فِيهَا أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَذَكَرَ أَنَّ " أَوَّلَ مَا هَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّ امْرَأَةَ الْفَقِيرِ كَانَتْ تُكَلِّفُهُ مِنَ الثِّيَابِ أَوِ الصِّبْغِ، أَوْ قَالَ: مِنَ الصِّيغَةِ مَا تُكَلِّفُ امْرَأَةُ الْغَنِيِّ، فَذَكَرَ امْرَأَة مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ قَصِيرَة، وَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ وَخَاتَمًا لَهُ غَلَقٌ وَطَبَقٌ وَحَشَتْهُ مِسْكا، وَخَرَجَتْ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ أَوْ جَسِيمَتَيْنِ، فَبَعَثُوا إِنْسَانا يَتَّبِعُهُمْ فَعَرَفَ الطَّوِيلَتَيْنِ، وَلَمْ يَعْرِفْ صَاحِبَةَ الرِّجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ .

التوحيد لابن خزيمة

خطر الغلول

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامهُ عَلَيْهِمْ، فَقَال لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأةٍ وَهُوَ يُرِيْدُ أن يَبْنِي بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا. وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوْتَا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوْفَهَا، وَلَا أَحدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَو خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أوْلَادَهَا. فَغَزَا، فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ العَصْرِ، أو قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَال لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأمُوْرَةٌ وَأَنَا مَأمُوْرٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا. فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ -يَعْنِي النَّارُ- لِتَأكُلَهَا فَلَمْ تَطْعمْهَا، فَقَالَ: إنَّ فِيْكُمْ غُلُوْلَا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيْلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزَقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَال: فِيْكُمُ الغُلُوْلُ، فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيْلَتُكَ، فَلَزَقَتْ يَدُ رَجُلٍ أوْ ثَلَاثَةٍ بِيدِهِ، فَقَالَ: فِيْكُمُ الغُلُوْلُ. فَجَاءُوا بِرَأسٍ مِثْلِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعَهَا، فَجَاْءتِ النَّارُ فَأكَلَتْهَا، فَلَمْ تَحِلّ الغَنَائِمُ لِأحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أحَلَّ اللهُ لَنَا الغَنَائِمَ لَمَّا رأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنا، فَأحَلَّهَا لَنَا.«ق

التحقيق الجنائي والجريمة

صورة الأم

الحلقة ٢ والأخيرة

٤

بعدما وصل الطبيبان لبيت مالك وسلما على الأهل وتناولا العشاء المعد لهما ، لم يستطع الطبيب غازي النوم في بيت صديقه ، فرأى أن أولاده وزوجته وأمه أحق بالجلوس معه، فاستأذن من صاحبه بالذهاب إلى أحد الفنادق وبعد أخذ ورد وشد

ورخاء استسلم الطبيب مالك لرغبة صديقه ، وأخذ جواز سفره وترك حقيبته وودع صديقه وقال : عندما استقر في فندق سأتصل بك لتطمئن
وركب سيارة أجرة نقلته إلى شارع الثورة حيث عمارة الساعد ، ودق الباب على البواب الذي كان ممددا على الفراش مستغرقا في نومه رغم أن الساعة لم تصل منتصف الليل بعد ، فنهض من نومه فزعا ومرحبا بالدكتور ومهنئا له بالعودة سالما ، ثم شرح له قصة الجثة التي وجدت في شقته ، ولما استمع لها قال في النهاية : لقد علمت ذلك يا أبا حسونة وأعطني المفتاح الذي عندك حتى استلم المفاتيح من دائرة البوليس .. فقد وجدوها عندما دخلوا الشقة فحرزوا عليها.

ـ يا دكتور .. هذه المرأة التي ماتت في شقتك أتعرفها ؟!

ـ بالتأكيد .. هي قريبتي ابنة خالتي .. هيا نصعد معا لتحدثني كيف اكتشفت الجثة ؟

ودخل الرجل الشقة وحدثه أبو حسونة كيف اتصلت به المرأة في الليل ، وطلبت منه إيقاظها في الصباح الساعة الثامنة ، وكيف رن الجرس عليها أكثر من مرة فلم ترد ، فصعد إلى الشقة ولم تفتح ، فعاد وأخذ المفتاح وفتح الشقة ثم وجدها ترقد في غرفة نوم الطبيب ، ودماؤها تملأ الوسادة والسرير ، فاتصل بالشرطة على الفور وختم حديثه قائلا : الشغالة ماجدة قد نظفت الغرفة من يومين .. لقد اتصلت بي الآنسة نهى وذكرتني بقرب وصولك فطلبت من الشغالة ماجدة تنظيف الغرفة وغسل الشراشف والوسادة وأرى أن السرير يحتاج لتغيير فقد كان غارقا بالدماء ولو تنام في غرفة فايز يا دكتور.

ـ أشكرك يا سيدي دعني الآن قد أنزل وأنام في بنسيون أو فندق سأتفقد البيت .. فرجال الشرطة يقولون إنه لم يسرق منه شيئا ، ولم يعبث المجرم بشيء ، وأنا أدرى بما عندي.

ولما خرج البواب وأغلق الدكتور الباب وراءه بالمفتاح جلس على مقعد واسع أريكة في غرفة الاستقبال ، وأخذ يفكر بهذا الحدث الرهيب الغريب ، ولماذا كانت شقته مسرحا لهذه الجريمة ؟! وتوصل إلى نتيجة وهي لابد من مقابلة ابن خالته رامي .. والشرطة تريد أن يصحبها إليه

مضى وقت وهو يدخن ويفكر على المقعد ، ثم سار للمطبخ وأعد لنفسه كوبا من القهوة وقال : لابد أن يأتي الخادم اللعين غدا .. كأنه ما صدق أن أسافر ولما جهز كوب القهوة سكبه في الكوب، وعاد لغرفة الاستقبال يفكر ثانية بابنة خالته المقتولة ، ولم يهتد لسبب مقنع بالقتل فيقول : لو قتلها رامي ثورة وانفعالا لانكشف أمره .. ولكن هذه جريمة مدبرة .. تسلل القاتل خفية وخرج خفية ولابد أنه

استخدم مسدسا مركبا عليه كاتم صوت.. فلم يسمع صوت الرصاص في العمارة!!

أمضى الطبيب ساعات يدخن ويشرب القهوة ويفكر حتى غلبه النوم فتمدد على الأريكة واستغرق في النوم ، لم يفتح الخزانات والحقائب ليتفقد أشياءه لقد شدته أحداث هذه الجريمة التي حدثت في بيته ، وتمنى أن يكتشف رجال الأمن الجاني ليعرف منه دوافع هذه الجريمة، ولم يستيقظ الطبيب من نومه إلا على صوت رنين جرس الهاتف فنظر لنفسه والساعة ، فوجد نفسه قد نام على أريكة غرفة الاستقبال في ملابس السفر ، ونظر للساعة فوجدها العاشرة نهارا ففرك وجهه ورفع سماعة الهاتف فسمع صوت السكرتيرة نهى تتحدث من العيادة وتهنئه بالعودة وأنها عرفت ذلك من بواب العمارة ، فبين لها أنه متعب لا يستطيع العمل اليوم فلتؤجل المواعيد للغد ، وأعلمته أن الخادم فايزا اتصل يسأل عن عودته ، وأنه قد يتأخر يومين أو أكثر لأن جدته تحتضر وقد تموت فقال : اللعين إني بحاجة إليه على كل حال أخبريه بوصولي وليقضي يومين أو أكثر بجانب جدته.

وشكرها الدكتور ووضع السماعة واتصل بالبواب وطلب إفطارا سريعا ، ثم اتصل بمالك صديقه وتحدث معه بضع دقائق، ثم اتصل بمعرض للأثاث القديم وطلب منهم المجيء لأخذ أثاث غرفة نومه ، ولم تمض ساعتان حتى كانت الغرفة فارغة من الأثاث ، فنزل بعد ذلك إلى متاجر ومعارض المفروشات واختار غرفة نوم جديدة ، وما دخل الليل حتى كانت الغرفة قد فرشت وأثثت بالأثاث الجديد ، ولما تجهزت انطلق لدائرة الأمن واستلم مفاتيح الشقة التي وجدت فيها بعد مقتل المرأة ، وقال له الضابط يحيى : نحن نبحث عن ابن خالتك رامي ذهبنا أمس للسمراء على العنوان الذي ذكرته لنا فأخبرتنا زوجته أنه غائب عن البيت منذ يومين .. وتبين لنا أنه رجل يشرب الكحول بشراهة ويتعاطى المخدر ومعروف لرجال الأمن هناك.

فعقب الدكتور قائلا : رجل هامل وفاسد ، وكثيرا ما يتشاجر مع أخته المطلقة عيدة ولولا أنه غبي لقلت إنه القاتل لها .. فالجريمة مدبرة ومخططة بإحكام ، ولو أنها عشوائية لقلت إنه الفاعل يا حضرة الملازم وكثيرا ما أصلحت بينهم.

ـ ماذا كانت تشتغل قريبتك ؟

سكت الدكتور فترة قبل الإجابة ثم قال : لا شيء .. هي قد ورثت بعض المال عن والديها ، وما أخذته من مطلقيها ، قد ذكرت لكم أنها تزوجت مرتين وطلقت فتجمع لديها بعض المال، وهي قد استثمرت أموالها في البنك وتأخذ عليها الفوائد

والأرباح.

فقال الضابط : ولكن تبين لنا يا دكتور أن أخلاقها لم تكن ولابد ؟!

فقال الطبيب : يا سيدي الستر مطلوب أسمع بذلك ، وإنما هي امرأة في هذا المجتمع ، والمغريات كثيرة وقد تكون الحاجة أيضا.

فقال الملازم : على كل حال أنت قدمت لنا ما يلزم فنشكرك الشكر الجزيل .. وكما تعلم يا دكتور سيرة حياة الشخص تكشف أحيانا كثيرة كثيرا من الغموض ودوافع القتل .. فعندما نعرف أن لها أصدقاء في النوادي الليلة والحانات نقترب على ما أظن من الجناة.

فقال الدكتور وهو ينهض : موفقون يا سيدي وأتمنى لكم من كل قلبي أن تصلوا للجاني أو الجناة فلقد كلفني مقتلها في بيتي غرفة نوم جديدة .. لقد اشتريت اليوم أثاث وغرفة نوم جديدة.

فتضاحك الملازم وقال : لا بأس من تجديد غرفة النوم يا دكتور .. بس.. لماذا لم تتزوج لحتى الآن ؟! .. فقد عرفنا أنك بغير زواج ولست مطلقا أو أرملا .. والعجيب أن لديك غرفة نوم مزدوجة!

فضحك الطبيب وقال : أتخيل نفسي متزوجا يا ابني .. لقد كبرت على الزواج.

فقال ساخرا : ولكن يا دكتور ما زال لك صديقات يترددن على شقتك ؟

فصاح الطبيب مغضبا : هذا كذب يا سيدي الملازم.

ـ إحدى صديقات ابنة خالتك قالت لنا ذلك.

فقال الطبيب بامتعاض : هل هي ليلى ؟! .. إنها امرأة تكرهني!

٥

صباح يوم الثلاثاء من نفس الشهر كان الضابط علي محمود على موعد مع جريمة أخرى في شقة الدكتور غازي الرمانية ، البواب أبو حسونة أيضا اتصل بالبوليس مخبرا عن مقتل الدكتور غازي بنفسه ، اتصلت نهى عاملة العيادة بالدكتور حوالي التاسعة صباحا لتستفسر منه هل يرغب بالدوام والعمل هذا النهار؟ فلم يرد ، وبعد عدة محاولات اتصلت بالبواب وطلبت منه أن يذهب إلى شقة الدكتور ويطلب منه الحديث مع العيادة ، فصعد الرجل العجوز إلى الدور الرابع ورن جرس الباب وطرق الباب ولكن بدون جدوى ، فلعب الفأر في عبه ، فعاد وأخذ مفتاح الشقة وأخذ معه الشغالة ماجدة وفتحوا الشقة وفي غرفة النوم وجدوا الدكتور مضرجا بدمائه ، فصرخت الشغالة وقام البواب بالاتصال بالشرطة ، فهرعوا على الفور إلى الشقة وعلق الملازم يحيى بعد الإجراءات الروتينية قائلا : نفس أحوال الجريمة السابقة .. شقة مفتوحة بنفس المفاتيح من غير عنف وحتى

خطوات القاتل في المنزل نفس الخطوات والطبيب يؤكد أن وقت ارتكاب الجريمة أيضا بعد الواحدة أو الثانية ليلا.

كان المقدم علي يتمشى في الشقة مستغرقا في التفكير ورجال البحث والمختبر الجنائي يحاولون البحث عن آثار للقاتل من شعرة ورقة ، وقام المصور الجنائي بأخذ الصور لمسرح الحادث ، ورجال الإسعاف يرفعون الجثة إلى سيارة الإسعاف لنقلها إلى دائرة الطب الشرعي للقيام بتشريحها وكتابة التقرير عنها ، وقال البواب بأنه لم يشاهد أحدا يدخل العمارة مع الدكتور في الليل ، ولم يدخل العمارة شخص غريب منذ غروب الشمس ، انتقل المقدم علي لعيادة الدكتور وتحدث مع السكرتيرة حديثا طويلا ومملا ؛ ولكنه لم يظفر منها بمعلومة تكشف وتنير الطريق ، فهي لا تعرف خصوصيات الدكتور ، ثم قالت له في النهاية : أنا لا أعرف أعداء له ولكن أخص أصدقائه الدكتور مالك جبر وهناك خادمه فايز نائل .. شاب مريض ؛ ولكنه خادم نشيط وقد عاشر الدكتور أكثر من خمس سنوات ، وهو يسكن في بلدة تسمى نسمة الربيع ، وهو الذي قد تجد لديه بعض أسرار الطبيب ، فهو خادمه

الأمين ويسكن في شقة الدكتور.

وأخذ الضابط عنوان الرجلين منها ، وانطلق إلى عيادة الدكتور مالك فوجده يبكي صديقه ، وقد صرف الموظفين والمراجعين ، وكان يبدو للضابط أنه في حزن حقيقي على مقتل صاحبه فعزاه فيه وقال : أرجو أن نتعاون يا سيدي لمعرفة الفاعل لتقتص منه العدالة.

فقال بحزن : أنا رهن إشارتك وكلي شوق لمعرفة قاتل صديقي منذ عشرين سنة .. تعرفت عليه يا سيادة المقدم أثناء الخدمة في عيادات الدولة ، ثم تقاعد بعد إكمال مدة التقاعد ، وفتح عيادته في شارع الأمراء ، وظلت العلاقة والصداقة مستمرة بيننا إلى اليوم ، وقد صدمت بموته بهذه الطريقة ولا أعلم لماذا قتل ؟! حقا شيء مدهش ومثير! .. فأنا لا أعرف خصوما له لهم دوافع للفتك والغدر به .. وقد يكون في حياته أسرار ؛ ولكني لا أعرف عنها شيئا .. هو صحيح لم يتزوج وحياته لا تخلو من النساء ، فله صديقات كثر وهو ليس ملاكا ، فهو بشر ويشتهي كما يشتهي الرجال ، فله علاقات عاطفية قديمة وحديثة .. فهو رجل يحب السهر والمتعة واللهو والمسرح والغناء .. وغيره كثير يحيا هذه الحياة الماجنة .. ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك .. فالرجل أصبح في دار الحق .. ولكن إذا تذكرت شيئا يفيد القضية فأنا أقدمه لكم .. وأنا في خدمتكم في كل وقت.

فقال المقدم علي : أنت لا ترى الآن أن أحد أخوة

عشيقاته أو أقاربها قتله أو غدر به انتقاما لكرامته وشرفه وغير ذلك من الأمور.

فقال مالك بعد تفكير عميق : لقد كان الدكتور يحسن اختيار أولئك النسوة .. وهن نساء ماجنات معروفات بالسهر والمجون قبل أن يحتك بهن ، ولا تدوم أي علاقة مع إحداهن أكثر من شهرين أو ثلاث ثم يبتعد عنها ويبحث عن غيرها .. فهو لم يعشق امرأة زمنا طويلا ، وقد يكون عرف الكثير من النساء ولم يحدثني عنهن يا سيدي المقدم .. واعلم أنه من النادر ما كان يلتقي بهن في بيته .. وقد يكون خادمه فايز مؤكدا لهذا الأمر، فلما سافرنا رحلتنا الأخيرة أخذ إجازة وعاد لبلدته نسمة الربيع.

فقال المقدم : لابد من الذهاب إلى تلك البلدة ومقابلة هذا الخادم ، قد نجد عنده شيئا يفسر لنا سر هاتين الجريمتين .. وأرجو منك يا دكتور مالك أن تتعاون معنا لأقصى حد وكل معلومة تقدمها لنا تقدمنا خطوة من الجناة أو المجرم اللعين.

ـ سأفعل أيها المقدم فأنا يهمني معرفة القاتل الغادر ، فكما قلت سابقا فنحن أصدقاء وأصحاب منذ عشرين سنة.

سافر الضابطان إلى مدينة الرواحل ، ومنها إلى قرية نسمة الربيع وذهب برفقتهم ضابط من ضباط أمن الرواحل ، وسألا عن بيت السيد فايز نائل فلم يجدوه في البيت فتحدثوا مع والدته ولما علمت بمقتل الطبيب غازي الرمانية ظهرت عليها الدهشة والوجوم والحيرة وقالت متشككة : فايز يعمل خادما في بيت الدكتور غازي الرمانية !! .. نحن نعرف فقط أنه يعمل ممرضا في عيادة دكتور في العاصمة.

فقال المقدم علي : صحيح هذا .. فهو خادم في البيت وممرض في العيادة.

فقالت : أمس كان هنا وزار جدته في المستشفى ، ونزل المدينة فقد علمنا منه أن الدكتور قد سافر لقبرص فأعطاه إجازة ، وأكثر وقت ولدي يقضيه في المدينة مدينة الرواحل ، وأحيانا يأتي في آخر الليل .. فأنا ليس لي في هذه الدنيا إلا هو .. وله بعض الرفاق القدامى في المدينة فيذهب ويسامرهم ويأتي للمبيت هنا ، ومرضت جدته ـ وهي أمي ـ منذ أيام وهي راقدة في المستشفى.

فقال المقدم علي : أنت أرملة ؟

ـ لا .. لا يا سيدي إنني مطلقة منذ أكثر من ثلاثين سنة ، فوالد فايز موجود وحي وهو من سكان وأهالي هذه البلدة ؛ ولكنه رماني أنا وولدي الوحيد ، وعشت مع أمي وربيت ولدي فايزا ، وتعلم في معهد متوسط في المدينة ، ولما أنهى الدراسة الفندقية اشتغل في أحد فنادق العاصمة ، فيما بعد تعرف على ذلك الدكتور وانتقل للعمل عنده في العيادة ممرضا

كما قال وبين الحين والآخر يزورنا.

ـ كيف نلتقي به في المدينة ؟

ـ هو نزل على المدينة الكبيرة .. قال أمس سأزور جدتي وأودعها وأعود للعمل فقد رجع الدكتور من السفر ، ولا أظن أنه ما زال في مدينة الرواحل وإلا لجاء للمبيت هنا.. وعلى كل حال هناك مقهى كبير في مدينة الرواحل يجلس عليه مقهى الربيع .. وله صديق يجلس عنده ومعه اسمه المعلم شمر .. شاب شرس وهو معروف في المدينة وقد زارنا مرة أو مرتين.

فقال ضابط مدينة الرواحل معقبا: أجل يا مقدم علي نحن نعرفه شاب معروف وهو من زعران وهمل المدينة .. فلا أدري ما جمعهما على بعض.

فقالت الأم : صحبة مقهى لا أكثر من ذلك .. فابني أصغر من شمر المذكور.

فشكرها المقدم علي وقال : هيا بنا قد ندرك المقهى قبل أن يغلق شكرا يا أم فايز .. إذا حضر ابنك فأخبريه بأن يراجع مركز بوليس مدينة الرواحل لسماع أقواله عن الدكتور القتيل.

فقالت بقلق : سوف أفعل.

ولما أغلقت الباب ورائهم قالت بحيرة : أمعقول أن يكون قد عرف شيئا قديما ؟! .. إنها قصة لها أكثر من ثلاثين سنة!

٦

جلس المقدم علي في مكتبه في دائرة الشرطة وطلب من الملازم يحيى أن يأتي بالصور التي وجدت في شقة الدكتور المقتول فقال يحيى : ألم تتفرج عليها من قبل يا سيدي المقدم ؟!

فرد المقدم : بلى ، لقد تفرجنا عليها فعلا ، ولكن منذ أن عدنا من قرية نسمة الربيع ، وقد قابلنا تلك المرأة أم فايز ، وأنا أقول أين رأيت ذلك الوجه ؟ صورة تلك المرأة .. أين رأيتها ؟ تذكرت أنني شاهدت صورتها ضمن البومات صور الدكتور .. ولما علمت تلك المرأة بأن ابنها يعمل عند الدكتور غازي الرمانية وأنه قتل ظهرت عليها الدهشة والحيرة ، وقد علمت من ملف الدكتور في وزارة الصحة أنه قد عمل في مدينة الرواحل وتلك القرى من حولها ، ونـقل منها لسوء سلوكه وكثرة تحرشه في النساء والمريضات .. فاتصلت بزميلنا الرائد محسن الذي رافقنا هناك بأن يضع البيت تحت المراقبة للقبض على فايز المختفي منذ أيام ، ثم طلبت منه أن يسال الأم هل لها معرفة بالدكتور غازي معرفة قديمة ؟ .. فاعترفت أنها كانت تتردد عليه في مركز الصحة بالمدينة للمعالجة فهي تعرفه منذ أيام بعيدة .. لأجل ذلك دهشت عندما علمت بعمل ابنها عنده .. بل عرف الرائد محسن أن زوجها طلقها لشائعات دارت حولها وحول الدكتور غازي ؛ ولكن بعد رحيل الدكتور عن

المدينة لم يحصل بينهم أي لقاء ، وأنت تعلم أن هذه القصص لا تنسى في الريف فيتوارثها الأبناء عن الآباء ، وأن نبذ الوالد لولده وهجر أمه قد يكون قد سبب له عقدة نفسية فحقد على الدكتور غازي ، ولما عرف أنه صاحب وصديق أمه ثار الحقد في قلبه فقتله.

فقال الملازم : والمرأة المقتولة ما بينها وبين الشاب فايز؟ .. بل لماذا لم يأخذ صور أمه من الألبوم إذ رآها ؟

ـ عندما نقابل هذا الشاب سنعرف الكثير الكثير من المعلومات أحضر الصور لنتأكد من صورة تلك المرأة الريفية.

بالفعل لما شاهد الضابطان الصور الفوتوغرافية قال يحيى : فعلا إنها صور السيدة هدى أم فايز ولكنها قديمة.

فقال المقدم علي : إذن اطلب من الرائد محسن أن يجمع لنا معلومات دقيقة وشهود عن علاقة الطبيب غازي وتلك المرأة ، وليكثف رجالنا البحث عن فايز ويعرفوا الأماكن التي يتردد عليها هنا .. فقد أخبرني محسن أيضا أن المدعو شمرا أخبره أن الشاب فايزا منذ أتى البلدة وهو متوتر الأعصاب، ويشرب الخمر بكثرة وشراهة رغم أنه من النادر أن يشربها ، ولا تكاد السيجارة تفارق شفتيه كذلك ؛ ولكنه لم يفه بشيء أمامه.

ولما انصرف الملازم يحيى لتنفيذ تعليمات المقدم علي رن جرس الهاتف في مكتب المقدم علي فقال له مأمور الاتصال : فتاة اسمها نهى سالم تريد الحديث معك يا سيدي.

ـ صلني بها .. آ .. أهلا أخت نهى .. اتصل بك السيد فايز .. في المستشفى !! أي مستشفى شكرا لك .

وترك السماعة ونادى على الملازم فلما حضر قال: لقد ظهر الفتى فايز يا يحيى.

ـ أين ؟!

ـ إنه مصاب في المستشفى الحكومي .. لقد تعرض لحادث دهس .. هيا بنا نراه .. فقد اتصل بالعيادة يسأل عن الدكتور غازي واليوم سمحوا له بالحديث.

ولما وصل الضابطان المستشفى ، طلبا محضر البوليس فوجدا فيه أن السيد فايزا تعرض لحادث صدم فجر يوم الثلاثاء ، فقد كان يقطع أحد الشوارع فصدمته سيارة مسرعة وهربت واكتشفته سيارة بوليس دورية وهو بين الحياة والموت ، فنقل لأقرب مستشفى ، وأجري له أكثر من عملية وهو يرقد في جناح العظام والكسور في وضع طبي سيئ ، وبعد قراءة المحضر الشرطي صعدا إلى غرفة المريض فوجدوه ملفوفا بالجبص والشاش الطبي ، فلما لمحهما برقت عيناه بشدة ثم همس :أنا القاتل ..

أنا المجرم وهذا جزائي العاجل .. لقد شبت النار في قلبي عندما علمت أن هذا الدكتور كان عشيقا لأمي ، وأنه سبب تعاستها ونكران أبي لي .. كان أهل القرية ينظرون لي كأنني ابن زنا لقيط .. الحقد ملأ قلبي عليه.. إنه مجرم أكثر مني.

نظر المقدم لأحد الأطباء الذين حول السرير وقال : هل يمكنه الكلام الكثير ؟

رد الطبيب المعالج : كسور في عظم الجمجمة .. أما الخطر الأكبر فهو في كبده .. وهناك تفتت في عظام فخذيه وساقيه ورغم الصداع الذي يكتنفه فلا بأس من سماع اعترافه . وغمز الطبيب بعينه.

فأدرك الضابطان أنه في وضع صعب وحرج وأنه قد ينتكس من جديد فقال المقدم : الأحسن سماع اعترافه والتفت لفايز وقال : أتحب أن نسمع حكايتك أم لا تستطيع ؟

فقال بهمس : اسمعوا .. قد أموت أعرف أن كبدي انشطر من حدة الصدمة قد يريح الاعتراف أعصابي وضميري .. سأبدأ من البداية .. أنا ابن قرية بعيدة عن العاصمة ، وجدت نفسي أعيش بين أمي وجدتي ، وأن أبي طلق أمي لمشاكل كبيرة بينهم ، وقد تخلى عني حتى إخوتي الآخرين ، ربوا على عدم الإحساس بي ولا يكترثون لي ، وصارت مشاجرات كبيرة بين أبي وأمي من أجل ذلك ، ولكن أبي أصر على التنكر لي ، ويدعي أنني لست ابنه رغم أنني أحمل اسمه ، فلما كبرت ووعيت للأمر ، بدأت أعرف تفاصيل قصة أمي ؛ عرفت أن سبب طلاق أمي أنها كانت تتردد على المدينة القريبة للعلاج في مركز طبي تابع للدولة ، وتعرفت أثناء ترددها على العيادة على طبيب فأحبها وصارت عشيقة له ، فكانت كلما تنزل على المدينة تلتقي به ، وأثناء ذلك ولدت أنا ، ولم يكن أحد يعرف باتصالها بذلك الطبيب الماكر ، ولكن هذا الأمر لم يختف للأبد انكشف السر للممرضات أو قل لإحدى الممرضات ضحايا ذلك الطبيب الماجن ، فأفشته لامرأة من القرية ، فأخذ الخبر ينتقل في القرية ثم المدينة ثم نقل الطبيب إلى مدينة أخرى ، ثم طلق أبي أمي فذهبت لتسكن مع أمها جدتي ، فعشت منبوذا مشكوكا في بنوتي ، بذلت أمي وجدتي الغالي والنفيس حتى كبرت وأرسلتني للمعهد الفندقي لأتعلم الطهي والخدمة الفندقية ، فتيسر لي ذلك رغم الجرح والألم الذي تكوّن في أعماقي ووجداني ، اندمجت في حياة المدينة تناسيت القرية تناسيت أبي تناسيت ماضي أمي واعتبرتها ضحية المجتمع ، لم أكن أدرك يومذاك عمق العلاقة السرية بينها وبين ذاك الطبيب في المركز الطبي حتى يومها لم اهتم باسمه ومعرفة الكثير عنه .. المهم عرفت أن أمي تعلقت بطبيب ، ثم طرد من المدينة بسبب هذه الصحبة ودار الشك حول أمي ، أنهيت

سنتي التعليم توظفت في أحد الفنادق في مدينة الرواحل ، أصبحت أملك المال وتعلمت قيادة السيارات ، وبعد حين اشتريت سيارة صغيرة ولكنها قديمة ، صرت أتردد بها على القرية .. وكنت بين أهلي كأنني غريب ما زال شكهم واتهامهم يحوم حولنا رغم السنوات الطوال ، ثم بلغت الخامسة والعشرين وما زالت تلازمنا نظرات الشك والريبة .. أمي حبيسة القرية منذ أن عرف الناس بحكايتها مع ذلك الطبيب الفاجر .. لم تتزوج من أجلي .. لا تذهب للمدينة إلا أيام الأعياد لشراء الملابس لي .. كان يصيبها المرض والضعف لا تنزل للمدينة وتعتمد على وصفات العجائز في القرية والفلاحين، كان في داخلي بركان وصراع وأقول لنفسي هل يعقل أن تكون هذه الأم الصابرة فاجرة ؟! .. لابد أن ذلك اللعين خدعها وغرر بها مع ذلك كان الناس في القرية يتحاشون الجلوس معي.. مرحبا فقط وينصرفون .. المهم اندمجت في حياة الفنادق والمال ، كان لصاحب الفندق أكثر من فندق في قلب العاصمة ، فطلبت منه أن ينقلني إلى أحدها فقد ضقت من هذه المدينة ومن أهلها، لقد حاولت أمي تزويجي من إحدى بنات القرية المحترمات ، فرفضت وعزفت عن النساء ورغم ما علمته عن أمي من سوء فقد كنت أحبها وأشعر بتضحيتها من أجلي وأعرف الحزن العميق في روحها وبدنها ؛ ولكني ضعيف وعاجز أن أفعل لها شيئا ، حاولت إقناعها بالرحيل إلى العاصمة ولكنها رفضت لأن جدتي لا تريد الموت خارج القرية ، وأثناء عملي في أحد فنادق العاصمة تعرفت على الدكتور غازي الرمانية كان يحضر للسهر في الفندق في المناسبات وحفلات الرقص والأغاني .. وحدث أن سرقت بعض المال من أحد نزلاء الفندق ، وانكشف أمري فتشفع لي الدكتور غازي عند صاحب الفندق فعفا عني ، ومرضت بفقر الدم فأرسلني إلى عيادات زملاء له .. كنت أعجب من مجونه رغم سنه الكبيرة كان يشرب الخمر ويسكر ويعربد ويزني ويلعب القمار أحيانا ، ولكنه عندما يخرج من الفندق يصبح رجلا آخر متظاهرا بالوقار والاحترام .. مرض هذا الدكتور وقضى شهرين في المستشفى إن لم يكن أكثر وكنت أزوره كصديق ، فلما تقرر أن يعود للبيت عرض عليّ أن أعمل خادما عنده ودفع لي أجرة شهرية مائة وعشرين دينار غير المكافآت ، ووعدني أن يعلمني بعض مهارات التمريض ، وأن أسكن معه في الشقة .. فبعد تأمل قدمت استقالتي من الفندق وانتقلت للعمل عند الطبيب في شقته.

ولما عادت له صحته عاد للعمل في العيادة الخاصة به التي كان يقوم بالعمل فيها مكانه زميله مالك جبر بعد انصرافه من العمل في مستشفيات

الحكومة ، رغم مجون الدكتور فمن النادر أن يسمح لامرأة أن تزوره في شقته .. أنا لم أهتم حقيقة بحياته الخاصة كثيرا ، لقد عرفته وعرفت علاقته الغرامية أثناء العمل في الفندق فلم أكترث بفسقه وعبثه ، ومضت الأيام فقضيت عنده أكثر من خمس سنوات إلى أن كان ذات يوم أحضرت له كوبا من الشاي إلى حجرة النوم وكان بين يديه أعداد كثيرة من الصور الفوتوغرافية يقلبها ويبحث فيها عن صورة أو صور .. والحقيقة رغم طول المدة التي مكثتها عنده لم أحاول فتح حقائبه والعبث فيها ومعرفة المزيد من الأسرار عنه ؛ فإن ذلك لم يكن يهمني لأنني أعرف الدكتور بما فيه الكفاية ، وضعت كوب الشاي وأردت الانصراف لحجرتي فنادى : اقترب يا فايز .. هذه صور تصورتها هنا وهناك في الداخل والخارج .. ولكن صدف اليوم أن التقيت بامرأة عرفتها منذ ثلاثين سنة أو أكثر .. كنت يومها موظفا في مدينة الرواحل وكان ذلك في أول سنوات عملي بقطاع الصحة والطب

فعندما ذكر مدينة الرواحل تذكرت أمي وقصتها مع ذلك الطبيب فخشيت أن يكون هو العشيق القديم ، توترت وتهيجت أعصابي وذاكرتي فقلت بصوت مخنوق: ثلاثون سنة يا دكتور ؟!

فقال ولم يلحظ التغيير الذي أصابني : أجل ثلاثون سنة .. كنت اليوم في زيارة لأحد الأصدقاء الأطباء في عيادته عندما دخلت امرأة تراجعه .. هو جراح قلب .. فعندما رأيت المرأة عرفتها تذكرتها، وهي تذكرتني فوجمت عندما رأتني فنظرت إلى ملفها الموجود أمام الدكتور فإذا هو نفس الاسم الذي عرفته .. فلما انتهى الطبيب من متابعتها وخرجت خرجت خلفها واستوقفتها وذكرتها بنفسي فقالت : وكيف أنساك يا دكتور وكل عذابي منك ؟!

فواسيتها وقلت معتذرا : كانت أيام طيش ، ولقد عرضت عليك الزواج ولكنك أبيت حتى لا تتأكد الأقاويل .. إيه لقد طلبت منها أن تطلب الطلاق من زوجها لاقترن بها ، فرفضت فعرضت عليها بعض المال فرفضت .. تذكرت يا فايز أيام الصبا أيام الهوى والشباب .. ثم رفع صورة له معها ودفعها إليّ.

وكانت صورة أمي تمزق قلبي وهاج حقدي وأردت أن أخنق الدكتور من الغيظ والقهر والحقد ولكني جبان ، فتظاهرت أن صداعا ألم بي وعدت إلى حجرتي أبكي وأبكي.. ومن ذلك الحين بدأ في فكري قتل الدكتور والثأر لكرامتي وشرفي ومضى شهر وآخر وقل نزولي لزيارة أمي المريضة بالقلب والهم ، اشتريت مسدسا وجهاز كتم الصوت أخفيته في الشقة.. وبدأت أخطط للقتل ، ووضعت خططا وأفكارا كثيرة إلى أن سمعت الدكتور يتحدث مع السكرتيرة نهى برغبته في السفر لقبرص

فتظاهرت أنني بحاجة لإجازة لزيارة أمي وجدتي .. لم يمانع الدكتور فأعطاني أجرة الشهر كاملة ، وأخبرني أن سفره سيكون نهار الخميس بصحبة الدكتور مالك جبر، وأذن لي بالسفر صباح الأربعاء بعد وجبة الإفطار ، وأنا قررت أن أقتله في الليل قبل السفر .. نار الكره والثأر والانتقام تتأجج في قلبي .. وكان الترتيب أن أسافر صباح الأربعاء في القطار .. وفعلا ودعت الدكتور وحملت حقيبة صغيرة بها بعض الهدايا لأمي وجدتي .. وتحدثت مع البواب أبي حسونة وأخبرته بسفري للقرية وانطلقت لمحطة القطار وقطعت تذكرة وافتعلت مشاجرة مع أحد الموظفين ليشهدوا أنني سافرت للبلدة وفعلا وصلت لمدينة الرواحل واستأجرت سيارة سياحية من شركة الحمراء وأخذت بعض الفواكه وسرت للقرية وتعشيت مع أمي وجدتي وبعد دخول الليل وقد رقد الناس ادعيت أنني سأنزل للرواحل للسهر فلي أصدقاء ومعارف فيها ، ولكني انطلقت للعاصمة وبعد ثلاث ساعات ونصف دخلتها وأمام أحد محلات السوبر ماركت الكبيرة أوقفت السيارة وسرت مشيا نحو شارع عمارة الساعد ، كان الوقت بعد الواحدة ليلا ومن الباب الخلفي للعمارة تسللت إلى الدرج ، ولما صعدت الطابق الأول ركبت المصعد للطابق الرابع وبحذر شديد دخلت الشقة ، وكان المسدس في جيب الجاكيت التي ألبسها وقد خلعت الحذاء وظللت بالجوارب دخلت حجرة الدكتور كنت أظن أن فيها الدكتور راقدا فرفعت الغطاء عن رأسه وأطلقت النار ، فبعد أن أطلقت النار اكتشفت أن امرأة ترقد في فراش الدكتور صعقت .. أين الدكتور؟! عدت فلبست حذائي ثم فتشت الغرف وعدت أنظر لوجه المرأة المهشم بالرصاص وبكيت ولم تأكدت من عدم وجوده هربت كما دخلت وعدت للقرية ، وقد اشتريت زجاجة خمر وشربتها أثناء العودة ، وصلت القرية مع وجه الصباح وأنا سكران ، رقدت في الفراش وأنا أفكر بتلك المرأة التي قتلت على يدي وأنا أظنها الدكتور اللعين ، ولما علمت أن البوليس لم يصل إليّ بعد ، صممت أن أقتل الدكتور.. بعد يومين تحدثت مع نهى متظاهرا بالسؤال عن الدكتور فأخبرتني بأن الدكتور سافر مساء الأربعاء وأن امرأة قتلت في فراشه والشرطة تبحث عن القاتل .. فقلت : سوف أتصل بها بين الحين والآخر مدعيا بالسؤال عن عودة الطبيب غازي .. الصحف لم تنشر شيئا عن الجريمة .. مرضت جدتي وأدخلناها المستشفى في مدينة الرواحل .. ولما علمت بعودة الدكتور من نهى والبواب أبو حسونة رسمت أن أضرب ضربتي سريعا فمددت الإجازة بحجة مرض جدتي ، وفي اليوم المحدد تسللت كالسابق إلى حيث يرقد

الدكتور المستغرق بالنوم وأفرغت المسدس في رأسه وصدره ، وخرجت من الباب الخلفي للعمارة وقبل أن أصل إلى حيث أضع السيارة المستأجرة وأثناء قطعي للشارع دهمتني سيارة مسرعة ، وقد عرفت لما صحوت من فقدان الوعي أن اللعين لم يتوقف لإنقاذي ونقلي للمستشفى ، ولولا مرور سيارة دورية البوليس لظللت طريح الشارع حتى فارقت الروح الجسد .. فقد جاء القصاص عاجلا .. وهذا اعترافي وأنا بكامل قواي العقلية كما أرجو ولإراحة ضميري لقتل تلك المرأة بالخطأ ؛ ولكن قدرها كان على يدي

والتفت إلى الأطباء وقال : أيها الأطباء أرجوكم أن تضربوني إبرة مخدر لأنام إنني في غاية الألم والتعب

.تمت القصة .

روايات اجتماعية

أستاذ الفرنساوية ٤

الحفل

ذهب فارس وابنتاه إلى صالة حفل زواج محمد وناعسة أبناء أختيه أمينة وحميدة ، وكان ذلك في الوقت الأخير من الحفل ، وجلس على إحدى الموائد بعد أن حيا الجميع رافعا بيده للأعلى ، وقد قدم التهنئة للمهندس محمد ووالده اللذين كانا يستقبلان المهنئين على مدخل القاعة .

وكانت البنتان قد دخلتا القاعة المخصصة للنساء ، وكان الخبر منتشرا بين أفراد العائلة أن ابن حبيبة سيتزوج ابنة الدكتور فارس محسن ، فكانت التهاني تنهال على سلوى من فتيات ونساء لا تعرفهن .. وقدمت إليها حبيبة واحتضنها هي وأختها وكذلك فعلت عمتها حميدة .. وأخذت تعرف بعض الفتيات والنساء على بنات فارس .. حتى أن سلوى جلست على كرسي من كثرة المصافحات والمعانقات ، واجتازت تلك الحفلة بشق الأنفس ، فلما ركبت بسيارة أبيها تنفست الصعداء وقالت لأبيها : كل هؤلاء أقاربك !

تبسم وقال : أكيد تعبت من كثرة السلام والتقبيل .. أنا لي أربعة أعمام وست خالات وأنا وإخوتي سبعة .. فلابد أننا أنتجنا جيشا من سكان هذه الأرض .. أرجو أن تكنّ سررتنّ بلقاء أقاربنا الأقربين

فقالت حسناء : تعبنا من كثرة السلام والمصافحة والمعانقة ..

ـ لأنكن أول مرة تلتقين بمثل هذه الجمع من تجمعات العائلة .. كان بيننا جفاء وعلاقتنا بهم سيئة .. ولعل زواج سلوى بابن حبيبة سيحسن من الحال وتختفي أو تضعف الأحقاد .. وأنا لو لا حسن صحبتي لحميدة أم العروس ما ذهبت .. أكانت أم سامر في الحفل ؟

قالت سلوى : أمي حبيبة أشهرت خبر خطبتنا

القريب .. مع أن الخبر معروف بينهم ؛ لأن من كانت تسلم تبارك لي بالخطبة .. مع أننا كما تعلم لم نفعل شيئا رسميا ، وأمي حبيبة امرأة رائعة وطيبة ومحبوبة .. لا أدري لماذا لم تتزوجها يا أبي ؟

ضحك فارس وقال : لو تزوجتها من أين سيأتيك سامر ؟ .. هذا قدر ونصيب

ـ صدقت يا أبي .. إنها حبيبة فعلا .. وكانت تفتخر بنا أمام أهلها .. وسمعتها تقول قدر الله لي أن أتزوج طبيبا .. وها هو ابني سيتزوج طبيبة .. وعانقتنا أنا وحسناء بحنان وحب .. وكل نساء العائلة يحترمنها ويقدرنها .

فقالت حسناء : حقيقة أنت يا سلوى محظوظة جدا بهذه الأم الطيبة .. إنها تعالج نساء العائلة لوجه الله .. وتشارك في جمعيات لمساعدة الفقراء والمحتاجين .. بل تغضب وتتضايق إذا امرأة من قريباتها لم تتعالج عندها إذا كان المرض ضمن اختصاصها .. فهي طيبة .. ويتحدثن عنها بحب ووفاء .. لقد سحرت بها يا أبي .. لو تجدون لي عريسا عندها

قهقهة فارس وقال : كم عمرك يا حسناء ؟

ـ خمسة عشر عاما

ـ وتفكرين بالزواج ؟

ـ ها هي ناعسة بنت عمتي سبعة عشر عاما وتزوجت

فقال فارس ساخرا : حسنا .. اقنعي حماتك يا سلوى باختيار أحد أبنائها لأختك .. لتتزوجا في يوم واحد ..



كان سامر يجالس ويخاطب سلوى وهما يجلسان على مقعدين في إحدى حدائق الجامعة قائلا : كنت نجمة الحفل .. كيف وجدت حفلة أقاربك يا سلوى ؟

ـ وأقاربك .. أليسوا هم أخوالك ؟

قال ضاحكا : هم أقارب أمي صحيح .. ونعم الأقارب .. ما دامت بينهم سلوى ووالدها فارس ..

ـ لقد تعبت خدودي من القبل يا سامر .. الكل يريد أن يسلم ويعانق .. وجلست على كرسي من الإرهاق ..

ـ قالت أمي إنك وحسناء كنتما نجمتي الحفل أكثر من العروس .. فحضور والدك لهذا العرس كان عجيبا ومدهشا للناس .. كانوا يتوقعون اعتذاره وخاصة لما تأخر عن الحضور

قالت : هذا كان في بال الوالد ، ولكن حميدة عزيزة على قلب الوالد .. فهي صديقته الوحيدة من أخواته الأربع ..

عقب قائلا : عمك محمود علاقته جيدة أيضا

ـ وعمي محمود يودنا ، ويتصل بأبي ، ويزورنا بين الحين والآخر .. وهو عم مسكين لم يرزق البنين

والبنات .. أتعرفه يا سامر ؟

ـ التقيت به أكثر من مرة .. سلام وكيف حالك ؟ .. وهو دائم الحزن ؛ ربما كما قلت ؛ لأنه لم يخلف ذرية .. هل التقيت جدك محسنا ؟

ضحكت وقالت : إنني أعرفه يا رجل .. أعرفه طفلة .. ونحن نلتقي به مع أبي في بيت خالة أبي أم الحسن .. أثناء السنوات الماضيات .. لا أدري لماذا لا يذهب أبي إلى بيته ؟!

ـ إذن تعرفين الحاج محسنا .. لربما خشية أن يلتقي برجال لا يرغب برؤيتهم كعمك جابر .. وزوج عمتك خديجة مازن شقيق أمي ..

ـ نعم ، أبي كثيرا ما يذكر هذين الاسمين بغضب ونقمة

قال : حكاية قديمة يا سلوى .. اليوم خالي مازن يشفق عليه

ـ لماذا ؟!

ـ منذ هجره لزوجته خديجة المصابة بالشلل وهو يتزوج ويطلق .. تزوج على أثر مرض عمتك امرأة أنجبت له طفلين .. ثم طلقها بالمعروف .. وتزوج ثالثة .. وبعد سنين طلبت الطلاق ، وكانت قد وافقت على بقاء أولاده من امرأته الثانية معهم ..لأنه قبل طلاق الثانية على شرط بقاء الأطفال معه .. ثم تزوج الرابعة ومشاكله معها لا تنتهي ، وصابر كما يحدث أمي على مضض .. المهم أنك سعدت بعرس ابن وبنت عماتك ..

ـ أعراسكم غير مختلطة .. كنت أحلم بأن نجلس معا .. لا نسلم على بعض فقط .. كأننا أغراب وكم احمر وجهك وأنا أسلم عليك أمام الناس !

ـ الحياء من الإيمان .. كنت على كل حال جليس والدك بعض الوقت .. وكان حديثنا عن خطبتنا .. وعلمت من أبي الذي رافقنا لهذه الحفلة ومن والدك أن أمرنا سيقرر قريبا .

ـ هل تعلم يا سيد سامر إن حسناء وقعت في حب أمك وتريد عريسا منها ؟!

ـ عريسا لمن ؟! لها .. قولي لها أمامها شوط طويل حتى تصل لمرحلة الزواج .. على كل أمي أحبتها كما أحبتك واعتبرتها ابنة لها ...آه .. البكاء أتبكين ؟ إنني آسف يا سلوى .. أكيد ذكرتك بأمك .. ما أخبارها هذه الأيام ؟

ـ لي أكثر من شهر لم أرها .. إنها من النادر يا سامر أن ترفع التلفون للتحدث معنا زاعمة أنها لا تحب سماع صوت أبي .. ولما نتصل لنرتب للقاء وزيارة تزعم أنها مشغولة وأن زوجها مريض والبيت مشغول .. حجج كثيرة تلقيها في وجوهنا ومرات بضغط من أبي نذهب إليها بدون موعد .. تضطر لاستقبالنا بعض الوقت ..

ـ ألها أولاد من زوجها الآخر ؟

ـ لأ ، هو رجل كبير وعليل .. وهو صاحب

لوالدها ترمل عن أم أولاده .. ولم يتقدم أحد للزواج من أمي .. فزوجها الرجل لصديقه .. وهو يسكن في عمارة مع أولاده أو بعضهم .. وربما يكون هو الذي منعها من الحمل ..

وصمت الشابان لحظات ثم عادت سلوى تقول : قلت لي إن كلاما في الحفلة كان حول خطبتنا فمتى ستكون الخطبة ؟

ـ لم يحددوا تاريخا ما .. المهم ـ إن شاء الله ـ قريبا .. وليس فقط خطبة .. بل سيعقد عقد الزواج أثناء الخطبة

فقالت : لماذا لا نتزوج على الفور يا سامر ؟ ..

ـ نحن على مقاعد الدرس يا فتاتي .. وأمامنا سنون .. ثلاث أربع سنوات يا بطلة

ـ إني لا أحب مفارقتك .. أحب أن أبقى معك باستمرار يا سامر .. إنني انتظر ساعات الدوام بهوى وهوس .. انتظرها بفارغ الصبر أيها العزيز .. الشوق غلاب .. كم أفرح عندما يرن الهاتف في الليل ..

فقال سامر : وعندي من الشوق ما عندك .. لا تظني أنني جامد العواطف .. ولكن أحيانا لا استطيع أن أتحدث عن العاطفة التي أكنها لك في قلبي يا سلوى .. أنا اعترفت لك أنك الفتاة الوحيدة التي جذبتني لهذا الذي يسمونه الحب .. وأنا ـ إن شاء الله ـ حبي لك صادق .. وليس لهو ولعب كما نراه من الكثير من زملاء الجامعة .

ـ آه .. ما أجملك لما تعترف بهذا الكلام المقدس عندي ! .. وأنا أصدقك .. بدأت تعترف .. فكلمة الشوق كلمة مثيرة واعتراف خطير

ضحك لكلمة اعتراف وقال : اعتراف!!.. وكل هذه الأيام والساعات التي أقضيها بصحبتك والحديث معك ليس فيها اعتراف واستسلام للقدر الذي ربطني بك .. لقد فتنت بك مذ رأيتك أول مرة لفتي نظري فيها بالمدرج

ـ لقد سبقتك في هذه النظرة .. كنت ألمحك باستمرار .. وأحاول لفت نظرك إليّ ولكنك كالناسك لا ترفع نظرك إلى النساء ..

ـ منذ وطئت قدماي هذا المكان صممت يا سلوى أن لا ادع وقتا للنساء في حياتي .. قررت الصوم عن ذلك حتى أتخرج .. ولكني فشلت عندما وقع نظري عليك .. وقعت في غرامك ضعفت ..

ـ يا سلام .. دخلنا على الغرام بعد الشوق

ـ عندي لك مفاجأة يا سلوى

ـ مفاجأة!! ما هي ؟

ـ قلت مفاجأة .

ـ وكيف اصبر ؟!

ـ أنا اعلم أن صبرك ضعيف .. على كل حال سأكشف لك الخبر .. أأنت متأكدة مائة بالمائة من عواطفك نحوي يا سلوى ؟! وتقبلين بي شريكا

لحياتك .

نظرت إليه بدهشة وقالت : أأقبل ؟ ما أسخف هذا السؤال ! وهل بعد سنة تُسئل سلوى هذا السؤال ؟!

فخاطبها بشكل تمثيلي : يا بنت الزواج ليس مثل هذه الجلسات والأوقات نتسلى بها

هتفت بغيظ : نتسلى بها .. نحن نتسلى

قال : الزواج مسؤولية أتعين ذلك ؟

ـ ما معنى مسؤولية ؟

ـ صح ما معنى مسؤولية ؟ .. فعلا أنت لا تعرفين المسؤولية .. الغسيل عند الكوى والصباغ والصحون عند الخادمة والطعام من المطاعم .. عمرك غسلت وكويت نظفت مائدة وأطباقا ؟

ـ أتضحك مني ؟.. ما دام الخدم موجودين لماذا أغسل وأنظف ؟

ـ أترتبين فراشك لما تنهضي من النوم ؟

ـ ولماذا الخادمة ؟! التي يدفع أبي لها راتبا وأجرة

ـ معنى هذا يا حلوة .. أن اجلب لك خادمة معي ..عندما نتزوج .. سلوى وخادمة

ـ لقد رأيت في بيتكم خادمة ؟

ـ عند أمي وأبي خادمة .. صحيح ليس عندي يا سلوى .. عندما احتاج لكوب شاي أو كوب ماء سأطلبه من خادمة أمي وأبي ..

فقالت ببساطة : تعودت على الخادمة منذ طلاق أمي .. وسأتعلم لن أجبرك على التعاقد مع خادمة

ضحك سامر وقال : تتعلمين ماذا ؟ وماذا ستتعلمين ؟ أنا كما تعلمين أهلي ينفقون عليّ وعلى تعلمي في كلية الطب وأنت كذلك .. فهل سينفقون على خادمة إذا تزوجنا ؟.. أرأيت علينا أن لا نفكر بالزواج ونحن على مقاعد الجامعة ونحن عالة على الآخرين ؟

ـ فإذا عمل الشاي سيعطل زواجنا فسأتعلمه بسرعة .. ولا أظن أنني لا استطيع فعله .. صحيح أنا لم أجرب ذلك .. وليس الأمر صعبا ..

ـ والطعام والطهي

ـ يا الهي !.. أشياء لم أفكر بها صدق يا سامر

ـ ألم أقل لك الزواج مسؤولية ؟.. هناك زوج يريد أن يأكل ويشرب الماء والشاي والقهوة ويلبس ثيابا مغسولة ومكوية ..

قالت : أتعلم كل شيء .. مع الوقت أتعلم وأتقن فعل هذه الأشياء .. نحن منذ وجدنا على هذا الكوكب .. نعتمد على الأم والخدم .. وحتى المدرسة الداخلية كان موظفو الخدمة يقدمون لنا الوجبات والخدمات .. أما ترتيب الغرف والملابس كنا نمارسها في غرف المدارس الداخلية .. كل فتاة لها سرير وخزانة .. وعلينا كنس الغرفة يوميا .. وعاملات الخدمة يدخلن الغرف لنظافتها كل أسبوع مرة .. بالمكنسة الكهربائية ..

ـ ها أنت تحملت بعض المسؤولية

ـ أتعلم يا سامر .. كما أنا أتعلم في كلية الطب .. قل لي المفاجأة

ـ المفاجأة هي رغبة والديّ بزواجنا المبكر .. والسكن معهم في البيت .. وتحمل نفقات بيتنا من ماء وكهرباء واتصالات وطعام وتأثيث البيت .. لكن الخادمة لم اسمع أبي وأمي يتحدثان عنها

قالت بفرح غامر : سأقوم بواجباتي الزوجية كما تحب يا سامر .. المهم أن نتزوج وأن أعيش مع أمي حبيبة

ـ هذا ما سمعت الأسرة تتحدث عنه يا سلوى ؛ ولكن هل يرضى والدك بزواجك قبل التخرج الذي سيبقى له خمس سنوات

قالت متظاهرة بالاعتراض على حشر والدها في أمرها : أبي ؟!.. قلت لك ألف مرة الأمر لي أنا يا سيدي .. آه !.. إني أحب أمي حبيبة لقد أحبتني بصدق !

أم العروس

رن ذات ليلة هاتف منزل فارس وكان المتصل زوجة فارس الأولى ثريا وطلبت الحديث معه : نعم يا ثريا هانم .. ماذا جد؟! ألا تريدين حضور حفلة زواج ابنتك ؟ هكذا سمعت من سلوى

فصرخت : أنا أمها آخر من يعلم بمشروع زواجها يا فارس

ـ كان الكلام عن خطبة ثم تحول لزواج ، وأنا قلت لها عندما أذنت لهن بزيارتك آخر مرة أن تخبرك بقصة زواجها في صيف هذا العام .. فذكرت أنك غاضبة ولا ترغبين بحضور هذا الزواج فدهشت .. هي لم تخطب بعد ولم يكتب الكتاب .. وهي تعرفت على شاب في جامعتها وتطور الحال إلى زواج

ـ والعريس كما قالت قريب لك .. وأنا أعرف من هي أم العريس ولم أنس هذا الاسم يا دكتور فارس !

ـ هذا يا سيدتي الذي صار .. هل أقف في طريق سعادتها ؟.. فعليك أن تشاركي في حفل الزواج كأم صالحة

غضبت لغمزه وقالت صارخة : أنا لست أما صالحة يا فارس ! .. فلا داعي لمشاركتي في ذلك مبارك عليك بناتك

ـ على كل حال .. الزواج والخطبة في الصيف .. وبيننا وبين الصيف عدة أشهر .. فراجعي قراراتك .. وأنا لا مانع لديّ من حضورك .. فهي ابنتك كما هي ابنتي .. فلست آخر من يعلم فلم يحصل شيء سوى كلام في كلام .. مع السلامة .



وبينما السيدة ثريا في السوق لشراء هدية خاصة لابنتها التي ستتزوج خلال أسابيع قليلة ، وبينما

هي تدخل محلا لبيع الذهب وجدت عشيقها القديم حسونا فقالت متفاجئة : حسون .. أنت هنا ! .. كيف حالك ؟

والتفت إليها وبدا مصدوما وقال : ثريا .. يا أهلا وسهلا

تصافحا بحرارة فهما أصدقاء قدماء وقالت: عشر سنوات لم أرك فيها يا حسون !

تطلع حسون في عيني صاحب المحل وقال : ماذا تريدين من الذهب ؟ سنتكلم في الشارع .

حيت صاحب المتجر وقالت : سأعود .. هيا بنا نشرب قهوة

تبعها حسون إلى مطعم في نفس الشارع ، ولما جلسا على إحدى الموائد قال : ما أخبارك لي زمن أبحث عنك منذ عدت من أوروبا ؟!

قالت ساخرة : آ .. منذ عدت من أوروبا .. ماذا كنت تفعل في أوروبا منذ هربت مني ؟!

فقال متظاهرا بالانكسار والأسف : أنا آسف يا ثريا لم استطع طلاق امرأتي الحامل .. ولما صارحتها بحبنا الذي تعرفينه رفضت الطلاق .. وألزمتني بالهجرة .. وخشيت الفضيحة .. فرتبت لي سفرا لليونان .. أنا ضعيف أمامها

ـ وتركتني اكتوي بنار الوحدة وتخليت عني .. أين تسكن اليوم ؟

ـ أين أسكن ؟!

ـ أريد مقابلة هذه الزوجة التي حرمتني منك

ـ لا يمكن هذا ، أنت تريدين تدمير حياتي الزوجية

ـ ألم تدمر حياتي ؟

ـ برضاك يا ثريا ..أنا أعلنت حبي لك أيام عملنا في البنك .. وأنت وافقت على حبنا .. هل أجبرتك على الزنا ؟ .. أنت رضيت بالزنا عن طيب خاطر وقلت إن فارسا مشغول بجامعته وطالباته .. فلننشغل نحن بالحب والعشق

ـ رضيت لأنني أحببتك بحق يا ملعون ، فتحت لك داري وبعت شرفي من أجلك ، ولما أخذت حريتي هربت .

ـ وأنا ما زلت محبا وعاشقا ومستعدا للزواج منك

ـ لقد تزوجت رجلا كبر أبي بعد هربك يا ملعون .. وذلك بعدما يئست من لقياك ومن وجودك

زفاف سامر وسلوى

كان جابر محسن وابن عمه مازن محمد يجلسان على إحدى الموائد في قاعة أحد الفنادق الفخمة قاعة زينت بالأعلام والرايات والأضواء والألوان ، وذلك في حفل زفاف سامر وسلوى الذي أراد والد سلوى أن يكون في أحد الفنادق الكبيرة ذات النجوم الخمسة ، وكان الحفل يشمل ما يسمى بالبوفيه المفتوح للمدعوين ، ورغم اعتراض الدكتور خالد في أول الأمر واعتبر ذلك خروجا عن المألوف في عائلته ، ثم وافق على ذلك بعدما قبل

فارس أن يقاسمه نفقات هذا الحفل ، فلان بعد استسلام فارس للمقاسمة .

فكان جابر يقول : والله دنيا يا مازن !.. ها هو فارس وحبيبة يلتقيان من جديد .. ما أصابنا إلا الغم والهم طول هذه السنوات .. وها هم عادوا أصدقاء وأصهار

وضع مازن كوب العصير الذي كان يشربه وقال : صدقت يا أبا خضر .. خضنا معارك ومهاترات مع المدعو فارس .. وها نحن نحضر عرس ابن حبيبة وابنة فارس .. تصاريف القدر عجيبة .. الحياة مدرسة كما يقولون .. فارس الذي حارب الدنيا ليبتعد عن العائلة يعود إلينا من جديد .. لولا إعجاب أختي بسلوى لفسدت هذا الزواج على فارس اللعين .. لكنّ خالدا ليس من العائلة كما تعلم وخجلت من التدخل في زواج ابنه

ـ علمت أن طليقة فارس حضرت العرس

ـ إنها تجلس هناك مع حبيبة.. لقد ذهب الجمال الذي كانت تتباهى به يا جابر.. لليوم لم نعرف لماذا طلقها فارس ؟ الذي كافح العائلة كلها ليقترن بها ..أنسيت ذلك ؟

قال : تاريخ .. وهل ينسى يا ابن العم ؟! طلاقي لهناء كان من وراء قصص فارس وثريا.. فعلا لم تعد بذاك الجمال والرونق والثياب الباريسية التي عرفناها بها .. فهي امرأة رجل عجوز ورغم بحثي عن سبب الطلاق لم أصل لجواب سوى أن فارسا تعلق بحب جديد من إحدى طالبته وتزوجها سرا ، ولما كشفت ثريا أمر الزواج المخفي عنها طلبت الطلاق ، ورفضت أن تعيش ضرة ، وتخلت عن البنات لفارس .. فوافق على ذلك وطلقها

ـ هل تعلم أن أم خضر موجودة هنا ؟

ـ أعرف وسلمت عليها .. أحضرها خضر معه .. وخديجة أم عصام أتى بها ابنك أيضا .. لا أظن أن أحدا من عائلتنا تخلف عن هذه المناسبة .. فحبيبة سيدة كبيرة في العائلة

قال مازن : لقد اشترى الدكتور خالد غرفة نوم لولده لا مثيل لها في البلد .. مستوردة من أوروبا.. أرأيت البذخ والنفاق ؟!

ضحك جابر ضحكة قصيرة وقال : ابن أختك سيصير طبيبا كأبيه ، وسلوى ستكون طبيبة أيضا مثل أختك .. هل يدوم مثل هذا الزواج في رأيك ؟

ـ أختي مجنونة في سلوى .. وسلوى مجنونة فيها .. تحبها أكثر من أمها ، وتعلن ذلك على الناس وعلمت أنها لا تحسن صنع وغلي أبريق شاي أو صنع صحن سلطة

ـ لماذا ؟

قال :طول عمرها معتمدة على الخدم

ـ صحيح .. وحبيبة عندها خادمة.. الزوجات العاملات يحتجن لخادمات .. أرزاق يا دنيا

قال مازن : كنت أفكر بتزويج باسم من إحدى بنات حبيبة ؛ اليوم أفكر كثيرا ..أنا فارس أبغضه

ـ وما دخل فارس بحبيبة وزواج باسم ببنت حبيبة ؟!

ـ سلوى بنت فارس

قال جابر: يبدو أن فارس اليوم ليس كفارس زمان .. لليوم لم يجد امرأة ترضى به زوجا وقرينا لها



كان حفل زواج سامر مشهودا وأحدث دويا قويا في عائلة محسن وأقاربه ، وكان ذلك بين حاسد ومحب ، وأنفقت فيه الأموال الكثيرة ، وغادر العروسان الفندق إلى المطار فور انتهاء الحفل للسفر إلى صيف سويسرا ، ثم فينا لقضاء ما يسمى اليوم شهر العسل وإجازة العرس .

وكانت السعادة تغمر العروسين ، وهما يصعدان سلم الطائرة المغادرة بعد حين إلى تلك البلاد

وكانت سلوى تهمس لسامر : إنني أسعد إنسانة يا سامر بوجودك معي وبقربي .. لقد أحضرت ملابس الصلاة معي ، ونفذت تعليماتك كما قلت .. وأخبرتني أمي حبيبة أن الثياب الشرعية الجلابيب داخل إحدى الحقائب

ـ رائع يا سلوى !! لم يبق لك عذر بعد الزواج للسفور وترك الصلاة .

ـ حتى أبي قال لي افعلي كل ما تطلبه منك حبيبة وزوجك سامر .. الصلاة سكينة للمرء في هذه الزمن المليء بالأمراض النفسية

قال سامر متحمسا : أحس أن والدك يريد أن يتوب يا سلوى ولكنه ضعيف ..آه لو قبل بالزواج من ابنة الدكتور حمزة تلك المرأة المطلقة مرتين ستساعده بالخروج من التردد والحيرة التي يحيا بها ..لابد أنك سمعت بحكاية تلك الإنسانة .. فربما عاد لفطرته السليمة .. ها نحن في شهر العسل ومع ذلك نصلي ونفرح ونتمتع بهذه الدنيا وجمالها.. عندما نعود للجامعة يا سلوى ستعودين بثياب طويلة وملابس توافق الشرع فستكونين حديث الطلبة والزملاء ستتفاجأ صديقاتنا بك

أليس كذلك ؟

ـ بالتأكيد يا زوجي الحبيب .. هل أنت سعيد يا سامر بالزواج مني ؟

ـ سعيد جدا ! كنت أظن أن الأمر سيطول حتى نتخرج ونعمل .. لكن أسرنا وقفت معنا .. فنحن عندما نتخرج قد يكون بين أيدينا طفلان

ـ أوه يا سامر أمستعجل على الأولاد ؟!

ـ ولماذا التأخير؟ .. أنا لست من أنصار تأخير الحمل .. المال والبنون زينة الحياة الدنيا .. بل والدك المتعلم عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية والمتفرنس كما يقول همس في أذني أحسن شيء الأولاد في أول

الزواج

تبسمت سلوى قائلة : لأنه لما تزوج على أمي زهرة أخر الحمل ، ولما طلقت أمي أرادت الزوجة الحمل ، فوجد أنه لا يستطيع الإنجاب فكان الطلاق .. فهو ملسوع كما يقال

ـ نترك الأمر لصاحب الأمر .. الله وحده هو الوهاب

ـ أنا تحت أمرك .. أنت دنياي يا فارسي الجميل!!

عودة فارس

بعد زواج سلوى وسامر ومغادرتهما البلد لقضاء شهر العسل في ربوع أوروبا أخذ فارس يفكر جديا بالزواج ، فقد أصبح البيت خاويا ، وكان يصاحبه السرور في نهاية الأسبوع عندما تعود حسناء لقضاء يوم العطلة في البيت ، فاتصل بالدكتور خالد موسى وتحدث معه عن تلك المرأة التي ذكرها له منذ أشهر فقال خالد : إنك تشعر بالوحدة بعد سفر سلوى

ـ رغم مكثي في الجامعة كما تخبر ، فقد كانت سلوى مهمة لي في البيت يا دكتور خالد .. لها وحشة

ـ أكيد .. أنا من ذاك اليوم وأنا أبحث لك عن امرأة تناسبك وترضى بالحياة معك .. والإنسان لما يعوز شيئا توصد الأبواب وتقفل أمامه ، وعندما لا يريد الشيء تنهال الفرص عليه ..أنا لم أنساك يا أبا سلوى

ـ أنا أسالك عن تلك المرأة ابنة الدكتور .. نسيت اسمه رغم أنك عرفتني عليه يوم عرس سامر وسلوى

ـ تعني الدكتور حمزة صديقي وجاري في مجمع العيادات ..ولكنني ذكرت لك أن ابنته متدينة وتلبس الزي الشرعي .

فقال فارس ضاحكا: يا سيدي إذا قبلت بي وراقت في عيني .. أتدين مثلها

قال خالد بحماس : آه كلام جميل يا فارس !! تنوي ترك الفرنسة

ـ كبرنا يا خالد.. كبرنا .. وأنا قلت لك لست مدمن خمر أو زير نساء .. إنما لا أرى حرمة الخمر كما يراها المتشددون .. ولا أرى الزنا جريمة كبرى ما دامت بالتراضي دون إكراه واغتصاب .. أقول هذا متأثرا بالحضارة الفرنسية .. أنا منذ بلغت وأنا لا أعرف الصلاة والصوم .. كنت أضحك من أمي عندما تأمرني بالصلاة .. وتحاول تشجيعي على الصيام ..

ـ يا سيدي أنت تعلم أن دين الإسلام رحمة وأخلاق .. رويدا رويدا تعود لحضن الإسلام يا دكتور فارس .. التوبة في الإسلام لا تحتاج لقسيس أو شيخ .. دعنا نتقابل .. ما رأيك أن تتعشى معنا الليلة .. أنا أغلق عيادتي مع صلاة العشاء .. ستفرح حبيبة لذلك .. فقد أوصتها

سلوى وهي تغادر عليك .



نهض الرجلان عن مائدة الطعام وهما يحمدان الله تعالى ، وشكر فارس أم سامر على العشاء الذي قدم لهم ، وانتقلوا لمكتبة ومكتب الدكتور المنزلي ، وأخذ فارس يـتأمل في عناوين الكتب قبل الجلوس ، ثم جلس بعد حين مع حضور الشاي وقال : مكتبة جميلة يا خالد ! .. أنا مكتبتي كلها كتب فرنسية وإنجليزية وبعض معاجم اللغة العربية والموسوعات .. مكتبتك زاخرة بالكثير من التصانيف .. طب فلك دين تاريخ .. لغة .. لا أدري يا خالد لماذا أبغض الدين؟! رغم أن والديّ يصليان ويصومان .. وقد حجا بيت الله في مكة .

رد خالد : لقد كنت متأثرا بالغزو الثقافي الغربي والعالمي .. أثر فيك تخلف أو تأخر المسلمين في الصناعة والتكنولوجيا .. فظننت أن هؤلاء أفضل منا وأحسن منا .. لكن الحياة ليست المادة فحسب .. أشبعت الحاجات المادية حتى التخمة اليوم .. الروح لم تقدم لها حضارة الغرب أي شيء .. وأنت شاب صغير قد جرفك تيار التغريب التيار العلماني الذي عشعش في بلادنا .. وزعمتم أن الدين هو سبب ضعفنا ، وليس مصدر حياتنا وقوتنا .. قستم دين هؤلاء على ديننا وجعلتم كل الأديان في سلة واحدة وهي سبب تخلف الأمم .. ولما يتعمق المرء في ثقافة هؤلاء يجدها ضحلة فارغة رغم تشعباتها .. لا تجد عندهم شيئا جذابا إلا الشهوات .. وهي ذات عمر قصير .. وتصاحبها الآلام والأسقام .. فنحن اليوم نرى أهل الغرب يعتنقون إسلامنا ويقرأون كتب علمائنا .. فبعضهم يسلم مثلنا ، وبعضهم يتوقف حائرا مترددا .. لقد شوه المستعمر والغازي القديم دين ورسالة الإسلام .. وتبعهم بعض المرضى في هذه الفرية والدعاية المغرضة وجعلوه دينا ضد المدنية دينا ضد العلم وضد الحرية .. دين الإرهاب كما نرى ونسمع اليوم .. هناك إعلام وأقلام تشوه الدين في بلاد المسلمين .. ولكن اليوم الحمد لله بدأ الوعي الجماعي للإسلام يظهر من جديد .. ومكتبتي يا دكتور حتى أمرك ..

ـ شكرا ، أريد يا سيدي بهذه المناسبة كتابا أو كتابين يثيران في نفسي حب الإسلام والدين من جديد

ـ سأفعل .. والآن لنتحدث عن الزواج فأنت بحاجة لزوجة تسكن إليها بعد فراغ البيت من سلوى

ـ أتمنى لهما السعادة ، ما أخبارهما في أوروبا ؟

ـ ألم يتحدثوا معك؟ .. لقد تحدثا مرة من سويسرا ومرة من فينا .. اقترب الشهر على الزوال .. الأيام تمشي سريعا ، فكيف إذا كانت أيام أول الزواج ؟!

ـ اسأل الله لهما السلامة يا أبا سامر .. نعم ، تلك المرأة كيف سنقنعها بالقبول بي إذا عدت إلى الله

ـ أنا سأتكلم مع والدها بصراحة عنك .. وأقول لهم إن الرجل وعدني بالتوبة وترك الخمر

ـ الخمر تركها سهل واعتبرني تركتها من هذه اللحظة .. تمر عليّ أسابيع ولا اشرب كأسا منها اشربها عند زيارة الأصدقاء وزملاء العمل في مناسبات معينة ..هي من باب المحاكاة لهؤلاء الأجانب .. بس المشكلة يا صديقي في الصلاة والصوم احتاج لوقت للثبات على فعلهما .. خمس صلوات قد تكون ثقيلة عليّ .. لكن صدق أنني عازم على ترك الكفر والعصيان .. وأنا سأعتبرك أخي الفاضل مستشاري الديني حتى ارجع إلى الله حقيقة ..

قال خالد سعيدا : حياك الله يا دكتور.. أنا مسرور من أجلك .. ومن التفكير في العودة إلى الدين سأنقل الصورة التي أنتم عليها للدكتور حمزة صديقنا الفاضل بكل صدق وأشجعه على الترحيب بك .. لا أخفي عنك سرا نحن جسسنا نبضها حولك لكنها قالت إنه لا يصلي .. نفرت من ذلك وقالت لحبيبة الصلاة عمود الدين يا أم سامر نحن حاولنا مساعدتك ، لكن تبين لنا أن المرأة مصرة على الصلاة ، ولا مانع لديها من الزواج منك إذا التزمت بالصلاة ، بل قبلت وعدا منك بالصلاة .. ولكن لمعرفتنا بمبادئك العدائية للتدين .. تجاهلنا الأمر يا دكتور ولأنك صارحتنا بالتغير الذي أنت مقبل عليه صارحناك بما جرى بيننا وبين البنت .. والمرأة كسيرة بسبب فشلها في الزواج مرتين وعدم قدرتها على الحمل ..وبما أن عندك نية للتغير والعودة فسنشجعها على الاقتران بك بعد الالتقاء بعضكم ببعض ..

قال فارس : أشكرك وأشكر حبيبة أو السيدة حبيبة على هذا الاهتمام وعلى الجهود التي تبذلونها من أجلي .. وأنا مسلم لست ملحدا يا خالد .. لكني لا أعرف حقيقة الصلاة والصوم والدين لي عمر بعيد عن ذلك .. فقضية وجود الله لم تشغل بالي ؛ لأنني غير مهتم بالإيمان وعلاقة الإنسان بخالقه .. وحتى الفكر الفرنسي الحديث لا يفكر في هذه القضية كثيرا .. فالله موجود عندهم في الكنيسة .. أما في الشارع في البنك في السوق في الوزارة لا دخل له في ذلك .. وغير موجود .. هذه قضية فردية شخصية .. لا أنكر أنني تأثرت فعلا بالفكر والفلسفة المادية ، ودع ما لقيصر لقيصر .. ولم أحاول معرفة الله وصفاته أو صفات الإله الذي أومن به .. إن كان الإيمان بالله إيمان وجود أنا مؤمن به ربا وخالقا .. ولكن لم اهتم طيلة هذه السنوات كيف يعبد هذا الرب ؟! كيف أتقرب إليه ؟ فكل هذه العبادات غير ذات أهمية في حياتي .. ماذا أكل ؟ ماذا أشرب

؟ هذا حرام .. هذا حلال .. ما دام مسموح به في البلد ولا يخالف القانون فأنا اقبله يا سيدي .. فقضية شرب الخمر مثلا .. لم اسأل هل هو حلال أم حرام ؟ تعاملت معها كأمر اعتيادي .. هناك شباب مسلم يقولون لك الخمر حرام .. ولكننا نحبها نشربها .. كذلك التعامل المال والبنوك .. ولما آكل شيئا أقول الحمد لله .. ليس تدينا إنما شكرا لله .. وعادة .. ويتردد لفظ الله على لساني في محاضراتي وكلامي .. لكن لا التزام عندي نحو قضايا الدين .. فأنا محسوب على أصحاب الفكر الحر أصحاب الحرية غير المتدينين العلمانيين .. مع أنني لا أنتمي لحزب معين إلا عضو في بعض جمعيات فكرية علمية لها علاقات مع مراكز فرنسية لتبادل الثقافة والخبرات .. وصراحة بلادنا كما تعلم لا تحكمها العلمانية بشكل واضح .. ولا الديمقراطيات الغربية .. حكم مختلط .. بين ديني وعلماني ووطني .. هل نستطيع التمييز بصراحة يا دكتور خالد ؟

العروس

كانت حبيبة قد شرحت لنبيلة رغبة ابن عمها بالزواج من امرأة عاقر ، وحدثت الفتاة بأن الرجل ليس متدينا ولا مصليا .. واعتذرت الفتاة عن مثل هذا الزواج .

ولما أحس خالد بعد لقائه الأخير بفارس أن الرجل أخذ يعيد حساباته وتفكيره في العودة مجددا لأحضان الإسلام الذي هجره منذ بلغ البلوغ الشرعي ، وتركه نهائيا مع أول يوم في الجامعة .. ولم يعد يكترث لصلاة ولصوم ولمناسبة دينية .. وصلة رحم وعلاقات عائلية ككثير من الذين تيسرت لهم الدراسة في فترة الخمسينيات والستينيات في الجامعات فاعتبروا التمسك بالدين رجعية وتخلف وانحطاط ، وجعلوا الإسلام سبب ضعف الأمة وهوانها .. لكن في فترة الصحوة الإسلامية .. بدأت المعلومات تتغير .. والعودة إلى الإسلام تتجدد .. والإقبال على العلم الإسلامي والفكر الإسلامي كما يسميه البعض تعود .

تحدث الدكتور خالد بعد لقائه الأخير بفارس مع الدكتور حمزة زميله وصديقه في المهنة وفي المجمع الطبي ، ثم زاره في عيادته ، وجلسا يتحدثان بعد أن طلب الدكتور من سكرتيرة العيادة تأجيل المرضى لبعض الوقت .

شرح خالد القصة لحمزة وعن سبب الزيارة ، فدعاه حمزة لزيارتهم في البيت ، وشرح التطورات الجديدة للبنت لعلها ترحب بها جد وتقبل بهذا الزواج .

وفي الليل كان خالد وحبيبة يطرقان بيت الدكتور حمزة ، وبعد الترحيب والمجاملات التقليدية مشى الدكتوران نحو مكتب ومكتبة الدكتور حمزة ، وكان الدكتور قد ذكر لابنته سبب هذه الزيارة

فطلب منها أن تتبعه للمكتب والمكتبة قائلا : تعالي يا نبيلة .. فالأمر يخصك كما وضحت لك قبل ساعة ..

وظلت حبيبة جالسة مع زوجة الدكتور حمزة ، وكان كلامهم في نفس المهمة والغاية من الزيارة تبعتهم السيدة نبيلة بصحون الفاكهة ، ولما جلست حياها الدكتور خالد من جديد وشكرها ثم قال : الموضوع القديم يا أخت نبيلة .. موضوع الدكتور فارس محسن .. والد زوجة ابننا سامر وقد حدثتك حبيبة عنه سابقا .

ردت قائلة : أذكر فعلا ذاك الحديث يا دكتور فارس ..أنا وافقت من حيث الفكرة على الزواج منه ، ولكن لما علمت أنه غير مصل اعتذرت وقلت لأبي ذلك .. لقد تضايقت من فكرة الزواج من رجل غير ملتزم يا عمي .. نحن كما تعلم منذ الصغر نحب الجنة والآخرة ، وأن السعادة الحقيقية في الآخرة وليست في الدنيا

ـ لا خلاف عندنا في ذلك .. لكن علينا أن نعيش دنيانا .. وأنها دار الاختبار .. نحن سلوى ابنة الدكتور أخذناها لا تعرف شيئا من الإسلام والوضوء ؛ ولكنّ سامرا طمأنني أنها من أول ساعة وصلوا فيها سويسرا تغيرت وصلت .. ونحن جهزنا لها الملابس المناسبة .. ولا تخرج إلا وهي تلبس الجلباب .. لديها رغبة عظيمة بالتغير .. مع أنهما في شهر العسل يا دكتور حمزة .. لم تقل لما نرجع لما ينته شهر العسل .. هم وجدوا أنفسهم في بيئة لا تعتبر الدين مهما في حياتهم .. فسوف ترون بفضل الله سلوى أخرى .. للأسف هؤلاء الزاعمون أنهم أحرار ودعاة حرية ما هم بأحرار ، بل أسرى التقليد للثقافة والفكر الغربي .. استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير فيعتقدون أن الانفتاح والسفور هو الحياة هو السعادة .. وهذا وهم صاحب استسلامنا للفكر الغاصب .. فسلوى لم تر والدها في يوم من الأيام يسجد لله أو يضع سجادة صلاة ليصلي .. وأمها مثل أبيها .. مسلمون بلا دين وهوية .. ففارس ابن الجيل الذي استقبل الحضارة الغربية بخضوع وانبهار وابن الغرب والغزو الثقافي الغربي .. والذي انغرس فيه أعطاه لذريته .. لكن مع الصحوة وظهور الإسلام بدأت الكهول تعود لدين الله الحق .. فسلوى صبرنا على تركها أمور دينها حتى ترحل إلينا .. ومن أسباب تعجيلي لزواج سامر منها لنقلها لأسرتنا .. نحن نرى أن بيئتنا أصلح من بيئتهم يا دكتور حمزة

ـ أكيد يا خالد .. فحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل الذي قتل مائة نفس وقد التقى بالعالم الصالح فحثه على الانتقال إلى القرية الصالحة ليستطيع الثبات على توبته

ـ أحسنت يا دكتور حمزة ..البيئة لها دور مهم في

أثنى الدكتور حمزة على أفكار صديقه خالد ورغبته في إنقاذ الفتاة من الضياع ، ثم قال خالد :

والدكتور فارس لمست أن لديه رغبة بالعودة لحياة الإسلام والدين من جديد .. فهو بحاجة لمنقذ وشريك مساعد فأرى أن السيدة الفاضلة نبيلة تستطيع القيام بهذا العمل لوجه الله .. وحدثهم عن فارس وسيرة حياته التي يعرف

أهمها ثم ختم قائلا : حدثتكم عنه بتفصيل واضح وهو رجل لم يمارس الفجور والزنا .. ولو أراد ذلك فأماكن الفجور موجودة .. هو رجل هوي الغرب وأفكاره وفلسفته ؛ ولكنه منذ تعرفه بسامر أخذ يعيد ترتيب نفسه من جديد .. فأنا عرضت قصتي أمامكم حتى تكوني على بينة وصورة واضحة عن صهرنا .. وأنا حقيقة عندي أمل كبير أن يعود فارس للإسلام الذي عاداه أو تجاهله كل تلك السنوات المديدة، وقد أقر لي أن حياة العلمانية والعلمانيين فراغ ولهو وشهوات ، ووعدني بالصلاة .. لكنه قد يضعف عن بعضها لطول هجره لها .. ومع التشجيع والتذكير قد يثبت ، فهو قال ذلك قد أضعف فاحتاج إلى تشجيع .. فهذه مهمتك يا أخت نبيلة واستعيني بالله .. واستخيري الله ..ما رأيك يا دكتور حمزة ؟

بعد صمت قليل قال حمزة : هي مغامرة عظيمة يا نبيلة !.. وإذا لم تنجحي بمساعدته تستطيعين تركه وطلب الطلاق ، وسنصارحه بهذا صراحة ، وإذا نجحت كان نجاحك عظيما ولك أجر كبير - إن شاء الله تعالى - وأنا مثل خالد صار لديّ إحساس بأن الرجل راغب بك بعد كل هذه الشهور من الانتظار ، فهو يبحث عن امرأة متدينة تقبل به ليتغير.. وما دام الرجل يرفض الفجور والعشيقات ويرغب بالزواج فهذا يدل على نية صالحة .. وهو راغب بالعودة لحياة السكينة والبيت الدافئ .. لندعها تفكر بكل راحة يا دكتور خالد قبل أن ندعو الدكتور فارسا لشرب الشاي والقهوة

رد خالد متحمسا : أجل أجل أيها الصديق العزيز .. الحياة الزوجية جميلة يا نبيلة رغم ما فيها من بعض المنغصات .. والدكتور فارس ليس كبيرا في السن لم يبلغ الخمسين حسب علمي هو من جيلي تقريبا

فهزت الفتاة رأسها وقالت : سأفكر .. صباح الغد بإذن لله سبحانه سيكون الرد عند أبي .

قلب الوطن

وهج الحرب ٧

اتصل جهاد فور قطع الاتصال بوردة ببلص ، ولم يرد من أول اتصال، فبلص لا يهاب ولا يخشى أحدا من أبناء زكية كخشيته من جهاد ، لم يكن يستطيع إشعال سيجارة في مجلس هو فيه فكان

يذهب لشرفة أو حجرة للتدخين حتى في مكتبها في المعرض يدخل غرفة أو يخرج للرصيف يدخن سيجارته ، أما وهو سكران فلا يمكن الجلوس معهم ، فلا يقابله سكرانا ، حتى زكية كانت تتجنب الدخان والشراب بوجود جهاد إلا نادرا وسهوا ونسيانا ، وهو في العادة لا يطيل اللقاء بها والزيارة .

فهو منذ دخل المدرسة ، وهو يحب التدين بتوجيه من عمه حبيب ؛ حيث هو الوصي عليهم ، فنشأ متدينا ومحبا للدين ، ونافرا من سلوكيات أمه من حيث السفور وقلة الحشمة ، وهم يعتبرونه متشدد ا متعصبا ، وهو غير ذلك ، هو ملتزم بتعاليم الإسلام ، ومنسجم مع فطرته ، وهو حسن الحوار والسمت ؛ لكن الجاهل يرى كل متدين متعصب ومتشدد.

بلص متردد في فتح الخط والرد ؛ ولكنه خشي أن يأتي جهاد بنفسه ، فبعد تردد فتح الخط : أهلا أبا العبد كنت في المرحاض .

ـ السلام عليكم .

قال وهو يرتجف ويهتز التلفون بيده : وعليكم السلام.

قال : هل انصرف ضيوفك من الحانة والمرقص ؟ علمت أنك حولت الفيلا لمرقص ومغنى وخمارة .

قال متجاهلا ما سمع : أي ضيوف ؟

قال: الضيوف الذين حبسوا عارفا وميرا والطفلة سلمى.

قال : لا يوجد أحد في البيت .

قال جهاد: علمت أنكم كنتم تحتفلون وترقصون عن روح أمي .

قال صياحا : كذب ، لا أحد احتفل ورقص عن روح حبيبتي زكية . وأخذ بالدعاء لها بعصبية وتوتر.

قال : سنبيع البيت يا بلص قبل أن يتحول لدار دعارة ؛ كما حصل الليلة ؛ كما سنبيع المعرض ومحلات زوجتك ونوزع المال .. فأنت وعارف كل واحد منكم يبحث له عن بيت يعيش فيه وصلت الرسالة .. وأنا عصرا سأكون معكم وأسمع قصة عارف وحبسه.

قال برعب : هو حبس نفسه ؛ ليفتعل معركة ..إنه يكذب .

قال: سنبيع الفيلا واذا تعز عليكم ، ولكم فيها ذكريات مهمة للتاريخ ادفعوا ثمنها .. فبموت أمي أصبحت حق الذرية.

قال : كم ثمنها؟

قال : المخمن القانوني سيقدر لنا ذلك.. أما أن تتحول الدار لدار بغاء وفسق فهذا غير مقبول.. أمي لها أسبوعان ميتة .. حولتم البيت لخمارة ومرقص.

قال كأنه يبكي : كنت حزينا وسكرانا عندما جاء الأصدقاء .. جاءوا لنخرج لأحد الفنادق للسهر واللهو .. فاعتذرت لهم ، وتشاجر معهم عارف وميرا اللعينة العارية ، فرموهم في غرفة نومهم ، وقالوا نحتفل هنا يا بلص فما كان أمامي إلا الرضوخ لهم يا سيدي!

ـ هذه إساءة لذكرى أمي زوجتك.. أنت يوم دفنها كنت سكرانا .

قال : لا أدري لماذا فعلت ذلك؟ ! كانت صدمة لا يذهبها إلا الشراب .

ـ أمي ماتت قبل يومين من الدفن.. الصدمة كانت في قبرص ..وانتهت صدمتك مع أنك كنت تشرب وأياها عندما ماتت .. الليلة لا تسكر حتى نعرف نتكلم اشتري لك شقة صغيرة .. الفيلا كبيرة عليك ، وتحتاج لمصروف أكثر من شقة.

قال : سأتحدث مع المهندس سامي حبيب لشراء شقة.. أي ساعة ستحضر؟

قال: نظف الفيلا من بقايا سكركم وقيئكم وبولكم حتى نستطيع الجلوس ربع ساعة من الوقت استأجر عمال نظافة .. الثامنة ليلا سأكون معكم بعون الله .. وسأخبر عارفا بمجيئ.

ـــــ

وقف جهاد أمام فيلا عصام في شارع قرقر حي شامل وضغط على منبه السيارة ففتحت وردة باب الخروج ، ونزلت درجات البيت ، ومشت حتى بوابة الفيلا الرئيسية ، وجلست بجوار شقيقها الذي صافحها ورحب بها واطمأن على زوجها وقال : ما أخبار التوأم ؟

قالت : اقترب الموعد في شهر آذار ـ إن شاء الله ـ كيف رندا علمت أنها حامل ؟

قال : أنهت شهرها الأول فعبدالله ومي بحاجة لثالث ، وحملتني سلاما لك ولعصام .

قالت : كم أحبها هي وأختها رائعتان ! حقيقة يا جهاد هل ستبيع الفيلا؟

قال : عارف تكلم معك.

قالت بابتسامة : نعم ، قال إنك أعلمت بلص ببيع الفيلا والمعرض وغيره لتوزيع ميراث أمنا .

قال : هذا حق للجميع يا وردة ! ولا أحد فينا فقير .. قبل شهور وزعنا الملايين وما دام الرجلان في البيت ، وبلص بدون أنثى يستأنس بها ، ويتشممها سيبقى يتحرش بميرا ، ويغازل صدرها وسيقانها .. دائما سكران .. يوم دفن أمي كان طافي .. وأيام العزاء لم يصحُ .

ـ تحدث الناس عن ذلك .

قال : قلت له اشترِ بنصيبك شقة صغيرة تأويك ما تبقى لك من العمر ، فالفيلا كبيرة عليك وعارف لما تزوج كما تعلمين اشترى شقة ، ولما سكن مع أمه أجرها.

قالت: أنت دائما رائع وتفطن ! كم خسرت من عمري في معادتك .. كنت أظن بصفتي الكبيرة وطبيبة لا أحد له عليّ أمر حتى عصام .

قال : نحن لسنا بحاجة لمال أمي .. هذا هو الشرع .. الحي يرث الميت .. سالم اتصلت به ـ هو اليوم في السعودية ـ فتقبل خطوتي ، وشاورت عمي حبيبا فقال الحق لا يستحي منه هكذا الدنيا نحن ورثنا أبونا ، وهو ورث أباه، والأولاد سيرثوني .. وبلص يستعين بخادمة أو يتعاقد مع أرينا خادمة أمي .. وعارف مثله يعود لشقته ، واذا صغيرة يستأجر أكبر منها .

قالت : حكيم عمي حبيب ! أنتم نوارة الناس!

قال باسما : وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

ضحكت وردة على غمز جهاد : العقدة أني كنت أكبر منك سنا .. اليوم أنت أكبر مني عقلا .. خيالاتك وافتراضاتك عظيمة .. لما وصلت الجامعة خيل لي أنني أفهم واحدة في العالم يا جهاد كلية طب تعني عقل كبير.

قالت : أهم العقول عقول الرياضيات يا وردة ! الحساب علم الرجال والعباقرة.

قالت : لعبة الاحتمالات .. مدرس الحساب لا شيء مع الطب.. زوجني عمي عصاما فقبلته لأنني فعلا رغبت فيه .. درسنا في نفس الجامعة ، هو سبقني بعام واحد ، وسمعته مثل سمعتي فقلت لنفسي فلن يعير أحدنا الآخر ، والزوج لابد منه .

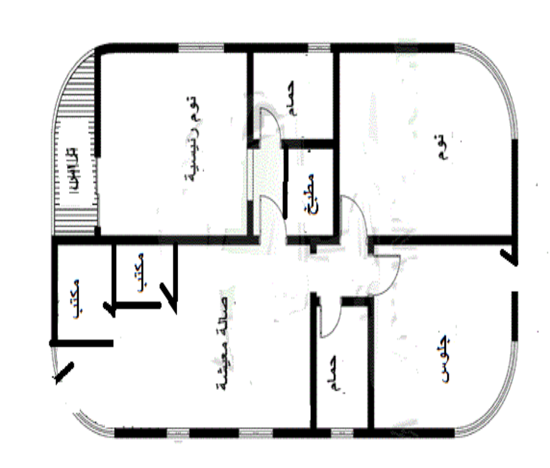
قال: كان عمي رغم صغري يتناقش معي ويعتبرني ابنا له كسامي .. كان يسمع بفاسدكما وضعفكما أمام شهوات وجوع الجسد .. فانحرافكم لم يكن خفيا عن الآذان .. فكان يأمل بزواجكما صلاحكم ..وتذهب فورة الجنس والإلحاد من قلوبكم .. كان يبكي لضياع عصام ، وهو عاجز عن فعل شيء يرده للصواب حتى كان الحادث .. فكان الجهل يغمركم والتيه.. وعمي مثقف ومهندس ؛ ليس أميا .. فلو احتد معك ومع أمك سيقال البنت كبيرة ، البنت تدرس طبيبة ستقولين أنا طبيبة .. أنا في قمة الهرم الاكاديمي.. ستقولين أبي كان ملحدا .. أوه لا تبكي يا غزالة ! وصلنا .

صف السيارة أمام فيلا أمه ، حي الساعة من أوائل الأحياء التي نشأت في بعنبس ، ونزلا وهي ما زالت تمسح دموعها ، فهمس : يبدو أني قسوت عليك بلساني.

قالت: أنت أخي الكبير عقلا .. أحب سماع أي شيء منك.. أنا كنت أراك وأنت في الابتدائية تصلي وتصوم عندما تأتي أنت وسالم لقضاء بعض الأيام معنا ، كنتم تحيون في بيت عمي وحبيبي حبيب أقول مرات لأمي لماذا هذان يصومان عندنا ألا

يكفي الصيام هناك ؟! فتقول سيتخلصان من المنكر عندما يشبا .

ضحك وقال : الصيام منكر .. تذكرين ذلك!



ـ أذكر أشياء كثيرة .

فتحت لهما أرينا خادمة زكية الباب ، وظهر واضحا أنها كانت تبكي، فسألها جهاد ما بك ؟!

فانفجرت في موجة جديدة من البكاء والنشيج ، فربت على كتفها مهدئا ، وقال : مالك؟!

ودخلوا وأعلقوا الباب ، وأشعل الإضاءة في المدخل ، ومشوا لصالة الفيلا ، وكانت فارغة ، فقال وهو يجلس وتجلس بقربة وردة : أين السكان ؟!

قالت أرينا : في غرفهم .

ـ لماذا تبكين؟

قالت وهي تستنشق دموعها وتمسح عينيها بكمها: السيد بلص صفعني على وجهي وشتمني.

قال: اهدئي أرينا ، واذهبي واغسلي وجهك أنت ووردة.

التي نهضت وقالت : مع بكاء هذه نسيت أن أذهب للمغسلة .

ولما رجعت وعاودت الجلوس قال جهاد لأرينا: نادِ السيد .

فخرج إليهم من غرفة النوم ، وفي فمه السيجارة متظاهرا بالزعل والضيق ومكشرا .

فقال جهاد وهو يحد النظر في عينيه: نسيت القانون يا عم بلص .. وردة حامل ويضايقها التبغ هل تعلم أي الحيوانات يأكل التبغ ؟

فرد ساخرا : أنا .. وتابع : وردة تتضايق من سيجارة عمها بلص .. كانت تتعاطى الحشيش مع عمها بلص.

قال : كانت يا عم بلص .. كانت ـ ويمدها ـ اذهب ودخن سيجارتك ؛ لنتحدث كلمتين أو ثلاث ؛ ونحل مشكلة البيت .

قال: لا يوجد مشاكل ، تفاهمت مع عارف .. هذا بيت العائلة ، ولا يجوز بيعه وقسمته ، وإن كان ولا بد سأشتريه أنا أو عارف.

ظهر عارف يتهادى بكرشه الممتد أمامه ، فهو بدين إلى حد ما ، وطويل القامة وتتبعه امرأته ميرا والطفلة سلمى تمسك بيدها ، وألقى السلام ، وجلس مظهرا هو الآخر الغضب والحزن كانت ميرا تلبس السروال القصير وبلوزة تي شيرت كأنها

ذاهبة لحلبة مصارعة .

فقال جهاد ساخطا : ما هذا يا عارف ؟! ولماذا حضرت تلك ؟فليس الصالة حلبة مصارعة .. سأنصرف أنا ووردة ، وغدا سأعلن عن بيع البيت وأملاك أمك كلها.

قال عارف : هذا بيت العائلة وذكريات ولمسات أمي كيف نبيعه؟

ـ كما تباع بيوت الورثة.

قال : خلاص تصالحت مع بلص .

قال : هذا شأنكم ، لا دخل له في البيع والتركة .. اشترِ أنت أو بلص أو تشاركا فيه ؛ لأن لكم فيه الذكريات واللمسات.

قال متظاهرا بالحزن على موت أمه: أمك لم يكمل الشهر على موتها .. مستعجلون على أموالها

قال جهاد : الذكريات ذهبت معها ..كل من يموت تذهب ذكرياته ومذكراته معه لا أحد متفرغ لقراءة أشخاص ماتوا .. من يقرأ مذكرات اليوم ؟!

قال وهو غير مقتنع بقوله : بعد سنة احتراما لموتها.

قال مصرا: اليوم والسنة مثل بعض يا أبا سلمى ! السلام عليكم

غادر ووردة الفيلا ، فقال عارف لزوجته المكشرة صائحا : ألم أقل إن جهادا لا يعجبه هذا اللباس ؟

فصاحت : لا عمره أعجبه ..أنا طول عمري ألبسه في الدار في الشارع ..أنا احترام لأمك .. لم أكن أخرج به أمامه وأمام بعض المرضى المتعصبين مثل سالم.

صرخ : سمعت ! غدا سيعلن عن عرضه للبيع .

صرخت : تهويش! جعجعة!

تدخل بلص فقال: القانون يجيز ذلك .

صرخت في وجهه : ما دمنا نسكن فيه يا سكران لا يجوز بيعه.

قال بلص بصراخ : معقول أنا سكران ! عيرتني بالشيب .. هو القانون يجيز رؤية هذه الأفخاذ وهذه الصرة .

رفعت كفها ؛ كأنها تهم بصفعه وصاحت :اخرس يا وقح!

فرد هائجا : اخرسي يا قحبة ! أنا أعرف أحد عشاقك وخيانتك لهذا الحمار ـ وأشار لعارف القائم يتابع المعركة بعينيه وبذهول ـ فهو صديق لي .

صاح عارف : هل جننت يا بلص ؟!

رد عليه : أنت مغفل عن دعارتها ! اصح يا حمار !

ـــــــ

اتصلت أرينا بعد خروجهم بوقت يسير بجهاد ، فقال : أرينا ترن عليّ .. ماذا حدث ؟!

فتح الخط وقال : آ .. يا أرينا!

قالت وهي تبكي بصوت عال : نشبت مشاجرة بين عارف وبلص ودفع عارف بلصا .. وبلص أغمي

عليه. وقصت تفاصيل النزاع .

قال: حسنا أهدئي .. اتصلي بالإسعاف أنا قادم.

اغلق الهاتف النقال وقال : تشاجر الرجلان ، ودفع عارف بلصا ، فوقع على ظهره وخبط رأسه بالبلاط وفقد الوعي ..سأوصلك وأعود وأرى نهاية الفلم.

تركت وردة السيارة أمام بيتها فقال : سلمي على الدكتور وجوهر .

ـ أخبرني بما يحدث ، وما جرى.

قال : حاضر.

وعاد لفيلا أمه فوجد الإسعاف قد نقلت بلص إلى المستشفى ، وعارف وأرينا في سيارة الشرطة وسمع عارف يصيح في وجهه: أنت السبب!

عرف نفسه لضابط الشرطة المكلف بالمهمة ، فقال له: تفضل واتبعنا للمغفر لنسمع الحكاية ، فالرجل المصاب وضعه صعب ؛ كما قال طبيب الإسعاف .

تحركت سيارات البوليس ، وتبعها جهاد ، ووضح جهاد لضابط الأمن الأحداث من ليلة أمس ليلة حفلة رأس السنة لمساء اليوم ، وحضوره للاتفاق معهم على بيع الفيلا وإخلائها ليتم بيعها ميراثا ، وأما عارف فقال للضابط على مسمع من جهاد : اتهم بلص زوج أمي امرأتي بالخيانة الزوجية ، وبأن لها عشيق صديق له ، وسببته وسبني ، وكان قريبا من وجهي ، فدفعته فوقع

فأغمي عليه .. هذه هي القصة.

وذكرت أرينا نفس كلام عارف ، وأضافت : هذا الرجل منذ ماتت زوجته أم الشباب ، وقد فقد عقله وجن.. وضربني قبل حضور المحامي وشتمني .

انصرف جهاد بالخادمة ، وأدخل عارف محبس النقطة حتى يأتيهم تقرير الطب الشرعي ، ونامت أرينا في بيت جهاد ؛ حيث يسكن هو وسالم في بناية من طابقين سالم الدور الثاني وهو

الأول في حي خالد بين شارع الساعة وشارع القوس ، أخذها لبيته خشية اعتداء ميرا عليها .

اتصلت الشرطة بعد الواحدة ليلا بجهاد معلنة عن وفاة زوج أمه بلص، فاسترجع المحامي ، وسار إلى المشفى الذي نقل إليه المصاب ، والتقى بطبيب الطوارئ.

فقال له: هو كان مريضا قبل الوقوع .. الضربة سببت له ارتجاج دماغي ونزيف ، ثم جلطة فمات

ـ هو زوج أمي التي ماتت منذ أسبوعين ثلاث .

ـ سيحول للطب الشرعي لتشريحه ، وإخراج وثيقة الحالة والتقرير للشرطة ولذويه

قال : سأتصل ببعص ذويه ، فله ابن عم من جيله ، وسنقوم بدفنه حسب الأصول فلا زوجة له ولا ذرية .. تزوج أمي ، ولم تلد له .

ـ سيحضر شرطي لأخذ تقرير للشرطة .. تقرير

بدائي .. فشقيقك الذي دفعه .. هو طبيب مثلنا
قال: صحيح !
ـ هذا قاله ضابط المغفر ، لما نقلت له خبر الوفاة.
اعتبر موت بلص قتلا بالخطأ ، وأن عارفا لم يقصد القتل ، القتل حدث نتيجة نزاع ومشاجرة عائلية ، ولم يستخدم فيه أداة قتل ، هو دفعه دفعا فسقط على البلاط ، ونتيجة السقوط مات ، وصحة القتيل ضعيفة بسبب السرطان كذلك ، وإدمان الكحول ثالثا فتقرر خروج الطبيب بكفالة قانونية حتى يعرض على المحكمة .
انتهى دفن جثة بلص بعدد قليل من الناس ، ولم يقم أحد بفتح بيت عزاء ، وبعد الدفن خرج عارف من زنزانة البوليس وأوصله جهاد لفيلا أمه ، وتابع سيره لمكتب الشركة الخاصة بصهره وخلال العودة تحدث مع وردة ، وأنه تركه أمام الفيلا ، وبقيت إجراءات قانونية بسيطة لإنهاء القضية ، وهو شبه محطم من الألم والندم على موت بلص بدفعة منه ، وطلبت منه أن يعرض نفسه على عيادة طب نفسي .
كانت ميرا تعلم وقت خروج عارف نجيب ، فكانت في استقباله ، ومعها أختها فيرا وزوجها رجل الأعمال ناجي ، كانوا في انتظاره ولما وصل ، ودخل الفيلا هرعت إليه ميرا واحتضنته وقبلته ، ومعربة له عن حبها له ، وأخذت تواسيه عن الليالي التي قضاها في محبس الشرطة ، ولم ينقطع اتصالها بجهاد تستخبر عنه ، وفعلت فيرا مثلها قبلته ودعت له بالسلامة ، وهنأته على السلامة ، وفعل زوجها مثلهن عانقه وقبله ، وهنأه بالسلامة ، ولما جلسوا قدمت له كأس شراب صغير .
فقال : ما زال هناك جلسات محكمة ، وتنهد : لم ينته الأمر بعد.
قال ميرا: الحمد لله على السلامة ، وهذه شكليات ستنتهي يا حبيبي .. هي مجرد كلام ، وابن عم بلص أخذ ما فيه النصيب ، وسيسامح ويتنازل عن حق الدم .
قال زوج فيرا : القضية قضاء وقدر يا دكتور عارف ! والقتل الخطأ اذا تنازل أهل الضحية عنه ينتهي الأمر ، ولا يوجد حق عام ؛ وهذا كما يحدث عندما يدعس سائق شخصا وسلامتك.
قالت فيرا : وعند التصالح تدفع شركة التأمين بعض المال لأهل الميت ، هذا طبعا في حوادث السيارة ، وميرا دفعت ما فيه النصيب لقريبه .
رد عارف: تألمت وبكيت كثيرا من أجله ، مات زوج أمي على يدي .. أي عقوق هذا ؟! هذا عذاب لي حتى أموت .. هذا شيء مؤلم.. ستقول أمي يوم البعث قتلت زوجي يا عارف ؟!
قالت ميرا في سخرية : قل لها زوجك حبسني ليلة ، وسلمى وأمها ، واحتفل برأس السنة في بيتك.

فقال ناجي : يا دكتور اطمئن ! لا يوجد بعث ، ولا قبر .. هناك ناس تحرق جثثها فكيف سيخرجون من القبر ولا قبر ؟ .. أمصدق أنت خرافات المشعوذين ؟!

قالت فيرا : يا دكتور لا تكبر الموضوع ؛ كما قال حبيبي زوجي .. أنت لم تخطط وتقصد قتله .. النزاعات دائمة.. انتهى أجله .. كم قتل الأطباء بخطئهم في حق المرضى !.. يعطون أدوية غير مناسبة ؛ لتشخيص خاطئ أو خطأ في التخدير أو العمليات.. يفقد الناس حياتهم بسبب كثرة الأخطاء يا أبا سلمى!

قال عارف بنغمة حزينة: سامحه الله .. اتهم ميرا بالزنا ، وأن لها عشيقا صديقا له .. هذا ما أغاظني .. يتهمني في عرضي يا ناجي !

حدق زوج فيرا بعيون ميرا ثم فيرا ، وقال للتضليل والتشكيك :كيف عرف الملعون؟!

قال : لست أدري ! واتهمني بالغفلة عن عشيقها .. أمعقول أن تخونني ميرا ؟!

قال ناجي : لا تصدق كل ما يقال يا دكتور.. لا ، لا تصدق هذا الاتهام يا عارف! ميرا أنت أحب الرجال إليها .. ماذا ستجد في غيرك ؟!

قالت ميرا : أنت حبيبي الوحيد .. بلص الملعون شرير كذاب .. كان يريد أن يفسد بينا .

قال : ولكنه يقول إن صديقه هو الذي يخونني.. هل له أصدقاء؟

فقالت مستهجنة : أتطلع إلى رجل عجوز مثله لأنام في حضنه ؟ أتصدق هذا يا عارف أنت فارس أحلامي وحياتي .

قال: رحمه الله.

صرخت : جحمه الله .. شرير شهواني !

―――

استقر الشك في قلب عارف من كلام بلص خلال تلك الليلة ، وخلال أيام الزنزانة شغلت باله الخيانة الزوجية ، وأنه يعرف عشيقها ، وتنبهت فيه أشياء كان يأخذها على البراءة وحسن الظن، فبلص يعرف عشيقها ؛ ربما كان يتغزل بها لتخضع له ، بحكم أنه يعرف سرها وحقيقتها ، ووصفني بالمغفل والحمار ، والعشيق صديق له ، انشغل فكره منذ مات بلص بهذه التهمة الشنيعة ، وأخذ يراجع ذاكرته وأصدقاءه وأصدقاء بلص الذين يمكن أن تخونه بهم ، هل كان بلص يؤمن لها الزناة مقابل المزيد من الشراب والحشيش ؟ تذكر ليلة كان معها في فندق في بيروت يزوران أهلها ، رآها تخرج من غرفة جاره في الأوتيل ، وزعمت أنها دخلتها بالخطأ.. أخطأت الغرفة والرقم .. فأخذ الأمر على حسن الظن وأثر الشراب عليها ، وكان ينزل في تلك الغرفة رجل دون امرأة ، رجل أوروبي وتحدثا يومها بالإنجليزية .

تذكر ذلك الموقف ، وهو يجلس على مقعد مكتبه في المستشفى مستشفى الحكومة العام في بعنبس لماذا عاد إليه هذا الموقف والمشهد ؟! ولماذا خطر في باله اليوم ؟! مغفل ولّا متغافل .. لماذا دائما تلبس السروال القصير والبطن والظهر مكشوفان ؛ ليس ذكرا في البيت إلا أنا وبلص .

هل حاولت أن تراود بلصا ؟ هل تعرت له ؟ كانت نظراته إليها بشهوة واشتهاء .. وتحرش

فيها أكثر من مرة .. وأمي تحذره من الهبل .. وتذكره بضعفه وعجزه الجنسي .. فيتلمظ ويلزم الصمت بضعة أيام ؛ ثم يثور .. هل بينه وبين ميرا أشياء خفية ؟ علاقات خفية وأنا مغفل في نظره .. علاقات من ورائي ، ووراء أمي ، وزعم أن صديقه عشيقها .

كيف سأعرف هذا العشيق ؟ لماذا يكذب بلص في أمر خطير كهذا ؟ أنا كان ينتابني شعور متكرر بخيانة ميرا لي .. وما زال ؟ كيف يكشف الرجل الرجل الخائن ؟!كيف يكشف الرجل خيانة زوجته ؟ آه يا بلص ! سممت حياتي.. عليّ أن أتظاهر أمامها بأني نسيت الموضوع .. عليّ أن أبقى مغفلا فيرا تعرف شيئا ، وزوجها يعرف ، كان كلامهم يوم خرجت من المغفر فيه استخفاف بي ، كانوا يخفون شيئا ، ويتغامزون .. ظنوني غبيا.. لم أفهم.. فيرا ألم يمسكها زوجها في حضن رجل في فندق أثر حفلة سكر ؟ وكاد يطلقها لولا تدخل أمي والطبطبة على الموضوع .. سأكتشف العشيق يا عم بلص ، وأعرف الحقيقة ؛ لترتاح في قبرك .. لن أكون مغفلا يا ميرا ويا فيرا.

كيف أعرف تحركاتها في شركة التامين ؟ يوما تعالج هنا زميل لها في الشركة .. هذا كان من وقت .. ولم احتفظ برقمه ؛ ولكنني أعرف اسمه .. وهذا سيفضحني فهو رجل نسوان ومغامرات نسائية .. هذه ليست طريقة صحيحة .. سأعرف العشيق يا عم بلص ؛ لتقر عينك في القبر .. لابد أن الفسق كان في البيت ليطلع عليه بلص ..أنا في العمل هنا ، وأمي في المعرض وهي في إجازة أو أنا في سهرة وخمرة وهي بين أحضان عشيق .

هل اخبر جهادا بحيرتي ؟! جهاد صاحب خبرة من عمله في خفايا البشر وقضاياهم ، لم يفكر طويلا بتدخل جهاد ، فاتصل بمكتبه ، وبين له رغبته بالجلوس معه على انفراد في أمر خاص جدا

فقال جهاد : عندنا غرفة خاصة للحديث الخاص جدا.

ـ أنا قادم .. النار تغلي في صدري وبطني وعروقي.

بعد ساعة كان عارف يدخل الغرفة والمكتب الخاص الذي يذكره القراء عندما جلس فيه جهاد وخميس ، ولما شرب القهوة التي قدمها أبو خالد.

قال بانفعال بين: أخي العزير أنا لما دفعت زوج

أمنا كنت في غاية الغضب والغيظ قد استفزني الرجل واتهم ميرا بأن لها عشيقا ، وهو أحد أصدقائه ، ومن يومها لم يطرق النوم عيناي يا جهاد جن جنوني وأنا أفكر بهذا العشيق الذي يعلمه بلص ، بلص لا يكذب ، ولا يتحرش بها إلا وهو على علم بهذا العشيق ، ولا أجد طريقة لأعرف هذا الخائن ، ولم أجد إلا أنت ؛ لتساعدني وتزيل همي وغمي.

قال: هو من أصدقاء بلص .. هل ارتبت بها يوما ما؟

ـ كثيرا.

وحدثه عن حادثة فندق بيروت التي تذكرها وهو يفكر باتهام بلص .

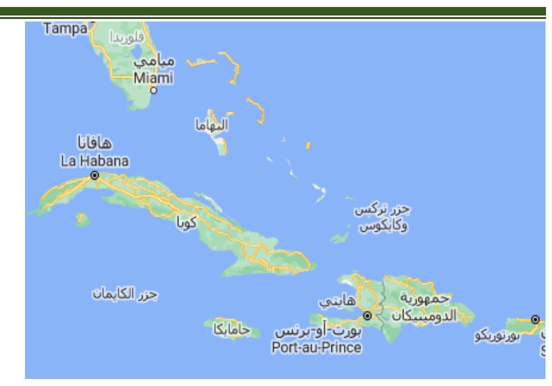
قال : الشك مدمر للنفس يا عارف ! مدمر للحياة الزوجية .. والخيانة الزوجية وقعها شديد على الإنسان الشريف والطاهر .. أنت اعتبرت كلام بلص صدقا وأنه يعرف شيئا يكاد يستغله ضد ميرا .. اعلم واسمح لي بنطق ما في قلبي أن امرأتك وقحة .. عندما تسمح لنفسها بالظهور أمامي بلباس شبه عاري أو حتى أمام بلص فهذا قبح ؛ لكن تربيتها هكذا .. كانت أمك كما تعلم لا تهمها مثل هذه الاعتبارات والحشمة ، ولا تعتبره عيبا ، فكانت تسمع أخبار وردة بكل برود .. وهي تعلم أن وردة تعاشر أطباء الجامعة ، وفقدت بكارتها وعذريتها ، ولم تكترث كأنها لم تكن ابنتها باسم الحرية والإلحاد ؛ ولكن وردة أدركت نفسها وروحها وعادت لفطرتها والطريق المستقيم.

ـ ماذا أفعل؟

قال : أنا أخشى اذا صح اتهام بلص أن تراها في حضن عشيق وتقع في جريمة أخرى .. أمر بلص ونجوت منه يا عارف! ربنا لطف بك .. فرأيي أن تطلقها وتريح نفسك ؛ لأنك ستعيش في مرض القلق والشك والجنون ، واذا أمسكت بالعشيق كما يغلب على ظنك ستقتله أو يقتلك وتدخل أنت أو هو السجن وهي ستجد لها عشيقا جديدا .. فدع غيرك ينتقم لك ..فأسلم
لك ولوظيفتك ولقلبك .. الطلاق قبل أن تغرق يا عارف.. فكر .. فكر.

قال قائما : سأفكر فيه .. إلى اللقاء.

ضرب جمهورية هايتي في البحر الكاريبي يوم ١٢ كانون الثاني ٢٠١٠ زلزلا مدمرا. جمهورية هايتي إحدى بلدان البحر الكاريبي، كانت مستعمرة إسبانية حتى احتلتها فرنسا في سنة ، ١٦٢٦واعترفت إسبانيا بهذا الاحتلال في سنة ،١٦٧٩ تُعد هاييتي أقدم جمهورية سوداء في العالم ، وثانية الدول المستقلة في نصف الكرة الغربي؛ إذ إنها تتمتع بالاستقلال، منذ عام ١٨٠٤؛



ولكنها خضعت، خلال معظم تلك الفترة لحكام مستبدين، لم يبذلوا أيّة جهود لرفاهية شعبهم، فابتليت بأعمال العنف السياسي المستمرة .

قال عصام لوردة : عند الساعة العاشرة ليلا قبل قليل ضرب زلزال كبير سبع درجات على ريختر جزيرة هاييتي في البحر الكاريبي ، جزيرة شرق كوبا ؛ حيث عاش والدك متخفيا من الموساد .

فتساءلت : هل تتوقف الزلازل؟

قال : هذا زلزال ضخم ، ويتحدثون عن ضحايا ومباني كثر تساقطت .. فوكالات الأنباء تنشر اللحظات الأولى من الزلزال.. يظهر أنه دمر الجزيرة .

قالت وهي تفتح الخلوي وتقرأ عن تلك الجزيرة : يا الهي ! هذه أفقر بلدة في العالم وفيها حرب أهلية ، وفيها قوات سلام وعناصر من بلدنا فيها .

قال : أخبارهم العاجلة.. ها هم يقولون القتلى بالآلاف .

قالت : سبحان الله ! زلزال بأقل من دقيقة يقتل هذه الأرواح الطف بنا يا الله !

قال : أصابتنا هزة قبل سنوات ، لم يبق أحد في بيته الكل خرج للشوارع بعدا عن العمران .

قالت : هذا هو الحل المناسب .. البيوت تتحول لقبور ، ولا تصلح للاختباء .. لا يستطيع العلم لليوم من صنع جهاز يتنبأ بالزلازل ، تقرع أجهزة الإنذار بعد حدوث الزلزلة والكارثة قبل سنوات تسبب تسونامي جنوب أسيا بهلاك نصف مليون إنسان غرقا بسبب زلزال في المحيط الهادي.. ارحمنا برحمتك يا رب.

قال: أمين .. هل تأكد أن عارفا طلق امرأته اللعوب ميرا؟

قالت : سمعت أنه يفكر بطلاقها .. وما زال يفكر ؛ ربما تخويف .

قال : صدّق كلام بلص .

قالت : يبدو هذا .. بلص قبل موته ادعى أن لها عشيقا ، وأنه صديقه ، واتهم عارفا بالمغفل.

قال: لم يثبت شيء .. فلم الطلاق؟!

قالت : اتصلت به ، لم يفصح عن شيء إلا أنه يفكر بهذا الخيار والاقتراح .. وقد تعب من الإشاعات ونظرات الأطباء والعاملين في المستشفى.. فحولها إشاعات ولا تفكر بتغيير سلوكها ، وترك لبس السروال القصير أمام الأصدقاء والزوار صار يستحي من أن يراها ضيف أو زائر هكذا .. فلم يعد يرحب بضيف وزائر ويضيق بسفورها

وتبرجها .

قال : هل هناك امرأة أخرى ؟

قالت : جهاد يقول لا .. هناك اتهام صريح من بلص بوجود عشيق، وأنه صديقه وعارف يحس بذلك ، وتأثر بكلام بلص.

تبسم عصام وقال : وأنت!

قالت باسمة : صدق لا أعرف ، لم أكن صديقة لميرا ولا أختها .. كانت مجرد زوجة لأخي لا أسمع أسرارها ولا أخبارها .. كلام عابر ، وهي أيضا كانت بعيدة عن أسراري وأخباري.. لما أمر على أمي في بيتها لا أهتم بمقابلتها ، إن صادفتها سلمت عليها .. وأحيانا كثيرة لا تخرج للسلام عليّ .. ولا أكترث ..وهذا أمر غير مهم لنا يا حبيبي.

قال : الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور يا وردة الحبيبة!

قالت : الحمد لله الحمد لله .. كنا جميعنا في الجاهلية .. نرحب بالخيانات الزوجية ونشجعها ، وإنها من الحرية للنساء .

وقع الزلزال المرعب " زلزال هايتي" في يوم الثلاثاء ١٢ يناير ٢٠١٠ في تمام ١٦:٥٣ بالتوقيت المحلي ، ٢١:٥٣ بالتوقيت العالمي الموحد ، كانت هزة أرضية بلغت قوتها ٧,٠ درجة على مقياس ريختر ، اشهر جهاز لقياس شدة الزلازل ، وكان مركزها يبعد نحو ١٠ أميال جنوب غربي العاصمة الهايتية بورتو برنس.

تقع منطقة الزلزال ضمن منطقة صدع زلزالي تعرف باسم صدع إنريكيو- بلينتين غاردن ، وهو صدع يشبه صدع سان أندريز في كاليفورنيا الأمريكية.

وفي المؤتمر الجيولوجي الثامن عشر لمنطقة الكاريبي الذي عقد في سانت دومينغو عاصمة جمهورية الدومنيكان المجاورة لهايتي في مارس ٢٠٠٨، حذر خمسة من العلماء في دراسة قاموا بتقديمها في المؤتمر من "خطر زلزالي كبير" في المنطقة التي تشكل الصدع في الجزء الجنوبي من الجزيرة ، وهي المنطقة ذاتها التي وقع بها الزلزال في يناير ٢٠١٠. ويذكر بول مان الأستاذ في المعهد الجيوفيزيائي بجامعة تكساس وأحد معدي الدراسة قائلا «...المشكلة في مثل هذه الزلازل أنها قد تظل هادئة وساكنة لمئات السنين قبل أن تضرب من جديد » مضيفا كون ذلك السبب وراء عدم القدرة على التنبؤ بوقت وقوع الزلزال. الخسائر البشرية أكثر من ٢٣٠٠٠٠ قتيل، و ما يقارب ٢٢٠٠٠٠ جريح ، تضررت منه هايتي وجمهورية الدومينيكان وجمهورية كوبا.

الزلزال الذي استمر لما يزيد عن دقيقة واحدة خلف دمارا هائلا في حين أظهرت مشاهد تلفزيونية بثتها شبكة سي إن إن الامريكية التقطت

عقب الزلزال مباشرة سحبا كثيفة من الغبار ارتفعت من العاصمة بورتو برنس ناتجة عن انهيار المباني جراء الزلزال.

قدر الصليب الأحمر الدولي أعداد المتأثرين بالزلزال بثلاثة ملايين شخص بين قتيل وجريح ومفقود ، وقد قتلت شخصيات عامة بارزة عديدة جراء هذا الزلزال، فيما أعلنت الحكومة الهايتية بعد شهر في ٩ فبراير عن دفن أكثر من ٢٣٠٠٠٠ قتيل في مقابر جماعية.

معظم معالم مدينة العاصمة انهارت أو تضررت بشدة جراء الزلزال ، بينها القصر الرئاسي ، مبنى الجمعية الوطنية (البرلمان) ، كاتدرائية بورتو برنس ، كذلك انهار السجن الرئيسي ، ومستشفى واحد على الأقل.

كما أعلنت الأمم المتحدة أن مقر قيادة قوات حفظ السلام الدولية في هاييتي والموجودة في هذا البلد منذ ٢٠٠٤، قد لحقت به أضرار كبيرة بعد مقتل العشرات من موظفيهم بما فيهم مبعوث الأمم المتحدة ونائبه ، لأن البلاد تعيش حرب أهلية .

أثر وقوع الزلزال سادت حالة من الهلع والفوضى سكان العاصمة الهايتية، حيث تجمع الآلاف في الشوارع خشية انهيار منازلهم ، فيما حل الظلام الدامس على المدينة أثر انقطاع التيار الكهربائي.

المشهد في العاصمة لا يمكن تخيله ، فالبرلمان انهار ، ومصلحة الضرائب انهارت والمدارس انهارت والمستشفيات انهارت.

عقب الزلزال بيومين أعلنت الأمم المتحدة أن ٢٠٠ شخص قد فقدوا تحت أنقاض مقر قيادة القوات الدولية التابعة للأمم المتحدة في هاييتي، وأن رئيس البعثة التونسي هادي عنابي نفسه من بين القتلى .

كذلك أعلنت الأردن مقتل ثلاثة عسكريين من قوات حفظ السلام الدولية العاملة في الجزيرة وإصابة ٢٣ آخرين بجراح.

قامت قوات تابعة للأمم المتحدة بحفظ الأمن في شوارع بورتو برنس عقب الزلزال. كما اعتبر عقب الزلزال الرهيب مباشرة الآلاف من الأشخاص في عداد المفقودين بينهم عدد من الأجانب من جنسيات متعددة مثل البرازيل، الأرجنتين، تشاد ، الأردن، الفلبين ، الولايات المتحدة إضافة إلى كندا ؛ حيث تعتبر هاييتي ثاني أكبر متلقي للمساعدات الكندية ، كما تتواجد

جالية هايتية كبيرة في كندا، إضافة لكون الحاكمة العامة لكندا ميكائيل جان من أصل هاييتي. بعد الزلزال المدمر الذي ضرب البلاد أعلنت بلدان حول العالم عن تعاطفها مع هاييتي ، كما بدأت بتقديم معونات إنسانية عاجلة للشعب الهايتي، بعض البلدان باشرت بإرسال معدات إنقاذ وعاملي الإغاثة بشكل مباشر إلى المناطق التي تأثرت

بالزلزال.

الأردن أرسلت الأردن طائرة عسكرية محملة بمواد إغاثة ، ومستشفى ميداني عسكري متحرك إلى هاييتي. البرازيل أعلن رئيسها لويس دا سيلفا عن إرسال مبلغ ١٥ مليون دولار أمريكي كمساعدة إنسانية عاجلة لهاييتي للمساهمة في إعادة إعمار البلد عقب هذه الكارثة.

الاتحاد الأوروبي أعلن عن إرساله ٣ ملايين يورو كمساعدة أولية عاجلة عقب الزلزال، في حين يتوقع منه إرسال المزيد بعد تقييم وتجلي حجم الأضرار.

فرنسا أعلن وزير الخارجية أن فرنسا سوف ترسل مساعدات للبلاد، فيما أعلنت منظمة ميدسان سان فرونتير أنها تقوم بعلاج نحو ٦٠٠ شخص في مراكزها في برنس إضافة لإرسالها لـ ١٠٠ سرير إضافي لمستشفى ميداني. إيطاليا أعلنت الحكومة الإيطالية عن إرسالها لطائرة نقل عسكرية تحمل مستشفى ميداني وفريق طوارئ طبي إلى هايتي.

المغرب أعلن العاهل المغربي عن إرسال بلده لمبلغ مليون دولار أمريكي كمساعدة إنسانية عاجلة إلى هاييتي.

النرويج أعلنت عن إرسالها بعثة من الصليب الأحمر النرويجي، إضافة لمساهمتها بمبلغ ٤٠ مليون كرونة نرويجية (٧ ملايين دولار أمريكي) سويسرا غادرت طائرة إنقاذ سويسرية طراز تشالنجر ٦٠٠ زيورخ أثر الزلزال في مساهمة من الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون من أجل تحديد الاحتياجات المحلية والاستعداد في حالة الحاجة للمزيد من المساعدات.

تركيا أعلن رئيس وزرائها رجب طيب أردوغان عن إرسال مستشفى متنقل وجهازي فحص طبي وطاقم مساعدة مكون من ٢٠ شخصا، إضافة لعشرة أطنان من الأدوية والمعدات الطبية. الإمارات العربية المتحدة أعلنت أنها ستقوم بإرسال جسر جوي يحمل مساعدات إنسانية إلى هاييتي، فيما أعلنت المنظمات الخيرية في الإمارات بينها منظمة خليفة زايد الخيرية للأعمال الخيرية والإنسانية، محمد بن راشد آل مكتوم للأعمال الخيرية والإنسانية عن تنسيقها لجهود الإغاثة الإنسانية الإضافية.

المملكة المتحدة أعلنت عن إرسالها ١٠ ملايين دولار أمريكي، وبعد يوم من الزلزال وصل فريق مكون من ٧١ عامل بحث وإنقاذ مزودين بكلاب مدربة إلى هايتي في محاولة للمساعدة للبحث عن المصابين واستخراجهم من الأنقاض.

الكويت أعلنت الكويت تبرعها بـ ٣,٥ مليون دولار أمريكي لضحايا الزلزال. فنزويلا أعلن وزير خارجيتها عن إرساله ٥٠ عنصرا لنقل

المساعدات والأغذية إلى هايتي، كما أعلنت عن إنشائها مركزا لجمع التبرعات من المواطنين للتبرع بالأغذية والملابس والبضائع الأخرى للشعب الهاييتي. قطر أرسلت فريق إنقاذ مكون من ٢٥ شخصا ، إضافة لنحو ٥٠ طنا من مواد الإغاثة. سوريا أرسلت طائرة مساعدات إنسانية محملة بنحو ٣٠ طنا من المواد الغذائية والطبية والخيم والألبسة لمنكوبي زلزال هاييتي.

السعودية أعلنت تقديمها ٥٠ مليون دولار لمساعدة هاييتي ، بتوجيه من الملك عبد الله ، لإغاثة الشعب الهاييتي، واعتبرت "أكبر مساهمة تعلن لصالح هايتي في منطقة الشرق الأوسط".

الولايات المتحدة أعلنت بعد الزلزال على لسان رئيسها باراك أوباما عن تقديم مساعدة عاجلة إلى هاييتي بقيمة ١٠٠ مليون دولار أمريكي. وفي مؤتمر صحفي وبناء على طلب الرئيس الأمريكي من الرئيسين الأمريكيين السابقين له بيل كلينتون وجورج بوش بالمساهمة في جهود المساعدة قام بتكليفهما بجمع أموال لمساعدة ضحايا الزلزال في هاييتي تحت اسم "صندوق كلينتون- بوش من أجل هاييتي".

كما أعلن الرئيس الأمريكي عن "احدى أكبر عمليات الإنقاذ" في تاريخ الولايات المتحدة ؛ حيث قال أوباما في حضور الرئيسين السابقين أن المساعدات لهذا البلد الصغير في الكاريبي "ستمتد لأشهر وسنوات".

سارعت أكثر من ٣٠ دولة إلى إرسال مساعدات متعددة ، بينها مستشفيات ميدانية، أغذية ، أدوية وفرق إنقاذ من دول كالصين، بريطانيا والاتحاد الأوروبي، روسيا، كندا وعدد من دول أمريكا اللاتينية كالبرازيل للمساهمة في البحث عن ناجين وإخراج الجثث من تحت الأنقاض .

وأعلن رئيس هاييتي رينيه بريفال في ١٧ يناير أن القوات الأمريكية ستساعد قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في الحفاظ على النظام في شوارع هايتي ؛ حيث تنتشر قوات الشرطة وقوات حفظ السلام بالفعل؛ لكنها لم تستطع توفير الأمن بشكل كامل في شوارع البلاد المنفلتة حيث انتشرت أعمال نهب وسلب المتاجر والمنازل، إضافة لاشتباكات بين اللصوص. وبشكل مؤقت فقد منح الرئيس الهاييتي الولايات المتحدة سلطة إدارة مطار برنس الصغير وذلك لإدارة جهود المساعدات الدولية.

هل فعلوا مثل هذا لأهل غزة قبل عام واحد ؟

هناك من له بواكي، وآخرون لا بواكي لهم ، لهم الله الكبير المتعال !

كانت أخبار زلزال هاييتي تتصدر الأخبار في العالم ؛ لأن نتائج الزلزال مرعبة ، وقد هلكت فيها

مكاتب الأمم المتحدة ، ومقتل التونسي مندوب الأمم ، وقتل عدد من قوات السلام العاملة هناك ، فكانت الأخبار سمعية ومرئية ومكتوبة تملأ كل الوسائل .

بعد هذا الحادث المرعب والحدث العالمي ، رجعت جريدة وزوجها شهاب من عملهم في الرياض بعد إنهاء عقدهم مع إحدى المستشفيات الخاصة ، وكانون يفكرون بإنشاء مستشفى متوسط الحجم لمعالجة عددا من الأمراض ؛ لأنها ورثت الملايين .

ـــــ

أخبر عارف وردة بعودة جريدة من الرياض ، فاتصلت لتطمئن عليها ، وعلى زوجها ، وتسمع أفكارهما ؛ فكانت جريدة تحدثها عن رغبتها وزوجها بإنشاء مستشفى أو شراء مستشفى خاص فبعد التحية والتعبير عن الحب والشوق والمشاعر ، ولما سئلت عن الحمل قالت وردة : الحمد لله حمدا لا يحصى .. وأنت هل حملت ؟

ردت بضيق كأنها تفاجأت بالسؤال : سنبدأ بعمل فحوصات جديدة في بعنبس.. أنا وهو .. فحوصات الرياض لم تثمر ولو بنص جنين .. بعد ترتيب أوضاعنا سنهتم بالحمل.. مع أني غير مستعجلة .. بس من أجل حبيبي شهاب!

تبسمت وردة : هو معك يسمع !

قالت : وأنا أرفع صوتي ليعلم أني جادة وراغبة في الحمل من أجل عيونه.. وشهاب يحييك ، ويتمنى لك السلامة بولادة التؤام .

قالت : سلمه الله ، تحياتي له .. عصام أيضا يسلم عليكم .. هل تكلمت مع جهاد وسالم ؟ فهو هنا.

قالت : سأتصل بهما .. تحدثت مع الشقيق العسل عارف ، وأخبرني بأنه يفكر بترك ميرا ؛ لأنها تخونه كما قال بلص قبل موته .

تنهدت وردة وقالت : ما زال يفكر .. من أول الشهر وهو يفكر .. تحدثي مع عمك حبيب .

صاحت كأنها لسعت بعقرب : حبيب ! ولماذا أتحدث معه ؟! من أيام الكلية ما تحدثت معه إلا اذا صادفته.

ـ آ ! عفوا ، نسيت أنك تخليت عن أسرة عارف .. عمك لا تنسي .. عمك أعطاك تلك الملايين فصرت مليونيرة . قالت جريدة : عمي!

قالت : نعم عمك ، كانت الأموال باسم عمك ؛ ليست باسمنا ، لو لم يدفعها لنا عن طيب خاطر ما أخذناها ..أبوك كان يعلم أن له خمسة أطفال شرق الاطلسي عندما رحل لكوبا .. فهي له قانونا .. ولم يطلب أبوك من عمنا أن يتنازل عنها لنا يا بطة!

قالت ممتعضة : هذا أنت بتومتي بالعم حبيب ! أنا لم أقل له تنازل عنها .. ما دامت صارت ملكي فلا يجب عليّ أن أعيدها أو حتى أشكره بصراحة أنا لا أحبه ، لا أعلم كيف أحببتيه ؟! له مواقف معي

لا تنسى.. اسمعي يا وردة بنت نجيب بكل صراحة ، ودون لف ودوران ، لن أتكلم مع جهاد ، ولا مع سالم ، ولا مع حبيب وفريق عمك حبيب .. وأنا ما زلت في الجاهلية الأولى ، كلهم تخلفوا عن حضور زواجنا كما تذكرين .

قالت : هداك الله .. أنا ظننت أنك تغيرت في بلاد الحرمين !

قالت : نحن بعيدون جدا عن الحرمين يا حبيبتي ! هناك كفرة أكثر مما في بعنبس هو اذا كتب على العلم لا إله إلا الله أو الله أكبر صار أهل البلد مسلمين .. شكرا على نصائحك.

قالت : على أي حال اعتبري هذا الاتصال عن الزيارة الشخصية ؟ ـ هذا زعلتي.

قالت : نعم ، زعلت .. عصام لن يقبل أن يراك سافرة متبرجة.

صاحت بغيظ : عصام صار شيخا .. عليه ألا يخرج للشارع .. فالسافرات والكاسيات العاريات يملأن شوارع ومولات بعنبس.

قالت : كلنا شيوخ ! اذا احتجت لأختك الكبيرة بأنك ما زلت في الجاهلية الأولى .

سكبت لنفسها شرابا ، وأشعلت سيجارة وقالت: نكدت عليّ الشيخة ورد ة.

ـ وأنت بهذه الخمرة تذهبين النكد !



عيادة وردة

الأعمال الإنسانية من المستحسن المشاركة فيها ، ولو مع العدو ، قدمت جمعيات الإغاثة في البلاد الشامخة مساعدات مع هيئة الإغاثة الرسمية التابعة للدولة لأهل هاييتي من أغذية محفوظة وأدوية وحليب أطفال ، فجمعت الأطنان ، ونقلت بطيارات تجارية إلى تلك البلاد المنكوبة فالتعاطف الإنساني مطلوب ، ويقدم للجميع والدول الضعيفة والفقيرة بحاجة إلى أي مساعدة مهما صغرت ، وشاركت جمعية الإغاثة رحمة بجمع المساعدات العينية والمالية لشراء المواد الطبية والغذائية كحملة أولى مستعجلة ، هذا كله في باب التعاون الدولي .

أرسلت الجمعية المذكورة مندوبا واحدا عنها مع الحملة وهو طبيب ، فالبلاد المصابة بعيدة في البحر الكاريبي الذي يفصل بين الأميركتين ، وهو جزء من المحيط الأطلسي .

ضربت جريدة على رقم وردة الخلوي ، فلم ترد ، ولم تفتح خطا ، فاتصلت بنوال الكاتبة .

فقالت لها : في غرفة الفحص.

ـ لما تنته ضروري تتكلم معي !

ـ إن شاء الله.

لما غادرت المراجعة غرفة الفحص ، وودعتها الدكتورة لباب الغرفة ، وهي تدعو لها بالسلامة والولادة الطبيعية.

قالت نوال : أختك يا دكتورة تقول اتصلي بها ضروري .

قالت : ضروري .. ما هو الضروري في قاموس جريدة ؟! هي رنت على الموبايل وكنت مشغولة .. شكرا نوال.. أشعر بأني متعبة .. هل ستأتي زميلتنا اليوم ؟

برنامج متابعة الحمل

الدكتورة وردة نجيب

5 زيارات مع التصوير بجهاز الألتراسوند.
3 مرّات تحليل بول.
مرّة واحدة تحليل زرع البول.
مرّتان صورة كاملة للدم.
مرّتان مخطط قلب الجنين.
مرّة واحدة التحاليل التالية:
HIV ، Hepatitis C,B ، VDRL
VDRL ، Rubella IGG ، ICT
Blood Group & RH ، HVS

ـ أخبرتني صباحا أنها ستاتي ، وقبل قليل اعتذرت .. لا أدري من المريض عندها ابنها زوجها والدها!

قالت : سأتصل بها ، وأعرف القصة .. كم بقي عندك؟

ـ ثلاث ، حالتان حمل ، وواحدة نزيف بعد الدورة يذهب ويأتي .

قالت : متزوجة.

قالت : عندها خمسة .

فكرت قليلا وقالت : ما شاء الله !.. لعلها مستحاضة .. هناك شيء أو مرض يسمى الاستحاضة يا نوال ! تنتهي الدورة ويزال الدم ينزل ..خليها تدخل أولا .. لا ، لا ، فليبق الدور ادخلي صاحبة الدور. ـ حاضر .

خرجت نوال وأذنت للمراجعة التالية بالدخول ، فرحبت بها وردة بابتسامة واسعة ، وسألتها عن أخبارها وأمورها وصحتها مع الحمل ، وبعد الاطلاع السريع على السيرة المرضية قالت : عملت فحص الدم والبول .

ـ نعم ، وهذا تقريرهم . وتناولته وردة ، وهو عبارة عن صفحة واحدة مروّسة باسم مختبر الفحص .

احذري من حمل الأشياء الثقيلة
ارتدي اللباس المريح
امتنعي عن التدخين
استشيري طبيبك
تجنبي السفر المتعب

قالت : دمك نازل .. تسع درجات .. يبدو أنك لا تلتزمين ببرنامج التغذية المناسب الموصوف لك .. فقر الدم الأميبيا والحمل تحتاج لحديد .. وأنت لا تأخذين الحديد .. أحب تذكيرك بالأغذية المناسبة للحامل.. تذكري أن زيادة الوزن للحامل غير ضارة خاصة بعد الشهور الثلاثة للحمل يا سيدة ثريا .. والغذاء يعتمد على السعرات التي تؤمنها الأغذية .. الجسم بحاجة لبروتين ودهون وكربوهيدرات سكريات .. هذه المواد الأساسية لتركيب الخلية البشرية ، وكل المخلوقات .. الطعام

المتوازن الأهم .. الفواكه الطازجة أفضل ، فيها الألياف والفيتامينات الطبيعية .. دهون صحية مثل المكسرات البذور الغنية بالأوميجا ، الحذر من الوجبات السريعة ، والحلويات المشبعة بالسكريات الصناعية .. كلي من الخضروات الورقية ، الحمضيات ، الألبان من أجل الكالسيوم .. فيتامين د من السمك .. البيض .. عنصر الحديد مهم للدم ، مصادره اللحم الأحمر الخالي من الدهن الدجاج السمك الخضروات السبانخ الفاصولياء ، الإكثار من شرب الماء يا حبيبتي ! وأنت خارجة اطلبي من نوال جدول الأغذية الصحية للحامل.

وتابعت بعد فترة سكوت ، فهي حامل وفي شهورها الأخيرة : تجنبي الإكثار من القهوة .. وزن الجنين كما يبدو على الجهاز ممتاز في الشهر الخامس أنت ، وطوله طبيعي خمس وعشرون تقريبا اذا استمر الدم بالانخفاض ووصل سبع درجات سأضطر أن أحولك للمستشفى لتأخذي وحدة دم أو اثنتين مع أنني لا أحبذ ذلك خشية العدوى .. عليك بالإكثار من الأغذية الغنية بالحديد مثل الحبوب الكاملة القمح الأسود والنخالة الشوفان والخضار الأخضر مع مادة الحديد من الصيدلية .

رن المحمول فنظرت للمتصل ؛ فإنها جريدة ، فأعادته للطاولة . وقالت : يا سيدتي التغذية ولو بصورة متقطعة خلال اليوم أكثر من وجبة مهمة لك سيدتي وفي الشهر الخامس خاصة .. هذا زوجك يحب المواليد!

ابتسمت ثريا : أنا التي تحب المواليد .. ليتي أنجب دزينة.

ـ لماذا؟!

بعد الثالثة أغلقت العيادة كما هو برنامج العمل في فصل الشتاء ، وتناولت الغداء مع عصام الذي لا يعمل كثيرا ، فهو مع وقت صلاة الظهر يعود للبيت وقد تابع أعمالها التجارية فترة الصباح ، فهو ما زال يعاني من مشاكل الجهاز العصبي وكسور الفقرات ، فهو يستخدم العكاز للمساعدة في المشي ؛ ولكنه يستطيع قيادة السيارة

استيقظ جوهر ابن الصف الثالث من النوم للغداء مع والديه ، هو يرجع من المدرسة الخاصة قبل عودة أمه بساعة أو ساعة ونصف ، فهو طالب يدرس في مدرسة يملكها المهندسان سامي وحسن منذ خمس سنوات كنوع من الاستثمار ، فقد مات مالكها وعرضت عليهما فقبلاها ، ولم يتغير شيء في إدارتها معلمات وإدارة ؛ إنما الذي تغير المالك فحسب ، والمحاسب وشركة التدقيق، فلما يعود تقدم له المربية كوبا من العصير ، ثم يرقد حتى تعود أمه ويجتمعون على المائدة ، ولم يكادوا ينهضون عن الطعام حتى رن جرس البوابة الخارجية وتبين على

الكاميرا جسم جريدة نجيب ، فقالت وهي تضغط على زر فتح البوابة : إنها جريدة .. طول اليوم وهي ترن عليّ .

ـ ولماذا لم تردي عليها ؟!

قالت : زعلانة منها من تلك الساعة التي تخبرها .

قال : إنها أختك الصغيرة يا كبيرة على رأي عارف ضحكت وهي تستقبل جريدة على باب الفيلا الداخلي ، وتعانقتا على المدخل فقالت: مرحبا وردة .. تحياتي دكتور عصام !

ـ أهلا وسهلا مرحبا . وهنأها على السلامة ، وقال وهو يقف : سأدخل المكتب يا وردة .

صاحت جريدة : لا داعي يا دكتور! لا أسرار يا ابن العم .. كيف الحاج حبيب؟

قال: الحمد لله بخير وعافية.. وأنت .

ـ الحمد لله .. سلم عليه .

قال : السلام عليكم .

قالت وردة مازحة : قالت جريدة لا أسرار يا عصام خليك!

تابع سيره ، واحتضنت جريدة جوهرا ، ورفعته إلى صدرها وقبلته على خديه وقالت : متى يكون لك ابن خالة يا نور عيني حبيبي جوهر ؟

ولما أنزلته قالت أمه : اذهب إلى مكتب أبيك ؛ واجلس معه لنرى ما عند خالتك من أسرار ماذا تريد من أختها الكبيرة على رأي خالك عارف؟

جلست وأخرجت علبة السجائر من حقيبة اليد : مسموح التدخين.

ـ غير مسموح يا أختي الصغيرة .. لا تدخين ولا خمر .. تناسبك القهوة.

قالت محدقة بعيني وردة : حكم عسكري .

ردت وردة : نعم حكم عسكري ! ليمنعك من الإضرار بصحتك ، ألا يكتبون لك على العلبة التدخين يضر بالصحة .. التدخين يسبب السرطان.

ـ لما يصنعونه ؟

قالت : أنت طبيبة وذكرت أنك عملت طبيبة باطني .. فالضرر معلوم بالضرورة كما يقال .

ـ مسموح الإطالة .

قالت : البيت بيتك.. نحن قبل دقائق قمنا عن الأكل .. أتكلين ؟

قالت : من يطهوه؟

ـ أنا ، قبل الذهاب للعيادة أبدأ به ، بعد صلاة الفجر وقراءة القرآن والأذكار الصباحية أعمل في المطبخ حسب اتفاقنا ليلا مع مشاورة حبيبي جوهر .. وقبل التاسعة نكون طبخنا وأفطرنا واستعددنا للعمل .. وعصرا نسخنه على فرن الغاز أو الميكروويف.

أحضرت مربية جوهر الشاي ، وأخذت وردة تصبه في الأكواب ، ثم حملت الأبريق والكاسات

إلى مكتب عصام ، وملأت كوبين ، وتركت الإبريق عنده ، ولما عادت قالت جريدة التي تابعت المشهد : تغيرت كثيرا يا وردة ! كان شعارك زمان اخدم نفسك بنفسك .. أكيد عصام سعيد بما تفعلين .

قالت : بل أنا سعيدة بما أفعل .. عصام طول عمري أحبه ؛ ولولا حبي له ما تزوجته ، وهو وصديقي ووالد عزيزي جوهر .. مسكين ما زال المرض يرهقه .

قالت : ما زال عاجزا عن المعاشرة !

قالت : الحمد لله .. على كل حال تخيلي ما شئت ..أنا رضيت بقدري .. الرجل كما تعلمين تركني ؛ لكني راجعت نفسي وحياتي ..وعدت إليه .. واليوم وسائل الجنس والإثارة كثيرة .. ومواقع الإباحية تملأ العالم .. الجنس حاجة ؛ لكنها ليست الأهم من الأكل والماء .. يمكن الاستغناء عنه ، والبقاء أرملة حتى الموت .. والشباب يبقى أعزب لربع قرن بدون زواج .. والاستمناء لا يغني عن الزواج وإلا ما تزوج أحد .. ونحن النساء بعد الخمسين تقل الحاجة إلى للجماع ، الأكل والماء لا غنى عنهما حتى الموت .. أنا فعلا رضيت بهذه الحياة والعلاقة ، وإلا ما رجعت .. عمتي فاطمة مثالي في هذه الجزئية .

ـ عمتك فاطمة .. تقصدين أخت حبيب.

قالت بشدة : أخت نجيب وحبيب ، ترملت صغيرة على ثلاثة أطفال ، ورفضت أي زواج وعاشت سعيدة .. وهي أكبر من عمي حبيب .. أنت تعلمين أن المرأة كلما كبرت ضعفت شهوتها .. وتسمعين عن سن اليأس الخاص بالنساء حتى لو جامعت ذكرا لن تكون كما كانت شابة.. فالهرمون الجنسي انتهى أجله .. جماع بلا متعة وشهوة .. صدقي لولا عملي في طب النساء ومثل هذه المشاكل ما تكلمت في مثل هكذا موضوع.. أنا سعيدة بحياتي .. مثلي مثل الأرملة أو المطلقة .. والآن ما هو الموضوع الضروري ؟

ردت : الحقيقة هما موضوعان ، أنا حزين من أجلك!

ضحكت وردة وقالت : عدنا ، والله أنا سعيدة جدا .. احزني على نفسك .. أعود وأكرر .. كم سنة يبقى الإنسان الذكر والأنثى بدون زواج ؟.. الذي مثلي ومثلك خمس وعشرون سنة ، ثماني عشرة مدارس ، وسبع جامعة .. والكثير من الجنسين يصبر على ترك غريزة الجنس .. وقلت العادة السرية أو ممارسة الجنس العابر غير مريح ومتعب للطرفين .. فيا حبيبتي لا تحزني عليّ !

قالت :كلامك عجيب وصحيح ! المحامي القاضي نويل قريب شهاب قال لي : أغلب القضايا التي تعرض أمامي بسبب هذه الغريزة .. على كل الموضوع الأول والاهم بالنسبة لي أنا وشهاب أننا

نفكر بإقامة مستشفى من أموال أبي فنحتاج لشركاء حتى نُكوّن الهيئة المؤسسة .. هو شركة خاصة ، فعارف رحب بالفكرة ، وأنت وعصام ما تقولان.

قالت: هل ستبنون مبنى من الصفر أو مبنى مشترى أم تشترون مستشفى .. فسامي ابن عمك يملك هو والمهندس حسن زوج نوار مستشفى .

قالت : سامي هو مهندس !

قالت : سامي وحسن مهندسان وزوجاتهما طبيبات .. أي استثمار يقع عرضه عليهما يستثمرانه اذا كان طبعا يستحق الاستثمار .. فالمال في السوق خير من يكون في بطن البنك .. فجوهر يتعلم في مدرسة خاصة يملكانها.. هم ملاك فقط وعندنا مصنع دواء كبير يصدر بعض الأدوية للدول العربية والإسلامية نملكه نحن العشرة ؛ لا أكثر من عشرة

قالت : الستة .. العشرة .. الأكثر !

قالت : أنا وعصام وجهاد وزوجته رندا وحسن وزوجته نوار ابنة عمك وسامي وزوجته هناء وعمي حبيب واعتقد إبراهيم شقيق رندا وسالم وريم زوجته .

ـ والمستشفى.

قالت : أيضا لنفس المجموعة ، أشركنا فيه ، وفيه آخرون ، ويديره ابن خالة لهم واسمه مستشفى الروح ، حي رمانة ، يفصله شارع تاج الزمان عن تاج الزمان .. هو يخدم طرف بعنبس وطرف تاج الزمان .. قريب من حي عمي وسامي وحسن .. هم يسكنون حي بنت الباشا .. صرت أحول بعض مريضاتي للعلاج أو الولادة فيه .

ـ مستشفى الروح ما أعماله ؟

على رأي عارف اتصلي .. أنا عملت الواجب

قالت : أي واجب ؟

قالت : الاتصال بحضرتك .. مع السلامة . وأغلقت الهاتف .

فقال شهاب باسما : تشاجرتم!

صرخت في وجهه قائلة : بدها أسلم على العم حبيب البغيض ، خسارة الاسم فيه وسالم وجهاد

صرخ : أنت تسلمين على الشيطان ..كنت تسلمين وتصافحين على كل أطباء وكوادر المستشفى

خفضت من صوتها وقالت : يا سلام ! هم الذين يجب عليهم أن يسلموا عليّ ويتصالحوا معي.

هو الآخر خفض وغض من صوته وقال : يا سلام ! من أنت ؟ الرئيس الزعيم .. يا للجهل !

صاحت : أنا أم الجهل ! أم الجحود !

قال : أنت تكلمت مع عارف وأخبرتيه بوصولنا .. لم يبدأ هو على نظريتك .. سمعتك تعترفين

قالت : الكسور الولادة وأمراض النساء أو بعضها الأسنان العيون الباطني والصدر والأسرة أنف أذن حنجرة .. هم بعيدون عن جراحة الدماغ والقلب ولدينا مختبرات وأجهزة تصوير متنوعة .. وأنا

وعصام نمتلك صيدليتين ومصنع دواء صغير أدوية محلية وملينات وصابون طبي .. يديره دكتور صيدلة .

ـ هذا أنتم تعملون وأنا غافلة !

قالت مبررة : لا تتصلين ، واذا اتصلت لا تسألين ، واذا غلطت واتصلت كيف حالكم ؟ .. إن شاء الله بخير.. آخر أفلام عنبس وبعنبس .. لا دور سينما هنا والسلام .

قالت : أنا فعلا غافلة كما يقول شهاب .. مشغولة بالموضة واللبس وأنواع الكحول .

قالت : الموضوع الثاني .

قالت : تشاوري مع عصام ما دمتم تحبون الاستثمار ؛ لنعمل جمعية تأسيسية ما دمنا نملك المال لماذا نبقى نعمل عند الناس ؟ فلنعكس الأمر .. الأمر الثاني يا أختي الكبيرة زميلتي هدى التي تخرجت معي ؛ ربما تعرفينها دعوتها إلى النادي كذا مرة .. هي تعمل في مستشفى حكومي أو مع الحكومة مثل شقيقنا عارف .. وما زلنا نتواصل اجتماعيا .. لها أخت أكبر منها تعمل معلمة في مدرسة حكومية فهؤلاء يحبون العمل مع الحكومة ..أنا عملت اختصاص في الرياض ولم اكمله بإنهاء عقدي قد أكمله هنا في مستشفى الجامعة .. فأحد مدرسي سيساعدني في ذلك .

قطعت كلامها : المعلمة أخت هدى في مدرسة حكومية ..

ـ خرجت عن النص ، هذه المعلمة اسمها هداية وأكبر من هدى ، ومنذ تزوجت لم تلد وترغب بالحمل ، كما فعلت أنت ، طفل المختبر .

قالت: كيف أساعدها واخدمها؟

ـ راغبة بزياتك وسماع التفاصيل منك ، سماع قصة الحبل بدون ذكر.

ضحكت وردة وقالت : يا مجنونة في ذكر ! هل تظنين أني اشتريت منويات من بنوك المني في أوروبا ؟.. هذا حرام عندنا .. ولن يكون ابن عصام إلا منا ـ وأشارت لبطنها ـ هو مني ومن عصام ؛ لكن بدون اتصال جنسي كما هي العادة والطبيعة البشرية .. أخذت منويات من عصام وبويضات مني وتلقحت في الأنبوب ، ثم زرعت في الرحم ؛ كما يفعل البياطرة بالتلقيح الصناعي يأخذون منويات الثور أو الخيل وتوضع في رحم البقرة والفرس ، لكن هنا الإخصاب يحدث في أنبوب اختبار ؛ فاذا تكاثر الإخصاب ونجح يزرع في رحم المرأة ، وقد ينجح بنسبة ثلاثين بالمائة ، وكثيرا ما يفشل .. أنا فشلت أول مرة .. لما رجعنا من رحلة العلاج في فرنسا وفي شهر أيار أعدنا المحاولة ولحد الآن ناجحة .

قالت : يعني .

قالت : تحاول ، يتم فحص البيوض والمنوي ؛ فاذا

كان حيا ولو ضعيفا يمكن تنشيطه ، وكذلك البيوض ، ويخضع الذكر لعملية شفط الحيوان من الخصية أو السائل المنوي ، والمرأة تؤخذ البيوض من المبيض بعد تنشطيها لتعطي أكثر من واحدة .. عمليات دقيقة ؛ ولكنها سريعة لا تستغرق وقتا طويلا، وبعد تلقيح عدد من البيضات بالحيوان المنوي المأخوذ من الزوج يزرع في الرحم .. وعليها أن تجري الفحوصات وتحاول .. فالأمومة غريزة مهمة في حياة النساء غير ما يدعيه الجاهلون مثلي قديما.

قالت : سنزورك ثلاثتنا .

ـ أهلا بكم هنا أو في العيادة .

ـ ما رأيك في شقتي ؟

ـ لا داعي .. هنا أفضل أنا أحب البيت بعد ساعات العمل .. فحق عصام وجوهر أن أعيش معهم بضع ساعات قبل النوم .

قالت : والله تغيرت يا وردة ! وكنت تعودين للبيت مع الفجر.

ـ الحمد لله أن أكون اليوم كما قال ربي " وقرن في بيوتكن "

ـ ذا قرآن .

ـ عمرك قرأت القرآن .

قالت : أسمع أحيانا .

غادرت جريدة بيت شقيقتها مغربا ، فقالت وردة لعصام : هل صليتم ؟

قال: صليت أنا والشيخ جوهر ، علمتهم المعلمة الصلاة كما علمتهم من أسابيع الوضوء.

حملت وردة جوهرا وعانقته حبا وقبلت وجنتيه: حبيبي جوهر أنت ولد طيب ورائع !

قال جوهر : كان خالي جهاد في المدرسة .

ـ خالك جهاد كان في المدرسة.

قال : وأعطاني خمسة دنانير .

ـ وماذا فعلت بها يا حبيبي ؟

ـ هي في جيب بنطلوني.

أنزلته بعد قبلتين أخريتين والتفتت لعصام وقالت : هل أصنع لك شايا ؟

ـ شربنا الشاي مع جريدة ماذا تريد ؟

قالت : تسعى وزوجها لإقامة مستشفى ، ويرغبون بمساهمتنا بإدارة المشفى لتشكيل جمعية تأسيسية ؛ لنكون في مجلس الإدارة ، لم يعد لديهم رغبة بالعمل تحت إدارة الناس ، وهم يملكون المال .

قال: تفكير صحيح ! فلما الواحد يملك ثروة كبيرة يعمل أجيرا لماذا ؟ وفيه تحريك لاقتصاد البلد .. بعضهم يزعم أن ترك الأموال في البنك وأخذ الفوائد أريح من فعل المشاريع والانشغال بالعمال والموظفين .

قالت : الناس طاقات يا عصام ! ناس نشطة ،

وناس كسولة ، فهيا تملك ثلاثة ملايين ونصف الميراث .. حصة كبيرة ، وتظل تعمل عند الناس مشكلة .. هذا أولا ، وثانيا لها زميلة وللزميلة أخت لم تلد منذ أكثر من عشر سنوات ؛ وكأنها سمعت بحكايتنا مع طفل الأنبوب.. تريد أن تسمع التفاصيل، فرحبت بها تحتاج إلى تشجيع واطلاع .. وهي معلمة مدرسة حكومية ترغب بسماع تجربتنا مع هذا النوع من الحمل على رأي جريدة بنت زكية.

ـ جيد ! الإنسان عليه أن يحاول .

قالت : هذا ما قلته ، شرحت لها باختصار مراحل حمل الأنبوب فهدى محمد زميلة جريدة ، تقابلت معها مرة أو كرتين أيام النادي اللعين ، وزوجها طبيب عسكري قريب لها ، وهي طبيبة عامة تعمل في مشفى أو مركز حكومي.

قال : الصلاة يا وردة ! الشتاء يكون الوقت بين الصلاتين قصير رغم طول الليل.

قامت وربتت على رأس جوهر الصامت يسمع لهما: حبيبي عصام هل ساحتني على أخطائي الكبيرة.

ـ زمان يا حبيبتي ! فعودتك أعادت لي الحياة والبسمة ، كانت مفاجأة كبيرة لي ..كنت أفكر كيف سأقضي ما بقي من حياتي من غير ونيس ؟

قالت : قريبا سنرى طفليك يا ابن عمي العزيز .. ولد وبنت .

وابتسمت محبة وقبلته وجوهرا : هذا يخبر به جهاز الموجات فوق الصوتية .. أخوة لك يا جوهر !

فهتف : زهقت وأنا أنتظر .. لماذا هما محبوسان ؟

قالت : ماذا ستفعل بفلوس خالك؟

قال : أبي يقول لما نروح الجامع لصلاة الجمعة نضعه في صندوق تبرعات الجامع .

قالت : رائع اقتراح والدك ! ... يتبع

قصص وحكايات الفوارس

مملكة مالونيا والملك بربار

الحلقة ٣ والأخيرة

فهدأت الملكة من غضبه وقالت : سأصنع لك خيرا منها بنفسي أيها الفارس .. لا تغضب .

فهمس قائلا : لا أريد شيئا .. مللت من هذا الدواء أين طفلتي وهم الأيام ؟

فقالت الملكة : نائمة .. هل أوقظها لمولاي الملك ؟

فقال : لا .. أحس بدوار في رأسي .. الدوار يشتد استدعي الطبيب مازندار .. أحشائي تتمزق يا ريهان .

أتى طبيب الملك والقصر سريعا ، وكان الملك قد سقط على السرير لا يعي شيئا، نظر إليه الطبيب وإلى عينيه ثم قال للملكة : أيتها الملكة الملك سقي سما شديد الفاعلية ..

سقطت الملكة على الأرض وهي تقول : سما ..

افعل له شيئا !

أتى جرار وفرض طوقا من الحصار على القصر ، واضطرب القصر الملكي ، وذهب للطبيب والملكة فأخبرته الملكة بما تعرض له الملك ، فأمر قادة الفرسان ألا يسمحوا لأحد بالخروج من الخدم والجواري والحرس ، وأمر بالبحث عن الجارية سراد ولكنها اختفت ؛ فأدرك الفارس أن هناك مؤامرة حيكت ضد الملك ، فذهب وأتى بالقاضي الطبيب صقير على الفور ، فقام الأخير على فحص صدر بربار وشفتيه وعينيه ، وعمل له تفريغ جوف ، وأسقاه شرابا خاصا ثم قال : الملك شرب سما قويا ؛ ولكنه لم يشرب كثيرا منه على ما يبدو وإلا قد مات على الفور.

ثم أخرج عشبة من جرابه صنعها لعلاج السموم ونقعها بالماء وفركها ، وفتح فم الملك ودلقها فيه فعطس بربار فقال صقير: أيها الفارس جرار وأنت يا ريهان احضـروا لنا ماء بملح واغسلوا به وجهه ، ثم بعد ساعة اسقوه منه ..ثم ساعة بعد ساعة حتى الصباح سيكون قد بطل مفعول السم .. وسوف أتابع معه العلاج ، ولا تخافوا فهو لم يشرب سوى القليل من السم ، وأنت يا مازندار راقب الوضع ولا تقلق ؛ فإن لم يقدر له الموت فسوف يتعافى بإذن رب السموات والأرض والبحار..

ولما أتى إليه ذهب النهار صباحا ومع إشراقة الشمس كان الملك قد أفرغ كل ما في جوفه ودخل الخلاء عدة مرات ، فقام صقير بجرح عرق نزف منه الدم حتى ملأ كأسا كبيرة الحجم ثم ضمده، وطلب منهم أن يسقوه مرق الدجاج والديوك، انتشر الخبر بتعرض الملك للقتل بالسم بخيانة جاريته سراد ، وقام البحث عنها في كل أنحاء الجزيرة وعن فارس من فرسان الملك يدعى ايفانز ، ولما تعافى الملك تماما من السم وعادت له قوته البدنية والعقلية طلب رئيس الشرطة وكلفه بالقبض على ايفانز وسراد بكل قوة وسرعة ، وأقامت المدينة حفلة عظيمة بمناسبة شفاء الملك حضرها الأصدقاء من الملوك والأمراء ، وممن حضر هذه الحفلة الأميرة سونيا وأخوها الملك برليان الذي ورث العرش عن أبيه جليان ، والتقت بالملك بربار ومعها زوجها سرياني ، وقد لفت نظر الملك غياب ملوك أقصى شمال الجزيرة عن هذه الاحتفالات ، فسأل ملاريون عن ذلك ، وكان ملاريون قد أصبح كبير الوزراء والنبلاء فرد على استفهام الملك قائلا : أيها الملك العظيم !.. سمعت أن أمراء تلك الجزيرة يتهامسون بالانفصال عن الإمبراطورية فأرسلت أحد الفرسان سرا ليجتمع بأعواننا هناك ويأتينا بالخبر اليقين .

تضاحك بربار وتحسس جسده وقال : ويحهم لم أصير بعد شيخا هرما .. من يقود هذا التحرك

والتمرد ؟

فقال ملاريون : لا أدري أيها الملك ، لا أحد يجرؤ أن يكشف نفسه متمردا ؛ ولكني قريبا سأضع بين يديك التفاصيل المهمة يا مولاي .

فقال بربار : الحرب هي التي تشغل الجنود والفرسان .. فالراحة تدفعهم للتآمر على الأسياد .. عجل بخبر تلك الجزيرة فإني قد اشتقت لامتشاق

السيف

والقتال

والثياب

الأرجوانية



من دماء القتلى والجرحى .

في هذا الحين وصلت مالونيا سفن الأبقار والأغنام التي بصحبتها العبد مروان ، ولقد كان مدبر الطعام في قصر الملك والقصور الأخرى وبعض الجنود في الميناء لشراء اللحوم الحية ، وبينما هم يتنقلون بين التجار لشراء ما يلزمهم التقى مدبر القصر بالذئب برهان ، فهو يعرفه جيدا أليس هو أخا الملك فدهش فهو قد علم أنه قد مات منذ سنوات في حملة جزيرة سانتي ؛ ولكنه هو نفس صورته ، فناداه باسمه المعروف فلم يجبه فاقترب منه وقال : يا هذا ما اسمك ؟

فرد ذؤيب : أنا اسمي العبد مروان أتيت لبيع الأبقار والأغنام .

عرفه مدبر القصر على نفسه وقال : إنك تشبه الأمير ذؤيب .

فقال الرجل بغضب خفيف : أنا يا سيدي لست أميرا أنا راعي غنم وبقر .

فقال الفارس وهو يحدق فيه ويقول لنفسه : نفس صوت الأمير إنني أعرفه جيدا فسأله قائلا : ما قصتك أيها الفارس ؟!

حضر عفرا للمكان وقال : مالك أيها الأمير مع العبد مروان ؟

فقال الفارس الأمير : إنه يشبه الأمير ذؤيب أخو الملك بربار العظيم .

ضحك عفرا وارتبك في نفس الوقت وقال : هذا أيها الأمير عبد أسير اشتريناه من سنوات قليلة من قرصان البحر فهو ليس أميرا ولا وزيرا .. بل رجل مسكين قليل الكلام حتى أنه لا يذكر من ماضيه شيئا ، اسمه لا يعرفه فسميناه مروان .

فكر مدبر طعام القصور الملكية بكلام عفرا وقال: يا رجل أتاك السعد والغنى للابد انتظر في الميناء أنت ومن معك حتى أعود ولا تخف فلك الأمان .

وأمر اتباعه بالمحافظة عليه ، ومشى على جواده حيث بيت الأمير صقير فهو صديق له أيضا ، ووجده في أطراف الحديقة بين أعشابه التي يزرعها ويرعاها لصنع المركبات العلاجية ، فقص عليه الأمر ، فركب صقير على بغلته وسار معه مع

الفارس الأمير هلمان إلى الميناء ، فلما رأى العبد مروان صاح من الفرح والدهشة : إنه والله لذؤيب ! وأقسم على ذلك يا هلمان .. إنه أخي

فقال العبد مروان : يا قوم .. ما بكم أنا لا اخوة لي أنا راعي أبقار في مزرعة الأمير ضرار .

جلس صقير مع عفرا ، وسمع منه قصة العبد مروان ، وكيف اشتروه من قراصنة البحر؟ وكان مصابا بفخذه فعالجوه ، فشكره صقير في النهاية وقال : ابشروا بكل خير وسعادة هذا أخو الملك بربار العظيم ؛ ولكنه فاقد للذاكرة من هول المعركة والصدمة التي تعرض لها جيشه .. لابد من أخذه ومعالجته .

فأمر صقير باستضافة كل رجال القافلة ، ولما وصل الخبر لبربار كاد يطير من الفرح والحبور ، فهو قد حرك جيشا كبيرا لبلاد الشرق على أمل لقاء الاخوة ، فهو يحبهم حبا كبيرا ، فأسرع إلى لقاء أخيه واحتضنه وقال : نعم ، والله إنه الذئب برهان ابن سراجة وبهرام .. حمدا للرب .

وأمر الملك هلمان بشراء كل حمولة القافلة بأفضل الأثمان وإكرام الجميع غاية الإكرام ، ودفعوا مالا كثيرا ثمن حرية العبد مروان ، وقال هلمان لعفرا : إذا لم يحب سيدك هذا الثمن فليزرنا معك وسيكافئه الملك بربار .

وكان عفرا قد رفض أخذ الثمن بداية ؛ ولكن الأمير هلمان قال هكذا أمرني الملك ، وتم إرضاؤهم وإكرامهم فابتاعوا بضاعتهم ، وعادوا لبلادهم مسرورين ، وكان ملك مالونيا سعيدا بعودة الذئب برهان وتعجب من قدرة الله ، ومن الأقدار ، وقد تألم وأسف لمرض ذؤيب وقال لصقير : هذه مهمتك يا صقير فأرنا براعتك اليوم في الطب يا فارس الحكماء !.

فأجابه ذهب النهار الطبيب : اهتم بأمر حكمك ودعني أداويه .. فذؤيب ظهر لي من نظراته وسرحانه أنه تعرض لصدمة كبيرة أفقدته الذاكرة والذهن .

فقال بربار بحزن وهز أكتاف : وهل أصعب على النفس من كارثة سانتي .. ؟!

مصير مالونيا

لقد تم القبض على الفارس الهارب ايفانز والجارية الحمقاء سراد في إحدى المدن هاربين ، فنقلوهما لمالونيا وقام كبير الأمن والقائد جرار بالتحقيق معهما ، وبعد سماع أقوالهما تم اعتقال أكثر من مائة فارس وفيلسوف ومن أبناء الملوك الذين كانوا كرهائن في مالونيا ، وتوسع التحقيق والاعترافات وانكشف أن هناك مؤامرة كبرى تدبر لقتل بربار، وإثارة الفتن والفوضى في المملكة ، وتبين أيضا أن ملوك أقصى الجزيرة لهم يد في ذلك ، وهم الذين يمكرون لتفتيت مملكة بربار ، وخصوصا الملك

دبران ـ وهذا كان من أصدقاء الملك بدوان ـ وعنده الكثير من الفرسان والأنصار، ورغم فشل قتله بالسم بواسطة الجارية سراد ، فقد انكشف أنهم كانوا يخططون لقتله عن قريب أثناء رحلة صيد في وسط الربيع ، فأرسل القائد جرار وراء دبران الذي رفض الانصياع وأعلن انفصاله عن المملكة الكبرى ، وقد جاءهم جاسوس ملاريون بأخبار تلك المدينة ، وكشف لهم أن ملوك آخرين يفكرون بالانفصال وعدم دفع الأموال والأنعام ، فلما سمع بربار الأخبار واطلع على كل الحقائق والمعلومات والاعترافات فقال معقبا : هل يرى هؤلاء الملاعين أني أصبحت هرما وعجوزا وضعيفا ليطمعوا بي لهذا الحد ؟! فلتشتعل الجزيرة لهبا ونارا.

وطلب من رئيس الفرسان الأمير جرار تجهيز جيش بخمسين ألف بطل لغزو مدن الشمال ، وأن يبقى مثلهم لحراسة مالونيا وحمايتها ، وأن يجهز مثلهم من المدن المجاورة والموالية للقيام بحملة تطهير من الخونة والضعفاء ، وكان من المعروف في تلك الجزيرة أن لكل فارس كبير جندا خاصا به يدفع لهم أجورهم مما يحصله من الملك ومن الأرض والضياع ، وعند نشوب الحرب يدفع لهم الملك بربار أجرهم ، ومن لا يستطيع تحمل نفقات هؤلاء الجنود والفرسان ، فإما أن يهبهم لصديق أو يسرحهم فيعملون مع قائد آخر وهكذا ، ولكل ملك جيش خاص حسب طاقته وطاقة البلد وصغرها وكبرها ، وهناك جيش عام للبلد يدفع لهم من خزائن الدولة ، وعند الدعوة للحرب يدعى الناس للالتحاق في الجيش العام ، فمن يرغب أن يلتحق بكتيبة أو فرقة يسجل اسمه عند أمراء الأجناد ، فيلحق بكتيبة أو فرقة ، ومن الشائع أن يكون الجند الملحقون بالكتائب واجبهم حراسة القصور والأميرات وأملاك الأمراء طيلة أيام الحرب ، وفي أيام السلم يسرح كثير من الجنود ، وبعدما تنتهي الأموال التي حصلوها تبدأ مشاكلهم في الأسواق والحانات ، ويبدءون بالبحث عن وسائل الارتزاق ؛ فإن سمعوا بمغامر في بلد ما يطلب جندا فمن استطاع لحق به ، هكذا تكون حياة الجنود في تلك الممالك ، يتنقلون من فارس لآخر، ومن قائد إلى قائد ، فكان لملك مالونيا ما يزيد عن خمسين ألف جندي تتحمل نفقاتهم خزينة الدولة ، وله من ضمنهم خمسة آلاف فارس يتزعمهم الأمير الفارس جرار، هؤلاء أجورهم من أموال الملك خاصة ، وهناك قادة وفرسان لهم فرسان بما يقارب العشرين ألف ، وكل مدينة كما ذكرت سابقا لها أمير أو ملك أو فارس حسب كبر وصغر المدينة لها جند ، التحق قادة الجند والفرسان بالحملة التي ينظمها الملك لغزو وتطهير الجزيرة الكبرى فكانوا عشرين ألفا ، والتحق من

جيش الملك عشرون ألفا ، من ضمنهم ألفا فارس من فرسان بربار لحمايته ، وقام رئيس الفرسان جرار بتجنيد ستين ألف فارس ليبقى خمسون ألفا لحراسة مالونيا بقيادته ، ومعهم من بقي من فرسان وجيش الملك ، وأرسل للأمراء والملوك بإعداد خمسين ألف آخرين ، وتقرر أن يسير الأمير ملاريون بصحبة الملك في هذه الحملة الضخمة ، وترك زوجته ريهان الحامل تنتظر مولودها برعاية القائد جرار وتحرك بربار بنفسه في الجيش ، ومشى معه أطباؤه وعلماؤه ومستشاروه ، وظل جرار نائبا عن الملك ، ورتب معه طرق الاتصال ونقل الأخبار، وحشد الملك دبران والمتمردون معه من الملوك والأمراء جيوشا جرارة أيضا لمقابلة جيوش الملك الفارس بربار ، وعلموا أن أمامهم إما الموت وإما النصر لا ثالث لهما فلن يرحمهم بربار ، الذي أعلن بدوره بأنه سيعفو عن كل ملك ينسحب من القتال ، ومن أمام جنوده ، ويبقيه ملكا على أن يظل ولاؤه لمالونيا العظمى ، فدب الرعب والخوف بين المتحالفين من هذا العرض ، وتعاهدوا من جديد على الوفاء والقتال ، وأخذوا على أنفسهم المواثيق والعهود على الثبات في وجه الملك بربار ، ثم أمر بربار بنشر خبر مخيف وعنيف أنه لن يسمح أو يعفو عن أي جندي أو فارس يقع أسيرا أو يستسلم إذا نشبت الحرب .. فكل جندي أو فارس يترك الحرب والقتال وجيشه قبل المعركة فله الحرية والعفو وجائزة ملكية ، اضطر الملوك المتمردون أمام هذه الحيلة بزيادة رواتب وأجور الجند والقادة والفرسان مما كلفهم المزيد من الأموال ، وأتت الأخبار غير مشجعة للملك بربار ، فوافق على مؤامرة قد دبرت لاغتيال الملك دبران ، فأصدر القائد الأمير ملاريون الأمر لعيونه في مدينة أقصى الجزيرة بتنفيذ الجريمة ، وكانت جيوش المدن المتمردة تنتظر وصول جنود وجيش بربار على نار خوفا من انفراط عقدها ، وكانت جواسيسهم تنقل لهم تحركات جيش بربار أولا بأول، وقبل وصول الجيش الملكي المحارب لأرض المعركة بأيام جاءه خبر من مالونيا بمقتل نائبه جرار مع مجموعة من الفرسان غدرا من قبل مجموعة من الخونة ، فذعر الملك وأعوانه وحاشيته وأخفوا الخبر عن الجند والملوك والفرسان ، وتعجل بربار في الالتقاء بجيش الملوك المتمردين ، فانفرد الملك بملاريون وقال : هل فشل جنودك بقتل دبران

قال ملاريون بجد وثقة : أيها الملك .. قبل أن نصل إليهم ستسمع الخبر السار. . وقد استلم الأمير صقير نيابة المملكة بعد مقتل جرار ومساعديه ، وقد تم القبض على مائة من الفرسان يتعاملون مع الخونة ، وشاركوا بقتل البطل جرار ، واستلم قائد الشرطة والأمن قيادة الفرسان فالوضع هادىء

ينتظر عودتك..

لقد كان الملك دبران يتزعم حملة الأمراء والفرسان والملوك المتمردين على حكم الملك بربار ومملكة مالونيا ، وكان دبران يستعد للالتحاق بالجيش المنتظر قوات وعساكر بربار ، وقد علم باقتراب الجيش من جيوشهم ، والتقت الجيوش اخيرا ، وفي تلك الليلة كان الفرسان الذين يتعاملون مع ملاريون يستعدون لقتل دبران الثائر .. وقد كان في تلك المدينة لص محترف ، وقد سجنه دبران أكثر من مرة ، فأقنعه أحد الفرسان ورجال ملاريون بقتل الملك ، ورتب معه أن يكون قتله تلك الليلة أي قبل المعركة بين تلك الجيوش ، وكان وضع المدينة في هذه الأيام يموج بالتوتر والترقب والخوف ، ويترقبون مصير هذه المعركة القادمة الحاسمة في تاريخ مدينتهم ، وكثير من الأهالي كالنساء والأطفال والشيوخ صعدوا لأعالي الجبال والكهوف خوفا من وقوع الهزيمة في جيوشهم ، وحذرا من بطش جيوش الملك بربار ، فلهم معها ذكريات قديمة قبل أكثر من عشر سنوات ، ففي غياب الملك دبران عن قصره دخل اللص القصر بحيلة ما ، واختفى داخل الحدائق حتى الليل ، فلما خفت حركة الحرس والجواري والخدم فتسلل إلى حجرة دبران واختبأ فيها ـ وكان رجل ملاريون قد أعطاه تفاصيل كاملة عن القصر والحرس ـ وطال انتظاره وكاد يفقد صبره ، ثم رأى جارية تدخل الغرفة فجأة ، ورتبت سرير سيدها وسمعها تخاطب أخرى : الملكة تقول إن الملك سيأتي الليلة للمبيت هنا وغدا سيرحل .. فقد سبقه الملوك الآخرون إلى الجيش بعد أن تعاهدوا من جديد على الثبات والقتال حتى النفس الأخير وعدم الاستسلام .

وكان اللص ساركونا يلبس ملابس الفرسان الشائعة في المدينة ، ودخل القصر على أنه رسول من إحدى أميرات البلاد للملكة زوجة دبران الملك الثائر ، فدخل ولم يخرج واختفى في الحدائق كما ذكرنا ، وغفل عنه الحرس والخدم ، ولما عاد الملك دبران للقصر بعد نصف الليل من لقاء أخير مع الأمراء والقادة الذين تزعم تمردهم ، والتقى زوجته الملكة واستقبلته وسارت به إلى مخدع نومه وهما يتساران ثم قال لها : أنا مرهق ومتعب وأرغب بالنوم بضع ساعات لاستيقظ باكرا قبل بزوغ الشمس أيقظيني ولا تنسي ذلك.

ودعته الملكة وانصرفت إلى مخدعها ، فخفف الرجل من ثيابه ، وعلق سيفه وخنجره ، وخلع درعه ، ثم رمى نفسه على سريره وهو يهتف قائلا : لابد من النصر على بربار وقتله وقتل كل من وقف

معه .

فقال ساركونا من خلفه ، وقد خرج من وراء خزانة الثياب : لن تدرك هذا يا دبران خذها من يد ساركونا ، وانقض عليه وطعنه في صدره ، ووضع يده على فمه مدة من الزمن حتى خمدت أنفاسه ، ثم خرج فاصطدم برجل فصاح به : أوه ألم ترني ؟

فقال الرجل : يا هذا هل سمعت صرخة مخنوقة مثلي ؟!.

فقال ساركونا بثبات : أبدا ولكني كنت عند الملكة في مهمة خاصة وداعا .

وعلى باب القصر أوقفه الحرس ، وقال له أحدهم : ويحك أما زلت في القصر أيها الرسول ؟!

فقال ساركونا بثبات : كنت عند الملكة حتى رجع الملك ، وأعطتني رسالة للأميرة وكشف له عن رسالة في صدره .

فقال الجندي : وهذه الدماء التي على ثيابك ؟!

فقال بقوة أعصاب : أبدا ، جارية الملكة قبل انصرافي وقع منها كأس فجرحت فضمدت جرحها فعلى ما يبدو أن دمها تناثر على ثيابي سأذكرك لمولاتي الأميرة لتشكرك بدورها للملكة لتقوم الملكة بمكافئتك .. وداعا .

ثم سار إلى فارس ملاريون الذي كان ينتظره في بيت من بيوت المدينة الخالية كما اتفقا ، فأخبره بنتيجة عمله فسر بذلك ، ومن ثم اختفيا عن الأنظار ، وقد نقل الخبر على الفور إلى ملاريون الذي أيقظ الملك بربار فأخبره به ففرح بالخبر ، وأمر بنشر الخبر بين جيش الملوك المتمردين ، فدب الصارخ بينهم في ذلك الظلام إن الملك دبران قد قتل ، فانزعج الجنود والقادة فهم قد تركوه قبل ساعات حيا يرزق ، فقال بعض الملوك : إنها دسيسة .. غير معقول لقد تركناه منذ ساعات يسيرة بكل صحة وقوة .. هذه حركة من حركات جيش بربار اللعين

وطلبوا من المنادين أن ينادوا بين الجند أن هذه كذبة من كذبات جيش بربار لبث روح الضعف والهزيمة في نفوس جيوشنا ، وماج الجيش نتيجة هذه الإشاعات القاتلة .

وكان بربار أعلن واستعد للقتال عندما وصله الخبر ، فكان الجيش مع ظهور خيوط أول النهار مستعدا للمعركة للاستفادة من مقتل دبران ، وضرب هؤلاء الملوك المتمردين ، وفي الصباح كان خبر مصرع الملك دبران قد تأكد للقواد والفرسان ، فنشبت معركة تشيب لها رؤوس الأطفال واستمرت لليل ، فانهزمت على أثرها جيوش الملوك المتمردة وأخذت في التقهقر للوراء ، وكان بربار قد خطط لاستمرار الحرب في ساعات الليل ، فالقسم الذي قاتل في الصباح توقف عن الحرب

، وتابع المعركة القسم الآخر الذي كان يستعد للمطاردة ، فاستمر الضغط على جيوش الملوك المتمردة على حكم بربار ، وتتابع تقهقرهم حتى دخلوا المدينة وأغلقوا أبوابها، وقد تركوا قتلاهم وجرحاهم وآخرين قد هربوا إلى مدن وبلدان أخرى، وأمر الملك بربار بقتل كل الجرحى وعدم أسر أي جندي ، أمام قوة جيش بربار وشدة الحصار بدأت الملوك تضعف وتهرب في الجبال والى المدن الأخرى ، ودخل الجيش البرباري المدينة واستولى على خزائن الحكم والسلاح ودمرها على من فيها بعد أن استباحها لجنده ثلاثة أيام ، وكان الأحياء قد هرب أكثرهم للجبال وشعابها، وتابع الجيش الزحف حتى وصل لمدينة دبران فكانت خاوية على عروشها لا أحد فيها ، فأمر بحرقها وتدمير قصورها وأحيائها حتى أصبحت رمادا وأطلالا ، وانتقل الجيش لغيرها ، واستمر بربار يطارد المنهزمين ستة أشهر ، وكل مدينة يدخلها يدمرها ويحرقها ، وواصل متابعة فلول المنهزمين ويطاردهم هنا وهناك حتى هلك الكثير منهم ، وفي النهاية اقنع ملاريون بحكم هذه البلاد ، ووضع تحت أمرته نصف الجيش ومن شاء أن يبقى من الفرسان والجند الشعبي ، وأسس مدينة كبرى في مكان غير مطروق لتكون عاصمة هذه المملكة الجديدة ، وبعد سنتين كر عائدا لمالونيا العظمى ، وبعد هذه الحملة العنيفة دب الرعب والخوف من جديد من جبروت بربار بعدما سمعوا ما فعل في تلك المدن والبلاد من الدمار والهلاك ، ولما وصل لمالونيا بمن عاد معه من الأجناد خرج أهلها كعادتهم لاستقباله والترحيب به بعد عودته المظفرة ، وبشروه بغلام قد ولدته زوجته ريهان وقد أصبح يقارب العامين ، ففرح بذلك الصبي أكثر من فرحه بالانتصارات التي حققها ، وأمر من جديد بتوزيع الحلوى وإقامة الولائم للناس ووزع الأموال على الفقراء والمحتاجين والأجناد ، وبعدما استراح من السفر واستقبال المهنئين بالنصر وتعزيز الملك ثانية، والمباركة بالمولود أمر بقتل كل الخونة والمتآمرين على قتله وقتل صديقه الأمير جرار، وبعد هذه الأحداث المرعبة أخذ السكون والهدوء يسود الجزيرة والبلاد.

ذات يوم التقى بربار بأخيه صقير فسأله عن ذؤيب وما حدث في علاجه فقال صقير بحيرة : ما زال ذاهلا ، لا يذكر من الماضي شيئا، ولكنه يهذي في نومه وأحلامه بكارثة البحر والنار ، وأما وهو مستيقظ فلا يذكر شيئا من هذه الأحلام وها أنا أقرأ في الكتب والحكايات لعلي أجد



شيئا وأفكر بالسفر للشرق وأزور المكتبات الملوكية حتى أقع على الدواء ، فأمره صعب وغير سهل حتى وقع في نفسي أن لا يكون ذؤيبا لولا أنه لا يعرف من ماضيه شيئا .. فما تقول يا أخي الملك ؟

فقال بربار: أنا مستعد أن أتنازل عن هذا الملك والعرش والسلطان على أن يتعافى أخي .. افعل ما تراه مناسبا .

فقال صقير : أريد أن أسافر لمصر والشرق والهند والصين ولسوف ابتاع وأجلب معي الكثير من الكتب .

فقال بربار : نرسل وراء هذه الكتب ، ونتحصل عليها من الملوك وأهل الكتب ..

فقال صقير : أهل النسخ أحيانا كثيرة لا ينسخون كل ما كتبه الكاتب فيختصرون ويحذفون ولدي رغبة بهذه الرحلة .

فقال بربار : وذؤيب ؟!

فقال صقير: تلاميذي أوصيهم به ، لا تقلق عليه ، فتلميذي سنبلة وتلميذي رام بان حفظا مهنتي وصنعتي والكثير من علمي ، ويمكن الاعتماد عليهما في هذه الصنعة ، وسآخذ معي تلميذي جمهرة وخادمي المخلص صفوان فحسب ولم يبق إلا إذنك أيها الملك السعيد .

فابتسم بربار وقال : هذه حياتك فافعل بها ما شئت، وخذ من المال ما شئت .. وارجو من الرب المعبود فاطر الخلق أن ترجع لنا بدواء لأخي الوزير تجهز الأمير صقير أتم الجهاز ورتب الأمور مع تلاميذه ، ثم سافر متنقلا بين البلاد والعباد باحثا عن كتب الفلسفة والحكمة والطب ، وما أعجبه من كتاب نسخه عند النساخ وأشرف بنفسه على نسخه، وكان يداوى المرضى أينما حل، ويساعده في ذلك تلميذه جمهرة وخادمهما صفوان ، فنترك الأمير الصغير يرحل في بلاد الدنيا ونعود لملك مالونيا الملك بربار الذي فقد أباه بعد رحيل صقير بأيام ، فقام بما يناسب المقام لوفاة الشيخ بهرام ، وبلغ الأمير الصغير بربارخان خمس سنوات ، وكبرت الأميرة وهم الأيام ، وأصبحت ابنة تسع سنوات ، واشتاق الملك بربار لصديقه الملك ملاريون فبعث له رسالة يدعوه فيها لزيارته بعد طول غياب ، وفي أثناء سفره اعترضته مجموعة من المغامرين فقتلوه مع أعوانه وحاشيته ، وكان قد ترك ملاريون ولده الكبير نائبا عنه فهو ابن عشرين سنة ، فحزن بربار عندما وصله الحدث المحزن من اغتيال ملاريون ، وأمر بتعقب القتلة ومعرفة من حرضهم على هذه الجريمة ، وأمر بإعلان ولده ملكا على البلاد خلفا لوالده الملك ووعده بزيارة قريبة لتعزيز ملكه ، ثم وردت للملك رسالة من أخته ورود تعلمه فيها بأنها مشتاقة لهم وتود زيارتهم هي وزوجها عامر بن وحيد العصر ، فحمل الرسول هدايا لهم ، وأرسل

سفينة تنتظرهم في مصر في بلاد الملك زدياب .

كان لمدينة مالونيا جزيرة صغيرة بوسط البحر فيها كتيبة من الحرس الخاص قوامها أكثر من ألف جندي ، ويسكن فيها أبناء الفرسان الصغار مع مربييهم ، فعندما يبلغ الطفل خمس سنوات من أبناء الفرسان والأمراء والقادة حق له أن يرسله لهذه الجزيرة مع الجارية أو الخادم ليتعلم العلم والكتابة والرياضة والفروسية تحت أيدي مهرة من المعلمين والمدربين حتى يبلغ سن الخامسة عشرة فيمكنه بعدئذ أن يعود لمالونيا ، فأراد بربار إرسال ولده إلى تلك الجزيرة مثل الكثير من كبار الفرسان ، فرفضت الملكة ريمان ذلك وخافت عليه من الغدر أو الغرق ، وبعد جدال وافقت على ذهابه على شرط أن تكون معه ، فأذن لها بربار وهاجرت هي وولداها لتلك الجزيرة الهادئة لتربية الولد العلم والفروسية كسائر أبناء الفرسان والأمراء .

كان كثير من ملوك هذه الجزيرة يخضعون لحكم بربار خوفا من قبضة سيفه وبطشه وانتقامه، وكثير منهم يتمنى موته ورحيله ، وبربار الذكي القوي يدرك كثيرا من هذه المشاعر نحوه ، وهو يعلم أنه تسلطن على هؤلاء بالقوة والسيف ؛ لذلك كان يهتم كثيرا بتقوية الفرسان والجيش ويشاركهم التدريب والمران ، ويتفقد أحوالهم ويختبر ولاءهم ويرسلهم لفض الخلافات والمشاكل التي تنشب بين أمراء المدن ، وبينما هم في هذا السكون والدعة والمسرة أتاه خبر مخيف بأن بشرا لا يعدون ولا يحصون دخلوا من أقصى شمال الجزيرة يأكلون الأخضر واليابس ، وهؤلاء البشر متوحشون يأكلون الأنس ، ولا يهابون الموت ، ويعيثون الفساد في الأرض ، وقد دمروا كثيرا من البلاد والمدن ، وهم يقتربون من مملكة الملك الراحل ملاريون مملكة الملك سلاريون ، ثم أتت الأخبار أن جيش تلك المملكة فر واندحر أمام هؤلاء الوحوش ، وأن الناس يهربون من أمامهم إلى قمم الجبال ، وقد اقتربوا من مدن مالونيا نفسها فأعلن الملك التعبئة الكاملة للجيش والفرسان وفي كل المدن للتصدي لهؤلاء الوحوش ، واستعد بربار لمقاومة هذا السيل الجارف وهؤلاء الجبابرة العتاة الذين يقتحمون المدن والبلدات بلدة بلدة ، وقد أثاروا الرعب والخوف في الأهالي لوحشيتهم ، فهم يدمرون المدينة ويحرقونها ولا يرحمون صغيرا ولا كبيرا ولا شيخا ولا عجوزا ، ولا تسلم من شرهم شجرة ولا ثمرة ولا دار ، وكان الناس يهربون أمامهم ويتحدثون عن جرائمهم ووحشيتهم وفظائعهم وقساوة قلوبهم، وهم يزحفون للقضاء على مملكة مالونيا ، ولم تستطع المدن مقاومتهم ففروا من أمامهم ، فهم أقوام مثل الجراد المنتشر كرات وكرات ، فتشاور بربار والقادة والحكماء على

معالجة هذه المحنة فاقترحوا عليه مغادرة المدينة أمام هؤلاء الوحوش وركوب البحر ، ويأمر الناس بالنجاة والهرب من أمامهم ، فكان أمرا صعبا وقاسيا على بربار ولكن في ذلك الظرف كان لابد منه ، فصعد الناس لرؤوس الجبال ومنهم من هرب باتجاه المدن الأخرى ومنهم من هرب للجزر في البحر ، وصعد الجنود والأمراء إلى المراكب والسفن ودخلوا البحر ، ودخل الوحوش مالونيا فحرقوها عن بكرة أبيها ، ومن وجدوه قتلوا ، وكان بربار قبل هربه وبعد خروج الناس أمر بتسميم الآبار بأقوى السموم ، واستمر الوحوش في مالونيا عاصمة مملكة بربار ثلاثين يوما حتى أضحت سوداء من كثرة الحرائق وانتشرت فيها الأمراض من الجثث المشوهة ، فكما قالوا لقد حلت بالمدينة كارثة رهيبة ، ذكرت بربار بما فعله بجزيرة سانتي ، فأسف وحزن وبكى بكاء الأم الثكلى على ما أصابها من الهلاك بعد ذلك العمران والعز والجاه والتقدم والرخاء ، فكاد يموت كمدا ثم قال معزيا لنفسه : هذا حال الدنيا عز وذل وملك وقتل !

ولما خرج الغزاة الوحوش منها عاد الناس المذهولون لما حل بمدينتهم لاعمارها من جديد ، ولما رأى الفارس الدمار الشديد بأم عينيه قال من بين دموعه الغزيرة : لنا أكثر من عشـرين سنة نبني .. وتنهد وتابع قائلا : لا يشفي غليلي إلا قتل هؤلاء الملاعين ، لابد من حرقهم وسفك دمائهم

ولما اكتملت عودة الناس للمدينة المحروقة أراد مطاردة الغزاة الهمجيين ، فأشار عليه الحكماء بالصبر وألا يفعل الآن فهم ما زالوا في أوج اندفاعهم الشرس ، وهم كثر رغم ما سقط منهم من قتلى وموتى، وقد استمروا في الزحف نحو الغرب، وأثناء عودتهم قد يتمكن من سحقهم وفي هذه الأثناء وصلت الأميرة ورود وزوجها عامر وأخوات الأمير عامر وأزواجهن لمشاهدة هذه الدنيا التي وراء البحر الكبير، فلما رأوا الكارثة اقشعرت أبدانهم وحزنوا لما حل بمالونيا ، فازداد اشتعال النار في قلب بربار ، فأرسلهم إلى الجزيرة التي يسكنها الصبية عند الملكة ريهان ، وما زالت الأخبار السوداء والقصص الموحشة تأتي وتنتشرعن وحشية الغزاة الزاحفين ، ولم يعد يطيق بربار الصبر على سماع أخبارهم ، فصمم على مطاردتهم والفتك بهم ، وناشد جنده على خوض هذه المعركة التي ترد الكرامة والكبرياء للفرسان ، وناشد جنود المدن الأخرى الانضواء تحت لوائه ، ووعد الملوك الذين يخضعون لحكمه بحرية ممالكهم ، ويعتقها من أي ارتباط بمملكة مالونيا إذا شاءت الانفصال ، ويكتفي بمملكة مالونيا فقط إذا تحقق سحق هؤلاء الغزاة وإبادتهم من الوجود ، وجد هذا الاقتراح الحماس وصدى لدى الملوك الآخرين

وتجاوبوا معه سريعا ، فخرج كل ملك بنفسه وجيشه وفرسانه لمطاردة هؤلاء الوحوش الذين يتجهون نحو الغرب ، وما زالوا يعيثون الفساد والخراب والدمار في الأراضي التي يطئونها ، فاجتمع بين يدي الملك بربار أكبر جيش في الجزيرة ألف ألف فارس فخطب فيهم قائلا : هدفنا الوحيد قتل هؤلاء الأشرار .

وزحف الملك الجبار بالملوك والجيوش الذين يزيدون عن عشرين ملك ، وكانت تلحق بهم جيوش الشمال لما سمعوا بعرض بربار الأخير ، وظلوا يسيرون خلف الغزاة حتى أدركوهم في مدينة السهل الأحمر ، وزحفت الجيوش بعضها على بعض، ودارت معارك طاحنة وفريدة من نوعها في ذلك الزمان الغابر ، واستمر الحرب بين الفريقين أياما وأيام ، فني فيه خلق كثير حتى لم يبق من الغزاة سوى بضعة آلاف سقطوا أسرى وفيهم ملوكهم ، وكان عليهم ملك وحش قصير القامة كأنه القزم ؛ ولكنه يشبه وحش الفلاة دموي النظر ، ومن كتبت له النجاة من جيش بربار والملوك عاد لمدينته وبلدته ، وفي مالونيا نفسها تم إعدام ملك الوحوش حياته وانتهت بذلك غزوة هؤلاء البرابرة لهذه الجزيرة ، وتحرر ملوك الجزيرة من قبضة بربار بعد هذه المعركة الكبيرة ، وانكمش على أثرها بربار العظيم ، وعاد كما بدأ ، وعادت مالونيا كما كانت أيام الملك هيلاني والد نابولي ، فضحك بربار لحال الدنيا ثم خاطب وزيره جبارا قائلا : أخشى أن أعود رقيقا كما جئت لهذه الجزيرة أول مرة ! فضحك الوزير: لا تستغرب ذلك يا ملك الزمان

فضحك بربار بجنون وقال : قد قهرت ملوك الدنيا بحد هذا الحسام وملوك الهند وملوك هذه الجزيرة .. وبلغ مجدنا عنان السماء .. يا إلهي .. يا إلهي !! ثم خفض من صوته وبصره قائلا : ما أخبار ولدي بربار خان ؟! .. لي أكثر من ثلاثين سنة في الحرب والقتال والدماء والجراح يا جبار عادت بي الذكريات للوراء عندما دخلت الجزيرة أسيد بن بهرام العبد الرقيق للملك الطيب جليان .. آه يا ولدي بربارخان! كم من الأصدقاء والخلان فقدت يا جبار .. ملاريون الصديق الوفي ، والفارس الشهم جرار ، والملك الصديق جليان ، والبطل نابولي .. البطل نابولي ماذا أقول له إذا التقينا بعد الموت ؟! هل أخبره بدمار مالونيا ؟! وهل أخبره بما حل بي من بعده ؟! وكيف تنازلت عن مملكتي وعدت حاكما لمالونيا ؟؟؟! آه يا جبار .. لقد كبرت في السن ، تجاوزت الخمسين بقليل لقد دب بي العجز والضعف .. دنيا ماكرة ترفعك في العلا ثم تهوي بك في الحضيض .. هكذا حال الأيام ، لو أن بربارخان كبير العمر لأعطيته ما بقي لي من عز وجاه .. أخي ذؤيب لا يدري من هذه الأحوال

شيئا ، وأخي صقير اختفى وانقطعت أخباره أمي سراجة عجوز على وشك الرحيل وترك هذه الدنيا لأهلها وناس جدد .. يا جبار أريد أن أزور جزيرة الأولاد لأرى أسرتي ريهان وابنتي وولدي بربارخان .. جهز لي مركبي أيها الأمير لعلي ارتاح هناك من هموم هذه الدنيا وأحوالها المتقلبة بضعة ليال .

الملك سنبلة

سافر الملك الكئيب لجزيرة الأولاد ، وتولى جبار قيادة البلاد ونائبا للملك ريثما يعود ، وكان في انتظاره هناك حزن جديد ، كانت زوجته الهندية ريهان مريضة تحتضر وولده مصاب بحمى شديدة ، وعجز أطباء الجزيرة عن شفائهما ، فأرسل الملك وراء سنبلة أو رام بان، وقبل وصول سنبلة فارقت روح الملكة جسدها، وبعدها بيوم لحق بها ابنها بربارخان ، فازدادت غمة الملك على غمته السابقة، فكان يبكي وينوح كالثكلى ، فقاسى الملك من الوجع والألم والحزن والكمد ما يذيب الحديد ، وتمنى الموت من شدة الكرب والحزن ، فلما وصل سنبلة متأخرا عزى الملك وشاركه حزنه ، وهون عليه مصيبة الدنيا بالحكمة والقصص والمآسي ، ثم طلب منه مغادرة الجزيرة فقال : فلنترك هذه الجزيرة الحزينة أيها السلطان الكبير .. والموت قدر الله وقوته .. فدعك من طول الحزن والهم .. فالحياة عبر فيوم فرح وآخر ترح .

كان كلام سنبلة على قلب بربار كالبلسم على الجرح ، فاستمع له وأخذ الأميرة وهم الأيام وغادروا إلى مالونيا ، ورغم محاولتهم الخروج من الحزن ظل الحزن مخيما عليه وعلى فتاته ، وأخذ يكثر من الجلوس مع الفلاسفة حتى هدأت نفسه، فجمع العلماء وقادة الجيش والأطباء والحكماء في قاعة القصر الجديد ذات ليلة وقال مخاطبا لهم جميعا : أيها السادة الطيبون .. لقد مللت الحكم والقوة والسلطة ، ولدي رغبة جامحة وقوية بترك هذا الكرسي للحكماء وأهل العلم لتجربوا حظكم معهم .. وقد أطلعني الحكيم سنبلة على كتاب جمعه عن الحكم والعدل والإدارة والأخلاق الفاضلة .. وبما أنني لا أستطيع تطبيق ما فيه فأريد أن أترك الفرصة للحكيم سنبلة في حكم هذه المدينة ، وأقوم برحلة نحو الشرق مع وحيدتي وهم الأيام .

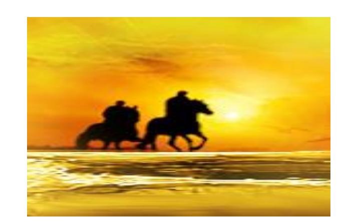
ضجت القاعة بالصوت العالي والهمس وزاد الصراخ والاحتجاج ولما عاد الهدوء للمكان قال بربار : لقد قاتلت منذ ثلاثين سنة .. وكثير منكم قاتل معنا وبنينا مملكة عظمى سار بحديثها الشعراء والكتاب .. ولكنكم لاحظتم كيف ذهبت أدراج الرياح في أيام معدودات ؟ فقد دمر الغزاة كل ما صنعنا وشيدنا .. فلماذا لا ندع فرصة لهؤلاء العلماء والحكماء بإنشاء مملكة جميلة هادئة مسالمة ؟! .. فأطيعوني ودعوا سنبلة يحكمكم .. تعال يا سنبلة

أمام هؤلاء القوم وتكلم

ترك الأمير النبيل سنبلة مقعده واقترب من مكان جلوس الملك وحيا الحاضرين ثم قال : أيها السادة .. فاجأني الملك بهذه الخطوة الكبيرة .. كما فوجئتم أنتم بها .. وأنا لا أطمع بحكم وسلطان .. أنا ألفت كتابي لتحسين أحوال المدينة والحث على العدل والسلام بدلا من الظلم والحرب .

فوقف بربار مقاطعا : أيها الأمراء والقادة إنني أتنازل عن العرش والحكم للحكيم سنبلة لإصلاح حال الناس والبلاد .

وبعد جدال عميق وشديد وكلام كثير وافق الجميع على تنصيب سنبلة ملكا على مدينة مالونيا وبعد تمنع من سنبلة وافق في النهاية وبايعه القوم ، وتم إعلان اعتزال بربار عن عرش مالونيا وارتقاء الفيلسوف الحكيم سنبلة عرش المملكة ، واستلم الحكيم الشاب الحكيم ، فقام بإلغاء نظام الفرسان المعمول به في أكثر مدن الجزيرة وقال : يكفي الجيش للدفاع عن حدود البلاد ، وبالشرطة للأمن الداخلي ؛ فبذلك نوفر أموالا كثيرة للصالح العام ، ونترك الحروب والمغامرات من أجل توفير أجور الفرسان .



وبعد شهور من استلام سنبلة الفيلسوف الحكم ماتت والدة أم الملك بربار الأميرة سراجة ، فلما انتهى العزاء والمواساة استأذن بربار من الملك وسادة البلاد بالرحيل للشرق ، وأوصى سنبلة الملك والأمراء على أخيه ذؤيب ، وأخذ ابنته وهم الأيام وغلامين مخلصين له ، ورحل للشرق لزيارة ملك مصر وأخته ورود لعله ينسى ما أصابه من المآسي والهموم في تلك الأيام الخالية ، وإن قدر له البقاء على قيد الحياة سوف يعود للجزيرة ، فركب البحر كإنسان مغمور وكان كثير البكاء والدمع وهو على ظهر المركب ، فوصل مصر بسلام والتقى بالملك زدياب ، وتعجب لحاله وتخليه عن الحكم ، وقد تذكر ما كان عليه من عز وجاه في المرة السابقة ، فقال متعجبا : البطل المغامر صاحب الطموح الكبير بربار والمحارب الجبار يتخلى عن حكم الناس إن هذا لشي عجاب !.

ومكث بربار ضيفا في مصر بضعة أشهر ، ثم سافر للشام ثم إلى مدينة الجدول ، واجتمع بالملك وحيد العصر وأخته ورود وزوجها عامر ، وفرحوا برؤيته ورؤية الأميرة وهم الأيام ، فخطبها الأمير عامر لأحد أولاده ، فتزوجت ابن عمتها، وتابع الملك المعتزل بربار رحلته إلى بلاد الهند وسار برفقته ابنته وزوجها لزيارة جدها طرخان ، فوجده ما زال على قيد الحياة ؛ ولكنه شيخ كبير ، وما زال يتذكر

الفارس بربار، وتعجب الشيخ من قصة تنازله عن العرش فأمر بتدوين سيرة بربار في صحف الهند ؛ لتكون قصة وعبرة وتسلية للملوك والحكام في بلاد الهند ، وانبسط طرخان برؤية حفيدته وهم الأيام ، وتألم لموت ريمان وبربارخان ، وظل الفارس بربار سنة في ضيافة الملك طرخان تنقل خلالها في بعض أمصار الهند ، ثم رجع لمدينة الجدول ، وكان كلما سأل خلال ترحاله بين البلدان عن أخيه صقير أو ذهب النهار إلا ذكر له الناس أن هذا الحكيم دخل البلد وداوى بعض مرضاها ثم رحل ، وأثناء وجوده ثانية في مدينة الجدول مات ملكها الشيخ وحيد العصر وخلفه ابنه عامر ملكا على المدينة ، فمكث بربار في هذه البلدة بضعة سنين وهو ما زال يسأل عن ذهب النهار ، حتى صدف أن ذكر له رجل أنه سمع بهذا الحكيم في بلدة اسمها سلمان بالقرب من العراق ، فله مدرسة هناك فاستأذن بربار من عامر وأخذ غلاميه وسافر لتلك البلد سلمان ، فلما دخلها سأل عن مدرسة الحكيم نهار ، وبالفعل وجد أخاه صقيرا في تلكم المدرسة، فتعانقا عناقا طويلا وقص عليه قصته ، فتعجب صقير لذلك وقال بعدما سمع أخاه يعاتبه : لا تعتب عليّ أيها الأمير فلي سنون مفارقا تلك البلاد ، فقد وصلت أقصى الشرق بلاط ملك الصين ، ونقلت الحكمة والطب الذي أعرفه لهم ، وأخذت ما لديهم من حكمة وعلم، ثم مررت ببلاد الهند وبلاد الثلج ، وها أنا وصلت إلى هنا إلى هذا البلدة منذ عهد قريب ، فعالجت وداويت الناس ، فالزمني أمير هذه البلدة بنقل علمي لهؤلاء التلاميذ قبل الرحيل فوافقت ، وأنا الآن في الأيام الأخيرة لنقل ما حفظت من العلم والطب لهؤلاء ، وسأقوم برحلة لمدينة الجدول لعلي التقي بالأخت ورود ، ثم أكر قافلا لمالونيا بإذن الأحد الصمد .. ولكن قصتك عجيبة يا بربار.. فكيف تخليت عن الحكم بهذه السهولة والبساطة؟!

ثم دخل به صقير على أمير البلاد ، وقص عليه قصة بربار فقال الرجل بعد الترحيب : إننا سمعنا بقوتك هنا عندما غزوت الشرق .. ومن ثم زواجك بابنة الملك الجبار طرخان .. وهذا غريب ان تتخلى عن العرش للحكماء !

فقال بربار باسما: هذا حال الدنيا كرهت العروش والحروب .

وبعدما أتم صقير نقل علمه ومحفوظاته لتلاميذ المدرسة حمل كتبه على البغال ورحل بها بحماية جند الأمير إلى مدينة الجدول ، فاستقبلهم الملك عامر وترجى هو الآخر الأمير صقيرا أن ينقل علمه لأهل هذه المدينة ، فجلس بين يديه خمسة تلاميذ ، فمكث معهم عدة أشهر أخرى تعلموا فيها الطب والحكمة ، ثم سافروا لمصر ، واستضافهم الملك

زدياب بضعة شهور ، ثم ركبوا مركبا من مراكبه الخاصة إلى الجزيرة الكبرى ، ثم دخلوا مالونيا ، فرحب بهم الملك سنبلة وسادة المدينة وأهل مالونيا الترحيب اللائق بهم ، وقد أدار سنبلة حكم المدينة بسلام وأمان ، وقد أصبحت مالونيا مهوى طلبة العلم في الجزيرة، وأصبحت منارة لأهل العلم والأخلاق، يغدون إليها من الممالك الأخرى لتعلم الحكمة والحكم من الحكيم سنبلة ، فصارت مدينة هادئة آمنة لا تشارك في الحروب التي تنشب بين المغامرين والطامحين والهواة ، وأخذت فلسفة سنبلة الحكيم الملك تنتشر في مدن الجزيرة ، وأخذت أفكاره طريقها بين الملوك والعامة ، وكانت تقوم على العدل والمساواة بين جميع الناس وترك الظلم ..والاهتمام بأحوال الناس وتحسين حياتهم ، وتنظيم المدن ، ونشر المحبة والأخلاق الفاضلة بين العباد ، وغير ذلك من الأفكار الخيالية الحالمة فقال بربار لسنبلة بعدما سمع أخبار وأحوال المدينة الطيبة : لقد نجحت أيها الفاضل نجاحا طيبا مشهودا ، فأدعو لك بالتوفيق وتحقيق أحلامك .. ما أخبار ذؤيب ؟

فقال سنبلة : هو بخير يعمل في مزرعة أبقار كما يشتهي ويحب .

فقام الأخوان بزيارته ، ثم شرح لهم صقير الطريقة التي يريد أن يعالج بها ذؤيبا ، فرحلوا للبحر ومعهم جنود ونيران وسفينة يريدون حرقها ، وعلى ظهرها ذؤيب وبعض الجنود .. الفكرة كانت محاولة تكرار مشهد الكارثة ، فأشعلوا النيران على أطراف البحر ، وكان صقير وذؤيب على متن السفينة والوقت ليل ، وكانت النار الكبرى تلقي نورها على السفينة .. اشتعلت فجأة نار على ظهر السفينة، وصاح جمهرة : الأعداء قتلوا جنودنا قتلوننا .. وصرخ الجنود كما صرخ جمهرة فصرخ ذؤيب على صراخهم صرخة مدوية ووقع على الأرض مغشيا عليه ، فطلب صقير إخماد النيران ونقلوه للشاطئ وادخلوه خيمة واستيقظ ذؤيب وهو يصيح : الموت للأعداء .. الموت للأعداء ..

ولما سكن من الصراخ والصياح قال صقير : ذؤيب ..ذؤيب لقد نجوت من الموت ..

عادت الذاكرة له بعد هذا المشهد ـ وهو احتراق السفينة وصراخ الجند المخيف بغدر الأعداء ـ عادت الذاكرة المفقودة لذؤيب ، وكان مذهولا تدور عيناه فيمن حوله ، فبكى بعد ذلك ، وقام صقير باسقائه شرابا فقال بعد استقراره في جوفه : كانت مذبحة رهيبة !

تذكر ذؤيب البحر وغزو سانتي ، فأخذ يهذي ويصرخ ، فقال صقير : هذه حمى لابد منها .. ونقول الحمد لله .. لقد تذكر المعركة والنيران والغزو .. ستعود الذاكرة بعد هذه الصدمة .

رجعوا لمالونيا بذؤيب الذئب برهان وذهب العبد مروان ، ثم عكف صقير على العلم والطب والحكمة في مدينة مالونيا ، ورحل بربار عنها ترك المدينة إلى الحياة في جزيرة البحر حيث ماتت زوجته الهندية ريهان وابنه بربارخان ينتظر ساعة الموت والنهاية .

هذه هي حكاية الشجاع أسيد بن بهرام ، وما جرى له ومعه من الأهوال في الحروب والقتال حتى صار ملكا عظيما تتودد إليه الملوك والفرسان ، ومع أحداث الزمان وعدم ثبات الأمر على حال اعتزل الحكم والسلطان ؛ ليكون كعامة الخلق، فأصبح بعد الأمر والنهي فريدا وحيدا في جزيرة في البحر، ينتظر ساعة النهاية الأبدية ، ولابد أن في حكايته العبرة والفائدة من تصارع الأحداث وتدافع الخلق، ومن القاع إلى القمة بين البشر والناس، مع التدبر في مصائب الدنيا ، وما فيها من الحكمة والتدبير ، وإلى حكاية جديدة فيها تسلية مفيدة قد تخفف عن النفس بعض الهم ، وتزيل النكد عن الجسد مع أحداث ومغامرات الأبطال والأشخاص، فإلى قصة قطبة بن سنان ، وما جرى له في بلاد الإنس والجآن ، وأخبار ولديه سالك ومالك وأخبار عماد وحران وإيهاب . تمت القصة

حديقة الازهار

زهرات نبوية

الزهد

قال ﷺ " ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ " رواه ابن ماجة عن سهل

كان مالك أبو راشد يتحدث مع زوجته أم راشد عن الدعوة التي وجهها لشقيقه وزوجته القادمين من سفر للعشاء في بيته وكذلك دعا والده ووالدته لحضور هذه المناسبة ..وبعد أن تحدث عن الطعام الذي سيقدم للضيوف والشراب المناسب والفواكه والمكسرات .. وكان يكتب على قصاصة ورقية المطلوبات التي سيأتي بها من السوق والدكاكين ..ولما انتهى تسجيل المطلوبات قال : آه يا أم راشد !

ـ مالك تتنهد وتتأوه ؟!

ـ الحمد لله على كل حال ، لو كان هذا البيت أوسع من ذلك لدعوت باقي الأخوة والأخوات .. فسيعتب عليّ الكثير منهم .

قالت : لن يعتب عليك أحد .. فهذه دعوة خاصة لفريد وزوجته وابنهما محمد بمناسبة العودة من السفر .. وسيفعل إخوتك مثلك ولن يدعونا .

قال : الله يتقبل .. البيت الواسع حلم .

ـ عساه أن يتحقق .. هيا أسرع إلى السوق حتى نبدأ بالإعداد والتجهيز .. متى سيحضرون ؟

ـ حسب الاتفاق بعد صلاة العصر ..ولماذا اعتذرت أمك عن الحضور ؟

قالت : لن تزعل عليك .. شرحت لها القصة ؛ ولكنها أصرت على الاعتذار .. وستذهب إلى العيادة مع عماد لها مراجعة دورية .. انطلق .

انطلق مالك نحو السوق القريب من بيته ، واشترى اللحوم المطلوبة للوليمة والفواكه والمكسرات ، وبعد الظهر بقليل كان في البيت ، وسمع المرأة تقول : لعلك لم تنس شيئا .

ـ ما كتب في الورقة أحضرته .. علينا أن نشد حيلنا ..فالوقت يمر مسرعا .

ـ هل صليت ؟

ـ لا ، كيف أصلي وأنا ألملم هذه الأشياء من هنا وهناك .

ـ اذهب فصل ، ثم تعال لمساعدتي ..سيكون الطعام جاهزا بإذن الله مع آذان العصر .

وأقبل الضيوف كلهم بعد صلاة العصر ، واستقبلهم الزوجان أحسن استقبال ، ورحبوا بهم أحر الترحيب ، وأبدى مالك سروره بمجيئهم وقبولهم دعوته .. وبعدما استراح الزوار بضع دقائق مدت المائدة .. وبسمل القوم .. واشتغلت الأفواه بالأكل والمداعبات البريئة ، ومدح طعام وطهي أم راشد .. ثم رفعت المائدة بما تبقى عليها من طعام وعظام ..وتابع بعضهم الثناء على وليمة السيد والسيدة .. ومن غسل يديه عاد للجلوس في غرفة الجلوس .. ومدت أواني الفاكهة .. وقدم الشاي الشراب الشعبي في البلاد العربية .

وعاد مالك يتعذر أمام والديه عن سبب عدم دعوته باقي الأخوة .. وعادت أم راشد تؤكد أمامهم أن هذه دعوة خاصة ، وليست دعوة عامة والنَّاس تعذر بعضها البعض .

وأكد والد مالك هذا المعنى الكبير ، وأنهم قاموا بالواجب وزيادة .

وقال مالك : لو كان البيت واسعا يا أبي لدعوتهم جميعا .

ـ ربنا يوسع عليك .. اجتهد وكبر البيت .

ـ أنا أفكر بذلك .

قال الوالد : يا بني الدنيا لا يشبع منها الإنسان ، ولو كان على فراش الموت .. الإنسان لابد له من سكن وبيت .. وهذا لا حرج فيه ، وهو حق لكل مخلوق .. فالدواب تبني البيوت كالذئاب والثعالب والضباع والنمل .. ربما مخلوقات البحر لا تهتم بالبيوت مثلنا .. الطيور كما نرى تتخذ الأعشاش خاصة في فترة البيض والتفقيص .. فكذلك نحن بحاجة لعش وبيت .. لكن المطلوب القناعة بما قسم الله .. أنت تحلم ببيت كبير وغرفة واسعة من

أجل استقبال المزيد من الضيوف .. كنّا قديما وما زال بعض الناس في القرى والأرياف يستخدمون الساحات لمثل الأعراس وطعام المآتم .. واليوم تكثر في المدن القاعات والصالات والفنادق لمثل هذا الغرض .. فما كنّا نفكر بتوسيع البيت من أجل استقبال عدد كبير من المدعوين .. فعلى المرء القناعة بما أعطاه الله .. الدار الكبير يحتاج لخدم كثير ، والخدم يحتاجون لرواتب وأجرة .. فاقنع بما وهبت .. وتستطيع دعوة إخوتك في فرصة أخرى .. وأعتقد أنهم كلهم يقدرون ظرفك ..فهم مثلك ، بيوت على قد الحال .. وإذا وسع عليك المولى فوسع على نفسك وعيالك .. والنبي ـ ﷺ ـ علمنا أن نطلب من الله البيت الواسع والجار الطيب والمركب الهنيء والزوجة الصالحة ..والزهد مطلوب مع القدرة ليس مع الفقر .. " ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ "

وعقب السامعون على كلام الوالد شرقا وغربا تأييدا وتوقفا ، وعاد يقول : أنا لست ضد البناء وتكبير السكن وبناء الطابق الثاني والثالث .. قصدي أنا أن دخل ابننا مالك متواضع فيكلف نفسه المزيد من المال والألوف ؛ ليعمل غرفة واسعة تسع إخوته وأخواته ؛ لتكون الدعوة أكبر فهذا غير مقبول في رأيي ..كان في الإمكان عمل الدعوة في بيتنا حيث لا يوجد إلا أنا والعجوز .. في بيت شقيق بيته أوسع .. أما الدعوة هذه فهي خاصة بفريد ؛ لأنه عائد من السفر .. وسيفعل إخوته مثله

قالت زوجة مالك : لقد فكرنا بذلك يا عمي ..لكن الصحيح رأينا أن ذلك مزعج لكم بتوسيخ المطبخ وكثرة الأطفال .

قال فريد: أنا سأعمل وليمة لكل الأسرة ـ إن شاء الله ـ في بيت الوالد إذا لم يكن هناك مانع واعتراض

قالت زوجته : كان فريد يفكر عملها في نادي أو فندق .. فالمال كثير .

قالت الوالدة : لما تقرر عملها سنبدي رأينا يا فريد .. البيت صحيح أوسع من بيت مالك ، وهو بيت الأسرة منذ عقود .

قال فريد : لن يكون هناك توسيخ مطبخ .. سيأتي الطعام من المطعم .. فقط الأكل وسيكون هناك خدم .

ـ إذا البيت يسعكم وبهذه الصفات على الرحب والسعة .

قال الوالد : أنا لم أحب الاعتراض على اعتراض أمكم ؛ لكن صحتها اليوم لم تعد كالقديم ؛ فلذلك قبلت اعتراضها .. ومع الاحترام لنسائكم لم تعد النساء اليوم كنساء الزمان الماضي يخدمن الحموات والأمهات ، ولا تستطيع الحماة أن تطلب من كنتها كنس وجلي المطبخ والصحون .

قال مالك : هذا صحيح يا أبي ! ..أم زوجتي لديها خادمة وكل شيء يترك لها .

قالت زوجة فريد : ونحن هناك لدينا خادمة تقوم برعاية وتنظيف السكن .. وتأخذ أجرتها.. وهي لولا حاجتها لتلك الأجرة ما امتهنت هذه المهنة .. والإنسان عندما يوسع عليه بالدخل ينفع الآخرين ويشغلهم .. كما نحن نشتغل عند الآخرين مقابل أجرة .. فيعمل الآخرون عندنا مقابل أجرة .

الوالد : هكذا الدنيا .. تكامل الأعمال بين الناس .. المهم الابتعاد عن ظلم الآخرين واستغلالهم وأخذ حقهم .

قال فريد : هذا العدل ..وعلينا أن نقدم الشكر لمالك وزوجته على هذه الدعوة وعلى هذه الجَمعة

قال مالك : هذا واجب يا أخي .. لنا أكثر من ثلاث أو اربع سنوات لم نرك .

ـ لي ثلاث سنوات لم أزر البلد ..الحياة تحتاج لكفاح ..ونصيبنا أن يكون مجال عملنا عند أولئك الناس .. لقد جربنا العمل هنا .. في أي وقت صاحب الشركة يقول لك مع السلامة .. ويغلبك في الحصول على الحقوق مع أنها حقوق مادية لك .. فكان لابد من الهجرة ، وأيضا لأتزوج من هذه الحسناء .. لو لم أسافر لم يحصل القدر بيننا .

قالت الأم : فعلا الزواج قسمة ونصيب كما نقول .. لولا السفر لما تعرفت على هذه الإنسانة .

قال فريد : كل شيء بقدر ..وعلينا الآن أن ننصرف هيا أبي .

ـ أنا جاهز يا فريد .

قالت أم راشد : أهلا وسهلا بكم ..ويسرنا بقاءكم معنا لليل .

قالت الأم وهي تنهض : لا يُمل يا أم راشد .. جزاكم الله خيرا ، وتقبل الله منكم .. سنذهب لبيتنا فأم بلال ستكون في البيت للسمر مع شقيقها

قال مالك : سلموا على اختنا أم بلال ..والتمسوا لنا عذرا بعدم دعوة الجميع يا أمي .

قال الوالد : لا تأخذ الأمور بحساسية يا مالك .. وإن شاء الله في دعوة فريد تجتمع الأسرة كلها ونفرح جميعا .

ـ أكيد أكيد يا أبي .

وغادر الضيوف بيت الدعوة شاكرين داعين عاذرين .

مشاهد تربوية

لا تغضب

كرة القدم في زماننا هذا هي معشوقة لجماهير الناس ، والأحاديث حولها في كل مدن العالم يوميا ، وخاصة عندما يقبل موسم كأس العالم لهذه اللعبة ، وهي منتشرة في كل أقطار العالم ، وما أظن أن بلدا أو قطرا يخلو من فريق قومي أو وطني ، فكل عضو من أعضاء الأمم المتحدة لابد أن يكون له فريق كرة

قدم إلا القليل كالفاتيكان .. لله في خلقه شئون .



عندما يهل كأس العالم وتبدأ المسابقات النهائية ، فكل محطات التلفزة والبث تغرق الناس بنقل المباريات والتحاليل ويروج سوق كرة القدم وتوابعها ، لماذا هذا العشق الكبير لها ؟! ولماذا لها هذا السحر الغريب دون سائر الألعاب ؟! هذا يعلمه الله وحده .

كل الألعاب المهمة وغير المهمة ينقلها البث التلفزيوني ؛ ولكنها تبقى هي أكثرهنّ متابعة ومشاهدة ، والمقيت في شأن هذه اللعبة التعصب للفرق واللاعبين ، مع أن الملايين لم يروا اللاعبين رأي عين إلا في صور التلفزيون .

تجد بعض الناس المهووسين بكرة القدم متعصبا ومنافحا عن نادي عالمي أو قطري أو عن فريق بلد بكل قوة وحمق ، وتراه يتغزل فيه كأنه أسطورة من أساطير التاريخ والأولين .. لماذا كل هذا السحر ؟! لن تجد جوابا عند أحد .. لن تجد جوابا يقنعك ..لماذا كل هذا الهوس ؟!.

ذات ليلة عدت للبيت بعد صلاة العشاء في مسجدنا ، وقد صلينا واستمعنا لموعظة الشيخ القصيرة .. وتناولت عشاء خفيفا في مطبخ الشقة ، ثم سألت أمي الطيبة عن نصري .. أخي نصري قائلا : لم يكن في المسجد يا أمي ؟!

ضحكت أمي ضحكتها الجميلة وقالت : ألم تدري أن هناك مباراة مهمة كما يزعم أخوك نصري في بطولة كأس العالم ؟! .. صرنا نحفظ أسماء هذه البطولات !

ـ أوه! لقد نسيت هذا الأمر المهم .. لابد أنه الآن غارق لأذنيه في المشاهدة ، ومعه أبناء خالي .. تركوا صلاة الجماعة من أجل المباراة .. لا إله إلا الله .. هدى الله القوم .. سأصعد لمداعبتهم وممازحتهم.

تركت كوب الشاي الفارغ على مائدة الطعام ، وغسلت فمي ويديّ ، وصعدت إلى غرفة التلفاز في الطابق الثاني ، وكان الهدوء التام مخيما على الجميع ؛ كأنما على رؤوسهم الطير كما يقال في الحكايات القديمة .. والعيون محدقة في شاشة التلفاز .. ولما ألقيت السلام بصوت عال ، كان الرد بصوت هامس ، فقلت لهم بصوت هامس وأنا أحرك يداي : لماذا أنتم هكذا ؟ كأن الطير على رؤوسكم !

نظر إليّ نصري نظرة منكرة وأشار بيده أن أسكت

فقلت : لو أن شيخا يقرأ سورة قرآن ما كنتم صامتين هكذا !

فصاح نصري غاضبا : أرجوك كف لسانك عن السخرية والتعليق وعن المقارنة .

فقلت ببرود : ولم هذا الهياج والتوتر ؟!

فصرخ ثانية : أرجوك مرة أخرى بأن تلزم الصمت أو الانصراف ـ وكان يشير لي بأصابعه بالخروج ـ نحن نصلي كما تصلي .

ـ ولكنكم لم تذهبوا للمسجد بسبب هذه المباراة .. خسرتم خيرا كثيرا بفوات صلاة الجماعة .. هل في هذه المباريات خير ؟! إلا أنكم تصمتون عن الغيبة بعض الوقت .

ألقى عليّ نصري وسادة قائلا : لا وقت للمناقشة يا حضرة العالم .. اغرب .

ـ الشيطان يمكر بكم .. وما الفائدة التي تقع عليكم من فوز هذا الفريق أو ذاك الفريق ؟!

فاشتّد غضب أخي ، وقذفني بسيل من السباب والشتم ، فقد أعصابه حتى تدخل أبناء خالي الذين لزموا خلال كل هذه الدقائق الصمت .

وقال أحدهم : يا نصري .. لا تنفعل ولا تغضب .. فالأخ جلال يثيرنا ويستفزنا .. وهو قاصد ذلك .. وعلى كل حال المباراة في نهايتها يا أستاذ جلال .. وأنت تعرف رأينا في النظر لكرة القدم أو اللعب بها .. وأخوك نصري لاعب ممتاز في فريق المدرسة وفي النادي .

فقلت باسما : أعرف كل هذا ، وعلى كل حال أنا سأنصرف قبل أن يشتد الوطيس ، وأقول لكم حديث الرسول ﷺ " لا تغضب لا تغضب لا تغضب ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي قَالَ لَا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ لَا تَغْضَبْ . صحيح البخاري

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ . صحيح البخاري

كلام المكاتب

مكتب الزكاة

{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}

الناس إما فقراء وإما أغنياء ، والفقر يختلف من بلد لآخر ، الغني قد يصير فقيرا ، والعكس صحيح بمعنى أن الفقير قد يصير غنيا .. فمن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف

الفقر درجات بمعنى أن الفقراء ليسوا على درجة واحدة من الفقر ، والاغنياء ليسوا سواء ، والفقراء حقهم على الاغنياء، فلذلك شرعت الصدقات والاحسان.

كان يوسف مسؤول الزكاة في حي "سيدي جلال الدين" يجلس في مكتبه ومعه معاونيه ، وكان يراجع دفاتر وملفات أمامه فقال مخاطبا مساعده نضال : يبدو أن عدد الفقراء قد زاد في سجلاتنا .. قد بدت الأزمة الاقتصادية تؤتي أكلها يا نضال!

أجاب المدعو نضال : نعم ، الباحث الاجتماعي يقول ذلك ..فقد زادت الأسر المحتاجة .. وقد زار كل الأسر الجديدة .. وكتب تقاريره عن كل أسرة .. وأكد أنهم بحاجة مالية ومادية .. وقد قمنا بإرسال مساعدة مادية عينية عاجلة لهم كمساعدة أولية حتى توقع على حصصهم المالية وتوقع على كشوفهم .

يوسف : أنا دققت على خمسين أسرة لحتى الآن .

ـ لابد من مساعدتهم هذا العام .

قال : المحاسب المالي يقول إن الأموال لم تزيد العام عن العام الماضي.. فليس من المستحسن تنزيل القيمة المقدمة ، وما يقدم لهم ؛ لنضيف الأسر الجديدة .. علينا أن نتحرك ونخاطب بعض الشركات والمؤسسات الكبيرة من أجل الفقراء .. فالفقر كما تعلمون كفر " لو كان الفقر رجلا لقتلته " كما يقال من بعض الصالحين .. لجنة الجمع عليها أن تتحرك وتنشط بقوة .

قال نضال : نعم الفقر عدو شديد البأس .. وتعوذ منه سيد البشر ﷺ ، وهؤلاء لا يطلبون

الغنى ؛ إنما يحتاجون لسد الحاجة حتى تتحسن أحوالهم .

يوسف : علينا أن نجاهد من أجلهم يا نضال ! فنحن كان معنا فقراء صاروا أغنياء ، يدفعون الزكاة والصدقة .. لقد شب وكبر الأبناء " تؤخذ الزكاة من الأغنياء وترد على الفقراء " الفقر مرض اجتماعي خطير يدفع إلى الكثير من المشاكل والمآسي في بعض الأحيان .

رن الهاتف رفع المدير السماعة وقال : نعم مكتب زكاة حي جلال الدين ... أنت صاحب شركة الأعلاف لديكم زكاة ... تحدث معكم بربور ... حسنا سيدي وجزاك الله خيرا ... سأبعث لكم مجموعة من موظفينا لاستلام المبلغ حسب الأصول ونحن ممتنون لك ولتعاونك ... زاد عندنا عدد الفقراء هذا الموسم بسبب الأزمة الاقتصادية ؛ فإذا كان لك من معارف أغنياء يحبون أداء الزكاة والاحسان فذكرهم بنا لتؤجر " الدال على الخير كفاعله" ... أو اذكر بعض الأسماء ؛ لعلنا نزورهم حتى لا نسبب لك الحرج ... شكرا لك الأخ المهندس نضال سيزورك في مكتبك . وشكره ثانية ووضع السماعة . وقال الحمد لله .. أهل الخير موجودون لديه مبلغ من المال سيخرج زكاته .. فلتذهب إليه يا نضال مع بربور وسلمان .. اتصل بهم .. فالله سخرنا للقيام بهذا العمل النبيل والكبير .. ونهتم بهذا الركن من أركان الإسلام .. يا نضال ويا إخوان علينا أن نتابع القيام بهذا العمل

قام نضال وقال : سأتحدث مع بربور لابد أنه في غرفة الوزن .

ـ توكل على الله

رن الهاتف وكان المتحدث من شركة الاحسان يريدون أن يزورهم بربور ، وضع السماعة وقال : ها البربور تحرك قبلنا بسرعة ـ جزاه الله خيرا ـ يا شباب فهم أيضا لديهم كمية من المال يرغبون بإخراج زكاتها .. التكافل الاجتماعي في المجتمع مهم أيها السادة ! فالغني يطمئن على ماله من الحسد والسرقة ، والفقير يدرك أن الغني يحس ويشعر به ويهتم به .

قال نضال : سأذهب أنا وبربور وسلمان

قال يوسف : بالسلامة .. اجعلوا عملكم وحركتم لله وحده ، الفقر مرض ، والزكاة تخفف منه ، وآيات القرآن والسنة كثيرة في فضلها .. بارك الله فيكم وبجهودكم .

لما خرج نضال من المكتب قال يوسف لنائبه وريد : المهندس عنده همة لا تلين .. حقيقه عمله التطوعي كبير ورجل تعتمد عليه .

قال وريد : منذ التحق للعمل معنا ونحن نتقدم للأمام دون منازع .. ولسانه مع أهل الخير طيب ولذيد ويدفعهم للصدقة بسهولة.. كذا مرة رافقته لمخاطبة الأثرياء والشركات ..وحقق للمكتب مكاسب

ـ والصديق بربور لا يقل عنه همة ونشاط .. الحقيقة أن الله أكرمنا بهم في الثلاثة الاعوام الأخيرة يا دكتور وريد !

ـ سبحانه وتعالى يا مهندس يوسف يسخرنا لهذا العمل الكبير نسأله تعالى أن يكون لوجهه .

ـ آمين صدق أنني أشعر بلذة عجيبة في هذا المكتب أكثر من لذة المكتب الهندسي مع أننا نعمل لنأخذ راتبا وأجورا وهنا حسنات ودعوات من هؤلاء الفقراء والضعفاء .

ـ نسأله القبول يا صديقي !

ـ آمين .. آمين !

"السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَالَّذِي يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ"

" الْعَامِلُ إِذَا اسْتُعْمِلَ فَأَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى الْحَقَّ لَمْ يَزَلْ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ "

جواهر القصص

حجر القمر

كفر الذرة

الحلقة ١

كفر الذرة قرية ليست صغيرة ولا هي مدينة كبيرة وسكانها فلاحون ، منهم من يزرع القمح والشعير والذرة ، ومنهم من يهتم بالأشجار ، وبعضهم رعاة أما الحرف الصناعية لا محل لها في كفر الذرة ، انما يذهبون للمدينة الكبرى التي تبعد عنهم مسيرة نصف يوم لإصلاح أدوات الحرث والحفر والطبخ وشحذ السكاكين وشرائها وتصليحها وشراء

المعادن والفخار والفوانيس والثياب والحبال .
والناس في القرية يتبادلون السلع تبادلا دون نقود .. النقود لا يتعاملون بها إلا في ذهابهم الأسبوعي للمدينة الحمراء سيدة القرية والقرى المحيطة بها .. هناك يذهبون لبيع الزوائد من الاجبان والألبان والحيوان والثياب .. فيعقد كل جمعة سوق كبير لأهالي القرى المجاورة يتوافدون اليه .. يتحرك أهل الريف لتلك المدينة قبل طلوع الفجر بساعات ، فبينهم وبين الحمراء نصف نهار .. وهذا كل سبعة أيام .
وهذه القرية كسائر القرى لا يوجد فيها مطاعم ولا فنادق واماكن لهو ؛ لكن شيخ القرية الكبير " العم خسة " جلب لقريته شيخا هرما يدعى الشيخ قمع ثرثار يروي الاخبار والاعاجيب والحكايات الغريبة وقصص الجان ، عرفه شيخ القرية في سوق المدينة ، وسمع بعض ترانيمه فأعجبه حكيه وقصصه فشجعه للإتيان للقرية يسامر أهلها ويحدثهم من اعاجيب حكاياته ، فمشى مع العم خسة ، واستوطن القرية وعندما يرجع الفلاحون من فلاحاتهم وزراعاتهم ليلا يتجمهرون في دار الضيافة عند العم خسة فيأتيهم قمع من خشته المجاورة لبيت خسة .. فيجد القوم قد اشعلوا النار واحضروا بعض الطعام والفواكه وتربع الشيخ قمع على مصطبة صغيرة وبعد أكله لشيء من الفاكهة يروي لهم حكاية من حكاياته واسطورة من أساطيره وخيالته مما تلذ له الآذان وتشتاق إليه النفوس غراما ، وكان يحضر مجالسه بعض الفتيان الصغار للسمر ولحبهم سماع القصص ، ولما يرجع الشبان والفتيان للبيوت يحدثون الفتيات والامهات خرافات قمع .. وقضى قمع هذا ثلاث سنوات بين أهالي قرية كفر الذرة يروي لهم الحكايات وخرافات ملوك الجان والشياطين فقد سحر الشباب في تلك الروايات وسحر قلوب الكبار قبل الصغار فكان تسلية هامة لهؤلاء الفلاحين .
كان قرب كفر الذرة جبل شاهق لعنان السماء ، وشاق التسلق ، وكان يعلوه غابة سماها الناس لعلوها غابة الجن .. وكان قمع عندما يحدثهم عن الجن والعفاريت والشيطان يزعم لهم ان هذه الغابة في قمة الجبل مسكن لقبائل الجن العظام .. فتحمس بعض الشباب للوصول لغابة الجن من كثر ما أكد لهم قمع هذه الحقيقة ، ولكنهم ذهبوا إليها ، ولم يرجعوا ، فيزعم لهم قمع أن الحياة طابت لهم مع ملكات وأميرات الجن ، ونسوا أهاليهم.. وشاع بينهم أيضا أن الجن قتلتهم لدخلوهم ارض الجن المحرمة على بني الانسان .. وزعم البعض أن الجن ستعيدهم في يوم الايام . وكان في القرية ثلاثة شبان اعجبتهم حكايات الجن وارض الجن وملكات الجن فرغبوا بالصعود الى قمة جبل الجن .. وكانت

أعمارهم دون العشرين ، وسمعوا كل حكايات قمع عن جمال وحسن وثراء الجن والجنيات ، فاشتاقت نفوسهم لاقتحام غابة الجن ، فاتفقوا على المسير للغابة معا ومعاشرة الجن بإحسان . وهم لوز ، وبلوط ، وخوخ ، كان أهل القرية يسمون ذراريهم بأسماء النبات والشجر والفاكهة والحيوانات الاليفة لهم ، اتفق لوز وبلوط وخوخ على الصعود لغابة الجن ورؤية هذا العالم الخفي الذي اكثر قمع من الحديث عنه امامهم وامام سكان القرية من فلاحين ورعاة.. وكانوا متفقين على عدم أخبار أهليهم وأقاربهم عن هذه الرحلة الخطيرة حتى لا يحجبونهم عنها خشية ضياعهم كما ضاع الذين من قبلهم .

وفي الصباح عندما ذهب أهل القرية لمزارعهم وأشجارهم ودوابهم تحركوا الى الجبل، وقد تزود كل واحد منهم بطعام وماء ، وبدل أن يذهب كل واحد مع أهله للعمل اجتمعوا في درب يصعدون منه إلى اعلى الجبل .. ولما اشرقت الشمس كان يدرجون علوا لأعلى الجبل وبعد قطع مسافة صعودا ادركهم التعب ، فجلسوا يستريحون ويأكلون ويسمرون .. وبعد استراحة يسيرة تابعوا الصعود ، ولما غربت الشمس كانوا قد قطعوا نصف الطريق كما ظهر لهم فقد قربت منهم الغابة .. وبعد استراحة أخرى تابعوا الصعود واقتربوا من الاشجار العالية التي تملأ صفحة الجبل .. ناموا بعض الوقت، ثم استيقظوا وساروا الى اعلى، وفي منتصف نهار اليوم التالي كانوا على قمة الجبل العالي ، والقوا أجسادهم المنهكة من الصعود تحت ظل شجرة ترتفع في السماء عاليا ، وذهبوا من التعب والوصب في سبات عميق .

لوز

لما استيقظ لوز من نومه أو غفوته بعد تعب الصعود لجبل الجن وجد نفسه في غرفة واسعة ذات الوان ساحرة ووجد نفسه نائما على سرير اصفر ونوافذ مغطى بستائر حريرية بل وجد نفسه مغطى بغطاء رقيق تفوح الرواح العطرية منه فاغمض عينيه من جديد معتقدا انه في حلم عجيب .ثم اعاد فتحهما من جديد وقال لنفسه " أين أنا ؟!"

همس محدثا نفسه : هذه غرفة جميلة وذا سرير لم أره في حياتي في بيت أبي ، هكذا كان يقول ، ازاح الغطاء عن بدنه وجلس وهو يعيد " أين أنا ؟ .. ألم نكن نتسلق الى جبل الجن ؟ .. اوصلنا بلاد الجن ؟ .. يا الهي .. رحماك .. وجد مائدة صغيرة في الحجرة وعليها ابريق المشروبات والماء فمشى إليها مدهوشا .. ما ازكى رائحتها يا لوز !.. لابد أنك وصلت لبلاد الجن .. أين رفاقي ألم نطرح أنفسنا تحت ظل شجرة نائمين ؟ أين خوخ وبلوط ؟ .. تجرع كوب الماء " أنا عطشان " .. يا الهي ما الذ

هذا الماء الفرات! .. عسل كأنني أشرب ماء بالعسل .. هذا عصير البرتقال واتبعه الماء .. ليت الكوب أن لا ينتهي .. ما هذا ؟ .. عصير توت لابد من توت .. شكله توت لكنه عصير من الجنة .. وهذا عصير الليمون .. وظل يشرب ويشرب حتى لم يبق في الأباريق شيئا وقال : لقد كان الجبل متعبا .. اين الرفاق ؟ لعلهم في غرف أخر .. مشى حيث النافذة وأزاح الستائر ورأى الشمس والفضاء وأشجار القصر الباسقة .. قصر .. أنا في قصر .. لمن هذا القصر أيها الإنسان ؟ .. ما اكثر الاسئلة ؟ أين أنت يا قمع ؟ ما احلى المكان !.. ها هي الطيور الملونة تتنقل على اغصان الشجر .. ها هو نسر يحلق في الافق ..يا الهي أهذه بلاد الجن يا عم قمع كيف يفكر بالعودة والرجوع للقرية من يعيش هنا ؟ أيترك الجنة إلى النار ؟ هل عاش قمع في هذا المكان ؟ ولماذا هجره ليعيش بين الفلاحين والرعاة؟!

سمع طرقا على الباب ودخلت جارية صغيرة في غاية البهاء الثياب والبدن فقالت : مرحبا بالسيد .. لقد دخلت بلادنا الجميلة .. وهذا قصر الأضياف فأهلا وسهلا .

ـ اين انا ؟

ابتسمت ابتسامة ساحرة وقالت : أنت ضيف في بلاد الجن .. وجدك الجن على جبل الجن فاتوا بك إلى هنا أيها الإنسان .. سأذهب بك الآن للاغتسال والتطيب ؛ لتذهب إلى حجرة الطعام لتأكل طعام الجن يا انسان .. هيا اتبعني .

تبع الجارية لدار الأضياف ؛ حيث الحمام لإزالة أوساخ الرحلة ، ومسك به غلام الحمام وقال له : مرحبا بضيفنا العزيز اذهب إلى ذاك المرحاض واقض حاجتك وعد اليّ .

ذهب للمرحاض وعاد للحمام فادخله الغلام ؛ حيث الاغتسال ، وجرده من الثياب ودفع إليه وزرة يغطي بها عورته المغلظة ، وقام بتنظيفه وتلميعه ساعة من الزمن ، ثم انتقل إلى مكان غسل بدنه وحده ، ثم دفعت له ثيابا لم ير مثلها في حياته ، ثم جاء خادم وأخذه الى مطعم دار الأضياف وقدم له ما تشتهيه النفس وتلذ له العين . ولما اكل ما لذ وطاب ساقه خادم إلى حيث كان في الحجرة التي استيقظ فيها وقال " نم قرير العين" وكان الليل قد هبط ، وبعد ابتعاد الخادم وجد أن الباب مغلق ، فعلم أنه غير مسموح له التمشي في القصر ، واكتشف بابا خلف احدى الستائر المزينة الحجرة فدخله فقاده إلى مرحاض وغرفة صغيرة مليئة بالأطعمة والفواكه والماء وفي الصباح التالي جاءته الجارية وساقته الى مطعم القصر لتناول الإفطار ، ولما انتهى منه أوصلته للغرفة الخاصة به وقالت : وقت الغداء نلتقي .

ولما انقضت الايام الثلاثة في بلاد الجان ، ساقوه إلى

محكمة الجن ، وهناك عرف أنه اعتدى على ارض الجن بدخول جبلهم ، فقضت عليه المحكمة الحبس في قصر الأضياف سبعة أشهر، ثم إعادته لكفر الذرة حيث بلاده التي ذكرها امام المحكمة ، اعيد لقصر الاضياف لقضاء مدة الحبس في ضيافة بلاد الجن . بعد حين راودته نفسه بالهرب من قصر الاضياف والاختفاء في مدينة الجن .

بلوط

أما الرفيق الثاني الفتى بلوط فاستيقظ من نومة الغابة فوجد نفسه في قاع بئر جافة ، فدهش لما وجد نفسه في قاع البئر وعتمته ، وتذكر نومه تعبا في غابة جبل الجن ، ولما تمالك حواسه ادرك أن الجن حبسته في هذا البئر ؛كما كان يسمع العم قمع يخبر . تطلع إلى السماء فادرك أن الشمس على وشك الاختفاء خلف الجبال . فأخذ بالصياح والاستغاثة ؛ لعل احدهم يسمعه وينقذه ، فإن لم يخرج منه سيموت جوعا وعطشا ويا لها من موتة وخاتمة !

وبينما هو يصرخ ويولول ، وقد ضعف صوته سمع صوتا في اعلى البئر فقال : يا صاح انقذني بالله عليك رأى دلوا تهبط إليه وسمع صوتا يقول : هذا طعامك أيها الأنسي .

ـ ولما أنا هنا ؟! ماذا جنيت يا هذا ؟

ـ افرغ الدلو مما فيه .. سينظر في أمرك القاضي بعد أيام .. أنت اعتديت على ارض وجبل وأملاك الجن . وابتعدت الأقدام ، وانشغل بلوط بأكل وبلع ما قدم من اكل وشرب الذي هو عبارة عن ماء وخبز يابس وجبنة يابسة أو قديمة .. ولما انتهى من الطعام وشرب القليل من الماء قال : ألا سبيل للخروج قبل المثول بين يدي قاضي الجن ؟ .. هل سيقتلونني لأني وصلت جبل الجن ؟ كيف سيقتلونني ؟ كيف سأخرج قبل فوات الوقت ؟ لماذا غامرت هذه المغامرة ؟ ألم أكن مرتاحا في بساتين أبي وأعمامي ؟ لعنة الله عليك يا عم قمع أنت السبب .. شوقتني للحياة مع الجن والجنيات والذهب والخيل الطائرة .. ها أنا اقبع في قاع بئر انتظر ما يحكم عليّ .. يا الهي رحماك !.. لقد جننت وطاوعت الشباب .. أين هم ؟ اجعل كل واحد في بئر ؟ الإنسان يحب الطمع والمغامرة .. اشتد الظلام وزادت الحلكة في البئر .. وبدأت الوساوس السيئة تتوارد على ذهن بلوط والأوهام .. تخيل الأفاعي تخرج من جحورها للنيل منه وابتلاعه .. شعر بالحشرات تتطاير من حوله .. ظهر صوت الصراصير حول البئر .. سمع عواء الكلاب وإنها تقترب من باب البئر.. قضى ساعات في هواجس رديئة حتى غلبه النوم وقال " هي موتة واحدة ولابد منها "

وراح في نوم عميق فما زال تعب صعود وتسلق الجبل يتعبه ؛ كذلك خيالات الرعب والأفاعي أنهكته فلم يستيقظ إلا على صوت حارسه ينادي

صائحا عليه ، فلما استيقظ انزل إليه دلو الطعام وقال : نصيبك هذا الصباح . ولما رفع الدلو اختفى الحارس سريعا ،وربما يلعن أسيره في سره الذي اقلق راحته وهو يقول لنفسه " متى اخلص منه ؟ ما الذي مكر به ليصعد إلى جبل الجن الشاهق إلى عنان السماء ؟ الإنس لا يعجبه العجب ، يهوى التعب والغم والنكد . بعد مضي ثلاثة أيام بلياليها قضت محكمة الجن على الشاب بلوط بسبب دخوله جبل الجن بأن يكون رقيقا للحداد عسيران ، فاستدعي حداد الجن عسيران من محددته وابلغ بقرار القاضي ، والسبب أن هذا الحداد قد قدم طلبا للقاضي منذ عهد قريب بحاجته لعبد يعمل معه بعد هلاك رقيقه الحداد

فاستلمه من القاضي شاكرا ، وممتنا له ، وأنه حقق وعده له بتقديم أول أسير من الإنس ليعمل معه بدلا من معاونه الأنسي الهالك ، وبعد قبضه للأسير بلوط بيده قال الحداد للقاضي : كم سيمكث عبدا ؟

قال القاضي : حتى تموت أيها الحداد ؟

ـ سيقتلني يا مولاي ليسترد حريته .

ـ سيموت لو فعلها .. على كل مدة الاسترقاق متروكة لك على أن لا تقل عن عشر سنوات

فالتفت الحداد للأسير : أسمعت حكم مولانا القاضي ؟.. فأنا الذي أحررك وأعيدك لكفر الذرة .. إياك والهرب والا ستعود للبئر حيث كنت محبوسا.

قبل بلوط يد الحداد وقال : أنت سيدي ومولاي ، وأنا عبدك ورقيقك ستجدني لك طائعا ولأمرك ملبيا ومنفذا .

ربت الحداد على كتفه وهتف : نعم الفتى أنت .. هيا .

أخذه الحداد لبيته وأمر زوجته بإعداد الماء الساخن لأسيرهم الجديد ليستحم من قذارة البئر ، وشرح له دوره في الحياة ، وقضى ليلته الأولى ضيفا عند الحداد ، ومع طلوع النهار ساقه الحداد الجني إلى مكان عمله وأمره بإشعال النار ووضع الحطب فيها .. وبدأ يشرح له ما عليه القيام به من صقل السيوف والمدى والدروع والزرد ورؤوس الرماح والفؤوس الحربية .. في الصباح حتى اول الليل العمل في المحددة ، وفي الليل في بيت الحداد في حجرة خاصة في بستان الحداد ، وكان شريكه فيها عامل البستان، وهو رجل انسي أسير مثله ، ووصل لسن الستين اسمه بهادور فهو من بلاد العجم . وعلم منه أنه كان خادما لوالد الحداد عند دخوله لبلاد الجن ، ولما هلك والد عسيران ورثه عنه فله أسير اكثر من ثلاثين سنة من أيام الشباب والمغامرة . نادت جارية للحداد على بهادور ، فقال لصديقه : هذا وقت العشاء .. فها هي الجارية دلال تنادي ..

فذهبا وجلبا الطعام وعلى المائدة جلسا يأكلان ويتسامران ، وعلم بلوط من صاحبه أن للحداد بنتا واحدة ، وهو محروم من الذكور ، وله هذه الخادمة دلال وللسيدة الصغيرة جارية شابة مثلها اشتراها لها الحداد عندما ولدت ابنتهما جمال السماء ، وهي اليوم شابة تقترب من العشرين ، وأن الحداد مغرم بها غاية الغرام ولا يفكر بنكاحها لحبه لها هو وزوجته . اشتاقت وهفت نفس بلوط لرؤية ابنة الحداد الجنية الصغيرة ، واعلمه البستاني أنه لا يستطيع ذلك إلا في النهار حينما تخرج للتنزه في البستان ،وتأكل وتلقط الثمار عن الأشجار ، وبلوط يخرج قبل صحيانها ويعود في جنح الليل ، وقال له الشيخ بهادور : قد تسمح لك الليالي والايام برؤية تلك الجنية الفاتنة .

لقد أصبح لدى بلوط شوق لرؤية ابنة الجني عسيران ، لذلك كان يتحين فرصة تتاح ليمتع النظر من الجنية الصغيرة ، وكما علم من بهادور فمن الصعب مشاهدتها ليلا فهي لا تخرج خشية خطفها من احد فرسان الجن الذين يزيد انتشارهم في الليل تعلم الحدادة أو مبادئها الأولية ، وسر منه سيده عسيران وارتاح له وقال له مشجعا : اذا بقيت بهذه الهمة ستصبح معلما كبيرا ومهما في بلاد الجن .

ـ أنت يا معلمي أين تعلمت هذه الحدادة ؟

ـ نحن نرث المهنة وراثة يا معلم بلوط .. وبما أنني لم ألد ولدا ذكرا يرث مهنتي سينتهي خبر سلالتي مع الحدادة .. إلا اذا تزوجت ابنتي الوحيدة من سلالة حداد وأنجبت الابن الذكر فيرث العائلتين

ـ ألا يؤذن بالزواج من نساء الجن ؟

ـ هذا صعب وفيه بأس على الذرية .. أين سيعيشون في بلاد الانس في بلاد الجن؟ .. لذلك لا تطمع نفسك بالاقتران ببنات الجن .. اذا صبرت معي ، وظللت عاقلا ، سأحررك عند العشر سنوات وتعود لبلاد كفر الذرة .

ـ سأصبر يا سيدي وأكون التلميذ المخلص لك يا سيدي .

ـ أرجو لك ذلك .. لقد خان الكثير من الإنس عندما واطأوا بلادنا وتعرضوا للأذى من الجنون والموت .. فقضاتنا لا يرحمون الخونة ..

قال : سأبذل جهدي لأكون لك صديقا يا سيدي عسيران ! وارضى بقدري

ـ هذا خير لك أيها الشاب .. وخير لأهلك ، قد تعود لهم يوما من الأيام .

قال : أتبعد كثيرا هذه البلاد عن بلاد الأنس ؟

ـ قد تحتاج لسنوات للوصول لأول بلاد الإنس .. نحن لولا خفتنا وقدرتنا على الطيران كالطيور ما نصل لبلاد بني آدم .. لقد طلب منا قائد من قادة الجند صناعة ألف سيف يا بلوط وسيؤمن لنا معدن الحديد لصناعتها .. فأمامنا شغل جيد

قال : كم من الوقت تحتاج منا يا سيدي ؟

ـ حسب همتنا ، وأقلها ستة اشهر وعلى الأكثر سنة .. وسيكون لك مكافأة على كل سيف يتم إنتاجه .. واذا أبدعت سنكرر العمل مع قائد اخر

قال : ستجدني كما تحب وترغب .. واصبر هذه السنين حتى ترد لي حريتي وتعيدني لبلادي واهلي

ـ سأفعل اذا أحسنت صحبتي ، وكنت كما أرجو ايها الشاب الصغير .. كيف أنت وبهادور ؟

قال : هو رجل شيخ كبير .. وأنت تحتاج لبستاني أصغر سنا منه .. فالبستان يحتاج لشغل وتعب يا سيد عسيران

ـ أتطمع أن تعمل مكانه ؟

قال : لا أستطيع العمل في مكانين .. لكني ادعوك للبحث عن أسير جديد ليساعده يا سيدي فهو قد بلغ من الكبر عتيا .

ـ قد لا يسمح لي القاضي بأسير آخر .

قال : عندي ترتيب أخر

ـ ما هو ؟

قال : أن تسمح لي بالعمل معه يوما في الأسبوع أساعده وأحفر معه وأسقي معه .. كل أسبوع يوم واحد .

ـ فكرة جديرة بالنظر أيها الشاب الذكي .

التحقيق الجنائي والجريمة

بصمة وراثية ٢

تقرير المكتب الخاص

كان عرفان ناصر ينتظر تقرير مؤسسة التحري في الثعبانية حول الأشخاص الثلاثة مجدية وشاهر وجاسم ، لذلك لما اتصل به المحامي وأخبره أن التقرير في الطريق إليه بواسطة البريد فزاد توتره وترقبه ، وكان كل من يراه يدرك أنه في قلق واضح حتى أن أولاده في حيرة من أمره فهم لم يطلعوا على المشكلة التي يعاني منها منذ عاد لقصره في فنزويلا ، وقد عجبوا من كثرة سؤاله عن البريد القادم من وطنه الأول ومسقط رأسه ، وقد حاول بعضهم الحديث معه في الموضوع ، فصدهم وطلب منهم عدم الانشغال به ، وعليهم الاهتمام بمصانعهم وشركاتهم ، ولما أتى التقرير وفض مغلفه ـ كان يجلس في مكتبه الخاص داخل القصر ـ طلب من الخادم عدم إدخال أي مخلوق عليه ، وأغلق خطوط الهاتف ، وأخذ يقرأ ما جاء في تقرير شركة التحريات الخاصة فوجد : السيدة مجدية سنارة كانت قبل زواجها من ابن الجيران المهاجر عرفان الرشيدي على علاقة عاطفية قوية مع الشاب جاسم سرور بزة ، وكان ذلك في نظر أهلها حب مراهقين ، فلم يكترثوا له ، وإن حاول بعض إخوتها وقف هذا الحب بالشجار مع الشاب جاسم ، وأحيانا بإهانة الفتاة ، لكن الحب المزعوم استمر بين الشابين ، ولما تقدمت أخت السيد عرفان ـ

السيدة الفاضلة أمينة ـ لطلب يد الفتاة لأخيها عرفان من والدي مجدية رحبوا بذلك ، رغم رفض الفتاة الزواج ، وقد علمنا ممن عاصر هذه الأحداث ، كأمها وبعض إخوتها أنهم أمام إغراء المال والسعادة المنتظرة ضغطوا كثيرا على البنت للموافقة على هذا الزواج ، بل هدد أحد الأولاد بقتل جاسم أو المكر به إن لم تتزوج السيد عرفان ، وأمام الضغط وضعف المقاومة من الفتاة ، وعدم استطاعة الشاب جاسم على الاقتران بها يومئذ استسلمت الفتاة للزواج من رجل لا تحبه .. سافرت معه إلى فنزويلا حيث هاجر السيد عرفان ناصر للعمل منذ سنوات ، وقد فوجئ الأهل بعد سنة بعودة ابنتهم من هناك ، وهي تحمل ورقة الطلاق بيديها ومؤخر صداقها وزيادة ، وقد علمنا أن الفتاة أثناء غربتها كانت على اتصال بواسطة الرسائل والخطابات مع عشيقها وحبيبها جاسم ، وحاولنا الحصول على بعض الخطابات ، ولم يتيسر ذلك لضياعها وعدم الاهتمام بها ، ولما عادت البنت للوطن ، وقد فشلت في الزواج ، ولم تنجب من زوجها كما بدا لهم آنئذ ، فنقمت عليها الأسرة ، ولما تقدم الشاب جاسم للزواج منها حسب ما اتفقت البنت والشاب لم يعترض أحد من أهلها ، بل فرحوا بالخلاص منها ، فما كادت تمضي الشهور الثلاثة أو القروء الثلاثة من يوم الطلاق حتى كانت الفتاة تنتقل لبيت جاسم سرور، ويغادران الحي إلى حي مجاور ، وكان أهلها منذ تلك الأيام يحتقرونها ، ولا يهتمون بشأنها، ولا ينظرون إليها بعين الشفقة والرحم ، وهي بادلتهم نفس الشعور والتحدي.. وفعلا عندما وضعت مولودها الأول سرت في محيط الأسرة والحي القديم إشاعات وهمهمات بأنها حملت قبل عقد الزواج من جاسم ، وأنها استسلمت لعشيقها قبل ليلة الزفاف ، ولكن الفتاة تنفي ذلك ، وتنفي عن نفسها الزنا والفاحشة قبل زواجها من جاسم وبعده ، ووضعت المولود شاهرا في تاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٣ م في مستشفى (حليمة النهدي) ، وهذا المستشفى القديم قد أغلق بسبب وفاة مالكه ، ثم باعه الورثة لطبيب آخر ، ثم تم نقله من مكانه القديم ، ولم نتمكن من الوصول إلى الملفات القديمة لتلفها وهلاكها وضياع أكثرها وعدم اهتمام الإدارات المتعاقبة على حفظها ومن ثم انتقال المستشفى إلى بناء آخر.

والشاب شاهر لم تكن علاقته بوالده جاسم علاقة حميمة ، وكما علمنا أن والده لم يكن قاسيا عليه ، بل كان تاركا له الحرية في الأعمال والتصرفات ، بل لم يهتم به عندما تعلق بالشراب واللهو والميسر، فقد تركه على حريته الكاملة؛ ولكنه كان يتضايق منه عندما يتشاجر مع أولاد الجيران والناس ويقاد لمركز ومخفر البوليس ، ولا يسعى لمساعدته في محنه

.. وقد سجن شاهر أكثر من مرة ، ولم يفكر جاسم بزيارته يوما ما في سجنه ..وهذا الفعل فعلته أمه مجدية أيضا .. فشب الشاب ولم يحسن التـعلم في المدرسة.. فقد تركها مبكرا ، ولم يسلك في الأعمال والحرف التي وجـّه إليها ، بل كان عبئا على والدته .. وكانت إحدى أخواته تنفق وتصرف عليه عندما كبرت واشتـغلت ، وذلك بعدما تخرجت من الجامعة .. ورغم اقتراب الشاب من الأربعين سنة فما زال أعزبا .. ورغم وفاة والده مبكرا ، لم يحاول تحمل أعباء الأسرة ، وظل على ما نشأ عليه .. ثم تزوجت أمه بعد وفاة زوجها بسنة من صاحب لزوجها ، ثم طلقها بعد سنين ، وهي الآن زوجة لرجل كبير في السن ، وما زالت عنده لليوم .. وقد زوجت بناتها الثلاث اللواتي ولدتهم من زوجها جاسم سرور، والشاب شاهر بعد زواج أمه من صاحب أبيه استولى وسكن في بيت والده جاسم الذي اشتراه بعد زواجه من السيدة مجدية .. وقيل إنه من أموال زوجها المهاجر ، ولا أحد من أصدقاء جاسم سمعه يتحدث في أي يوم على أن شاهرا ليس ولده ، وليس من صلبه ، ولا حتى مجدية ، لم يصدف أنها حدثت أحدا على أن شاهرا ليس ابن زوجها جاسم ، فالكل يعرف أنه ابنه وإن أثيرت شائعات عند ولادته ؛ لأنه ولد قبل إكمال الشهور التسعة أو حتى السبعة .. فالأمر غامض ..

والأم مجدية تصر على أنها أتت من أمريكا حاملا ، ولم تكتشف ذلك الحمل إلا عندما وصلت البلد وبعد حين ، والتقت بحبيبها جاسم واتفقوا على الزواج .. فقامت بعمل فحص الكشف عن الحمل بسبب انقطاع الطمث فتبين لها الحمل، وخشيت إن تأخر الزواج من جاسم لما بعد الولادة أن يزوجها أهلها لرجل أحسن حالا منه ، فوالدها وأهلها ممن يعشقون المال عشقا غريبا مع شح كبير ، وتقول مبررة أيضا إنها لم تكشف سر الحمل آنذاك حتى لا يفكر أهلها بإعادتها لزوجها المهاجر .. تقول إنها كانت تفكر يومئذ بعقلية المراهقة ، ولا ترى في الدنيا إلا جاسرا .. الحب وبس ! وهي تعترف بخطئها الكبير ولكنها تتدعي : أن الظروف التي أحاطت بها في ذلك الزمان جعلتها تتـصرف بحمق وغباء وكان لتعلق جاسم بها وموافقته العاجلة على أن يحمل المولود اسمه أن أخفت قضية الحمل عن الجميع ، بل تقول إنها كانت تخشى أن تحدث نفسها بحقيقة الحمل ، وكان الحديث عن ذلك بعد زواجهما جريمة تدمرهما ، وتقول أيضا إن الذي ساعد فيها بعد على إخفاء هذه القضية انتشار خبر موت السيد عرفان في بلاد المهجر فكان من العبث الحديث بذلك السر ، فليس لعرفان أم أو أب يهمه أمر الطفل ، ولما علمت بحياة عرفان زوجها الأول ، وعرفت بغناه وثروته أحبت أن لا

يحرم ولده منهما من ثروة أبيه وماله الكثير.. فاضطرت للاعتراف لولدها شاهر بحكاية زواجها الأول ، وحثته على الذهاب معها إلى رؤية ومقابلة والده .. فذهب بعد مجاهدة وشجار، وكما قال لرجالنا إنه لم يكن ليصدق ادعاء أمه بذلك .. فلم يسمعها يوما ما تحدثه عن أبيه الحقيقي كما تدعي ، بل لم يكن يعرف أنها متزوجة رجلا قبل أبيه جاسم .. فهو يرى أن ذلك لو كان صحيحا ، فهي قد ارتكبت في حقه أعظم جريمة في التاريخ والعالم ويقول : رغم أنني لم ألمس منها الحنان والحب المنشود قديما وحديثا .. فأنا لا أحبها أيضا الحب المطلوب مني .. بل أرى أنها سبب دمار حياتي .. لم تحسن تربيتي صغيرا ، ومع ذلك لا أنكر أنها لم تكن جبارة أو جلادة أو قاسية عليّ تركتني على راحتي ، بل كان اهتمامها بأخواتي الثلاث أكثر مني رغم أنني ذكر وهن بنات .. ورغم كل هذا كانت هي أمي وكان جاسم أبي .. وقال كانت مفاجأة مؤلمة لي تلك الحقيقة ، ولا أعتقد أنها حقيقة هي تريد المال .. مع أنني أعرف أنها لا تحب المال كثيرا إنها تريد الحب والغرام ويقول شاهر بأنه قابل الرجل الذي ادعت أنه والده الحقيقي .. فلم يحس ويشعر بحنان أو لهفة إليه.. كان لقاء باردا ، ويرى أنه ذهب معها ورافقها من باب الفضول وهو يعلل ذلك فيقول قد يكون ذلك بسبب الإهمال في تربيتي الأولى أو تركيبتي الخلقية ويقول عن عدم دفء العلاقة بينه وبين والديه الإهمال الكبير الذي لقيته منهما وعدم مراعاتهما لحياتي وخصوصا في السنوات التي قضيتها في السجن .. لم يقوما بزيارتي ولو مرة واحدة ؛ كأني مقطوع من شجرة ، فلم يحاول اللعينان زيارتي ، كانا غير مكترثين ؛ ولكنني لما أطلب منهما المال والشراب كانا يمنحانني ذلك .. ويقول إنه بدأ السكر والدخان وغير ذلك من الموبقات مبكرا من حياته ويقول استسلمت لحياة الإهمال والبلاهة حتى لم أسمعهما يوما يتحدثان عن زواجي والنساء ، لا اهتمام بحياتي الخاصة .. أفعل كل ما يطيب لي ويحلو لي

وكان في التقرير معلومات تفصيلية عن عمل جاسم وأهله ، وإخوة مجدية وأخواتها .. ومعلومات عن البنات الثلاث اللواتي ولدتهن مجدية من زوجها جاسم وأعمالهن ودراستهن وحتى أزواجهن ، وعن زواج مجدية الثاني ، ثم طلاقها ، ثم زواجها من الرجل العجوز المريض وظروف كل زواج.

ولما انتهى من القراءة علق عرفان في النهاية قائلا : لم نصل إلى حقيقة رغم الجهود المبذولة في جمع هذه المعلومات !.. فشاهر عرف المعلومة والحقيقة حديثا .. والأم كشفت واعترفت بسرها حديثا عندما علمت بوجودي حيا وحديثا أيضا.. ولكن

أثناء الوضع حدثت بلبلة وأقاويل .. لم يهتم بها أحد آنذاك فهذه نقطة مثيرة ومهمة .. ولكن الحقيقة الأصح أنه ليس ابني ويفكر رويدا ثم يعود ليقول : ولكن قد يكون ولدي من صلبي .. وللحجج والأسباب التي ذكرت في التقرير شيء من الصحة .. لابد من الاستفادة من خبرات الأطباء والتحاليل الوراثية والجينات

ثم تنهد تنهدا عميقا وهمس قائلا : ولكن الشك سيظل يراودني .. سأعرض عليها المال حتى تتراجع عن ذلك الاعتراف وأقوالها.. وتؤكد لي أنها ساخرة مازحة كاذبة مجرمة قذرة طامعة بأموالي

اتصل عرفان ناصر بصديقة الدكتور الخبير سيرجي باربوسا ، ولما قدم قرأ عليه تقرير شركة التحري ، وبعدما استمع سيرجي لأفكار وكلمات تقرير شركات التحريات الخاصة قال : قصة موتك هي التي ساعدت على إخفاء سر حمل مطلقتك منك إن كانت صادقة .. فلما اتصل بهم خبر موتك المبكر ازداد تكتمهم لهذا السر.. فالظروف خدمتهم .. مهما كان الزوج مخلصا في الحب والغرام ؛ ولكن بعد الزواج ومشاكل الأزواج المعروفة لابد أن يقع الزوج في خطأ في سب وشتم وغضب ، فيخرج من فيه تصريح بعدم أبوته لشاهر .. وخصوصا قد كان الشاب فاسدا وسكيرا .. وقد يقع بينه وبين أبيه شجار فينكر الرجل أبوته في ساعة غضب .. كل هذا لم يحدث ؛ لأن شاهرا لم يعرف بالسر إلا مؤخرا مثلك تماما.. فالسبب موتك بالنسبة لهم .. أو حدث ولم يهتم به أحد .. حتى شاهر لم يتحدث لهم عن شيء من ذلك فهل أدركت اليوم من أرسل إليك برقية وفاة أختك وأخبرها بموتك ؟

فقال عرفان : فكرت بهذا اللغز كثيرا ! .. ومتابعة برقية أرسلت منذ أربعين سنة تنقص قليلا ليست بالأمر الهين يا صاحبي .. وأختي تذكر أن رجلا ساعي للبريد أو ادعى أنه ساعي البريد كما تعلم هو الذي نقل إليهم البرقية التي فيها خبر موتي بحادث سيارة ، وأمام الصدمة وضعف الإمكانات المادية أخذوا الأمر بجدية، ولم يفكروا بشخصية الساعي أو مكتب البريد الذي استقبل البرقية ، لم يسيئوا الظن وافترضوا لو أنني ما زلت حيا فسأرسل لهم هدية العيد ؛ ولكن لما أنا في نفس الحين لم أرسل شيئا كالمعتاد زاد يقين موتي لديهم .. وأنا لما تلقيت بنفس الفترة نبأ وفاة أمينة أثناء الولادة ، لم استغرب ذلك لكثرة حدوث ذلك في بلادنا تلك الأيام .. أصابني ذهول وصدقت ما في تلك البرقية ، وكنت في دوامة الشغل والعمل فلم أدقق ، وبعد موت والدي وطلاقي من زوجتي مجدية لم يعد لي ارتباط بمسقط رأسي فنسيت الأمر، وقطعت صلتي بموطني ، وانشغلت في رحلة

الكفاح والدراسة يا سيرجي .. وتقول أختي أمينة إنهم انتظروا رسالة تأتيهم من هنا من فنزويلا من أصحاب الشغل فيها تفاصيل عن الوفاة وعن الأموال التي تركتها ، فلم يصل من ذلك شيء فنسوا الأمر مثلي ، واعتقدوا أنني مت ، ولم أترك ورائي مالا أو غيره من الأشياء المادية .. فنسوا كما نسيت كانت مكيدة ماكرة ومحكمة .. والمشتبه به إخوتي من أبي .. أتسأل أحيانا كثيرة لماذا لم أحاول التأكد يومذاك ؟ فلا أجد جوابا إلا أنني كنت ساذجا حسن الظن بكل ما أسمع .. أما من الفاعل ؟ لست أدري، ولكن بعد تفكير وتدبر وصلت أنه لا يهم الآن معرفة من الفاعل لقد أبعدنا عن بعضنا تلك السنوات ونجح.. والماكر كان يقصد أن أقطع وصل أختي بمال ، ولا أظن أنه كان يحلم بأن يمنعني من النزول للوطن الأول لي.

فقال سيرجي : هذا اللغز ساعد كثيرا على إخفاء قصة الحمل .. فجاسم هذا تجاهل كل الأخطار باسم الحب .. فزواجك وطلاقك لها لم يترك لديه أثرا نحوها ، وظل مولعا بها وتورط معها .. وموت السيد عرفان في نظرهم دفعهم إلى النسيان الكامل لأبوتك .. دعني أفكر أيها الصديق بقضيتك الغريبة.

فقال عرفان : فكر بالحل الأمثل يا عزيزي .. سأحدث ولدي الكبير بهذا الموضوع .. وربما أسافر ثانية إلى قصر الجبل ، وأتصل بهذه المنحوسة ، وأسمع منها ..مع أنني لن أسمع أكثر مما ذكر هؤلاء في التقرير الخاص ؛ وربما قد أجد عندها ذرة من الصدق أنتفع بها ، فإن صدقتها سأقوم بجلب الولد إلى هنا لتقوم بإجراء فحوصات الدم والوراثة.

فقال سيرجى : المشكلة يا صاحبي في زمر الدم والرايزوس تساعد في نفي البنوة ولا تجزم بالبنوة وحدها ..والآن هناك فحوصات البصمة الوراثية والجينات.

فعاد عرفان يقول : أما لغز المحتال الماكر ـ رغم أن البحث عن حل بعد كل هذه الأعوام لن يجدي كثيرا في نظري ــ فربما أكلف المكتب مكتب التحري بمحاولة كشف الفاعل الحاقد .. ولولا برود علاقتي أنا وأمينة مع إخوتنا من أبينا لشككت أن أحدهم فعلها ؛ ولكنهم بعد موت أمي سعادة ـ رحمها الله ـ اختفوا وخرجوا من حياتنا.

انصرف الدكتور سيرجي ، وصعد السيد عرفان ناصر إلى مخدع النوم ، وأخذ حبة منوم ، وبعد حين ذهب في نوم عميق



مجدية والمولود

تفاجأ أولاد عرفان بقرار السفر الذي اتخذه والدهم هذه المرة ، فهو منذ شهرين أتى من الثعبانية، فاعترضوا على سفره ، وأن صحته لا تتحمل ذلك الجهد، والطبيب الخاص تضامن معهم ، فاضطر عرفان أن ينفرد بابنه البكر أو الكبير نصري ، وأسر له بما حدث في رحلته الأخيرة إلى بلده ، فاستغرب الابن من هذه المعلومات، وهذه التطورات والأحداث ، واستسلم في النهاية لرغبة أبيه في السفر، ولم يحاول مجادلة أبيه بشأن المرأة وكذبها أو صدقها ، بل خرج يخبر إخوته قائلا : إن سفر الوالد ضروري.. وأنه إذا حدث شيء ـ لا سمح الله للأب ـ فسوف أخبركم بما أسر به الوالد.

فتجهم الأبناء قليلا ، ثم عادوا لحياتهم الطبيعية ، فهم يثقون بقدرات والدهم العقلية ، وكذلك بذكاء ونشاط السيد نصري المهندس الكبير ، ولما أشعر ارباس سبرانتو بالسفر المفاجئ ، استغرب واعتذر عن هذه الرحلة لأحوال تمر بها زوجته والأسرة ، فقال له عرفان بعدما شكره : لا حرج عليك أيها الصديق .. فنحن لم نعد إلا من شهرين.. والأمر ضروري فلابد من رحيلي إلى هناك ..ولست ذاهبا بأعمال ، إنما هي قضية خاصة سأحدثك بها لاحقا.. رتب لي إجراءات السفر .. والطبيب والممرضة والسائق والحارس لو كلفت غيرهم أيضا بمرافقتي فذلك خير، فهذا الرحيل تعب عليهم وعلى أسرهم.

وأما الطبيب الخاص أصر على الرحيل معه، وكذلك الممرضة ، والخادم الخاص لويس أحب أن يسافر معهم ، ولما تجهز أمر الرحلة سافر عرفان إلى بلده ثانية ، وكان عرفان كلما يزور بلده في السنوات الأخيرة يمر على مصر، فيقضي بها يومين أو أكثر يستريح فيهما ، ويتذكر أول رحلة له إليها ، ومن ثم يسافر إلى فنزويلا ، وأحيانا يعرج عليها قبل الانتقال للثعبانية.

ولما نزل قصر جبل الأعمدة واستراح من تعب السفر ، واسترد عافيته اتصل بأخته التي هرعت إليه مسرعة وهي متعجبة من عودته السريعة، فطمأنها وحدثها عن سبب رجوعه السريع ؛ بأنه قادم للقاء السيدة مجدية لحل لغز الابن ، وبعد أن فرح بلقاء أولاد أمينة أرسل وراء مجدية ، وطلبها وحدها ، فأتت للقصر ولما التقت بعرفان رحب بها على غير ما رحب بها في المرة السابقة ثم قال : أنا فكرت بعمق بقصة الابن المنسوب إلى زوجك الميت.. فكيف صارت الحكاية يا مجدية ؟!

فقالت مبتسمة كأنها أحرزت نصرا مهما في معركة : كنت متأكدة أنك ستطلب لقائي وإن تأخر هذا اللقاء.. أنا يا عرفان كما قلت لك قديما تزوجتك عن غير رغبة...

فقطع الكلام قائلا بغضب خفيف : أعرف هذا ..

ادخلي في صلب الموضوع فصحتي لا تساعدني كثيرا على الاستماع .. تكلمي بالأهم يا أم شاهر. ضحكت مجدية لمناداتها بأم شاهر وقالت : والله يا عرفان قليل من الناس من يناديني بأم شاهر غلبت عليهم أن ينادوني بأم سمر .. ابنتي الكبيرة سمر ولا أدري لماذا ؟! .. وهذا ليس له علاقة بابنك وزوجي .. المهم لقد كنت راغبة بالزواج من جاسم ، فرفضت الأسرة ذلك بعناد وزوجوني منك ، وسفروني معك ..وأنا أعرف أنك لا تعرف بحبي لجاسم .. وأنك تظن أنني عاشقة ولهانة لك وأن لعابي سال لمالك وغربتك .. فلم أستطع الحياة معك .. كانت أفكار البنات الصغيرات والرومانسية وكلام الحب والغرام يشغل بالي .. وكانت رسائل جاسم اللعينة تحرق قلبي وجسدي.. فكرهتك وبغضتك .. فصممت على الطلاق والفراق .. فلابد أنك تذكر تمردي من الشهور الأولى، وكرهي لحياة الاغتراب ، وكرهي لحياتك وعملك ، وأن المال والذهب لم يغيرا بي شيئا .. كنت متعطشة للحب .. كنت متأثرة بأفلام السينما.. ولم أجد ذلك عندك كنت زوجا عاديا .. عمل شغل طعام نوم .. تعاطيت حبوب منع الحمل .. لا أريد أن أحمل منك .. أريد العودة إلى حبيب القلب إلى سارق لبي وفؤادي..

كان عرفان يسمع هذه الكلمات وهو يتلمظ من الغيظ والقهر ، ولم يتكلم كان يريدها أن تقول الحقيقة ، فتابعت تقول : كنت أنت متلهفا على الحمل معتقدا أن الحمل والولادة ربما يدعوانني للكف عن الشكوى وطلب العودة ، ومن ثم الطلاق .. ولكنك يا سيد مللت وزهقت مني .. وفي لحظة صفاء وهدوء وافقت على الانفصال.. وأن الحياة أصبحت معي جحيما لا يطاق .. فوافقت على طلاقي .. وأنك ستقوم بالإجراءات المناسبة .. وأنا في الشهور الأخيرة التي عشتها معك كنت أنسى كثيرا أخذ حبوب منع الحمل بانتظام .. وكنت غير مكترثة لذلك ، وتم الطلاق وأعطيتني مؤخر الصداق ، وبعض المال والهدايا لأختك وأهلي ، وحجزت لي على إحدى الطائرات .. كل هذا تعلمه أنت.

فقال عرفان متضجرا : أعرف هذا .. الخلاصة يا مجدية الخلاصة!

فصاحت فيه فجأة كانفجار ثم قالت : وصلنا للخلاصة .. أنت تعلم أن من عادات الدين والشريعة أن المرأة تنتظر حتى انتهاء شهور العدة أو الولادة للتزوج ثانية إذا شاءت .. فوالدي وإخوتي استقبلوا عودتي بالضيق والغضب.. ومنهم من أهانني وصفعني .. واتهموني بتخريب بيتي بيدي.. ولما عرفوا بأنني لم أحمل منك تضايقوا أكثر .. وسمعت كلاما مؤلما وقاسيا وشتما وضربا ..

وخلال فترة العدة أدركت أنني حامل بسبب انقطاع الدورة الشهرية فقمت بإجراء فحص عند أحد الأطباء في مختبره فأكد لي الحمل .. وحدثت جاسما الذي فرح بطلاقي .. وبدأ يستعد لطلب يدي ليستغل غضب أهلي نحوي .. فحدثته بالحمل الذي حصل على الرغم مني وأنه لا أحد يعرف بذلك من أهلي ، وأن أهلي لو عرفوا بحملي من عرفان سيحاولون إعادتي إليه ، ولن يزوجوني منه.. فكان الحل في نظرنا عدم إظهار الحمل ، وأن نتزوج بعد مضي الشهور الثلاثة للعدة ، وذلك بعد أن وافق جاسم على أن يحمل المولود اسمه .. وللظروف المحيطة بنا وحاجتنا لبعض لم نخبر أحدا بالحمل ، وعلى الفور تقدم لي جاسم وللخلاص مني وافق إخوتي على زواجنا بسرعة ، فهم يعرفون قصة حبنا وتعلقنا ببعض ، فتم الزواج سريعا ورحلنا عن الحي ولكنه حي قريب ، وبعد شهور وضعت الولد شاهرا متظاهرة أنه من زوجي جاسم ، وسمعنا كلاما كثيرا ولغطا حولنا ، ولكن حبنا الجارف لبعض غطى على كل الدعايات والإشاعات ، ولما وصل إلينا خبر موتك نسيناك إلى الأبد ، وعاش شاهر بيننا ؛ كأنه ابننا الحقيقي قصدي ابن جاسم .. وصدق يا عرفان أن شاهرا منك ، ولم يمسسني رجل قبل أن أعرف بالحمل منك ، وإنما كرهي لك وبغضي لشخصك وأنك سرقتني من حبيبي جاسم .. وكذلك بغضي وسخطي لأهلي ، كل ذلك دفعني لعدم كشف سر الحمل ، وكان ذلك إلى أن سمعت بحياتك ، وأنك لم تكن ميتا كما أشيع قديما ، وقد انتشر الخبر الغريب في حارة البراغمية وشوارعها .. وابنتي سمر متزوجة ، وتسكن في ذلك الحي ، فلما سمعت بذلك الخبر العجيب اتصلت بي فصعقت ابتداء ؛ ولكن لإراحة ضميري المثقل بهذه السر صارحت شاهرا بذلك السر، وشاهر شاب مسكين تعذب كثيرا في حياته ، وتعلق بالخمر كثيرا ، ووضعه الصحي لا يسر صديق ولا عدو.. وأنت أبوه ترتع بهذه الخيرات والنعم .. فقررت مصارحته بهذا السر الخطير ، وهو لم يصدق الحقيقة لحتى الآن ، ولكن بعد ضغط مني وافق أن يأتي ليرى والده .. ولما رآك لم يصدق أنك أبوه .. وما تبقى تعرفه.

لزم عرفان الصمت فترة بعدما أنهت اعترافها ثم قال : أنت امرأة كبيرة يا مجدية ! وهذا الأمر خطير ؛ فإذا كنت راغبة بالمال ، فأنا سوف أغنيك إلى الأبد ، وأفتح لك حسابا كبيرا ـ وأخرج شيكا بخمسين ألف دولار ـ وهذا شيك بمبلغ بسيط خمسين ألف دولار أضعه بين يديك ـ وقدم لها الشيك ـ وهو يتابع كلامه قائلا : فقط أريد الحقيقة .. هل هذا المولود حملت به مني؟ وإذا كنت مدعية فهذا الشيك لك فقط قولي الحق الذي يرضي ربنا ؟

فقالت بجد : رغم أن الكذب سيفيدني بعرضك هذا ، ويريحك يا عرفان .. فالحق أنني حملت بهذا المولود منك رغم أنفي .. والذي ساعدنا على عدم إفشاء سر المولود هو موتك كما علمنا فشاهر ابنك .. ولقد تمنيت أن تسمع هذا الكلام من فم جاسم .. وأنا أخبرتك ليس طمعا بمالك وثروتك وإنما ذلك لإراحة ضميري.. وليعرف الرجل أباه .. ولتـعرف أنت أن لك ابنا وهذا شيكك لا أريده . ورمته عليه.

فنهض عرفان وقال : أتقسمين بالرب المعبود على ذلك ؟

فأخرجت مصحفا صغيرا من حقيبتها ، وأقسمت عليه بصدقها ، فقال عرفان : حسنا يا مجدية ! سأسافر بالولد إلى كاركاس لإجراء كل الفحوصات والتحاليل والشيفرات الوراثية.. فنحن في أواخر القرن العشرين ، وقد يستطيع الطب حسم هذه المسالة.

فقالت بكل هدوء : افعل ما بدأ لك .. أنا واثقة أن هذا الرجل ابنك ، واعلم أن ولدي ليس طامعا بثروتك.. بضع مئات من الدولارات أو الدنانير تكفيه وتسد رمقه.. ولكن له حق عليك حق الأبوة ..أتدرك ذلك ؟!

تبسم عرفان وقال : الأبوة يا مجدية ! أين كانت الأبوة ؟!

فصاحت في وجهه ثانية : كنت ميتا .. كنت ميتا.. فكتمنا ذلك شفقة على ولدك.. أنا المهم عندي أنني أرحت ضميري من ناحيته .. لقد صرفت عليه وكبرته .. والدور الآن جاء عليك عليك أن تداويه .. وترغمه على الزواج .. وتجد له عملا يعمل به .. وخذه عندك هناك وأجري عليه ما تشاء من التحاليل والفحوصات وليبق هناك.

فقال عرفان متسائلا : ويبقى يحمل اسم زوجك غريمي.

فعادت تصيح : زوجي مات ، وعليك الدعاء له بالرحمة ؛ لأنه تكفل بابنك ورعاه، وأدخله المدارس ؛ ولكن ابنك فشل ، وتعلق بالفسق والخمر والقمار .. أنا المهم عندي أن تعرف أنه ولدك .. وأنا مستعدة للاعتراف أمام أكبر قاضي في الدنيا أو في البلد .. وأن أقسم أمامه مليون مرة أن شاهرا ابنك.. وأنه لم يكن ابن جاسم في أي يوم من الأيام .. سواء رضيت أم أنكرت عليك أن تتحمل مسئولياتك نحوه من الآن فصاعدا .. خذه معك .. غير اسمه وليحمل اسمك.

فقال عرفان وقد عاد للجلوس : حسنا يا مجدية ! .. سأرتب الأمر.. فبعد إجراء الفحوصات الطبية المناسبة سأطلبك للاعتراف أمام كبار القضاة في هذا القطر وأدعهم يقضون بيننا أيسرك هذا ؟

فقالت صارخة : ولماذا تؤخر ذلك ؟!.. فأنا

مستعدة للاعتراف أمام القضاة اليوم قبل الغد واعمل الاختبارات على مهلك وراحتك.

عندئذ شعر عرفان بصدقها، ولمس ذلك من حرارة كلامها واعترافها؛ ولكن كيف يعترف بهذه الأبوة وبهذا الولد بعد كل هذه السنين ؟! وأيضا كيف يرفض هذه البنوة بعد سماع كل ذلك ؟! فهو محتار .. سيكون مجرما إن رفض أخذه ورعايته.. سيكون مجرما كما تقف هذه المجرمة أمامه .. هل يخنقها ؟ لم تستطع الصبر حتى تضع مولودها!

فقال بعدما أعاد الشيك لجيبه : فليكن لقائي بهذه الولد قريبا.. سنسافر إلى بلدنا يا مجدية .. وإذا أنت بحاجة لمال فمدير شؤون القصر سيعطيك وسأوصيه عليك .. وأنت مغادرة سيقودك الخادم إليه فسيعطيك ألف دولار .. وإذا ثبت وراثيا أنه ولدي سأدفع لك أموالا ثمن تربيتك وصبرك.

وقرع الجرس فأقبل الخادم العجوز الفنزويلي الطيب فقال عرفان : لويس .. خذ هذه السيدة إلى مدبر القصر وليهبها ألف دولار.. وقدموا لها الاحترام كلما تأتى.. وليذهب معها السائق ليعرف بيتها.. سأرسل وراءها في الساعات القادمة.

فقالت مجدية : أنا تحت أمرك يا سيد عرفان .. وأشكرك على الألف دولار.. ولن أرفضها .. فزوجي الأخير رجل عجوز وبحاجة للعلاج.

فقال عرفان : لدينا مستشفى هنا ، فيمكنك الذهاب به إلى هناك .. وسيهتمون بكما .. على كل حال قريبا سأدبر أمركما .. أنا أعذرك بإخفاء أمر ولدي عن الناس رغم أنها جريمة كبرى .. وكما قال سيرجي صاحبي إعلان موتي هو السبب الأكبر في هذه المأساة ! .. سلاما.

البصمة الوراثية

التقى عرفان بولده شاهر، ووجده قليل الكلام بارد الأعصاب غير مكترث للحدث الذي يعصف بهم ، فقال عرفان : لم أحس بأنه ولدي؟!

فقالت مجدية : بل هو ولدك ، رغم ما كان بيني وبين جاسم من غرام وعشق لم أزن في حياتي قط .. والرجل جاهز لأي فحص أو إجراء تتخذه .. عليك أن تعترف ببنوته.

رغم هذا الكلام الجارح للإحساس والشعور لم يتحرك لشاهر جفن ، فالتفت إليه عرفان وقال : يا شاهر! هل تحس بأنني أبوك .. والدك ؟

فبعد صمت همس : لا أدري !.. قل لا أصدق .. لم أشعر في يوم ما أنني ابن رجل آخر.

فصاحت أمه : ويلك ألا تشعر بأنه أبوك ؟!.. ألا تحس بأي انعطاف نحوه ؟!

فرد على أمه بدوره وببروده : للأسف لا .. لم أشعر بشيء من ذلك .. وهو مظلوم .. أنت المجرمة يا أمي!

فهاجت مجدية ، وارتفع صوتها ، وزاد انفعالها ثم

قالت : ويلك ! أبعد كل هذه السنوات تقول عني مجرمة ؟! .. يا ولدي أنا امرأة زادت سنها زاد عن الخمسين سنة ، ولا مطمع لي بهال هذا الرجل .. ولولا أنني عرفت بحياته لما كشفت لكم هذا السر الذي نسيناه .. ولكن يا ولدي لك حق في ماله ونسبه .. وإخوتك العشرة عليك أن تتعرف عليهم ، وتعيش معهم ، وفي أملاكهم وتأخذ نصيبك من ثروة أبيك بدلا أن تأخذ مصروفك من أختك سمر.

والتفتت إلى عرفان وقد هدأ هديرها قائلة: منذ تخرجت سمر من الجامعة واشتغلت ، وهي تصرف عليه ، ولما تزوجت ظلت تدفع له ثمن المشروب اللعين ، لم يفكر يوما بتعلم حرفة أو وظيفة يشتغل فيها.

فقال عرفان بغيظ : تربية سوء.. لم تكوني مستعدة للتربية والرعاية، كان همك الحب والغرام.

فهتف شاهر فرحا ومصفقا : صدقت ! هي ربتني على الضعف والخجل والفشل

فأخذت مجدية تدافع عن نفسها ، وهي تبكي بكاء حارا فقال لها في النهاية : هوني عنك حتى

لو لم تثبت أبوتي له سأهتم بكم وأرعاكم..

فصاحت وصرخت فيه وقالت : هو ولدك!.. ولدك!.. أنا مستعدة أن أقسم أمام القضاة والقانون أنني حملت به منك.

فقال : كفي عن الصياح ، واهدئي سنتدبر الأمر .. سأقوم بإخراج جواز سفر لك يا شاهر وتسافر إلى كاركاس عاصمة فنزويلا الجميلة أو فينيسيا الصغيرة لأمريكا اللاتينية..

وحلق عرفان في الخيال وقال : فعندما رآها المستكشف الإسباني ألونسو دي أوجيدا للمرة الأولى في عام ١٤٩٩ صاح مدهوشا إنها فينيسيا الصغيرة ، ولا زالت تحمل هذا الاسم حتى الآن ، ولسوف تشاهد أعلى شلال مائي الشلال الملائكي ، وبحيرة ماراكايبو وجزيرة مارجريتا لؤلؤة البحر الكاريبي ، وتشاهد جزيرة السلاحف البحرية ، وجزيرة الطيور ، وسوف تستمتع بأزهار فنزويلا الكثيرة وتتعرف على الثائر الفنزويلي الكبير سيمون بوليفار محرر كاراكاس ، حتى عملة فنزويلا تحمل اسم هذا الرجل وهي البوليفار .. أشياء كثيرة هناك ستنسيك كل الهموم والغموم .. فبلادنا واسعة ، بلاد الذهب والقصب والكاكاو والبترول .. ولما تستمتع بالحياة الجميلة وترتاح نفسيا وصحيا سنقوم بعمل الفحوص الوراثية والجينية لتطمئن نفسك ونفسي ونفوس إخوتك .. وتأكد يا شاهر لو أنه ثبت غير ما تدعيه أمك ، وأنك لست من دمي سأرعاك حتى المات ، وإذا شئت أبقيتك هناك وستعمل مع الأولاد ، وسوف أعيد تربيتك ونسجك من جديد بمشيئة

الله، وأزوجك من أجمل نساء البلاد.

فقام الشاب يقبل يدي الرجل والدموع تنهمر من عينيه ، وهو يكاد يطير من الفرح لـمَ سمع من الوعود والأحلام والسفر والزواج ، وهتف قائلا : أنا رهن إشارتك وإحسانك يا سيدي وشاكر لعطفك وشفقتك عليّ.

فقالت أمه مؤكدة : هو أبوك .. وما سيفعله من أجلك ليس شفقة بل واجبا كان عليه قديما.

فقال عرفان : سيبقى الشاب في القصر يا سيدة مجدية من الآن حتى نسافر، وعندما يتحدد موعد السفر سأخبرك حتى إذا أحببت رؤيته وتوديعه قبل السفر، وإذا احتجنا لفحوص منك أرجو أن تتعاوني مع مكتب المحامي الكبير الصديق حميد عز الدين .. أنا أريد أن أفعل ذلك ليطمئن قلبي .. ولمصلحة شاهر في المستقبل .. لأنه ليس من السهل أن ألصقه بي لمجرد أنني كنت زوجك يوما ما.

فتممت قائلة : أنا أعرف أن الأمر ليس هينا عليك وعلى أسرتك ؛ ولكني لم أستطع أن أكتم الحقيقة وأنا أرى النـعيم الذي تعيش أنت فيه وتحرم فلذة كبدك منه .. ولو أنك فقير معدم قد أكون فكرت كثيرا قبل أن أصارحك بذلك .. أما ابنك شاهر فهو بحاجة لك ولعنايتك .. عليك أن تعرضه على الأطباء وأهل الاختصاص فعنده مشاكل في الأمعاء وأمراض جلدية ، وأن تخلصه من شرب الكحول.

فقال عرفان : سأفعل أيتها الأم الباسلة !

ولما خرجت مجدية أرسل وراء مدبر القصر وقال له : أنظر إلى هذا الشاب .. عليكم بتنظيفه وتلميعه وكسوته بثياب جميلة جديدة ورتب له غرفة وثيرة يرقد فيها وليقم على خدمته أفضل الخدم يا جولانيا.

أحنى الرجل العجوز جولانيا رأسه وقال : أمرك يا سيدي تعال أيها الشاب.

فساقه مدبر القصر الفنزويلي ، وكلف بعض الخدم بتحميمه وإزالة الأوساخ عنه ، وإحراق الملابس التي يلبسها ، ولم تم ذلك قدم له أفضل الطعام، ولما طلب الخمر اعتذروا له عن ذلك وأعلموه أن السيد الكبير لا يحب وجودها في القصر، ولما أصر على ذلك أخذه أحد الخدم إلى إحدى الخمارات ، فشرب حتى ارتوى ، وعاد به للقصر وألقاه في الغرفة التي أعدت له ، وأوصى الخدم على رعايته ومراقبته.

وفي الصباح التالي كان عرفان ناصر يتحدث مع المحامي حميد الذي لبى الدعوة سريعا ، وقال للسيد عرفان : إن جواز السفر سيكون بين يديه مساء هذا النهار ، وحضر عدد من الأطباء وقاموا بالكشف على السيد شاهر ، وأجروا اللازم ، وطلبوا منه عمل بعض التحاليل المخبرية والصور

الإشعاعية ، وبعضهم اقترح إدخاله المستشفى بضعة أيام ، فطلب منهم عرفان علاج سريع لأنه سيسافر به إلى فنزويلا قريبا ، وهناك سيتم فعل كل ما يلزم من علاج ودواء ، ولما اكتمل الأسبوع لوجود عرفان في القصر استعد للعودة لبلاده فنزويلا فعاد ، ولما حل بتلك الديار اتصل بسيرجي مدير أحد المستشفيات الخاصة وصديق عرفان منذ كان موظفا في إحدى شركات رومانوس ، واهتم سيرجي بالشاب والضيف شاهر وأدخله المستشفى لعمل الصور الشعاعية والتحاليل المخبرية ، وكذلك فحوصات البنوة والشيفرات الوراثية والبصمة الوراثية، وفصائل الدم والجينات ، وهذه الإجراءات تحتاج إلى أسابيع حتى تظهر نتائجها ، وكان الشاب شاهر مستسلما للأمر ؛ كأنه طفل صغير ، وكان عرفان خلال هذه الإجراءات والجينات التي أخذت منه أيضا على توتر شديد وقلق مؤلم ، ولا ينام إلا على حبات الدواء المنومة ، وكان لا يرى أنه سيكون سعيدا لو ثبتت أي صلة بينه وبين هذا الرجل الضعيف الهزيل ، ولما مضت المدة اللازمة أخبر الدكتور سيرجي عرفان أن النتائج والعينات يجب أن ترحل إلى الولايات المتحدة ؛ فإن الأجهزة المتوفرة هنا لا تساعد على إعطاء نتائج دقيقة ، فطلب عرفان من السيد سيرجي أن يسافر بنفسه إلى بلاد الغرب الأمريكي حيث الأدوات الأكثر دقة ، فسافر سيرجي على الفور، وبعد أشهر عاد بالنتائج المطلوبة ، وكان خلاصتها ونتيجتها أن هذا الرجل منه، فالصفات الوراثية متشابهة.

وأخذ الدكتور سيرجي يتحدث بكلام علمي فقال : أحدث النجاح المهم الذي حققه العالم الإنجليزي ألك جيفري عام ١٩٨٥ م ثورة في العلوم الجنائية ، حيث بين أن كل إنسان ينفرد بسمات جينية خاصة به لا تتكرر إلا عند التوائم المتطابقة وأطلق مسمى البصمة الوراثية على جزء من الحمض النووي ال دي إن ايه (DNA) ، فاعلم أيها الصديق أن الحمض النووي في الخلية الواحدة يتكون من سلسلة من القواعد النيتروجينية ، ويبلغ عددها حوالي ٣٣ بليون زوج ، وقد تبين أن حوالي ٩٩،٥ ٪ من الأحماض الوراثية تكون متشابهة في جميع الأشخاص، وهذا ما يجعل الناس متشابهين من حيث عدد الأرجل والأيدي والعيون والأحشاء وما إلى ذلك وأما ٥ ,٠ ٪ الباقية فهي مختلفة من شخص إلى آخر ، والتي تمثل الاختلافات الطفيفة بين الأشخاص ، مثل اختلاف شكل الأنف والعين ولون الشعر وما إلى ذلك ، وهذا التباين أيها الصديق في أجزاء الأحماض النووية هو الذي يستخدم في تحليل البصمة الوراثية للتفريق بين الأشخاص كبصمات اليد ، ويوجد نوعان من

التباين أو الاختلافات التي تقوم عليها البصمة الوراثية ، النوع الأول هو اختلاف عدد تكرار سلسلة مـعينة من الحمض النووي ، والنوع الآخر فهو اختلاف تسلسل القواعد النيتروجينية ، وأيضا يا صديقي لقد تطورت طرق تحليل البصمة بشكل سريع ، وأصبح بالإمكان تعيين بصمة الجينات من الدماء في مسرح الحادث لا تتعدى حجم رأس الدبوس أو بقايا نسيج بشري من الجلد تحت الأظفار أو الشعر.. ففي الولايات المتحدة الأمريكية تبلغ عدد قضايا إثبات البنوة حوالي ٢٠٠٠٠٠ حالة سنويا ، و٣٠٪ من الحالات يكون الأب غير معروف ، فقد لعبت تقنية البصمة الوراثية دورا مهما في حل قضية تحديد الأب المجهول ، فهناك طرق تعتمد عليها تقنيات الأحماض النووية في إثبات البنوة ، فقبل ظهور فحص الـ DNA فكان يعتد بالطرق التقليدية ، مثل فحص البروتينات والأنزيمات ويمكن من خلالها استبعاد الأب في بعض الحالات إلا أنها لا تعطي درجات من الجزم القوي لإثبات البنوة ، ومن الثوابت العلمية أن نصف المادة الوراثية من الأب (الحيوان المنوي) والنصف الآخر من الأم (البويضة) أو ما يسمى الكروموسمات، إذن الخلية المخصبة تتكون من مزيج من المادة الوراثية DNA ، فمعظم قضايا إثبات البنوة تكون في الواقع إثبات الأبوة ، فالأم غالبا ما تكون معروفة ، يتم أخذ عينة دم الأب والأم والطفل .. المقصود الأب المشتبه به ، فيتم تحديد الصفات المشتركة بين الطفل والأم حيث يرث الطفل نصف الصفات من أمه ، ومن ثم تتم عملية المقارنة بين باقي الصفات التي يحملها الطفل وبين الأب المشتبه به فإذا وجدوا بعض الصفات التي يحملها الطفل غير موجودة عند الأب المشتبه به، فيتم استبعاد الشخص كأب بيولوجي ، أما إذا وجدت صفات مشتركة بين الأب المشتبه به والطفل ، فيتم إجراء حسابات إحصائية معروفة لهذا الغرض.. بمعنى أننا إذا وجدنا أن جميع الصفات الموجودة في الأب موجودة في الابن ، فهذا احتمال كبير أن يكون الابن من هذا الأب.

واعلم أيها الصديق فمن خلال الدراسات الإحصائية وضع الخبراء المختصون في مجال إثبات البنوة قواعد أساسية لإثبات الأبوة ، فعندما يصل معدل إثبات البنوة إلى ٩٩٪ فهو مؤشر قوي جدا بأنه الأب الحقيقي ، أما إذا كانت الصفات الوراثية ٩٥ ٪ فتلك تعني ٥ ٪ فقط أن يكون المتهم ليس هو الأب الحقيقي ، ونتيجة لذلك وضع أهل الاختصاص جدول إثبات الأبوة ، فقالوا أقل من ٨٠ ٪ درجة لا يستفاد منها في إثبات الأبوة ، ومن ٨٠ ٪ إلى ٨٩,٩ ٪ احتمال وارد ، ومن ٩٠ إلى

٩, ٩٤ ٪ يرجح أنهما من بعضهما ، وقالوا من ٩٥ إلى ٩, ٩٨٪ يرجح بدرجة قوية ، ومن ٩٩ إلى ٧, ٩٩٪ يرجح بدرجة قوية جدا ، ومن ٨, ٩٩٪ إلى ٩, ٩٩٪ علميا تم إثبات البنوة ، ونحن في حالتنا كانت النتيجة ٩, ٩٩ ٪ ؛ فإذن من ناحية بيولوجية فالسيد شاهر ابن لك .. ويبقى إثبات ذلك عن طريق المحاكم في بلدكم الأصلي .. وأكد لي كثير من خبراء هذا الفن الذين التقيت بهم أن هذا الرجل والد لهذا الرجل.

رغم الشرح المفصل الذي بينه الدكتور سيرجي فلم يتقبل عرفان النتيجة بسرور ، بل كان الشك يسيطر عليه ، ولكنه استسلم للنتيجة ، وكان يفكر بخطة يزداد بها يقينا من أبوته لشاهر وأخبر أفراد الأسرة بتفاصيل القصة التي شغلته منذ سنة ، وقد تقبل أفراد الأسرة الحقيقة على مضض ، وهم لا يستطيعون رفض الحقيقة والتشكيك في قدرات العلم والتحاليل ، وكان عرفان يعرف صعوبة ذلك على الأولاد ؛ ولكنه لا يستطيع الهرب من الحقيقة أنه ابنه ، فقد كان بإمكانه إعطاء شاهر بعض المال ، وينسى ويتناسى أنه ابنه .. ولكن أين يذهب من ضميره ؟ فإذا كانت مجدية مجرمة فهل يجاريها في الإجرام؟ وله حق عليه كسائر أولاده الآخرين بل هو أصبح مظلوما أمام ما استفادوا منه ومن كفاحه خلال الأربعين سنة الماضية وطلب من الدكتور سيرجي متابعة علاج شاهر ، وقرر تغيير اسمه ليمنح جواز سفر فنزويلي وجنسية أبيه ولكنه يريد قبل ذلك أن يمكر بمطلقته ويعرف مكنونات قلبها ، فطلب من المحامي أن يخبرها أن الفحوصات أثبتت عدم وجود أي صلة بين عرفان وشاهر، وينظر ردة الفعل عندها ، فلما سمعت مجدية بذلك أخذت تشتم الطب والتحاليل المزيفة ، وتقسم على أنه ولدهما إلا إذا كان من الشيطان ، وأخذت تتهم عرفان بالتحايل للتخلص من ولده بحجة الفحوص ، وأخبرها المحامي بعدما هدأت أن السيد عرفان رغم عدم تحقق النتائج الإيجابية سيقوم برعايته والعطف عليه إبراء للذمة ، وخوفا من خطأ الأطباء والخبراء.

ولما سمع عرفان بردة الفعل هذه لزم الصمت والحجرة عدة أيام ، وأخذ يفكر بطريقة يمكر بها بمجدية لتقول الحقيقة من غير أن تشعر .. ففكر بالتنويم المغناطيسي بالخطف والتهديد بالقتل إن لم تعترف وتقر بالمكيدة المدبرة ، كان عرفان يرى أن شاهرا شبيه في صورته بأمه أكثر من أبيه فلم يأخذ من هيئته الخارجية شيئا ، فقد صمم أن لا يخرج من الغرفة قبل أن يصل لنهاية لهذه القصة أو الصدمة.

شراء جوهرة

وبعد تفكير عميق وطويل وصل عرفان إلى فكرة



وتتلخص هذه الفكرة بأن تتصل امرأة ذكية بمجدية ، وأن تستدرجها لفتح مكنونات وأسرار قلبها ، ويلزم أن تكون هذه المرأة صديقة لمجدية ، فعاد للاتصال بالمحامي حميد في الثعبانية وشرح له الفكرة الجديدة والهدف منها ، فاتصل المحامي بدوره بمكتب التحقيقات الخاصة ، والتقى بمديره السيد حمزات عاليوه ، وطرح عليه فكرة وخطة السيد عرفان ، وافق المدير عليها من حيث المبدأ ، وعرض على المحامي خطة أخرى تتلخص أن تتقرب امرأة من طرفهم بالسيدة مجدية على أن تظهر في حياتها صدفة وفجأة ، وتُكون معها صداقة فقال المحامي : افعل ما بدأ لك .. نحن نريد أن نتأكد بقوة وجزم من صدق معلومات هذه المرأة عن حملها من السيد عرفان.. وأن هذا الشاب المدعو شاهر ابن حقيقي له.. شغلتنا هذه المرأة .. وشغلت السيد المحترم عرفان.. فقضية البنوة هذه قصة عجيبة .. فرغم التحاليل فالسيد عرفان ما زال يخامره الشك والظن في نتائجها.

وضعت مجدية تحت مراقبة رجال مكتب التحقيق الخاص ، فعرفوا الأماكن التي تتردد عليها والأوقات التي تغادر البيت فيها ، ثم قام رجال المكتب باستئجار منزل قريب من بيتها ، ولم تكد تمضي أيام حتى كان المستأجر الجديد وزوجته من أصدقاء العائلة، وأظهر لهم أنه رجل اجتماعي يحب الجلوس والسمر والاحتكاك بالجيران والتـعرف عليهم بسرعة ، ولم يفتحوا معهم خلال الأسبوع الأول من التـعارف شيئا عن قضية عرفان ، وأخذت الزوجة المزعومة عندما يغادر زوجها للوظيفة التي يعمل بها تتردد على جارتها أم سمر حتى اطمأنت لها.. وذات صباح فاجأتها المرأة وهن يشربن القهوة سوية قائلة : لقد سمعت من بعض الجيران أنك أرسلت ولدك الوحيد إلى أمريكا للعلاج .. ماله ؟ ما به؟

فقالت مجدية ببساطة : آ .. ذهب مع أبيه للعلاج.

فتظاهرت المرأة بالاستغراب وقالت : أليس أبوه ميتا ..ألم تخبريني أن زوجك الأول قد مات منذ زمن؟!

قالت: إن لذلك حكاية ، ولابد أن الجارات المحترمات حدثنك بذلك.

وأخذت تعيب على النساء كثرة ثرثرتهن ونميمتهن فقالت المرأة : الحق والله أني سمعت من بعضهن قصة غريبة .. لم تدخل مخي بعد يا أم سمر ولكني سمعت أيضا منهن أن أباه الحقيقي قد مات ، وأن السيد الأجنبي لا علاقة له به ..فلا أدري ما هو الصحيح يا أم سمر؟

فغضبت مجدية من جاراتها وصاحت : إنهن

كاذبات ماكرات.
وقصت عليها قصة حياتها وزواجها من عرفان الفنزويلي وسفرها إلى أمريكا ، ثم طلاقها والقصة المعروفة الآن للقارئ الكريم ، فلما انتهت من حديثها قالت المرأة : أنت صادقة! ولماذا تكذبين بعد أن وصلت لهذه السن من العمر ؟ .. وهي قصة عجيبة وهل اعترف أبوه بهذه الحقيقة يا أم سمر ؟
فقال مجدبة بحزن : للأسف لم يعترف بعد بذلك ، ولم يصدقني ، ويعتقد أنني محتالة أدبر مكيدة لنيل ثروته .. ولكن الظروف والأحوال هي التي دفعتني للتظاهر بعدم الحمل .. كان لابد من ذلك في تلك الأيام الخوالي ، وإلا خسرت الزواج ممن عشق القلب .. ولولا موافقة جاسم زوجي وحبيبي لما تم زواجنا ولنكشف أمر الجنين ، وشاء القدر أن نسمع بموت عرفان فظل السر حبيس صدورنا .. ولكن لما ظهر عرفان زوجي الأول.. كان لابد أن يعرف الحقيقة .. الابن يعرف أباه ، والأب يتـعرف على ابنه .. هذه خطيئة كبيرة يا أم حسن ويجب تصحيحها والرجوع إلى الحق فضيلة كما نسمع .. وشاهر ولد مسكين ضائع.
فتظاهرت المرأة بأنها سمعت القصة فقالت : والله أنا لما سمعت القصة من أم ربيع لم أصدق يا أم سمر.. وظننت بصراحة أنها حيلة منك لتحصلي على قرشين حلال من السيد عرفان ، لما سمعت بظهوره وغناه .. لا تؤاخذيني على هذا الظن .. فكيف يوافق رجل على إعطاء اسمه لولد يعرف أنه ليس من صلبه ؟ بل ابن من أخذ منه حبيبته!
فقالت مجدية بضيق : أعرف أن الأمر صعب ، وصعب تصديقه ؛ ولكنه حصل ، ويومذاك يا أم حسن لو حدثت أهلي بالحمل لخشيت أن يعيدوني إلى السيد الفاضل عرفان .. وأنا التي أجبرته ورغبته بطلاقي والانفكاك عني .. وكان الحمل يومها في أول أيامه فلم أشعر به.. ووافق جاسم على الدور المطلوب منه ؛ لأنه لو رفض إعطاء الجنين اسمه ، قد لا يظفر بالزواج مني .. وقتل الجنين لم أستطع الإقدام عليه .. كانت الأمور معقدة .. أنا أريده وهو يريدني .. ورفضنا أن نجعل الحمل عقبة أمام حبنا وعشقنا الكبير ..هذا ما كنا نفكر به فقط فأهلي كانوا يكرهونه ويعتبرونه سبب تخريب حياتي الزوجية لـمَ اشتهر عنا من حب وغرام
فقالت أم حسن : هذه هي القصة إذن يا أم سمر.
فقالت أم سمر : آ .. والله هذه الحقيقة يا أم حسن .. وهؤلاء الجارات حاسدات لي ولولدي شاهر الضعيف المسكين .. فهن يفترين عليّ الكذب .. ويدعين أنني أمكر بالسيد عرفان .. وأنني استـغل أمر عودته بعد كل هذه السنين ، واستـغل موت زوجي جاسم فاخترعت هذه الحكاية .. وولدي

أبله فأستطيع أن أحتال به على هذا الرجل الطيب .. والله هذه الأفكار ما خطرت ببالي .. ولست طامعة بثروة زوجي السابق .. فالحمد لله الحياة مستورة .. وهذا البيت ملك لزوجي الحالي.. وبيتي القديم كان ملكا لي ولزوجي جاسم.. وتركته لولدي المسكين .. ولولا الحلال والحرام ما تفوهت لأحد بالحقيقة.

فقالت أم حسن : لابد أنك صادقة .. وهل ابنك سافر إلى هناك للعلاج فحسب ؟

فقالت مجدية التي تحب الثرثرة : لا .. ذهب للعلاج والتـعرف على إخوته أيضا، وقيل إنهم هناك يستطيعون عمل بعض الفحوصات الخاصة لإثبات البنوة والنسب بينه وبين أبيه .. وله قريب من السنة عندهم.

فعادت أم حسن تسأل : ما أخباره ؟ لليوم يعمل التحاليل هل اتصل بك وأخبرك بنتائج التحاليل والمختبرات ؟

فقالت : شاهر مسكين .. منذ سافر لم أعرف عنه شيئا ، وقد زرت قصر جبل الأعمدة .. قصر والده ، وتكلمت مع مدير القصر فطمأنني على صحته .. وأنهم قد يعودون قريبا .. وها أنا أنتظر النتائج مع أن المحامي الخاص للسيد عرفان تحدث معي وأخبرني أن التحاليل لم تحسم الأمر والله أعلم يا أم حسن.

فقالت المدعوة أم حسن: إن شاء الله ستكون النتيجة كما تحبين وترغبين.. وتثبت البنوة بينهم ويرتاح بالك وتطمئنين على سعادة ابنك شاهر.

فقالت مجدية : إن شاء الله فشاهر ولد بحاجة لأهل وإخوة ومال.

فقالت أم حسن وهي تنهض : سيتحقق رجاؤك وحلمك تجاه ولدك.

وغادرت أم حسن بيت جارتها أم سمر ..وكانت قد قامت بتسجيل الحوار على جهاز تسجيل صغير ، واستطاع رجال المكتب إقناع إحدى صديقات مجدية بمبلغ مغرٍ بالنسبة لها من إغواء مجدية بالحديث عن قصة شاهر ، وقامت الصديقة بإثارة الموضوع مع مجدية ، واتهمتها بالكذب والخداع ، فثارت الأخيرة وغضبت وأقسمت أنها صادقة وأنها بعد طلاقها اكتشفت الحمل ، وذلك بعد رجوعها لوطنها، ونقلت هذه المعلومات وشريط الكاسيت الذي سجلته أم حسن إلى السيد عرفان، فاستسلم للأمر الواقع في النهاية ، وأخذ ينظر لشاهر على أنه ولده وشرع يفكر بالإجراءات اللازمة لتحويله إلى ابن شرعي ، وبعد تدبر وتفكير مع سكرتيره الخاص ارباس ، والطبيب سيرجي صديق العمر ، اتفقوا على أن يسافر عرفان في الوقت المناسب إلى وطنه السابق ، وأمام إحدى المحاكم المناسبة تقر وتعترف مجدية بجريمتها ،

وإخفائها أمر الحمل وأن هذا المولود كان من زوجها الأول ، وتقدم كذلك تقارير وتحاليل المختبرات للمحكمة ، وعلى أثر ذلك نقل عرفان هذه الأفكار إلى المحامي الصديق منذ سنوات حميد عز الدين ، وطلب منه عدم الحديث بذلك مع السيدة مجدية ريثما يحضر .

اعترفت الأسرة كلها بالابن الجديد ، وإن وافق بعضهم على هذا الدخيل على مضض ومجاملة لوالدهم ، وبدأ عرفان بتأهيل ابنه الجديد للحياة الجديدة ، وقد كان الدكتور سيرجي يتابع علاجه الصحي والبدني والنفسي ، وأخذ بعض المدرسين بتعليمه اللغة الإسبانية اللغة الرسمية للبلاد ، ولم يفلح بالتقدم فيها شيئا يذكر ، فصرف عرفان النظر في ذلك ورسم في مخيلته أنه سيقوم بالعناية به في بلده ، وسينـزله في القصر مؤقتا ريثما يبني له بيتا أو يشتري له بيتا وذلك بعد أن تتم وتكمل إجراءات الاعتراف به ، وسوف يزوجه فتاة من بلده ، ويجعل له راتبا شهريا وعملا هادئا ، ثم خاطب محاميه عز الدين ، وكلفه بشراء منزل مناسب لزوجين حديثين وحول رصيدا باسم ولده يزيد عن مائة ألف دولار على أحد بنوك الثعبانية ولم يبق في نظر عرفان إلا إجراءات إعادة الاسم لابنه وحذف اسم جاسم ووضع اسمه مكانه في البطاقات والوثائق الشخصية ، وبينما السيد عرفان يستعد لهذه الخطوة الكبيرة والدقيقة في حياته اتصل به أحد الأصدقاء وكبار رجال الأعمال يخبره عن ظهور جوهرة في الأسواق العالمية ، جوهرة وزنها ١٠٠ غم ومن أصل آسيوي ، وهي معروضة للبيع في اليابان الآسيوية ويقال إنها كانت في ثروة أحد الأثرياء هناك ويريد ورثته بيعها ، ولما التقى الصديقان حدثه الصديق ماريو سبانتي أن ثمنها كبير ، فمطلوب فيها ما يعادل ثلاثة ملايين دولار ، فلذلك تردد كثيرون من رجال الأعمال والمال وعشاق المجوهرات في شرائها ، فقال عرفان بعدما سمع حديثها ، وهو من الرجال الذين يعشقون الجواهر والأحجار الكريمة النادرة : أين هي معروضة الآن ؟

فقال ماريو : أين هي الآن أو مع من لا أحد يدري ؟ إنما ظهرت لها صور في المجلات وبعض محطات التلفزة وذكر عنوان ورقم هاتف فلما تم الاتصال بالرقم تبين أنه محامي ووكيل ملاكها

فقال عرفان : كيف سنراها ؟! ونتأكد منها وأنها جوهرة حقيقية ؟

فقال ماريو : إذا رغبت بها سأرتب لك الأمر.

فقال : أنت تعرف شغفي بالجواهر النادرة ، وإن كان السعر مرتفع سندبر الأمر .. نعم أريد مقابلة هذا الوكيل.

فوعده السيد ماريو بتدبير الأمر ، ثم انصرف ماريو

، وبعد أيام تكلم ماريو مع السيد عرفان فقال: لقد اتصلت بالوكيل في ماليزيا ، وبعد عدة اتصالات قال لي : حدد مكان اللقاء وزمانه .. فقلت له : أن ذلك يحتاج إلى سرية خاصة ، وسأتحدث معك ثانية .. وجئت اتفق معك فما تقول يا سيد عرفان ؟

سكت عرفان بضع دقائق ثم قال : ننزل الشرق الأوسط في الثعبانية حيث قصر جبل الأعمدة

قصري الجميل يا ماريو.. احجز له في فندق (الوردة البيضاء) لمدة أسبوع من مايو القادم ، وبعدما يصل الفندق عليه أن يتـصل بالقصر ، فأعطيه رقم هاتف القصر، وهناك أرتب معه مكان العرض والساعة ، وأنا سأتفق مع خبير المجوهرات روسي بارك .. وإذا أحببت السفر معنا يا ماريو.

فقال ماريو: لديّ أعمال تشغلني عن هذه الرحلة .. عندما تعود ظافرا بالجوهرة أكيد ستسمح لي برؤيتها .. سأتصل به ، وأرسل له عنوان الفندق كما تحب .. ووقت الرحيل بطريقتي الخاصة

فقال عرفان : سأتحدث مع السكرتير ارباس ليرتب الحجز هناك.. وأرتب نزولي هناك أيضا.. فلي حاجة مهمة أخرى بزيارة وطني الأول يا ماريو .. اكتب له وأحذر أن تعلم العصابات بهذا التحرك.. فأنا مريض ولست بحاجة لمعارك خطيرة.

فقال ماريو: اطمئن سأكتب له.. وإن تلقيت الموافقة سأخبرك لتستعد للسفر؛ فإن مايو قريب

تم حجز جناح بفندق (الوردة البيضاء) ذي النجوم الخمسة لمدة أسبوع ، وهو الأسبوع الثاني من مايو ١٩٩٤ م ، وقد وافق وكيل صاحب الجوهرة على هذا اللقاء والعرض ، ولما اقترب شهر مايو ركب الطائرة الخاصة عرفان وبعض أبنائه الابن سليم وابنته عبير ـ هؤلاء من صغار أولاده ـ وطبيبه الخاص وسكرتيره ارباس وممرضته الخاصة جوانا باربكير وخادمه الخاص لويس وسائقه وثلاثة رجال أمن أشداء سوى حارسه المعتاد ، وخبير المجوهرات روسي باركر ومساعده دافيد ، وبصحبتهم الابن الجديد لعرفان الابن شاهر وكابتن الطائرة الخاصة ومساعده ، فكل هؤلاء رافقوا عرفان في رحلته إلى بلاده الأولى ، وفي الأول من مايو هبطوا المدينة ، واستقروا في قصر جبل الأعمدة ، ولما استراحوا من تعب الرحلة اتصل عرفان بأخته أمينة ، ثم استقبلها وأولادها ، وعرف ولديه على عمتهم وأولاد عمتهم ، ثم استقبل مجدية التي عانقت ولدها ، وارتاحت نفسها لما لاحظت تحسن صحته ، وطلب منها السيد عرفان الاستعداد للاعتراف أمام مجلس القضاة بأن شاهرا هو ابن للسيد عرفان، وليس ابنا للسيد جاسم سرور بزة ، وعليها أن تستعد للقسم على ذلك .

الجريمة

الجواهر تتخذ من أصناف كثيرة من الألماس

والياقوت والزمرد والعقيق واللؤلؤ والفيروز والكوارتز والاوبال والسفير ، فهذه الجواهر تسمى أحجارا كريمة؛ لأنها نادرة وثمينة ، والجوهرة التي يحاول السيد عرفان امتلاكها هي ماسة كبيرة تزن (٢٠) قيراطا تقريبا ، ويقال أن القيراط يعادل خمس غرامات ، والألماس يأتي بعد الياقوت بالسعر لندرته، فيباع نوع من الياقوت القيراط بمبلغ ٢٠٠٠٠٠ دولار، بينما يباع قيراط الألماس الأبيض المتـصدع بخمس هذا المبلغ .. ويعتمد سعر الماس على الحجم ، واللون ، ودرجة النقاء ، وطريقة الصقل لألماسة، فكلما زاد وزن الحجر زاد سعره .. وربما تكون هناك جواهر ألماسية نادرة فتباع لقيمتها التاريخية وأفضل الألماس وأثمنه الأبيض المائل للزرقة ، ثم الأبيض النقي، فالأبيض المصفر ، فالأخضر الداكن ، فالوردي ، ثم الأزرق ، ثم الأحمر.. والألماس أصلب من الحديد.. وأشهر الألماسات في التاريخ ألماسة كوهينور أو جبل النور بالفارسية ، وهي أقدم ألماسات العالم، وقد عثر عليها في مدينة جولكندا القديمة في الهند عام ١٣٠٤م ، وكانت تزن آنذاك ١٨٦ قيراطا ، وأصبحت من مقتنيات (راجا الملاو)، ثم وقعت في يد السلطان بابر أول إمبراطور مغولي، ثم وصلت لنادر شاه الإمبراطور الأفغاني، وبعد اغتياله سنة ١٧٤٧م ، انتقلت لابنه، وقد تعرض ابنه (شاه شوها) لتعذيب شديد ، وفقد بصره قبل أن يتخلى عن ألماسة كوهينور، وبعدما تنقلت الالماسة بين أيدي كثيرة ، عثر عليها ضابطان بريطانيان في لاهور عاصمة البنجاب عام ١٨٤٩م وقدمت هدية للملكة فكتوريا فقطت إلى جوهرة وزنها ١٠٨,٩٣ قيراطا ، ثم انتقلت لابنتها الملكة الكسندرا ، وفي عام ١٩١١م ارتدت الملكة ماري تاجا يشع منه بريق الكوهينور ، ثم انتـقلت للملكة اليزابيت زوجة الملك جورج السادس ، ويعرف هذا التاج الآن بتاج الملكة الأم.



روايات اجتماعية

أيتام الحداد ٧

ذهب برهان يوم الخميس عصرا حسب الموعد المضروب بينه وبين حازم إلى نادي السبع بجعات ، وفي إحدى صالات النادي جلس ينتظر ويبحث عن السيد حازم ناصر في المكان المتفق عليه ، ولم يطل الانتظار فبينما هو يراقب الداخلين والخارجين دخل شاب من سنه يتطلع ويتلفت يمينا وشمالا حتى تلاقت الأعين فاقترب منه الشاب وحياه باسما : السيد برهان محمود

قام برهان وسلم على الرجل وقال : نعم .. تفضل يا أخ حازم .

جلس وقال : كيف أنت؟!

ـ تمام وأنت ؟!

ـ بخير.. أنا آسف جدا لهذا الإزعاج .. أكيد الأخت منى انزعجت وتضايقت من ظهوري المفاجئ في حياتها .

ـ أكيد يا أخ حازم .. ولا تنسى أنك تتكلم مع زوجها ، وأنت تجلس مع والد وأب أولادها .

ـ أعرف كل شيء يا سيدي! .. أعرف أنها زوجتك وأن لديك ثلاثة أطفال ، وأنها سعيدة بحياتها الزوجية معك .. الإنسان لا يستطيع أن يتخلى عن ماضيه بسهولة ويهمله !

ـ ماذا تريد منا يا أخ حازم ؟!

ـ ألا تشرب شيئا ؟!

ـ سنشرب .. المهم لماذا اتصلت بمنى ثم بي يا سيد حازم يا محترم ؟!

ـ لا تظن بي سوءا ، وإني أريد أن أخرب البيوت .. ولو كان لدي نية سوء لما سعيت للقائك .. أنا كنت أحب أن أسمع رأي منى في أمر دون علمك.. لا أريد أن يحصل بينكما مشاكل وزعل ولكنها خافت وأبت أن تفتح حوارا بينا .. منى تغيرت!

ـ رأي منى ! أفصح !

ـ اصبر يا أخي .. فمنى شكت لك ، أظن أنها خافت مني ، وظنت أني أريد أن أعيد الماضي .. أتحدث عن الحب الذي كنت أتحدث عنه قديما ، الحب قد مات في أمريكا مع الماريجوانا والكحول .. أنا آسف لهذا الكلام .. فاطمئن يا أخي .. فأنا أعرف أنها زوجتك ، ولكما أبناء ولا أسعى لشقاق بينكما ، فأنت علمت بالاتصال ، وأنا كنت أحاول رؤيتها في يوم افتتاح المصنع أحد مصانع أبي الجديدة .. علمت من عبير علاقتك بالشركة .. فلما لم تحضرا سعيت للاتصال فرفضت التجاوب ، وأنت لما علمت تحدثت مع عبير بعصبية وتهديد.. فاضطررت أنا للحديث معك ، وتم هذا اللقاء بناء على ذلك الاتصال .

كان برهان يسمع ويظن أن الشاب غير واع لما يقول مع أنه لم يشم منه رائحة خمر .. فكان دهشا ويصبر نفسه ويراقب حازما ويترقب ماذا سيقول ؟.. أشعل حازم سيجارة جديدة وقال : سأشرب شيئا .. أتشرب شيئا ؟

ـ قهوة إذا ممكن .

نادى حازم على النادل وطلب منه قهوة لهما ، وعاد ينظر لبرهان وهو شارد البصر ، وتابع الحديث قائلا : اطمئن أنا لا أفكر بالعودة لمنى إذا تبادر لذهنكما شيء من ذلك القبيل .. ولا تظن أنني سأترجاك لتطلقها ، فهذا غير منطقي وغير سليم يا أخ برهان وصعب .. فالأسرة التي أنا منها ما زالت تكره منى .. بل يبغضونني لليوم بسبب هذا الزواج .

احتار برهان بعقل هذا الرجل ، وأحضرت القهوة

فرشف رشفة وقال : ولماذا اتصلت بها إذن؟! إذا لا يوجد عندك مثل هذه الخواطر الرديئة !

ـ الرديئة !.. المشكلة يا سيد برهان كما قلت قبل دقائق إنني كنت أرغب أن يكون الموضوع بيني وبينها .. هو لا يخصك ولكن الأخت عبير طلبت مني أن أتحدث معك مباشرة قائلة منى القديمة التي تعرفها يا حازم ليست منى التي تزوجت برهان .. فاتصلت بك بعد تفكير وتردد وقلق خاشيا أن تسيء فهمي وقصدي

يكاد الصبر أن يفقده برهان فقال : يا رجل ادخل على المشكلة التي تريد أن تتحدث عنها .. ها نحن تقابلنا لنرى ونسمع .

ـ جيد! .. لابد أن منى ربيع زوجتك اليوم ، وزوجتي سابقا حدثتك عن ماضيها وكيف تزوجنا وكيف تطلقنا ؟

قال برهان بضجر وضيق : نعم ، أعرف كل شيء .. وأنك كنت مغرما بها وضحيت برضا أهلك من أجل الزواج منها .. أعرف كل هذا .

ـ لا تتعصب يا عزيزي.. المهم أنك تعرف ، جيد هذا .. ولابد أنك تعرف أيضا أن والدي ناصرا حاربنا بعد الزواج مباشرة وطردنا من العمل في شركاته .

ـ أعرف هذا أيضا .. وإنكم قمتم بفتح مصنع مواد غذائية ، وإنه فشل بعد زمن يسير .

ـ جيد .. جيد .. أنا أريد الوصول لهذا المصنع التعيس .. المصنع يا حبيبي هو المشكلة ، وكنت أريد الحديث مع السيدة الفاضلة منى ربيع من أجل المصنع .. كنت أريد أن أسمع كلامها من دون علمك حتى لا أسبب لها مشاكل ومعاناة معك .

ضجر برهان وقال بغضب مكتوم : ما هي المشكلة يا سيد حازم ؟!

ـ المشكلة .. هي مشكلة .. سأقول ما هي المشكلة ؟

ـ لا تتردد إذا كانت هناك مشكلة سأساعدك قل ما هي المشكلة ؟!

ـ جيد .. لما أنشأنا هذا المصنع ـ يا أخ برهان ـ احتاج لمال لاستئجار المبنى ، ومال لشراء سيارات توزيع .. مال للعمال والفنيين .. مال لشراء الماكينات .. مال لدفع الأجور .. مال لشراء المواد الخام .. وأنا ومنى لم نكن نملك المال الكافي لمشروع طموح .. فبعد تفكير كامل أخذنا بعض القروض من مؤسسات مالية .. وتم إنشاء شركة بيني وبين منى ، وسجلت رسميا واستأجرنا أرضا صناعية ، وتم تركيب مباني جاهزة عليها وقيام عنابر فوقها .. وتم شراء الماكينات بالتقسيط ، وكل ذلك بالقروض التي حصلنا عليها.. واشترينا أربعة سيارات للنقل والتوزيع وبالتقسيط أيضا ..وكانت القروض والمشتريات تزيد عن مائة ألف

يا صاحبي ، منها قروض نقدية حوالي خمسين ألف .. خلال أربعة وخمسة شهور بدأ العمل والإنتاج ؛ لأن ماكينات العمل اشتريناها من السوق المحلي .. وهذا الإنتاج مطلوب منه كما تعلم ولأنك تشتغل بالمحاسبة والتدقيق مطلوب منه أن يغطي تسديد القروض البنكية وأقساط الشركات الأخرى ، الشركات التي أخذنا منها السيارات والماكينات ومواد التصنيع وأجور العمال والمهندسين .. وبعد حين تبين لنا ضعف التسويق للمنافسات الأخرى في السوق ، ولكثرة الصيانة في ماكينات المصنع فقد صار عندنا عجز في التسديد ، وبعد سنة فشل المصنع فشلا ذريعا ، ولم نغطِ الديون فأحبطنا إحباطا كبيرا .. ترك العمال والمهندسون المصنع المنهار لتأخرنا المتكرر في صرف رواتبهم .. شركات توريد مواد التصنيع امتنعت عن التوريد إلينا .. بعنا بقايا المصنع .. آلات المصنع أصبحت مستعملة وبيعت بهذه الصفة .. سيارات المصنع أصبحت مستعملة.. أرض أعيدت لأصحابها .. المهم بقي لشركة السيارات حوالي عشرة آلاف من ثمن السيارات .. وشركة استيراد الماكينات حوالي عشرين ألف .. سددنا باقي حساب القروض البنكية من تصفية المصنع .. أمام هذا الواقع المرير هربت إلى أمريكا آملا بالعمل والنجاح في بلاد الدولار.. كانت كل القروض والمشتريات باسمي الشخصي وحدي يا برهان .. اتفقت مع هؤلاء الدائنين أن تدفع لهم منى الأقساط حتى أرتب أمري في أمريكا ..وهناك وبسرعة تعلقت بالمخدرات ، فلم أتمكن من العمل ، ودبت بي الهموم والأسقام .. اتصل ابن عمي الذي ساعدني بالوصول إلى هناك بأهلي لأني دخلت المستشفيات كذا مرة .. أهلي طالبوني بتطليق زوجتي لإعادتي إلى حضن العائلة ، لم يكن أمامي إلا الاستسلام لهم ، فحصل الطلاق هناك حسب طلبهم ، وقام محامي والدي بالاتصال بمنى وجرت إجراءات الطلاق المعروفة .. وأحضرت إلى هنا وتمت معالجتي في أحد مراكز علاج الإدمان مع أنني لم أدمن بعد .. وأنا في فترة الأحداث والهروب نسيت قروض السيارات الأربعة والماكينات .. ومنى التي اشتغلت وتعهدت بالسداد حتى أدبر أمري ، فبعد الطلاق لم تسدد أي دفعة ، ولم تهتم ولم تشعرني بذلك ، وأنا لم انتبه لذلك مع تسارع الفشل والحياة عندي يا سيدي المحترم .. وبعد حين اتصلت بي هذه الشركات .. ولم علموا بإدخالي مركز المعالجة تريثوا إلى حين ، وطلبت منهم عبير أن يصبروا حتى أتعافى.. فصبروا على أمل تحصيل حقهم وأموالهم .. ولما تعافيت من تعاطي المخدر وخف تعلقي بها .. رتبت الأمور معهم وبالمبلغ البسيط الذي يهبه لي والدي آخر كل شهر أسدد هذا وهذا .. ثم

زوجوني بقريبة لنا .. وأمضيت سنوات وأنا جليس البيت والملهى إذا سمح لي بالخروج .. ثم علمت بزواج منى من بعض الرفاق .

ـ لم نصل للمشكلة بعد ؟

ـ اقتربنا يا سيدي .. لشح ما أحصل عليه من أبي لم أعد أسدد كثيرا من الديون المكتوبة عليّ لهذه الشركات .. ورفض والدي مساعدتي أكثر من مرة ، وكذلك أمي وعبير وكل إخوتي .. وحتى زوجتي وأهلها .. الكل يقول لي من ورطك في الديون والمصانع فليسدد عنك .. أمام هذا المنطلق كنت أدفع شهرا لهذا وشهرا آخر لذاك .. وبعد تفكير وضغط اقتنعت يا سيدي أنه يجب على منى أن تساعدني في تسديد الديون لأننا شركاء وهي تعرف هذا .. فأنا حاولت أن أتحمل تسديد الدين وحدي .. ولكنني ضعيف وعاجز .. فهذه المشكلة التي دعتني أحاول اللقاء بمنى ربيع .. يا أخ برهان .. علينا ديون قديمة ونحن اشتركنا في الحصول عليها ، فلا يجب أن أتحملها وحدي ، وهي التي دفعتني لهذه المغامرة الكبيرة .. وهذا سبب محاولتي الاتصال بها دون علمك وبعد هذه السنوات الخمس أنا لم أسدد لليوم إلا خمسة آلاف دينار ، والباقي مبلغ كبير يزيد على العشرين ألف .. جزء منه لشركات بيع السيارات وجزء آخر لشركة بيع الماكينات الصناعية .. فهم يقولون منى شريكتي في الشركة فعليها أن تساعدك في تحمل هذا الدين ! .. أنا يا سيدي لو كنت أملك هذا المال لدفعته ، ولم تسمعا صوتي أنت ولا منى .. فنحن مستعدون ـ قصدي أهلي ـ لخسارة مليون على طاولة القمار ولا ندفع فلسا لآخر ولو إحسانا .. ماذا يا سيدي أفعل؟! أنا لا أعمل منذ عدت من أمريكا .. أنا مريض منهك البدن .. جلسات علاج طبيعي مستمرة .. مراجعات للطبيب النفسي كل شهر .. راتب ضئيل صدقة من الوالد لا تستغرب ما أقول !.. أنا بزواجي من منى غصبا عنهم وهم يعادونني ؛ كأنني ارتكبت جريمة كبرى .. لا أدري لما يكرهوننا لهذه الدرجة .. يرون أنها هي التي دمرتني وعلمتني تعاطي الأفيون والحشيشة وحب الهلوسة .. وحتى الخمر التي تملأ بيوتهم.. هذه هي المشكلة يا سيد برهان .. علينا أموال وعلينا تسديدها.. فقل لمنى إن هذا سبب محاولة الحديث معها أو اللقاء بها .. لا سبب غيره .. كنت أحب سماع رأيها وقولها دون أن تعرف أنت .. لنتصرف .. ولكنها تحسب لك ألف حساب وتخاف أن أثير في نفسك الشك فهربت من الإجابة .

فكر برهان تفكيرا عميقا وهو يسمع المشكلة ، وقد أدركها عقله واستوعبها، ثم قال: أخ حازم حذرها مطلوب .. والحل بسيط أنا سأزور هذه الشركات التي اشتريت منها الماكينات والسيارات

وأنظر كما دفعتم وكم بقي .. المهم أن البنوك حساباتها مغلقة .

ـ البنوك حسب علمي أن حساباتها قد سكرناها من المبيعات الأولى ، ثم من تصفية أموال الشركة.. ومن حقك أن تتأكد من ديون الشركات ، وأنا في خدمتك .. وحاول أن تساعدنا في حل المشكلة ، فكما أنا عليّ دين فعلى منى مثله .. فنحن شركاء يا سيد برهان .

ـ لا أنكر أنكم شركاء في الدين .. دع المشكلة عندي.. سأعرف مقدار الدين بالضبط أنت عليك النصف وعلى منى النصف .. أليس كذلك ؟

ـ نعم يا سيدي الشركة باسمينا ، المتبقي يزيد على العشرين ألف .. وأنا سددت خلال هذه السنوات ما يقارب الخمسة آلاف دينار .. وكانت منى قد سددت بعض الدين عند سفري لأمريكا.. ولما حصل الطلاق لم تعد تدفع شيئا .. سأعطيك عناوين الشركات وأسماءها التجارية وانظر في دفاترهم .

ـ أعطني فقط أسماءها ، فكثير من الشركات أعرف عناوينها ومقراتها ومواقعها .. سنتعاون معك في حل المشكلة مشكلة هذه الديون يا أخ حازم .. وهذا من حقك أيضا ..

ـ صدق أتيت إليك وكلي خوف وحرج .. وأنت لا ذنب لك في هذه الديون .. وستقول أصحاب الملايين يعجزون عن تسديد مبلغ بسيط تافه .

ـ لا حرج عليك يا صاحبي .. وهم لا دخل لهم في تسديد ديون قديمة .. ولو فعلوا لكان كرما منهم .. ستحل المشكلة بمشيئة الله .. إن شاء الله أنت مرتاح في حياتك الزوجية ؟!

ـ حياتي الزوجية !

ـ نعم .

ـ أنا حي ميت يا أخ برهان .. أنا مثل الدابة أو قطة عند أمي .. آكل وأشرب وأنام .. أنا زوجوني بعد تحسن صحتي من ابنة أخت أمي ابنة خالتي ويا ليتني لم أتزوج .. إنهم بعدما عالجوني من تورطي في المخدرات زوجوني سريعا حتى أنسى امرأتي المطلقة حتى لا أفكر في يوم من الأيام بالاتصال بها والعودة إليها ، هذا قبل أن تتزوجك .. خافوا أن أعود إليها .. زوجوني بهذه الفتاة التي كانت أبغض امرأة عندي في هذه الدنيا .. نحن نعرف بعض بحكم القرابة .. المهم يا سيدي أني رجل بغير إرادة .. مسلوب الإرادة عليل .. زوجوني وسكنت مع أمي وزوجها .. تخرج هي للعمل ، وأظل أنا الرجل في البيت حتى تعود في المساء .. نخرج لزيارة أمها .. أختها وأحيانا كثيرة تذهب وحدها.. إنها فقط شريكة في غرفة النوم وأحيانا كثيرة أهجر هذه الغرفة وأنام في زاوية من زوايا البيت الواسع .. ولدت لي ولدا سميته جلالا أو قل هي سمته .. من

جلال لا أدري قد يكون اسم صديق لها ، وقد يكون اسم عشيق لها .. لا أدري .. لم أحبه .. لا أدري لماذا ؟ وقبل أيام ولدت لي المولود الثالث وسميناه ناصرا .. تريد أن تنافق لأبي ؛ ولكنها ولدته عند أمها .. فلها شهور أو قل منذ حملت وهي تعيش عند أمها .. طبيب داخل وطبيب خارج ..المهم أنا اسمي زوج .

وصمت لحظات يتأمل فيها برهان وعاد يقول : أكيد أنت سعيد جدا مع منى .. فهي امرأة نشيطة ومخلصة !

ـ الحمد لله رب العالمين .. سأهتم بمشكلتك يا أخ حازم واعتبرني صديقا لك .. وستكف الشركات عن مراسلتك والاتصال بك .. ولكن قل لي .

ـ ماذا أقول ؟!

ـ قل لي .. هل تملك ما تسدد به حصتك من الدين ؟

ـ ليس لدي رصيد .. رصيدي صفر مكعب ..أنا يصرف لي خمسمائة دينار آخر كل شهر يا أخ برهان .. لا تكفيني خمرا وسيجارا .. جلسة واحدة في مطعم تكلف خمسين دينارا أو تزيد

ـ ألا تلعب القمار ؟!

ضحك حازم وقال : هذه المشكلة الكبرى يا صاحبي .. القمار مرض أشد من الخمر .. القمار تعلمتها منذ المراهقة .. وما الذي ساعد في تدميري إلا القمار!

ـ أكانت منى تلعب القمار عندما كنتم تديرون المصنع ؟

ـ لا أدري .. صدق أنني لا أعلم .. أنا ألعب القمار وأمارسها ولكن ليس باستمرار وشراهة قماري هي مبالغ بسيطة .

ـ أتمارسها اليوم ؟

ـ عندما تسنح لي فرصة للالتقاء بالأصحاب .

ـ نعود للدين ، كيف ستسدد حصتك من الدين يا صاحبي ؟!

ـ سأسدد كما أسدد اليوم .. أدفع شهرا وشهرا آخر لا أدفع .

ـ لأ ، يا حازم نحن نريد أن نخلص من هذا الدين حتى لا يعد لديك حجة للاتصال بمنى .

ـ صح معك حق ! .. تحدث مع عبير فهي تتدعي أنكما أصدقاء قدامى !

ـ صديق أيام الجامعة فقط يا حازم .. درسنا في كلية واحدة .. وأخذنا بعض المواد الدراسية معا .. وهي كانت تسبقني بسنتين .

ـ تكلم معها .. تسلفني حصتي وتخصمها من راتبي .. فهي التي تعطيني الراتب ؛ لأنني كنت ضمن كادر الشركة التي تديرها .. فهم يعتبرون أنني ما زلت أحد موظفي الشركة !

ـ جيد ! .. سأتفاهم وأتفق مع عبير إن شاء الله ..

فلما أعرف المبلغ المتبقي عليكما عند إغلاق المصنع وتصفيته سأتصرف.. لو أنكم بعتم المصنع نفسه بماكيناته وسيارته وخسارته لإدارة جديدة ربما هم تحملوا الدين .

قال : لم يتيسر يومذاك مشتر يا سيدي الفاضل .. وكان الوضع النفسي لنا سيئا والفشل والإحباط كانا قد دمرانا .. ومعاداة أبي كانت أهم أسباب الفشل الذريع لنا.

ـ حسنا يا حازم سأدقق الحسابات القديمة، وأنظر كم دفعت منى قبل أن تطلق وتكف عن الدفع ؟ وكم دفعت أنت خلال هذه السنوات وبعد الطلاق .. وأرتب الأمور مع عبير ومعك فإذا دفعت عنك عبير انتهى الموضوع بيننا وبينكم .. وإذا لم توافق عبير على إسلافك المبلغ لتغطية دينك وحصتك .. سأضطر أن أذهب بك للشركتين وأدفع أمامك حصة ونصيب منى لكل منهما ، وأنت تسدد ما عليك كما تشاء ، ولا دخل لمنى في دينك الباقي يا سيد حازم .

ـ افعل ما تراه مناسبا .. ولنبق أصدقاء يا أخ برهان .. أنت رجل عملي وفهمان .. وأنا حقيقة كنت قلقا من اللقاء بك ومترددا أقول لنفسي ما دخلك في دين قديم على امرأة لم تكن زوجتك أيام إنشاء الدين ؟

ـ أنا وزوجتي اليوم شيء واحد .. وهي مسؤولة الآن مني.. وهذا حق ودين عليكما معا .. نحن لا نرض بأكل الحرام .. وشكرا على ثنائك لشخصي .. ولكن صداقتنا لا تنفع يا أخي فأنت من بيئة وأنا من بيئة .

ـ مضبوط يا سيدي ، ولولا أن تفهمني خطأ لقلت إنني أتمنى أن أكون لك صديقا دائما ، لكن عدني واسمح لي أن أتحدث معك كلما احتاج لمساعدة منك .

ـ افعل يا حازم أنا تحت أمرك .. كلما تواجه مشكلة وتحتاج لمشورة اتصل بي .. وإذا تحب أن أتحدث مع والدك من أجل أن يساعدك في تسديد الدين عن حصتك فأنا مستعد .

ـ لا .. لا .. تكلم مع عبير ، وإذا لم توافق فالحل الثاني مقبول عندي .

ـ والآن سأدعوك للغداء معي يا حازم .. ولولا الحساسية التي قد تسببها لنا يا سيد حازم لاتخذتك صديقا وقبلت صداقتك .. أنت إنسان مسكين .. بس تعلقك بعادات قبيحة من شرب خمر وقمار وتدخين يضعفك ويضعف إرادتك ، وما تراه من علة وهوان هو بسبب ذلك فلو أنك تبتعد رويدا رويدا عن هذه الرذائل ستتحسن صحتك ويصحو عقلك وتصبح رجلا بمعنى الكلمة .

ـ فكرت بذلك ونصحني بعض المخلصين .. ولكن لا حياة لي إلا بالخمر والدخان .. ألا تسكر

منى زوجتك ؟! .. على علمي أنها تعلمت ذلك .

ـ الحمد لله لقد تابت عن كل ذلك ، تابت عن الخمر والتبغ والعري.. بل تركت الخمر قبل عقد القران

ـ تحسد على ذلك ، لقد تخلصت من هذه السموم .. الحمد لله منى إنسانة عظيمة .. أخ برهان أنا أزداد بك إعجابا .. بل صبرك عليّ كل هذا الوقت زاد من اعترافي بشهامتك وتحملك .. ألم تتزوج قبل زواجك منى ربيع ؟!

ـ هي أول امرأة تدخل قلبي .

تنهد الشاب العليل بعمق وقال : ليتنا كنا نعرفك أيام زواجنا يا برهان ؛ ربما وقفت بجانبنا .

ـ لا تأسف على ما فات .. الحياة أمامك يا أخي .. من المهم أن تتوب وتترك هذه الأشياء القبيحة التي تهلكك وتدمرك ، وابدأ من جديد بعزم وقوة وستتغير وتتحسن صحتك وإرادتك

ـ ولكنهم يفعلون مثلي يا برهان ومع ذلك هم أقوياء وأثرياء وأشداء .

ـ الناس قدراتهم متفاوتة ، وأنت تعودت أن تعتمد على غيرك .. فلما حاولت أن تعتمد على نفسك لم تنجح ولم تفلح .. لضعف القدرة التفكيرية عندك وتعودت أن توجه من قبل غيرك

ـ كانت معي زوجتك !!

ـ صحيح يا حازم ، ولكن منى كانت موظفة مكتب! ..لا تدري ما السوق وما المصنع ؟ ..

وكانت مغامرة كبيرة منكما في ظروف نفسية حادة وشرسة .. وربما الأشخاص الذين استشرتموهم لم يكونوا ذوي خبرة كافية .. ولا يعني كلامي أن كل من يسكر لا يدير شركة وفاشل .. فكل هؤلاء الأجانب يسكرون ويملكون ويديرون شركات ضخمة .. فأحيانا الذكاء والمستشارون عندهم ذو فهم في الإدارة والنجاح .. وهناك عباقرة في الذكاء ولكنهم فاشلون في جمع المال .. فأنا أطلب منك ذلك شخصيا لأنك ضعيف الإرادة والتفكير، وذكاؤك مع الاحترام اللازم يا أخ حازم ضعيف كذلك .. فالاعتماد على الآخرين في إدارة حياة الفرد يضعف التفكير ويصبح مجرد متلقيا ومنفذا للأوامر والتوجيهات ..

ـ لا يسعني أيها الأخ إلا أن أشكرك وأنتظر تدبيرك ونهض الرجلان إلى حيث المطعم في نادي السبع بجعات ، وعلى إحدى موائد الطعام تناولا وجبة طعام على نفقة برهان الذي أصر على الدفع رغم محاولة حازم أن يدفع ، ولما انتهيا من الطعام كباقي البشر قال برهان : سأنصرف الآن .. وتحدث معي واذكر لي أسماء الشركات يا أخ حازم .

ـ أعرف أسماءها .

وذكر أسماءها لبرهان الذي دونها على قصاصة ورقية وعرف موقعها ، وتصافح الرجلان ثانية واتجه كل منهم حيث تقف سيارته .

وهكذا افترق زوجيّ منى ربيع الأول والثاني بعدما التقيا ، وصل برهان البيت بعد العصر وقبل الغروب بساعة ، فقد طال اللقاء بمن كان زوجا لامرأته التي كانت تنتظر عودته على جمر ، فما كادت تراه يدخل مسلما حتى ازداد اضطرابها وهي لا تدري كيف تفسر هذا التوتر ولما خلع الجاكيت قالت : تكلم !!

ضحك من توتر أعصابها وقال : بماذا أتكلم ؟! اطمئني لا شيء مما تحدثنا به .. فهو إنسان مسكين ، وما زال يعاني من زواجه بك .

ـ يعاني ! لم أفهم !

ـ سأفهمك بكل شيء . قال: هل تغديت ؟!

ـ نعم ، مع زوجك السابق .

ـ مع زوجي السابق ؟!

ـ أليس هو زوجك السابق وشريكك السابق في المصنع ؟

ـ برهان ! .. تكلم لترتاح أعصابي .

ـ فلترتاح يا سيدتي .. هناك مشكلة قديمة من أيام الشركة .

ـ مشكلة قديمة من أيام المصنع لم أفهم ؟!

ـ حسنا ، سأفهمك ولكن بعد إحضار كوب من الشاي المعروف لك .

احتجت وقالت: هذا وقته يا سيدي العزيز! تلعب بي! تكلم قبل أن تشرب الشاي .. لنشربه معا .

ـ جائز !

جميلة في المستشفى

نهضت منى لصنع الشاي بعد أن طمأنها برهان ، وقبل أن يشرع برهان بالحديث مفصلا عن مقابلته لحازم رن جرس الهاتف في البيت ، وكان المتصل مالك شقيق منى وبعدما استمع لكلام مالك قال : نحن قادمون .

وضعت منى صينية الشاي على منضدة وتسألت برأسها فقال : الحاجة جميلة ما زالت مريضة

ـ تحدثت معها ظهرا وطمأنتني .. هل حدث شيء؟!

ـ لا أعلم ..المهم أن مالكا يريدنا.. وقال إن الطبيب المعالج خرج من عندهم قبل قليل .

قام برهان فارتدى الجاكيت وجلس يشرب الشاي وهو يقول: جهزي نفسك للخروج وجهزي الأولاد .. أو دعيهم عند أمي أو أختي .. ثم الحقي بي عند السيارة سأشرب الشاي وأنزل .

ـ إنني خائفة على أمي يا برهان!

ـ مم؟! .. هو إذا دخل الطبيب على أمك ستخافين .. ما هو كل يوم يدخل .. الكل يمرض يا عزيزتي

انصرفت منى لتلبس ثياب الخروج ، وتجهز الأولاد وتخيرهم إما مرافقتهم عند جدتهم المريضة جميلة ، وإما بقاؤهم عند جدتهم السليمة ، شرب برهان الشاي وخرج يجهز السيارة .

وبعد عشر دقائق أو ربع ساعة كانت منى تجلس بجواره وهما ينطلقان نحو حي برقوقة ، وفي الطريق فصل لها برهان لقاءه بحازم ، فتذكرت منى ذلك الدين، واعترفت بوجوده وأنها نسيته وأهملته بعدما أتتها ورقة الطلاق ، وقالت : أنا لما طلقت نسيت أمر هذا الدين .. ولم يخطر ببالي لليوم ، والآن عندما سمعته منك تذكرته .. وعبير لم تشر إليه كما حدثتني عندما عاتبتها .

ـ هي أكيد تعرف بالمشكلة وتركت الأمر لحازم .

ـ لو أنها ذكرت شيئا لذهبت كل الظنون التي خيمت على عقلي وقلبي .. وماذا ستفعل؟!

ـ سأدبر الأمر، ووضعت الحل بين يدي حازم .. ولما نطمئن على الحاجة جميلة ـ إن شاء الله تعالى ـ نحل مشكلتنا الخاصة ، وهي محلولة بمشيئة الله تعالى .

ـ جزاك الله كل خير أيها الأمير .. لولاك لكنت ...

ـ لا داعي للولاك .. فنحن شيء واحد ، ودينك هو ديني ، وجزاك الله أنت خيرا .. ألم تأتيني بثلاثة أولاد والرابع على الطريق .. ؟

ـ المبلغ كبير!

ـ سعادتنا أهم من المبلغ .. وأنت عاملة عندنا ولا تأخذين راتبا لليوم بل جعلته من الأرباح ..لا تنزعجي ولا تتألمي أحسن أتضايق أنا .. فالمال خلق لقضاء الحاجات وحل المشاكل .

ووصلوا لحي برقوقة ودخلت السيارة الشارع الضيق الذي وصفناه في أول القصة ، فوجدوا سيارة سعد الدين أيضا أمام البيت ، فركن السيارة بجوارها وهبطا منها واتجها إلى بيت المعلم خليل ، فتلقاهم مالك باسما ومعتذرا عن الإزعاج ، ولما دخلوا على الحاجة المسجاة على سريرها حيوها ، وتقدمت منها منى وقبلت يدها ، وكان خليل يجلس على كرسي قريبا من رأسها ، ولما رأى برهان نهض مصافحا ومعانقا له ، ثم سلم برهان على أم زوجته داعيا لها بالعافية والصحة ورافعا من روحها المعنوية ، ثم بعدما صافح سعد الدين ، وحيا حنين جلس على كرسي قدمه له المعلم خليل الذي عاد يجلس بالقرب من رأس جميلة التي كانت تهمس بصوت ضعيف تعتذر عن إزعاجها لهم ، وهم يجاملونها ويدعون لها بالخير والسلامة ، ثم خرجوا يجلسون في صالة البيت ، ولما هدأ المكان قال برهان مخاطبا مالكا وسعد الدين : ما دام الدكتور قال ادخلوها المستشفى فلتفعل يا مالك وأنت يا عم خليل

قال مالك: إنها ترفض ، وترى أنها وعكة عابرة .. أمي تنسى السن والضعف البشري، وتقول إنها ستذهب في الصباح للمستشفى ، وتأخذ الصور والتحاليل الطبية المطلوبة وتعود ، لا تريد المبيت بأي مستشفى .. والطبيب يرى أنها تحتاج لإدخال

الليلة للمتابعة تحت الأجهزة فالقلب ضرباته غير منتظمة .. ويضيق النفس عندها كثيرا .. حاول يا برهان ! فقد حاول سعد وحنين منذ دخلا إقناعها بالذهاب وتهز رأسها بالنفي .. ونحن ما زلنا في المساء وعلى وشك دخول الليل حاول يا برهان !

قالت منى وقد خرجت من عند أمها من لحظات فقال برهان : آ يا منى .. كيف عمتي ؟!

ـ لا تتكلم .. بعدما خرجتم لزمت الصمت ، وتحرك شفتيها فقط ، وتفتح عينها وتغمضها ، وحنين تقول إن الطبيب طلب إدخالها المستشفى وهي ترفض .

التفت برهان لخليل أحمد وقال : يا أبا أحمد ما رأيك أنت؟!

ـ أنا ؟!

ـ طبعا أنت!

ـ أنا يا ابن أخي لا مانع عندي ، فصحتها غالية عليّ ، كما هي غالية على مالك والبنات وعليكم كلكم .. أتشكون في ذلك؟

ضحك برهان وقال: أيشك أحدنا؟! فكلنا يعرف ما تعني لك العمة جميلة .. ولكن لو أنك أنت ترجيتها أن تفعل ستطيعك .. فلك معزة عندها يا أبا أحمد .

ـ لقد فعلت قبل أن تأتي ولكنها خائفة .

ـ أنت زوجها لو ضغطت عليها بكلامك ستفعل..

أتقصدون مستشفى معينا ؟

قال مالك: الطبيب عسيب محمد يعمل في مستشفى (الإيمان) وهو الطبيب الذي تراجعه أمي منذ سنوات إلا إذا كان عندك مستشفى آخر .

ـ أنا سأتحدث معي أخي عبد القادر ، وأسأله عن أفضل مستشفى لمتابعة مشاكل القلب والتنفس .

قال خليل : تكلمه قبل موافقة جميلة .

ضحك برهان وقال : يا عم خليل ! موافقة جميلة قصدي عمتي جميلة عليك أنت .. صح يا سعد ؟!

قال سعد : هذا أقل شيء يقوم به العم أبو أحمد البركة .

قال خليل مستسلما : أمري إلى الله سأحاول مرة أخرى .. عسى أن توافق عندما أنقل لها قرار أولادها وأنسابها .. تعالي أنت يا منى فلنحاول وها هي حنين عندها

فقام برهان وهو يقول : وأنا ذاهب للحديث مع الدكتور عبد القادر .

فقال مالك : أين ستذهب ؟. التلفون موجود هنا .

ـ أنا عارف أنه موجود هنا سأذهب إليه .

اقترب برهان من جهاز الهاتف المركون في إحدى زاوية الحجرة ، واتصل بأخيه الطبيب عبد القادر ، وحدثه بضع دقائق ، ووضع سماعة الهاتف والتفت لمالك وسعد الدين قائلا : يقول أخي عبد القادر إن المستشفى (الإيمان) لا بأس به مقبول وفيه أجهزة

حديثة .. قوموا ندخل على العمة لنرى هل يقنع أبو أحمد حرمه بالدخول للمستشفى بضعة أيام ؟! .

لما دخلوا وجدوا الجميع صامتين وبعد السلام قال برهان : مالكم صامتون ؟! .. هل فشل العم أبو أحمد بإقناع زوجته الفاضلة أن تهتم بصحتها وعافيتها وتدخل المستشفى بضعة أيام لمراقبة قلبها الحنون ؟

قالت حنين وهي تمسح دمعة خرجت من بين رموشها : للأسف يا أبا خليل أمي مصرة على البقاء في البيت ، وأن وضعها لا يحتاج لمستشفى .. لا تريد أن تفهم أن القصة هي إجراءات وقائية ومراقبة لمشاكل في القلب بضع ساعات تحت أجهزة عناية دقيقة .. حاول يا برهان !

فرفع برهان من صوته قائلا لتسمع عمته : أخشى أن تكسفني عمتي الطيبة فدعوها على راحتها أو لننقل المستشفى للبيت .

فتحت جميلة عينيها المسبلتين من الإرهاق أو النعس وغممت ببضع كلمات تبين فيها أن برهان لا يكسف ولا يرد طلبه ، ففرحوا بذلك الكلام فهتف سعد الدين: ما دام يا خالتي الطيبة أن البرهان هذا لا يكسف ولا يفشل .. ولا يرد فقومي البسي ولنذهب بك للمستشفى حتى نطمئن عليك ، ويطمئن مالك وأم خليل وأم سعدي .. وأولنا الحاج أبو أحمد .. فنحن سنبقى في قلق وسهر ، وهناك بعد مراقبة ضربات القلب وعضلة القلب فهم أهل الاختصاص سيقررون أن تباتي أو لا تباتي .. فنحن نريد أن نطمئن عليك يا أم ربيع كيف سنعود لبيوتنا وننام؟ ونحن لم نطمئن على صحتك الغالية يا أغلى حماة في العالم .. وأنت تعرفين خوف الأبناء والبنات .. فعندما نعود للبيت ستبقى حنين على خوف وقلق اتصل يا سعد اتصل يا برهان .. وتقول أمي أمي .. سأقوم وأتصل .. آ يا مالك آ يا عمي خليل كيف الحاجة ؟!..سنقضي الليل في إزعاج لكم وسيظل التلفون يرن طول الليل .

قال برهان : والله يا عمتي بعد كلام أبي زكي لم يبق لك حجة .. وهو كلام منطقي يا أم ربيع وإذا اتصلنا بربيع سيضطر لأخذ إجازة .. أنت كنت ترين كم كان يوصينا عليك كلما أراد السفر.. هيا يا عمة يا بركة .

أمام إلحاح الأسرة استسلمت الحجة جميلة لرغبة الجميع ، فدمعت عينيها من التأثر بكلامهم ومشاعرهم ، وركبت سيارة مالك بعدما جهزت للخروج ، وأغلقوا الدار وانطلقوا للمستشفى ، وبعدما تحدث مالك مع الطبيب عسيب الذي قال لهم: سأتحدث مع الإدارة وأنا قادم .

قاموا بإجراء اللازم مع هيئة الاستقبال من تقديم المعلومات الأولية للسيدة جميلة ، ولما وصل الدكتور عسيب المشرف على متابعتها ، قام هو

وزملاؤه بإجراء المناسب وتركيب الأجهزة اللازمة .. وجلس الأخوة في قاعة قريبة من الغرفة التي ادخلوا جميلة إليها ، وكان القوم يتحدثون ويهمسون ويلهجون لها بالشفاء ، وبعد زمن خرج لهم الدكتور المختص عسيب وطمأنهم ، وطلب منهم توديع أمهم والعودة لبيوتهم ، ففعلوا وشجعوا الأم على الصبر، ولما خرجوا من الحجرة قال برهان لخليل: ما دام يا أبا أحمد أن الحاجة جميلة البركة سترقد هنا للصباح ما رأيك أن تذهب معي أنا ومنى للمبيت معنا الليلة وتحل علينا ضيفا ؟.. وأنت يا مالك ما تقول ؟

فقال سعد الدين : واحد عندك وواحد عندنا .

فقال مالك : لا أستطيع أيها الأحبة.. فعندي قضايا وملفات في البيت تحتاج لمراجعة .. أما يمكنني بعد اتفاقكم أن أذهب للعشاء عند أحدكم .. أو نتعشى عندك يا سعد ، ويذهب العم خليل مع برهان .. فالعم خليل لن يعرف الليلة النوم .. ولسوف ندعه يزعج برهان ومنى الليلة

لأنه كل وقت سيقول يا برهان يا منى اتصلوا في جميلة .. اتصل يا برهان في حماتك .

تبسم الجميع لمداعبة مالك وقال خليل : والله صحيح يا ولد ! .. عشرة عمر يا بني .. اقتراح مالك جيد ما رأيك يا أبا خليل ؟ .. خلينا نرى العم خليل .

ضحك الجميع فهم يعرفون حب خليل لسميه ابن برهان ومنى خليل الصغير كما يقولون عنه فقال أبو خليل : وماذا ستفعل منى بالطعام الذي صنعته اليوم ولم نأكل منه بعد؟!

قالت حنين : ألم تتغذيا منه ؟! آه يا منى ألم تغذي زوجك اليوم ؟!

ردت منى ضاحكة قائلة : اليوم قد تغذى البطل مع من كان زوجي السابق حازم ناصر!

دهش القوم للخبر وقال مالك : حازم ناصر .. ما الأمر يا برهان ؟!

وقال برهان وكأنه عاتب على منى : نعم .. نعم ، اليوم التقيت به في موضوع .. فأنتم تعلمون أن عملنا المحاسبي يدفعنا للتعامل مع كثير من الشركات والمصانع والمحلات والمتاجر .. ولنا علاقات عامة مع أشخاص .. وحازم ابن صاحب كثير من هذه الشركات ، فالتقينا به في نادي السبع بجعات وقسم الله لنا أن نأكل معا .

فقال مالك : مع حازم زوج منى السابق ؟!

قالت منى : نعم يا مالك مع السيد حازم شخصيا .

تبسمت حنين وقالت : هناك شيء يا أبا خليل ؟!

قال سعد الدين : طال وقوفنا .. تكلم يا برهان .

تكلم برهان بالموضوع صراحة، وكان يتكلم والقوم ينظرون لمنى ، وختم قائلا: هو ليس سرا إنما كنت أريد أن أحل الإشكال أنا ومنى ؛ ولكنها

يبدو أنها تريد نشره للعائلة .

فقال خليل : وماذا ستفعل يا أبا خليل ؟!

ـ اتفقت معه على الحل .. سأذهب يا عمي إلى أصحاب الشركات الدائنين وأعرف مقدار الدين كاملا ، وما دفع منه من قبل منى وحازم ؛ لأنه قبل طلاقهما سددت جزءا منه ، وهو بعدما رجع سدد جزءا آخر خلال هذه السنوات .. وسنرى كم حصة منى من هذا الدين وندفعها إن شاء الله .. والأخ حازم يسدد حصته ونغلق هذا الملف إلى الأبد إن شاء الله .

فقال سعد : لقد ذكرت أنه لا يملك شيئا .. فكيف سيغطي نصيبه ؟!

فأجاب برهان : هو يأخذ راتبا شهريا مقداره كما يقول نصف ألف من أخته عبير مديرة الشركة التي كانت تعمل بها منى عندما تعرفت عليه ، ولكنه يبذرها على لهوه وعبثه .. وسأتفق مع عبير أخته أن تدفعها عنه مرة واحدة لتغلق حسابه وتخصمها من راتبه .. وإذا لم توافق سأذهب به للشركة وأدفع حصة منى أمامه والباقي يدفعه هو بطريقته الخاصة .. المهم نحن نبرئ ذمتنا أمام الله .

قالت حنين وهي منفعلة من موقف برهان : أنت إنسان رائع جدا يا برهان ! .. أخلاقك عالية ومرؤتك كبيرة .. لو أن أحدا غيرك ربما تخلى عن امرأته في مثل هكذا ظرف وأزمة .. لأن المبلغ الذي سيدفعه سيزوجه مرة أخرى .. بارك الله فيك .. ونحن وسعد الدين سنساهم في تسديد المبلغ فمنى حبيبتنا .

أثنى الجميع على شهامة برهان بعد كلمات حنين مم أبكى منى وسقطت دموع بعضهم تأثرا ، وشكر برهان حنينا على كلامها في شخصه ، وأبدى امتنانه لهم جميعا على مشاعرهم واقتراحهم وقال : لا تنسوا يا إخوان أن منى تعمل في مكتبنا موظفة وهي شريكة في الأرباح مثلي ، وإن لم يكن لنا راتب محدد كباقي العاملين .

قال مالك مداعبا ومستفزا لمنى : أي شغل لمنى يا أستاذ برهان ؟

ـ إنها موظفة، ولها حق مالي ، وإن كان وقت دوامها قليل للرضاعة والحمل!

فقالت منى : نعم يا أخوة .. أنا أعرف أن هذا عبء جديد ألقيه على سيدي برهان ، ويمكنني أن أرفض الدفع ولو فلسا واحدا ؛ لأن الدين كله مسجل باسم السيد حازم وفي عنقه ، ولكن علمني برهان أن أضع مخافة الله بين عيني ، وأنا كنت شريكة لذلك الرجل في ذلك القرض وإن لم يكن باسمي .. وزوجي الفاضل والله وعد بتسديده قبل أن يحدثني بشيء ويستشيرني والله ما علمت بتصرفه إلا بعد رجوعه من مقابلة الرجل ونحن سائرون إليكم ؛ لأن مالك اتصل ليخبرنا عن تعب أمي في دخول

زوجي الفاضل البيت ، وأنا آسف لكشف الأمر لكم ولكن رأيتها فرصة لتعرفوا بأمر هذا الدين الجديد والذي يضعه برهان في عنقي

فقال برهان : يا ابنة الحلال لا داعي لمثل هذا الكلام ، فنحن شيء واحد وإن كنا جسدين .

فقال مالك : ونحن أهل .. ورضي الله عنك يا أخ برهان .. وقد طال بنا المكث أمام المستشفى

وركبوا سياراتهم منطلقين لبيت سعد الدين ، وعنده تناول الجميع عشاء خفيفا وشربوا الشاي وأكلوا الفاكهة وسهروا لقرب نصف الليل ، وكانت منى أثناء السهرة قد تحدثت مع ممرضات المستشفى تسأل عن أمها فطمأنوها على وضعها ، ولما حان الانصراف قالت منى لبرهان : الآن الأولاد قد ناموا .. وشبعوا نوما .

وخرج مالك وخليل وبرهان ومنى عائدين لبيوتهم ، ولكنهم مروا على المستشفى قبل التوجه إليها ، فقيل لهم أن جميلة نائمة ، فأخذ برهان العم خليلا ضيفا عنده ، وانصرف مالك وحيدا للبيت معتذرا لأخته وصهره

وقضى خليل ليلة في بيت زوج بنت امرأته ، وفي الصباح حمله برهان إلى عمله ، ثم عاد للبيت وأخذ زوجته وانطلق بها إلى مكتب العمل ، ولما جلسوا قليلا قامت منى بالاتصال بالمستشفى ثانية ؛ لأنها اتصلت صباحا مبكرا فقيل لها إنها نائمة بعد أن صلت الفجر، واطمأنت على أمها بالحديث معها ، ولما اطمأنت عاتبها برهان على كشف أمر الدين فقالت : أنا أعلم بما في قلبك من حب لي ولأهلي ، وأفضالك كثيرة والمجهول منها أكثر من المعروف.. وهذا جميل كبير يا برهان .. ولقد عبرت حنين عن امتناني لك ، كان باستطاعتك التجاهل أو التزوج على رأي حنين .. فلا تزعل من ذكر هذا الفضل يا أبا خليل .

ـ أنا كنت سأتحدث مع مالك بذلك ، لأعرف هل يحتاج الموضوع لأجراء قانوني أم لا ؟!

ضحكت وقالت : اختصرت عليك الطريق.

تبسم وقال : الأمر ليس سرا .. ولما تعلم أمك بذلك ستقول لمالك ادفع لا يجب أن يدفع زوج أختك كل المبلغ عيب و .. و .. ومالك كما تعلمين لا يقصر بذلك ، ولكنه مقبل على زواج كما تعلمين قريبا .. فالعمارة قد انتهت بفضل الله ، وبعض المستأجرين سكن ، وبعضهم بدأ يعمل ديكورات محلاته وتجارته .. ولنا عليه مبلغ فسيزداد الضغط عليه .. على كل حال طلبت من خليل ليلة أمس أن لا يتحدثوا بالموضوع أمام أمك يا منى .. وسأتحدث مع مالك بذلك ، وأنت حدثي حنين أن تكتم عنها الأمر هي وسعد وألا يفشو هذا الأمر أمام الناس والحاجة جميلة .

كان جابر زوج صبرية أحمد ووالد عدنان المدرس

المعروف لكم يجلس أمام بيته على رصيف الشارع ، ومعه زوجه صبرية ، وبعض الجيران يجلسون حوله، ويتحدثون عن الحفلة والدعوة التي أقامها مالك لأهل الحي بمناسبة إنهاء أعمال العمارة الكبيرة بالنسبة إليه ، وامتد إنشاؤها ما يقارب خمس سنوات كما يعلم قرائنا الأفاضل .

وكان الحديث يدور عن وفاء أبناء جميلة للحي ، وعن التوفيق الذي يحيون فيه ، وكان الأكثر منهم معجبا بهم وبمالك على الأخص فقال جابر : والله أولاد جميلة صاروا وصاروا !!

فقالت صبرية: هذا وفق من الله ..الله سبحانه لا يضيع الأيتام .. بس ها المالك لو أنه يتزوج كباقي إخوته .. المسكين لليوم عازب !

قالت امرأة جالسة معهم : سمعت أكثر من مرة جميلة أم ربيع تقول إنه سيتزوج بعد انتهاء العمارة .. وها هي العمارة قد انتهت!

وأكد ذلك أكثر من رجل حاضر وأكثر من امرأة وقال أحدهم : بل في العمارة شقة له وشقة لأخيه ربيع .. والله إنهم أولاد حلال وبركة وصاروا كما قال زوجك يا صبرية ! .. وحتى أصهارهم ناس طيبون ، فزوج منى أستاذ فهمان وعارف بكل شيء .. وأخذ الناس يكيلون المدح لبرهان وعائلة برهان وأهل برهان ، ثم لحق سعد الدين وأهله شيئا من ذلك المدح والثناء وما ساعدوا به مالكا من مواد البناء والإسمنت والدهان والمواسير بأنواعها المختلفة

فقالت صبرية: ما هو بفلوس ! صحيح هي دين وبطيء السداد كما سمعت من أخي أبي أحمد وشرق القوم وغربوا في قيل وقال .. فإذا عدنان وزوجته آتيان نحو بيت الوالدين فقالت امرأة : ها هو الأستاذ عدنان قادم يا صبرية ومعه زوجته ابنة أخت جميلة وأولادهم .

اقتربت عائلة عدنان منهم وألقوا عليهم السلام ، وصافح عدنان الرجال وأمه وصافحت زوجته النساء وعمها جابر، ثم قال عدنان: خير يا ناس.. مالكم مجتمعون على باب الدار .. هل من شيء ؟!

ضحكوا كأنهم استغربوا سؤال عدنان ، وقال أحدهم : كنا عائدين من وليمة ودعوة مالك ربيع .. ورأيناك هناك مثلنا .. فوقفنا هنا على باب داركم نتحدث عن هذه الدنيا وعجايبها!

تبسم عدنان وقال مداعبا الجيران: آ .. تتحدثون عن الطعام وحسنه أم العمارة وآل ربيع ؟!

جابر : عن الجميع .. نتحدث عن العز الذي صار لأولاد ساعد ربيع زوج خالتك يا حليمة .. الذي مات ولم يترك لأولاده شيئا يذكر !

فقال عدنان : ترك لهم الله يا أبي! .. الله لا ينسى عبيده وخلقه فهو الذي يرزق الطير والنمل والسمك .. فكيف هذا الإنسان؟!.. الحق أن أولاد

أم ربيع صبروا وتحملوا فظفروا .. وفضل الله يؤتيه من يشاء .. فهم يستحقون كل خير وسعادة ألا تريدون أن تدخلوا البيت يا أمي ؟!

وقبل أن ترد الأم صبرية قالت إحدى النساء : إيش يا أبا رفيق ألا تحب أن تقف معنا ؟!

ـ أبدا يا أم محمد .. فأنتم بركتنا .

فقالت صبرية : تفضل يا ولدي .. تفضلوا يا نسوان !

فقالت امرأة مستفسرة : شكرا يا أم علي ألا تريد أن تبني لك عمارة يا عدنان مثل أقاربك ؟!

تبسم الشاب وقال : إن شاء الله .. بس أنا اشتريت بيتا وهو من دورين .. ألم تسمعي بذلك؟!

ـ أخبرتنا أمك يا عيني !

ـ ها أنا أخبرتك ، وقد أجرت طابقا ، وأعيش أنا والأولاد في طابق ، وهو يا خالتي في شارع (النعسان) غرب برقوقة .. قريب من بيت المختار الأحمدي أبي عز الدين إذا أحببت زيارتنا .

ـ يا ابني ألف مبارك .. والله يوفقك يا ابني .. هل صحيح يا أبا رفيق أن مالكا سيتزوج بعدما أنهى تشطيب العمارة وأجرها ؟!

ـ طبعا يا خالتي .. مالك شاب ناجح بمعنى الكلمة .. وسيفرح أهل برقوقة بجميع شوارعهم ودورهم بزواج مالك ، وسيكون زواجا مهما يتحدثون عنه إلى الممات .



ضحك البعض بصوت عال ، وبعضهم أبدى دهشته فقال جابر : إيش يا عدنان .. هل سيتزوج مالك ربيع ابنة الحاكم والسلطان ؟!

تبسم عدنان ونظر لزوجته وهي ابنة خالة مالك وقال : علمت أن سيتزوج من ابنة نقيب محامين البلد .

هتف أحدهم : ابنة النقيب مرة واحدة ؟!

ضحك عدنان لسذاجة الناس وقال : مرة واحدة .. مالك محامي مثل أبيها .. قريبا ستسمعون مثل هذا الكلام .. فمالك ابن حيكم سيصل إلى فوق .. ربما ترونه في يوم ما وزيرا !

فقال جابر : والله يا عدنان كلامك ثقيل اليوم !

ـ لا تستغرب يا أبي! .. فمالك خلال هذه السنوات شق طريقه بنجاح رغم أنه لم يبلغ الثلاثين من العمر؛ ولكنه نشيط جدا في النقابة والانتخابات ..وهو متواضع للغاية ، كلكم تعرفونه وتعرفون ذلك عنه.. فرغم نشاطه فما زال يسكن في بيت خليل بيت زوج أمه .. ولكن الذي أشرت إليه من التوقع ربما يحدث بعد سنوات عشر .. خمس الله أعلم .. لأنه إذا تزوج ابنة النقيب القانوني الكبير عبد الكريم سيدفعه لرئاسة النقابة في المستقبل ،

فلربما يصبح نائبا للنقيب في السنوات المقبلة ، وبعدها نقيبا ، وهؤلاء كما تعلمون تعرض عليهم الوزارة .

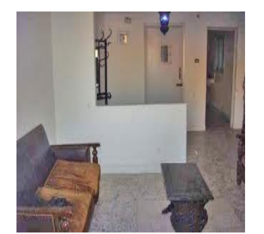
قال أحدهم : والله ممكن ! .. الله على كل شيء قدير

ـ وأيضا الأخ مالك سيجعل له مكتبا في هذه العمارة .. فقد استأجر مكتبا .

فقالت صبرية بدهشة : استأجر! .. أليس هو صاحب العمارة ؟!

ـ هي له يا أمي ولكن أخاه ربيعا شريك له ، ودفع كما دفع مالك .

تمتم بعضهم بأنهم فهموا القصد ، ودفع عدنان باب البيت ودخل وتبعته أمه أم علي ، وبدأ الناس ينفضون من أمام البيت وهم يقولون : والله يا جميلة عرفت أن تربي !.. أيتام المعلم خليل بركات الحداد خليل أبي أحمد .



لم يكد يمضي أسابيع على هذا الكلام الذي تحدث به عدنان أمام بيت والده حتى أعلن في الحي عن خطبة الشاب مالك ربيع على ابنة السيد عبد الكريم نقيب المحامين في المدينة ، وكان مالك قد تعرف على الفتاة قدرا فقد عمل متدربا عند والدها قبل أن يصبح النقيب نقيبا بزمن فأصبح معرفة وصديقا للأستاذ القانوني الكبير في البلد ، ولما تخرج من الكلية الحقوقية عمل في أحد مكاتب الأستاذ عبد الكريم ، فقد كان للرجل عدة مكاتب منتشرة في المدينة الكبيرة وضواحيها ، والمكتب الذي مارس فيه العمل كان يديره ابن النقيب الذي صار نقيبا فيما بعد ، وأصبح صديقا لابنه نضال ، وتصادف أن تعرف على الفتاة أثناء حفل زواج نضال ، وأعجبت الفتاة الطالبة بعد بالشاب ، وظهر لمالك أنها تعرفه أثناء تردده على بيت أبيها مع نضال أيام الكلية ، ووعده نضال خيرا .. وهي كانت تدرس الطب في بريطانيا فهي أنهت الثانوية وسافرت لبريطانيا للدراسة في جامعات بريطانيا لأن أخوالها يعيشون منذ زمن في تلك البلاد .. ولما عادت وجدت الشاب ما زال في انتظارها وكان لديه أمل وكان الأستاذ عبد الكريم محبا لمالك ويرى له مستقبلا مهما في النقابة لنشاطه الفردي الكبير ، ولنشاطه الواضح في الحزب رغم صغر سنه ، ولقوة كتاباته في الصحف والمجلات العامة والحزبية .. فهو شاب نشط متحرك واجتماعي معروف .. ورغم دخوله الحزب مبكرا منذ التحق بكلية القانون فقليل من سكان برقوقة يدركون هذا النشاط الحزبي .. كانوا يرونه إنسانيا مساعدا متعاطفا مشاركا.. ومكافحا ومحبا لهم جميعهم وابن حيهم الوفي ولم يقصر في مساعدة يستطيع

ويقدر عليها ولا يفعلها.. فبعضهم كان يرى أنه جدير بأن يصل لأي مركز في البلد.

المهم لنا أنه بعدما عادت الفتاة الطبيبة من أوروبا وقد حصلت على شهادة كبيرة في الطب وأخذت تستعد للتخصص في أمراض النساء.. وأنهى مالك مشروعه الخاص تم القران المنتظر وسعد أهل الحي بهذا القران ، وسعد خليل وأم ربيع بهذا القران ، وذكره بإخوته الذين عندما تزوجوا من بنات الأكابر نسوا أهليهم وحيهم ، فذا مالك يتزوج من ابنة رجل كبير ومعروف في البلد وما زال ابن برقوقة ويسكن عند زوج أمه ولم يستعر ويخزَ من ذلك ، وظل بيت جميلة وخليل أياما في استقبال المهنئين والمادحين ، وكانت منى تقول لبرهان : والله يا برهان أنت تعرف مالكا أكثر منا !

ـ مالك عندما كنت أجلس معه أسمع منه بعض الهمسات ، وبطريقتي التي عرفت بعضها أجمع هذه المعلومات وأصل لحقيقة ما .. هو قديما تكلم معي عن ابنة النقيب قبل أن يصير نقيبا عندما كانت تتعلم في كلية الطب وكانت طالبة .. وحدثني يومها عن الأمل الكبير لقوة علاقته بأخيها نضال .. وجاءت الأيام ومضت الأيام .. وأحيانا أسأله فجأة عن العروس مازحا فيقول إنها في بريطانيا ثم يفطن للسؤال ويقول الله أعلم ، نحن لم نتفق على شيء هو مجرد وعد منها ومن صديقي نضال .. ولما لم يتحدث عن الزواج خلال هذه السنوات توقعت وحسبت أن الأمل ما زال لديه .

ـ الحقيقة الفتاة رائعة الحسن وأديبة جدا .. رغم أنها طبيبة متخرجة ومن أوروبا ، وهي ابنة النقيب بالنسبة لنا ولو لم تحمل هذه الشهادات .. وأنا رغم ما حدثتني عنه سابقا حول هذا الزواج يا برهان لم أكن أتصور مالكا يفكر بهذا الطموح ، ويصبر هذا الصبر .. كنت أظن أنني أنا الوحيدة في حي برقوقة أو قل أسرة ربيع لديها طموح في العائلة .

ضحك برهان وقال مداعبا : عادت منى لغرورها القديم !

ـ اضحك ومعك حق في أن تضحك .. كان مالك منزعجا مني قديما .

ـ كان مالك منزعجا منك قبل أن يتعرف على النقيب وعلى ابنته!

ـ أيضا كلامك حق!! .. نسيت أنني تزوجت وهو في الكلية بعد .. اعلم يا عزيزي أني سعيدة بذلك .. ولا تظن أنني أحسد أخي وإن كان يحسد ويغبط .. فأنا أحب أهل الطموح !

ـ مالك هادئ وصبور.. هو أثناء تدريبه في مكتب الأستاذ الكبير عبد الكريم وأثناء الدراسة وبعد الجامعة حدثت الصداقة بينهم ، ويومها كان السيد عبد الكريم من كبار المحامين ومن أقطاب الحزب ، وكما فهمت من مالك فيما بعد أن السيد عبد

الكريم يصادق كل من رغب في صداقته شابا كان أم كهلا .. يصادق كل الناس .. ليس مالك خاصة.. وهو رجل شعبي مع أنه قانوني كبير ومعروف في ذاك الوسط .. حصل التعارف بينهم والزمالة في المهنة والنقابة والحزب ، المهم أن الرجل أعجب بأخيك مالك .. ولما أنهى الدراسة شغله في مكتب ابنه نضال ونضال زميل لأخيك في الكلية وهو أقدم من مالك بسنة على ما أذكر .. تعمقت صداقتهما لتوافقهما في كثير من الأفكار .. وكان نضال هذا يحب مالكا جدا ويثق به ثقة كبيرة ، واستطاع دمجه وإدخاله في الحزب فقويت الصداقة أكثر.. وكانت الفتاة هناء تتردد على المكتب للقاء أخيها ، وكانت قد دخلت كلية الطب وتأتي في العطل من بريطانيا.. فتعرفت على مالك في تلك الفترة وتعرف عليها .. احذري أن تتخيلي أن قصة حب وغرام حصلت بينهم .. هو مجرد تعارف عابر .. فمالك شاب متدين منذ صغره كما تعلمين ويعرف نفسه جيدا ، وهي ابنة السيد عبد الكريم الرجل الذي يحترمه ويقدره .. وأخت صديقه نضال .. والفتاة أيضا متدينة وربما أكثر من مالك وتلبس الثوب الإسلامي إذا يحق لنا أن نسمي هذا الاسم .. المهم أن الفتاة أبدت اهتماما بمالك بمعرفة نضال .. ولما تزوج نضال اقتربت المسافة بينهما أكثر وتشجع مالك ساعد ربيع وتحدث مع نضال عن أخته .. فسر الشاب من ذلك ووعده بأن يتحدث معها .. ويوم زفاف نضال حدث لقاء عابر بين الاثنين ووافقت الفتاة على الزواج منه إذا لم يمانع والدها وباقي إخوتها .. وأخبرته أنها تدرس خارج البلد ودراستها طويلة .. فذكر لها ظروفه ومشروعه وأنه سينتظر .. وانتهى الموضوع سنوات وهذا كلام مالك ، وكان أحيانا يسألني : هل تغير رأيها يا برهان بعد عودتها ؟! أنا نضال يطمئنني وأنها تسأله عني وعن أخباري .. وحتى أن بعض أولاد خالها الذين يعيشون في بريطانيا فكروا بالزواج منها فاعتذرت لهم ، وأنها تحب الحياة في بلدها العربي.. كانت الفتاة تريد مالكا .. ولما عادت قبل سنة تقريبا كان مالك يستعد لإنهاء العمارة .. وظهرت الأخبار التي سربتها لكم ، كان مالك قلقا من ناحية أنها ربما لا تريد الزواج منه بعد رجوعها .. فلما شجعه نضال .. وقوت هي بنفسها قلبه صارح والدها بذلك فلم يمانع نهائيا بل أثنى على أخيك ورحب به صهرا له ، ويبدو أن نضالا كان قد مهد له عند والديه .. وهذا نتيجته ظهرت اليوم .

كانت منى تسمع وهي تسرح أحيانا ولما صمت برهان قالت : رغم ثرائهم الواضح يا برهان عندهم تواضع كبير .. فقد تعرفت أثناء الحفلة على بعض أخواتها لأن بعض الأخوات الأخريات متزوجات في بريطانيا ..

ـ ونحن تعرفنا على إخوتها الشباب قبل الحفلة ويوم الحفلة ..

ـ المهم أنني لمست فرقا كبيرا بينهم وبين أهل زوجي القديم ، وقلت شتان بين الثرى والثريا ، مع أنهم أصحاب أموال كثيرة وأصحاب شهادات .. مع أنني كانت لديّ فكرة سيئة عن كل الأغنياء .. تبسم برهان وهو يرد عليها : أنت تعاملت مع طبقة أغنياء غير طبقة هؤلاء الذين تعامل معهم مالك .. ليس كل الأغنياء انسلخوا من جلدهم وتغربوا وتفرنجوا على رأي بعضهم .. فكل شخص له تجارب شخصية خاصة .

ـ عندي سؤال خجلت أن أسأله لها ولمالك! وهو هل ستسكن في حي برقوقة ؟!

ـ بالتأكيد .. أليس لمالك شقة هناك ؟!

كان أكثر سكان حي برقوقة ينظرون لخطبة مالك نظرة إعجاب وتقدير مع أنه زواج كأي زواج والقدر جمع بينهما بين مالك وابنة المحامي الدكتور عبد الكريم ، فحي برقوقة الذي يتردد اسمه كثيرا في سطور هذه القصة لا يذهب بك الظن للوهلة الأولى أنه حي فقراء وعميان وعجزة ، إنما هو حي شعبي أي نهض ابتداء على غير ترتيب وتنظيم إداري مدني ، كان البناء فيه عشوائيا وبدون ترخيص من البلدية والإدارة العامة للعاصمة .

كان كلما قدم فقير من مدن وقرى البلاد المختلفة للعمل في العاصمة أو للعلاج إذا كان مريضا ينصب بيتا أو خيمة في ذلك المكان ، ثم تزايدت العائلات المهاجرة من الأرياف والقرى البعيدة إلى العاصمة ، ولا يستطيعون السكن في الأحياء المنظمة لعجزهم عن دفع الضرائب مقابل الخدمات المقدمة لهم ، فينزلون الحي المذكور ، فكبر الحي وتمدد شيئا فشيئا ، ويبدو أن أول من أقام فيه إنسان اسمه برقوقة أو عائلته تحمل هذا الاسم فاشتهر بذلك ، ولما اهتمت به الدولة والبلدية ظل يحمل هذا الاسم الشائع، ثم دخلت عليه بعد زمن خدمات البنية التحية، ونظمت شوارعه ، وهدمت بعض أبياته لتوسيع وإعادة تنظيم الحي ، فأدخلت عليه خدمات الكهرباء والماء والصرف الصحي والهاتف والبريد ، وتحدثت بنايته وعماراته ، وشوارعه أنيرت بالكهرباء بعدما أنشئت الأعمدة اللازمة ، لقد جرى تطوير الحي ولكنه ظل يحمل اسم الحي الشعبي ، وظلت بعض شوارعه ضيقة إلى حد ما ، وبقيت أكثر عمارته ومبانيه متلاصقة وتخلو من الحدائق الجانبية ، ومع الأيام ورحيل البعض من العائلات توسعت المباني بالنسبة للذي تمكن من شراء بيتين متجاورين فأكثر ، فمالك عندما قام بإنشاء العمارة التي مر ذكرها قد تمكن من شراء بنايتين قديمتين وهدمهما وأقام العمارة مكانها ، وهكذا كان يفعل غيره إذا تمكن من شراء مبنيين

هالكين .. ندخل منزل صبرية زوجة جابر وعندهم عدنان وأولاده وأهله ، وكان جابر يقول مخاطبا عدنان : والله مالك صار وصار يا عدنان ! .. لقد كان في الحفل من رجالات البلد!

قال عدنان باسما لأنه هو الآخر حضر الحفل ورأى ما رآه أبوه : آ .. يا أبي .. حتى زوجته طبيبة في البلد ، وتقول عنها أم رفيق فتاة مؤدبة للغاية ، وتحسن المجاملة ، وكانت فرحة بزواجها من مالك ابن حي برقوقة .. فهي قد درست الطب عند أخوالها في بريطانيا ، وتخصصت في أمراض النساء أو بدأت دراسة هذا التخصص ، ولها أكثر من سنة في البلد وهما يرتبان لهذا الزواج .. فقد كان بينهما معرفة منذ سنوات .

ـ يعني كانوا يحبون بعضهم كما نرى في التمثيليات

ـ ليس بتلك الصورة .. مالك شاب على خلق طيب كما يعلم الجميع .. والفتاة مثله متدينة ولا تخالط الأجانب .. وقد تعرفوا على بعض صدفة ، وعمره طبعا ما جلس معها في خلوة .. لم يلتق بها في منتزه أو مسرح أو سينما .. هذا كلام فارغ بالتأكيد .. هو كان يعمل عند أبيها قبل أن يراها أثناء فترة التدريب المعروف .. وقبل أن يفتح مكتبه الخاص مع بعض الزملاء .. ولما تخرجت الفتاة من الجامعة الطبية تحدث مع أخيها نضال زميله في المحاماة .. وجرى ما يمكن أن نسميه خطبة ووعد ، ولما عادت من لندن حصل النصيب والقدر .. هذه هي القصة لا حب وعذاب وسوالف .. والفتاة ليست دميمة أو جاهلة بل هي متدينة وتلبس الملابس الشرعية الكاملة !

وأخذت صبرية تكيل لها المدح والثناء واللطف ، وتتحدث عن حسنها وتواضعها وحلاوة كلامها وعلى أدب أخلاق أمها وأخواتها ، وتدعو لمالك بالتوفيق وقالت متحسرة : أما أنا إخوتي لما تزوجوا بنات الأكابر لم نعد نعرفهم .. لعنة الله عليهم !

وقال جابر: يا أم علي دعينا من إخوتك وأخواتك .. وما هو الحزب الذي يشتغل فيه مالك ابن جميلة ؟

تطلع عدنان في وجه أبيه وقال : الحزب جماعة يهتمون بالسياسة وأوضاع الحاكم والمحكوم ، ويتجمعون على مبادئ معينة ، ويشكلون هيئة تسمى حزبا .. والكلام واسع في ذلك يا أبي .. أهم شغلهم الاهتمام بالحكم والسياسة .. ومالك لما كان في الجامعة التقى ببعض أفراد الحزب لأنهم ينشطون في الجامعات وبين الطلبة ، فنشط ودخل الحزب ، والحزب لا يعطي راتبا بل الأعضاء يدفعون اشتراكات في الغالب يا أبي .. فبعض الشباب الجامعي يستهويه العمل الحزبي للحركة والنشاط وتحقيق الأحلام والهوايات.. والسيد عبد

الكريم من كبار رجال الحزب وهؤلاء دعاة للحفاظ على النظام الحاكم والبعد عن التبعية للغرب والدول الكبرى فدخل مالك الحزب أيام الجامعة ، وتعرف على هؤلاء الناس وأصبح منهم ، ولما تخرج ساعدته مهنته للبقاء معهم لنشاطهم في النقابات ودفاعهم عن الحريات وحقوق الضعفاء ، والسعي لتحقيق ما نسميه العدالة الاجتماعية لكل رعايا الدولة .. وله مستقبل إن عاش معهم فربما كما قلت سابقا وعشنا أن نرى ابن حارتنا وزيرا .. فعندما تنشأ حكومة حزبية تحكم البلد تزداد فرصة هؤلاء الشباب في الوصول لكرسي الوزارة .. لأنه لما تشكل حكومة حزبية أو من عدة أحزاب يتوزعون المناصب بحسب اتفاقهم .

فتعجب جابر وقال : والله مالك ممكن أن يصل ! .. فهو ذكي وصبور كما عرفنا من قصة زواجه من بنت النقيب .. فهو يعمل بهدوء وأناة .. والله عظيم يا أولاد ! .. الله أنقذهم بعد أن كادت أختهم منى أن توسخ سمعتهم كما تذكرون .

قالت صبرية : إيه منى اليوم سيدة فاضلة وأم لأربعة عيال .. زوجها ابن حلال استطاع أن يعيد تربيتها من جديد .. فهي تصلي وتلبس مثل أختها حنين .. ولم تعد تدخن منذ تزوجت ذاك الشاب المحترم .. لقد التقيت به أكثر من مرة في بيت أخي خليل .. والله شاب بطل ..

أخي خليل لا يحب في الدنيا أحدا سواه .. وهو قد سمى ابنه على اسم أخي خليل .

فقال جابر : فهو صديق خليل الوحيد في الدنيا .. أنا كنت خائفا على خليل لما يكبر أولاد جميلة

فقال عدنان : برهان أخ كريم ، وحتى أهله ناس طيبون كرام .. فإخوته كلهم متعلمون فأخوه الأكبر طبيب ، وأنت تعرفه يا أبي أخذتك مرة إليه

ـ أعرف يا ابني .. الدكتور عبد القادر هو طبيب وإنسان أيضا ، ويحترم كل من يأتيه من طرف برهان وحتى أولاد جميلة ، فيهتم بهم ضيافة وعلاج .

فقال عدنان : وله أخ مهندس فتح مصنعا كبيرا للحديد وصهره ، وحتى خالنا خليل التحق بالعمل معهم فيه .. وأي شاب من الحارة أحب العمل فيه يسهل له برهان الالتحاق بالعمل

فقالت صبرية كأنها تسمع ذلك أول مرة : خليل معقول وسكر المصلحة ؟!

ـ لأ .. المحددة مفتوحة ؛ ولكنه يعمل مراقبا ومشرفا على بعض نشاط وخطوط إنتاج المصنع وعماله .

فقال جابر : آ ..سمعنا بذلك .. بل قال لي إنه ساهم بمبلغ في المصنع .

فتبسم عدنان وقال : نعم هو مبلغ زهيد ، وإنما هو من باب المشاركة والتعاون يا أبي .. فالمصنع كلف عشرات الألوف .. ففيه فرن ضخم لصهر الحديد

وتحويله لعجينة لإعادة سكبه

قالت صبرية : الله يوفق الجميع .. كل إنسان يأخذ نصيبه في هذه الدنيا .. أولاد جميلة قصة نجاح جميلة في الحي .. أنا أذكرها أيام ترملت المسكينة ، كان حالها مؤلما جدا .. فأهلها لم يستطيعوا تقديم اليسير لها ولأطفالها الأربعة .. حتى أفرجها الله عليهم بزواجها من أخي خليل فتحسنت حالهم قليلا قليلا .. ونياتهم صالحة .. يا عدنان يا ابني هذه العروس التي سيتزوجها مالك ستسكن هنا في حي برقوقة كما يشاع ؟

ـ ولماذا يشاع يا أمي ؟!.. هذه الحقيقة .. ألم يخص مالك نفسه بشقة في العمارة التي بناها هو وأخوه .

ـ بنت عائلات كبيرة .. من بنات القصور والفيلات تعيش هنا !

ـ تعيش يا أمي كما نعيش نحن من عشرات السنين.. المهم أن يقنع الزوجان ببعضهما البعض فمالك لا يستطيع في الوقت الحالي أن يعيش بعيدا عن أمه وزوج أمه .. فليس له إلا هذه الأم والزوج الذي كبرهم وعلمهم وصبر حتى اشتد عودهم .

قال جابر: الصحيح أولاد جميلة أبطال وجدعان ويستحقون كل خير .. ويحبون بعضهم بعضا ومتعاونون مع بعض إلى أقصى درجات التعاون ويعملون يدا واحدة .. ويستحقون كل إعجاب وتحية .. فكل أهل الحي من أوله لآخره يحبونهم ويحترمونهم .. كثير من أبناء الحي لما كبروا ووسع الله عليهم كثيرا رحلوا وأخذوا أهليهم ونسوا الحي .. وحتى بعضهم نسوا أهليهم ..فأولاد جميلة ثبتوا على حبهم لهذا الحي وناس الحي رغم خروجهم منه أيام طلاق أخيك لأمهم عندما حدثت تلك الفتنة .. ولكن الله لطف بهم بظهور ذاك الشاب الكريم في حياتهم .

ـ صح .. متى سنذهب لنبارك لهم يا أبي ويا أمي .

قالت صبرية : أنا باركت لجميلة وخليل .

ـ نريد أن نبارك لمالك نفسه .. الناس لا تنتهي من المباركة لأمه ، فكما قال الوالد أهل الحي يحبونهم .. فتقول أم رفيق أن أهل الحي يوميا يمشون لبيت أم ربيع ونحن نريد أن نبارك لمالك نفسه .

قال جابر: وقتما تشاءون يا أبا رفيق .. فالعادات الحسنة يفضل أن تبقى حية بين الناس .

ـ جيد .. سأكلمه بالهاتف .

وطلب من رفيق أن يحضر له هاتف بيت جده من صالة البيت ، فأحضر

الفتى الهاتف من الصالة وغرزه في موضعه داخل الحجرة التي يجلسون فيها واتصل بمكتب مالك فردت عليه موظفة فقال : مالك موجود ؟!

ـ نعم من يريده ؟!

ـ صاحبه عدنان !

ـ لحظات

أخذ مالك الهاتف ورد على عدنان : آ .. يا أبا رفيق !

ـ كيف حالك ؟

ـ بخير يا عدنان .. كيف أنت وعمتي صبرية ووالدك وأم رفيق ؟

ـ الكل بخير .. والكل يسلم عليك .

ـ أي خدمة يا صديقي المحترم ؟!

ـ نحب أن نراك لنبارك لك بمناسبة عقد القران .

ـ بارك الله فيكم .. أهلا وسهلا مساء اليوم بعد صلاة العشاء سأكون في البيت يا أستاذ عدنان وأحلى عدنان .. وأنا في انتظاركم وبارك الله فيكم .



لم يتغير مالك بسبب هذا الزواج الكبير في نظر الآخرين ، واستقبل زوج صبرية أخت المعلم خليل السيد جابرا وبعض أفراد أسرتهم وابنة خالته التي أتت أيضا بصحبتهم استقبلهم في بيت زوج أمه خليل ، ورحب الجميع بهم ، وشربوا الشاي والقهوة وتمتعوا بالطيبات من الفواكه والحلوى التي لم تنقطع من البيت منذ إشهار الخطبة والقران .. وسهر القوم سهرة ممتعة حتى عقب جابر قائلا : ما شاء يا جميلة يا أم ربيع ! صبرت ونلتي .. مالك بطل لم يتغير به شيئا ابنك ابن مبارك

ضحكوا وقال خليل : يا أبا علي مالك يحب أهل برقوقة ، ويحب الحي أكثر مني ، وسيبقى الابن الوفي مهما ارتفع في هذه الدنيا الهالكة ، فكثير من هؤلاء الناس الكبار يعرفهم مالك شخصيا بحكم أنه عضو في هذا الذي يسمونه الحزب .

قال مالك : يا أبا علي الناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فرق بين أسود وأبيض إلا بالتقوى ، وكما تعلمون هذه أقدار يقدرها العلي القدير .. يعني لو التقيت بفتاة أخرى خلال هذه السنوات ربما تزوجتها.. فأنا لم اسعَ للزواج من ابنة مسؤول كبير .. ولو رفضتني عندما التقينا أول مرة لربما تزوجت قديما ؛ ولكنها زرعت عندي أمل ، وتحقق هذا الأمل .. وكل هذا بفضل الله تعالى .. لا هو بشطارتي ولا بقوتي .. والحمد لله على أفضاله التي لا تحصى ولا تدرك ولو سكنت في أي أرض سأبقى ابن الحي والأهل والجيران يا أبا علي يا بركة !

قالت صبرية: هل ستسكن هنا يا مالك بعد الزواج ؟!

ضحك مالك وقال: أكيد يا عمتي أكيد .. أمي هنا وزوج أمي هنا .. فأنا معهم حتى المات وأمد الله بأعمارهم .

فغمغم خليل قائلا : مالك ولد بار بنا يا صبرية .. وأمير!

مالك رد فقال : شكرا لك يا عم! .. أنت بركتنا ولولاك بعد فضل الله لم نكن شيئا .. فالله سخرك لنا .. ونحن مهما فعلنا لك سنبقى مقصرين ، ونحن معا حتى يفرق بيننا ما يفرق بين الأحباب .. سأتزوج في الحي يا أم علي ، وسأسكن في شقتي التي تعرفونها في عمارة الربيع .. ولو رضي العم خليل بالبناء هنا لبنينا طابقين أو حتى ثلاثة لهم واحد ولربيع واحد ولي واحد

فقالت صبرية : ولماذا لا يرضى أبو أحمد ؟!

فقال خليل : هذا عبء كبير على الأولاد .. فالعمارة كلفت يا صبرية .. ويريد أن يكتب البناية إذا بنوها باسمي من أجل أن يأتي أخوتك العاقون خالد ومنير غدا يطلبون ميراثهم .. وعندما نموت يبنون كما يشاءون !

فقال جابر : أصيل يا أبا أحمد ..

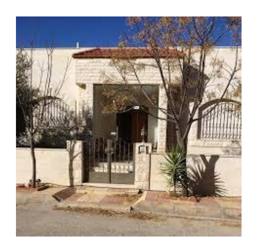
قال عدنان : يا خال .. أمد الله في عمرك .. لا أعتقد أن الشباب سيرحلون من برقوقة .. من الميلاد حتى المماتآ يا مالك !

قال مالك : أكيد هذا يا عدنان ! أنا قد عشت كم سنة خارج الحي في حي راق جدا في العمران والخدمات والنظافة .. كما تعلمون في حي الرحمات ، ولم أكن فيه سعيدا .. آه كم فرحت لما عدنا إلى هنا ! .. ولست متكبرا على غيره من الأحياء والشوارع .. الناس هم الذين يصنعون حلاوة المكان والحي أو تعاسته .. لو كان جيراننا أشقياء وسيئين لربما هجرنا المكان ، وأقنعنا العم خليل بالرحيل ، رغم أن هذا صعب علينا ومؤلم.. ولكن الحمد لله الناس هنا كالأهل .. فالعم أبو أحمد أيضا من الميلاد حتى الممات .

قالت صبرية : أبو أحمد لم يولد هنا مثلك !

قال خليل باسما : فعلا أنا لم أولد هنا يا مالك ! .. أنا ولدت في مدينة أخرى .. ثم رحلنا إلى هنا وأنا صغير، كانت أمي ـ رحمها الله ـ بعدما ولدت صبرية قد مرضت ، فجاء أبي إلى هذه المدينة لعلاجها .. ولما طال العلاج وكان يحتاج للتنقل بين المدينتين .. اشترى هذا البيت ، وكان عبارة عن حجرتين من الطين القديم .. واستأجر محددة في شارع الربيع الذي تعرفونه يا أبا علي .. واستمر العلاج لأمي ، ولم تستطع الخلفة بسبب المرض ، فتزوج أبي عليها .. صبرية تذكر ذلك لأنه استمر في علاجها حتى كبرت صبرية ، وصار عمرها قريب من العشر سنوات ، وأنجبت امرأة أبي أربعة من أبي ، ثم هلك أبي وأنا شاب صغير دون العشرين .. فتحملت المسؤولية الكاملة ، وكنت قد تركت المدرسة صغيرا وتعلمت الحدادة من أبي .. ثم ماتت أمي بعد حين بعد زواج صبرية بأيام .. وتكفلت بإخوتي الأربعة الصغار وأمهم ، وربيتهم وتعلموا وهاجروا لأمريكا والبرازيل وغيرها من البلاد ،

ولكن قبل هجرتهم وبعدما أنهى منير الجامعة رحلوا وسكنوا في منطقة أخرى قريبة كما ادعوا من مكان عمل خالد ، وكانوا قد أصروا على تعليم البنات في الجامعات وصار بيننا مشاكل بسبب هذه الموضوع.



عبير ناصر

كانت صحف الحزب قد نشرت خبر عقد قران السيد مالك ربيع على الآنسة هناء عبد الكريم الذي كان في تلك الأيام نقيبا لمحامیي البلاد ، ومالك نفسه معروف شخصه في الوسط الحزبي قبل ظهور هذا النسب والمصاهرة ، فلذلك كان من الأمر الطبيعي أن تنشر مجلات الحزب وصحيفته اليومية خبر هذا الزواج ، وإن لم يكن مجاملة لمالك فللنقيب نفسه .. وكذلك لكتابات مالك الصحفية ، فهو منذ أيام الجامعة وهو يكتب للصحيفة اليومية للحزب ، وباستمرار للمجلات المختلفة من أسبوعية شهرية نشرات توعية .. فلذلك جاءت صور مختلفة ومشاهد من الحفلة في تلك الصحف .. منها العريس مع حميه أبي عزام النقيب .. صور للعريس مع بعض رجالات الحزب .. وصور لوالد العروس مع شخصيات معروفة وعامة .. فبعد نشر هذه الصور اتصلت ذات صباح عبير ناصر بمكتب السيد برهان وبعد التحية والسلام قالت : يا برهان .. أليس هذا الشاب الذي ظهرت صوره في بعض الصحف نسيبك ؟!

كان برهان يعرف أنها تدرك الجواب ، وإنما للتأكد وللحديث في الموضوع ، فاسم مالك ظهر واضحا في الصحف التي نشرت الخبر والصور .. وعبير رأت مالكا وتعرفت عليه أثناء قضية تسديد دين حازم ومنى ، فقال برهان وهو يستحضر هذه المعلومات : نعم هو يا عبير .. لقد زرناك مرة .. لابد أنك تذكرينه ؟!

ـ هذا هو الذي دفعني للحديث معك .. فصوره والتهاني تلفت النظر .. وخصوصا عندما تكون العروس ابنة النقيب وهو من شخصيات البلد .. إيش القصة ؟!

ضحك برهان وقال : تكلمي بصراحة !

قالت باسمة وغامزة : صعود غريب وسريع فالذي فشلت فيه منى سوف يحققه مالك أخو منى !! .. إنهم يتطلعون لفوق أكثر من اللازم !

استمر برهان في ضحكه وقال : وما الذي يضيرك أو يضيركم ؟

ـ ثم أنها طبيبة ومتعلمة في لندن .. كيف التموا على بعض ؟!

ـ ألم تذكر الصحف القصة ؟!

ـ لا .. الصحف لا تذكر قصص التعارف يا أبا خليل .

ـ الصداقة يا عبير .. فالأخ مالك صديق للعائلة .. وهو رجل فاضل وخلوق ونشيط في عمله ومهنته .. وهو ابن الحزب أيضا ..

ـ الحزب !! هذا واضح من كثرة التهاني الحزبية .. إنه ابن الحزب ؛ ولكن هذا صعود مبكر!

ـ كيف مبكر؟! له عشر سنوات في الحزب .. والأمور ليست بالسنين إنما بالبروز والنشاط !

ـ اسمع قل بصراحة ألا يوجد قصة حب بينهما ؟ .. ليرضخ النقيب وأسرته لهذا الزواج!

ـ لا ، صدقي ذلك وإلا لأشارت الصحف المعارضة لذلك ، وغمزت في هذا الزواج .

ـ معقول !.. حتى أن بعضها تبارك له شخصيا ، فكثير من زملاء العمل السياسي يهنئونه ويكبرون خطوة النقيب ، ثم يتبعون التهنئة للنقيب بالتهنئة لمالك والعروس الدكتورة .. أكيد زوجتك منى سعيدة من ذلك؟!

ـ أليس العريس أخاها ؟! ولم لا تفرح يا سيدة عبير!

ـ أين سيسكن الفتى ؟!

ضحك برهان وقال : أنت مثل سكان حي برقوقة .. يسألون أين سيسكن ويعيش ابن الحي عند الزواج ؟.. ليس هناك أسرار سيقطن العرسان في حي برقوقة

ـ أوه !!

ـ مالك صعقت وصرخت ؟! .. هذا الشاب سوف ترونه يوما ما على كرسي الوزارة .. وقولي برهان قال! .. أنا أعرف مالكا جيدا وذا قدرات عجيبة في التفكير والإدارة والتخطيط .. فلتة من فلتات الزمان ، وإن يظهر للمتعرف عليه ابتداء أنه ليس كذلك !

ـ شكرا لك! والله يوم عرفتني به كان يوما سعيدا .. عندما يعلم أبي وأعمامي وأخوالي بذلك سيندمون على تطليق منى .

ضحك برهان ، ولم يغضب منها بالإشارة لزوجته وقال : هذه هي الدنيا يا عبير!

ـ شكرا ثانية أنت شجاع .. خفت أن لا تشبع فضولي .. سأقول لأبي وأنظر ماذا يكون رد فعلهم فأبي له علاقة بالنقيب عبد الكريم قبل أن يصبح نقيبا وقد التقوا كثيرا في حفلات خيرية .. بارك للأخت منى هذا الإنجاز .

ـ ابشري !

لما علم والد حازم من عبير من هو مالك نسيب الدكتور القانوني الكبير والمعروف عبد الكريم أبي عزام ، وأنه شقيق زوجة حازم الأولى والمطلقة دهش وعجب من ذلك ، ولما نظر في الصور التي قدمتها له عبير من بعض المجلات والصحف

التفت لزوجته وقال : أرأيت يا فطوم ما تقول عبير؟!

قالت نافرة : عرفت قبل أن تقول عبير .. فبعض النساء تطوعن وقلن لي ذلك!

فالتفت ناصر لعبير وقال : وما أخبار تلك البنت يا عبير؟! .. هل تزوجت أم ما زالت مطلقة عزباء ؟!

ـ تزوجت زميلا لي أعرفه عندما كنت في الجامعة .

ـ زميل لك ، كيف ؟!

ـ بالصدفة عرفت .. شاب أنت تعرفه مدقق حسابات له سمعة طيبة في التدقيق .. الأستاذ برهان محمود .

رفع صوته استغرابا ودهشة وقال : برهان هو الذي تزوج منى ربيع طليقة حازم ..!!

ـ نعم يا أبي .. تعرف عليها أثناء عملها في شركة الثريات والأثاث وتزوجها، وهي سعيدة معه للغاية ، وأنجبت منه لليوم أربعة أطفال أو ثلاثة لا أدري بالضبط

ـ السيد برهان أعرفه والتقيت به عدة مرات في مناسبات مختلفة ، وهو شاب طموح وذكي في المحاسبة ، لقد عرفني عليه بعض الزملاء والعملاء .. هو نفسه زوج منى ربيع ؟!

ـ نعم يا أبي .. وهو الذي أغلق دين منى مع حازم

هز رأسه وقال : علاقتكم جيدة !

ـ الشغل ، ثم يجر الشغل الأمور الخاصة .. إعلان قرأته في عدة صحف إعلانية تذكرته .. فاتصلت به فوجدته فعلا الزميل الذي درس معي في الجامعة ، ثم التقيت بمنى في مكتبه ذات صباح فظننتها عاملة عنده ؛ فإذا هي زوجته وشريكته في المكتب .

ـ إذن مالك الذي ناسب الأستاذ القانوني عبد الكريم هو شقيق منى ؟!

عبير : أجل يا أبي !

تنهد وقال: إذن هو يعلم أنني والد حازم زوج منى الأول ! نتمنى له التوفيق ونحن انتهى ما بيننا وبين منى ربيع .. أليس كذلك يا فاطمة ؟!

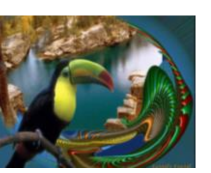
قالت الأم بضيق : بالتأكيد هؤلاء الناس من طينة ونحن من طينة .. اهتمي بعملك يا عبير وابحثي لك عن زوج ، فها أنت قفزت على ثلاثين وليس عندك ولد ولا بيت .

ـ الأبطال الذين يتطلعون إليّ ليسوا من طبقتنا .. أناس مثل برهان ومالك .. أولاد أصحاب الملايين لا ينظرون إليّ .. كم لأبي من الأصدقاء؟ ولك أنت أيضا ومع ذلك لليوم لم تتمكنوا من إيجاد رجل يقبلني زوجة دائمة !

صاحت أمها فيها : أنت خائبة كل أخواتك تزوجن وخلفن .. التهي بشغلك ودعيك من هؤلاء الناس .

كانت كلما تفكر بكلام أمها تتعجب من بغضها الشديد للفقراء أو أبناء الفقراء حتى ولو أصبحوا

ميسوري الحال ، وأصبحوا من أهل المال والشهادات والأعمال .. ومع ذلك يبقون عند أمها فقراء .. فتلزم الصمت وتعود للإلتهاء بشغلها والمهمات التي تكلف بها من قبل والدها وشركائه .



وعندما دخل الصيف ورجع ربيع ربيع إلى بلده في إجازته السنوية كالمعتاد تم حفل زفاف السيد مالك ربيع على كريمة السيد عبد الكريم علي ، وتم الاحتفال في قاعة من قاعات النادي للحزب الكبير، وشارك أناس كثير في هذا الحفل ، فمحبو مالك في برقوقة وغيرها حضروا حفل الزفاف ، وأصدقاء ومحبو النقيب والزملاء أيضا تواجدوا في قاعة الحفل ، وانتقلت الطبيبة هناء عبد الكريم إلى بيت زوجها في عمارة الربيع في شقة مالك في الطابق الثالث من العمارة ، ولقد كان الحفل مشهودا من الصحافة العامة والخاصة ، وكان فرح أهل برقوقة لا يوصف بزواج ابن حيهم من ابنة النقيب وكانوا يرونه زواجا نادرا من وجهة نظرهم .

كانت منى تنظر لأخيها قبل أن تعرف أنه يفكر بالزواج من ابنة النقيب القانوني المعروف في البلاد شرقا وغربا على أنه إنسان يكافح ويبحث عن المستوى الاجتماعي اللائق به ، وهي بلا شك تذكر موقفه الحاد معها ومنها عندما قررت الزواج بحازم .. كان رافضا لهذا الزواج بقوة ولكنه استسلم لقول ربيع وأمه .. وهي كانت لا تعتبر كلامه معها شيئا يستحق الاهتمام والرد والإقناع وأنه مجرد طفل ، وحتى عندما أصبح محاميا كانت ترى أن عمله مجرد وظيفة لتدر عليه دخلا ثم سيتزوج فتاة يلتهي بها كباقي البشر .. وأنه منغلق الفكر ، وربما تشبهه بزوج أمها خليل لحبه لحي برقوقة .. وحتى بعدما تزوجت برهان كان مالك بالنسبة لها الطفل الذي يصغرها بسنوات ، وأنه إنسان ليس لديه طموح رغم كثرة كتاباته للصحف والمجلات ونشاطه الحزبي ؛ لأنها لا تؤمن بالأحزاب وما تنادي به هذه الأحزاب ، وما فكرت مرة بقراءة مقال لأخيها ربما تقرأ عنوان المقال فقط .. فلما سمعت بمشروع زواجه من ابنة أحد كبار المحامين .. تغيرت الصورة النمطية في ذهنها قليلا .. رأى فتاة حسناء وأعجب بها .. وها هو بنى عمارة ليكون له بيت كباقي الشباب .. أما لما عرفت من هي الفتاة وما تحمل من شهادة طبية كبيرة ودراسة في الخارج وصبر سنوات على وعد أدركت أن أخاها رجل بمعنى الكلمة وأنه يتطلع للمجد وأنه صبور.. وأن ربيعا الذي جاراها قديما في أحلامها ومغامرتها لا شيء أمام مالك ، وأنها كانت جاهلة أو متجاهلة لقدرات مالك وطموحاته المعقولة .. وعجبت من قدرته الكبيرة على إخفاء شخصيته الحقيقية

الشخصية القوية عن الناس ، والظهور أمامهم بالشخص البسيط الساذج .. وأخذت تدرك عمق تفكير مالك وسياسته وتفاعله مع الناس وأهمية انضوائه للحزب الكبير أحد أهم أحزاب البلد .. ومع ذلك كان قليل الكلام عن ذلك النشاط والطموح وجعل أعماله وأفعاله تدفعه للإمام وتعرف به.. وأن أمامه مستقبل زاهر.. فبرهان يقول قد يصير وزيرا في يوم ما عن طريق الحزب والنقابة .. ومع هذا الطموح الموجود لديه كما يقول برهان ، وله هذه القدرات ، ومع ذلك يسكن في حي قديم حي تاريخي.. شوارعه الداخلية ضيقة .. فميله السياسي وحسن خلقه واهتمامه بالناس وقضاياهم يدفعون به للبقاء في حي قديم .. قاعدة شعبية بالمفهوم السياسي .. إذا فكر بالانتخابات ومقاعد البرلمان ستكون قاعدته أهل حي برقوقة أولا .. وكانت تنزعج جدا عندما تسمعه يتحدث مع حنين عن الحكم والمحكوم والحاكم والعدالة الاجتماعية فتعتقد أنه شاب فارغ.. أما هي فكانت تفكر وتحلم بالقصور والمال الكثير والرحلات العالمية والسهرات في أنحاء العالم .. وأما هو فيحلم بتحسين أحوال البلاد ، أحوال الناس ، رفع دخل الفرد في البلاد ، رفع مستوى الخدمات المقدمة للشعب في كل ربوع البلاد .. تحسين حال الضعفاء تحسين الحياة الاجتماعية للجميع رفع مستوى الطبقات الفقيرة

بعد زواج مالك عرفت من هو مالك ؟ فكانت تهمس لبرهان ببعض هذه الأفكار فيقول لها برهان : مالك فارس صادق مع نفسه ومع الآخرين .. وما هو انتهازي .. والحزب يحقق الطموح السياسي للفرد ، فاستفاد سريعا من فرصته عندما دخل الجامعة ، وربما يكون أحسن الاختيار والحزب المناسب لأفكاره وأحلامه .. فهو أحب برقوقة قبل التعرف على الحزب ، ثم أحب أن يصنع لنفسه قاعدة شعبية ، فكما يحب الحي فيريد أن يستثمر هذا الحب لنفسه ولأهل الحي .. فعندما يكبر ويصبح مؤهلا للانتخابات البرلمانية يكون مقبولا من العامة بشخصه وحيويته .. ليس بماله وشراء الأصوات كما هو معروف .. وها هو الحظ خدمه فتعرف على النقيب عبد الكريم ثم أصبح صهرا له ، وهو غير مزور بل واضح وشجاع .. والفتاة التي تزوجها ليست ساذجة وقليلة الثقافة ؛ بل ربما تكون ثقافتها أكبر من ثقافة مالك أو تعادلها.. وهي قد مالت إليه وتجاوزت كل التقاليد المتبعة عندهم فأعجبت به وبطموحه ، ولم تنظر ماذا كان قديما؟ وهل يليق به أن يناسب عائلتهم الكبيرة والمعروفة ؟ فما دام والدها يجله ، وكذلك صديقه نضال يجله ويراه مناسبا لها ، فلم تتردد ولم تختر عليه من الآخرين .

ـ أنا لم أعرف أخي مالكا إلا عندما خطب ، وأظهر الخطبة على الملأ ، ثم عرفت من هم أهل برقوقة ؟ .. وكم يحبونه ؟! فالحب من الطرفين .. ليس مجرد ساكن بينهم وابن فلانة وفلان .. فعرفت معنى مهتم بقضاياهم ومطالبهم وسعيه معهم والتصاقه الكبير بهم ، أدى كل هذا ذلك اليوم ثماره ، وأن حياته المتواضعة في بيت خليل الحداد أكدت للناس أنه منهم ومثلهم .. أنا الآن قد أكون بدأت أفهم ابن أمي وأبي .

ـ مالك بسيط يا منى .. غير معقد .. يسعى لتحقيق أهدافه ككل إنسان يضع أهدافا نصب عينه لتحلو الحياة ؛ ولكن ببطء وهدوء وحسب الحاجة ، ويمكن أن يعدل ويغير في الأداء .. فمع تحزبه ونشاطه في الحزب فمن النادر أن يطلب من أحد أن يتحزب ، هو يحب نشر الوعي السياسي بين الشباب ، والشاب بنفسه يتجه للحزب المناسب .. هو إذا سنحت له الفرصة ذكر الحزب وأهدافه وأحلامه أمام الحاضرين .. فمن راق له الكلام خصه وتوسع معه في الموضوع فيما جرى ويجري في البلد بدون تضخيم وتكبير لموقف الحزب ، عرف الناس الحزب من الأفعال والنتائج .. هو معهم في كل قضية .. في دار البلدية في دار كذا وكذا .. مشكلة في مدرسة جاهز للمساعدة .. طالب عمل مشكلة مع أستاذ أو مديره ، طلبوا منه المساعدة ضحى بوقته وساعد في حل المشكلة أو التخفيف من أضرارها ونتائجها .. امرأة فقيرة تحتاج مساعدة يقوم ويرسلها للجهات المهمة .. وبمعرفته يساعد قدر الإمكان دون مبالغة .. هذه هي حيوية مالك ربيع .. قضايا سيئة يبتعد عنها .

ـ أتعرف كل ذلك عنه من أين ؟!

ـ أنا أُسأل عن ذلك .. عجيب أمرك يا منى ! .. من معاشرته .. من الجلوس معه في جلسات بعيدة عن النساء .. عن أم منى ومنى وغيرهن .. فمالك يعرف كيف يتكلم ؟ ومتى يتكلم ومن يخاطب ؟ فأمه لا تهمها سياسة واقتصاد ، فلماذا يملأ رأسها ويزعجها بالسياسة والاقتصاد وقضايا وعواصف الوطن ؟! خليل يحب أن يتكلم عن الحدادة ومشاكل الحدادين والسوق والجيران .. فيتحدث معه عن الحدادة والجيران .. فلان مريض يذهبان معا لعيادته والسؤال عنه فلان في المستشفى اركب يا عم خمس ..عشر دقائق .. فلان عاوز مساعدة .. يساعده ، ما عنده كبر وتعالي ! ولما يجلس معي ونتحدث بالسياسة يتحدث معي بالسياسة ، ويبين رأي وموقف الحزب في القضية وتعليقهم وتحليلهم .. نتحدث عن الاقتصاد وسوق العمل .. يفعل فهو قارئ جيد للغاية .. يكتب كما تعلمين للصحف الكبيرة مقالات وأفكار وتعليقات جيدة .. صحيفة الحزب يكتب

بها باستمرار من أيام الكلية فظهر وبرز اسمه .. الإعلام دعاية للشخص مجلات الحزب المتنوعة يكتب فيها أيضا باستمرار ومنذ سنوات .. ها هو يستعد بعد هذا الزواج للماجستير والدكتوراه !

فغرت منى فاها دهشة وقائلة : يريد أن يدرس ثانية ؟!

ـ هكذا تريد منه زوجته هناء .. وهذا ضروري حتى يصبح خبيرا كبيرا في القانون المحلي والدولي .

ـ والفلوس ؟!

ـ العمارة المؤجرة له نصيب فيها .. والمكتب .. والزوجة الطبيبة .

ـ لماذا لم يدرس قديما ؟!

ـ حاول الدراسة فترة ثم انقطع لظروف معينة .

ـ ظروف أي ظروف ؟! لم أسمع بذلك .

ضحك برهان ؛ لأنه يدرك أن منى لم تكن في هذه الفترة تهتم بإخوتها

وقال باسما : أعتقد بناء العمارة .. وأنا عرضت عليه المال يا منى فقال يكفي ما أخذنا منك .. واعلمي أنه دفع ألفين من جيبته في موضوع حازم .

ـ ألفان ! لم تقل لي ذلك ؟!

ـ حلفني أن لا أقول .

ـ ولماذا قلت ؟!

ـ انفعال ولتعلمي ذلك ، وليبق معلوما لديك للزمن ..هذا زمن يا منى أحداثه كثيرة ومتلاحقة وسأكفر عن يميني إن شاء الله تعالى .

قالت بتأثر وندم على ماض مازال يعشش في مخيلتها : أنا يا برهان كلما أتذكر صراخ مالك في وجهي واحتجاجه على تصرفاتي تدمع عيناي ، أيام كنت أظن أني عاقلة وعارفة الدنيا وأنها للأغنياء فقط .. أتسكرين يا منى وتحششين؟ ويصرخ في وجهي وهو يهدد بقبضته غضبا ، وأنا أصيح في وجه ابتعد عني لا دخل لك في حياتي وتصرفاتي .. اسكر .. احشش .. اسهر .. ولولا احترامه لأمي وخوفه من حدث لها ، وكذلك خجله من ربيع الأكبر منه كنت أظن أنه سيخنقني ويتخلص مني .. بل كنت أتخيله أو أحلم به يضغط على عنقي ، كنت أخاف وأصاب بالرعب من عصبيته .. ولكن كانت طباعي حادة .. ولما طلقني حازم .. سمعت منه كلاما يمزق ويدمي القلب وأشد من الطلاق كان عليّ هذا حازم الذي تاجرت فيه .. كم سمعت منه من الكلام القاسي ؟ .. ماذا استفدت من حازم أفندي ؟! .. سكر .. دخان .. سهر .. رقص .. عودي لأصلك .. انظري إلى حنين الصغيرة التي تفهم أكثر منك ، تعرف من هم أهلها وعاداتهم ؟ .. فأصفه بالغباء والتخلف والرجعية والعقد .. لي أيام وأيام أتذكر مثل هذه المشاهد والصور .. كان يخيل لي أنه يكرهني بشدة ، ويحقد عليّ ويريد الخلاص منى وربما كان أسعد بني آدم عندما عرف

أنني تركت الخمر .. كان قلقا عليّ أن أسقط سقوطا مريعا في براثن الفجور والنوادي الليلة ..لأنني أخذت حرية أكثر من اللازم في نظره .

ـ ومع ذلك لم يحاول يوما أن يراقبك .. سلم الأمر لله ولدعاء أمه .. عندما يتكلم عن تلك الأيام يا منى تكاد الدموع تطفر من عينيه .. إنه يتألم عندما يسمع عن سقوط امرأة أو فتاة في مهاوي الشيطان ، وخصوصا إذا كانت عفيفة وشريفة وأهلها كذلك .. وكان يخشى أن لا تكوني عرفتيني على نفسك جيدا ، قصده على الأشياء التي اكتسبتيها من معاشرة حازم وأصحابه .. فلما عرف أنني أعرف كل شيء كاد لا يصدق أني إنسان عاقل .. وأخذ يعانقني ويبكي ، وسألته

مرة ألم تحاول التجسس عليها ؟ .. أتدرين ماذا قال ؟!

مسحت دموعا تساقطت على خديها وقالت : أيام سوداء .. ماذا قال ؟!

ـ قال أخاف .. كنت أخاف يا برهان أن أرى شيئا قبيحا لا أحب أن أنطق به على لساني لهوله فأفقد أعصابي وروحي ، فافعل شيئا لا تحمد عقباه وأنا له كاره .. أو لا أفعل شيئا .. كانت أيام عصيبة مرت في حياتي .. أخاف أن تضيع منى انتقاما من الحياة والفشل .. تضيع كما ضاعت آلاف الفتيات .. ولكن الله سلم وجاء المنقذ الأستاذ برهان محمود .. البطل .

فعلا كان مالك يرغب بالحصول على الشهادات العليا في القانون والمحاماة ، وحاول قديما أن يدرس الماجستير المرحلة التي تسبق الدكتوراه ، ثم انسحب للضغط المالي وانشغاله في بناء العمارة ، وأخذ يفكر بجد بعد زواجه أن يأخذ هذه الشهادات من سوربون فرنسا أو كامبردج بريطانيا إن تيسر له ذلك ، فشهادة الدول الأجنبية خاصة الأوربية الغربية لها قبول لدى العالم ، فالشهادة من بلاد العرب في هذا الزمان قيمتها ضعيفة عالميا داخل البلاد وخارج البلاد ، فترى الذي يحمل شهادة من أوروبا أو أمريكا له احترام وتقديم على غيره ممن يحمل نفس الشهادة ولو من بلده .. فتخلى مالك عن الدراسة أو المحاولة وانشغل بالبناء وانتظار الزواج ، ولما حصل الزواج وفرح بزوجه هناء ، وكانت الفتاة تعلم رغبة مالك تلك من أخيها نضال .. وأنه راغب بالدراسات العليا .. فلم يكد يمضي على زواجها أيام معدودات حتى ذكرته بتلك الرغبة ، وأن أموالها وما تملك من ثروة بين يديه .. فهي قد اشتغلت أثناء حياتها في لندن ، وبعد عودتها ، فهي تملك ثروة جيدة .. فوافق مالك بعد نقاش وحوار وجدال بالتي هي أحسن على الدراسة للقانون الدولي العام ، وهي تعمل في مستشفى على تدريب كاف في قسم النسائية

والتوليد لتحصل على التخصص ، فراسل بعض الجامعات الأوروبية ، وجاءته عدة موافقات ، ومنها موافقة من إحدى جامعات بريطانيا بمساعدة أخوال هناء .. بقيت مشكلة أمه من سيبقى عندها ؟ صحيح هي عند زوجها ؛ ولكن لها حق كبير أن يبقى على الأقل أحدهم قريبا منها .. فتحدث مع ربيع بذلك الأمر.. فأبدى استعداده للاستقالة والعودة للوطن ، وأن لأمه حقا عليه وأن لمالك الحق بالمزيد من العلم، وإنما هي سنوات معدودة ، فهو لم يخرج من البلد إلا في رحلات قصيرة .. وفعلا خلال أسابيع يسيرة كانت العائلة تستقبل ربيع وعائلته وذلك أمام دهشة الجميع ، وتفاجأ الأهل والمحبون بهذه العودة ، ووضح لهم مالك الأمر ، فأكبر الجميع هذه التضحية والإيثار من ربيع نحو أخيه مالك .. واعتذر مالك من أمه وزوج أمه وأختيه وبين لهم وجهة نظره .. فاقتنع الجميع بطموحه وأثنوا على ربيع أبي ساعد خيرا .. وودع الأهل والأحباب مالك ربيع وزوجته هناء عبد الكريم المسافرين لبلاد الإنجليز ، ولم يعترض أحد ، وقال ربيع : نعم ، من حق مالك أن يسافر وأرعى أمي .. فهو قد قام بالواجب وزيادة .

فشكروه على موقفه الشجاع والنبيل وحبه لأخيه ، فهما لا يحبان أن يتركا أمهما وزوجها بدون أحدهما .. فقدر لهم الناس والمعارف هذا الموقف .. وخلال أيام يسيرة كان المهندس ربيع يمسك عملا في إحدى الشركات الكبار .. وساعد في ذلك خبرته خلال هذه السنوات ، وكذلك والد هناء كما أوصاه مالك وابنته هناء ، فقام بالاتصال بمعارفه قبل عودة ربيع ، وكان مالك قد قام بفرش شقة ربيع حسب طلب ربيع ، فلما حضر ربيع صيف هذه السنة عندما تزوج مالك نزل في شقته المفروشة .. فلما رجع كانت الشقة جاهزة للسكن فيها مباشرة .. ولما يريد المولى سبحانه أن يصير أمر ما يسره ولا يرده أحد .. له الأمر من قبل ومن بعد !

بعد سفر مالك كانت منى ربيع تقول لبرهان : الأمور تسير سريعا يا أبا خليل .. إلى بريطانيا ابن أمي وأبي يرحل !

ـ الله يوفقه فمالك رضى الوالدة .. دائما أسمعها تدعو له وتثني عليه .. والأيام تمضي سريعا قبل هذا القرار العاجل والرحيل العاجل كانت قيادة الحزب تفكر أن تجعله في أكبر هيئة قيادية لنشاطه وكفاءته ولمصاهرته زعيم كبير من رجال الحزب .. فالسيد عبد الكريم من مؤسسي هذا الحزب منذ كان شابا متخرجا من الجامعة حديثا.. ولكنهم لما عرفوا رغبته بالسفر لبريطانيا والدراسة أجلوا القرار .. وأنا عن نفسي معجب بأخيك إعجاب لا يعلمه إلا الله سبحانه ، وقد يغيب عنا خمس سنوات ، وأنا من الآن أشعر بأنني فقدت جزءا من

روحي وبدني .. نعم الأخ والحبيب مالك .
ـ الله يجزيك الخير يا أبا خليل .. ومالك دائما يوصيني عليك ، ويذكرني بك وبطاعتك ، فهو يحبك في الله .. ويفرح عندما يراك في البيت ويهمس في أذني : برهان سيد وملك ! لما أره ينفتح له قلبي ، احذري أن يتضايق منك ولو عن مزح .. فأهمس له : إنه سيدي وأنا أسيرة عنده!.. هو حياتي يا رجل!.. فيفرح ويقول: أنت فعلا أختي وهذا العشم فيك .
فهمس برهان متأثرا : شعور متبادل إن شاء الله ، وأنا أحبكم في الله الذي لا إله إلا هو الفرد الصمد .. أنا يا منى كلما أراك معي وتحدثينني أستغرب عم كان يقال لي عنك. آه ! عندما أتذكر كلام سعد الدين عندما طلب يد أختك وهو يتحدث عنك بخوف ورعب ، وأنت تتحدثين معه بعجرفة وتعالي .. وإنك وإنك .. أتخيل أنك جبار يسعى في الأرض .. ولا رحمة ولا شفقة
فقالت باسمة : ما أقسى ما حمل عني! .. لا أنكر أنني كنت غبية وعصبية أكثر من اللازم .. كنت أرى أنَّ أفكاري وثقافتي خير الفكر والثقافة .. أنا أتكلم لغة الإنجليز أقرأ ما يكتب بلسانهم .. كان تأثير المدرسين عليّ في الجامعة كبير .. كانوا يغرسون فينا أفكارا سيئة عن التخلف العربي والإسلامي ، ويحدثوننا عن محاسنهم والديمقراطية والحقوق .. فأرى كل تصرف من مالك وأمي وخليل تصرفا عبيطا وغبيا .. وأن الحياة الثروة الكبيرة والمال الكثير حتى صدمت عند الزواج الأول كيف رفض أهله المتحررين المتغربين دخولي حياتهم ؟! .. فتحديت التقاليد وصممت على الزواج على طريقتي الخاصة .. ولما حدث الطلاق بالصورة التي تعرفها زاد ارتباكي وتشتتي .. وجاء زواج حنين من سعد الدين الجاهل الأمي يومذاك في نظري هدما لكل أفكاري ..
ـ سألته ذات مرة بعد زواجنا عنك فيقول ضاحكا منى التي عرفتها عندما تقدمت للزواج من حنين غير التي تزوجتك ونأخذ بالضحك ، وأقول له صدق أننا التقينا بضع مرات وكل كلامنا كان عن الأثاث وفتح المكتب وشركاء .. لم ندخل في قصة غرام وغسل دماغ فلا يصدق وربما لليوم لا يصدق
ـ أنا اعتذرت له عن تلك الساعات المرعبة، وعن موقفي الحاد منه .. وشكرته ألف مرة على فكرته الغريبة التي أنقذتني فعلا من الحيرة ووهم الحرية وعلى اختيارك عريسا لي .. كثيرا ما تسحرنا تلك الأفكار الكبرى والشعارات الواسعة الرنانة .. فنتمسك بها ولا نمحصها .. أنت أمير حياتي يا أبا خليل ! وتستحق الشكر في كل ثانية .. شكرا لله الذي رماك عليّ ..
ـ منى عندي فكرة تراودني منذ زمن وأنا متردد في

طرحها عليك !

ـ فكرة ! وما هي الفكرة هذه؟!

ـ الدراسة !

ـ الدراسة ! من يدرس أنا أم أنت ؟!

ـ أنت طبعا .. أفكر أن تدرسين دراسات عليا حتى تحصلين الدكتوراه ، وخلال هذه السنوات سأقوم وبمساعدة إخوتي وإخوتك بإنشاء شركة خاصة لإنشاء وبناء مدرسة خاصة .. ولما تنهين دراستك تكون المدرسة قد جهزت .. فأنت شابة ناضجة .

ـ آه .. كم بغضت التعليم والتدريس يا برهان ؟

ـ الشهادة العليا تعطيك قوة ومركزا في الوسط التعليمي ، وصدقي أن خير قطاع لعمل النساء هو التدريس .. يكون أغلب المجتمع الذي تتعاملين معه من النساء والبنات.. فيكون هناك العمل بحرية وانطلاق وابتعاد عن تقليد ومراعاة الجنس الآخر .

ـ فلسفة إذن ؟!

ـ فكري بجد .. فأنت ذكية وتقرئين بالإنجليزية وتجيدينها، وهذا شهادة تفتح الأفق أمامك ، وستكون الدراسة أمامك سهلة .. المهم الإرادة الصادقة .. صدقي لو الشهادة العليا تفيدني شخصيا في عملي لسعيت إليها .. فعمل المكتب عندي عال للغاية كما تعلمين .. وعدته منى بالتفكير وبعدما فكرت وتناقشت بالفكرة مع أختها حنين التي شجعتها لآخر درجة فقالت لها منى : ولماذا لا ندرس معا ؟!

قالت حنين : أحب ذلك ؛ ولكني رضيت بمهمة ربة بيت أكثر من الدراسة .. فأنا أحب الأمومة والبيت ، وربما إذا أنشأتم مدرسة قد اشتغل معكم .. مع أنني لم اشتغل بالتدريس منذ تخرجت .. البيت حياتي وسري ، أنا مشكلتي ـ إذا كانت مشكلة ـ لا أحب العمل خارج البيت وحتى أناس يطلبون مني تدريس أبنائهم دروس خصوصية فاعتذر .. ولا تظني أن زوجي يمنعني من العمل والتدريس .. فكل أخواته المتعلمات يشتغلن بشهادتهن .

فبعد تشجيع حنين لمنى وافقت على فكرة برهان ، وطلبت منه أن تدرس بدون علم أحد إلا هو وحنين حتى ترى نفسها هل تستطيع الدراسة والاستمرار فيها أم لا ؟ .. فبعد نظر قال : لا بأس ؛ ولكن إذا عرف أحد لا تتعاملي مع الموضوع بحساسية .. فهذه سنوات وليس ساعات وليعرف الناس ! ثم عندما تندمجين في الدراسة لن تهتمي بالناس وحديث الناس .

سجلت منى للماجستير في إحدى الجامعات المحلية ، وبعد حين يسير سجلت لدراسة تربوية عليا تسمى الدبلوم التربوي لمدة عام واحد .. وكان برهان ينفق عليها بسخاء .. فعمله يدر عليه دخلا

جيدا .. بل كان يفكر بتوسيع المكتب قبل أن يقنع منى بالدراسة العليا .. هو يعلم طموحات زوجته الكبيرة وأحلامها الكبيرة وأنها استسلمت لأفكاره وسيطرته عليها .. وأنها تراه ملاكا هبط عليها من السماء .. فما يقوله ويعرضه تقبله وتسلم له تسليما كاملا وإن تناقشا حوله .. فهي ترى أن أفكاره صائبة وملهمة .. فهي اعتبرته الفارس الذي هبط عليها لينقذها من الضياع والحيرة ، ويحفظ سمعة عائلتها وشرفها من السقوط .. فما أوحى به إليها تنفذه عن رضا وحب ودون تردد .. مع أنها لم تحب وتهوى التدريس يوما مع أنها تحمل بكالوريوس لغة إنجليزية ، وهذا تخصص مقبول في كل المدارس العامة والخاصة .. لم تفكر بالعمل معلمة بل تبغض هذه الوظيفة .. فلما حثها على الدراسة العليا وأنه يفكر بتكوين مدرسة .. أقنعت نفسها بالقبول والرضا بها ، ونفذت رغبته ، إنها كثيرا ما تحاول فهم سيطرة برهان عليها لدرجة أنها لا تقول لا .. فلم تفهم السر ؛ ولكنها كانت سعيدة ، وترى أن زوجها أنجح زوج في العالم .. هي عندما فارقت زوجها الأول وطلقها اعتقدت أن حياتها كامرأة صالحة ونافعة انتهت ، ولا تظن أن رجلا يفكر بها كزوجة وحبيبة .. قد يتزوجها مطلق لتربي له أطفاله أو أرمل لنفس الغاية ، أما أن يتقدم لها رجل بكر لم يتزوج فكان احتمالا ضئيلا .. وإن فكرت بشيء من ذلك فترى أن رجلا عجوزا له عدة نساء يرضى أن يضمها لنسائه عطفا وإحسانا .. فكان الزواج الجيد من جديد في نظرها بعيد المنال .. فالبنات كثير، وربما أكثر من الذكور في المدينة .. فلذلك كان كلام برهان وطلباته أوامر لا تقبل الرد .. ومع ذلك الانقياد التام لم تره زوجا متسلطا أو جشعا أو بخيلا .. إنما تراه يبحث عن سعادتها وسعادة أبنائه الأربعة .. ويعمل من أجلها وأجلهم .. لم يتعامل معها خلال هذه السنوات على أنها مطلقة أو أنه تصدق عليها بهذا الزواج وأنه يريد إذلالها وتحقيرها .. إنه يتعامل معها على أنها حبيبة وصديقة وأم أطفاله وأنها امرأة فاضلة .. فحتى الدين الذي سدده عنها لم يقف عنده كثيرا ، وتعهد بسداده قبل أن يشاورها .. فقد دفع الجزء الأكبر منه دون تردد واستبطاء .. إنه دائما يقدم سعادتها على سعادته وإن حياتها كأم لم تكن مرهقة .. تعمل ساعات قليلة ثم تعود لبيتها .. وأمه تقبل حضانتهم أثناء غيابها بكل أريحية وحب مع أن أحفادها كثر فهذه أفعال ومشاعر تأسر الإنسان .. تقدمت للدراسة المزدوجة بقوة وحذر وترقب أيضا .. فهي لم تفكر بعد تخرجها الجامعي الأول بالدراسة العليا .. كانت تريد المال سريعا .. ولكنها تتذكر الظروف عندما تخرجت وأسرعت لسوق العمل من أجل الأسرة ، كان عندها هذا الهم ..

فالعم خليل لم يقصر خلال كل هذه السنوات ، الأقربون صمتوا ولم يفعلوا شيئا لهم .. كان خليل الحداد ينفق بدون ضجر وملل ومنة .. عجيب هذا الإنسان .. علم إخوته وقابلوه بالجحود ولم تره يعيب عليهم إلا عندما مرض ذات سنة ، يومها شعر بأن لا أهل له إلا هم أولاد جميلة .. لم تكن أنانية ، هي تعلم حجم الجهاد الذي قدمه خليل زوج أمها لها ولأخوتها .. ومع ذلك لم يأخذ منهم شيئا لحتى اليوم .. وما زال كما تقول أمها يشارك في مصروف ونفقات البيت ولو بشكل رمزي .. إنه إنسان رائع يعادل برهان في الطيبة والشهامة والإيثار.. فلما كانت منى تفكر بخليل تتعجب من بعد أهله عنه ، وهو بهذه الأريحية والطيبة .. فتتسأل لماذا إخوته خالد ومنير لا يتعرفان عليه ؟! .. أليس هو أخاهم ؟ .. صحيح هو أخوهم من جهة الأب فقط ؛ ولكنه الأخ الأكبر لهم ! .. فخليل إنسان طيب ويحب الناس .. ولا يكره ولا يعادي .. هل فقط لأنه اعترض على تعليم أخواته في ذلك الزمان يكرهونه ؟!

غرقت في تفكير عميق في هذه النقطة .. فلم تجد سرا أو شيئا غامضا .. فهو رجل ذو سلوك حسن ، يحترم الآخرين والجيران وإن كان فيه حدة وعصبية لكنها تذهب سريعا .. لم تذكر أنه تشاجر مع جيرانه يوما ما .. فقط مرة تشاجر مع زوج أخته صبرية وتقاطعوا سنوات على أثرها فلم تصل إلى معرفة شيء ولسبب مقنع لهذه العداوة بينهم .. فكرت أن تتحدث مع عمها خليل لعله يوضح لها السر .. فكانت أمها تحبذ ألا يتحدث معه أحد بذلك .. فإنه يتضايق .. تذكرت المرة التي مرض فيها وأدخل المستشفى ورقد فيها أسبوعا .. كم كان غضبه عليهم شديدا ؟! وكم كان ممنونا لهم يريد أن يضع الدنيا بين أيديهم ؟! .. إنهم وقفوا معه بأنهم نقلوه للمستشفى وعادوه فيه .. فاعتبر ذلك معروفا كبيرا .. وهذا المعروف يقدم لكل محتاج وجار ..

أقدمت منى على الدراسة بتردد وقلق ، وبعد حين بدأت تتأقلم مع القراءة والمراجعة والاستذكار .. وقف معها برهان بكل جدية وتعاون .. وأخذ هو يدرس فكرة إنشاء مدرسة بشكل جدي كذلك . فكان بين أمرين إما البناء أو الاستئجار .. الاستئجار أسهل وأخف ماليا في المرحلة الأولى .. فتشاور مع إخوته أو بعضهم ، فبعضهم شجع وبعضهم توقف وفضل عدم إبداء رأيه.. فهم يحبون التعاون والمشاركة في المشاريع .. فالمهندس عبد الرحيم مكث سنوات وهو يخطط لبناء مصنع المعادن وها هو ينهض على قدميه . فكانت فكرة بناء مدرسة فكرة مشجعة ولها سوق واعد .. فطلبوا من برهان إعداد دراسة أولية عنها ، وعن الموقع المناسب لها .. وهل تكون للذكور أو الإناث

أو مدرستان واحدة للذكور وأخرى للإناث ؟ ..
مراحل التدريس .. جميع المراحل أم التدرج ..
فأخذ برهان جميع الملاحظات ، وبدأ يفكر بالأمر
ويشاور ويناقش مع الأصدقاء ورجال المال ..
حتى أن أحدا من أصحاب المال عرض أن يفتح له
مدرسة ويكون هو المسؤول عنها .. فاعتذر عن
ذلك وهو يقول : أنا أريد أن يكون هذا المشروع
خاصا بي يا سيدي .. أنا لا أبحث عن ممول واحد ،
وربما أنا لا أعمل في المدرسة إلا مدقق حسابات
فقط .. ولكنه وعده إن فشل في تدبير الشركاء أن
يستعين به في إقامة المشروع ... يتبع

روايات اجتماعية

غربتي وابنتي ٣

رقيب

شغلت قضية تهديد ميلاد لزهيرة عددا من الأسر ،
فقد تضايق أفراد عائلة هناء محمد من هذا التصرف
الأرعن ، وحتى زوجها رستم تضايق من فعل
الشاب ، ورغب في التدخل في القضية ، لولا رجاء
هناء ألا يتدخل خشية أن يكبر الأمر ، ورأينا أن
أسرة الوصي ممن استاءوا من تصرف الشاب الغبي
، وحتى بعض أعمامها تحدث مع شقيقه الأكبر ،
واحتج على هذا الفعل ، والكل يرى أن الحل أن
يتزوج فتاة أخرى ، ويدع ابنة عمه تختار من تشاء
لما ترغب بالزواج ؛ لذلك لما كلمه ماهر طه عبر
الهاتف قال ميلاد بغضب مكتوم صرفت نظري
عن الزواج .. سأظل أعزبا .. أنا حر
سعى ماهر للالتقاء به ، فاعتذر الشاب ، وطلب
منه عدم الاتصال به ثانية ، تحدث ماهر مع زميل له
في الطب النفسي ، فقال بعدما سمع تفاصيل القصة
هو كلام لا يجب أن يؤخذ عن جد .. إنما هو علق
بها صغيرا ـ في فترة المراهقة من تشجيع والديه له
في التفكير فيها كزوجة ـ فأصبح مقتنعا أنه الذي
يجب أن يتزوجها .. ولما كبر سنه ظل الوالدان
يرغبانه في هذا الاتجاه، فاستقر في وجدانه كأنه
حقيقة وواجب الاقتران بها ، ولم يستوعب رفضها
القديم، وظن أن ذلك دلع بنات ، ولما تكبر البنت ،
وتنضج جنسيا أكثر سيكون هو الرجل الأول في
حياتها .. هو مقتنع أن الدراسة لا تصلح للبنات ،
وأقصى أماني الفتاة أن تأخذ الثانوية ، وتتزوج قبل
فوات الأوان .. وأعتقد أنه بتصرفه هذا أن تضعف
وتستسلم للقبول به ، فهو يحاول إخافتها بأنه
الزوج الأول والأخير لها ، وعليها أن تقنع نفسها
به .. ونصيحتي لها يا دكتور ماهر غض الطرف عن
تهديده ، وأن لا تهتم بكلامه .. وفي حالة الغضب
والثورة النفسية يتكلم الناس بغير وعي وإدراك لما
يقولونه هل ننتظر حتى يفعل شيئا مؤسفا؟ ـ ماذا
سيفعل ؟! هل سيعتدي عليها بدنيا ؟ هل يقتلها
؟! لن يفعل شيئا .. سيظل متعلقا بها حتى تتزوج

هي .. فهو سيظل مقنعا لنفسه أنها له ما دامت بغير زوج

ـ أهو مريض نفسيا؟

ـ هو تصرف تصرفا عدوانيا على غير عادة الناس في الزواج ، ويحتاج لعلاج نفسي إذا قبل أن يجلس في عيادة الطب النفسي ، ولكنه من الصعب أن يقبل هذا الاقتراح ويعترف بأنه مريض، وبحاجة لعلاج لأن أغلب الناس في بلادنا لا يعترفون بهذا الطب

ـ المشكلة يا دكتور أن والده طمعت نفسه قديما بالزواج من أم البنت بعدما ترملت بوفاة شقيقه .. وفسرنا ذلك طمعا بثروتها وميراثها من شقيقه .. وقد رفضته الأم ، ومع ذلك عاند وكرر الطلب حتى بعدما نكحت شقيقي مروان .. عاشت معه بضع سنوات ، ثم طلقها ، وطلبها الرجل من جديد .. وها هو ابنه يسعى بكل شدة للزواج من ابنتها .. أمر غريب فعلا يا دكتور عاطف !

ـ لا تخشى عليها .. سوف يختفي من حياتها ، وهي ستختفي من تفكيره .. وسوف يستسلم للواقع .. لا أتصور أن يؤذيها ماديا ما دام في تلك المقابلة لم يفعل ذلك .. قد تخرج منه ألفاظ بذيئة ، وشتم نحوها للتنفيس عن الكبت منها .. ومع الوقت وتقدمها في الجامعة سيدرك البون الذي يتكون بينهما ، وأنها لا تصلح أما لأولاده

ـ أتعتقد أنه سوف سيتزوج بعد حين ؟

ـ سيفعل ، ربما يتأخر ذلك بعض الزمن حتى يتخلص من رواسب السنين التي قضاها بالتفكير بأنها حليلة له

ـ أرجو ذلك ، فأنا تهمني سلامتها حتى تبلغ بر الأمان، وتتزوج وأخلص من رعايتها ، وأسلمها أموالها

ـ الحقيقة أن اللوم يقع على والديه أساسا ، فمنذ رفضته كان عليهما السعي لتزويجه بأسرع وقت لكن يبدو أنهما كانا يطمعان بتغيير رأيها .. وأخشى أن يبقى لديهما أمل بأن يتزوجها حتى بعد جامعتها .. فعليك أن تحثهما يا ماهر على السعي في زواجه في كل حين

ـ فعلت ، وسأبقى أفعل .. هذا الشاب ترك المدرسة صغيرا ، لم يصل للثانوية يا عاطف .. تعلم مهنة تصليح السيارات الصغيرة .. والفتاة سوف تلتقي بطلاب أطباء وطلاب جامعيين لا أعتقد أنها ستغير رأيها أيها الصديق في يوم من الأيام .. فهو جاهل علميا بالنسبة لها .. فالفجوة ستكبر أكثر وأكثر

ـ أرجو لها السلامة أيها الصديق العزيز .. ولتهتم بدراستها ، وتنسى قدر الإمكان كل تصرفات ميلاد ومعاكساته .. هي تنفيس عن الفشل أيها الفاضل وصبره منتظرا تلك السنوات لعلها تغير رأيها نحوه .. لقد خاب أمله وانتظاره .

كان الشاب ميلاد يجلس أمام المحل الذي يملكه مع ابن عم له اسمه حميد نبيل حسن ، وكانا شريكين في المحل منذ سنتين مضتا ، فكلاهما تعلم مهنة تصليح السيارات الصغيرة والحافلات الصغيرة ، وكان حميد من جيل ميلاد سنا ، ولكنه متزوج منذ سنوات خلت ، ووهبه الوهاب حتى هذه الأحداث بنتين ، والمولود الثالث على الطريق كما حدث ميلادا ، وكان حميد يجلس في سيارة قابعة أمام المحل تنتظر التصليح والصيانة ، ومحلهما هو واحد من عدد كبير من المحلات التي تعمل على صيانة وتصليح السيارات في ذلك الحي والشارع .. هو سوق لتصليح السيارات الصغيرة والكبيرة ، وبيع القطع لها ، وبيع الإطارات والإكسسوارات الخاصة بالسيارات ، وتنجيد الكراسي ، ونفخ الإطارات وتبديلها ، ولا يخلو المكان من محلات تجارية وبقالات ومطاعم ومقاهي لتخدم رواد ذلك السوق الكبير ، وكان حميد يدخن ومثله ميلاد ، فكان حميد يعمل ويقول لميلاد : أنت عنيد .. لو تزوجت منذ رفضتك ؛ لكان عندك أولاد وبنات اليوم .. فلي زوجة وبنتان والأم حامل.. أنا متعجب من تعلقك الغريب بزهيرة .. فهي ليست بالفتاة البيضاء الحسناء .. هي فتاة عادية لديها مسحة جمال .. وهي ممتلئة الجسم مثل أمها ، وليست طويلة القائمة ونحيفة .

التفت إليه ميلاد وقال : ألا يقولون الحب أعمى ؟! .. أنا ألوم أمي وأبي اليوم .. ألومهما في تعلقي الكبير بها .. كانت البداية ابنة عمك يجب أن تستر عليها .. هذه اليتيمة نحن أولى الناس بالستر عليها .. معها قرشان أنت أولى بهما من غيرك .. فأحببتها ورغبت بها ، وظننت الأمر سهلا .. مالها يساعدك في فتح دكان تعمل فيها وحدك .. فصدقت كل هذا الكلام يا حميد .. ولما رفضتني في آخر المرحلة الإعدادية قالوا صغيرة وغدا ستكبر .. وهكذا ضاع صبرنا وانتظارنا هباء منثورا . نادى على صبي يعمل لديهم ، وأعطاه كأس شاي فارغ قائلا له: املأ هذا الكوب ، ثم أشعل لفافة تبغ أخرى وقال : هل سيأتي شقيق صاحبك محمود ؟

ـ أمرك عجيب يا ابن عمي ! بنت تعقد حياتك .. يا رجل القصاص حدثونا بقصة عنتر بن شداد .. وفي النهاية لم نعرف أن البطل تزوج عبلة أم لا ! .. وماذا سيفعل لك السيد أحمد شقيق محمود ؟ .. هو مجرد طالب في الجامعة .. هل سيدع محاضراته ليراقب لك زهيرة ؟

ـ يلتقط أخبارها وأفعالها في الجامعة ..

ـ هل يترك دروسه ليهتم بفتاتك وابنة عمنا المرحوم مجدي ؟ العم الذي ظل هاجرا للزواج حتى صار عمره أربعين سنة ثم تزوج .. ربما في ابنته شيء من الوراثة .. أو أنت ستصير وريثه في العزوف عن

الزواج .. ولما تكبر تتزوج .. تزوج بضع سنوات ، ثم سلم الروح لبارئها ..

ـ حياتي معقدة هذه الأيام

ـ عنادك عقّد حياتك .. كانوا يقولون لك عندما تتزوجها ستفتح لك محلا .. ها هو المحل لنا بدون أن تتزوجها .. استيقظ من عنادك يا ابن عمي .. زهيرة من درب ونحن من درب .

ـ ألها عاشق يا حميد يبعدها عني ؟!

ـ أمي تقول إنها فتاة جادة وحابة الدراسة وأن تصير دكتورة كأبيها .. تتداوى عندها الناس .. مهنة أبيها ..

قال : ولكنها في الجامعة !

ـ هو كل فتاة في الجامعة لها عشاق

قال : أصدقاء من الذكور ..

ـ وماذا يعني هذا لك ؟ اليوم هناك مدارس فيها من الجنسين .. وبحكم الدراسة لابد من التقاء وتصاحب الجنسين .. أنا لا أدري كيف تخرج كلمة عاشق من فمك نحو ابنة عمنا ؟

ـ الدنيا تتغير بسرعة يا إنسان

ـ لا أقصد المعنى الحرفي للكلمة .. هناك كما نسمع تتخذ الفتيات زملاء وأصدقاء وشلة يلهون مع بعض .. يدخنون يسخرون يمزحون

ـ صحيح ؛ ولكن ليس بالصورة البشعة التي نسمع عنها في جامعات أوروبا من حب الحرية الجنسية حتى أننا نسمع أن حرية زواج المثلين في تلك البلاد .. شيء مقرف !

ـ مقرف .. لأننا مجتمعات مسلمة .

ـ ابنة عمنا الدكتورة الصاعدة لابد أن تلتقي ببعض الشباب كغيرها من طلبة الجامعة

قال ميلاد وهو يرمي كوب الشاي الثاني على الأرض : تتعرف لكن أن تحب وتسهر ..

ـ لا يرضى أخوالها بذلك خاصة يسري الذي تشاطره البيت مع جدتها أم فوزي .. فهم مثلنا متمسكون بالإسلام والشرف

فضحك ميلاد وقال : لعلك نسيت .. ماذا فعلوا أيام أمها عندما تعلقت بشاب يصغرها بسنوات كثيرة ؟!

قال حميد : احترم امرأة عمك يا رجل .. ثم هي كانت عند الدكتور مروان .. والأخ يسري شقيقها لقد قام بضربها وتربيتها

ـ ولا اهتمت به .. الذي صحح اعوجاجها موت الحاج محمد والدها الذي هلك بسببها .. مات مصدوما

ـ أنا أعرف بغضك لها .. الله يستر على النساء .. عليك أن لا تنسى أنها كانت امرأة عمنا مجدي وأنها والدة زهيرة

ـ صح ؛ ولكنها تزوجت شقيق الوصي ، وفضحته .. قد طمعوا بثروتها

ضحك حميد وقال : سخف هذا .. هذه أقوال عمي عادل .. قضت ثلاث أو أربع سنوات عنده ما سمعنا أنهم أخذوا منها قرشا واحدا ، بل سيارتها كانت من زوجها وابنه الكبير كهدية .. العدل مطلوب يا أخ ميلاد .. هي زهيرة كم ورثت عن أبيها ؟

قال ميلاد : أنت تدافع عنها كثيرا يا حميد ..

ـ القضية ليست قضية دفاع .. إنها قضية احترام لأجل أنها كانت زوجة للعم مجدي .. وهي في حالها ولا تتدخل فينا ..

ـ كلام أبيك الذي يردده على مسامع أبي .. سمعت أن البنت ورثت ما يزيد عن المائة ألف دينار ثروة كبيرة .. شغل سنوات طويلة لعمي رحمه الله ..

ـ أوه ! مبلغ كبير .. مائة ألف يا منحوس .. عيناك على مائة ألف .. عمي عادل ملأ كيانك من زهيرة لتفوز بمائة ألف

ـ وأمها حصلت مبلغا جيدا .. عمك كان دكتور في إحدى دول البترول والنفط

ـ أعرف .. ووالدي ورث بعض المال عن شقيقه .. وهذا المشغل فيه حصة لأبي .. نعود لزهيرة التي أنت مصر على الزواج منها ولو طال الزمن

أشعل لفافة تبغ من جديد وقال : هي كما قلت ليست بالجميلة الفاتنة ، وهي مقبولة وابنة عم وثرية .. أريد أن أفهم السبب الحقيقي لرفضها لي .. لابد أن شخصا ما في حياتها .. فربما شقيق صاحبك السيد محمود يعرف لي أخبارها في الجامعة .. خاصة أنه في كلية التمريض .. قد يستطيع معرفة من هو هذا الفارس أو الصديق ؟

ضحك حميد وقال : مع سخف ما تطلب سأفعل .. فقد سألني السيد محمود عن سبب ضيقك ونكدك.. فقلت له الهوى تلاعب به ، ثم حكيت له بعض قصتك وغرامك الوهمي ، فذكر أن له أخا يدرس في الجامعة في كلية التمريض سنة ثانية فيمكنه معرفة أخبارها في الكلية ، وقد يتعرف عليها بحكم العمل في المستشفى التعليمي في المحاضرات العملية .. ولما تحدث مع أخيه عنها ، ذكر أنه لا يعرفها شخصيا ، ولم يلتق بها ، وربما يستطيع التعرف عليها وعلى أخبارها .. فهم يعيشون في مجتمع مختلط ، وسهل التعرف على أي شخص كمعرفة عابرة .. وإن لم يستطع بشخصه يستطيع عن طريق صاحباته الإناث ، فطلبت ـ حسب رغبتك الملحة ـ أن يأتينا بأخبار زهيرة في الجامعة ، وسوف يمر مساء هذا اليوم السيد أحمد ليتعرف عليك أكثر ، فهو يعرفنا كما يقول محمود ؛ ولكنها معرفة خفيفة بحكم مجيئه أحيانا مع محمود لتصليح السيارة .. فقد رافقه مرة ، ولم يتحدث معنا سوى بالإشارة محييا لنا

قال ميلاد: أنا لا اذكره .. أما محمود فأعرفه جيدا ..

وهو زبون يتردد علينا باستمرار ، وأصبح صديقا لنا ، وهو من نفس جلينا

ـ نعم ، وهو متزوج مثلي ، وعنده طفلان مثلي أيضا ، وأكثر من مرة شاركنا الغداء هنا ؛ لذلك هو راغب بجد خدمنا

ـ ولماذا سيقابلنا أخوه إذن ؟!

قال حميد : سيقابلنا يا سيدي ليتعرف علينا أولا ، ويعرف ما الذي تريده بالضبط وأنك تزعم أن رفضها لك بسبب تعلقها بشاب قد لعب بعقلها ورفضتك من أجله.. ألم تقل لابد أن صيادا من طلبة الكلية صادها ؟

ـ أنا هكذا خمنت .. أليس لكل شيء سبب ؟ ..أرغب من هذا الشاب المدعو أحمد أن يعرف ذلك لي

ـ والله يا ابن عمي لو تصرف نظر عن زهيرة وتتزوج أحسن لك

ـ أبعد كل هذه السنين من الانتظار ؟!

آخر النهار أقبل السيد محمود قائدا لسيارته القديمة ، ومعه شقيقه أحمد طالب كلية التمريض إلى محل تصليح السيارات الذي يملكه ميلاد وابن عمه حميد ، وبعد الترحيب وشرب الشاي خرج ميلاد وأحمد حيث تقف سيارة محمود ، وجلسا في مقعدها الخلفي وقد تركوا أبوابها الخلفية مشرعة يتحدثان ، فكان ميلاد يقول : لما بدأت أكبر سنا كان أبي يقول إننا سنزوجك ابنة أخي المرحوم مجدي ، فصرت كلما نذهب لزيارتها في بيت جديها والد أمها أرافقهما .. وهي وحيدة عمي مجدي الميت .. المهم تعلقت نفسي فيها ، واعتقدت أن المسألة مسالة وقت ، عندما نكبر ونصبح مؤهلين للزواج نتزوج ، وأن الأمر مسلم به ، ولما بلغت البنت خمسة عشر عاما تقدمنا للزواج منها ، فرفضت أمها في البداية ، وبينت لنا أن البنت لا ترغب بالزواج في مثل هذه السن ، وتريد أن تكمل المدرسة .. فتحرك أبي ، ووسط بعض الناس حتى رضينا بالصبر وتأجيل موضوع الزواج ، وأنا طبعا تركت المدرسة في الإعدادية ، وتعلمت هذه الصنعة عند أهل الخبرة ، وكنت حقيقة ضعيفا في الحفظ والتحصيل ، ورأيت المهنة أفضل من المتابعة .. تحججوا بالصغر والمدرسة ، تزوج حميد ، وظللت منتظرا حتى تصل التوجيهي ، صبرت وأجلنا الزواج .. ووالديّ كان عندهم أمل أن تقبل زهيرة ابنة عمي بي عندما تنضج ، وترى أن مصلحتها هي الزواج المبكر .. كان عندهم أمل كبير أن تكون من نصيبي .. وأنا ظللت يا أخ أحمد متعلقا بالخيط الضعيف ، ولست مستعجلا على الزواج كحميد .. نجحت في الثانوية العامة ، وحصلت المعدل الكبير الذي يؤهلها للقبول في الجامعة والطب خاصة ، حصلت معدلا فوق التسعين في الفرع العلمي .. صدمت بعض

الشيء .. كنت أتوقع أن لا تحصل المعدل الكبير الذي يؤهلها لكلية الطب .. فترى الزواج خيرا من دراسة الجامعة .. وكنا نسمع أن هذه رغبة عمي الميت أن تدرس زهيرة مجدي في كلية الطب ، وكان موته وهي ابنة ست سنوات أو سبع ..أنا أدركت سعة المسافة بيننا ولكن هواي معها .. تحرك أبي من جديد لكن دون جدوى كلمها أخوالها وبعض أعمامي ، رفضت بشدة فكرة الزواج مني ، واستمرت في الجامعة فاضطررت للالتقاء بها ، ومناقشة القضية فرفضتني بغضب وكره ، فاضطررت أن أحدثها بحدة وتهديد وسخط ونقمة ، وأنها لن تتزوج غيري ، ثم خرجت غاضبا مقهورا .. فهل رفضها لشخصي أم لأني ابن الرجل الذي سعى للزواج من أمها بعد وفاة والدها أم أن هناك رجلا أو شابا آخر في حياتها ؟ .. وهذه مهمتك أيها الأخ أن تعرف لي أخبارها في الجامعة ، مع من تمشي تجلس تأكل ؟ هل هناك صديق يرسم للزواج منها أم أنها فعلا لا ترغب بالزواج ؟.. فوالدها تزوج وهو ابن أربعين سنة .. فأمها تزعم أنها لا تفكر بجنس الرجال .. كرهت ذلك من حياة أمها.. قد تزوجت والدتها ثلاث مرات .. هل يوجد امرأة لا ترغب بالزواج والأمومة ؟! ولماذا خلقها الله ؟! وأنا لا أصدق ذلك ! .. حتى راهبات المعابد أشك بعدم رغبتهن بالزواج .

تبسم أحمد لميلاد وقال : يعني أنت ترى أن رجلا في حياتها يحجزها عن القبول بك رغم أن رفضها كان قبل وصولها للجامعة ..أنت تريد مني أن أعرف ألها صديق في الجامعة ؟ .. وهو عائق أمام زواجك .. هي في السنة الأولى بعد فلا أعتقد أنها كونت صداقات مشبوهة يا سيد ميلاد .. ولكنني سأسعى للتعرف عليها وعلى من يجلسن أو يجلسون معها من أجلك أيها الأخ ومن أجل صداقة محمود معكم ولما ظل ميلاد صامتا تابع أحمد فقال : وأنا بحكم تقدمي سنة عليها أعرف شبابا وشابات في كلية التمريض والطب والصيدلة والأسنان ، وحتى من موظفي المستشفى الجامعي حيث التدريب والتطبيق ؛ ولكني أحب أن أنصحك ...

فقطع ميلاد الاسترسال ضائقا وقائلا: إذا كنت ناصحا بصرف نظري عن الزواج منها فلا تنصحني ، لن أتزوج غيرها ، ولو ظللت عمري كله بلا زواج

تبسم أحمد وقال : حسنا ! لكن يا أخي حبك من طرف واحد .. لم يكن بينكم علاقة عاطفية لتبني عليها أملا وحياة زوجية .. فمن كلامك وكلام السيد حميد فليس للبنت قصص مع فتيان الحي والمدرسة .. فليس لها سوابق بما يسمى حب المدارس والمراهقة

ـ نحن طبعا بحكم القرابة لم نسمع بمثل ذلك عن

زهيرة ونحن بعيدون عن حيها وخصوصيتها رغم قرابتنا .. هل تصدق أنها منذ سنوات لم تدخل بيتنا بيت عمها عادل والدي ؟ .. حتى في ولائم شهر رمضان كانت تعتذر هي وأمها وأخوالها ، ربما لأنها عاشت فترة مع زوج أمها الغريب

ـ صفها لي أو هل تملك صورة لها ؟ دعني انظر إليها

ـ لا أحمل صورة لها .. كان لنا معها صور ونحن صغار وهي طفلة ، أما بعدما شبت فلا صورة لها عندي ؛ ولكني سأصفها لك بشكل تستطيع معرفتها بمجرد رؤيتها.. أرجو أن تهتم بأخبارها ونشاطها .. وركز على علاقاتها العاطفية وأرجو أن لا يكون لها مثل ذلك وتنهد وقال تعلقت بها تعلقا شديدا يا أحمد لا أدري هل هو خطئي أو خطأ والديّ ؟

ـ سمعت أنها غنية؟

ـ صدق أنني تعلقت بها ليس من أجل المال .. كنت صغيرا عندما اهتممت بها كشريكة حياة

قد يكون هذا دافع أبي لتحريضي للزواج منها ؛ لقد كانت الأنثى الوحيدة التي رغبت بالاقتران بها .. وكنت أرى أن الأمر سهل وميسور فبمجرد أن نتقدم لطلب يدها ، ستقبل ، وترحب بذلك ، وتسر ، وتعود لحضن عائلة أبيها ، وتعلن الأفراح .

لم يجد أحمد صعوبة في إلقاء نظرة على الآنسة زهيرة بعد أن كلفه ميلاد بمعرفة خطاها في الجامعة فهو لم ير في فعله هذا خساسة ، أو تدخل في شؤون الآخرين ، رآها خدمة لشقيقه محمود صديقهم الذي يتردد عليهم كثيرا لتصليح سيارته الأثرية ، لقد رآها أول مرة في مطعم (كافتيريا) كلية الطب ، كانت تجلس مع فتاتين وشاب ، وكانت الفتاتان تلبسان الملابس الشرعية الشائعة أو ما يسمى بالجلباب الإسلامي هذه الأيام .. وحتى زهيرة لم تكن متبرجة سافرة فقد كانت ترتدي ثيابا محتشمة ، وتضع على رأسها خمارا ، ولاحظ أن الشاب يتحدث معهم بحماس بدا له أنهم زملاء في نفس الفصل ، وكان يجلس مع أحمد في المطعم رفيق له فقال له بعد أن لاحظ كثرة نظره إلى تلك الطاولة فقال مداعبا : أراك تنظر كثيرا إلى تلك المائدة . وأشار إليها.



تبسم أحمد وقال : أعتقد أنهم من طلبة كلية الطب فرد صديقه : هذا ـ مشيرا للشاب ـ اسمه نزار من كلية الهندسة .

ـ أتعرفه ؟!

ـ ألا تعرفه أنت ؟ إنما هي معرفة جامعة يا محترم ، هو ناشط سياسي أو طلابي في الجامعة ألا تراه يتحدث معهن بحماس كأنه يخطب ، وأعتقد أنه

سيرشح نفسه لانتخابات مجالس الطلبة عن كلية الهندسة عن شعبته التي لا أدري ما هي ..

ـ رائع يا سيد جميل! .. إنك تعرفه جيدا ، ظننته طالب طب جديد ..

قال جميل : أنا ظننتك تعرفه عندما لاحظت كثرة التفاتك ناحية تلك المائدة

ـ إنما كنت أنظر إلى تلك الفتاة السمراء الممتلئة .. فهي ابنة عم صديق لي ولأخي سنة أولى طب كما أعلم مستجدة في الكلية .. وطالب الهندسة لماذا يجلس معهن ؟ أمن أجل الانتخابات ؟ وهل بدأت الدعاية ؟

ـ أعتقد من أجل الانتخابات الطلابية .. الحملة تبدأ قبل الإعلان عن الحملة يا أحمد .. وهو صديق لهن حسب معلوماتي ، فكثيرا ما رأيتهم سوية هنا أو في الحدائق ، هل هذا يزعجك ؟

هز رأسه وقال باسما : ابدا يا جميل ! ولكني لما رأيتها تذكرت ابن عمها ، وتقدم لها خاطبا وطالبا للزواج

ـ الزواج .. هو ليس بطالب

ـ لا ، ميكانيكي سيارات .. واعلم أنها غنية كما أخبرت ، ربما تملك ثروة تبلغ مائة ألف دينار .

ـ هي ؟!

ـ نعم ، هي ورثت ذلك عن أبيها ، وهو دكتور توفي في خارج البلاد ، وليس له إلا هي .

فابتسم جميل وقال : إذن صاحبك طماع ، هو يريد الزواج من مالها كما يبدو سايره ضحكا وقال : تقريبا ؛ لكنه لا يصرح بذلك ، هو يزعم أنه أولى بها لأنها ابنة عمه ، وربيت عند أخوالها ، فبزواجها منه تعود لأعمامها للعائلة

ضحك جميل وقال : أفكار غريبة ! ألا يوجد لها ابن عم متعلم ؟ أتحب أن تتعرف على المهندس نزار ؟

ـ من نزار ؟

ـ الذي يجلس معها ، ومع الفتاتين الأخريين

تبسم ورد : لا أريد أن أتعرف عليه ، ولا عليها .. هيا ننصرف ولنتح لغيرنا الجلوس على هذه المائدة

وعندما نهضا يبدو أن المهندس نزارا لمحهم، فحيا جميلا وأشار له بيده للانتظار فدهش أحمد ، وتقدم الشاب إليهما تاركا الفتيات بابتسامة صغيرة ، وسلم عليهما وصافحهما وقال : مرحبا أخ جميل أتريد الانصراف ؟

ضحك جميل وقال : الانتخابات ؟!

ـ نعم ، كنت أتحدث مع الأخوات الزميلات عنها ، وحضهن على انتخاب كتلة (التيار الإسلامي)

وعادوا للجلوس بعد أن تعرف نزار على أحمد طالب كلية التمريض ، وذكر له اسم ممثل كلية التمريض في الكتلة ، ودار بينهم حديثا شيقا عن انتخابات مجلس الطلاب على مستوى الجامعة وأهميته للطلاب من مختلف الكليات ، وذكر لهم برنامج الكتلة التي يعمل معها ، ووعدوه خيرا

وقال أحمد : أراكم تعملون مبكرا هذه السنة ؟
ابتسم المدعو نزار وقال : لم يبق إلا القليل لإعلان الموعد ، وأحبت كتلة حقوق الطالب أن تعمل مبكرا ، والإدارة في الجامعة سمحت لنا بالنشاط والحركة مبكرا
فقال أحمد : وماذا سيستفيد الطالب مثلي من مجلس الطلبة ؟! ولا أدري ماذا يقدم هذا المجلس للطلاب ؟ لا أدري إلا أنكم تسجلون مواقف سياسية فقط ؟!
فقال نزار ضاحكا لجهل الطالب لمهام مجلس الطلاب : من المهم أن يتحدث الطلبة في السياسة فهم رجال الدولة في المستقبل القريب .. واعلم أن المجلس لا ينشأ من أجل السياسة ، هو قائم لتحقيق مصالح الطلاب وحقوقهم في تحصيل العلم ، وحل مشاكلهم مع الإدارة ، وعندما يسمح بالدعاية علنا سيوزع برنامج عمل كتلة حقوق الطلبة ، وهناك المساعدة في الخدمة الطبية ومساعدة الفقراء أو الذين يطرأ عليهم الفقر خلال سنوات الدراسة ، ونشاطات كثيرة يقوم بها مجلس الطلبة وهي تدريب للعمل الاجتماعي والسياسي بعد التخرج من خلال النقابات المهنية .. فللمهندسين نقابة وللممرضين نقابة .. فهي فترة تدريب للعمل الجماعي .. تنمية روح الحوار وتبادل الأفكار وتعزيز الانتماء للأمة .

فقال جميل : المجلس مهم ، وقد لا يلمس كل طالب شخصيا أهميته ، لو حدثت مشكلة مع معيد أو عميد مدير أستاذ مع زميل .. فالمجلس يساعد على حل المشكلة والتخفيف من أضرارها ؛ ولكن المواقف السياسية من قضايا الوطن تبرز أكثر لتسليط الإعلام الأضواء عليها أكثر من الأمور الأخرى.
فقال أحمد : على كل حال سوف نشارككم يا سيد نزار الانتخابات .. ونحن سعيدون بالتعرف على شاب محترم مثلك ، وعلى مهندس واعد
ـ شكرا يا سادة . وتفرقوا .
عاد أحمد وجميل في اليوم التالي لمطعم كلية الطب ، فوجدا الطالب نزارا يجلس مرة أخرى مع زهيرة وصاحبتيها ، فلما أخذا بالأكل قال أحمد : صاحبنا اليوم هنا .. هندسة طب !
قال جميل غامزا: ربما كان بينهم زيادة على ما سمعنا أمس
أحمد متشككا : أخشى أن تكون هنا مغامرة نسائية .. لا أرى ما يدل على أنهن فتيات لعوبات فملابسهن تدل على أنهن محافظات .
ولمحهما نزار فأرسل إليهما تحية بيده ، فردا التحية بمثلها ، ثم غادرا القاعة فور قضاء طعامهما حيث الحدائق التي تنتشر فيها الأرائك الخشبية ، فجلسا على واحدة خالية يتحدثان فقال جميل : أراك تتردد

إلى هنا منذ فترة ؟ هل من جو جديد ؟
ـ جو ! ليس لدي جو جديد ولا قديم .. إسراء تركتني يا صديقي .. قد أصبحت صديقة لخالد
ـ خالد الذي أعرفه ؟!
ـ آ .. أصبح الصديق المفضل عندها
ـ أحسن .. بس لماذا ابتعدت عنك ؟!
ـ قالت إني ممل ، ومجالسي مملة ، تحب السهر والخروج إلى الأسواق والساحات والمسارح .. وأنا شبت منها قبل دخول الجامعة .. وأسواق الملابس تثير النفس وتغويها .. مرة خلتني اشتري لها قميصا
ـ بدون مقابل
ـ بدون مقابل ، ربما مسكت يدها مقابل ذاك القميص .. هي تحب الشباب والأصدقاء .. وتحب أخذ الهدايا منهم .. تسميها ذكريات الجامعة .. وهي فرصة لن تتكرر في العمر أي الدراسة مع الشباب في الجامعة ومرافقتهم .. وهي لا تفرط بشيء من جسدها لهم لحد الآن وأنا لم أحاول لأني أكره الزنا .. ولي أقارب في الجامعة أخجل أن يسمعوا شيئا عني .
فقال جميل جذلا : الحمد لله .. لم اتخذ أي صديقة بمعنى الصديقة .. نعود لماذا تحب التردد على هذا المكان منذ عهد حديث لماذا ؟!
تبسم أحمد في وجه صديقه في الكلية وقال : لا لشيء ؛ ولكني ارتاح في مطعم كلية الطب ، ربما رأيته أنظفها .. وأكثر المعارف معارف عابرون يا سيدي .. وهل إذا جاء الشخص هنا لابد أن يكون له جو .. يرغب بالزواج من طبيبة واعدة ؟
ضحك جميل وقال : عادة الطالب يحب أن يتسكع مع طلاب كليته ؛ ليكون صداقات عرضية ودائمة .. ولما يتردد طالب مثلك لمطعم هذه الكلية لابد أن يكون هناك جو.. وإلا الفتيات أكثر من الذكور يخيل لي في الجامعة ..
ـ ها هو صاحبنا يخرج مع الفتيات
التفت جميل ناحية نزار وقال : إنك تبدي اهتماما في تلك المجموعة .. وخاصة تلك الفتاة التي أخبرتني أن صاحبك الميكانيكي طلبها للزواج
ـ نعم ، طلبها ابن عمها ورفضته ، بل مصرة على رفضه .. ثم أعاد على مسمعه قصة رفضها وتهديده لها بأنها لن تتزوج غيره .. وفي النهاية قال : الشاب مصمم على الاقتران بها ، ولو صار عمره مائة عام .. يا ترى لو رآها تأكل مع طالب كلية هندسة ، ربما ثار وانقض عليهما انقضاض البازي على فريسته ..
فقال جميل معقبا : صاحبك مجنون .. يا رجل ! طبيبة ستقبل به .. هو هدفه الفلوس وبس .
فقال أحمد : ألا تنكح المرأة لمالها ؟
ـ تنكح ، لكنها متعلمة ، وهو أمي .. يبدو لي من كلامك أن عقليته قروية .. أين محله ؟ كأنك ذكرت أن له محلا أو كراجا لتصليح سيارات أين ؟

ـ نعم ، في شارع البوصلة حيث أظن أنها أكبر منطقة لورشات تصليح السيارات الصغيرة والحافلات .. لقد اهتممنا بهم أكثر من اللازم

ضحك جميل وقال : اهتمامك بها واضح يا أحمد بالنسبة لي .. وصديقنا نزار مهتم بالحديث معها ، فلن تجرؤ على إفساد صداقتها .

ـ هل تعتقد أنني أميل إليها ؟ .. وأحضر إلى هنا آملا في ذلك .. جعلتني نذلا يا جميل .. قلت لك ابن عمها طامع بها ، بل هددها أن تتزوج رجلا غيره ، ولسوف يفتك به

ـ هددها

ـ نعم ، قابلها وهددها بأنه لن يسمح لأحد أن يتزوجها ، وأنه انتظر ثلاث سنوات ، ويستطيع الانتظار عشر سنوات أخرى

ـ أمعقول هذا ؟! هذا مجنون وسخيف ويعيش في زمن عمرو بن كلثوم التغلبي .. وهذا يؤكد لك أنه يريد المال .. لو تعطيه بضعة آلاف لنصرف عنها لاختفى من حياتها

ضحك أحمد وقال : يا رجل ! أخي محمود الذي تعرفه قال رفض تدخل والديه وإخوانه وأعمامه وأخواله وحتى الوصي على ثروتها ، وأقسم لهم أن لا يتزوج إلا زهيرة .. وهذا هو اسمها .. هل يصرف عنها فكره ؟ لا أعتقد أنه مجنون بها كما قلت .. وهو حب من طرف واحد .. أعتقد أنه قد بقيت علينا محاضرة اليوم .. هيا يا جميل .



زار محمود بيت والده وجلس معهم بعض الوقت ، ثم مشى إلى غرفة أحمد غرفة نومه ، ومكتب دراسته ، وبعد التحية والعناق والسلام المعتاد قال :

قال حميد ميلاد يسأل عن أحوال العروس

غمر أحمد الضحك ملء فمه وقال : البنت محتشمة ، تلبس ثياب تكاد تكون كثياب بنات كلية الشريعة

ـ ليست سافرة رغم كثرة المال الموروث !

ـ لأ ، ولا متبرجة ، تلبس ثيابا طويلة ساترة لكل البدن ، وتغطي شعر رأسها وهادئة .. وحرك رأسه يمينا ويسارا وتابع : إنها طبيبة يا حميد .. لا أدري كيف سترضى بصاحبك الولهان ؟!

ـ قلنا له ذلك أنا وحميد وغيرنا، ولفتنا نظره إلى ذلك أكثر من مرة ، وإلى الفارق الاجتماعي بينهم ؛ ولكنه يزعم أنه ابن عم لها

ضحك أحمد : كأنه ابن العم الوحيد

ـ أليس لها حركات مريبة ؟

ـ مريبة ! .. الجلوس مع الذكور في الكليات المختلطة لا يدل على الريبة .. وهو أمر شائع خاصة الطب .. لأنهم يكونون مجموعة من الطلاب مع

مدرسهم أو مدرستهم في قاعة أو غرف المرضى يتجولون ويتعلمون .. ولكني شاهدتها أكثر من مرة في الكافتيريا مطعم كلية الطب تجلس مع شاب واحد باستمرار ، ومعهم فتاتان أخريتان .. والشاب من كلية الهندسة سنة ثانية .. وهو شاب ناشط شبابي طلابي ، يهيئ نفسه للترشيح الطلابي في المجلس ؛ فلذلك ينشط في التنقل بين الكليات المختلفة للدعاية .. وجلوسه معهن متكرر خاصة عند وقت وجبة الطعام الصباحية حوالي الساعة العاشرة والنصف .. وحتى ضحكاتهم مقتضبة ، بل ساروا يعرفوننا من ترددنا على مطعمهم ، أنا والسيد جميل زميل لي .. لا تظهر منهم تصرفات غير عادية في مجالس الناس لا تحس أن هناك علاقات عاطفية ـ يعني البنت محترمة

ـ البنت بعدها سنة أولى

قال محمود : البنت اللعوب من أول يوم في الجامعة تصاحب

ضحك أحمد وقال : ممكن ، وقد التقيت بمثل هذه النماذج

ـ على كل حال تابع مهمتك البغيضة لبعض الوقت .. وأنا أدرك أن هذا تصرف سيء لك ولي بل وجدت نفسي أعرف أحد أبناء أخوال البنت

ـ جميل ! كيف؟!

ـ من حميد ابن عمها ، كنت أتحدث معه منذ أيام ، وعند محل تصليح بجواره توقفت سيارة نظرنا إليها كعادة البشر، فنزل منها كهل ، فلما رآه حميد قال أرأيت هذا الرجل الذي نزل من تلك السيارة ؟ قلت : نعم ، بل أعرفه ، والتقيت به عدة مرات ، وهو لم ينتبه لي ، وإلا سلم عليّ إنه المهندس خليل فوزي .. كان أستاذا في المدرسة الصناعية الكبرى فقال حميد : هو ابن خال ابنة عمي زهيرة فدهشت ، فتابع قائلا : عمل مدرسا كما قلت ، ثم سافر لا أدري السعودية أم الإمارات .. تعاقد مع شركة تعمل في الخليج ، وعاد منذ عهد قريب ، وهو يصلح سيارته بالعادة عند جارنا خضر ، قد يكون قريبه أو من طلابه قديما

قال أحمد : لا أحد مقتنع بزواج صاحبك ميلاد من الآنسة زهيرة .. فصاحبك سخيف ، ويمثل دورا ليس له فيه أمل

ـ يزعم أنه محب

ـ لما سمع صديقي وزميلي في الجامعة جميل الحكاية، ولمرافقته لي إلى كلية الطب أو مطعمها .. قال هذا ليس محبا ، بل هو طماع ، ولو أعطته بعض المال لاختفى من حياتها إلى الأبد .

ضحك محمود وقال : الحق يا أحمد على أبيه .. أبوه كان طامعا بالزواج من أمها بعدما ترملت وبثروتها وثروة زهيرة ؛ كأنه حز بنفسه أن تذهب أموال شقيقه إلى عائلة زهيرة .. مع أن حميدا ذكر لي أنه لم

يسمع من أمه التي تزور امرأة عمه بعد ترملها ، وحتى بعد زواجها من شقيق الوصي ، ولليوم ، لم يسمع أن أحدا من أهلها استلف منها مالا ، بل سيارة الأم كانت من زوجها الثاني وابنه كهدية وعطية .. حاول أبوه أكثر من مرة الزواج منها ، وحتى بعد أن طلقها زوجها الثاني سعى لذلك ، وترفضه كل مرة .. فكأنه لم ييأس منها ، فاقنع ميلاد بالزواج من زهيرة ، فطمعت نفسه إليها ، القصة التي تعرفها .. فالسبب أسرته أمه وأبوه .. وأنا مثل صاحبك لا أعتقد أنها ستتزوج منه في يوم من الأيام .. وهو في دخيلة نفسه مقتنع بأنها لن تتزوجه ، فهي لم تقبل به وهي تلميذة مدرسة فهل تقبله وهي طبيبة ؟ .. رفضته في فترة لا حكم لها ، فكيف عندما تكبر ويصبح القرار كله إليها ؟ .. أنا طلبت منك ذلك حتى يطمئن أن البنت لا تعرف شخصا معينا لترفضه .. فبعض أصحابه يوهمونه بأن سبب رفضها أنها متعلقة بآخر .. غباء غباء أليس كذلك ؟

ـ هو المال والطمع ، لما فشل الوالد بالصيد الثمين شجع الابن على البنت ، وصدق ميلاد أن زهيرة له

ـ هل تعلم أن والد ميلاد كان مدير مدرسة قبل تقاعده ، وهو اليوم يعمل في تجارة العقارات مع أحد أبنائه ، وهو ليس بحاجة لمال زهيرة وأمها .. فكل أولاده من زوجته الأولى كبروا وتزوجوا ، ولم يبق إلا ميلاد وبنت أو اثنتان وسوى أطفاله من الثانية

ـ على كل حال سأنهي مهمتي قريبا يا محمود .. وقل للرجل أن ابنة عمه محترمة .. والآن بعد سماع كلامك فأعتقد أن الشباب الذي يجلس معهن قريبا لها ، وللبنات الأخريات ، ربما ابن خال أو خالة ، وربما استطاع حميد معرفة ذلك من ذكرك لاسم المهندس نزار أمامه ، والله تعالى اعلم .

الشاب الذي كان يجالس الفتيات الثلاث في قاعة طعام كلية الطب ، هو الطالب نزار سعد الدين طالب كلية الهندسة في الجامعة ، وهو سنة ثانية هندسة مدنية ، فهو ابن خالة زهيرة مجدي وإحدى الفتاتين أخته اسمها لمياء سعد الدين ، وهي سنة أولى كلية الصيدلة في نفس الجامعة ، والأخوان من سكان مدينة ومحافظة أخرى ، والفتاة الثالثة هي بنت ابن شقيق هناء محمد المهندس خليل فوزي محمد ، وهي من سكان العاصمة في أحد أحياها العامر بأهله ، وهي سنة أولى صيدلة مثل ابنة عمة أبيها لمياء ، واسمها سمر خليل .

والمهندس نزار وأخته يعرفان زهيرة معرفة جيدة ، وقد التقيا بها كثيرا قبل دخولها الجامعة ، فكانا كلما زاروا جدتهم أم فوزي يصادفان زهيرة ، فيجلسون سوية ؛ لذلك كانت جلساتهم الجامعية امتدادا لتلك الجلسات ، ولم يكن بينهم اتصالات خاصة ،

إنما هم أقارب فحسب ، وربما كانت لمياء تتحدث مع زهيرة بالهاتف في بعض الأوقات .
أما سمر فقد كانت أيضا ترافق والدها في زيارة جدته ، فالتقت بزهيرة وعمة أبيها هناء أثناء تلك الزيارات ، وكانت تتحدث معها بالتلفون ، ولم تكن بينهن زيارات خاصة قبل الالتحاق بالجامعة ، فوالدها يشارك العائلة مناسبتها الاجتماعية فحسب ، وغالبا ما يصحب زوجته معه في تلك المناسبات .
وكان الرجل مستاء من عمته عندما زاغت عن خط التقاليد عندما كانت زوجة للدكتور مروان طه ، وآلمه انحرافها ، وكان يقف بجانب عمه يسري في تشدده نحوها ، وسر جدا بتوبتها وأوبتها بعد موت والدها .
ولما التحقت زهيرة بالجامعة أصبح التقاؤها بأبناء خالتها ممكنا ومتكررا ، قد اتفقوا على اللقاء في كافتيريا كلية الطب لموقعها الوسط بين كلية الصيدلة وكلية الهندسة الأبعد شيئا ما ، وكان جلوسهم عائليا ووديا ، يتناولون إفطارا خفيفا أو يشربون القهوة وحدها ، ويسمعون أخبار بعض ونشاطهم في الكليات ، وأصبح الالتقاء عادة لهم ، قد يتخلف نزار عنه أحيانا أو أحدهم لعذر ما ، اجتمعوا ذات نهار كالعادة المشار إليها فقالت لمياء شقيقة نزار له ضاحكة أو متهكمة : أصحابك شباب كلية التمريض لهم عدة أيام لا يأتون هنا !
تبسم الجميع على كلمة أصحابك ثم هتفت سمر : وأنا مثلك لاحظت ذلك .. فما نكاد نجلس حتى يدخلون المطعم حتى وقع في نفسي أنهم مهتمون بنا
قال نزار : خطر هذا في بالي مثلك يا سمر ؛ ولكن يبدو أننا كنا مخطئين .. فالشاب المدعو أحمد لم أعرفه إلا هنا في هذه القاعة ، أما زميله جميل فقد التقيت به أكثر من مرة ، وتعرفت عليه في انتخابات المجلس العام الماضي ، وهم سنة ثانية تمريض .. وتأكدت معرفتي به عند ترددي على أحد أقسام المستشفى ، كنت أرافق زميلا في العلاج ، فازداد تعارفنا وساعدنا في سرعة العلاج وهو جيد ويعمل بشكل جيد ونشيط .. وكانت كثرة نظراتهم إلى مائدتنا تثير الريب في نفسي ، ولم أفهم فعلهم هذا .. يبدو أنه قد كان لهم جو هنا واختفى .. فالشباب يحسن الصيد في مثل هذه الأماكن .. بالمزح والعيون وتقديم الشراب والشكولاتة ، فهنا يظهرون كرمهم وأموالهم .
فلما سكت نزار قالت زهيرة : أحسن ، لقد أزعجونا بعيونهم .
قالت سمر : هو السيد أحمد الأكثر نظرا ومراقبة لنا .. أما جميل فكان أحيانا يدير لنا ظهره ويغرق في شايه وطعامه .. فكان يخال لي أن أحمد سيهجم علينا
فضحك نزار وقال : لا أعتقد أنه وقح لهذه الدرجة

.. البداية تكون من البنات أنفسهم .. إذا تصرفت البنت تصرفا خاصا فيتجرأ الشباب على التقرب منها والحديث معها .. وأما إذا وجد صدا ورفضا وعدم مبالاة فسيختصر ويبتعد ويبحث عن أخرى ، ويعتقد أن الكثيرات يرغبن بمصاحبته والمشي معه بدون أن يضطر للوقاحة وقلة الأدب .

قالت زهيرة باسمة : رائع هذا التحليل منك يا نزار! .. هذا لمسناه ونحن في المدرسة الثانوية .. تفكير جيد يا نزار فعلا لو أرسلت الفتاة إشارة إيجابية للرجل أو الشاب لتقدم كما قلت ، أما إذا أهملته فلم تكترث بحركاته وعيونه فسيبحث عن غيرها .. ولا أعتقد أنهم جاءوا من كلية التمريض ليتأملوا وجوهنا .. فكلية التمريض أغلب طلابها من الفتيات .. ولا تنس الثياب التي ترتديها الفتيات ، فربما هي نوع من الرسائل للشباب ، وتشجعهم على المغامرات العاطفية فالفتاة المجلببة يفكر الشباب مليون مرة قبل أن يغازلها ويلاطفها .

هتفت لمياء : رائع جدا كلامك يا زهيرة !! لو نحن جيران لجعلتك تملين من زياراتي .. رغم قربك من سمر ، وقربها منك فزيارتكن لبعض ضعيفة تكتفين بلقاءات الجامعة .

ضحكت الفتاتان وقالت زهيرة : نحن بنات ، ومتى سنزور بعض ؟!

وقالت سمر : ورغم أن أبي مهندس ومثقف ، فهو لا يسمح لنا بالتأخر لليل خارج البيت، فمتى سنزور بعض يا لمياء ؟ .. ولولا تعلم أخواتي الأكبر في الجامعات لخشيت أن يحرمني أبي من الجامعة .. تعليم البنات متقبل لدى الكثير من العائلات .

قالت زهيرة : تخيلن أنني عندما أنهيت الإعدادية رغب ابن عمي ميلاد ابن عمي عادل الزواج بي ، وخشيت أن يوافق أهلي وأمي على ذلك تبعا للعادات والتقاليد بتزوج البنت صغيرة ، ولا داعي للمدارس ولا الجامعات

فقالت سمر : ولليوم ما زال متعلقا بك المذكور، ويرفض الزواج من أي بنت

فقال نزار متأملا : سمعنا القصة .. فأمر هذا الشاب غريب فعلا يا زهيرة ! وكيف جرؤ على تهديدك ؟!

فقالت بتمهل : مجنون ! أنا ظننت بمقابلتي له مباشرة أن يعقل ، ويصرف فكره .. ظننت بالرضا على الانفراد به أن أقنعه بصرف نظره عني ، وأن يبحث عن امرأة تناسبه ، وأن يدعني وشأني في هذه الدنيا ، ولكن قبل عرض أفكاري عليه حدثني عن تعلقه بي ، وأنه لن يتزوج إلا مني ، بل لن يسمح لأحد أن يقترن بي ، فصعقت لجنونه ووقاحته ، فبكيت ورعبت من حمقه وخرج غاضبا ناقما كالمجنون .

قالت سمر : تضايقنا جدا لما سمعنا ذلك الجنون

وغضبنا .. وقال أبي معلقا على ذلك الخبر الحق على أبيه المربي عادل

فقالت زهيرة ورجفة خوف في صوتها : نعم ، الحق على عمي وامرأة عمي .. اللوم عليهم هم السبب .

بعد إلحاح شديد من ميلاد اتصل حميد بزبونهم الدائم وصاحبهم محمود شقيق طالب كلية التمريض السيد أحمد ، فرد محمود على الهاتف وبعد السلام والتحية والاطمئنان عن الصحة والحياة سأله عن أخبار العروس ، فضحك محمود ملء شدقيه لهذا الوصف وقال : ابنة عمكم فتاة محترمة يا صاحبي .

قال حميد : لا تجاملني لأنني ابن عم الاثنين .

ضحك محمود مجددا وقال : صدق ما أقول ، ويقول العم أحمد إنها تلبس ملابس محتشمة ، وإن لم تكن نحو ملابس طالبات كلية الشريعة ، وتضع على رأسها خمارا

ـ نعم ، منذ وعينا على الزينة واللباس ، لم نر زهيرة سافرة.. وذلك في مناسبات العيد والمناسبات الاجتماعية الأخرى ، كانت تخرج علينا بثياب محتشمة محافظة .. المهم هل هناك علاقات وإشاعات كالتي نسمع عنها بين طالبات الكليات والمعاهد اليوم ؟

ـ لا ، إنما هي تجلس مع فتاتين مثلها في اللباس ، ويجلس معهن الثلاث شاب باستمرار ، يعرفه أحمد ، وصديق له يقول له كأنه قريب لهن وجلساتهم في المطعم هادئة ومحترمة ولا تكاد تسمع لهم صوتا .

ـ شاب يجلس معهن جميعهن

ـ نعم ، معهن جميعهن .. لا خلوة

ـ الحمد لله، وشكرا لجهودكم ، وأنا مثل شقيقك أعتقد أنه أحد أقارب أمها، والله اعلم

ـ نعم ، هو طالب كلية هندسة

ـ آ عرفته !.. هذا ابن خالتها ، سمعت أن ابن خالتها يدرس في كلية الهندسة ويتقدمها بسنة ، حدثت أمها أمي بذلك .

ـ نعم ، واسمه نزار

ـ عرفته جيدا ، وقد رأيته في بعض المناسبات

ـ دائما يجلسون سوية ، وهو شاب محترم ، وهو ناشط طلابي كما يخبر أحمد ، فهو يسعى لترشيح نفسه لمجلس طلبة الجامعة أو نادي الجامعة .. تحياتي القلبية للسيد ميلاد ، وانصحه بالبحث عن قرينة أخرى .. فهي ستكون طبيبة

ـ دائما انصحه بتركها وشأنها ، وأن يلتفت لدنياه ، وأن يدع أوهام الشيطان .. والدكتورة سوف تنكح دكتورا مثلها تلتقي به في مستشفى في مركز طبي .. لكن الفتى يوهم نفسه بالهوى والغرام.. مجنون حب كما تبث التلفزيونات والسينما .

ـ ذا حكي فاضي وفارغ يا حميد .. حتى لو تزوجها سيفشل زواجها .. التكافؤ الفكري والثقافي

مطلوب في الزواج خاصة هذه الأيام .. سلم ، أراكم قريبا بإذنه تعالى .

قال : شكرا لك سيدي ، وسلم لي على شقيقك أحمد ، واعلمه أن السيد ميلادا سيدعوكم إلى عشاء في أحد المطاعم الفاخرة .. السلام عليكم

ـ وعليكم ألف سلام ، والى اللقاء في ذاك المطعم .وضحكا وربما قهقها فرحا .

هجرة

كانت جالسة في حجرتها الخاصة في بيت جدتها أم فوزي ، وكانت تدرس وتستعد لاختبارات نهاية الفصل ، طرق الباب فقالت : من ؟

قالت أمها : أنا يا زهيرة .

ـ تفضلي يا أمي

فتحت هناء الباب وزلفت للغرفة ، وكانت زهيرة قد نهضت لتستقبل أمها وتعانقها كما تعودتا على فعل ذلك بعد زواج أمها الثالث ، وكانت حجرة زهيرة واسعة ، ففيها سريرها وخزانة ثيابها وخزانة كتبها ومكتب طالب وتلفزيون خاص بها وجهاز تسجيل أنيق وجميل كبير الحجم وبعض المقاعد وطاولات صغيرة ، وجلست الأم وسألتها عن حالها وصحتها وجامعتها ، ودخلت الخادمة بالقهوة التي طلبت الأم شربها مع ابنتها ، فقد دخلت هناء على أمها ، وجلست معها بعض الوقت قبل أن تنتقل لحجرة زهيرة ، شكرت زهيرة الخادمة على القهوة ، ولما خرجت وردت الباب وراءها عاد الحديث بين الأم وابنتها : كيف حالك يا زهيرة اليوم ؟ وكيف الجامعة ؟ علمت أنك مشغولة بالامتحانات

ـ فعلا أنا مشغولة بالامتحانات أهلا أمي الغالية .. أنا بخير وأنت

ـ بخير إن شاء الله

ـ الحمد لله الأمور جيدة وطيبة بفضل الله تعالى .. وأنا غارقة في حفظ مصطلحات الطب ، فهم كما تعلمين يعلموننا الطب باللغة الإنجليزية

ـ وحسب علمي (إنجليزيتك) ممتازة كما يقول صديقنا ماهر الدكتور

ـ نعم ، الجهود التي بذلتها في المدرسة أفادتني أثناء الجامعة ؛ ولكن دراسة المصطلحات الطبية غير دراسة الثانوية والمدرسة ، فهي أسماء كثيرة ومركبة وأشياء داخل الجسم ، وعلاجات ولكن الحمد لله الأمور ميسرة بفضل الله .. وأنت كيف مع السيد رستم ؟

قالت : مستورة ، تعودت عليه ورضيت بنصيبي .. كنت أحلم بأن يكون لك أخوة وأخوات؛ ولكن قدر الله وما شاء فعل يا بنتي

ابتسمت لأمها وقالت : أحلى عبارة يا أمي ! كله بأمره ، وهذه هي الحياة لا راحة فيها

ـ نعم ، يا بنيتي الحياة تعب وشقاء .. المهم أنك

تسيرين كما تحبين وترغبين وتخططين .. وأنا مسرورة بسعادتك .. كيف نزار معك ؟

ـ نزار ابن أختك !

ـ آ ، قد وصيته عليك .

ضحكت زهيرة وقالت : جميل! .. شكرا أمي ، هو شاب محترم وكذلك شقيقته لمياء وابنة ابن خالي وكثيرا ما نلتقي في المطعم الجامعي .

ـ قال لي ذلك خليل فوزي

ـ وابنته محترمة ، وتفهم في الدين والإسلام والدفاع عنه أمام الفتيات المتغربات

ـ الأخ خليل منذ التزم وهو متمسك بالسنة والدين أكثر من أبيه فوزي ، يقرأ ويقرأ ، وأطلق لحيته قديما ، ويتردد على المساجد باستمرار ، فيه شدة ولكنه غير متعصب .

وبعد صمت قصير قالت : ألا نخرج نجلس مع جدتك ؟ فهي تقول إنك قليلة الجلوس معها

تبسمت زهيرة لعتاب أمها وقالت : ومتى أجلس معها يا أمي ؟ عندي محاضرات طول أيام الدراسة ، وعندما أعود أعود مرهقة من السماع والمشي، وهي تأكل وتشرب في حجرتها ، وكذلك امرأة خالي يسري وأولادهم وبناتهم دائما في حجرتها .

ـ تعذرت عنك ، وهي تحبك ، وتحب سماع صوتك والجلوس معها، فلو أطلت معها الجلوس والحديث في أيام العطل .. فالكبير يا زهيرة يحب الإنس والاهتمام به ؛ ليشعر أنه ما زال حيا يسعى ، وأنه مهم للعائلة .. فيقال إن الكبير الهرم يجب أن يعامل مثل الأطفال الصغار .. قومي نشرب الشاي معها ـ حسنا، سأفعل ، لقد حاولت فعل ذلك ، وما أكاد أجلس حتى يقبل أولاد خالي وخالي يسهرون عندها ، فاضطر للخروج بعد حين يسير .. فالبيت لا يكاد يخلو منهم .

أخبرت الخادمة روجا سيدتها زهيرة أن عمها عادلا يتصل بها هاتفيا ، فغادرت الحجرة حيث الهاتف القابع في بهو الطابق وقالت بضجر : السلام عليكم .. نعم يا عمي .. الحمد لله أنا بخير عساك بخير ..كلكم بخير الحمد لله رب العالمين .. نعم، أنهيت الامتحانات بتوفيق من الله .. عندكم وليمة .. لو عذرتني يا عمي لست مغرمة بالولائم ..حاضر ، سأحضر ـ إن شاء الله ـ لست حاقدا على أحد .. ولكنه أساء لشخصي وتصرف بغير لباقة ونسي نفسه



قام ابن خالها موسى يسري بتوصيلها ظهر يوم الجمعة إلى بيت عمها عادل حسن للمشاركة في الوليمة والغداء القائم في بيته ، ورحب بها أعمامها الذين شاركوا في ذلك الغداء ، ودعوا لها بالنجاح

والحياة الطيبة ، ثم انتقلت إلى قاعة النساء ، فسلمت على النساء والفتيات من أقاربها وأنسبائهم ، وهذه كانت أول دعوة تقبلها بعد حادثة ميلاد في بيت جدتها ، وبعد صلاة الجمعة تناول القوم الطعام والغذاء المعد لهذه الدعوة ، ثم شربوا القهوة المرة ، وأثناء جلسة شرب القهوة قالت امرأة عادل أم حسن لزهيرة : أخبرني ميلاد بأنه راغب بالحديث معك .

تطلعت في عيني أم حسن بحدة وقالت بنبرة غضب : ليس بيني وبينه أي حديث .. فليعقل يا امرأة عمي .

فأخذت المرأة تكيل المدح لابنها ، وتذكر مناقبه ومحاسنه ، وبأنه شاب عاقل وشجاع ، وصاحب مصلحة وأنه راغب بها قرة عين ، فاستاءت زهيرة ونهضت قائمة مستأذنة بالانصراف ، فأخذت نساء أعمامها بمعاتبة أم حسن على فتح موضوع ميلاد والزواج من جديد ، ولما رأت إصرار زهيرة على المغادرة قالت : انتظري سيوصلك ميلاد لبيت الحاجة أم فوزي

فصاحت هائجة : ميلاد ! .. هل جننت يا امرأة عمي ؟!

قالت : هو أخبرني أنه طلب من موسى ابن خالك ألا يعود .. سيعيدك للبيت بنفسه .

ـ يا سلام! ومن طلب منه فعل هذا ؟ .. سأعود بسيارة أجرة .. أنا جئت من أجل صلة الرحم حتى لا تقولوا زهيرة متكبرة ومتعجرفة كما أسمع وينقل

وغادرت الحجرة مسرعة ، وامرأة عمها تدعوها للتريث ، ولكنها خرجت للشارع ناقمة ، فتبعها أحد أعمامها : أين يا زهيرة ؟

التفت إليه وقالت بضيق ظاهر : إلى البيت

قال : علمنا أن ميلادا سيوصلك

ـ ميلاد! ومن قال ذلك ؟

ـ أبوه

ـ لم يحصل شيء من هذا.. سأعود وحدي

ـ ما الخطب ؟

ـ لا شيء ؛ ولكنهم يتصرفون بحمق

وأشارت لتكسي أجرة قادم نحوها ، فتوقف وصعدت فيه ، ولم تسمع ماذا كان يقول عمها ، كان يطلب منها التمهل ليوصلها بنفسه ، ولكن السيارة قد انطلقت بعيدا عنه ، وكان عادل قد لحق بهم ، فلما وصل كانت الفتاة قد ابتعدت فقال : ما الأمر ؟

ـ زهيرة خرجت غاضبة من أم حسن ، حدثتني ابنتي بذلك ، فحاولت تخفيف الأمر .

فقال عادل : هذه البنت لم تحسن تربيتها

ـ لو لم تحسن تربيتها لم تلب دعوتك .. أنتم سيئون

فصاح عادل متفاجأ : نحن سيئون !

رد شقيقه بغضب وضيق : أجل ، ما صدقنا ونحن

نخلص من مطاردتك لأمها حتى دخل ميلاد على الخط .. كأن جنس حواء انقطع لديكم إلا من زهيرة وأمها .. هل تظن لو بقي مجدي حيا سيزوجها من ابنك ؟

سمع ميلاد هذا الكلام ، وكان هو بدوره يخرج للشارع ساخطا على انصراف زهيرة فقال مخاطبا عمه : لو كان مجدي حيا سيرفض زواجي منها !

فصاح عمه في وجهه : اغرب عن وجهي .. أنت فارس زمانك! .. بنت لا تريدك حتى صرت تكلف أولاد الناس يراقبونها في الجامعة

قبل أن يرد ميلاد قال عادل : ماذا قلت يا أدهم ؟

ـ قلت ما سمعت .. اسأل ابنك .. هكذا سمعت حميدا يتحدث مع زبون لهم ..

حملق عادل في ابنه وقال : ما الذي تفوه به عمك ؟!

ـ لم أراقبها، ولن تتزوج غيري

صاح في ولده وقال : اغرب عن وجهي

وقال شقيقه: يجب أن نضع حلا لهذه المهازل يا عادل .. يرسل الناس تتجسس على ابنة عمه .. بنت ستصير دكتورة تتزوج هذا الضائع

هاج ميلاد وصاح في عمه : عماه إنك تتمادى في كلامك عليّ

ـ ومن أنت حتى أتمادى عليك .. تعال اضربني

صاح عادل في ولده : ابتعد من هنا

وتحول الاجتماع العائلي إلى شجار وصراخ وصياح ، وأقسم السيد أدهم أمام إخوانه أن لا يدخل بيت عادل ، فرد ميلاد متحديا: لعمرك دخلت مع ألف سلامة

فقال أدهم : هذه تربية ابنك يا عادل أرأيت ؟!

فصاح عادل في وجهه شقيقه : فعلا تماديت علينا يا أدهم

واشتد الشجار والعتاب ، ولملم أدهم أسرته، وغادر المكان ، وما كادت زهيرة تصل البيت حتى تلقت اتصالا يتهمها بأنها سببت معركة بين أعمامها ؛ لانصرافها بطريقة غير لائقة ، فأغلقت السماعة قبل أن يكتمل الكلام ، وأجهشت بالبكاء .

في الليل اتصلت زهيرة بالدكتور ماهر طه الوصي المالي عليها ، وأخبرته بما حدث معها في بيت عمها ، ولما اطمأن عليها وعلى اختباراتها ، وأسف لها عما حدث من هذا الفعل غير اللائق قال : لقد تحدثت مع عميد الكلية فأثنى عليك خيرا ، واعتبرك من النوادر في الكلية ، وسيسعى للقاء بك ، ليتعرف عليك شخصيا

ـ الشكر لك يا سيدي الدكتور .. بارك الله فيك

ـ هل تريدين شيئا لتتصلي بي ؟

ـ نعم ، أريد أن اشتري سيارة بسبب الموقف الذي صار لي عند بيت عمي .. لقد صرفوا ابن خالي ، ومنعوه من أن يعود لأخذي .

ـ لا حرج يا بنيتي .. إن شاء الله سأمر عليك

وآخذك لمدرسة تدريب السواقين ولما تنتهي من الدورة ، وتأخذي رخصة القيادة سنشتري لك سيارة

ـ الشكر مرة أخرى

ـ متى تحبين أن أراك ؟

ـ في أقرب فرصة إذا لم يكن لديك شغل

ـ حسنا ، الشغل لا ينتهي.. غدا أو بعد غد سأمر عليك ومعي أم جواد .. نحن في خدمتك يا آنسة زهيرة أو حتى يا دكتورة زهيرة

ـ بارك الله فيكم .

لبى الدكتور ماهر وقرينته النداء ، ومرا على الآنسة ، وبعد الجلوس بعض الدقائق انتقلا بها إلى إحدى مدارس تعليم السواقة في المدينة ، وتعاقد مع مدير المركز التعليمي ، ودفع لهم مبلغا من المال ، ورتبوا أوقات التمرين والتدريب وانصرفوا مسرورين .

وفعلا باشرت الفتاة التدرب على سيارة التاكسي الصغيرة ، وكانت ترافقها أثناء الحصة التدريبية ابنة خالها يسري القائمين معها في العمارة ، وقبل أن تفتح الجامعة أبوابها للعام الدراسي الجديد كانت زهيرة قد أنهت حصص التدريب وبدأت تستعد لتقديم الاختبار لدى الجهات المعنية بإصدار رخص القيادة للسيارات ، وهي عادة دائرة تابعة لوزارة الداخلية والشرطة ، وعادة يتقدم المتقدم للرخصة بفحصين أحدهما يسمى الفحص النظري والكتابي أو الشفوي حسب ثقافة وقدرات الطالب ، ويكون حول قواعد المرور في البلد والإشارات والأولويات، والفحص الثاني والمهم الفحص العملي بقيادة السيارة أمام فريق شرطي خاص بفحص السواقين ، فالنظري تقدمت فيه زهيرة سريعا ، فحفظها وقدرتها على الحفظ كبيرة ، فحققت النجاح من المرة الأولى ، والفحص العملي يحدد وقته بناء على نتيجة الفحص الأول . واستطعت في المحاولة الثانية النجاح في الفحص العملي ، وأصبح لديها رخصة قيادة سيارة صغيرة صالون ، فالرخص فئات ودرجات ، ولما اتصل الدكتور ماهر سائلا عن النتيجة أخبرته بتحقيق النجاح، فهنأها وبارك لها وقال : جيد يا آنسة .. عندما تعودين من الجامعة عصر الغد إلى البيت سأقوم أنا وأم جواد بزيارتك لنذهب جميعا لمعرض سيارات لتختاري السيارة المناسبة واللون المناسب وما مضت بضعة أيام على أخذها لرخصة السيارة حتى كانت تملك سيارة من أحدث موديل في البلد ، وتذهب بها إلى الجامعة ، فقالت لمياء : تقدمت سريعا يا زهيرة .. جميلة سيارتك ولونها رائع .. ألف مبارك عليك .

ـ شكرا لمياء كان حادث دار عمي قد عجل لي بذلك ودافعا قويا لأخذ الرخصة وشراء السيارة خاصة أن المال كما تعلمين موجود لديّ بفضل الله

ومیراثي المعلوم .

واحتفلوا في مطعم الجامعة لهذه المناسبة ، والكل دعا لها بالتوفيق ، وأن يحفظها الله سبحانه من حوادث السيارات الشائعة في البلاد والعالم ، فتمنت لهم التوفيق لامتلاك سيارات خاصة بهم وكأن سمرا لم تعرف بالقصة التي كانت وراء شراء هذه السيارة وفعلا تذكروا أنها لم تسمع منها القصة لغيابها بضعة أيام في ابتداء الموسم الجديد لسفرها مع والدها إلى السعودية لأداء العمرة فقالت : ما القصة التي جرت لك عند دار عمك لتعجلي باقتناء هذه السيارة الجميلة ؟

اختصرت القصة زهيرة وقالت : ولما خرجت متنكدة من امرأة عمي لم أدر ما حصل حقيقة بعدي ؛ ولكني سمعت أن عمي أدهم غضب وتشاجر مع عمي عادل وابنه ميلاد بسبب خروجي ، وغادر هو الآخر غاضبا ومقسما أن لا يدخل بيت عمي عادل الأخ الأكبر ، وجعلوني

أنا سبب تلك المعركة التي انتشر خبرها بين العائلات

نزار : ولم ذهبت ؟

ـ يا ابن خالتي ذهبت حتى لا يقال عني متكبرة .. حتى لا يقال عني سوء .. أو تذهب لناس وناس .. أردت فتح صفحة جديدة معهم .. وبعض أعمامي وعماتي يحبونني ، وليس بيدهم شيء أمام الأخ الأكبر .. من أجل التقليد

ثم انصرفوا بعد احتفالهم السريع بتملك زميلتهم وقريبتهم سيارتها الخاصة ، وبينما هم يغادرون المطعم التقوا بصاحبيهم في العام الدراسي الماضي جميل وأحمد داخلين ، فابتسم لهم نزار محييا ومرحبا ومفسحا لهم الطريق لدخول المطعم ، ومشى كل واحد منهم حيث كليته .

ذهبت زهيرة إلى عميد كلية الطب، والتقت به شخصيا في مكتبه ، وهي فرصة لم تكن تتاح لأي طالب إلا بصعوبة ، فتعرف عليها الدكتور العميد ، وأثنى على همتها ونشاطها العلمي ـ وكان الرجل قد اطلع على نتائج مواد السنة الأولى لها في حاضرة الكلية ـ وحثها على الاستمرار على تلك الهمة والقدرة وعلى الاستمرار في تقدمها ، لربما تتحصل على بعثة خارجية بعد البكالوريوس العام في الطب ، فتسافر إلى أوروبا أو أمريكا أو كندا على نفقة الجامعة .

وقدمت الفتاة شكرها للعميد وعلى اهتمامه بها ، وقبوله على الالتقاء بها شخصيا ، وبين لها في نهاية اللقاء أن الدكتور ماهرا قريب له فوق الصداقة التي تجمعهما ، فخرجت الفتاة مسرورة من لقائها بسيادة العميد لقاء خاصا ؛ فلذلك عندما ذهبت لمطعم الكلية حيث تلتقي برفاقها كان الفرح والبشر واضحين على محياها ، فذكرت لهم قصة

اللقاء والحوار مع سيادة العميد ، فعلق نزار : أمريكا مرة واحدة يا زهيرة ! .. يا سلام لو تسافرين هناك قد تأخذين جنسية تلك البلاد وتصبحين أمريكية ، وربما قضيت العمر كله هناك كما يفعل الكثير من أصحاب العقول العربية .. نحن نسمع أن الأمريكان متقدمون جدا في العلم والطب والصناعة العلمية والبحث العلمي .

فقالت لمياء شقيقته : كل أوروبا مثل أمريكا في ذلك .. طبعا اقصد أوروبا الغربية ولكن أمريكا الشمالية تمتاز بالقوميات المتعددة والكثيرة ، الشرقية والغربية والصينية واليابانية .. بلاد عجيبة وحقوق الناس والإنسان يتغنى بها الذاهبون إليها .. وكذلك حرية النساء

فقالت سمر : نعم ، حرية الإباحية

فقال نزار : الجنس عندهم ليس كبلاد المسلمين .. هم يتقبلون الأبناء غير الشرعيين بغير حرج وهذا غير مقبول لدينا .. فالزنا حرام معناه حرام .. ورغم الحرية الشخصية الواسعة لديهم ، فجرائم الجنس والاغتصاب لا تنتهي وكثيرة عندهم ومخيفة كما نسمع ونقرأ .. فأنا قد سمعت أنه من النادر أن تبلغ البنت عندهم العشرين وتظل عذراء بكرا عفيفة .

فقالت لمياء : ولكنها بلاد كبيرة

فقالت سمر : ومليئة بالمافيا والعصابات والمخدرات .. قد سمعت أنها قضية تؤرق أمريكا كلها ورغم قوتهم العسكرية الهائلة ، فهم عاجزون عن منع عصابات المخدرات والتهريب

فعاد نزار يقول : الإجرام لا تخلو منه بلد ؛ ولكن العلم والطب هائل عندهم ومتطوران ، لا ينكر هذا ، وتذهب الناس إليهم للدراسة والعلاج من كل أنحاء العالم ، فكل البلاد أو أغلبها يسعون لإرسال بعثات علمية إليهم .

فقالت لمياء : أمريكا بلاد شاسعة ، وبكر يقولون .. هي عبارة عن خمسين دولة هم يقولون خمسون ولاية .. الولايات المتحدة .. أو إحدى وخمسون لا أدري بالضبط .. بل خمسون ولاية

فقالت زهيرة بعد صمت طويل وسماع كل هذه التعليقات عن أمريكا : محبو العلم يبحثون عن الأجود والأفضل .. ولا تنسوا اليابان فهي متقدمة طبا واقتصادا ، وإنما الناس يذهبون أمريكا لأن اللغة الإنجليزية هي الشائعة فيها، وهي أسهل لانتشارها اليوم في كل شيء وفي كل البلدان فهي لغة التجارة والثقافة العالمية

فقالت سمر : على قول مكره أخاك لا بطل

تبسم الجميع لمثل سمر وقال نزار : هذا المثل يتوقف أمامه علماء النحو لأن القياس أن يقال أخوك على الرفع بالواو لأنه من الأسماء الخمسة .. اللغة الإنجليزية الحاجة العالمية لها .. للضرورة أحكام .. أصبحت لغة التواصل عالميا .. لذلك أتصور أن

ذهابك لأمريكا أفضل لو تيسر لك الابتعاث .. فهذا رائع يا زهيرة!.. ماذا تودين التخصص ؟ فتخصصات الطب تكثر وتتسع اليوم .. والنساء عادة تتجه للطب العام فحسب أو التخصصات النسائية أو الأسنان

قالت سمر : المناسب لزهيرة طب الأسرة

ردت لمياء : تذهب لهناك خمس أو ست سنوات لطب الأسرة، أعتقد أنه متوفر هنا .. قد يكون له مستقبل واعد في بلادنا

ـ تدرسه للعمل كطبيبة مدرسة ومحاضرة .. شهادة من أمريكا يا لمياء

قالت لمياء : صحيح اسم البلد مهم في الأكاديميات العلمية .. وصحيح أن الأعصاب والقلب وغيرها من التخصصات يحب الناس الذهاب للعلاج لدى الذكور .. أما العمل في المستشفيات فهو مرهق ولا يهتمون بالتخصص أو البلد المانحة للشهادة فكلهم سواء

قالت زهيرة : الحق أنني لم أفكر بنوع العمل الذي أحب أن أمارسه غير الطب العام .. الجراحة والاختصاص قلت عندما تنتهي الدراسة الأولى أفكر في التالي فيما بعد .. أمامي سنوات وسنوات ، مع العمل والتدريب يفتح على المرء بالاختيار الذي تحتاجه البلد والمناسب لقدراتي أيضا .. فكرت بالعمل الأكاديمي ولكن لابد من ممارسة الطب على أرض الواقع في المستشفيات والمرضى قبل العمل محاضرا .. احتاج للخبرة العملية مع النظرية أليس هذا الصحيح ؟

قال نزار : رائع ! هذا التفكير الصائب كل شيء في وقته أفضل ، لابد من التخصص يا زهيرة في فرع من فروع الطب.. فالطبيب الأخصائي أفضل من الطبيب العام .. فعليكِ الاهتمام بما ستختارين .. وما دام العميد عميدكم قريبا للدكتور ماهر صديق والدك المرحوم مجدي حسن فلابد أن يهتم بالسعي لبعثتك قبل مغادرته عمادة الكلية

فقالت سمر : ألا تريد الزواج ؟

فقالت لمياء : الزواج ! وهل أحد يستغني عن الزواج ؟ ستتزوج طبعا وبإذن الله .. فخلال مدة السنوات ستلتقي بالزوج المناسب

فقالت زهيرة ضاحكة : قد أتزوج ميلادا ابن عمي ، وآخذه لأمريكا معي

وغرقوا بالضحك على نكتة زهيرة وقال نزار : لا بأس ، وتفتحين له محل تصليح سيارات في أمريكا .. فهي صنعة رائجة في كل بلدان العالم ، لا تستغني سيارة عن الميكانيكي .. وصناعة السيارات من أهم الصناعات في دول العالم الكبرى والصناعية خاصة أمريكا أم السيارات .. الفورد والكاديلاك والبويك والبونتياك .. أليس كذلك يا لمياء ؟

استمر الضحك وردت لمياء : أكيد .. بس سيارة

زهيرة كما رأينا يابانية

فضحكت زهيرة وعلقت قائلة : نعم ، يابانية كما رأيتها أنا كذلك

فقالت سمر : كيف قيادة السيارة يا زهيرة ؟

ـ ممتعة حقيقة ..وتحتاج لأعصاب هادئة .. وأحيانا مزعجة من أزمة الشوارع أو ضيقها .. لحتى الآن لم يخرب معي عجل أو ينفس .. الأمور سالكة بحمد الله

فقالت لمياء: ألا تزورينا ما دام قد أصبح لديك سيارة وتقودينها خارج العاصمة ؟



كانت الآنسة زهيرة بعد حادثة ميلاد الأولى معها قد تعقدت من فكرة الزواج ، ويظهر أن تهديده القاسي لها دفعها لصرف النظر عن التفكير الفطري بشريك الحياة ، والزواج سنة الله في خلقه ، وهل يمكن لتهديد من شاب متهور وغاضب أن يخفي من نفسها غريزة الأمومة والولادة ؟ وهل يترك الناس فتاة بدون أن يتقدم لها أحد للزواج كعادة الناس ؟ الحق أن زهيرة منذ رفضت ميلاد كزوج لها ، وهي لا تضع قضية الزواج كأولية لها في الحياة ، فهي تاركة الأمر لله ، ومن ثم للظروف والأحوال .. ويمكن لنا نقول أيضا أن كثرة زيجات أمها قد تكون تركت أثرا في نفسها .. فزهيرة لم تشعر باليتم كمأساة ؛ لأنها عند وفاة أبيها كانت صغيرة دون الخمس ولا أعتقد أن الرضيع وابن السنة أو السنتين يحس بفقد الأب ، ربما يحس بفقد الأم في هذه الفترة وقد لا يشعر بذلك لتوفر المراضع واللبن ، ففي القديم كانت المراضع تقوم بدور الأم ، وقد يرضع الطفل بوجود الأم كما رأينا ذلك في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عندما ارضع في بني سعد وباديتهم .. واليوم زجاجة الحليب الجاف أو المجفف تقوم بمقام الأم في مهمة الإرضاع ، ومع وجود الخادمة أو القريبة يستغنى عن الأم .. لكن مع تقدم الوقت بالطفل ويكبر ويعقل يفقه اليتم والحرمان من الأب والأم يعرف معنى الفقد لوالديه أحدهما أو كليهما .. فيدرك أنه يتيم ، فيدرك أن الحنان ناقص أو مفقود .. واليتم سنة الله في خلقه لبعض الخلق .. ومشاكل هناء شغلت زهيرة عن همومها ويتمها . فلما ألمح لها العميد بأن بإمكانها السعي للدراسة في الغرب ، العالم الغربي إذا ظلت متقدمة في نتائجها ودروسها ، فازداد حماسها للعلم ، وهوسها في مغادرة الوطن بل رأت أن ذلك فيه خلاصها من عمها وابن عمها وملاحقتهم لها .. وبينما هي تحلم أحلاما سعيدة دخلت عليها أمها ، فنهضت تعانق أمها بفرح وسعادة ، ثم تحدثتا عن أخبار بعضهم بعضا، ودخلت روجا بالقهوة المغرمة بها هناء وزهيرة ، فقالت هناء وهي ترشف

القهوة : كيف أنت والسيارة ؟

ـ الحمد لله تأقلمت وتكيفت معها ، وتحسنت قيادتي ، وربنا يسلم ، فبعض الشوارع تكون فيها الزحمة شديدة ومزعجة .. أنا تأخرت في تعلم القيادة لظروف حياتي ، فأبوك ـ رحمه الله ـ كانت لديه سيارة ، وزوج أمك الثاني كان لديه سيارة .. ولما اشتغلت في شركة الدواء اشتروا لي سيارة وها هي ما زالت معي، وزوجي هذا يملك سيارة

ـ ما رأيك يا أمي بالسفر للخارج ؟

ـ السفر ..!! والجامعة ؟!

ـ الدراسة في أمريكا

ـ لم أفهم ؟!

ـ أفكر بالسفر إلى أمريكا الشمالية

ـ أمريكا مرة واحدة يا زهيرة ؟!

ـ الطب هناك يقولون في غاية التقدم والحداثة

ـ وكيف ستسافرين ؟! هل ستتركين جامعتك هنا؟

ـ لا

روت لها مقابلتها للعميد وتشجيعه لها للاستمرار على تقدمها لتتمكن من الرحيل كبعثة للغرب على نفقة الجامعة ، فلما صمتت الفتاة قالت الأم : ألا تفكرين بالزواج ؟! ألا تحبين أن يكون لك أبناء ؟!

ـ أحب ، وهل يباع العرسان في المحلات والدكاكين ؟!

ـ الأزواج لا يباعون في الدكاكين ، ولدى السيد رستم قريب يبحث عن عروس ، فقد سألني منذ زمن عن عروس من أقاربي من بنات أخواتي وإخوتي فلم أرد عليه بشيء .. أنا مستعد للحديث عنك لرستم

ـ ألا تخافين عليه من ابن عمنا ميلاد؟!

فأخذت الأم تقذف الشاب بالسباب ، ثم فطنت إلى حرمة الشتم والسب فتوقفت فقالت زهيرة : أنسيت تهديده اللعين ؟ وهذا ولد مجنون .

ـ وهل يأمل بالزواج منك ؟ إنه أحمق ، دكتورة مثلك تتزوج من رجل مجنون .. أتعلمين أن سفرك إلى أمريكا يخلصك منه ومن جنونه؟ .. ما زال يرفض الاقتران بفتاة .. التقيت بامرأة عمك نبيل أم سالم فأخبرتني أن إحدى عماته عرضت عليه احدى بناتها عروسا ، فرفض وأخذ يستهزأ منها وبها فقال : يا عمتي لن أتزوج إلا بنتا واحدة في هذه الدنيا اسمها زهيرة مجدي حسن .. أرأيت هبله وحمقه ؟! .. ومع ذلك فأنت بحاجة لزوج وأولاد .. أنا في شوق لأرى ذريتك فأنت الوحيدة التي خرجت بها من هذه الدنيا .. على كل حال سلمي الأمر لله .. هل أتحدث مع رستم عن قريبه الباحث عن عروس ؟

ـ ماذا يعمل هذا العريس ؟

ـ لا أعرف بالضبط ، هو سألني مرة ، ولم يتكرر

الحديث بيننا حول هذا العريس وإذا فتح الموضوع سأعرف بعض التفاصيل ومواصفات العريس

ـ لست مستعجلة يا أمي على الزواج ، فالدراسة طويلة كما تعلمين



مكالمة

ذات مساء دخلت الخادمة على زهيرة مخبرة لها بأن أحدهم على الهاتف يرغب بالحديث معها ، فلما سمعت اسمه جفلت لذكر الاسم ، وانزعجت وأصابها توتر عصبي ، وقالت لنفسها ماذا يريد هذا المجنون ؟! ولماذا يريد أن يتحدث معي المحروس ؟! أليس عنده ذرة من الحياء والخجل !؟

وخرجت لصالة البيت متضايقة وأمسكت بالسماعة بحدة وقالت : نعم ، .. وعليكم السلام تريد اللقاء بي ولماذا تريد الالتقاء بي ؟!.. يا رجل ألا تريد أن تحل عني ؟ ما الذي بيني وبينك لتتصل بي ؟ .. أنت لك درب ، وأنا لي درب .. لا أحب أن أرى وجهك أو أسمع صوتك ، هو الزواج بالعافية .. فلنبق أولاد عم فقط .. لي عشرات أولاد العم لماذا تخصك نفسك دونهم؟ .. كلهم خير منك وأشرف .. أرجوك ألف رجاء لا تتصل بي ثانية لو سمحت .. لا يمكن الالتقاء بك مع السلامة .

ووضعت السماعة بحدة وغضب ، وعادت لحجرتها، وكلها نار وضيق ودموع ، ولما جلست على أحد المقاعد قالت : ماذا أفعل به ؟! ولمن ألجأ للخلاص من هذا الوقح ..

كانت قبل هذا الاتصال قد تلقت رسالة منه يتوسل إليها أن تقبل به زوجا ، ومزقتها شر ممزق وطلبت من الخادمة عدم استلام أي رسالة تخصها من أي أحد إلا من ساعي البريد الرسمي .

ولما هدأت روحها بعد حين قالت : ألا يمكن تكميل ودراسة الطب في أمريكا مباشرة ؟.. بكالوريوس طب من أمريكا .. سأتحدث مع الطبيب ماهر ليكلم لي العميد لعله يستطيع توفير بعثة لي أكمل دراستي هناك حتى ولو عدت من الصفر .. المهم أن يوفر لي قبول عندهم لأخلص من هذا المجنون .. الذي سيزداد جنونه يوما بعد يوم .

نفذت الفكرة سريعا ، تحدثت مع الدكتور ماهر عن رغبتها بالدراسة في الخارج خارج البلد ، فبين لها الرجل خطورة السفر وحدها إلى تلك البلاد الكبيرة ، وأن الخطر عليها هناك أكثر من الخطر من ميلاد وأبيه ، فعجبت من ذلك، فقال لها صحيح أن الطب متقدم عندهم كثيرا ، ولديهم مراكز بحث ضخمة وعالمية ؛ ولكن العصابات منتشرة في بقاع البلاد ، وكذلك المشاكل الاجتماعية الكثيرة

والمتعددة التي لا تنتهي عندهم ، ولما أدرك حجم معاناتها وضيقها ، وعدها بأن يبحث لها عن أسرة مهاجرة ترعاها وتعتني بها ، أو أن تقترن برجل راغبا بالدراسة مثلها هناك فقالت باسمة : ومن أين يأتي هذا الزوج الطالب ؟

فوعدها أن يهتم بالأمر ، وأعلمها برغبته بنقل أموالها إليها ؛ لينهي عهد الوصاية ، وتصبح مالكة لثروتها بعدما بلغت سن الرشد المالي حسب القوانين المحلية ، وبين لها أنها تستطيع المحافظة على ثروتها وميراثها

فقالت : افعل ما تراه مناسبا ، وأنا لست مستعجلة على إنهاء الوصاية

فشكرها على حسن أدبها وعاد يقول : أنا أعلم شدة انزعاجك من ابن عمك .. صدقي أني تحدثت مع عدد من أطباء النفس من أجله ، فهم لا يرون أنه يشكل خطرا عليك ، وإنما هي أفكار غرست فيه فتحتاج لوقت لتذهب عنه ومنه

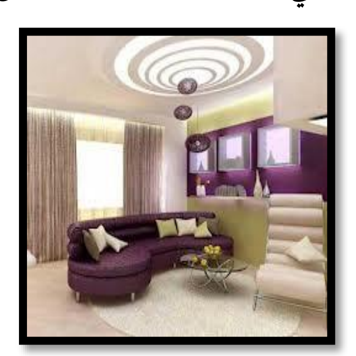
ـ ولكنه ما زال عازبا يرفض الزواج ؛ كأن الأمل ما زال في قلبه ونفسه

ـ على كل حال سأفكر بمشروع الرحلة إلى أمريكا والغرب عامة ؛ لعل هذا يكون أحد الحلول المناسبة

ـ أشكرك يا دكتور

ـ لا شكر على واجب

وانتهى الاتصال بينهما ، وعادت لحجرتها وهي تردد : الزواج .. لابد من الزواج يا إلهي ! صرت أخشى هذا الكلمة ، فهي تلقي ظلالا مخيفة على نفسي .. أمي كانت تقرب من الخمسين واضطرت للزواج .. لماذا الناس يتزوجون ؟!.. أمن أجل الغريزة فقط ؟ .. تعلمنا أن الزواج يكون للاستمتاع الجنسي ، وحاجة للبالغين كالأكل والشرب .. وإذا استغنى الإنسان عن هذه النعمة .. هل يتزوج ؟! للولادة والمحافظة على النوع .. ملايين النساء تلد يوميا .. إنني أكره الزواج .. لست بحاجة لرجل أم أني معقدة من تهديد هذا الرجل المجنون !.. الزواج لماذا ؟ ليجد الإنسان الأنثى متعة في تحقيق غريزة الأمومة .. فهناك نساء متزوجات لا يمارسن الأمومة لكونهن عواقر فلأكن واحدة منهن ! دعيكي من هذه الأفكار السوداء .. ولنسلم أمرنا لله .. إن ثقافتي الدينية بسيطة ثقافة مدارس .



كان حميد نبيل شريك ميلاد في ورشة التصليح في مجمع تصليح السيارات في المدينة يشرب الشاي ويقضم الساندويتشات المكونة من الحمص المطحون والفلافل (الحمص المقلي) ، ويتحدث مع

ميلاد الذي يشاركه شرب الشاي ، ويدخن السجائر بعضها تلو بعض ؛ كأنه ينتقم من بدنه فقال حميد: يا رجل! لا أدري آنت رجل ؟ ـ واتبع سؤاله ابتسامة بصوت ـ ألا تريد إنهاء ما أنت عليه وفيه ؟ لقد كبرت .. والفتاة بعد استقرارها في الجامعة لن تقبل بك زوجا وإنك تثير المشاكل بين أفراد العائلة .. عند صاحبنا خضر بنت جميلة ومناسبة لك ، وهو من طبقتنا البسيطة .

ضحك ميلاد وهو يدعس على السيجارة حيث انتهت وقال : تزوجها على أم محمد .. أليس الدين يحث على التعدد ؟

ـ أنا مرتاح مع أم محمد .. لست أعزبا مثلك .. أنت تركض وراء سراب

ـ صدق لن يتزوجها غيري

ـ كيف أصدق ؟ .. وأنا أسمع أنها تسعى للسفر والرحيل إلى أمريكا للخلاص منك .

تفاجأ ميلاد بهذا الخبر ، فجحر ابن عمه وشريكه طالبا المزيد من المعلومات : أمريكا! ومن قال لك ذلك ؟!

ـ سمعت أمي من أمها ؛ لأنهن ما زلن يتبادلن الحديث مباشرة أو على الهاتف

ـ أعرف أن أمك صديقة لهناء من أيام المرحوم مجدي ، وكذلك العمة بسمة .. وماذا ستفعل في أمريكا ؟

ـ تدرس تتعلم .. وإذا جنست قد يطيب لها البقاء هناك ـ وحدها ؟! وحدها ستسافر ؟

ـ من سيسافر معها ؟ فهي عزباء مثلك .

ـ وهل يسمح لها أعمامها بالسفر وحدها ؟!

فقال حميد مستغربا لهذا الاستفهام : ولماذا لا يسمحون لها ؟! بل ربما يفرحون بسفرها للخلاص من صراعكم الخفي والمعلن .. حتى أنني سمعت أنك كتبت لها رسالة تتوسل إليها بقبولك زوجا لها

نظر ميلاد إلى الأرض وقال : لقد ذلتني .. عقدتني .. كرهتني جنس النساء والحريم.

فضحك حميد ضحكا مسموعا ، وهو يرمي كوب الشاي الكبير إلى الأرض : الحمد لله شبعنا وهل أصدق هذا يا عم ميلاد ؟ لا شيء يخفى .. الناس ما أن تصدق بسماع خبر أو قصة لتسعى لنشرها .. ولماذا يزورنا عند الغروب كل يوم سالم ؟! .. هل تظن أنني مغفل ؟!

ارتبك ميلاد للحظات وقال : ماذا قال لك سالم اللعين ؟

قال حميد بألم وحزن : أشياء لا أحب أن أصدقها .. قال إنك تشرب الخمر في حانة بوم .. وفي خمارة سان

ـ أريد أن أنسى

قهقهه حميد وقال : وهل الخمر تنسي ؟ .. انتبه لنفسك .. غدا تذهب صحتك .

ـ وهل قال اللعين غير ذلك ؟

كرر حميد الضحك المصحوب بألم وغصة وقال : أعط سالما سيجارة أو كأس شاي يتحدث بكل شيء وهو يدخن أو يشرب الشاي .. سالم لا يكتم شيئا قال إنكم تزنون تذهبون لأماكن الزنا والفجور لتمارسوا الزنا والخنا والعياذ بالله من الخذلان .. اصح يا ابن عمي .. ودعك من سالم وشلته .. ألا تخاف أمراض الزنا ؟!.. تزوج وعف نفسك وأعقل.. لا تجعل عقدة زهيرة تفسد نفسك وحياتك .. سوف تسافر غدا ، وربما تتزوج هناك وتستقر هناك .

ـ لن تتزوج إلا ميلادا .. شاءت أم أبت

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. أنا خائف عليك يا أخ ميلاد من الضياع ، وستصبح منبوذا من العائلة وحتى من إخوتك الأكبر منك كلهم

ـ سأسافر وراءها إلى أمريكا

ضحك حميد على جهل ميلاد : تسافر! وكيف ستسافر ؟ وهل أمريكا بلد صغير.. أمريكا كبيرة يا رجل وعدد سكانها يزيد عن مائتي مليون من البشر .. كيف ستعثر عليها ؟ولا أظن أنهم سيذكرون مكان سكنها لأحد ، وربما تسافر لأوروبا

ـ أحمد شقيق محمود سيعرف عن طريق الجامعة

ـ ممكن ؛ ولكن اللقاء بها هناك مستحيل

ـ لا مستحيل .. سأبقى بدون زواج حتى أتزوج

زهيرة

ـ غفر الله لعمي عادل وأمك الذين ورطاك في هذه القصة .. كيف صحة أبيك ؟ سمعت أنه متوعك ؟

ـ بل ذهبوا به للمستشفى ، وأعطي موعدا لإجراء عملية صغيرة

ـ لم اسمع أبي يتحدث بشيء

ـ قبل يوم ذهب للمستشفى فقط ، لم ينشر الخبر ، فربما العم نبيل لم يعرف بعد

ـ ألا تفكرون بالصلح مع العم أدهم ؟

ـ سوف نتصالح

زواج زهيرة

كانتا تأكلان في أحد المطاعم الكبيرة والمشهورة في المدينة ، فقد دعت زهيرة أمها وزوجها رستم للعشاء في ذلك المطعم الفاره ، واعتذر رستم لهما ، ولما فرغتا من الأكل ، وأخذتا تشربان ما بقي من العصير قالت البنت لأمها : هل نذهب لحديقة عامة نجلس فيها بعض الوقت؟ .. إني أحب الجلوس في الحدائق والاستمتاع برؤية الناس ، فأنا راغبة بقضاء بعض الوقت خارج البيت ، ونأكل البوظة والمثلجات

بعدما وافقت الأم دفعت زهيرة الحساب وخرجتا حيث تقف سيارة زهيرة ومشيا بها إلى إحدى حدائق العاصمة العربية الشابة ، وإلى حديقة تتردد

عليها العائلات والأسر ، وعلى أحد المقاعد الخالية جلستا بعد أن اشترت زهيرة أوعية البوظة الشهية للعين ، وربما للمعدة ، وفجأة قالت هناء : لقد سألت رستما عن العريس الذي حدثني عنه ويبحث عن عروس .

انتبهت زهيرة إلى أمها وهزت رأسها فقالت هناء : هو ابن أخته ، ويعمل في صيدلية حكومية وعمره خمس وعشرون سنة ، كان خاطبا لفتاة قريبة له ثم فسخت الخطبة من قبل الفتاة ، فوافق الشاب وتركها ، وهو يبحث عن فتاة أخرى متعلمة أو حتى تتعلم بعد ، وسيساعد في أقساط تعليمها .. وإذا قبلت به فرستم مستعد للمشي في القضية .. المهم أن ترحبي أنت بالزواج.

فقالت زهيرة : لا داعي يا أمي فالدكتور ماهر حدثني عن عريس

رددت متفاجئة : ماهر الوصي ؟!

ابتسمت زهيرة وقالت : وهل هناك ماهر غيره ؟!

انقبضت الأم وقالت : ألم نخلص منه ؟!

ـ قبل زمن حدثني عن رغبته في إنهاء الوصاية عليّ ، ونقل الأموال لحساب خاص بي أو لنفس الحساب في نفس البنك الذي يضع لي به مصروفاتي وأقساطي .. ولما حدثته عن لقائي بالعميد ورغبتي بالسفر للدراسة في الخارج وإكمال التعليم في أمريكا ـ إكمال التعليم .. ألم تخبريني أن ذلك بعد بكالوريوس الطب العام ؟!

ـ عدلت الخطة أرغب بالسفر والخروج من البلد .. فأولئك دار عمي يزعجونني ويضايقونني فصار السيد يكتب لي رسائل ، ويتصل على البيت .. وتحدثت مع الطبيب بهمومي ورغبتي ، فوعدني بالمساعدة في ذلك ، وسيكلم العميد بهذه الرغبة ، وبين لي مخاطر السفر إلى هناك ، وأن الحياة الاجتماعية هناك تختلف كثيرا عن الحياة الاجتماعية عندنا ، وذكر المخدرات والعصابات والإباحية .. ولكنها كما قال تتفاوت من بلد إلى بلد ، ومن مدينة إلى مدينة أخرى .. وربما يوفر لي الفرصة للحياة مع أسرة عربية لإتقان اللغة الأمريكية والرعاية لشخصي أو قال تتزوجين طالبا للعلم هناك مثلي .. فربما كما قال يجد لي القرين المناسب لنسافر معا .. أنا ضقت ذرعا يا أمي .. فهذا الرجل صعّب عليّ الحياة والحرية وأخشى أن يتهور بفعل شيء مؤلم .. وأعمامي يتشاجرون، ويجعلونني السبب ، ورغم ذلك لم يستطيعوا وقفه عند حده .. لا أريد أن تصل مشاكلنا للشرطة والمحاكم .. لعلي ارتاح هناك في الغربة المرة .

ظلت الأم تسمع هذه التفاصيل دون مقاطعة أو تعليق ، ولما طال صمت زهيرة قالت : الحياة صعبة عندهم ، لقد سمعنا عن أناس سافروا وفشلوا ، وبعضهم قتلوا في مخازنهم ومتاجرهم .

ـ الشر موجود في كل العالم ، والخطر لا يخلو منه مكان .. ها هو ابن عمنا يطاردنا ، ويشوه سمعتنا ، ويكتب لي الرسائل ، ويسأل عن الشاب الذي يجلس معي في مطعم الجامعة .. يشير إلى نزار ابن خالتي ابن أختك

ـ يا للوقاحة !

ـ أرأيت؟! يتجسس عليّ .

قالت الأم : حفظك الله يا ابنتي .. أنت أدرى وأعلم بمصلحتك وحياتك، وإن كان يعز عليّ فراقك ومغادرتك البلد .. لكن أحس وأشعر بالضيق الذي يصيبك من عمك وابنه .. والأفضل أن تتزوجي يا زهيرة قبل السفر .. حتى لا تشعري بالوحدة أثناء الغربة .. لو كان هناك أب أو أخ لكانت الحياة أحسن .. وأفهم من كلامك أن أنسى قريب رستم .

ـ أجل يا أمي .. هل ننصرف قبل أن يتضايق السيد رستم ؟

ولما بدأت بطلة قصتنا تستعد للعودة للجامعة في السنة الثانية الفصل الثاني مطلع عام ١٩٨٦ كانت تنتظر أخبارا طيبة من الدكتور ماهر حول الدراسة في أمريكا الشمالية أو كندا ، فقيل لها أن الفرصة في كندا أقوى لعلاقات خاصة للعميد مع جامعات كندا لدراسته هو فيها ، فمن خلال اتصال بينها وبين الدكتور ماهر أعلمها أن الرجل يبذل قصارى جهده لتنال بعثة هناك ، ويتصل العميد بمعارفه الأجانب لتسهيل مهمة سفرها وإكمال دراستها ، لذلك فما كاد ينقضي الشهر الأول في الجامعة حتى اتصل ماهر مخبرا أن الأمور تسير بشكل جيد ، وأنه قد وجد الشاب المناسب ؛ ليكون زوجا لها ، والمستعد لمرافقتها إلى كندا بعد زواجهما العاجل والضروري لكليهما ، وطلب اللقاء بها ليحدثها عن الشاب ؛ ليجري التعارف بينهم ، وقد أعطاها فكرة سريعة عنه ، وجلسا عندما التقيا في صالون البيت صالون جدتها بعض الدقائق ثم انتقلا إلى حجرتها الخاصة ، ولما استراح قال : هل أتحدث عن الدكتور سامر ؟

ابتسمت وقالت : اسمه سامر ودكتور .

ابتسم بدوره وقال : هو طبيب تخرج حديثا ، وهو يعمل في مستشفى حكومي ، ووالده دكتور جراح كبير في البلد .. وهو معرفة شخصية أقصد الوالد طبعا .. أما سامر عرفته حديثا فعادة الطبيب يعرف الأطباء من جيله الذين درس معهم أو عمل معهم في المشافي والعيادات فأنا أحببت خدمتك لمعرفتي بالضيق والإزعاج الذي يحيق بك من أقاربك ، ورأيتك تلحين ومصممة ، فسعيت مع قريبي العميد ولم يقصر الرجل لك ولسامر .. فالزواج هو الأفضل لك .. فلو كان لك أقارب هناك ، ربما فضلنا ذلك على الزواج ، وليأت الزواج على حينه

.. ولو كنت ذكرا فلربما كان السفر أسهل معذرة .. أنت تعرفين نحن الشرقيون بالنسبة للنساء والعرض وعاداتنا .. أتفهمين عليّ ؟

ـ نعم ، أنا معك يا دكتور

ـ جميل .. جيد ! .. راقت لنا فكرة السفر أنا وزوجتي .. وأنت عزيزة علينا .. ففضلنا لك الزواج قبل السفر .. ولا أنسى صداقة المرحوم والدك وثقته الكبيرة بي عندما جعلني وصيا

ـ كنت نعم الأب الروحي لي يا سيدي .. شكرا لك .. لقد اطلعت على صورك مع الوالد ـ رحمه الله ـ أيام الجامعة

ـ نعم ، أيام الشباب .. المهم المناسب لك الزواج .. أنت تعرفين أهمية السمعة والشرف للرجل الشرقي .. وكذلك للفتاة الشرقية خاصة العربية .. حتى لا تسمعي قيل وقال

ـ أفهم مغزى كلامك يا عمي العزيز

ـ بواسطة الأصدقاء وصل الكلام للدكتور ماجد وولده سامر .. فالتقينا وتصارحنا بشأنك ، فرحب الشاب بفكرة الزواج والبعثة الكندية ، ووعدنا السيد ماجد بالسعي لتسهيل سفركم بأسرع وقت .. فعادة هؤلاء الجراحون لهم معارف وعلاقات على مستوى العالم ؛ لأنهم ينضمون لجمعيات علمية أو جراحية أو مؤسسات عالمية ليتبادلوا الخبرات والمعارف ، والمشاركة في الحملات الدولية في الكوارث والزلازل والأمراض المتفشية .. وتستمر بينهم المراسلات والندوات خاصة مؤسسات الصحة العالمية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة .. أو منظمة الصليب الأحمر ، فتتكون بينهم زمالات وصداقات .. جميل هذا ؟

ـ أجل يا سيدي

بعدما رشف الدكتور ما تبقى في فنجان القهوة الذي برد بعد هذا الحوار قال : المهم صاحبنا الدكتور ماجد شجع ابنه على هذا الزواج ، ولسوف يسعى له للعمل هناك ، والتخصص كذلك في جراحة العظام والكسور.. وفي نظري أنه شاب ممتاز وطموح كوالده كما بدا لي .. فهل نكمل المشروع ؟ وتلتقيان للتعارف ؟

أحمر طبعا وجه الفتاة حياء ، وبعد صمت قالت ردا على الأسئلة : أنا مثل ابنتك يا دكتور ماهر فأنا الابنة الوحيدة لك ؛ لأنك لا بنات لك كما أعلم .. ولما لم يعقب الدكتور تابعت : أنا أثق بك لأنك ثقة والدي ـ رحمه الله ـ الذي اختارك وصيا دون أعمامي ، وكان ذلك بعد نظر منه .. فهو بدا لي أعرف الناس بشقيقه الكبير .. وأنا مستعدة لمقابلة هذا الشاب ، والتعرف عليه ولكن أين ؟

فكرت بذلك ، وكنت واثقا من قبولك للعلاقة الخاصة بيننا ، والأبوة الروحية التي جمعت بيننا وجزاك الله خير الجزاء .. سأرتب لغداء في بيتنا في

نهار جمعة .. وأنا في مقام والدك يا زهيرة ..
مسحت زهيرة دمعات مؤثرة عن خديها ، وتابع الدكتور الكلام متظاهرا أنه لم ير تلك الدموع الحارة من ابنة صديقه مجدي : وعندما أتفق على جمعة معينة سأتصل بك .. وليبق الموضوع مكتوما إلى حد ما بيننا

ـ أحسن يا سيدي ..

ـ أنت تعرفين البيت بالسيارة ؟

ـ أعرف ، وقد مررت عليك مرة بها .. وزرتكم بسيارة أجره قبل ذلك .

ـ أهلا وسهلا بك أيتها الدكتورة الصاعدة إن شاء الله .. واعلمي أن إجراءات إنهاء الوصاية قائمة على قدم وساق وسوف نذهب معا للمحكمة الشرعية، وسوف يكون المحامي أمامنا .. فهو يقوم مع مكتب محاسبة بحساب ما انفق عليك ليخصم من الأصل وستأخذين ما تبقى

أمسكت الفتاة بيد الطبيب ولثمتها امتنانا وشكرا ، وقبل الرجل جبينها وغادر البيت مسرورا

التقت الآنسة زهيرة مع أقاربها في مطعم الجامعة يتناولون الساندويتشات والمشروبات اللذيذة وبعدما انتهوا من ذلك وأخذوا يتهيأون لمغادرة صالة الطعام قال نزار : ما أخبار أمريكا ؟

سمعت أمي تقول لأبي ليلة أمس أن الأمور تسير على ما يرام ، عندما سألها عن أخبار سفرك فالكل يتابع أخبار الدكتورة الراغبة في الهجرة .

تبسم الجميع وقالت لمياء لتظهر الاهتمام بسفرها : كل يوم تتصل أمي بأمك ، ولا حديث بينهم إلا الخوف على زهيرة من هذه السفرة المجهولة

قالت زهيرة : لست أول من يذهب لتلك البلاد ، وبالتأكيد لن أكون آخرهم .. فالبعثات العلمية وغيرها من أول وسائل تبادل العلم والطب والتاريخ بين الناس .. والقلق من المجهول والرحيل يبدو أنه فطرة وغريزة .. والتوفيق والسلامة من الله سبحانه .. وأمر الرحيل على وشك الانتهاء منه .. فحضرة العميد يبذل الجهد الكبير لسفري إلى هناك .. ويسعى أن أدرس على حساب الحكومة الكندية .. لما لمس رغبتي بالبقاء هناك إلى حين طويل .. وقد دخل على الخط جراح أعصاب كبير اسمه ماجد عن طريق الدكتور ماهر طه جزاه الله خيرا

قالت لمياء : أسمعت به يا سمر ؟ أسمعت به يا نزار ؟

ردت سمر بابتسامة وهز رأس بالنفي وقال نزار : لم أسمع به ، ولا يعني أنني لم أسمع به أنه غير موجود .. الله يحفظنا من الأمراض الخطيرة .. آمين .. والإنسان كما تعلمين لا يستطيع معرفة كل الناس وكل الأسماء .. لو سألت هذا السؤال لمريض أعصاب قد يخبرك عنه الخبر اليقين

وضحك المهندس وتابع قائلا : ولو سألت طبيب عيون ، فهو يعرف عددا من أطباء العيون ويعرف أماكن عملهم وعياداتهم ، وربما مساكنهم وشوارع عياداتهم

لما صمت الشاب منتظرا تعقيبا على مرحه قالت سمر : المهم يا زهيرة أن القوم مهتمون بك ، والزواج تسربت إلينا معلومة صغيرة أن الدكتور ماهرا يسعى في أمر زواجك قبل السفر هل وجد لك القرين الصالح ؟

ابتسمت زهيرة وقالت ضاحكة : على ذمة الدكتور أن الزوج المناسب وجد

صاحت لمياء فرحا : ماذا ؟! هل تقولين ذلك حقا ؟!

ـ نعم ، وهو طبيب ابن الطبيب ماجد الذي تحدثت عنه قبل لحظات

ـ أرأيتم بعضكم ؟

ـ لا بعد ، لم أره لحتى الآن ، ونحن على موعد أيها الأعزاء .. يعني لا تنشروا الخبر قبل أن يتأكد الموضوع مائة في المائة .. وضحكت وقد أحمر وجهها وتابعت بعد التقاط نفس: هو طبيب متخرج حديثا ، ويعمل في أحد المشافي الحكومية، وعندما يكمل الحديث سأقول لكم أول الناس.. فأنتم من أعز الرفاق خلال هذه الشهور التي أمضيناها معا .

فقالت لمياء معبرة عن سعادتها لزهيرة : نحن سعيدون بسماع هذه الأخبار السارة.. أنت تستحقين كل خير وسعادة .. الحياة الأسرية جميلة يا زهيرة

فقالت سمر : إذن سنسمع قريبا خبر إشهار الخطبة بل الزواج

قالت زهيرة بابتسامة خجلاء : الزواج سيكون عند السفر .. إذا لم يحصل السفر سيؤجل الزواج إلى ما بعد الجامعة .. فالزواج مربوط بالسفر للدراسة .. هكذا تفاهمت مع الدكتور ماهر .. أنا قبلت الزواج كحل للسفر .. فزواج وجامعة هنا سيكون شاقا عليّ أتصور .. لأن الزواج سيتبعه حمل وولادة ورضاعة

قالت لمياء : نظرتك تشاؤمية للزواج يا زهيرة .. يبدو أن ابن عمك عقد حياتك

ـ قد يكون هو السبب .. ولكن لا تنسوا زيجات أمي أيضا

ضحكوا وقالت سمر : أوه ! صدقت عمتي تزوجت ثلاث مرات .. صدقي أن أمك طيبة ، ولا تتدخل في شأن أحد .. ولا حياة أحد .. لكن حظها مع الرجال لم يكن حظها طيبا .. كله قدر ونصيب

قال نزار : لا تنسوا أن والد زهيرة تزوج عندما أكمل الأربعين .. ولم تطل حياته رحمه الله

قالت زهيرة : عشر سنوات

فقال نزار : كأنهم عاشوا تلك السنوات فحسب ..
كنت يا زهيرة صغيرة عند موته رحمه الله أقل من سنة ذكرت لنا ذلك ذات يوم ..

قالت : كنت بنت أربع سنوات ونصف يا نزار كنت في فترة ما قبل المدرسة ؛ ولكني لم أرضع حولين للهفة أمي على المزيد من الحمل .. أنا أعرفه إلى حد ما ، وربما أتخيله من مشاهدة صوره

ردد الزملاء ترحمهم على زوج خالتهم مجدي حسن ، وبينما هم مستغرقون بالحديث .. وقد نسوا المغادرة مع سماع أخبار زهيرة ، وقد طلب لهم نزار المزيد من القهوة والمشروبات ، دخل القاعة طالب كلية التمريض أحمد ، وكانت تصحبه فتاة ، فقالت سمر بدون شعور مخاطبة لنزار : صاحبك معه صبية جديدة !

شاهد نزار ما شاهدته الفتيات فابتسم لسمر وقال : هو ليس صاحبي ، وقد عرفته عن طريق جميل ، وقد أخبرني مرة أن رفيقه بطل حب ومغامرات نسائية في الجامعة

وقالت زهيرة بحدة : وجاسوس لميلاد

التفتوا إليها بدهشة ورددت سمر : جاسوس !

ـ نعم ، له أخ زبون عند ميلاد ، فطلبوا منه أن يتجسس عليّ

قال نزار : قد يكون هذا صحيحا ، فهو قد استلمنا فترة ، من قال لك ذلك ؟

ـ ميلاد .. كتب لي رسالة يتوسل فيها في أمر الزواج ، ثم اتبعها باتصال وزعم فيه أني أجلس مع الشباب في مطعم الجامعة ، وأضحك بصوت عال وقهقهة ، وذكرك ، وأنني أجلس مع شاب اسمه نزار .. وإنك قريب لي .. يتباهى أنه على معرفة واطلاع عليّ حتى ولو أنا في الجامعة

ضحك نزار وهتف : يا للسخف ! هزلت

ـ تكلمت مع ابن عمي حميد شريك ميلاد في المحل ، فأقر لي بجنون ميلاد ، وأنه ورط الشاب أحمد بتتبع أخباري .

فصاحت لمياء : هذا ابن عمك مجنون فعلا .. فعلا السفر أفضل لك من هذه الأشكال المريضة فعمك عادل ضعيف وعاجز عن وقفه عند حده .. وهذا الشاب سيء .. إذن يتردد على كافتيريا الطب من أجل هذه الغاية الدنيئة .

قالت سمر بامتعاض : هذا مؤلم !

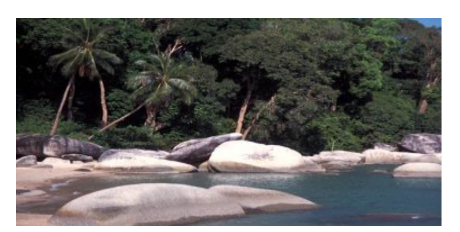
قالت زهيرة: هذا كلام ابن عمي حميد نبيل ، ثم قال نصحته كثيرا أن يبتعد عن طريقك ، وأن يتزوج ويعقل ؛ ولكنه يزعم أنه محب ، ولا يستطيع الحياة بدون ابنة عمه زهيرة

قال نزار : صار يكتب رسائل ليزعم أنه يعرف عنك كل شيء .. إنه مريض نفسي وسخيف وفاشل ... يتبع .

قصص وحكايات الفوارس

قطبة بن سنان

الحلقة ٣ والأخيرة



حران ونورا

وفي المساء أخذهما الخادم إلى جهة البحر في المكان الذي يجلس فيه حران ، كادت الشمس أن تختفي في البحر عندما أشار الخادم إليه وقال: هذا صاحبكم الذي تنشدون والسلام .

أثنيا على همة الخادم ، وتابعا الخطوات إلى حران الذي كان يجلس على صخرة ، وينظر إلى أمواج البحر وهي تتدافع نحوها ، ولما اقتربا منه سمعاه يقول : هل تخرجين الليلة يا مولاتي ؟ هل تخرجين أيتها الحبيبة ؟ طال الانتظار !

فسلما عليه ، فصاح بهما : ماذا تريدان أيها الشقيان ؟! جئتم تضحكون مني .. نعم ، سوف تخرج من الماء ، وتأخذني إلى الأعماق .. إنها امرأتي العظيمة .

فهمس مالك بشفقة وعطف : حران ! يا أخ حران نحن غريبان ، جئنا لنسمع قصتك لعلنا نخدمك ونساعدك ..

فأخذ حران بالضحك عاليا حتى ملأ المكان ، فأقبل بعض الصيادين الذين كانوا يرفعون شباكهم وآلاتهم مسرعين فزعين وهم غاضبون من هؤلاء الغرباء، فقال سالك عندما تجمهر عليهم الصيادون : أيها الناس لا تتعجلوا علينا ، نحن جئنا نتحدث مع هذا الشاب لأمر يهمنا ويهمه، فقد أتينا من بلاد السرو لنسمع قصته مع جنية البحر لعلنا ننفعه بشيء .

فأخذ الصيادون بالضحك والسخرية وقال أحدهم : أيها الشابان الغريبان ! خير لكما أن تنصرفا قبل أن تندما .

فقال مالك : يا قوم .. تمهلوا واسمعوا ، لقد أتينا خصيصا لنرى ونقابل هذا الإنسان المسكين الذي يناجي البحر ينتظر خروج حبيبته منه .. أنا اسمي مالك بن قطبة وهذا أخي سالك بن قطبة بن سنان .

وقبل أن يجيب الصيادون على الأخوين صاح حران أمام دهشة الحاضرين : ويلاه!!.. مالك! جئت يا مالك !.. يا سيدي! يا سيدي! طال الانتظار.. طال الصبر.. لي سنوات وسنوات في انتظارك يا مالك .. أهلا ومرحبا بك يا مالك .. أيها الناس ستعود حورية البحر .. هذا الشاب سيعيد لي عروس البحر .. تفرقوا وابتعدوا .. هذا هو منـقذي ..ها هو البطل الذي انتظره قد أتى كما أخبرتني حوريتي الجميلة .

تفرق الناس ، وهم مدهوشون مما جرى لابن

مدينتهم حران ، عندما عرف أسماء هؤلاء الشباب وعانق حران الأخوين وصافحهما بحرارة والتزمهما ، واعتذر لهم مما بدأ من سوء خلقه معهما فقال : معذرة أيها الأخوان الحبيبان .. أنتم تعلمون حالي أكثر من هؤلاء الجيران .

فأجابه سالك بن قطبة بعطف وحنان ورقة : لا حرج عليك أيها الأخ الفاضل.. نحن جئنا من أجل الجلوس معك وسماع قصتك على أمواج هذا البحر العظيم .. كم يحوي هذا البحر من الأسرار ؟!

بكى حران وتنهد بعمق وقال: أنا مشتاق إليكم .. مشتاق .. أنتم ستعيدون لي السعادة الأبدية مرحبا وألف مرحبا بكم .. فأنا حران صياد مثل هؤلاء الصيادين، أحببت البحر ورضيت برزق البحر قليلا كان أم كثيرا .. تعلمت هذه المهنة من والدي ـ رحمه الله ـ وتفوقت على أقراني ، وكثرت رحالاتي في البحر وإلى الجزر لصيد السمك وغيره ، ولما بلغت العشرين سنة كنت سيد البحر هنا ، وسيد كل الصيادين .. والكل يرغب بمشاركتي والعمل بصحبتي .. والكل من هؤلاء الاخوة يرغب بمصاهرتي بأخت له أو ابنة ، وكنت عازفا عن كل هذه العروض ، وأرفضها إلى أن كنا عائدين إلى هذا الرمل الذي بجوارنا متأخرين من الليل ، فذهب من كان معي لبيوتهم، وظللت هنا لحراسة الأسماك والصيد حتى الفجر ، فأنا أنام وحدي وأعيش وحدي ـ وإن كان لي أم واخوة ـ فألقيت نفسي على هذه الرمال التي أمامنا، وبينما أنا مستلق على الرمال أنظر في السماء والنجم ، وأفكر بما جرى لنا في تلك الرحلة .. سمعت خطوات تمشي على الرمل .. فجلست فإذا حسناء قادمة نحوي بثياب زاهية؛ كأنها خارجة من أعماق البحر؛ كأنها حورية البحر التي نسمع عنها ، واقتربت وأنا كنت أظن نفسي أنني أحلم بذلك ، فسمعتها تقول بدلال وصوت رخيم عذب : سيدي حران أنا الجنية نورا! لقد وقعت في هواك وعشقتك .. وأنا راغبة بك بعلا وأهلا لي .. فلا تكسفني يا سيدي حران

فصرت يا أسيادي التفت يمينا وشمالا وحولي خشيت أن أكون حالما ثم سمعتها تقول بحنان : أنت يا سيدي مستيقظ لا تحلم .. أنا وقعت في حبك فاقبلني ..

لقد سحرتني بجمالها وحسنها ، ومع كلمات الحب والعشق التي تفوهت بها عشقتها.. فكنا نمكث في الحديث والغرام وتبادل همسات الهوى حتى الفجر .. أصبحت عاشقا للبحر عشقا مبرحا .. وانتظر نصف الليل بكل شوق وصبر.. ثم أصبحت حديث الناس والأصدقاء والإخوان.. وبعد شهور من هذا الغرام والهيام اقتضى الزواج والاتصال فتزوجنا .. فقامت بتهيئة قصرا للزواج من قصور الجآن، فكانت تأتيني بالليل وتطير بي إلى القصر

وعش الزواج ومع الفجر تعيدني إلى هنا إلى البحر .. فيظن الصيادون أنني خرجت من أعماق البحر من عند حوريتي الفاتنة.. كنا سعيدين بالحب والزواج .. ويزاد العشق في فؤادي لمحبوبتي نورا إلى أن كان يوما يا أسيادي أحببت أن أنظر القصر الكبير في النهار .. فعرضت عليها أن نقضي النهار معا في هذا القصر ، فاعتذرت لي وقالت : أنا لا أستطيع .. فأنا جارية من جواري الملك قشمر بن رهوان صاحب باب السر .. فخدمتي في النهار والساعات الأولى من الليل فعندما يظنون أنني أذهب إلى النوم آتي عندك يا حبيب! ولو علم مولاي الملك بحبي لك لحكم عليّ بالموت أو العذاب الأليم .. فدعنا نبقى كما نحن أيها الحبيب .. وكانت تتكلم بألم عميق وحزن شديد وكنت أحس أن هناك أمرا خفيا .. ورغم إلحاحي أيها السادة فما ذكرت لي غير هذا الكلام .. واستمرت حياتنا ، ولكن نفسي ما زالت تلح بمعرفة هذا القصر ومشاهدته في النهار.. وفي يوم آخر قلت : مولاتي ! أريد أن أرى هذا القصر في النهار وأدور في حجراته وأنزل بساتينه وأشجاره وأطياره ، فلما رأت تصميمي فقالت لي بحزن : يا حران أخشى أن تندم ويصيبك مكروه فلنبق على حالنا حتى يسرحني مولاي قشمر من الخدمة.. ونعيش في بيت جميل في موطنك قرب البحر .. أتوسل إليك ألا تلح عليّ بهذا الطلب .. وأمام فضولي وضغطي قالت باستسلام الذبيح : يا سيدي الطيب .. هناك جني اسمه " كزورة " من فرسان الملك قشمر رغب بالزواج مني فصدتته وأبيت الاقتران به .. فهو لي كاره وعليّ حاقد ويتربص بي ليهلكني عند السلطان .. وأنا قد رأيتك ذات نهار في جولة من جولاتي فأعجبتني واستحسنتك ووقع حبك في قلبي ونفسي.. وفي تلك الليلة عند البحر جئت إليك معترفا بولهي بك وبحبي لك وعرضت نفسي عليك.. فرضيت بي يا سيدي الجميل وأنا خائف عليك من القوم؛ فإن انكشف سرنا سيعاقبوننا ويعذبونك إن لم يصروعك فالحزن الذي تراه على محياي .. هو من خوفي عليك وقد ورطتك في عشقي يا حبيب .

فأكدت لها عمق الهوى الذي يجمع بيننا وطلبت منها عدم الخوف وعدم الحزن ، وأنه لا مفر من المقدور ، ولابد أن يكشف الجن أمرنا ..وكلما صدتني عن البقاء في النهار في القصر ازداد الفضول ولهب الشوق إلى معرفة أسراره ، ولما خشيت غضبي منها قالت : حسنا يا سيدي الصياد !.. هذا قصر لأحد مردة الجآن يهجره في الليل ؛ لأنه يعمل في خدمة الملك قشمر ويحرسه فيأتيه في النهار فإن ظللت فيه نهارا فأخاف أن يراك ، ويحصل ما لا تحمد عقباه .. فهذا سبب منعي لك البقاء فيه نهارا

فقلت : لماذا نسكن فيه يا مولاتي أصلا ؟
ردت قائلة : هذا مسكن مؤقت حتى أتحرر من خدمة الملك قشمر ..وزوجة هذا المارد ساكن هذا القصر الكبير صديقتي وتعرف سرنا .. وهي التي عرضت عليّ قضاء ليلي فيه .. رغم ما سمعت صممت على رؤية هذا المارد من مردة الجن وقضاء النهار في القصر .
فاستسلمت لرغبتي وقالت : حسنا يا مولاي!.. امكث فيه هذا النهار ، ولكن احرص أن يراك المارد أو أحد أصحابه ، وإن نجوت منهم يا صاحبي لا تفكر بإعادة التجربة وإلا طلبت منك الفراق.. وسأقضي عمري في حسرة وندامة على بختي ونصيبي .. أرجوك يا حران أن تبقى الحبيب .
ودعتني في الصباح وكلها خوف ودموع وبكاء ، فحاولت بث الطمأنينة في قلبها فقلت : توكلي على الحي الذي لا يموت .. اطمئني يا أميرتي سأتفرج ولن يروني قطعا بمشيئة الله .
بعدما بقيت وحيدا في القصر شعرت بالخوف والقلق ببقائي من غير أنيس في مكان مجهول ، فشجعت نفسي رويدا رويدا ، ودرت أتفرج على غرف القصر غرفة غرفة ، فدهشت مما رأيت فيه من الأشياء الجميلة وصناديق المجوهرات من الياقوت والمرجان واللؤلؤ .. فطار صوابي مما رأيت من المال والثروة حتى دخلت غرفة قلت في نفسي: هذه حجرة زوجة المارد! .. فنسيت نفسي فيها من الأحجار الكريمة والعقيق وأساور الذهب ، فما شعرت الا بصوت أبواب تفتح وتغلق .. فنظرت في الغرفة ، فوجدت سريرا فدسست نفسي تحته بسرعة الخائف وأنا أهمس بين جوانحي قائلا " كأن المارد وصل القصر .. وهذه الضجة منه " انقطع نفسي رعبا ، وخفت الافتضاح ، والحق أنني آيست عن روحي .. وقد اشتد خوفي على زوجتي الجنية نورا .. فلنا أكثر من سنتين في سعادة ونعيم ، وأسكن هذا القصر المجهول ، ولا أعرف منه شيئا ، فقد استبد بي الفضول لمعرفة ما فيه .. فهذا ما دفعني لمشاهدته بالنهار ، وضغطت على زوجتي من أجل هذا الهدف .. وبينما أنا راقد تحت السرير سمعت صوتا بالغرفة ، كان المارد يتكلم مع زوجته فسمعته يقول : صديقنا المارد شرود سيتناول طعام الغداء معنا .. فهيئ لنا طعاما لذيذا بهذه المناسبة .. سأذبح وعلا .. وربما تأتي معه حليلته .. والآن دعيني أنام ساعة من الوقت.. فلا تزعجيني .. فردت قائلة : سأجلس في البستان استنشق عبير الأزهار والأشجار .. وعندما تستيقظ وتذبح الوعل فنادني .. وأثناء هبوطي سوف أشعل الموقد .. فشرود يحب الوعول المشوية .. وخرجت من الغرفة ، وألقى المارد نفسه على السرير، وغط في نوم عميق ، وله شخير يسمعه كل من في الهند والصين

.. وفكرت بالتسلل فلم استطع ، فقد هبط السرير عليّ ولامس جسدي .. فصبرت على هذا الوضع حتى نهض المارد من نومه وهو يقول : احتاج إلى سكين قوية حادة فالوعول التي عندنا ضخمة وسمينة .. وخرج فتنفست الصعداء ، ثم خرجت من الغرفة التي سحرتني بما فيها من الأحجار الكريمة والسحرية الجميلة .

غامرت بالتفرج على باقي الحجرات حجرة حجرة ، ثم صعدت عندئذ إلى سطح القصر فقادتني قدماي إلى غرفة ، فيها أنواع كثيرة من السيوف والمدى فقلت : لابد أن المارد أخذ سلاحه من هنا .. وأنا أقلب النظر يا أسيادي في هذه الأشياء المعلقة على جدران الحجرة وقع نظري على خنجر صغير بين هذه السيوف والسكاكين، فقلت لو أخذته من بين هذه السيوف ما عرفوا به.. هذا أثر أحدث الناس به ، وكسبته من حياتي مع الجن ، فتناولته وأخفيته بجيب قميصي ، ثم قلت لنفسي "أشاور زوجتي عندما نتقابل ؛ فإن أمرتني بإعادته أعدته " كنت أرى المارد وزوجته من ظهر القصر، وهما يجلسان في البستان تحت شجرة عملاقة .. وحضر صاحبهما شرود ، وأتى المساء ، ولم يخرجوا من القصر ، فانزعجت وحضرت الجنية نورا ؛ وكأنها فوجئت ببقاء القوم ، فجلست معهم ساعة من الزمان ثم خرجت من القصر ، وكنت أراقبهم عن ظهر القصر ، وقلت لابد من تدبير مكان أقضي به الليل فبحثت عن زاوية أرقد فيها ، فوجدت كومة من القش والتبن فدخلت فيها وأخفيت نفسي ونمت .. وكنت أخشى أن يصعد أحدهم في الليل إلى السطح أو إلى غرفة السلاح فيلحظني ويكشف أمري .. ثم أمضيت ليلتي ونهاري الثاني إلى أن حضرت نورا في الليل ، وهي مصفرة اللون ، فلما رأتني سالما حمدت الله على ذلك وقالت : كم قاسيت من الخوف والقلق عليك ؟! وكان لقاء ممتعا وجميلا بعد هذه المغامرة الخطرة ، فقلت لها : حضرت أمس وانصرفت .. لقد رأيتك عن ظهر القصر تجلسين مع القوم

فقالت وهي تبتسم : من عادتي قبل أن آتيك أن أمر هنا لأتأكد من ذهاب المارد إلى عمله .. فلما علمت أنهما ماكثان خفت عليك جدا ؛ ولكنني توكلت على الله وانصرفت .. فماذا فعلت أنت في هذه الفترة ؟

فقال : قضيت ساعات متعبة ومتوترة ؛ ولكني شاهدت أشياء كثيرة وجميلة من ذهب وسلاح وطيور..

فقالت نورا الجنية : يا سيدي حران ! لا تنسى وعدك لي بأن لا تفكر بقضاء نهار آخر هنا بعد هذه المغامرة المخيفة .

فقال حران : لم أنس الوعد والعهد يا قرة العين .

استمرت حياتنا سعيدة وممتعة بعد هذه التجربة بضعة أيام ، وبينما نحن نائمان؛ فإذا بالمارد دجان فوق رؤوسنا ، فصاحت جنيتي فزعة ، وتوسلت إليه أن يكتم سرها وعدم فضحها أمام الملك قشمر ، وبعد تفكير طويل قال هذا الجني : هذه خيانة كبرى يا نورا !.. وفي ذلك خطر عليّ .. فيا ليتني لم أعرف شيئا فإن عرف الملك العظيم قشمر بإخفائي هذا الأمر عنه سيقتلني أيتها الحسناء.. وأنت تعرفين الملك وغضبه .. ولكن هل زوجتي تعرف بأمركما ؟ هزت رأسها بنعم ، فقال المارد دجان : أنتم فضحتم أنفسكم الذي دفعني لهذا الكمين .. ظننت أن زوجتي تخونني وتعشق غيري .. لقد وجدت خنجرا خاصا بي عند كوم قش على سطح القصر عندما كنت أنقل به للوعول والخراف .. فتعجبت من وجوده في كومة القش ، وقد لاحظت أيضا في القش والتبن مكانا ملبدا ؛ كأن شخص نام عليه ..فشككت بأمرزوجتي ، فعملت هذا الكمين.. وكلي ظن أنك هي .. تذكرت أنا الخنجر الذي أخذته من غرفة السلاح يوم مكثي في القصر .. والجني يتكلم عنه فقلت لنفسي أسفا: لقد سقط مني أثناء النوم ، ونسيت أمره وراح عن بالي.. لقد جنيت على نفسي .. ثم سمعت المارد يقول لزوجتي نورا : يا نورا .. هذا الأمر لابد من كشفه للملك.. فمعذرة فأنت تعرفين كزورة لو عرف بالأمر لضرني.. ولا تحملينني مالا أطيق .. فهذا أمر مصيره الانكشاف اليوم أو غدا.. وأنا لا أستطيع إخفاءه .. وقد قلبت القضية يمينا ويسارا وشرقا وغربا فلا حل عندي إلا بإخبار رئيس خدم الملك قشمر بن رهوان وهو يتصرف .

وأوثقنا بالحبال يا سادة يا كرام قبل مغادرته ، وسمعته يقول لها مرشدا : حاولي أن تصل قصتك إلى ملك من ملوك الإنس .. الملك طهمان بن زلمان الذي يملك بلاد الاغمار .. فهو صديق للملك قشمر .. هذا ما أستطيع أن أنصحك به يا نورا .

فقالت بتوسل ودموع : انقل له خبري .

فتبسم الجني دجان وقال: قصتك خطيرة أيتها الجارية !.. سأذكر الأمر لزوجتي لعلها تنقله لملك الإنس طهمان .

حضر رئيس خدم الملك بنفسه مع مجموعة من الفرسان، وأخذونا لبلاد الجآن ، وبعد حين رأيت الملك قشمر ملك هؤلاء الجآن ، وقد كان ذا هيبة وجلال وعلى رأسه صولجان وتاج من الياقوت والأحجار الكريمة ، وحبات كبيرة من الجمان، ويلبس ثيابا كأنها الذهب الأصفر والديباج ، وعلى رأسه الجنود بالرماح والبنود ، وكان يجلس على سرير يعجز عن وصفه اللسان يا أسيادي .. وسمع تفاصيل قصتي بكل صدق ، واحضروا الجنية نورا فتكلمت بالقصة ، فلم تزد على ما بينت ، ثم

سمعت الملك الجبار يأمر بقتلي على هذه الخيانة والجريمة الكبرى.. وهي الزواج من تلك الجنية.. ولكن قبل أن يسوقوني لتنفيذ أمر قشمر بن رهوان دخلت الملكة بوبا ابنة الملك بأحسن اللباس والجمال الآخاذ .. فسحرت العيون فحنى القوم لها الرؤوس تحية وإجلالا والتي قالت : يا أبي الملك قشمر بن رهوان .. لا تقتلها؛ ولكن تحبس هذه الجارية ، وتوكل كزورة بجلدها كل صباح ؛ لتكون عبرة لكل جارية تخون أسيادها وتعشق من غير إذنهم .. ويصاب هذا الفتى الأنسي بالمس والجنون إلى أن يأتي الأمير مالك بن قطبة بن سنان .. فيشفع فيهما .. وينظر في أمرهما .. هكذا قالت الساحرة الكبيرة يا مولاي! .. لأن مالك بن قطبة لا يصل إلى هذه البلاد إلا إذا رأى والتقى هذا الفتى المنحوس واجتمع به .. ثم التفتت إليّ وقالت : فيا فتى الذي يدعى "حران" امكث في مدينة البحر من بلاد القمر إلى أن يأتيك مالك بن قطبة.. فاذكر له قصتك ، وأرشده لبلادنا فليذهب بداية إلى الملك طهمان بن زلمان ملك الإنس في بلاد الاغمار ، وهم سوف يدلونه ويرسلونه لبلاد الملك قشمر صاحب باب السر .. ليتزوج من الملكة بوبا ابنة الملك قشمر وعندئذ تقدم أحد الجند مني وصفعني صفعة على وجهي ورأسي ، طار عقلي من قوتها ، وحملوني ورموني في بلادي مضروبا بالمس والجن والهلوسة ،

فهذه قصتي مع الجن والجنية نورا

كان الوقت يقترب من الفجر ، وهم يجلسون على صخرة البحر الساحلية يسمعون قصة حران الصياد البحري..وقال سالك بعد صمت خيم على الجميع : سبحان الله ! سبحان الرحمن مالك الإنسان!..مفتاحنا إلى تلك البلاد أنت يا حران .. في أي اتجاه تقع بلاد الملك طهمان ؟

فقال حران بحزن عميق: لا أدري .. فلي أكثر من عشرين سنة في هذا العذاب والعقاب يا أسيادي .. فيا سيد مالك عاهدني على مساعدتي وعدم نسياني إذا التقيت بمحبوبتك الملكة بوبا

فقال مالك بقوة وصدق : أعاهدك يا هذا الإنسان.. فحياتنا حلقات متصلة ببعض ، وسوف نعود إليك ومعنا نورا الحبيبة أيها الإنسان .

فقبل حران قدميها وهو يقول : أنا في انتظاركم .

فقال سالك مواسيا : اصبر أيها الإنسان! ذهب الكثير وظل القليل القليل والفرج قريب بإذن الله.



لقاء نازك

وودعاه وغادرا مدينة البحر وبلاد القمر ، وسارا يبحثان عن بلاد الاغمار لرؤية الملك طهمان ، وبينما هما يقطعان الفيافي والقفار ، ويسألان عن مدينة

الاغمار ، وقد طال بهم الزمان ، ومضت سنة يسيران يبحثان ؛ فإذا هم بقصر عظيم معلق على العمدان في صحراء قاحلة لا إنس فيها ولا جآن ولا طير ولا حيوان إلا هذا البناء الشاهق المعلق .. ولا مدخل له ولا باب ، وهما منهكان من ركوب الدابة فقال سالك : لا ظل في هذه الصحراء إلا تحت هذا القصر الغريب الوحيد .. فلنستريح تحته .. لعلنا نجد به أحدا من الإنس أو الجآن .

ولما وصلا إليه تركا الدابة ، وربطاها بعمود من أعمدة هذا البيت المعلق، وجلسا يستريحان ويشربان ، ثم قام سالك بجولة حول القصر المعلق لعله يجد مدخلا لهذا القصر أو نافذة أو طاقة أو شيئا يدل على أن في هذا المكان أحدا ، ووجد في الجهة الشمالية للقصر فتحة كأنها نافذة فأخذ ينادي ويصيح : يا أهل هذا المكان ! وبعد برهة من النداء طلت امرأة منها وهي تقول : من أنتم يا سادة .. ماذا تفعلون في هذا الوادي ؟!

نظر سالك لوجه المرأة باستغراب ، واستمع لصوتها جيدا ثم قال : يا صاحبة المنزل .. لماذا تسكنين وحدك في هذا القصر المعلق ؟!

فقالت : يا هذا صوتك وشكلك ما هما غريبان عني! .. هل أنا من بلاد السرو ؟

فقال بلهفة : نعم يا أمة الله .. أنا من بلاد السرو .

فقالت وكان لا يرى إلا رأسها فقط: هل تعرف مالك بن قطبة وأخاه سالك بن قطبة ؟

فقال بدهشة واستغراب : يا أمة الله أمرك عجيب! .. في هذه الأرض القفراء وتعرفين بلاد السرو .. ومالك وسالك ولدي قطبة .. فأنا سالك بن قطبة بنفسه .!

فسمعها تقول: مه.. مه!! واختفت فإذا بباب يفتح ، ويتدلى منه سلما ، وسمعها تصيح بفرح لا يصدق : اصعد يا أخي أنا أختك نازك بنت قطبة .

فقال سالك : منذ سمعت صوتك قلت لنفسي الصوت صوت نازك والوجه وجها ولكني غالطت نفسي .. وقلت: وهل يعيش إنسان في هذا المكان هذا مسكن جآن ؟

ونادى سالك على مالك الذي أتى مسرعا بعد أن كان نصف نائم من الإرهاق والتعب ، وعندئذ وصل السلم المصنوع من الحبال إلى الأرض ، فصعدا عليه ، فكانت درجاته أكثر من ثلاثين درجة ؛ فإذا هم أمام أختهم الحبيبة التي أخذتهم بالأحضان والتقبيل والبكاء من شدة الفرح واللقاء ، ولقد كانت لحظات عاطفية ممتعة وغريبة للأخت من جهة وللأخوين من جهة أخرى وبعدما عادت السكينة للنفوس ، ولهذا الاجتماع على غير ميعاد ، والكل مشتاق لسماع أخبار الآخر فقال مالك: والله يا نازك .. نحن بشوق إليك وإلى أخبارك منذ فارقتينا .. وكيف التقينا بهذه البطحاء القاحلة؟!

..فحدثيننا عما جرى لك منذ تفارقنا على أطراف بلاد السرو .

فقالت بحب وشوق: قبل الحديث أيها الحبيبان! سأعد لكما طعاما لذيذا..فإنكما جائعان ومتعبان .

فقال سالك : يا أختاه! صبرنا كثيرا ، ونستطيع أن نصبر بضع دقائق أخرى لنسمع حكايتك ، فلنسمع أولا ثم تفعلي ما شئت.. تكلمي يا اختنا العزيزة . فأمام رغبتهما الجامحة أحضرت لهما بعض الشراب الطيب ، ثم قالت محدثة لهم أمرها وأخبارها: لما فارقناكم ، ظللنا نسير حتى ابتعدنا عن المدن والناس؛ فإذا بجسم يهبط أمامنا من السماء ؛ فإذا هو مارد من مردة الجن يقول : يا سيدي زهمان أرسلني الوالد لمعاونتك ونقلك إلى البلاد .

أنا أصابني خوف ووهن ، وتحدث صاحبي مع المارد ، ثم رجع فطمأنني وقال لي : يا نازك لي إخوان من الجن .. فسنركب على متن هذا الجني الصديق إلى بيتنا الجديد ، فلا تخافي.. وتركنا الدابة ، وحملنا المارد إلى هذا القصر، ثم أخرج لنا السلم الذي صعدتما عليه، ودخلت أنا وزوجي هذا البيت الغريب المعلق في الهواء؛ ولكني وجدت به الأثاث والمتاع والرياش والصناديق الكبيرة الممتلئة بالثياب ، ثم ودع زوجي المارد ، وقال له : تعال غدا ، ثم اختفى المارد ، ورفع السلم ، واغلق الباب إلا هذه الكوة التي فيه تبقى مفتوحة ؛ لسماع مناد من أصحاب زهمان فهو بيت واسع غرفه سبعة .. وفيه خزان ماء كبير وطعام وموقد النار، ويقول زهمان إنه هيئه وأعده قبل مجيئه لبلاد السرو، وقد رضيت بهذا العيش ، وفي هذه القفار، لا نرى أحدا ، أحيانا تمر من حولنا بعض الوحوش والطيور الهاربة ، فتستظل بالقصر بعض الساعات ، ثم تختفي في الصحراء تبحث عن الماء والطعام .. ومنذ فارقتكم لا أرى إلا زوجي زهمان والمارد الذي يحضر كل صباح وينقله إلى مملكة الملك طهمان بن زلمان في بلاد الاغمار ، ويعود به في الليل ، وأحيانا أخرى يغيب عن البيت بالأسبوع والشهر لدواعي الخدمة في جيش الملك طهمان ، وقد وهبنا الله طفلة جميلة وهي الآن نائمة ، ولسوف تسر وتسعد برؤية أخوالها مالك وسالك اللذين حدثتها عنهما بكثرة .. وقد حاول زوجي اختباري.. فكان مما قاله لي : يا نازك إذا مر عليك أحد مهما كان حاله وماله لا تأذني بدخوله القصر ، فكان يرسل لي بعض الناس لمحاولة الإيقاع بي ، فكنت أنظر إلى صورهم ولا أسمح لهم بالكلام معي حتى جاء يوما رجل جميل الصورة والوجه والرأس على حصان أحمر، ونادى عليّ باسمي ، فطللت من الكوة فظننته زهمان ؛ فإذا هو رجل آخر ، وإن كان الصوت صوته فسمعته يقول : أنا زوجك زهمان يا نازك .

فقلت : يا هذا ما هذه الوقاحة ؟.. وهل غشم عليّ

زوجي ؟! .
فذكر اسمكما وبلاد السرو والبئر المهجورة وبوصة والملك عماد ، فقص عليّ كل ما حدث في السرو والجرة والصناديق والحزام وأشياء أخرى أعرفها.. وأمرني بإنزال السلم.. فما فعلت ؛ فإذا هو يضع على وجهه قناعا خاصا ؛ فإذا هو زهمان زوجي .. وبعدما أقسم لي أنه زهمان فتحت الباب .. وأنزلت السلم وكشف لي الأمر بأنه أتى بلادنا متخفيا ليرى مدى طاعتنا لقطبة وأنه كان يمتحن وفائي وصدقي، فعندما يأتي في المساء سوف ترونه رجلا لا يشبه زهمان الذي تعرفانه ، وكنت قد رغبت بزيارتكما بمساعدة صاحبه المارد.. فقال لي وأنا غير مصدقة : سوف يأتيان إلى هنا .. وأرى أنه قد صدق .. ومنذ دخلت هذا المكان لم أخرج منه،

وأحيانا أصعد إلى سطح البيت أنا ونعمى فهذه قصتي .

فقال مالك : زوجك مليء بالأسرار يا نازك .. ويبدو لي أنه من أبناء الملك طهمان بن زلمان .. صدقي يا أختاه لحتى الآن لم نكشف سرا من أسرار قطبة الغريب الأطوار .

فقالت : سيظهر كل شيء .. الآن سأصنع لكم طعاما.. لابد أنكم اشتقتم للطعام الذي اصنعه لكم بيديّ .. آه! كم بكيت على فراقكم وأسفت لحالكم ؟! .. فكلما أضع الطعام بين يدي زهمان أذكركم فأبكي .

خافت نعمى في أول الأمر من الغريبين ، ثم تأقلمت معهما سريعا ، وفرحت بهما.. وبعدما أكل الاخوة من طعام أختهم .. استأذنوها بالنوم ريثما يأتي زوجها، فأدخلتهم غرفة جميلة الرياش فرقدوا فيها ، وعند الغروب أتى زهمان.. فلما هبط على الأرض قال للمارد : أليس هذا جملا يا صديقي ؟!

فرد المارد بقلق : نعم جمل مربوط .. ولكن لا أحد حوله .

فقال زهمان : انظر جيدا أيها الخادم الأمين .

فتحرك هنا وهناك ثم قال : لا أرى أحدا يا سيدي

نادى زهمان زوجته ، فدلت له السلم وقال : يا ابنة الاجواد لمن هذه الدابة ؟! .. هل من إنس مر من هنا ؟!

فقالت : أجل ، فاصعد فعندي ضيفان عزيزان مالك وسالك .

فنظر زهمان للمارد وقال : انصرف هؤلاء أصهاري اخوة الأميرة .

وصعد زهمان مسرعا وهو يقول : أين هما ؟ فأنا بشوق لرؤيتهما .

فهمست : اهدأ يا أبا نعمى ! إنهما يرقدان في النوم .

وسمع الطفلة تقول بسعادة بينة : يا أبي عندنا ضيفان يقولان إنهما أخوان لأمي .. أحدهما مالك والثاني سالك .

احتضن الأب ابنته الصغيرة ورفعها بين ذراعيه وهو يقول : إنهم أخوالك أبناء البطل قطبة .. لقد اشتقت إليهما .. ألم أقل لك يا ابنة الاجواد إنهما سيأتيان ؟ .. فها إنهما قد أتيا فاستعدي للرحيل وترك هذا المكان .

ولما اجتمع مالك وسالك مع زهمان كان لقاء حارا بث فيه الأشواق ، وجرت فيه ذكرى ذكرياتهم في بلاد السرو عندما أتاهم متنكرا وسليط اللسان فقال زهمان : مرحبا بكما .. فكيف عرفتماني رغم أن هذا الشكل لم ترياه سابقا .. أكيد أختكم أسرعت بكشف ذلك لكم .

فضحك مالك وسالك وقال أحدهما : حدثتنا أختنا عن تنكرك وقناعك والآن اسمعوا حكايتنا منذ افترقنا عنكم .

وسرد الأخوان على مسامع زهمان وزوجته الحكاية من البداية إلى النهاية ، وبعد ساعات من الليل انتهى الكلام ، وقد عجبت نازك مما سمعت غاية العجب ، وقال سالك : والآن جاء دورك يا زهمان لنسمع ما عندك .. ثم تنقلنا للملك طهمان في بلاد الاغمار .

فقال زهمان : نعم ..نعم .. جاء دوري في الكلام ..فأحب أن أعرفكم بنفسي .. فأنا أيها الأخوان والدي هو الملك طهمان بن زلمان .

تبادل الأخوان النظر ، ثم نظرا لأختهما المندهشة للخبر، وقال زهمان : مالكم ؟

فقالت نازك : هذا الذي اعترفت به الآن قاله مالك قبل ساعات من الآن .

فقال زهمان ضاحكا: القصة قديمة قبل أن نولد جميعا .. وهي علاقة قوية بين جدي زلمان وأبي طهمان ووالدكم قطبة بن سنان.. فالذي أعرفه أن والدكم قطبة عندما ولدت نازك وهبها لأبي فاختارني طهمان زوجا لها ، وكان زواجي منها بعد وفاة قطبة كما اتفق الأبوان .. فأرسلني الوالد بعد موت قطبة بسنة لأحضر الفتاة، وامتحنها بضع سنوات .. وأنشأ لي هذا القصر وأمرني أن أنزلها فيه إلى أن تصلا إليه .. وباقي الرواية يا أخوان عند والدي طهمان .. فعنده الخبر اليقين والتفصيل الكثير.. وغدا ـ إن شاء الله ـ سيكون الرحيل عن هذا الوادي .

وفي الصباح أتى المارد لنقل زهمان للمملكة ، فأمره زهمان بإحضار بضعة من الرجال المردة لنقل القوم ، وما في القصر من متاع وأثاث .

أسرار قطبة

استقبل الملك طهمان مالكا وسالكا ونازكا استقبالا كبيرا ، ورحب بهم ترحيب الأب لأبنائه الغائبين عنه سنوات وسنوات ، وعانق حفيدته عناق المشتاق ، ثم قال : لقد طال انتظاري لكم فأهلا وسهلا بكم كلكم

وشكر نازكا على الصبر والطاعة ، وطلب من زهمان القيام على استضافتهم ثلاثة أيام ، ثم التفوا حول الملك طهمان لمعرفة المزيد من الأسرار ـ أسرار قطبة ـ قال الملك طهمان : أرغب بداية بسماع ما معكم من الأخبار والأسرار .



فتداول الأخوان الكلام ، فتحدثوا عن ساعات قطبة الأخيرة والبئر المهجورة والصناديق وزواج زهمان ورحيله .. وفتح الصناديق .. ومقابلة عماد الحداد وايهاب الفارس وحران الصياد .. ولما انتهوا من الكلام قال الملك : سأقول لكم قصة البطل قطبة بن سنان الذي لابد أنكم مشتاقون لمعرفة حكايته الغريبة ، وما رماكم على هذه البلاد ، وجمعكم بالملك طهمان ، وغدا بالملك قشمر بن رهوان ملك من ملوك الجآن .

فقال مالك : إي والله نحن بشوق لمعرفة هذه الأسرار يا ملك الزمان !

فقال طهمان بحماس : قطبة أخي وصديق أبي زلمان ، قطبة ترك بلاد السرو وعنده خمسة عشر عاما ، فقد تركها هاربا من والده سنان ، بعدما صرع إنسانا بطريق الخطأ ، عندما كانا يملأن الماء من بئر هناك في بلادكم ، ولكن ذلك الإنسان سقط في البئر فمات ، فهرب قطبة على أثر هذه الحادثة في الجبال والوديان ، ولقد كان والدكم قطبة ذا صورة جميلة يفتن بجماله من يراه من الرجال فكيف بالنساء العاشقات ؟! فنزل في بلدة واشتغل عند رجل كبير في أرضه أكثر من خمس سنوات مقابل الأكل والشرب والنوم عنده ، وفي إحدى المرات وهو يحفر في الأرض ضربت فأسه غطاء من الحجر العتيق .. فظن أنه وجد بئرا فيها ذهبا ، فرفع الغطاء الحجري ؛ فإذا حفرة فنزل فيها على أمل أن يجد ذهبا أو مالا فيترك العمل كأجير.. ويسافر في الدنيا قال لي : نزلت درجات كثيرة حتى دخلت نـفقا مظلما جدا ؛ ولكن مع تعودي الظلام بدأت أحسن الرؤية .. فمشيت بهذا النفق وأنا لا أدري إلى أين أسير؟! فلما وصلت نهايته وجدت نفسي أمام البحر ، فتعجبت من وجود هذا النفق .. وبعد تفكير قال : رجعت وخرجت منه ، وأغلقته وقد صممت على كشف سر هذا السرداب .. فدبرت سراجا .. وفي يوم تالي رفعت البلاطة ، ونزلت إلى النفق ومعي السراج ، ولم أسر بخط مستقيم مع السرداب سرت بالعكس فوجدت غرفة منحوتة في الصخر .. وكانت فيها امرأة مكبلة بالحبال .. فجفلت بداية منها وقلت بعد ذلك : من أنت ؟!

فقالت : يا هذا لعلك إنسي ؟!

فقلت : نعم أنا إنسان .

فقالت : ولكن كيف وصلت إلى هنا ؟!

فقلت : قدري .. ما قصتك ؟

فقالت : يا إنسي أنا فتاة من الجن .. وقد خطفني مارد طامعا بالاقتران بي رغما عني .. وأنا ابنة ملك من ملوكهم.. وبعد أن خطفني أتى بي إلى هذا المكان وأخفاني فيه .. ثم قالت : فإن أنقذتني منه فاعتبرني زوجة لك .

فقلت لها : وكيف اقتله وأخلصك منه ؟!

فقالت : هذا المارد جبار وسفاح ، ويملك سيفا صغيرا مسحورا إن سله على جيش لا يهزم .. فعندما يأتي إلى هنا يكون منهكا من التعب ، ويكون معه عجل صغير فيلتهمه فيثقل بالنوم ، فيقوم بحل بعض وثاقي لأسقيه الخمر ساعة من الزمن، فيسمعني من الكلام القبيح الفاحش والتهديد لوالدي الملك رهوان ، ثم يعيد وثاقي فيستغرق في النوم .. فأنت عندئذ اسحب السيف منه ، واقتله به .. وإن أنت نفذت هذا الكلام فاعتبرني جارية لك .

فقلت : والسيف لي أيضا ؟

فقالت : والسيف لك أيضا ، ولا تخف مني .. فقد هويتك واهتز قلبي لصورتك أيها الإنسان الجميل

قال قطبة : فبعدما اتفقنا أطفأت السراج ، وخبأت نفسي بالسرداب إلى أن حضر ذلك المارد في الليل ومعه العجل الحنيذ والشراب المسكر، وحصل ما ذكرته الجنية، فلما سكر وأراد النوم وأعاد قيود المرأة بالحبال.. اضطجع وملأ شخيره بطن الأرض، فانتظرت ساعة حتى تيقنت أنه غط في نومه العميق .. فتسللت إلى الحجرة الصخرية ، ونشلت منه سيفه السحري ـ فهو سيف صغير ـ وبدون أن يحس ويشعر بي .. والجنية كانت تنظر إليّ بخوف وارتباك .. فأخرجت السيف من الغمد فضغطت على زر فكبر السيف وطال ، فأغمدته في صدره ، فصرخ صرخة عظيمة هزت المكان.. ظننت أن زلزلة قد حدثت ، ثم هلك المارد وعلى الفور فككت قيود الفتاة فأخذتني بالعناق وهي تقول : أنا جنيتك "عناق" .. لقد أنقذتني وأنقذت حياتي من هذا الوحش .

فصغرت السيف السحري ثم وضعته على صدري ، وطارت بي إلى بلادها ، وأخبرت والدها بالأمر فأكرمني غاية الإكرام ، ولما تأكدوا من هلاك المارد زوجوني بها، ومكثت معها سنتين، وأخبرتهم برغبتي بالرحيل والعودة لبلاد السرو .. فأعطتني شعرات من رأسها وقالت لي " إذا ضاقت بك الحال ، واحتجت إليّ احرق شعرة منها فأكون عندك في الحال" .. فلما عدت للبلد وجدت سنان ما زال عليّ غاضبا وناقما، فخرجت مسافرا مرة أخرى أتنقل بين البلاد والمدن .

وقال الملك طهمان : حتى وصل بلادنا بلاد الاغمار

.. ولما دخل قطبة بن سنان بلادنا كنا نخوض حربا وقتالا مع جيوش الملك حيال ، فانحاز قطبة لوالدي ، وعرض خدمته عليه ، فشارك في المعارك حتى تحقق نصرنا على الأعداء بفضل سيف قطبة .. فأصبح له على أبي وعلينا فضل كبير وأصبحنا أصدقاء وزوجه أبي امرأة منا ، وكان من سوء حظ قطبة أن هذه المرأة كانت تعشق جنيا ، فصعب الأمر على قطبة من غدر وخيانة زوجته ، فأسر هذا الجني وأراد قتله فقال زلمان: لنصبر لنرى من ورائه يا قطبة .

وجاء وفد من قوم الجني لوالدي يطلبون جنيهم فرفض إلا أن يأتي ملكهم بنفسه، فحضر رهوان ، ولما سمع بقصة الجني الأسير وتغريره بامرأة قطبة الفارس ، ووجد أن قطبة كان زوجا لابنته ، فلما التقيا دهشا لهذا اللقاء، فتقرر أن يقتل الملك رهوان صاحبهم ، وقام زلمان بقتل المرأة الخائنة ، وأصبحت صداقة قائمة بين والدي زلمان ، والملك الجني رهوان ، ثم نشبت حروب بين ملوك الجن .. فطلب رهوان من أبي الفارس قطبة وبعض الفرسان.. فسير والدي قطبة وألف فارس للمشاركة في حروب الجن ، وبعد خمس سنوات من الحروب بين ملوك الجن خضعوا للملك رهوان ، وأصبح سيدا وملكا كبيرا ، وقد مات لنا مئات من الفرسان في هذه الحروب .. وازدادت الصحبة بيننا وبين والدي والملك رهوان ملك الجن ، وعاد قطبة بن سنان ومن ظل من فرساننا على قيد الحياة إلى بلادنا ، وألحق رهوان مائة من فرسان الجن ومردتهم بخدمة والدي زلمان ، وبعد حين طلب والدكم العودة لبلاد السرو لرؤية الأهل فأذن له أبي ، فحمله مارد من خدم والدي لتلك البلاد لمدة شهرين ثم يعود إلينا ، وفي هذه الزيارة كان سنان قد عفا عنه وسمح له بالبقاء ، فعندئذ اشترى أبوكم بيتكم المذكور وحفر الآبار وزرع الأشجار، ثم أنشأ السرداب ، فصار يقضي فصلا في بلادكم ، وفصلا في بلادنا حتى مات والدي فجلست على عرش الحكم مكانه ، وأصبح طهمان ملكا على بلاد الاغمار ، وكنا أصدقاء وأحباء وأصحاب لا نكاد نفارق بعضنا بعضا إلا بحكم الضرورة ، وبعد حين سمعنا نبأ هلاك الملك رهوان ملك الجن، فاستلم ولده قشمر الملك ، وخاض عدة حروب بعد وفاة والده لاستقرار ملكه وضد الذين خرجوا عليه ، واستعان بسيف الفارس قطبة بن سنان ، وأصبحت زوجة قطبة الجنية أخت الملك قشمر الساحرة الكبيرة في مملكة الملك قشمر بعد وفاة أمها الساحرة ، ولما عاد الهدوء لمملكة قشمر بن رهوان ، واستقرت الأوضاع عاد فارس بلادنا قطبة بن سنان للبلاد ، ثم عاد لبلاده ، فوجد أن أباه قد مات ، فحزن عليه ، ثم تزوج أمكم ، فأنجبت له مالكا

ففرح بك فرحا كبيرا ، ولما بشرنا بك فرحنا له فرحا كبيرا ، ووهبنا لك كثيرا من الجواهر واللؤلؤ ، فلما علم قشمر بذلك أرسل وراءه ، وكانت له بنت ولدت منذ سنوات اسمها بوبا ، فوهبها لمالك هدية وعرفانا بافضال قطبة ، ففرحت امرأة أبيك الجنية الساحرة ، ووضعت نصب عينيها رعايتك وتسهيل أمر زواجكما ، ووضعت لوالدك الكتاب الطبي العجيب ، وفرح قطبة بهديتها ، ولما انتهت منه أخذه أبوك ، وكما قلت كان والدكم مستمرا في التردد على بلادنا وبعد عامين أو أكثر ولد سالك ، فلما بشرني قطبة بذلك كان قد ولد لأخي ابنة فوهبتها لسالك بن قطبة ، ففرح أبوكم أيضا بهذه العطية ، وأخبرني أنه سيورث السيف السحري لسالك كما أن الكتاب الطبي لمالك .. ثم بعد ذلك بسنين يسيرة ولدت أمكم نازكا الجميلة ، فلما علمت بذلك ..أكرمني بها فوهبتها لزهمان ولدي ، هذه قصة أبيكم قطبة ، وقبل أن أنسى ، فالساحرة أخت الملك قشمر بن رهوان وزوجة أبيكم في ماضي الأيام وهبت لأختكم نازك عندما علمت بولادتها ذاك الحزام الذي تتحزم به أم نعمى ، فهو يحفظها من السحر ومن مردة الجآن ، والسيف الآن بيد سالك حسب وصية أبيه ، ومالك البكر غره الفضول وقلة الصبر فغامر وفتح الصندوق قبل وقته المحدد حسب وصية الساحرة ، فانمحت وزالت عنه الكتابة للأمر المقدر وللتعرف على الحداد عماد والفارس ايهاب والصياد حران، ولتعلموا بقصصهم ، وتصلوا لبلادنا ، ثم بلاد الجن ، وكانت الساحرة زوجة أبيكم قد أمرت الجن بحراسة البئر حتى تأخذا الكنز منه ، وقد دفع بعض الجن الكهان لتحريض ملك بلاد السرو على أخذ الكنز ، فسقط بوصة قتيلا لهم ، وفشل الملك عماد بالاستيلاء على الكنز كما طلب منه كهنته، ففشل ويئس من الأمر عندما تيقن أنه محمي بجن أقوى من جن كهنته ، ثم حاول الزواج من نازك ليوقع بكم في كيده وقد فشل ، وقد سعى لمنع زواج ولدي زهمان من أختكم نازك وهذا كله تعرفونه .. وهذه قصة أبيكم قطبة بن سنان رويتها لكم بكل صدق وأمانة ومن غير نقصان بإذن الملك العلام .. وبما أنكم وصلتم إلى بلادنا كما دبرت الساحرة لأبناء زوجها من السعادة والخيرات.. فسنحتفل بزواج الأمير سالك من ابنة أخي كما تم الاتفاق مع البطل قطبة بن سنان .. واليوم يوم الوفاء يا أولاد قطبة بن سنان.. ثم بعد ذلك نرحل لبلاد الجن ليتم زواج الأمير مالك من ابنة الملك قشمر .

فهنا قال سالك بشهامة : كلامك يا مولانا على الرأس والعين؛ ولكن قبل أن نفرح وليكمل سرورنا نحن.. فهناك ثلاثة مساكين عماد وايهاب وحران ونسائهم في بلاء عظيم.. وينتظرون رحمة

رب العباد للخلاص من العذاب والأمراض .. فلنصبر حتى نخلص الرفاق من البلاء ليشاركونا الفرح بعد كل سنوات العذاب تلك .

فقال مالك بحماس : هذا يا مولانا هو عين الصواب .. فلنذهب بصحبتكم للملك قشمر بن رهوان ونحرر الشباب ونرى صاحب باب السر ونرى الساحرة امرأة أبينا ونعيد ما محي من الكتاب.. ثم نفرح بعد ذلك الفرح الكامل .

فسر طهمان من كلام الأخوين وقال مسرورا: كنت أرغب بسماع مثل هذا الجواب.. فعمل الخير ومساعدة الضعيف عمل كبير وجليل فإلى صاحب باب السر الملك قشمر بن رهوان .

خرج ملك الجن قشمر بنفسه لاستقبال الملك طهمان والوفد الذي أقبل معه ، فهم أصحاب وأصدقاء وخلان، وقد فرح الملك قشمر بولدي قطبة وترحم عليه كثيرا .. وذكر بعض مناقبه وحروبه معهم ثم قال: والدكم له علينا أفضال كثيرة .. ونحن مدينون لكم.. فمرحبا بكم في بلاد صاحب باب السر الملك قشمر بن رهوان .

واحتفى الملك بضيوفه الإنس وأقام لهم الولائم الكبيرة ، وعلمت الساحرة بمجيء أولاد زوجها ، وسعدت بلقائهم ، وسرت بهم وهي تحتفل بوصولهم ، وكانت الملكة بوبا فرحة وسعيدة بحضور زوجها الموعود الأمير مالك بن قطبة الفارس البطل المعروف ، وقد فرحت بلقائها بمالك واخوته ، وكان لقاء جميلا وهادئا ومشبوبا بالعوطف النبيلة ، وبعد أيام تحدث الملك طهمان بأمر مالك وسالك والكتاب ، فرد الملك قشمر فقال : يا مالك ! فأما أمر الكتاب فهو عند أمك الساحرة زوجة أبيك البطل قطبة ، وأمر الجنيات وأزواجهن مع زوجتك الملكة بوبا.. وسنلبي طلباتكم وحاجاتكم .

سار مالك وأخوه سالك إلى الساحرة ، وأعطياها الكتاب العجيب بالطب ، فقالت وهي تبش في وجوههم : على الرحب والسعة ـ يا أبناء الغالي ـ رحمك الله يا قطبة .. فلي مع أبيكم ذكريات حسنة.. هل سمعتم بقصة قطبة مع الجن والملوك ؟.. وأخذت تذكر قصة المارد الذي خطفها ، ثم كيف قتله قطبة بكل شجاعة وقوة ؟ وزواجها منه ، ومشاركته في حروب الجن بسيفه السحري ، ولما انتهت من هذه الذكريات قالت: أما الكتاب فعندما تفكر بمغادرة هذه البلاد ، فستجد الكتابة قد عادت إليه كما كانت .

فشكراها الشكر المناسب وإلى الملكة بوبا مشيا ، وكانت في انتظارهم على أحر من الجمر، فرحبت بهما أحر ترحيب ثم قالت بدون حياء: ما أصعب الانتظار يا مالك! لقد عشقتك قبل أن أراك ورضيت بك بعلا من غير ممانعة.. فيا مرحبا

بفارسي الجميل !

فرد مالك: أهلا بك أيتها الملكة بوبا جئت إليك راغبا بالزواج وطامعا به .. ولي عندك رجاء وهو العفو عن نورا وزهرة ونجمة وأن يذهب الداء عن أزواجهن ..وأن تسمحي لهم بحضور زواجنا في هذه البلاد فقالت بدون تردد : لك ذلك يا مولاي وزيادة! .. قد وقع في قلبك إنني قاسية القلب ..أو أشد من ذلك بأنني مجرمة يا سيدي مالك ! .. ولكن هذه قوانين وشريعة بلادنا .. وهي عدم زواج الجارية وعدم العشق والحب والخيانة أثناء سنوات خدمتها .. وهذه الشرائع قبل ولادتنا ورثناها كابرا عن كابر يا سيدي مالك .. ولا نستطيع أن نغير من قوانيننا حتى لا نفسد علينا جوارينا .. فالخادمة تتزوج بموافقة مولاتها ورضاها .. فمعذرة .

فقال مالك باسما: هذا شأنكم ! ولكن قدر لنا أن نتعرف على هؤلاء المساكين لنخدمهم .. فارغب منك يا مولاتي الملكة أن تعفي عن كل جنية .. وتحضر زوجها وصاحبها ليشاركونا الفرح .. ولا يكرهوننا ويحقدون علينا وقد وعدناهم بذلك .

فقالت : أمرك يا سيدي الأمير مطاع !.. فأنا لك جارية وفي تنفيذ أمرك راغبة وإلى غيرك من الرجال ما لي مطمع ولا طمعت.. وصبرت وانتظرت مجيئك بفارغ الصبر يا سيدي الأمير.. فأتمنى أن أحقق لك السعادة التي يمكن للمرأة أن تقدمها إلى زوجها الحبيب.. فعمتي الساحرة عاشت سنوات مع أبيك .. وهي لم تتزوج منذ افترقا .. وما زالت وفية له.. وتحبكم أكثر مني إن لم أكن مبالغا في ذلك

في ليلة حارة ، والقمر البدر يسطع نوره على البحر ، والصيادون منهمكون في عملهم وإصلاح قواربهم وتجهيزها للصيد ، وفي تلك الليلة كان يجلس حران الصياد الماهر صاحب الجنية نورا على صخرته المعهودة ، ينظر إلى البحر إلى الرمال التي كان يجلس عليها مع معشوقته الجنية ، وبينما هو ينظر في أعماق البحر في تلك الليلة منتظرا خروج جنيته حالما بمجيئها ؛ فإذا به يرى فتاة قادمة بثوبها الجميل الزاهي قادمة من صوب الماء تركض ركضا خفيفا فاتحة ذراعيها، تردد بصوت هامس جميل : حران .. حــ..ران .. يا زوجي الحبيب ..يا زوجي الصابر !

فلما رآها قفز عن الصخرة يركض نحوها ، ويصيح بأعلى صوته : جميلتي نورا .. نورا .. أيتها الزوجة الحبيبة .. قد عدت .. قد عفت عنك الملكة بوبا .. وتشابكت الأيدي، وارتفع النحيب والبكاء، والتف الصيادون حولهم كالحلقة، وهم مستغربون

من هذا المشهد.. ويتساءلون هل هذا حلم أم حق ؟! وقد تركوا أعمالهم وصيدهم فقد ظنوا أن ساعة الجنون أتت حران .. ولكنهم رآوه يقف مع حورية البحر حورية بيضاء.. ويبكي وهي تبكي مثله .. ونسي العاشقان الزوجان من حولهما ..واستفاقا على صياح القوم فصاح حران : يا قوم .. هذه حوريتي نورا .. زوجتي الجنية التي كنت انتظر عودتها وخروجها من البحر .. فها هي قد خرجت .. والتفت إليها وقال : آنا في علم يا نورا ؟

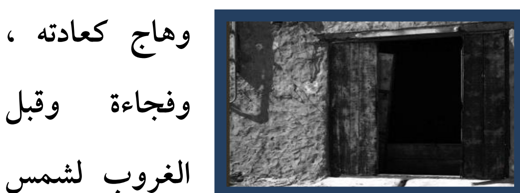
فقالت : نعم ، يا زوجي الحبيب انتهى العذاب.. لقد عفت عنا الملكة بوبا .. وأمرتني بالاجتماع بك لأخذك إلى بلاد باب السر .. فهناك مالك ينتظر ليزيل عنك السقم .. وما ألم بك من المس والجن .. لقد عفت الملكة عني .. وباركت زواجنا، وأعفتني من خدمتها طاعة للأمير مالك بن قطبة الشاب النبيل .

فقال فرحا جذلا : أحقا ما أسمع يا زوجتي ؟!

همست: نعم ، فلنحيا سعداء في بلاد القمر.. في مدينة البحر مع هؤلاء الصيادين.

فصرخ بقوة : أيها الصيادون !.. أيها الصيادون! .. لقد عادت حوريتي التي حدثتكم عنها.. فاخبروا الناس كلهم أن حورية حران قد عادت إليه .. وأن حران سيعود للبحر.. للصيد ، ولن يفرق بيننا يا نورا إلا الموت .. وهكذا أيها الناس انتهت مأساتي وعذابي ..

أما الفارس ايهاب فإنه كان يجلس عند الحانوتي وهاج كعادته ، وفجاءة وقبل الغروب لشمس



ذلك النهار .. وقبل أن يغادر الحانوتي إلى بيته قال ايهاب : يا وهاج العزيز .. أشعر بأنني سأرى سيدتي زهرة .. جنيتي زهرة .. أشعر بروحي تتحرك في جسدي ..!!

فقال الحانوتي بأسف وشفقة : يا مسكين .. دعك من هذا الكلام .. فجنيتك يا ولدي قد جننتك وصيرتك إلى هذه الحال المشفقة .

فتـنهد ايهاب الفارس وقال : يا سيدي .. لا تقسو عليّ في الكلام .. دعني اخرج .

وأزاح الحانوتي من طريقه ، واندفع خارجا ؛ فإذا امرأة مقنعة تقول : يا صاحب الحانوت .. أعندك ايهاب؟

فتسمر ايهاب في مكانه عندما سمع اسمه وسمع صوت المرأة وهتف قائلا : ويحك يا امرأة فصوتك صوت زهرة !

فرفعت القناع عن نفسها وقالت صائحة : من ؟!.. زوجي وسيدي ايهاب؟! .. حبيبي الذي أشقيته معاي !

وعاد يصيح من هول المفاجأة وهو غير مصدق :

من ؟! أنت زهرة ؟! أحقا أمامي زهرة ؟!

يا صاحب الحانوت هذه زهرة الجنية !.. ألم أقل لك أنني أشعر وأحس بأنني سأرى سيدتي زهرة قرة العين !

فقالت بحنان وحب: نعم ، أنا معشوقتك زهرة .. لقد عفت عني الملكة بوبا يا ايهاب الحبيب.. وأذنت لي بالاجتماع بك وتجديد زواجنا .. وأن أحملك إلى بلاد صاحب باب السر لتقابل الأمير

مالك بن قطبة الفاضل الكبير .. ليزيل السقم عنك

فصاح جذلا : أصحيح ما تقولين يا زهرة السنين !؟

فقالت وهي مشفقة : صحيح ما أقول.. وسوف تتعافى مما ألم بك من الجنون، ونسكن في بلاد الشمس في مدينة الغراب.. زوجان حبيبان سعيدان لا يفرق بيننا إلا الموت يا سيدي!

فقال بوله وشوق : ما أحلى كلامك يا زهرة القلب وما أجمله !! وما أحلى اللقاء بعد طول الفراق .. الحمد لله على نعمه ..

فقالت بشفقة وحنان : اعف عني يا سيدي! بما سببته لك من هذه الآلام ، كل هذه السنوات لقد كنا في عذاب وعقاب ..

فقال : سامحتك يا سيدتي .. لا عليك يا زوجتي .. فكل سعادة ولذة في هذه الدنيا سيتبعها أذى وشقاء.. وقد تطول وقد تقصر يا زهرة الفؤاد ..

وأما الفتى الثالث صاحبنا عماد الحداد.. تأخر به العمل في الدكان ، فقال لكلب والغلمان : أريد أن أقضي هذه الليلة هنا لعلي ألتقي بمحبوبتي الساحرة نجمة .. إن قلبي مضطرب الليلة .. انصرفوا راشدين .

فقال المعلم كلب : دعك من هذه التخيلات يا صاحبي ودعنا نوصلك للبيت .

فقال : لا بأس عليكم .. لا أدري أحس بأنني سأرى نجمة .. انصرفوا راشدين وفي الغد تعودون .

فأغلقوا الدكان ، وتركوا عمادا في الحجرة المعهودة الغرفة التي قابل فيها نجمة أول مرة ، وألقى بنفسه على السرير، وراح يحلم ويتخيل ؛ فإذا الجدار ينشق ، وتخرج منه أمام ناظريه حسناؤه الجميلة الجنية نجمة فعدل جلسته وقال : إنك جنيتي نجمة! زوجتي نجمة صورتها نفس صورتك ؟!.

فسمعها تهمس قائلة : أنا نجمة صاحبتك وحبيبتك ..

فصاح وهو يقف : ماذا تقولين؟! .. هل أنا في حلم !؟

قالت : لا .. أنت في الحقيقة في علم.. لقد عدت

إليك يا سيدي .. لقد أطلقت سراحي الملكة بوبا.. وأعفتني من خدمتها..وباركت لي زواجي بفضل سيدي الأمير مالك بن قطبة وأمرتني بإحضارك لتحضر حفل زواج الأمير مالك ، ويداويك مما أصابك بسببي .. فالعفو يا سيدي عماد على ما أذيتك به كل هذه السنين .

فبكى الحداد ، وبكت الجنية ، وأنّ وأنّت، وشكى وشكت ، ثم قال : لا عليك يا قرة العين.. هذا حال الدنيا ، فرح وترح ، وحياة وموت، سلام عليك ومرحبا بك .. آه! لقد كنت أشعر الليلة قبل بمجيئك بأني سأراك هذه الليلة .

قالت : ذهبت لبيتك وانتظرتك ، فلم تحضر .. فجئت إلى هنا لاجتمع بك وأبشرك بالفرج والسلامة ونهاية مأساتنا وفراقنا .. وسوف أسكن معك هنا في بلاد السرو من غير خوف من شداد ولا غيره .. يا سيدي عماد

فقال جذلا : على الرحب والسعة يا زوجتي العزيزة .. متى سنرحل إلى الأمير الطيب مالك بن قطبة يا أميرتي ؟

فقالت : قريبا يا مولاي الحبيب .. سنطير إلى هناك ولسوف ترى مولاتي بوبا .. إنها ملكة جميلة وطيبة رغم ما صنعت بنا من العذاب.. فقانون بلادنا شديد .. ويحرم على الجواري الزواج بغير إذن الملكة .. فهي لا تستطيع ترك التقاليد التي درج عليها الملوك والملكات ..

فقال الحداد : أنت قلبك طيب وكبير يا نجمة .. ليت مولاتك تشعر بذلك .

فقالت : صدقني أيها الحبيب أن الملكة بوبا الذي يسمع عنها وعن أفعالها يظن أن قلبها قُد من حجر .. لا ، إنها طيبة القلب وهي ستتزوج من إنسي مثلي .. ستتزوج من مالك بن قطبة ؛ ولكن كما قلت لك تقاليد وقانون البلاد قاس .. ولا يرحم.. فلا تكرهها فهي ستكون زوجة صديقك مالك بن قطبة .

فقال عماد: وهل يكره المحب؟!.. كيف أكرهها ؟! قلبي المحب لا يعرف الكره يا نجمة القلب؟.. المهم أن نعيش بسلام وأمان .

فقالت : اعلم يا سيدي أن الجنية إذا خرجت من خدمة الأسياد فلا دخل لهم بها ألبته .. فنحن سنعيش بإذن الملك العلام سعيدين ولا يفرق بيننا سوى الموت .

فقال وهو يحلم : أرجو ذلك .

****

هذه قصة الشباب الثلاثة ، وما أصابهم من البلاء بسبب العشق والغرام من بنات الجآن ، ولكن رحمة الرحمن تدرك المخلوقات في كل أوان ، وتزوج الأمير مالك ، كما هو مقرر من الملكة الجنية بوبا عن عطية الملك قشمر بن رهوان بحضرة الملوك

والأمراء ، وكان زواجا مشهودا من ملوك الجآن ، ومن الملك طهمان صاحب السلطان في بلاد الاغمار، ثم تزوج الأمير سالك من ابنة أخ الملك طهمان بن زلمان، واحتفظ مالك بالكتاب ، واحتفظ سالك بالسيف السحري ، وعمت الأفراح البلاد ، ثم تنازلت الملكة بوبا عن الملك لأختها ، وسافرت مع زوجها إلى بلاد السرو بما حملت من المال والثياب ، وحصل لسالك مثل مالك ، ولما وصلوا الدار القديمة دار قطبة الفارس ، أتى الصناع وحسنوا المنزل ، وشيدوا على أرضه بناء جديدا ، فعادت الحياة لبيت قطبة المهجور منذ سنوات ، وسمع الملك عماد بأخبار مالك وسالك ، فجاء إليهما مباركا ومهنئا، وألحقهما بخدمة الديوان ، فاعتذرا وشكرا له اهتمامه بهما ، وحدثوه عن كنز البئر المهجورة فقال معقبا : ويحكما إنكما داهيتان! .. فعموما قصري مفتوح لكما في كل أوان .

فأصبحوا من سادة البلاد ، ويعم منزلهم الغريب والقريب ، وتعهدا بالإحسان للفقير والغني وعمل المعروف مع الصديق والعدو ، فأصبحت سيرتهم على كل لسان ، واشتغل مالك في صناعة الحبال ، وقام سالك بفتح دكان للحدادة كما كان ، ونساؤهما تعنيان بالبستان، وقد زارهما زهمان وزوجته نازك وبينهما طفلان نعمى وسلمى، وزاروا الملك في ديوانه ، وذكره زهمان بيوم تزوجه الأميرة نازكا، وغضب الملك عليه ثم قال له : أين الوزير يا نادرة الزمان؟!

فضحك الملك وقال: أما زلت تذكره ؟.. فهو موجود وما زال على كرسي الوزارة معدود ومحسوب .

وأمضوا سهرة طيبة مع الملك، ثم عادوا لمنزلهم الجميل، وقد تعجب الجيران والأقارب من حسن صورة زوج نازك ، وهنئوها بهذا الزوج بعدما عرفوا أنه أمير ابن ملك عظيم ، وسمع الناس في بلاد السرو قصة قطبة بن سنان وحياته عند ملوك الجآن وحروبه معهم ، فكانت حكاية يتوارثها الناس جيلا بعد جيل ، ويتسلون بها في ليالي السمر لعلهم يجدون فيها عبرا وثمرا ، وهي تسلية للنفوس في لحظة ملل وفتر، ونستغفر الله من زلل اللسان وسوء البيان ، ونسأل الله حسن الختام ، ونعوذ به من الفتن وسوء الحال والمآل ، وهذه الحكايات كأنها أحلام وأوهام . تمت الحكاية

قلب الوطن

موقعة الثلاثة والعشرين ٥

الظلم

إن الأزمة الصحية في مشافي القطاع قائمة منذ أن بدأ الحصار الإسرائيلي قبل ٢١ شهراً، الذي أنهك وزارة الصحة ومقدراتها كما كل المجتمع الفلسطيني، من كافة النواحي. وأضاف مسؤول

صحة غزة : أنَّ الأزمة وصلت ذروتها مع العدوان الإسرائيلي الذي بدأ في ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) من العام الماضي. وتابع أن هناك معيقات كبيرة يعاني منها القطاع الصحي في ظل الهجمة الشرسة للجيش الإسرائيلي، تتمثل في نقص الأدوية والمستلزمات الطبية، وتعطيل عدد كبير من الأجهزة الطبية، إضافة إلى العمل المستمر على المولدات الكهربائية بسبب انقطاع التيار الكهربائي، وكذلك تقطيع أوصال القطاع وصعوبة التنقل للطواقم الطبية والمرضى، يضاف إلى ذلك الاستهداف المباشر لهذه الطواقم وسيارات الإسعاف. وعن آلية تعاون المؤسسات الدولية مع وزارة الصحة كالصليب الأحمر ومنظمة الصحة العالمية، أوضح بأنهم مكبلون من قبل الجيش الإسرائيلي .

قالت صحيفة واشنطن بوست في افتتاحيتها الرئيسية امس بعنوان "مفترق طرق في غزة" إن الحرب التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة مصيرها الفشل مشيرة إلى أن "الحرب" ضد حماس – مرة أخرى – برهنت على أنه لا يمكن القضاء عليها بالوسائل العسكرية. ودعت الصحيفة حكومة الرئيس الأميركي المنتهية ولايته جورج بوش التي لم تبذل سوى القليل مقارنة بالكثير الذي قدمته لدعم القرارات الإسرائيلية في هذه الأزمة" إلى ممارسة الضغط على إسرائيل للتوصل إلى تسوية مع حماس. وتابعت إن إسرائيل تراهن على إمكانية خفض القدرة العسكرية لحماس وإجبارها على قبول وقف إطلاق النار بشروط أكثر ملاءمة لإسرائيل إلا أن حماس التي حددت انتصارها في البقاء لمواجهة إسرائيل رفضت اللعب بتلك القواعد. وأوضحت الصحيفة بأن على إسرائيل أن تختار بين محاولة القضاء على حماس بما يعني إضافة أعباء كبيرة على قواتها التي ستعاني خسائر كبيرة في قطاع غزة أكثر مما تخسره حماس وهو الأمر الذي سيكون لصالح الحركة الإسلامية المقاومة يعزز من مكانتها في المنطقة وفي أوروبا أو الانسحاب دون أي ضمان لإطلاق الصواريخ ضد مدنها والتي سوف تتوقف في تلك الحالة. وذكرت إن "قادة إسرائيل هم الآن على وشك إعطاء حماس ما تريد فكبار قادة إسرائيل أيضا رفضوا قرار مجلس الأمن وهم يناقشون الآن ما إذا ينبغي الدفع بآلاف جنود الاحتياط لخوض معارك الشوارع"

علقت صحيفة "دير شتاندر" النمساوية وذكرت الصحيفة في عددها الصادر أمس أن "الحرب التي يشنها الجيش الإسرائيلي على حماس – ومن قبلها على كتائب حزب الله وعناصر حركة فتح – مجرد حرب تقليدية تعتمد فيها إسرائيل بالدرجة الأولى

على القوة في مواجهـة جماعـات تضم بين صفوفها مقاتلين غير تقليدين بأي حال من الأحوال فبالرغم من أنهم أدنـى تـسليحا إلا أنهـم يخططون وينفذون عملياتهم وسط الشعب الفلسطيني ." وأكدت الصحيفة في تقريرها أن بهذه الطريقة لن تتمكن إسرائيل من تحقيق هدفها الـذي تـسعى إليـه والمتمثل في الإطاحة بحركة حماس. وأضافت الصحيفة إلى أنه في ظل هذه الحـرب الـدائرة اختفـت الحدود بين (الإرهاب) وقتال الشوارع في إشارة لدماء المدنيين التي سفكت بشراهة. وفي النهاية طرحت الصحيفة تساؤلا حول ما الذي يتوجب على إسرائيل فعله. وكانت الإجابة أنه ما من سـبيل لحـل هـذه الأزمة سوى أن تتعلم إسرائيل كيفية تقدير قيمة حياة الشعب الفلسطيني

***

اليوم الـ ١٦ للعدوان: ذكرت الحياة، ١٢/ ١ / ٢٠٠٩ عن مراسلها من غزة أن مدينة غزة شهدت ليلة غير مسبوقة منذ بدء العدوان الإسرائيلي، لناحية عنف القصف الذي شاركت فيه مجتمعة الطائرات النفاثة من طراز "اف ١٦ "والمروحيات المقاتلة من نوع "اباتشي" وطائرات الاستطلاع من دون طيار، والمدفعية، والزوارق الحربية. وبدا أن قوات الاحتلال تسعى إلى إحكام الطوق على المدينة، تمهيداً لاجتياحها بعد توغل في عمقه أمس استمر ساعات .ولوضع مدينة غزة بين فكّي "كماشة" أجرت قوات الاحتلال ما يمكن وصفه بأنه "بروفات" لاجتياح المدينة وحصر سكانها مع المقاتلين الفلسطينيين في وسط المدينة، وهو الأمر الذي تعمل في شكل حثيث على إتمامه منذ بضعة أيام، من خلال الضغط العسكري والقصف المكثف من ناحية، ومن خلال حرب إعلامية ونفسية متزامنة من جهة أخرى، من خلال إلقاء عشرات آلاف المناشير يومياً من الطائرات لحض السكان على مغادرة أطراف المدينة إلى وسطها .وأجرت قوات الاحتلال ثلاث "بروفات" لتطويق مدينة غزة من ثلاثة اتجاهات توغلت منها، وهي الجهة الشمالية الغربية من محور منطقة التوام، وحي الشيخ عجلين جنوب غربي المدينة، ومن حي التفاح شرقها ومنطقة عزبة عبد ربه شرق مخيم جباليا .ودارت اشتباكات عنيفة على تلك المحاور الثلاثة استخدم خلالها المقاتلون الفلسطينيون إمكاناتهم البسيطة من الرشاشات والقذائف والعبوات الناسفة في صد قوات الاحتلال التي انسحبت مع شروق شمس أمس، بعد نحو ست ساعات من الاشتباكات التي تعتبر الأعنف منذ بدء الحرب على القطاع، فيما استخدمت قوات الاحتلال بكثافة لافتة قنابل الفوسفور الأبيض، والأسلحة المحرمة دولياً التي

أدت إلى اشتعال النار في عدد المنازل والمواطنين الذين استشهد عدد منهم بسببها . وبعد ساعات قليلة من قصف متقطع نهار أمس، استعرت الحرب وتركزت على قلب حي التفاح شرق مدينة غزة والزيتون جنوبها، وشرق مخيم جباليا للاجئين، وهي المناطق التي قصفتها الدبابات والمدفعية بغزارة غير مسبوقة، ما أوقع مزيداً من الشهداء، ليقفز العدد بسرعة إلى نحو ٨٨٠ منذ بدء الحرب . وطاول القصف العنيف عمق هذه المناطق بغية تهجير السكان منها إلى وسط المدينة .من جهتها، أعلنت "سرايا القدس" الذراع العسكرية لحركة "الجهاد الإسلامي" استشهاد اثنين من مقاوميها في اشتباكات عنيفة شرق بلدة جباليا. كما شنت طائرات الاحتلال عشرات الغارات الجوية على منازل وأهداف مدنية، إضافة إلى إطلاق مئات قذائف المدفعية، ومن البحرية الإسرائيلية. وقصفت طائرات الاحتلال منزل نائب القائد العام لـ "كتائب القسام" الذراع العسكرية لحركة "حماس" في حي الشجاعية شرق مدينة غزة، ما أدى إلى تدميره، واشتعال النار في منازل المواطنين المجاورة. .وواصلت فصائل المقاومة إطلاق الصواريخ على البلدات الإسرائيلية والمستوطنات المحيطة بالقطاع، رغم استمرار الحرب والتحليق المتواصل لطائرات الاستطلاع من دون طيار .

***

الإثنين ١٢ / ١: سقط اكثر من ٢٥ صاروخاً على مدن وبلدات إسرائيلية، بينها أسدود وبئر السبع التي سقط فيها عدد من الصواريخ من نوع "غراد ."كما أطلقت "كتائب القسام" صاروخاً على قاعدة "بلماخيم" الجوية الأكبر في وسط إسرائيل وتبعد عن القطاع نحو ٥٠ كيلومتراً. واعترفت إسرائيل بسقوط صاروخي "غراد" على بئر السبع، حيث وقعت أضرار نتيجة إصابة أحد الصواريخ عامود كهرباء، ما أدى إلى انقطاع التيار الكهربائي عن بعض أحياء المدينة. وسقط الصاروخ الآخر على سيارة كانت تقف على طرف الشارع. واعترفت إسرائيل بسقوط صاروخ على بلدة "نتيفوت" وقع في منطقة مفتوحة، وآخر على "عسقلان" وخمسة على"اشكول" وصاروخ على "سديروت" سقط في حديقة منزل أدى إلى وقوع أضرار مادية .وأضافت الجزيرة نت ، ١٢/ ١/ ٢٠٠٩ عن مراسل قناة الجزيرة من الحدود الإسرائيلية مع غزة، أن أربعة إسرائيليين أصيبوا نتيجة لسقوط صواريخ المقاومة محلية الصنع في بئر السبع وأسدود، مشيرا إلى أن ٤١ إسرائيليا آخرين نقلوا إلى المستشفيات نتيجة حالات هلع .وقالت كتائب القسام إن حصاد عملياتها منذ بدء الحرب

شمل إطلاق أكثر من ٣٣٠ صاروخا وتفجير ٣٥ عبوة ناسفة أدت إلى تدمير عدد من الآليات العسكرية وأضافت القسام أنها أصابت خمس مروحيات عسكرية وغنمت طائرة استطلاع، مشيرة إلى أنها تمكنت منذ بدء الحرب من قتل ٣٢ جنديا وضابطا وجرح ٣١٥ آخرين .أما سرايا القدس فقد قالت إنها قصفت تجمعين لآليات إسرائيلية في منطقتي بيارة الريس والعطاطرة جنوب وشمال غزة، بثماني قذائف هاون، كما قصفت ناحال عوز شرق غزة بثلاثة صواريخ من نوع قدس .وأطلقت كتائب شهداء الأقصى باتجاه مجمع أشكول وموقع زكيم العسكري أربعة صواريخ من نوع أقصى ثلاثة. أما كتائب الشهيد أبو علي مصطفى فقالت إنها قصفت بلدة سديروت والنقب الغربي وموق زكيم بسبعة صواريخ . وتبنت كتائب أحمد أبو الريش قصف سديروت بصاروخ من نوع صمود، وقصف تجمع لآليات إسرائيلية شرق القرارة بثلاث قذائف هاون .وأن ألوية الناصر صلاح الدين أعلنت مسؤوليتها عن اطلاق دفعة من لصواريخ والقذائف على النقب الغربي والمستوطنات المحيطة بغزة، وقصف مدينة عسقلان بصاروخ غراد قذائف هاون . وأعلنت كتائب الشهيد أبو علي مصطفى (الذراع العسكرية للجبهة الشعبية) أن مجموعة من عناصرها خاضت اشتباكات عنيفة مع قوات الاحتلال على أكثر من محور في شرقي جنوبي غزة وشمال غزة بالإضافة إلى التصدي للاحتلال في خزاعة بخان يونس جنوب قطاع غزة.

كشف أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية أن القيادة المصرية أمهلت حركة حماس، بعد لقاء عدد من قادتها مع مدير المخابرات عمر سليمان، في القاهرة، أمس، ٢٤ ساعة للموافقة على المبادرة المصرية كما هي وفد غادر "حماس" القاهرة إلى دمشق للتشاور "تفاصيل كثيرة" تؤخر الاتفاق على المبادرة

وكشف قيادي رفيع في "حماس" إنها رفضت عرضاً مصرياً لتهدئة طويلة الأمد مع إسرائيل، مؤكداً أنه لا تزال هناك تفاصيل كثيرة في حاجة إلى البحث فيها حتى يمكن القول إننا توصلنا إلى اتفاق مبدئي ."وبقي في القاهرة من وفد "حماس" القياديان عماد العلمي وأيمن طه، في انتظار عودة رفاقهم برد على المبادرة من دمشق. وقال مصدر في الحركة لـ "الحياة" إن لقاء الوفد مع رئيس الاستخبارات المصرية عمر سليمان استمر ساعتين أمس. وأوضح أن عرض التهدئة الطويلة هو "من النقاط العالقة التي تتحفظ عنها الحركة وتحتاج إلى درس وبحث تفصيلي". وتساءل: "لماذا تكون فترة التهدئة ستة شهور أو سنة؟ ."وأشار إلى أن بين

تحفظات "حماس" عن المبادرة المصرية لوقف النار "مسألة وجود قوات دولية في القطاع، وكذلك البند المتعلق بالانسحاب الإسرائيلي. وهل هو انسحاب كامل أم ستحتفظ إسرائيل بنقاط مراقبة وأماكن استراتيجية أم ستضع فترة اختبار، وبناء على سلوك الحركة سيتم الانسحاب".

وأوضح أن المبادرة " تتناول كيفية الانسحاب وآلياته وليس هناك جدول زمني . وكشف أبو عبيدة الناطق باسم كتائب القسام، في حوار مع مراسـل "إسـلام أون لاين" عن بعض الأسرار حول الأساليب العسكرية التي تعتمدها كتائب القسام فـي مواجهـة العـدوان الإسرائيلي .. ويتحدث أبو عبيدة عن عدد من المفاجآت التي أظهرتها الكتائب لجيش الاحتلال وأخرت تقدمـه داخـل عمق غزة، مثل "الأشباح الاستشهاديين" والكمائن المحكمة .ويوضح أن "الأشباح الاستشهاديين" هي مجموعات من الاستشهاديين الذين تدربوا تدريبات خاصة، كانت ترابط لعدد من الأيام مختبئة في الأماكن المفتوحة التي كان من المتوقع التوغل البري للاحـتلال فيهـا؛ لتباغت الصفوف الخلفية للعدو وتربك صفوفه .واستدل أبو عبيدة على نجاح هذا "السلاح بعملية الشهيد محمود الريفي الذي كان مرابطا في جبل الريس شرق مدينة غزة لعدة أيام، معتمدا في طعامه على الماء والتمر، ليباغت القوات الخاصة الإسـرائيلية التي توغلت في المنطقة، واستطاع تفجير عدد من العبوات المضادة للأفراد، وحمل جنديا إسرائيليا مصابا كأسير قبل أن تقصفه طائرة أباتشي إسرائيلية، وترديه شهيدا مع الجندي .

وذكر القيادي في القسام أن الاحتلال الإسرائيلي بدلا من أن يجد رجال المقاومة في وضع الدفاع خـلال تصديها لتوغلاته، فوجئ بأنه في وضع الهجوم المكثف الذي جعله يفكر ألف مرة في التقدم في العمق . لافتا إلى أن القسام "تمكنت من استغلال فترة التهدئة السابقة، والتي امتدت لستة أشهر، فـي تدريب عناصرها وترتيب صفوفها وتجهيز قطاع غزة لمواجهة حرب طويلة مع القوات الإسرائيلية

الكمائن المحكمة كانت أولى المفاجآت في استقبال القوات البرية مساء السبت علـى الحـدود الـشرقية لقطاع غزة؛ حيث تمكنت قوة من القسام من استدراج عدة جنود إلى كمين؛ ما أوقع عددا منهم بين قتيـل وجريح، بحسب بيان صدر عن "القسام" حينها .ويشرح أبو عبيدة ماهية "الكمائن المحكمة" قائلا لـ"إسلام أون لاين" إنه أسلوب حرب عـصابات جديـد أعدته الوحدات الخاصة في كتائب القسام للاحتلال تقوم خلاله مجموعة مـن الاستـشهاديين المـدربين تدريبا خاصا

بالانفراد بمجموعة من القوات البرية الإسرائيلية عبر إشغال المجموعات الأخرى بقصف مكثف بقذائف الهاون، وإشغال الطائرات بإطلاق المضادات الأرضية من قبل سلاح المدفعية والدفاع الجوي .ويضيف: "وتحت تغطية كثافة النيران تتمكن المجموعة الاستشهادية من مهاجمة القوة المحاصرة وزرع العبوات المختلفة بين أرتال الدبابات والمدرعات الإسرائيلية والانسحاب بسلام في معظم الأوقات ."ومما أربك قوات الاحتلال -حسب أبو عبيدة - تفاجؤها بخروج صواريخ (القسام) (جراد) من بين أرتال الدبابات، وهي صواريخ تم زرعها سابقا بشكل خفي في المناطق الفارغة، ويتم التحكم فيها عن بعد .ومن بين الوسائل التي تستخدمها المجموعات الاستشهادية لمفاجأة القوات البرية اختباؤها داخل طرق وأنفاق لم تكشفها قوات الاحتلال، قبل تسللها وانقضاضها على هذه القوات من الخلف، بالإضافة لعامل الخندقة، فحماس أجادت العمل في الخنادق وتحت الأرض . كما تطوع القسام الأحوال الجوية لصالحها؛ حيث تمكنت مجموعات خاصة خلال اليومين الماضيين من التسلل ليلا واستغلال الضباب الكثيف بغزة، وقامت بزرع العبوات الخاصة بتفجير الدبابات، ومن ثَم الانسحاب بأمان دون اكتشافها من جانب الدبابات الإسرائيلية . ولفت أبو عبيدة إلى أن هذه الكمائن نُفذت عشرات المرات في القوات الإسرائيلية المرابطة شرق وشمال قطاع غزة، وذكر مثالا لذلك ما حدث في بلدة بيت لاهيا شمال غرب قطاع غزة، حين تمكن استشهادي من تسلق دبابة إسرائيلية وتفجير نفسه داخلها .وزرعت كتائب القسام أغلب المناطق المفتوحة بعبوات وألغام تنفجر بمجرد الضغط عليها، إضافة إلى أنه بات لديها القدرة على استدراج قوات خاصة إسرائيلية لمنازل خالية، وإغرائهم باعتلاء أسطحها التي تم تلغيمها، ومن ثَم تفجير المنزل على من فيه .سلاح الصمت ويقول في هذا الصدد لـ"إسلام اون لاين . عبد الستار قاسم - أستاذ العلوم السياسية في جامعة النجاح الوطنية : إن "المقاومة تعمل بصمت.. والصمت أسلوب جديد على الساحة الفلسطينية التي اعتدنا فيها ألا يكون هناك أسرار.. فكل شيء مكشوف وطبعا سيكون مكشوفا لإسرائيل بسبب الجواسيس التي زرعتها.. لكن يبدو أن حماس نظمت صفوفها تماما وعملت بصمت ."

قالت هآرتس": جيشنا غرق في غزة وعليه المغادرة فورا إن الجيش الصهيوني لم يستفد من الدروس المستخلصة من الماضي، والتي تشير إلى أنه كلما غاصت عجلات آلة الحرب في وحل غزة

تعرض الجنود للمخاطر، مشددةً على ضرورة انسحاب الصهاينة فورا من غزة حرصا على أرواح الجنود .وأشارت الصحيفة في افتتاحيتها الجمعة- التي حملت عنوان "اخرجوا وحسب"- إلى الانقسامات بين رئيس الوزراء إيهود أولمرت ووزير حربه إيهود باراك من جهة، ووزيرة الخارجية تسيبي ليفني من جهة أخرى .وقالت الصحيفة: "يسعى أولمرت وباراك للتوصل إلى اتفاق بمساعدة مصر والولايات المتحدة يعيد الهدوء إلى الجنوب بعض الوقت، ويمنع من أن تزداد حماس قوةً" موضحةً أن كليهما يريد وضعا مشابها لما كان قائما قبيل بدء الهجوم على غزة . وتتابع الصحيفة: "تصر ليفني على أن لا يكون الاتفاق قابلاً لأن يفسر بأنه اعتراف بـ"حماس" معربةً عن قلقها من أن العودة إلى إطار التهدئة سيكون في صالح حماس عسكريا" فيما أشار إلى أنها تؤيد انسحابا أحادي الجانب من القطاع ودون اتفاق؛ على أن يكون مفهوما أن" أية محاولة لمهاجمة الكيان الصهيوني ستتم مواجهتها بقوة.."

***

مدير عام مستشفى دار الشفاء بغزة، قال : إنه قد وصل إلى مستشفيات شمال وجنوب القطاع خلال ٤٨ ساعة مئات المصابين الذين استنشقوا مباشرة هذه الغاز الذي لم يستطع الأطباء الفلسطينيون والعرب الذين قدموا إلى غزة تحديد مدى خطورته على المصابين .ويقول محمد الرنتيسي أخصائي جراحة الأعصاب في مستشفى ناصر في خان يونس الذي وصل إليه مئات المصابين، إنه لم يسبق لأطباء غزة أن تعاملوا مع مثل هذا الغاز الذي يصيب من يستنشقه بألم شديد في العينين وفي الرأس، وبالإغماء، وبأعراض أخرى مرتبطة بالجهازين التنفسي والعصبي .وطالب مدير مكتب وزير الصحة الفلسطيني في الحكومة منظمة الصحة العالمية بالضغط على تل أبيب لتفصح عن نوع الغاز الذي تستخدمه.

صرح متحدث باسم الأونروا امس أن ٢٥ الف فلسطيني يحتمون في مدارس تابعة للمنظمة بسبب تدمير منازلهم في الهجمات الإسرائيلية المتواصلة للأسبوع الثالث على التوالي.

الفشل الذريع

اليوم السابع عشر للعدوان على القطاع، حاولت قوات الاحتلال التقدم من الجهة الشمالية الغربية والجنوبية الغربية، والشرقية للمدينة ومخيم جباليا للاجئين، كما حاولت تحقيق اختراق من محور جديد، من حي الزيتون الذي تخضع الأجزاء الجنوبية والشرقية والغربية منه للاحتلال المباشر . وتقدمت الدبابات على طريق صلاح الدين الرئيسة متجهة شمالاً في قلب حي الزيتون والأجزاء

الشمالية منه، ووصلت حتى سوق السيارات في منطقة غير مأهولة بالسكان قسم منها أرض زراعية، وقسم آخر يضم ورشاً ومعامل صناعية صغيرة. كما وصلت أثناء ساعات الليل إلى مشارف حي تل الهوا الذي يعتبر المدخل الجنوبي الغربي لبداية الكثافة السكانية للمدينة

ومن الجهة الشمالية الغربية تقدمت القوات إلى محور التوام السودانية على بعد كيلومتر واحد تقريباً من أحياء النصر والشيخ رضوان في الوسط، وحي المقوسي ومخيم الشاطئ في الغرب .لكن فصائل المقاومة كانت لقوات الاحتلال بالمرصاد، وخاضت معها اشتباكات عنيفة استخدمت خلالها قذائف متنوعة، من بينها قذائف "ار بي جي" وعبوات ناسفة ومضادات أرضية للطائرات المروحية، التي قالت "كتائب القسام" الذراع العسكرية لحركة "حماس" أنها أصابت عدداً منها خلال الأيام الماضية .وبعد معارك ضارية في كل هذه المناطق تراجعت قوات الاحتلال إلى المناطق التي احتلتها في الساعات الأولى للعملية البرية في الثالث من الشهر الجاري، وهي النصف الشمالي من بلدة بيت لاهيا، وجبلي الكاشف والريس شرق مخيم جباليا ومدينة غزة على التوالي، وشرق وجنوب وغرب حي الزيتون جنوب المدينة . ولوحظ أمس تراجع في عدد الغارات الجوية الإسرائيلية، وكذلك في عدد الصواريخ التي أطلقتها المقاومة على بلدات ومدن إسرائيلية وسقط نحو عشرين منها داخل إسرائيل .وقالت مصادر إن قوات الاحتلال حاولت التقدم في عمق شمال جباليا إلا أنها جوبهت بمقاومة كبيرة، ودارت اشتباكات عنيفة مع قوات الاحتلال .وقالت "كتائب القسام" إنها "نصبت كميناً لقوة راجلة مكونة من ٢٠ جندياً شرق جباليا واشتبكت معها وفجرت بها عبوة ناسفة، وأوقعت ها إصابات". كذلك أعلنت أنها استهدفت بعبوة ناسفة "قوة صهيونية خاصة تقدمت في محيط مسجد عليين جنوب حي الزيتون، وأكد مجاهدونا وقوع إصابات عدة في صفوف هذه القوة ."كما أعلنت "سرايا القدس" مسؤوليتها مساء (أمس) عن "استهداف آلية صهيونية متوغلة جنوب حي الزيتون وقنص جندي صهيوني وإصابته بمقتل في المكان ذاته". وقالت إنها قصفت تجمعاً لآليات الاحتلال في بيارة الريس جنوب حي الزيتون بثماني قذائف هاون .وقالت "كتائب المقاومة الوطنية" إنها فجرت عبوة ناسفة في دبابة إسرائيلية جنوب بلدة بيت لاهيا .وأضافت أنها قنصت جنديا شمال غربي حي الزيتون

١٣/ ١ / ٢٠٠٩ أن اشتباكات عنيفة دارت في حيي الزيتون جنوب شرقي مدينة غزة، والتفاح

شمال شرقي المدينة، وشرق مخيم جباليـا للاجئـين، شـمال القطاع. وأكدت مصادر فلسطينية أن قوات الاحتلال فشلت في التقدم في عمق الأحيـاء الـسكنية رغـم التغطية الكثيفة من نيران المدفعية والطيران. ولوحظ أن القوات البرية في جـيش الاحـتلال تـستعين بطائرات "إف ١٦ "أمريكية الصنع، والمروحيات، والمدفعية، والزوارق المنتشرة في عرض البحر، لدك المناطق المستهدفة بالتوغل البري بعشرات الصواريخ والقذائف قبل التقدم . واستشهد تسعة فلسطينيين، بينهم المقاومان في كتائب القسام بلال ديبة وعلاء عبد الـشافعي، وطفـلان وامرأتان، في قصف مدفعي وغارات جوية على مناطق سكنية في حي الزيتون، ومخيم جباليا للاجئـين وبلدة بيت حانون، شمال القطاع. واستشهد فلسطينيان وأصيب ١٠ آخرون، بينهم ثلاثة في حال الخطر، في غارة جوية استهدفت ميدان فلسطين الرئيس وسط مدينة غزة .

أعنف الاشتباكات دارت عند محيط بناية برج الأندلس السكنية التي تضم ١٥ طابقا وسط معلومات أن جنود الاحتلال قد اعتلوا سقف هذا البرج. كما دارت اشتباكات عنيفة بين كتائب القسام وقوات إسرائيلية في منطقة خزاعة شرق خان يونس. وقالت الكتائب إنها قصفت قوات راجلة في المنطقة بقذائف الهاون وأوقعت فيها عددا من الإصابات .ووصف الناطق باسم لجان المقاومة الشعبية أبو مجاهد اشتباكات الليلة الماضية بأنها الأعنف منذ بدء العدوان البري سيما شمال غرب بيت لاهيا، ورجح "وقوع خسائر كبيرة بجنود ومعدات العدو بسبب ضراوة المقاومة التي يواجهها ."وقد أقر الجيش الإسرائيلي بإصابة أربعة من جنوده في اشتباكات أمس، في حين قالت كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) إن مجموعة من عناصرها أسرت جنديا لكن قصفا إسرائيليا على المجموعة أدى إلى مقتله .

دعا رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية، في كلمة متلفزة بثتها "قناة الأقصى" مـساء أمس، إلى وقف فوري وغير مشروط للحرب التي تشنها "إسرائيل" على قطاع غزة، وإنهـاء الحـصار وفتح المعابر كافة، قبل مناقشة الملفات الأخرى والدخول في حوار على أرضية وطنية يحقق المصالحة بين الفلسطينيين. ويعتبر هذا الظهور الثاني لهنية منذ العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة. وقال هنية" أريد أن أتحدث بالسياسة كثيرا. إننا هنا على ارض غزة نواجـه هـذا العـدوان بمـسارين، المسار الدبلوماسي، الذي يأخذ مداه، وهناك لقاءات واتصالات ومبادرات من عدة دول عربية وإقليمية ودوليـة ونحن سنتعامل بإيجابية مع أي مبادرة من

شأنها إنهاء العدوان والانسحاب ورفع الحصار وفتح المعابر، ومسار ثاني بالصمود الثبات حتى اندحار الاحتلال وتحقيق النصر". وحول طبيعة المعركة الجاريـة، قال هنية "إن تناقضنا هو مع الاحتلال الإسرائيلي، وليس لنا معركة مع أحد من أبناء شعبنا، أو مـع أي من الدول العربية، ولا نقبل بأن تحيد بوصلة المعركة عن الاحتلال وحده، ولا يمكن أن ننشغل بمعـارك جانبية". وقال "إننا قد نعتب أو نتألم من شدة الألم، وعتابنا على ذوي القربى يكون على قدر الأمل فيهم ."وشدد هنية على الوحدة السياسية والجغرافية والإدارية للأراضي الفلسطينية، وقال "لسنا دعاة انفصال أو قسمة، كما أن فتح معبر رفح يعني أننا نريد فصل الشعب الفلسطيني في غزة ."وذكر أن غزة هي عنوان المعركة، وأن جوهر القضية هو الاحتلال والقدس، ألف أسير فلـسطيني في سجون الاحتلال وعودة اللاجئين .واعتبر هنية العدوان الذي دخل يومه الثامن عشر، حرب إبادة شاملة تستهدف الشعب الفلسطيني، لكنـه قال إن "مشهد الانتصار تغلب عل مشهد الدمار، وإن عاقبة الصبر هي التمكين". وربط في خطابه بـين بدء العدوان وذكرى الهجرة النبوية، والدروس المستفادة منها، وخاطب الفلسطينيين في كل مكان، وخص سكان غزة قائلا إنهم "سيفوزون حتما وإن النصر قريب وأقرب مما يظن الناس ." وتعهد هنية بتحرير الأرض الفلسطينية بما فيها القدس، قائلا "سنحرر أرضنا وقدسـنا وأقـصانا وهـذه الدماء لن تضيع هدرا" معتبرا ما يجري في قطاع غزة منذ ١٧ يوما من عدوان وحشي، لا يمكـن أن يقاس بالقياسات المادية ولا الحسابات البشرية، وان ما يجري من قتل وقصف ودمـار وإعـدامات هـو"بحق الله، آية من آيات الله ومعجزة من معجزات هذه المرحلة ." وطالب هنية باستمرار ما سماه الانتفاضات والهبات في العالم، وقال مبشرا أهل غزة "إننـا نـشهد والله رغم كل الجرح والألم والأشلاء ورغم القنابل الفسفورية التي تكوي أهلنا، إننا سنشعر معيـة الله ومـدد الله". وتابع القول "باسم الذين يصنعون النصر كأننا نستشعر آيات الله وقرآن الله يتنزل علينا فـي هـذه الأيام وهذه اللحظات" مضيفا أنه يستشعر بالقرآن يتنزل عبر عدة آيات قرأها ومن بينها: "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل". واعتبـر هنيـة أن صمود الناس في غزة يكشف عن صور عظيمة "تعيد صور الـصحابة الـذين فتحـوا أبـواب الخيـر ونشروه". وضرب مثلا عن التهجير والقتل والدمار وقال "لكنهم يأبون الانكسار إلا لله " متابعا، "أعظم ما نراه اليوم هو هذا الصبر، وإن

النصر مع الصبر وإن مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين ."وقال هنية إن دماء الأطفال ستبقى لعنة تطارد كل من يقبل بهذه الدماء وستطارد "إسرائيل" وبوش المنصرف. ووجه هنية التحية "للمجاهدين" وقال "نقبل رؤوسكم وأيديكم ونقبل الأرض تحت نعالكم ..أنتم اليوم تدافعون عن شعبكم وأعراضكم وكرامة هذا الشعب، وهذه الأمة". وأضاف "لن تنكسر غزة، لن تسقط غزة، ولن تنكسر إرادتنا وستنتصر غزة ."وأنهى هنية خطابه بدعاء إلى الله وقال للشعب الفلسطيني "أمنوا ورائي". ومن ضمن ما دعا قائلاً "اللهم انصر أهلنا في غزة، وكن نصيرنا وأعنا... اللهم نصرك الذي وعدت وفرجك الذي وعدت... اللهم احفظ أهلنا وسدد رمي مجاهدينا وانصرنا على الكافرين". وأنهى قائلا "سلام على غزة وسلام على أهلها وسلام على النصر القادم .."

وقال طاهر النونو المتحدث باسم الحكومة في بيان صحافي "نؤكد لشعبنا أن النصر بات اقرب من أي وقت مضى، فالعدو يتخبط كيف يتعامل مع صمودكم الأسطوري". وأضاف أن حكومته " تزال تضطلع بكامل مهامها رغم تقسيم القطاع وتقطيع أوصاله وتواصل تحمل مسؤولياتها تجاه المواطنين في شتى المجالات وتعمل على إيصال خدماتها لأبناء القطاع" وحذر من محاولات العدو ترويج الأكاذيب بهدف ضرب الروح المعنوية. وجدد رفض الحكومة لأية قوات دولية في غزة.

أنحى وزير الصحة في الحكومة الفلسطينية في غزة باسم أبو نعيم باللائمة على "إسرائيل" بعرقلة دخول المساعدات الإغاثية إلى قطاع غزة، متوقعا أن يرتفع عدد ضحايا الحرب على غزة إلى نحو ٦٢٠٠ شخص بينهم ١٢٠٠ شهيد ٥٠٠٠ جريح. وقال في تصريحات "عكاظ" إن فرق الإنقاذ لم تتمكن بعد من انتشال عشرات الشهداء تحت الأنقاض مشيرا إلى أن ١٢ طبيبا ومسعفا استشهدوا ودمرت ١٣ سيارة إسعاف خلال أسبوعين. وأضاف أن المستلزمات الطبية والأدوية أوشكت على النفاد من مستشفيات القطاع التي لم تعد قادرة على تحمل أعداد الضحايا، لافتا إلى النقص الحاد في بعض التخصصات الطبية مثل الأوعية الدموية والأعصاب والتخدير .واعتبر أن دخول عدد من الأطباء العرب إلى غزة ساهم في دعم الجهود الطبية الحالية، موضحا أن المستشفيات تعاني من مشكلة انقطاع التيار الكهربائي وتعطل الاتصالات مع المستشفيات الأخرى بعد أن فصلت قوات الاحتلال شمال القطاع عن جنوبه. وكشف النقاب عن استخدام القوات الإسرائيلية لقنابل كيماوية تحمل غازات محرمة منها غازات تصدر رائحة كريهة لا يستطيع

أحد تحملها بالإضافة إلى غازات تهيج الأعصاب. وأشار أبو نعيم إلى وجود معوقات إسرائيلية تحول دون دخول المساعدات الطبية نظرا لاستمرار القصف وإمكانية تعرض هذه القوافل للخطر مطالبا المجتمع الدولي بسرعة وقف حرب لإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين .

الألوية

نشرت الصحف : حماس تصر على إنهاء العدوان والانسحاب الكامل وفتح المعابر وذكرت أن وفد "حماس" عاد امس إلى القاهرة من دمشق بعد مشاورات مع قيادة الحركة هناك، ومن المقرر أن يجري محادثات اليوم مع رئيس الاستخبارات المصرية الوزير عمر سليمان بشأن المبادرة المصرية لوقف العدوان .وكانت مصادر من "حماس" في قطاع غزة قالت : إن وفد الحركة سيبلغ القيادة المصرية بأن"حماس" تقبل بنشر قوات تركية على الحدود بدلا من القوات الدولية المطروحة والتي تمثل بالنسبة إليها قوات احتلال أجنبية، لأنها تثق بتركيا وبدروها كدولة إسلامية. وقالت المصادر إن فكرة نشر قوات تركية على الحدود عرضها مسؤولون أتراك على رئيس المكتب السياسي للحركة خالد مشعل أثناء زيارة رئيس الوزراء التركي رجب اردوغان أخيرا إلى سورية . وأضافت أن الحركة توافق على التواجد التركي مقابل فتح جميع المعابر، بما فيها معبر رفح الحدودي مع مصر

قالت مصادر مصرية مطلعة لـ "الحياة" إن الأولوية التي تعمل عليها مصر الآن هي وقف فوري لإطلاق النار في قطاع غزة، لافتة إلى تنفيذ كل بنود المبادرة المصرية يحتاج إلى وقت .ويضم وفد حماس محمد نصر وصلاح البردويل وجمال أبو هاشم، فيما ظل القياديان عماد العلمي وأيمن طه في القاهرة لمواصلة المحادثات مع المصريين .ونفى مصدر مصري موثوق به ما تردد عن مفاوضات غير مباشرة يمكن أن تعقد بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وقال: "هذا أمر غير مطروح على الإطلاق لعدم إمكان تحقيق ذلك سواء من الجانب الإسرائيلي أو من جانب حركة حماس لأن كلا من الجانبين سيرفض هذا الأمر الذي يمثل بالنسبة إليهما خطاً أحمر له محاذيره ."وحول مطالبة "حماس" بوقف العدوان وانسحاب إسرائيل من قطاع غزة أولاً قبل التعاطي مع أي بند من بنود المبادرة، أجاب المصدر: "استبعد تماماً أن توافق إسرائيل على وقف عدوانها قبل تحقيق أهدافها من حربها على غزة وهي منع نهائي لتهريب الأسلحة من خلال الأنفاق، مع وجود ضمانة لتحقيق ذلك "الشارع الإسرائيلي يدعم هذه الحرب التي يراها حرباً ضد الإرهاب وأن وقوع خسائر في صفوف

الجنود الإسرائيليين لن يجعل إسرائيل تتراجع عن عدوانها أو يثنيها عن تحقيق أهدافها" المصدر مضيفاً أن "إسرائيل قطعاً دخلت هذه المعركة وهي تعلم أنها في حال حرب وسيكون هناك خسائر بشرية في صفوفها ."ورأى المصدر أن إسرائيل أيضاً لن تقبل بتزامن وقف العدوان مع وقف إطلاق النار، مشيراً إلى أن الحكومة الإسرائيلية عينها على الانتخابات الإسرائيلية المقبلة وتريد حصد مزيد من التأييد والحصول على أصوات للفوز في الانتخابات ولن تغامر بهذا الأمر على الإطلاق "

أكد القيادي في "حماس" أسامة حمدان رفض الحركة لتهدئة طويلة الأمد وقال لـ"الحياة": "أي اتفاق يمس المقاومة لن نقبل به" لافتاً إلى أن "قضية الصواريخ جزء من منظومة المقاومة وأن المقاومة هي التي تحدد كيف ومتى يتم إطلاق الصواريخ ."على صعيد الاتفاق حول معبر رفح، قال حمدان: "إن أي صياغة لاتفاق معبر رفح يجب أن تكون بموافقة حماس ويجب أن تشارك في صياغته" لافتاً إلى أن "إدارة مشتركة للمعبر مع حرس الرئاسة أمر مطروح لدى الحركة ."وأكد حمدان رفض الحركة أن يتم تجاوزها في أي قضية متعلقة بالشأن الفلسطيني، وقال: "إن تجاوز حماس انتهى وقته. لقد سببوا أوجاعاً لشعبنا طيلة ثلاث سنوات من الحصار والقتل أملاً في تجاوز حماس لكنهم لم يتمكنوا من ذلك ."وحول موقف الحركة من المبادرة المصرية اكتفى بالقول: "لن نمنح الإسرائيليين على الإطلاق من خلال السياسة ما فشلوا في تحقيقه على أرض المعركة ."

جدير بالذكر أن وفد حركة "حماس" عقد محادثات مكثفة مع المسؤولين المصريين عقب وصوله من دمشق حاملاً الرد على المبادرة المصرية بعد أن غادر القاهرة أول من أمس لاطلاع قيادة "حماس" على نتائج مشاوراته في القاهرة .

وكشف قيادي بارز من حماس بدمشق لـ"الوطن" أن خلاصة موقف الحركة من المبادرة "تتمثل في إنهاء العدوان على غزة، والانسحاب الكامل من القطاع وإعادة فتح المعابر وأولها معبر رفح إضافة إلى رفع الحصار ."وشدد على أن حماس "لن تتعامل مع أي مبادرة لا تحقق هذه المطالب لأن هذا هو جوهر موقف الحركة وهذا هو الحد الأدنى الذي تتحرك على أساسه. وقد قبلنا بذلك لكي ننجح أية مبادرة تمكننا من إنهاء الحرب."

ونشر المركز الفلسطيني للإعلام، من دمشق أن صلاح البردويل العضو في وفد "حماس"إلى القاهرة لبحث المبادرة المصرية قال في تصريح خاص أدلى به لـ "المركز الفلسطيني للإعلام" قبيل سفره من دمشق إلى القاهرة اليوم الاثنين "نحن نريد أن

نضمن ألا يكافأ العدو الصهيوني على جرائمه بإنجاز سياسي، وأعتقد أن كل العرب والمسلمين وأحرار العالم معنا في هذا التصور الذي وضعناه بتفاصيله حتى نحرم العدو الصهيوني من تحقيق هذا الإنجاز وحول ما تم نقاشه بين وفد "حماس" والمسؤولين المصريين، قال البردويل "البنود التي تم طرحها هي بنود قابلة للنقاش، ونحن لم نقل للإخوة المصريين لا، إنما قلنا لهم إن لدينا ملاحظات عليها" لافتاً النظر إلى أن " هذه الأمور تزال تحت المداولة ولا مجال للكشف عنها أمام وسائل الإعلام أملاً في الوصول إلى اتفاق يحفظ كرامة الشعب الفلسطيني ومصالحه" مشيراً في الوقت نفسه إلى "الحضور اللافت للوفد التركي في المباحثات والمشاورات التي تتم في القاهرة ودمشق"

قالت منظمة الأزمات الدولية: "إن الشعور السائد داخل حماس هو أن الوقت يلعب لمصلحتهم." ويعتمد قادتها على توسيع النزاع. وقالت انهم "يريدون دفع إسرائيل إلى التوغل داخل التجمعات السكانية في قطاع غزة ما يزيد من صعوبة أي انسحاب" لاحق من الأرض الفلسطينية لكن الجيش الإسرائيلي الحذر لم يدخل بعد إلى وسط التجمعات السكانية في قطاع غزة بل يتموضع عند أطرافها لتفادي خسائر كبيرة في صفوفه في مكامن .وأضافت في الواقع فان مئات الغارات الجوية لم تضع حدا لإطلاق الصواريخ على إسرائيل وهي الحجة التي تذرعت بها الدولة العبرية لشن عملية "الرصاص المصبوب" على قطاع غزة في ٢٧ ديسمبر ثم شن هجومها البري على حماس. لكن اطلاق الصواريخ انخفض إلى حد كبير منذ بدء الهجوم .وقد استعدت حماس بدقة لمواجهة جنود الجيش الإسرائيلي داخل قطاع غزة. فعززت جناحها العسكري كتائب القسام كما قامت باعتراف إسرائيل نفسها بنشر قناصة واخفت متفجرات وحفرت انفاقا للإخلاء . ولفت نيكولاس بيلام إلى أن "البعض يرون في ذلك أوجه تشابه" مع الاجتياح الأميركي للعراق في ٢٠٠٣ حيث أن التفوق العسكري الساحق للولايات المتحدة لم ينجح في تحقيق أهدافه أمام حرب الاستنزاف التي يقوم بها المقاومون العراقيون .ويعتبر ديفيد هارتويل الأخصائي في شؤون الشرق الأوسط في مجلة جينز الدفاعية الاستراتيجية أن"حماس تأمل على الأرجح جر الإسرائيليين إلى معارك شوارع ضيقة في مدينة غزة ومخيمات اللاجئين". وتابع أن "استراتيجيتها الفعلية هي زيادة الخسائر الإسرائيلية بشكل يجعل منها مسألة حساسة اكثر" بالنسبة للرأي العام في إسرائيل.

وقال اولمرت أمس : إنه يأمل في أن تنتهي الحملة العسكرية الحالية في أسرع وقت لكنه أضاف أن نهايتها مرهونة بأمرين ليسا بمستحيلين «ونحن قريبون من تحقيقهما أكثر مما كنا قبل أيام» الأول وقف قذائف القسام، وهذا مطلب ليس مبالغاً به، كما قال، والثاني هو وقف تهريب السلاح إلى القطاع «كي لا تتمكن حماس في المستقبل من إطلاق النار».
وأضاف: نشكر الرئيس المصري حسني مبارك على جهوده في هذا السياق وأرجو أن يصار إلى النتيجة التي تمكننا من وقف القتال، وآمل أن يثمر الحوار مع مصر إيجابيا.

أعلن بنيامين بن أليعازر وزير البنى التحتية الصهيوني أمس أن الحرب على غزة ستنتهي بداية الأسبوع المقبل؛ وفقًا لما نقله تلفزيون الكيان.

نقلت صحيفة "هآرتس" على موقعها الإلكتروني أمس عن المصادر أنه يعتقد أن العديد من قادة حماس موجودون في الأدوار الأولى من مجمع الشفاء الطبي في مدينة غزة وهو المجمع الذي أعيد تجديده خلال الاحتلال "الإسرائيلي" للقطاع . وخلال اجتماع الحكومة الأسبوع الماضي أشار يوفال ديسكين رئيس جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي "الشين بيت" إلى أن كبار مسؤولي حماس وجدوا ملاذا آمنا في المشفى لأنهم يعلمون أن "إسرائيل" لن تستهدفه بسبب تواجد المرضى"

دعا رئيس الوفد الطبي الأردني الدكتور باسم الكسواني إلى الإسراع بإدخال المساعدات والمستلزمات الطبية وفرق الأطباء المختصين للقطاع، للمساعدة في علاج آلاف الجرحى والمصابين، الذين توقع تزايد أعدادهم مع تصاعد واستمرار العدوان.

****

أعلن نائب الأمين العام لحركة الجهاد زياد نخالة أن هدف المبادرة المصرية هو الضغط على الفلسطينيين للاستسلام في الحرب على قطاع غزة. وقال نخالة في مهرجان خطابي أقيم في مخيم اليرموك بدمشق إن "الوضع في ساحة المعركة غزة مستقر لصالح المقاومة الفلسطينية" وشدد على رفض المقاومة أية مبادرة من "دون وقف العدوان وانسحاب جيش الاحتلال وفتح المعابر ورفع الحصار"

كان أكثر محاور القتال سخونة، هو محور قطاع بيت لاهيا، الذي يتولى القتال فيه لواء المظليين، إذ اعترفت القيادة الجنوبية أن مقاتلي كتائب القسام نجحوا باستدراج الوحدة الخاصة في هذا اللواء الذي يعتبر أكثر ألوية هنية أعلن الانتصار بغزة وتعهد بمساعدة ضحايا العدوان. أولمرت يبلغ مشاركي قمة شرم الشيخ رغبته بالانسحاب. الاحتلال يعرقل تدفق المساعدات والسلطة تنفي

احتجازها. أسرة فلسطينية تفقد أكثر من ثلاثين من أفرادها. القاهرة تمنع علاج جرحى غزة خارج المستشفيات المصرية المشاة نخبوية، إلى بيت في حي العطاطرة، شمال غربي بيت لاهيا، وتفجيره بعدما دخله الجنود، وأصيب في الهجوم قائد الوحدة الخاصة، في حين أصيب خمسة آخرون بجراح .ولم يحرز أي تقدم على محاور القتال الثلاثة الأخرى في حي الزيتون والشجاعية، والخط الساحلي حي التوام. بل عدد جنود الاحتلال الذين أصيبوا في المواجهات التي شهدتها محاور القتال ١٥ جنديا باعتراف إسرائيل.

***

كان ايمن يقول : اصبحنا على خط النار الأول يا حج موسى

تبسم الحاج وقال : ليست أول مرة ونحن على خطوط النار كانوا يعيشون بيننا منذ عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٩٤ ثم تحركوا للأطراف حتى عام ٢٠٠٥ ثم اصبحوا على الحدود ومما نسمع الآن فسينسحبون وهم خائبون

ناصر : إن شاء الله

***

قالت مصادر قيادية في حركة حماس، أمس الثلاثاء إن التنسيق بين القاهرة وتل أبيب حول العدوان على غزة بلغ مراحل متقدمة للغاية وعلى أعلى المستويات .واتهمت المصادر النظام المصري بأنّه نسق العدوان مع الإسرائيليين قبيل بدئه على غزة فـي السابع والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) الماضي .وقالت المصادر إن الجنرال في الاحتياط عاموس جلعاد، رئيس الطاقم السياسي والأمني في وزارة الأمن المصرية، هو الذي كان وما زال يلعب حلقة الوصل بين الدولة العبرية ومصر ... وبحث مع عدد من المسؤولين في القاهرة نتائج الحرب على غزة، بعد مرور ١٧ يوماً على بدئها .ووفق المصادر فقد أبلغ جلعاد المصريين بأن إسرائيل تواجه مشكلة في تطوير الحملة البرية نحو دخول المدن، وعلى الأخص المدن التي يوجد فيها قادة حماس وقواتها العسكرية، ووفـق جلعاد فـإن إقـدام إسرائيل على هذه الخطوة سيكون مصحوباً بخسائر بشرية كبيرة ودمار وهو ما سيجعل إسرائيل أكثـر انكشافاً أمام العالم. وبين جلعاد أيضاً أن العامل الآخر هو الخسائر التي من المتوقع أن تتكبدها القـوات التي ستقتحم المدن، الأمر الذي جعل وزير الدفاع ايهود باراك، يفكر عميقاً في هذه الخطوة .وساقت المصادر قائلة إن المصريين أبدوا انزعاجهم الشديد من أن إسرائيل لم تتمكن بعد ١٧ يوماً مـن المعارك من توجيه ضربة مميتة لقوة حركة حماس العسكرية أو حتى إضعافها. وشددت المصادر علـى أن وزيرة الخارجية الإسرائيلية،

تسيبي ليفني، التي زارت القاهرة قبل يومين من بـدء الهجـوم علـى القطاع، بأن تقديرات الأجهزة الأمنية الإسرائيلية تؤكد أنه يمكن سحق حركة حماس خلال مدة تتـراوح بين ثلاثة أو أربعة أيام، لافتة إلى أن رئيس الموساد الجنرال في الاحتياط مئير داغان، كـان قـد أبلـغ المصريين في لقاء جرى في طابا أن اجل حماس قد اقترب وأن حسم المعركة معها لن يتجاوز الأسبوع على أعلى تقدير .وأكدت المصادر أيضاً أن المصريين أبلغوا الإسرائيليين بأن مصالح الطرفين باتت متطابقـة فـي هـذه الحرب حول ضرورة إضعاف حماس وإنهاء سيطرتها على القطاع ولتعود السلطة الفلسطينية والـرئيس عباس لبسط الشرعية، لأنّه أي عباس، ضمانة للإسرائيليين والمصريين، على حد قول المصادر . ووفق المصادر، فإن الجانب الإسرائيلي فوجئ بعدة عوامل لم يأخذها في الحسبان وهي: وسائل القتـال المتطورة التي بحوزة حماس، والتي شكّلت عائقاً أمام حسم الحرب سريعاً، مستودع الـصواريخ لـدى حماس فاجأ الإسرائيليين حجمه ونوعه وولّد حالة من الارتباك نتيجة لضرب الجبهة الداخلية في المنطقة الجنوبية من الدولة العبرية، درجة الاستعداد العالية لدى حماس للدخول مع القـوات الإسـرائيلية فـي مواجهة طويلة .واتهمت المصادر التي تحدثت بأن مصر اتفقت مع إسرائيل حول مواجهـة الوضـع الجديد الذي سينشأ بعد توقف الحرب، حيث اتفقتا على ضرورة الحؤول دون تمكين حركة حماس مـن جني أية ثمار لهذه الحرب، أو السماح لها باستمرار سيطرتها المطلقة على قطاع غزة. ووفق المـصادر فإن تل أبيب والقاهرة اتفقتا على اتخاذ إجراءات مشتركة لمنع عناصر من حماس بعد وقف إطلاق النار من إعادة بناء قوتها العسكرية وذلك من خلال: تنسيق إجراءات منع دخول أية أسـلحة أو مـواد يمكـن استخدامها في تطوير وسائل قتالية أو صاروخية إلى القطاع عبر المعابر، وخاصة معبر رفح، تنـسيق الجهود الدبلوماسية من أجل تكوين آلية قوات دولية على حدود القطاع وعلى الحدود بين مصر والقطاع لتحقيق أعلى مستوى من ضبط الأوضاع في قطاع غزة، بحيث لا يتكرر مشهد إطلاق الصواريخ أو أي نوع من النيران على المستوطنات الإسرائيلية أو أية عمليات تنطلق من قطاع غزة، وسيتم ذلـك عـن طريق منح هذه الآلية صلاحيات الدخول إلى المدن والمخيمات والقيام بعمليات تفتيش وعمليات اعتقـال الناشطين الذين يسمونهم الإرهابيين . بالإضافة إلى ذلك، فإن مصر، أضافت المصادر عينها، وافقت على منح إسرائيل مراقبة مباشرة علـى معبر رفح، لأن هذا المعبر مفتوح على الأراضي المصرية، واستخدامه لغير أهداف

وأغـراض مدنيـة يؤثر سلباً على أمن كل من مصر وإسرائيل، والالتزامات التي ترتبها اتفاقية السلام مع إسـرائيل تحـتم التنسيق الأمني بينهما بما في ذلك الوضع عند معبر رفح، لمنع دخول العناصر الخطرة مـن أعـضاء حماس لتلقي التدريبات العسكرية في لبنان وسورية وإيران والسودان. كمـا اتفـق الجانبـان، بحـسب المصادر، على أهمية عودة السلطة الفلسطينية إلى القطاع بعد أن أثبتت نفسها في الضفة الغربيـة منـذ حزيران (يونيو) من العام ٢٠٠٧ في وقف العمليات الإرهابية وتفكيك البنية التحتية لكـل مـن حمـاس والجهاد الإسلامي، علاوة على ذلك اتفق الطرفان على إجراء سلسلة من الاتصالات واللقاءات بين مصر وإسرائيل والسلطة الفلسطينية من أجل دعم الرئيس عباس عبر إجراء انتخابات رئاسية وتشريعية ستكون حماس الطرف الخاسر فيها بعد هذا الدمار الذي لحق بالقطاع.

تتضارب المعلومات يومياً بين بيانات القسام وبيانات الجيش الصهيوني، وفيما يتحدث"القسام" عن أسرى جرى إعدامهم من طرف طائرات دولتهم، وعن إطلاق صواريخ وضحايا لعملياتهـا وعن منصات إطلاق صواريخ لم تمس بعد، فإن الجيش الإسرائيلي ينفي كل ذلك .ما يستغرب له البعض من أن الصواريخ ما زالت تطلق من مناطق يفتـرض أن قـوات الاحـتلال تسيطر عليها ، والسبب أن المقاومة قد "حرثت" أرض المعركة ونصبت نظاما آليا لإطلاق الـصواريخ، لذين يخافون من منع المقاومة من التسلح عبر إغلاق المعابر وتشديد الحراسة عليهـا، يجـدر بهـم الاطمئنان إلى نقطتين مهمتين، أن بعض صواريخ الـ"غراد" التي ضـربت بها إسرائيل قد تم شراؤها من المافيا الإسرائيلية نفسها! هذه واحدة، والخبر الـسعيد أيـضا أن بعـض الصواريخ التي ضربت على إسرائيل قد جرى تصنيعها محليا، ففي العامين الماضيين كـان "المـشروع الاستراتيجي" لبعض فصائل المقاومة هو صناعة صاروخ مؤذ ومؤثر في سير المعركة، وقـد نجحـت التجارب، ومعنى هذا كله هو "فلتحاصر الدنيا غزة.. لن يتغير أي شيء.. لأن غزة تصنع سلاحها بنفسها" وليست بحاجة للتعاون مع اليمن كما قالت إسرائيل للحصول على سلاح، والأفضل لإسـرائيل أن تفرض حصارا على "المافيا" الخاصة بها على حماس .النقطة الثالثة تتعلق بمعركة "جبل الكاشف" فقد سمعنا جميعا عـن المعـارك التـي حـدثت هنـاك والضربات التي سددتها المقاومة للجيش الإسرائيلي هناك، هل تعرفون كم مقاوما كان عل تلة "الكاشف"في إحدى تلك المعارك؟ الرائع أن مقاوماً وحيداً كان على تلك التلة، كامنا

في مكان آمن، وقد تم تجهيزه بنظام تفجير آلي يطول معظم نواحي المنطقة، وهذا المقاوم الشجاع هو الذي فاجأ القوات الغازيـة فـي أكثر من ناحية، وبينما كانت قوات إسرائيل تنتفض غضبا باعتقادها أن هناك ألفاً من المقاومين يتصدون لها، فإن رجلاً واحداً قد أوجعهم وكسر غرورهم، مقاوم وحي هزم نخبة أقوى جيوش المنطقة.. أما باقي المقاومين فكانت وظيفتهم أن يبلغوه بمناطق التقدم الإسـرائيلي وإحـداثياتها، وكـذا إشـغال الجنـود الإسرائيليين ومهاجمة أطرافهم .

عنفوان الجهاد

قال جندي إسرائيلي جريح: إنها حرب أشباح.. إنهم يخرجون لنا من أعماق الأرض إنهم يخرجون لنا من أعماق الأرض. إننا نتحرك على الأرض، ونحن نشعر أن أسفلَ منا مدينة تحت أرضية". وتحدث الجندي عن الفزع الذي يشعر به الجنود من عمليات الاختطاف عبر هذه الأنفاق. وهناك ما يبرر المخاوفَ التي يتحدث عنها الضابط الإسرائيلي هناك .ففي اليوم الثاني للعدوان البري الإسرائيلي على قطاع غزة، وأثناء قيام سرية من وحدة مختارة في لواء الصفوة "غولاني" بعمليات تمشيط في أحد المنازل شرق مخيم جباليا، شمال غزة، فوجئ أحد الجنود الذي كان يفتش إحدى الغرف في المنزل باثنين من مقاومي حماس يندفعان من حفرة في قلب الغرفة ويحاولان الإمساك به ودفعه نحو الحفرة التي كانت تؤدي إلى نفق، إلا أنه أفلت من الأسر بعد تدخل زملائه الذين استدعوا طائرة هليكوبتر عسكرية من طراز "أباتشي"

قالت كتائب القسام في بيان لها إن عددا من مجاهديها من كتيبة الصبرة وتل الإسلام " أوقعوا قوات إسرائيلية خاصة في كمين محكم وخاضوا معهم اشتباكات عنيفة أسفرت عن مقتل ١٢ جنديا". وأضافت كتائب القسام أن " الاشتباكات أسفرت كذلك عن استشهاد ثلاثة من مجاهدي القسام"

دعا رئيس حزب "إسرائيل بيتنا" افيغدور ليبرمان إلى إلقاء قنبلة ذرية للقضاء على غزة. وخلال محاضرة ألقاها أمس أمام طلاب جامعة "بار ايلان" قال ليبرمان "شعب إسرائيل لن يكون في أمان ما دامت حماس تحكم قطاع غزة، وعلينا الاستمرار في الحرب حتى إنهاء وجود حماس "

كشفت مصادر إسرائيلية سياسية ، أن الخطوط العريضة لاتفاق تهدئة جديد أصبحت جاهزة، وبموجبها سيتوقف اطلاق النار تماما في مطلع الأسبوع المقبل. في غضون ذلك تتواصل المفاوضات حول الشروط التفصيلية ويتم العمل في الأمور اللوجستية من أجل ضمان فتح المعابر، بما فيها معبر رفح، بعد عشرة أيام من وقف اطلاق

النار. وفي اليوم العاشر يبدأ الجيش الإسرائيلي بالانسحاب من قطاع غزة بالتدريج .وحسب المصادر الإسرائيلية، فإن الاتفاق الجاري إعداده يشتمل على ثلاث مراحل، على النحو التالي : الأولى: وقف شامل لإطلاق النار في اللحظة التي تعلن فيها مصر أنها توصلت إلى صيغة نهائية حول مبادئ المرحلتين اللاحقتين، بموافقة كل من إسرائيل وحماس، وتوقف إسرائيل عندها التقدم بقواتها البرية وتوقف الغارات الجوية والقصف المدفعي وأية عمليات حربية. وتوقف حماس أيضا وبقية الفصائل والتنظيمات الفلسطينية أي نوع من إطلاق النار. ولكن في هذه المرحلة تبقى القوات الإسرائيلية في المواقع التي احتلتها في قطاع غزة حتى الانتقال إلى المرحلة التالية، ولكنها تمتنع عن توسيع احتلالها، وتقتصر نشاطاتها على حماية القوات المحتلة ومدها بالتموين والاحتياجات المعيشية الأخرى، من دون عراقيل .الثانية: تسعى مصر بالتعاون مع إسرائيل وجهات أميركية وأوروبية وعربية إلى وضع تفاصيل الصياغة النهائية لاتفاق مراقبة الحدود المصرية الفلسطينية (طريق صلاح الدين، الذي يسميه الإسرائيليون شريط فيلادلفي) لمنع تهريب الأسلحة ووقف تزود حماس بالأسلحة، وذلك بواسطة الجهد العسكري الذي يقتصر على مصر وحدها وقواتها المسلحة، مسنودة بمساعدة لوجستية وتكنولوجية من أوروبا والولايات المتحدة. وتشمل هذه الخطة تدمير جميع الأنفاق القائمة تحت الأرض ومراقبة دائمة لمنع حفر أنفاق أخرى ووضع آليات لمنع تهريب الأسلحة فوق الأرض أيضا وحتى بواسطة البحر الأبيض المتوسط. وفي الوقت نفسه تواصل مصر الإعداد التقني لفتح معبر رفح، وجنبا إلى جنب مع ذلك تقيم مصر محادثات مع السلطة الوطنية ومع حماس ومع دول الاتحاد الأوروبي من أجل فتح معبر رفح بإشراف أوروبي وفقا لاتفاقية عام ٢٠٠٥ في غضون عشرة أيام من وقف اطلاق النار .الثالثة: وهي المرحلة التي سيبدأ تنفيذها بعد عشرة أيام من وقف النار وتشمل فتح معبر رفح وفقا للاتفاق الدولي وبدء انسحاب القوات الإسرائيلية بالتدريج من قطاع غزة، وكذلك فتح المعابر بين إسرائيل وقطاع غزة بشكل تدريجي في اتجاه العودة إلى أيام ما قبل فرض الحصار الإسرائيلي والدولي

اغتيال قائد

اليوم العشرين – الخميس ١٥ يناير أعلن الجيش الإسرائيلي في هذا اليوم عن قيامه باغتيال القيادي في حركة حماس سعيد صيام مع أخيه رياض صيام وقيادي آخر من حركة حماس. يذكر أن سعيد كان يشغل منصب وزير الداخلية الفلسطيني ، اغتالت

إسرائيل سعيد محمد شعبان صيام وزير داخلية الحكومة في قطاع غزة، والذي كان يوصف برجل حماس القوي. فسعيد صيام الذي كان يطلق عليه لقب الشيخ سعيد وأحياناً الأستاذ سعيد لأنه مارس مهنة التدريس في مدارس وكالة الغوث في القطاع، هو مؤسس القوة التنفيذية عقب تعيينه وزيراً للداخلية في الحكومة العاشرة التي شكلتها حركة حماس بعد فوزها بالانتخابات التشريعية في العام ٢٠٠٦ . ولعبت هذه القوة إلى جانب كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحماس دوراً حاسماً في بسط سيطرة حماس على قطاع غزة وإلحاق الهزيمة بالأجهزة الأمنية الفلسطينية. واغتيل مع الشيخ صيام، وهو عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، نجله محمد ، ٢١ عاما، وقائد الأمن الداخلي صلاح أبو شرخ، وشقيقه إياد وعائلة الأخير في قصف جوي نفذته طائرات من طراز "أف ١٦" بصاروخين طالا منزل شقيقه الشيخ إياد صيام بمنطقة اليرموك في قلب مدينة غزة، المكتظة بالسكان .وسوي المنزل بالأرض ودمر عدد من المنازل المتاخمة .وكان صيام وهو ثاني شخصية قيادية بارزة في حماس تغتال خلال هذه الحرب على غزة، إذ سبقه إلى ذلك الشيخ نزار الريان .وجاءت عملية الاغتيال وسط تصعيد استهدف المستشفيات والأبراج السكنية، ومقار وسائل الإعلام الأجنبية، ومخازن وكالة "الأونروا " كما توغل الجيش الإسرائيلي فجر أمس لأول مرة منذ بدء حملته العسكرية على القطاع في حي تل الهوى الواقع في عمق الطرف الجنوبي الغربي من مدينة غزة، بينما فشل في التقدم في بقية قطاعات المواجهة الباقية

وأشارت القدس العربي، ١٦/ ١ / ٢٠٠٩ نقلاً عن مراسلها نقل عن "إسرائيل" قولها إنها قتلت سعيد صيام بعد أن تلقت الجهات الأمنية الإسرائيلية معلومات بأنه موجود داخل منزل معين مع شقيقه فقامت طائرات إسرائيلية بقصف المبنى

رئاسة المجلس التشريعي الفلسطيني نعت "النائب القائد الشهيد سعيد صيام وزير الداخلية الفلسطيني، أحد رجالات فلسطين الأشاوس" وقالت في بيان صادر عنها مساء الخميس، إنها "تنعي أحد أعضاء المجلس التشريعي المتميزين في أدائه والأكثر التزاماً في عمله الوطني والبرلماني، ولقد كان مثالاً للنواب في الإخلاص وخدمة وطنه ودينه، ومنح الثقة من المجلس التشريعي الفلسطيني كوزير للداخلية لما يتمتع به من مسؤولية وقيادة وإخلاص لخدمة شعبه وقضيته الفلسطينية" حسب البيان .

كان القيادي البارز في حركة حماس لشهيد سعيد

صيام "أبو مصعب" وهو وزير الداخلية في أول حكومة تشكلها حماس، الهدف الأعلى "إسرائيل" نظراً لموقعه التنظيمي في الحركة .فالشهيد الذي رأس كتلة حركته في دورة المجلس التشريعي الفلسطيني، يعتبر واحداً من قـادة حمـاس الثلاثة في الداخل الذين تصدروا واجهة العمل السياسي، إلى جانب . محمود الزهار، ورئيس الحكومـة إسماعيل هنية .ينتسب صيام إلى قرية الجورة قرب عسقلان جنوب الأراضي الفلسطيني المحتلة عام ١٩٤٨ ، وهـي ذاتها القرية التي ينحدر منها مؤسس حركة حماس أحمد ياسين، إلى جانب إسماعيل هنية، تخرج عام ١٩٨٠ من دار المعلمين في رام الله حاصلا على دبلوم تدريس العلوم والرياضيات، وأكمل دراسته الجامعيـة فـي جامعة القدس المفتوحة التي حصل منها على شهادة بكالوريوس في التربية الإسلامية وعمل معلما فـي مدارس وكالة "الأونروا" وترأس لجنة قطاع المعلمين لمدة سبع سنوات متتالية، وكان عـضو مجلـس أمناء الجامعة الإسلامية في غزة .واعتقل الشهيد، المولود في مخيم الشاطئ للاجئين الفلسطينيين في غزة العام ١٩٥٩ من قبـل الجـيش الإسرائيلي أربع مرات إدارياً خلال الانتفاضة الأولى، ثم أُبعد لمدة سنة إلى مرج الزهور فـي جنـوب لبنان العام ١٩٩٢ .وصيام، الذي يطلق عليه "رجل المرحلة" تصدر في السنوات الأربع الأخيرة واجهة حمـاس الـسياسية والعسكرية، ما أعطاه شعبية كبيرة لدى كوادر الحركة، مكنه من الحصول على أعلى الأصـوات فـي الانتخابات التشريعية شتاء العام ٢٠٠٦ .

أثناء توليه منصب وزير الداخلية برز اسم صيام، قيادياً هادئاً يضمر قوة مكنته من إدارة صراع حركته مع حركة فتح وقوات السلطة الوطنية الفلسطينية، إبان الاضطرابات التي شهدها القطاع صـيف العـام ٢٠٠٧ انتهت إلى "حسم عسكري" لحماس ينسب فضله إلى "القوة التنفيذية" التي أشرف صـيام علـى تأسيسها، وفجر تشكيلها الصراع على السلطة بين الحركتين .

"أبو مصعب" شغل الحيز من الضوء الذي تسلط على حماس بعد دخولها المعترك السياسي الفلـسطيني، الذي بقيت ترفض التعاطي مع مفرداته، وتحديدا اتفاق أوسلو. وهو ما زاد من خصومه فـي الطـرف المقابل، حد أن أعلن غداة سيطرة حركته على القطاع الكشف عن "مخططات فاشلة لاغتياله". والقيـادي الراحل، الذي اعتقله جهاز المخابرات العسكرية الفلسطيني العام ١٩٩٥ على خلفية الانتماء الـسياسي لحركة حماس، ضمن حملة الاعتقالات الواسعة التي شنتها السلطة ضد حركتي حماس والجهاد الإسلامي إثر تبنيهما لسلسلة من العمليات الاستشهادية، واجه

انتقادات حادة لإدارته الصراع مع حركة فتح على السلطة، واتهم بالمسؤولية المباشرة على اعتقال المئات من كوادر الحركة. ربما كان ذلك سببا في تعاظم نفوذه داخل حركته، ما جعله ذراعا قوية لها، يجمع بين الحضور السياسي والأمني، تجلى ذلك بتدرجه في المناصب داخل الحركة، فعلى الصعيد لسياسي مثل حماس في لجنة المتابعة العليا للقوى الوطنية والإسلامية، وكان عضو القيادة السياسية، حيث تسلم دائرة العلاقات الخارجية .في الجانب الأمني بدا حضوره لافتاً لدى عناصر كتائب القسام، امتلك علاقات قوية داخل الجهاز الذي يفصل بين السياسي والعسكري، بيد أن صيام جمع بينهما إبان توليه منصب وزير الداخلية، ورئيس كتلة حماس في المجلس التشريعي بعد انهيار حكومة الوحدة الوطنية عاد صيام لتولي وزارة الداخلية في الحكومة ، حيث كان يشرف على ٣٠ ألف شرطي يتولون إدارة قطاع غزة منذ منتصف حزيران/ يونيو ٢٠٠٧ عندما بدأت تلوح نذر المواجهة المحتومة مع "إسرائيل" عاد من جديد إلى الواجهة، بجانبه الأمني، وإن صار أقل قياديي حماس ظهوراً على وسائل الإعلام .وتجنب ذلك تحديدا أثناء اشتداد العدوان، على نحو مغاير لقيادات أخرى، ربما بدا لذلك أن استهدافه أمر صعب للغاية، ليشكل اغتياله صدم كبيرة، خاصة لدى كتائب القسام، التي توثقت علاقتها به في السنوات الأخيرة، والتي أعلنت أن لحظة استشهاده "ستكون وقودا وزادا أمام مقاومتنا للاحتلال"

كشفت مصادر أمنية في إسرائيل أمس، قصة نجاحها في اغتيال سعيد صيام وزير الداخلية في حكومة حركة حماس في قطاع غزة أول من أمس، ويتضح منها، أن معلومات وصلت إليها حول استئجاره منزلا في حي الشيخ رضوان وعن قدومه لزيارته عند اغتياله .وقالت هذه المصادر، إنها لا تستطيع إعطاء تفاصيل كثيرة، حتى لا تكشف مصادر معلوماتها. ولكنها كشفت أن إياد صيام، شقيق سعيد، استأجر له بيتا في حي الشيخ رضوان قبل ٢٠ يوما من اغتياله. وان هدف استئجاره كان استخدامه للقاءاته السرية خلال الحرب. وقد تم إعداد البيت بسرية. ولكن سعيد لم يستخدمه. وعندما قرر استخدامه عرفت إسرائيل وبدأت ترصد المكان عن قرب. وحضر سعيد صيام ومعه ابنه محمد وشقيقه إياد من أجل لقاء مساعده الأمين، صلاح أبو شرخ، قائد جهاز الأمن الذي شكله صيام ذراعا أساسية لحكومة حماس. وما أن علمت المخابرات الإسرائيلية بأمر اللقاء حتى عممت الخبر طالبة أمرا قياديا بإجازة الاغتيال. فحصلت عليه وأعطيت الأوامر للطائرات الجاهزة في الجو، فألقت قذيفة زنتها طن فهدم البيت كله

وحفرت حفرة ضخمة في الأرض من جراء الانفجار

***

الطائرات والدبابات الإسرائيلية واصلت شن هجماتها المكثفة على مناطق مختلفة من قطاع غزة حتى ساعات صباح اليوم العشرين للعدوان ، يستخدم جيش الاحتلال القذائف المحشوة بالفوسفور الأبيض والتي تستخدم للتمويه على تحركات قواته بحيث تمنح ستاراً واقياً للجنود . "عدد من قذائف الدبابات الإسرائيلية سقط في داخل المقر الرئيسي للأونروا في غزة مما أدى إلى جرح ثلاثة موظفين ."وان حريقا كبيرا شب في مقر الأونروا وان هناك خوفا كبيرا من امتداد النيران إلى مئات آلاف اللترات من الوقود المخزنة والأمر الذي قد يؤدي إلى إحراق المقر بكامله وامتداده إلى أحياء أخرى". ويقع المقر الرئيسي لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الأونروا في حي الرمال الجنوبي في غرب مدينة غزة

قذائف دبابات الاحتلال الصهيوني استهدف في حي تل الهوى جنوب مدينة غزة مقر جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ومستشفى القدس التابع لها .
وقال مدير الخدمات الصحية في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، إن القصف طال مبنى الجمعية وخاصة الجزء الذي يضم مباني الإدارة، يحتوي على سبع طوابق، بالإضافة إلى المستشفى الذي يتواجد فيه أكثر من ٥٠٠ مريض وطاقمه الطبي، بالإضافة إلى عدد كبير من المتضامنين الأجانب .

وبين أبو مرزوق لإذاعة صوت القدس المحلية بغزة أن حركته نقلت ملاحظات على المبادرة المصرية تتعلق بالقوات الدولية بمسألة المعابر ومراقبة الحدود ومدة التهدئة، " كل هذه النقاط كان عليها ملاحظات نقلناها ونعبر عنها باسم الشعب الفلسطيني ."وأشار أبو مرزوق إلى أن حركته تريد وقفاً فورياً للنار وفتح المعابر وفك الحصار، مشدداً على أن أي اتفاق سيتجاوز هذه المحددات لن يتم .وفيما يتعلق بتعاطي الدول العربية مع العدوان الإسرائيلي المتواصل على غزة منذ تسعة عشر يوماً، قال أبو مرزوق :" واضح أن هناك دولاً تريد أن تعطي العدوان فرصة لتحقيق أهدافه، وهناك دول أخرى تريد وقفاً فورياً هذا العدوان ."

وأكد صلاح البردويل أن المبادرة المصرية هي المبادرة الوحيدة التي عرضت عليهم لوقف العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة .وأشار البردويل أحد أعضاء وفد حماس إلى القاهرة إلى أن حماس قدمت رؤية مفَصلة للقيادة المصرية"وأنه يوجد خلاف مع القيادة المصرية ولكن القضية الخلاف بشأن كيفية التعامل مع "العدو الصهيوني" من خلال فقرات هذه المبادرة ."وامتنع البردويل عن

الخوض في تفاصيل رد حماس على الخطة التي مـن شـأنها أن تنهـي العـدوان الإسرائيلي المتواصل منذ ١٩ يوما على قطاع غزة

العمليات العسكرية راوحت مكانها في ظـل تراجع عدد الغارات والهجمات التي شنتها قوات

الاحتلال الإسرائيلي في وقت لا تزال الشكوك تسيطر على الفلسطينيين بإمكان وقف الحرب الشاملة التـي تشن عليهم. ودارت اشتباكات بين مقاومين فلسطينيين وقوات الاحتلال على خطوط التماس المعروفة في شمال القطاع، عند بلدة بيت لاهيا، وشرق مخيم جباليا للاجئين، ومدينة غزة، وجنوب المدينة في حي الزيتون .كما واصلت الأجنحة المسلحة لفصائل المقاومة الفلسطينية اطلاق الصواريخ محلية الصنع ومن طراز »غراد» الروسي الصنع على مدن وبلدات إسرائيلية .وقالت قوات الاحتلال إنها قتلت فلسطينياً «مفخخاً» حاول تفجير نفسه في عدد من جنودها في شمال القطاع ، كما استشهد مقاتل آخر من «سرايا القدس» جراء قصف استهدفه أثناء قيادته دراجته النارية في مدينة خان يونس جنوب القطاع .وقال شهود إن اشتباكات عنيفة وقعت شرق حيي الشجاعية والتفاح شرق مدينة غزة، وحي الزيتون جنوبها، وفي منطقة العطاطرة جنوب غربي بلدة بيت لاهيا، وإلى الشرق من بلدة جباليا.

بعد ظهر الأحد الماضي فوجئ الأهالي الذين يقطنون الأحياء الغربية من مخيم النصيرات وسط القطاع، القريبة من شاطئ البحر بصوت هدير ضخم يقترب منهم، حاول الناس معرفة ما حدث، فوجدوا أن رتلاً من الدبابات الإسرائيلية من طراز «ميركفاه » التي تتمركز فوق موقع مستوطنة نيتساريم السابقة، تتجه على الطريق الساحلي صوب الطرف الجنوبي من المخيم، لكن ببطء ودون أن تطلق نارا، وعندما وصلت قبالة الفيلا التي كان يقيم فيها القيادي في حركة فتح محمد دحلان في المنطقة قفلت عائدة من حيث أتت، ثم ما لبثت أن عادت ثانية، وظلت تجيء وتروح وهكذا حتى حل المساء.

مصادر أمنية فلسطينية أكدت أن ما قامت به الدبابات الإسرائيلية يشكل مثالا لتكتيك الاستدراج الذي يتبعه الجيش في مواجهة مقاتلي المقاومة، مشيرة إلى أن هذا التكتيك نجح في السنوات الماضية في تصفية مئات المقاومين الفلسطينيين، حيث كان المقاومون يخرجون للعراء للتصدي للدبابات الإسرائيلية بمجرد أن يشعروا بأنها تقترب من التجمعات السكانية، فتنهال عليهم طائرات الاستطلاع دون طيار بالصواريخ. وتضيف المصادر أن الجيش الإسرائيلي هدف من استعراض الدبابات أمام المخيم الذي يضم

عشرات الآلاف إلى إغراء المقاومين للخروج للتصدي لها، في المناطق المفتوحة والمكشوفة قبالة البحر، ومن ثم يفسح المجال أمام طائرات الاستطلاع لاستهدافهم من الجو. أشارت المصادر إلى أن أحد أهم أهداف الحملة البرية الإسرائيلية على قطاع غزة هو استدراج المقاومين للمناطق المفتوحة بغية قتل أكبر عدد منهم، مؤكدة أن المقاومة تعلمت من أخطائها في الماضي وترفض «الانسياق للإغراء القاتل"

الإذاعة الإسرائيلية باللغة العبرية نقلت مصادر في قيادة المنطقة الجنوبية قولها إن هناك شعورا بخيبة الأمل يسود أوساط كبار الضباط في الجيش بسبب عدم استجابة المقاومين للاستدراج، مشيرة إلى أن المقاومين يرابطون في أنفاق وخنادق، وبين الأزقة في الأحياء السكنية، الأمر الذي يقلص قدرة طائرات الاستطلاع وطائرات الأباتشي على المس بهم. ويشير هؤلاء الضباط إلى أن الهدف من إطالة أمد الحملة البرية على القطاع هو السعي إلى استدراج المقاومين نحو المناطق المكشوفة، وذلك حتى يكون بالإمكان الإعلان عن جباية ثمن كبير من الفصائل الفلسطينية

قال جهاز الأمن العام الإسرائيلي الشاباك إن نحو ٥٦٥ صاروخا ٢٠٠ قذيفة هاون اطلقت علـى إسرائيل منذ بدء الحرب على غزة قبل ١٨ يوما.. وقالت الإحصائية إن ١٠ ٪ من الصواريخ كانت بعيدة المدى وصنفت أنها صواريخ غراد وان ١٢٧٢ إسرائيليا أصيبوا بجراح جراء سقوط الصواريخ منذ بداية الحرب. ووفقا للشاباك فان نحو ٥٧٠٠ صاروخا وقذيفة هاون اطلقت على إسرائيل منذ بداية العام ٢٠٠٥ وأن اكثر مـن ٢٠٠٠ صـاروخ سـقطت علـى البلـدات الإسرائيلية في عام ٢٠٠٨ .وأضاف تقرير الشاباك انه وخلال هدنة استمرت ستة اشهر بين إسرائيل وقطاع غزة التي انتهت في كانون الأول / ديسمبر، سقط نحو ٣٦١ صـاروخا ٣٠٣ قذيفـة هـاون اطلقت على إسرائيل . أي بمعدل صاروخ وقذيفة هاون في اليوم الواحد

وقال الدكتور مدير عام الإسعاف والطوارئ إن الطواقم الطبية الفلسطينية عثرت على ٢٣ شهيدا سقطوا أمس في منطقة تل الهوى جنوب مدينة غزة بعد انسحاب جيش الاحتلال من المنطقة، وان الطواقم الطبية ما زالت تبحث عن جثث في المنطقة، وقصفت قوات الاحتلال مشفى الأقصى في تل الهوى الذي يضم نحو ٣٠٠ مريض، ما أدى إلى احتراق أجزاء منه، حيث أطفئ الحريق دون وقوع خسائر بشرية . .

وفي داخل قطـاع غـزة قـال مسؤولون في المخابرات الإسرائيلية إن الجناح العسكري لحركة

حماس تعرض لبعض الأضرار البسيطة . ونقلت الصحيفة عن هؤلاء المسؤولين الاستخباراتيين الإسرائيليين الذين لم تفصح الصحيفة عن هويتهم قولهم حول مناقشة الأوضاع الداخلية للحرب إن حماس لا تزال قادرة على إطلاق ٢٠ إلى ٣٠ صاروخا يوميا بينها إلى ١٠ صواريخ مداها أطول من ٢٠ كيلومترا

حماس تقبل مقترحاً تركياً لنشر قوات مراقبة في غزة بشرط فتح المعابر وتشكيل لجان طوارئ على امتداد قطاع غزة لمعالجة قضايا الشعب الإنسانية والاجتماعية الناجمة عن هذ العدوان الوحشي، والقضايا التي تعزز صموده .. يتبع .

عجل بن لجيم الأحمق

من حمقه أنه قيل له: ما سميت فرسك؟ فقام إليه ففقأ إحدى عينيه وقال: سميته الأعور.

قال العنزي:

رمتني بنو عجلٍ بداء أبيهم **

وأي امرىءٍ في الناس أحمق من عجل

أليس أبوهم عار عين جواده **

فصارت به الأمثال تضرب بالجهل

ابن الجصاص

ودخل ابن الجصاص يوماً على ابن الفرات الوزير الخاقاني وفي يده بطيخة كافور، فأراد أن يعطيها الوزير ويبصق في دجلة، فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في دجلة، فارتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص وتحير وقال: والله العظيم لقد أخطأت وغلطت أردت أن أبصق في وجهك وأرمي البطيخة في دجلة. فقال له الوزير: كذلك فعلت يا جاهل. فغلط في الفعل وأخطأ في الاعتذار.

***

ونظر يوماً في المرآة فقال: اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وسودها يوم تسود وجوه.

***

ونظر يوماً في المرآة فقال لإنسان عنده: ترى لحيتي طالت؟ فقال له: المرآة في يدك. فقال: صدقت، ولكن الشاهد لا يرى ما لا يراه الغائب.

***

وذكر محمد بن أحمد الترمذي قال: كنت عند الزجاج أعزيه بأمه وعنده الخلق من الرؤساء والكتاب، إذ أقبل ابن الجصاص فدخل ضاحكاً وهو يقول: الحمد لله قد سرني والله يا أبا إسحاق، فدهش الزجاج ومن حضر، وقيل له: يا هذا، كيف سرك ما غمه وغمنا؟ فقال: ويحك، بلغني أنه هو الذي مات، فلما صح عندي أنها هي التي ماتت سرني ذلك. فضحك الناس جميعاً.

إبليس عند فرعون

قد ضرب الحكماء له مثلاً فقالوا: أدخل إبليس على فرعون فقال: من أنت؟ قال: إبليس، قال: ما جاء

بك؟ قال: جئت أنظر إليك فأعجب من جنونك، قال: وكيف؟ قال: أنا عاديت مخلوقاً مثلي، وامتنعت من السجود له، فطردت ولعنت، وأنت تدعي أنك أنت الإله! هذا والله الجنون البارد.

احفظ مكاني حتى أجيء

عن أبي العيناء قال: كان المدني في الصف من وراء الإمام، فذكر الإمام شيئاً فقطع الصلاة وقدم المدني ليؤمهم، فوقف طويلاً، فلما أعيا الناس سبحوا له وهو لا يتحرك فنحوه وقدموا غيره، فعاتبوه فقال: ظننته يقول لي: احفظ مكاني حتى أجيء.

الأعمش يصلي خلف إمام ثقيل

خرج الأعمش ذات يوم من منزله بسحر، فمر بمسجد بني أسد وقد أقام المؤذن الصلاة، فدخل يصلي، فافتتح الإمام الركعة الأولى بالبقرة ثم في الركعة الثانية آل عمران، فلما انصرف قال له الأعمش: أما تتقي الله، أما سمعت حديث رسول الله ﷺ : " من أم الناس فليخفف فإن خلفه الكبير والضعيف وذا الحاجة ". فقال الإمام قال الله ﷻ " وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين ". فقال الأعمش: أنا رسول الخاشعين إليك بأنك ثقيل.

طلق امرأته لوجه الله

وعن الأصمعي قال: خرج قوم من قريش إلى أرضهم وخرج معهم رجل من بني غفار، فأصابهم ريح عاصف يئسوا معها من الحياة ثم سلموا، فأعتق كل رجل منهم مملوكاً، فقال ذلك الأعرابي: اللهم لا مملوك لي أعتقه ولكن امرأتي طالق لوجهك ثلاثاً.

حيلة المعلم للإمساك بتلميذه

حدثنا محمد بن خلف قال: قال بعض المجان: مررت ببعض دور الملوك، فإذا أنا بمعلم خلف ستر قائم على أربعة ينبح نبح الكلاب، فنظرت إليه فإذا صبي خرج من خلف الستر، فقبض عليه المعلم، فقلت للمعلم: عرفني خبرك، قال: نعم، هذا صبي يبغض التأديب ويفر، ويدخل إلى الداخل ولا يخرج، وإذا طلبته بكى، وله كلب يلعب به فأنبح له فيظن أني كلبه ويخرج إليه فآخذه.

لماذا يضرب معلم غلمانه

قال: وقلت لمعلم: لم تضرب غلمانك من غير جرم؟ قال: جرمهم أعظم الأجرام، يدعون لي أن أحج، وإن حججت تفرقوا في المكاتب فمتى أحج أنا مجنون؟

انصرفوا اليوم أيها الصبيان

قال غلام للصبيان: هل لكم أن يفلتنا الشيخ اليوم؟ قالوا: نعم، قال: تعالوا لنشهد عليه أنه مريض، فجاء واحد منهم فقال: أراك ضعيفاً جداً وأظنك ستحم، فلو مضيت إلى منزلك واسترحت، فقال لأحدهم: يا فلان، يزعم فلان أني عليل، فقال: صدق والله وهل يخفى هذا على جميع الغلمان إن

سألتهم أخبروك، فسألهم فشهدوا، فقال لهم: انصرفوا اليوم وتعالوا غداً.

خوف الفضيحة

وَقَالَ الْمُؤلف أَيْضا بَلغنِي عَن عضد الدولة أَنه كَانَ فِي بعض أمرائه شَاب تركي وَكَانَ يقف عِنْد روزنة ينظر إِلَى امْرَأَة فِيهَا فَقَالَت الْمَرْأَة لزَوجهَا قد حرم عَليّ هَذَا التركي أَن أطلع فِي الروزنة فَإِنَّهُ طول النَّهَار ينظر إِلَيْهَا وَلَيْسَ فِيهَا أحد فَلَا يشك النَّاس أَن لي مَعَه حَدِيثا وَمَا أَدْرِي كَيفَ أصنع فَقَالَ زَوجهَا أكتبي إِلَيْهِ رقْعَة وَقَوْلِي فِيهَا لَا معنى لوقوفك فتعال إِلَيّ بعد الْعشَاء إِذا غفل النَّاس فِي الظلمَة فَإِنِّي خلف الْبَاب ثمَّ قَامَ وحفر حُفْرَة طَوِيلَة خلف الْبَاب ووقف لَهُ فَلَمَّا جَاءَ التركي فتح لَهُ الْبَاب فَدخل فَدفعهُ الرجل فَوَقع فِي الحفرة وطموا عَلَيْهِ وَبَقِي أَيَّامًا لَا يدْرِي مَا خَبره فَسَأَلَ عَنهُ عضد الدولة فَقيل لَهُ مَا لنا فِيهِ خبر فَمَا زَالَ يعْمل فكره إِلَى أَن بعث يطْلب مُؤذن الْمَسْجِد المجاور لتِلْك الدَّار فَأَخذه أخذا عنيفاً فِي الظَّاهِر ثمَّ قَالَ لَهُ هَذِه مائَة دِينَار خُذْهَا وامتثل مَا آمُرك إِذا رجعت إِلَى مسجدك فَإِذن اللَّيْلَة واقعد فِي الْمَسْجِد فَأول من يدْخل عَلَيْك ويسألك عَن سَبَب أنفاذي إِلَيْك فَأَعْلمنِي بِهِ فَقَالَ نعم فَفعل ذَلِك فَكَانَ أول من دخل ذَلِك الشَّيْخ فَقَالَ لَهُ قلبِي إِلَيْك ولأي شَيْء أَرَادَ مِنْك عضد الدولة فَقَالَ مَا أَرَادَ مني شَيْئا وَمَا كَانَ إِلَّا الْخَبَر فَلَمَّا أصبح أخبر عضد الدولة بِالْحَال فَبعث إِلَى الشَّيْخ فَأحْضرهُ ثمَّ قَالَ لَهُ مَا فعل التركي فَقَالَ صدقك لي امْرَأَة ستيرة مستحسنة كَانَ يراصدها وَيقف تَحت روزنتها فضجت من خوف الفضيحة بوقوفه فَفعلت بِهِ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ اذْهَبْ فِي دعة الله فَمَا سمع النَّاس وَلَا قُلْنَا .

عقاب قطاع السبيل

وَذكر مُحَمَّد بن عبد الْملك الْهَمدَانِي فِي تَارِيخه أَنه بلغ إِلَى عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطَّرِيق ويقيمون فِي جبال شاقة فَلَا يقدر عَلَيْهِم فاستدعى أحد التُّجَّار وَدفع إِلَيْهِ بغلاً عَلَيْهِ صندوقان فيهمَا حلوى قد شيبت بالسم وَأكْثر طيبها وَترك فِي الظروف الفاخرة وَأَعْطَاهُ دَنَانِير وَأمره أَن يسير مَعَ الْقَافِلَة وَيظْهر أَن هَذِه هَدِيَّة لإحدى نسَاء أُمَرَاء الْأَطْرَاف فَفعل التَّاجِر ذَلِك وَسَار أَمَام الْقَافِلَة فَنزل الْقَوْم وَأخذُوا الْأَمْتِعَة وَالْأَمْوَال وَانْفَرَدَ أحدهم بالبغل وَصعد بِهِ مَعَ جَمَاعَتهمْ إِلَى الْجَبَل وَبَقِي المسافرون عُرَاة فَلَمَّا فتح الصندوقين وجد الْحَلْوَى يضوع طيبها ويدهش منظرها ويعجب رِيحهَا وَعلم أَنه لَا يُمكنهُ الاستبداد بهَا فَدَعَا أَصْحَابه فَرَأَوْا مَا لم يروه أبدا قبل ذَلِك فأمعنوا فِي الْأكل عقيب مجاعَة فانقلبوا فهلكوا عَن آخِرهم فبادر التُّجَّار إِلَى أَخذ أَمْوَالهم وأمتعتهم وسلاحهم واستردوا الْمَأْخُوذ عَن آخِره فَلم أسمع

بِأَعْجَب من هَذِه المكيدة محت أثر العاتين وحصدت شَوْكَة المفسدين .

الوشاح الاحمر

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ وَلِيدَةً كَانَتْ سَوْدَاءَ لِحَيٍّ مِنَ العَرَبِ، فَأَعْتَقُوهَا، فَكَانَتْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ لَهُمْ عَلَيْهَا وِشَاحٌ أَحْمَرُ مِنْ سُيُورٍ، قَالَتْ: فَوَضَعَتْهُ - أَوْ وَقَعَ مِنْهَا - فَمَرَّتْ بِهِ حُدَيَّاةٌ وَهُوَ مُلْقًى، فَحَسِبَتْهُ لَحْمًا فَخَطِفَتْهُ، قَالَتْ: فَالْتَمَسُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، قَالَتْ: فَاتَّهَمُونِي بِهِ، قَالَتْ: فَطَفِقُوا يُفَتِّشُونَ حَتَّى فَتَّشُوا قُبُلَهَا، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَقَائِمَةٌ مَعَهُمْ، إِذْ مَرَّتِ الحُدَيَّاةُ فَأَلْقَتْهُ، قَالَتْ: فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ، قَالَتْ: فَقُلْتُ هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ، زَعَمْتُمْ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَهُوَ ذَا هُوَ، قَالَتْ: «فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَتْ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَكَانَ لَهَا خِبَاءٌ فِي المَسْجِدِ - أَوْ حِفْشٌ -» قَالَتْ: فَكَانَتْ تَأْتِينِي فَتَحَدَّثُ عِنْدِي، قَالَتْ: فَلاَ تَجْلِسُ عِنْدِي مَجْلِسًا، إِلَّا قَالَتْ:

وَيَوْمَ الوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ رَبِّنَا *** أَلاَ إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الكُفْرِ أَنْجَانِي

مالك بن دينار واللص

قِيْلَ: دَخَلَ عَلَيْهِ لِصٌّ، فَمَا وَجَدَ مَا يَأْخُذُ، فَنَادَاهُ مَالِكٌ: لَمْ تَجِدْ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَتَرغَبُ فِي شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: تَوَضَّأْ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ.

فَفَعَلَ، ثُمَّ جَلَسَ، وَخَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، فَسُئِلَ: مَنْ ذَا؟

قَالَ: جَاءَ لِيَسرِقَ، فَسَرَقْنَاهُ.

عمر والعجوز المدينية

قيل: لما رجع عمر، رضي الله عنه، من الشام إلى المدينة، انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته، فمر بعجوز في خباء لها فقصدها.

فقالت: ما فعل عمر رضي الله عنه؟ قال: قد أقبل من الشام سالماً.

فقالت: يا هذا! لا جزاه الله خيراً عني! وقال: ولِمَ؟

قالت: لأنه ما أنالني من عطائه منذ ولي أمر المسلمين ديناراً ولا درهماً.

فقال: وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع؟ فقالت: سبحان الله! والله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس، ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها.

فبكى عمر رضي الله عنه، وقال: وا عمراه، كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر.

ثم قال لها: يا أمة الله! بكم تبيعيني ظلامتك من عمر، فإني أرحمه من النار؟ فقالت: لا تهزأ بنا، يرحمك الله. فقال عمر: لست أهزأ بك.

ولم يزل حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً.

فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت: وا سوأتاه! شتمت أمير المؤمنين في وجهه! فقال لها عمر رضي الله عنه: لا بأس عليك، يرحمك الله، ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة إلى يوم كذا، بخمسة وعشرين ديناراً. فما تدعي عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر بريء منه، شهد على ذلك علي وابن مسعود.

ثم دفعها إلى ولده وقال له: إذا أنا مت فاجعلها في كفني ألقى بها ربي.

قرية البخل

عن الأصمعي، قَالَ: " أبخل أهل خراسان أهل طوس، وكانت قرية من قراها قد شهر أهلها بالبخل، وكانوا لا يقرون ضيفا، فبلغ ذلك واليا من ولاتهم، ففرض عليهم قرى الضيف، وأمرهم أن يضرب كل رجل منهم وتدا في المسجد الذي يصلي فيه، وقال: إذا نزل ضيف فعلى أي وتد علق سوطا أو ثوبا فقراه على صاحب الوتد، وكان فيهم رجل مفرط البخل، فعمد إلى عود صلب، فملسه وحدده وصيره في زاوية المسجد، ووتده منصوبا ليزل عنه ما علق عليه، فدخل المسجد ضيف، فقال في نفسه: أن يكون هذا الوتد لأبخل القوم، وإنما فعل هذا هربا من الضيافة.

فعمد إلى عمامته، فعقدها على ذلك الوتد عقدا شديدا، فثبتت، وصاحب الوتد ينظر إليه قد سقط في يديه، فجاء إلى امرأته مغتما، فقالت: ما شأنك؟ فقال: البلاء الذي كنا نحيد عنه، قد جاء الضيف ففعل كذا وكذا.

فقالت: ليس لنا حيلة إلا الصبر، واستعانة اللهَّ عليه.

وجعلت تعزيه، واجتمع بناته وجيرانه متحزنين لما حل به، وكان أمر الضيف عندهم عظيما، فعمد إلى شاة فذبحها، وإلى دجاجة فاشتواها، وإلى جفنة فملأها ثريدا ولحما، فجعلت امرأته وبناته وجاراته يتطلعن من فروج الأبواب والسطوح

إلى الضيف وأكله، وجعلوا يتبادرون: قد جاء الضيف، ويلكم، قد جاء الضيف.

فتناول الضيف عرقا من ذلك اللحم ورغيفا، فأكله ومسح يده وحمد اللهَّ عز وجل، وقال: ارفعوا، بارك اللهَّ عليكم! فقال صاحب البيت: كل يا عبد اللهَّ! واستوف عشاءك، فقد تكلفنا لك.

قَالَ: قد اكتفيت.

فقال: هكذا أكل الضيف مثل أكل الناس لا غير؟

قَالَ: نعم.

قَالَ: ما ظننت إلا أنك تأكل جميع ما عملناه وتدعو بغيره.

فكان ذلك الرجل بعد ذلك لا يمر به ضيف إلا قراه

راعي الذمم

وروي عن الحسن بن الحصين. قال: لما أفضت الخلافة إلى بني العباس كان من جملة من اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك فلم يزل مختفياً إلى أن أضناه وأضجره الاختفاء، فأخذ له أمان من السفاح، فقال له: لقد مكثت زماناً طويلاً مختفياً فحدثني بأعجب ما رأيت في اختفائك، فإنها كانت أيام تكدير. فقال: يا أمير المؤمنين، وهل سمع بأعجب من حديثي؟ لقد كنت مختفياً في منزل أنظر منه إلى البطحاء فبينما أنا على مثل ذلك، وإذا بأعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في ذهني أنها خرجت تطلبني، فخرجت متنكراً حتى أتيت الكوفة من غير الطريق، وأنا والله متحير، ولا أعرف بها أحداً، وإذا أنا بباب كبير في رحبة منيعة. فدخلت في تلك الرحبة فوقفت قريباً من الدار، وإذا برجل حسن الهيئة، وهو راكب فرساً ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه، فدخل الرحبة

فرآني واقفاً مرتاباً فقال لي: ألك حاجة؟ قلت: غريب خائف من القتل.

قال: ادخل فدخلت إلى حجرة في داره، فقال: هذه لك، وهيأ لي ما أحتاج إليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب، وأقمت عنده ووالله ما سألني قط من أنا، ولا ممن أخاف؟ وهو في أثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود تعباً متأسفاً كأنه يطلب شيئاً فاته ولم يجده، فقلت له يوماً: أراك تركب في كل يوم وتعود تعباً متأسفاً كأنك تطلب شيئاً فاتك؟ فقال لي: إن إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل أبي وقد بلغني أنه مختف من السفاح، وأنا أطلبه لعلي أجده وآخذ بثأري منه.

فتعجبت والله يا أمير المؤمنين من هربي وشؤم بختي الذي ساقني إلى منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثأره مني. فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالني من الشدة، فسألت الرجل عن اسم أبيه وعن سبب قتله، فعرفني الخبر فوجدته صحيحاً، فقلت: يا هذا قد وجب علي حقك، وأن من حقك أن أدلك على قاتل أبيك واقرب إليك الخطوة وأسهل عليك ما بعد. فقال: أتعلم أين هو؟ قلت: نعم.

فقال: أين هو؟ فقلت: والله هو أنا فخذ بثأرك مني.

فقال لي: أظن أن الاختفاء أضناك فكرهت الحياة.

قلت: نعم والله أنا قتلته يوم كذا وكذا.

فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه إلي وقال لي: أما أبي فسيلقاك غداً يوم القيامة فيحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية، وأما أنا فلست مخفراً ذمتي ولا مضيعاً نزيلي، أخرج عني فإني لا آمن من نفسي

عليك بعد هذا اليوم.

ثم وثب يا أمير المؤمنين إلى صندوق فأخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار وقال: خذ هذه واستعن بها على اختفائك.

فكرهت أخذها وخرجت من عنده وهو أكرم رجل رأيت. فبقي السفاح يهتز طرباً ويتعجب.

الملك والمرأة العفيفة

وذكر بعض أهل التواريخ أن ملكاً من الملوك خرج يدور في ملكه، فوصل إلى قرية عظيمة، فدخلها منفرداً، فأخذه العطش، فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء، فخرجت إليه امرأة جميلة بكوز ماء وناولته إياه، فلما نظر لها افتتن بها، فراودها عن نفسها، وكانت المرأة عارفة به، فعلمت أنها لا تقدر على الامتناع منه، فدخلت وأخرجت له كتابً، وقالت له: انظر في هذا الكتاب حتى أصلح من أمري ما تحب وأعود. فأخذ الملك الكتاب ونظر فيه، وإذا فيه الزجر عن الزنا وما

أعد الله تعالى لفاعله من العذاب الأليم، فاقشعر جلده ونوى التوبة، وصاح بالمرأة، وأعطاها الكتاب ومر ذاهباً. وكان زوج المرأة غائباً، فلما حضر أخبرته الخبر، فتحير في نفسه وخاف أن يكون قد وقع غرض الملك فيها ، فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك، ومكث على ذلك مدة، فأعلمت المرأة أقاربها بحالها مع زوجها، فرفعوه إلى الملك،

فلما مثل بين يدي الملك قال أقارب المرأة: أعز الله مولانا الملك، إن هذا الرجل قد استأجر منا أرضاً للزراعة، فزرعها مدة، ثم عطلها فلا هو يزرعها، ولا هو يتركها لنؤجرها لمن هو يزرعها، وقد حصل الضرر للأرض، ونخاف فسادها بسبب التعطيل لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت.

فقال الملك لزوج المرأة: ما يمنعك من زرع أرضك؟ فقال: أعز الله مولانا الملك، إنه قد بلغني أن الأسد قد دخل أرضي، وقد رهبته ولم أقدر على الدنو منه لعلمي أنه لا طاقة لي بالأسد.

ففهم الملك القصة فقال: يا هذا إن أرضك طيبة صالحة للزراعة، فازرعها بارك الله لك فيها، فإن الأسد لن يعود إليها، ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفها.

ادعياء النبوة

* قال أبو الطيب اليزيدي: أخذ رجل ادعى النبوة في أيام المهدي، فأدخل عليه، فقال له: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: وإلى من بعثت؟ قال: أو تركتموني أذهب إلى أحد؟ ساعة بعثت ثقفتموني في السجن، فضحك المهدي وخلى سبيله.

* وقال خلف بن خليفة: إني لجالس في مجلس عبد الله بن حازم ببغداد، وإذا بجماعة قد أحاطوا برجل ادعى النبوة، فقال له عبد الله بن حازم: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: فإلى من بعثت؟ قال: إلى الشيطان

الرجيم، فضحك عبد الله، وقال: دعوه يذهب إلى الشيطان الرجيم.

* وأتي المأمون برجل يدعي النبوة، فقال له: ألك علامة؟ قال: نعم، علامتي أن

أعلم ما في نفسك، قال: قربت علي، فما في نفسي؟ قال: في نفسك أني كذاب، قال: صدقت، وأمر به إلى السجن، فأقام فيه أياماً ثم أخرجه، فقال: أوحي إليك شيء؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: الملائكة لا تدخل السجن، فأمر بإطلاقه.

فطنة عمرو بن العاص

ابن الكلبي قال: لما فتح عمرو بن العاص قيساريّة سار حتى نزل غزّة، فبعث إليه علجها : أن ابعث إليّ رجلا من أصحابك أكلّمه. ففكّر عمرو وقال: ما لهذا أحد غيري. قال: فخرج حتى دخل على العلج فكلمه فسمع كلاما لم يسمع قطّ مثله.

فقال العلج: حدّثني: هل في أصحابك أحد مثلك؟ قال لا تسأل عن هذا، إني هيّن عليهم إذ بعثوا بي إليك وعرّضوني لما عرّضوني له، ولا يدرون ما تصنع بي. قال: فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب: إذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ما معه.

فخرج من عنده فمرّ برجل من نصارى غسّان فعرفه؛ فقال: يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج. ففطن عمرو لما أراده، فرجع. فقال له الملك: ما ردّك إلينا؟ قال: نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يسع بني عمي، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية، فيكون معروفك عند عشرة خيرا من أن يكون عند واحد. فقال: صدقت. أعجل بهم. وبعث إلى البواب أن خلّ سبيله. فخرج عمرو وهو يلتفت، حتى إذا أمن قال: لا عدت لمثلها أبدا. فلما صالحه عمرو

ودخل عليه العلج قال له: أنت هو؟ قال: نعم، على ما كان من غدرك.

الكنز والسياح

كان في غابر الزمان ثلاثة سائرين فوجدوا كنزاً فقالوا: قد جعنا فليمض واحد منا وليبتع لنا طعاماً. فمضى ليأتيهم بطعام فقال: الصواب أن أجعل لهما في الطعام سماً قاتلاً ليأكلاه فيموتا وانفرد أنا بالكنز دونهما. ففعل ذلك وسم الطعام. واتفق الرجلان الآخران أنهما إذا وصل إليهما بالطعام قتلاه وانفردا بالكنز دونه. فلما وصل إليهما بالطعام المسموم قتلاه وأكلا من الطعام فماتا.

فاجتاز بعض الحكماء بذلك المكان فقال لأصحابه: هذه الدنيا. فانظروا كيف قتلت هؤلاء الثلاثة وبقيت بعدهم. ويل لطلاب الدنيا من الديان (للغزالي)

الإيثار

من عجائب ما ذكر في الإيثار ما حكاه أبو محمد الأزدي. قال: لما احترق المسجد بمرو ظن المسلمون

أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم. فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات. وكتب رقاعاً فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها. فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال: والله ما كنت أبالي لولا أم لي. وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له: في رقعتي الجلد وليس لي أم. فخذ أنت رقعتي وأعطني رقعتك. ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل (للطرطوشي)

صلاح الدين والمرأة المفقودة الولد

كان صلاح الدين إماماً كاملاً لم يَلِ مصر بعد الصحابة مثله لا قبله ولا بعده. وكان رقيق القلب جداً والناس يأمنون ظلمه لعدله. ومن صنائعه ما أخبر العماد قال: قد كان للمسلمين لصوص يدخلون ليلاً خيام الفرنج فيسرقون. فاتفق أن بعضهم أخذ صبياً رضيعاً من مهده ابن ثلاثة أشهر. فوجدت أمه عليه وجداً شديداً واشتكت إلى ملوكهم. فقالوا لها: إن سلطان المسلمين رحيم القلب فاذهبي إليه. فجاءت إلى السلطان صلاح الدين. فبكت وشكت أمر ولدها. فرق لها رقة شديدة ودمعت عيناه. فأمر بإحضار ولدها فإذا هو بيع في السوق. فرسم بدفع ثمنه إلى المشتري. ولم يزل واقفاً حتى جيء بالغلام فدفعه إلى أمه وحملها على فرسٍ إلى قومها مكرمة (حسن المحاضرة في أخبار القاهرة للسيوطي)

حكاية أدهم

يذكر أن أدهم مر ذات يوم ببساتين مدينة بخارى ، وتوضأ من بعض الأنهار التي تخللها فإذا بتفاحة يحملها ماء النهر فقال: هذه لا خطر لها. فأكلها ثم وقع في خاطره من ذلك وسواس فعزم على أن يستحل من صاحب البستان. فقرع باب البستان فخرجت إليه جارية فقال لها: ادعي لي صاحب المنزل. فقالت: إنه لامرأة فقال: استأذني عليها. ففعلت. فأخبر المرأة بخبر التفاحة فقالت له: إن هذا البستان نصفه لي ونصفه للسلطان والسلطان يومئذ ببلخ وهي مسير عشر من بخارى . وأحلته المرأة من نصفها. وذهب إلى بلخ فاعترضه السلطان في موكبه فأخبره الخبر واستحله. فانذهل السلطان من أمره وأعطاه ألف دينار (لابن بطوطة)

الحاج والعجوز

يقال إنه انقطع رجل من قافلة الحج وغلط الطريق ووقع في الرمل. فجعل يسير إلى أن وصل إلى خيمة فرأى في الخيمة امرأةً عجوزاً وعلى باب الخيمة كلباً نائماً. فسلم الحاج على العجوز وطلب منها طعاماً. فقالت العجوز: امض إلى ذلك الوادي. واصطد من الحيات بقدر كفايتك لأشوي لك منها وأطعمك. فقال الرجل: أنا لا أجسر أن أصطاد الحيات. فقالت العجوز: أنا أصطاد معك فلا

تخف. فمضيا وتبعهما الكلب فأخذا من الحيات بقدر حاجتهما. فأتت العجوز وجعلت تشوي الحيات فلم ير الحاج بداً من الأكل وخاف أن يموت من الجوع والهزال فأكل. ثم إنه عطش فطلب منها الماء فقالت: دونك العين فاشرب. فمضى إلى العين فوجد الماء مراً مالحاً ولم يجد من شربه بداً. فشرب وعاد إلى العجوز وقال: أعجب منك أيتها العجوز ومن مقامك في هذا المكان واغتذائك بهذا الطعام. فقالت العجوز: كيف تكون بلادكم. فقال: في بلادنا الدور الرحبة الواسعة والفواكه اليانعة والمياه العذبة والأطعمة الطيبة واللحوم السمينة والنعم الكثيرة والعيون الغزيرة. فقالت العجوز: قد سمعت هذا كله فقل لي هل تكونون تحت يدي سلطان يجور عليكم وإذا كان لكم ذنب أخذ أموالكم واستأصل أحوالكم وأخرجكم من بيوتكم وأملاككم. فقال: قد يكون ذلك. فقالت: إذا يعود ذلك الطعام اللطيف. والعيش الظريف. والحلوى العجيبة مع الجور والظلم سماً ناقعاً. وتعود أطعمتنا مع الأمن ترياقاً نافعاً. أما سمعت أن أجل النعم بعد نعمة الهدى الصحة والأمن (للغزالي)

طعنة خنجر

أخبرني أبو الفضل المعتز بمصر قال: كان بمصر ملوك آل حمدان. وكان الرئيس ناصر الدولة. وكان يشكو دملة فأعيا الأطباء ولم يجد له شفاء. ثم إن السلطان دس على قتله فأرصد له رجلاً معه خنجر. فلما جاء في بعض دهاليز القصر وثب عليه الرجل وضربه بالخنجر. فجاءت الضربة أسفل من خاصرته فأصاب طرف الخنجر الدملة. فخرج ما فيها من الخلط ثم عافاه الله تعالى وصح وبرئ كأحسن ما كان (للطرطوشي)

الطبيب والميت

حدث بعض الشاميين أن رجلاً خبازاً بينما هو يخبز في تنوره بمدينة دمشق إذ عبر عليه رجل يبيع المشمش. (قال) فاشترى منه وجعل يأكله بالخبز الحار. فلما فرغ سقط مغشياً عيه فنظروه فإذا هو ميت. فجعلوا يتربصون به ويحملون إليه الأطباء فيلتمسون دلائله ومواضع الحياة منه فقضوا بأنه ميت. فغسل وكفن وحمل إلى الجبانة. فلما خرجوا به من باب المدينة استقبلهم رجل طبيب يقال له اليبرودي وكان طبيباً ماهراً حاذقاً بالطب فسمع الناس يلهجون بقصته فقال لهم: حطوه حتى أبصره. فحطوه وجعل يقلبه وينظر في أمارات الحياة التي يعرفها. ثم فتح فمه وسقاه شيئاً وإذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم عاد كما كان إلى دكانه .

فَعمل اللُّصُوص فِي أَيَّامه

قَالَ الواثقي كَانَ جدي يتقلد شرطة بَغْدَاد للمكتفي بِاللهِ فَعمل اللُّصُوص فِي أَيَّامه عملة عَظِيمَة فَاجْتمع

التُّجَّار وتظلموا إِلَى المكتفي بِاللهَّ فألزمه بإحضار اللُّصُوص أَو غَرَامَة المَال فتحير حَتَّى كَانَ يركب وَحده وَيَطوف بِاللَّيْلِ وَالنَّهَار إِلَى أَن اجتاز يَوْمًا فِي زقاق خَال فِي بعض أَطْرَاف بَغْدَاد فدخله فَوجدَ فِيهِ مُنْكرا وَوجد فِيهِ زقاقاً لَا ينفذ فدخله فَرَأى على بعض أَبْوَاب دور الزقاق شوك سَمَكَة كَبِيرَة وَعظم الصلب وَتَقْدِير ذَاك أَن تكون السَّمَكَة فِيهَا مائَة وَعِشْرُونَ رطلا فَقَالَ لوَاحِد من أَصْحَاب المسالخ وَيحك مَا ترى عِظَام هَذِه السَّمَكَة كم تقدر ثمنهَا قَالَ دِينَار فَقَالَ أهل هَذَا الزقاق لَا تحمل أَحْوَالهم شِرَاء مثل هَذِه السَّمَكَة لِأَنَّهُ زقاق بَين الاحتلال إِلَى جَانب الصَّحرَاء لَا ينزله من مَعَه شَيْء يخافه أَو لَهُ مَال ينْفق مِنْهُ مثل هَذِه النَّفَقَة وَمَا هِيَ إِلَّا بلية يجب أَن يكْشف عَنْهَا فاستبعد الرجل هَذَا وَقَالَ هَذَا فكر بعيد فَقَالَ اطْلُبُوا امْرَأَة من الدَّرْب أكلمها فدق بَابا غير الْبَاب الَّذِي عَلَيْهِ الشوك واستسقى مَاء فَخرجت عَجُوز ضَعِيفَة فَمَا زَالَ يطْلب شربة بعد شربة وَهِي تسقيهم والواثقي فِي خلال ذَلِك يسْأَل عَن الدَّرْب وَأَهله وَهِي تخبره غير عارفة بعواقب ذَلِك إِلَى أَن قَالَ لَهَا فَهَذِهِ الدَّار من يسكنهَا وَأَوْمَأَ إِلَى الَّتِي عَلَيْهَا عِظَام السّمك فَقَالَت وَالله مَا نَدْرِي على الْحَقِيقَة من سكانها إِلَّا أَن فِيهَا خَمْسَة شباب أعفار كَأَنَّهُمْ تجار قد نزلُوا مُنْذُ شهر لَا نراهم يخرجُون نَهَارا إِلَّا كل مُدَّة طَوِيلَة وَأَنا نرى الْوَاحِد مِنْهُم يخرج فِي الْحَاجة وَيعود سَرِيعا وهم طول النَّهَار يَجْتَمعُونَ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ ويلعبون بالشطرنج والنرد وَلَهُم صبي يخدمهم وَإِذا كَانَ اللَّيْل انصرفوا إِلَى دَار لَهُم فِي الكرخ وَيدعونَ الصَّبِي فِي الدَّار يحفظها فَإِذا كَانَ سحرًا بلَيْل جاؤوا وَنحن نيام لَا نعقل بهم وَقت مجيئهم قَالَ فَقطع الْوَالِي استسقاء المَاء وَدخلت الْعَجُوز وَقَالَ للرجل هَذِه صفة لصوص أم لَا فَقَالَ توكلوا بحوالي الدَّار ودعوني على بَابهَا قَالَ وأنفذ فِي الْحَال واستدعى عشرَة من الرِّجَال وأدخلهم إِلَى سطوح الْجِيرَان ودق هُوَ الْبَاب فجَاء الصَّبِي فَفتح فَدخل وَالرِّجَال مَعَه فَمَا فاتهم من الْقَوْم أحد وَحملهمْ إِلَى مجْلِس الشرطة وقررهم فَكَانُوا هم أَصْحَاب الْخِيَانَة بِعَينهَا ودلوا على بَاقِي أَصْحَابهم فَتَبِعهُمْ الواثقي وَكَانَ يفتخر بِهَذِهِ الْقِصَّة

جَاءَت امْرَأَة إِلَى عمر

حَدثنَا الشّعبِيّ قَالَ جَاءَت امْرَأَة إِلَى عمر بن الْخطاب رضى الله عَنهُ فَقَالَت أَشْكُو إِلَيْك خير أهل الدُّنْيَا إِلَّا رجل سبقه بِعَمَل أَو عمل مثل عمله يقوم اللَّيْل حَتَّى يصبح ويصوم النَّهَار حَتَّى يُمْسِي ثمَّ أَخذهَا الْحيَاء فَقَالَت أَقلنِي يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ فَقَالَ جَزَاك الله خيرا فقد أَحْسَنت الثَّنَاء قد أقلتك . فَلَمَّا ولت قَالَ كَعْب بن سور يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ لقد أبلغت إِلَيْك فِي الشكوى فَقَالَ مَا اشتكت قَالَ زَوجهَا قَالَ عَليّ بِالْمَرْأَةِ وَزوجهَا فجيء بهما فَقَالَ لكعب اقْضِ

بَينهمَا قَالَ أأقضي وَأَنت شَاهد قَالَ أَنَّك قد فطنت مَا لم أفطن إِلَيْهِ قَالَ فَإِن الله يَقُول {فانكحوا مَا طَابَ لكم من النِّسَاء مثنى وَثَلَاث وَربَاع} صم ثَلَاثَة أَيَّام وَأَفْطر عِنْدهَا يَوْمًا وقم ثَلَاث لَيَال وَبت عِنْدهَا لَيْلَة فَقَالَ عمر لهَذَا أعجب إِلَيّ من الأول فرحله بِدَابَّة وَبَعثه قَاضِيا لأهل الْبَصْرَة .

ثَلَاث نسْوَة

أَحْمد الْعجلِيّ قَالَ دخل عَلى إِيَاس بن مُعَاوِيَة ثَلَاث نسْوَة فَقَالَ أما وَاحِدَة فمرضع وَالْأُخْرَى بكر وَالثَّالِثَة ثيب فَقيل لَهُ بِمَ علمت قَالَ أما الْمُرْضع فَإِنَّهَا لما قعدت أَمْسَكت ثديها بِيَدِهَا وَأما الْبكر فَلَمَّا دخلت لم تلْتَفت إِلَى أحد وَأما الثّيّب فَلَمَّا دخلت رمقت بِعَينهَا يَمِينا وَشمَالًا

شيء فِي الجراب

وبلغنا عَن المعتضد بِاللَّه أَن خَادِمًا من خدمه جَاءَ يَوْمًا فَأخْبرهُ أَنه كَانَ قَائِما على شاطئ الدجلة فِي دَار الْخَلِيفَة فَرَأى صياداً وَقد طرح شبكته فثقلَتْ بِشَيْء فجذبها فأخرجها فَإِذا فِيهَا جراب وَأَنه قدره مَالا فَأَخذه وفتحه فَإِذا فِيهِ آجر وَبَين الْآجر كف مخضوبة بحناء قَالَ فأحضر الجراب والكف وَالْأَجْر فهال المعتضد ذَلِك وَقَالَ قل للصياد يعاود طرح الشبكة فَوق الْموضع وأسفله وَمَا قاربه قَالَ فَفعل فَخرج جراب آخر فِيهِ رجل قَالَ فطلبوا فَلم يخرج شَيْء آخر فَاغْتَمَّ المعتضد فَقَالَ معي فِي الْبَلَد من يقتل إِنْسَانا وَيقطع أعضاؤه ويفرقه وَلَا أعرف بِهِ مَا هَذَا ملك قَالَ وَأقَام يَوْمه كُله مَا طعم طَعَاما فَلَمَّا كَانَ من الْغَد أحضر ثِقَة لَهُ وَأَعْطَاهُ الجراب فَارغًا وَقَالَ لَهُ طف بِهِ على كل من يعْمل الجرب بِبَغْدَاد فَإِن عرفه مِنْهُم رجل فسله على من بَاعه فَإِذا دلك عَلَيْهِ فسل الْمُشْتَرِي من اشْتَرَاهُ مِنْهُ وَلَا تقر على خَبره أحدا قَالَ فغَاب الرجل وجاءه بعد ثَلَاثَة أَيَّام فَزعم أَنه لم يزل يتطلب فِي الدباغين وَأَصْحَاب الجرب إِلَى أَن عرف صانعه وَسَأَلَ عَنهُ فَذكر أَنه بَاعه على عطار بسوق يحيى وَأَنه مضى إِلَى الْعَطَّار وَعرضه عَلَيْهِ فَقَالَ وَيحك كَيفَ وَقع هَذَا الجراب فِي يدك فَقلت أَو تعرفه قَالَ نعم اشْترى مني فلَان الْهَاشِمِي مُنْذُ ثَلَاثَة أَيَّام عشرَة جرب لَا أَدْرِي لأي شَيْء أرادها وَهَذَا مِنْهَا فَقلت لَهُ وَمن فلَان الْهَاشِمِي فَقَالَ رجل من ولد على بن ريطه من ولد الْمهْدي يُقَال لَهُ فلَان عَظِيم إِلَّا أَنه شَرّ النَّاس وأظلمهم وأفسدهم لحرم الْمُسلمين وأشدهم تشوقاً إِلَى مكايدهم وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا من يُنْهِي خَبره إِلَى المعتضد خوفًا من شَره ولفرط تمكنه من الدولة وَالْمَال وَلم يزل يحدثني وَأَنا أسمع أَحَادِيث لَهُ قبيحة إِلَى أَن قَالَ فحسبك أَنه كَانَ يعشق مُنْذُ سِنِين فُلَانَة الْمُغنيَة جَارِيَة فُلَانَة الْمُغنيَة وَكَانَت كالدينار المنقوش وكالقمر الطالع فِي غَايَة حسن الْغناء فساوم مولاتها فِيهَا فَلم تقاربه فَلَمَّا كَانَ مُنْذُ أَيَّام بلغه أَن سيدتها تُرِيدُ بيعهَا على مُشْتَر قد

حضر بذل فِيهَا أُلُوف دَنَانِير فَوجه إِلَيْهَا لَا أقل من أَن تنفذيها إِلَى لتودعني فأنفذتها إِلَيْهِ بعد أَن أنفذ إِلَيْهَا حذرها لثَلَاثَة أَيَّام فَلَمَّا انْقَضتْ الْأَيَّام الثَّلَاثَة غصبهَا عَلَيْهَا وغيبها عَنْهَا فَمَا يعرف لَهَا خبر وَادّعى أَنَّهَا هربت من دَاره وَقَالَت الْجِيرَان أَنه قَتلهَا وَقَالَ قوم لَا بل هِيَ عِنْده وَقد أَقَامَت سيدتها عَلَيْهَا المأتم وَجَاءَت وصاحت على بَابه وسودت وَجههَا فَلم ينفعها شَيْء فَلَمَّا سمع المعتضد سجد شكرا الله تَعَالَى على انكشاف الْأَمر لَهُ وَبعث فِي الْحَال من كبس على الْهَاشِمِي وأحضر الْمُغنيَة وَأخرج الْيَد وَالرجل إِلَى الْهَاشِمِي فَلَمَّا رآهما انتقع لَونه وأيقن بِالْهَلَاكِ واعترف فَأمر المعتضد بِدفع ثمن الْجَارِيَة إِلَى مولاتها من بَيت المَال وصرفها ثمَّ حبس الْهَاشِمِي فَيُقَال أَنه قَتله وَيُقَال مَاتَ فِي الْحَبْس .

الحجاج والفتية

أمر الحجاج صاحب حرسه أن يطوف بالليل فمن رآه بعد العشاء سكران ضرب عنقه. فطاف ليلة من الليالي فوجد ثلاثة فتيان يتميلون وعليهم أمارات السكر. فأحاطت بهم الغلمان. وقال لهم صاحب الحرس: من أنتم خالفتم أمر أمير المؤمنين وخرجتم في مثل هذا الوقت. فقال احدهم:

أنا من دانت الرقاب له **

ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه بالرغم وهي صاغرة **

يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عنه وقال: لعله من أقارب أمير المؤمنين.

ثم قال للآخر: وأنت من تكون. فقال:

أنا ابن من لا تنزل الدهر قدره **

وإن نزلت يوماً فسوف تعود

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء النار **

فمنهم قيام حولها وقعود

فأمسك عنه وقال: لعله ابن أشرف العرب. ثم قال للآخر: وأنت من تكون. فأنشد على البديهة:

أنا ابن من خاض الصفوف بعزمه ** وقومها بالسيف حتى استقامت

وركباه لا نفك رجلاه منهما *** * إذا الخيل في يوم الكريهة ولت

فأمسك عن الآخر وقال: لعله ابن أشجع العرب واحتفظ عليهم.

فما كان الصباح رفع أمرهم إلى الامير فأحضرهم وكشف عن حالهم. فإذا الأول ابن حجام. والثاني ابن فوال. والثالث ابن حائك. فتعجب من فصاحتهم وقال لجلسائه: علموا أولادكم الأدب فوالله لولا فصاحتهم لضربت أعناقهم .

أولاد نزار عند الأفعى

شخص مضر وربيعة وإياد وأنمار أولاد نزار إلى أرض نجران. فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلأ قد رعي فقال: البعير الذي رعى هذا أعور. فقال

ربيعة: وهو أزور. قال إياد: وهو أبتر. وقال أنمار: وهو شرود. فلم يسيروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل على راحلةٍ فسألهم عن البعير. فقال مضر: أهو اعور. قال: نعم قال ربيعة أهو أزور. قال: نعم قال إياد أهو ابتر: قال: نعم. قال أنمار: أهو شرود. قال: نعم. فقال: هذه والله صفات بعيري دلوني عليه. فحلفوا أنهم ما رأوه. فلزمهم وقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته. فساروا حتى قربوا نجران فنزلوا بالأفعى الجرهمي. فنادى صاحب البعير: هؤلاء القوم وصفوا لي بعيراً بصفته ثم أنكروه. فقال الجرهمي: كيف وصفتموه ولم تروه. فقال مضر: رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً فعلمت انه أعور. وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه لازورارە. وقال إياد: عرفت بتره بإجماع بعره ولو كان ذالاً لتفرق. وقال أنمار عرفت أنه شرود لكون أنه كان يرعى في المكان الملتف نبته ثم يجوز إلى مكان أرق منه وأخبث.

فقال الأفعى: ليسوا بأصحاب بعيرك.

الخمار الاسود

وقال عبد الله بن سلمة بن جندب:

قل للمليحةِ في الخمارِ الأسودِ ** ماذا فعلتِ بزاهدِ متعبدِ

قد كان شمَّرَ للصلاةِ ثِيابَه ** حتى وقفت له بباب المسجدِ

ولهذه الأبيات حكاية ، وهي أن عبد الله بن سلمة بن جندب ذكر يوماً عند المهدي فاستظرفه فقيل له ما يعجبك من ظرفه قال: قدم تاجر عراقي إلى المدينة ببز كان معه، فباعه كله إلا خمراً سوداً فلم يبع منها شيء لكسادها، وعزم على ردها لبلده فقال له جندب: ماذا عليك أن نفقتها لك؟ قال: جميع الربح. قال: لا ولكن أقنع بنصفه. قال: نعم. فذهب ابن جندب إلى بيته ونظم هذين البيتين: (قل للمليحة في الخمار) إلى آخرها وصاغ لهما لحناً وغناه حكم الوادي فلم يبق في المدينة حرة ولا غيرها الا اشترت خماراً أسوداً حتى طلب خمار بزنته ذهب فلم يوجد فربح التاجر أضعافاً فأوفى له بالشرط.

موت المهلهل

لما أسن المهلهل وخرف وكان له عبدان يخدمانه فملا منه وخرج يريد بهما سفرا، فأناخا به في بعض الفلوات وعزما قتله فلما عرف بذلك كتب بسكين على رجل ناقته وقيل أوصاهما إذا وصلا إلى قومه أن يقولا:

مبلغ الحيين أنْ مهلهلاً ** لله دركما ودر أبيكما

ثم رجعا إلى قومه فقالا مات وأنشدا قوله ففكر بعض ولده وقال إن مهلهلاً لا يقول هذا الشعر

الذي لا معنى له وإنما أراد:

من مبلغ الحيين أن مهلهلاً **

أمسى قتيلاً في الفلاة مجندلا

للهِ دُرُكما ودرُ أبيكما **

لا يُفلت العبدان حتى يُقتلا

فضربوا العبدين فأقرا بقتله. فأنظر كيف اكتفى بصدر البيتين اعتماداً على استحضار نيتهما.

الاعمش

قَالَ جِئْنَا الْأَعْمَش يَوْمًا فوجدناه قَاعِدا فِي نَاحيَة فَجَلَسْنَا فِي نَاحيَة أُخْرَى وَفِي الْموضع خليج من مَاء الْمَطَر فجَاء رجل عَلَيْهِ سَواد فَلَمَّا بصر بالأعمش وَعَلِيهِ فَرْوَة حقيرة قَالَ قُم عبرني هَذَا الخليج وجذب بِيَدِهِ فأقامه وَركبهُ وَقَالَ {سُبْحَانَ الَّذِي سخر لنا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقرنين} فَمضى بِهِ الْأَعْمَش حَتَّى توَسط بِهِ الخليج ثمَّ رمى بِهِ وَقَالَ {وَقل رب أنزلني منزلا مُبَارَكًا وَأَنت خير المنزلين} ثمَّ خرج وَترك المسود يتخبط فِي المَاء .

الرجل الاعور والتطير

لَقِي بعض الأكاسرة فِي موكبه رجلا أَعور فحبسه فَلَمَّا نزل خلاه وَقَالَ تطيرت مِنْك قَالَ أَنْت أشام مني لِأَنَّك خرجت من مَنْزِلك ولقيتني فَمَا رَأَيْت إِلَّا خيرا وَخرجت من منزلي فلقيتك فحبستني فَلم يعد بعْدهَا يتطير .

كفلاً من الْعَذَاب

عَن الْأَصْمَعِي قَالَ قَالَ الْوَلِيد بن عبد الْملك لبديح خُذ بنَا فِي المنى فوَاللهَّ لأغلبنك قَالَ لَا تغلبني قَالَ بلَى لَأَفْعَلَنَّ وَقَالَ فستعلم قَالَ الْوَلِيد فَإِنِّي أُرِيد أَتَمَنَّى ضعف مَا تتمنى أَنْت فهات قَالَ فَإِنِّي أَتَمَنَّى سبعين كفلاً من الْعَذَاب ويلعنني الله لعناً كثيرا فَقَالَ غلبتني قبحك الله .

مولى لسَعِيد

قَالَ مرض مولى لسَعِيد بن الْعَاصِ وَلم يكن لَهُ من يَخْدمه وَيقوم بِأَمْره فَبعث إِلَى سعيد بن الْعَاصِ فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ لَيْسَ لي وَارِث غَيْرك وَهَهُنَا ثَلَاثُونَ ألف دِرْهَم مدفونة فَإِذا أَنا مت فَخذهَا فَقَالَ سعيد حِين خرج من عِنْده مَا أرانا إِلَّا قد أسأنا إِلَى مَوْلَانَا وقصرنا فِي تعاهده فتعاهده كل التعاهد ووكل بِهِ من يَخْدمه فَلَمَّا مَاتَ اشْترى لَهُ كفناً بثلاثمائة دِرْهَم وَشهد جنَازَته فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْبَيْت حفر الْبَيْت كُله فَلم يجد شَيْئا وَجَاء صَاحب الْكَفَن يُطَالب بِثمن الْكَفَن فَقَالَ لقد هَمَمْت أَن أنبش عَلَيْهِ وأسلبه كَفنه .

المال المدفون

قَالَ دفن رجل مَالا فِي مَكَان وَترك عَلَيْهِ طابقاً وتراباً كثيرا ثمَّ ترك فَوق ذَلِك خرقَة فِيهَا عشرُون دِينَارا وَترك عَلَيْهَا أَتْرَابًا كثيرا وَمضى فَلَمَّا احْتَاجَ إِلَى الذَّهَب كشف عَن الْعشْرين فَلم يجدهَا فكشف عَن الْبَاقِي فَوَجَدَهُ فَحَمدَ الله على سَلامَة مَاله وَإِنَّمَا فعل

ذَلِك خوفًا أَن يكون قد رَآهُ أحد وَكَذَلِكَ كَانَ فَأَنَّهُ لما جَاءَهُ الَّذِي رَآهُ وجد الْعشْرين فَأَخذهَا وَلم يعْتَقد أَن ثمَّ شَيْئا آخر .

مال اليهودي

حَدثنِي بعض الْمَشَايِخ أَن رجلا يَهُودِيّا كَانَ مَعَه مَال فَاحْتَاجَ إِلَى دُخُول الْحمام وَخَافَ أَن ينكسر سبته إِن حمله مَعَه فَدخل إِلَى خزانَة الْحمام فحفر وَدَفنه ثمَّ دخل إِلَى الْحمام وَخرج فبحث عَنهُ فَلم يجده فَسكت وَلم يخبر أحدا لَا زَوجته وَلَا ولدا وَلَا صديقا فَجَاءَهُ بعد أَيَّام رجل فَقَالَ كَيفَ أَنْت من شغل قَلْبك فَلَزِمَهُ وَقَالَ رد مَالِي لي فَقَالُوا لَهُ من أَيْن علمت قَالَ ما رَآنِي لما دَفَنته مَخْلُوق وَلَا حدثت بِهِ مخلوقاً ثم قَالَ لولا إِن هَذَا أَخذه مَا قَالَ كَيفَ أَنْت من شغل قَلْبك ؟

فطنة الطبيب

حَدثنَا بعض الْأَطِبَّاء الثِّقَات أَن غُلَاما من بَغْدَاد قدم الرّيّ فَلَحقه فِي طَرِيقه أَنه كَانَ ينفث الدَّم فاستدعى أَبَا بكر الرَّازِيّ الطَّبِيب الْمَشْهُور بالحذق فَأَرَاهُ مَا ينفث وَوصف لَهُ مَا يجد فَنظر إِلَى نبضه وقارورته واستوصف حَاله فَلم يقم لَهُ دَلِيل على سل وَلَا قرحَة وَلم يعرف الْعلَّة فاستنظر العليل لينْظر فِي حَاله فَاشْتَدَّ الْأَمر على الْمَرِيض وَقَالَ هَذَا يأس لي من الْحَيَاة لحذق المتطبب وجهله بِالْعِلَّةِ فَزَاد أَلمه ، ففكر الرَّازِيّ ثمَّ عَاد إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَن الْمِيَاه الَّتِي شرب فَقَالَ من صهاريج ومستنقعات فَثَبت فِي نفس الرَّازِيّ بحدة خاطره وجودة ذكائه أَن علقَة كَانَت فِي المَاء وَقد حصلت فِي معدته وَذَلِكَ الدَّم من فعلهَا فَقَالَ إِذا كَانَ فِي غَد عالجتك وَلَكِن بِشَرْط أَن تَأمر غلمانك أَن يطيعوني فِيك بِمَا آمُرهُم قَالَ نعم فَانْصَرف الرَّازِيّ فَجمع مركنين كبيرين من طحلب فأحضرهما فِي غَد مَعَه فَأَرَاهُ إيَّاهُمَا قَالَ ابلع جَمِيع مَا فِي هذَيْن المركنين فَبلع شَيْئا يَسِيرا ثمَّ وقف قَالَ ابلع قَالَ لَا أَسْتَطِيع فَقَالَ للغلمان خذوه فأقيموه فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِك وطرحوه على قَفاهُ وفتحوا فَاه فَأقبل الرَّازِيّ يدس الطحلب فِي حلقه ويكبسه كبساً شَدِيدا ويطالبه ببلعه ويتهدده بِأَن يضْرب إِلَى أَن بلعه كَارِهًا أحد المركنين بأسره وَالرجل يستغيث وَيَقُول السَّاعَة قذف فَزَاد الرَّازِيّ فِيمَا يسكبه فِي حلقه فذرعه الْقَيْء فَتَأمل الرَّازِيّ مَا قذف فَإِذا فِيهِ علقَة وَإِذا هِيَ لما وصل إِلَيْهَا الطحلب قربت إِلَيْهِ بالطبع وَتركت موضعهَا فَالْتَفت على الطحلب ونهض العليل معافى .

بيت البقر

حَدثنَا عَليّ بن الْحسن الصيدلاني قَالَ كَانَ عندنَا غُلَام فَلَحقه وجع فِي معدته شَدِيد بِلَا سَبَب يعرفهُ فَكَانَت تضرب عَلَيْهِ أَكثر الْأَوْقَات ضربا عَظِيما حَتَّى يكَاد يتْلف وَقل أكله وَنحل جِسْمه فَحمل إِلَى الأهواز فعولج بِكُل شَيْء فَلم ينجح فِيهِ ورد إِلَى

بَيته وَقد يئس مِنْهُ فَجَاز بعض الْأَطِبَّاء فَعرف حَاله فَقَالَ للعليل اشرح لي حالك من زمن الصِّحَّة فشرح إِلَى أَن قَالَ دخلت بستاناً فَكَانَ فِي بَيت الْبَقر رمان كثير للْبيع فَأكلت مِنْهُ كثيرا قَالَ كَيفَ كنت تَأْكُله قَالَ كنت أعض رَأس الرمانة بفمي وأرمي بِهِ وأكسرها قطعا وآكل فَقَالَ الطَّبِيب غَدا أعالجك بِإِذن الله تَعَالَى فَلَمَّا كَانَ الْغَد جَاءَ بِقدر قد طبخها من لحم جرو سمين فَقَالَ للعليل كل هَذَا قَالَ العليل مَا هُوَ قَالَ إِذا أكلت عرفتك فَأكل العليل فَقَالَ لَهُ امتلىء مِنْهُ فَامْتَلَأَ ثمَّ قَالَ لَهُ أَتَدْرِي أَي شَيْء أكلت قَالَ لَا قَالَ لحم كلب فَانْدفع يقذف فَتَأمل الْقَذْف إِلَى أَن طرح العليل شَيْئا أسود كالنواة يَتَحَرَّك فَأَخذه الطَّبِيب وَقَالَ ارْفَعْ رَأسك فقد برأت فَرفع رَأسه فَسَقَاهُ شَيْئا يقطع الغثيان وصب على وَجهه مَاء ورد ثمَّ أرَاهُ الَّذِي وَقع فَإِذا هُوَ قرداً فَقَالَ أَن الْموضع الَّذِي كَانَ فِيهِ الرُّمَّان كَانَ فِيهِ قردان من الْبَقر وَأَنه حصلت مِنْهُم وَاحِدَة فِي رَأس إِحْدَى الرمانات الَّتِي اقتلعت رؤوسها بفيك فَنزل القرد إِلَى حلقك وعلق بمعدتك يمتصها وَعلمت أَن القراد تهش إِلَى لحم الْكَلْب فَإِن لم يَصح الظَّن لم يَضرك مَا أكلت فصح فَلَا تدخل فمك شَيْئا لَا تَدْرِي مَا فِيهِ وَالله الْمُوفق .

القفل

قَالَ حَدثنِي رجل من الدقاقين قَالَ أورد عَليّ رجل غَرِيب سفتجة بأجل فَكَانَ يتَرَدَّد عليّ أَن حلت السفتجة ثمَّ قَالَ لي ادعها عنْدك آخذها مُتَفَرِّقَة فَكَانَ يَجِيء كل يَوْم فَيَأْخُذ بِقدر نَفَقَته إِلَى أَن نفذت فَصَارَت بَيْننَا معرفَة وَألف الْجُلُوس عِنْدِي وَكَانَ يراني أخرج من صندوق لي فأعطيته مِنْهُ فَقَالَ لي يَوْمًا أَن قفل الرجل صَاحبه فِي سَفَره وأمينه فِي حَضَره وخليفته على حفظ مَاله وَالَّذِي يَنْفِي الظنة عَن أَهله وَعِيَاله وَإِن لم يكن وثيقاً تطرقت الْحِيَل إِلَيْهِ وارى قفلك هَذَا وثيقاً فَقل لي مِمَّن ابتعته لابتاع مثله لنَفْسي فَقلت من فلَان الإقفالي قَالَ فَمَا شَعرت يَوْمًا وَقد جِئْت إِلَى دكاني فطلبت صندوقي لأخرج مِنْهُ شَيْئا من الدَّرَاهِم فَحمل إِلَيّ ففتحه وَإِذا لَيْسَ فِيهِ شَيْء من الدَّرَاهِم وَقلت لغلامي وَكَانَ غير مُتَّهم عِنْدِي هَل انْكَسَرَ من الدراب شَيْء قَالَ لَا قلت ففتش هَل ترى فِي الدّكان نقباً ففتش فَقَالَ لَا فَقلت فَمن السّقف حِيلَة قَالَ لَا قلت فَاعْلَم أَن دراهمي قد ذهبت فقلق الْغُلَام فسكته وأقمت من نومي لَا أَدْرِي أَي شَيْء أعمل وَتَأَخر الرجل عني فاتهمته وتذكرت مَسْأَلته لي عَن القفل فَقلت للغلام أَخْبرنِي كَيفَ تفتح دكاني وتقفله قَالَ احْمِلْ الدراب من الْمَسْجِد دفعتين ثَلَاثَة فأقفلها ثمَّ هَكَذَا أفتحها قلت فعلى من تخلي الدّكان إِذا حملت الدراب قَالَ خَالِيا قلت من هَهُنَا دهيت فَذَهَبت إِلَى الصَّانِع الَّذِي ابتعت مِنْهُ القفل فَقلت لَهُ جَاءَك إِنْسَان مُنْذُ أَيَّام

اشْترى مِنْك مثل هَذَا القفل قَالَ نعم وَرجل من صفته كَيْت وَكَيْت فَأَعْطَانِي صفة صَاحِبي فَعلمت أَنه احتال على الْغُلَام وَقت الْمسَاء لما انصرفت أَنا وَبَقِي الْغُلَام يحمل الدراب فَدخل هُوَ إِلَى الدّكان فاختبأ فِيهِ وَمَعَهُ مِفْتَاح القفل الَّذِي اشْتَرَاهُ يَقع على قفلي وَأَنه أَخذ الدَّرَاهِم وَجلسَ طول اللَّيْل خلف الدراب فَلَمَّا جَاءَ الْغُلَام فَفتح داربين وَحملهَا ليرفعها خرج وَإِنَّهُ مَا فعل ذَلِك إِلَّا وَقد خرج من بَغْدَاد قَالَ فَخرجت وَمَعِي قفلي ومفتاحه فَقلت ابتدئ بِطَلَب الرجل بواسط فَلَمَّا صعدت من السميرية طلبت خَانا أنزلهُ فَصَعدت فَإِذا بقفل مثل قفلي سَوَاء على بَيت فَقلت لقيم الخان هَذَا الْبَيْت من ينزله قَالَ رجل قدم من الْبَصْرَة أمس قلت مَا صفته فوصف صفة صَاحِبي فَلم أَشك أَنه هُوَ وان الدَّرَاهِم فِي بَيته فاكتريت بَيْتا إِلَى جَانِبه ورصدت حَتَّى انْصَرف قيم الخان ففتحت القفل وَدخلت فَوجدت كيسي بعيد فَأَخَذته وَخرجت وأقفلت الْبَاب وَنزلت فِي الْوَقْت وانحدرت إِلَى الْبَصْرَة وَمَا أَقمت بواسط إِلَّا ساعتين من النَّهَار وَرجعت إِلَى منزلي بِمَالي بِعَيْنِه .

عَجُوز مَعهَا كلب

قَالَ حَدثنَا مُحَمَّد خلف قَالَ حَدثنِي لص تائب قَالَ دخلت مَدِينَة فَجعلت أطلب شَيْئا أسرقه فَوَقَعت عَيْني على صيرفي مُوسر فَمَا زلت أحتال حَتَّى سرقت كيساً لَهُ وانسللت فَمَا حزت غير بعيد إِذا أَنا بِعَجُوزٍ مَعهَا كلب قد وَقعت فِي صيري تبوسني وتلزمني وَتقول يَا بني فديتك وَالْكَلب يبصبص ويلوذ بِي ووقف النَّاس ينظرُونَ إِلَيْنَا وَجعلت الْمَرْأَة تَقول بِاللَّه انْظُرُوا إِلَى الْكَلْب قد عرفه فَعجب النَّاس من ذَلِك وتشككت أَنا فِي نَفسِي وَقلت لَعَلَّهَا أرضعتني وَأَنا لَا أعرفهَا وَقَالَت معي إِلَى الْبَيْت أقِم عِنْدِي الْيَوْم فَلم تُفَارِقنِي حَتَّى مضيت مَعهَا إِلَى بَيتهَا وَإِذا عِنْدهَا أَحْدَاث يشربون وَبَين أَيْديهم من جَمِيع الْفَوَاكِه والرياحين فرحبوا بِي وقربوني وأجلسوني مَعَهم وَرَأَيْت لَهُم بزَّة حَسَنَة فَوضعت عَيْني عَلَيْهَا فَجعلت أسقيهم وأرفق بنفسي إِلَى أَن نَامُوا ونام كل من فِي الدَّار فَقُمْت وكورت مَا عِنْدهم وَذَهَبت أخرج فَوَثَبَ عَليّ الْكَلْب وثبة الْأسد وَصَاح وَجعل يتراجع ويفج إِلَى أَن انتبه كل نَائِم فخجلت وَاسْتَحْيَيْت فَلَمَّا كَانَ النَّهَار رفعوا مثل فعلهم أمس وَفعلت أَيْضا أَنا بهم مثل ذَلِك وَجعلت أوقع الْحِيلَة فِي أَمر الْكَلْب إِلَى اللَّيْل فَمَا أمكنني فِيهِ حِيلَة فَلَمَّا نَامُوا رمت الَّذِي رمته فَإِذا الْكَلْب عارضني بِمثل مَا عارضني بِهِ فَجعلت أحتال ثَلَاث لَيَال فَلَمَّا أَيست طلبت الْخَلَاص مِنْهُم بإذنهم فَقلت أتأذنون لي فَإِنِّي على وفز فَقَالُوا الْأَمر إِلَى الْعَجُوز فاستأذنتها فَقَالَت هَات الَّذِي أَخَذته من الصَّيْرَفِي وامضِ حَيْثُ شِئْت وَلَا تقوم فِي هَذِه

الْمَدِينَة فَإِنَّهُ لَا يتهيأ لأحد فِيهَا معي عمل فَأخذت الْكيس وأخرجتني وَوجدت مناي أَن أسلم من يَدهَا وَكَانَ قصراي أَن أطلب مِنْهَا نَفَقَة فَدفعت إِلَيّ وَخرجت معي حَتَّى أخرجتني عَن الْمَدِينَة وَالْكَلب مَعهَا حَتَّى جزت حُدُود الْمَدِينَة ووقفت ومضيت وَالْكَلب يتبعني حَتَّى بَعدت ثمَّ تراجع ينظر إِلَيّ ويلتفت وَأَنا أنظر إِلَيْهِ حَتَّى غَابَ عني .

تبيع هَذَا الْحمار

قَالَ بَلغنِي أَن محتالين سرقا حمارا وَمضى أَحدهمَا ليَبِيعهُ فَلَقِيَهُ رجل مَعَه طبق فِيهِ سمك فَقَالَ لَهُ تبيع هَذَا الْحمار قَالَ نعم قَالَ أمسك هَذَا الطَّبَق حَتَّى أركبه وَانْظُر إِلَيْهِ فَدفع إِلَيْهِ الطَّبَق فِيهِ السّمك فَركبهُ وَرجع ثمَّ رَكبه وَدخل زقاقاً ففر بِهِ فَلم يدر أَيْن ذهب قَالَ فَرجع الْمُحْتَال فَلَقِيَهُ رَفِيقه فَقَالَ مَا فعل الْحمار قَالَ بعناه بِمَا اشْتَرَيْنَاهُ

وربحنا هَذَا الطَّبَق من السّمك

وَقد روينَا أَن رجلا سرق حمارا فَأتى السُّوق ليَبِيعهُ فَسرق مِنْهُ فَعَاد إِلَى منزله فَقَالَت لَهُ امْرَأَته بكم بِعته قَالَ بِرَأْس مَاله .

الفراسة فِي الصّبيان

قَالَ حَدثنِي مُحَمَّد بن الضَّحَّاك أَن عبد الْملك بن مَرْوَان قَالَ لرأس الجالوت مَا عنْدكُمْ من الفراسة فِي الصّبيان قَالَ مَا عندنَا فيهم شَيْء لأَنهم يخلقون خلقا بعد خلق غير أَنا نرمقهم فَإِن سمعنَا مِنْهُم من يَقُول فِي لعبه من يكون معي رَأَيْنَاهُ ذَا همة وحنو صدق فِيهِ وَإِن سمعناه يَقُول مَعَ من أكون كرهناها مِنْهُ .

ابن الزبير

فَكَانَ أول مَا علم من ابْن الزبير أَنه كَانَ ذَات يَوْم يلْعَب مَعَ الصّبيان وَهُوَ صبي فَمر رجل فصاح عَلَيْهِم فَفرُّوا وَمَشى ابْن الزبير الْقَهْقَرِي وَقَالَ يَا صبيان اجعلوني أميركم وشدوا بِنَا عَلَيْهِ وَمر بِهِ عمر بن الْخطاب وَهُوَ صبي يلْعَب مَعَ الصّبيان فَفرُّوا ووقف فَقَالَ لَهُ مَالك لم تفر مَعَ أَصْحَابك قَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ لم أجرم فَأَخَاف وَلم تكن الطَّرِيق ضيقَة فأوسع لَك .

كمل هذا الجزء



مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
نبوية
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
غربتي وابنتي
قصص المصباح المضيء
وهج الحرب
موقعة الثلاثة والعشرين
الفوارس
حضرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالونيا والملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي

جمال شاهين

قلب الوطن
حكايات الفوارس
روايات اجتماعية
روايات جنائية
حديقة الازهار
جواهر القصص
قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص المصباح المضيء

الجزء ١٠

٢٠٢٤

إعداد
جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء العاشر

موسى بن عمران

أرسل موسى عليه السلام لأشد الشعوب كرها للحق وابتعادا عنه.. لذلك كانت حياته مليئة بالأحداث والمواقف. سيرته: أثناء حياة يوسف علي السلام بمصر، تحولت مصر إلى التوحيد. توحيد الله سبحانه، وهي الرسالة التي كان يحملها جميع الرسل إلى أقواهم. لكن بعد وفاته، عاد أهل مصر إلى ضلالهم وشركهم. ثم حكم مصر ملك جبار كان المصريون يعبدونه. ورأى هذا الملك بني إسرائيل يتكاثرون ويزيدون ويملكون. وسمعهم يتحدثون عن نبوءة تقول إن واحدا من أبناء إسرائيل سيسقط فرعون مصر عن عرشه. فأصدر الفرعون أمره ألا يلد أحد من بني إسرائيل، أي أن يقتل أي وليد ذكر. وبدأ تطبيق النظام، ثم قال مستشارون فرعون له، إن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، والصغار يذبحون، وهذا سينتهي إلى إفناء بني إسرائيل، فستضعف مصر لقلة الأيدي العاملة بها. والأفضل أن تنظم العملية بأن يذبحون الذكور في عام ويتركونهم في العام الذي يليه. ووجد الفرعون أن هذا الحل أسلم. وحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يقتل فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة. فلما جاء العام الذي يقتل فيه الغلمان ولد موسى. حمل ميلاده خوفا عظيما لأمه. خافت عليه من القتل. راحت ترضعه في السر. ثم جاءت عليها ليلة مباركة أوحى الله إليها فيها للأم بصنع صندوق صغير لموسى. ثم إرضاعه ووضعه في الصندوق. وإلقاءه في النهر. كان قلب الأم، وهو أرحم القلوب في الدنيا، يمتلئ بالألم وهي ترمي ابنها في النيل، لكنها كانت تعلم أن الله أرحم بموسى منها، والله هو ربه ورب النيل. لم يكد الصندوق يلمس مياه النيل حتى أصدر الخالق أمره إلى الأمواج أن تكون هادئة حانية وهي تحمل هذا الرضيع الذي سيكون نبيا فيما بعد، وحملت مياه النيل هذا الصندوق العزيز إلى قصر فرعون. وهناك أسلمه الموج للشاطئ. رفض موسى للمراضع: وفي ذلك الصباح خرجت زوجة فرعون تتمشى في حديقة القصر. وكانت زوجة فرعون تختلف كثيرا عنه. فقد كان هو كافرا وكانت هي مؤمنة. كان هو قاسيا وكانت هي رحيمة. كان جبارا وكانت رقيقة وطيبة. وأيضا كانت حزينة، فلم تكن تلد. وكانت تتمنى أن يكون عندها ولد. وعندما ذهبت الجواري ليملأن الجرار من النهر، وجدن الصندوق، فحملنه كما هو إلى زوجة فرعون. فأمرتهن أن يفتحنه ففتحنه. فرأت موسى بداخله فأحست بحبه في قلبها. فلقد ألقى الله في قلبها محبته فحملته من الصندوق. فاستيقظ موسى وبدأ

يبكي. كان جائعا يحتاج إلى رضعة الصباح فبكى. فجاءت زوجة فرعون إليه، وهي تحمل بين بيدها طفلا رضيعا. فسأل من أين جاء هذا الرضيع؟ فحدثوه بأمر الصندوق. فقال بقلب لا يعرف الرحمة: لابد أنه أحد أطفال بني إسرائيل. أليس المفروض أن يقتل أطفال هذه السنة؟ فذكّرت آسيا – امرأة فرعون– وطلبت منه أن يسمح لها بتربيته. سمح لها بذلك. عاد موسى للبكاء من الجوع. فأمرت بإحضار المراضع. فحضرت مرضعة من القصر وأخذت موسى لترضعه فرفض أن يرضع منها. فحضرت مرضعة ثانية وثالثة وعاشرة وموسى يبكي ولا يريد أن يرضع. فاحتارت زوجة فرعون ولم تكن تعرف ماذا تفعل. لم تكن زوجة فرعون هي وحدها الحزينة الباكية بسبب رفع موسى لجميع المراضع. فلقد كانت أم موسى هي الأخرى حزينة باكية. لم تكد ترمي موسى في النيل حتى أحست أنها ترمي قلبها في النيل. غاب الصندوق في مياه النيل واختفت أخباره. وجاء الصباح على أم موسى فإذا قلبها فارغ يذوب حزنا على ابنها، وكادت تذهب إلى قصر فرعون لتبلغهم نبأ ابنها وليكن ما يكون. لولا أن الله تعالى ربط على قلبها وملأ بالسلام نفسها فهدأت واستكانت وتركت أمر ابنها لله. كل ما في الأمر أنها قالت لأخته: اذهبي بهدوء إلى المدينة وحاولي أن تعرفي ماذا حدث لموسى. وذهبت أخت موسى بهدوء ورفق إلى جوار قصر فرعون، فإذا بها تسمع القصة الكاملة. رأت موسى من بعيد وسمعت بكاءه، ورأتهم حائرين لا يعرفون كيف يرضعونه، سمعت أنه يرفض كل المراضع. وقالت أخت موسى لحرس فرعون: هل أدلكم على أهل بيت يرضعونه ويكفلونه ويهتمون بأمره ويخدمونه؟ ففرحت زوجة فرعون كثيرا لهذا الأمر، وطلبت منها أن تحضر المرضعة. وعادت أخت موسى وأحضرت أمه. وأرضعته أمه فرضع. وتهللت زوجة فرعون وقالت" :خذيه حتى تنتهي فترة رضاعته وأعيديه إلينا بعدها، وسنعطيك أجرا عظيما على تربيتك له ."وهكذا رد الله تعالى موسى لأمه كي تقر عينها ويهدأ قلبها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق وأن كلماته سبحانه تنفذ رغم أي شيء. ورغم كل شيء} .فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ{ (13)القصص نشأة موسى في بيت فرعون: أتمت أم موسى رضاعته وأسلمته لبيت فرعون. كان موضع حب الجميع. كان لا يراه أحد إلا أحبه .وها هو ذا في أعظم قصور الدنيا يتربى بحفظ الله وعنايته. بدأت تربية موسى في بيت فرعون. وكان هذا البيت يضم أعظم المربين والمدرسين في ذلك الوقت. كانت مصر أيامها

أعظم دولة في الأرض. وكان فرعون أقوى ملك في الأرض، ومن الطبيعي أن يضم قصره أعظم المدربين والمثقفين والمربين في الأرض. وهكذا شاءت حكمة الله تعالى أن يتربى موسى أعظم تربية وأن يتعهده أعظم المدرسين، وأن يتم هذا كله في بيت عدوه الذي سيصطدم به فيما بعد تنفيذا لمشيئة الخالق. وكبر موسى في بيت فرعون. كان موسى يعلم أنه ليس ابنا لفرعون، إنما هو واحد من بني إسرائيل. وكان يرى كيف يضطهد رجال فرعون وأتباعه بني إسرائيل.. وكبر موسى وبلغ أشده.. (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا (القصص وراح يتمشى فيها. فوجد رجلا من اتباع فرعون وهو يقتتل مع رجل من بني إسرائيل، واستغاث به الرجل الضعيف فتدخل موسى وأزاح بيده الرجل الظالم فقتله. كان موسى قويا جدا، ولم يكن يقصد قتل الظالم، إنما أراد إزاحته فقط، لكن ضربته هذه قتلته. ففوجئ موسى به وقد مات وقال لنفسه) :هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ . (ودعا موسى ربه) :قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي (وغفر الله تعالى له،) إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .(أصبح موسى) فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ .(كان هذا حال موسى، حال إنسان مطارد، فهو خائف، يتوقع الشر في كل خطوة، وهو مترقب، يلتفت لأوهى الحركات وأخفاها. ووعد موسى بأن لا يكون ظهيرا للمجرمين. لن يتدخل في المشاجرات بين المجرمين والمشاغبين ليدافع عن أحد من قومه . وفوجئ موسى أثناء سيره بنفس الرجل الذي أنقذه بالأمس وهو يناديه ويستصرخه اليوم .كان الرجل مشتبكا في عراك مع أحد المصريين. وأدرك موسى بأن هذا الإسرائيلي مشاغب .أدرك أنه من هواة المشاجرات. وصرخ موسى في الإسرائيلي يعنفه قائلا) :إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ (قال موسى كلمته واندفع نحوهما يريد البطش بالمصري. واعتقد الإسرائيلي أن موسى سيبطش به هو. دفعه الخوف من موسى إلى استرحامه صارخا، وذكّره بالمصري الذي قتله بالأمس. فتوقف موسى، سكت عنه الغضب وتذكر ما فعله بالأمس، وكيف استغفر وتاب ووعد ألا يكون نصيرا للمجرمين. استدار موسى عائدا ومضى وهو يستغفر ربه. وأدرك المصري الذي كان يتشاجر مع الإسرائيلي أن موسى هو قاتل المصري الذي عثروا على جثته أمس. ولم يكن أحد من المصرين يعلم من القاتل. فنشر هذا المصري الخبر في أرجاء المدينة. وانكشف سر موسى وظهر أمره. وجاء رجل مصري مؤمن من أقصى المدينة مسرعا. ونصح موسى بالخروج من مصر، لأن المصريين ينوون قلته. لم يذكر القرآن الكريم اسم الرجل الذي جاء يحذر موسى.

ونرجح أنه كان رجلا مصريا من ذوي الأهمية، فقد اطلع على مؤامرة تحاك لموسى من مستويات عليا، ولو كان شخصية عادية لما عرف. يعرف الرجل أن موسى لم يكن يستحق القتل على ذنبه بالأمس.. لقد قتل الرجل خطأ. فيجب أن تكون عقوبته السجن على أقصى تقدير. لكن رؤساء القوم وعليتهم، الذين يبدوا أنهم كانوا يكرهون موسى لأنه من بني إسرائيل، ولأنه نجى من العام الذي يقتل فيه كل مولود ذكر، وجدوا هذه الفرصة مناسبة للتخلص من موسى، فهو قاتل المصري، لذا فهو يستحق القتل. خرج موسى من مصر على الفور. خائفا يتلفت ويتسمع ويترقب. في قلبه دعاء لله) رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .(وكان القوم ظالمين حقا. ألا يريدون تطبيق عقوبة القتل العمد عليه، وهو لم يفعل شيئا أكثر من أنه مد يده وأزاح رجلا فقتله خطأ؟ خرج موسى من مصر على عجل. لم يذهب إلى قصر فرعون ولم يغير ملابسه ولم يأخذ طعاما للطريق ولم يعد للسفر عدته. لم يكن معه دابة تحمله على ظهرها وتوصله. ولم يكن في قافلة. إنما خرج بمجرد أن جاءه الرجل المؤمن وحذره من فرعون ونصحه أن يخرج. اختار طريقا غير مطروق وسلكه. دخل في الصحراء مباشرة واتجه إلى حيث قدرت له العناية الإلهية أن يتجه. لم يكن موسى يسير قاصدا مكانا معينا. هذه أول مرة يخرج فيها ويعبر الصحراء وحده. موسى في مدين: ظل يسير بنفسية المطارد حتى وصل إلى مكان. كان هذا المكان هو مدين. جلس يرتاح عند بئر عظيمة يسقي الناس منها دوابهم. وكان خائفا طوال الوقت أن يرسل فرعون من وراءه من يقبض عليه. لم يكد موسى يصل إلى مدين حتى ألقى بنفسه تحت شجرة واستراح. نال منه الجوع والتعب، وسقطت نعله بعد أن ذابت من مشقة السير على الرمال والصخور والتراب .لم تكن معه نقود لشراء نعل جديدة. ولم تكن معه نقود لشراء طعام أو شراب. لاحظ موسى جماعة من الرعاة يسقون غنمهم، ووجد امرأتين تكفان غنمهما أن يختلطا بغنم القوم، أحس موسى بما يشبه الإلهام أن الفتاتين في حاجة إلى المساعدة. تقدم منهما وسأل هل يستطيع أن يساعدهما في شيء. قالت إحداهما: نحن ننتظر أن ينتهي الرعاة من سقي غنمهم لنسقي. سأل موسى: ولماذا لا تسقيان؟ قالت الأخرى: لا نستطيع أن نزاحم الرجال .اندهش موسى لأنهما ترعيان الغنم. المفروض أن يرعى الرجال الأغنام. هذه مهمة شاقة ومتعبة وتحتاج إلى اليقظة. سأل موسى: لماذا ترعيان الغنم؟ فقالت واحدة منهما: أبونا شيخ كبير لا تساعده صحته على الخروج كل يوم للرعي. فقال موسى: سأسقي لكما. سار موسى نحو الماء. وسقى لهم

الغنم مع بقية الرعاة. وفي رواية أن أن الرعاة قد وضعوا على فم البئر بعد أن انتهوا منها صخرة ضخمة لا يستطيع أن يحركها غير عدد من الرجال. فرفع موسى الصخرة وحده. وسقى لهما الغنم وأعاد الصخرة إلى مكانها، وتركهما وعاد يجلس تحت ظل الشجرة. وتذكر لحظتها الله وناداه في قلبه) :رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ .(عادت الفتاتان إلى أبيهما الشيخ. سأل الأب: عدتما اليوم سريعا على غير العادة؟! قالت إحداهما : تقابلنا مع رجل كريم سقى لنا الغنم. فقال الأب لابنته: اذهبي إليه وقولي له} :فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{ (25)القصص ذهبت واحدة من الفتاتين إلى موسى، ووقفت أمامه وأبلغته رسالة أبيها. فنهض موسى وبصره في الأرض. إنه لم يسق لهما الغنم ليأخذ منهن أجرا، وإنما ساعدهما لوجه الله، غير أنه أحس في داخله أن الله هو الذي يوجه قدميه فنهض. سارت البنت أمامه. هبت الرياح فضربت ثوبها فخفض موسى بصره حياء وقال لها: سأسير أنا أمامك ونبهيني أنت إلى الطريق. وصلا إلى الشيخ. قال بعض المفسرين إن هذا الشيخ هو النبي شعيب. عمر طويلا بعد موت قومه. وقيل إنه ابن أخي شعيب. وقيل ابن عمه، وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب الذين آمنوا به. لا نعرف أكثر من كونه شيخا صالحا. قدم له الشيخ الطعام وسأله: من أين قدم وإلى أين سيذهب؟ حدثه موسى عن قصته. قال الشيخ: (لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .(هذه البلاد لا تتبع مصر، ولن يصلوا إليك هنا. اطمأن موسى ونهض لينصرف. قالت ابنة الشيخ لأبيها همسا) :يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (سألها الأب: كيف عرفت أنه قوي؟ قالت: رفع وحده صخرة لا يرفعها غير عدد رجال. سألها: وكيف عرفت أنه أمين؟ قالت: رفض أن يسير خلفي وسار أمامي حتى لا ينظر إلي وأنا أمشي. وطوال الوقت الذي كنت أكلمه فيه كان يضع عينيه في الأرض حياء وأدبا. وعاد الشيخ لموسى وقال له: أريد يا موسى أن أزوجك إحدى ابنتي على أن تعمل في رعي الغنم عندي ثماني سنوات، فإن أتممت عشر سنوات، فمن كرمك، لا أريد أن أتعبك،) سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (قال موسى: هذا اتفاق بيني وبينك. والله شاهد على اتفاقنا .سواء قضيت السنوات الثمانية، أو العشر سنوات فأنا حر بعدها في الذهاب. عودة موسى لمصر: ترى أي خاطر راود موسى، فعاد به إلى مصر، بعد انقضاء الأجل، وقد خرج منها خائفا يترقب؟ وأنساه

الخطر الذي ينتظره بها، وقد قتل فيها نفسا؟ وهناك فرعون الذي كان يتآمر مع الملأ من قومه ليقتلوه؟ إنها قدرة الله التي تنقل خطاه كلها. لعلها قادته هذه المرة بالميل الفطري إلى الأهل والعشيرة والوطن. وأنسته الخطر الذي خرج هاربا منه وحيدا طريدا. ليؤدي المهمة التي خلق لها. خرج موسى مع أهله وسار. اختفى القمر وراء أسراب من السحاب الكثيف وساد الظلام. اشتد البرق والرعد وأمطرت السماء وزادت حدة البرد والظلام. وتاه موسى أثناء سيره. ووقف موسى حائرا يرتعش من البرد وسط أهله.. ثم رفع رأسه فشاهد نارا عظيمة تشتعل عن بعد. امتلأ قلبه بالفرح فجأة .قال لأهله: أني رأيت نارا هناك. أمرهم أن يجلسوا مكانهم حتى يذهب إلى النار لعله يأتيهم منها بخبر، أو يجد أحدا يسأله عن الطريق فيهتدي إليه، أو يحضر إليهم بعض أخشابها المشتعلة لتدفئتهم. وتحرك موسى نحو النار. سار موسى مسرعا ليدفئ نفسه. يده اليمنى تمسك عصاه. جسده مبلل من المطر. ظل يسير حتى وصل إلى واد يسمونه طوى. لاحظ شيئا غريبا في هذا الوادي. لم يكن هناك برد ولا رياح. ثمة صمت عظيم ساكن. واقترب موسى من النار. لم يكد يقترب منها حتى نودي) :أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (نظر موسى في النار فوجد شجرة خضراء. كلما زاد تأجج النار زادت خضرة الشجرة. والمفروض أن تتحول الشجرة إلى اللون الأسود وهي تحترق. لكن النار تزيد واللون الأخضر يزيد .كانت الشجرة في جبل غربي عن يمينه، وكان الوادي الذي يقف فيه هو وادي طوى. ثم ارتجت الأرض بالخشوع والرهبة والله عز وجل ينادي: يَا مُوسَى فأجاب موسى: نعم. قال الله عز وجل: إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ازداد ارتعاش موسى وقال: نعم يا رب. قال الله عز وجل: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى انحنى موسى راكعا وجسده كله ينتفض وخلع نعليه. عاد الحق سبحانه وتعالى يقول):وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣ (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى) (16) طه زاد انتفاض جسد موسى وهو يتلقى الوحي الإلهي ويستمع إلى ربه وهو يخاطبه. قال الرحمن الرحيم: وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ازدادت دهشة موسى. إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يخاطبه، والله يعرف أكثر منه أنه يمسك عصاه. لماذا يسأله الله إذن إذا كان يعرف أكثر منه؟! لا شك أن هناك حكمة عليا لذلك. أجاب

موسى:(قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (قال الله عز وجل: أَلْقِهَا يَا مُوسَى رمى موسى العصا من يده وقد زادت دهشته. وفوجئ بأن العصا تتحول فجأة إلى ثعبان عظيم الحجم هائل الجسم .وراح الثعبان يتحرك بسرعة. ولم يستطع موسى أن يقاوم خوفه. أحس أن بدنه يتزلزل من الخوف. فاستدار موسى فزعا وبدأ يجري. لم يكد يجري خطوتين حتى ناداه الله: يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. عاد موسى يستدير ويقف. لم تزل العصا تتحرك. لم تزل الحية تتحرك. قال الله سبحانه وتعالى لموسى :خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى مد موسى يده للحية وهو يرتعش. لم يكد يلمسها حتى تحولت في يده إلى عصا. عاد الأمر الإلهي يصدر له :اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ وضع موسى يده في جيبه وأخرجها فإذا هي تتلألأ كالقمر. زاد انفعال موسى بما يحدث، وضع يده على قلبه كما أمره الله فذهب خوفه تماما.. اطمأن موسى وسكت. وأصدر الله إليه أمرا بعد هاتين المعجزتين –معجزة العصا ومعجزة اليد– أن يذهب إلى فرعون ليدعوه إلى الله برفق ولين، ويأمره أن يخرج بني إسرائيل من مصر. وأبدى موسى خوفه من فرعون. قال إنه قتل منهم نفسا ويخاف أن يقتلوه. توسل إلى الله أن يرسل معه أخاه هارون. طمأن الله موسى أنه سيكون معهما يسمع ويرى، وأن فرعون رغم قسوته وتجبره لن يمسهما بسوء. أفهم الله موسى أنه هو الغالب. ودعا موسى وابتهل إلى الله أن يشرح له صدره وييسر أمره ويمنحه القدرة على الدعوة إليه. ثم قفل موسى راجعا لأهله بعد اصطفاء الله واختياره رسولا إلى فرعون .انحدر موسى بأهله قاصدا مصر. يعلم الله وحده أي أفكار عبرت ذهن موسى وهو يحث خطاه قاصدا مصر. انتهى زمان التأمل، وانطوت أيام الراحة، وجاءت الأوقات الصعبة أخيرا، وها هو ذا موسى يحمل أمانة الحق ويمضي ليواجه بها بطش أعظم جبابرة عصره وأعتاهم .يعلم موسى أن فرعون مصر طاغية. يعلم أنه لن يسلمه بني إسرائيل بغير صراع. يعلم أنه سيقف من دعوته موقف الإنكار والكبرياء والتجاهل. لقد أمره الله تعالى أن يذهب إلى فرعون. أن يدعوه بلين ورفق إلى الله. أوحى الله لموسى أن فرعون لن يؤمن. ليدعه موسى وشأنه. وليركز على إطلاق سراح بني إسرائيل والكف عن تعذيبهم. قال تعالى لموسى وهارون) :فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ .(هذه هي المهمة المحددة. وهي مهمة سوف تصطدم بآلاف العقبات. إن فرعون يعذب

بني إسرائيل ويستعبدهم ويكلفهم من الأعمال ما لا طاقة لهم به، ويستحيي نسائهم، ويذبح أبنائهم، ويتصرف فيهم كما لو كانوا ملكا خاصا ورثه مع ملك مصر. يعلم موسى أن النظام المصري يقوم في بنيانه الأساسي على استعباد بني إسرائيل واستغلال عملهم وجهدهم وطاقاتهم في الدولة، فهل يفرط الفرعون في بناء الدولة الأساسي ببساطة ويسر؟ ذهبت الأفكار وجاءت، فاختصرت مشقة الطريق. ورفع الستار عن مشهد المواجهة مواجهة فرعون: واجه موسى فرعون بلين ورفق كما أمره الله. وحدثه عن الله. عن رحمته وجنته. عن وجوب توحيده وعبادته. حاول إيقاظ جوانبه الإنسانية في الحديث. ألمح إليه أنه يملك مصر، ويستطيع لو أراد أن يملك الجنة. وكل ما عليه هو أن يتقي الله. استمع فرعون إلى حديث موسى ضجرا شبه هازئ وقد تصوره مجنونا تجرأ على مقامه السامي. ثم سأل فرعون موسى ماذا يريد. فأجاب موسى أنه يريد أن يرسل معه بني إسرائيل. ويعجب فرعون وهو يرى موسى يواجهه بهذه الدعوى العظيمة، ويطلب إليه ذلك الطلب الكبير .فآخر عهد فرعون بموسى أنهم ربوه في قصره بعد أن التقطوا تابوته. وأنه هرب بعد قتله للقبطي الذي وجده يتعارك مع الإسرائيلي. فما أبعد المسافة بين آخر عهد فرعون بموسى إذن وهذه الدعوى العظيمة التي يواجهه بها بعد عشر سنين! ومن ثم بدأ فرعون يذكره بماضيه. يذكره بتربيته له فهل هذا جزاء التربية والكرامة التي لقيتها عندنا وأنت وليد؟ لتأتي الآن لتخالف ديانتنا، وتخرج على الملك الذي تربيت في قصره، وتدعوا إلى إله غيره؟! ويذكره بحادث مقتل القبطي في تهويل وتجسيم. فلا يتحدث عنها بصريح العبارة وإنما يقول) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَك وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (برب العالمين الذي تقول به اليوم، فأنت لم تكن وقتها تتحدث عن رب العالمين! لم تتحدث بشيء عن هذه الدعوى التي تدعيها اليوم؛ ولم تخطرنا بمقدمات هذا الأمر العظيم؟! وظن فرعون أنه رد على موسى ردا لن يملك معه جوابا. إلا أن الله استجاب لدعاء موسى من قبل، فانطلق لسانه) :قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (فعلت تلك الفعلة وأنا بعد جاهل. ويكمل موسى خطابه لفرعون بنفس القوة) :وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (فما كانت تربيتي في بيتك وليدا إلا من جراء استعبادك لبني إسرائيل، وقتل أبنائهم، مما دفع أمي لوضعي في التابوت وإلقاءه في اليم، فتلتقطه فأتربى في بيتك، لا في بيت أبويّ. فهل هذا هو ما تمنه علي، وهل هذا هو فضلك العظيم؟! عند هذا الحد تدخل الفرعون في الحديث.. قَالَ

فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قال موسى: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ التفت فرعون لمن حوله وقال هازئا: أَلَا تَسْتَمِعُونَ قال موسى متجاوزا سخرية الفرعون :رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قال فرعون مخاطبا من جاءوا مع موسى من بني إسرائيل: إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ عاد موسى يتجاوز اتهام الفرعون وسخريته ويكمل: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ نلاحظ أن فرعون لم يكن يسأل موسى عن رب العالمين أو رب موسى وهارون بقصد السؤال البريء والمعرفة. إنما كان يهزأ. ولقد أجابه موسى إجابة جامعة مانعة محكمة)قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) هو الخالق. خالق الأجناس جميعا والذوات جميعا. وهو هاديها بما ركب في فطرتها وجبلتها من خواص تهديها لأسباب عيشها. وهو الموجه لها على أي حال. وهو القابض على ناصيتها في كل حال. وهو العليم بها والشاهد عليها في جميع الأحوال. لم تؤثر هذه العبارة الرائعة والموجزة في فرعون. وها هو ذا يسأل: (فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (لم تعبد ربك هذا؟ لم يزل فرعون ماضيا في استكباره واستهزائه. ويرد موسى ردا يستلفته إلى أن القرون الأولى التي لم تعبد الله، والتي عبدته معا، لن تترك بغير مساءلة وجزاء. كل شيء معلوم عند الله تعالى. هذه القرون الأولى) عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ (أحصى الله ما عملوه في كتاب) .لَّا يَضِلُّ رَبِّي (أي لا يغيب عنه شيء.وَلَا يَنسَى). أي لا يغيب عن شيء. ليطمئن الفرعون بالا من ناحية القرون الأولى والأخيرة وما بينهما. إن الله يعرف كل شيء ولا يضيع شيئا من أجورهم .فقال فرعون لموسى:)قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ .)إلا أن موسى- عليه السلام- لم يفقد رباطة جأشه. كيف يفقدها وهو رسول الله، والله معه ومع أخيه؟ وبدأ الإقناع بأسلوب جديد، وهو إظهار المعجزة (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (فهو يتحدى فرعون، ويحرجه أمام ملأه، فلو رفض فرعون الإصغاء، سيظهر واضحا أنه خائف من حجة موسى) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .(ألقى موسى عصاه في ردهة القصر العظيمة. لم تكد العصا تلمس الأرض حتى تحولت إلى ثعبان هائل يتحرك بسرعة. ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها فإذا هي بيضاء كالقمر. تحدي السحرة: وتبدأ الجولة الثانية بين الحق والباطل. حيث شاور فرعون الملأ من حوله فيما يجب فعله. والملأ لهم مصلحة في أن تبقى الأمور على ما هي عليه، فهم مقربون من فرعون، ولهم نفوذ وسلطان. فأشاروا أن يرد على سحر موسى بسحر مثله، فيجمع السحرة لتحدي

موسى وأخاه. حدد الميقات، وهو يوم الزينة. وبدأت حركة إعداد الجماهير وتحميسهم فدعوهم للتجمع وعدم التخلف عن الموعد، ليراقبوا فوز السحرة وغلبتهم على موسى الإسرائيلي! والجماهير دائما تتجمع لمثل هذه الأمور. أما السحرة، فقد ذهبوا لفرعون ليطمئنوا على الأجر والمكافأة إن غلبوا موسى. فهم جماعة مأجورة، تبذل مهارتها مقابل الأجر الذي تنتظره؛ ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية، ولا شيء سوى الأجر والمصلحة. وها هو ذا فرعون يعدهم بما هو أكثر من الأجر. يعدهم أن يكونوا من المقربين إليه. وهو بزعمه الملك والإله! وفي ساحة المواجهة. والناس مجتمعون، وفرعون ينظر. حضر موسى وأخاه هارون عليهما السلام، وحضر السحرة وفي أيديهم كل ما أتقنوه من ألعاب وحيل، وكلهم ثقة بفوزهم في هذا التحدي. لذا بدءوا بتخيير موسى) :إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (وتتجلى ثقة موسى -عليه السلام- في الجانب الآخر واستهانته بالتحدي) بَلْ أَلْقُوا (فرمى السحرة عصيهم وحبالهم بعزة فرعون) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ .(رمى السحرة بعصيهم وحبالهم فإذا المكان يمتلئ بالثعابين فجأة(سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)

وحسبنا أن يقرر القرآن الكريم أنه سحر عظيم (وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (، لندرك أي سحر كان. وحسبنا أن نعلم أنهم) سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ (وأثاروا الرهبة في قلوبهم وَاسْتَرْهَبُوهُمْ (لنتصور أي سحر كان. فنظر موسى عليه السلام إلى حبال السحرة وعصيهم وشعر بالخوف. في هذه اللحظة، يذكّره ربّه بأن معه القوة الكبرى. فهو الأعلى. ومعه الحق، أما هم فمعهم الباطل. معه العقيدة ومعهم الحرفة. معه الإيمان بصدق الذي دفعه لما هو فيه ومعهم الأجر على المباراة ومغانم الحياة. موسى متصل بالقوة الكبرى والسحرة يخدمون مخلوقا بشريا فانيا مهما يكن طاغية جبارا. لا تخف) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ (وستهزمهم، فهو سحر من تدبير ساحر وعمله. والساحر لا يفلح أنى ذهب وفي أي طريق سار، لأنه يعتمد على الخيال والإيهام والخداع، ولا يعتمد على حقيقة ثابتة باقية. اطمأن موسى ورفع عصاه وألقاها. لم تكد عصا موسى تلامس الأرض حتى وقعت المعجزة الكبرى. وضخامة المعجزة حولت مشاعر ووجدان السحرة، الذين جاءوا للمباراة وهم أحرص الناس على الفوز لنيل الأجر. الذي بلغت براعتهم لحد أن يشعر موسى بالخوف من عملهم. تحولت مشاعرهم بحيث لم يسعفهم الكلام للتعبير(:فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً

قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) تسائل فرعون مستغربا)آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ)كأنما كان عليهم أن يستأذنوه في أن يعودوا للحق. لكنه طاغية متكبر متجبر أعمى السلطان عينيه عن الحق. ويزيد في طغيانه فيقول) إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا (إن غلبته لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك، وهو يعلم وكل من له عقل أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل. ويظل الطاغية يتهدد) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (ويتوعد) لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (لكن النفس البشرية حين تستيقن حقيقة الإيمان، تستعلي على قوة الأرض، وتستهين ببأس الطغاة، وتنتصر فيها العقيدة على الحياة، وتختار الخلود الدائم على الحياة الفانية) .قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (إنه الإيمان الذي لا يتزعزع ولا يخضع. ويعلن السحرة حقيقة المعركة) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا (فلا يطلبون الصفح والعفو من عدوّهم، إنما يطلبون الثبات والصبر من ربهم) رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِين .(فيقف الطغيان عاجزا أما هذا الوعي وهذا الاطمئنان. عاجزا عن رد هؤلاء المؤمنين لطريق الباطل من جديد. فينفذ تهديده، ويصلبهم على جذوع النخل. التآمر على موسى ومن آمن معه:

وتبدأ جولة جديدة بين الحق والباطل. فهاهم علية القوم من المصريين، يتآمرون ويحرضون فرعون ويهيجونه على موسى ومن آمن معه، ويخوّفونه من عاقبة التهاون معهم .وهم يرون الدعوة إلى ربوبية الله وحدة إفسادا في الأرض. حيث يترتب عليها بطلان شرعية حكم فرعون ونظامه كله. وقد كان فرعون يستمد قوته من ديانتهم الباطلة، حيث كان فرعون ابن الآلهة. فإن عبد موسى ومن معه الله رب العالمين، لن تكون لفرعون أي سطوة عليهم. فاستثارت هذه الكلمات فرعون، وأشعرته بالخطر الحقيقي على نظامه كله ففكر بوحشيته المعتادة وقرر) قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِـي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (لم يكن هذا التنكيل الوحشي جديدا على بني إسرائيل. فقد نُفِّذ عليهم هذا الحكم في إبان مولد موسى عليه السلام. فبدأ موسى –عليه السلام– يوصي قومه باحتمال الفتنة، والصبر على البلية، والاستعانة بالله عليها. وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده. والعاقبة لمن يتقي الله ولا يخشى أحدا سواه) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (إلا أن قومه بدءوا يشتكون من العذاب الذي حل بهم) قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا (إنها كلمات ذات ظل! وإنها لتشي بما وراءها

من تبرم !أوذينا قبل مجيئك وما تغير شيء بمجيئك. وطال هذا الأذى حتى ما تبدو له نهاية! فيمضي النبي الكريم على نهجه. يذكرهم بالله، ويعلق رجاءهم به، ويلوح لهم بالأمل في هلاك عدوهم. واستخلافهم في الأرض. مع التحذير من فتنة الاستخلاف، فاستخلاف الله لهم إنما هو ابتلاء لهم، فهو استخلاف للامتحان) :قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (موقف الرجل المؤمن من آل فرعون: كادت فكرة فرعون أن تحصل على التصديق لولا رجل من آل فرعون. رجل من رجال الدولة الكبار، لا يذكر القرآن اسمه، لأن اسمه لا يهم، لم يذكر صفته أيضا لأن صفته لا تعني شيئا، إنما ذكر القرآن أنه رجل مؤمن. ذكره بالصفة التي لا قيمة لأي صفة بعدها. تحدث هذا الرجل المؤمن، وكان) يَكْتُمُ إِيمَانَهُ (تحدث في الاجتماع الذي طرحت فيه فكرة قتل موسى وأثبت عقم الفكرة وسطحيتها. قال إن موسى لم يقل أكثر من أن الله ربه، وجاء بعد ذلك بالأدلة الواضحة على كونه رسولا، وهناك احتمالان لا ثالث لهما: أن يكون موسى كاذبا، أو يكون صادقا، فإذا كان كاذبا) فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ (وهو لم يقل ولم يفعل ما يستوجب قتله. وإذا كان صادقا وقتلناه، فما هو الضمان من نجاتنا من العذاب الذي يعدنا به؟

تحدث المؤمن الذي يكتم إيمانه فقال لقومه: إننا اليوم في مراكز الحكم والقوة. من ينصرنا من بأس الله إذا جاء؟ ومن ينقذنا من عقوبته إذا حلت؟ إن إسرافنا وكذبنا قد يضيعاننا. وبدت كلماته مقنعة. إنه رجل ليس متهما في ولائه لفرعون. وهو ليس من أتباع موسى. والمفروض أنه يتكلم بدافع الحرص على عرش الفرعون .ولا شيء يسقط العروش كالكذب والإسراف وقتل الأبرياء. ومن هذا الموضع استمدت كلمات الرجل المؤمن قوتها. بالنسبة إلى فرعون ووزرائه ورجاله. ورغم أن فرعون وجد فكرته في قتل موسى، صريعة على المائدة. رغم تخويف الرجل المؤمن لفرعون. رغم ذلك قال الفرعون كلمته التاريخية التي ذهبت مثلا بعده لكل الطغاة) :قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (هذه كلمة الطغاة دائما حين يواجهون شعوبهم) مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى .(هذا رأينا الخاص، وهو رأي يهديكم سبيل الرشاد. وكل رأي غيره خاطئ. وينبغي الوقوف ضده واستئصاله. لم تتوقف المناقشة عند هذا الحد. قال فرعون كلمته ولكنه لم يقنع بها الرجل المؤمن. وعاد الرجل المؤمن يتحدث وأحضر لهم أدلة من التاريخ، أدلة كافية على صدق موسى : {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (42) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (43)فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (44) غافر} أنهى الرجل المؤمن حديثه بهذه الكلمات الشجاعة. بعدها انصرف. انصرف فتحول الجالسون من موسى إليه. بدءوا يمكرون للرجل المؤمن. بدءوا يتحدثون عما صدر منه. فتدخلت عناية الله تعالى (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (وأنجته الله من فرعون وجنوده.

ابتلاء الله أهل مصر: أما حال مصر في تلك الفترة. فلقد مضى فرعون في تهديده، فقتل الرجال واستحياء النساء. وظل موسى وقومه يحتملون العذاب، ويرجون فرج الله، ويصبرون على الابتلاء. وظل فرعون في ظلاله وتحدّيه. فتدخلت قوة الله سبحانه وتعالى، وشاء الله تعالى أن يشدد على آل فرعون. ابتلاء لهم وتخويفا، ولكي يصرفهم عن الكيد لموسى ومن آمن معه، وإثباتا لنبوة موسى وصدقه في الوقت نفسه .وهكذا سلط على المصريين أعوام الجدب. أجدبت الأرض وشح النيل ونقصت الثمار وجاع الناس، واشتد القحط. لكن آل فرعون لم يدركوا العلاقة بين كفرهم وفسقهم وبين بغيهم وظلمهم لعباد الله. فأخذوا يعللون الأسباب. فعندما تصيبهم حسنة، يقولون إنها من حسن حظهم وأنهم يستحقونها. وإن أصابتهم سيئة قالوا هي من شؤم موسى ومن معه عليهم، وأنها من تحت رأسهم! وأخذتهم العزة بالإثم فاعتقدوا أن سحر موسى هو المسئول عما أصابهم من قحط. وصور لهم حمقهم أن هذا الجدب الذي أصاب أرضهم، آية جاء بها موسى ليسحرهم بها، وهي آية لن يؤمنوا بها مهما حدث. فشدد الله عليهم لعلهم يرجعون إلى الله، ويطلقون بني إسرائيل ويرسلونهم معه. فأرسل عليهم الطوفان، والجراد، والقمل- وهو السوس- والضفادع، والدم. ولا يذكر القرآن إن كانت جملة واحدة، أم واحدة تلو الأخرى. وتذكر بعض الروايات أنها جاءت متتالية وحدة تلو الأخرى. إلا أن المهم هو طلب آل فرعون من موسى أن يدعو لهم ربه لينقذهم من هذا البلاء. وبعدونه في كل مرة أن يرسلوا بني إسرائيل إذا أنجاهم ورفع عنهم هذا البلاء) قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا

عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ (فكان موسى –عليه السلام– يدعو الله بأن يكشف عنهم العذاب .وما أن ينكشف البلاء حتى ينقضون عهدهم، ويعودون إلى ما كانوا فيه) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (لم يهتد المصريون، ولم يوفوا بعهودهم، بل على العكس من ذلك. خرج فرعون لقومه، وأعلن أنه إله. أليس له ملك مصر، وهذه الأنهار تجري من تحته، أعلن أن موسى ساحر كذاب. ورجل فقير لا يرتدي أسورة واحدة من الذهب. ويعبّر القرآن الكريم عن أمر فرعون وقومه) :فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ (استخف بعقولهم. واستخف بحريتهم. واستخف بمستقبلهم. واستخف بآدميتهم. فأطاعوه. أليست هذه طاعة غريبة. تنمحي الغرابة حين نعلم أنهم كانوا قوما فاسقين. إن الفسق يصرف الإنسان عن الالتفات لمستقبله ومصالحه وأموره، ويورده الهلاك. وذلك ما وقع لقوم فرعون. خروج بني إسرائيل من مصر: بدا واضحا أن فرعون لن يؤمن لموسى. ولن يكف عن تعذيبه لبني إسرائيل، ولن يكف عن استخفافه بقومه. هنالك دعا موسى وهارون على فرعون. {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) (89)يونس{لم يكن قد آمن مع موسى فريق من قومه. فانتهى الأمر، وأوحي إلى موسى أن يخرج من مصر مع بني إسرائيل. وأن يكور رحيلهم ليلا، بعد تدبير وتنظيم لأمر الرحيل. ونبأه أن فرعون سيتبعهم بجنده؛ وأمره أن يقوم قومه إلى ساحل البحر وهو في الغالب عند التقاء خليج السويس . وبلغت الأخبار فرعون أن موسى قد صحب قومه وخرج. فأرسل أوامره في مدن المملكة لحشد جيش عظيم. ليدرك موسى وقومه، ويفسد عليهم تدبيرهم. أعلن فرعون التعبئة العامة. وهذا من شأنه أن يشكل صورة في الأذهان، أن موسى وقومه يشكلون خطرا فعلى فرعون وملكه، فكيف يكون إلها من يخشى فئة صغيرا يعبدون إله آخر؟! لذلك كان لا بد من تهوين الأمر وذلك بتقليل شأن قوم موسى وحجمهم (إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (لكننا نطاردهم لأنهم أغاظونا، وعلى أي حال، فنحن حذرون مستعدون ممسكون بزمام الأمور. وقف موسى أمام البحر. وبدا جيش الفرعون يقترب، وظهرت أعلامه. وامتلأ قوم موسى بالرعب .كان الموقف حرجا وخطيرا. إن البحر أمامهم والعدو

ورائهم وليس معهم سفن أو أدوات لعبور البحر، كما ليست أمامهم فرصة واحدة للقتال. إنهم مجموعة من النساء والأطفال والرجال غير المسلحين. سيذبحهم فرعون عن آخرهم. صرخت بعض الأصوات من قوم موسى: سيدركنا فرعون. قال موسى:)كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)لم يكن يدري موسى كيف ستكون النجاة، لكن قلبه كان ممتلئا بالثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، فالله هو الذي يوجهه ويرعاه. وفي اللحظة الأخيرة، يجيء الوحي من الله (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ (فضربه، فوقعت المعجزة) فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (وتحققه المستحيل في منطق الناس، لكن الله إن أراد شيئا قال له كن فيكون. ووصل فرعون إلى البحر. شاهد هذه المعجزة. شاهد في البحر طريقا يابسا يشقه نصفين. فأمر جيشه بالتقدم. وحين انتهى موسى من عبور البحر. وأوحى الله إلى موسى أن يترك البحر على حاله) وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ(وكان الله تعالى قد شاء إغراق فرعون. فما أن صار فرعون وجنوده في منتصف البحر، حتى أصدر الله أمره، فانطبقت الأمواج على فرعون وجيشه. وغرق فرعون وجيشه. غرق العناد. ولما عاين فرعون الغرق، ولم يعد يملك النجاة (قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (سقطت عنه كل الأقنعة الزائفة، وتضائل، فلم يكتفي بأن يعلن إيمانه، بل والاستسلام أيضا(وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) لكن بلا فائدة، فليس الآن وقت اختيار، بعد أن سبق العصيان والاستكبار (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(انتهى وقت التوبة المحدد لك وهلكت .انتهى الأمر ولا نجاة لك. سينجو جسدك وحده. لن تأكله الأسماك، ولين يحمله التيار بعيدا عن الناس، بل سينجو جسدك لتكون آية لمن خلفك. (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢) (يونس أسدل الستار على طغيان الفرعون. ولفظت الأمواج جثته إلى الشاطئ. بعد ذلك. نزل الستار تماما عن المصريين. لقد خرجوا يتبعون خطا موسى وقومه ويقفون أثرهم. فكان خروجهم هذا هو الأخير. وكان إخراجا لهم من كل ما هم فيه من جنات وعيون وكنوز؛ فلم يعودوا بعدها لهذا النعيم! لا يحدثنا القرآن الكريم عما فعله من بقى من المصررين في مصر بعد سقوط نظام الفرعون وغرقه مع جيشه. لا يحدثنا عن ردود فعلهم بعد أن دمر الله ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يشيدون. يسكت السياق القرآني عنهم. ويستبعدهم تماما من التاريخ والأحداث.

موعد موسى لملاقاة ربه: انتهت المرحلة الأولى من مهمة موسى عليه السلام، وهي تخليص بني إسرائيل من حياة الذل والتعذيب على يد فرعون وجنده. والسير بهم إلى الديار المقدسة. لكن القوم لم يكونوا على استعداد للمهمة الكبرى، مهمة الخلافة في الأرض بدين الله. وكان الاختبار الأول أكبر دليل على ذلك. فما أن رأوا قوما يعبدون صنما، حتى اهتزت عقيدة التوحيد في نفوسهم، وطلبوا من موسى أن يجعل لهم وثنا يعبدوه. فكان لا بد من رسالة مفصلة لتربية هذه الأمة وإعدادها لما هم مقبلون عليه. من أجل هذه الرسالة كانت مواعدة الله لعبده موسى ليلقاه. وكانت هذه المواعدة إعداد لنفس موسى ليتهيأ للموقف الهائل العظيم. فاستخلف في قومه أخاه هارون عليه السلام. كانت فترة الإعداد ثلاثين ليلة، أضيف إليها عشر، فبلغت عدتها أربعين ليلة. يروض موسى فيها نفسه على اللقاء الموعود؛ وينعزل فيها عن شواغل الأرض؛ فتصفو روحه وتتقوى عزيمته .ويذكر ابن كثير في تفسيره عن أمر هذه الليالي" :فذكر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة؛ قال المفسرون: فصامها موسى –عليه السلام– وطواها، فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة، فأمره الله تعالى أن يكمل العشرة أربعين ."كان موسى بصومه –أربعين ليلة– يقترب من ربه أكثر. وكان موسى بتكليم الله له يزداد حبا في ربه أكثر. فطلب موسى أن يرى الله. ونحن لا نعرف أي مشاعر كانت تجيش في قلب موسى عليه الصلاة والسلام حين سأل ربه الرؤية. أحيانا كثيرة يدفع الحب البشري الناس إلى طلب المستحيل. فما بالك بالحب الإلهي، وهو أصل الحب؟ إن عمق إحساس موسى بربه، وحبه لخالقه، واندفاعه الذي لم يزل يميز شخصيته. دفعه هذا كله إلى أن يسأل الله الرؤية .وجاءه رد الحق عز وجل):قَالَ لَن تَرَانِي (ولو أن الله تبارك وتعالى قالها ولم يزد عليها شيئا، لكان هذا عدلا منه سبحانه، غير أن الموقف هنا موقف حب إلهي من جانب موسى. موقف اندفاع يبرره الحب ولهذا أدركت رحمة الله تعالى موسى. أفهمه أنه لن يراه، لأن أحدا من الخلق لا يصمد لنور الله. أمره أن ينظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف يراه. قال تعالى) :وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا (لا يصمد لنور الله أحد. فدكّ الجبل، وصار مسوّى في الأرض .وسقط موسى مغشيا عليه غائبا عن وعيه. فلما أفاق قال سبحانك تنزهت وتعاليت عن أن ترى بالأبصار وتدرك. وتبت إليك عن تجاوزي في سؤالك! وأنا أول المؤمنين بك وبعظمتك .ثم تتداركه رحمة ربه من جديد.

فيتلقى موسى -عليه السلام- البشرى. بشرى الاصطفاء .مع التوجيه له بالرسالة إلى قومه بعد الخلاص. قال تعالى:)قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ(عبادة العجل: انتهى ميقات موسى مع ربه تعالى. وعاد غضبان أسفا إلى قومه. فلقد أخبره الله أن قومه قد ضلّوا من بعده. وأن رجلا من بني إسرائيل يدعى السّامري هو من أضلّهم. انحدر موسى من قمة الجبل وهو يحمل ألواح التوراة، قلبه يغلي بالغضب والأسف. نستطيع أن نتخيل انفعال موسى وثورته وهو يحث خطاه نحو قومه. لم يكد موسى يغادر قومه إلى ميقات ربه. حتى وقعت فتنة السامري .وتفصيل هذه الفتنة أن بني إسرائيل حين خرجوا من مصر، صحبوا معهم كثيرا من حلي المصريين وذهبهم، حيث كانت نساء بني إسرائيل قد استعارته للتزين به، وعندما أمروا بالخروج حملوه معهم. ثم قذفوها لأنها حرام. فأخذها السامري، وصنع منها تمثالا لعجل. وكان السامري فيما يبدو نحاتا محترفا أو صائغا سابقا، فصنع العجل مجوفا من الداخل، ووضعه في اتجاه الريح، بحيث يدخل الهواء من فتحته الخلفية ويخرج من أنفه فيحدث صوتا يشبه خوار العجول الحقيقية. ويقال إن سر هذا الخوار، أن السامري كان قد أخذ قبضة من تراب سار عليه جبريل -عليه السلام- حين نزل إلى الأرض في معجزة شق البحر. أي أن السامري أبصر بما لم يبصروا به، فقبض قبضة من أثر الرسول -جبريل عليه السلام- فوضعها مع الذهب وهو يصنع منه العجل. وكان جبريل لا يسير على شيء إلا دبت فيه الحياة. فلما أضاف السامري التراب إلى الذهب، ثم صنع منه العجل، خار العجل كالعجول الحقيقية.

قصص من السنة

الغلام والراهب

عنْ صُهَيْبٍ الرُّوْمِيِّ، ﷺ، أنَّ رَسُوْلَ اللهَّ ﷺ قال: "كَانْ مَلِكٌ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانْ لَه سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لَلْمَلِكِ: إنَّى قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامَا أُعَلِّمُهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامَ ا يُعَلِّمُهُ، وَكَانْ فِي طَرِيْقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، وَكَانْ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَال: إِذَا خَشِيْتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيْتَ أهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَتى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيْمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَال: اليَوْمَ أَعلمُ السَّاحِرُ أفْضَلُ أم الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَر ا فَقَال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانْ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أمرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِي النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا

وَمَضَى النَّاسُ. فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَال لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ! أَنْت اليَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيْتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الغُلَامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيْسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيْرَةٍ، فَقَال: مَا هاهنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَال: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدَ ا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ تَعَالَى، فَإِنْ آمَنْتَ باللهِ تَعَالَى، دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ. فَآمَنَ بِاللهِ تَعَالَى، فَشَفَاهُ اللهُ تَعَالَى، فَأَتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يجلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قال: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌ غَيْرِي؟!. قَال: رَبِّي وَرَبُّك اللهُ، فَأَخذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلَامِ. فَجِيءَ بِالغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وُتَفعْلُ. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أحَد ا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ تَعَالَى، فأخذَهُ فَلم يزل يعذبه حَتَّى دلَّ عَلى الرَّاهِب، فَجْيَء بِالرَّاهِبِ فَقِيْلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِيْنِكَ، فَأَبى، فَدَعَا بِالمِنْشَارِ، فَوُضِعَ المِنْشَارُ في مَفْرِقِ رَأسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيْسِ المَلِكَ فقيل له: ارجع عن دينك، فَأَبى فَوُضِعَ المِنْشَارُ في مَفْرِقِ رَأسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالغُلَامِ فَقِيْلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينكَ، فَأَبَى. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفرٍ مِنْ أَصحَابِهِ، فَقَال: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِيْنِهِ، وَإِلَّا فَاطْرحُوْهُ. فَذَهَبُوا بِهِ، فَصَعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَقَل: اللَّهُمَّ اكْفِنِيْهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبَلُ فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل بأصحابك؟! فَقَالَ: كَفَانِيْهِمُ اللهُ تَعَالَى! فَدَفَعَهُ إِلى نَفرٍ من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرْقُوْرٍ وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلَّا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللَّهُمَّ اكْفِنِيْهِمْ بِمَا شِئتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِيْنَةُ فَغَرَقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إلى المَلِكِ. فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فُعِلَ بِأَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيْهِمُ اللهُ تَعَالَى. فَقَال للمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذعٍ، ثمَّ خُذْ سهم ا من كنانتي، ثمَّ ضع السهم في كبد القوس، ثمَّ قل: بسم اللهِ رب الغلام، ثمَّ ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثمَّ أَخذ سهما من كنانته، ثمَّ وضع السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثمَّ قَالَ: بِسْمِ الله رَبِّ الغُلَامِ، ثمَّ رمَاهُ فوقع السهم في صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يده في صدغه فمات. فقال الناسُ: آمنا باللهِ رب الغلام، فَأُتِيَ المَلِكُ فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نَزَلَ بك حَذَرُكَ. قد آمن الناسُ. فَأمر بالأُخدود بأفواه السكك فَخُدَّتْ وَأُضْرِمَ فِيْهَا النِّيْرَانُ، وقال: من لم

يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقْتِحِمْ! فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيْهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أَمَّاهُ اصْبِرِى، فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ» مسلم

حديقة الأزهار

زهرات نبوية

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ . مسند أحمد عن الحسين بن علي

حسن الإسلام

غالب وغسان شقيقان متجاوران ، كلٌ يسكن بيتا مستقلا ؛ ولكن بينهما جدار مشترك يتيح لهما سماع ما يجري في بيوتهم ، فلما رجع غالب ليلا من محله حيث يعمل تاجرا في السوق ، وقضى طعامه سمع الزوجة أم أحمد تقول : كأن امرأة أخيك غسان تركت البيت ظهرا .. فقد سمعت تصايحهما .. ثم خروجها غاضبة لبيت أهلها .

ـ آ !.. لقد مرّ عليّ عصرا وكان وجهه كالحا .. ولما سألته ما لك كئيب ؟ قال : لا شيء تعبان ، وابتعد عن المحل ..فكرت أنه جاء يستلف مالا ؛ ولكنه سكت .. الآن فهمت السر !

ـ لماذا تكثر المنازعات بينهم يا أبا أحمد ؟!

قال بتردد : لماذا ؟ هذا جوابه عندهم .. أعتقد تخمينا السبب حب امرأة أخي للخروج الكثير لزيارة أهلها وأخواتها .

ـ وهل تضايق زيارة الأهل ؟!

قال : لا تضايق زيارة الأهل.. أنا قلت الإكثار .. ولما يرجع من الدائرة لا يجدها في البيت تبدأ الاتصالات والاعتذارات .. لم يوفق أخي في اختيار الزوجة الصالحة .

ـ كيف هذا يا غسان ؟

قال : كان يحضر عرسا لصديق له ورآها فجأة وعشقها ، وتحدث مع أخيها صديقه فرحب بذلك ، ومشى الزواج .. ووجدنا أنه لا يعرف صديقه جيدا مجرد زميل في الدائرة .

ـ وكيف ستساعده هذه المرة ؟

تنهد غالب وقال : كما فعلنا في المرات السابقة ؛ ربما هذه رقم عشر .. سأذهب إليه لحل النزاع .. وأضغط على أبي ليذهب معي رغم أنه هدد في المرة الماضية أن لا يذهب للصلح بينهما .. هو لو يتصل بالتلفون لقالوا له تعال وانتهى الأمر .. لكن غسان لا تأتيه الجرأة ليفعل ذلك ؛ لأنه سيرفع صوته مهددا بالطلاق والفراق .. سأذهب إليه وأعرف سبب هذه المشكلة .. جهزي عشاء له .

ـ ألا يحب الطعام الذي أكلت منه ؟

قال : غسان إذا كان الطعام بدون زفر سيدعي الشبع وأنه أكل .

طرق بيت شقيقه وسلم عليه وقال له : علمت أن

زوجتك خرجت فتعال للعشاء معنا لنتكلم في القضية .

ـ تعبت منها يا غالب وزعيقي وصياحي لم يعد يجدي نفعا .. فأنا أفكر في الفراق فعلا .

ـ لك ثلاث سنوات معها ولم تفهمها بعد .

ـ أنا أفهم الناس بها .. تريد الطلاق ؛ ولكنها تريده مني لتبدو أمام أهلها والنَّاس أنني السبب .. لقد كرهتها حقا منذ مات الطفل ..وأنا أريد أن أحزم أمري .

ـ لكن الطفل قدر .

قال بسخط : مات إهمالا منها .

ـ تعال للعشاء وبعدها نفكر بهدوء لحل المشكلة .

ـ المشكلة كالعادة وأنا منصرف لعملي قالت أمي مريضة سأعودها ساعة زمان وقبل الظهر سأكون في البيت قلت لها توكلي على الله .. واتصلت بالبيت قبل الظهر لم ترد .. واتصلت ببيت أمها وأخبرتها أني في طريقي للبيت .. فقد غادرت العمل لصداع ألم بي .. وعدت للبيت بعد صلاتي الظهر في الجامع ووجدتها فعاتبتها بحدة بعض الشيء تظاهرت بالغضب والسخط ، وقلت لها : إذا لم يعجبك هذا الحال فبيت أخيك أولى بك .. فاستشاطت غضبا وحملت بعض الملابس ، وغادرت وهي تصيح وتشتم .

ساق غالب غسان لبيته ، وقدم له العشاء والشاي ، وقال له بعد ذلك : ما الحل ؟

ـ الحل يا أخي الفراق .. هي تعتبر كل تهديداتي تهويلا ومزحا ودجلا .. وكما قال أبي في المرة الماضية: إذا حدث هجر وحرد فالمحكمة أولى بنا ثلاث سنين أمضيناها في الشجار والبهادل والعصبية .

ـ فكر بالأمر تفكيرا معمقا يا غسان ! فالطلاق أمر شرعي ؛ ولكنه آخر العلاج .. ولا أرى هذه المشاكل تستوجب الوصول إليه .. فالصبر على النساء مكرمة .. وهي محافظة على مالك وشرفك .. صحيح لسانها عند الغضب يخرج منه كلاما جارحا .. وهذا عيب عند الكثير من الخلق .. فالأخلاق الحسنة لا تباع ولا تشترى .. الأخلاق الطيبة تكتسب .. لقد رأيتها في المرة الماضية عندما واجهت أبي عندما سعينا في الصلح بينكم أن قالت لنا : " مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ" .. جعلت تدخلنا بينكم لا يعنينا.. وأيدتها أمها وشقيقها زميلك في الدائرة في هذا المعنى ..

ـ هذا جهل !.. وهذه هي العقبة ؛ لأنني إذا صممت على الطلاق عليّ أن أنتقل لدائرة أخرى .. ولكنك بينت لهم أن الإصلاح لا يدخل في هذا الحديث .. وأن الأمر بالمعروف لا يدخل بهذا الحديث وإلا ما أحد أصلح بين أحد .. والصلح خير .. ولا أحد أمر بمعروف ونهى عن منكر .

قال : هناك الكثير من الآيات والاحاديث يفسرها الناس على أهوائهم ومصالحهم ليس كما يريدها الإسلام .. هنا الإشارة إلى ترك فضول النظر وفضول الكلام والغيبة والاشتغال بالواجبات والمستحبات .. وليس بمنع مساعدة الناس في الطاعات ، ورفع عنهم المشاق والأذى .. استشهاد كان في غير موضعه .. على كل حال فكر يا غسان بما تريده .. وأنا جاهز للسعي في الصلح .. وسأضغط على أبي إن تطلب الأمر أن يذهب معنا .. المشكلة في صديقك .. يقف معها دائما ؛لأنه ساعدك في الزواج منها .. فعليك أن تتحملها على عوجها .

ـ نعم ، استغل هذه النقطة معي .. أنت الذي هويتها .. أنت الذي رغبتها .. فلم أعد أشكو أمري له .. لما أخذ يكرر هذا الكلام ..سأحسم الأمر .

ـ أرجو أن لا تكون امرأة أخرى في حياتك هذه الأيام .

ـ لا ، لم يحدث بيني وبين أي إنسانة وعود .. ومن الجائز التعدد .

قال غالب : أنا لم أتحدث عن التعدد .. لا تجعل التعدد حلا لمشكلتك.. أنا ألاحظ أنك تتحدث عن الطلاق قبل هذه المشكلة الحالية .. فكر رويا في أمرها .. ولا تترك فرصة للإصلاح إلا واعمل بها يا غسان .. وأنا صدقا أحب لك الراحة والسكون في حياتك الزوجية .. أما إذا اشتكيت زوجتك أمام موظفة وزميلة ، وأبدت معك تعاطفا ، وأبدت رغبة فيك لا تتهور .

ـ الصحيح أن مثل ذلك حصل ؛ ولكن لم اشجع أي فتاة للزواج .. إنما كان الحديث عن التعدد واستعداد إحداهن للقبول أن تكون زوجة ثانية .

قال : وأنت ـ يا أخي ـ لا تستطيع فتح بيت ثاني حتى ولو كانت موظفة معك .

ـ أنت كيف خمنت كل ذلك ؟!

ضحك غالب ثم رد : ليس من هذه الجلسة .. قبل أسابيع كان لك حديث عن فلان تزوج على امرأته وآخر فعل مثله .. وكرر هذه الكلام من أيام .. وها قد حدثت المشكلة ولمحت أثناء الطعام لماذا يخاف المرء من الزواج على امرأته في هذا العصر ؟!

ـ لقد ضقت ذرعا من كثرة خروجها لبيت أمها .. أعود للبيت ولا أجد الطعام معدا .. تعده عند قدومي أو بعد حضوري.. وتزعجني بمرض أمها وأهلها ؛ كأنه لا أحد يمرض إلا هم ..كل الناس يمرض ويوعك .

ـ لقد لفتت زوجتي نظرها لذلك ؛ ولكنها كما هي عادتها " مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ " هي لا تحفظ من الإسلام إلا هذا الحديث .. عليك بالتفكير يا غسان والتأني فهدم بيت أمر صعب ..

واجتهدا بالعلاج للحمل من جديد .

ـ إنها تتعالج كما تخبرني .. وتزعم أن كثرة زيارتها لأهلها صباحا من أجل هذه الغاية .

ولم يلتق الشقيقان بعد هذه الليلة إلا بعد أيام ، وقال لغالب : جئت لأخبرك أن زوجتي تحدثت معي قبل نصف ساعة مخبرة أن والدتها توفيت .

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ..هي ما زالت هناك ؟

ـ نعم ، رحم الله أمها .

قال : نعم ـ رحمها الله ـ هل تحدثت مع أبي ؟

ـ لا ، جئت إليك فورا .

ـ هي ما زالت زوجة لك .. سأتحدث مع والدي لنذهب إليهم ، ونقوم بالواجب الشرعي والأدبي

ـ ولكني حسمت أمري بالطلاق .

ـ أجّل الأمر ؛ لعل وفاة والدتها تحدث تغييرا في سلوكها معك .. فهي الآن بغير أب وأم .. قد تتغير .

ـ تحدثت معها قبل يومين ، وطلبت منها العودة ، فرفضت وقالت بوقاحة : لم أعد بحاجة إليك .. لي ثلاثة أيام عند أهلي وأنت غير مكترث .

ـ ربما مرض أمها .

ـ أمها مريضة من عشر سنوات ، وتوفيت فجأة .

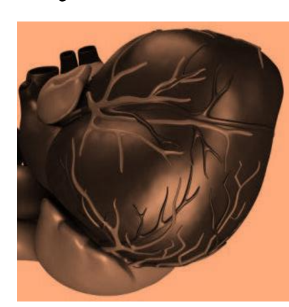
قال : أعطها فرصة أخيرة يا غسان .

تحدث غالب مع أبيه عن خبر وفاة والدة زوجة غسان ، وطلب منه الاستعداد لزيارة بيت الميتة .

وركب الأخوان سيارة غالب جهة بيت والديهما ليصحبهما معهما إلى بيت العزاء والموت .

مشاهد تربوية

هو يحسدني



كان من حظي وأنا عائد من الجامعة أن يرافقني أحد الزملاء الذين لا أرغب بصحبتهم ، فما يكاد يستقر بنا المقام على مقاعد الحافلة التي تنقلنا لوسط المدينة العاصمة حتى يبدأ الكلام قائلا : يا أخ إبراهيم .. هذا المدعو باسم .. أراه ذكيا للغاية من أين جاءه كل هذا الفهم والمعرفة ؟..أشعر كأنه حافظ للكتب عن ظهر قلب .

قلت : إنه يدرس ، ويقضي وقتا طويلا في الدراسة والحفظ والمذاكرة .. افعل مثله ربما تتفوق عليه .

ـ يا رجل .. أضيع الحياة وسنوات الشباب مثله في حفظ كتب بعد الامتحان والنجاح ستذهب أدراج الرياح .. لا تستخدم .. لقد درسنا وحفظنا منذ أول يوم دخلنا فيه في المدرسة .. وكله ذهب مع آخر امتحان .. الحفظ شيء مؤلم .

قلت متعجبا : مؤلم ! .. أمرك غريب يا صاحبي .. العلم بالتعلم .. والحفظ بالحفظ والمراجعة .. ولولا تعلمك طوال كل هذه السنوات لظللت

أخرس لا تفقه من حديث الناس شيئا ..لا تكن يا صاحبي حسودا .صاح دهشا : حسود !!.. أنا حسود ! .. كيف أكون أنا كذلك ؟!

قلت : إنك تتكلم عنه بحسد ونبرة غير محمودة .

ـ إنك تظلمني يا أخ إبراهيم .. أنا لا أحسد أحدا .. وعلى ماذا أحسده ؟!

قلت : هذا ما استشففته من لهجتك نحو صديقنا باسم ..أحسست أنك تتمنى زوال نعمة الحفظ عنه والذكاء .



اعترض قائلا : لا ، لا ، أبدا إني أتمنى له كل توفيق ونجاح ، وأن يكون الأول على الجامعة كلها

قلت متهكما وغير مصدق لزعمه : ولا تتمنى زوال هذه النعم عنه !

ـ أتمنى أن لا تزول عنه هذه النعم ولكن ..

قلت : ولكن ماذا ؟!.. قلبك متضايق منه ومن قدرته على الحفظ والفهم والتفاعل مع المحاضرين والتفوق على الآخرين !

قال : حسن .. ما هو الحسد يا أخ إبراهيم ؟!

صحت في وجهه غضبا حتى الركاب التفتوا إلينا ، فتبسمت وعدت للصوت المنخفض وقلت : الحسد .. نار في القلب .. نار تأكل الحب والخير من قلب الإنسان .. وأنت ـ بدون مجاملة ـ تذكر ذكاء وفطنة صاحبنا بعين الغيظ والحسد .. وهذه ليست أول مرة أشعر بهذا الأمر .. ما تجاورنا في هذا الباص إلا ذكرت أمامي مثل هذا الحسد عنه .. فصديقنا شاب فاضل محترم ، يحب الخير لي ولك ولكل الزملاء .. الحياة تنافس على الخير .. دعك من الغيظ والحقد والحسد هل تنكر هذا ؟

بعد صمت قال : أنا صحيح أتكلم عليه كثيرا .. وقد يكون كما تقول بغيظ وقهر .. لكني لا أحسده.

قلت : حسنا ، إذا كنت لا تحسده حقا .. فعندما تذكر صديقنا قل ما شاء الله لا قوة إلا بالله .. الأخ باسم نادرة الزمان في الحفظ والفهم والدراسة ..قل ما شاء الله لا قوة إلا بالله بارك الله في ما أعطاه .. فأصدق أنك لا تتمنى زوال ما أنعم الله عليه من النعم .. أما أن تقول من أين جاءه هذا الذكاء ؟.. هذا الحفظ .. هو مغرور لا يظن أن أحدا في الدنيا يحفظ مثله .. الحسد يقتل صاحبه يا صاحبي

فقال مستسلما : والله أحب أن أكون مثله !

قلت : ولم لا تكون قال تعالى { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)} .. اجتهد.. اقرأ احفظ .. يوم على يوم تصبح مثل الأخ باسم .. واعلم أيها الأخ أن الإنسان إذا تمنى حقا أن يكون له مثل الآخرين بدون أن يتمنى

زوال ما تمناه عنهم .. فهذا جائز مباح ولا يعتبر حسدا .

ـ لم أفهم ؟!

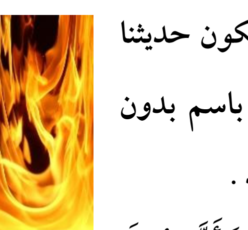
قلت : يعني لو تمنيت أن يكون عندك سيارة مثل الأخ باسم حتى لا تتمرمط في المواصلات كحالنا الآن ..ولا يقع في قلبك ذهاب سيارة باسم فهذا حسد محمود .. ويسميه الفقهاء حسد الغبطة .. وهو حق مشروع .. فتمني أن يكون لديك مثل الآخرين من المال والعلم ليس بحسد قال الحق تعالى { وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)} [الفلق]

ـ يمكنني أن أقول الآن فهمت .. أشكرك على هذا التوضيح .. ولا تخلو مجاورتك من فائدة .. بارك الله فيك .. وبارك الله للسيد باسم في ماله وحفظه وسيارته وكل شيء .. ومن قلبي أتمنى له كل خير .. وهذا قلته بصدق إن شاء الله.. ما هي إلا أيام ولسوف نفترق .

قلت : أحسنت ! وأرجو من كل قلبي أن يكون ما قلته من تمني الخير للجميع ولباسم من قلبك الصادق .. فهو نعم الصديق .. وأنا أنظر إليه بكل احترام ..ولا يضايقني ما هو فيه من خير وذكاء ومال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .. والرجل طوال سنوات الجامعة التي مضت متواضع ومتعاون وليس متكبرا ولا متعجرفا ولا مغرورا ..هذا الفضل من الله .. نسأله أن يوسع علينا من فضله ورحمته .. وإذا برز ذكائه بيننا لا يعني هذا أنه مغرور ..

ـ أعتذر عن الإزعاج الذي سببته لك بالحديث عن الزميل باسم .. فها هو الباص وصل محطته الأخيرة .

قلت : أرجو إن اجتمعنا مرة أخرى بمثل هذه الباص أن يكون حديثنا عن الزميل باسم بدون حسد وحقد .



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " قَالَ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ فَقَالَ رَجُلٌ لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ "صحيح البخاري

كلام المكاتب

مكتب المدرسة

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ }

كان اكرم يجلس في مكتبه في مدرسة العزم منتظرا أحد المدرسين العاملين في المدرسة ضمن كادرها وهيئة التدريس

فيها ، وكان السيد اكرم وهو قيم المدرسة ومديرها الجديد بدأ مديرا لها منذ مطلع العام الدراسي الذي يوشك أن ينصرم وامتحانات الفصل الثاني لهذا العام الدراسي على الأبواب .

فإنك تجد الحركة دائبة ونشطة لختام الموسم الدراسي ، فكان المدير منتظرا الاستاذ ملقي معلم مادة العلوم ، فهناك أكثر من معلم للعلوم في المدرسة ، وهي من المدارس الاساسية الكبرى في المنطقة ، فطلابها عددهم قريب من الألف ، ولها سمعة سيئة بين المدارس ؛ فمشاكل الطلاب مع بعضهم كثيرة ؛ والمدرسين مع بعضهم ؛ ومع الاهالي ، لا يكاد يمر يوم بسلام ، ولا يصبر على ادارتها مدير أكثر من موسمين .

دخل الاستاذ ملقي إلى المكتب ساخطا، وألقى التحية ، وجلس ولم يسع لمصافحة المدير كما هو معتاد .

وقال ضجرا : ما الأمر ياحضرة المدير ؟ اخبرني فارس أنك تريدني!

قال اكرم وهو يحدق في ملف بين يديه : نعم ، أرجوك يا أستاذ ملقي اجلس.

فصاح : أنا جالس من قبل أن تأذن !

قال المدير بجفاء : تفضل بالصمت يا سيدي !

قال: عندي حصة ، تركت الطلاب يلعبون ويصرخون .

ـ أرسلت إليهم جهادا يا أستاذ ملقي .

قال بضيق : جيد ! ماذا تريد مني يا حضرة المدير؟

رد المدير بالجفاء : لا أريد منك شيئا ؛ إنما أريد أن أذكرك ببعض الأمور .. أنت تعلم أن لي عاما دراسيا كاملا هنا ، فلا تظن أني غبي مغفل ؛ فأنا أعرف الاستاذ الجيد من غيره!

قال متعجرفا: ولماذا كل هذه المحاضرة؟

صاح اكرم محتدا : أنت متعجل لإنهاء اللقاء.. أنت يا ملقي بكل صراحة منافق ومرائي !

فنهض ملقي صائحا ومحتجا على الاتهام الصارخ الصريح : هذا ايذاء وإهانة يا اكرم بيك ! أنا أنا لا أقبل ذلك ! أنا أحسن مدرسا هنا ، لا أعرف أن أنافق لك!

قال : وهذا غير صحيح يا استاذ ملقي ! .. أنا لا أريدك أن تنافق لي ، ولا لغيري المساعد بدر يشكو منك ،والاستاذ جهاد شكى منك ، والادارة العامة تعلم أنك أستاذ مزعج ، وأنت سبب رحيل عدد من المديرين والمدرسين عن هذه المدرسة .

ضحك ملقي وقال ساخرا : هذا أنا هتلر ولا أعلم يا اكرم افندي!

قال : أفندي .. بيك .. اهزأ كما تشاء .. أنت لم تسأل لماذا وصفتك بالمرائي والمنافق قبل أن تصرخ وتولول وتصخب؟ وأنا أعرف أن ابنك مسؤول كبير في الوزارة .. هذا عمل ليس قبيلة ولا زعامة.

تنهد بعمق وعاد للجلوس : آ .. ! .. لماذا أنا منافق ومرائي ؟!

ــ سأخبرك يا حضرة الاستاذ الفاضل رويدا رويدا ؛ كما صبرنا عليك موسما كاملا اصبر عليّ دقائق .

عاد يتمتم : عجل عجل عندي حصة.. أنت ضيعت وقت الطلاب من غير فائدة أنا لست منافقا ، ولا مرائيا يا حضرة المتعجرف!

تبسم اكرم : متعجرف يا سلام ! أنت منافق مرائي ؛ لأن المنافق له وجهان وجه التقي الخاشع ووجه الحاقد الناقم ، معي بوجه ، ومع مدير الدائرة بوجه آخر يا ملقي ! .. تقول لي شيئا وتقول لحاتم شيئا آخر .. ماذا تسمي هذا ؟ ما يسمى من يفعل ذلك ؟ .. أنا لا يهمني نفاقك المهم أن نقوم بواجبنا والعمل على قدر الصحة والاستقامة .. المنافق إذا حدث كذب واذا خاصم فجر أنا لست ملاكا يمشي على الارض ، ولا أحسن منك .. أنا إنسان طبيعي أصيب وأخطىء .. عسى أن تفهم وتستوعب ذلك .

صرخ ملقي وهو ينهض : اسمع لن أقدم نقلا ، لن أرحل من المدرسة.

ـ ولا أحد طلب منك ذلك، المدرسة ليست لي ولا لأبي ،ولا لك المدرسة للشعب وللطلاب

قال : كلام فارغ أنت ظالم !

قال : ظالم متعجرف بدلا من أفندي وبيك وحضرة المدير .. أنا بالطبع لا أستطيع تربيتك من جديد .. وأنت عليك أن تحترم نفسك يا سيد ملقي ! وعليك أن تكون قدوة حسنة للطلاب ، وليس مثيرا للفتن والاشاعات والنفاق.. تواضع ؛ ولتصير مديرا ، فليس هناك مانعا يحجزك عن الادارة ، قدم للادارة .. والدين النصيحة .. الصدق مطلوب ، والنقد مطلوب .

خرج ملقي ناقما قبل انتهاء الكلام ، وكان يسب ويلعن بصوت عال ومسموع ومما قال : الكذابون والمفسدون كثر لن أغفر لك وصفي بالنفاق والرياء .. أنا أقوم بواجبي .

فقال أحد المدرسين الذي سمع الصراخ وهو يفتح باب صفه : أنت أكبر منافق ومرائي يا ملقي ! فلماذا كل هذه الضجة والصراخ؟!

التفت إليه ملقي وصرخ: أنت مع المدير يا نظمي! أنت أكبر منافق ! أنت تدافع عن صاحبك.

قال مجيبا : أنا أعرفك يا ملقي قبل أن يأتي المدير اكرم إلى مدرستنا .. ألم تسيء لجهاد وتتهمه زورا ؟ وتتهمه بقضية ذلك الطالب ، وأنه يأخذ منه دراهم ليرفع من درجاته ؟

ـ هذا الحقد يملأ قلبك .. أنا الطالب ذكر لي ذلك ، وأراد أن يدفع لي .

قال : ثم تبين لك كذب الطالب ..وإنه أراد أن

يبتزك ، ويسخر منك بذلك الزعم والادعاء لتصدق الاتهام وتقبل الرشوة .

﴿وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَيَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ﴾

التحقيق الجنائي والجريمة

بصمة وراثية ٣

ومن قصص أحجار الألماس ألماسة كولينان وهي أكبر ألماسة عثر عليها حتى الآن ، يبلغ وزنها ١٣٠٦ قراريط ، وقد أهديت للملك إدوارد السابع ، وأرسلت إلى أمستردام من أجل تقطيعها وإعادة صقلها ، وقطعت إلى تسع ألماسات بحجم كبير و٩٦ بحجم صغير .. وأشهرها نجمة أفريقيا الكبرى التي تزين الصولجان البريطاني ، ويبلغ وزنها ٥٣٠ قيراطا ، أما ثاني الألماسات المأخوذة من كولينان فيبلغ وزنها ٣١٧ قيراطا ، وتزين كذلك التاج البريطاني.



وهناك أجمل ألماسة ، وهي هوب وهي زرقاء اللون وتزن ١١٢٥ قيراطا، ولها مكانة خاصة في عالم الألماس ، فهي الوحيدة التي تطلق أضواء فسفورية حمراء حيرت خبراء الألماس.. وبطريقة ما انتقلت لفرنسا وبيعت إلى الملك لويس الرابع عشر الذي أمر بصقلها على شكل قلبين يزن كل واحد منها ٦٧ قيراطا ، وأطلق عليها اسم الألماس الأزرق للتاج ، ثم انتقلت للويس السادس عشر وماري أنطوانيت ، وفي عام ١٧٧٢ م سرقت الألماستان من باريس ، ثم ظهرت إحداهما في لندن عام ١٨٣٠م بوزن جديد بلغ ٤٤,٥ قيراطا ، واشتراها رجل أعمال بريطاني يدعى (هنري هوب) مقابل ٩٠٠٠٠ جنيه إسترليني ، وبعد وفاته عانى ورثته المشكلات ، وأفلس عدد منهم ، ثم انتقلت الألماسة إلى أوروبا الشرقية وأهداها أحد الأثرياء إلى ممثلة مشهورة ، لكن لم يلبث الثري أن قتل تلك الممثلة ، ولما اشتراها تاجر يوناني وقع له حادث تصادم حيث قتل ومعه أسرته ، وعندما انتقلت الألماسة إلى السلطان(عبد الحميد الثاني) وقع انقلاب وأطيح به ، ثم وصلت بعدئذ إلى الأمريكية (ايفلين ويلش ماكلين) حيث صاغتها على شكل قلادة من ٦٢ الماسة ، ثم روعت بمقتل اثنين من أبنائها ، وأصيب زوجها بمرض عقلي ، وبعد وفاة تلك المرأة عام ١٩٤٧م اشترى القلادة تاجر المجوهرات (هاري ونستون) بمليون دولار ، ثم تبرع بها لمؤسسة (سميث سونيان الأمريكية) عام ١٩٥٨م.



وبما أننا نتحدث عن الألماس فلنذكر أشهر الألماسات المعروفة غير ما ذكرناه آنفا ، فقد تعرفنا على كوهينور ونجمة أفريقيا وهوب وغيرها فهناك أيضا : ألماسة تيفاني وزنها ١٢٨ قيراطا، وهي ألماسة صفراء وعثر عليها بجنوب أفريقيا وألماسة الاكسلسيور أستخرجت من جنوب أفريقيا أيضا عام ١٨٩٣ م وكان وزنها ٩٩٥,٢٠ قيراطا ؛ ولكنها قطعت إلى عدة قطع ، ثم هناك الألماسة المغولية أستخرجت من الهند في القرن السابع عشر ووزنها قبل الصقل ٨١٧,٥٠ قيراطا، وبعد الصقل أصبحت ٢٨٧,٥٠ قيراطا ، وأما ألماسة الجوبيلي استخرجت من جنوب أفريقيا عام ١٨٩٥م ، وبلغ وزنها بعد الصقل ٢٤٥,٣٥ قيراطا.. وهناك ألماسة الرجنت ألماسة هندية وجدت عام ١٧١١م ، وبلغ وزنها ١٤٠,٥ قيراطا بعد صقلها ، وهي الآن مستقرة في متحف اللوفر في باريس .. وكانت من مقتنيات التاج الفرنسي .. وهناك أيضا الألماسة الاورلوف هندية المصدر وبلغ وزنها ١٩٩,٦٠ قيراطا ، وأهديت لكاترين الثانية الروسية عام ١٧٧٣م ، وألماسة الجونكر ٧٢٦ قيراطا ، والجاركاسي ٢٦٢ قيراطا وتسمى نجمة الجنوب ، واستخرجت من البرازيل ، ولا ننسى ألماسة الفلورنتين وزنها ١٣٧ قيراطا.



هذه قصص بعض وأشهر الألماسات في العالم ، لقد كان عرفان بشوق كبير لشراء وامتلاك الألماسة الآسيوية ، فلذلك كان قصر الفنزويلي في اليوم العاشر من مايو متوترا ، والكل في ترقب وانتظار ؛ كأن هذه هي المرة الأولى التي يشتري فيها سيد القصر جوهرة ، فكانت الترتيبات أن يأتي وكيل صاحب الجوهرة في تمام الساعة التاسعة ليلا إلى القصر ، وهو يحمل في حقيبته الجوهرة الثمينة، فكان حرس القصر المحلي على أهبة الاستعداد لأي طارئ أو خطر مجهول ، وكان حارس عرفان الخاص أيضا على استعداد كامل للتعامل مع أي مفاجأة ، فالكل في استعداد وترقب ، وكان السيد عرفان قد أمر بإعداد قاعة العرض الخاصة في القصر لاستقبال الضيوف .. وهذه القاعة مزخرفة وملونة بأشكال وألوان بهيجة تسر الناظرين ، ولقد كانت في طرف القصر ، لها مدخل خارجي خاص ، ولها مدخلان داخليان ، ويسميها السيد عرفان قاعة الطيور لما رسم على جدرانها من ألوان وصور الطيور الجميلة الأخاذة ، فقد هيئها الخدم منذ الصباح لاستقبال الضيف الآسيوي ، ولما بلغت الساعة الثامنة والنصف ليلا مشى نحوها

عرفان وتفقدها ، وقد أكد له السكرتير ارباس أن الزائر سيأتي في الوقت المحدد ، وأن سيارة القصر الخاصة قد ذهبت للإتيان بالزائر ومن معه، وقبل التاسعة بقليل دخل القاعة ولدا السيد عرفان سليم وعبير، ثم أتى الطبيب والسكرتير وخبيرا المجوهرات روسي ودافيد ووقف أحد الحرس أمام الباب الخارجي للقاعة من جهة الحدائق حيث سيدخل الزائر، وفي التاسعة أخبر حرس الباب الرئيسي للقصر السكرتير ارباس بوصول الزائر ورجاله ، فأخبر السكرتير عرفان بوصولهم ، وخرج ينتظرهم على باب القاعة ، وجلس عرفان على أحد المقاعد حول طاولة كبيرة وأنيقة ، وكان على يمينه ولداه سليم وعبير ، وبجوارهما الطبيب ، وكان الخادم يقف أمام أحد الأبواب الداخلية للقاعة ، وكان الخبيران يجلسان على يسار عرفان فدخل السكرتير ومعه ثلاث رجال آسيويون ، وخلفهم رجال الحماية ، فأشار لهم السكرتير بالوقوف بجوار الباب ، ونهض عرفان وصافح الضيوف الثلاثة ، وأشار لهم بالجلوس على المقاعد المعدة لهم أمامه ، وقام السكرتير بالتعريف بين الطرفين ، وقدم الخادم عصير الليمون ولما شربوه تحدثوا عن أخبار المجوهرات والألماس ، ثم أشعلت السجائر ، ثم قال عرفان للوكيل الآسيوي : هات بضاعتك .. فهؤلاء خبراء المجوهرات . وأشار لروسي ودافيد .

ففتح الوكيل الحقيبة التي وضعها على المائدة أمامهم ببطء ، ولكنه قبل أن يتم عملية الفتح للحقيبة ، أخرج من جيب الجاكيت التي يرتديها علبة جميلة وأخرج منها جوهرة بيضاء لامعة ودفعها للسيد عرفان ، فأخذ الآخر يتحسسها بانبهار وإعجاب وجمال ودهشة ، ثم دفعها لروسي الذي قد فتح حقيبته وأخرج أدواته الدقيقة ومجهره ، ولما تحسسها ثم وزنها وأخذ ينظرها بعدساته دقائق ، ثم وضعها على الطاولة بغضب وقال : هذه ليست جوهرة حقيقية يا سيد عرفان .. إنها جوهرة صناعية!

فتناولها دافيد بدوره ، ونظر عرفان للوكيل بنظرة غضب ، ولما سمع دافيد يؤكد كلام روسي حملق بالزائر الذي قال بهدوء وابتسام : سيد عرفان لا تغضب .. خبيرك رجل عليم ماهر هذه نسخة شبيهة بها ، الاحتياط والحذر واجب ومطلوب أيها السيد الكريم.

ولما عاد الهدوء لعيني عرفان والحاضرين رفع الوكيل الجوهرة التـقليدية التي بهرت الحاضرين ووضعها في صندوقها الخاص ، وهو يقول : حسنا أيها السادة قبل أن تروا الجوهرة الحقيقية نريد الثمن الذي اتفقنا عليه يا سيد ارباس.

فقال ارباس : الشيك جاهز كما تم الاتفاق،

والشيك بيد السيد عرفان.

أخرج عرفان الشيك المصروف على أحد بنوك النمسا ، فلما نظره الوكيل قال : تمام سيد عرفان ! فعندما تتأكد من الجوهرة الحقيقية سنضعها في البنك (الشرقي) كما اتفقنا مع المدير وعندما أخبرك أنني استلمت المبلغ سيقوم المدير بتسليمك الجوهرة.

فقال عرفان : جيد ! أنا سأتحدث مع المدير .. وغدا صباحا ستذهب مع ارباس فتضعون الجوهرة عنده وتدفعون له عمولته.. وتأخذ الشيك .. ولما تصرفه في أوروبا ، ويكون معك ارباس .. فعندما تتصل بالمدير سأستلم الجوهرة فورا .. ويعود ارباس والحرس .

فقال الوكيل : جميل هذا الترتيب!

فعندئذ قام حضرة الوكيل بإخراج صندوق من جيب رفيقه ، وأخرج الجوهرة الحقيقية ، وقدمها للسيد عرفان الذي بهر عندما لمع بريقها في عينيه ، وسال لعابه لتملكها ، وتركت تأثيرها على الحاضرين ، وكانت تعادل ٢٠ قيراطا ، ولما داعبها عرفان المغرم بالمجوهرات النادرة دفعها للخبير روسي باركر الذي أخذ بدوره يقوم بالفحوصات اللازمة للتأكد من أنها جوهرة ألماسية حقيقية طبيعية وليست صناعية ، وبينما الجميع مندمجون في إنهاء روسي اختباراته لإتمام الصفقة صفقة الجوهرة الآسيوية رن جرس الهاتف ، فمشى ارباس مسرعا نحو الهاتف ، واستمع قليلا ثم مشى نحو عرفان وهمس قائلا : ماريو فنزويلا.

سار السيد عرفان إلى الهاتف وقال : أهلا صديقي ماريو واستمع بضع دقائق ، وكان خلال الاستماع ينظر لحظة إلى الآسيوي ، ولحظة إلى روسي باستغراب ، ثم قال : أمعقول ذلك أيها الصديق ؟!

وصمت ثانية يستمع ، ثم وضع السماعة وقال : روسي .. دافيد .. وصلني الآن خبر أن هذه الجوهرة مقلدة وليست أصلية.

ارتبك المكان لهذا التصريح ، وكان الخادم قد أعلن في هذه اللحظات أن المائدة جاهزة للعشاء مع الضيوف ، فهتف الآسيوي دهشا : مقلدة !.. ألم يفحصها خبيرك روسي ؟ .. إني أحس رائحة لعبة سيد عرفان؟!

قال عرفان : لا تقلق جوهرتك بين يديك ، ومالي عندي .. وهذا صديق عزيز وعاشق مثلي لجمع المجوهرات ، وكلنا يملك مجموعة مهمة ونادرة منها.

فقال روسي محتجا : سيد عرفان ! الجوهرة التي فحصتها قبل دقائق ، وفحصها زميلي دافيد جوهرة أصلية ألماس طبيعي .. وكيف عرفوا من هناك أنها مقلدة تقليدا متقنا ليخفى علينا؟!

فقال عرفان : هذا ما نقل لي الآن .. أنا لا أشك بقدرتك يا روسي ، ولا أنت يا دافيد ، ولكن لا يخلو الأمر من مكر وخداع .. سنسافر النمسا أو هولندا ، وهناك نعرضها على أعظم خبراء المجوهرات .. وشهادة عدد منكم يا روسي ستزيد من يقيننا ، وقد نسافر لندن أو برلين أو بلجيكا أم تجارة الماس.. فهذه ملايين يا حضرة الوكيل .. وكل الرحلات على نفقتنا الخاصة.

فقال الوكيل بغضب : نحن نعرف بضاعتنا !.. سنلغي الصفقة سيد عرفان .. ولن أرحل إلى النمسا وإن كنت حجزت إليها لصرف الشيك الكبير.

فقال عرفان : سيدي الوكيل شانغ يانج .. لا يجوز إلغاء الاتفاق بعد كل هذه المصاريف والنفقات .. إنما نريد أن نعرض البضاعة على مزيد من أهل الخبرة .. وهذا من حقنا.

أجاب الوكيل : أحضرهم إلى هنا .. هنا أمان أكثر .. أنا أخشى على نفسي من السفر إلى أوروبا وأنا أحمل هذه الجوهرة .. فنحن منذ تركنا بلدنا ونحن في خوف وقلق وتوتر وحذر فكيف تريد منا أن نسافر إلى أوروبا ؟! .. فصاحبك هذا لا يريد لك الخير .. يدبر لك كيدا

وقبل أن يرد السيد عرفان على اتهام الوكيل لماريو ، رن جرس الهاتف ثانية فأخذه عرفان من يد السكرتير وهو يتعذر منه ويظن أن ماريو مرة أخرى : آ .. أنا عرفان .. من ! .. البوليس الشرطة ؟! .. ماذا قلت ؟ !

وترك السماعة وقال بذهول : قتلت مجدية!!

وارتخى على أحد المقاعد وأغمض عينيه ، فنهض الطبيب نحوه مسرعا يفحصه ، وأمر بنقله إلى مخدعه ، فقد تصدع قلبه لهول الخبر ، وتوكأ عرفان على أكتاف أبنائه وصعدوا به إلى مخدعه ، وقام ارباس بأخذ الضيوف إلى غرفة الطعام ، وبعد أن تناولوا لقيمات غادروا للفندق ، فنقلهم السائق بسيارات القصر مرة أخرى للفندق ، واستقبل ارباس رجال الأمن ، وكانوا ثلاثة ضباط ، ضابط برتبة كبيرة ومساعداه ، فرحب بهم وأدخلهم صالة الاستقبال فقال العقيد خالد محمد : لماذا أغلق السيد الكبير الهاتف أو سقط منه ؟!

فقال ارباس : نعتذر عن ذلك.. يبدو أن الخبر كان صدمة للسيد عرفان .. وها هو الطبيب يراقبه فقال لنا قتلت مجدية وتراخى على مقعده إنه مريض بالقلب .. ما الأمر؟

فقال العقيد : وجدنا أن امرأة تدعى مجدية تقطن في حي الرسمان مقتولة .. وسمعنا من جيرانها وزوجها أن بينها وبين المدعو عرفان قضية .. وأنها تريد أن تلصق به ولدا لها .. وأنه اعترف به .. وتريد أن تشهر ذلك في المحاكم .. فوجدنا أن

المصلحة الأولى في الخلاص من المرأة تتجه نحو السيد عرفان .. وهو المستفيد من قتلها .. فاتصلنا به ثم انقطع الاتصال.. وجئنا لنسمع أقواله فكل الشهود أو قل الجيران يتهمونه بالغدر بمطلقته .. ولما سألنا عن الفنزويلي رأينا أن الأمر كبير جدا وخطير .. فأحببنا أن نسمع أقواله ورده قبل اتخاذ أي إجراءات رسمية والقيام بالتحقيق .. فأقوال الناس لا يعتد بها ما لم تثبت وتتأكد صحتها، فنريد أن نرى السيد عرفان وابن تلك المرأة المقتولة فقد قيل لنا إنه نزيل القصر.

فقال ارباس : حسنا .. هيا نصعد إلى غرفة السيد عرفان ، لعله يستطيع استقبالكم .. وأما السيد شاهر فهو في حجرته .. وسيأتي به الخدم إلينا هيا

كان ارباس قد تعلم اللغة العربية قبل أن يعمل مع عرفان ، فقد تعلمها للعمل في إحدى السفارات العربية، وزاد معرفة بها منذ بدأ إنشاء القصر هذا ، دخل العقيد خالد ومساعدوه وأمامهم ارباس حجرة السيد عرفان الذي كان ممددا على سريره ، وقربه خادمه المخلص ، وكان ولداه سليم وعبير يجلسان على مقعدين قريبين من السرير ، والطبيب قائم بالقرب منهم ، فبعد التحية قال ارباس : يا سيدي الدكتور كيف حال السيد ؟

ـ ما زال متعبا ومتأثرا من الخبر.. وأنا أفضل أن يؤجل رجال البوليس السؤال أو الحديث معه لصباح الغد .. فللخبر وفشل الصفقة أثر كبير على قلب السيد.

فعاد ارباس يتحدث مع رجال البوليس ، ثم قال العقيد : نفهم من كلامك أن السيد عرفان أمضى مساء اليوم في القصر.

فقال ارباس : من السادسة مساء والسيد عرفان في القصر، ولم يخرج .. فلقد كنا على موعد مع صفقة تجارية مهمة . . سيد خالد.

وجاء الخادم الذي أرسله ارباس لينادي السيد شاهرا ، فقال له السكرتير عندما شاهده : أين شاهر ؟

فقال الخادم : غير موجود في حجرته .. وحرس القصر لم يروه يخرج من القصر .. فبحثت عنه في الحدائق والأجنحة فلم أجده .. فيشك بعض الخدم أنهم رأوه يقفز عن السور بعد السادسة مساء.

فقال العقيد : حسنا سيد ارباس ! نشكر لك تعاونك معنا .. ونتمنى العافية للسيد عرفان سنعود ثانية صباحا.

ـ حسنا عقيد خالد على الرحب والسعة.. أرجو أن تتحسن حالة السيد الكبير ليتمكن من مساعدتكم في الوصول للجاني.. وتتأكدون أن السيد الكبير بعيد عن الشبهة.. ولا يمكن أن يفكر بالجريمة فهي أم ولده.

لماذا قتلت ؟

تحدث عرفان مع المحامي الذي لبى الدعوة سريعا ، وكان الوكيل الآسيوي قد سافر ليلة فشل الصفقة ، وأجل عملية البيع لوقت آخر ، ولم يكترث عرفان لذلك كثيرا رغم شغفه الكبير بالجواهر، وكان الذي يهمه الجريمة التي أودت بحياة تلك المرأة ، وأحس أن له دورا في القضاء عليها، وكلف عرفان محاميه حميدا أن يتصل بمكتب التحريات للتحقيق في مقتل السيدة مجدية وكان المحامي قد قام بلقاء رجال البوليس ، وأعطاهم مختصر علاقة عرفان بمجدية ، وأعلمهم كذلك أن السيد عرفان مهتم جدا بمعرفة الجاني ، ولما كلف مكتب التحريات بالمساعدة لمعرفة الجاني ، اتصل المدير بعرفان وعرف منه الغاية من معرفة الجاني ، فبين له أن لديه إحساسا بأن لمقتل هذه المرأة علاقة به ، وأنه يريد المعلومات الكافية حول الجريمة ومتابعة تحقيق رجال الشرطة، وأن يقدم له تقريرا سريا حولها ، لا يطلع عليه أحد سواه ، فكان عرفان يخشى ممن حوله أن يكون لهم يد في الجريمة ، فقام المدير حمزات بتكليف رجل التحري الخاص سعدي أحمد ضابط شرطة سابق بمتابعة القضية ، وكان سعدي يلخص الجريمة للسيد عرفان والمحامي حميد قائلا وهم يجلسون في غرفة خاصة في القصر

: الطبيب الشرعي يرى أن الجريمة قد حدثت بعد السابعة وقبل التاسعة ليلا .. ويرجح أنها كانت قريبا من الثامنة .. لأن الزوج قريبا من التاسعة أخذ ينادي على الزوجة .. فالزوج مريض وهو رجل شيخ كبير في العمر، وقد قال لرجال الأمن : أن زوجته مجدية قدمت له الدواء والعشاء حوالي السابعة مساء أو أقل بقليل ، ولما شرب الدواء أخذه النوم .. فالدواء يحتوي على مواد منومة أو تساعد على النوم ..ولما استيقظ من النوم أخذ ينادي على الزوجة .. فلم ترد فظن أنها نائمة في الغرفة الثانية.. فترك السرير رويدا رويدا، ومشى نحو الغرفة الثانية حيث توقع أنها ترقد ، فوجد الغرفة مغلقة ـ وهذا ليس من عادتهم ـ فدفع الباب فانفتح وهو ينادي على مجدية .. أضاء النور ولاحظ أنها نائمة في وسط الغرفة من غير غطاء فاستغرب ، فاقترب منها وحركها ، وهو ما زال ينادي ، فوجد أنها غارقة بالدماء ، فذهل ووقع في نفسه أنها وقعت أثناء نومه ، وسال الدم من رأسها من شدة الصدمة .. ولكنه شاهد ولاحظ أن الدماء كثيرة ، فاتصل بابنتها سمر التي أتت مسرعة فوجدت أن أمها مقتولة برصاصات في رأسها ، فصرخت وفزع الجيران .. وكانت الساعة تزيد عن التاسعة بقليل ، فلما أتى رجال البوليس والبحث الجنائي ورجال المختبر الجنائي والتصوير

.. فتحدث أحد الناس أنه رأى سيارة تقف قرب البيت من ماركة (فيات) حمراء اللون عند الساعة الثامنة تقريبا ، ولم ير أحدا من ركابها.

ولما سمع القوم الصراخ لم يروا السيارة ، والشاهد يقول : إنها سيارة حديثة ، ثم تطوع الناس بالحديث عن قصة الفنزويلي والسيدة مجدية وابنها شاهر .. والأمر الخطير أيها السادة أن السيد شاهرا اعترف للبوليس أنه قد زارها ، وكان عندها قرب الثامنة أيضا ولا يدري بالضبط ؛ ولكنه قال للشرطة بأنه ترك أهل القصر مشغولين بشراء المجوهرات ، وقفز عن السور متسللا للشارع البعيد .. وهناك أشار لسيارة مارة في تلك الساعة ، فركب معهم فنزل المدينة ودخل إحدى الحانات ، وأروى ظمئه من الخمر ، ثم ركب سيارة أجرة نحو حي الرسمان حيث تقطن أمه ، وتحدث معها بعض الوقت ، وقال إنه لم ير زوج أمه ، ثم انصرف، وعاد يبحث عن ملهى يقضي فيه ليلته ، فساقته قدماه إلى إحدى دور العرض للأفلام ، وعند نصف الليل غادر دار السينما وهو في عالم آخر ، ولما وصل القصر كان الوقت قريب الصبح ، ولكن للأسف لم يشهد أحد من أهل الحي أنه رآه يدخل بيت زوج أمه .. فشهادته تحتاج إلى دليل ، ولولا كلام الطبيب ووضعه الصحي وبلهه لوضع في دائرة المشتبه بهم.

فقال عرفان : وهل هناك مشتبه بهم ؟

فقال سعدي : لحتى الآن لا.. فالبوليس يرى أنها جريمة مدبرة ليست بنت الساعة، ولابد لها من دوافع .. وأكثر الشبهات تحوم حولكم يا سيدي مع أن تعاون محاميكم مع البوليس ، وتكليفنا بهذه المهمة حير وأربك رجال البوليس.. فأنتم مهتمون بمعرفة الجاني كرجال البوليس.

فقال عرفان بثقة : أجل ، أجل .. هل من معلومات أخرى ؟

رد الشرطي السري قائلا : دوافع الجريمة ما زالت مبهمة.. وأولاد زوجها أنكروا صلتهم بالجريمة ، بل ليس هناك دافع قوي يحفزهم للخلاص منها.. فثروة والدهم ضعيفة.. فهو يعيش على راتب تقاعد يأخذه على أثر إنهاء خدماته في جيش البلد، وهناك راتب تقاعدي آخر نتيجة عمله في إحدى شركات القطاع الخاص ،المهم أن ثروته وحرمان الزوجة منها ليست سببا كافيا الآن لارتكاب الجريمة .. وهناك إشارات لأسرة مكونة من زوج وزوجة كانت تسكن قريبا من بيتهم - بيت المجني عليها - منذ حين سكنت شهرا أو أقل ، ثم رحلت واختفت فجأة ، ثم تبين لنا أنهم يقصدون رجلنا وأهله اللذين تم تكليفهم بالاتصال بأسرة مجدية لأخذ مزيد من المعلومات .. وأخبرنا البوليس بتلك الحقيقة ؛ لأن بعضهم يشك بهم ؛

لأن ترددهم على أم سمر والجيران كان كثيرا .. وكانوا مهتمين بالسؤال عنها وعن حياتها الخاصة وولدها شاهر.. والشرطة أكدت أن أداة القتل مسدس من عيار ٣٨ ملم ولم يعثر عليه بعد، وهم يرون أن رجلا أو شخصا واحدا هو الذي أقدم على الجريمة، فهم لم يجدوا في الغرفة إلا آثار أقدام المقتولة وزوجها وسمر وقدم أخرى، وساعد على ذلك أن أحد الجيران أمر بإغلاق الغرفة حتى يحضر رجال الأمن فساعد ذلك على حصر الآثار على البساط.

فقال عرفان: قد تكون آثار حذاء شاهر ؟

ـ الغريب أنها ليست آثار حذائه الذي كان يلبسه .. ويظن شاهر أنه جلس وتحدث معها في بهو الشقة.

فقال عرفان: السيد شاهر لا يعتد بأقواله.. أرى أنه ناقص الأهلية .. فهو كثير الشرود والنسيان .. ورغم العلاج الكبير الذي بذلناه نحوه فما زال ساذج الفكر عاشق للشراب .. فهو ما زال محتاجا للمعالجة والمتابعة.

فعاد سعدي يقول: المهم أن المجرم دخل البيت من غير أن يلحظه أحد، ويبدو أنه تحدث مع السيدة ثم غدر بها .. فهي لم تقاوم، ولم يظهر أثر عراك داخل الحجرة .. ويعتقد رجال الأمن أن القاتل الغادر استعمل كاتما للصوت أثناء الجريمة، فلم يشهد أحد من أهل الحي أو الجيران بسماع صوت الرصاص رغم أن أهل الحي في مثل ذلك الوقت لا يخلدون للنوم .. فما زال الوقت مبكرا على النوم عند حدوث الجريمة .

فقال عرفان: عليك أن تبذل أقصى الجهد، وأقصى الوسائل والمعرفة .. فأنا يهمني الوصول للجاني .. فكما تعلم فنحن كنا مقبلين على جلسة مهمة في حياة الشاب المدعو شاهر.

فقال سعدي بصراحة: يجب أن تتذكر يا سيدي أن أكثر الناس يهمهم موت تلك المرأة أنتم، وكان هذا قبل موافقتكم على الاعتراف بشاهر كابن.. أما بعد ثبوت البنوة والأبوة فحياتها تهمكم شخصيا للقسم أمام القضاة.. فإذا كان دافع القتل الحاق شاهر فالشبهة تحوم حولكم أنت وأولادك ومرافقوك.

فقال عرفان بانبهار: أنا أعرف ذلك !.. ومن أجل ذلك كلفتكم بجمع أكبر قدر من المعلومات والتحقيقات عن الموضوع .. فأنا أخشى أن يكون لأولادي ومرافقيّ يد في هذه الجريمة .. فهذا أمر خطير وقاس على القلب .. ولكني لا أرى في أولادي هذه القسوة التي تدفعهم للخوف على ثروتهم، والتفكير بالجريمة لمنع بضعة ملايين عن أحدهم، فهم كثر بفضل الله .. ولكن جشع ابن آدم عجيب ومخيف، وسليم ابني الموجود هنا هذه

أول رحلة له منذ جئت للبلاد منذ عشر سنوات رغم معرفته أنها مسقط رأسي وبلد أبي وجدي وأمي .. وهو شاب صغير لم يبلغ الخامسة والعشرين بعد .. وكذلك عبير فهي أول مرة ترافقني للثعبانية ، وأحبوا مرافقتي خوفا على حياتي وصحتي وموتي .. ولكن عليك أن تتابع حركاتهم منذ وصلنا قبل أسبوعين، وكذلك كل من حولي .. أنا تهمني نظافة الجميع يا مقدم سعدي.

فقال سعدي : أرجو أن تخيب الظنون يا سيد عرفان وأن يكون المجرم من خارج الأسرة والقصر فأنت رجل طيب!

فقال عرفان القلق المنهار: ولكن من يكون له مصلحة في قتلها بهذه الطريقة القاسية والجريمة المدبرة .. ماذا عندها ؟!

فقال سعدي : رغم المعلومات الكثيرة عن السيدة مجدية التي قام بها مكتبنا الخاص ، وتحرينا عنها ، فلم نجد دافعا قويا يؤدي لمقتلها ، وحتى لو اتجهنا إليكم فليس هنا بالدافع الخطير الذي يؤدي إلى هذه الجريمة .. ولكن هل هناك صلة بين الجوهرة التي كنتم ترغبون بشرائها واختيار يوم مقتل المرأة ؟! بل لماذا فشلت صفقة الشراء ؟

فقال عرفان : لقد فكرت بكل ذلك ؛ ولكني لم أجد صلة ، ولم أصل لشيء لحتى الآن .. إنني الآن متعب جدا سأدخل غرفتي .. ولنكن على اتصال دقيق وسري يا سعدي.. هذا الجريمة أمر خطير .. خطير أيها السادة .. القصر تحت تحقيقاتك أستاذ سعدي تهمني الحقيقة كما تهم العدالة.

فقال سعدي : شكرا سيدي العزيز ، وأرجو أن نكون عند حسن ظنك وثقتك بنا

ولما انصرفا دخل الدكتور والخادم وقادوا السيد عرفان إلى حجرته ومنامه، وتناول بعض الأدوية وأقراص النوم ، وظل في سريره حتى هبط الليل ، فدخل الحمام واغتسل ، ثم نزل الحديقة حيث يحلو له السهر ، ولما استراح أرسل وراء ولده شاهر فعزاه بأمه ، ثم قال : لماذا ذهبت لأمك ذاك المساء يا شاهر ؟! .. هل أحد دفعك لتلك الزيارة ؟ بل لماذا خرجت من القصر تلك الليلة وبتلك الطريقة السيئة ؟ .. هذا تصرف اللصوص والجهال أنسيت نفسك وابن من أنت الآن ؟

فقال شاهر : سأقول لك شيئا يا سيدي لم أقله للبوليس.

فقال عرفان : تكلم يا ولدي .. ما هو الشيء الذي لم تقله للبوليس ؟

فقال بارتباك : يا سيدي الكبير ! .. تلقيت هاتفا مساء ذلك اليوم من أحد الأشخاص ادعى فيه أنه صاحبي ، وطلب مني زيارة والدتي ، وأخبرني أنها مريضة ومتعبة وتريدني ، وصدقته ، وهو الذي قال

لي لا تخرج من الباب الرئيسي فقد يمنعك الحرس لانشغالهم بشراء الجوهرة الليلة فصدقته ، وخرجت متخفيا وتسللت داخل غابة القصر ثم قفزت عن الجدار ثم نزلت المدينة ، فقلت أروي حلقي وظمئي من الشراب ، ثم أمضي لزيارة أمي .. فقصة هذا الاتصال المريب هو الذي دفعني للخروج بتلك الطريقة وزيارة أمي تلك الليلة.

فقال عرفان المستغرب لهذا الاعتراف : أحق هذا يا شاهر أم خيالك يوحي إليك بذلك ؟! ولماذا أخفيت أمر هذا الاتصال عن البوليس ؟!

فقال بخوف : إنني لا أثق بهم .. وسينهالون عليّ بكثير من الأسئلة.

ـ يا ولدي .. الضحية والمقتولة أمك .. يجب أن نعرف الجاني يا ولدي ..أنت الخاسر الأكبر في هذه الجريمة .. نحن كنا على وشك الاعتراف بك رسميا .. وهذا الآن تعطل ويحتاج إلى جهد كبير.. وقد لا ينجح .. ولكننا سنستغل هذه الجريمة لإعادة نسبك إلينا رغم تعقد الأمر.

فقال شاهر بحيرة : أنا مذهول مما جرى !.. ولماذا قتلت أمي الآن ؟!

ـ عليك أن تتعاون مع الشرطة تعاونا أكبر وجادا يا شاهر .. فالأمر مهم وعلينا المساعدة للوصول لليد الآثمة.

ولما انصرف شاهر من عنده أغمض عرفان عينيه ، وقد تمدد على الكرسي الكبير ، وأخذ يفكر بالعلاقة بين قتل هذه المرأة وصفقة المجوهرات ، ويتسأل هل كان يوم مقتل مجدية وصفقة الجوهرة صدفة ؟ ثم قال : أنا الذي حددت يوم اللقاء مع ذلك الآسيوي الغامض .. وهل حقا الجوهرة البيضاء مزورة ؟ وما أدرى ماريو بذلك التزييف؟! ولكن ماريو رجل رحلات وخبير في أخبار المجوهرات .. ولماذا اعتذر عن المجيء معي لمشاهدة هذه الصفقة ؟! فهو من النادر أن يتخلف عن السفر معي لشراء جوهرة أو تحفة نادرة من الأحجار الكريمة .. ولكن ما دخله في مصرع مجدية ؟ لماذا صرعت بهذه الرصاصات الثلاثة ؟ ومن يكون القاتل الخفي يا عرفان؟ أرى علة قلبي لا تساعدني بدراسة هذه المأساة .. ولكن عليّ أن أحاول .. مصيبة كبرى لو كان للأولاد يد في هذه الجريمة .. ولكن لماذا يقتلون؟ .. ماذا يستفيدون من منع إجراء النسب ؟ ..فقد ثبت مليون في المائة أن شاهرا من صلبي .. البصمة الوراثية والجينات أثبتت ذلك.. وأيمان مجدية وإصرارها على هذه الحقيقة ..عبير فتاة طيبة وشابة صغيرة وأم طفلين .. وسليم صحيح أنه شرس وعنيد ؛ ولكنه أخ من عشرة فلا يضره زيادتهم واحدا آخر، والثروة كبيرة بحمد الله وفضله .. وكل له مشاريعه الخاصة .. لا أدري الآن ماذا يستفيدون من هذه

الجناية الرهيبة ؟! .. الجوهرة والمقتولة .. هل من صلة أيها الإنسان بينهما ؟ يا ترى هل سيصل رجال البوليس لشيء يريح القلب ويعيد الصفاء له ؟ لا أظن ما داموا لم يجدوا أدلة في مسرح الجريمة ، وحتى المسدس لم يظهر .. لابد من معرفة المجرم ولو دفعت نصف ثروتي ، بل ثروتي كلها ! لماذا حدثت هذه الجريمة ؟! فالقاتل مجرم لعين ثلاث رصاصات في الرأس .. ولكنها كانت عن قرب فماتت على الفور قبل أن تصرخ بأي صرخة الوضع لا يحتاج لقاتل محترف .. الزوج لم يسمع صوت الرصاص .. فللرصاص أزيز رغم وجود كاتم الصوت.. ولكنه كان مستغرقا في النوم من الأدوية .. أعود وأقول الجوهرة ومجدية وفتح عينيه بعد هذه الرحلة، فوجد الخادم ينظر إليه باستغراب وقال : ظننت سيدي نائما ! ولما سمعت بعض تمتمتك أدركت أنك مستيقظ.

فقال عرفان : لا تقلق يا صاحبي كنت أفكر والتفكير متعب للقلب والبدن .. هل من شيء ؟

ـ لا .. ظننت أن ألما ألم بك ، فكدت أن أتصل بالطبيب ليحضر .. ولما أدركت تمتماتك صبرت نفسي.

وفجأة قال عرفان وبدون مقدمات : لويس الأمين .. هل ترى من خائن في القصر؟

حملق الخادم في وجه سيده وقال : سيدي ماذا قلت ؟!

فقال عرفان : لا تندهش فالمرأة المقتولة كانت على وشك الاعتراف أمام القضاة بجريمتها .. وكانت الجلسة ستعقد قريبا ، بعدما تتم صفقة شراء الألماسة الآسيوية

فكر الخادم العجوز ثم قال: الأمر صعب على الذهن.. لماذا يقتلون تلك المسكينة؟

أرى يا سيدي أن لهذه المرأة أعداء وخصوما .. لا أظن أن أحدا من نزلاء هذا القصر قد تضايق منها أو فكر بقتلها بهذه الطريقة الدرامية .. فإجراءات إعادة اسمكم إلى الابن قائمة والأوراق لن تغير الحقيقة .. فالحق أن الولد هو ابنكم، وإنما هذه الأوراق للرعاية والحماية والحقوق .. فهل يعني موتها أنك ستنفي الولد عنك فما قيل قد قيل ؟!

فقال عرفان : هذا صحيح يا لويس الطيب .. ولماذا قتلت إذن؟!

فقال الخادم : لابد أن لها أعداء يا سيدي.

فقال عرفان : سوف نرى ما يفعله رجال البوليس العام والخاص .. هيا بنا ندخل القصر .. هل اتصل ارباس بكاراكاس وأخبرهم أننا سنتأخر لظروف معينة ؟

ـ أظنه فعل يا سيدي.



الجريمة الثانية

قام السيد عرفان بزيارة مكتب التحقيقات الخاص بنفسه ، والتقى بالمدير العام للشركة ، وطلب الحديث بعد ذلك مع المقدم الشرطي المتقاعد سعدي أحمد ، ولما انفردا في أحد مكاتب الشركة قال السيد عرفان : ماذا أسفرت تحقيقات البوليس يا سيد سعدي ؟

رد سعدي : نحن نتعاون بشكل وثيق.. والبوليس وضع البيت تحت المراقبة الخفية، والمعلومات التي أدلى بها ولدك شاهر بناء على نصيحتك أثارت شهية رجال الأمن .. فهذا يشير إلى تأكيد أن الجريمة مدبرة ومخطط لها ، ودفع السيد شاهر لمسرح الجريمة لغاية الآن غير واضح.. لماذا دفعه المجرم أو المجرمون لمكان الجريمة؟! فهم يحاولون معرفة مصدر الاتصال ، ومن هو الصديق الذي دفعه لهذه الزيارة ؟ .. فقد أنكر زوجها وبناتها أن أمهن مرضت ذلك اليوم .. والمشكلة أن أقوال شاهر تربك التحقيق.

فقال عرفان : أعتقد أن كلامه صادق رغم ما به من خبل .. فشاهر سبب ضعف عقله ودماغه ظروف الحياة التي عصفت به منذ الصغر .. الوحدة والسجن والخمر والانحراف والفقر وعدم الزواج وعدم تحمل المسئوليات ، فكل ذلك أثر على ذهنه وفكره.

فقال سعدي : تقرير الطب الشرعي لا إثارة فيه ، ولا جديد ، فالرماية كانت عن قرب لا يفصل بين رأس المجني عليها وفوهة المسدس أكثر من نصف متر .. والرصاصة الأولى كانت القاتلة.. والبصمات لا يوجد بصمات غريبة عمن يتصل بالأسرة ، ولا يوجد سرقة في البيت .. والسيارة التي شوهدت ليلة الجريمة تقف قرب البيت من الصعب العثور عليها من غير أن يعرف أرقامها أو إمارات معينة تدل عليها .. الشاهد ذكر الماركة واللون .. وربما لا علاقة لها بالجريمة .. وأكثر الجيران لا يعرفون عنها شيئا لم يشاهدوها أو أنهم تستروا عليها .. فالجريمة ليست بسيطة .. وبالنسبة لأفراد أسرتك يا سيدي فقد تحدثت مع الخدم عن تحركات الجميع يوم الحادث ..وقد استعنت بسكرتيرك ارباس فليس لديهم معلومات دقيقة ، فحوالي الساعة الثامنة لم يكن ولداك في القصر ، ولا حتى السكرتير ارباس ، فقد قيل إنه ذهب لإحضار الوكيل الآسيوي تاجر الجواهر ، وعلمت من أبنائك أنهما كانا في جولة في وسط المدينة ، وهما لا يعرفان تلك المرأة .. وإنما لمحاها مرة تتحدث معك .. والطبيب لم يغادر القصر ، والحرس بعضهم كان في القصر ، وبعضهم ذهب مع ارباس .. فمن الصعب الاشتباه بأحد من داخل القصر يا سيد عرفان.

فقال عرفان : وأنا معك في كل ذلك .. فما دام الشخص غير متهم فلا تستطيع إجباره على ذكر شهوده أثناء تلك الساعات الرهيبة ، الاشتباه يحتاج إلى دليل أو شبه دليل .. وماذا سيفعل رجال الشرطة في هذه القضية الغامضة ؟

تنهد المحقق سعدي بعمق وقال : الشرطة ستظل تتابع القضية ، حتى وإن أغلق ملفها وقيدت ضد مجهول.

فعاد عرفان القلق يسأل : سيد سعدي مجمل تحرياتك وانطباعاتك داخل القصر وسماع أقوالهم هل تشك في شيء في شخص ؟!

هز سعدي رأسه وقال : لم يتكون لديّ أي انطباع سيئ يا سيدي .. بل دهشوا للحديث معهم حول الجريمة .. فأخبرتهم بصراحة أن هذه رغبتك لأن البوليس والشرطة يشكون بهم .. فأدلوا بأقوالهم ببرود ومن غير اهتمام بالقضية.. وهم مستغربون لاتصال البوليس معك .. ولكن ارباس شرح لهم تعقيدات الموضوع؛ فكأنهم تفهموا الوضع وقبلوا الحديث معي ، وأجابوا على أسئلتي .. والمشكلة يا سيدي أن الأسئلة وحدها أحيانا لا تكفي ؛ لأن دافع الجريمة غير واضح للجميع .. فليس لدى السيدة مجدية أموال تدفع اللصوص والمجرمين لقتلها ، وليس لديها ثروة تدفع أحد الورثة للتعجيل في موتها .. نقطة الضعف الوحيدة التي تثير القضية هي علاقتها بكم وهي علاقة واضحة .. امرأة كانت في يوم من الأيام زوجة لك ، فحملت رغم أنفها منك ، وأخفت ذلك في أول الطلاق لأسباب ودوافع شخصية بها ، وتزوجت ممن رضي أن يشاركها في إخفاء الجرم ، ولما انتشر خبر موتك ظل السر حبيس الصدور حتى ظهرت على حياتهم من جديد ، وقد بذلت كل الجهود لرفض الاعتراف بالمولود ؛ ولكنك أمام حقائق الواقع والتحليل الطبي استسلمت للأمر، والكل يعرف الآن أن شاهرا ابنك سواء دون ذلك في ورق رسمي أم لا.. فقتل المرأة لا يمنع تصحيح الخطأ.. فلماذا تقتل هذه المرأة ؟! فالحقيقة معروفة .. والمحامي حميد قد أخذ شهادة وتوقيع مجدية منذ زمن من العام الماضي .. وهي تقر بكامل قواها العقلية بأن شاهرا ولدك وأن كل المعلومات الموجودة حقيقية .. وهذا التوقيع وظروف الجريمة تدفع القضاة إلى قبول اعترافها.. ونزع اسم جاسم عن شاهر ووضع اسمك مكانه.. ومن ثم إنشاء الأوراق الرسمية له .. فقتلها لن يلغي هذه الإجراء.. إذا كان هناك شخص يسعى لتعطيلها .. فقط ربما تتأخر وحسب.

فعاد عرفان يردد بحيرة : إذن لماذا قتلت ؟! إن لم نكن نحن السبب .

ـ إنني أتتبع الأخبار والإشاعات ، وأجلس في

الحي متنكرا ، وقد استأجرت حجرة صغيرة في إحدى العمارات على أنني عامل مغترب ، وبعد حين سأختلط بالجيران وأصحاب الحوانيت والبقالات.. ولابد من الوصول لشيء.

نهض عرفان ثم قال : على كل حال تابع جهودك وخطتك .. وقد رحل خبيرا المجوهرات صباح اليوم ، والأولاد يفكرون بالسفر.. وما داموا ليسوا في محل اشتباه سآذن لهم بالرحيل قريبا يا سيدي ..وسأطلعك على سر وهو أنني سأكلف شركات تحريات أوروبية للتحري عن قصة الجوهرة المقلدة التي كادوا أن يبيعوني إياها رغم خبراء المجوهرات الذين جلبتـهم معي

ـ لعلهم صادقون ومنافسوك أرادوا إفساد الصفقة والتشويش عليك؟

ـ تأملت ذلك .. وماريو الذي اتصل وحذرني صديقي قديما .. ونحن هواة في هذه الرغبة .. وسفر الآسيوي السريع أكد لي ذلك التلاعب ففي نفس ليلة فشل الصفقة سافر.

ـ الآسيوي فكر بالرحيل بعد وصوله الفندق ؛ لعله تلقى اتصالا خطيرا فعجل بالرحيل .. وطالبوا هذه التحفة يهمهم إفساد الصفقة فخشي خطرا ما!

فقال عرفان : المهم أن المكتب الذي سأسافر إليه خلال اليومين القادمين سيقوم بالتأكد من المعلومات التي وصلتني .. وبعدها يكون لكل حادث حديث .. فروسي خبير كبير وقد غضب مني .. ولكن وسائل الخداع والتزييف كثيرة هذه الأيام .. فيمكن خداع أجهزة الفحص بحيل رهيبة.. فتابع تفتيشك أيها المفتش ودعنا نظل على اتصال .. فقد بدأت بعض الصحف تغمز بي وتتسلى على مأساتي

وتصافح الرجلان ، وسار سعدي مع السيد عرفان حتى ركب المصعد ، ثم خرج من البناية ، فوجد السائق ينتظره فركب وانطلقا للقصر.

ولما تناول السيد عرفان العشاء ، وبلع أقراص الدواء ، وجلس يشرب الشاي مشروبه المفضل، خاطبه ارباس السكرتير فقال : مساء الخير يا سيدي فقبل الحديث عن اتصالات اليوم وأخبار العمل .. اتصلت بكم أختكم الفاضلة أمينة من قبل ساعات ثلاث.. ولما أخبرتها بخروجك ، قالت : فليتحدث معنا عندما يعود.

فقال عرفان وهو يضع الكوب الفارغ على المنضدة الصغيرة : ولم تقل ماذا تريد؟!

ـ لا يا سيدي.

ـ اضرب رقم بيتها يا ارباس.

ونهض السكرتير للاتصال ببيت السيدة أمينة ، فأجابه الدكتور أحمد ابنها البكر، فطلب أمه للحديث مع السيد عرفان ، ولما حضرت على

الهاتف أعطى ارباس السماعة لعرفان الذي حيا ثم قال : نعم ، يا أمينة .. لماذا تبكين ؟! .. ماذا ؟! .. وكيف لم تخبروني .. إنني قادم ؟!

ووضع الهاتف والتفت لارباس ، وقال بغصة وحزن وانخطاف : ماذا حدث في هذه الدنيا يا ارباس .. ؟! أخبر السائق والطبيب والحارس بلانكا بالاستعداد للخروج.

فقال ارباس باستغراب: ما الأمر يا سيدي أثرت الهلع في نفسي ؟!

فتنهد عرفان وقال بحزن عميق : جريمة أخرى يا ارباس!! ..ماذا جرى في هذه الدنيا!

ـ جريمة .. جريمة قتل أخرى ؟!

ـ تقول أن البوليس عثر على جثة حفيدتها مريم قبل ساعات.. وقد نقلوها للمشرحة .. هيا!

أسرع ارباس ، وأيقظ السائق الخاص والطبيب والحارس وهو يردد : قبل أسبوع قتلت مطلقته ..واليوم ابنة ابن أخته ؟!

ولما وصل عرفان لبيت أمينة وجد البيت مكتظا بالناس والأقارب والمعارف والجيران ، ومشاعر الحزن والخوف مرسومة وواضحة على الوجوه .. فاندفع نحو الدكتور أحمد الذي تقبل تعازيه بحرارة ودموع وشكر وهو يقول : قتلوها يا خالي! قتلوها خنقا بشال تضعه حول عنقها .. أمي في الداخل.

عزى عرفان جميع الحاضرين وأم مريم وإخوتها وأخواتها وأقارب زوج أخته أمينة، والتقى أمينة وهو يقول : صبرك الله يا أمينة .. وعظم الله أجرك ولما سمع كلمات الرد على عزائه عاد يقول: كيف حدثت الجريمة يا أمينة ؟!

فأخذت أمينة أخاها إلى حجرة خاصة، وأغلقت الباب، ولما جلسا قالت وهي تمسح ما تبقى على وجهها من دموع : والله يا أخي .. لها أسبوع كئيبة حزينة مرهقة ! لا أحد يدري السبب سبب ذلك الألم .. كانت تذهب للكلية بسيارة أخيها .. ويقول لا تتكلم أثناء الطريق إلا إجابة عن سؤال وترد باقتضاب .. وظننّا أن ذلك من تأثير المحاضرات والاختبارات.. ونقول فترة قصيرة وحالة نفسية وتزول وكانت تعود مع المساء .. وعندما نسألها ترد بغضب وضيق فندعها .. وهذا الصباح لم تذهب للجامعة ، وادعت لوالدها صباحا أنها مريضة ، فقام بفحصها فوجد عندها بعض الحرارة .. ولم يحاول الضغط عليها بالأسئلة ، وأحس أنها تعاني من مشكلة ما في الجامعة .. فتركها على راحتها .. وقد اتصل منذ أيام ببعض معارفها وزملائها فلم يفيدوه بشيء بل قالوا : إنها طبيعية جدا .. وعند الساعة الحادية عشرة قبل الظهر رن جرس الهاتف .. فرددت عليه بنفسي.. فسمعت صوت فتاة تطلب مريم فأتت مريم

وسمعتها تتحدث آ .. نعم .. لا.. ثم دخلت غرفتها ولبست ثيابها وقالت لي : إني ذاهبة في مشوار يا جدتي العزيزة .. ولا تقلقوا عليّ إذا تأخرت .. وخرجت ولم تقل لي من هي التي تحدثت معها .. فاتصلت بأحمد وأخبرته بخروجها ، وأظهرت قلقي وخوفي عليها . . فقال : دعيها يا أمي .. فمريم ليست صغيرة وها هي في سنة خامسة طب ..

فوضعت السماعة وأنا أفكر بذلك الهاتف الذي عجل بخروجها ، مع أنها رفضت الذهاب للجامعة ، وفي الرابعة بعد الظهر جاءت سيارة شرطة ، وسألوا عن والد مريم ، وظننّا أن حادثا قد جرى لها ، فردت أمها التي عادت من عملها في المستشفى قبل ساعة : ما الأمر؟

فقال رجل الشرطة : نريد والد الآنسة مريم ؟

فقالت الأم بلوعة وقلق قاتل : ما الأمر يا حضرة الضابط فأنا أمها ؟!

فقال بصراحة : قد وجدت الفتاة مخنوقة في غابة الأندلس.

فقالت أمها : ميتة ؟!

رد الشرطي بنعم ، فصرخنا ، واتصل أحد الأولاد بأبيه ، وذهبوا مع البوليس إلى المستشفى ، وشاهدوا الجثة ، وتعرفوا على الفتاة.. فكانت جثة مريم ، وكانت بطاقتها الخاصة قد وجدت في حقيبتها ، وكذلك بطاقة الجامعة ، فساعد ذلك على الوصول إلينا بسرعة والتعرف على مريم ففقدنا الصواب وذعرنا للحادث الرهيب، وأغمي عليّ طبعا ، ولما استيقظت اتصلت بك لأخبرك بالقصة والحادثة المروعة يا أخي .. وهذه هي مصيبتنا.

فقال عرفان وكله حزن وأسى : إنا لله وإنا إليه راجعون .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. فتاة جميلة ناعمة يصيبها هذا الأمر .. تخنق في ريعان الشباب ! ما أقسى هؤلاء المجرمون ! .. والويل لهم من غضب الله ! .. الويل لهم .. ألهمكم الله الصبر والسلوان .. فماذا يقول البوليس عن الجريمة؟

فقالت أمينة وقد عادت تمسح دموعها وتتنهد بحزن وألم : غدا سنستلم الجثة لنقوم بمواراتها في التراب . والشرطة لم تقل شيئا بعد .. سيسمعون أقوالنا قريبا .. وأخذوا أسماء معارف مريم في الجامعة .. ولا أعلم إذا أخبروا أحمد بشيء آخر .. المهم أن مريم ماتت ..إنا لله وإنا إليه راجعون!

ـ تصبري يا أختاه .. ولابد أن يصلوا للجاني الأثيم ـ لعنه الله ـ الغادر.. تصبري يا أمينة يا أم أحمد..

ولما عاد عرفان للقصر كان في غاية التعب البدني والنفسي .. وإن حاول أن يتظاهر بالثبات والصبر أمام أخته وأولادها ، وقد داخله إحساس مرة

أخرى أن له علاقة أيضا بهذه الجريمة علاقة غامضة ، فقال هامسا : مجدية قتلت ولم يعرف الجناة أو الجاني لاتصالها بي.. وأخشى أن تكون هذه الفتاة قتلت أيضا لاتصالها بي ؛ ولكن كيف ؟! ماذا دهى القوم ؟! أين الشرطة ؟! أين الأمن ؟! كنت أظن أن جرائم القتل فقط هناك في بلاد الغرب والأمريكان.. إيه ، فالشر في كل مكان على وجه هذه المعمورة .. سنرى ماذا سيفعل البوليس في هذه الجريمة الجديدة ؟ .. غدا صباحا سأدفع الأولاد للسفر .. ثم أسافر للنمسا لتكليف سيمون برفاري بمتابعة قصة الجوهرة اللعينة.

في الصباح كانت الصحف المحلية تتحدث عن مقتل فتاة الجامعة ، وكان فيها بعض التفاصيل ولم تزد عما سمعه من أخته أمينة .. وجد أحد حراس الغابة الفتاة ملاقاة على الأرض عند إحدى الأشجار .. لم يشاهد بوابو البوابة الرئيسية وحرسها دخول الفتاة .. وهناك ثغرات وفتحات كثيرة في الأسلاك الشائكة المحيطة بالغابة يستخدمها الناس للولوج إلى المتنزه.. وأيام النزهات تقف سيارات كثيرة خارج الشيك الحديدي ويدخلون من تلك الفتحات ، ولم يشاهد أي حارس أي سيارة تقف ذلك اليوم الحار قرب الشيك.. ربما وقفت بعيدة عنه أو لم تأت الفتاة وقاتلها بسيارة خاصة .. وجد الحارس المتجول الفتاة مطروحة على الأرض ، فلما اقترب منها وجدها مزرقة الوجه ، فأبلغ أمن الغابة على الفور فحضروا .. وتم إبلاغ الشرطة التي قامت بالإجراءات اللازمة.. هكذا اكتشفت الجريمة ، والتحقيق جار في ملابساتها وفك ألغازها وأسرارها ..

وتعد الجريدة قراءها بمتابعة تحقيقات رجال الأمن في كشف المجرم الذي تسبب في قتل هذه الفتاة البريئة الطيبة الطالبة في كلية الطب في الجامعة ، وعلقت إحدى الصحف قائلة المجرم الذكي يعرف أين يسوق ضحيته ؟ ومتى يخنقها ؟ فهو يعرف المكان جيدا ، ويدل على ذلك اختيار موقع خنق الفتاة وثانيا معرفته بخلو المكان في مثل هذا الوقت من المشاة ، وشدة الحر في ذلك النهار تساعد الناس على ترك التنزه في ساعات الظهيرة .. فرحم الله مريم الفتاة الشهيدة .. ضحية العتاة والمجرمين.

ولما انتهى السيد عرفان من قراءة الصحف أخبر ولديه برغبته بالسفر إلى أوروبا وإلى النمسا بالذات بضعة أيام ، ورغبهم وحثهم على العودة إلى كاراكاس، وأنه سيعود إلى هنا بعد زيارة فينا لمتابعة هاتين الجريمتين ، وإتمام إجراءات إلحاق ولده شاهر باسمه رسميا ، وقد حاول الأولاد منعه من السفر إلى النمسا ، وحثوه على نسيان قصة

الجوهرة والاهتمام بصحته ، فصمم وأقسم على السفر بنفسه، فأوصيا ارباس وطبيبه الخاص عليه ، وأخذا بالاستعداد للعودة إلى كاراكاس ، فحجزا تذكرتين إلى القاهرة المصرية ، ومنها إلى فنزويلا الأمريكية مشتبه به

سافر السيد عرفان ومرافقوه إلى النمسا وإلى صاحبه سيمون برفاري رئيس أو مدير شركة أمنية هناك ، وحدثه بقصة الجوهرة الآسيوية ، وبعد حديث طويل أخذه سيمون إلى شركة مهتمة بشراء الجواهر، وتحدث سيمون مع مالكها بقصة جوهرة عرفان ، ولما انتهى من الكلام رحب التاجر بعرفان ، وعرض عليه شراء مجموعته من الجواهر ، فشرح عرفان وجهة نظره وغرامه بالجواهر والأحجار الكريمة ، وعاد التاجر يتحدث عن الجوهرة الآسيوية ، وذكر أنه سافر لسنغافورة وقابل الوكيل الآسيوي ، ورأى الجوهرة وحاول شراءها قبل أن يعرف بها السيد عرفان ، وبين له أنه لم يتفق مع وكيلها ولا حتى مع الورثة ، فقد طلبوا مبلغا كبيرا لا تستحقه ، ثم علم أنها ستباع إلى رجل من كاراكاس من أمريكا اللاتينية ، ثم أكد له أن الخبير روسي لا يمكن أن ينطلي عليه التزوير ، وكان يرى أن الاتصال جرى للتشويش على بيع الصفقة ، وأكد له التاجر أن له منافسين رغبوا بإفشال عملية البيع ، ولما أخذ عرفان يدافع عن صديقه ماريو وصداقته القديمة قال التاجر : قد لا يكون ماريو هو الذي تحدث معك حقيقة.

فنظر عرفان لارباس الذي قال بدوره وهو ينظر للسيد عرفان بحيرة وقلق: ماريو!.. نعم ، ذكر لي أنه السيد ماريو صاحب حضرتكم .. وأنت لما تكلمت معه ألم تتحقق من لهجته ؟!

لم يرد عرفان بسرعة ، بل أغمض عينيه وحرك رأسه عدة مرات ثم قال : إنه ماريو ! سلم وتحدث عن الجوهرة .. فأخبرني عن التزييف والتزوير المتقن .. فشككت أن روسي متأمر معهم ، وقد دفعوا له مالا .. فأحببت أن آتي بها إلى هنا لنزداد يقينا .. والحق أن روسي دافع عن نفسه بحدة .. والآسيوي امتنع عن السفر إلى هنا فزاد شكي في الأمر .. وقد لا يكون الصوت صوت ماريو كان هناك بعض التشويش يا ارباس!

فقال التاجر: اتصل بماريو ، وتأكد أنه هو الذي تحدث معك وكيف عرف بالتزوير ؟ ووقت البيع ؟.. والآسيوي رفض السفر إلى أوروبا خشية من عصابات المجوهرات ولصوصها ، فالشرق الأوسط آمن في مثل هذه الصفقات .. فالعصابات المنظمة ضعيفة فيه ، وقد يكون معه تعليمات ألا يسافر إلى أوروبا، وإذا كنت ما زلت راغبا في شرائها سأرتب لك رحلة إلى تلك البلاد ٠

فقال عرفان : إنني متردد الآن جدا في شرائها ؛

فإني أمرّ بظروف مرعبة ، وإذا فكرت ثانية بالحصول عليها سيكون بيني وبينك لقاء آخر.
وغادر الرجال المتجر، ولما دخلوا الفندق طلب عرفان من سكرتيره المخلص ارباس أن يطلب له السيد ماريو ، وأعطاه عدة أرقام خاصة ، فقد جعله التاجر النمساوي يتشكك في صوت رفيقه ماريو، ولما تحدث عرفان مع ماريو دهش لإنكار ماريو لذلك الاتصال ، فشكره ، وأدرك أنه كان ضحية لعبة ، وعادت الحيرة والشك لأفكار وعقل عرفان ويتسأل أمام ارباس : أمعقول أن يخدعني سمعي وذاكرتي يا ارباس ؟!
فقال ارباس معللا ما حدث : لم يخدعك سمعك ..ولكني لما قلت لك السيد ماريو على الخط كما أخبرني غلب على ظنك أنه ماريو .. فتعاملت معه على أنه صاحبك ماريو.. وأنا الآن أشك بأنه ماريو.. فقد كان على الخط تشويش أعتقد أنه مفتعل، وكذلك للوضع النفسي الذي كنا فيه لم نحاول التدقيق في سر المكالمة .. ولكن السؤال المهم يا سيدي .. من الذي يريد إفشال الصفقة الهامة ؟! .. هذا ما يجب أن نفكر فيه!
فقال عرفان : صدقت ، هذا ما يجب أن نفكر فيه .. مكر بنا .. للحقيقة نحن لم نتعامل مع هذه الصفقة بالسرية التامة .. السرية المطلوبة .. فكل الخدم والعاملين في القصر كانوا على علم بقصة الجوهرة حتى شاهر الجاهل الساذج عندما فارق القصر استغل توتر وقلق صفقة الجوهرة .. حتى قاتل أم شاهر استغل ذلك المساء ليرتكب جريمته ، ويحرض شاهرا بالخروج لانشغالنا بشراء الجوهرة .. هذا لغز يا ارباس علينا معرفة حله .. علينا أن نحاول معرفة الساعين لإفشال عملية البيع .. وكذلك من المتصل تلك الليلة ؟ هل هو من مصدر داخلي أو خارجي؟ .. فالسيد سعدي ضابط التحقيق الخاص سوف يساعدك في معرفة ذلك بواسطة شركات الاتصالات.. من التاريخ والوقت بالضبط وسوف تعرفون مصدر الاتصال .. فنحن لم نبعد كثيرا عن عشرة مايو.
فقال ارباس : متى تعود إذن يا سيد عرفان ؟
فقال عرفان : نهاية الأسبوع .. نريح أعصابنا من جرائم الثعبانية بضعة أيام .. يبدو يا ارباس أنني دخلت في الشيخوخة المبكرة مع أنني لم أتجاوز السبعين سنة بعد .. لم أعد أعرف صوت ماريو ؟!
وأمضى السيد عرفان وسكرتيره وطبيبه وخادمه وحارسه رحلة هادئة في ربوع النمسا والدانوب.. ووصلوا القصر ليلا ، فتناول عرفان الدواء ، وحبات المنوم ، ورقد في فراشه حتى الصباح.
دخل السيد ارباس مكتبه واجتمع بمدير القصر أو قيم القصر ، واستمع منه عن الاتصالات التي دارت خلال الأسبوع المنصرم ، ثم اطلع على

البريد القادم من جهات مختلفة ، ثم أجرى اتصالا مع السيدة أمينة بناء على رغبة السيد عرفان وعلم منها أن البوليس ما زال يتحرى ويتابع رفاق وزملاء مريم في الجامعة ، وأكثر الشبهات تحوم حول زميلها جرير ، ولكنهم لحتى الآن لم يثبتوا عليه شيء، فشكرها ارباس، وطمأنها على أخيها ، وأنه في الصباح قد يتحدث معهم أو يزورهم .



لما أصبح الصباح ، وتناول عرفان ناصر طعام الإفطار كالعادة شرح له ارباس سير العمل هناك وهنا ، واعلمه أنه تكلم مع السيد سعدي لمراجعة شركة الاتصال ومعرفة مصدر الاتصال ليلة العاشر من مايو ، ولما سأله عن أخته قال ارباس : كلمتها ليلة أمس ، وأخبرتني السيدة الفاضلة أخت حضرتكم بأن البوليس يشتبه بشخص اسمه جرير.

فهتف عرفان وهو يترك كوب الشاي من يده : جرير .. من جرير؟!

فابتسم ارباس وقال : لا أعلم ؛ ولكنه كما يبدو من كلامها زميل لها في الجامعة.

فقال عرفان بتعجب: أيضا زميل لها في الجامعة ! .. ارباس سوف أتحدث معها بعد قليل .. وأعرف من جرير هذا ؟.. إنني ـ يا ارباس ـ أذكر أنني سمعت هذا الاسم قبل هذه المرة .. جرير!

ـ كيف ؟!

فقال عرفان : هذا شاب قريب لنا.. أنا لي إخوه من أبي.. أربعة ذكور وابنتان ، وكلهم أكبر مني ومن أختي أمينة ، ولما ماتت أمي قديما هجروننا ونسوننا .. ولما هاجرت للغرب لم أعد أفطن لهم ، فقد كان يهمني فقط أختي أمينة.. ولي أخت من هؤلاء الستة اسمها أسمهان .. فجرير هذا حفيدها.. لما دخلت الضحية مريم ـ رحمها الله ـ الجامعة ، التقت به ، وجرى بينهم ما يجري بين الشبان من الحب والغرام كما يزعمون ، وقد تقدم لخطبتها وهم في السنة الثانية من الدراسة .. فأمره ابن أختي الدكتور أحمد بالتريث حتى تنتهي الدراسة ، ويتعين في مستشفيات الدولة.. المهم أن الدكتور أحمد ابن أختي لم يعرف يومئذ أي صلة قرابة بينه وبين ذلك الطالب ولا حتى الفتاة ، وأظن أن الشاب مثلهم أيضا ، ولما تعرف على أحمد أخذ عنوانه واسم أسرته وعائلته ، وأخذ بالسؤال عنه وعن أهله، فعرف أن جدته من جهة أمه أخت أمه ، وأولئك أيضا عرفوا بهذه الصلة ، فحاولت أسمهان التقرب لأختها بعد كل هذه السنين من

الجفاء من أجل هذا النسب والزواج ، فلما التقيت بأختي حدثتني كما تعلم عن هذا الخطيب ذات مرة.. فقلت لها ولأحمد أرجو أن لا يتم هذا الزواج يا أمينة ، وتضايقت مريم من كلامي هذا ؛ كأن والدها حدثها برفضي لهذا الزواج لتنساه ، وإن لم يكن الرفض من جهة الأب أحمد .. تذكرت كل هذا يا ارباس .. فأنا مستغرب من هذا الاشتباه .. فهذا الشاب متعلق بها تعلقا كبيرا ، بل حدثتني أختي أنه أخبر والدها بأنه سينتحر إن لم يتزوج مريم .. إنه ولد مجنون .. فصبره أحمد وقال له من جديد : لما تنته الدراسة يخلق الله ما لا تعلمون ..وللحق أيضا أن مريم مغرمة به وتعشقه، وهي راغبة به وتضغط عليهم لإتمام الخطبة على الأقل .. فقد رأته فارس أحلامها كما يقول أهل العشق .. فهل يمكن أن يكون هو جرير الذي حدثتك عنه أختي؟!

فعلق ارباس : أيمكن أن يقتل الفتاة التي يهواها ويحبها؟! وهو الذي هدد القوم بالموت إن لم يحققوا حلمهم ؟!

فقال عرفان : هذا صعب التصديق ؛ ولكنه ليس غريبا .. يا ارباس فالذي يهدد بالانتحار يهدد بالقتل.

وتحدثا قليلا بشأن العمل والشركات ، ثم نهض عرفان وجلس عند الهاتف وأجرى اتصالا بنفسه بمنزل أمينة ، وبعد السلام والمجاملات سألها عرفان عن جرير المشتبه به في هذه القضية فردت : نعم ، هو جرير بعينه .. فالشرطة تشتبه به ؛ ولكن التي تحدثت معي يوم الجريمة امرأة ليس ذكرا .. فهذا ما يحير البوليس ورجال النيابة، فقد قال بعض زملاء الكلية إنهم رأوه في الجامعة في الصباح ، ولم يتغيب عن المحاضرات ، وفترة حدوث الجريمة ادعى أنه عاد للبيت ونام حتى العصر ، ثم قام بزيارة أخت له وزوجها ، وأمضى المساء معهم ، ثم عاد للبيت وأمه شهدت أنه كان في البيت ، وعدد من حراس الغابة يعرفونها ، وكثيرا ما شاهدوهما مع بعضهم وأنهم يترددون كثيرا على الغابة للجلوس وتناول الطعام؛ ولكنهم يوم الحادث لم يروهما ، وهذا لا يعني أنهما لم يدخلا الحديقة أو الغابة ذلك النهار ، فكثير من الناس يدخلون من خلال الفتحات الموجودة في الأسلاك الشائكة ، فهناك فتحات كثيرة .. فيتكاسل الناس من الدخول من الأبواب الرئيسية فيتركون سيارتهم خارج الأسلاك ، ويجلسون على الأرائك تحت الأشجار مقابل سياراتهم ، ثم ختمت أمينة كلامها قائلة : والله يا عرفان إنني منذ يوم عرفت أنه حفيد أختنا أسمهان نفرت نفسي منه ؛ ولكن هذه البنت ؛ كأنها لم تر في الدنيا رجلا غيره .. مصيبة وكارثة لو كان هو القاتل الغادر!

فقال عرفان بعد سماعه كل هذه المعلومات والشكوك : ولماذا يقتلها الملعون ؟! وهو يزعم أنه محب لها لماذا ؟ هذا المهم يا أمينة. .. يتبع

روايات اجتماعية

أستاذ الفرنساوية

الحلقة ٥ والأخيرة

الصلاة

رجع العروسان من شهر العسل بسلام وحفظ من الرحمن ، وكان وصولهما لبيت خالد الذي كان في استقبالهما وهو عائلته ، وتناولوا الغداء على مائدته ، ثم أخذت اتصالات الأقارب تتالى على البيت ، واتصلت سلوى بوالدها مخبرة له بعودتها ، وأنها مشتاقة لرؤيته وستزوره ليلا ، وهو قد عبر لها عن شوقه وسعادته بسعادتها وهو بشوق لرؤيتها وسماعها وأنه سيكون في انتظارهما .

أخذ سامر سيارة والده لهذه الزيارة ، ولما طرقا الباب فتحت لهما الخادمة التي رحبت بهما ، وباركت لهما زواجهما ، ودعت لهما بالحياة السعيدة ، ولما أصبحت سلوى داخل البيت قالت بصوت عال ومرح : أين أبي ؟

فردت الخادمة : إنه يصلي .. سيأتي بعد قليل .

هتف سامر دهشة : ماذا قلتي يا ..

ابتسمت الخادمة لدهشتهم وأدركت أنهم لا يعرفون أن السيد أصبح مصليا وقالت : نعم هو يصلي العشاء ..

قالت سلوى وهي تنظر في عيني سامر دهشة : أبي يصلي العشاء !.. ما أحلاك يا أبي ! .. الحمد لله .. أنت مبارك يا سامر !

بعد قليل جاء فارس باسما واحتضن سلوى وقبلها وقال : ما أجملك يا سلوى ؟ أنت جميلة وثيابك زادتك جمالا ؟ مرحبا بك يا حبيبتي .. وقرة عيني .. لقد ازددت حسنا .

ثم تركها واحتضن سامرا قائلا : أهلا بولدي وصديقي الحمد لله على السلامة .. إنكم رائعون وفي غاية الصحة والعافية .. ما شاء الله .. ما شاء الله !

ولم ترك سامرا قال مداعبا : أنا خشيت أن تعودوا مكشرين ومتنكدين .. مرحبا بكم .. السعادة تفوح من حناياكم .

ـ شكرا يا عم ، بل السعادة غمرتنا أكثر لما علمنا من الخادمة أنك تصلي .. الحمد لله على هذه النعم

قالت سلوى بفرح طاغ : أبي عندما دخلنا وسألنا عنك أخبرتنا ... أنك تصلي .. تفاجئنا ؛ ولكنها مفاجأة طيبة يا أبي .. لذيذة الصلاة يا أبي ..

قال فارس باسما : يبدو أن حبيبة لم تحدثكم عن توبتي .. أنا أشكرك جدا يا سامر .. لم أكن أتخيل أن سلوى ستكون جميلة للغاية بهذه الثياب

تبسم سامر وقال منشدا : عين الرضا عن كل عيب

كليلة.. وعين السخط تبد لك المساويا

ـ جميل هذا الشعر ..!!

ـ لم يكن أمامنا وقت يا عم لسماع هذه الأخبار الطيبة .. العمات والخالات .. التلفونات لم تنقطع للتهنئة .. ولا تنس أنني أول من يتزوج من أبناء الدكتور خالد وحبيبة.. أنت يعني حقيقة تصلي وتعود للإسلام .. آه ما أحلى الإسلام مع العلم يا عماه !

ـ صدقت يا سامر .. سلوى كيف أنت وهذا الذي تلبسينه ؟

احتضنت أباها ثانية وقبلته من جبينه وقالت : كم أحبك يا أبي !.. سامر رجل عظيم! .. وأمي حبيبة سيدة فاضلة ..إني سعيد بك يا أبي .. وحكاية زواجك صحيحة

ـ أجل يا سلوى سأتزوج امرأة متدينة .. تريد شيخا فهداني الله ، وسأحاول أن أكون شيخا بحق

قال سامر : رائع يا عماه !.. ألف مبارك يا سيدي .. هذا البيت الواسع يحتاج لزوجة تسكن إليها أليس كذلك يا سلوى؟

فردت وهي تترك عنق والدها : طبعا ، نعم ، إن أبي يستحق زوجة صالحة بعد كل سنوات العزوبية التي انقضت .. مبارك يا أبي

ـ شكرا يا سلوى أنا سعيد بكم يا أولاد .. عدتم بكل سعادة وحب

فقال سامر : الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .. سلوى فتاة ناضجة ، وتعرف حقوق الزوج .. وتحب الطاعة وتكره المشاكسة

قال فارس معترفا : أنا أشكرك يا سامر .. لقد كنت قلقا بل خائفا على سلوى لما انتقلت من المدرسة الداخلية للجامعة .. كنت خائفا جدا عليها ، وإن كظمت هذا الخوف ، ورغم تحرري وزعمي أنني متحرر من الدين والعادات والسمعة .. كنت أخشى أن تصطدم بشلة شباب لا أخلاق لهم ، ولا هم لهم إلا العبث بالفتيات وخداعهنّ وافتراسهنّ .. كما نسمع ونقرأ .. وتستهوي حبيبتي سلوى حياة الانفلات .. فسوف أقف حقيقة عاجزا عن منعها يا سامر ..لأن ذلك سيكون باسم الحرية .. ونحن في بلادنا مهما حاولنا التحلل من القيم .. تبقى قضية الزواج قضية في غاية الأهمية .. لا تستطيع الفتاة أن تعيش في مجتمعاتنا دون زواج وأهل كما يكون الحال في أوروبا والغرب .. هناك لو قضت العمر كله بدون زوج وأهل لا أحد يهتم ويكترث .. والشرقي يصعب عليه الزواج من فتاة كانت تمارس الجنس مع عدد من العشاق .. فهم عندنا في أول زواج لهم يرفضون الزواج من مطلقة أو أرملة .. فكيف بزانية ؟!

قتل

رفع فارس سماعة الهاتف ليرد فسمع صوتا يعرفه قديما أنه صوت حمدي شقيق زوجته الأولى وخال بناته : آ .. يا سيد حمدي مرحبا بك .. تريد لقائي .. أنا في البيت .. أنا في انتظارك .

نظر إلى ساعته فهي السادسة مساء فقال : ماذا يريد حمدي؟ لقد شاهدته في عرس سلوى .. هل يفكر بزيارتها ؟ ويريد أن يصحبني معه .. ثريا .. هل ثريا معه راغبة بزيارة ابنتها بعد عودتها من شهر العسل؟ .. لم يطلب مني لبس ثيابي .. ماذا يريد حمدي نسيبي القديم .. خال البنات ؟

●

كان وجه حمدي كئيبا حزينا عندما التقيا فاستقبله قلقا متوجسا وقال : حمدي !.. أراك ممتقع الوجه ؟!

ـ صدقت يا فارس .. لقد حدثت جريمة اليوم صباحا .

انقبض قلب فارس سريعا ووضع يده على صدره حيث القلب وقال : جريمة ؟!

ـ نعم ، لابد أن تعرف بها يا فارس .. لأنك والد البنات .. أكيد عادت سلوى من شهر العسل

ـ لها أسبوع أو عشرة أيام .. ثريا .. ما الجريمة ؟! وما دخل البنات ؟

ـ ثريا قتلت اليوم قبل الظهر

قال رعبا واستغرابا : يا الهي !!.. قتلت ؟! ومن قتلها ؟! ولماذا قتلت ؟!



ـ قتلها زوجها .. وقتل معها عشيقها .. حسون الذي تعرفه .

ـ أنا أعرفه!

ـ لا تجعل نفسك جاهلا يا فارس .. أنا أعلم لماذا طلقت ثريا؟ .. أنا الذي كتبت لك تلك الرسالة ؛ لأنني لم استطع فعل شيء .. حسون موظف البنك الذي تحدثت عنه الخادمة قديما .. أنا جئت إليها باكرا فوجدته في بيتك .. فكتبت لك تلك الرسالة .. لتعرف رغم أنها شقيقتي ؛ ولكني أكره وأبغض الزنا والخيانة .. لا أرضاهما لأحد .. وها هي أعادت الكرة مع زوجها الجديد العجوز .. صديق أبي الذي رضي بها بعد ترمله ومن أجل صداقته لأبي .. فلما اكتشف خيانتها أطلق عليها النار وعلى عشيقها النذل .. ومات على الفور .. وهي ماتت بعد وصولها المستشفى بقليل .. فجئت إليك لنحسن التصرف من أجل بناتك يا فارس .. لا أحد يعلم بعهرها القديم سوانا ..أما اليوم فكل أسرة زوجها يعرفون .. فعلينا أن لا نتحدث عن ذاك الماضي .. على الماضي أن يبقى في صدورنا يا

فارس .. ليبقى سبب طلاق أمهن زواجك سرا أتسمع ؟!

ـ إني أسمع يا حمدي .. أنا أقدر موقفك ونبلك القديم والجديد

ـ إذن اخبر بناتك بمقتل أمهن في ظرف مريب .. إنه خزي يا فارس ؛ ولكن علينا التصرف .

***

بعد تسلمهم الجثة من الشرطة والطب الشرعي جرت مراسم الدفن للسيدة ثريا حسب تعاليم الشريعة الإسلامية ، وأقيم بيت عزائها في منزل والدها ، ولاكت الألسن قصة مقتلها وخيانتها لزوجها الشيخ الكبير الذي ألقي به في السجن ليقدم للمحكمة .

وكان سامر يخفف من آلام الجرح الدامي والنفسي الذي أصاب سلوى من فعلة أمها البشعة فكانت تقول له : ألم أقل لك إني لا أحبها ؟! .. أرأيت ماذا فعلت بالشيخ المسكين؟! جعلت بيته وكرا للفسق والفجور! لماذا قبلت به ما دام كان رجلا كبيرا ؟

ـ يا سلوى هي أمك .. أمرها عند خالقها

فصاحت بحرقة وغل : فظيع ! فظيع الذي فعلته ! كان عليها أن تطلب الطلاق وتتزوج من ذلك العاشق الدنيء ! الخيانة قذرة .. مؤلمة يا سامر

ـ لقد ضعفت أمام الشهوات .. نسأل الله لها الرحمة .. اعلم قسوة الخبر عليك .. ولكن ليس للإنسان إلا ما سعى .. ضلت الطريق .. هدئي من نفسك .. وكما قال والدك لك نحن من سنوات انتهينا من ثريا .. كان عليها أن تحافظ على شرفها وشرف عائلتها

فقالت بأسى : لقد تمزقت قلوبنا من هذه الفضيحة

كان جابر يحدث مازنا شامتا : أسمعت يا ابن العم قصة مطلقة فارس؟! لقد قتلها زوجها العجوز بعدما ضبطها مع عشيقها في غرفة نومه .. قتل الرجل والمرأة .. ما أفجرها ! أتزني ببيت زوجها وعلى فراشه ؟!

فقال مازن : لقد عرفت التفاصيل الدقيقة .. قريب لزوجها المسكين زبون عندنا .. حدثني بالمأساة .

ـ هات ما عندك يا بطل ؟

ـ القصة يا سيدي .. أنها بعد طلاقها من أخيك ظلت بدون زواج .. ولما ترمل صاحب أبيها قريب زبوننا .. طلبها من أبيها فوافق ، ثم قبلت هي بالزوج الكبير وهو رجل غني صاحب ثروة وعمارات .. وسكنت مكان المرأة الميتة بعد أن أثثت من جديد .. ومنذ أشهر قليلة أخذ يتردد عليها رجل في البيت زاعمة لنساء أولاد الرجل الذين يسكن بعضهم في شقق العمارة أنه قريب لها .. فتحدث الأولاد لأبيهم عن زائر زوجته بعد حين ، فنفى معرفته بشيء وطلب منهم كتمان الأمر .. وقال هناك خيانة .. إني بعد الإفطار لي فترة أو

بعض الأيام أشرب قهوة وأنام على غير ما تعودت .. طلب منهم الصمت ليتحقق من الأمر .. فقد أدرك أن زوجته تخونه ، وتضع له المنوم في يوم زيارة عشيقها لها .. ففي ذلك الصباح .. تظاهر أنه شرب القهوة ثم استلقى على الأريكة ونام .. وفعلا لم يمض وقت حتى زلف العشيق وذهبا لغرفة النوم وأغلقت الباب مع أنه لا يوجد معهم أحد في البيت من أطفال أو خدم .. فقام الرجل الشيخ المتناوم ، وكان قد أعد مسدسا خاصا به .. وكان لديه مفتاح الغرفة الثاني .. وفتح عليهما الباب بسرعة ولما رأى المشهد أطلق عليهما النار .. فقتل الرجل الفاجر على الفور .. والمرأة لفظت أنفاسها في المستشفى .. طبعا جاء رجال الأمن والإسعاف .. ووجدوا حبوب المنوم في الشقة .. فهذه قصة مقتل زوجة شقيقك القديمة .

ـ لا حول ولا قوة بالله .. آه .. مكر النساء .. عندما تفجر المرأة لا يردها شيء ، لا شرف ولا زوج ولا أبناء

ـ قل الحمد لله أنها فعلت فعلتها بعد طلاقها من فارس بعد عشر سنوات .. لو تورط معها لقضى وراء القضبان باقي عمره .

وقال جابر بعد تفكير : لقد حدث شوشرة قديما نحو هذه الموضوع بعد ولادة سلوى زوجة ابن أختك .. ثم توقف القيل والقال واستمر الزواج .. أترى أن فارسا طلقها بسبب عهرها ؟

ـ ولكنه كان متزوجا سرا عندما طلقها ، كان له زوجة سرية من سنوات يا جابر .. لا أعتقد أن أخاك وجد عندها رجلا .. ففارس كان تلك الأيام أكثر وقته في الجامعة .. فكيف سيكتشف خيانتها ؟ .. وأنا تأكدت أن سبب طلاقه أنها عرفت بزواجه عليها ، فخيرته بينها وبين زهرة لأنه كان يريد إشهار زواجه .. وها هو اليوم يستعد للزواج مرة ثالثة .

قال : فارس ؟!

ـ نعم ، ربما لولا هذه المأساة لتزوج.. ألا تدري أن أخاك صار مصليا ويرتاد المساجد ؟

صاح جابر استغرابا : فارس ! قال : آ ، فارس

قال متشككا : يا رجل فارس كان كافرا .. كان إبليس .. كان دائما يستهزأ بالصلاة والوضوء والاغتسال .. ولما يدخل البيت ويجد أمه تصلي يشوش عليها ويسخر منها

ـ كان يا ما كان .. سيتزوج ابنة الدكتور حمزة صديق الحاج خالد .. الدكتور خالد زوج حبيبة والعروس شيخة ؛ ولكنها لم توفق بزواجين سابقين بسبب عدم قدرتها على الإنجاب .. علمت كل هذا من أم سامر.. عندما ذهبنا لنبارك للعروسين بعد عودتهما من شهر العسل .. أو شهر النحل ..

ـ والله مساكين بنات أخي بعد هذه الفضيحة المدوية .. قُول سلوى نفقت وجبرها ابن أختك أما حسناء المسكينة من سيغامر ويتزوجها بعد فضيحة أمها

ـ ستجد صاحب النصيب .. ليست أول امرأة تفجر في التاريخ يا جابر .. الزنا معروف منذ أوائل التاريخ .. الناس تنسى مع الوقت .. وقد يأخذها أحد أبناء حبيبة .. سمعت مثل هذا الكلام .. وهي صغيرة بعد لم تتخرج من المدرسة الداخلية ، وعندما تصبح طبيبة أو صيدلانية ستجد عشرات العرسان ، بنات فارس عشن مع أبيهن أو تحت رعايته منذ انفصلت أمهن عن أبيهن، وهن هادئات بطبعهن ، سلوى لا تتكلم مع أحد إلا إذا وجه الحديث إليها مباشرة .. وكلامها مختصر ، لقد صدف أن خاطبتها في بيت حبيبة .. لا تحب الثرثرة كأبيها

ـ صدقت يا مازن بكل تكلمت به .. أصبحت خبيرا يا مازن في أمور البشر

رد متهكما : شبنا يا جابر .. شيبتني النساء .. زواج طلاق .. لم أعد أعرف الأولاد أبناء من منهنّ

ضحك جابر ضحكا عاليا وقال : معنى ذلك أنك خرفت

ـ خرفت !! يا أبا خضر ألم تجد إلا هذا الوصف ؟! أنا اعتبرك أكثر أبناء العائلة معرفة بي .

ـ وأنا أكثرهم فهما لك يا ابن عمي .

حادثة موت ثريا لم تؤثر كثيرا على فارس ؛ لأنه حذفها من حياته منذ طلقها ، وأراد من بناته عدم الاهتمام بسيرتها وقصتها ، ونحن نعلم برودة العلاقة بين الأم وبناتها ، من يوم أن حصل الانفصال لم تحاول المرأة التمسك بالبنات ، وخاصة حسناء الصغيرة التي كانت بنت أربع سنوات أو خمس ، فنسيت سريعا قبل انقضاء شهر على وفاتها .

وبعد حين يسير عاد الحديث عن زواج فارس ونبيلة التي وافقت على الاقتران به بعد أن وعدها بالبقاء على التوبة ، وأن تستمر في عبادتها ولبس ملابسها الشرعية ، وكان قد أخذ بممارسة الصلاة قبل قبولها ورضاها .

واستقبل السيد حمزة وعائلته الدكتور خالدا وزوجته وفارسا ، ودارت بينهم جلسة تعارف معمقة وفي نهاية الجلسة قال فارس : أنا كشفت لكم أوراقي .. ولا تعتقدوا أن سبب توبتي الزواج من الفاضلة نبيلة .. أنا تبت إلى الله لأنني بحاجة للتوبة .. من يوم أن التقيت بسامر ابن الدكتور خالد فقد أخذت أفكر بالإسلام وتقاليد الإسلام .. وجاء الحديث عن السيدة الفاضلة نبيلة دفعا قويا لعدم التردد واتخاذ القرار الحاسم والقضاء على التسويف .. ففكروا وردوا بنعم أو لا

وأكد الدكتور خالد على أن الدكتور فارسا ترك الخمر منذ عهد قريب .. وأنه يمارس الصلاة حقيقة ، وهو يعود للإسلام شيئا فشيئا .

زارت نبيلة حبيبة وطلبت منها أن تسمح لها بمقابلة سلوى ، وبعد تعارف قالت نبيلة : يا سلوى أنت طيبة ورقيقة .. أريد أن أسالك عن أبيك واصدقينني النصيحة

ـ أنا تطلبين مني النصيحة ؟!

قالت مشجعة : أنت أعرف الناس بأبيك .. هل يمكن أن تستمر الحياة الزوجية مع والدك ؟

ـ أبي تزوج مرتين ، ولم تستمر الحياة الزوجية في كلتا الزيجتين ، قضى مع أمي بضع سنوات وكذلك مع زهرة .. ولكل زيجة ظروفها وأحوالها .. وهو يبحث عن حياة مستقرة ، وقد كبر أبي يا سيدة نبيلة .. ومنذ وعيت لم أسمع أو أرى أنه اتخذ عشيقة أو خليلة .. واليوم أبي يتغير خاصة بعد زواجي من سامر .. وتبقى الحياة الزوجية نجاحها أو فشلها بيد الله

ـ الصلاة والعبادة هل هو جاد فيها ؟

قالت : أتوقع أنه جاد يا أخت نبيلة .. لا أعتقد أنه يمثل وينافق ليتزوج منك .. فلو لم يجد ويلمس فيك أشياء هو بحاجة إليها لما تزوج وأصر عليك .. وهو ترك زهرة زوجته الثانية لأنها هي التي تريد ذلك .. تريد خلفة وهو ضعيف من هذه الناحية .. الإنجاب سبب الانفصال الثاني .. فحيواناته المنوية ضعيفة .. وحاول الزواج خلال هذه السنوات وبسبب هذا الموضوع وهو الحمل يرفضن ويصرفن نظر .. وكنا يوما في زيارة دار عمي خالد فحدثه بحاجته لامرأة تقبل به وليس لديها رغبة بالحمل أو تحمل أصلا .. فخطرت على بال الدكتور وزوجته .. ولما علم تدينك لم يرفض ؛ ولكنه تردد وفكر هل يستطيع التوبة والثبات عليها ؟ فكأنه تأثر بعمي خالد واتخذه صديقا ومستشارا

ـ أشكرك جدا يا سلوى .. نعم الصديقة أنت .. الله يستر عليك دنيا وآخرة .. الفشل في زواج ثالث سيحطمني يا سلوى .. وأنا رضيت بقسمة الله بعدم الذرية .. والأمر لله وحده

ـ الطب يا نبيلة يتقدم لا يأس مع الحياة .

استقبلت أسرة خالد السيد فارسا وابنته حسناء التي أصرت على زيارة سلوى لتزورا السيدة نبيلة حمزة عندما سمعت والدها يقول إن الأمور في نهايتها

وبعد حين يسير قامت حبيبة بأخذ سلوى وحسناء لزيارة نبيلة بعدما اتصلت بها بالتلفون ، فرحبت بتلك الزيارة ، ولما غادروا البيت قال فارس : حسناء رغم حياتها في مدرسة خاصة داخلية كما تعلمون قلقة من زواجي .. لا أدري لماذا ؟ بعكس

سلوى التي كانت فرحة وسعيدة كأنها هي التي ستتزوج أعندك تفسير يا دكتور ؟

تبسم خالد وقال : هذا سؤال يوجه لطبيب نفسي .. على كل حال هو قلق من المجهول رغم بعدها عنك ، ولا تلتقي بك إلا نهاية الأسبوع والعطل الرسمية .. فهم كما تعلم بعد طلاق أمهم تعلقوا بك لأنك صرت الأم والأب بالنسبة لهم .. ولأن زوجتك زهرة كانت عدوة لهن كما فهمت منك .. فهي قلقة خائفة أن تحرمها الزوجة الجديدة من حنانك وعطفك نحوها .. فهي قد اعتادت أن تقضي إجازتها معك وحدك .. فالآن ستجد شريكا لها.. والسيدة نبيلة سيدة فاضلة لأنها من بيت أصيل يا فارس .. ونحن أصدقاء ونعرف أسرار بعض .. فلن تكون عدوة لحسناء وتمثل الدور السيئ لزوجة الأب .. ولا تنسى أن نبيلة حرمت من الأمومة فسترى حسناء كابنة لها وتفرغ عاطفتها نحوها .. والسيدة امرأة تضع مخافة الله بين عينيها يا فارس .

ـ طمأنتني يا دكتور .. أنتما تعلمان الباطن في نفس حسناء ، إنها لتخزن مأساة أمها ومقتلها وخيانتها للرجل الذي رضي بها زوجة .. وهي تقول إنها تعاني من همسات التلميذات وجلست أكثر من مرة عند الطبيبة النفسية في المدرسة .. وتحدثت مع تلك الطبيبة وطمأنتني أيضا على مشاعر الفتاة وتحملها للصدمة والمأساة ، ولم تؤثر على مستواها الدراسي والتعليمي .

قال سامر الصامت لهذه الجلسة معلقا : طيب هذا يا دكتور فارس .. الحمد لله .

فقال خالد : الحمد لله .. ما آخر أخبارك مع الإسلام ؟

قال : الحمد لله يا دكتور خالد .. الكتب التي تدفعها لي كتب عظيمة ، وبذل مؤلفوها جهودا جبارة وعظيمة لبيان محاسن الدين الإسلامي .. محاسن العقيدة .. محاسن الشريعة .. معاملات أخلاق .. معلومات كنت افتقدها يا خالد .. فرأيت من المؤسف تشبيه الدين الإسلامي بالدين اليهودي والنصراني .. والأديان الأخرى .. لا مجال للمقارنة بينهما .. شكل العبادة عندهم لا يشبه شكل العبادة عندنا .. هناك آثار مجهولة كثيرة في تفاصيل تلك الديانات .. الاغتسال من الجنابة صفة الوضوء .. إنهم يصلون بغير وضوء .. صلاتهم لا ركوع فيها ولا سجود .. أنصبة الزكاة .. صفة صيامهم .. كيف يوحدون الله ؟!

أخذ نفسا وشرب ما قدمته الخادمة وعاد يقول : دين الإسلام يتحدث يا خالد .. في تفاصيل عجيبة .. لم أكن أفكر أن دينا يهتم بها .. دينا يبحث بها .. مثل آداب قضاء الحاجة .. عند الأديان الأخرى عادات .. في الإسلام عبادات .. تدخل بالقدم

اليسرى للمرحاض .. تذكر اسم الله وتتعوذ من الشياطين .. كيف تخلع ثيابك ؟ .. تنظف نفسك بالورق والماء .. تخرج باليمين تدعو .. شيء عجيب هذا فعلا يا سيدي .. حتى الجهة التي تجلس فيها لقضاء الحاجة تحدث عنها النبي ﷺ

قال سامر : جميل يا عمي ! إنك تقرأ بقلب متفتح للإسلام

ـ شكرا يا سامر .. آداب الجماع والمعاشرة الزوجية .. يتحدث عنها الإسلام قبل أن نسمع اليوم عن الحياة الجنسية والثقافة الجنسية والتربية الجنسية .. الذكر عند الجماع ..الاغتسال بعد الجماع الوضوء لتكرار الجماع .. المداعبة وغيرها أشياء يتحدث عنها الشرع .. ونحن كنا نستحي الحديث عنها يا خالد .. عمري ما اغتسلت بسبب الجماع أنا وثريا وحتى زهرة .. ننظف المكان وانتهى الموضوع ..الإسلام يا عالم يتحدث عن سنن الفطرة .. كتنظيف العانة وشعر الإبط .. وقص الشارب والظفر .. هذه قوانين التربية .. أنا عمري ما تأملت في هذه الآداب والسنن .. كان الغرب مهوى قلبي وحياتي .. النوم يتدخل فيه الإسلام .. على المرء أن يبدأ نومه على جنبه الأيمن ويضع يده على خده الأيمن .. ويقرأ الذكر المختار وبعض التعاويذ .. سورة الفلق سورة الناس .. حقيقة أنني دهش لعظمة هذا الدين .

قال خالد مبهورا : إنك تقرأ قراءة جادة وعميقة !

ـ شكرا يا سيدي .. أنا مغرم بالقراءة ، آلاف الكتب الفرنسية والإنجليزية قرأتها بلغة أهلها .. ويستهويني الفكر العميق والبعد عن السطحية .. أنا لا أدري لماذا لم أكن أقرأ كتب العلماء الأفذاذ من المسلمين ؟ .. لمَ غرس فينا كره الإسلام ؟! وإن الأديان سبب تعاسة العالم وسبب الحروب .. نفرنا من قراءة مثل هذه الكتب التي تتحفني بها .. اختياراتك واعية .. وموصلة للرسالة يا سيد خالد .. الدين يهتم بالقلب .. هذه العضلة التي تدير هذا البدن .. وهي في غاية الأهمية من الناحية الروحية .. كالإيمان يجب أن يستقر في القلب وأن يكون مخلصا لله وأنه أسس العمل وقاعدته المتينة .. عمل بدون إخلاص لله يكون عملا فاشلا باطلا .. صوم بلا إخلاص مجرد ترك طعام وشراب كما تفعل الدواب في سباتها الشتوي .. كالدب القطبي مثلا .. لو اغتسلت مائة مرة ولم تقدر النية في القلب ستبقى جنبا وكأنك لم تغتسل .. ليست قضية انغماس بالماء فحسب .. يجب أن تصحبه نية صادقة متعبدة .. القلب شيء مثير .. يا خالد .. الإسلام ينصحك يرشدك أن تشرب جالسا أن تبول جالسا ، ولكنه لا يمنعك من الشرب قائما .. لا يمنعك من البول قائما .. لكننا نكون قد تركنا

الأحسن .. قد يبدو هذا غير معلل وغير واضح ولكنه من الوحي ..

ـ إني أزداد إعجابا بك يا فارس

ـ هذا تعلمته من كتبك العظيمة .. وأنا أعجب من كاتبي هذه الكتب الرصينة المتعوب عليها من قبلهم .. فنحن من نزعم أننا أهل فكر ترتاح قلوبنا للفكر العميق .. وهناك بعض الناس أو جلهم يحتاج لكتب مبسطة وأسهل من التي أعرتني إياها .. حتى أنا من حماسي أخذت أقرأ بعض الكتب الفرنسية والإنجليزية التي تتحدث عن المسلمين وبلاد المسلمين ..

وبينما هم مستغرقون في تذوق الإسلام ومحاسنه ، وقد شربوا الشاي والقهوة وطعموا بعض الفاكهة عادت النسوة من زيارتهن لنبيلة وطرقت حسناء الباب ودخلت تصيح : بابا بابا وألقت نفسها عليه معانقة له ، ثم التفتت لهم قائلة : آسف يا عم خالد .. آسفة يا سامر ..

قال خالد : أنت في بيتك يا حسناء نحن أهل ..آ .. أرأيت السيدة الفاضلة نبيلة ؟

قبلت وجه أبيها وقالت : إنها رائعة يا أبي! .. لقد أحبتني من أول لقاء يا أبي .. اسأل سلوى احتضنتني وقالت أنت حسناء أخت سلوى .. ما شاء الله .. أنت طيبة ورقيقة مثل سلوى أم مشاكسة ؟.. وبعد كلام قالت أنا لم أوافق بعد يا حسناء .. أبوك ترك لي حرية التفكير وعدم العجلة .. وأنا بعد حديثي مع سلوى العزيزة عن والدك ـ نظر الأب إلى سلوى التي ابتسمت له ـ أصبح القبول عندي تسعين بالمائة .. وأنت رأيك إيه ؟

فقال فارس : فعلا أنت رأيك إيه ؟ أنا لم أسمع رأيك بهذا العمل الضخم الزواج من جديد .

فقالت حسناء وهي ما زالت تطوق عنق أبيها قلت لها : أنا أحبك يا سيدة نبيلة .. ولازم تتزوجين أبي .. أبي مسكين .. وحيد في البيت .. عاوز امرأة طيبة مثلك

ذرفت دموع فارس تأثرا فدفع إليه خالد منديلا ورقيا وقال : رائع جدا يا حسناء ! أنت مائة في المائة تحبين والدك وسعادته .. فنحن الرجال مساكين .. لا نستطيع العيش بدون زوجات ربما النساء يصبرن أكثر عن بعد الرجال .. فأنا ألاحظ أن الرجال إذا ترملوا أو طلقوا يسرعون في البحث عن الشريك المناسب .. أما النساء الكبيرات فوق الخمسين يعزفن عن الزواج من جديد .. ربما تكون خاصية فسيولوجية يا فارس

ـ أنا دكتور لغة .. أنا أحبك يا حسناء يا أميرة .. اجلسي دعي عنقي ..أنا ليس لي في هذه الدنيا سوى أنت وسلوى أمنا الصغيرة ..



زواج فارس

لقد قضي الأمر الذي فيه تستفتيان .. وافقت السيدة نبيلة على الاقتران من حضرة الدكتور فارس بعد تردد وخوف لازماها عددا من الأسابيع .. واحتفل القوم بزواجهما .. هو طلق مرتين وهي طلقت مرتين .. واستقرت الزوجة الجديدة في فيلا فارس المستأجرة ، وعادت الحياة الأسرية الدافئة لفارس بعد سنوات من العزوبية والجفاف الأسري .. ووجد الرجل المرأة إنسانة فاضلة وثقافتها الدينية راقية ، وأنها سيدة محترمة ، وأنها تسعى لإسعاده فعلا وحقيقة .. وكانت تتلقى حسناء في إجازاتها كأنها ابنة حقيقية لها .. وكان الرجل يبكي عندما تخلو به حسناء وتحدثه عن أخلاق زوجته وحسن رعايتها لها في أيام الإجازة .. بل من حبها لامرأة أبيها طلبت منه بعد حين بأن ينقلها لمدرسة خارجية ، وبعد تشاور مع نبيلة قالت : إذا كانت هذه رغبة الفتاة فأنا تحت أمرها .. ولا ضيق عندي من وجودها الدائم معنا .. لكن اسمح لي أن أتحدث معها بهذا الموضوع لأتأكد من رغبتها لفعل ذلك ، وأنها مقتنعة بما تطلب يا سيدي الدكتور .

ـ هي التي اعترفت بذلك قائلة ما دام أن الله أرسل لي أما جديدة يا أبي لماذا أظل في المدرسة الداخلية ؟.. أنت تذهب لجامعتك وأنا لما أعود أجد أمي في البيت .. أنا أعترف أمامك أنك أميرة وإنسانة على خلق طيب .. لقد أحبتك الفتاة سريعا رغم أنني لم أكن أتوقع ذلك وبمثل هذه السرعة .. فإن زهرة بعد طلاقي لثريا رفضت بشدة بقاء البنات معنا مع أننا لم يكن بيننا مواليد .. أبت كل الإباء ولو ساعة واحدة يا نبيلة .. لم تكن أما يومذاك .. أنا سعيد بك يا سيدتي الكريمة ، ووالدك راجل فاضل وغانم .. والشكر لله .. أنت كنز عظيم ، ولا أقول ذلك تملقا لك ..أنت أدخلت السعادة على قلبي وقلب حسناء بحبك لنا .. وأنا قررت بمشيئة الله تعالى أن نتعالج أنا وإياك من أمراض العقم خارج البلاد .. فمكسب عظيم أن يهبني الله منك ذرية طيبة .. اليوم كما أسمع وأقرأ العلاج تطور .. وهناك ثورة في علاج أمراض الحمل والعقم سنسعى ولو لطفل واحد

تفاجأت بأفكار فارس فقالت باستغراب : أنا! أنت تعرف أني تزوجت مرتين وطلقت بسب الإنجاب وتعالجت ، لم يقصر أبي وأهلي في ذلك .. ولكن الأمر لله لا تقلق من جهتي ، وأنا راض بقدري يا أبا سلوى

ـ لا تيأسي يا سيدتي أنا تحدثت مع رجل في الجامعة عن العقم والإنجاب فقال نحن كل يوم نجد جديدا في علم الجينات والطب والعقم وذكر لي أسماء علماء في الإنجاب في لندن وبرلين

تنهدت نبيلة وقالت : نذهب أوروبا

ـ سنذهب بمشيئة الله .. أنت إنسانة تستحق أن يضحي من أجلها الإنسان بكل ماله بكل شيء

مسحت دمعات عن آماق عينيها وقالت : إنك كريم يا سيدي الدكتور!

ـ إن شاء الله في صيف العام القادم أكون قد حجزت لي ولك عند أحد هؤلاء الأطباء العلماء يجب أن يبقى لدينا أمل كبير بالإنجاب .. فأنت تستحقين التضحية .. لقد أدخلت السعادة والإيمان على بيتنا

ـ أشكرك يا سيدي الدكتور .. ما آخر أخبار عزيزتنا سلوى ؟

ـ أيام قليلة وتضع مولوها الأول بإذن الله .. وقررت أن تقضي أيام ولادتها الأولى بعد خروجها من المستشفى عندك يا نبيلة .. إذا كان ليس لديك مانع واعتراض

قالت بدهشة : مانع ! أنا أمهم يا سيدي الدكتور .. هذا الأمر يسعدني

ـ نعم ، أنا قررت قبل مشاورتك .. عندما التقيت بخالد وسامر جرى الحديث حول هذه الأمر فقلت لهم السيدة الفاضلة موجودة دائما في البيت .. فلن ترفض خدمة ابنتها .. وأنا أعرف أخلاقك العظيمة فتبرعت نيابة عنك

ـ اشكر ثقتك بي .. وأنا سعيدة بهذا العمل وعلى الرحب والسعة .. وسلوى ابنتي حقيقة يا فارس .. إني أحبها بصدق .

بعدما تحدثت نبيلة مع حسناء عن رغبتها بترك المدرسة الداخلية ، وأنها ترغب بالعودة للحياة بينهم ومعهم في البيت ، أتم فارس إخراجها من تلك المدرسة ونقلها

للقسم الخارجي الذي يتبع لنفس المدرسة .. فكان باص المدرسة يتولى نقلها من البيت للمدرسة ثم العودة ، واستقرت حسناء في البيت مع نبيلة .. وعاد لها الهدوء الأسري والدف العائلي الذي افتقدته منذ سنوات وسنوات .. وكانت نبيلة نعم الأم لها .. وأكدت لها أنها أم حقيقية لها .. وكان فارس يرى ويلحظ عمق الصداقة بين زوجته وابنته مما أكد له سعة قلب نبيلة وحسن تربيتها وأخلاقها .. وسر لتعلق حسناء بها ومحبتها لها .. وأخذت حسناء تحافظ على الصلاة ، وتتعلم منها بكل أريحية بدون أن تأمرها نبيلة بذلك .. وأخذت تتوسل لأبيها أن يشتري لها ملابسا كملابس سلوى ونبيلة.. فقال : الذي يلبس هذه الملابس الجميلة سيتحمل المسؤولية كاملة ..لا يرميها بعد أيام أو أشهر .. هذه الثياب الشرعية ستلقي عليك عبئا جديدا .. عندئذ عليك أن تكوني مسلمة حقيقية .. ليس مجرد كلام .

ـ إني أرى سلوى أجمل امرأة وهي تلبسها يا أبي

ـ سلوى أجمل وأحسن فتاة بدونها

قالت بإصرار : بل ملابس سلوى الشرعية جعلتها أجمل امرأة في الأرض .. صدق أنت لا تعرف في الملابس كما أعرف

ضحك فارس ونبيلة وقال : المهم الجوهر والقلب يا حسناء .. أنا فخور بك يا حسناء .. وعلى كل أمك نبيلة ستشتري لك مثلها لتجربي .. جربيها مدة من الوقت

فقالت نبيلة : هي التي ستشتري ملابسها يا سيدي الدكتور .. سنذهب للمتجر وهي تختار ما ترضاه وتقبله .. وتعجب به

فقالت حسناء : لكني لا أعرف شراء مثل هذه الثياب ولا أعرف اختيار الأجمل

ضحكت نبيلة وزوجها وقالت : ستتعلمين يا حبيبتي .. معارض ومتاجر المحلات الشرعية هي كشبيهاتها من محلات ملابس الموضة .. وستختارين من الألوان ما تحبين لا ما أحب أنا .. وسنشتري ثيابا نهديها لسلوى

عانقت حسناء زوجة أبيها وقبلت رأسها وقالت : أنت أم عظيمة أنت أحسن من أمي !

ـ نسال الله عز وجلّ لها الرحمة .. أنت طيبة يا حسناء .. لو ناديتني بنبيلة بدون أم لن أغضب منك أو أتضايق أنت عزيزة على قلبي يا حبيبتي

فقال فارس : ستنجب لك نبيلة شقيقا أو شقيقة بإذن الله يا حسناء

ـ صحيح يا أبي ؟!

ـ إن شاء الله .. سنسافر الصيف القادم إلى بريطانيا للعلاج يا حسناء ، وستسافرين معنا حتى تفتح المدارس وتعودين .. إني راغب بأن يهبني الله ذرية طيبة ستتعالج يا حسناء .. والأمر لله

ـ جميل هذا ـ إن شاء الله ـ الله يرزقك طفلا أو أكثر يا أحلى أم .. يا سلام

عندما يحل بيننا طفل صغير ..!

كانت نبيلة تمسح دموعها التي حاولت إخفاءها

فقال فارس : لا تستحي من البكاء يا نبيلة .. فهي دموع نبيلة حقا ..أنت أدخلت السعادة علينا والإيمان بيننا .. آه كم كنا نفتقد مثل هذه الجلسات ..!!

فقالت نبيلة : السعادة يا سيدي الدكتور في طاعة الرحمن والخضوع له وحده .. فبخضوعنا للرحمن نحب بعضنا صادقين ونحفظ بعضنا

ـ الحمد لله الذي أكرمني بك .. لقد اتفقت أنا وأمك يا حسناء على بقاء سلوى عندنا عند ولادتها لنطرب على صوت مولودها .. ستخرج من المستشفى إلى هنا لنرى الطفل الجميل وهو يصيح ويصرخ مناديا على سلوى

ـ عظيم ! كم أرغب بأن أسمع صياح طفل يا أمي

ـ ستسمعين يا حبيبتي .. وستكونين في الغد

الواعد أمّا عظيمة وتنجبين للأمة أبطالا وعلماء

ـ متى ستلد سلوى يا أبي ؟

قال : قريبا خلال هذا الشهر سيظهر مخلوق جديد على وجه الأرض .. سيغادر الرحم الصغير إلى الأرض الواسعة .. رحلة عجيبة لهذا المخلوق في رحم أمه ..آيات باهرة في خلق الإنسان يا حسناء .. علماء الأجنة يتحدثون عن إعجاز كبير في خلق وتولد الإنسان .. أشياء كنا نراها ونسمعها ونمر عليها مرور الكرام دون تأمل وفكر .. ولما صرنا نقرأ في القرآن عنها يأخذنا الإعجاب والدهشة لحديث مراحل تخلق الإنسان .. وذلك قبل وجود أجهزة التصوير والأشعة والسونار .. القرآن حدثنا عن ذلك قبل مئات السنين .. حقيقة أنني في غاية الإعجاب .. فكلما أقرأ جديدا أرى كم كنت في جهل!.. الجهل غرور يا نبيلة .. اعتقدت أنني بإتقاني الفرنسية والإنجليزية وعملي في كلية اللغة الفرنسية أنني أصبحت حداثيا تقدميا من علماء الأرض في الترجمة .. فعندما كنت افتح كتابا في تلك اللغة أشعر وأحس أني تقدمت كثيرا في لغة القوم .. الغرور عندما يركب الإنسان يضخم له الأشياء ويصوره أنه فارس الزمان الأوحد بين قومه ؛ لأنه يعرف لغة هؤلاء .. لكنني اليوم أحس أنني تافه .. عندما اكتشفت أنني لا أعرف الوضوء والطهارة وأبجديات التوحيد والصلاة .. إني ضحية الغزو الثقافي الذي عظم أولئك وبخس الإسلام .. فلقد خلق التواضع حتى يعلم الإنسان أنه لا شيء ..لا شيء .. وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .. هذا الذي نعرفه اليوم فقط من القليل .. العلاج

قال الدكتور خالد : عظيم يا فارس! إنك تتقدم في العلم الشرعي تقدما عظيما وسريعا .. وفعلا على المرء أن يستغل فورة الحماس قبل أن يعود للسكون .. لقد سمعت أنك ستسافر لبريطانيا خلال أيام

ـ صديق عزيز يا خالد .. لقد فاتني الكثير من صحبتك .. كم تمنيت لو التقينا قديما لأنهل من معارفك ومن هذه الكتب التي تختارها وتملكها ! .. لقد كان هدفي في السنوات الخالية متابعة الصحف الفرنسية .. إصدارات دور النشر الفرنسية .. اليوم زهدت فيها وأنا مبهور بكتب الأفذاذ من أهل الإسلام .. أما بالنسبة للسفر أيها الأخ العزيز .. سنذهب أنا والأخت الفاضلة للعلاج من العقم عند أحد الأخصائيين الكبار في بريطانيا .. فأنا كما تعلم أعاني من ضعف جودة الحيوان المنوي .. والأخت نبيلة عندها عيوب خلقية في جهازها التناسلي .. وهناك أمل كما قال لي أحد الزملاء في علم النساء وطبهن .. وهناك الأجهزة الأحدث تطورا وعندهم جراءة في العلاجات المعقدة أكثر من هنا .. والسيدة نبيلة يا

خالد تستحق مني كل شيء .. فهي نور سطع علينا في البيت .. وحسناء تحبها حبا لم أكن أتخيله .. مما أضفى سعادة كبيرة علينا.. وهي في سن يمكنها أن تحمل بعد .. ورتبنا أوراقنا وتقاريرنا الطبية القديمة والحديثة .. بل الرجل العالم لما اطلع على الصور وتقاريرنا قال : الأمل كبير في الحمل الطبيعي وأن امرأتك لم تصل لمرحلة اليأس فهي دون الأربعين واحتمال حملها وارد .. واخبرني أن أمري أسهل مع المنشطات والمقويات للحيوان المنوي .. فشجعنا الرجل للسفر

ـ أنت أصيل يا فارس .. وشهم .. فعلا خسرنا سنوات من الصداقة بسبب القيل والقال .. وجزاك الله خيرا ..وأنا لديّ إحساس بكرم الله عز وجلّ لهذه المخلوقة الصابرة نبيلة

ـ إنها سيدة فاضلة .. ودائما أدعو لك ولحبيبة ولسامر وسلوى على ما أنعم الله عليّ أنا وحسناء على جمعكم لي بهذه السيدة

ـ تقادير الله تعالى .. إذن السفر قريب

ـ وسنأخذ حسناء معنا خلال فترة الصيف للتفرج والسياحة في بلاد الفرنجة كما يسمونهم في كتب القدماء وأيام الحروب الصليبية التاريخية .

استأذن سامر وسلوى بالدخول وقبلت سلوى وجه أبيها وقالت : مرحبا أبي .. هل تجهزتم للسفر ؟

وجلست بجواره بعدما حيت عمها ، ثم قبل سامر جبين عمه ورحب به وأخذ مكانا في الغرفة وقال : نتمنى لكم النجاح يا عم في العلاج والشفاء .. أتحب أن ترى حفيدك الأول .

ـ لقد استمتعنا بوجوده نصف شهر .. وكانت أحلى الأيام عندنا .. فنحن منذ حسناء لم نسمع صوت بكاء طفل في بيتنا .. المواليد الجدد لهم بهجة على البيوت يا خالد .. عندما تهبط حسناء من الباص حافلة المدرسة تدخل راكضة إلى حيث يرقد محمد .. وتقبله وهي تلهث وتقول : إنه نائم يا سلوى .. ألا يريد أن يصرخ ويبكي ؟

فقال خالد : الأمومة غريزة كبيرة في الأمهات والبنات .. ولولا تلك الفطرة لتركت النساء الحبل والولادة .. رغم الألآم الشديدة التي تعانيها الوالدات ومع ذلك تجد رغبتهن في المزيد من الأولاد .. كانت النساء الأوائل وهن في جيل حسناء أو أقل بين أيديهن مواليد .. واحد أو أكثر .. النساء القديمات عجيبات فعلا .. حمل وزراعة وحطب ورعاية أطفال وأزواج ..

ـ الإنسان ابن البيئة التي يتواجد فيها .. ولادات عقود مضت كانت تتم في البيوت ، اليوم من النادر الولادة في بيت .. فكل مستشفى فيها قسم ولادة .. أين محمد يا سلوى ؟ أكيد مع حسناء

فقال سامر : حسناء لم تر بعد ولادتها مولودا ؛

فلذلك رغبتها أن يبقى محمد عندها .. فسمعتها تساوم سلوى على حضانته

فضحك القوم وقالت سلوى : قلت كيف سترضعينه يا حسناء هذا وليد يرضع من صدر أمه ليس فقط بالقنينة ؟ .. أنا أعطيه القنينة بسب غيابي في الجامعة ..

قال خالد : ليس هناك أفضل للطفل من حليب الأم .. الحليب الإلهي خير غذاء للطفل يا فارس .. والرضاعة لا تكون في الغالب إلا من امرأة متزوجة وفي حالة وضع .. المرأة إذا لم ترضع من صدرها يجف حليبها ولبنها ..

فقال فارس : إن شاء الله نوفق أنا والسيدة نبيلة في رحلة العلاج ونخلف طفلا يكون أخا لهن

بعد غياب طويل

تمتم الجميع بالدعاء .



سافر فارس ونبيلة وحسناء كما رتب للعلاج في البلاد الأجنبية ، والتقيا بالدكتور المعالج للعقم وجرت الفحوصات اللازمة والاختبارات والتحاليل المخبرية والصور الطبقية ، وبعد حين علم الدكتور أن العلاج قد يستغرق وقتا طويلا وليس سريعا كما ظن فارس في البداية .. ووافق فارس على البقاء ومدد إجازته من الجامعة .. وأعاد حسناء ورتب أمر معيشتها مع سلوى وسامر ، وفرحت حسناء ببقائها عند سلوى والطفل محمد ، ثم خيرها بالبقاء معهم أو العودة للمدرسة الداخلية .. فأحبت البقاء معهم ، ورحب الدكتور خالد بذلك واعتبرها كابنته كما قال لفارس ، ونقلت خادمة فارس للعمل في شقة سامر وسلوى .. وكانت حبيبة تغمرها بالمحبة والحنان وتتعشى دائما معهم وليس مع أختها ، وترعاها في دراستها .

وكانت أخبار لندن مطمئنة ومثيرة للدهشة والشكر ، فقد نقلت لهم عبر الأثير أن عملية زراعة حمل قد نجحت ، وأن هناك فرصة أن تلد نبيلة توأما .. ولله في خلقه شؤون .. ثم جاءت البشرى أن الحمل ثبت واجتاز مرحلة الخطر .. وخرجت نبيلة عن الشهر الثالث بسلام .. وغمر الفرح أحباب فارس ونبيلة .. ولما تقدم الحمل سافر الدكتور حمزة بنفسه وزوجته لبريطانيا لزيارة ابنته الصابرة ، ويقدم الشكر لصهره وزوج ابنته وللطبيب المعالج .. والبقاء معهم حتى تلد .. وكان اللقاء شاعريا عاطفيا تخللته الدموع والدعوات والرجاء .. وتأكد لهم تقدم الطب في بلاد الغرب رغم الانحراف العقدي الكبير لديهم (ولا تبخسوا الناس أشياءهم).. وجاءت ساعة

الحسم وتمت الولادة القيصرية ، وأخرج الله وحده من رحمها ذكرين كاملين وبصحة جيدة ، وصارت نبيلة أما بعدما يئست من الأمومة الذاتية .. فرحمة الله قريب من المحسنين .. وغمرت الأفراح الأسرات في لندن وفي جوهر ، وكانت حسناء تصيح فرحا وسعادة لقد صار لي أخوان ولما يتصل بها فارس كعادته منذ سافر تقول بلهفة : ألا أستطيع السفر ؟ .. إني أريد أن أراهما وأقبلهما وألاعبهما .. فيقول مخففا من لهفتها : أيام أو أسابيع لقد صبرنا سنوات .. يريد الطبيب مراقبتها ومتابعتها لحين .

بعد ثلاثة شهور من الولادة أذن لهم الطبيب بالعودة لبلادهم .. وكان الأهل في استقبالهم في المطار.. حتى أن والد فارس السيد محسن كان من ضمن المستقبلين ، وبعض شقيقات فارس وأخوه محمود الذي راوده الأمل في السفر والعلاج في أوروبا كأخيه ، ووعده فارس بالمساعدة

وكانت الآنسة حسناء تحمل طفلا وسلوى الآخر وتقول : ألا استطيع حمل الاثنين يا أبي ؟

ـ تستطيعين عندما يبدآن الحبو والزحف .

وكان سامر وسلوى قد هيئا فيلا الوالد لاستقبال الضيوف والمواليد .

ولما استقروا في جوف البيت قال فارس : الشكر والحمد لله أولا وآخرا .. مبارك عليك يا نبيلة حسنا وحسينا .

وقالت سلوى : وقد عق والدها عنهما يا أبي

التفت فارس إلى الدكتور حمزة : كيف وقد كنت معنا ؟!

فقال حمزة : أنا أشكرك يا فارس .. جعل الله مقدمهم عليك مقدم سعد وبركة .. أنا اتصلت بالأولاد وأمرتهم بالذبح عنهم .. تأسيا بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .. هذا بعض الهدية لهما .

قالت نبيلة : شكرا لك يا أبي !



ﷺ

روايات اجتماعية

أيتام الحداد ٨

شراء مدرسة

أمضى برهان شهورا يدرس مشروع بناء مدرسة ، وقام بدراسة الأمر .. مدرسة كبيرة أم مدرسة صغيرة جنس واحد أم جنسان .. وذات يوم اتصلت امرأة ببرهان وذكرت له أنها تملك مدرسة صغيرة وترغب ببيعها ، وذكرت له أيضا أنه هنالك إمكانية لتوسيع هذه المدرسة ، فأخذ منها العنوان وذهب للقائها ببيتها وبصحبته زوجته

منى .. ولما وصل لبيتها فوجدها تسكن في فيلا كبيرة .. وفتح لهم بواب الفيلا ، ورحب بهم وساقهم لسيدة الفيلا وعاد لبابه .. وجلسوا في الصالون ينتظرونها ، وبعد دقائق أقبلت عليهم امرأة فوق الأربعين هكذا قدرها برهان ، وعليها مسحة كبيرة من الحسن والجمال والاحترام ، وبعد التحية والترحيب قالت : أنا نازك حاتم مربية ومعلمة ولي أخ يعرفك يا أخ برهان .

تنحنح برهان بصوت هادئ وقال: تشرفنا .. ومن هو؟! فعملي يا سيدتي الفاضلة يسمح لي بالتعرف على أشخاص كثر .

ـ إنه مراد حاتم !

ـ نعم ، أعرفه حق المعرفة ! صاحب شركة سيارات ، ومعه وكالة مهمة في شارع زرياب .. صح ؟

ـ نعم هو .. يبدو أنك ذكرت أمامه حاجتك لشراء مدرسة ، لتستثمر أموالك فيها .. فتذكرني ؛ لأنني منذ فترة قد قررت بيع مدرستي ، وأن أسافر لأوروبا عند ابني .. فأنا منذ سنة واحدة قد فقدت زوجي وترملت .. وأصبحت في البيت وحيدة ، فدعاني ابني للحياة معه في أوروبا .. فأعطاني مراد رقمك رقم هاتفك لأتصل بك .

قام الزوجان بالتعزية والمواساة والدعاء وقال برهان: أعرف الأخ مراد ، وبارك الله فيك .. فمراد أعرفه معرفة جيدة .. أين هذه المدرسة وكم فصل دراسي فيها ؟

قالت المرأة : ستراها على الطبيعة أنت وزوجتك الأخت منى كما ذكرتم لي .. يا مرحبا بكم .. بعدما نشرب القهوة سنذهب .

ودخلت الخادمة أو الشغالة بصينية عليها ثلاثة فناجين للقهوة ، ورشف الجميع فناجينهم ، وكان برهان يعرفها على نشاطه وعمله بأنه صاحب مكتب تدقيق مالي وحسابات منذ سنوات ثم ركبت المرأة سيارتها ، وانطلقت أمامهم إلى المدرسة التي أنشأها لها زوجها قبل وفاته بسنوات ؛ لتكون هي المسؤولة عنها ومديرة لها .

رحبت نائبة المديرة والمعلمات بالمديرة نازك وضيوفها .. وتفرج برهان ومنى على بناء المدرسة وكانت مدرسة صغيرة تتكون من خمسة فصول دراسة ، فقط أطفال صغار .. ومكاتب إدارة ومكتبة ومختبر وساحة صغيرة .. وتبين لبرهان أنه يمكنه تحديثها وإنشاء طوابق جديدة ومسموح البناء في تلك المنطقة .. ولما عادوا للإدارة شكرها برهان وقال : يوم أو يومان أرد لك خبرا .. فهي صغيرة ولكن كما ذكرت يمكن توسيعها ، وبجوارها أرض خالية لم يبنَ عليها ، ربما تمكنّا أيضا من شرائها .. فنصنع عليها ساحة للعب .. وكم تريدين ثمنا لهذا البناء والترخيص؟

ـ عندما توافق مبدئيا على الشراء سنتفق .. فأنت صديق مراد وأوصاني أخي عليك ، وإذا اشتريتم فهؤلاء العاملات حافظوا عليهن ، فلهن سمعة طيبة عند التلاميذ والأهالي .

ـ أكيد يا سيدتي الفاضلة .. قريبا سأتصل بك ثانية

ـ آ يا منى لم تتكلمي منذ دخلنا هنا ؟!

تبسمت منى وقالت : لا شيء لديّ يا سيدتي .. لا بأس بها ، كخطوة أولى لنا جيدة يا برهان .

شربوا العصير المثلج ، وشكروا السيدة والمعلمات الأخريات ، وانصرف برهان وزوجته عائدين للمكتب ، وخلال العودة استطلع رأي منى فكررت العبارة التي قالتها في المدرسة .

فقال برهان : ممكن تحديث المدرسة أو هدمها وبنائها من جديد وبتصميم جديد إذا تم الشراء للقطعة المجاورة .. عندما أسمع وأعلم كم تطلب سأحاول تطويرها لمدرسة متوسطة الحجم للإناث ، وربما اجعل المشروع خاصا بنا فقط واعتذر لأخوتي .. فلي قطعة أرض اشتريتها قديما قبل أن نتعرف على منى ، وبعد أن اشتغلت في البنك .. وهي حوالي خمسة دونمات .. فسأعرضها على أخي المهندس فهو شريكي في المكان له خمسة ولي خمسة .. أو نُكون شركة ونبحث عن بناء آخر ونجعله مدرسة للذكور ، وإذا نجح المشروع نفتح فروعا أخرى في مناطق أخرى في المدينة فالتعليم الخاص يحقق نجاحا لدى الناس في هذه الأيام

ـ هذا أفضل من الانفراد الكامل .. فأنتم ما زلتم تتشاركون في المشاريع الضخمة والكبيرة يا أبا خليل .

ـ أعرف هذا .. أنا لا أفكر بالتخلي عن الشراكة مع الإخوة ، لكنّ بعضهم غير متحمس للمشروع لا أريد أن يشاركوا خجلا .. وستحل المشكلة إن شاء الله إذا كان هناك مشكلة .. المهم إذا اشترينا هذه المدرسة ستصبحين مديرة عليها فورا بدلا من المديرة نازك .. وتبقين الكادر كما هو اعتبري نفسك بينهم ضيفة حتى تنتهي الدراسة العليا وتصبحين دكتورة .

ـ رائع هذا !.. أتدرب على الإدارة المدرسية ، وأتعلم كيف التعامل مع المعلمات والأهالي والطلبة الصغار؟

ـ إن شاء الله سنتفق على السعر .. حتى أعرض الأرض للبيع

ـ على بركة الله .

تشاور برهان مع بعض إخوته في أمر المدرسة التي عرضت عليه ، فقال له أخوه الدكتور عبد القادر : ممتاز ! قبل أن نبني مدرسة كبيرة تكون هذه نواة .. أنا أعرف أن التعليم قطاع تجاري واعد والاستثمار فيه جيد ، ولكن الكثير من الناس يدبون عليه .. نحن نساعدك في شراء هذه المدرسة

كقرض حسن لك ولأم خليل .. وعلى ضوء تجربتكما ونجاحها نكبر المشروع وننشئ مدرسة فخمة ، ونضم لها هذه المدرسة وندفع لك المبلغ المناسب .

قال المهندس عبد الرحيم : هذا أحسن من الدخول في مشروع كبير ، شراء وإنشاء مباني وشراء باصات وتعاقد مع مدرسين فرأي أبي حسن جيد .. لما تعرف الثمن نقرر كيف سيدفع الدين ولا داعي لبيع قطعة الأرض اليوم .

وعلق باقي الأخوة وكلهم أبدى استعداده للمساهمة في قرض حسن لأخيهم برهان وزوجته منى .. وترك بيع الأرض ، ثم تقوم التجربة للمشروع الأكبر في المستقبل .

ولقي هذا الاقتراح هوى وراحة لدى برهان ومنى أيضا .. فهي فرصة لامتلاك مدرسة صغيرة وتدريب منى على إدارتها ، ووافقوا أيضا على دعمه لشراء الأرض المجاورة لها على سبيل القرض الحسن .. فشكرهم برهان الشكر الجزيل وعانقهم فردا فردا معربا عن امتنانه لهم جميعهم ولنسائهم اللواتي شاركن في المشاورة ، ثم قال الوالد : وأنا سأكون معكم في القرض الحسن .. وأنا مستعد للتنازل عنه إذا قبل أبو خليل .

فشكرت منى والد زوجها وأخوته ، وأثنت على تجمعهم وحبهم واتفاقهم ، فشكروها بدورهم وهم يرجون لها النجاح التام في إدارة هذه المدرسة

عندما اتصل برهان بالسيدة نازك وأخبرها بأنه فكر ودرس الموضوع ، وأنه أصبح جاهزا للشراء إذا ناسبه الثمن المعروض ، فدعته لزيارتها في الوقت المناسب له والعاجل بالنسبة لها للحديث حول الثمن ، فلبى الدعوة وساق منى وانطلق إليها ثانية ، وبعد مجاملات طلبت المرأة ثمن الأرض والبناء والرخصة عشرين ألف دينار .. فوافق برهان دون تردد وجدال ، فقد كان يضع ويقدر لهذه المشروع خمسين ألف من الدنانير ، وهو قد دهش من هذا السعر ؛ لأن المدرسة تعتبر في حي من أحياء المدينة الراقية ، وعادة تكون أثمان الأراضي والمباني والإيجارات فيها مرتفعة .. وأمام الدهشة التي أصابته من السعر صمت ولم يفاصل ويساوم ، وخلال أيام كان مكتب صديقه مالك يوقع له عقد البيع والشراء مع السيدة نازك ، حتى أن برهان بعد إتمام الصفقة اتصل بأخيها حاتم وسأله عن سبب بيع أخته للمدرسة بعد أن عرفه بنفسه وأنه اشترى العقار منها ، فقال له حاتم : بارك الله لك يا صديقي ! أختي منذ مات زوجها قد زهدت في الدنيا والعمل .. وهي ليس لها إلا ولد وبنت .. البنت ماتت بحادث منذ سنوات ، وعلى أثر موتها تعب زوجها وقبل سنة لحق بابنته .. وهي قد ورثت ثروة كبيرة عنهما .. وهذه

المدرسة قديمة يا صاحبي فباعتها على سعرها القديم ، وهي ستسافر إلى ابنها في أوروبا للحياة عنده بقية العمر .. ومرة أخرى بارك الله لك .

ـ إنها سيدة فاضلة .. شكرا لك .

تم نقل ملكية المدرسة للسيد برهان محمود الذي رفضت شريكته منى أن يكتبها باسمها فتعجب برهان من ذلك .

ورحبت المعلمات بالصديقة منى ، وأبدين الاستعداد التام للتعاون معها كما كن يتعاملن مع أم شريف ، وتعرف برهان وزوجته على السائقين العاملين في المدرسة ، وعلى الحارس ، وعلى خادمة المدرسة ، وطلبوا منهم الاستمرار على ما كانوا عليه ، وأنه لن يحدث أي تغيير حتى نهاية الموسم الدراسي ، ثم تجدد العقود في الإعداد للموسم الدراسي القادم .

وأخذ برهان يسعى لشراء الأرض المجاورة .. لم يقترض برهان من إخوته أي مبلغ ، واستغرب إخوته لزهد المبلغ المدفوع مع أن المدرسة تقع في ضاحية راقية .

وتفاجأ أهل منى بالمشروع الجديد بعدما قصت عليهم منى أنها صارت مديرة مدرسة صغيرة وشاركوها الفرحة والابتهاج ، وأبدى ربيع لصهره برهان المساعدة بأي مبلغ عند شراء الأرض المجاورة .. وكان ربيع ومالك قد سددا دين برهان ، وبقي القليل من دين سعد الدين ووالده وكان ربيع يفكر بتركيب المصعد الكهربائي للعمارة الذي أجلوه لحين .

وأرسل مالك تهنئة خاصة لمنى وبرهان، وكان مما قاله في رسالته لمنى ... كنت أحب لك هذه المهنة منذ أول يوم تخرجت فيه من الجامعة ؛ ولكن أقول سبحان الله !! ولله في خلقه شؤون ، وقدر الله وما شاء فعل أيتها الأخت الحبيبة .. وخطوة جيدة وإلى الأمام يا ابنة الكرام ...

وتلقت تحية واتصال من هناء .. وقد فرحت منى بتعليق مالك الحبيب .. وكانت منى تذهب للمدرسة في الصباح ساعتين من الزمن ، ثم تعود للبيت والاستعداد للذهاب للجامعة .. ثم تفاجأ ربيع والعائلة مرة أخرى بعودة منى للدراسة من جديد ، فأثنى ربيع على زوجها برهان الثناء الجزيل واعتبره عملة نادرة في هذه الأيام .. فمنذ اقترن بمنى لم تشكُ منه يوما ما ولو شكوى بسيطة .. بل كانت تعترف أنها عاجزة عن شكره إلا باللفظ دون الأفعال ، وتود أن ترد ولو شيئا من معروفه وكرمه معها ، فتعجب لضعفها وعجزها من تقديم الشكر ورد الجميل له ولزوج أمها خليل .. فهم لا ينقصهم المال والسعادة .. فتدعو لهم بقول جزاكم الله خيرا ، وكان صاحبنا برهان من أسرة طيبة يعرفون الأدب والحلال والحرام ، ويعرفون

العيب ، وهو رجل ناضج .

خلال شهور تمكن برهان محمود الدين من شراء الأرض المجاورة للمدرسة ، وطفق يتصل بالمهندسين والمصممين لإجراء تصميم مقبول ولائق بتحديث المدرسة الصغيرة .. وهذا لم يكن صعبا على ابن السوق .. وتقرر بدء الإنشاء عند بداية العطلة الصيفية للطلاب.. ورصد الأموال اللازمة كما بينها ووضحها له المهندسون المعماريون والمدنيون .. وأرسل له مالك خمسة آلاف جنيه إسترليني هدية منه لأخته .. وبعدد تردد قبلها برهان على اعتبار أنهم أسرة واحدة ، وسرت منى لتصرف أخيها ولفة ذكية وكريمة ، وعرفت قيمة الأخوة أكثر من ذي قبل رغم ما كان بينهم من جفاء قبل زواجها من برهان ، وهو كما علمنا قد أصبح من ضمن الماضي الذي ذهب مع حازم ناصر .. وفوجئت منى أيضا بمبلغ آخر من مالك أرسله إليها خاصة لما علم بدراستها للماجستير والدبلوم المهني في التربية ، مما دعا برهان أن يتحدث معه بالهاتف ، فأقنعه مالك بقبوله وأن لا يأخذ الموضوع بحساسية ، وأن منى غالية عليه ، وأنه مهما دفع من مال لها فهو يسير، فهي التي ساهمت بدراسته ودراسة حنين مع ربيع أيضا .. وبين له أن يعمل في بريطانيا منذ وطئت قدماه البلاد فأخوال زوجته أصحاب مصالح وأعمال مهمة وكبيرة في البلاد فالأموال كثيرة ، وأنه أرسل لحنين مالا وحثها على الدراسة مثل منى ؛ ولكنها تصر على حياة الأم داخل بيتها ، وربة بيت كأمها وأنها سعيدة بأطفالها وزوجها .. وأنه أرسل لها ثمن سيارة والمال قد وصل لربيع .

كان كرم مالك مثيرا للدهشة مع أنه كريم منذ عرفوه ؛ ولكن أموال بريطانيا كثيرة ، وأخوال هناء وفروا لهم العمل فور استقرارهم ، فوجدوا العمل والراحة والدراسة .. بل أحبوا مالكا واستلطفوه وهنئوا هناء على حسن اختيارها ، وأنجبت له المولود الأول هناك وقد سموه برهان فلم علم برهان بذلك سجد لله شكرا ، وزاد حب مالك في قلبه وعلم أكثر صدق ومقدار حب مالك له ، وأما منى فلما سمعت من زوجها الخبر ذرفت الدموع تأثرا بتسمية مالك لمولوده الأول على اسم زوجها .. فقام الزوجان بشراء هدية خاصة وثمينة وإرسالها بطرد بريدي للمولود ، واتصلوا بالهاتف شاكرين ومتأثرين فقال لهم مالك : والله هذا أقل القليل .. فبرهان حبيبنا وأخونا الكبير والفارس الجميل في حياتنا وأسرتنا.

ـ إنها سيدة فاضلة .. شكرا لك .

تم نقل ملكية المدرسة للسيد برهان محمود الذي رفضت شريكته منى أن يكتبها باسمها فتعجب

برهان من ذلك .

ورحبت المعلمات بالصديقة منى ، وأبدين الاستعداد التام للتعاون معها كما كن يتعاملن مع أم شريف ، وتعرف برهان وزوجته على السائقين العاملين في المدرسة ، وعلى الحارس ، وعلى خادمة المدرسة ، وطلبوا منهم الاستمرار على ما كانوا عليه ، وأنه لن يحدث أي تغيير حتى نهاية الموسم الدراسي ، ثم تجدد العقود في الإعداد للموسم الدراسي القادم .

وأخذ برهان يسعى لشراء الأرض المجاورة .. لم يقترض برهان من إخوته أي مبلغ ، واستغرب إخوته لزهد المبلغ المدفوع مع أن المدرسة تقع في ضاحية راقية .

وتفاجأ أهل منى بالمشروع الجديد بعدما قصت عليهم منى أنها صارت مديرة مدرسة صغيرة وشاركوها الفرحة والابتهاج ، وأبدى ربيع لصهره برهان المساعدة بأي مبلغ عند شراء الأرض المجاورة .. وكان ربيع ومالك قد سددا دين برهان ، وبقي القليل من دين سعد الدين ووالده وكان ربيع يفكر بتركيب المصعد الكهربائي للعمارة الذي أجلوه لحين .

وأرسل مالك تهنئة خاصة لمنى وبرهان، وكان مما قاله في رسالته لمنى ... كنت أحب لك هذه المهنة منذ أول يوم تخرجت فيه من الجامعة ؛ ولكن أقول سبحان الله !! ولله في خلقه شؤون ، وقدر الله وما شاء فعل أيتها الأخت الحبيبة .. وخطوة جيدة وإلى الأمام يا ابنة الكرام ...

وتلقت تحية واتصال من هناء .. وقد فرحت منى بتعليق مالك الحبيب .. وكانت منى تذهب للمدرسة في الصباح ساعتين من الزمن ، ثم تعود للبيت والاستعداد للذهاب للجامعة .. ثم تفاجأ ربيع والعائلة مرة أخرى بعودة منى للدراسة من جديد ، فأثنى ربيع على زوجها برهان الثناء الجزيل واعتبره عملة نادرة في هذه الأيام .. فمنذ اقترن بمنى لم تشكُ منه يوما ما ولو شكوى بسيطة .. بل كانت تعترف أنها عاجزة عن شكره إلا باللفظ دون الأفعال ، وتود أن ترد ولو شيئا من معروفه وكرمه معها ، فتعجب لضعفها وعجزها من تقديم الشكر ورد الجميل له ولزوج أمها خليل .. فهم لا ينقصهم المال والسعادة .. فتدعو لهم بقول جزاكم الله خيرا ، وكان صاحبنا برهان من أسرة طيبة يعرفون الأدب والحلال والحرام ، ويعرفون العيب ، وهو رجل ناضج .

خلال شهور تمكن برهان محمود الدين من شراء الأرض المجاورة للمدرسة ، وطفق يتصل بالمهندسين والمصممين لإجراء تصميم مقبول ولائق بتحديث المدرسة الصغيرة .. وهذا لم يكن صعبا على ابن السوق .. وتقرر بدء الإنشاء عند

بداية العطلة الصيفية للطلاب.. ورصد الأموال اللازمة كما بينها ووضحها له المهندسون المعماريون والمدنيون .. وأرسل له مالك خمسة آلاف جنيه إسترليني هدية منه لأخته .. وبعدد تردد قبلها برهان على اعتبار أنهم أسرة واحدة ، وسرت منى لتصرف أخيها ولفة ذكية وكريمة ، وعرفت قيمة الأخوة أكثر من ذي قبل رغم ما كان بينهم من جفاء قبل زواجها من برهان ، وهو كما علمنا قد أصبح من ضمن الماضي الذي ذهب مع حازم ناصر .. وفوجئت منى أيضا بمبلغ آخر من مالك أرسله إليها خاصة لما علم بدراستها للماجستير والدبلوم المهني في التربية ، مما دعا برهان أن يتحدث معه بالهاتف ، فأقنعه مالك بقبوله وأن لا يأخذ الموضوع بحساسية ، وأن منى غالية عليه ، وأنه مهما دفع من مال لها فهو يسير، فهي التي ساهمت بدراسته ودراسة حنين مع ربيع أيضا .. وبين له أن يعمل في بريطانيا منذ وطئت قدماه البلاد فأخوال زوجته أصحاب مصالح وأعمال مهمة وكبيرة في البلاد فالأموال كثيرة ، وأنه أرسل لحنين مالا وحثها على الدراسة مثل منى ؛ ولكنها تصر على حياة الأم داخل بيتها ، وربة بيت كأمها وأنها سعيدة بأطفالها وزوجها .. وأنه أرسل لها ثمن سيارة والمال قد وصل لربيع .

كان كرم مالك مثيرا للدهشة مع أنه كريم منذ عرفوه ؛ ولكن أموال بريطانيا كثيرة ، وأخوال هناء وفروا لهم العمل فور استقرارهم ، فوجدوا العمل والراحة والدراسة .. بل أحبوا مالكا واستلطفوه وهنئوا هناء على حسن اختيارها ، وأنجبت له المولود الأول هناك وقد سموه برهان فلم علم برهان بذلك سجد لله شكرا ، وزاد حب مالك في قلبه وعلم أكثر صدق ومقدار حب مالك له ، وأما منى فلما سمعت من زوجها الخبر ذرفت الدموع تأثرا بتسمية مالك لمولوده الأول على اسم زوجها .. فقام الزوجان بشراء هدية خاصة وثمينة وإرسالها بطرد بريدي للمولود ، واتصلوا بالهاتف شاكرين ومتأثرين فقال لهم مالك : والله هذا أقل القليل .. فبرهان حبيبنا وأخونا الكبير والفارس الجميل في حياتنا وأسرتنا. كانت أخبار مالك وتقدمه هناك تفرح أهله ومحبوه ، والكل ينتظر عودته بفارغ الصبر.. وحتى صحف الحزب التي كان معها على اتصال بالمقالات والخواطر والأفكار ذكرت نجاحه وتقدمه في أبحاث الجامعة وهنئوه بالمولود وتمنوا له المزيد من التوفيق والنجاح والعودة لتراب الوطن سالما عالما .

قالت عبير مرة لأمها مناكفة : أرأيت يا أمي نسيبنا السابق .. يدرس في بريطانيا القانون الدولي وولدت له امرأته ولدا فسماه برهان تيمنا باسم

صاحبه وصديقه وزوج أخته منى ربيع ؟!
فتمتمت الأم بحقد وضيق وقالت : يا عبير! ألم أقل إنني لا أحب سماع اسم هذه المرأة أمامي
ـ المهم أن الصحف تتحدث عن نشاطه وأخباره هناك ، وهو يعيش في بريطانيا .
ـ وما يعنيننا هذا ؟!

خليل في بريطانيا

مالك ربيع منذ سافر كما ذكرنا آنفا ظل على اتصال دائم بصحف الحزب وغيرها، ويمدها بأفكاره ومقالاته ومشاهداته في بلاد الإنجليز ، وتنشر له الصحيفة اليومية والمجلة الشهرية والصحيفة الأسبوعية .. فقد ظل على تواصل مع قرائه ومحبيه ، وكما هو بارع في المحاماة ، وكذلك في الصحافة التي نشط فيها منذ أيام الكلية ، فقد كان خطيبا مفوها في مهرجانات وحفلات الحزب وفي قاعات المحاكم .

وكما يقال غائب بجسمه حاضر بروحه ، ولا ننسى زوجته هناء ، كانت تكتب بين الحين والآخر للصحف المختلفة ، ومنذ الصغر وهي تشارك في الكتابة ، فقد نشرت بعض القصص القصيرة الشائعة في هذا الزمان .. فقد نشرت لها عدة صحف متداولة في البلد قصصها ، بل كانت تكتب لمجلات ثقافية خارج القطر والمصر.. ولديها أيضا محاولات شعرية ، وإن لم تكن بالقوة والبراعة التي في كتابة القصص القصيرة والخواطر والنشرات العلمية .. وقد حاولت كتابة الرواية الرومانسية ولكنها لم توفق .. وكانت تقرأ لكثير من الشعراء ، وكان لها مقال دائم في مجلة طبية يرعاها الحزب ، ولها صداقة قوية مع مديرة التحرير لتلك المجلة ، وحتى لما ذهبت لبريطانيا قبل سنوات ظلت تواصل الكتابة والنشر لمجلتها المفضلة ، وتكتب أحيانا لصحف الحزب الأخرى ، وكانت أثناء الجامعة عضو مهم في الحزب ونشيط بين النساء المثقفات ، فهي معروفة وإن كانت شهرة والدها تغطي عليها وعلى إخوتها العاملين مثلها في الحزب .. فقد كانت تعلق وتنتقد .. وكان والدهم له تأثير كبير عليهم في دفعهم للانخراط في العمل السياسي مبكرين وعاملين ليسوا خاملين .. فنضال شخص مرموق في الحزب لا يقل عن مالك همة ونشاطا وظهورا .. فحياتهم في الغرب الأوروبي لم تمنعهم من الحياة وجدانيا وعاطفيا مع وطنهم وهمومه ومشاكله الكثيرة التي لا تنقضي ولا تنتهي .

ولما تعرف أخوال هناء على مالك زوج بنت أختهم معرفة حقيقية فرحوا به ، وكان أكثرهم فرحا خالها سامي وهو بروفيسور وأكاديمي معروف في إحدى الجامعات الإنجليزية ، وحثه على البقاء في بريطانيا وأن يسعى للعمل الأكاديمي فيها . وبين

له مالك تعلقه الكبر بأهله وببلده وأمه وإخوته .
لقد كانت دراسة مالك في بريطانيا تمشي بكل توفيق من الله تعالى ، وكان يتحرك بين المحاضرات والمحاكم ومكاتب المحاماة ، والمستشفى الذي تشتغل فيه هناء ، وللمزيد من الشهادات الطبية والعلمية ، وقد تعرف مالك على أخوال زوجته المهاجرين منذ عهد بعيد ، وتعرف على كثير من أبنائهم ، وكان يشاركهم في دعواتهم ومناسباتهم ، وسعد جدا عندما وضعت هناء مولودها الأول ، فسماه برهان على اسم زوج أخته السيد برهان محمود ، وكان فرحا به وعق عنه يوم سابعه ، ودعا بعض المعارف وبعض أخوال زوجته وأبنائهم وزوجاتهم وملأ الطفل عليهم البيت صياحا وبكاء وأعطى للحياة مذاقا آخر ، وكانت هناء في غاية السرور بهذا المولود رغم مشاق الحمل والولادة ، فهو حياة جديدة ، وأجمل شيء في الكون أن تصبح المرأة أما ، فهنا تكون التضحية والإيثار والسهر والإرضاع بدون مقابل إلا بسمة بريئة تتكون على وجه الرضيع .

وكان مالك فرحا بما يصل إليه من أخبار أخته منى واشتغالها بالتدريس الذي كان يتمناه لها قديما ، فلم يجد ليعبر لها عن حبه لها وفرحه بمشروع شراء المدرسة إلا المال ، فقدم ما تحدثنا عنه وأهدى لأخته حنين محاولا العدل والبر مقابل ذلك ثمن سيارة كلف ربيع بشرائها .

ولما أنهى الشاب الماجستير في القانون نزل البلاد في إجازة قصيرة مدة شهر للكرة الثانية والحصول على الدكتوراه كما خطط ورسم .. وأمضى الشهر في أحضان الأم والأهل والأصدقاء والأصهار ، وقبل أن يغادر للندن عرض على أمه والحداد خليل السفر معهم لزيارة بلاد الإنجليز والنظر للبلد التي استعمرت الكثير من البلاد في القرون الخالية .. فوجدت الدعوى قبولا لدى السيد خليل .. وبعد تردد يسير راقت الفكرة لجميلة أم ربيع .. فليس كل حين يلوح للمرء زيارة تلك البلاد ، وقد وعدتهم هناء بإجراء فحوصات طبية لهم في مشافي بريطانيا ذات الشهرة العالمية .. وبالفعل سافر خليل وجميلة إلى بلاد الضباب والبرد والبلاد التي يقال عن حريتها الواسعة .

ووجدا الود من أقارب هناء ، وامضوا عدة أسابيع ممتعة في بريطانيا ، بلاد الاستعمار والحضارة الإنجليزية .. ولما عادوا لبلدهم كان في استقبالهم في المطار الدولي ربيع أبو ساعد وسعد الدين أبو سعدي وبرهان أبو خليل وزوجاتهم وأولادهم الغلمان .

وقد لمحوا الفرح والسعادة عليهم من هذه الرحلة التي لم تخطر لهم في بال في يوم من الأيام خليل الحداد يدخل بريطانيا بلد تشرتشل ومونتغمري

والملكة فيكتوريا وشارل ديكنز .



بريطانيا هي مملكة تسمى المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية .. وتتألف هذه المملكة من إنجلترا وويلز وإسكتلندا وإيرلندا الشمالية ، يزيد سكانها على الخمسين مليون .. ومناخ بريطانيا معتدل رغم تعرضه لتقلبات جوية متكررة ..الحرارة لا تتجاوز الثلاثين مئوية ولا تقل عن عشر درجات تحت الصفر .. يوجد فيها ثمانون ميناء بحريا تجاريا ، وأهم مطاراتها مطار هيثرو في لندن ، وأشهر جامعتها أكسفورد و كامبردج .. وقصر باكنجهام مقر إقامة ملوك وملكات بريطانيا ، لندن هي عاصمة المملكة وعاصمة إنجلترا خاصة ، عملة بريطانيا الجنيه الإسترليني ويقسم إلى مائة بنس ، واللغة الرسمية هي اللغة الإنجليزية .

تزخر العاصمة لندن بالحياة والمباني الأثرية التاريخية ، فهناك متحف لندن الذي يحكي تاريخ هذه المدينة منذ العهود القديمة ، ومن أشهر حدائقها حديقة هايد بارك مساحتها ٥٥ هكتارا تضم أكثر من ٣٠٠٠ نوع من الأشجار والنباتات البريطانية الغريبة .

📖 📖 📖

كان مالك عندما يجلس مع زوجته تسمعه يكثر من الحديث عن خليل ويثني عليه ، ويذكر ما قدمه لهم وهم صغار أيتام ، فحينئذ تدرك فضل هذا الحداد عليهم ورعايتهم صغارا .. وترى كيف سخره الله ليكون لهم أب ؟ فوالدهم مات ولم يترك لهم شيئا يذكر ، وأعمامهم تخلوا عنهم لفقرهم هم الآخرون ، فإعالة أسرة عند الفقير لأمر قاس .. والأخوال قدموا النزر اليسير جدا فقد كان أولادهم صغارا مثل أولاد جميلة ، ولديهم أسر كثيرة العيال ، ودخلهم المادي ضيق ، فجاء الفرج على يد هذا الحداد ، وقدم الغالي والرخيص دون ابتغاء جزاء منهم .. فأعجبت وأكبرت الفتاة هذا الرجل الذي قدم ولم ينتظر جزاء ولا شكورا ، وكانت تعرف حب مالك لبرهان ، ومع ذلك لما تسأله عن برهان فيقول باسما شاكرا حامدا : برهان !.. هو الذي أعاد لنا حلاوة وجمال الحياة يا هناء .. أنا كنت أعيش في كابوس دائم ، في توتر وقلق على منى لا يعلمه إلا الرب المعبود .. منى كانت قد اختارت طريقا كاد أن يهلكنا لم تحسن اختيار الزوج .. نظرت فقط للمال والثروة التي يملكها والداه .. هذا الكلام عن زوج منى الأول .. وإن كان هذا الزوج مجرد موظف صغير ويحمل

لقب نائب المدير .. وكنت أنا صغيرا في أول سنوات الجامعة .. وعندما عرضت هذا الزوج على العائلة حاولت الاعتراض والرفض ؛ ولكن اعتراضي لا قيمة له عند منى يومذاك وضعيفا ، ومنى البكر وعمرها وصل لربع قرن وقد رفضت كثيرا من شباب الحي من أجلي أنا وحنين والعائلة .. مع أن ربيعا أنهى الجامعة بعدها بسنة وشارك في تحمل أعباء العائلة ، والعم خليل ما زال ينفق علينا بسخاء كعادته .. وللأسف كان أخي الأكبر ألعوبة في يدها ويخاف ويخجل ويغير رأيه بسرعة ، وساعدت في تعليمه في السنة الأخيرة مع العم خليل فكان أسيرا لها .. المهم حكمت علينا بأن نخرج من حي برقوقة لإتمام زواجها من ذلك الشاب ، واستأجرت لنا بيتا في حي الرحمات أجمل أحياء العاصمة ، فعلت الكثير للزواج ممن كانت تراه أنه سيضعها على سلم رجال الأعمال والمال .. لقد كانت مبهورة بالحرية التي يتحدث عنها مدرسوها في الجامعة .. فرأت تطبيقها علينا ونسيت واقعنا وأين نعيش ونسكن أهل هذا الشاب الغني بغنى أبيه وأمه حاربوا هذا الزواج بشدة وقوة ؛ لأنه لم يرق لهم ولا يناسب مستواهم الاجتماعي .. لماذا لليوم لا نعلم ؟! ولكن الشابين أصرا عليه وتزوجا رغم أنف الجميع ، هو رغم أنف أهله ، وهي رغم أنوفنا ، وإن تظاهرنا بالرضا

خشية هربها أو تتخطى دور ربيع القائم بمقام الولي والأب .. ورغم طلاق أمنا من خليل .. بالطبع رفض عمي أبو أحمد هذه الطريقة وطلق أمنا ومع ذلك لم تهتم منى وتزوجا .. وتعلمت منه شرب الخمر والدخان والسهر والمجون من رقص وغيره .. المهم فشل وتحطم هذا الزواج بضغط من أسرة الشاب ، فتحطمت منى معه ولم تقبل أي علاج نفسي .. وهرب الزوج لأمريكا مثقلا بالديون والهموم آملا بالثروة في بلد الدولار .. سكنت معنا ولسوء أخلاقها تلك الأيام رفضت أنا وحنين حياتها معنا وهي تشرب الخمر والدخان .. وبعد مشاكل وشجار ولسع كلماتنا ، وأمام تكبرها وتعجرفها وعنادها استأجرت بيتا قريبا منا .. وكانت بعد سفر الزوج المدين والهارب تعمل في معرض أثاث مكتبي وغيره .. آه يا هناء كانت أيام سوداء ومخيفة للرجل الشريف ، ونخشى عليها السقوط والانحدار في الفواحش والملاهي وخاصة لما أعلن طلاقها من أمريكا بواسطة محامي والد الشاب .. ولكن الله سلم ولطف .. كانت مستقلة عنا لها حياتها الخاصة .. حتى تخرجت أنا وحنين .. وكان العم خليل قد تزوج بعد طلاقه لأمنا ؛ ولكنها ماتت بسبب علل فيها وانتهاء الأجل المحتوم ، فتدخل ابن أخت خليل الأستاذ عدنان ـ وهو متزوج من ابنة أخت أمي ـ وربيع

أخي فتزوج خليل أمنا ثانية ، وعدنا لحي برقوقة الذي أحببناه صغارا وكبارا وتزوجت حنين من سعد الدين ونحن في المهجر في حي رحمات .. وظلت منى وحدها في حي الرحمات .

كانت هناء تسمع باهتمام لهذه المعلومات الجديدة ، هي كانت قد سمعت أن منى تزوجت وطلقت ثم تزوجها برهان ؛ ولكنها لم تسمع مثل هذه التفاصيل إلا اليوم ، ولم تسمع عن طلاق جميلة من خليل ثم عودتها إليه ثانية ، فقالت وهي مشدوهة بهذه القصة الإنسانية : أين دور برهان الذي فتح عليك كل هذا الكلام ؟!

ـ أنت أكيد تسألت كثيرا .. لماذا اقترح هذا الزوج تسمية بكره برهان ؟ .. هل فقط لأن زوج أخته اسمه برهان وبينهما ود وحب واحترام ؟! .. برهان ظهر دوره بعد زواج حنين من سعد الدين .. كانت منى تريد عرقلة زواج حنين من سعد الدين من شاب غير متعلم في الجامعة ؛ ولكن حنين الطيبة أصرت على الزواج منه عن رضا وقناعة .. وسعد هذا دهش من اعتراض منى الحاد على شخصه ، وأنه طلب الزواج من حنين ليس منها لترفضه .. وجلس معها عدة جلسات فتعقد من أفكارها ومنها أيضا ، وخشي على زواجه منها .. فخطر في باله خاطر غريب يتلخص بأن صاحبه برهان معروف بين الأصدقاء بالمصباح .

ـ المصباح ؟! .. ماذا تعني بالمصباح ؟!

ضحك مالك وقال ضاحكا : نعم المصباح .. أنت رأيت برهان ، فلن أصفه لك .. فمن حسنه ووسامته كانت فتيات الحي المراهقات يطاردنه ويتلقى رسائلهن وإشاراتهن ويتسلى بهن ، الفتى المحبوب .. ولما انتقل للجامعة كانت أيضا فتيات الكلية طبعا اللواتي ما زلن مراهقات يدرن حوله وكل واحدة تحاول صيده ، وأن تحبه أو تعيش معه قصة عاطفية .. القصص المعروفة لديك.. فصار عنده خبرة بالغزل والمشاكسة والجلوس معهن في ساحات الجامعة وغابات الجامعة .. وكان له صديقات أيام المراهقة والثانوية ثم أيام الجامعة ، فشبهه أصحابه بالمصباح الذي تحوم وتدور حوله الفراشات ، تشبيه لطيف إلى حد ما .. فخطر لسعد صهرنا العزيز أن يجرب برهان غزلياته القديمة مع منى ربيع لعلها تهواه وتقع في حبه ويتزوجان .. سعد يريده أن يلعب اللعبة القديمة ، بعد تفكير وتردد رضي برهان بلعب هذا الدور .. وأطلع سعد حنين على هذا الدور والفكرة وبعد الموافقة وإقناع برهان بها سحبا العرض ؛ خشيا على منى أن تتعلق بالشاب ويستنكف عن الزواج بأن لا تروق له منى .. وكان برهان لذلك السن لم يتزوج بعد ولم يخطب .. فلغوا الاتفاق ، وتظاهر برهان بالرضا والاستسلام لرغبتها .. ولف حول

منى التي عرفه سعد عليها قبل إلغاء العرض على شخصها عندما خرجت ذات مساء من مكان عملها فتعرف برهان بحيلة ذكية على منى وتصادقا دون أن تقع في هواه كما كان يظن ويرسم .. بل هو الذي أحبها واقتنع بها كزوجة .. ولكنها لما عرض عليها الزواج منه قبلته ، بعدما اتفقا على أن تترك الخمر قبل حدوث الزواج ففعلت .. وبعدما كتبا كتاب الزواج تخلت عن الدخان لما عرفت أنه لا يدخن .. ثم أخذت تتغير شيئا فشيئا .. والحمد لله عادت للحياة من جديد .. وتخلت عن كل تلك العادات التي اكتسبتها من عملها السابق وزواجها الأول .. كان انقلاب كبير يا هناء ! .. وكانت منى تفعل كل ما يوحي به برهان ولا تقول لا ، ومع ذلك تدعي أنها لا تحبه .. وبعد ولادتها لابنها خليل الذي سماه سميا لزوج أمنا .. أقرت له بالحب .. أما أنا وحنين فقد غمرنا الفرح وعادت إلينا الحياة الضاحكة وشكرنا مولانا عزّ وجل الشرف غالي يا هناء .. سقطة واحدة تخرب الدنيا !

فعلقت هناء التي اندمجت بسماع القصة : هو فعلا بطل .. سمعت اعترافها بحبها الكبير لبرهان منها وأنه أعطاها حياة جديدة .. ولكنها تفاصيل مثيرة يا أبا برهان .. وحنين تحدثت بشيء يسير عن برهان وهي مثلك تراه ملاكا هبط عليكم .. وتقول نحن فرحنا وسعدنا بزواج برهان ومنى أكثر من منى نفسها .. مع أن منى شخصية هادئة ومحببة .

ـ أنت عرفتيها بعد زواجها من الفارس الصديق والأخ الكبير برهان .. لو كنت تعرفينها قبل لقائها ببرهان لكنت تندهشين وربما لا تصدقين .. كانت دائما تحب الرفض والمعارضة .. فلو بقيت على ما كانت عليه قبل لقائها ببرهان ، فقد تكون ستعترض على زواجنا ، كانت تعتبر المجلببات فتيات مريضات ومعقدات ومقهورات من الكلام الأجوف والفارغ المعروف عند دعاة الانحلال والفسوق .. كانت بوقا لهم .. فلما صارا زوجين لعمري ما سمعتها تقول له لا وهو ذكي وفطن أيضا لم يدعها تحتاج لهذه الكلمة يوما ما .. فلليوم ما زلت أنا وحنين مستغربين من شخصيتها أمام برهان .. وحتى نسيبنا سعد الدين يقول لي منى التي عرفتها في رحمات غير منى التي عرفتها في برقوقة ، ولا يقع في خلدك أنه جبار وقاس .. لا .. لا .. إنه إنسان بسيط ، ولا يحب تعقيد الأمور ؛ ولكن له أسلوب ذكي في عرض الأمور ومناقشتها للوصول للنتيجة التي يرغب فيها هو .. ولا يقع في قلبك يا هناء أن الرجل كان زير نساء .. رغم ما حدثتك عنه من مغامراته العاطفية .. إنما كان يراها نوعا من اللهو والتسلية في تلك الأيام .. أنا

أقول ذلك حتى لا يذهب بك الظن إلى خلق سيئ في الرجل .. حتى قبل الزواج من منى كانت بعض عاملات البنك العازبات يحاولن التغرير به .. فلم يكترث ولم يتزوج أي واحدة منهن .. وأقسم لي أنه ما زنى بامرأة قط ، رغم الفرص والفتن التي وقع فيها ولكن الله حفظه ونجاه .. والحافظ هو الله تعالى .

وأخذت هناء تثني على برهان ومنى ، وتدعو الله لهما بالثبات وحسن الختام ، فشكرها بدوره مالك ، وعرفت حينئذ لماذا اختار مالك هذا الاسم لابنه البكر؟ ثم انتقل الحديث بينهما لموضع آخر فقالت : الكتاب .. ماذا فعلت بالكتاب؟!

ـ ذهبت مع ابن خالك محمد إلى دار نشر هنا ، وبعد أيام سيردون عليّ ، وهم يرغبون بترجمة الكتاب إذا وافقوا على النشر .. فما رأيك بأن تترجميه للإنجليزية أنت ؟ إذا كان لديك وقت .. فهم يريدون أن يصدر بطبعتين إنجليزية لتوزع في أوروبا وعربية للشرق العربي وعرب أوروبا

ـ لي ابنة خال إنجليزية أكثر من الإنجليز سأتشاور معها ونترجمه معا إذا حصل أي تفاهم بينك وبين دار النشر ، ولسوف أتحدث معها قريبا .. فهي مغرمة بالأدب الغربي ، ونشرت العديد من الترجمات لكتب وقصص عربية .. وإنجليزية للعربية .. وأنت تعرفها .. فزوجها طبيب جراح في المستشفى الذي أعمل فيه .. علا ابنة خالي عماد تذكرها مالك وزوجها وقال: خيرا إن شاء الله .. اذهبي لزيارتها ، نحن نباشر بالترجمة قبل موافقة دار النشر .. فإذا رفضوا سنعرضه على غيرهم .. قال لي ابن خالك محمد إن دور النشر كثيرة هنا ، ربما يحتاج الإنسان لطبعه كتابه أو ديوانه أن يعرضه على عشرين أو ثلاثين دار نشر حتى تقبله واحدة .. فقلت له لي سنتان أصنف فيه وأكتب فيه منذ سكنت لندن فلسنا بعجلة .

ـ دور النشر كما تعلم عندها أولويات .. أنا قرأته كله كما تعلم ، فالكتاب ممتاز ، فالعلم والحديث عنه مهم فالكتاب يوضح للناس الاهتمام بالعلم ، وكيف كان العلم عند المسلمين إبان حضارتهم التليدة ؟ ومشجعا للشباب المسلم وغير المسلم على مواصلة رسالة العلم .. بل قرأت كل المسودات قبل أن تبيضه .. ولسوف يلقى قبولا إن شاء الله عند المثقفين .. وسأدفع بعض الأصدقاء الإنجليز إذا ترجم وطبع للحديث عنه في صحفهم ومجلاتهم

ـ كنت أريد نشره في البلاد ، ولكن صاحبنا زياد نبهني أنه لا يجوز نشر الكتاب في أكثر من دار للنشر إلا بالاتفاق بين الناشرين لحفظ حقوق النشر والتأليف.. فأنا أعرف هذه الإشكالية ؛ ولكن في بلادنا يتساهلون فيها مع أن القوانين

تمنعها .. فيمكن نشر المصنف في بلدين دون اتفاق دور النشر .

ـ إذن أنا سأهتم بترجمته مع ابنة خالي ـ إن شاء الله

ـ قريبا ، خلال شهر واحد سيكون مترجما الترجمة الأولى ثم تراجع وتكتب على الآلة الكاتبة ثم يصور .. وفي أي لحظة يحصل الاتفاق مع أي دار نشر ستكون ترجمته جاهزة .

ـ وها أنا قد بدأت أضع خطة لكتاب عن الأدب العربي في أول الحضارة الإسلامية وعهد الصحابة الأوائل والأمويين .. وقد نصنف أنا وأنت كتابا مشتركا عن بعض الشعراء نذكر فيه قبسا من حياتهم وقبسا من أشعارهم .. فننشره أولا في الصحافة المهاجرة ثم نحوله لكتاب

ـ إذا وفقت في نشر بعض أعمالك هنا سأحاول أن أفعل مثلك .. فلدي الكثير من الكتابات الأدبية والعلمية .

ـ ما رأيك بأن ننشئ دار نشر ومكتبة كبيرة عندما نعود للبلد ؟

ـ تحتاج لتفرغ يا أبا برهان .

ـ يا سيدتي لن نعمل فيها بأنفسنا .. لعلي أجد من الأحباب من يقوم على إدارتها ، ولي أصحاب عشاق للأدب والذوق الفني والأدبي .. سأكتب لبرهان زوج أختي في هذا الموضوع

استقالة معلمة

كانت المدرسة التي اشتراها برهان تتكون من خمسة صفوف بين روضة أطفال والتعليم الابتدائي الأساسي ، وهم خليط من الجنسين .. وتم إنشاء عشرة فصول أخرى ، فأصبح بإمكان المدرسة تدريس سنتين قبل المرحلة الأساسية الإلزامية ، ثم الصف الأول والثاني والثالث والرابع فقط .. وبقيت صفوف خالية تستوعب الطلاب كلما تقدموا حتى الصف الرابع الابتدائي أبقت منى المعلمات الخمسة العاملات ، وأبقت نائبة المديرة السابقة ، وعينت مجموعة أخرى من صديقات المعلمات العاملات في مدرستها ، وكانت نائب المديرة المعلمة سلمى خليل معلمة قديرة وذات علاقة واسعة في المنطقة .. وكانت منى تعتمد عليها اعتمادا كليا.. فكانت تأتي صباحا وتمكث في المدرسة حتى خروج التلاميذ الصغار ذكورا وإناثا للاستراحة ، ثم تنصرف للبيت أو غيره بعد عودتهم للفصول .. فكل اعتمادها كان على السيدة سلمى ، وكانت هذه المعلمة عند حسن ظن برهان ومنى .. وكانت منى تعود للبيت قبل الظهر رغم أن دراستها كلها مساء .. ولكنها أحبت أن تبقى تقوم بدورها في البيت كما كانت في المكتب.. فهي عندها أربعة أطفال .. ثم أنهت الماجستير، وناقشت الرسالة العلمية وحققت النجاح المطلوب ، وكانت قبله قد أنهت بشهور

دراسة الدبلوم التربوي ، وقد بذلت جهودا جبارة خلال السنتين الماضيتين ؛ ولكن تمكنها من اللغة الأجنبية تمكنا ممتازا قد ساعدها في تحقيق الإنجاز والنجاح.. فهي قد عملت سنوات في الشركات في قطاع الترجمة فظلت على اتصال باللغة الأجنبية .. وحتى لما نكحت السيد برهان لم تنقطع عن قراءة الأدب الأمريكي والإنجليزي بلغة القوم .. فظلت على تواصل مع تلك اللغة .. فلما أنهت دراسة الماجستير وسجلت للدكتوراه كانت تقضي الأيام التي لا تذهب بها للجامعة كاملة في المدرسة .. ومع ذلك كان اعتمادها كبيرا على سلمى التي كانت تشتغل كأن المدرسة لها، وهي التي كانت علاقتها قوية بالأهالي، ويرسل الناس أبناءهم للمدرسة على سمعتها وشهرتها ..وهي التي تأتي بمعلمة مكان معلمة انتقلت أو استقالت.. فهي صاحبة الاختصاص، ومنى تقر كل تصرفاتها وتبدي سرورها لهمتها وقدرتها ونشاطها وإخلاصها ، ولم تقصر معها في الجانب المادي والحوافز .. وكان الأهالي أكثر معرفتهم وعلاقتهم خلال السنوات بسلمى أكثر من منى .. فكانت منى تعتبر نفسها ضيفة عليهم وعلى المدرسة ومشرفة تربوية .. كانت المدرسة ناجحة كما تبين لبرهان من تدقيق ومتابعة حسابات المدرسة حتى بدأ يتشجع لإنشاء مجموعة مدراس بأن يشكل شركة تعليمية ضخمة ؛ ولكن إخوته طلبوا منه التريث ، فمدرسته ليس لها إلا سنتان ودخلت في الثالثة ، وهي تقع في منطقة أغلب سكانها من ذوي الدخل المرتفع ، والمدارس دعاية وشهرة .. بل طرح عليهم أخوه عبد القادر أن ينشئوا مصنع دواء .. فالدواء له سوق كبير في الداخل والخارج ، وكان ابنه البكر قد تخرج صيدلانيا منذ سنوات ، وهو يستعد لأخذ دكتوراه في الصيدلة .. فوجد عبد القادر تشجيعا من الأخوة ، وطلبوا من الصيدلي محمد الاهتمام بالموضوع فالاستثمار في القطاع الصحي له سوق نشيط هذه الأيام .. فاستسلم برهان لرغبتهم وقال : أنا خلال هذه السنة سأسدد لكم ديونكم إن شاء الله تعالى ، وعندما تنشئون المصنع أنا مستعد لشراء أسهم أم سيكون شركة خاصة مثل مصنع عبد الرحيم ؟

ـ نفكر بأن يكون شركة خاصة كما فعلنا في مصنع الحديد والمعادن .. الأقارب والأصدقاء فحسب .

ـ أنا معكم ؛ ولكني سأستمر في نشاطي بقطاع التعليم ، ربما أستعين بإخوة منى وأشاركهم في بناء مدرستين كبيرتين .

فقال المهندس عبد الرحيم : لا بأس .. افعل ما تشاء .. المهم اعمل مدرسة واحدة كبيرة إما للذكور وإما للإناث .. ونحن في المستقبل إذا رأينا تقدما واضحا ومفيدا للجميع نشارك معكم في

تضخيم المشروع .

📖 📖 📖

أخذ برهان موافقة إخوته على مشروعه في إنشاء مدرسة كبيرة ، ويريد الآن شركاء بعدما رفضوا المشاركة في هذه المرحلة أيضا .. فتحدث مع ربيع ومع سعد الدين ابدوا استعدادهم للمشاركة بنسب معينة ، حتى إن مالكا عندما تحدث معه برهان بمشروعه الجديد قال : سأساهم أنا وزوجتي وأولاد حماي عبد الكريم .

فسر برهان من مشاركة الجميع ، وبدأ يخطط لشراء الأرض في المكان المناسب .

ذات صباح بينما المديرة منى تجلس في مكتبها المدرسي تشرب الشاي دخلت عليها مساعدتها سلمى وبعد المجاملات التقليدية قالت لها : المعلمة التي تم تعيينها حديثا منذ أسبوع المعلمة سلوى فراس ..

ـ ما بالها ؟ .. هل تريد أن تستقيل ؟

ـ لأ ؛ ولكنها ترغب بالحديث معك في موضوع خاص .

ـ خيرا إن شاء الله .. فلتتفضل .

ـ خاص خاص .. عائليا!

ـ عائلي .. ماذا تقصدين ؟! دعيها تدخل .. أم هي في الفصل ؟

ـ هي فراغ ليس عندها درس .. معلمة الإنجليزية في فصلها .

ـ دعيها تأتي .. أنا مستغرب للموضوع العائلي .. لم أفهم معنى عائلي!!

خرجت سلمى وعادت بعد قليل بالمعلمة سلوى ، رحبت بها منى كعادتها ، وطلبت منها الجلوس ، وطلبت للجميع قهوة من شغالة المدرسة أم أحمد ..

وقالت منى : أهلا بك .. الأخت سلمى تقول إنك تريدينني في موضوع عائلي خاص تفضلي

ـ أنت لم تعرفيني؟! أدركت ذلك منذ تقابلنا من أجل العمل معكم ، وكانت معنا المعلمة الفاضلة سلمى .

ـ أجل .. أنا لم أعرفك ؛ لأنني لا أظن أننا التقينا قبل ذلك اليوم .. أتعرفينني أنت قبل تعارفنا هنا ؟!

ـ نعم .. ألا تعرفين مدام اسمها عبير ناصر؟

جفلت منى وتململت في مقعدها وقالت : بلى ! وما زلنا أصدقاء .

تفاجأت الأخرى بالجواب وقالت : أصدقاء ؟!

ـ نعم .. أصدقاء .

ـ لم أفهم بعد ؟!

تبسمت أم خليل وقالت : أنت عرفيني على نفسك ، وسوف أعرفك ما تجهلين أو ما أربكك

ردت سلوى : أنا ابنة خالة عبير!

رددت منى : ابنة خالة عبير ناصر مديرة شركة التجارة العالمية !

ـ آ .

ـ يا أهلا وسهلا بك .. أنا لا أعرفك حقا إلا لما انتسبت لمدرستنا هذه .. وأنا وعبير رغم ما جرى بيني وبين أخيها ما زلنا أصدقاء .. ولابد أنك تعرفين ما جرى بيني وبين السيد حازم .

ـ أجل يا عزيزتي .. أنا لما رأيتك في المقابلة عرفتك .. أنا معلمة متقاعدة ، كما ذكرت لكم سابقا ونحن أثرياء طبعا والعمل هنا للتسلية ولحبي للتعليم .

لم تتكلم منى ، وتابعت سلوى الكلام قائلة : أنا جد فخورة بك يا أخت منى رغم ما سببه ابن خالتي لك من تعاسة ، وهذا أمر مضى منذ سنوات .. فأنا أعرفك عندما كنت تعملين في الشركة مع عبير وحازم .. وذلك عندما كنت أمر على عبير في حاجة ما .. فرأيتك أكثر من مرة ، وربما ألقيت عليك التحية ، فكانت عبير لا تحب لنا الجلوس مع العاملات معها .. وهي أيامها كانت غاضبة ناقمة عليك على ما أذكر لمَ كان بينك وبين أخيها حازم .. فلما رأيتك يوم المقابلة التي رتبتها الأخت سلمى تذكرتك جيدا ، وسامحيني بأن ذكرت للأخت سلمى بعضا من قصتك .

نظرت منى لسلمى وقالت : سلمى أخت عزيزة .. وها أنا أتكلم أمامها ، ولم أطلب منها أن تتركنا .. هذا ليس سرا .. هذا فعل حدث ومضى ، وعشرات من الناس يعرفونه .. ولست أول امرأة تتزوج وتفشل في زواجها ، ثم توفق بفضل الله في زواج آخر .. أليس كذلك يا أخت سلمى ؟!

ـ طبعا .. أنت سيدة رائعة يا منى ! وتفرضين احترامك على الآخرين .. فأنا لا أذكر أنني سمعتك ترفعين صوتك عليّ أو على أيّ معلمة .. وهذا الأمر الذي أحبت أن تكشفه لك الأخت سلوى يا أم خليل ..

فقالت المرأة : ذكرت أنك صديقة لعبير ابنة خالتي كيف ذلك ؟!

ضحكت منى وقالت : هذا ما أربكك إذن .. نعم نحن أصدقاء رغم ما جرى .. وقد التقينا أكثر من مرة بعد طلاقي من أخيها .. ولها شغل خاص مع مكتب زوجي برهان .. زوجي له شركة تدقيق محاسبي ، وله تعاملات مع عبير وبعض أقاربكم أيضا .. بس للأسف لا أعرف أحدا منكم إلا عبير .. وزوجي صديق لها منذ أيام الجامعة .. عندما كانا يدرسان معا .. الزواج حظ يا أخت سلوى ، فإذا الإنسان لم يوفق في جانب ، ربما يوفق في آخر .. فمرحبا بك يا أخت سلوى ، فأنت عزيزة وصديقة أيضا .. بس الذي أرغب أن أعرفه لليوم يا أخت سلوى ! هو لماذا خالتك أم حازم كانت

تكرهني وتبغضني؟! مع أنني لم أرها يوما ما ، وهي لم ترني على ما أعتقد زوج خالتك رأيته في الشركة عدة مرات .. ولم يحدث بيننا كلام سوى التحية والسلام !

ـ ونحن صدقيني لا ندري .. نحن تفاجئنا يومذاك من رفضهم الزواج منك ، ولم نعرف السبب وقد تعجبين إذا قلت إن خالتي هي سبب الرفض الرئيسي .. وحتى منعتنا من المشاركة في العرس !

ـ على كل أشكرك ، وإذا عرفت في يوم من الأيام هذا السر الغريب وسبب الرفض فخبريني به فأنا أحب أن أسمعه .

ـ وأحب أن أذكر لك أيتها الأخت الفاضلة .. أن زوجك السابق الأخ حازم هو زوج أختي

ولهما بنت طفلة تدرس هنا .. وربما درس بعض أولاده هنا قبل استلامك لأدارتها .

ـ صدقي أيتها الأخت المحترمة .. أنني لا أعرف آباء هؤلاء الأطفال .. ربما القليل .. فالعبء الكبير حقيقة واقع على كتف أو أكتاف الفاضلة ـ وكانت تشير لسلمى ـ سلمى جزاها الله كل خير .. وهذا أمر عادي يا سلوى .. واعلمي حتى بعد طلاقنا وزواج كل منا ، رفضت خالتك وزوجها تسديد دين كان علينا أيام زواجنا ، وكان مقداره حوالي خمسة وعشرين ألف دينار .. فاتصل بنا حازم وقابله زوجي برهان وتفاهما على تسديد الدين ، ودفعت عبير حصة حازم على أن تخصمها من راتبه الذي تعطيه إياه الذي ينفقه حيث تعلمين فغضت تلك المرأة من طرفها وتابعت منى قائلة :

وسدد زوجي العزيز برهان النصف الثاني وانتهى الأمر بفضل الله .. وكما قالت أختي الصغرى كان باستطاعته طلاقي والزواج بالمبلغ الذي سدده عني .. فليس كل الناس واحد .. ولكن كما قلت لك قبل لحظات .. أنا بشوق لأعرف لماذا خالتك تبغضني وتكرهني بشدة ؟! وعداوة وحقد لماذا ؟!

ـ تأكدي يا أم خليل إذا عرفت شيئا سأحدثك به .. فأنت سيدة رائعة كما قالت الأخت سلمى استمعت الكلام بأريحية وراحة كنت لا أتوقعها منك .. فنحن صحيح أقارب ولكن لكل منا حدوده ، واعلمي بأنني سعيد جدا بالعمل معكم ، وأنا تعجبني مثابرتك ومكافحتك وجهادك للوصول إلى هذه الدرجة من العلم

ـ شكرا .. وأنا سعيد بما أسمع من ثنائك .

خرجت المعلمتان من غرفة المديرة منى ربيع التي نهضت تنظر لصورة ومنظر معلق على جدار الحجرة وتقول : أخت زوجة حازم ! .. وابنة أختها تلميذة هنا .

وبعد أيام يسيرة من هذه المقابلة ، استقالت السيدة سلوى من المدرسة التي مديرتها منى ، وتم سحب

الطفلة (سهى) من المدرسة ، فلما تسألت سلمى أمام منى عما حدث قالت لها : الأمر هين يا سلمى!.. الأخت الكريمة سلوى تحدثت أمام أمها عني عن منى ربيع وأمها حدثت أختها أم زوجي الأول جدة الطفلة سهى ، فكان القرار الصارم بأن تترك المعلمة سلوى المدرسة بأي حجة من الحجج .. لا أدري يا أخت سلمى منذ سنوات وسنوات وأنا أتمنى أن أعرف لماذا هؤلاء الناس يكرهونني ؟!

وقصت عليها طرفا من قصتها وزواجها من حازم ابن خالة المعلمة سلوى .. ولما انتهت منى قالت سلمى : أمر محير .. كل هذا الحقد !

ـ مع أنني كما ذكرت سابقا لا أعرف هذه الأم .. وربما التقينا ولم أعرفها ؛ لأن حازما كان يخافها جدا .. وأزعلت أهلي وزوج أمي وتزوجته ؛ ولكنه خذلني ومع ذلك كان الذي حصل خيرا لي فيما بعد فأنا الآن من أسعد الناس بزوجي وأولادي .. الله لا يضيع عباده يا سلمى !

ـ ونعم بالله .. لا إله إلا الله !

سلمى صديقة لسلوى فراس أثناء عملها في مدرسة حكومية ، ولما حصلت على التقاعد عملت مع السيدة نازك إحدى صديقاتها منذ أنشأت مدرستها الخاصة ، فهي قد خدمت في المدارس الرسمية للدولة ما يقارب العشرين عام ،

وخلال هذه المدة تعرفت على أعداد كثيرة من المعلمات فكانت تعمل لإشغال وقت الفراغ ، وللصداقة التي بينها وبين السيدة نازك واندمجت معها ، ولما اشترى ـ كما نعرف ـ برهان المدرسة وافق على بقاء الكادر العامل في المدرسة كما هو ، بل زاده وترك أمر التعيين أيضا للسيدة سلمى خليل ، ومنى تمسكت بقوة بالسيدة سلمى كما وضح لنا أيضا ولم تتخلَ عنها ، فهي صاحبة خبرة كبيرة في التعليم والإدارة المدرسية ، مع أنها أمضت حياتها في مدارس الدولة معلمة غير مديرة .. ولأن المدرسة بدأت صغيرة فتمكنت من القيام بدورها بنجاح ، وثانيا منى مشغولة بالدراسة كما هو معروف لقارئ هذا السفر ، وثالثا منى لم تعمل بالتدريس سابقا ، لا في القطاع العام ولا القطاع الخاص مع أن شهادتها الجامعية تسمح لها بذلك .

فكانت السيدة سلمى هي التي تتصل بالمعلمات الزميلات والمعارف أيام العمل في الحكومة لتعينهنّ في مدرسة نازك من قبل وبرهان في الوقت الحالي ، وعندما وسعت المدرسة وأضيفت فصول جديدة تركوا لها مهمة جلب المعلمات العاملات .. وكان لهذه المعلمة تعلق كبير في المدرسة الصغيرة ، وأصبحت جزءا من كينونتها ؛ كأنها ملك لها .

ولما تعينت سلوى كان ذلك بناء على رغبة واتصال من سلمى ، وكانت سلوى سعيدة بالعمل مع

عدد من زميلاتها وعلى رأسهنّ سلمى .. ولكنها فاجأت الجميع بعد حين عندما قدمت استقالتها بعد أسبوع من جلستها الخاصة مع منى .. ومنى لم تحاول إخفاء شيء أمام سلمى ولا أمام سلوى .. فكانت سلمى تقدر لمنى ذلك الموقف ، وتجعل ذلك الاعتراف من باب الثقة بها وأنه لا أسرار خاصة وخطيرة في حياتها.. وأحبت منى أن يكون الحديث أمام سلمى قطعا للإشاعات التي ستحدث لو كان الجلسة سرية وخاصة .. وهذه الاستقالة المفاجأة بعد ذلك الاجتماع لو لم تكن سلمى موجودة ربما كثر القيل والقال في وسط المعلمات .. فكان هذا من حس حظ منى .. فإذن الاستقالة كانت صادرة ونابعة من عند تلك المعلمة وحدها ، مع أن منى وسلمى تدركان أن تلك الجلسة وراء وخلف تلك الاستقالة ، ولم يكن استنتاج منى بعيدا عن الصواب .. فكانت سلمى تعتبر ذلك من ذكاء وفطنة منى .. فلو لم تكن حاضرة في الجلسة لظنت أن منى أسأت لسلوى بكلمة ، وهذا سيترك أثره على باقي المعلمات .. ولكنّ الله سلم وأدركت سلمى أن منى محقة في محاولة معرفة سر هذه العداوة والبغضاء ، رغم مرور كل هذه السنوات ، ورغم طلاق حازم لمنى منذ عشر سنوات .. شغلت هذه القضية فكر سلمى ربما أكثر من منى ربيع .. منى كانت مجرد عاملة موظفة في شركة من شركاتهم .. أعجب بها الشاب وأحبها وتزوجها رغم أنف العائلة ، وهذا كثير في العائلات وبين الناس .. وفعلا هذا سر يحتاج لكشف .. ولماذا العداء لليوم ؟ فحازم تزوج أخت سلوى وله بنون وبنات ، ومنى تزوجت ولها بنون وبنات!

فأخذت سلمى على نفسها وعاتقها السعي لمعرفة سر هذه العداوة والبغضاء دون علم منى ..

وهذا دفعها لزيارة سلوى فراس في بيتها والحديث معها عن السبب الحقيقي لتقديم استقالتها وبعد حديث طويل وممل بينهما اعترفت المرأة أنه كان هناك ضغط عليها من أمها وخالتها .. ولم تعرف سبب هذا الضغط إلا أنه يتعلق بزوجة حازم القديمة السيدة منى ربيع ، وأن أختها زوجة لحازم .. وحدثتها عن انحلال حازم وسكره الجنوني وعن لعبه القمار ، وأنه أول النهار رهين البيت وآخره رهين الملاهي والسهرات.. وأنها تخشى عليه الجنون ، وقضاء بقاء عمره في دار المجانين ، وأن الله رحم منى منه وخلصها منها .. وأن أختها تعاني معه من الظلم والعذاب رغم القرابة بينهم ، وأن أكثر أيامها تقضيها في بيت أمها .. ثم بينت لها أن خالتها قوية وعنيدة ، وأنها عملت فترة طويلة محاضرة في الجامعات ، وأن معها شهادات عليا من أمريكا الشمالية .. ولم كبرت وتعرضت لبعض

الأمراض وأهمها أمراض في الجهاز الهضمي لجئت للبيت والسكينة ولما سألتها سلمى عن سر عداوتها الغريب لمنى ؟!

همست سلوى بأنها لا تعرف سر هذا العداء ، وأصبح الأمر ماضيا لدى العائلة ، ولم يهتم أحد بالبحث عن السر؛ لأنه لا يهمهم بشيء .. وأكدت لصديقتها أن أمها أخت أم زوج أختها لا تعرف ؛ ولكنها الصغيرة فتسلم لأختها بما تطلب ولا تناقش ، وأبدت لسلمى هي نفسها رغبتها بمحاولة معرفة سبب الضغط عليها ؛ ولكنها لم تتمكن من تحصيل أي معلومة وسبب صريح سوى ذاك الزواج الفاشل وأنه لا يجوز العمل عند امرأة كانت موظفة عندهم ومطلقة من زوج أختها .. وعلقت أن هذا منطق أعوج بالطبع .. وخوفا من المشاكل لها ولأختها فضلت الاستقالة ؛ ولأن زوجها هي أيضا من أقارب ناصر زوج خالتها حتى أنها قالت : تحدثت أنا مع عبير ابنة خالتي أخت حازم عن منى زوجة أخيها السابق وعن المدرسة فقالت لي إن منى فتاة مقاتلة وصبورة وفاضلة ، وإنه لولا أمي لعاشت معنا سعيدة واستفدنا من خبرتها وأحلامها الحقيقة أنها أبدت تعاطفا معها ، مع أنني أذكر قديما أنها كانت تذمها وتعتبرها متسلقة وطماعة ولكن قد يكون هذا تأثرا بأقوال أمها .. وهي الأخرى مسكينة تزوجت مرتين ولم ينجح زواجها، وما زالت من غير رجل وأسرة .. وقالت لي حاولت معرفة سبب عداء أمي الدائم والعنيد لمنى والعنيد بالذات فلم أعرف .. وحدثتني أن لمنى أخا معروفا في عرض البلد وطولها محاميا وصحافيا وحزبيا .. وسردت على مسمعها بعضا مما تكلمت به عبير عن مالك ، وأنه تزوج ابنة نقيب المحامين منذ سنوات الأستاذ الكبير عبد الكريم .. ومع ذلك لم تتغير نظرتها لمنى ، كأن بينهم ثأر .. وقالت معقبة : مع أن الأخت منى لا تعرف حماتها يومئذ ، ولم تجلس معها ساعة من الوقت قبل الزواج من حازم ولا بعده

وفي الختام أكدت لسلمى أنها ستحاول البحث عن السر الغامض لهذه العداوة غير الواضحة لأحد .

مشت سلمى لبيت خالة سلوى ، ووجدتها في البيت وتظاهرت بالسذاجة ، وأنها جاءت لتستفسر فقط من أم الطفلة سهى لماذا سحبوها من المدرسة ؟ هل لهم أي نقد أو تقصير على المعلمات ، على السائق ، على المدرسة ؟ فأبدت الدكتورة فاطمة أم خالد أنه لا سبب يعيب المدرسة لسحب ابنتهم ، إنما أحبوا أن تذهب مع أختها الأكبر منها ليكونوا في مدرسة واحدة .. وأن المدرسة جيدة ، وقد تعلم فيها كثير من أحفادها .. فشكرتها سلمى ، وتأكد لها أن الأمر شخصي للغاية

وعجبت في نفسها من ذلك .. فمنى ليست من جيل السيدة فاطمة ، فمنى من جيل بناتها وأبنائها .. ومنى عملت فترة قصيرة في الشركة ثم تزوجت من حازم .. تحدثت مع أم الطفلة وهي أخت سلوى فذكرت نفس حجة خالتها ولزمت الصمت ، ولم تحب سلمى تطوير الموضوع مع ما تجمع لديها من معلومات حول السبب الخفي ، ففضلت الانسحاب من البيت وهي تقول لهم : نحن حريصون على سمعة المدرسة يا أم خالد ويا أم سهى .. فخشيت أن يكون السبب في المدرسة من معلمات وإدارة وسائقي الباصات .. فالحمد لله على ثنائكم .. فالمدرسة وإن لم أكن أنا مالكها فهي ترعرت ونشأت على جهودي .

اضطرت فاطمة أن تكيل المديح لسلمى وإدارتها وكفاءتها وحبها للأطفال وتعليم الأطفال .. وغادرت القصر المنيف وهي حيرى من العداوة بين منى والسيدة فاطمة .

ولما التقت بمنى صارحتها بما فعلت ، فدهشت منى وقالت : والله أنت شجاعة للغاية يا سلمى !

ـ أنا أدركت أن السبب شخصي يا سيدتي منذ انسحاب سلوى .. وخشيت أن يثير انسحاب سلوى وابنة أختها من المدرسة بلبلة لدى الأهالي ، فالكلام يمشي ويقال ويقال .. فبهذه الزيارة نقطع الطريق على الأقاويل .. فسيقال إن الأستاذة سلمى ذهبت تستفسر عن سبب انسحاب المعلمة المفاجئ والبنت .. وإننا نهتم فعلا بأبنائنا الطلاب .. فالمدارس الخاصة كما تعلمين يا سيدتي تقوم على الدعاية الحسنة .. ثم نحن أصدقاء قدامى منذ كنت معلمة في إحدى مدارس الحكومة .. ولكني شعرت أن السبب هو تعرفها عليك .. فبحسن نية تحدثت مع أمها وخالتها فلما علمت الخالة فاطمة من الأخت سعيدة بأن السيدة منى ربيع مديرة المدرسة طلبت منها الضغط على ابنتها لتقديم استقالتها ممن كانت موظفة عندهم في يوم من الأيام .

فقالت منى : أنا ذهب بي الظن أنني التقيت بها أيام الدراسة في الجامعة قديما ، وعرفتني لما اشتغلت عندهم فلسبب ما رفضتني زوجة لابنها .. فراجعت أسماء المدرسات لي في الجامعة فلم أجد واحدة منهن تسمى فاطمة أحمد ولا حتى سعيدة أحمد .. قلت ربما تعرفت عليهن أيام التعليم فلم يحصل .. وكانت عبير قد حدثتني أنهنّ اشتغلن في الخارج في جامعات خارج البلد.. وعملن هنا بضع سنوات .. ثم مرضت أمها ولزمت البيت .

وقالت سلمى : أما أختها أم سلوى .. ما زالت تحاضر محاضرات متفرقة في جامعات مختلفة .. معها دكتوراه علم نفس .. وهؤلاء قوم يملكون الأموال الكثيرة .. فلهم شركات في الخارج .

فقالت منى : أعرف الكثير عنهم يا أخت سلمى !
كانت سلوى فراس قبل أن تتعرف على منى ربيع منذ أسابيع تعتقد أن خالتها فاطمة رفضت زواج ابنها من منى في تلك الأيام فقط ؛ لأنها فتاة فقيرة من حي برقوقة وأن الحظ ابتسم لها ونالت قسطا من التعليم الجامعي ، والتقت بابنها فأرادت أن تصبح ثرية من قفزة واحدة .. متسلقة كما يقولون .. وأنها غير مناسبة لابنها الغني بغنى والده المليونير صاحب الأموال الكثيرة .. وما هي إلا مجرد موظفة صغيرة تقبع في أحد مكاتب شركاتهم المتعددة ، وأن راتبها يساوي راتب خادم أو شغالة عندهم .. هكذا كانت تعتقد سلوى قبل أن تسمع منى ، وأن هذا سبب الرفض لذلك الزواج .. أما اليوم فإنها ترى أن هناك أسبابا أخرى ، وأن أمرا شخصيا في الموضوع .. لأن منى طلقت وخرجت من حياة الأسرة والعائلة .. وأحد أعمامها تزوج مرتين وطلق ، ولم يعد لنسائهم المطلقات ذكر في العائلة وأهمية .. فلماذا منى يبقى حقدهم عليها لليوم وقد خرجت من حياتهم ؟! فلماذا طلبت منها خالتها ترك المدرسة تلك ؟ وسحبت حفيدتها منها أيضا ؟.. فهذا لغز محير يدفع الإنسان العاقل للتساؤل والسعي لمعرفة السر؟ حاولت فهم ذلك من أمها ، فلم تجد عندها شيئا إلا أنها كانت زوجة لحازم في يوم من الأيام .. وأنها كانت مجرد عاملة في الشركة ، وهذا سبب كاف لعدم التعامل معها ، والعمل عندها كمعلمة تحت إدارتها .. وخوفا أن يعرف حازم زوج أختها بشيء .. فهو ما زال يكن الود والحب والحنين لمنى في رأيهم ! ولكن سلوى تعلم أن حازما له معرفة بزوج منى ، وأنها أم ولها أولاد ، ولا يمكن أن تفكر أن ترجع لحازم بعدما طلقها من أمريكا وتزوج أختها .. رغم أن حياتها معه تعيسة .. مجرد زوجين وجسدين لا روح بينهما .. وهناك علاقة جيدة بين عبير وزوج منى وأن زوج خالتها ناصر يعلم بهذه العلاقة والعمل .

وأكيد القارئ لهذا السفر يود مثلهم معرفة سر هذا الكره والبغض عن بعد لمنى .. وهذا سنعرفه قريبا إن شاء الله .. ولسوف يعرف أنه ليس لمنى سبب رئيسي في هذا الكره إنما هو هوى نفسي ومزاج لئيم ، وحذرا من تصحيح علاقة انتهت .



الأخت منى ربيع لم تنشغل كثيرا في هذه الحادثة .. فهي قد اعتبرت أن هؤلاء الناس قد خرجوا من حياتها منذ تزوجت زوجها الحبيب برهان محمود الدين ، وكما سمعنا مالكا يقول إنه لم يدع لها فرصة لتقول لا .. وكانت حياتها الزوجية ممتعة

جدا وهادئة ، فعلاقتها بزوجها على أفضل ما يرام ، تفاهم كامل بين الزوجين ، وهي تناقش وتتحدث بصراحة ؛ ولكنها مقرة بفضل ورجاحة عقل برهان ، وإنه زوج غير متسلط ويحترم الزوجة .. وعلاقتها بأهله مثيرة للإعجاب مع وجود حماتها وعمها والد زوجها وإخوته الكثر ستة إخوة .. وثلاث أخوات ، فكلهم أسرة واحدة ، ويحبون بعضهم جدا ، احترام الكل للكل ، رغم اختلاف مهنهم وعملهم ، فحتى أولادهم الذين شبوا وتعلموا يحترمون أعمامهم احتراما كاملا .. وكذلك علاقة زوجها مع أهلها علاقة ود وحب وتعاون يغبطون عليه .. فدائما تسمع أمها تدعو لزوجها بالخير والسعادة وحتى زوج أمها فهو يحب برهان حبا جما ، ويراه صديقه الوحيد في هذه الدنيا رغم ما بينهما من السنون .. فلذلك مرت هذه العاصفة إذا كانت عاصفة من دون حديث يذكر .. وعاد الهدوء ثانية للمدرسة ، وكل يحتفظ بخواطره .. وعادت منى تشغل نفسها بإعداد رسالة الدكتوراه التي كانت تدور حول الأدب الإنجليزي في القرن التاسع عشر .. ولما علمت بأن مالكا قد أقام دار نشر ومكتبة مع بعض زملاء الأدب سرت بذلك وأملت بطبع رسالة الماجستير والدكتوراه عندهم .. ووصلتها كتب مالك التي نشرها في بريطانيا من تأليفه ، فعرفت شيئا آخر عن أخيها تأليف الكتب ، مع أنها أحيانا قليلة كانت تقرأ مقالات وخواطر مالك في الصحف التي كان يدخلها برهان البيت أو المكتب .. أما تأليف الكتب فقد فوجئت به وقالت لبرهان وهو يقدم لها هدية أخيها : أصبح الفارس مؤلفا وكاتبا في بلاد الإنجليز.

ـ أتدرين من تترجم له ؟!

ضحكت وقالت: ويك ! إنها زوجته .. أليس هذا المكتوب على الكتاب ترجمة هناء عبد الكريم و ... من هذه ؟!

ـ لقد سألت ؛ إنها ابنة خال هناء .. فتاة تهتم بالترجمة والأدب وقد عملت في بعض الصحف الإنجليزية كمترجمة .

فقالت منى : ولكن الأخ مالكا نسي أن له أختين أيضا تتقنان اللغة الإنجليزية وأنني مترجمة ماهرة .. وسأتصل به وبهناء يا برهان .

ـ وأيضا طبع الكتابان باللغة العربية يا منى ! ولكن أحد الأصدقاء رآهما معي في المكتب فأعرتها له .

ـ تعني أنه كتبهما باللغة العربية ونشرهما ثم ترجما .. فعلا الأصل بالعربية ثم ترجم هذا منوه به على الكتابين .. فمالك يفهم اللغة الأجنبية ، لقد نسيت فهو يدرس الدكتوراه بتلك اللغة .. يا لي من مغفلة !

ـ القصة أن مالكا كتبها للجاليات العربية هناك ..

فالعرب هناك كثر كما تعلمين .. فشركة النشر طلبت ترجمتها لنشرهما بلغة أهل البلاد .. فقامت هناء وقريبتها بترجمتها بسرعة وهذه هي الثمار .. هذه هي الحكاية هو لم يكتبها باللغة الأجنبية .

ـ متى تحدثت معه ؟ لم أرك تتصل به ؟

ـ ذات زمن مضى تحدثت معه من المكتب بشأن أحد الأصدقاء الراغبين للذهاب لبريطانيا للدراسة .. ويومها سألته عن أخباره وآخر نشاطاته .. فذكر لي ذلك ويبدو أنني نسيت أن أذكر لك ذلك .. وها أنا اليوم عندما جلبت البريد وجدت طردا لدى البريد ؛ فإذا هو كتب من مالك فسرحت في ذكريات قديمة عن مالك ، وعبرت عن افتتانها بأخيها ثانية ثم قالت : لم أكن أتصور هذه القدرات عند هذا الإنسان !.. أنا ما زلت أنظر إليه كأنه طفل صغير ! أضاحكه وأداعبه .. حبيبي برهان .. ما رأيك أن نسافر لندن ؟!

ـ لندن ؟!

ـ نعم .. أنا كما تعلم رسالتي في الأدب الإنجليزي في القرن التاسع عشر .. وبريطانيا هي أم الإنجليز

الدكتورة منى

تحدثت منى مع هناء مباشرة في موضوع سفرها لبريطانيا عدة أيام .. فرحبت هناء بذلك ، وقالت لها : أيام لا تكفي شهر على الأقل .

ووعدتها أن تكلف ابنة خالها أن تهيئ لها أماكن ومراكز الجامعات الملائمة لأهم المراجع الأدبية اللازمة لكتابة الرسالة الجامعية .. فقدمت منى لها الشكر الجزيل وأبدت امتنانها الكبير لحضرتها وحماسها .. ورحب مالك بالفكرة وشجع أخته على الزيارة ، وسعى برهان للحصول على تأشيرات السفر لبريطانيا ، ورغبت منى بالإتيان بأمها للحياة مع أولادها الكبار الثلاثة .. والرابع قررت أخذه معها ، ولكن أهل زوجها وخاصة أخت برهان التي تسكن معهم في العمارة أبدت استعدادها لرعايتهم وإعدادهم للذهاب لمدارسهم خلال فترة غيابهم .. وتطوعت والدة برهان بالمبيت معهم إذا لم يرتاحوا للمبيت عند جدهم وجدتهم .. لقد حلت مشكلة رعاية الأطفال .. ولما جهزت التأشيرات سافر الزوجان والطفلة الصغيرة ولقد كان في انتظارهم في مطار هيثرو الإنجليزي مالك وزوجته ، وتعانق وتصافح الأحباب وإلى شقة مالك انطلقوا فرحين وعانق برهان برهان الصغير الذي كبر وصار يمشي على قدميه ويقف ، وكانت هناء قد رتبت رحلة سياحية للضيفين في ربوع الجزر البريطانية أم الاستعمار والتاريخ العريق ، ثم تعاونت مع ابنة خالها علا لإرشاد منى إلى الأماكن التي تهتم بالأدب وتاريخ الإنجليز من دور نشر ومكتبات عامة وخاصة ومتاحف أدبية .. واشترت منى

الكثير من الكتب الأدبية.. وسرت من الرحلة العلمية والسياحية ، وشكرت هناء على تعاونها الكبير وعلى المعونة التي قدمتها لها هي وابنة خالها ، وتمنت منى لو أنها قدمت الدكتوراه في بلاد الإنجليز ، فعقب برهان على هذه التمني قائلا : لم يفت شيء اعملي دكتوراه ثانية .

فضحكت وقالت : والله فكرة ..ولكن ليس الآن !

ـ أنا جاهز يا عزيزتي !

ومضى الشهر الجميل كما يقال بلمح البصر ورجع الزوجان إلى أرض الوطن .. وأقبل الأحباب والأصدقاء يسلمون عليهم ويسألونهم عن رحلتهم وعن بلاد الضباب .

خلال سنوات إعداد منى لأطروحة الدكتوراه كان السيد برهان قد تمكن من شراء قطعتي أرض في مكانين متباعدين ، مساحة كل قطعة ما يقارب عشرة دونمات ، واحدة لإقامة مدرسة للذكور عليها ، والثانية مدرسة للإناث .. فبرهان من أنصار الفصل بين الجنسين في التعليم .. وكان يطمع أن تكون كل مدرسة من الصف الأول إلى نهاية التعليم الثانوي .. على أن تكون كل مرحلة شبه منفصلة .. الأساسي الصفوف الأولى في مبنى مستقل ضمن المبنى العام ، والمتوسطة كذلك ، والثانوية كذلك .. فوضعت التصاميم الهندسية على هذا الأساس وحسب المواصفات المحلية والعالمية .. وشكل مجلس إدارة للمدرستين .. وكان قد جمع من إخوة زوجته وزوجاتهم وعديله سعد عن كل شخص عشرة آلاف دينار ، وشارك بعض الأصدقاء والمعارف لإخوة منى في المشروع .. وممن اشترك في هذا المشروع الأستاذ عدنان وزوجته ابنة خالة منى ، وكان السيد عدنان قد أنهى الماجستير وكان يستعد للدكتوراه مثل منى ربيع .. وكذلك يستعد للتقاعد من العمل الحكومي والعمل مع برهان .. وكذلك زوجته التي بلغت سن التقاعد .. ووصلت للمدة التي تسمح لها بالتقاعد .

كون برهان شركة تعليمة خاصة من أصدقائه وأصدقاء العائلة ؛ لأن الأرض كلفت ما يزيد عن المائة ألف دينار .. ولما أنهت منى الدكتوراه ، وناقشت أطروحتها وحصلت على تلك الشهادة ، حتى بدأ برهان وشركاؤه يستعدون لإنشاء المباني ، وقد جمعوا مبلغا يعادل ربع مليون وكانت مدرسة الذكور قد أقيمت مبانيها قبل إنهاء منى للجامعة العليا .. ولم يبق فيها إلا أعمال التشطيب للتسليم للنهائي من قبل الشركة المنفذة للمشروع للانتقال للمشروع الآخر .. وكان مالك أيضا قد أنهى دراسته في بريطانيا ، وقرر البقاء سنتين أخريين لمزاولة العمل على شهادته الأخيرة ،

ومحاضرا في إحدى الجامعات لمزيد من الخبرة في القانون الدولي والعالمي .. وكثر تردده إلى أرض الوطن في الإجازات والمناسبات ، فقد أصبح لديه وقت أكثر للحركة .. ودار النشر التي أنشأها مع ثلة من أصدقائه قد اجتازت مرحلة الولادة ، وأصبحت قادرة على الطباعة والتوزيع .. ولكن حدث للأخ برهان قبل مجيء مالك حادث كاد أن يؤدي بحياته ؛ ولكن الله لطف فيه .. فقد تعرضت سيارة برهان للصدم أثناء توقفه عند إحدى الشركات ليقوم بتدقيق سجلاتها وحساباتها وتقديم تقرير محايد عنها .. وأصيب عموده الفقري من الصدمة .. فعجز عن المشي وأصبح بحاجة لعجلة يسير بها .. وتقبل برهان والقوم أمر الله بالرضا والاستسلام وخضع للعلاج المستمر في البلد ، ثم سافر لبريطانيا مع مالك ، وتعرض للعلاج وكان الأطباء هناك يرون أنه سيتحسن مع مرور الوقت والزمان .. فوجد بعض المشقة في بداية الأمر للتكيف مع الحياة والعلة ؛ ولكنه اجتاز هذه المحنة وصبر عليها.. وكان أصحابه يتابعون المشاريع عنه ، وتابع هو العلاج .. وتم إنشاء المدرستين وهو يعاني من تلك الحادثة .. وخلال هذه الفترة العصيبة من حياته ظهر الحب الكبير من منى لزوجها ورفيق دربها في الحياة ، وأبدت استعدادها للتخلي عن العمل للبقاء بقربه ، ورافقته في رحلة العلاج لبريطانيا .

وعاد مالك للبلاد وكان قريبا جدا من زوج أخته والعمل معه ، وسافر معه إلى ألمانيا للعلاج في إحدى المستشفيات التي علموا عنها .. وتقدم خطوة جيدة في العلاج ، وأصبح يستطيع النهوض والحركة ولكن بشكل بطيء .. واشتروا له سيارة خاصة ؛ ولكنه وجد مشقة في القيادة فعينوا له سائقا يتنقل به بين أعماله .. فهو لم يحب البقاء في البيت فكان العمل حياته رغم رحلات العلاج هذه.. ولما التقى بأحد العلماء فشجعه إلى السفر إلى مكة والحج والاستسقاء من ماء زمزم فوجدت الفكرة رضى في نفسه .. فحج به مالك وبزوجته وأخته منى ، وفرحوا بهذه الرحلة الإيمانية التي زادت من صلابة برهان .. ونشطت منى في عملها وإدارة أعمال زوجها ، واستمرت هذه المحنة على ما يزيد عن خمس سنوات ، ثم تعافى منها السيد برهان وعادت أعصابه تعمل بشكل جيد ، وتخلص من العجلة نهائيا ؛ ولكن الأطباء طلبوا منه أن يبتعد عن الحركات العنيفة .. والابتعاد عن الرياضة البدنية .. فحمد الله على ما وصل إليه من عافية ، وفرح الأهل والمحبون لذلك .. وكان سعيدا بنجاح المدارس التي قام على إنشائها .

ولما هدأ وضع برهان الطبي تركت منى المدرسة الخاصة التي كانت مديرة لها لسلمى ، وكانت قد

عرضت إدارتها على إحدى أخوات برهان ، فاعتذرت عن ذلك وأحبت العمل كمعلمة في مدرسة الإناث الكبرى .. والتحقت منى بالتدريس في الجامعات .

وأصبح الأخ عدنان جابر مديرا لمدرسة الذكور بعد تقاعده من مدرسة الحكومة .



ذات نهار والدكتورة منى ربيع في مكتبها في الجامعة في كلية الآداب فرع تعليم اللغة الإنجليزية طرق الباب عليها أحد الطلاب فأذنت له ، وكان معه فتاة فبعد الترحيب تسألت منى عما يريدون فقال الشاب: هذه ابنة خالتي الآنسة حنان !

دهشت منى لهذا التعريف وعادت تقول : وأنت ؟!

ـ ألا تعرفينني يا دكتورة ؟!

ـ لا !

ـ أنا وهي من طلابك ، فأنا حسن حازم سنة ثالثة آداب إنجليزي.

تبسمت منى له ، وقد فهمت ما يرمي إليه ، وقالت مجاملة : تريد أن تقول إننا معرفة سابقة ؟!

تبسم هو الآخر في وجهها وقال : يعني .. لم يشأ الله أن تكوني أمي !

ـ أهلا بك كيف حال والدك اليوم؟ .. أنا لما قرأت اسمك في أحد الكشوف وقع في نفسي أن تكون ابن حازم ناصر زوجي الأول . . وأنا فعلا كنت زوجة لأبيك في يوم ما !

ـ أبي مريض للغاية يا دكتورة ..

ـ مريض!.. شفاه الله .. وهذه الفتاة الجميلة ابنة خالتك لعلها الأستاذة سلوى فراس ؟!

قالت الفتاة : نعم أنا ابنة السيدة سلوى فراس يا دكتورة .

ـ كيف أمك اليوم تعارفنا فترة قصيرة من الزمن ؟!

ـ صح ، وهي التي ذكرت لنا أنها تعرفك .. أنا سنة أولى إنجليزي .. فمرة ذكرت اسمك أمام أمي ، فاستغربت وذكرت لنا أنها تعرفك ، ثم تحدثت مع الأستاذة سلمى تسألها عنك فأخبرتها الأستاذة سلمى أنك تعملين في هذه الجامعة .. وذكرت لي أنها عملت فترة قصيرة في مدرسة الأستاذة سلمى فتعرفت عليك .. وذكرت ذلك لحسن ابن خالتي فاستغرب وسأل عمته عبير عنك ، فذكرت له أنك كنت زوجة لأبيه كما ذكرت الآن ، وحالت الظروف الصعبة تلك الأيام دون بقاء ذاك الزواج .. فسامحينا !

عادت الدكتورة ترحب بالشابين ثم قالت : أنا سعيد بمعرفتكم شخصيا وسلموا لي على أمهاتكم

.. وأنت يا حسن كابني .. فلي ولد السنة سينتهي من الثانوية العامة اسمه خليل .. وهكذا القدر يا ولدي .. لم يقدر لي الله أن أكون أمك !

فشكرها حسن على لطفها وعدم تجاهله وعدم جفائها معهم فقال : سامحي والدي يا دكتورة .

ـ لقد سامحته يا بني .. ولما حججت سامحته هناك أيضا .. وهذا الزواج قدر والفراق قدر .. لم نوفق في الزواج ، وأتمنى لكما كل نجاح وتوفيق في هذه الحياة .

فقال حسن بحزن : شكرا يا دكتورة ! والدي حقيقة مرضه صعب .. مرضه في الكبد ، وهو بين الحياة والموت .. لقد دمرته وأهلكته الكحول وحرقته .. فاعف عنه .

ـ قد عفوت وسامحت ، سامحه الله يا حسن .. وحياة سعيدة للجميع وسلمي لي على أمك يا حنان .

وغادر الشابان المكتب وهما مفعمان بالشكر لمنى ربيع ، وأما منى فكأن لم يكن شيء كما قلنا مرارا فقد نسيت حازما ولا تهمها أخبار حازم .. وهل تمنت له الشفاء من أعماق قلبها وبصدق هذا يعلمه الله وحده ؟!

كانت الجامعة تريد أن ترسل عددا من حملة الشهادات العليا لدورة علمية في أمريكا ، ورشحت عمادة الجامعة منى ربيع لهذه البعثة أو الدورة ، ولما تشاورت مع زوجها ذكرها بدراسة الأولاد فلم تجد حماسا لدى زوجها فاعتذرت عنها، وطلبت تأجيلها ، وأبدى برهان اعتذاره لذلك ، فقالت معتذرة : لا تعتذر يا سيدي أنت عندي أهم وأعظم من الدورة والشهادة .. وإذا كنت تحب أن أترك الجامعة ، فأنا على استعداد .. أنا لا أنسى ، ولا يمكن أن أنسى من هو برهان ؟! وكل هذه السعادة التي ارفل فيها من برهان .

تضاحك برهان وقال : جزاك الله خيرا .. أنا يهمني تقدمك العلمي لحاجة في نفسي .. ولكن الأولاد بدءوا يدخلون المراحل التعليمية المهمة يا منى .. وإبراهيم ابن سنة اليوم .. وخليل على أبواب الثانوية العامة .. فلتكن أي دورات خلال هذه السنوات داخل البلاد .. فبعد سنتين ستدخل زهرة إلى الثانوية العامة .. ثم محمد .. وجميلة .. إبراهيم قد يتأخر فهو وليد .. فجاء الأوان اليوم لأن نهتم بهم فهم حياتنا أو أهم منها .

تبسمت قائلة : صدق أنني مقتنعة بما تقول ، ورفضت السفرة بكل أريحية ورضا مع أنهم كانوا سيسمحون لي بأخذ أفراد العائلة كلها .. ولكن ما هي الحاجة التي في نفسك ؟!

ضحك برهان لحظات وقال : أنسيت أنني وعدتك أن تكوني ملكة .

أخذت بالضحك وقالت : ما أنا يا سيدي ملكة! .. ألست ملكة في بيتي وبين أولادي وزوجي الملك .. اسمع أنا كل أحلام الماضي قد نسيتها .. فأنا أحمد الله ليل نهار عما حصل لنا من الخير والتوفيق والسعادة والحب العظيم بيننا جميعا .

فحمد الله وقال : الحمد لله ، لم تذهب جهودي سدى ، فها هو المكتب الذي دارت عليه أحلامنا الأولى قد أصبح مكتبا كبيرا ومنافسا عظيما في البلاد .. والمدارس التي كانت حلما أصبحت رموزا تربوية وعلمية مهمة في البلاد .. وها هو سهمنا في مصنع عبد الرحيم يدر علينا دخلا كبيرا .. وها هو مصنع الدواء الذي أنشأه ابن أخي يتقدم وننعم بثروته .. ولنا مدرستنا الخاصة فأنت ملكة غير متوجة يا سيدتي .. ولم يبق إلا أن نبني القصر وذلك قريبا

ـ الحمد لله حمدا كثيرا .. ما كنت أدري ما سيصير بي لو لم يضعك الله تعالى في طريقي ؟! .. عندما أتخيل شيئا من تلك الهفوات الكبرى أبكي وتدمع عيناي .. نعم ، لقد يسرك الله تعالى لتنقذني من السقوط والجهل .. الشهادة وحدها لا ترفع الجهل عن الإنسان يا برهان! .. فناس معهم الكثير من الشهادات ولكنهم غارقون في الشهوات والضلال ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا كنت أرى الحياة قصة فِلم أو أغنية ماجنة !



بعد اعتذار منى ربيع عن الذهاب لأمريكا لمدة سنة في دورة علمية ، بعدها بشهور يسيرة حدثت حادثة عجيبة في حي برقوقة كشفت كثيرا من الأسرار لمنى وبرهان وغيرهم .

وبينما مالك وربيع الأخوان وزوجاتهم وبعض أولادهم يسمرون في منزل خليل أبي أحمد زوج أمهم جميلة ، وقفت على رأس الشارع سيارة أمريكية حديثة جدا ، وهبط منها شابان في العشرين من عمرهما وامرأة وسألوا من وجدوه يقف على رأس الشارع عن منزل خليل أحمد فرفر.. فأرشدهم الناس لبيت الحداد خليل ، فقد أصبح أبو أحمد قصة كبيرة من قصص حي برقوقة فهو قد صنع من الأيتام كما كان يقال أيتام الحداد خليل قصة مشرقة مشرقة للحي وأبناء الحي فيضرب بهم المثل في النجاح والوفاء .. ورغم الشهادات التي يملكها أيتام خليل ظلوا قريبين من الحي وأبناء الحي .

المهم طرق الشابان والمرأة المرافقة لهما بيت الحاج خليل فرفر في ذلك الليل ـ البيت الذي ظل على ما بناه المعلم خليل ، ويرفض إعادة بنائه ـ وجاء أحد الأبناء يقول لهم : يا أبي ! هناك أناس ومعهم امرأة

يريدون جدنا خليلا !

فقال خليل الذي سمع الغلام : ضيوف !

رد الفتى : أناس غرباء لم نرهم من قبل ، شكلهم يدل على أنهم ليسوا من هذا الحي !

قال مالك : فلتدخل البنات .. حتى أنظر من هم ؟ .. انتظري يا أمي هنا .. معهم امرأة !

تركت الفتيات بتريث غرفة الجلوس ودخلن حجرة من حجرات البيت ، وكان مالك قد خرج يستقبل ويرحب بالضيوف فقال أحدهم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته !

رد مالك السلام باسما وقال مرحبا : أهلا وسهلا .. أتريدون الحاج خليل أحمد فرفر ؟!

ـ نعم .. نحن قادمون للقاء السيد خليل فرفر .

ـ تفضلوا .

تبعوا مالكا لغرفة الجلوس فرحب خليل وربيع بالضيوف ورحبت جميلة بالمرأة ، ولما جلسوا قال خليل : أهلا بكم !

تنحنح أحد الشابين وكان العرق يتصبب على جبينه مما أدهش الحاضرين وقال مضطربا : نحن في موقف حرج جدا .. فمعذرة !

دهش خليل وغيره وقال : حرج ! .. لم أفهم يا ابني ولِمَ الحرج ؟!

فقال الشاب بغصة : نحن ـ وأشار للشاب الآخر ـ أحفاد أحد إخوتك يا حاج أبي أحمد .. أنا أحمد وذا أخي يوسف !

تغير وجه خليل وحدق بالشابين وتلون لونه واضطرب صوته وعاد يقول : إخوتي أنا !

ـ نعم ، أنا ابن ابن أخيك منير إذا ما زلت تذكره .. وهذه ابنته ـ وأشار للمرأة ـ .. أي عمتي أحلام ..

التفت خليل لابني زوجته جميلة وقال مذهولا : أسمعتم ما قيل أمامي .. أم نحن في حلم ؟!

قال مالك الذي تمالك أعصابه بسرعة كعادته : نعم يا عم سمعنا إنهم يزعمون أنهم أحفاد أخيك منير يا عم خليل .. أهلا وسهلا بكم .. يا مرحبا بكم من جديد .. فنحن ننتظر هذا اليوم بفارغ الصبر.

فقام الشابان يعانقان جدهما خليلا وهما يبكيان ويتنهدان ، وفعلت المرأة مثلهما وقالت : أنا أحلام ابنة أخيك يا عم !.. واعلم يا عم أننا لم نعلم بوجودك وأن لنا أقاربا لا نعرفهم إلا منذ أيام قليلة .. لا نعرف إلا عمنا خالدا وعمتنا فاطمة وعمتنا وسعيدة ..

تكلمت المرأة بما يطيب لها ، وخليل ساكت ، ولما صمتت ، سكت خليل لحظات أخرى ثم قال : غفر الله لإخوتي .. ما الذي ذكرهم بي بعد ثلاثين سنة أو أربعين ربما تنقص سنتان أو ثلاث

عاد أحد الشابين يقول : هذا هو السؤال المهم ؟

نحن نشأنا لا نعرف من أقاربنا إلا ما ذكرتهم لك عمتنا أحلام ..

فقال خليل المبهور: والله يا أولاد ! .. لم يحدثوكم عن صبرية وخليل .. نحن أولاد العتيقة .. متنا عندهم .. يا هلا بكم .. نعم كيف عرفتم أن لكم أقارب يا أحمد.. أنت اسمك أحمد .. ما زال جدك يذكر أن له والدا اسمه أحمد .. فاسم والدي أحمد رحمه الله ..

فقال أحدهم : كيف عرفنا بأن لنا أقاربا ؟! لأنه ـ يا جدي ـ أحد إخوتك على فراش الموت أخوك منير على فراش الموت فطلب رؤيتكم أنت وأخته صبرية .

ـ منير يموت إذن ! .. لا إله إلا الله .. يا خسارة ! عرف وهو يموت أن له إخوة .. أكمل يا بني أكمل .. هذه هي الدنيا !

عاد الشاب يقول والعرق يسيل على خديه : أخذ يلح على رؤيتك ورؤية أخته صبرية ويبكي فلما سألنا عنكم اعترفوا لنا بوجودكم في هذه الدنيا ، وأنكم تعيشون معنا في هذا البلد ، وأنكم أحياء ترزقون ، وترددت العائلة بالوصول إليكم؛ ولكن أمام إلحاح جدي رق له الأولاد وكلفوني وأختي وعمتي بهذه المهمة يا سيدي يا أبا أحمد .

وبكت المرأة المدعوة أحلام ، وذرفت الدمع الغزير بين يدي عمها ليعفو ويصفح عن عقوق أخيه ، فربت خليل على كتفها وقال بعين باكية : هل قال لك أبوك من أدخله الجامعة وأنفق عليه وعلى أخيه الأكبر منه ؟ .. سامح الله أمه كانت تبغضنا مع أن أبي تزوجها على أمي .. واعلموا مع أنني نسيت أخواي وأختاي منذ عقود .. أنا جاهز للمصافحة والمساعدة والمسامحة أليس كذلك يا جميلة ويا ربيع ويا مالك ؟!

كانت دموع مالك تتساقط تأثرا بالموقف فمسح تلك الدمعات وقال : قلبك كبير يا عم ! ..

فأنت سيد العائلة شاءوا أم أبوا ولا يصح إلا الصحيح .

وتكلم ربيع بكلام شبيه بكلام أخيه مالك ، وقال مالك : العم خليل صاحب القلب الكبير مستعد لمقابلة إخوته أو أخيه المريض ، وسنذهب الآن بكم إلى بيت صبرية أم علي جدتكم أو عمتكم ونرجو من الله تعالى أن تقبل الصفح والعفو .. أتذهب يا عمي أبا أحمد معهم أم نرشدهم ؟

فقالت المرأة برجاء : أرجوك يا عمي العزيز يا صاحب القلب الكبير أن ترافقنا .. والله نحن لمنا والدينا لوما شديدا ، وعتبنا على صمت عماتنا وعمنا خالد على هذا الصمت الرهيب .

كان خليل قد تجاوز الستين سنة عند هذا الحدث ، فلم يعد لديه رغبة في العداوة والبغضاء ، فحمد الله على هذه الصحوة وإن كانت متأخرة جدا

وساق الأولاد لبيت صبرية ، وقبل أن ينطلقوا نادى الزوجات والأبناء ليتعرفوا على أبناء إخوته وأحفادهم .. وكان مالك قد قام بالاتصال مع الدكتور عدنان جابر ، وطلب منه أن ينتظرهم في بيت والده وشرح له الأمر بسرعة ، وعاد للمجلس يقول : تحدثت مع عدنان يا عمي يا أبا أحمد ليلتقينا عند والدته .

ـ أحسنت يا مالك .. هيا ربيع .. هيا جميلة .

ذهب الثلاثة إلى سيارتهم ، وانطلق خليل مع أولاد زوجته بسيارة مالك ، وخلال دقائق كانوا يقفون أمام بيت صبرية ، وكان عدنان أمامهم يقف أمام بيت العائلة ، وكان قد تكلم مع أبيه وأمه بالهاتف كانت أنوار البيت منارة لم تطفأ بعد ، فالناس ما زالوا في سهر ، زلف خليل وراء عدنان واستقبلهم جابر وصبرية ، ولما جلسوا في صالون البيت الواسع ، تكلم خليل بضع جمل ، ثم قال مالك المحامي : هؤلاء يا عمتي أم علي أحفاد أخيك الأصغر المدعو منير أحمد فرفر .. وهذه المرأة ابنة أخيك .

فنهض الأحفاد ثانية وسلموا على جدتهم ، وقبلوا يدها ، وعادوا لمجلسهم ، وعانقت المرأة الشابة المرأة الكهلة ، وتخلل ذلك بعض الدموع والشهقات ، وتحدث أحمد عن جهلهم بوجود إخوة لجدهم غير الذين يعرفونهم ، وأن جدهم مريض ؛ وربما يكون في أيامه الأخيرة ، فقد أقعده المرض العضال ، وأنه يطلب مصافحتهم ورؤيتهم والصفح عنه لتجاهلهم كل هذا العمر .. فبكت صبرية وذرفت الدمع ، وشاركتها جميلة البكاء والمرأة الأخرى ، وقال عدنان : نسأل الله العافية لجدكم منير .. وكنا ننتظر مثل هذه الخطوة منذ عشرات السنين يا أخ مالك .. ربما منذ ثلاثين سنة !

فقال خليل : وتعلم صبرية أنني سعيت لهم ، وفعلت مثلي صبرية ؛ ولكنهم هربوا لأمريكا ، ولم يتصلوا بنا بمناسبة وغير مناسبة .. ولما رجعوا اتصلت بهم فطلبوا مني الرحيل من حي برقوقة والحياة معهم وترك الحدادة ، ولما رفضت ذلك غضبوا وأنكروني فزرتهم مرة أو مرتين ثم هجرتهم كما هجروني .. منذ تركوا الحي بأمهم لم يدخلوه نهائيا ، وها هي صبرية تشهد على ذلك ولما كنت أزورهم في بيوتهم كانت زوجاتهم ينظرنّ إليّ ؛ كأنني متسول شحاذ دخل عليهم .. فلما رأيت الجفاء وقلة الاحترام قطعت الزيارة إليهم ومع ذلك لم يسألوا فيّ ..وهم فعلوا ذلك مع صبرية أصلا .. لا أذكر أن أحدهم أو إحدى زوجاتهم دخلت بيت صبرية .. فقد قاطعوها وهم يدرسون ؛ لأنها تزوجت الأخ جابر .. لأنني أنا زوجتها ، ولم أبقها تخدم أمهم مع أن لها بنتين ..

ولما تخرجوا من الجامعات أخذوا أمهم ـ رحمها الله ـ وخرجوا من الحي وتزوجوا من بنات الأكابر ورويدا رويدا نسوا أن لهم إخوة ورحم .. وحتى البنات تزوجن من غير مشورة معي ، بل علمت بزواجهن من بعض الناس .. فقد هاجروا للدراسة والعمل ولما كانوا ينزلون البلد لا يتصلون بنا ، ولا نعرف مساكنهم أو الشقق التي استأجروها لنسلم عليهم .. فنسيناهم كما نسونا .. فمأساة يا إخوان مأساة!! أسوأ شيء أن ينسى الإنسان الإحسان والجميل الذي قدم له .. استعروا منا أنا وصبرية .. سامحهم الله يا أولاد .. آ يا أحمد هل عرفت الحق أنت وأخوك وعمتكم ؟!

تمتم الشباب وقال أحدهم : أمر يؤسف له يا جدنا العزيز !! صدق أننا تفاجئنا بهذه الاستغاثة

وظننا أن جدنا يهذي ويطلب أناسا ميتين فعلا .. حتى أقرت جدتنا بالحقيقة المغيبة .. فأدركنا الخطأ الشنيع الذي وقع فيه الإخوة بحقكم .

فقال أبو أحمد : أنا ألوم أجدادكم .. وأكثر لومي كان على امرأة أبي .. أظهرت لهم أننا نبغضهم

وأننا أخذنا أموال والدنا دونهم .. فشبوا على كرهنا ، وإنني أنفق عليهم من أموال أبي الحداد المسكين الذي هلك ـ رحمه الله ـ وأنا ابن عشر سنين قد تزيد سنتين .. كانت امرأة سيئة لم تربهم على حبنا أنا وصبرية .. فأنا الذي لم أقصر معهم أيام الجامعة ، وأنفقت عليهم بفضل الله من شغل محددة أبي من عرقي أنا .. أبي لم يترك لنا إلا الشيء اليسير ، وصبرية كانت تدرك ذلك .. والبيت الذي ما زلت أسكن فيه منذ اشتراه والدنا ـ رحمه الله ـ هو نفس البيت الذي تركه الوالد ؛ ولكني جددت بناءه كما تعلمون .. كانوا يتطلعون لفوق فوق .. لا مانع من التطلع والصعود لفوق ؛ ولكن هذا لا يسمح للواحد أن ينسى أهله .. فها هو الشاب البطل ـ وأشار لمالك وهو منفعل ـ محامي كبير ودكتور في القانون الدولي ، ودرس في الخارج في بريطانيا أعظم دولة في أوروبا ؛ ولكنه يعيش معنا في حي برقوقة لم يتكبر علينا .. لماذا لم يجبر أمه للخروج من الحي؟! .. للحياة في حي يليق بمقامه .. ولكن الحداد الفقير خليل زوج أمه لا يريد الخروج .. فقبل الأمر برضا ؛ بل لم يحاول الحياة خارج الحي .. بل تزوج ابنة رجل القانون الأول في بلادنا النقيب السابق عبد الكريم ، وسكن بزوجته ابنة الأكابر في حي برقوقة. ألا تطيب الحياة أيها الناس إلا في أحياء الكبار؟!.. ألا يوجد تعساء في تلك الأحياء؟! وهذا مهندس كبير ومدير شركة كبرى ويسكن في حي برقوقة ـ وأشار لربيع ـ وهذا الدكتور عدنان ابن أختي هذه وابن هذا الرجل الفاضل يسكن في حي برقوقة .. ألا تطيب الحياة إلا في حي رحمات وبركات .

قال مالك : اهدأ يا عم .. راع صحتك .

مسح خليل فمه وحاول الهدوء فقال : أنا أريد أن أقول هذا أمام هؤلاء الشبان الأبطال لينقلوا الكلام لأهليهم .. ويتعلموا هم أيضا .. أنتم يا مالك ويا ربيع ويا ابن أختي فخر الحي فها هو ربيع مدير شركة كبيرة في البلد ، ويسكن في حي برقوقة ، ويبني في حي برقوقة ، ويعيش في بيت متواضع ، ويسهر يوميا مع أمه .. وها هو ابن عمتك يا أحلام الأستاذ الدكتور ومدير مدارس خاصة ، ويستطيع أن يكون أستاذا كبيرا في جامعة أو معهد يسكن قرب أهله في حي برقوقة .. ويا ابنة أخي لو سكن الإنسان في أي حي من أحياء المدينة والدولة ؛ لكن لا ينسى أهله حتى ولو ظلموه ونهبوه .. أنا متأكد أن أجدادكم لا يعرفون أحدا من عائلة فرفر .. فهم نسوا هذه العائلة منذ نكحوا بنات الأكابر .. فنحن أكثر أقاربنا لا يسكنون هذه المدينة لعلمكم يا أولاد .. نحن أبناء بلدة بعيدة من هنا ، جاء أبي لظروف مرض أمنا .. ومرات قليلة كنت أذهب إليهم للمشاركة في عزاء أو فرح ..

يذكر القراء الكرام أن خليلا ذكر سابقا أن والده أتى به وبصبرية وأمها لمعالجة زوجته أم خليل بعد ولادتها لصبرية بشهور ثم هلك ، ولما فضفض خليل عن نفسه قال : آ ، يا صبرية ! أتحبين الصلح مع إخوتك بل الذهاب إلى وداع أخيك الذي يموت أم ... ؟

فقال عدنان : لا يا خال أنت صاحب القلب الكبير .. سنذهب جميعا للتعرف على أخوالنا وأولادهم وخالاتنا وأولادهنّ !

فقال خليل ملتفا للضيوف : على كل ها أنتم عرفتم البيوت يا أولاد .. وغدا اتصلوا بمالك حتى يرتب لنا زيارة لأبيكم .

فقالت المرأة : ألا تذهب معنا الليلة يا عم ؟!

ـ غدا يا بنية .. حتى تهدأ أعصابنا ونستوعب القضية .. لا أريد أن أنفعل أمامهم ويحدث ما لا نحب .. فهيئوا النفوس أنتم ، وغدا ترتبون مع مالك أو عدنان وتأتون إلينا ونرافقكم إلى حيت تتفقون ، ويذهب الكبار لمصالحة الصغار .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. يتبع .

روايات اجتماعية

غربتي وابنتي ٤

وكانت زوجة الدكتور في استقبال زهيرة وعانقتها وهي ترحب بها في بيتها ، وهذه لم تكن أول مرة تدعى للغداء في منزل السيد ماهر ، التقت الآنسة زهيرة بالدكتور سامر ماجد في منزل الوصي ماهر ، فعرفهم على بعض ، وتناولوا الغداء على مائدته ، وشاركتهم زوجه اللقاء ، فأولاد الدكتور كثر ، فقبل زواج مجدي من هناء كانت ولدت له خمسة

مواليد ، وأغلبهم متزوج ويسكن خارج البيت الخاص بالدكتور ، أو يعمل خارج البلاد ، وتحدث الدكتور الشاب عن دراسته الطب في جامعة القاهرة في مصر ، فهو خريج طب القاهرة ، وأنه كان يفكر بالاختصاص في بريطانيا ، وللحصول على الزمالة الإنجليزية قبل دخول الدكتور ماهر على الخط ، وأخر سعيه بالسفر لبريطانيا للعمل في مستشفيات الدولة ليأخذ الخبرة العملية قبل الرحيل ، وتحدثت زهيرة عن نفسها ببضع كلمات وعبارات ، وفي نهاية اللقاء أبدى الدكتور سامر للدكتور ماهر وزوجته عن قبوله الزواج بالفتاة إذا قبلت به هي ، وقبله أهلها ، وأمهلها الدكتور ماهر بضعة أيام لتشاور من تحب أن تشاوره من أهلها وأقاربها ، وسمعوها تقول : أنا لديّ طموح فعلا للدراسة في أمريكا أو كندا كما قيل لي إن الفرصة فيها أكبر .. فالزواج يا دكتور سامر أمر ثانوي وطارئ ؛ ولعل الدكتور شرح لك شيئا من الأمر .. لا تتضايق من صراحتي .

ضحك سامر وماهر ورد سامر : أبدا يا آنسة زهيرة لست منزعجا من صراحتك ، وقد حدثني الدكتور عنك بالتفاصيل ، وعن بعض ظرفك مع أقاربك خاصة أعمامك .. وأعلم أن الظروف هي التي تدفعك للزواج ، وأنت تدرسين دراسة طويلة الشهادة الأولى .. وهذا الفعل من الحكمة والصواب إن شاء الله .. فالغرب خطر جدا على النساء بسبب الحرية الكبيرة في مجال الجنس والعلاقات العاطفية وعدم الاهتمام مثلنا بقضية العفة والبكارة .. ولا أقول هذا الكلام مجاملة ومسايرة بل أسمع وأقرأ .. ولي قريبة أصابها سوء هناك بسبب الجهل في عادات تلك الشعوب .. حدثني الدكتور ماهر جزاه الله كل الخير هو وأم جواد .. حدثني أن دافعك للدراسة هناك الهروب من مشاكسات ابن عمك ، ورغبة في تحصيل الشهادة العلمية الغربية ، وحداثة الطب وسرعة تطوره ، فهذا سبب تعجيلك للزواج ، وذلك بناء على نصيحة صادقة من والدنا الدكتور ماهر وأهله .

قالت زهيرة والحياء يغمرها : شكرا لك ، والشكر للدكتور وزوجته .. وأنا شرفت بالتعرف عليك ، ومن حيث المبدأ .. الأمر لي شرعا وقانونا ، ومن حيث المبدأ أنا أقبل بالزواج من شخصك الكريم ، ولا أعتقد أن أحدا يهمه أمري من أهلي سيعترض .. ولكن لا بأس من التفكير كما اقترح الدكتور بضعة أيام لحسم الأمر والرد النهائي ؛ لأنه لن يكون بصراحة زواج إلا إذا كان هناك سفر .. وإذا لم يتحقق السفر فلن يتحقق الزواج بسبب الدراسة والحياة الزوجية

فقال ماهر : نحن بالطبع نتفهم ذلك ، فالأصل السفر، والدكتور سامر العزيز واضحة له الصورة يا زهيرة .. ستكون خطبة بدون عقد العقد الشرعي .. هذا فهمته للدكتور وأبيه وهو تقبل الأمر .. أليس كذلك يا بني ؟

ـ لقد استوعبت الظروف المحيطة بالآنسة ، وستكون خطبة ؛ فإذا تقرر سفرنا نهائيا ، سيكون الزواج، ثم السفر فورا بإذن الله تعالى ، ورحلنا إلى طلب العلم

قالت الفتاة بصوت هامس : شكرا يا دكتور سامر .. أرجو ألا تتضايق من هذا التصرف ..

عليك أن تعذرني لأن الزواج طرح عليّ من أجل السفر إلى تلك البلاد

ـ لا حرج عليك .. وأنا أطمئنك أن الوالد يسعى جادا لتحقيق أهدافنا وسفرنا .. لكن قد تضطرين للدراسة من جديد بسبب اختلاف المناهج والترتيب عندهم .. رغم وجود مواد مشتركة في جميع كليات الطب عالميا .. لكن لكل بلد ترتيب خاص ، قد يتفق مع بعض البلدان، وقد يختلف كثيرا .. وربما يعتمدون بعض المواد لك وقد لا يعتمدونها

قالت : لا بأس ، لو عدت للبداية ودرست من جديد .. أنا كما يعلم العم ماهر راغبة بالخروج من هنا للدراسة وهربا من مضايقات ابن عمي الذي يعرف الدكتور عنه الكثير .. حتى وصل به الأمر أن يدفع أناسا ليتجسسوا عليّ في الجامعة .

فقال ماهر : ماذا ؟!

وبدت الدهشة على زوجته أيضا ، فذكرت لهم قصة رسالة ميلاد التي يعترف فيها بمعرفته مع من تجلس وتتحدث في الجامعة ليظهر لها اهتمامه بها زاعما ذلك فعلق ماهر : لا حول ولا قوة إلا بالله .. هذا ازداد جنونا

وأخذ يقص على الدكتور تهديده لزهيرة بقتل من يتزوجها أو إيذائه حتى لا تتزوج غيره ، فلما انتهى من تلخيص القصة قال سامر باستغراب : أمعقول هذا ؟! هو يريد أن يحقق المثل البائد ما ينزل العروس عن الفرس إلا ابن عمها.. أنا ظننت أن هذه الأقوال بادت في المدن وحتى الأرياف

ضحك ماهر وقال : ما دام أن هناك من يفكر بمثل هذه العقلية لم تنته إن شاء الله ستتزوجون ؟ وتقهرون هذه العادات والأقوال ، وتهاجرون بأمن الله ورعايته

وتشعب الحديث والنقد بينهم حول العادات والتقاليد ، ما ينفع للمجتمعات الحديثة ، وما لا ينفع ، ثم طلبت الإذن بالانصراف ، فودعتها الأسرة والدكتور سامر ، ولما ابتعدت سيارتها عادوا للجلوس ثانية ، وانصرفت المرأة الأخرى

قال سامر : أمجنون ابن العم هذا ؟

ـ لا تقلق يا سامر .. هذه القصة لها مقدمات .. فزهيرة كما ذكرت لك سابقا قد مات والدها وهي صغيرة ، وجعلني وصيا عليها دون أعمامها ، وخاصة والد ميلاد هذا .. وهي قد ورثت مبلغا كبيرا من المال .. وكذلك أمها .. وطمع العم بثروتها ، فحاول الزواج من أمها ؛ ولكنه لم يوفق لرفض الأم .. ثم تزوجت الأم من شقيقي مروان ، ولم يوفقا بالزواج وانفصلا بعد سنوات ثم تزوجت من ضابط متقاعد ، وما زال الزواج صامدا .. ولما رأى الأب فشله أغرى ولده بالبنت التي شبت بزعم أنه ابن عمها وأولى بها من الآخرين .. فطلبها بعد المرحلة الإعدادية ، فاعتذروا بحجة الدراسة والتوجيهي ، ثم كرر الأمر بعد نجاحها بالثانوية .. ولما رأى قبولها بكلية الطب ، وأن هذه الدراسة قد تستغرق سبع سنوات ، وستصير طبيبة فجن جنونه وهددها بما تحدثنا لك عنه .. وهو شاب لا يحمل أي شهادة علمية ، يعمل مصلحا وفنيا للسيارات .. فهو يضايقها ويسيء إليها ، ولا أحد يردعه ويمنعه .. بل صار شجار في العائلة بسبب هذا الفعل .. وهي أهملته واشتغلت بجامعتها .. وأنا أتمنى لكما السعادة

وتصافحا للوداع وقال لسامر : سلم على الوالد والوالدة .. وإن شاء الله سنحتفل بكما قريبا

قامت السيدة هناء بالاتصال ببعض أعمام زهيرة مخبرة لهم بمشروع زواجها من الطبيب سامر ماجد ، وطلبت منهم إخبار شقيقهم الكبير عادل بذلك ، وكان أخوال زهيرة قد أخبرتهم هناء بالأمر ، وباركوا الزواج لها ولابنتها .

كانت العادة المتبعة في دكان حميد وميلاد لتصليح السيارات أن يصل ميلاد للمحل أول الفاتحين له ، فعندما يصل يفتح الباب الرئيسي للمحل بمساعدة الشغيل الوحيد معهم أو هو وحده ، فيفتح الباب الكبير ويبدأ بإخراج بعض أدوات العمل أمام المحل كبعض العدة ، والإطارات يعلق بعضها في أماكن مخصصة لها على جدران المحل الخارجية ، ويخرج أيضا بعض قطع التصليح ، ويأخذ بعمل إبريق الشاي الضخم ، ويبقى في عمل ترتيب العدة

وأدوات العمل حتى يصل بائع الكعك المحمص لقرب المحل ، فيتناول منه كعكات له ولحميد وللشغيل الثالث العامل معهم ، ويضع فيها البيض المسلوق أو المشوي أو الجبنة الصفراء أو الزعتر المدقوق أو الفلافل المعروف ، ويلتهي بالأكل وشرب الشاي حتى يصل شريكه أبو محمد حميد نبيل للمحل ويبدأن الشغل .

وصل حميد كعادته المحل ووجده مغلقا ـ وهذا من النادر ـ ولما يريد ميلاد التأخر لسبب ما يخبر حميدا

بالهاتف أو في آخر نهار العمل ليأخذ باله ، فتعجب حميد من عدم فتح الدكان ذلك الصباح فهو لم يعتد على فتح المحل بنفسه من سنوات ، فعاد لسيارته القديمة يبحث عن مفاتيح الأقفال فحمد الله تعالى أن وجدها فيها ، ففتح المحل والسؤال لماذا لم يفتح ميلاد اليوم ؟!

ونشط في ترتيب المحل وإخراج ما يلزم إخراجه من المواد والأدوات الخاصة بالعمل واللحام ، ثم نادى على بائع الكعك القائم على رصيف الشارع ، واشترى ما يلزمه ، ونادى على بائع الشاي المتجول ، واشترى كوبا منه ، ولم يعمل الشاي في المحل ، وهو يردد لماذا لم يأت المعلم ميلاد ؟!

المكان تتوفر فيه المطاعم ومعامل الشاي والقهوة وحتى أن فيه مقهى للهو والمشروبات الباردة والساخنة ولجلوس الزبائن حتى تنقضي حاجاتهم من تصليح وصيانة ، وهناك محلات البقالة أيضا للمواد التموينية ، وإن كان غالب المحلات تتعلق بالسيارات صيانة وتجارة وبيعا .

وبينما هو منهمك بالأكل والشاي والحديث مع أصحاب المحلات المجاورة ، وهم يصبحون على بعضهم بصراخهم وهمومهم ، وأكثرهم يسأل عن ميلاد الذي يتصبّحون به أولا ، جاء الشاب الصغير الذي يعمل معهم فأرسله لبائع الكعك والشاي ، ولكن الفتى رغب بشراء ساندويتش فقال : اشترِ ما تريد .

وهؤلاء الشباب الصغار أغلبهم يترك المدرسة لعدم قدرته على التعليم، فيلتحق بمثل هذه المحلات ليتعلم حرفة يعيش من ورائها عندما يكبر ، فبعد أن اشترى الفتى طعام الفطور ، وعاد للدكان انتبه لعدم وجود السيد ميلاد وذلك عندما أخذ يلبس ملابس الشغل ، ظن في البداية أنه ذهب هنا أو هناك ، ولما رأى ثياب العمل معلقة على مشجب أدرك أنه لم يحضر فصاح دهشا : أيه يا معلم حميد .. أين المعلم ميلاد ؟ إني أرى ثيابه معلقة على المشجب !

ـ لم يحضر يا سماحة .. من سنوات لم أفتح المحل بنفسي إلا مرات معدودات .. أنظر إلى التلفون هل فيه حرارة ؟ لأتصل بدار العم عادل .. قد يكون مريضا .

ثم ضرب بيده على رأسه وهتف بصوت مسموع : آه ، لقد نسيت لقد كانت خطبة زهيرة ليلة أمس .. المجنون متعلق بحبل الهواء !

عاد الصبي يقول : الحرارة موجودة يا معلم حميد .. هل أرن عليه ؟

ـ لا ، بعد ساعة نتصل يا فهمان .. ربما راحت عليه نومة عميقة .. ما هو المعلم هذه الأيام صاحب سهر وشلل .

فعقب الشاب أسفا : حال لا تسر يا معلم .. يدخن

كثيرا ، ويمشي مع شلة شباب سمعتهم أسوأ سمعة .. أهمل ناس يأتون في المساء ويذهب معهم .. كلهم أهل سوابق وأصحاب سكاكين وخناجر

ـ ما شاء الله يا سماحة ! .. إنك تفهم يا منحوس بالشلل والهمل .. لأي صف درست يا ولد ؟

ـ السابع مرتان ونصف الثامن وهربت نهائيا .

ـ كيف ترى الشغل معنا يا معلم يا صغير ؟

ـ لماذا الإحراج يا معلم حميد ؟ أنا عملت حدادا أول ما تركت المدرسة مع قريب لأبي ، وبعد حين نصحني بأن أبحث عن مهنة أخرى .. فعملت بنصيحته ، وعملت في محطة تنظيف وغسيل سيارات ، ولما قابلت ميلادا بالمحطة عرض عليّ العمل معكم فوافقت .. وأنا مرتاح معكم فعلا يا معلم حميد .

ـ مرحبا بك يا معلم سماحة .. المهنة تحتاج لصبر وعين مفتحة .. وأنا لن أبخل عليك بخبرتي .

ـ أشكرك يا معلم حميد يا بطل أنت أصيل .

ـ كم سيارة عندنا اليوم ؟

أشار لسيارة تقف أمام المحل وقال : هذه السيارة فقط .. هناك زبون أخذ سيارته وقال سأعود غدا يعني اليوم والله أعلم .. وواحد سيعود لنكمل له تصليح سيارته .. لم يرغب بمبيتها هنا مع أن الخراب في ماتورها ..

ـ هو خراب بسيط يمكنها السير .. سوف يأتي هو زبون دائم .

مضت ساعة وأكثر ولم يظهر ميلاد ، فاتجه حميد نحو الهاتف القابع في آخر المشغل ، وضرب رقم بيت عمه حيث يقطن ميلاد ، فردت امرأة أحد أبناء عمه الأولى أم ميلاد .. فالسيد عادل يملك عمارة من عدة طوابق يسكن في الطابق الأول منها هو وزوجاته خاصة أم العيال ، وبجواره عمارة أخرى يعيش فيها أولاده المتزوجون ، فاستغرب ردها على الهاتف فقال : بيت أم حسن

عرفته المرأة وأدركت دهشته فقالت : نعم يا حميد

ـ نعم ، حميد .. ظننت أني أخطأت النمرة .. ميلاد موجود .. هل ما زال راقدا ؟

ـ ميلاد لم ينم الليلة في البيت

ـ لم ينم في البيت ما الأمر ؟!

ضحكت كما سمع حميد وقالت مجيبة: يا سيدي عاد سكرانا للبيت ، وأخذ بالصياح والهدير أنه سيقتل زهيرة قبل أن يتزوجها غيره

ـ نعم ، نعم ، كانت ليلة أمس خطبة زهيرة .. نسيت حضورها المرأة مريضة كما تعلمين ذهبنا للمستشفى



ـ المهم رجع في غاية السكر والصراخ والتهديد ..

فتشاجر مع أبيه وإخوانه ، وطرده عمي من البيت .. وها أنت تقول لم يحضر إليك .. الله أعلم أين ذهب ؟!

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. لقد جن الفتى .. نعم ، لم يحضر فظننت أن النوم غلبه .. على كل حال سلمي لي على عمي وزوجك والجميع

ـ مع السلامة يا حميد إذا التقيت به طمأن أمه عليه

ـ إن شاء الله

ووضع السماعة وقال : لا اله إلا الله محمد رسول الله .. بدأ يجاهر بسكره وعربدته .. الله يهديك يا ابن عمي وافق جميع أعمام زهيرة بما فيهم عادل على زواجها من الدكتور سامر ابن الدكتور ماجد جراح الأعصاب والدماغ المشهور على مستوى العاصمة ، والمدن الكبيرة الأخرى ، فهو رجل الطب ورجل الجمعيات الخيرية ، واتفقوا على أن يكون الزواج وعقد عقده الرسمي عند رحيل الشابين إلى كندا للدراسة والعمل للسيد سامر مع التخصص في جراحة العظام والكسور .

وأما ميلاد ففي ليلة الخطبة قضى ساعات وساعات في إحدى الحانات يعاقر المسكر ، وعند الفجر قفل راجعا للبيت في سيارة أجرة ، وهو في غاية السكر ، ودخل هائجا صاخبا وإعياء السكر عليه واضحا للعيان ، فلما استيقظ والده على صياحه طار عقله ، وغضب غضبا قاتلا ، وأخذ يرد على الصياح بصياح حتى أيقظ العائلة ، وربما الجيران ، وكان يقول لأمه التي استيقظت بدورها مرعوبة : ألم أقل لك أن ابنك صار سكيرا ، ويدخل يترنح كالسكارى ، وأنت تقولين أنه يترنح من التعب وكثرة النوم تحت السيارات لإصلاحها .

ثم انهال عليه ضربا ولطما ، فزاد الصياح والصراخ ، وشاركه أبناؤه ذلك الصفع والرفس ، وهو يصرخ ويسب عليهم ، ثم طرده عادل من البيت ، وطلب منه أن لا يعود للبيت حتى يترك السكر والفساد .

فمشى في الشارع وأخذ يبحث عن بيت يقضي فيه باقي ليلته ، وظل يترنح ويسب ويحبو في الشوارع والأحياء حتى وصل لأحد المنازل المعروفة له ، فلما شاهده الشاب بعد أن أدخله البيت ، قال مفزوعا : ويلك من فعل بك الأفاعيل ؟ هل تشاجرت مع عصابة ؟!

ـ مع أهلي ، مع الملاعين أهلي .

قال : يبدو أنك ثقلت العيار الليلة .. شربت أكثر من اللازم

ـ شربت حتى انفجرت .. لقد أفرغت الكثير .. اليوم أتعس يوم في حياتي ، حبيبتي الوحيدة في الكون الليلة خطبوها لرجل .. أرأيت الغدر ؟

قال الشاب متهكما : حبيبتك الدكتورة زهيرة ابنة عمك الميت خطبت الليلة .. يا مسكين راحت

عليك !

ـ لم ترح عليّ .. أنا أقسمت مليون يمين ، فلن تتزوج غيري .. فلن تتزوج إلا أنا.. أنا ميلاد .. لن أسمح لها بالسفر إلى أمريكا وأنا حي .. سأتزوجها أنا فقط

ـ وهل ستسافر هي إلى أمريكا ؟ ما رأيك بكأس قهوة ؟

ـ لا قهوة ولا حليب .. أرأيت غدر النساء ؟ بعد صبر طويل رمتني في الشارع وأخذت غيري أنا لي عشر سنوات انتظر ليلة الزفاف ، ولما وصلت اللقمة الفم تركتني .. أنا عنتر بن شداد فارس الميدان .

ـ اسمع خفض صوتك بعد قليل سيؤذن للفجر ، ويستيقظ أهلي للصلاة .. لا أحب أن يعرفوا أنك هنا .. خفض صوتك .

ـ أنت جبان .. أنا قبل قليل ضربت أبي وإخوتي كلهم

ـ الحمد لله أنني جبان يا بطل .. يا عنتر بن شداد .. يا زير سالم

ـ نعم ، أنت جبان .. أريد أن أنام .. ألديك سرير آخر ؟

ـ هذا ليس فندق يا عنتر .

بعد إعلان خطبة زهيرة بأسابيع قليلة أخبر والد ماجد ابنه سامرا بحصول الموافقة النهائية على قبولهم في إحدى جامعات كندا ، وعلى تعاقده للعمل في أحد مستشفياتها للاختصاص الطبي ، والعمل فيه كطبيب ودراسة الاختصاص في قسم العظام .

وعلى الفور نقل سامر الخبر لزهيرة وأن أوراق الدخول والقبول في الطريق ، وأن عليهم مراجعة السفارة الكندية الكائنة في المدينة الكبيرة ، وقد فرحت الفتاة لهذا الخبر فرحا قاتلا كما يقال ؛ وكأن باب الجنة فتح لها ، وقد ظهر الفرح على محياها لجميع أفراد العائلة في بيت جدها، والكل دعا لها بالتوفيق والنجاح ، ولما اتصلت بالدكتور ماهر الذي فرح لفرحها ، وأعلمها أن الدكتور سامرا تحدث معه في ذلك ، وأنهم بعد وصول الأوراق اللازمة سيسعون لتنظيم حفل عقد الزواج والزواج نفسه ، فشكرته الفتاة لاهتمامه الدائم ، وأخبرت أمها بعدئذ بموافقة السلطات الكندية نهائيا على التحاقها بإحدى جامعتها هي وسامر ، وإنها ستسعى للحصول على أوراق جامعتها اللازمة لها من كشوف علامات وشهادات تزكية وحسن سلوك ، ووثائق لازمة ، وكذلك مراجعة السفارة ووزارة الخارجية لتوثيق الأوراق .

وأخبرت رفاقها في الجامعة سواء من زميلات الدراسة أو أقاربها الذين تجالسهم ، وقد فرحوا لها فرحا كبيرا ، وتمنوا كلهم لها التوفيق وتحقيق

الأماني التي تصبو إليها من هذه الهجرة لعالم الغرب ، ودعوا لها بحياة طيبة في كندا ، وأخبرتهم بقرب اقترانها بسامر ، وهي تدعوهم للحفل فوعدوها خيرا .

وخلال أيام يسيرة حصلت على كل الأوراق الجامعية اللازمة للدراسة هناك ، ودفع لها العميد عميد كلية الطب برسالة خاصة لأحد زملائه في تلك الجامعة ولجامعتها تلك ، وطلب منها أن يتصل به ماهر عندما تستقر في تلك البلاد ؛ ليتحدث شخصيا مع ذلك الدكتور ، وأثنى عليها خير الثناء ، وتمنى لها التوفيق والعودة إلى للبلد والعمل فيها .

أعلن عن حفل الزفاف الذي سيكون في قاعة خاصة للحفلات ، وهي قاعة ممتازة ومهيئة للأعراس الفخمة والمناسبات الكبيرة ، وزعت بطاقات الدعوة ، وتقرر بقاؤهم شهرا واحدا في ربوع الوطن قبل الرحيل النهائي ، فاستأجر سامر شقة مفروشة في حي كبير من أحياء المدينة ، وهذا الحي حي فخم يسكنه الشخصيات الغنية والمهمة في البلاد من رجال أعمال وضيوف زائرين لزمن محدد .

وكانت الشقة المستأجرة تقع في الطابق الثالث من تلك العمارة التي تؤجر شققا مفروشة ، وتجهزت الشقة لتكون مخدع وعش زوجين لمدة شهر واحد

وشارك أعمام وأخوال زهيرة في حفل زواجهم في قاعة اللؤلؤ الأزرق ، وقضى الناس سهرة طيبة لمدة ثلاث ساعات ، ثم ركبت العروس والعريس في سيارة خاصة في المقعد الخلفي ، وجلست أم زهيرة بجوار السائق الذي هو ابن عم للعريس ، وانطلقت السيارات المرافقة لسيارة العروسين إلى حيث تقع شقة سامر وزهيرة في الحي الموصوف آنفا ، وقد زينت الشقة بالورود والأعلام الملونة ، وانتقلت زهيرة للحياة في شقة خاصة بها لمدة يسيرة ، ثم السفر وشهر العسل في ربوع كندا في شمال القارة الأمريكية الشمالية ، وكندا بلاد كبيرة فيها جزء كبير من القطب الشمالي للأرض ، ومع كبر أرضها فهي قليلة البشر .

وعندما نهض العروسان لصلاة الفجر ، وبعد الصلاة بقليل رن جرس الهاتف عليهما ، فقال سامر وهو يترك سجادة الصلاة متجها للهاتف ومستغربا: من ؟ أمي أم أمك ؟!

هزت رأسها كأنها تقول لا أدري !

وكانت هي أقرب للسماعة منه فرفعتها قائلة نعم ثم وضعتها بغضب وسرعة ؛ كأن أفعى أو عقرب لسعها ، فقال سامر منزعجا قلقا : من ؟!

ردت بانفعال : الشيطان

فهمس وقد فطن لشيء : ميلاد ؟! أليس كذلك ؟

ـ بلى .. ويبارك لي ويسخر مني

رن الجرس ثانية ، فرفع سامر الهاتف وقال بتوتر :
نعم ، ماذا تريد ؟
ـ بارك الله فيك عقبال عندك .. لن تتزوج إلا زهيرة .. زهيرة تزوجتني أنا .. وسنغادر البلاد قريبا .. ما تبحث لك عن بنت حلال .. ستقتلنا أنت عاقل يا رجل

ووضع السماعة واستدار بجسمه كله نحو الفتاة وقال : أحمق فعلا هذا الشاب .. يهددنا بالقتل!

فقالت بخوف ظاهر : إن شاء الله أن يمشي هذا الشهر على خير .. هو أحمق ومجنون كما قلت .. وأخشى أن يتصرف بحمق وجنون

فقال سامر مشجعا لها ومحاولا رفع القلق : توكلي على الله ما هي إلا أيام .. وربما اتصل لينفس عن نفسه .. هل صليت ؟

ـ نعم ، قد صليت .. لكني خائفة حقيقة يا سامر

ـ هل نخبر الشرطة ؟

ـ الشرطة ! وما سيفعلون ؟ هل يحبسونه ؟

ـ يوقفونه بعضا من الأيام ، أو يحذرونه من فعل شيء ضدنا

ـ وهل هذا يحقق لنا الأمان ؟ أنا لا أدري ماذا أفعل له ؟ كيف يفكر أن يتزوجني بعدما تزوجت هو أمي جاهل وأنا متعلمة ؟

ـ عادات قديمة .. والتعليم ليس له قيمة عندهم .

أدرك سامر الخوف الذي أحاط بزوجته على أثر الاتصال المزعج في أول ليلة للزفاف ، وقضى النهار يشجعها ويدعوها ألا تكترث بما سمعت فقالت :

المشكلة أن عمي والده لا يستطيع للأسف فعل أي شيء معه .. فقد ساءت سمعة ميلاد ، فأخذ بالسكر والعربدة والانحراف وإهمال العمل .. فليلة خطبتنا عاد للبيت في غاية السكر والشرب والصياح ، فتشاجر مع والده وإخوانه زاعما أنني السبب في انحرافه وفجوره ، أرأيت جنونه ؟! .. فأنا فعلا خائفة من فعله لشيء لنا .

ضحك سامر وقال مشجعا : ينفذ تهديده ويقتلنا .. لا تخشيه .. فبعد سفرنا القريب ـ إن شاء الله ـ سيعود له الهدوء ، ويبحث عن فتاة تناسبه .. فشرب الخمر لا يحل المشاكل كما يتوهم هو وغيره .. فأصدقاء السوء هم الذين يشجعونه على شربها زاعمين أنها تنسي الهموم والغموم .. وماذا بعد عودة العقل حال انتهاء السكر ؟!.. سخافة وجهالة .. فالشرب لا يحل مشكلة ، بل يضاعفها ويزيدها .. فمن العادات السيئة عند بعض الناس شرب الخمر ليلة الزفاف بزعم القوة الجنسية في تلك الليلة .. فهذا غير صحيح ؛ إنما هو من تسويل وتزيين إبليس اللعين .. ربما الصحيح أنها تضعف القوة والطاقة الجنسية ؛ لأنها تؤثر على العقل وعملية الجماع رغم ما فيها من عاطفة وإثارة هي عملية أعصاب وعقل ودماغ .. وأعتقد أن الشاب

شريب قديم .. وأعتقد أن انحرافه قديم .. فهذه الأماكن التي يعمل فيها يتردد عليها الفساق والحشاشون ، فمثل هؤلاء الفنيين يتلقون المهنة والحرفة بالعمل داخل هذه المحلات ، فالقليل من يدرسها ويتعلمها من معاهد متخصصة بالتدريب المهني ، فيتعلمون الحرفة عمليا فقط ، ومع الوقت يتحسن أداؤهم .. فتتكون الشلل والمجموعات خلال تلك السنوات ، وواحد منحرف يفسد بلدا .. ولا أعني أنه لا يوجد أناس محترمون جيدون بينهم .. بالتأكيد يوجد .. فعندما نذهب لتصليح سيارة نسمع هناك من الألفاظ القبيحة والنابية ما تقشعر له الأبدان .. لذلك يكثر تعاطي التدخين بينهم والمسكرات ، وبعضهم يتعاطى المخدرات والحشيشة .. فهي بيئة صالحة لهذا الانحراف .. عملت في قسم الطوارئ مدة ، فرأيت من هذه الحالات الفاسدة والتسممات وضرب الأمواس والأدوات الحادة .. فلست أنت سبب تعلقه بالشراب ، وربما لا تخلو حياته من النساء وبنات الهوى .. فخلال عملي سمعت قصصا لهم تذهل الأسماع .. نسأل الله العافية هوني على نفسك .. فسلبيات كثيرة تطرقهم في مثل هذه الأماكن .

فقالت بانقباض : وأنا مثلك مقتنعة بانحرافه قديما ؛ ولكنه اتخذني سلما أو شماعة يعلق عليها فساده وزيغانه وأعماله القذرة .. لأبدو أمام العائلة والناس أنني أنا الذي أوردته المهالك والمفاسد ، وقد سمعت بعض هذه الكلام من قريباتنا .. وكما قلت لك للأسف فعمي عادل كبير في السن اليوم وعليل ، فلن يستطيع منعه وخاصة أنه منذ أسابيع يعيش خارج البيت .. فأخشى أن تأتيه ساعة جنون ويرتكب فعلا مؤلما ليمنعنا من السفر ..

قال سامر : أين ستتعشى الليلة ؟ أتحبين مكانا معينا ؟ مكانا لك فيه ذكريات ؟

تبسمت زهيرة : قد تستغرب إذا قلت لك إنني لم أكن مغرما بالسهر خارج البيت أو النزهات الكثيرة .. كنت أحب أحيانا أن أجلس في حديقة عامة لتناول العصير أو البوظة .. ربما مشاركاتي لرحلات المدرسة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة .. حبب إليّ القراءة بالعربية والإنجليزية ، وكنت أحب أن أكون متقدمة في المدرسة في جميع المواد .. فوقتي كله في البيت ، لم أكن اجتماعية بشكل كبير ؛ لكن لما تملكت السيارة تغير الوضع شيئا ما ، فبدأت أتردد على بعض الزميلات وأحيانا آخذ أمي في جولة في شوارع المدينة ، وندخل مطعما مشهورا أو نجلس في حديقة لأكل المكسرات .. فأي مطعم تختاره أقبله .. الخادمة روجا ستتردد علينا خلال هذا الشهر في فترات الصباح لتنظيف البيت وخدمتنا .

ـ لا نحتاج لطهو هنا ، سيكون طعامنا كله من

الخارج من الطعام الجاهز.. ما هو إلا شهر .. وسيمضي كما مضت غيره من الشهور .. ربما نحتاج فقط لقهوة وشاي وحليب فواكه طازجة وأمامنا جولات ودعوات هنا وهناك ، فأمامنا برنامج طعام حافل من الأخوة والأخوات يا قرة العين .. أنت رائعة يا زهيرة وإنسانة مسالمة وطيبة وقليلة الكلام على غير عادة النساء .. يحببن الثرثرة والرغي !

ـ شكرا .. الحمد لله الذي أكرمني بك زوجا وسيدا .. وعسى أن أكون الزوجة الصالحة اللائقة بالدكتور سامر ماجد .

استقبل العروسان أصيل ذلك النهار السيدة هناء وشقيقها يسري وزوجته ، وكانت روجا بصحبتهم ، وقد جاءت هناء تبارك للعروسين في أول أيام زواجهما ، وكانت تحمل لهم الحلوى والفواكه الطازجة ، واحتضنت الأم ابنتها مهنئة وداعية لها بالخير والذرية الصالحة ، ثم صافحت زوج ابنتها الذي كان يقف مرحبا بهم ، وقد تلقى التهاني من خال زهيرة ، وعانقه كعادة أهل المدينة هنا ، ولما انتهت هناء من معانقة ابنتها وتحولت لصهرها ، صافح يسري زهيرة وقبلها من خديها ، وبارك لها ، ودعا لها ، وكذلك فعلت زوجته ـ فهم كانوا لها الأهل ، كانوا يقدمون لها الطعام والفواكه كلما أرسلوا منها شيئا لأمه ، فكانت من ضمن العائلة رغم استقلاليتها، وكانت زهيرة أيضا تحب خالها يسري وشدته وصرامته ، ولا تنسى موقفه الحاد من انفلات أمها في يوم من الأيام ـ وجلسوا في صالة الشقة بعدما باركت روجا لسيدتها ، وأدخلت الأغراض للمطبخ ، وأخذت تهيئ لهم الشراب والحلوى التي احضروها معهم ، وغمر الابتسام والضحك زهيرة وقرينها ، وقالت زهيرة لأمها : ها أنت تريني عروسا يا أمي .

قالت هناء : أنا أسعد الناس بزواجك يا عزيزتي الغالية.. فأنت حياتي وقرة عيني .. ومن أعماق القلب أتمنى لك الخير والسعادة .. فمبارك عليك سامر وأنت مباركة عليه .

تمتم سامر : شكرا لك يا حماتي الطيبة .. زهيرة في عيناي وقلبي . وأشار بسبابته لعينيه وصدره

وبينما هم مسرورون بالحديث رن الجرس من جديد ، فنهض سامر لفتح باب الشقة ثانية وهو يقول للضيوف: لابد أنها أمي .

ومشى إلى الباب تتبعه زهيرة ، وفعلا كان القادمان الدكتور ماجد وقرينته قادمين للتهنئة والتبريك ، وتعانق ماجد وابنه وهنأه بالزواج ، ثم تحول معانقا لزهيرة ، وتحول سامر مقبلا لأمه، ورادا على تهنئتها ، واحتضنت الأم كنتها الجديدة ، ومشوا إلى الصالون حيث رحب الضيوف بعضهم ببعض ، والكل يهنئ الآخر ويشكرون الله تعالى الذي

جمعهم ، وألف بين قلوبهم ، وأصبحوا أسرة واحدة بهذه المصاهرة .

ولما تناولوا شيئا من المطعومات والمشروبات استأذنت هناء وشقيقها من الدكتور ماجد وقرينته ومن الدكتور سامر وقرينته، وأوصلوهم لباب الشقة مودعين وشاكرين .. وبعد حين يسير استأذن ماجد وزوجته رغم إلحاح العروسين لهم بالبقاء والعشاء معهم ؛ ولكنهم أصروا على الانصراف ، وأنهم سيدعونهم للعشاء معهم خلال أيام ، فقدم سامر الشكر الجزيل لوالديه ، وفعلت زهيرة مثله ، وتعانقتا ، وغادر الضيوف البيت ، وأغلق سامر الباب بالمفتاح وقال لزهيرة : انتهت زيارة اليوم ، فهذه زيارات تقليدية واجتماعية اعتاد عليها الناس والآن متى سنخرج للعشاء والسمر ؟

ـ نهار الشتاء قصير في بلادنا فلننتظر حتى نصلي العشاء ، ثم نخرج لأي مطعم تراه مناسبا لعروسين جديدين مثلنا .

قبل الرجل امرأته وقال : أنا سعيد بحبك وقلبك يا زهيرة .

ـ وأنا مثلك ، فأنت الرجل الأول في حياتي .. لم أعرف عبث الفتيات أيام المدارس ، بل كنت أتضايق من قصصهن ومغامرتهن .. ستر الله عليهن .

ـ أنت فاضلة يا زهيرة .. لقد عشت في بيئة جيدة وسليمة ..

ـ صدقت .. فمنذ عدنا من الخليج عشت مع دار جدي .. وخالي يسري الذي غادرنا قبل قليل فهم قوم يخافون الله .. فجدي فلم يكن يقطع فرضا من الصلاة دون الجامع وكذلك خالي يسري وأولاده .. فالصلاة عمود الدين وعمود البيت فعلا .. كان لا يتهاون مع الأولاد في الصلاة .. وكذلك البنات .. وأمهم كذلك إنها معلمة متقاعدة ومربية محترمة .

صلى الزوجان المغرب جماعة بعد مغادرة ضيوفهم ، وأخذوا يستعدون لصلاة العشاء الذي أزف ونهضت زهيرة للوضوء ، ولما انتهى المؤذن من آذانه آخذا بالصلاة معا مرة أخرى ، ثم غيرت الفتاة ملابسها ولبست ملابس الخروج ، ولبس سامر بذلته أو جاكيت البذلة حيث كان لابسا بنطال البذلة أثناء استقبال الزوار وقبل أن يفتح سامر الباب للخروج ، وقد تفقد مفاتيح سيارته قال وهو ينظر لثياب زهيرة : لماذا لا تلبسين الجلباب الشائع لدى الفتيات المتدينات اليوم ؟

ضحكت وقالت : لبسته مرة ، ولم ارتح للمشي والخروج فيه .. وهذه ملابس شرعية ، فالثياب الطويلة والساترة للجسم هي ثياب شرعية كما سألت عنها بعض الفاضلات ، فهي واسعة ولونها

سادة يا سيدي ، وتعجبني العباءة الخليجية ولكنها غير شائعة في بلادنا كما ترى .. القليلات من يفعلن ذلك ، ربما تعودن عليها هناك أثناء حياتهن في السعودية أو الكويت .. هيا واعلم أن هذه الثياب افصلها تفصيلا حتى تكون واسعة وغير ضاغطة على البدن .. فأنا ممتلئة البدن كما ترى ، وأراعي شروط اللباس الإسلامي قدر الإمكان .

ابتسم لها وقال : جميل ! إذن أنت مثقفة دينيا.

ضحكت وقالت وهما يغلقان باب الشقة ليهبطا الدرج : الحقيقة لا .. لكن أقرأ واتصل بالهاتف مع بعض المثقفات والناشطات دينيا .. قراءة سريعة وعسى أن يتيسر لي التوسع في الثقافة الإسلامية .. وقد لمست أنا ثقافتك الدينية والعلمية صباح اليوم خاصة عندما تحدثت عن مساوئ الخمر ، وأسباب الانحراف، وذكرك المزاعم التي تلصق بالخمر تدل على اطلاع جيد .

ـ لا أعتبر نفسي متدينا كالشباب الملتزم .. كان معي في الجامعة في مصر فريق من الشباب المتحمس دينيا والملتزم بمعنى الكلمة .. التيارات الإسلامية في الجامعات العربية تيارات قوية ونشاطهم دائم ومستمر .. فأتيح لي الجلوس معهم ومجاورتهم وسماع مناظراتهم .. وطلبة الطب يملكون الكثير من الثقافة الفكرية الإسلامية .. ثقافة ممتازة فاستفدت منهم ، واضطررت للقراءة لمعرفة أفكار الجهاديين وغيرهم .. فنشاطهم قوي رغم كثرة رجال المباحث والمخابرات في الجامعة .

وصلا الشارع الذي يمر من أمام العمارة وهو شارع فرعي ، وكانت تقف في موقف العمارة سيارة كل من سامر وزهيرة من قبل يوم العرس ، وقفت زهيرة على رصيف العمارة ريثما يخرج سامر سيارته من موقفها الخاص بجوار العمارة حيث يوجد لكل شقة موقفا للسيارات ولما ركبت زهيرة بجانبه انطلقت بهما السيارة للعشاء في أحد المطاعم المعروفة لسامر ، ولما تجولا في الحي والمنطقة عدة جولات خرجا للشارع العام حيث الأماكن السياحية من المقاهي والنوادي والمطاعم ، فدخلا أحدها وفي قسم العائلات وجدا مائدة فارغة ، فجلسا إليها ، وقدم لهما الطعام الذي طلباه ، وبعد تناولهما ما قدم لهما من أكل وشراب غادرا المطعم مسرورين ، ويغمرها الفرح والشبع، فلما جلسا في السيارة قال سامر : الآن إلى المنتزه نجلس فيه ساعة ما دمت تحبين الجلوس في الحدائق العامة

ـ شكرا لك ، وهذا لطف منك يا سامر

وانطلق إلى الحديقة الوطنية وهي من الحدائق الواسعة في المدينة ، وركن السيارة قرب الحديقة وزلفا للحديقة ، وبعد مشي استغرق عدة دقائق وجدا مقعدا خاليا ، فجلسا يستريحان عليه، وذهب سامر بعد قليل واشترى لبا ومرطبات

وبعض الترمس اللؤلؤ الأصفر وأخذا يقزقزان ويشربان ويتسامران ويعلقان ، ولما انتهيا قال سامر مداعبا لزهيرة وهو يقف : أرجو أن تكوني قد نسيت بعد هذه الجولة تلفون الصباح .

ـ أحاول أن أنسى .. إنه هاتف مزعج ومخيف ، احتاج لأيام حتى أنسى .. عندما تشاجرنا مرة وأعلنت رفضي الصريح له هددني ، فظللت أشهرا حتى نسيت تلك الدقائق المرعبة في حياتي .. يومها أحسست باليتم والضعف ؛ لأن أخوالي رغم حبهم لي لا يستطيعون التدخل بشكل جاد فأولئك أعمامي .. خاصة أن المشكلة مع عمي وابنه .. عمي الولي شرعا عليّ كما قيل .. وحمدت ربي كثيرا أن أبي لم يجعله وصيا عليّ وعلى ميراثي .. كنت أتخيل لو كان هو الوصي عليّ ما تعلمت لأخرجني من المدرسة صغيرة بحجة لماذا تتعلم المرأة وهي مصيرها الزواج والخلفة يعني الإنجاب .. وقلت ولربما لو طلبت مالا لعمل لي قصة وحكاية

فعلق سامر متأملا وهما يغادران المكان : رحم الله أباك كان يعرف أخاه الكبير معرفة جيدة ، يعرفه حق المعرفة .. والغريب أنه اختار الدكتور ماهر طه

ـ هم أصدقاء من أيام الجامعة ، وظلت العلاقات متصلة رغم هجرة والدي للعمل في الخارج

لقد كان حفل زواج زهيرة حفلا بهيجا لحاضريه ، ولم يكن حفلا إسلاميا إذا صح التعبير بذلك لقد تخلله موسيقى حديثة ، واختلاط نساء ورجال أو كل عائلة على مائدة خاصة بهم ، ولقد كان الحفل يوم الجمعة ليلة السبت ، وذكرنا أن ميلاد عادل اتصل مع صلاة الفجر مهددا ومتوعدا للزوجين ، هو لم يذهب للحفل كباقي أفراد الأسرة مشاركا مباركا ، بل نهاه والده عن الذهاب إلى الحفلة خشية أن يرتكب حماقة كبيرة أمام الحاضرين والمدعوين من العائلات والأسر الأخرى .

وكان الشاب بعد الخطبة بزمن يسير قد تصالح مع العائلة بشفاعة حميد نبيل شريكه في المحل ، ولكنه لم يهجر السكر والخنا ، وكان يتحاشى أن يعود للبيت والسكر غالب عليه ، فكان يقضي فترة سكره عند رفاق السوء والعصبة التي ترافق معها أو في المقاهي والشوارع ، ويتسلل للبيت تسللا آخر الليل أو عند نصفه .. فقد خصصت له حجرة في البيت الكبير منذ عهد ، فالعمارة تتكون من عدة طوابق أنشاها الوالد وبعض الأخوة الكبار لميلاد .. فكان الطابق الأول أو الأرضي لعادل وزوجتيه أم ميلاد وضرتها ، وهو يتبادل المبيت بينهنّ حسب أوامر الدين والقسمة بين الزوجات، وكل أبنائه من زوجته الأولى تزوجوا ، ولم يبق إلا السيد ميلاد في البيت بغير زواج وأبناء السيد من المرأة الأخرى

كان يتسلل للبيت بعد منتصف الليل كاللصوص، أحيانا يلتقي بأمه ، وأكثر الليالي لا يلتقي بأحد ؛ لأنه يأكل الغداء والعشاء في العمل والشغل .

لم يذهب السيد للحفل مع الأسرة ، فذهب للخمارة وقضى شهوته من الشراب المحرم ، وقد رافقه أحد أفراد شلته الفاسدة ، وجلسا بعد تعاطيهم الخمر في أحد المقاهي التي يرتادها الناس للعب أوراق اللعب التي تسمى الشدة ، ثم تعشى في مطعم قريب بجوار المقهى ، وهو لم يأكل سوى لقيمات ، وغادر ورفيقه بسيارة أجرة يعرف صاحبها ، أخذه إلى صالة العرس عرس زهيرة ، ووقفا في مكان يريان منه الصالة ، وربما سمعا صوت الموسيقى والحفل الذي أقامه العريس ووالده ماجد ، وكان يرى الداخلين والخارجين من الحفل الذي كان يحلم أن يكون حفله ، وشاهد الناس وهي تخرج جماعات وأفرادا في نهاية الحفل ، وشاهد سيارة العروس المزينة بالورود والأزهار والزينة ، ورأى كيف خرج العرسان على أصوات الموسيقى والطبول الصغيرة والدفوف ؟ وفرقة غناء تزف العروسين ، فكان يقول لصاحب السيارة : كان يجب أن يكون هذا الحفل لي ، لولا غدر النساء .. آه ما أغدرهن! .. عمرك أن تُؤمن لامرأة .. تنتظر سنينا ثم تأخذ غيرك .. هذا ما فعلته ابنة عمي .. اصبر .. اصبر حتى أنتهي من التوجيهي اصبر حتى أنتهي من الجامعة .. وقبل أن تنهي الجامعة وجدت فارسا جديدا سترى وتسمع ماذا سأفعل بها ؟

وظل يراقب المكان حتى تحركت سيارة العروس ، وأخذ الناس بالتلاشي رويدا رويدا فقال للسائق : اتبعهم ، وتبعهم حتى وصلوا العمارة التي يسكنها الزوجان ، ونزل من السيارة وتمشى أمام العمارة عدة أشواط على قدميه حتى تحدث معه البواب وسأله عن سبب تمشيه في هذا الوقت من الليل ، فابتعد من غير أن يرد بكلمة ، ثم عاد للحانة برفقة سائقه وصاحبه ، وجلس يعاقر الخمر بعد انصراف صاحبه والسائق الذي أخذ منه عددا من الدنانير ، وأخذت الخيالات السوداء تتأرجح في رأسه ويقول لنفسه تحسرا وألما أصبح لك زوج يا زهيرة .. يا خائنة !.. غدرت بحبي الكبير لك !.. لم أستطع فعل شيء .. أنا جبان .. جبان وصرخ بها فسمعه الخمار ومن يجلس في المكان فالتفتوا إليه فقال له الخمار : إيه يا معلم من تخاطب ؟!

فصاح : أخاطب نفسي يا معلم ...

وعاد يردد لنفسه ضيعت عمري وراء السراب .. لقد حلمت بك كثيرا يا زهيرة بين ذراعي حلمت بك زوجة وحبيبة .. لماذا غدرت بي ؟! .. ها هو قد اختطفك مني ..الحبيب الجديد

وغادر الحانة مع الفجر ، ولكنه قبل المغادرة اتصل بشقة زهيرة متوعدا ، وكان قد حصل على الرقم بواسطة رفيق له زعم للبواب أنه يرغب باستئجار شقة ، فأخذ رقم البواب ، فاتصل بالبواب طالبا رقم تلفون الشقة التي نزل بها الدكتور سامر زاعما أنه يتعالج عنده ، ويريد أن يسأله سؤالا طبيا ، فذكر البواب الرقم الخاص بالشقة ، وذكر له عند الاتصال أن الطبيب في حفل زواجه.

رجع ميلاد للبيت وهو سكران ، وتسلل لحجرته وطرح نفسه على سريره ، وهو في غاية التعب والألم والحسرة ، ولم يذهب للعمل يومها كما حصل له ليلة الخطبة منذ أسابيع مضت ، ولما انتصف النهار تحدث حميد مع بيت عمه سائلا عن شريكه ، وقد أدرك أن الرجل قضى ليلة سوداء في الحانات والمقاهي ، فدخلت أمه حجرته موقظة له ، وهي تتمتم الله يسامحك يا زهيرة فرطت في ابن عمك .. كان يجب أن تكون ليلتك يا ولدي

ولما أخذت بإيقاظه ثرثرت قائلة : يا الهي عفوك ورضاك ! اللهم اهده وتب عليه .. رائحة الخمر تملأ الحجرة .. حتى سكر مثل السكارى لا يعرف يسكر

وكان يسمعها بتثاقل فتابعت بضيق ألا تفكر بترك الشيطان والمنكر يا ولد ؟

جلس على حافة السرير وأشعل سيجارة وقال :

ألا لعنة الله على النساء !

قالت أمه : حرام عليك .. فالنساء أمك وأختك وعمتك وخالتك

فقطع عليها قائلا : رأيت زهيرة تزف لرجل غيري .. اليوم أصبحت امرأة لغيري .. ذهبت بكارتها .

ـ من زمان قلنا لك انسَ وقلنا انتهينا من ابنة هناء .. انتبه لحالك .. ها هو حميد لديه ثلاثة أطفال وامرأته حامل في الرابع .. وها هو يسأل عنك لو لا هاتفه لظننّا أنك في الورشة

فصاح ناقما : أنتم السبب في تعلقي بها .. زهيرة لك .. أول ما تكبر سنطلبها لك .. زهيرة لك حتى صدقت ذلك

ـ كلام فارغ .. كل شيء قسمة ونصيب .. ناس تخطب وتكتب العقد ثم يحكم النصيب والقدر فيفترقان .. نحن كان لنا رغبة بأن تتزوجها ؛ ولكنها رفضت الزواج .. وكان عليك أن تبحث عن غيرها .. وبعد سنين كررت الرفض وأنت المصر على الزواج منها



خرج للحمام واغتسل بالماء البارد كعادته رغم فصل الشتاء ، ثم اتصل بحميد واعتذر عن الشغل والدوام ، ودخل المطبخ وأكل ما وجد من طعام في

البراد (الثلاجة تسمى في بلادنا) ، وشرب قهوة صنعتها له أمه ، وعاد لحجرته لينام ويخطط ويدبر كيف ينتقم ؟

عبث

رن هاتف الشقة عند فجر يوم الأحد ، فتطلع الشابان بعيون بعضهم ، وابتسم سامر لها وهمس : إزعاج ثاني ؟!

فقالت وهي متأكدة من الإجابة : أتظن أنه هو ؟ عبث صبيان .

رفع السماعة وقال نعم فسمع صوت لعن وسب فأغلق السماعة وقال : لابد أنه هو .

ـ ماذا قال ؟

ـ لعن وشتم وكأنه بصق على التلفون

فصاحت بتوتر : يا له من حقير!

ـ لا تهتمي ولا تكترثي عندما نرحل سينتهي من حياتنا .. هل صليت الفجر ؟

ـ نعم ، ولي رغبة بالنوم ، فسيأتي بعض الأقارب كخالاتي أو بعضهن للمباركة والتهنئة .

ـ يا أهلا بالجميع .. وقد تمر أيضا بعض أخواتي كما أشارت أمي أمس .. سأتصل بالمطعم ليرسل لنا الطعام حسب الاتفاق بيني وبينهم .. وسأوصي على الحلوى الكنافة .. وقد أنزل لشراء علب العصير والمثلجات .

ـ روجا ستأتي هذا النهار لتقوم على خدمة الضيوف ..

وغمر الصمت المكان حتى قالت : أليس هناك فكرة للخلاص من إزعاج هذا الشرير ؟.. أخشى أن يستلمنا طول المدة

ضحك سامر : تصرفات صبيانية .. ونحن بحاجة لبقاء التلفون .. الطفل عندما يفقد لعبة يبدأ بالمشاكسة لاسترداد اللعبة .. فالشاب الذي أقنع نفسه كل هذه السنوات بأن يتزوج منك يتصرف في رأيي مثل ذاك الطفل الغرير .. هو مجرد تشويش .. هداه الله صدقا من قلبي .. أراك ناعسة فعودي للنوم .. سأقرأ بعض الصفحات من كتاب الله العظيم ، لي أيام لم أقرأ منه ما تعودت على قراءته

قالت وهي تنهض : أتحب أن أعمل لك القهوة ؟ أو نسكافيه ؟

ـ شكرا ، لما تستيقظي نشربها سوية

دخلت غرفة النوم لعلها تنام ، وأخذ سامر يقرأ القرآن الكريم بصوت مسموع وإن لم يكن عاليا فرن الهاتف من جديد فلم يرد عليه وتجاهله ..

وخرجت زهيرة تقول : إنه يرن .

فنظر إليها باسما وقال : دعيه يرن .. فالإهمال أحيانا يكون دواء ناجعا

ـ قد لا يكون الشرير !

ـ ليس مهما .. فليس من المعتاد الاتصال بي باكرا إلا لأمر ضروري ومهم

ـ حسنا ، سأذهب للمطبخ ، لقد طار النوم .. قهوة أم نسكافيه ؟

ـ قهوة لننشط أعصابنا بعد هذا التوتر

بعد دقائق عادت بالقهوة والفناجين ، ولما جلست أخذت تملأها بالقهوة وتقول : ما زلت خائفة من جنونه يا سامر !

ـ إنه لن يفعل شيئا .. فنحن نعرف بعضنا أكثر من شهرين.. هو من سني

ـ تقريبا عمره حوالي ست وعشرون سنة

ـ ولم يتزوج بعد ؟

ضحكت وقالت : يتزوج كيف؟! وهو كان يأمل بالاقتران بي

ـ أضاع الكثير من سنوات العمر في الوهم ؟

وصل ميلاد مكان العمل متأخرا ، وكان غاضبا ومتوترا لفشله بإسماع صوته لزهيرة ، فلما سلم على حميد وسماحة العامل الصغير معهم ، وكان هناك زبون يصلحون سيارته يقف مع حميد ، وكان حميد ساخطا على تأخره ؛ لذلك ما أن سمع ميلاد يقول معذرة يا حميد على تأخري .. تعرف ما أنا فيه من هم وغم حتى ثار حميد وقال بحدة ظاهرة للسامعين : أنت ضيعت نفسك يا ابن عمي .. أنت أوهمت نفسك بما تسمونه الحب .. حب من طرف واحد ، هل هذا حب؟! ها هي قد تزوجت المحبوبة ، وستسافر خلال أيام أو أسابيع ، وننتهي من زهيرة وحكايات زهيرة .. فعليك أن تهتم بصحتك ونفسك ، وتهتم بعملك يا عم ميلاد

فصاح ميلاد بعد صفون : محاضرة على الصبح يا حميد

ـ يا رجل أي صبح ؟! قربت الشمس تغرب ..وثانيا لم تعد المحاضرات تجدي، ولم تعد تنفع مع حضرتك .. إنك تهمل كثيرا العمل وتنصرف مبكرا

فصاح ميلاد : أتريد أن تفك الشركة ؟

ـ إذا استمر هذا الحال فستنفك الشركة .. ذلك أفضل .. المحل يعيش على السمعة الحسنة يا معلم .. سمعتك تسوء في (الكراجات).. وهذا يؤثر على العمل هنا

فصرخ ميلاد غضبا : خلاص سنفرط الشراكة التي تؤثر على العمل .. أنت منذ زمن تسعى للانسحاب .

ضحك حميد سخرية وقال : لماذا أنسحب ؟! .. أنا أعطيك حصتك ، وابحث لك عن مكان آخر .. أنت لم تعد ميلاد الذي شاركته الرزقة والعيشة .. قل لي منذ شهر .. منذ خطبت زهيرة ماذا فعلت؟ ماذا اشتغلت ؟ بل من قبل ذلك .. تفك برغي أو برغيين.. تعال يا معلم سماحة كمل الشغل ـ ورمى بعصبية (زردية) على الأرض ـ وأخطاء

كثيرة حصلت وأنت تصلح يا معلم ميلاد .. كم شخص شكى منك ؟

ـ ألا تريد أن تتركني في حالي حتى تهدأ نفسك ؟

ـ يا رجل .. البنت ربك ستر عليها ، وتزوجت طبيبا وهي ستصير طبيبة مثله .. ووالده وأسرته أغلبها أطباء .. أنا سأمهلك أسبوعا واحدا لتعود إلى ميلاد الذي عرفته وشاركته الورشة .. دعك من الخمر والزنا .. أنا صابر عليك .. فالإشاعات الدنيئة تحوم حولي من وراءك .. وكل أعمامك وأقاربك يعرفون سيرتك السيئة ، وإنك تقضي آخر يومك في الخمارات والملاهي

صاح ميلاد في الولد الذي كان يسمع العراك الكلامي بين صاحبي المصلحة : اذهب يا ولد واعمل قهوة.

وكان خلال هذه المشاجرة الكلامية يدخن سيجارة تلو سيجارة ، فحجته للدفاع عن نفسه أمام

حميد ضعيفة ، فقال في النهاية مستسلما : أمهلني بضعة أيام يا معلم حميد لعلي أعود لنفسي ، لم أكن أرى ابنة عمي إلا زوجة لي .. كنت مجنونا .. كنت غبيا

ـ سأتحملك أسبوعا واحدا ؛ فإذا لم يتحسن وضعك في العمل والدوام فليس لنا إلا الفراق ، وأنا تحدثت مع والدك بهذا الأمر فقال افعل ما تراه مناسبا ، فلم يعد ميلاد الابن الذي نفتخر به أوقف حياته على وهم ، على امرأة رفضته وهي طفلة .. يزعم أنه محب لها ولهان بها

ـ أبي قال كل هذا ؟

ـ أبوك .. وكل الناس .. أنت لا تصحا إلا ساعة من الزمن عندما تأتي إلى هنا لتدور وتلف بين السيارات والمحلات ، ثم يأتيك الفرسان .. يا حميد سامحني إني تعبان سأذهب مع الرفاق

ـ قلبك حامل عليّ

ـ قلبي ليس حاملا عليك .. هذا عمل وشغل يا ميلاد لا أنا أعتمد عليك ، ولا أنت تعتمد عليّ .. العمل يحتاج لجهد ونصب ووعي

ـ حسنا ، أسبوع واحد ، وإما أن نستمر سوية ، وإما نتفاهم على قسم المصلحة

جاءت القهوة وسكبت في الأكواب وقدمت للجميع وقال حميد : عليّ أن أصبر أسبوعا يا ابن عمي الذي كان الأخ والصديق .. إننا أناس نعيش على سمعتنا يا رجل .. البنت تزوجت فعليك أن تعود لعقلك ، وتتزوج وتترك الفواحش والخمور وحتى الدخان

قضت زهيرة وزوجها سامر أياما في المشاركة في تلبية دعوات غداء أو عشاء عند أشقاء وشقيقات سامر ، ودعتها أمها للغداء في بيت جدتها أم فوزي ، ووالد سمر زميلتها في الجامعة ابن شقيق

أمها دعاها كذلك لوليمة صغيرة ، وأخوالها فعلوا ذلك ، واعتذرت عن جميع دعوات أعمامها لضيق الوقت ، وهذا من التقاليد الاجتماعية دعوة العرسان لتناول الطعام عند المقربين من الأخوة والأخوات .

وذات ليلة وهم راجعون من تلك السهرات ، وقد دخلوا الشارع المؤدي لعمارتهم اندفعت نحوهم سيارة مسرعة صدمت الجهة التي تجلس فيها زهيرة ، وظلت مستمرة في سيرها ومبتعدة عنهم ، وكان سامر لمح في اللحظة الأخيرة اندفاع السيارة نحوهم فأبعدها ناحية الرصيف ، فخفف من صدمها للباب الأمامي حيث زهيرة تجلس ،ومتقدما للأمام فجاءت الضربة في الباب الخلفي أكثر من الأمامي ، وأوقف السيارة ، ولكن السيارة المتهورة قد اختفت لم تتوقف والشارع عادة قليل السيارات لأنه شارع جانبي أمام العمارات ، وليس بشارع عام ورئيسي ، وسامر كان على يسار الشارع ليتوقف أمام رصيف مدخل العمارة ، فتوقفت سيارة كانت خلف سامر ، ونزل سائقها يقول لسامر الذي خرج من سيارته بدوره : الحمد لله على السلامة .. هل حدث ضرر ؟ يبدو أنه متعاطي أو سكران .. فكانت سرعته في هذا الشارع سريعة مثل الصاروخ .

قبل أن يرد سامر على الرجل فتح الباب من جهة زهيرة ، ورغم تعرضه للصدم فقد فتح وقال لها : الحمد لله على السلامة .

بالطبع كان الرعب والخوف يغمرانها وظاهران على وجهها ، والصفار واضح على نور الأعمدة الكهربائية المتوفرة في الشارع ، ثم استدار سامر للرجل وقال : الحمد لله ، لم تصب المرأة بشيء إنما جاءت الضربة في الحديد .

ـ هل تحتاج لمساعدة ؟

ـ شكرا .. البيت هنا . وأشار للعمارة التي يسكنان فيها ، وعاد للسيارة بعد أن أغلق باب زهيرة الصامتة وقال : سائق طائش سكير على رأي الرجل .. الحمد لله على السلامة يا عزيزتي !

وشغل المحرك وتقدم نحو عمارتهم ، وكان البواب يقف على الرصيف أمام العمارة ؛ وكأنه خرج من شقته على صوت الضربة ، ولما رأى سامرا قال : هو أنت .. هو الحادث معك .. الحمد لله على السلامة يا دكتور سامر

ـ شكرا يا عم مخلد .. شباب طائش

ـ له أكثر من مرة يدور في هذا الشارع .. يذهب ويأتي .. مشعوط .. الحمد لله على السلامة يا مدام

وكانت تنزل من السيارة وهي مصدومة مذهولة ، فهزت رأسها للبواب ، وكانت ترتجف رعبا وأدرك سامر ذلك فقال وهو يمسك بيدها : هل أذهب بك للمستشفى ؟

هزت رأسها بلا فتابع : نطمئن يا زهيرة
وقال البواب : ألا تريد إدخال السيارة للموقف ؟
التفت إليه وقال : فلتبق في الشارع للغد .. شكرا يا عم مخلد
ودخلا العمارة حيث المصعد وما زالت ترتعب وممتقعة الوجه ، ولما غادرا المصعد قالت : أهو شاب طائش أم ... ؟
ـ أم ميلاد ؟!
ـ حسب معلوماتي أنه لا يملك سيارة .. من أين سيجمع ثمن سيارة ؟ من سيسمح له بسيارته ليرتكب بها جريمة ؟ أو يصدمها ؟
ـ قد يأخذ سيارة من مكان التصليح يستخدمها ، ويزعم لصاحبها أنه خرج بمشوار خاص لشراء قطعة .. وشباب الكراجات والمحطات يفعلون ذلك .
وبعد صمت عاد يقول : أعتقد أنه شاب طائش سكران ، كما قال ذلك الرجل الذي شاهد الحادث
فقالت : وقول البواب إن له فترة يدور في الشارع
ـ ومن أعلمه عن ساعة عودتنا للتربص بنا أو أننا في الخارج
ـ الشيطان !
ضحك سامر رغم الألم والحزن المرتسمين على وجه زوجته ، وكانا قد انتهيا من تغيير ثيابهما : الشيطان .. على كل حال الحمد لله على سلامتك .. وإذا لك رغبة بالذهاب للمستشفى فهيا بنا واعلمي أن مجمعا طبيا قريب من هنا بعد أربع شوارع
ـ سأبلع حبة أسبرين أو اثنتين وينتهي الأمر .. الضربة أصابت السيارة .. إنما أصابني الرعب والخوف .. أرجو أن لا يكون هذا العمل من فعل المجنون .
ـ لم أتمكن من أخذ رقم السيارة للمفاجأة .. اندفع جهتنا بسرعة ، وضرب الباب وتابع اندفاعه اللعين .. وإذا فعلها ميلاد فلسوف يتبجح بفعلته أمام الآخرين وسينتشر الخبر .



لقد كان من عادة الزوجين منذ سكنا هذه الشقة أن لا يخرجا من البيت إلا بعد الظهر ، فيذهبان للمشاركة في غداء دعو إليه ، وإن لم يخرجا تأتي سيارة المطعم إليهم ، والعشاء إذا لم تكن لديهم دعوة إليه يخرجان للعشاء في أحد المطاعم ، ويتجولان في شوارع المدينة ساعة أو أكثر ، ثم يعودون للسهر في الشقة ، وقد جلبوا معهم المكسرات والعصير والفواكه الطيبة ، لم يبق الكثير لانتهاء الشهر ، وقد ابتاعوا التذاكر للسفر ،

وأعدت الحقائب ، وقد أثار الحادث الأخير الرعب والقلق في نفسيهما ، وإن حاول الطبيب نسيان العمد في الحادث ، لذلك لما بزغ الفجر وصليا الصبح قالت بقلق بين: لا زلت أعتقد أن هذا الحادث من فعل ذاك الأحمق ، وأنه قد فقد صوابه

فقال بعد صمت : ألست أخبرتيني أو تحدثت أمامي أن له شريكا في المحل ؟ وهو الآخر ابن عم لك .. فتحدثي معه عن تصليح السيارة ، وأنها تعرضت لحادث .. ومن خلال الحديث اسأليه عن أخبار ميلاد .. هل تزوج ؟ وهل ترك السكر والخمر ؟

ـ سأتحدث مع أمه أم سالم أولا ، فهي صديقة لأمي منذ تزوج أبي أمي ..

ـ نعم ، لابد أن تطمئني من ناحيته ؛ لأنك تعيشين في خوف واضح من نبرات صوتك ووجهك المصفر منذ الليل .. وفي النهاية ما هي إلا أيام ، ونغادر هذه المدينة .. أقل من أسبوع فالتذاكر قد جهزت كما أعلمتني أختي مريم .. ولسوف نسافر أوروبا ، ومنها إلى نيويورك الأمريكية ، ومنها لكندا .. هي جولة قصيرة في الغرب ، فالرحلة لن تكون مباشرة إلى أوتاوا ومريم كما تعلمين طبيبة تعمل في المطار الدولي للبلد .

ـ أعلم ، وهي أخت كريمة .. وفقها الله

اتصلت زهيرة عند الظهر بامرأة عمها أم حميد ، وسألتها عن موقع مشغل تصليح حميد ابنها لتصليح سيارة زوجها التي تعرضت لحادث صدم ليلة أمس ، فذكرت لها المرأة المكان ، وسألتها عن حميد وميلاد خلال الكلام ، فأخبرتها امرأة عمها أن ميلادا انفصل عن حميد ، وفتح محلا خاصا به ، وعقبت المرأة : أنت تعرفين ابن عمك ميلاد ، فقد انحرف عن الخط المستقيم ، وصار سكيرا وفاسقا ، فمنذ أسبوع أو أكثر ترك العمل مع ميلاد ، دفع له أبو محمد مبلغا من المال ، ورحل الرجل لمكان آخر ؛ ولكن في نفس المنطقة والشارع .. سأعطيك رقم محل حميد وتتصلين به .

ثم تبادلا الحديث حول الصحة والحياة الزوجية والسفر ، وأغلقت زهيرة السماعة ، وأخذت تمسح العرق عن وجهها فقد طال الحوار .. وكان سامر الذي يتابع الحديث ينتظر أن تتكلم ، ورأى الجهد الذي بذلته مع امرأة عمها ، فلما رآها متعبة ضحك وقال : إنك متعبة يا زهيرة .. سأتحدث مع طبيب نفسي لنذهب لمقابلته الليلة أو عصرا .

ضحكت هي الأخرى وقالت : طبيب نفسي ؟!

ـ طبيبة !!

ـ أيام ونسافر .. فميلاد هذا قد انفصل عن حميد منذ عهد قريب

فقال : إذن لن نستفيد من حميد حول الحادث

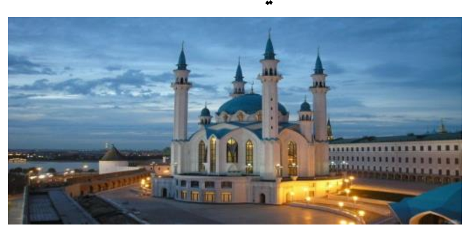
الغادر .. ولو شكونا للشرطة قد يكون بريئا ، ولا يد له في هذا العنف القاتل .. هذه محاولة شروع في القتل يا زهيرة

ـ ما العمل ؟

فقال بعد تفكير يسير : ننسى الأمر .. وسنستخدم سيارتك هذه الأيام الباقية .. ولما نسافر سأطلب من شقيقي أن يصلحها ويبيعها، ويحول لي ثمنها إلى حساب سنفتحه في أحد بنوك كندا .. سيكون لك حساب خاص بك وآخر لي .. وسيارتك ما مصيرها ؟

ـ طلبت من أمي أن تتخلص من سيارتها، وسأعطيها لأمي إن شاء الله ..

طلبت مني بيعها والاستفادة من مالها .. فقلت لتبق ذكرى بيننا يا أمي فقبلت .



واعتبر القوم الحادث عرضيا ، وانتهوا من التفكير بالجاني والفاعل ، ومضت الأيام الباقية دون حوادث تذكر ، وتم تسليم الشقة عصرا ، وجاءت سيارة لأحد أشقاء سامر ، ونقلتهم للمطار الدولي .. وفي منتصف الليل غادرت الطائرة الأمريكية إلى لندن .

هالي فاكس

نزلت الطائرة في مطار أوتاوا الكندي حيث العاصمة الفدرالية للدولة الكندية بعد رحلتها من مطار جون اف كنيدي بمدينة نيويورك على الساحل الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية ، وطلبا من السائق الذي ركبا معه بعد إنهاء إجراءات الخروج أن يذهب بهم إلى فندق في وسط المدينة وفي مركزها الرئيسي ، فعليهم البقاء في العاصمة لإجراء بعض المعاملات والحصول على بعض الأوراق قبل الانتقال لمقاطعة نوفا سكوشا حيث مدينة هاليفاكس عاصمة تلك المقاطعة ؛ لتلتحق بجامعتها دالهاوسي .

ويحيط بكندا ثلاثة محيطات الأطلسي من الشرق ، والهادي من الغرب، والقطب الشمالي من الشمال .

وهي ملكية دستورية

اتحادية وفدرالية وديمقراطية تمثيلية ، تابعة للتاج البريطاني اسميا ، كندا تتألف من عشر

مقاطعات وثلاثة أقاليم ، تقع في القسم الشمالي من القارة الأمريكية ، وهي البلد الثاني عالمياً من حيث المساحة الكلية بعد روسيا ، كما أن حدود كندا المشتركة مع الولايات المتحدة من الجنوب والشمال الغربي هي الأطول في العالم.

أراضي كندا مأهولة منذ آلاف السنين من قبل مجموعات مختلفة من السكان الأصليين الأسكيمو ، وبمن سموا بالهنود الحمر ، مع حلول آواخر

القرن الخامس عشر بدأت الحملات البريطانية والفرنسية استكشاف المنطقة ، ومن ثم استوطنتها على طول ساحل المحيط الأطلسي

تنازلت فرنسا عن جميع مستعمراتها في أمريكا الشمالية في عام ١٧٦٣ بعد حرب ما يسمى السنوات السبع ، وكونت المستعمرات البريطانية اتحادا ، وفي عام ١٨٦٧، اتحدت معها ثلاثة مستعمرات فرنسية ، وعبر كونفدرالية تشكلت كندا باعتبارها كيانًا فدراليًا ذا سيادة يضم أربع مقاطعات ، بعد ذلك اتسعت مساحة كندا ، وتوسع حكمها الذاتي عن المملكة المتحدة ، تجلت هذه الاستقلالية من خلال تشريع وستمنستر عام ١٩٣١ ، وبلغت ذروتها في صورة قانون كندا عام ١٩٨٢ والذي قطع الاعتماد القانوني لكندا على البرلمان البريطاني .

ذكرنا أن كندا دولة فيدرالية يحكمها نظام ديمقراطي تمثيلي وملكية دستورية حيث الملكة إليزابيث الثانية قائدة للدولة ، واعلم أن الأمة الكندية أمة ثنائية اللغة حيث الإنكليزية والفرنسية لغتان رسميتان على المستوى الاتحادي.

تعد كندا واحدة من أكثر دول العالم تطوراً وحداثة ، حيث تمتلك اقتصاداً متنوعاً ، وتعتمد على مواردها الطبيعية الوفيرة، وعلى التجارة وبخاصة مع الولايات المتحدة اللتان تربطهما علاقة طويلة ومعقدة وحدود طويلة .

كندا على مستوى العالم عضو في مجموعة الدول الصناعية السبع ، ومجموعة الثماني ، ومجموعة العشرين ، وحلف شمال الأطلسي، ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية ، ومنظمة التجارة العالمية ، ودول الكومنولث ، والفرنكوفونية ، ومنظمة الدول الأمريكية، والايبك ، والأمم المتحدة . تمتلك كندا واحداً من أعلى مستويات المعيشة في العالم حيث مؤشر التنمية البشرية يضعها في المرتبة الثامنة عالمياً .



تعود كلمة كندا في الأصل إلى كنتا ، وهي كلمة ترجع إلى لغة الإيروكواس في سانت لورانس وتعني قرية أو مستوطنة ، في عام ١٥٣٥ استخدم السكان الأصليون لمنطقة مدينة كيبك الحالية هذه الكلمة لإرشاد المستكشف الفرنسي جاك كارتييه إلى قرية ستادا كونا ، ثم استخدم كارتييه فيما بعد كلمة كندا ليس للإشارة لتلك القرية بعينها فقط ، بل ولكامل المنطقة التي تقع تحت حكم الزعيم دونا كونا (زعيم قرية ستادا كونا).

في القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر، أطلق الاسم كندا على شطر من فرنسا الجديدة والذي يقع بمحاذاة نهر سانت لورانس وعلى السواحل الشمالية للبحيرات العظمى . ومع تشكيل الاتحاد الكونفدرالي عام ١٨٦٧، تم إطلاق الاسم كندا اسماً رسمياً للدولة الجديدة ، وكما ذكرنا آنفا أن كندا عبارة عن اتحاد يتألف من عشر مقاطعات وثلاثة أقاليم ، يمكنك توزيع تلك إلى مناطق: كندا الغربية وكندا الوسطى وكندا الأطلسي وكندا الشمالية .

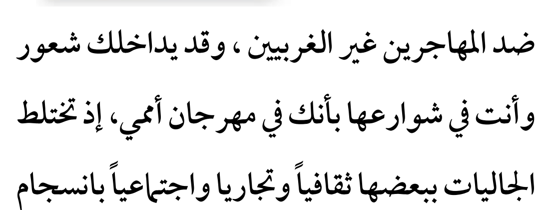
تمتلك المقاطعات الكندية حكماً ذاتياً أوسع من الأقاليم ، تعتبر المقاطعات المسؤولة عن معظم برامج كندا الاجتماعية (مثل الرعاية الصحية والتعليم والرعاية الاجتماعية) ، وتجمع سوية إيرادات أكثر من الحكومة الاتحادية ، وهي بنية فريدة من نوعها تقريباً بين الاتحادات في العالم ، تستطيع الحكومة الاتحادية عبر سلطة إنفاقها البدء بسياسات وطنية في مجالات المقاطعات مثل قانون الصحة الكندي ، يمكن للمقاطعات الخروج من تلك الالتزامات ؛ ولكنها نادراً ما تفعل ذلك في الواقع العملي ، تدفع الحكومة الاتحادية مدفوعات موازنة لضمان الاحتفاظ بمعايير موحدة معقولة من الخدمات والضرائب بين المقاطعات الغنية والفقيرة.

يختلف متوسط درجات الحرارة في فصلي الشتاء والصيف حسب الموقع ، فكندا مساحة واسعة يمكن أن يكون الشتاء قاسياً في كثير من مناطق البلاد ، ولا سيما في المقاطعات الداخلية والسهلية ، والتي تواجه المناخ القاري ، حيث متوسط درجات الحرارة اليومية بالقرب من {- ١٥ } درجة مئوية ؛ ولكنها قد تنخفض إلى أقل من {-٤٠} درجة مئوية بوجود الرياح المتجمدة الشديدة ، في المناطق غير الساحلية قد يغطي الثلج الأرض لما يقرب من ستة أشهر في السنة (أكثرها في الشمال) ، يتمتع ساحل كولومبيا البريطانية بمناخ معتدل مع شتاء معتدل وممطر ، على الساحلين الشرقي والغربي، يبلغ متوسط درجات الحرارة الصيفية بشكل عام في أوائل العشرينات درجة مئوية ، بينما تكون بين الساحلين عند ٢٥-٣٠ درجة مئوية ، بينما قد تبلغ درجات مرتفعة في بعض الأحيان في بعض المناطق الداخلية عند ٤٠ درجة مئوية . وعدد سكان البلاد في هذا الوقت ١٩٨٦ما يقارب ٢٨ مليون نسمة ، ولها مجلس عموم وشيوخ وأما العاصمة الأولى فهي أوتاوا .

أوتاوا هي العاصمة الاتحادية أو الفيدرالية لكندا ، ورابع أكبر مدنها. تقع في وادي أوتاوا شرق مقاطعة أونتاريو ممتدة على الضفة الجنوبية لنهر

أوتاوا الذي يشكل حداً طبيعياً مع مقاطعة كيبك الفرنسية ، ويفصل أوتاوا عن مدينة غاتينو الفرنسية أو هول حسب التسمية القديمة التي تقع ضمن مقاطعة كيبك ، ومن الممكن اعتبار المدينتين (أوتاوا وغاتينو) منطقة واحدة رغم انفصالهما في مقاطعتين ، ورغم اختلاف اللغة بينهما، إذ يتحدث أغلب أهل غاتينو الفرنسية والتي هي لغة الإقليم إلى جانب الإنكليزية كلغة رسمية ثانية ، بينما يتحدث أغلب أهل أوتاوا الإنكليزية ، وبعضهم يتحدث الفرنسية أحياناً كلغة رسمية ثانية ، أصبحت اللغة العربية ثالثة اللغات المتحدثة بعد الإنكليزية والفرنسية، حيث بلغ عدد العرب في أوتوا وغاتينو ٢٠ ألف نسمة .

واعلم أن أوتاوا مدينة هادئة (تكاد تتوقف الحركة فيها بعد منتصف الليل) ، وربما انفردت بين مدن العالم الغربي بانخفاض معدل الجريمة فيها، والتعايش السلمي بين مكوناتها الإثنية المتعددة ، وانعدام التحيّز العنصري



ضد المهاجرين غير الغربيين ، وقد يداخلك شعور وأنت في شوارعها بأنك في مهرجان أممي، إذ تختلط الجاليات ببعضها ثقافياً وتجاريا واجتماعياً بانسجام تام ، فلا تستغرب أن ترى في مصنع أو متجر واحد أناساً من دول القارات المختلفة ، وربما من بلدان لم تكن قد سمعت بها!!

ومن أهم معالمها الرئيسية ، المبنى التاريخي للبرلمان والذي يتوسطه برج السلام ، وقنال الريدو الذي يخترق المدينة من شمالها إلى جنوبها وصولاً إلى نهر أوتاوا ، تتجمد فيه المياه شتاءً فيصبح مكانا سياحياً للتزلج بعد أن كان منظره الربيعي يسرّ الناظرين ، والريدو بالفرنسية تعني الستارة أو الحاجز، وقد جاءت التسمية لأن هذه القناة تم حفرها أساساً لأسباب عسكرية لصد هجوم الأعداء على المدينة، وقد أمر بإنشاء هذا القنال العقيد الكولونيل جون باي مؤسس أوتاوا ، وتم تسمية الشارع المحاذي للقناة باسمه شارع كولونيل باي .

وكندا تملك أعلى معدل هجرة في العالم ، ومستقر المهاجرين في الغالب في المناطق الحضرية نحو تورنتو ، وأغلب سكان كندا أتباع المذهب النصراني ، فيشكل الكاثوليك أتباع بابا الفاتيكان ٤٣٪ من إجمالي السكان ، وهناك أتباع الكنيسة المتحدة حوالي ٩٪ ، ومع الإنجيلية واللوثرية والمعمدانية ليشكلوا جميعهم حوالي ٧٧٪ ، دخلت



المسيحية كندا خلال الفترة الاستعمارية ، ظهرت الكاثوليكية مع المستوطنين الفرنسيين الذين استقروا على طول ضفاف نهر سانت لورانس ، وتحديدًا هم أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، بما في ذلك عدد من اليسوعيين الذين بشروا بالمسيحية بين السكان الأصليين . كان للكنيسة الكاثوليكية نفوذ سياسي واجتماعي وثقافي قوي في كيبك كندا حتى عام ١٩٦٠ مع بداية الثورة الهادئة ، وقد اعتبرت كيبك احدى أهم المعاقل الكاثوليكية في كندا.

تم تشكيل أول المجتمعات البروتستانتية الكبيرة في مريتيمس بعد الفتح البريطاني في فرنسا الجديدة ، تلتها موجات المستوطنين البروتستانت الأمريكيين الذين نزحوا بسبب الثورة الأمريكية . شهد القرن التاسع عشر بداية لتحول كبير في أنماط الهجرة الكندية ، أعداد كبيرة من المهاجرين الايرلنديين ، ومن جنوب أوروبا ، خلق جاليات جديدة كاثوليكية كبيرة في كندا الإنكليزية .

شهدت السنوات الأخيرة هجرة نصارى الشرق الأوسط ، فنشأت كنائس مثل الكنيسة المارونية ، والكنيسة القبطية ، بالإضافة إلى تواجد جاليات أرثوذكسية شرقية من أوروبا الشرقية ، ومهاجرون من الولايات المتحدة من المورمون والخمسينين ، أما المسلمون فيشكلون نسبة ضئيلة ٢٪ ، واليهود ١٪ ، وغير المتدينين ٦٪ ، وصل عدد المسلمين إلى ٥٠٠,٠٠٠ مسلم في كندا، أي قرابة ٢ ٪ من عدد السكان ، معظم الكنديين المسلمين ولدوا لمسلمين ، بالإضافة لأعداد صغيرة من معتنقي الإسلام من ديانات أخرى ، ومثل ما هو الحال مع المهاجرين بشكل عام ، جاء المهاجرون المسلمون إلى كندا لأسباب متنوعة ، منها التعليم العالي ، كأبطال روايتنا والعمالة ، والأمن ، وجمع شمل الأسرة ، وجاء آخرون من أجل الحرية الدينية والسياسية ، والسلامة والأمن ، مخلفين وراءهم الحروب الأهلية ، والاضطهاد ، وغير ذلك من أشكال النزاعات الأهلية والإثنية.

أصبحت كندا في ثمانينيات القرن العشرين مقصدا هاما للجوء الفارين من الحرب الأهلية اللبنانية ، وحروب الشرق الأوسط ، وبشكل عام تقريبا جاء مسلمون مهاجرون من كل الدول المسلمة في العالم إلى كندا من ألبانيا إلى اليمن إلى بنجلاديش . وأغلب الكنديين المسلمين يعيشون في مقاطعة أونتاريو ، استقر أكبر المجموعات في نواحي منطقة تورونتو الكبرى.

وصل العروسان مدينة أوتاوا عاصمة الاتحاد عبر طيران كندا ، ومضى بهما السائق إلى أحد فنادق المدينة ، والفنادق كثيرة وضخمة لنشاط الحركة

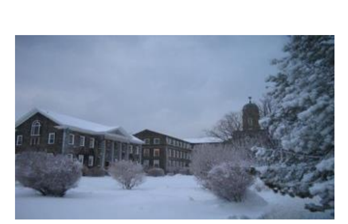
السياحية إلى كندا من أمريكا ودول أوروبا الغربية واليابان ، وفي اليوم التالي قاما بمراجعة دائرة الهجرة الرئيسية ، وبعد أيام ثلاثة قضياها في العاصمة سافرا إلى مقاطعة نوفا سكوشيا جوا بخطوط طيران داخلية ، واستقرا في أحد الفنادق السياحية في مدينة هاليفاكس عاصمة المقاطعة الحديثة ، راجعا جامعة داهاوسي التي رحبت بهما كطالبين مهاجرين ، واتصلا بأحد الأطباء الكبار والقدامى الذي قام بمساعدتهما حسب توصية والد سامر وعميد كلية الطب في البلد ، واهتم بهما وذكر لهما أنه زار بلدهما العربي ، وشارك في ندوات علمية طبية وبحثية دارت في المدينة العاصمة ، وسعى بواسطة مساعده وسكرتير مكتبه بتقديم أوراقهما لإدارة الجامعة ، ووعد بمساعدة الدكتور سامر للالتحاق في العمل بأحد مستشفيات العظام في المدينة ، وخلال أيام رتبت أمورهم ، والتحقت زهيرة بمعهد لغات لدورة واختبارات ، ولما تبين لهم قوتها باللغة الإنجليزية حيث لغة الدراسة في الجامعة سمح لها بمتابعة الساعات المقررة لها على حساب الحكومة الكندية ، وطلب منها أن تستمر في تعلم اللغة الفرنسية حيث أنها لغة رسمية أخرى للبلاد حيث ستتعامل مع كادر يستخدم اللغتين سواء من محاضرين وطلاب ومرضى وإدارة وممرضين خاصة المواد العملية .

وتعال نتعرف على مقاطعة نوفا سكوشا .. تقع شرقي اليابس الأمريكية، احتلها الفرنسيون في القرن السابع عشر الميلادي ، ثم أخذتها بريطانيا في معاهدة أوترخت منذ عام ١٧١٣ ، تبلغ مساحة الولاية حوالي ٥٥،٠٠٠ كيلو متر مربع ، وسكانها حوالي مليون نسمة ، وعاصمتها مدينة هاليفاكس، وأهم مدنها دارتموت ، وسيدني ، وميننز ، تكثر بالولاية السهول المتموجة ، والأراضي الصالحة للزراعة. مناخها أحسن حالاً من داخل كندا بسبب المؤثرات البحرية ، فالصيف دافئ ، تطول مدته ، وهذا أعطى مجالا للإنتاج الزراعي وقدر إنتاجها من الأسماك بحوالي ٢٦٣ مليون دولار سنويا .

نتحدث الآن عن المدينة التي عاشت فيها بطلة القصة سنوات الدراسة كلها هاليفاكس ، يقال إنها من أقرب المدن للشرق الأوسط ، وتعتبر واحدة من أجمل مدن كندا وأكثرها روعة وتطورا وهي عبارة عن لوحة ساحرة من الجمال والحسن حيث جمعت بين إبداع الله في أراضيها الخضراء وشواطئها الساحرة الجمال ، وبحيراتها الشفافة مما جعلها وجهة الكنديين وسكان القارتين الأمريكية

الشمالية والجنوبية ، وهي محطة للسفن السياحية الكبرى التي تستوعب الآلاف من السياح الأوروبيين الذين يقضون في هاليفاكس أجمل أيامهم متنقلين بين شقي المدينة المفصولين بمضيق من مياه المحيط الأطلسي ، إن مدينة هليفاكس معروفة بطيبة أهلها فهم من أكثر شعوب العالم طيبة مع الغرباء ، وسيشعر أي زائر ومنذ وصوله لأرض المطار بأنه شخص مرحب به للغاية ، أسعار المدينة مناسبة للغاية فيما لو تم مقارناتها مع أي الدول العربية فأسعار مطاعم الوجبات السريعة والمطاعم اللبنانية والتركية في هاليفاكس تماثل أسعار المطاعم بالدول العربية ، فيكلف شراء وجبة طعام مبلغ ٤ دولارات كندي فقط ٣,٢ دولار أمريكي ، كما يكلف شراء وجبة سمك مع البطاطس المقلية ٦ دولارات كندية فقط ٤,٨ دولار أمريكي كما أن هناك بقالات تبيع جميع المتطلبات العربية للطبخ العربي ، أما بطاقات حضور مباريات الهوكي الشعبية تتراوح من ٦ إلى ١٠ دولارات كندي فقط . ويبلغ عدد المطاعم والحانات في هاليفاكس ما يقارب الـ ١٦٠٠ مطعم وحانة ، أما الأسواق التجارية فهي حوالي ٣٢ سوق تجاري .

أما الطقس فالصيـف رائـع ممطر غالبـاً معتدل يميل للبرودة ، الشتـاء برد وثلج ، إن درجة الحرارة قد تصل إلى ٣٠ تحت الصفر ، وإن الجامعات والمعاهد هناك تعطي إجازات كثيرة في الشتاء لسوء الأحوال الجويـة .



هذه هي المدينة التي استقر فيها الزوجان العربيان المهاجرين لكندا ، وخلال الأسبوع الذي قضياه في مراجعة الجامعة في ساعات الصباح كانا في ساعات المساء يبحثان عن شقة يعيشان فيها حياتهما الدراسية والزوجية ، فوفقا إلى شقة من دورين نظام فيلا ، الدور الأول مطبخ وصالة كبيرة ومخزن ودورة مياه ، والطابق الثاني غرفتا نوم وحمام ، وغرفة غسيل ملابس ، وللشقة موقف سيارة ، ومتوفر فيها الماء الحار ، وقريب منها مسجد ، وأجرتها الشهرية ٦٠٠ دولار شهريا ، فكندا دولة غنية ، ودخل الفرد فيها عاليا ، قد يزيد عن خمس وعشرين ألف دولار كندي سنويا ، لذلك الأجور السكنية مرتفعة.

وأما بالنسبة لجامعة زهيرة ، فهذه الجامعة الكندية قديمة ، وهي جامعة حكومية مشهورة في تلك المقاطعة وفي تلك المدينة ، فإنها تأسست عام ١٨١٨ م ، فقد أسسها نائب حاكم المقاطعة الإنجليزية جورج رامزي دلهاوزي ، وكان ذلك في حقبة الاستعمار البريطاني للمقاطعة نوفا سكوشا

تضم الجامعة إحدى عشر كلية ، منها كلية القانون والهندسة والطب، تتكون الجامعة من خمسة أحرُم جامعية رئيسية : هي سكستون وكارلتون وبارتون بمدينة هاليفاكس ، وكلية الزراعة بمدينة ترورو ، حرم سكستون يوجد به كلية الهندسة والعمارة ، وحرم كارلتون يوجد به كلية الطب العام والأسنان حيث ستدرس الطب بطلة قصتنا هذه ، وباتون يقع به مركز الملكة اليزابيث الثانية للعلوم الطبية ، أما حرم ستدلي فيوجد به بقية الكليات .

واعلم أن دلهاوزي جامعة مدعومة حكوميا ، وعضو في اتحاد الجامعات والكليات الكندية ، يوجد ٣٧٠٠ مادة علمية ضمن ١٨٠ تخصص متاح.

واعلم أيضا أن الجامعة دلهاوزي دأبت في الحصول على المراتب العليا بين أفضل الجامعات الكندية ، فهي جامعة من بين ٥٠ جامعة في كندا ، وهي جامعة بحثية مهمة في كندا .

وللجامعة شعار أدعو ربك واعمل ، كندا من الدول المتقدمة والدائرة في فلك العالم الغربي حداثة وتطورا ، وعادات وتقاليد ونظام حكم ، وربما من مشاكلها الحساسة وجود تنافس شديد بين لغاتها الفرنسية الإنجليزية حيث اللغة الكندية تتكون منها ، ووجود تعصب بين القوميتين لأصولهما الاستعمارية ، والدولار الكندي مائة سنت ، وهناك فئات خمسة دولارات ، عشرة دولارات ، عشرون دولارا ، وخمسون دولارا ، ومائة دولار ، وألف دولار .



استطاع الزوجان الحصول على مكان مناسب للحياة في مدينة هاليفاكس نوفا سكوشا ، وساعدهم البروفسور جاك موريس في الالتحاق في الجامعة كطلاب ووعد سامر بالعمل كطبيب عام في إحدى مستشفيات المقاطعة ، ودراسة الاختصاص في جراحة العظام .

وهذه الدراسة تحتاج على الأقل لأربع سنوات بين ممارسة الطب عمليا ونظريا ، ولا بأس من ذكر نبذة عن جراحة العظام ، اليوم لكل مرض اختصاص واختصاصات ، ويمكن أن أقول لكل عضو اختصاص .

ومن جراحات العظام : جراحة الكتف والمرفق، وجراحة اليد ، وجراحة استبدال المفاصل ، جراحة القدم والكاحل ، جراحة العمود الفقري ،

جراحة عظام الأطفال ، جراحة أورام الجهاز العضلي الهيكلي ، الطب الرياضي الجراحي.

واليوم حوادث السيارات والمهن تسبب الكثير من علل العظام ، والجراحة العظمية تهتم وتعالج مجموعة كثيرة من الأمراض مثل : التهاب المفاصل ، تشوه المفاصل تنخر العظام ، تمزق الأربطة الانزلاق الغضروفي ، كسور العظام ، خلع في المفاصل ، سرطان العظم ، متلازمة النفق الرسغي إعاقة وظيفية في حركة المفاصل ، خلع الورك الوراثي ، آلام الظهر ، انحراف إصبع الرجل الأكبر ، تشوه الركبة وغير ذلك من الأسماء ، الهشاشة .

ذكرت ذلك لتعلم أهمية الاختصاص الطبي ولو في الصين ، ووجد الزوجان عددا كبيرا من الطلاب مثلهم من دول الخليج وآخرين من تركيا ودول الباكستان وبنغلاديش وماليزيا ، بعضهم للبكالوريوس ، وآخرون للماجستير والدكتوراه ، ووجدوا جالية عربية كبيرة تسكن في المدينة ، ويسمون (العرب الكنديون).

ومطلوب من المهاجر لتلك الديار عندما يحط رحله في تلك المدينة أن يسعى للحصول على سكن ، وبطاقة علاج من صحة نوفا سكوشيا ، وتقديم طلب أيضا للحصول على بطاقة الضمان الاجتماعي (sin) ، ويقوم بزيارة منظمة خدمات توطين وإدماج المهاجرين (IsIS) ، ويطلب من المهاجر معرفة هل يستحق مساعدة ودعم من الحكومة من الدائرة المختصة ؟ ، ويطلب منه فتح حساب مصرفي خاص به ، وقد فعل الزوجان ذلك منذ استقرا في المدينة ، ثم عليهم تبديل الرخص برخص كندية للسيارات ، والحصول رخصة من المقاطعة ، ويحدد لهم طبيب يسمى طبيب العائلة .

وعلى المهاجر الجديد لكندا أن يراجع إدارة الهجرة والجنسية الكندية (CIC) ، وهي وكالة حكومية فدرالية تقدم خدمات حول الجنسية والتوطين واللجوء والهجرة ، وقد راجعاها عندما نزلا في مدينة أوتاوا عدة أيام .

ويوجد في مقاطعة نوفا سكوشا مكتب للهجرة يعمل مع الحكومة الفدرالية ، يعمل على تشجيع المهاجرين الوافدين من كل أنحاء العالم على الاستقرار في المقاطعة واتخاذها وطنا ، فهؤلاء يحتاجون لعدد كثير من البشر ؛ فلذلك يرحبون ويشجعون الهجرة لبلادهم لحاجتهم للناس .

ويوجد جمعيات رسمية وتطوعية لتدريب وتوعية المهاجرين، ويوجد كلية توفر للمهاجرين دورات تعلم اللغة الإنجليزية والفرنسية للوافدين استعدادا للالتحاق بالجامعات ، وتقدم طلبات الانتساب لتلك الكلية في الخريف والشتاء .

للتوصيات التي يملكها سامر وقرينته تيسرت أمورهما منذ حلا في هاليفاكس عاصمة المقاطعة وقد تيسر لهم امتلاك شقة كفيلا ، مر بنا وصفها ، والنظام يلزم المستأجر والمالك للعقار أن يخضعه للتأمين ضد الحريق وغيره ؛ لذلك يعتبر التأمين على الممتلكات مهماً ، ويمكنك شراء بوليصة تأمين على الممتلكات لحماية منزلك وأغراضك في حال اندلاع حريق أو حدوث فيضان أو سطو أو أيّ مشاكل خطيرة أخرى ، ويغطي التأمين أحياناً جميع تكاليف إصلاح أو استبدال منزلك ومحتوياته ، والكهرباء والماء ووقود التدفئة توفرها شركات خاصة تنشط في المقاطعة، وكذلك الخدمات الأخرى كالهاتف ، وهناك نظام لجمع القمامة وفرزها ، ولكل حي أو منطقة يوم محدد لجمع القمامة . وتوفر البلدية للمدينة نظام العيادات للمارة ، وتوفر كذلك عيادات صحية نسائية ، تنتشر بكثرة في المدينة والمقاطعة للفحص والكشف وإرشاد وتنظيم الأسرة .

فقد أبدت زهيرة ارتياحها للمدينة خاصة والمقاطعة ككل ، فالأسواق قريبة من السكن ، والمواصلات متيسرة بالمتروباص ، والبنوك متيسرة ، والشرطة توفر الحماية والأمن للجميع ، وقد اشترت كتابا يتحدث عن المقاطعة والعاصمة ولمزيد من المعرفة عن كندا والمقاطعة ، ووجدت أكاديمية إسلامية نشطة في المدينة ، وجمعيات لبنانية قديمة ؛ ولكن الذي فاجأها بعد استقرارهما في المدينة أنها وجدت نفسها حاملا رغم استخدامها لحبوب منع الحمل منذ أشهرت خطبتها للدكتور سامر ، فقد أخذت تتعاطى حبوب منع الحمل لأنها اتفقت مع الدكتور أن لا تحمل إلا بعد إنهاء بكالوريوس الطب ، وقبل سامر ذلك ورحب به ، وقد تفاجأ مثلها بحدوث الحمل، وبعد ذهول قبلوا بالأمر الواقع ، وكانت في حالة وجوم وصدمة ، وهي تخبر سامرا بذلك ، فكانت تقول استعملت الحبوب منذ أعلنّا الخطبة .. قبل أن يحدث بيننا أي اتصال! ولما تأخرت الدورة بعد الزواج ظننت أن ذلك بسب التوتر النفسي والاستعداد للسفر .. وها هو الشهر الثاني للزواج يمضي من غير طمث ، ففحصت في عيادة المستشفى حيث الكلية ، فبشروني بذلك ، وصدمت يا سيدي، لم أفرح كما تفرح النساء عندنا فبدا سامر واجما ومصدوما فقال : ما العمل ؟!

ـ لا أدري!

ـ هل تستطيعين الدراسة مع الحمل والولادة ؟

ـ الولادة ستكون في آخر الصيف وسط الخريف .. ولابد من الدراسة .. لم يعتمدوا الكثير من المواد التي درستها .. صدق أن الحمل حدث دون رغبتي

ـ طبعا أصدقك يا عزيزتي ..لا يزعجني حملك

أبدا.. ربما صدمت للوهلة الأولى؛ لأنك أنت التي خططت لعدم الحمل .. لست أنا الذي سيتعب .. إنما قلقلي عليك .. محاضرات ومداومة في المستشفى والعيادات للتدريب



ـ الإجهاض غير ممكن .. أليس كذلك ؟

ـ أنا ضد الإجهاض يا زهيرة .. هذا كائن حي مخلوق مثلنا .. بصفتي درست الطب كان يدور بيننا نحن الطلاب والدكاترة مناقشات حول مشروعية الإجهاض ، قرأت عن هذه المسألة بشكل جيد، فبعضهم تساهل وأجازه بشكل عام ، بسبب ومن غير سبب ؛ وصوتهم أمام المحرمين ضعيف ، وآخرون حرموه مطلقا ، وبعضهم أجازه عند الضرورة والخطر على حياة الأم الحامل ، فقدموا حياتها على حياته .[١]

عادت تردد كأنها مرتكبة شيئا حراما: لا أدري كيف حصل ذلك ؟!

عاد مشجعا ومخففا من الصدمة التي أصابتهم : الله أراد ذلك .. رغم انتشار ظاهرة الحمل مع أخذ الموانع كان عليّ أنا أيضا فعل الاحتياطات المساعدة .. الرجل الشرقي يصيبه الخوف والقلق من أخذ الموانع خاصة عندما يكون لديه الرغبة في الحمل في يوم ما .. الأمر لله يا زهيرة

قالت باستلام للحدث : سأحاول أن أوفق بين الدراسة والحمل.. تحملني يا سيدي .

تظاهر بالابتسام وقال : أنا معك قلبا وقالبا .. ألست أباه أو أباها ؟! .. كان الله في عونك

ـ الجميل في هذه المدينة كثرة عيادات طب الأسرة والنساء ، وهي منتشرة للكشف ومتابعة الحوامل وصحة النساء بشكل عام .. إني جدٌّ آسفة .

ـ لا تأسفي على قدرة الله وإرادته .. صدقي أن ضيقي كان من أجلك .. بل أنا الآن في غاية السرور .. أخذنا بالأسباب ، ومشيئة الله غلبت .. والخير فيما يريده الله تعالى .. والله يفعل ما يشاء .. أنا رفضت الحمل من أجلك أنت حتى تستطيعي الدراسة بكل راحة وحرية .. وتستطيعي العمل في المستشفى بدون ألم وتعب وكلها بضعة أشهر ، وتنهضين بالسلامة والعافية

قالت بعزيمة : سأتحمل عليّ دوامان ، محاضرات وتدريب في المستشفى ..

ـ عليك رعاية نفسك يا حبيبتي .. سيدبرها الله

---

١ - وأما الإجهاض قبل الأربعة أشهر من مدة الحمل ، فالصحيح من أقوال العلماء أنه حرامٌ فلا يجوز لامرأة مسلمة أن تجهض مولودها بمجرد ثبوت الحمل إلا في حالةٍ واحدة فقط ، وهي إذا أخبر الأطباء الثقات أن الحمل يشكل خطراً مؤكداً على حياة الأم فيجوز حينئذٍ الإجهاض حفاظاً على حياة الأم.

ويهونها .. والأمور هنا منظمة ، والناس مثقفون سيحسنون التعامل معك .. وخاصة أنه سيكون مولودا كنديا ويحمل الجنسية منذ ولادته .. فنحن نحتاج لسنوات ثلاث على الأقل لنمنح جنسية هذه البلاد .

كانت الحياة هادئة بالنسبة للزوجين ، وكانا كغريبين في المدينة بحق ، لا أصدقاء لا جيران ، لا ضيوف ؛ ولكنهما كانا سعيدين ، لم يكونا أصدقاء بعد ، وقد تجولا في المدينة ، وزارا مناطق التسوق المهمة في وسط المدينة ، وأخذا يتعرفان على عملة البلد ويحسنان التصرف فيها ، فعملتهم الورقية



اشرنا إليها ، إلى الفئات التي تتكون منها العملة الكندية ، وهناك فئات صغيرة ، فالدولار الكندي مائة سنت ، ولديهم سنت معدني واحد يسمونه بيني ، والخمسة سنتات تسمى نيكل ، والعشرة دايم ، والخمس والعشرون سنتا كوارتر ، والدولار لوني ، والدولاران توني .

هذه القطع المعدنية سارية الاستخدام في تلك البلاد ، ومن الضروري للوافد إلى نوفا سكوشا الحصول على بطاقة الإقامة الدائمة (PR) ، فهذه البطاقة تثبت أنك مقيم دائم في الخروج والدخول لكندا ، وهذه يطلبها الوافد منذ استلامه سجل الهبوط على الأراضي الكندية .

ومن المهم أيضا أن نتعرف على وسائل الحركة والانتقال في المقاطعة والعاصمة ، كسائر المدن الكبيرة في العالم تتوفر وسائل النقل بين نواحي المدينة ، فهناك وسائل نقل للأصحاء ، وأخرى للمعاقين ، تسمّى مؤسسة النقل العام في هاليفاكس مترو ترانزيت **Metro Transit** وهي تشمل الباصات والعبّارات المحلية والإقليمية والمجهزة لاستقبال ذوي الإعاقة .

تتوفّر باصات وعبّارات محلية ، كما تتوفّر باصات في الضواحي ، وسائر المناطق الواقعة خارج بلدية منطقة هاليفاكس ، لاحظ أن تكلفة الكبار ١٦ سنة وما فوق دولاران ، البطاقة الشهرية ٥٠ دولاراً ، كبار السن ٦٥ سنة وما فوق(١,٢٥) دولاراً ، وللأطفال دون السادسة عشر أسعار خاصة بهم ، وهناك باصات مترولنك على مدار أيام الدوام من الاثنين إلى الجمعة ، وكذلك سيارات الأجرة الصغيرة التاكسي ، يوجد في بلدية منطقة هاليفاكس العديد من شركات التاكسي ، وتجد أسماء وعنوانين شركات سيارات الأجرة في دليل الهاتف الصفحات الصفراء

كان يذهب الزوجان للجامعة سوية ، فتصل الفتاة

إلى كلية الطب في جامعة دالهاسي ، ويسير سامر إلى المستشفى الكبير مستشفى اليزابيت الثانية حيث تقرر عمله واختصاصه لجراحة العظام ، ويعد هذا المستشفى أكبر مستشفى في كندا الأطلسية ، ويضم كما قيل عشرة مباني في موقعين . ولتمكن الشابان من اللغة الإنجليزية ساعد ذلك بسرعة التواصل مع الكادر التعليمي والوظيفي ، والدوام يبدأ رسميا في الجامعة منذ الثامنة والنصف صباحا من صباح الاثنين إلى مساء الجمعة حيث تبدأ العطلة الأسبوعية السبت والأحد ، ودوام المستشفى على مدار الساعة كما هو معروف ، أما طلاب الاختصاص فيتابعون في أيام الدوام الرسمي ، وسعى سامر وزوجته كما عرفنا سابقا إلى فهم اللغة الفرنسية حيث أنها لغة رسمية في كندا ، ولم يكن فهم مفرداتها صعبا عليهما لفهمها اللغة الإنجليزية الطبية والعلمية والمحاكاة والخطاب .

وكانت زهيرة قد تكيفت مع الحمل ، رغم صدمتها الأولى ؛ لأنها كانت تخطط لتأجيل الحمل والولادة إلى ما بعد الجامعة الأولى ، وأخذت تراجع عيادة متخصصة للحوامل والولادات قريبة من سكنها في شارع جادة يونيفرستي .

وكندا دولة من الدول الصناعية الكبرى على مستوى العالم ، وهي بلد ترحب بالوافدين والمهاجرين لحاجتها إليهم باستمرار لكبر مساحتها وكثرة مالها ، فهي تشجع الهجرة ، وتمنح الجنسية بعد سنوات قليلة ، والطلبة المهاجرون تشجع الحكومة استقرارهم وبقائهم في البلاد ، لذلك من الطبيعي أن يستقر الكثير بعد تخرجهم فيها ، وحتى الزواج من الكنديات متيسر ، ولا صعوبة في ذلك لاحتوائها على أصول شتى ، والزواج منهم يسهل جدا الحصول على جنسية البلد ، ويصبح الرجل كنديا فورا .

وجدت زهيرة أن بعض الدكاترة يستخدمون الفرنسية والإنجليزية أثناء التوضيح والشرح ، فكان هذا يزيد حماسها لإتقان اللغة الفرنسية خلال دورة الشهور الثلاثة التي توفرها الجامعة للطلاب الوافدين .

وتعرف سامر على عدد من الأطباء العرب يعملون في تلك البلاد ، والبعض سمح له بالتعرف على زوجاتهم وأبنائهم ، لذلك لما وضعت زهيرة مولودها الأول ، احتفل بهم الأصدقاء ذكورا ونساء، مما أدخل السرور على قلبيهما ، وكان المولود الأول لهما أنثى سموها شمسا ، ومنحت شمس الجنسية الكندية فور ولادتها ، فهي ولدت على الأرض الكندية فتعتبر ابنة كندا بالولادة

كانت زهيرة تتحدث للأصدقاء بعد حين : مدينة

حقيقة جميلة ؛ ولكنها باردة جدا في فصل الشتاء حيث وصلنا لأول وهلة .. وبحيراتها كثيرة .. معي طالبة من أونتاريو تقول إن مدينتها بها ٢٥٠ ألف بحيرة ، وهي أكبر مناطق كندا مساحة ، وفيها العاصمة الاتحادية السياسية أوتاوا وتحدها أمريكا الولايات المتحدة

وقالت إحدى السيدات : هي أكثر المقاطعات سكانا ، ربما ثلث سكان كندا يعيشون فيها ، وفيها الاقتصاد والعلم ، وتحيط بها البحيرات العظمى ، وتطل على مدينة نيويورك الأمريكية خاصة بحيرتها أونتاريو ، وفيها يا أم شمس شلالات نياجرا ومتنزهات كثيرة ؛ كأنها ١٣٢ متنزها عاما



قالت سيدة أخرى من أصل لبناني : نحن عشنا فترة في تلك المقاطعة .. فبحيرة أونتاريو إحدى البحيرات الخمسة ، فعلمنا أنها أصغر تلك البحيرات ، وطولها يزيد عن ٣١٠ كم ، وعرضها حوالي ٨٥ كم ، يخرج منها نهر سان لوران .. وبالجملة .. سمعت أن كندا بلد المليون بحيرة .. وقد زرنا عددا من متاحفها وزرنا متحفها الملكي ، وقد شاهدنا البرلمان القديم الذي أنشئ في القرن الماضي

قالت زهيرة : قرأت عنه في عام ١٨٠٩ في تورنتو حيث عاصمة المقاطعة

وعادت السيدة اللبنانية تقول : وهناك البرج الذي يرتفع ٥٥٣ م

وكانت كل امرأة تذكر خبرتها ومعرفتها في تلك البلاد ، وشاركتهن زهيرة بإضافة الكثير من المعلومات التي قرأتها عن كندا وهاليفاكس ، مما أثار إعجاب ودهشة السامعات حتى أن إحداهن قالت : إنك تتعلمين بسرعة يا أخت زهيرة

فردت زهيرة بابتسامة : قرأت قبل مجييء بعض المعلومات عن كندا ، وعن نظام الحكم وجغرافيتها .. ولما وصلت هنا أخذت بالقراءة عن هذه المقاطعة بشكل خاص ..

فكانت الأسر العربية في بلاد الغربة تثير الشجن والحنين لبلاد العرب .. خاصة عندما تكن العائلات من أقطار عربية متنوعة .. بل أضافت زهيرة وسامر أصدقاء آخرين من المسلمين الشرقيين من تركيا والباكستان وإندونيسيا .وأخذ سامر مع الوقت يكّون صداقات طبية في المستشفيات التي أخذ يتنقل بينها ، ومع رجال العلم في تلك الجزيرة والديار .



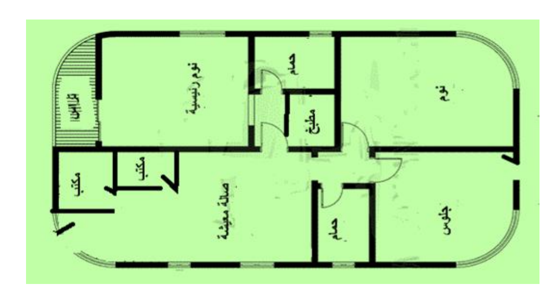
قلب الوطن

وهج الحرب ٨

كاميرات سرية

أخذ عارف إجازة من العمل ، ورجع للبيت قبل الظهر ، فتح الفيلا ودخل وجلس في الصالون حيث كان يسهر مع بلص والزوار، بعد جلوس امتد لنصف ساعة ، وهو يفكر بمن عشيق زوجته ميرا الذي أشار إليه بلص قبل موته.

قام ومشى إلى مكتب بلص حيث يستقبل زواره الخواص جدا أيام حياة أمه ، جلس على مكتبه



وقال: متى سيأتي ابن عمه ليأخذ أغراضه الخاصة ؟ فقد اقترب انتهاء شهر يناير كلما اتصل به ها اليومين .. ألم تنته ها اليومين يا أبا مينة ؟

أخذ يعبث في مكتبه الصغير الأنيق ، الأدراج مفتوحة، أوراق دفاتر ملاحظات أغلبها دعايات أقلام ، كذلك صور ، سيديهات حاسوب .. أين حاسوبه المحمول ؟ تطلع هنا وهناك لم يره .. وقف أمام خزانة كتب بلص .. خزانة واحدة فيها كتب ثقافية متنوعة .. غرفة استقبال لعيبة الشدة والقمار .. رأى البوم صور على أحد الرفوف ، سحبه وعاد للجلوس على كرسي المكتب .. تفحص الصور صورة صورة تذكر أن بلصا يحب المقاهي ؛ حيث كان يترك المعرض ؛ ليشرب قهوة في المقهى ، ويلعب الورق ساعة من الزمن .. عاد للألبوم وشاهد صور المقهى ، رحلات بحرية ، وبعض الغابات .. سمع صوتا وهو مستغرق في التفكير والنظر. فقال : من المبكر أن تعود ميرا ! فتح باب الفيلا.. وسمع فيرا تهتف: تفضل البيت فاضي .

نظر إلى الساعة كانت الثانية عشرة والربع ظهرا ، لزم الصمت والكمون ، معها مفتاح الفيلا ومعها رجل .. من هو ؟ لم تذكر اسمه ، تتكلم مع رجل ليس صوت زوجها .. كتم أنفاسه وغلا الدم في عروقه بأي حق معها المفتاح .. جلس الرجل في الصالة دخلت الحمام اغتسلت

بدقائق ، سمعها تقول: سنشرب من شراب ميرا أحضرت زجاجة سكبت له ولها ، وبعد الشرب أخذت بيده لغرفة نوم أمه أغلقت الباب ، ولماذا أغلقته ؟ قال : أنا في الشغل ، وميرا في الشغل ، وسلمى في المدرسة ، وبلص ميت ، وزكية ميتة . خلع الحذاء وتسلل إلى باب الغرفة .. ما هو بزوجها .. حاول البصبصة من ثقب المفتاح ، ولم يستطع رؤية شيء ؛ لكنه سمع الشهقات والغنج ، فلما عجز عن رؤية شيء عاد لمكتب بلص ينتظر

انتهاء الفلم .

وقال : ما هذا يا عارف ؟ غرفة أمي مسرح دعارة .. لا أعتقد أن هذا يحدث بعد موتها هذا فعل قديم .. لم يكن بلص جاهلا الأمر ، ولا الخادمة بضعة دولارات وتصمت وتخدم .. جاءتني فكرة خبيثة سأركب كاميرات تجسس داخل البيت داخل هذه الغرفة وغرفتي سأتظاهر بأني لم أخذ إجازة ، وآخذ إجازة ، وأحضر فني لتركيب كاميرات سرية خفية .

بعد ساعة سمع الصوت ، جلسوا في الصالة ، واكملوا شرب الزجاجة ، ثم ألقوا الزجاجة في سلة مهملات ، وخرجوا من الفيلا .

وقال : يا لك من شيطانة تجلبين العشاق والزناة لغرفة أمي! بلص كشف ذلك كما كشفته الآن.

خرج من الفيلا إلى أحد المطاعم .. هل رأت فيرا سيارتي؟ لم ادخلها داخل الفيلا يا لي من مغفل كبير يا بلص! أنا صدقتك ، لم أعرف منك كذبا معي من قبل .

رجع للبيت مع عودة ميرا وسلمى ، وأدحل السيارة الفيلا ؛ كأن شيئا ما حدث على مسمعه ، أخفى الأمر بصبر .

من هو الرجل الزاني يا بلص بميرا ؟ حتى عشيق فيرا لم أستطع رؤيته بوضوح شربوا زجاجة خمر ؛ كأنها في بيتها .. ها هي ملقاة في السلة .

وعاتب نفس : لماذا لم يخطر على بالك البيت ؟ أين سيرى بلص الجريمة والخيانة ؟ لماذا يتزوجن ما دمن يزنين ؟!

بدأ عارف يكتشف خطوط اللعبة والخيانة ؛ لذلك بعد أن خرجت الزوجة والبنت إلى المدرسة الخاصة اتصل بشركة هندسة الكرتونية كانت أمه زكية استعانت بها لتركيب كاميرات مراقبة للمعرض وباقي المحلات في شارع رئيسي في بعنبس ، وهذا الرقم ما زال محفوظا في ذاكرة الجهاز ، اتصل بالشركة ورحب به صاحب الشركة ، وأخذ عارف عنوانه ، ثم خرج من البيت كما يخرج للعمل ، وانتقل للشركة ، ورحب به مديرها ، ولم تكن بالشركة الكبيرة ، فهي تعمل في تركيب الكاميرات والستالايتات الأطباق الفضائية والرسيفرات ، فهم المدير الطلب والهدف ، فأرسل معه فنيين أو فني ومساعده ، وعاينوا الفيلا ، وفهموا المطلوب ؛ حيث سيركب كاميرا على مدخل الفيلا الرئيسي لمعرفة الداخل وتصوره ، وأخرى في الداخل لتصوير الصالة ومن يجلس فيها ، وباب غرفته أيضا وأخرى ثالثة وهي الأخطر داخل غرفة نوم أمه ، وبعد معاينة وتخطيط واتفاق بعد أن دفع لهما المزيد من المال أن يكون تركيب الكاميرات بعد خروج الزوجة لعملها وأنه سيتصل بهم عند خروجها ، وكان لهم الأمر

سهلا ، فهي عملهم ومهنتهم ، كاميرا سرية كاميرا معروفة لهما ، لم يكن هو أول من يطلب ذلك، فبعض الفنادق تضع كاميرات خفية في بعض الغرف ، ووعدهما بمزيد من المال فور انتهاء العمل .

واتفقوا على أن يكون جهاز التحكم والهاردسك المخزن في مكتب أمه على ظهر خزانة مليئة

بالملفات والأقراص مع وصلة ليشبك عليها اللاب توب الخاص به .

تركيب هذه الكاميرات بالنسبة للفنيين عمل سهل ، فتم التخطيط لتركيب ثلاث كاميرات ، لا يعرف الإنسان العادي الهدف من كاميرا الباب الخفية ، أما عارف فيريد معرفة كل من يدخل الفيلا ، من يجلس في الصالة ، ما يحدث في غرفة أمه.

كانت في غرفة أمه شاشة عرض ورسيفر فضائي ، فمع سلك الرسيفر أضيف سلك الكاميرا وثبتت كاميرا صغيرة من يراها لا يظن أنها كاميرا ، وأضيفت في مداخل أسلاك التيار الكهربائي أسلاك كاميرات .

خلال يومين قام الفنيان بالعمل السري حسب رغبة الدكتور ، وأخذوا مكافآتهم بعد تعليم الدكتور كيفية استخدام الكاميرات من خلال اللاب توب ، كان العمل ناجحا حتى لو كشفت سيظن المكتشف أنها ركبت في حياة زكية .

كان مصرا على معرفة عشيق زوجته الذي تحدث عنها بلص عند موته . ميرا لم تكن بالذكاء والخبرة التي تكشف لها هذه المصيدة ، هي تعتمد على غباء وغفلة عارف كما قال بلص ، واذا عرفت سيزعم أن هذه الكاميرات وضعتها أمه لمراقبة مدخل ومخرج السيد بلص ، فهو المغفل الذي يثق بها ثقة عمياء.

اضطر لتمديد الإجازة أسبوعا آخر ، وقدم الاستقالة لمدير المستشفى لرغبته بالعمل في القطاع الخاص ، والعمل مع جريدة أو فتح عيادة خاصة أو شراكة مع آخرين .

فهو لم يعد بحاجة لراتب الوظيفة فهو يملك الملايين ، عليه أن يعمل بالاستشارة كسالم وجهاد لم يعد مناسبا ولائقا أن يعمل موظفا .

تكررت زيارة فيرا للفيلا ، وكل زيارة تأتي بعشيق جديد فسأل : من أين تأتي بهم لعنها الله؟! فقال : هذه خنزيرة ومومس تلتقط الزناة من الشوارع ! هي تعمل في شركة تأمين مثل ميرا .

نفس السيناريو ، حمام ، شراب ، إغلاق الحجرة ساعة زمان، شرب باقي الزجاجة انصراف .

قال بحزن : كانت غرفة أمي مسرح العمليات الشيطانية يا للوقاحة !

كان يتظاهر بالدوام ، ولم يخبر أحدا بما رتب

وتقديم الاستقالة ، ومضى أسبوعان من شهر شباط وفيرا كل أسبوع تتردد يومين أو ثلاث على غرفة الغرام ، تجلب عشيقا لفيلا أمه ، ولم تقدم ميرا بعشيق أين تمارس العشق؟! وهو في غاية القهر خطر في باله أن فيرا في بيته تمارس البغاء ، وميرا مع زوجها ، خطر في باله هذا الخاطر ، فيرا هنا ، وزوجته معه في بيتها.. يا له من غبي! فهل العشيق هو عديله ؟ هذا ما كانت تخبر به صرخات بلص .. عديله خصمه .. فلما رسخ في ذهنه هذا الخاطر والاحتمال .. قرر أن يزور بيت فيرا عندما تأتي بعشيق .. لم يكذب بلص كان على علم بفعالهن القبيحة ؛ وربما شارك فيها .. فقد وجد في أدراجه سيديهات أفلام إباحية مع أننا اليوم لسن بحاجة لسيديهات إباحية ، فموقع جوجل وغيره مليء بمواقع الإباحية ، ولا حصر لها ؛ كأنها وجدت لتنشر الإباحية والخلاعة على مستوى العالم .. ترى كأن العالم دعارة وزنا .

لما حضرت فيرا بعشيق وأغلقت الغرفة كالمعتاد ، تسلل من باب خلفي .. عارف في المستشفى ميرا في العمل .. سلمى في المدرسة .. هكذا تعتقد العاهرة .. تسلل من باب خلفي إلى حيث يركن سيارته في شارع جانبي ، وسار بها نحو بيت عديله ناجي ، وصح ما توقعه سيارة ميرا أمام العمارة .. رجل الأعمال ناجي جيان هو قواد ، يتاجر بفرج امرأته البغي .. ووضحت له صورة الخيانة ، يترك زوجته تمارس البغاء في بيت أمي ، ويمارس دعارته مع زوجتي ، وأنا في العمل .. بلص يعرف كل هذه الأسرار ، ولم يكن يتغزل بها حمقا وسكرا ؛ ربما لأصحا من سكري وغفلتي .. العمارة ثلاثة طوابق وجيان في الطابق الثاني ، صعد الدرج إلى الطابق الثاني فقرأ اسم عديله على لوحة الباب ، توقف أمام الباب التقط أنفاسه ضغط الجرس، وأزاح نفسه عن العدسة فتح الباب بعد دقائق ، وطل رأس جيان .

فقال متفاجأ: عارف .. ماذا هناك ؟!

رد : اتصلت بالشركة فقالوا لي ميرا عند أختها لأمر طارئ .

قال : ميرا غير موجودة.

ـ رأيت سيارتها أمام العمارة ..أين هي ؟

ـ فيرا ليست هنا ولا ميرا.

صاح : ولماذا السيارة أمام العمارة ؟ زميلها قال إنها عند أختها لأن أختها مريضة .

سمعا صوتا يقول: ادخل يا عارف أنا هنا.

دخل جيان وعارف وقال بهدوء : فيرا في غرفة أمي تمارس الدعارة ، وأنت هنا تمارسين الدعارة مع العشيق الذي تحدث عنه المرحوم بلص .. إنك يا ناجي جيان خنزير وحقير وقواد .. رجل أعمال في الدعارة .. كان بلص يقصدك ، وظنتني أنت

وهذه البغي لم أفهم اتهامه .. وإنني مغفل كما أعلن بلص .. جيان أنت قواد وخائن وأنت طالق يا ميرا !.. غدا أمام المحكمة .. لم يكذب بلص . . لم يكذب بلص .

خرج مسرعا قبل أن يسمع تبريرا أو اعترافا ، واتصل بجهاد وكشف له الأمر والعشيق ، وبيت الدعارة في منزل الأم وأنهى بقول : عجل في البيع

قال : ألم أقل لك من الأول طلق ؟ فكلام بلص كلنا يعلم أنه صادق .. فلماذا يكذب يا عارف ؟ وأعتقد دون جزم أن أمك تعرف فجورها من بلص.. وتركت الأمر إليك ؛ لتكشف ذلك .. فأمك تعرف بخيانتها من بلص؛ ولكنها صمتت كما سكتت من قبل على أفعال وردة أيام الجامعة .. أنا في انتظارك.

ارسل عارف أقراص الكمبيوتر التي صورت لفجور فيرا في غرفة أمه بطرد بريدي إلى ناجي جيان رجل الأعمال في الدعارة ، لقد صدموا لما عرضوا الأقراص وجن جنونهم ، فاضطر جيان إلى طلاق فيرا ، وهو يعلم أنها فاجرة ، وهي تعلم أنه يمارس الزنا مع أختها ، فطلقن في مطلع آذار ، وتخلت ميرا عن حضانة ابنتها سلمى ، وقررت بعد الطلاق ، وأخذ حقها الشرعي بالرحيل عن بعنبس ، وصحبتها فيرا، ورجعتا إلى بيروت ، وجيان صفى أعماله ، وعاد لقبرص موطنه الأول بعد الفضيحة التي حلت به .

وانتهت قصة عارف وميرا بعد سنوات من الزواج ، زوجة لم تحترم الحياة الزوجية واستغلت طيبة عارف وخانته بزوج أختها الإباحي . صفت سلمى عند وردة تحت رعاية المربية الأجنبية براتب آخر يدفعه عارف إلى حين آخر ، وقبل عصام الإحسان لسلمى ، ورحب جوهر بالطفلة فهي أصغر منه بسنة ونصف ، ونقلت لمدرسة جوهر لتكمل الصف الأول .

توقفت وردة من مطلع آذار عن العمل ، فهي على وشك الولادة ، فموعد الولادة في هذا الشهر كان البيت في حالة تأهب وطوارئ ، وفي الثامن منه أدخلت مستشفى الولادة التابع لمركز لعلاج العقم ، ولما دخل اليوم التاسع ليلا ازداد الطلق والمخاض ومع ساعات فجر العاشر وضعت الطفل الذكر الأول ، وبعد نصف ساعة ولدت الطفلة الأنثى ، وعانت تلك الساعات مما لا يعلمه إلا الوالدات ، وكانت في غاية الإنهاك والألم وحضرت الولادة زوجات إخوتها جهاد وسالم وجريدة ونوار ابنة عمها والزوج عصام ووالده حبيب ، وتمت عملية الإنجاب بسلام في ساعات الفجر الأولى .

وكان عصام ووالده يجلسان أمام غرفة الولادة

وأنفاسهم تكاد تنقطع من الخوف والقلق على حياة وردة والطفلين ، ودمعت عيونهم بسلامتها من زفرات الطلق والإنجاب .

ولما هنأهم الطبيب ومساعدته بسلامة الوالدة والتوائم غادر حبيب المستشفى وهو يحمد ربه ويشكره . ولما اطمأنت رندا وشقيقتها ريم على وردة ونامت غادرن المستشفى لبيوتهن ووعدتا بالعودة مساء .

وأما جريدة فكانت تتنقل بين وردة وعصام ، ورأت الفرح الكبير الذي غمره وعمها ، وأحضرت لهما قهوة . فقد نزفت وردة دما كثيرا ، وضعفت قوة الدم ، ولكن الطبيب طمأنها وأختها أن الأمر مقبول ، ولا خطر لحد الآن على حياتها .

وبعد الظهر غادر عصام بعدما قابل زوجته ، وبارك لها وهنأها على السلامة ، وعلى أثر انصرافه نامت .. فالنوم أكبر علاج للألم إن استطاع الإنسان النوم.

وانصرفت جريدة التي لم تجرب الولادة رغم أن لها اكثر من خمس سنوات متزوجة من شهاب ولم يتيسر لها الحمل.

وقبل غروب اليوم العاشر من مارس قدم عارف وجهاد وزوجته وزوجة أخيه لزيارة وردة ـ وسالم لم يكن في البلد ـ وتمكنوا من رؤية وردة ؛ حيث نقلت إلى غرفة خاصة في المستشفى بعد خروجها من غرفة عمليات الولادة .

وحضر حبيب وزوجته وأخته فاطمة حتى أن وردة سالت دموعها لرؤية عمتها التي جاءت تبارك لها الولادة : غلبت روحك عمتي .

ـ هذا أقل الواجب يا حبيبتي !

ولما رأى حبيب وامرأته وفاطمة الطفلين حمدوا الله وشكروه ، وقال: قلت لعصام عقيقتهم عليّ والحمد لله على قدرته ، وألف مبارك يا ابنتي !

****

زار عارف عمه في مكتبه ، وطلب مساعدته بالزواج من بنت الحلال ، فقال حبيب : أنت يا ابن أخي لا تصلي ، فماذا أقول لأهل البنت ؟ وأنت يا ابن أخي تسكر ، فماذا أقول لأهل البنت ؟ ولما أتقدم أنا لخطبة امرأة سيعتقد أهلها أن العريس مصلي محترم ، لا يشرب الخمر .. أترضى لي غش الناس ؟ ألم تلتق بطبيبة عملت معك وعلى شاكلتك .. تعرفك وتقبل بك يا بني؟

ـ أنا جهاد قال لي تحدث مع عمك .

قال : جهاد استحى منك .. استحى أن يقول ما قلته لك الآن .. تغير كما تغير غيرك وقد رأيت عصاما وشقيقتك كيف تغيرا ؟ فقد اجتنبا الخمر والزنا والموبقات .. الإنسان اذا عزم وأراد يستطيع التغير والانقلاب .. فالدين والإسلام والتوبة تكفر الذنوب مهما عظمت ، والتوبة تدل على

قدرتك على التغير وترك الإثم ، ويعود العاصي ؛ كما ولدته أمه بغير ذنوب وآثام .

ـ عمري ما صليت ، ولا صمت ، لا أعرف شيئا في الدين .

قال : تتعلم رويدا رويدا يا ابن أخي! العلم بالتعلم .. أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا .. كما قلت تعرف عصاما ووردة ماذا كانا من الزنا والشراب والانحراف ؟ وتعرف اليوم توبتهما .. كان وضعهما لا يسر صديق ولا عدو .

قال صافنا : يعني من أجل ذلك أرسلني جهاد إليك!

ـ أكيد ، ألم تعرف أنتى أثناء عملك؟

قال : أنا عمري ما زنيت ، ولا أ كذب عليك يا عم ؛ لكنني أشرب الخمر بكثرة وفي كل فرصة ولا أعمل علاقات مع نساء عزباوات أو متزوجات .. وميرا كذا مرة شككت بانحرافها ؛ لكن أغض الطرف ؛ لأن أمي رأت ذلك .

قال : نحن في شهر ثلاثة آذار .. التزم بما طلبت ، بعد شهرين أو ثلاثة على الأكثر أتأكد أنك عزمت على التغيير والإصلاح .. وسأبذل جهدي بإذن الله وقبل انصرام هذا العام أن تكون زوجا وعندك امرأة تسكن إليها .. ولماذا لا تشتري بيت أمك ويصبح ملكك؟!

قال : أولا أنه كبير ويحتاج نفقات أكبر ، وثانيا كان فيه خيانات زوجية لا أريد أن أتذكرها .

ـ على كل تشاور مع إخوتك ، واذا لم يأخذه أحدكم ، سأكلم ساميا وحسنا لعلهما يقبلان باستشاره .

قال : هما أهل لذلك .

قال : ماشي يا ابن أخي على ما ذا عزمت؟

قال : سأطيعك ، وأذهب لجهاد يعلمني الفروض الصلاة والاغتسال والوضوء .. حان وقت التغير ، لا تنساني من دعوة يا عمي .

حصار غزة

قال الإمام السخاوي في البلدانيات: غزة من بلاد فلسطين ، قريبة من بيت المقدس ، متوسطة في العظم ، ذات كروم على ساحل البحر ، وبساتين ، ونخل قليل ، وبينها وبين البحر أكوام رمال على بساتينها ، ولها قلعة صغيرة ، وشربهم من آبار ؛ بعضها طيب ، وهواؤها معتدل ، وكانت مستطرقا لأهل الحجاز ؛ حتى قيل : إن عمر ﵁ أسر فيها في الجاهلية ، وإن هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ



خرج في تجار من قريش أربعين من بني عبد مناف ومخزوم وسهم وعامر بن لؤي ، فاشتكى بغزة ،

فأقاموا عليه حتى مات بها ، فدفنوه هناك ، ورجعوا بتركته إلى بنيه .لذلك يقال غزة هاشم .

وقد خرج منها جماعة من الأئمة والمحدثين ؛ وولد بها أو بعسقلان إمامنا الشافعي ﷺ كما جاء كل منهما عنه في رواية ، وجمع بينهما بثالثة قال فيها : ولدت بغزة ، وحملتني أمي إلى عسقلان ، وبالجملة فهما متقاربتان ، وعسقلان هي الأصل في قديم الزمان ، وهي المدينة ، فحيث قال الشافعي غزة فقط أراد القرية ، أو عسقلان فقط أراد المدينة .

ثم إن عمرو بن العاص فتح غزة في خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، ثم فتح بعد ذلك سبسطية ونابلس على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم، وعلى أن الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم، ثم فتح مدينة لد وأرضها، ثم فتح يبنى وعمواس وبيت جبرين، واتخذ بها ضيعة تدعى عجلان باسم مولى له، وفتح يافا ، ويقال فتحها معاوية. وفتح عمرو رفح على مثل ذلك ، وقدم عليه أبو عبيدة بعد أن فتح قنسرين ونواحيها، وذلك في سنة ست عشرة وهو محاصر إيلياء، وإيلياء مدينة بيت المقدس.

قطاع غزّة المعاصر : هو المنطقة الجنوبية من الساحل الفلسطيني على البحر المتوسط، وهي على شكل شريط ضيق شمال شرق شبه جزيرة سيناء يشكل تقريبا ١،٣٣٪ من مساحة فلسطين التاريخية من النهر إلى البحر. يمتد القطاع على مساحة ٣٦٠ كم مربع، حيث يكون طولها ٤١ كم ، أما عرضها فيتراوح بين ٦ و١٢ كم .

يحد قطاع غزة الكيان الغاصب إسرائيل شمالاً وشرقاً، بينما تحدها مصر من الجنوب الغربي، يسمى بقطاع غزة نسبة لأكبر مدنه وهي غزة .

خضع القطاع لحكم عسكري مصري بعد ٤٨ ، ثم احتلها الجيش الإسرائيلي لمدة ٥ أشهر في هجوم على مصر ، كان جزء من العمليات العسكرية المتعلقة بأزمة السويس ، في مارس ١٩٥٧ انسحب الجيش الإسرائيلي ، فجددت مصر الحكم العسكري على القطاع ، في حرب ١٩٦٧ احتل الجيش الإسرائيلي القطاع ثانية مع شبه جزيرة سيناء ، وعجزت مصر عن تحريرها حتى اتفاقيات أوسلو ، في ١٩٨٢ أكملت إسرائيل انسحابها من سيناء بموجب معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، ولكن القطاع بقي تحت حكم عسكري إسرائيلي إذ فضلت مصر عدم تجديد سلطتها عليه.

دخلت إلى بعض مناطقه السلطة الوطنية الفلسطينية بعد توقيع اتفاقية أوسلو في العام ١٩٩٣، وفي فبراير ٢٠٠٥ صوّتت الحكومة الإسرائيلية على تطبيق خطة رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون للانسحاب الأحادي

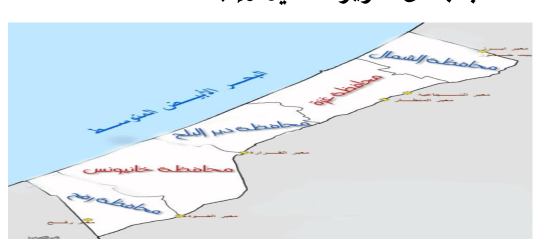
الجانب من قطاع غزة وإزالة جميع المستوطنات الإسرائيلية والمستوطنين والقواعد العسكرية من القطاع ، وتم الانتهاء من العملية في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٥ بإعلانها إنهاء الحكم العسكري في القطاع .

يعيش حوالي مليون ونصف فلسطيني في قطاع غزّة ، أغلبهم من لاجئي حرب ١٩٤٨ عام النكبة المشهورة ، ويوجد في قطاع غزّة حوالى ٤٤ تجمعا سكانيا فلسطينيا أهمها :غزة ، رفح ، خان يونس، بني سهيلا ، جباليا ، دير البلح، خزاعة عبسان الكبيرة عبسان الجديدة ، بيت لاهيا، بيت حانون.كانت إسرائيل قد قامت ببناء حوالي ٢٥ من المستوطنات في قطاع غزّة ، تتركز على ساحل جنوب القطاع وفي أطراف القطاع الشمالية ، تم إخلاء هذه المستوطنات وهدمها ضمن خطة الانسحاب الإسرائيلية من قطاع غزة.

قطاع غزة يغطّي حوالي ٣٧٨ كيلومتر مربع ، ويمتدّ من شمال شرق شبه جزيرة سيناء على طول البحر الأبيض المتوسط إلى حوالي ٤٠ كيلومتر .

بالرغم من كون مدينة غزة تمتلك الأسواق ، وبعض الصناعة الخفيفة، وقطاع غزة منطقة منتجة للحمضيات إلا أن الاقتصاد لا يمكنه دعم عدد السكان الكبير، ولذلك دعم من قبل وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى.

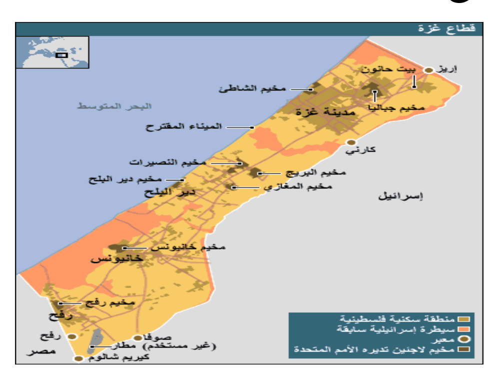
استولت القوات الإسرائيلية على القطاع خلال الحرب العربية الإسرائيلية من حزيران ١٩٦٧م في بداية كانون الأول ١٩٨٧، بدأت الانتفاضة في غزة ، خلال مظاهرات من قبل الفلسطينيين التي تطالب بحق تقرير المصير وإنهاء الاحتلال .



في أيلول ١٩٩٣ بعد مفاوضات سرية بين رئيس وزراء إسرائيل إسحاق رابين ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات وقّعا اتفاقية إعلان مبادئ التي تقر انسحاب إسرائيل من قطاع غزة ومناطق أخرى، وتحويل إدارة الحكومة المحلية للفلسطينيين ، في أيار ١٩٩٤ انسحبت القوات الإسرائيلية من القطاع، وأصبحت المنطقة تحت السلطة الفلسطينية.

مخيمات قطاع غزة : مخيم جباليا في شمال القطاع بين بلدتي جباليا وبيت لاهيا ، مخيم الشاطئ في غربي مدينة غزة ، مخيم البريج في وسط القطاع ، مخيم النصيرات في وسط القطاع ، مخيم الشابورة في جنوبي القطاع قرب رفح ، مخيم دير البلح في وسط القطاع ، مخيم خانيونس في جنوبي القطاع قرب خانيونس ، مخيم المغازي في وسط

القطاع .



أسست جامعة الأزهر الغزية في العام ١٩٩١، وهي مؤسسة أكاديمية مستقلة من مؤسسات التعليم العالي في فلسطين ، تعمل بإشراف وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية. الجامعة الإسلامية تأسست بغزة في العام ١٩٧٨، وهي مؤسسة أكاديمية مستقلة تعمل بإشراف وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.

خلال الهجوم على قطاع غزة (٢٠٠٨ – ٢٠٠٩) تعرضت الجامعة لقصف إسرائيلي من الجو في منتصف ليل الاثنين ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٨، وقد استهدف القصف مبنى المختبرات العلمية في الجامعة والمكون من خمسة طوابق.

فرضت إسرائيل الحصار على قطاع غزة إثر نجاح حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات التشريعية في ٢٠٠٦ ، ثم عززت إسرائيل الحصار في ٢٠٠٧ بعد سيطرة حماس كليا على غزة في حزيران ٢٠٠٧.

يشتمل الحصار على منع أو تقنين دخول المحروقات والكهرباء ، والكثير من السلع، من بينها الخل والبسكويت والدواجن واللحوم ، ومنعت الصيد في عمق البحر، وأغلقت المعابر بين القطاع وإسرائيل. مصر تشارك في الحصار بشكل غير رسمي، حيث أغلقت معبر رفح المنفذ الوحيد للقطاع إلى العالم الخارجي من جانب مصر ، وعلى اثر هذا الحصار قام الآلاف من الفلسطينيين في ٢٣ يناير ٢٠٠٨ باقتحام الحدود على الجانب المصري والدخول للتزود بالمواد الغذائية من مصر بعد نفادها من القطاع ، عبر في هذا الاقتحام ما يقرب من ٧٥٠ ألف فلسطيني نصف سكان القطاع ، وقد صرح الرئيس المصري للصحفيين لدى افتتاحه معرض الكتاب السنوي في القاهرة : "أمرت قوات الأمن بالسماح للفلسطينيين بالعبور لشراء حاجاتهم الأساسية والعودة إلى غزة طالما أنهم لا يحملون أسلحة أو أي محظورات".

تعتبر أنفاق التهريب الواصلة للجانب المصري من الطرق الرئيسية لدخول السلع التجارية للتجار في غزة بالإضافة للأسلحة بعد الحصار. الحالة المتردية لسكان القطاع دفعت منسق الشؤون الإنسانية في الأمم المتحدة ماكسويل غيلارد بوصف الحصار قائلا أنه "اعتداء على الكرامة الإنسانية". كما هدمت إسرائيل مطار غزة الدولي ، المطار الوحيد في قطاع غزة كلياً مما زاد شدة

الحصار والمعاناة.

يعيش حوالي ٤٠ ألف مواطن فلسطيني من صيد السمك في قطاع غزة ، ووفقاً لنقابة الصيادين في غزة ، يحتاج الصيادون إلى ٤٠٠٠٠ لتر من الوقود و٤٠٠٠٠ لتر من الغاز الطبيعي كل يوم للتمكن من تشغيل القوارب خلال فصل الصيد.

وفي شهر نيسان من كل سنة تبدأ هجرة الأسماك من دلتا النيل إلى المياه التركية والتي يعتمد عليها صيادو الأسماك الغزيين ، ومع ذلك تحدد إسرائيل مدى ستة أميال فقط من شواطئ غزة للصيد مع العلم أن معظم قطيع السمك المهاجر يتواجد عادة على بعد عشرة أميال من الشاطئ. وعادة ما يتم الاعتداء على الذين تجاوزوا الحد بثلاثة أميال ، حيث اعتقل أكثر من ٧٠ صياداً عام ٢٠٠٧ من قبل البحرية الإسرائيلية ، في عام ١٩٩٠ وصل معدل صيد السمك إلى أكثر من ٣٠٠٠ طن، أما الآن فيصل تقريباً إلى ما لا يزيد عن ٥٠٠ طن فقط بسبب الحصار الإسرائيلي على غزة.

كما أن هناك أثر بيئي للحصار على المياه التي يبحر عليها الصيادون، حيث تتلوث بخمسين مليون لتر من المياه العادمة كل يوم ؛ وذلك لعدم وجود خيار آخر لتصريفها. في ٢٣ أغسطس ٢٠٠٨ نجح ٤٤ من المتضامنين الدوليين الذين ينتمون لـ١٧ دولة على متن سفينتي "غزة حرة" و"الحرية" بكسر الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة لأول مرة، وقد انطلقت هاتين السفينتين من قبرص يوم ٢٢ أغسطس محملتين بالمساعدات الإنسانية ووصلتا القطاع بعد أن واجهتا تهديدات من جانب الإسرائيليين بمنعهم من الوصول للقطاع ؛ كما واجهتا ألغاما بحرية ، وتشويش ، عرقلت وصولهما لشواطئ القطاع عدة ساعات، فيما استقبلهم أهالي القطاع والحكومة الفلسطينية وأعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني بالترحاب ، وغادرت السفينتان يوم ٢٨ سبتمبر القطاع ، وأقلتا معهما عدد من الفلسطينيين كانوا عالقين في القطاع.

في ١ ديسمبر ٢٠٠٨ قامت إسرائيل بمنع سفينة المروة الليبية التي حوت ٣ آلاف طن من المواد الغذائية والأدوية ومساعدات متنوعة من إنزال شحنتها قرب غزة ، حيث اعترضتها الزوارق الحربية كما أوضحت وزارة الخارجية الإسرائيلية "إن سفناً حربية إسرائيلية اعترضت السفينة الليبية وأوقفتها وأمرتها بالعودة من حيث جاءت" بحجة "أنه غير مسموح لها بالرسوّ في الأراضي الفلسطينية بغزة".

وعلّق الزعيم الفلسطيني على سفن كسر الحصار بأنها "لعبة سخيفة" فيما عبرت منظمة "حركة غزة حرة" عن أسفها الشديد لتصريحات الزعيم

عباس، فيما اعتبرت حركة حماس تصريحاته "كلام سخيف لا يستحق الرد".

تعرضت إسرائيل في ديسمبر ٢٠٠٨ لانتقادات عنيفة في "منتدى الأمم المتحدة لحقوق الإنسان" الذي عقد في جنيف بسويسرا ؛ حيث حثت دول غربية بينها فرنسا ، ألمانيا، أستراليا، بريطانيا وكندا إسرائيل على رفع حصارها للقطاع، حيث قالت إن هذا الحصار أدى إلى تفاقم الأوضاع الإنسانية للمواطنين، كما تحدث في المنتدى عدد من مندوبي عدة دول بينها مصر، سوريا وإيران إلا أن مندوب الولايات المتحدة لم يتحدث في الجلسة ، ودافعت إسرائيل أن القطاع أصبح "بؤرة للإرهابيين" الذين يعدون ويشنون هجمات بالصواريخ عليها، وذلك حسب تعبير كبير المستشارين القانونيين بوزارة الخارجية الإسرائيلية.

في ١٠ ديسمبر ٢٠٠٨ رفع حقوقيون وقانونيون من بلدان عدة من بينهم ٣ محامين إسبان، مع وفد يمثل أمريكا الشمالية وأوروبا والشرق الأوسط وأمريكا الجنوبية ومنظمة التحالف الدولي لمكافحة الإفلات من العقاب المسجَّلة دوليًّا ، والعضو في المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة، دعوى قضائية أمام المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي ضد حكومة إسرائيل وكبار قادتها السياسيين والعسكريين؛ بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية ، وجرائم الحرب والإبادة الجماعية الناجمة عن استمرار الحصار المفروض على قطاع غزة ، وتمثل هذه الدعوى أول ملاحقة قانونية لدى المحكمة الجنائية الدولية لكبار القادة الصهاينة، وفي صدارة المُدَّعَى عليهم رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت ووزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك ونائبه ووزير الأمن الداخلي آفي ديختر ورئيس الأركان غابي أشكنازي، وتهدف الدعوى إلى إلزام مكتب المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية "بالتحقيق بالجرائم التي تُرتكب في غزة؛ وفقًا لنصوص المحكمة وما ورد في نظام روما الأساسي".

بدأت مصر في خريف ٢٠٠٩ ببناء جدار فولاذي يمتد على طول الحدود مع قطاع غزة تحت الأرض، بالإضافة إلى بضعة أميال بحرية للحدود البحرية وذلك للحد من التهريب وعمليات التسلل على حد قول الحكومة المصرية ، يقوم الجدار بحسب تصريحات الحكومة المصرية بتعزيز الأمن القومي للبلاد. ورفضت مصر تصنيف الجدار كعامل لتشديد الحصار على القطاع لكون الجدار تحت سطح الأرض، مع إقرارها بالوضع المعيشي الصعب لدى الغزيين.

الآن يمكننا أن نكتب عن أسطول الحرية الشهير ٢٠١٠.

مرمرة التركية



أسطول الحرية لفك حصار قطاع غزة ، بداية هو تجمّع من ثماني سفن يقوده ائتلاف مكون من الحملة الأوروبية وحركة غزة الحرة والإغاثة الإنسانية في تركيا ، إضافة إلى حملتين يونانية وسويدية ، وكان الهدف الأساسي للأسطول هو اختراق الحصار المفروض من قبل إسرائيل على قطاع غزة منذ أربع سنوات.

انطلق أسطول السفن من موانئ لدول مختلفة في جنوب أوروبا و تركيا، وكانت نقطة التقائها قبالة مدينة ليماسول في جنوب قبرص ، قبل أن تتوجه إلى القطاع مباشرة.

انطلق الأسطول باتجاه قطاع غزة في ٢٩ أيار ٢٠١٠، محملا بعشرة آلاف طن من التجهيزات والمساعدات ، والمئات من الناشطين الساعين لكسر الحصار ، الذي قد بلغ عامه الثالث على التوالي. شاركت شخصيات كثيرة في قافلة كسر الحصار من ٥٠ دولة مختلفة ، وكان من أبرز المشاركين فيها أعضاء من البرلمان الأوروبي والألماني والإيطالي والايرلندي، وأعضاء آخرين من البرلمان التركي والجزائري والكويتي والمصري والأردني ، وكذلك أعضاء عرب من الكنيست الإسرائيلي ، بالإضافة إلى أكثر من ٧٥٠ شخصية ناشطة في المجال الحقوقي تضم عددا من الإعلاميين ومراسلين قنوات فضائية عربية وغير عربية ، وهذا يعتبر أكبر تحالف دولي يتشكل ضد الحصار المفروض على قطاع غزة ، ويعد كذلك أكبر حملة تسعى إلى كسره .

ويحمل على متن سفنه نحو عشرة آلاف طن من المساعدات الإنسانية الموجهة إلى سكان غزة ، ومنها ستة آلاف طن من الحديد ، وألفا طن من الإسمنت، إضافة إلى مولدات كهربائية وأجهزة طبية وأدوية وكمية من المعونات الغذائية.

انطلقت ثلاث من سفن الأسطول صباح الجمعة ٢٨ أيار من ميناء أنطاليا التركي على أمل أن تلحق بها سفن أخرى قادمة من اليونان وإيرلندا والجزائر، غير أن سفينتين من الأسطول تعطلتا



لأسباب فنية. وكان متوقعا أن تصل القافلة إلى قطاع غزة في حدود الساعة العاشرة من صباح الاثنين .

ومنعت السلطات القبرصية سفينة يونانية من الوصول إلى السواحل القبرصية لاصطحاب ١٢ برلمانيا أوروبيا ، وثلاث شخصيات عامة، بينها الكاتب العالمي السويدي مايكل هانن كان مقررا أن يكونوا ضمن القافلة .

في فجر يوم ٣١ أيار ٢٠١٠ بعد الساعة الرابعة فجرًا ، تم الهجوم على سفن أسطول الحرية من قبل القوات الإسرائيلية الخاصة ، حيث قيل إنها قتلت أكثر من ١٩ وأصيب أكثر من ٢٦ من المتضامنين، في أحداث وصفتها مصادر عديدة "بالـمجزرة" والجريمة و"إرهاب الدولة" وقد نفذت عملية الهجوم على الأسطول قوات إسرائيلية خاصة، حيث استخدمت هذه القوات الرصاص الحي والغاز.

وسبق أن اعترضت البحرية الإسرائيلية العام الماضي سفنا عدة، من بينها سفينة روح الإنسانية التي دهمتها واعتقلت جميع من كانوا على متنها من ناشطين وإعلاميين لأكثر من ستة أيام.

كما أقدمت إسرائيل في ٢٠٠٩ على استهداف بعض السفن المشاركة في حملة الكرامة ، وما زالت تحتجز سفينتين من أسطولها ، وتجري جهات دولية اتصالات سياسية وقضائية لاستعادة السفينتين المحجوزتين في إسرائيل. وكانت قافلة شريان الحياة رقم ٣، قد تمكنت – بوساطة تركية– من دخول القطاع عبر رفح مطلع العام الحالي، وأدخلت مئات الحافلات المليئة بالمساعدات الطبية والإنسانية. يأتي ذلك في حين أخفقت قوافل وسفن أخرى من قبرص وليبيا ولبنان في الوصول إلى القطاع تحت تهديد من السفن الإسرائيلية المرابطة في مياه القطاع.

صدم العالم في اليوم الأخير من أيار من الاعتداء الوحشي للجيش الإسرائيلي على أسطول الحرية الذي أبحر من عدة مواني تجمعت في ميناء ليمارسون سواحل قبرص في اتجاه بحر غزة للمساعدة في فك الحصار المضروب من سنوات . وقد تم إيقاف هذه القافلة ، وبالتحديد سفينة مافي مرمرة من قبل قوات البحرية الصهيونية ، وقتل تسعة من الأتراك المتضامين مع أهل غزة .. دقائق هزت مشاعر أحرار العالم ، وتبين قسوة الصهيونية بحرمان مليون ونصف من الطعام والدواء والماء. وأدت تلك الأحداث الفظيعة إلى زيادة الضغط الدولي على إسرائيل لرفع الحصار وقامت إسرائيل على أثره بتخفيف الحظر المفروض على بعض السلع وأدوات المطبخ ولعب الأطفال ، بينما رفضت حركة حماس القرار واعتبرته دعائياً وغير عملي .

قال حبيب لابن أخيه جهاد بحزن وألم : شيء مؤلم

ما حدث في البحر ! هذا الإجرام معهود من أعداء الإنسان والإنسانية ، ومجازرهم في فلسطين ولبنان ومصر معروفة ومتكررة ، والمضحك فعلا أنهم يبتزون أوروبا خاصة المانيا والنمسا وإيطاليا للمجازر التي ارتكبها هتلر ضدهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ، وهم أشد إجراما من هتلر وموسوليني وفرانكو وماو وستالين .

قال جهاد : القرآن الكريم تحدث عن مجازرهم نحو الأنبياء ، فهم قتلة الأنبياء ونقضة العهود والوعود .. أخزاهم الرب في علاه .. وسعوا مرات لقتل نبينا ﷺ .

كان العقلاء الأحرار مصدومين مما حل في سفن أسطول الحرية المسالم ، فقال : شعب وأمة حقودة وكارهة للبشرية .. عاملهم الله بما يستحقون ، لكل بداية نهاية عرفنا البداية ، وستكون النهاية مهما يطل الزمن .

أكد جهاد ما قرره عمه : سيزولون كما زال غيرهم .. الأمر لله من قبل ومن بعد ليتخذ الله منا شهداء .. رحم الله شهداء أسطول الحرية .. لجمعيتنا ثلاثة أعوان رافقوا الحملة الكبيرة .. ولم يصب أحدهم بأذى .. وسوف يعودون بعد اطلاق سراحهم .. ولن يتوقف السعي في فك الحصار الظالم والمجرم ، ما دام هناك أحرار بحق .. وعلمنا أن القتلى التسعة كلهم أتراك رحمهم الله .

قال حبيب : رحم الله شهداء أسطول الحرية .

ـ أمين .. لقد تمت تصفية أملاك أمي وبيعها ، وتوزيعها ، وحصة بلص أخذتها الأوقاف ، لم يجدوا وارثا عصبة ، والذي ظننا أنه ابن عمه ، تبين أنه ابن بنت خالته وأخوه العصبة ميت ، وأختاه ميتتان ، ولا ذرية لهم ، وأعطى عارف ألف دولار لابن بنت خالته ، وأغلب أثاث أمي ونقل ما يلزمه لشقته بعدما خرج المستأجر فقد دبر سامي له شقة .. وغرفة نوم أمي أخذتها جمعية ؛ لتقدمها إلى عائلة.. المهم القاضي حول حصته للأوقاف في بعنبس ، فله أقارب في أمريكا وقبرص ورجح القاضي أنهم لا يرثون .

ـ ما دام قاضينا فعل ذلك فهو أدرى .. والفيلا باسم من؟

ـ كان يرغب سالم بامتلاكها ثم اعتذر ، فأخذها سامي وحسن وستحول إلى عمارة .. والفيلا اذا لم تؤجر كفيلا ستحول لشقتين .. فأكثر الشبان يحبون الشقق الصغيرة والمتوسطة .

قال حبيب : تملكها سامي وحسن ـ ما شاء الله ـ وفقهما الله .

ـ دفعوا الثمن نقدا ، ووزع مع باقي الأملاك .

ـ والعمارات المؤجرة!

قال : امتلكت واحدة ، وامتلك سالم واحدة من حصتنا ، والمعرض نقلت ملكيته لتاجر .

ـ انتهيتم من ميراث أم عارف.

قال : أجل ، عرف كل واحد منا كم له بعد حصر الميراث ؛ حيث وصل لخمس ملايين يتضمن حصتها من ميراث أبي كما تذكر ثلاثة ملايين ونصف!

فقال : بارك الله لكم ! سبحان الله ! الناس أو بعضهم يجمعون ويجمعون ثم يرثه آخرون .. ما أخبار شقيقك عارف ؟

قال : استقال كما تعلم من العمل ، وما زال بدون عمل ينتظر شهاب وجريدة ليعمل معهم في إنشاء مستشفى ، وقد شاركهم رأس المال ، وقد امتلكوا بنايتين في حي الجبل شمال بعنبس وتم هدمها لإقامة مستشفى مكانها ، وعارف سمع النصيحة وتعلم الصلاة ، وهو يتردد على المسجد القريب من شقته ، مسجد حي العين ، ويمشي أحيانا مع جماعة الدعوة بحكم وجودهم في مسجده ، وسألني عن بنت الحلال، لأن بعض المشايخ يرغب بتزويجه من بناتهم وأخواتهم فقلت اصبر عمك يبحث لك ، وها أنا أذكرك بأمره ؛ كما طلب مني .. يستغل وقت الفراغ معهم .

قال : هذا المسكين كان خاضعا لأمك زكية خضوعا عجيبا ، كان يعلم بفجور زوجته ، ولم يفعل إلا الصمت ، رغم أنه طبيب يعني صاحب عقل علمي.

قال : وأعتقد أمي كانت تعلم من بلص ، وصمتها بسبب أنها ابنة صديقتها أيام بيروت ، وهي التي اختارتها وزوجتها لعارف برحلة كانت لها ببيروت.. وفيرا هي التي زوجتها للسيد ناجي عرفته من معرض السيارات .. وكانت ترغب أن يعرف عارف بنفسه فجورها ، ليطلقها على أنها لا تعلم شيئا .

****

وردة بعد الولادة استأجرت خادمة لمدة ؛ لآخر السنة ، وكانت الخادمة أو الشغالة شابة فوق الثلاثين من دولة غانا ، ولها تعمل في المدينة حوالي عشر سنين ، وحسب نظام مكتب الاستخدام لها إجازة خلال السنة شهر واحد إذا رغبت بالسفر لوطنها ، أو أسبوعان في نهاية حزيران ، وأسبوعان آخران في نهاية كانون الأول ، تقضيهما داخل البلد في سياحة ، في بيت صديقاتها ، أقاربها في البلد ، واذا اعتذرت عن الإجازة على المستخدم دفع أجرة الإجازة غير راتب الشهر



وفرت لها حجرة في الفيلا الواسعة ، ترقد فيها ، وكانت مربية جوهر وسلمى لها حجرة مستقلة وسرير في غرفة الطفلين عند مرض أحدهما

للأشراف عليه ..لهن حمام مستقل ، وفيه مرحاض ولهن حرية استخدام المطبخ .

كانت جوليا الأثينية تبدأ إجازتها في الصيف ، ومدتها شهر تقضيها في أي مكان ، وعلمت وردة أنها تفكر بترك العمل ، والعودة الدائمة لبلادها ، وطلبت وردة منها اذا حسمت أمرها أن تخبرها ؛ لتتعاقد مع مربية أخرى من شركة استقدام المربيات الأوروبيات في تاج الزمان.

اليوم التجارة في كل شيء ، والأثرياء لا يستغنون عن الخادمات في كل بلدان العالم ويجلبن من خارج البلاد ؛ ليمكثن ويعشن في بيوت مستخدميهنّ ، وهناك خدم ذكور للمطابخ والبساتين وبينها وردة مشغولة في أوائل حزيران بولديها الجديدين ، وتساعدها جوليا وسالي برعايتها ، وكانت تعتمد على اللبن الصناعي كثيرا في تغذيتها ، لم تسطع فعل ذلك من ثدييها ، فدرهما قليل ؛ فكان لابد من الحليب المصنع .

اتصلت بها الدكتورة علا خميس دون سابق معرفة أو اتصال ، باركت لها الولادة والاعتذار عن التأخر في المباركة ، وبينت لها معرفتها الشخصية بشقيقها المحامي جهاد نجيب.

فرحبت بها وردة ، وشكرت مباركتها ، وبينت لها علا عن سبب هذا الاتصال ، واستفهمت عن شقيق زوجة جهاد وسالم الدكتور عبد الرحيم أمجد .

فاعترفت وردة أنها لا تعرفه حق المعرفة ، فلا اختلاط بينهم ، وحتى زوجات إخوتها اللواتي تحسنت علاقتها بها ، لا تعرفها جيدا ، علاقتها بها علاقات مناسبات بعد توبتها وتركها الانحلال والإباحية التي كانت تدعو لها ، والرجل كان يعمل في السعودية محاضرا ومدرسا في إحدى جامعتها ، وأن امرأته ماتت وتركت له طفلا صغيرا اسمه محمد ، فلا تعرفه حق المعرفة لا اختلاط بينهم ، ثم قالت : أنا أتذكر أن جهادا أخبرني أنه تقدم إليك قبل ولادتي بمحمد ومي لماذا تأخرتم ؟!

قالت : صدقت ، كان الكلام حول زواجي بداية منذ حدث طلاقي ، ولما انتهت العدة الشرعية تحدث معنا شقيقك جهاد في شهر شباط الماضي ، تلك الأيام تعرض والدي لمشاكل صحية ، ثم في آخر نيسان التقينا ، وتحدث مع أخي الكبير سليم وأمي ومعي ، فطلبت مزيدا من الوقت حتى تتحسن صحة أبي ، واليوم وضع أبي أحسن بفضل الله .. أنت لا تعرفينه ، ولا الدكتور زوجك.

قالت : كما قلت لك ، كانت علاقتي قبل سنتين باردة جدا وفاترة مع إخوتي وأنسابهم .. قد تمر السنة ، ولا نرى بعضنا بعضا .. كنت أنا وعصاما

نعيش في عالم آخر ؛ لكن لما تكرم الله علينا بالعودة لدينه أصبحوا أهم الناس في حياتنا يا دكتورة !

قالت : ثبتك الله ورفع مقامك دنيا وآخرة ! أبي دائما يذكركم بكل خير ، وأنا معجب بك وبإرادتك.. ولي رغبة باللقاء بك ، والتعرف عليك عن قرب.. لقد أحببتك يا دكتورة !

ـ جزاك الله خيرا .. والقلوب عند بعض.. وجزى الله أباك خيرا على حسن ظنه بنا .. وسأتحدث مع جهاد في الأمر .. هو كما تعلمين زوج أخت الدكتور أبي محمد .. ولولا مناسبته لك ما فتح جهاد الموضوع معكم .

ـ صحيح كلامك! أنت تذهبين للعيادة.

قالت : لي شريكة في العيادة منذ مطلع العام ، وتعرف ظروفي .. بعد نهاية هذا الشهر سأعود لممارسة العمل بإذن الله .. وتشرفيني بالبيت . وذكرت لها عنوان الفيلا .. أنت ما زلت تعملين في مستشفى الأطفال الجامعي.

ـ لقد تركته ، وأعمل في مستشفى جديد .. متى تحبين أن أزورك أنا وأمي؟

قالت : أي وقت مناسب لكما!

ـ الرابعة عصرا غدا إن شاء الله

قالت : إن شاء الله .. حياكم الله وبياكم .. أنا في انتظاركم.

لما صلت فرضها هي وزوجها عصام قالت : تكلمت معي علا خميس .

قال : بنت اللواء!

قالت : بنت اللواء الدكتورة علا التي حدثنا جهاد أن أخ رندا قبل بالزواج منها الدكتور أبو محمد مدرس الجامعة .. ذهب لبيت والدها ؛ حيث تعيش بعد تعافي اللواء من العملية التي أجراها لقلبه .. اتصلت بي لتأخذ رأينا في الرجل فأخبرتها أننا لا نعرفه بشكل جيد .. هل تعرف عنه شيئا ؟

قال متفكرا : أنت تعلمين أننا كنا بعيدين عن جهاد وسالم إلا بالحد الأدنى وعلاقتي تحسنت معهما عند الحادث ، وعند التوبة زادت المحبة بيننا .. فأبي كان يحبهم ويقدرهم ويتناقش معهم أكثر مني .. فأبي يعتبر كل من لا يصلي ناقص الأهلية يعيش كالأنعام .. فلديه كره لمن لا يلتزم ولو بالقليل من العبادات ؛ فلذلك لم أكن محبوبا إليه إلا بعد توبتي ، فعدت الابن الكبير ويتشاور معي في أمور كثيرة .

قالت : عمي جوهرة العائلة ! وهو الأب الحقيقي لنا .. كانت تمر السنوات ولا أراه فيها ، ولا أتكلم معه ، ولا أهتم ، ولا أذكر أنني فتحت هاتفي لأُعيد عليه ، كنا لا نعرف تلك الأعياد ولا نهتم بها ، ولا حتى أمي تقول لي اتصلي وعيّدي على عمك.. كان بلص يفعل ذلك ، وأرد عليه بجهلي

أي عيد؟ العيد لمن صام وحج .. يا كم كنت جاهلة !

ـ وأنا مثلك كنا نفطر على كأس شراب صباح العيد .. الناس الصالحة تصدح بالتكبير في الطرق ذاهبة لصلاة العيد ..ونحن نسكر يا للجهل !

قالت : اليوم شقيقي عارف تغير وبدا يتخلص من سيطرة أمي عليه .. ويخرج مع جيرانه في المسجد من شيوخ الدعوة إلى المساجد الأخرى .

قال ممتنا لربه : نعمة الالتزام والإيمان من أكبر النعم علينا .. الحمد لله الذي هدانا ونوّر قلوبنا ما ألتقي مع زميل قديم إلا قال آ يا عصام سمعنا أن الشيطان أخرجك من قائمته السوداء .. وتركت الحانات لبيوت الأحزاب والتيارات الجاهلة .. تيارات الإرهاب والتزمت .. رحماك يا الله ! وأقول هداكم ربي كما هداني .. كون بلا إله .. إنسان بلا عقل.. فأخي عارف أخذ يتحرر من عقدة الانقياد لأمه .. أبي وعده بالزواج اذا التزم بفروض الله .. فلا يستطيع تقديمه للناس وهو عاص لله .. فاستوعب النصح ؛ كما استوعبته أنا .. وأخبرني جهاد أنه يتعلم حسن تلاوة الكتاب مع إمام المسجد .. فهو منذ طلاق ميرا ؛ كما تعلمين ترك الوظيفة الروتينية ، وشارك جريدة وزوجها المستشفى الذي يستعدون لإقامته حتى شهاب يصلي بعد أن ترك بلد الصلاة وترك الشراب .

قالت: للأسف جريدة تحاربه ، وتزعم أن ذلك نفاق ، قلت لها لمن ينافق ؟ وتكرر الشجار بينهم بسبب قوارير الخمر الموجودة في البيت .. أعترف أن الحياة المادية فارغة بعد التجربة .

قال : جهاد طلب منه أن يدع الخمر في البيت ؛ كما كانت حتى لا تلجأ للسكر في الحانات والملاهي الليلة .. وقال له : ستتخلص منها بثباتك أنت .. فالتربية الفاسدة لا تزول بساعات يا شهاب! عليك بالتدرج حتى تذهب رواسب التربية السيئة ، والكبر من نفسها ؛ فكأنه اقتنع.

همست : نظرية التدرج بالتخلص من العادات السيئة .

قال عصام : أحيانا كثيرة يحتاج الإنسان لهذه النظرية .. قال أحد العلماء لتلاميذه عندما تاب موسيقار كبير في بلدهم على أيديهم وألحوا عليه أن يطلب منه التخلي عن ماله الخبيث مال الموسيقى وحفلاتها فقال العالم: دعوه حتى يتعرف على أخلاقنا وسلوكنا والحلال والحرام ، وسيأتي وحده للخلاص منه .. وفعلا بعد شهور ستة جاء الموسيقار ، وطلب من الشيخ عن الكيفية التي يتخلص بها من المال السحت .. نعود لأبي محمد شقيق رندا وريم .. أنا أعرفه وزارني أيام الحادث في المستشفى وهنا .. معرفة عامة حتى إبراهيم نسيب جهاد كذلك ؛ لكنهم حسب ما نسمع من

جهاد وسالم أنهم أناس محترمون ، ووالدهم وصل لمركز قيادة كلية من الكليات العلمية .. أكاديمي كبير ومعروف على مستوى الجامعات .. وأبو محمد محاضر في كلية الآداب ، وسمعت أبا عبدالله يقول إنه يعرف الإنجليزية أكثر من أهلها ، ويقضي إجازاته في بلادهم في مراكز العلم المكتبات لمزيد من المعرفة والاطلاع .

قالت: غدا ستأتي بصحبة أمها وشقيقها للتعارف ؛ لتبارك لنا ويسمعون رأينا .

ابتسم وقال : الرأي عند جهاد .

قالت : هم يثقون بكلام جهاد عنه ؛ ولكنه صهره وأخ زوجته .. فيرغبون بسماع طرف محايد.

ـ صحيح وجهة نظر مقبولة.

قالت : اخبرني جهاد أنهم سألوا الوالد العم الغالي ، فأثنى عليهم خيرا .. وجهاد هو الذي شجعه على اختيارها أولا ، وثانيا أبو محمد يريد أما لمحمد ؛ ليتفرغ لأبحاثه وتقدمه العلمي .

مقتل عميل

نشرت بعض الصحف العالمية يوم ٢٩ حزيران خبرا مفاده مقتل طبيب عربي عميلا لإسرائيل في قطاع غزة ، كان قادما إليها عن طريق إسرائيل يعمل مع جمعية إغاثة بلجيكية ، لها مركز إغاثة دائم يعمل في القطاع من أيام الانتفاضة الأولى ، تدعمه جمعيات بلجيكية وأوروبية إنسانية ، دخلها برفقة الحملة ، وتصحبه صديقته الطبيبة البلجيكية وقيل الهولندية



المقاومة الفلسطينية منذ سيطرتها على غزة ، وحتى من قبل لم تكن ترحم عملاء إسرائيل في القطاع ، وخففت منهم كثيرا وتقلص عددهم ؛ وهؤلاء العملاء عيون إسرائيل منذ ملكت القطاع في نكسة حزيران ، ومن قبل وأثناء حكمهم كذلك ، وطردت قوات ناصر منها ؛ لكن العمالة لا تنتهي ؛ ليس في غزة وحدها ؛ بل في كل العالم .

ويستغل كل شيء في تجنيد العملاء .. الصحافة والمراسلون والجمعيات الإنسانية والخيرية والأمم المتحدة والصليب الأحمر ووكالة الغوث والبعثات الطبية والمستشفيات الثابتة والميدانية والمساعدات الإغاثية وحتى الرياضية وبعثات السلام وقوات السلام وحركات السلام ، فوكالات الاستخبارات تزرع العملاء فيها .

في حرب غزة الأخيرة ٢٠٠٩ أعدمت فصائل المقاومة العسكرية عددا من العملاء ممن أدانتهم قبل نشوب الحرب ، والحرب مستمرة بين أمن حماس وعملاء إسرائيل من أيام عماد عقل ويحيى

عياش .

دخل هذا الطبيب العربي بجواز سفر بلجيكي ضمن أعضاء تتعاقد معهم جمعية الإغاثة البلجيكية في بروكسل عاصمة الاتحاد الأوروبي للعمل معها مدة شهر شهرين ، فصل ، نصف عام ، سنة ..حسب رغبة المتعاقد .

لم تكن أول مرة يدخل فيها غزة ، فبعد الحرب دخل ضمن بعثة إغاثة يونانية ، هذه المرة دخل وصديقته مع بعثة دائمة لبلجيكا تقدم خدماتها الطبية والإغاثية لفئة معينة من ضعفاء وفقراء ومرضى القطاع ، ودخل بجواز سفر بلجيكي تبين لاحقا أنه مزور .

دخلوا القطاع عن طريق أحد معابر غزة إسرائيل ؛ بسبب مجيئهم برحلة طيران مباشرة من بروكسل إلى مطار بن غوريون اللد سابقا ، وبعد دخولهم بليلة التقى هذا الطبيب قرب صلاة الفجر بعميل غزي حتى يظن من يراه أنه ذاهب للصلاة والتقى بعميل للموساد أو الشاباك في نقطة ما متفق عليه ، ليسلمه حقيبة مليئة بالدولارات .

وكان العميل الكبير في السن تحت المراقبة ؛ لأن عمالته مكشوفة لأجهزة المراقبة والتتبع ، ولما أحاطت سيارات الأمن بالمكان ، حاول الطبيب الفرار فأطلقت عليه النار فمات في مكانه ، وقبض على الآخر ، وصدر بيان مقتضب عن وزارة الداخلية الغزية بذلك ، ثم تبين لهم بعد السيطرة على وثائقه وأغراضه أنه عربي فلسطيني من عرب ٤٨ ، وهو حضر بصفته طبيب عربي يحمل الجنسية البلجيكية ، وصاحبته البلجيكية الطبيبة دايل ويت ، واسمه وائل زياد ، عمل في البلاد الشامخة لسنوات كطبيب ، ثم رحل لأوروبا ، فقد دخل حاملا الأموال لذاك العميل ليوزعها على المخبرين والمتعاونين معه ، وكتبت الصحف أنه كان صهرا لضابط كبير في مخابرات البلاد الشامخة ، واعترفت صحف إسرائيلية بتجنيده في آخر أيام الجامعة حيث درس الطب في جامعة بعنبس الدولية ، ووالده خدم كضابط في الجيش الإسرائيلي ، ثم في الأمن الإسرائيلي ، عمالة الأب معروفة لأهل بلدته المهجّرين لقطاع غزة ، ولأقاربه وسكان البلدة داخل الخط الأخضر .

ولما انتشر اسم هذا القتيل المتهم بالعمالة لإسرائيل في البلاد الشامخة ، صدمت مخابرات البلاد الشامخة للوهلة الأولى لصلته بنائب مدير المخابرات المتقاعد من خمس سنوات اللواء خميس جعلونة ؛ حيث كان الرجل زوج ابنته ، وتطلقا في العام ٢٠٠٩ ، والذي دفعهم للاهتمام أكثر نشر الصحف العبرية خبر مقتل عميل للأجهزة الأمنية في قطاع غزة على أيدي رجال المقاومة وقدمت العزاء لأسرته ووالده الضابط المتقاعد من الأمن

الإسرائيلي ، وإخلاصهم لدولة إسرائيل منذ الاستقلال عام ١٩٤٨ .

وشباب العرب في كثير من أقطار العرب يعلمون مع مخابرات العدو ، وأسباب التجسس المهمة ثلاثة : الحاجة للمال والثروة أو تعرض العميل للابتزاز والتهديد أو كرهه لوطنه أو مبادئ اقتنع بها ضد بلده ووطنه ، وفلسطين يسقط الشباب للحاجة المالية والفقر أو ليسهل لهم الدراسة في الخارج دون معوقات ، ولا يعتقد أن فلسطينا يعمل من أجل وحب دولة إسرائيل

كشفت الصحف أن الرجل دخل غزة مع بعثة يونانية بجواز سفر عربي ، والتقى ببعض العملاء الذين طلب الالتقاء بهم من أجل الجندي جلعاد المعتقل في غزة ، وقدم لهم المال .

وهذه المرة جاء ضمن متطوعين لمساعدة الضعفاء والفقراء في هيئة إغاثة بلجيكية هو وصديقته الطبيبة الغربية ، ولما دخل إسرائيل أعطي حقيبة المال التي عليه تسليمها لعميل كبير يحمل كود " د " لهم في غزة ، وكان يحمل جواز بلجيكي ثم تبين أنه مزور ، كما اعترف أمن بلجيكا بذلك التزوير .

وقد هلك قبل شهور جاسوس إسرائيلي كبير ومهم يوم ولادة وردة ، اسمه المعروف إعلاميا دافيد قمحي .دافيد قمحي ولد في بريطانيا ، لعائلة يهودية صهيونية كثيرة الأولاد من أصل سويسري ١٩٢٨م ، هو أصغر أشقائه ، عندما بلغ الثامنة عشرة ، هاجر إلى إسرائيل ، على عكس أشقائه الآخرين، وانضم فورا إلى التنظيم العسكري الصهيوني هاجاناه.

سنة ١٩٤٨ شارك في الحرب على جبهة القدس ، وأصيب بجراح بالغة في مقدمة رأسه ، بقيت هذه الجراح علامة مميزة في رأسه ، غطاها طيلة عمره بباروكة اصطناعية . بعد الحرب ٤٨ وانتصار إسرائيل على الجيوش العربية السبعة تقدم للدراسة في الجامعة العبرية في القدس قسم الآداب ، ولم يترك الجامعة إلا بعد الحصول على شهادة الدكتوراه ، أتمها في جامعة السوربون في فرنسا ، ولكن دراسته الجامعية لم تكن لغرض العمل الأكاديمي ، بل جاءت كخلفية وغطاء لنشاطه في الموساد ، الذي انتسب إليه في سنة ١٩٥٠ . فقد مكنته هذه الخلفية العلمية من البروز كشخصية قيادية موجهة في الجهاز، لدرجة أنه تحول إلى مؤسس للكثير من مناهج الموساد وتقاليده وعاداته.

الصحافي الصهيوني المعروف يوسي ميلمان، الذي يكتب في صحيفة هآرتس، كتب بمناسبة وفاته أنه كان من أصحاب النظريات الأساسية التي سادت ، وما زالت تسود في عمل الموساد حتى اليوم ،

وأنه «كان القائد الذي غرس عملاء للجهاز في العالم العربي» ، وهو نفسه أمضى سنين كثيرة في دول عربية وأفريقية عدة تحت اسم مستعار . ارتبط اسم قمحي بفضيحة الموساد الأولى ، التي وقعت في أواسط الخمسينات في مصر ، أرسل الموساد مجموعة من عملائه إلى القاهرة ، لكي يعملوا على تخريب العلاقات الناشئة بين مصر والولايات المتحدة ؛ حيث دعمت مخابرات أمريكا الانقلابين في مصر ؛ كما دعمتهم في انقلاب ٢٠١٣ ، وكان هؤلاء العملاء من اليهود المصريين الذين هاجروا للتو إلى إسرائيل. طلب منهم قمحي أن ينفذوا عمليات إرهابية في العاصمة المصرية ، ووضع عبوات ناسفة لتفجيرها ضد مؤسسات أميركية ، ولكن المخابرات المصرية كشفت المؤامرة بسرعة ، واعتقلت العملاء جميعهم ، واعترفوا بكل شيء، ونقل المصريون اعترافاتهم إلى واشنطن ، فانقلبت العملية على إسرائيل وتحولت إلى فضيحة ، اضطر وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت بنحاس لافون إلى الاستقالة ، بعد أن تآمر عليه رئيس الوزراء، دافيد بن غوريون، وأفراد معسكره، وألبسوه ملفا هو غير مسؤول عنه.

قمحي كلف يومها بمهمة التحقيق حول كيفية تمكن المصريين من كشف العملاء ، أجرى هذا التحقيق وفق نظريته «كل شيء مباح في سبيل حماية أمن إسرائيل»، فسافر إلى ألمانيا، وقام بتجنيد ضابط سابق في الجيش النازي لصالح الموساد ، وأرسله إلى مصر لاستقصاء الحقائق، فعاد إليه هذا الضابط بالخبر اليقين فتبين أن المخابرات المصرية ضبطت أحد العملاء مصادفة ويدعى أفري العاد، وحققت معه ، فكشف عن تفاصيل الخطة قبل أن يبدأ تنفيذها ، بسبب هذا التحقيق تمت محاكمة هذا العميل في إسرائيل بعد إطلاق سراحه من مصر.

في السبعينات تولى قمحي مهمة البحث عن «منفذ لإسرائيل في لبنان»، فسافر إلى لبنان بنفسه وأقام علاقات مع مجموعة من قيادة «الكتائب» في ذلك الوقت ، واجتمع بالرئيس بشير جميل في سنة ١٩٧٦، بفضل نجاحاته هناك ارتقى في سلم القيادة ، وأصبح قائما بأعمال رئيس الموساد ومرشحا لرئاسته ، إلا أنه اختلف مع رئيس الجهاز ، يتسحاق حوفي ، واضطر إلى ترك الجهاز. عام ١٩٨٠ قرر وزير الخارجية آنذاك إسحق شامير، تعيين قمحي مديرا عاما لوزارته. تقول أرملته روتي قمحي، فإنه كان يعارض فكرة «أرض إسرائيل الكاملة»، التي تنفي وجود وحقوق الشعب الفلسطيني والتي تبناها شامير ، كما رأى قمحي أن إسرائيل أخطأت باحتفاظها بالضفة الغربية وقطاع غزة ، وكان عليها أن تنسحب منها فور الانتهاء من حرب ١٩٦٧ .

لكن شامير اختار قمحي ، ووافق قمحي على خدمة شامير لكونهما رفيقي سلاح، ففي الموساد كانا يعملان معا، وخاضا مغامرات غير قليلة سوية.

يقول أصدقاء قمحي إن شامير لم يعامله كمدير عام فحسب ، بل ائتمنه على أسرار الدولة جميعها ، وأشركه في أدق القضايا، ووجد فيه رجلا يستحق الثقة، وسيحتاجه شامير لاحقا ، ليكلفه بمهمة خطيرة للغاية ، هي التقرب إلى نظام الثورة الإسلامية في إيران.

بعد الانتهاء من الخدمة في الخارجية الإسرائيلية سنة ١٩٨٦، عين سفيرا فوق العادة للمهمات الخاصة ، وتركزت مهماته في إقامة علاقات مع القوى المعارضة للشيوعية الصاعدة في بولندا ، ثم في دول اشتراكية أخرى ، تمكن قمحي من قراءة الخريطة ، فأرسل التقارير التي تفيد بأن دول أوروبا الشرقية ستترك الاشتراكية في القريب ، وبدأ في إقامة علاقات جيدة مع المعارضة التي تتأهب لتسلم الحكم. تقاعد من العمل الوظيفي وتوجه إلى الاقتصاد ، فقد ظل على علاقة وثيقة في السياسة، واضعا نفسه في خدمة الحكومات المتعاقبة ، فقد اتبع أسلوب الموساد بأن يخدم إسرائيل بغض النظر عمن يقود ، وعن السياسة التي تتخذ.

ثم أنشأ «مجلس السياسة الخارجية» ، كمرجعية لتطوير السياسة الخارجية للدولة وتحسين أدائها، وظل رئيسا للمجلس حتى آخر يوم في حياته ٩ مارس ٢٠١٠م. ارتبط اسم دافيد قمحي بفضيحة «إيران – غيت» ، التي وقعت سنة ١٩٨٥، وكشفت سنة ١٩٨٦، تمثلت هذه الفضيحة بشراكة في صفقة أسلحة التقت بموجبها مصالح إيران وإسرائيل والولايات المتحدة وحزب الله اللبناني. جوهر هذه الفضيحة هو أن الولايات المتحدة التي كانت في العلن تناصب إيران العداء ، قررت بيع أسلحة لها تعينها في حربها ضد العراق، مقابل وساطة إيرانية لدى حزب الله ليطلق رهائن أميركيين اختطفوا في لبنان ؛ كما أن الرئيس الأميركي رونالد ريغان ، الذي كان يريد إطلاق سراح الرهائن الأميركيين في لبنان، كان أيضا قد وضع خطة لمحاربة الشيوعية في العالم من أفغانستان إلى كمبوديا وأنغولا ونيكاراغوا ؛ لكن الكونغرس الأميركي منعه من تحويل الأموال إلى المتمردين الكونترا ضد حكم السندستيين في نيكاراغوا، فوجد في الصفقة مع إيران فرصة للحصول على أموال «من مصادر أخرى»، ومنحها للمتمردين في نيكاراغوا بالالتفاف على الكونغرس. في حينه كان إسحق شامير وشمعون بيريس يتبادلان رئاسة الحكومة

في تحالف وطني بين حزبي الليكود والعمل، فقررا مع وزير الدفاع إسحق رابين تكليف قمحي بالمهمة ، بصفته يتمتع بأسلوب ساحر في تليين الأعداء ورجل أمن عتيد وخبير واختار قمحي للعمل معه كل من يعقوب نمرودي، وهو رجل أعمال كبير يمتلك صحيفة «معاريف» ، وكان قد خدم طويلا في الموساد كمسؤول عن الساحة الإيرانية في زمن الشاه ، وإيلي شويمر، وهو أيضا رجل أعمال، وكان مديرا عاما للصناعات الجوية في إسرائيل ، وقد نجحوا في إقامة العلاقة مع القيادة الإيرانية، وعقدوا الصفقة، وهي ٥٠٠ صاروخ «طاو» مضادة للدبابات، مقابل إطلاق الرهائن ، والأموال وصلت إلى المتمردين في نيكاراغوا، بالطبع بعد خصم العمولات الإسرائيلية. تطورت العلاقات بين الإسرائيليين والإيرانيين لصفقة أسلحة ثانية ، وهذه المرة من دون علاقة بحزب الله.. صفقة أسلحة عادية ، وكان المطلوب ٥٠٠ صاروخ «هوك» مضادة للطائرات ؛ لكن هذه الصفقة تعثرت ، حيث إن الإيرانيين وجدوا أن الدفعة الأولى مغشوشة ، وقد لاحقوا يعقوب نمرودي في السويد، وهددوه بالقتل إذا لم يذهب معهم إلى البنك، ويعيد النقود التي قبضها كدفعة أولى. ضمن قمحي أن تعاد النقود فعلا ، وأعلن الإيرانيون أنهم لا يريدون أن يتعاملوا مع إسرائيليين، وأنهم يريدون التعامل مباشرة مع الأميركيين.

وأرسل الأميركيون ١٠٠٠ صاروخ «هوك» فعلا ؛ ولكن إسرائيل تصالحت مع القيادة الإيرانية يومها ، وعينت شخصا آخر بدلا من نمرودي وشويمر، هو عميرام نير، المراسل العسكري للتلفزيون الإسرائيلي. وقد تخلصوا من نير في حادث سقوط طائرة مروحية فوق سماء أميركا سنة ١٩٨٨، عندما كانت تجرى محاكمة المتورطين الأميركيين في «إيران – غيت» ومن بينهم الكولونيل أوليفر نورث. عندما ترك قمحي مناصبه الوظيفية ، بدأ يظهر كشخصية سلام مفاجئة، فانضم إلى حركة «السلام الآن»، وفي سنة ٢٠٠٣ كان أحد المبادرين إلى المحادثات الإسرائيلية الفلسطينية غير الرسمية، والتي انبثقت عنها «معاهدة جنيف»، ففي هذه المعاهدة توصل الطرفان إلى اتفاق سلام متكامل، على أساس مبدأ دولتين للشعبين ، لهما عاصمتان في القدس، الشرقية عاصمة فلسطين والغربية عاصمة إسرائيل ، ويتضمن الاتفاق حلولا تفصيلية لقضايا الصراع الإسرائيلي الفلسطيني كلها، بما في ذلك قضية القدس واللاجئين والحدود والأمن والمياه والاقتصاد، وغيرها.

وقد وقف على رأس الوفد الإسرائيلي، يوسي

بيلين، والوفد الفلسطيني، ياسر عبد ربه ، والمعروف أن هذا الاتفاق الذي صدر في سنة ٢٠٠٣، أثار اهتماما عالميا كبيرا ضايق رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون ، وأحرجه ولكي ينزله عن الأجندة الدولية ، لجأ شارون يومها إلى خطة الانسحاب من طرف واحد من قطاع غزة وإزالة المستوطنات جميعها منها، وكذلك من أربع مستوطنات أخرى في شمالي الضفة الغربية ، وقال إنه يريد إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للمناطق الفلسطينية، ولكنه لا يجد في ياسر عرفات شريكا لعملية السلام.

انتبه قمحي إلى خطورة خطوة شارون ، ولكنه لم يحاربها ؛ بل قاد اتجاها لتشجيعها بشرط التنسيق فيها مع السلطة الفلسطينية ورئيسها ياسر عرفات. وكان قمحي يقول إنه يفضل اتفاق سلام كامل وشامل، ولكنه في الوقت نفسه وما دام أن هذا غير ممكن، فهناك أهمية تاريخية أن يقدم قائد تاريخي لليمين على الانسحاب الكامل من قطاع غزة ويزيل المستوطنات ويجب على قوى السلام أن تستفيد من هذه الخطوة فورا، وكذلك على المدى البعيد.

وكان قمحي من أشد المؤيدين والمتحمسين في إسرائيل لمبادرة السلام العربية، وسعى في الأحاديث الخاصة مع رؤساء الحكومات والجنرالات والوزراء إلى تأييدها ، وعندما يئس منهم قرر الخروج بمعركة علنية ضد إهمال هذه المبادرة وتجاهلها ، وفي ٢٦ أبريل ٢٠٠٧، على أثر إقرار مبادرة السلام العربية في مؤتمر القمة العربي في الرياض، كتب قمحي مقالا مشهورا في صحيفة «هآرتس»، تحت عنوان: «هل نخشى من السلام؟»، هاجم فيه حكومة إيهود أولمرت بشدة. ومما جاء في المقال: «مبادرة السلام العربية هي النقيض لما علمونا إياه في إسرائيل عن المواقف العربية ، فبدلا من اللاءات الثلاث في مؤتمر القمة العربية في الخرطوم، شاهدنا أربع «نَعَمات» (جمع نعم): نعم للاعتراف بإسرائيل، ونعم للمفاوضات مع إسرائيل، ونعم للسلام مع إسرائيل، ونعم للتطبيع مع إسرائيل في حالة صنعها السلام ، فهل يعقل ألا نتجاوب معهم؟! هل يعقل أن تكون لدينا حكومة تخاف من مفاوضات السلام؟ هل بدأنا نخاف فعلا من السلام؟ هل يمكن للقدس أن ترث الخرطوم وتصبح عاصمة اللاءات: لا للعالم العربي، لا لسورية، لا لفلسطين، لا للمواطنين الإسرائيليين الشغوفين برؤية الأمل وبمستقبل أفضل».

يقول قمحي في مقالته بشيء من الحسرة إنه في حقب ماضية من التاريخ الإسرائيلي كان هناك قادة وجدوا في أنفسهم الشجاعة لاتخاذ قرارات

غير عادية، تنطوي على إحداث انعطاف في المواقف ، من بينهم دافيد بن غوريون أول رئيس حكومة في إسرائيل، مناحيم بيغن، صانع السلام مع مصر، وإسحق رابين، صاحب اتفاقيات أوسلو الذي دفع حياته ثمنا ، ودعا أولمرت يومها أن يظهر الشجاعة ويتوجه إلى العالم العربي بإخلاص، معلنا التجاوب مع المبادرة العربية. وفي السنة الأخيرة من حياته ، دعا قمحي إلى الامتناع عن محاصرة قطاع غزة والدخول في مفاوضات غير مباشرة مع حركة حماس، بوصفها الفائزة في الانتخابات الفلسطينية، وعدم
تركها خارج الساحة لقمة سائغة لسياسة الرفض والتلاعبات الإقليمية.

كان قمحي بعيد النظر في الاستخبارات ، أقام علاقات مع أشد أعداء إسرائيل . وصراع أجهزة المخابرات العربية مع أجهزة الأمن الصهيوني قديمة من قبل قيام دولة بني صهيون وإنشائهم الوطن القومي . وقصص الجواسيس والعملاء لا تزال تظهر بين الحين والآخر في مصر في سوريا وأبرزها قصة إيلي كوهين الذي اعدم عام ١٩٦٥. وفلسطين بسبب الاحتلال والظلم مليئة بالعملاء والخونة كما هي مليئة بالأبطال والشهداء ؛ وليس هذا فحسب ؛ بل العملاء في الشتات في كل دول العالم يحاربون علماء وثوار فلسطين .. حرب مستعرة ما دامت إسرائيل موجودة .. فقبل سنوات سعت الموساد لاغتيال قائد حماس خالد مشعل في قلب عمان عاصمة الأردن ، وفشل الاغتيال ، وما زال الرجل يقود مكتب حماس السياسي .

أمن بعنبس

نشرت صحف البلاد الشامخة ترجمات وأخبار وكالات الأنباء الدولية والمحلية والصحف العالمية والعبرية حول مقتل الطبيب وائل زياد ، وذكرت الناس بحياته في بعنبس، وتبين أنه عميل مخابرات إسرائيلية ، ونتيجة لهذه الأخبار اهتز واضطرب جهاز المخابرات في البلاد وأجهزة الأمن الأخرى ، ومدى كمية الخسارة التي ألحقها بالأمن القومي للبلد ، كيف عاش سنوات طوال دون معرفة أي شيء عنه ؟ وهم يزعمون أنهم من أقوى أجهزة المخابرات في العالم ، ويعلمون أين تسكن كل نملة في البلاد ؟

والأدهى والأخطر أنه كان قريبا من نائب دائرة المخابرات اللواء المشهور خميس جعلونة ، وكان يرتاد النوادي العسكرية لمشاهدة حفلة أو عرض عسكري بصحبة زوجته ابنة اللواء ، وكان الرجل يعمل سكرتيرا لحزب عصبة النساء المتحررات من القيود الزوجية ، وأكثرهن من المطلقات والعوانس ، ويدعون لحرية النساء المطلقة ،

وذكروا الناس بقصة زواجه من امرأة مطلقة بغير عقد محكمة ؛ ومن المعلوم أن المخابرات تدس مخبريها في كل حزب وجمعية.

نشرت الصحف المحلية أن أجهزة الأمن في البلاد الشامخة عقدت اجتماعا مهما وكبيرا ، راجعت فيه ما نشرته الصحف الكبيرة العالمية حول مصرع الدكتور وائل زياد ، حيث كان يسلم شنطة مليئة بالأموال لعميل مراقب من أجهزة وزارة الداخلية الغزية ، وحاول الهرب قبل القبض عليه ، مما اضطرهم لإطلاق الرصاص عليه فأصيب في مقتل ، وقبض على العميل وهو يحمل حقيبة المال الإسرائيلي ، وهم يدرسون مقدار الضرر الذي لحق بهم من عمالته ، وما مقدار المعلومات التي تمكن من إرسالها للموساد ، ونشطوا لمعرفة الأشخاص المقربين منه في العمل في المقاهي والنوادي أيام الجامعة ، وأيام العمل في المستشفى الجامعي وكيفية تفاصيل زواجه بابنة السيد خميس ضابط الأمن ، ثم طلاقه منها لما هاجر لأوروبا .

وبعد مراجعة وتدقيق تبين أن المعلومات قليلة لا تذكر ، ولا تبين ولا وتثبت أنه عميل بل مجرد ناقل أموال ، فلا علاقات له مع ضباط داخل الجيش ، ولا خارجه ، ولا ضباط الأمن إلا اذا تمكن من تجنيد عملاء ، وربطهم بخلايا وشبكات تعمل في البلاد ، وهذا لا تخلوا منه دولة كما هو متوقع داخل البلاد ؛ لأن هذا العدوان قائم منذ قامت دولة الكيان المجرم .

فقد تبين وتكشف أنه قضى سنوات الدراسة بعمل العلاقات الجنسية مع الراغبات بذلك ، ولم يكتفي بامرأة واحدة ؛ بل أكثر من واحدة ، ثم انتقل نشاطه الجنسي إلى المستشفى الجامعي ؛ حيث عمل بضع سنوات التقى خلالها بابنة اللواء خميس ؛ حيث كانت رئيسة القسم الذي يعمل فيه ، واستطاع التحايل عليها ليتخذها زوجة وحقق ذلك .

لماذا جندت إسرائيل الدكتور للعمل كجاسوس في بعنبس ؟! بعنبس حي ضمن أحياء كثيرة ما الهدف أم هو محاسب ناقل أموال للخلايا والشبكات ؛ كما حصل له في غزة ؟! وهل يعتبر هذا جاسوسا ؟ وهذا ما ترجح لديهم لحد الساعة ، ولدى كبار ضباط دوائر الأمن في البلاد الشامخة ؛ أنه عميل بريد لنقل الأموال .. وتسألوا هل خميس عميل لهم ؟! ما حجم علاقته بخميس؟ هل هي قوية وحميمية ومفيدة له كجاسوس ؟ هل هو يقوم بنفس العمل الذي ختم به حياته ؟.. من يتلقى منه الأموال هنا ؟ لم يثبت له نشاط تجسسي مع قيامه بحضور بعض حفلات عسكرية .. فهي لم تكن سرية ، فيحضرها عائلات الضباط والعسكر والدبلوماسيين

خميس كل من يدرس في الجامعة الدولية يعلم أنه مسؤول الأمن فيها ، ويعمل بين يديه عدد من الضباط ، وهؤلاء لهم مخبرون سريون في كل كليات الجامعة من الطلبة والحرس المدني .. لماذا تقرب إليه وائل بالزواج من ابنته ؟! الجواب مهما حللنا ودرنا .. هنا شبكة يعمل ضمنها .. أين هذه الشبكة ؟ قررت المجموعة سماع خميس وملاحظاته بعد هذا الإعلان ، وسماع علا وسليم خميس والدكتورة وردة والدكتورة نبيلة ، وبعض أفراد حزبها حزب العصبة النسوية ، واليوناني فينوس وابنه الدكتور إسكندر الذي خرج مع وائل إلى اليونان وترافقا إلى غزة ، ثم رجعوا اليونان ، وسافر هو أوروبا ، ورجع من هولندا وطلق علا خميس ، ورجع أوروبا واختفى ، وظهر ميتا مقتولا في غزة ، وغيرهم من الأشخاص إن وجدوا.

قدرت اللجنة المجتمعة أن الأضرار منه كشخص واحد قليلة ، ولا أهمية لها ، ولا تشكل

خطرا على الدولة والنظام والشعب ، وإسرائيل لم تجنده إلا لسبب مهم في البلد .. والجواسيس موجودون في أغلب بلاد العرب .. ولهم تاريخ وهي منذ وجدت وتجند العملاء والجواسيس من العرب وغير العرب . ورجحوا أن خطره لم يكن كبيرا بسبب بعده عن الأجهزة الخطيرة والحساسة ، فهو طبيب درس في جامعة بعنبس الدولية ، وعمل فيها مدة ست سنوات قبل أن يعمل في مستشفى خاص ، ونشط في حزب ضعيف لحد الآن ، ثم طرد منه ، والحزب بعيد عن السياسة وألاعيبها .

فأصدر مدير الأجهزة قرارا باستدعاء الأسماء المهمة التي كانت على علاقة معه، ومراقبة الخطير منهم ، والبحث عمن له علاقات دقيقة منهم مع جهات أخرى والاستخبارات العسكرية بينت أن علاقته بهم لا تذكر ، فغير مفهوم لهم لماذا جندته إسرائيل ؟ واذا كان ناقل أموال .. لمن ينقلها ؟ هذا ما يجب أن نكشفه أيها السادة ؟ الرجل كل سنة تبين أنه كان يخرج إلى أوروبا على صورة إجازة وسياحة .. ما هي المعلومات التي يستطيع نقلها لإسرائيل ؟

اتصلت دائرة المكتب الثاني المخابرات بخميس ، وأعلموه بأنهم سيأتون لأخذه للدائرة لسماع أقواله في علاقته بالعميل المقتول في غزة . رحب بذلك ، فهو ابن الجهاز الأول المسؤول عن الأمن ، وحدد الوقت ، وكان في الليل ؛ حيث ستأتي سيارة أمنية لنقله لمكان التحقيق في عنبس حيث توجد المكاتب الرئيسية والاستماع لأقواله في القضية.

جلس اللواء وواجهه ثلاثة ضباط من ثلاثة أفرع أمنية ، وجلس الكاتب للجلسة وحيدا على طاولة

وبين يديه دفتر لكتابة المحضر ، وفتح جهاز التسجيل. فتح الجهاز والدفتر وبدأ السؤال والاستجواب ، وعرف الرجل على نفسه وسكنه وعمره ، ثم ذكر أماكن خدمته الأمنية ، وأنه دخل بداية جهاز الشرطة بعد تخرجه من أكاديمية الشرطة كضابط بوليس وتحقيق ، ولما حصل على رتبة نقيب نقل إلى أمن واستخبارات الشرطة ، ثم نقل للأمن للعسكري لمدة عام واحد ، ثم نقل إلى المخابرات العامة برتبة رائد ، وبدأت خدمته في المخابرات والقلم السياسي يقصد به متابعة الذين يعملون بالسياسة كالأحزاب وما شابههم في تاج الزمان ، وعين بعد وقت يسير مسؤول الأمن الأول في جامعة بعنبس الدولية ؛ لأن أمن الجامعات مسؤولية الدولة القائمة فيها الجامعة ؛ ولو كانت دولية أو خاصة ، ووظيفته قيادة مجموعة من ضباط الأمن ومخبريهم في كل كليات الجامعة والاندساس بين الطلبة في جميع الكليات ، وبين المدرسين والعاملين ، ومراقبة الأنشطة العامة والسياسية خاصة ، ففي كل كلية ضباط مخابرات ، ويستخدمون أعدادا من المخبرين من الطلاب ، وقد يكون هؤلاء المخبرون ممن تم تدريسهم على نفقة الجهاز ، وسيعملون في الجهاز بعد التخرج ، وكذلك بعض المدرسين والمعلمين قد يكونون موظفين مخابرات رسميين ، وبعض الإداريين والعاملين هم موظفو مخابرات أصلا ، ومن مهامهم التجسس على الأحزاب بشتى مسمياتها الوطنية القومية البعثية والاشتراكيون والشيوعيون والتيار الإسلامي بجميع أصنافه وقضى خميس أكثر سنوات خدمته بنجاح في الجامعة ، ثم انتقل للدائرة الرئيسية التي يجلس فيها للاستجواب ، ومع الوقت أصبح أحد نواب المدير العام وأثناء النيابة انتهت خدمته عام ٢٠٠٤.

أحيل على التقاعد برتبة لواء ، وبعد استراحة لنصف ساعة عادوا لمتابعة أخذ أقوال اللواء ، وحضر كاتب آخر ، فتح المسجل والدفتر من جديد ، وبدأ الاستجواب عن كيف التقى بزياد أول مرة ؟

أجاب متذكرا : هو تعلم في كلية طب بعنبس الدولية على حساب أسرته ، قدم أوراقه كأي طالب من خارج البلاد ، فالجامعة تقبل الطلبة من جميع بلدان العالم من غزة الضفة إسرائيل عرب فلسطين القديمة ، ولما التحق بالكلية بعدما قبلته ، كان ابن تسع عشرة سنة ، لم يظهر له أي نشاط سياسي أو اجتماعي في كلية الطب ؛ ليلفت الأنظار .. كان خاملا ككثير من الطلبة لم ينضوِ تحت حزب أو فرقة موسيقى أو مسرح أو جمعية ثقافية أو علمية أو أي تجمع كان .. وآخر كل عام

يعود لفلسطين ماذا يفعل هناك ؟ لم تأت أي إشارة لنا تشير إلى عمله كجاسوس، لم يسعَ لأخذ معلومات من أحد ، بعد ثلاث سنوات من الدراسة الجامعية ظهر إباحيا ومحبا للسهرات في المراقص والحانات ، ومعه مال ؛ لأننا علمنا أن والده يخدم في الشرطة الإسرائيلية وهو كان يصرح بذلك ، فكان يدور ويلف حول البنات والخمور ، وهذا ليس من اختصاصنا أن نمنع الشباب من الزنا خارج الجامعة ، ولا حتى داخلها .. هذا شغل إدارة الجامعة.. والخمر ممنوعة داخل الجامعة ، ومن دخلها سكران يتعامل معه حراس وشرطة الجامعة .. هذا عرف به بين زملاء الكلية .. وهذا يفعله هو وغيره ، كان بعيدا عن الأحزاب والسياسة .. ولما أنهى الكلية رغب بالبقاء في البلد ، وليحصل على شهادة الاختصاص ، واختار طب الأطفال ، وحصل على جنسية البلاد بصفته طبيب قضى سبع سنوات وعمل في المستشفى الجامعي للتدريب والاختصاص لمدة أربع سنوات.. وفي تلك الفترة طلقت ابنتي علا من زوجها احمد ابن الضابط محمود زميلي في الشرطة ..وعملت في نفس المستشفى رئيسة قسم الأطفال .. فاستغل لحظة انفصالها ، ولعب على عواطفها وأنه البديل ولا يهمه أن تكون امرأته عذراء بكرا أو مطلقة . وبعد حين اقتنعت بأنه البديل المناسب لها ، والمتعاطف معها ، وعمل عليها تمثيلية العطف والشفقة وأسطوانة الحب المشروخ . بينت لها أن هذا الرجل سيرته الأخلاقية فاسدة ، وله علاقات إباحية ، وأنه يحمل جواز إسرائيلي رغم كونه عربي ، وفي أي وقت يغادر لقريته الفلسطينية، ومعروف بين زملائه بالزنا والشراب ؛ لكنها أغرمت به ، وبكذبه وأنه تعهد بالاستقامة وترك النساء والشراب .. الطلاق صعب على النفس خاصة الأنثى كابنتي ، لقد استغلها في الأزمة ، فتخيلته ملاكا هبط عليها من السماء ، فهو الوحيد الذي وقف بجانبها من زملاء العمل ، واستعد للزواج منها رغم أنها مطلقة وعندها بنتان .. هل كان الجاسوس يأمل إلى الوصول إلى معلومات مني لدولة العدو ؟ فإذا فكر بذلك فهو غبي ، ومن أرسله غبيا ؛ لأنني بعيد عن العسكر ، وبعيد عن دائرة المخابرات ، ومعروف بأنني موظف مخابرات يعمل في مراقبة طلاب الجامعة ، فلا يمكن أن أملك أسرارا خطيرة في عمل في مؤسسة جامعية حتى أني وضعت عليه مؤجلا خمسين ألف بحجة أني أريد منعه من طلاقها .. والحق فعلت ذلك ؛ ليبتعد ولكنه وافق دون تردد . كان لما أضطر للجلوس معه أثناء زيارة لبيتنا يبدو مهتما بتسليح الجيش وأهم الأسلحة التي تعتمد عليها القيادة العسكرية والطيران ، فأختصر الاسترسال

والخوض في مثل ذلك بأني لا أعرف ؛ لأنني لم أخدم في تلك الأسلحة فألزم الحذر والصمت فطرة ؛ ليس ذكاء مني عملي بداية في الشرطة ؛ فلذلك معلوماتي عن الجيش قليلة ؛ وفعلا معلوماتي ضئيلة عنها .. معلومات ثقافية فحسب .. وكل خدمتي في الشرطة وأمن الجامعة والتحقيق مع المجرمين ، ثم مع مثيري الشغب في الكليات ، وتحذيرهم من الفوضى والإساءة للدولة ورمزها ، لم أخدم في قطاعات الجيش أيها السادة الكرام! كنت نفسيا لا أحب الالتقاء به كثيرا إلا في الحدود الدنيا من أجل خاطر علا، لم أرتح له ؛ لكن البنت في البداية تعلقت به ، واعتبرته حبل نجاة لما طلقت .. وهي مثل النساء تحلم بزوج ، ولم تطلب مني يوما معلومات حول عملي ونشاطي والجيش.

قال أحد الضباط : نحن لحد اللحظة لم نعرف لماذا جند في بعنبس ؟! كل التحريات لم تصل لخيط .. هل هو مجرد ناقل مال كما ثبت في غزة ؟ وهو الراجح .. لو كان عميلا مهما ما أرسل بمثل هكذا مهمة إلا اذا ذهب لإرسال مال واستلام معلومات شفوية أو مكتوبة ، ولم تشر أي جهة إلى هذا الفرض .. والعميل الذي ألقي القبض عليه معروف ومراقب فكيفت غامر الموساد ؟!

عقب خميس : أنا لم استشف أنه عميل إلا اذا كان ما قلتم بنقله المال .. ولمن ينقله في بلادنا ؟ وهذا يتطلب منكم معرفة الشبكة التي يتعاون معها ، وينقل المعلومات منها لإسرائيل .

****

جلست علا خميس على كرسي الاستجواب ، وقابلها المحققون الثلاثة المكلفون بالتحقيق ، وقعد كاتب المحضر وفتح دفتره ، وفتح جهاز التسجيل ، ذكرت اسمها عمرها عنوان البيت وعنوان العمل الحالي.

قال ضابط التحقيق : هل سمعت بوائل قبل عملك في مستشفى جامعة بعنبس؟

قالت : كلا، لما دخلت كلية الطب أعتقد أنه كان في الفصول الأخيرة ، فمن الصعب المصاحبة لطلاب السنة السابعة أو حتى السادسة فهم على ووشك الرحيل ، وأنا بحكم وظيفة والدي لم أعمل أي صداقة مع الذكور خارج نطاق المحاضرات بحكم الاختلاط ، وكان عمل أبي لا يسمح لي باللف والدوران .

قال : متى التقيت بوائل؟

قالت : لما عملت بقسم الأطفال اقتربنا من بعض كزملاء عمل ، ولما أنهيت الاختصاص في طب الأطفال عينت رئيسة القسم ، وحصل طلاقي في أول عملي كمسؤولة أولى في القسم ؛ ربما كان يعلم من هو أبي ؛ فكان يخشى الاقتراب مني كثيرا رغم

حبه لمصاحبة الطبيبات والممرضات وكثرة الرغي معهن ، وأنا لا أحب هكذا رجل .. وكنت متزوجة ، ولا أسمح لأحد بالكلام الغزلي معي ، وأثناء عملي بالمستشفى التعليمي ولدت طفلتين من زوجي احمد ، ولما حدث الطلاق تقرب إليّ على غير العادة ، وأخذ يواسيني ، وأن الحياة أكبر من الطلاق .. حقيقة استغل حالتي النفسية جيدا ، وكلما نلتقي كان قريبا مني حزينا مشفقا عليّ حتى بعد ستة شهور اقتنعت أنه الوحيد الذي يرثي على مصابي ، وأدخل فكرة الزواج مني متى قبلته للتخفيف عني ، وأن الطلاق ليس نهاية العالم ، وانطلى عليّ لفه ودورانه ، وأنه قد يكون الزوج المناسب ، وأنه لا يهمه الزواج من بكر أو أرمله أو مطلقة ، وأنه حزين من أجلي وأجل طفلتيّ اللتين أبيت التخلي عنهما ، ولم يفعل ذلك معي زميل أو حتى زميلة ما فعله من عطف ولما أقول له عن الأخريات والفاحشة والخمر يزعم أنه عند الزواج لا يحتاج لزنا أو خمر .. مع الوقت اقتنعت بأنه قد يكون رجلا صالحا .. وحدثت أبي عنه ، وبعد حين اخبرني أنه لا يصلح للزواج فهو إباحي ، فظننت أن والدي يبالغ ولا يرغب بزواجي منه .. وفعلا لما صار الموضوع جديا وضع مؤجلا مرتفعا .. بالنسبة لي بين أنه خشية عليّ من الطلاق كرة أخرى ومن ناحيته لينصرف عن الزواج مني ؛ ولكنه قبل بدون تفكير أو تردد. صممت على قبوله بعد تعهده بترك النساء والخمر وتزوجنا .

ـ هل سألك يوما عن طبيعة عمل أبيك في المخابرات ؟ طلب منك سؤال والدك عن أشياء عسكرية .

قالت : هو يعلم أن والدي ضابط مخابرات ، ومسؤول أمن في الجامعة .. لا أذكر شيئا مما تسأل عنه ؛ لأن حياتنا لم تبدو حياة عادية ، لم ينقطع عن الخمر ، ويسهر في حزب العصبة النسائية المعروف في البلد بزعمه سكرتير الدكتورة الإباحية نبيلة رئيسة الحزب الإباحي .. وكنا اتفقنا على عدم الحمل حتى تكبر البنات ، ورحب بذلك ، ثم هجرته بعد سنتين ونصف من الزواج لمدة سنتين ، ولم نتفق على الطلاق للخمسين ألف دولار ، وعدنا ، ثم هجرني ، وهرب إلى أوروبا ثم تطلقنا العام الماضي .. وأيام حرب غزة كنا معا .. وكان مهتما بالحرب على غير العادة مما لفت نظري ، فقال: الله ينصر المقاومة والقسام !

ـ يتكلم أمامك بالسياسة.

قالت : لم أره يقرأ صحفا أو مجلات سياسية .. كان همه النسوان ونشر الإباحية بينهن.

ـ هل هذا عمله وعمالته؟

قالت : كنت أهتم بابنتيّ أكثر من اهتمامي به ، ومنذ البداية علمت أنني أخطأت الاختيار ، وأني

تاجرت بإباحي ؛ كما قال أبي ؛ ولكنّ علي التحمل والصبر.

ـــــ

جلست وردة نجيب عارف على كرسي الاستجواب في دائرة المخابرات العامة وذكرت اسمها وعنوانها وسنها ومكان عملها ولما سئلت عن أول مرة التقت بها الدكتور وائل الجاسوس الإسرائيلي ؛ كما نشرت وأذاعت وكالات الأنباء ، لاحظ أحد المحققين توترها ، فعرض عليها شرب فنجان قهوة وتدخين سيجارة .

فقالت : الحمد لله يا سيدي لا أدخن .

قال : بعض الناس يعتقد أنه اذا أصابه غضب أو توتر ودخن سيجارة ذهب غضبه وتوتره .. هذا وهم لا علاقة له بالدخان ..صحيح هذا يا دكتورة !

قالت : القلق كثير ما يكون طبيعيا ، وردة فعل للأذى المصاحب للشخص والإلف .. شرب القهوة ؛ ربما تنفع الأعصاب أكثر من التدخين حتى أن أحدهم قال ساخرا: كنت أدخن صغيرا فكان أبي يضربني على شرب الدخان ، وهو يدخن أثناء تأديبي .

صمتت لحظات ثم قالت : أنا قبل سنين ثلاث كنت وردة أخرى غير التي تجلس أمامكم .

قال المستجوب : نعرف هذا يا دكتورة ! وقبل استدعائك للمقابلة أجرينا تحريات عنك ؛ ربما أنت نسيتها .. فأنت اليوم أم مثالية اذا حسن التعبير .. فكل شخص يا دكتورة يعمل في حزب أو جمعية أو أي تجمع يكون لحزبه مكتب في هذه المؤسسة بما يسمى الأمن الداخلي .. نحن نعرف عن حزبك أكثر منك .. تكلمي بكل ما تحبين بيانه ؛ لأن هدفنا معرفة ماذا كان يفعل هذا الجاسوس في بعنبس والبلاد ؟

قالت : شكرا ، تعرفت عليه في كلية طب بعنبس ، كان يسبقني بعامين يا سيدي وكنت من دعاة الحرية المطلقة للنساء دون أنتمي لحزب أو جمعية نسوية ؛ ربما لتربيتي المنحرفة من قبل أمي التي لا ألومها ؛ إنما هو هوى .. كنت أرى أن على المرأة أن تعيش حرة .. ترتبط بذكر ارتباطا بدون زواج أو عقد بوي فرند ؛ كما نقرأ ونرى بنات المانيا فرنسا أمريكا كل العالم الغربي .. وهذا الارتباط يعني المشاركة في الشقة وأجرتها ومصروف البيت ، ولا يمنع الطرفين من إقامة علاقة جنسية مع طرف آخر ، طبعا لم أطبقه أيام الجامعة ؛ لكني لم أكن أتحرج من فعل جريمة الزنا هي زنى سواء عرفي بورقة وهمية ، كما تضحك بعضهن على أنفسهن بهذا العقد غير الموثق أو بدون ورقة .. كنت بالطبع متأثرا بدكاترة الجامعة العرب والأجانب المنحرفين والمنحلين .. فسرت على

دربهم ، فالتقيت بوائل مرة أو مرتين، ثم تخرج وبعده بعامين لحقت به ، وكان ابن عمي زوجي الدكتور عصام يسبقني بسنة وعلى شاكلتي ، لم نكن نعرف الدين والإسلام .. كنت امرأة جميلة والكل يطاردني ويغازلني .. وأنا أختار المناسب لصحبتي وجنوني .. وأنا علمتني أمي السكر من الصغر .. للأسف تعلمت ذلك صغيرة ، وكانت أول تجاربي الجنسية في الجامعة ليست مع وائل زياد لم أحب السياسة قديما وحاضرا ، غايتي اللهو المتعة ، فلما انفصلت الدكتورة نبيلة مزم العاملة في الجامعة والمستشفى التعليمي عن حزب النهضة العربية أنشأت حزب عصبة النساء الذي شكلا أجرأ من حزب النهضة في مسائل المساواة والحرية للنسوان ، دعتني للانضمام لمعرفة سابقة بيننا وهي تعرف أفكاري الجريئة في رأيها فقلت أنا لا أهتم بالسياسة والحكم والبرلمان ، فردت المهم أن تكثري العدد ؛ فأنا أعرفك من أنصار حرية النساء ، وضد مؤسسة الزواج الفاشلة ، وكان ذلك في آخر فصل لي في الجامعة ، فزرتها واطلعتني على أهم أفكار حزبها والحرية التي يسعون لتحقيقها في البلاد .

وفور تخرجي ألزمني عمي حبيب عارف بالزواج من ابنه الدكتور عصام وتزوجته ، وأحببته حقا ، وكان على نفس نمطي بالنسبة للحرية التي ننادي بها .

ولما رأيت خياناته المتكررة عدت للماضي القريب ، وكنت عضوا في هيئة الحزب القيادية ، فالتقيت بوائل بصفته سكرتير المدام نبيلة ، فعادت بنا الذكريات لأيام الجامعة ، وتجددت لقاءاتنا الشيطانية ، ولما صدمت سيارة عصام بعد سنوات من الزواج وقد أنجبت له فيها ابنه جوهرا ، صبرت على مرضه ثلاث سنوات ، ثم اتفقنا على الطلاق ، فقويت علاقتي بالدكتور العميل ورحلنا إلى أوروبا حسب إيحاءاته وصرنا زوجين بدون عقد في جمعية مشابهة وداعمة لجمعيتنا ماديا ومعنويا ونشرت بعض صحف سويسرا الاحتفال بهذا الزواج ووصل الخبر بقصد إلى بعنبس، فقامت الدنيا علينا ، فها هي غايتهم تتكشف لمن يبصر ، إنهم يسعون لتدمير الأسرة العربية والإسلامية بشبه وادعاءات فارغة ، لا يدركها الشخص فورا وبدون مساعدة أصرت أمي بأن أوثق الزواج مع أنها قريبة من الإلحاد وذكرتني بأننا نعيش في مجتمع شرقي .. عاداتنا غير عادات أوروبا .. رفضت أمي هذا الشكل من الزواج ، واستاء إخوتي سالم وجهاد الذين لا أكلمهم أصلا تلك الأيام ؛ ربما تمر السنة ولا نرى بعضنا بعضا ، ولا نسمع أصوات بعضنا بعضا فهم كنا نطلق عليهم رجعيون متعصبون ، وأصرت أمي على

توثيق العلاقة بيني وبين وائل وعمل عقد محكمة ، فعرضت الأمر عليه وتبين أن زوجته ابنة اللواء خميس على ذمته ولم تكن مطلقة كما أوهمني قبل الرحيل لأوروبا ؛ كانت مهاجرة له من سنتين .. فخرج من حياتي ، وعاد لشقته حيث كان يعيش في شقتي ، وبعد أشهر قررت العودة لعصام بمساعدة أمي وعمي حبيب ، وتبت إلى الله ؛ كما تاب وتغير عصام ، وتغيرت بفضل الله ؛ فأنا منذ افترقنا عام ٢٠٠٧ لم أره ، انتهى من حياتي ، وها هي كانت نهاية للابد!

قال بعد صمت : أبوك نجيب عارف كان مناضلا فلسطينيا في رام الله ؛ حيث أتهم بقتل ضابط إسرائيلي مع شريكه أكرم ، وعاش في بيروت ، وهناك تعرف على أمك وتزوجا ، ثم هرب إلى قبرص ؛ واختفى ربع قرن حتى ظهر أنه حيا وكان في كوبا .. هل كان الرجل مهتما بنجيب عندما تعرفت عليه ؟

قالت : لا ، كان كلامنا عن الجنس والحب وأجمل النساء وأفضل الخمور وأجودها وأحسن الدخان واللباس والعطور وأفضل البلدان سياحيا.. أبي كان بالنسبة لنا وللناس أنه ميت ، وهو ميت بالنسبة للأسرة كلها إلا أمي كانت تظن أن اليهود خطفوه ، وبين الصليب الأحمر لعمي أنه لا يوجد شخص باسم نجيب عارف في سجون إسرائيل ، وتم تقسيم ميراثه علينا بعد سنوات حسب قانون المفقود ، وتزوجت أمي موظفا عمل معها اسمه بلص زكور .. لا نعرف عنه أي معلومة .. وما شعرت أو أدركت أن علاقته معي من أجل نجيب عارف .. هو خبيث خبيث .. كانت صحبته نساء ومجون وشراب وزنا وحفلات سكر وعرض أجساد لا يحس المرء أنه جاسوس وعميل .. كان يفرط في الشراب والسكر والتحلل ؛ ولكن لما كان يستيقظ من ذلك السكر ، يصبح رجلا آخر بمعنى الكلمة ، وليس بالذي كان شاربا وفاقدا للوعي يبول على نفسه .

قال المحقق : لم تحسي يوما ما وأنتم معا سواء كنتم صاحيين أو سكرانين أنه يسأل أو يتحدث عن نجيب أو السياسة أو موضوع خطير ودقيق يشعرك اليوم بأنه عميل .

قالت بفكر : لم أحس بذلك ، هو لم يكن بالذكي الذكي .. هو خبير بأمور النساء ، وما يحببن أن يسمعن من الكلام المعسول والناعم ، لا أذكر أنه اهتم بالسياسة أو بأي أخبار معينة .

ـ عن أبيك.

قالت : أبدا أبدا .. أنا نفسي لا أعرف شيئا عن أبي ونضاله .. أسمع من أمي أنه عمل مع الثورة الفلسطينية مثل غيره من المتعاطفين معهم .. لا أعتقد أنه تعرف عليّ ؛ ليعرف هل أبي حيا أو مينا

؟ كان عندنا أنه مفقود والراجح موته كل هذه السنين . غادرت المكتب والدائرة .

قال أحدهم : نتابع التحقيق العجيب ؛ ولعلنا نعرف ماذا فعل في البلد ؟ ماذا قدم للموساد ؟ سنتابع الحديث مع المقربين منه ؛ لعلنا نلتقط طرف خيط .. كل ما سمعناه وعلمناه يدل على أنه عميل من نوع آخر .. قصته المفاجئة لدخول غزة بعد حرب غزة .. دخوله هذه الكرة ضمن فريق بلجيكيا .. الجاسوس لا يفرط بالشراب خشية كشف نفسه وأسراره إلا اذا أراد تمثيل دور السكران الثمل ليخدع المتبوعين .. ولا يفرط بعلاقات مع النساء .. فهو شهواني وتيس غنم واضح بامتياز ... يتبع

قصص وحكايات الفوارس

القصر المهجور

الحلقة ١

بحيرة من الماء وسط أشجار كثيرة وكثيفة ، وأكثرها من أشجار البلوط ، فسميت هذه الغابة بغابة البلوط ، ولقد كانت عدة جداول تصب ماءها في تلك البحيرة ، وفصائل من الطير والبط تملأ تلك البحيرة ، وللوصول إلى هذه البحيرة الجميلة يحتاج المرء إلى قطع مسافات من الأميال بين الأشجار للوصول للبحيرة ، لذلك من النادر أن ترى صيادا عند هذه البحيرة ؛ ولكن الجندي "جرود" اجتاز تلك المسافات ليصل ماء البحيرة ، وعند شجرة بلوط كبيرة ألقى نفسه وهو يحدث نفسه بصوت مسموع :لا أعتقد أنهم سيبحثون عني ، وهنا تحت هذه الشجرة يمكنني أن أنام بكل طمأنينة وأمان .. لقد تعبت من كثرة المشي والسير على الأقدام.

وما كاد هذا الجندي ينهي كلامه مع نفسه حتى ذهب في بحر النوم ، وأخذ يحلم أحلاما كثيرة وغريبة .. ومع ساعات غروب الشمس استيقظ الجندي جرود ونظر إلى صفحة الماء .. فأدرك أن الليل قد اقترب ، فمسح عينيه من آثار النوم، وجلس وهو مشغول الفكر في خطوته القادمة فالتفت إلى جنبه ، فكم كان استغرابه؟! وهو يشاهد رجلا نائما قريبا منه ، فتفقد سلاحه وطعامه وقال لنفسه : ليس لصا .. يبدو أنه غريب مثلي ومنهك القوى .

فعاد للنوم من جديد ، وبعد حين سمع صوتا يوقظه وهو يهزه قائلا : يا رجل .. قم من نومك دخل الليل وأصوات الوحوش تهز الغابة .

فلما صحا من سباته قال : رجلان ! من أنتما ؟! عندما استيقظت قبل قليل وجدت حولي رجلا واحدا .. ولما أيقظتموني الآن أصبحتما رجلين ، من أنتما ؟! وما قصتكما ؟! وما الذي أتى بكما إلى هذه البحيرة ؟!

فقال أحدهم : من المهم الآن أن نحمي أنفسنا من الوحوش ، ومن تماسيح البحيرة ، ثم يروى كل واحد منا سبب مجيئه لغابة البلوط ولبحيرة البلوط .

فقال الجندي جرود : معك حق .. فلنتسلق شجرة عملاقة نقضي ليلتنا على أغصانها ، وبين أوراقها ..ونسمع الحكايات التي جمعتنا على هذه البحيرة .

فقال الثالث : حسن هذا !.. فهذه شجرة تستطيع حملنا هيا نتسلقها .

وتسلق الثلاثة إلى أعالي الشجرة ، ولما استقر كل واحد منهم على جذع من جذوعها ، قال أحدهم : فليبدأ كل واحد منا بالتعريف بنفسه ، وما الذي دفعه إلى هذه البحيرة وإلى أين هو سائر ؟

فقال جرود : بما أنني وصلت لهذه البحيرة قبلكم فسأبدأ بالكلام وأعرفكم بشخصي.. وسبب إتياني إلى هذه الغابة غابة البلوط .

وبعد برهة من السكوت قال : أنا جندي من جنود الملك الظاهر ملك بلاد القط والفأر.. اسمي الجندي جرود.. وخدمت مولاي الملك أكثر من ثلاثين سنة ، ومنحت وسامين، وسام الشرف ووسام الكرامة ، وكنت أتقاضى في العام مائة درهم كاملة تامة ، وعندي من العمر فوق الأربعين بسنوات، وخدمت والد الملك الظاهر وجده أيضا .. وما تزوجت رغم مرور هذه السنوات ، ولا أملك بيتا خاصا بي بعد كل هذه السنين من الخدمة لهؤلاء السلاطين ، متنقلا بين حرس السلاطين وجنود الحرب على الثغور والحدود .. وقد شاركت في معارك كثيرة تزيد عن عشر بصحبة الملوك والأمراء إلى أن كان ذات ليلة وقد تأخرت في الجبال في مهمة من قبل الأمير سهوان ، فلجأت إلى كهف في وسط الجبل أقضي به ليلتي؛ فإذا هو كهف مسكون، وفيه فراش وسيوف معلقة على الجدران ، ولا أحد بداخله ، فقررت أن اختبئ بداخله وأنظر من يسكن فيه .. وما حل الليل بظلامه حتى كان الكهف يمتلأ بالرجال .. فهم عصابة من اللصوص يسرقون في النهار وجنح الظلام ويبيتون في الليل فيه ، ونظرت زعيمهم من مخبئي ؛ فإذا هو شاب نحيف البنية طويل القامة أسمر الوجه ، وصوته مرعب كالرعد القاصف .. فأكلوا وشربوا وتفكهوا وتحدثوا عن مغامراتهم وقصصهم ، ومما سمعته منهم أنهم فقدوا مجموعة من اللصوص في مكان يسمونه القصر المهجور .. فعلمت أن هؤلاء المفقودين اجتازوا بحيرة البلوط ومنها إلى ذلك القصر المهجور، وعندما دخلوا فيه أو في الغرفة المسحورة لم يعودوا فقالوا : من دخلها لا يعود .. وقالوا : لابد أنها ممتلئة بالدر والياقوت .. وأخذوا

يتحدثون عنها وعن السحر وغموضها وسرها .. فأثاروا شهيتي أيها السادة لهذه الكنوز والأسرار ولهذا القصر المهجور.. وكشف هذه الأسرار والحصول على ما فيه من الذهب والمال .. فيا اخوتي من كثر شوقي لهذه الأموال ما صدقت أن يطلع النهار وينتشر اللصوص في الأرض ويخرجون من المغارة .. فلما خلا المكان منهم .. خرجت من مخبئي ، وتناولت أجمل سيف ، وعدت لبلدي وأنا أحلم بزيارة القصر المهجور .. فصممت على الهرب من الجيش ، وترك خدمة الملك الظاهر والبحث عن الذهب واللؤلؤ في القصر المهجور .. فأخذت إذنا من رئيسي بالاستراحة في البيت بضعة أيام .. ثم هربت نحو غابة البلوط ، ولما وصلتها ارتاحت نفسي ، وأيقنت أن جنود الملك لن يلحقوا بي ، ولا يمكنهم القبض عليّ ، فعندنا الجندي الذي يهرب من الجندية ، ومن خدمة الملك ، ويقبض عليه يسجن حتى الموت .. فهذه قصتي وسبب تركي لموطني .. وأنا سائر إلى القصر المهجور .. لعل السعادة تكون فيه !

فضحك الرجلان عندما سمعا قصة وسبب هرب جرود ، وتنحنح الرجل الذي وصل للبحيرة ثانيا وقال : أما أنا فسأتكلم بحكايتي وسبب وصولي لهذه البحيرة فيا أخي جرود ويا أخي المجهول ..وأخذ نفسا وتابع القول : أنا الجندي شروم من جنود الملك ظالم بن رداد ملك بلاد الغربان ، وقد حصلت على عدد من الأوسمة الملكية منها وسام الطاعة ووسام البطولة وغيرها ولي في خدمة مولاي ما يقارب الثلاثين عام ، وخدمت في حراسة الملك أكثر من عشر سنوات وقد كنت الفارس الوفي والحارس الأمين ، وقضيت بضع سنوات في حراسة ولي العهد هداد وأنا قبل وصولي لهذه البحيرة كنت في خدمة الأميرة وحراسة الأميرة بهدلة ابنة الملك وزوجة القائد الصنديد " وعود " فارس البلاد والعباد .. وأما قصة وجودي في غابة البلوط فهي قصة لطيفة ، وهي أن الأميرة بهدلة اشترت جارية جميلة وصغيرة ، وهذه الجارية قد نالت حظا وافرا من الأدب والقصص، وهي في أثناء مسامراتها لمولاتي الأميرة ذكرت لها قصة القصر المهجور وما يقال عنه من الأسرار والغموض، وحكاية الغرفة المسحورة التي ما دخلها إنسان ورجع وحدثتها عن كنوز القصر .. فاشتاقت مولاتي الأميرة لمعرفة أسراره وغموضه ، فكلمتني بذلك وطلبت مني القيام بهذه المهمة، وإذا رجعت سالما من رحلتي فسوف تساعدني من الزواج من أختها الصغرى الأميرة " جانا " ، وأمام ذلك الوعد والإغراء فكرت بالأمر فتركت البلد والوطن ، وأتيت غابة

البلوط ومنها سائر إلى القصر المهجور.. فهذه قصتي أيها الصاحبان .. فطريقي هو طريق الجندي جرود .

ارتفع ضحك الرجل الثالث على طمع صاحبيه ، وقال وهو يضحك : وأنا أيها السادة طريقي مثلكم إلى القصر المهجور ، وما جئت هذه البحيرة إلا لأصل القصر المهجور .. فيظهر أن طلاب هذا القصر كثيرون .. أترغبون بسماع حكايتي أم تنامون ؟

فصاحا معا : ويحك! .. هيا تكلم أيها الصديق! فهذا القدر قد جمعنا فسبحان الملك الديان ذي الجلال والإكرام !

فقال الرجل الثالث وهو يبتسم : وأنا أيها القوم جندي مثلكم من جنود الملك " فرجة " ملك بلاد الغمام .. وأنا مثلكم سائر إلى القصر المهجور ؛ لأعرف الأسرار التي يتحدث عنها العباد ، واسمي الجندي سامان ، وأنا في خدمة السلطان منذ عشرين سنة ، وما قصر صاحب الملك بالأنعام عليّ بأوسمة وأنواط وجوائز ، فقد منحني وسام الكرامة ، وآخر يدعى وسام الشجاعة وحياتي تمضي بين عملي في ديوان الملك والبيت .. وقد بلغت من العمر أربعين عاما ولم أتزوج من النساء بعد .. وأما حكايتي مع القصر المهجور؛ فإن أحد الملوك قام بزيارة مولاي فرجة ، وكان بصحبته بعض نسائه ، منهن إحدى ابنتيه الأميرة " توتة " ، فرأها ابن الملك فرجة ، فأعجب بها وحدث والده عن إعجابه بها ورغبته بالزواج منها ، فحدث الملك صديقه عن هذه الرغبة ، فاستشار الضيف ابنته فقالت " أوافق على أن يحضر لي كنز القصر المهجور الذي يقع بعد غابة البلوط " ، ولما سمع مولاي قصة القصر المهجور وما يحيط به من الأسرار والأوهام كلفني بمهمة اكتشاف القصر وزيارته والنظر في أسراره ، ثم بيان الأمر للملك فرجة قبل أن يذهب ولده لجلب الكنز الغامض .. فهذا أيها الأحباب سبب وجودي هنا ، وطلبي للقصر المهجور .

فقال جرود : كلٌ له غاية من زيارة القصر المهجور.. فأنا ذاهب للحصول على الثروة والغنى ، وصاحبي شروم ليتزوج ابنة الملك ظالم ، وصاحبنا سامان ليقدم خدمة ومعرفة لملكه فرجة .. ، وقد علمنا أن الفتى منا قد يفقد حياته قبل أن يظفر ببغيته وهدفه .. وبما أن القدر قد جمعنا .. فعلينا بالتعاون والتئازر والاتفاق حتى نتحصل على ما نشتهي .

وتعاهد الرفاق الثلاثة على الوفاء والمحافظة على بعضهم البعض، وعدم الغدر والخيانة ، ومن ثم معرفة أسرار القصر المهجور ، وأخذ المال الذي فيه بالتساوي بينهم ، وتناصحوا فيما بينهم وتحاذروا

من الغدر والجشع والطمع ، ومدحوا حسن الوفاء وحسن الاتفاق الذي يؤدي للوفق والنجاح في تحقيق الغايات، ومع الصباح نزلوا الأرض وأكلوا وشربوا ، وتابعوا المسير لاجتياز غابة البلوط والبحيرة من عند أحد الجداول الضعيفة التي تصب فيه ، وبعد بحث وجدوا الجدول المناسب للاجتياز فاجتازوه للجهة الأخرى ، ومشوا حتى قطعوا الأشجار كلها فوصلوا لجبل واسع ، فصعدوا إلى قمته ، ومع اشتداد الليل اتفقوا على النوم والراحة حيث وصلوا ، واستصلحوا مكانا يبيتون فيه ليلتهم ، فاختاروا صخرة عملاقة فطرحوا أنفسهم عندها ، فقد أصابهم نصب شديد طول النهار ، فبعدما أكلوا وشربوا وحان وقت النوم اتفقوا بينهم أن ينام اثنان ، ويحرسهم الثالث بضع ساعات من الليل .

فقال جرود : ناموا أيها الأصدقاء ، وأنا أحرسكم في النوبة الأولى بما أنني سبقتكم لبحيرة البلوط ، ثم أوقظ الأخ شروم وأنام ، ثم سامان حتى الفجر

فقال سامان : جيد هذا أيها الجندي!.. وإذا احتجت لنا في الليل لعارض ما فأيقظنا بارك الله فيك .

فقال جرود : توكلا على الحي الذي لا يموت .

وما مضت دقائق معدودات حتى غط الرجلان في نوم عميق في ظل حراسة الجندي جرود ..



وبينما هو في مهمته المعتاد عليها لمح ثعبانا يتسلل نحوهم فاقشعر جلده ، ثم أخرج سيفه وهزه في الفضاء عدة مرات ، وتقدم بخطى ناعمة نحو الثعبان الزاحف، وقبل أن يضربه بالسيف سمع الثعبان يقول : يا جرود .. لا تتعجل بقتلي .. فأنا لك صاحب وناصح .. ارجع لبلادك وانس القصر المهجور .. واقبل النصيحة .

تعجب جرود مما سمع فرد على الثعبان قائلا : لا أستطيع تنفيذ نصيحتك ، ولابد من الذهاب للقصر المهجور ، فقد كرهت الفقر والعمل عند السلاطين والأمراء

فقال الثعبان : أنت ترغب بالشقاء .. إذا دخلت القصر المهجور ، ووصلت للغرفة المسحورة فاختارالباب الأيمن .. وانتبه لغدر صاحبيك .. اقبل هذه النصيحة وداعا .

فقال جرود : من أنت أيها الثعبان الناصح الأمين ؟!

فقال الثعبان : أنا أحد خلق الخالق ادعى أبا زكريا .. أتذكر يوم أمر الملك بقتل جمع من الأفاعي والثعابين في القصر؟ .. ووقع بين يديك ثعبان صغير وأشفقت على صرعه وطرحته في الخلاء ،

وهمست قائلا : عش .. لم تتمتع بحياتك بعد.. فاعلم يا سيد جرود أنا ذلك الثعبان الصغير الذي سمع هذا الكلام ، وما زال في قلبي .. وكنت الليلة الماضية قريبا من الشجرة التي جلستم تتحدثون فوقها فسمعت كلامكم ، وعرفتك من بينهم ، وتذكرت شفقتك عليّ .. وأنا أسمع عن خطر وضرر هذا القصر فأحببت منعك من التورط فيه والضياع في أسراره .

فقال جرود : أنت وفيٌّ يا أبا زكريا .. فنعم الصاحب ! ما رأيك بصحبتي في هذه الرحلة العجيبة ؟

فسر الثعبان لهذا الاقتراح وقال : فكرة جيدة ! ولكن كيف ستحملني وتخفيني عن البشر يا صاحبي ؟

فقال جرود : أخفيك في جيب سروالي أثناء المشي ، وفي الليل أطلقك في الهواء الطلق .

فقال الثعبان : رضيت على مرافقتك في هذه المغامرة الغريبة .

وتكور الثعبان حلقات دائرية وحمله جرود وادخله سرواله، وعاد حيث يرقد صاحباه وأيقظ الجندي شروم ثم نام .

ومع النهار تابع الرفاق الثلاثة قطع الجبل الواسع حتى أدركهم الليل ، فجلسوا يستريحون وينامون بعد الأكل ، وكالبارحة قام جرود بالنوبة الأولى من الحراسة ، فلما غط الرفيقان بالنوم أخرج جرود الثعبان من جيب سرواله يتنفس ويتفسح ساعة من الزمان.. وبينما هو ينظر تارة إلى السماء والنجوم وتارة إلى أسفل الجبل والأرض سمع حركة قريبة منه فدقق النظر شرقا وغربا ؛ فإذا هو يلمح حرباة تتقدم نحوه ، فاستل خنجره فسمعها تقول : سيد جرود أنا قادمة إليك لأكون في خدمتك .

فقال جرود : سبحان الله! .. ما الأمر أيتها الحرباة ؟

فقالت : أنا ادعى أم مريم .. فقد كنت في غابة البلوط ، وأنتم تجلسون فوق الشجرة ، وسمعت حديثكم كله عن القصر المهجور ، وسرت خلفكم حتى أدركتكم، وقد سمعت كلام الثعبان معك أمس فأجلت مقابلتي لك لهذه الليلة أيها الصديق وإني راغبة في صحبتك إلى القصر المهجور لعلي أساعدك في ساعة ضيق تعصف بك .

فقال جرود : ومن أين عرفتيني أيتها الحرباة الطيبة ؟!

فقالت : كنت أجلس على الشجرة وأنتم تتسامرون عن القصر المهجور فاشتاقت نفسي

لزيارته فكلي رغبة بصحبتك ، وعرفتك من تلك الليلة فقط .

فقال جرود : على الرحب والسعة يا أم مريم .. سأضعك في جيب السروال الأخرى .

فقالت: لا تذكرني يا سيدي للحية حتى لا تطمع بافتراسي ، وتغدر بي وتحرمني من التمتع بكنوز القصر المهجور .

فوعدها بذلك ، وأدخلها جيب سرواله وتوجه للنوم ، فأتاه الثعبان فأخفاه في السروال هو الآخر، وأيقظ صاحبه شروم واستسلم للنوم ، ولما أتى الصباح تابعوا المشي، وقد بدأ يظهر لهم القصر المهجور من بعيد على قمة جبل أمامهم ، ولا يفصلهم عنه سوى بضع قرى مسكونة .. ومع الغروب كانوا قد وصلوا لأول قرية ، فاستقبلتهم امرأة عجوز ورحبت بهم ، وأخذتهم إلى كوخها ، ففرح زوجها وأبناؤه بالضيوف الثلاثة ، فأطعموهم واسقوهم وأرشدوهم لمكان ينامون فيه ليلتهم .. واتفق الجنود الثلاثة على الحذر، وأن يتظاهر جرود بالنوم ، ويقوم على حراستهم ثم شروم ثم سامان .. فنام جرود في مدخل الكوخ ، وبعد نصف الليل سمع حركة في مدخل الكوخ ، فنظر من بين رموش عينيه ، فلمح ابني العجوز يقفان على مدخله يتهامسان ومشى أحدهم نحوه ، فتحرك جرود فجفل القادم ورجع وهو يقول :

فلنحضر باقي الرجال يا زمي فهم الآن نائمون .

شعر جرود بأن مؤامرة تحاك ضدهم فأيقظ صاحبيه وشرح لهم الأمر ، فتسللوا من الكوخ بخفة وحذر ـ ولقد كان كوخ الضيوف بعيدا عن منزل العجوز ـ فاختفوا خلف تل من الحجارة يرقبون الكوخ ، فشاهدوا بعد حين عددا من الرجال يتدافعون نحو الكوخ ، وهم يقولون ويتهامسون : هذا صيد طيب .. ثلاثة نفر.

وفجأة خرج السابقون في الدخول للكوخ يقولون : لا يوجد أحد أيها الرجال .. هل شعروا بنا ؟!

ودخل زمي وأخوه يفتشون الكوخ ، وخرجوا يقولون : لقد هربوا أيها الزعيم .

فسمع الجنود الثلاثة رجلا يقول بصوت عال : ابحثوا عنهم لابد أنهم في هذه المنطقة .

فقال جرود لرفاقه : هذا الصوت أيها القوم ؛ كأنه صوت زعيم العصابة الذي حدثتكم عنه في كهف الجبل القريب من بلاد القط والفأر ..

فقال سامان : يبدو أننا لابد من خوض معركة مع هؤلاء اللصوص .. فاشحذوا سيوفكم .

ثم قال : لا يمكن الاختفاء طويلا .. فلنظهر لهم ونقاتلهم قبل الفجر .

وبرز سامان للرجال وهو يصيح : أيها اللصوص نحن هنا .. نحن هنا .

فأحاط بهم اللصوص سريعا وصاح زعيمهم : أيها الجنود .. سلموا أنفسكم وهاتوا ما معكم من السيوف والمال.. وانصرفوا راشدين .. وأعاهدكم بأننا لن نتعرض لكم .

فضحك الجنود الثلاثة وقال جرود : وإذا فقد الجندي سلاحه ماذا بقي له من الشرف والكرامة ؟! .. فالأفضل لكم أنتم أن تنصرفوا راشدين قبل أن تصبحوا عالة على غيركم.. وتخسروا أطرافكم إن لم يكن رقابكم .. فعودوا إلى كهفكم في الجبل القريب من بلاد القط والفأر .

فقال الزعيم : من أنت كأنك تعرفننا أيها الجندي ؟!

فضحك جرود وقال ساخرا : وقد نمت في كهفكم ليلة .. وسبب وجودي هنا سماعي لكلامكم عن القصر المهجور .

فعاد الزعيم يقول : من أنت أيها الجندي الذي نام في مغارتنا ليلة آمنا مطمئنا ؟!

فكرر جرود الضحك والاستهزاء وقال : وقد أخذت من كهفكم هذا السيف الجميل .

فصاح الزعيم وارتفع صوت أعوانه فقال : هو أنت الذي أخذ السيف الذي كدنا أن نقتل أنفسنا عليه ؟! وقد تسرب الشك إلى قلوبنا ..آه .. فأنت رجل تستحق القتل جزاء حمقك .

واستمر جرود بالضحك ويرد على الزعيم بقوة : أيها الزعيم الأحمق .. ألم تسمع بالفارس جرود ؟ جندي الملك الظاهر ملك بلاد القط والفأر .. وهذا صديقي شروم جندي من جنود الملك ظالم بن رداد .. وهذا صاحبنا سامان فارس من فرسان الملك فرجة .. فالأفضل لك بعد هذا الكلام أن تأخذ رجالك ، وتتركنا نتابع السير للقصر المهجور .

قهقهة الزعيم حتى ملئت قهقهته الفضاء وقال : نحن لا نخاف هؤلاء الملوك ، ولو كانوا من الشياطين والعفاريت .. أيها الأبطال ائتوني بهم أحياء موثقين بالاحبال ..

وبدأت المعركة ويا لها من معركة ! ثلاثة من الفرسان ذوي الشأن ، وممن خدموا في حراسة الملوك والأمراء ، وعصابة من اللصوص الوحوش ، فشكل الفرسان مثلثا ليحموا ظهور بعضهم ، وبدأ الطعن والقفز هنا وهناك .. واستيقظ أهل القرية على الصراخ وصليل السيوف، وتجمعوا وهم يحملون المشاعل حول المتقاتلين يشاهدون هذه المعركة الغريبة .. فكنت ترى أطرافا مبتورة ومطروحة على الأرض ، ورجالا تنزف منهم الدماء ، ورئيس اللصوص يهدر ويهمهم ويدمم ويصرخ من الغيظ والقهر لما أصاب رجاله من الخزي ، وتساقطهم بين جريح وبين صريع ، وما ظهرت الشمس حتى كان

الزعيم مكبلا بالقيود ذليلا بين الجنود الثلاثة يضحكون عليه وعلى أعوانه ويرفسونه بأقدامهم ويقول له سامان : يا جبان كيف ترى نفسك أيها الحقير؟ أتريد أن تسلب جنود الملك سيوفهم ومالهم ؟!

فأقبلت العجوز التي استضافتهم تترجاهم للعفو عن ولديها الجريحين ، وبعد تفكير عفا الجنود الثلاثة عن "زمي " و "هلي" ابني العجوز، وساعدها الجمهور في نقلهما إلى بيتها ، ثم قام الفرسان بصلب الزعيم على شجرة أمام الناس في وسط القرية ، ثم طعنه سامان بخنجره قائلا : مت بخنجرك أيها الوغد الحقير .

وأثنى الناس على الجنود الثلاثة بما فعلوه بالعصابة وعلى ما أبدوه من الشجاعة والبطولة، وعرضوا عليهم البقاء في قريتهم ، فقال جرود : نحن في مهمة وهي الذهاب للقصر المهجور لفك أسراره وألغازه .. فأرشدونا للعين التي تستقون منها لغسل أبداننا وثيابنا من دماء هؤلاء العصاة المجرمين .

وكان الناس ينظرون إليهم بإعجاب وإجلال ورهبة لما رأوه منهم ، ولما قدموا لهم من الخدمة والخير بتخليصهم من كثير من هؤلاء اللصوص الذين يسومونهم العذاب والهوان ..

وأمضى الجنود يومهم في ضيافة أهل هذه القرية ، ومع صباح اليوم التالي تابعوا الرحلة ، وتحمسوا مع رؤيتهم للقصر وهم على أعلى الجبل ؛ لكن تفصلهم عنه بضع قرى ، فلما وصلوا القرية التالية وجدوا الناس متجمهرين في طريقهم .. فتعجبوا وقلقوا بعض الشيء ، وبدءوا يتحسسون سيوفهم وخناجرهم ؛ ولكنهم لاحظوا أن الناس يلوحون لهم بأيديهم بفرح وسمعوهم يصيحون : قد أقبل الأبطال الثلاثة !

واستقبلهم أهل القرية استقبال الفاتحين والأبطال ، وشكروهم على تغلبهم على اللصوص ، وقتلهم الزعيم ورجاله الذين يعيثون في الأرض فسادا ، ويستغلون هؤلاء البسطاء، ويسرقون تعبهم ، ويأكلون أموالهم وطعامهم بالإرهاب ، وساقهم شيخ القرية إلى بيته ضيوفا عنده ، وكان خبر انتصار الجنود على العصابة قد انتشر بين القرى المجاورة بسرعة الريح ، وسر الجنود لما صنعوا لهؤلاء الضعفاء من الخير ، وبينما الناس يحتفلون بالجنود الثلاثة في بيت كبير القرية ، وقد دخل الليل أتى رجل يسعى من قرية جميلة يسأل عن الجنود الثلاثة ، فأخبره الناس أنهم في ضيافة شيخ القرية " عوران " ، وفي مضافة الشيخ ، وقف الرجل يعلن على الملأ : أيها الجنود الأبطال! .. أرسلني أهل قرية جميلة لأخبركم بأن الزعيم جمل لم يقتل .. وقد هرب ، وهو يتهددكم ويتوعدكم

بالقتل والغدر فجئت أحذركم لتأخذوا حذركم .
فقال ساмان بدهشة مما علم : أيها الرجل ما تقول ؟! لقد قتلته بيدي .
فقال المخبر : هذا ما شاهده أهل القرية .. فقد خدعك أيها البطل .
فقال سامان بغضب : كيف ؟ افصح أيها الرجل !؟
فقال المخبر : عندما صلبته على الشجرة أمام الناس لتقتله .. فطلب منك أن تقتله بخنجره الجميل .. فأنت لبيت له تلك الرغبة الأخيرة عند الموت ، فهذا الخنجر خنجر لا يقتل فهو مصنوع من المطاط ، يوهم الضارب به بأنه خنجر حقيقي ، فعندما يضرب المطاط بالجسم ينفجر ويسقط منه لون دم ويلصق الخنجر المنفجر في جسم الضحية .. فيظن الضارب أنه قتل خصمه .. فلما خرجتم من القرية حضر ولدي العجوز زمي وهلي وحلوه واعتنوا به قليلا وكشف الأمر أمام الناس ، وأقسم بقتلكم .. وهجر القرية فأرسلني الناس إليكم محذرا من كيده وغدره .
فتذكر سامان المشهد وهو يسمع للحيلة فقال : نعم ، أيها القوم .. عندما تناولت الخنجر من غمده كان غريبا عليّ ؛ ولكني قلت لعل له في نفسه ذكرى ، وظننت أنه يريد أن يموت بسلاحه لحاجة في نفسه .. وضغط سامان على أسنانه من الغيظ وقال : سخر مني اللعين ! يا ويله! إن وقع بين يدي ثانية فلن أرحمه سأسحقه .. اذهب أيها الرجل إلى أهل بلدك .. وقل لهم أن الجندي سامان ورفاقه لن يهدأ لهم بال حتى يفتكوا بجمل ومن بقي حيا من رجاله .. ولا تخافوا منهم ، ولا تقلقوا ، فلابد أن يقع المجرم ولو بعد حين .
وأمضى الجنود الثلاثة ليلتهم في ضيافة أهل القرية حتى الصباح ، ثم شكروا شيخ القرية والأهالي وحثوهم على عدم الخوف من العصابة والتصدي لهم، وحذروهم من الضعف والجبن والاستسلام لهم ، وودعوهم وتنقلوا بين القرى قرية قرية حتى أشرفوا على القرية المجاورة للقصر المهجور ، وخبرهم قد سبقهم فرحب بهم السكان أحسن ترحيب ، وفي بيت كبير القرية سألوه عن القصر المهجور ، وما يقال عنه من الأخبار والأسرار، فأجاب الشيخ قائلا : في البداية أتمنى أن لا تغامروا بأنفسكم أيها الأبطال ! فهذا القصر من دخله لم يعد ، ولنا أكثر من خمسين سنة بجواره فلم نر ولم نسمع أن أحدا دخل الغرفة المسحورة وعاد ثانية ، فكل من يدخلها يختفي وتختفي أخباره .. وهذا قصر قديم منذ وجد آباؤنا هنا وهو قائم ، والناس لا تعلم ما فيه من غموض وأسرار، وكما سمعنا من الآباء والأجداد أن هذا القصر المهجور قد بناه أحد ملوك الدنيا ، وقد كان يقيم فيه شهرا من كل

سنة هو وزوجته ، ثم يعود لعاصمة ملكه ، ويظل القصر مغلقا إلى حين مجيء الملك إليه ، فتدب الحياة في هذه المنطقة ، فكان يسبقه الخدم والجند لصيانة القصر وإعداده بشكل يصلح لسكنى الملك ، وبعد قدومه الشهر المعلوم ينصرف للمدينة حيث يحكم ويرسم ، هكذا روى لنا الأجداد ، ولما هلك الملك المذكور هجر القصر ، ولم يعد يقترب منه أحد ، وسنة بعد سنة بدأ الناس والمغامرون يدخلون فيه واستولوا على أثاثه ومتاعه ، ولم يبق إلا الحجارة وباب الغرفة المسحورة ، لم يستطع الناس فتحها والاستيلاء على ما فيها ، فكثرت الشائعات حولها ، وأن العفاريت تسكنها ، ومن دخلها لا يعود .. فابتعد الناس عن القصر .. وأصبح أطلالا وآثارا .. فهذه حكاية هذا القصر أيها الجنود الأبطال .

وبعد لحظات قال جرود : بوركت يا شيخ ؛ ولكن كيف يدخل المغامرون إلى الغرفة المسحورة كما تقولون وبابها مغلق ؟

فقال الشيخ : يوجد فوق الباب كوة صغيرة ، يحشر الشخص نفسه فيها ويهبط إلى أرض الغرفة وبعد ذلك يختفى أثره .

ثم أخذ الحاضرون يتحدثون عن القصر المهجور ، هذا فقد صديق ..وهذا فقد قريب ، بعض الناس أدخل رأسه ثم رجع قبل أن يهبط للأرض وتخطفه العفاريت، بعضهم تحدث عن باني القصر ، وأن امرأته كانت من الجن ، والكل يذكر قصة أو حكاية سمعها أو رآها ، والجنود يسمعون من هذا وهذا .

قصص وحكايات الفوارس

حصرم بن سلام

الحلقة الأولى

حصرم بن سلام

قال لي صاحبي هانئ بن دينار ذات مساء ، وهو يمسك يدي بيده ، وكان ذلك بعد أن صلينا صلاة العشاء في الجامع الكبير في وسط مدينة السلام : أيها الصديق الطيب ، لقد التقيت برجل كريم شجاع عركته السنون والأيام ، يسكن في طرف المدينة في منزل واسع كبير محاط بأشجار كثيرة ومختلفة الألوان والثمار، أشجار السرو الباسقة والصنوبر والحور والجوز والنخيل والتفاح ولا تنسى العنب والرمان والزيتون واللوز والليمون والخوخ ، جنة من جنات الأرض ، وفيه أو فيها أيها الصديق الأزهار ذوات الألوان من الياسمين والورد والنرجس ، أسماء كثيرة ذكرها أمامي البستاني قيم البستان نسيت أكثرها ، فهي جنة رائعة ذكرتني بحدائق الوزير خالد الهندي التي كان يضرب بها المثل أيام مولانا أسد الدين أحمد بن السلطان نهار الدين عباس

والتي أكثر من وصفها شعراء ذلك الزمان، وتغنى بها أهل الطرب والغناء ، وفي هذه الجنة غرفة واسعة لجلوس الضيوف والسمر في ليالي الصيف والمطر فيها من الفرش النادر والثمين فيها بسط ووسائد مطرزة بالحرير وخيوط الفضة ، وعند صاحب تلك الجنة الغلمان ذو الحسن والبهاء والجمال الآخاذ ، وعن الجواري الحسان لا تسأل أيها الصاحب ، فهو يعيش كأنه ملك من ملوك الأندلس في الزهراء أو الزاهرة ، وصاحبي حصرم بن سلام سكن هذا القصر منذ عهد قريب ، عندما قرر أن يترك ويكف عن السفر والرحيل والترحال بين المدن والأمصار، فجاء مدينة السلام ينشد السلام والراحة ، ثم اشترى هذا المكان من الوزير أو قريب الوزير بهاء الدين أحمد وزير مولانا أمير المؤمنين سيف الدنيا وناصر الدين .

وتابع الكلام صاحبي ابن دينار قائلا : ولقد التقيت به منذ أيام ، فدعاني لقصره ، فشاهدت ذلك البهاء والجمال ، ودار بيننا الحديث عن الحوادث والفقر والغنى ، فتبين لي أن صاحبنا حصرما صاحب حكايات ومغامرات ، وقصص ساحرات باهرات ، وهو يبحث عن إنسان كاتب أديب ، يسمع حكاياته ويدونها على وريقاته؛ لتكون تسلية لمن تقع بين يديه وتحت عينيه ليرى كيف كان فقيرا معدما لا يملك درهما ولا نقيرا ؟ وكيف كان أفقر الناس ؟ فأصبح بفضل من الله ذا مال وفير وخير جسيم ، فتذكرتك يا سلامة ، ورأيت أنك خير من يسمع الكلام ، ثم يدونه على القراطيس ، ويجعل منه حكاية فيها عبر وثمرات ، فوعدت ذاك المفضال بإحضارك ؛ لتسمع تلك الحكايات العجيبات ، وتكتبها على أوراق لامعات ، ولسوف يجازيك خير الجزاء ، فيا أخي سلامة ما تقول في هذا العرض ، نذهب ونمشي إليه كل مساء بعد صلاة العشاء بإذن الله تعالى رب كل المخلوقات ، نتسامر معه ، ونسمع سوالفه ومغامراته ، ثم تعود للبيت ، وترسمها بقلمك الرائع يا سلامة بن محمود .

فلما سمعت كلام صاحبي هانئ في صاحبه الجديد حصرم قلت له : أمهلني أيها الصاحب يوما أو يومين ؛ لأرتب الأمر في ذهني وعقلي وأنظر في وقتي ، وافترقنا على ذلك .

وبعد يومين اثنين التقيت بصديقي ابن دينار ، وكان ذلك أيضا بعد صلاة العشاء عند المسجد الكبير في دار السلام ، وبعد التحية والسلام ، قلت لصاحبي: خذني لصديقك الجديد ابن سلام لنسمع ما اتفق له مع الأيام من القصص والعبر والأخبار.

فاردفني على بغلته البيضاء ، وهو يقول مسرورا : لقد كنت متأكدا واثقا بأنك لن ترفض طلبي ولن

تخيب اختياري يا حضرة الأديب الغالي .
وبعد مسير نصف ساعة من الزمان ، كان الغلمان يدخلوننا منزل وجنة حصرم بن سلام الذي رحب بنا أحسن ترحيب كأعز الأصدقاء والأصحاب ، وتعارفنا من جديد ، ودار بيننا السؤال والجواب عن الحال والأحوال حتى وصلنا بيت القصيد والغاية من الزيارة إلى ذلك المكان ، فأخذ نفسا عميقا ثم قال : يطيب بكم اللقاء ، وسأذكر لكم قصتي الأولى مع العميان في مدينة هاوان ولكن بعد تناول الطعام.
وكان رئيس الغلمان كأنه في انتظار الإشارة من صاحب الدار ، فجاءت المائدة وعليها ما لذ وطاب من الطعام والشراب ، ولما رفعت المائدة وغسلنا أيدينا بالماء الزاهر ، أحضرت الفواكه ذات الأشكال والألوان ، فأخذنا أنا وصاحبي بالقضم والهضم ، مرة من التفاح ، ومرة من الأجاص ، ولا تسأل عن الأكواب ذات الأصناف التي يضعها بين أيدينا الغلمان ، مرة عصير البرتقال ، وأخرى عصير الرمان ، وانشغل مضيفنا بالكلام .

"حكاية الشيخ عبدون "

وكان يقول: أيها الصديقان العزيزان تبدأ حكايتي عندما غادرت وفارقت قريتي الصغيرة ، وهي بلدة صغيرة اسمها "جمانوسا "، وأذكر أن أبي مات وأنا غلام يافع ، لا أعي عن دنياي شيئا ، وكانت والدتي مريضة بمرض شديد ، وكنا نعيش على إحسان أهل اليسار في البلدة ، صحن طعام من هنا وآخر من هناك...وبعد سنوات من البؤس والشقاء ماتت أمي ولحقت بأبي سلام ، فظللت أنا وأختاي اللتين تكبرانني نعاني من الفقر والحاجة ، ومنذ وفاة أبي وأختاي تعملان وتخدمان في بيوت الناس مقابل عدد من الدريهمات حتى بلغت من العمر عشرين سنة فودعت أختاي مقررا الرحيل إلى مدينة كبرى ، باحثا عن الحياة الفضلى، والرزق الأوسع، مخلفا ورائي حياة البؤس والشدة ، فقلت : أضرب في الأرض لعلي أجد السعادة في بلدة أخرى
فخرجت من القرية ، ولا أملك في سروالي سوى خمسة دراهم تصدقت بها عليّ أختاي ورغيف من الخبز ، وتوكلت على الحي الذي لا يموت ، ولم أتعلم في قريتي سوى رعي غنيمات لأحد الميسورين مقابل طعام وشراب وكسوة في العام مرة .
وقال حصرم بعد ذلك التقديم : فقطعت عدة قرى حتى وصلت إلى مدينة كبيرة عظيمة اسمها هاوان، يقال إن ملكها يدعى بالملك النبهان، وفي أول مسجد صادفني أمضيت ليلتي ، ولقد كان قيم ذلك المسجد طيبا أطعمني وسقاني ورثى

لحالي؛ ولكنه عبد فقير مثلي يعيش على إحسان الاخرين وصدقاتهم ، ومع ذلك شاركني في قوته ، وكان يقسمه بيننا ، ومكثت أياما أتنقل من سوق إلى سوق ، ومن درب إلى درب ، وفي الليل أعود إليه أبيت عنده ، ومن خلال تجوالي في أزقة المدينة وأحيائها ومساجدها وأسواقها لاحظت أن الناس يتصدقون ويعطفون على العميان والعوران وذوي العاهات ، فوقع في نفسي أن أقلد العميان لأجمع مبلغا من المال أدبر به شأني ، فتقرر لدي أن أتظاهر بالعمى ، وأجلس على باب مسجد كبير أو سوق كبير متظاهرا بالعجز والحاجة، فملابسي رثة قذرة أكل عليها الدهر وشرب ، وعصبت رأسي بعصابة وسخة، وطليت وجهي وجبيني ببعض الرماد والشحبار، وأغمضت عيناي ببعض الصمغ من إحدى الأشجار، وحملت عكازا عتيقة، وتمجلست أمام بيت من بيوت الله ، أطلب من الناس الصدقة والإحسان..وما خيب الناس ظني ، فهذا يلقي دانقا وآخر درهما..وهي مهنة سهلة هينة ، فكنت أمضي نهاري في التجوال بين المساجد والأسواق، وفي الليل أعود لصاحبي قيم المسجد السابق ذكره فأنام ، ولم أحدث صاحبي المؤذن بشيء من أمري ، ولا هو سألني عن ذلك .

ولكن إلى متى أستمر في التسول ؟! .. هذا ما كنت أفكر به ويؤرقني يا سادة يا كرام ! وما مضت عليّ بضعة أيام في هذه المهنة اللطيفة الا وثلاثة من العميان يحتكون بي ويتعرفون عليّ ، وبعدئذ قال لي أحدهم : بما أنك غريب عن هذه البلدة فإني لك ناصح .. فنحن نعمل عند الشيخ عبدون .. نشحد ونتسول طول النهار ، وفي الليل يحضر غلمانه ويقتادوننا إلى بيت الشيخ عبدون ؛ فنأكل وننام حتى الصباح ، ويأخذ الشيخ عبدون ما كنا قد جمعناه طول النهار.

وقال الشحاد الضرير الثاني : نعمل في النهار وفي الليل ندفع له المال ؛ فيكرمنا الشيخ عبدون بالأكل والحمام والمنام، ولا نتعرض للصفع والإذلال من غلمانه .. واعلم يا سيد عيد أن ذلك خير لك من أن تظل تبيت في الجوامع .

ولما طال صمتي قال ثالثهم : وإن رفضت ما نعرضه عليك نخشى أن يصيبك من سيدنا عبدون الأذى الكبير ، ويطردونك من المدينة شر طردة .. فهو المسؤول عن كل العميان وأصحاب العاهات الذين يتسولون في هذه المدينة يا غريب .. وأنت بحاجة لمأوى ومساعدة قال حصرم بن سلام : لما سمعت كل كلامهم أدركت أن عليّ خطرا إن لم أجتمع بشيخهم عبدون ، أو أن أتخلى عن حرفة الشحدة فلا أراه ، ولكن للدراهم حلاوة وخاصة لمحروم مثلي فاتفقت أن ألتقي بهم في اليوم التالي بعد صلاة العشاء أمام مسجد السلطانة ؛

لأصحبهم إلى الشيخ عبدون متعللا بأني راغب في وداع صاحبي المؤذن .

عدت لصاحبي حمدان واستودعته ما جمعت من مال أمانة عنده مظهرا له أني جمعتها من كد عمل شريف ، ومعلنا له أني خارج للعمل خارج المدينة ، ولما ارجع إليه يدفع لي مالي ، وإن لم أعد فهو هبة مني إليه ، وفي الصباح ودعته وانطلقت لعملي المعروف لديكم أيها السادة الكرام يا قوم .. تسولت طول النهار، ثم اجتمعت بالعميان الثلاثة أمام مسجد السلطانة ، بعد خروج الناس من الجوامع مؤدين الصلاة المكتوبة لفرض العشاء، ومكثت معهم حتى أتى شاب طويل القامة يدعى "راحب" ، فرحب بي وعرفني على نفسه ، وقادنا لمنزل الشيخ عبدون ، وهذا الشاب وغيره من غلمان الشيخ المذكور مهمتهم قيادة العميان والعجزة إلى أماكن الشحدة صباحا ومساءً.. وهو والعميان الثلاثة يعتقدون أنني كفيف مثلهم ، وأني رجل كهل لست شابا ، فثيابي العجيبة الواسعة القذرة تظهرني بأنني ضعيف البنية وكبير في السن ..ولقد خشيت حقا أن أتعرض للضرب والطرد من بلاد الملك النبهان ، فصممت على مسايرتهم والتعرف على عبدون شيخهم وزعيمهم .

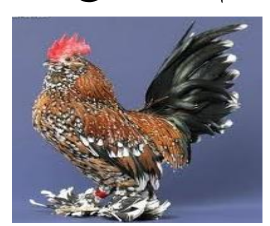
وقادنا راحب خادم عبدون إلى حي أو درب بدا لي من أفقر وأقذر دروب مدينة هاوان ، وفي آخر الحي أدخلنا الغلام من باب صغير ، كان مدخلا لعدد كثير من الغرف ، وسمعت لغطا كثيرا فتيقنت أن كل المتسولين يقطنون في هذا البيت الكبير .

فقال لي أحد العميان الثلاثة: هذا يا صاحبنا الجديد مجتمع العميان والعوران المتسولون في هذه المدينة .. يقوم الشيخ عبدون برعايتهم وخدمتهم مقابل ما يجمعونه خلال النهار ، وأخذ يسرد على مسامعي محاسن السيد عبدون ، وأنا صامت وكلي رهبة وقلق ، ثم أدخلوني على الشيخ عبدون فإذا هو رجل بدين مشدود العضل معتدل القوام واسع العينين مقطب الجبين أصلع قذر ، كنت أرى أنه قريب من الستين ، يجلس على كرسي فخم ؛ كأنه أحد ملوك الدنيا ، وأنا في ذلك الحين لم تقع عيناي قط على ملك ، فقذفت رؤيته في قلبي الرعب والوهن والهيبة ، وعلى يمينه زوجة ، وعلى اليسرى زوجة أخرى ، وأمامهم جاريتان ، فحياني أحسن تحية ورحب بي في مدينة هاوان خير ترحيب ، وأظهر لي حبه وعطفه وشفقته على العميان والضعفاء ، وأنه يأويهم من برد الشتاء وحر الصيف ، ويوفر لهم الزاد والحمام والعناية التامة ، فأبديت له شكري وثنائي على أريحيته وحبه للمساكين ، وبعد ذلك سألني عن اسمي وبلدتي

وسبب مجيئي لهذه البلدة ، وحذرني في النهاية من الغدر وإخفاء أي شيء من المال الذي أجمعه من عباد الله طول النهار .

قال صديقنا حصرم بن سلام : الحق أنه ملأ قلبي رعبا مع أنني في قريتي النائية كنت أصرع الضبع وأفتك بالذئب، وكم انتفعت بجلودها أيام أن كنت راعيا ؟! .. رعبت من نظراته النارية القاسية الفاحصة ، ووقع في نفسي المغادرة إلى بلاد أخرى على الفور.. ولكني استجمعت شجاعتي التي اكتسبتها في "جمانوسا" وهززت رأسي راضخا بالموافقة ، وبعد هذه الجلسة قام غلمانه بتفتيشي وسلب ما معي من القطع المالية ، فظهر لي أنه رجل لا ذمة عنده ولا دين .. وله زوجتان عملاقتان مثله بل أشد شراسة ولؤما منه كما أبدت الأيام وعند انتصاف الليل أخذوني لغرفة الطعام ، فأحضرت لي الجاريتان السوداوتان طعاما من العدس والبصل وفاكهة ، ثم حضر غلام من غلمانه وأدخلني حجرة أنام فيها ، فوجدت فيها ستة من ضيوف الشيخ عبدون وترك الغلام يدي صارخا: نم يا عيد مع هؤلاء الناس ، فهذه حجرتك عند الرقاد .

كما قلت لكم سابقا لقد ملأ الخوف قلبي من عبدون وجماعته ، وهتفت مؤنبا نفسي :إنني قد تورطت في هذه العمل الشنيع وهذا جزائي ..ولكن لابد من الصبر ومعرفة أسرار هؤلاء القوم قبل عداوتهم أو الهرب من بين أنيابهم قال حصرم : أيها السادة الكرام ! فلما يصيح الديك لصلاة الفجر يأتي غلمان الشيخ ويوزعون علينا قطعا من الخبز ، أظن أنه ما يتبقى من وراء عشاء هؤلاء المساكين ، وخلال ذلك يبدأ غلمان عبدون بنقل هؤلاء إلى أماكن عملهم ، فيأخذ كل غلام اثنين أو ثلاثة ، ثم يعودون كرة أخرى ، وهكذا يفعلون بنا ليلا .



إذن هم يتركونهم عند أبواب المساجد ، وقلب الأسواق ليتسولوا ذلك النهار، ثم تتجمع كل مجموعة في الليل عند مسجد مسمى لها ، فيحضر الشاب القائد فيقودهم إلى قصر عبدون العتيد فيأخذون ما جمعنا من مال ، وعلينا أن نخبر عبدون بكل شيء يحدث لنا في الأسواق ؛ فإذا حصلت لأحدنا مشكلة مع أي شخص عليه أن يحدث بها عبدون ، وإذا ظهر متسول جديد في المدينة على من التقى به أن يخبر الشيخ عبدون بأمره ، ولما يتجمع العميان والعوران وغيرهم من أصحاب المصائب فيؤخذ بنا إلى غرفة الطعام ، ومنها إلى غرف النوم ، ويوجد حمام للاغتسال ، ومسموح للمرء منا أن يستحم فيه مرة واحدة في

الأسبوع ، وبعد حين يسير لاحظت أنه إذا شرد أحد أو اختفى لأمر ما ، ثم قبض عليه أو عاد بنفسه يحبس في غرفة مغلقة بدون هوادة أو رحمة عدة أيام ، ثم يعفى عنه ، ويحذر من تكرار فعلته وغيبته ، فإذا تكرر غيابه وعدم التزامه بأمر الجماعة أو أخفى ما أخذه من الناس أو بـعضه يحبس شهرا يذل فيه ذلا مهينا لا يطاق ، ثم يعفى عنه ، فإذا عاد للمخالفة من جديد يحبس حتى الموت ، ثم يقذف به على مزبلة في طرف المدينة الشرقي ، ولا يخبر أهله عنه إن كان له أهل أو أقارب ، والشرطة لا تكترث للأمر ، هذا العقاب اللئيم سمعت به من هؤلاء الضعفاء .

مكثت أشهرا أعمل للسيد عبدون ، وكنا نسمع من السيد عبدون السبّ والشتم القبيح إذا قصرنا في التحصيل ، وأحيانا كثيرة نتعرض للرفس والصفع من عبدون اللعين وزوجتيه الضخمتين، وأحيانا أخرى الحرمان من العشاء أو ننام في العراء، وقد حصل لي من كل ذلك الهوان ، فذات نهار لم أتحصل إلا على درهم واحد ، فاتهمني الرئيس بالغش والخيانة ونكران الجميل، وجرى تفتيشي ثلاث مرات، وصفعني صفعة طار لها مخي ورأسي حتى أنني مرضت منها أسبوعا كاملا، فحقدت على عبدون على أثرها حقدا شديدا ، وصممت أن أدمر عبدون تدميرا تتحدث به الأجيال في مدينة هاوان ، ويسمع به الملك النبهان وحاشيته .

وتابع محدثنا حصرم القص علينا بعد أن تعرض للصفع والتجريح من سيد الشحاذين الشيخ عبدون ، فقال : ولكني أيها الصديقان في هذا الأسبوع علمت أين يخفي ذاك الرجل القاسي أمواله التي يسلبها من العميان والعوران ؟! فهو يضعها في غرفة زوجته "عبلة " فوقع في قلبي أن أحرق قلبه على ماله ، فبدأت أرسم خطة سرقة مال عبدون، والذي ساعدني على كشف هذا السر أنه مع ضحى النهار يخلو المكان الا من عبدون ، تخرج الزوجتان بصحبة الغلمان ، وتخرج معهما الجاريتان السوداويتان المسئولتان عن إعداد طعام المساكين ، يخرج الجميع إلى الأسواق لشراء الأقوات ، وتحويل القطع النقدية إلى حلي وجواهر ، عندما انطلق القوم دخل عبدون إلى غرفة عبلة ؛ فكأن السيد عبدون نسي وجودي ، ولأنني مريض طريح الفراش، وكذلك لاعتقاده بأنني كفيف لا أرى، فلن أكشف سره، فدخل غرفة السيدة عبلة ، وأخرج جرة فخارية واسقط منها المال ، وأخذ في إحصائه ، فسمعت صوت المال، فتسللت وشاهدته وهو يعده ويعيده للجرة ، ثم يضعها في حفرة في غرفة السيدة عبلة ، ثم أهال عليها التراب والفراش ، وعدت لغرفتي سريعا أئن من المرض

والألم ؛ فكأنه شعر بحركتي فزارني وهو هائج ، فقال: يا عيد ألم يخف مرضك وألمك بعد ؟! .. لقد مللنا من مرضك لقد أصبحت عالة على إخوانك وتأكل وتشرب وتنام على جيوبهم . وسب ولعن وصرخ ونوح ثم انصرف يتفقد أمواله .

المهم أيها الأصدقاء كبرت في مخي ودماغي فكرة تدمير الشيخ عبدون ، قلت لنفسي: اصبري يا نفس ..اصبر يا حصرم ، وتعافيت من مرضي وعدت لمزاولة المهنة كالعادة ، وظللت على ذلك ما يقارب أشهر ثلاثة ، أتحمل فيها ظلم عبدون وزوجتيه ،وأقول لنفسي الناقمة " اجمع اجمع سيصير كله لي "، واعلموا أيها الأصدقاء الطيبون أن عبدون هذا إذا مرض أحدنا لا يهتم به كثيرا ، ولا يحضر له طبيبا ؛ وإنما يتغاضى عن شغله بضعة أيام، فكنا نحن الضعفاء نعطف على بعض، ونواسي بعضنا بعضا إلى أن كان يوم قد مرض فيه أحد الشحاذين مرضا هلك على أثره ، فلم يدفنوه حسب العوائد البشرية ؛ ولكنهم أخذوه في جوف الليل وألقوه بالقرب من مزبلة بعيدة .. ولقد نسيت أن أذكر لكم أن عبدون هذا اللعين كان قد حذرني في أول الأمر من كشف أسراره ، أو الحديث عن شيء يجري في المنزل لأحد الناس ، أو أحدث أحدا بما أسمع في منزله الرهيب ، وبما أننا فقراء ضعفاء أصحاب عاهات لا أهل ولا مأوى فلا نستطيع أن نخبر أحدا بما يقع علينا من ظلم وذل ، فكان موت هبار قاسيا عليّ ، ونهايته السيئة في المزبلة قد أحرقت قلبي ، وأعطاني دفعة أخرى من الشجاعة للانتقام من عبدون وزوجتيه وغلمانه ؛ ولكن هؤلاء العميان الحقيقيين بحاجة لمن يطعمهم ويوفر لهم النوم والدفء فرضوا بحياة الهوان عند عبدون الجبار القاسي القلب ، ومع هذا الحدث المرعب وضعت وأكملت خطة الانتقام .

فزرت صاحبي حمدان المؤذن وأخذت منه خمسين درهما ، ووهبته الباقي وودعته وداعا أبديا ، واستأجرت منزلا بخمسة دراهم في الأسبوع الواحد ، واشتريت ثيابا جديدة حسب الخطة ، فصرت خلال النهار أتسول بعض الوقت ، وامكث في بيتي حتى الليل ، ثم ارتدي ملابس التسول والفقر ، ثم اجتمع بمجموعتي عند أحد المساجد الموصوفة لنا ، فيأتي أحد غلمان عبدون ويقودنا للبيت ، ويأخذون ما جمعناه في النهار ، ونسمع الكلام البذيء الردي فنأكل وننام ، وقد عاهدناهم على بذل أقصى الجهد في التسول والرجاء .

اعلموا أيها الأصدقاء أنني أخضعت منزل عبدون للمراقبة أثناء النهار، وكما رويت لكم سابقا كان المنزل يفرغ تقريبا فترة الضحى ، فلا يبقى الا

عبدون ومن يكون مريضا لا يستطيع العمل في ذلك اليوم ، فكانت الخطة اقتحام المنزل أثناء غياب القوم ، وذلك في يوم لا يكون أحد من العميان موجودا فيه ، وجاء اليوم سريعا ، فلما خرجنا مع غلام عبدون صباحا ثم تركنا في الأسواق كالعادة ، فعكفت إلى منزلي المستأجر ، فخلعت ثياب العمل ولبست ثيابا أخرى تظهرني شابا مفتول العضل ، وأخذت كيسا من الخيش وحبلا وسكينا طويلة ، وأسرعت نحو بيت عبدون أراقبه خفية ، وفي الوقت المعتاد خرجت الزوجتان والجاريتان والغلمان ، ففرحت لأن خطتي تتقدم كما رسمتها ، ولما اختفوا عن الأنظار تريثت قليلا حتى ابتعدوا ، فتقدمت نحو باب المنزل وقرعته بشدة ، ثم دفعته داخلا فإذا عبدون يخرج من غرفته هائجا وهو يصيح : من بالباب ؟ بل مَن أنت ؟!

فغيرت من لهجتي المعروفة لديه وقلت برباطة جأش : أنا غلام الشيخ جدعان الذي أرسلني إليك ..!

فصاح : مَن جدعان هذا ؟ يا هذا !

فقلت وقد أصبحت أمامه : يا سيدي ! ألا تـعرف الشيخ جدعان ..الشيخ المعروف لأهل المدينة كلهم.

فصاح : لا أدري مَن هو سيدك فأنا لا أعرفه ، ماذا يريد جدعون هذا أو جدعان مني ؟ يا غلام النحس!

وفي هذه اللحظة الحاسمة كانت يدي قد أمسكت بالسكين مسكا قويا وقبل أن ينهي كلامه كانت سكيني تنغرس في كرشه ، ولكمته لكمة قوية على الفور فوقع على الأرض طريحا يصيح ويخور ، فوضعت في فمه خرقة ، وأوثقته بالحبل الذي أحضرته معي ، ثم اقتحمت غرفة عبلة، وأخرجت الجرة وأفرغتها في الكيس، ووجدت فيها صندوقا فإذا هو ممتلئ بالعقود والجواهر فأفرغته هو الأخر وأغلقت الكيس ، وعدت لبيتي الخاص وخبأت المال في حفرة كنت قد أعددتها لـمثل هذه الساعة ، ومكثت حتى الليل ـ وكنت قد أزلت الدماء التي أصابت أنحاء من جسمي ـ فلبست ثياب التسول ، وقد هدأت أعصابي لهذه المغامرة الرهيبة ، وأخذت في التسول كالمعتاد ، وقد أعددت مبلغا أكثر من المعتاد لأسلمه لعبدون اللئيم ، ولما حضر غلام عبدون ليعود بنا إلى البيت كان متوترا وقليل الكلام ، وكأن كارثة حلت به بل هي كارثة ، ولولا الظلام لرأيت أن وجهه كان مصفرا ، وقادنا للبيت بهدوء وصمت ، ولقد كنت قلقا من أن يكون عبدون فطنا ، وعرف صوتي ولكنـتي؛ ولكني أقول لنفسي مطمئنا لها : هذا احتمال بعيد .. وهو يعتقد بأنني أعمى وكهل

كان البيت هادئا لم يستقبلنا الشيخ عبدون ويشرف على سلبنا كعادته، استقبلتنا إحدى زوجتيه وأخذت منا ما جمعناه من المال ، واطعموننا العشاء بعجلة ، فأظهرنا دهشتنا وتعجبنا فنهروننا عن الاسترسال في الفضول وإلى غرف النوم ادخلوننا ، لقد كان المكان متوترا وكئيبا تلك الليلة فالغلمان خائفون والجاريتان كذلك ، وكان الصمت والحزن يخيمان على المكان .

وبعد أيام يسيرة اجتمعت بنا احدى الزوجتين ، وذكرت لنا أن لصا اقتحم البيت واعتدى على ولي نعمتنا الشيخ المحترم عبدون وسرق المال ، فعلينا أن نجتهد في الإصغاء هنا وهناك لعلنا نعرف شيئا عن اللص الخطير ، ووعدت هذه الزوجة المساكين بدجاجة محمرة في الفرن ، دجاجة كاملة لكل من يأتي بخبر عن السارق والمال المسروق ، فسال لعاب المساكين لهذا الوعد الغريب.

قال صاحبنا الجديد حصرم بن سلام : المهم أيها الأصدقاء أنني أدركت أن القوم قد بلعوا الملعوب ، ولا يستيطعون فضح أنفسهم بإخبار شرطة الحاكم الملك النبهان ، وإنما غيروا نظام الخروج ، فكان يبقى غلام عند الشيخ ، وتبقى امرأة من نسائه في فترة الصباح ، فهم خائفون من عودة اللص مرة ثانية .

وبعد هذه الضربة خفت حدة القوم على العميان ، فقد خف السب والشتم ، وقل الاجتماع بعبدون ، وتعافى عبدون هذا بعد شهرين من الزمان ، وتحسنت صحته بأسرع مما ظننت ، فبدأت أفكر بملعوب جديد أو آخذ المال الذي سلبته وأغادر هاوان .

أيها الكرام خلال عملي بالتسول تعرفت على أسواق المدينة والتجار على مختلف ألوانهم ، وصار من ضمن عملي اليومي ترك شخصية الشحاذ من الضحى حتى العصر ، وخطر في نفسي أن أترك الشحاذ واعمل لي حانوتا وأتعلم مهنة جميلة ونظيفة ، فقررت عرض أحد العقود على تاجر الذهب والفضة ، فأخذت ذات نهار عقدا وذهبت لأشهر تاجر ذهب في هاوان وهو السيد زهران ، ولما تناول الرجل العقد وأمعن النظر فيه فأخذ يدقق النظر فيّ ، ويسألني عن اسمي وعملي فرابني ذلك النظر والكلام ، فقلت له : أنا يا سيدي خادم في بيت أحد التجار ، وحاول معرفة المزيد من المعلومات فتاغضبت وقلت : يا هذا كم تدفع فيه؟ فزوجة سيدي أمرتني ببيعه ومن دفع أكثر من السادة التجار بعته إياه .

فقال لي : كم دفعوا لك ؟ فأجبت : أنت أول تاجر أعرضه عليه .. وأنت أشهرهم في مدينتنا هذه .

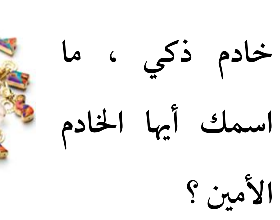
فقال : ما رأيك أن تصبر على بقائه عندي لمساء الغد؟ وسأدفع لك فيه خمسين ألف درهم ،

سأعرضه على ناس طلبوا مني عقدا قريبا من صفاته فتسفيد واستفيد .. وأما ثمنه اذا بعته الساعة قد يبلغ سبعة الاف دينار.

فقلت : عرض مغرٍ ، هات دفعة مقدمة أو رهنا وسآتيك غدا مساءً على خمسين ألف درهم والزيادة لك يا سيدي ، وستسر سيدتي أم البشر بذلك . فقال وهو يضحك : هل الرهن ضروري ؟ .

فقلت وأنا أجاريه في الضحك : هذه يا سيدي الدنيا حياة أو موت وابن أدم طماع

فقال ضاحكا : أنت خادم ذكي ، ما اسمك أيها الخادم الأمين ؟



فقلت : خادمك نحلة ، خادم السيدة أم البشر ، وبما أن ثمنه كما قلت سبعة الاف فهات خمسة الاف .. وإذا بعته لصاحبك الذي ذكرت بالمبلغ المذكور دفعت لي الباقي وأخذت نصيبك .

قال التاجر : أعطيك خمسمائة درهم وغدا نتفاهم وبعد أخذ ورد قبضت ثلاثة الآف دينار وانصرفت وأنا قلق وحذر ، فعدت للبيت وأنا أتلفت حولي ، وعند العصر لبست ملابس التسول واتجهت نحو متجر زهران أراقبه إلى الليل ثم اجتمعت برفاقي في التسول حتى جاء غلام الشيخ عبدون وأوصلنا لبيت عبدون ، وفي الصباح الباكر بعد أن تركنا الغلام توجهت نحو متجر الذهب ، وأثناء مراقبتي للمكان شاهدت إحدى زوجتي عبدون تدخله ، ومعها أحد الغلمان ، فأدركت أنّ لزهران علاقة مع هؤلاء القوم ، وأنه اشتبه في العقد ، فلابد أنه هو الذي باعهم العقد فعرفه ، ولابد أنهم اخبروه بأمر السرقة ، فقررت عدم الذهاب لزهران مساء هذا اليوم كما اتفقنا ، ولاحظت أن زوجة عبدون منذ دخلت الحانوت لم تخرج بل ظلت قابعة فيه ، وغاب الغلام عند العصر ، ثم عاد بصحبة ثلاثة غلمان ، فأدركت أنهم ينتظرونني للقبض عليّ .

فتأكد عندي أيها الأصدقاء أن بين زهران الصائغ وآل عبدون علاقة تجارية، ولما هبط الظلام تحركت إلى مكان اجتماعنا بغلام عبدون ، فقدم الغلام راحب متأخرا ، ولما وصلنا البيت أرخيت أذني لسماع أحاديث عبدون وزوجتيه ، فسمعت إحداهما تقول: إن السارق قد يقع قريبا فقد بدأ يظهر المال المسروق ، فقد أحضر خادم لأحد التجار عقدا لبيعه عند صاحبنا الشيخ زهران ، فكما تعلم فهو الذي باعنا العقد ، وكنت قد أسررت له بضياعه فوعدني بالمساعدة ، وقد عرض على الغلام خمسين ألف حتى يوقع به ؛ ولكن الغلام اللعين لم يحضر مساء هذا النهار كما

اتفقا ، وسنستمر بانتظاره .

فلما سمعت هذا الكلام حمدت الله على حذري من زهران ، وشكرته تعالى على عدم وقوعي في فخه ، ثم رد عبدون على زوجته المتكلمة : وأنا سأخرج معكم لمتابعة الأمر بنفسي لعلني أصل لغريمي وأمسك بهذا الغلام .. ولعله هو الذي طعنني بالسكين ، وأعرف من هو هذا التاجر الذي يعمل عنده ؟ .

قالت المرأة : لا بأس نذهب جميعا ، وتذهب ضرتي لجلب الأطعمة ، وتبقى الجارية نرجس في البيت .

فصممت عندئذ على سرقة الشيخ عبدون مرة أخرى وضربه ضربة ثانية ، ولما انطلقنا بعد الفجر لممارسة عملنا النظيف ، ذهبت لبيتي الخاص وخلعت ملابس الشحاذ ، ولبست ملابس جميلة فعدت فتى جميلا ، وأخذت كيسا وحبلا وخنجرا وسرت إلى حي الشيخ عبدون ولما تأكدت من خروج القوم دهمت البيت، فخرجت نرجس من حجرتها معتقدة أن أحدهم قد عاد ، فوضعت يدي على فمها بسرعة قبل أن تصرخ وفي وقت وجيز كانت موثقة بالحبل ، واقتحمت غرفة عبلة وإلى الجرة فوجدتها فارغة ، فبحثت في أرضية البيت حتى وجدت أرضا طرية فحفرتها فوجدت فيها جرة أخرى فأفرغتها في كيسي وخرجت مسرعا لبيتي وأنا أقول القاصمة لعبدون .

وبعدت العصر لبست ثياب التسول ، واتجهت نحو دكان زهران اللعين فلم أرى قوم عبدون فلابد أنهم عرفوا بالأمر ، ولما عدت مساء كان البيت هائجا مائجا ومكثت أياما عندهم ، ثم تخليت عن شخصية المتسول ، واشتريت منزلا ومتجرا ، وجعلت من نـفسي ثريا قادما من بلد بعيد ، انتهت شخصية عيد المتسول، وأصبحت تاجر الحبوب الشيخ سلمان ، واشتريت عشرة غلمان وجاريتين ، ولم تمض عليّ سنة حتى صرت أشهر بائع حبوب في مدينة هاوان ، والتف حولي أبناء التجار ، وتزوجت امرأة من المدينة ؛ ولكني للأسف أيها الأصدقاء الكرام تعلقت بالخمر والميسر والصيد ، فلم يطل بي المقام حتى فقدت كل الأموال من ذهب وجواهر ومتجر وغلمان وجواري ، كأني لم أملك شيئا ، ولم أجد من الناس من يعرفني ويقف معي في هذه المحنة ؛ لأنني صاحب ميسر ؛ وأنني شاب طائش فحزنت لحالي ، وقد فارقتني الزوجة التي لم تنجب لي ابنا ، ورثيت على نفسي ، ولعنت الخمر والنساء والمجون، وقررت الهرب خفية من هذه المدينة وكان لي ذلك، وهذا يا سادة يا كرام ما جرى لي في بلاد الملك النبهان من الأحوال والأخبار مع عبدون والعميان .. وحان الآن وقت المنام فقد هيأ

لكم الغلمان غرف المنام.
فضحك سلامة وهانيء وقال أحدهما : في الحق لابدّ من النوم ؛ ولكن تباشير الفجر هلت ، فلنذهب إلى المسجد ونصلي مع المصلين ثم ننام ، وسوف نعود إليك مرة أخرى يا حصرم بن سلام !

الجارية ريم

قال سلامة مخاطبا صديقه : لقد تأخرنا عن صاحبنا حصرم أياما ، فهل نذهب إليه الليلة؟
رد هانيء باسما: لنذهب أيها الكاتب اللبيب ! أولا نصلي العشاء في الجامع الكبير ، وبعدها نهبط عليه فلابدّ أنه على جمر في انتظارنا ، فقد زارني غلامه منذ يومين .

وأردفني صاحبي هانئ على بغلته البيضاء ، ومشينا نحو قصر صاحبنا الجهانوسي ، فوجدناه بشوق شديد لرؤيتنا والحديث معنا ، وبعد أن التزمنا وتعانقنا تعانق الأحباب ، وذكرنا له شوقنا له ومحبتنا لسماع كل أخباره وذكرياته في هذه الدنيا الواسعة ، وكعادته عند كل حضور أحضروا لنا أزكى الطعام واللذّه ، وبعد رفع موائد الأكل والشراب، قدمت بين أيدينا أطباق الفواكه والحلوى والنقل ، فقلت : اليوم بإذن الملك المتعال يا سيدنا ابن سلام نسمع منك الحكاية الثانية حكاية الجارية المغنية ريم .

فقال حصرم : على الرحب والسعة أيها الأحبة ، وأنا كلي شوق وهوى للحديث والسمر ، يا صاحبيّ تركت هاوان هاربا في جنح الظلام ، ولا أملك سوى بضعة من الدراهم كما قال الملك العزيز لا تغني ولا تسمن من جوع ، وبعد أيام يسيرة وقعت قدماي في مدينة اسمها "سلهوب" ، وعلى الفور ذهبت إلى تاجر كبير دلني عليه الناس ، وعرضت عليه خدمتي وحالي ، فرق قلبه لي وقبلني أجيرا عنده بدرهم ونصف في اليوم ؛ وكان ذلك عطفا منه ولغربتي ورضيت بذلك، وامتن عليّ بكوخ صغير لا يصلح الا للطيور والعصافير بجوار مسكنه الكبير.
وأمضيت شهرا في سلهوب وتعرفت على بعض أهل المدينة ، وعلى بعض عاداتها وأحيائها ، ثم استأجرت غرفة واحدة في درب من الدروب ، وكان التاجر حلوم قد زادني نصف درهم ، فأصبحت أقبض منه في اليوم درهمين كاملين ، وذات يوم وأنا والعمال الأخرون في الحانوت الكبير دخلت علينا امرأة صبية ، وبرفقتها شاب جميل الصورة ، من يراهما يظن أنهما من إماء الوالي وغلمانه ، واختارت الصبية ثيابا كثيرة ، وادعت بأنها جارية أخت الوالي ، وصدق سيدي حلوم كلامها، ولما تجهزت للإياب طلبت من معلمي أن يبعث معها أجيرا لقبض المال من سيدتها الأميرة ،

ويعود بما لا يناسبها من الثياب ، ووقع الاختيار عليّ ، فحمل غلامها الثياب ، ومشت أمامنا ، ولزمت الصمت ، ولم أتحدث مع غلام الأميرة ، وظلا يسيران حتى وصلنا لشارع ضيق ، ودخلنا زقاقا لا يسع عرضه أكثر من نفرين ، ومشيت خلفهما إلى أن وقفنا أمام باب في وسط الزقاق ، فالتفتت إليّ الصبية وقالت : يا فتى انتظر هنا حتى يؤذن لك ودفعا الباب ودخلا ، وأنا مندهش من سكن أميرة تشتري مثل هذه الثياب الثمينة في حي أو درب كهذا ، وانتظرت ساعة، ولم يؤذن لي ، فصبرت نفسي ساعة أخرى وطرقت الباب ، لا إجابة ، فازداد انزعاجي وقلقي ، فطرقت بشدة لا مجيب ، ورفست الباب بقدمي ، لا أحد رد عليّ، وبينما أنا في ضيق شديد هائج كالثور المذبوح؛ فإذا برجل يدخل الزقاق ، ولما اقترب مني ألقى عليّ السلام ، ثم قال : ماذا تفعل هنا أيها الشاب؟ فأجابته بصوت حانق : أنتظر جارية الأميرة التي دخلت من هذا الباب العتيق وأمرتني بالانتظار. فاغرق الرجل بالضحك حتى أغضبني فنهرته فقال :أأنت غريب عن المدينة ؟!

فصحت به : لماذا السؤال ؟!

فقال ضاحكا : يا هذا ، هذا باب يؤدي إلى زقاق آخر ، ومنه إلى درب البطيخ، هذا ليس مدخل بيت أيها الصديق .

فصحت : ما تقول يا رجل ؟! ودفعت الباب ودخلت ؛ فإذا أنا بزقاق يربط هذا الزقاق بحي البطيخ كما قال الرجل ، فلعنت غفلتي وحسن نيتي وغبائي ، وقلت معزيا نفسي : هذا مقلب كبير يا حصرم ..ماذا أفعل ؟! هل يصدقني سيدي حلوم ؟! .

وعدت لحلوم ورويت له ما جرى ، فكذبني واتهمني بالاحتيال عليه ، وجاءت الشرطة وقادوني إلى سجن المدينة ، وزارني فيه حلوم ، وعرض عليّ العفو عني، وإخراجي من السجن على أن أقر بأنني أخذت المال ، وأنني محتال طماع غرّ بي الشيطان ، فأنكرت ذلك ، وصحت به : أنا لا أكذب ، لست سارقا ولا محتالا ، ولم يخدعني الشيطان ، اذهب لأخت الوالي

واسألها عن الثياب والجارية والغلام ؛ لتتأكد أنهم احتالوا عليك وخدعوك وسخروا مني .

ولما انصرف حلوم ، قلت لنفسي : بدأت المعركة مع شطار وزعران البلدة سريعا ، ولن يهدأ لي بال حتى التقي بتلك المحتالة ، ومكثت في السجن أكثر من ثلاثين يوما، ثم أخرجوني لأنه لم يثبت ضدي شيء ، وأنني ضحية احتيال ونصب، فذهبت لمعلمي حلوم وطلبت ما تبقى لي لديه من أجر، فطردني شر طردة ، وقذفني بالسرقة والاحتيال ، فعذرته فهو صاحب المال ، فعدت لغرفتي العتيقة

أفكر بأمري وبطريقة أصل بها إلى المحتالة ، وبعد تفكير عميق وصلت إلى أن أعمل عند تاجر خز آخر لعل تلك المحتالة تكرر الفعلة فتقع بين يدي ، وفي سوق كبير عرضت نـفسي على التاجر عبد الرحمن المشهور ببيع الثياب المنسوجة من الابريسيم والديباج والحرير والمطرز أكثره بخيوط الذهب والفضة والمصمم لعلية القوم ، ومن كثرة ترددي عليه وترجيه وافق على استخدامي رأفة بي وشفقة على حالي وحاجتي مقابل درهم واحد في آخر كل نهار ، وقد غيرت لون عمامتي ولبست عمامة خضراء لها ذؤابة بين كتفيّ ، وغيرت ثيابي التي كنت ألبسها عند حلوم ، وبعد شهرين من الصبر والترقب جاءت المرأة وغلامها للدكان ، ولما تمحصتها وتأملتها أيقنت أنها غريمتي ، فكم فرحت لساعة الانتقام ! وفعلت بعبد الرحمن كما فعلت بحلوم ، ثم قال لي معلمي في النهاية : يا علي رافق هذه الجارية لقصر عمة السلطان ، واحضر ثمن الثياب منها وعد بالثياب التي لا يقع عليها الاختيار.

فوافقت على الفور ، وهيأت نفسي ، وأدركت أنهم لم يعرفوني لكثرة ما يرون من وجوه ، فحمل الغلام الثياب والجارية أمامه ، وأنا مشيت خلف الغلام كالأبله إلى أن وصلا للزقاق المعروف، ثم الباب الذي في وسطه ، فقالت لي المحتالة : انتظر هنا يا علي حتى تأذن لك عمة السلطان بالدخول ولتقبض المال وما يرجع من الثياب .

ودفعا الباب ودخلا ، فلما خرجا من الزقاق تبعتهما خفية ، ومن ثقتهما بأنفسهما لم يكونا ينظران للوراء ولو لحظة ، فسرت خلفهما حتى خرجا من حي البطيخ ، ومن درب إلى درب حتى وصلا لحي اللبن ، وأنا أسير خلفهما ، واجتازوا نصف درب الحي ودخلوا زقاقا واسعا إلى حد ما ، وفي بيت من بيوت ذلك الزقاق اختفيا ، فعرفت دارهما معرفة جيدة وعدت لمنزلي ، وقد اشتريت في طريقي ملابس تشبه ملابس شرطة الوالي ، واستأجرت حمارا ، ولما هبط الظلام لبستها وركبت الحمار وسرت نحو درب اللبن ، ثم دخلت الحي نفسه ، وإلى المنزل المذكور ، ثم طرقت بابه فخرج الغلام يقول : من ؟!

فقلت بصوت هادئ رزين : أنا أحمل رسالة لسيدة البيت من عمة السلطان .

فقال الغلام والدهشة ظاهرة في نبرة صوته : عمة السلطان ! وماذا تريد السيدة المصونة منا ؟!

وكنت قد ربطت الحمار وقلت: دعني أكلم سيدتك . فدخل وأنا خلفه فنادى: يا زمردة هذا الرجل كأنه من شرطة الوالي يدعي أنه قادم من عند عمة السلطان !

فرحبت بي المرأة وهي في غاية الدهشة : ماذا تريد

مولاتنا منا وما علاقتنا بعمة السلطان ؟!

فقلت لهما: أنت اليوم قد اشتريت لها ثيابا من عند البزاز عبد الرحمن .. ولم تصلها الثياب بعد

فردت والحيرة تملأ كيانها:أأنا اشتريت لها ثيابا ؟! ما هذا الكلام ؟ أأنت مجنون ؟!

فقلت: يا جارية تأدبي ، ألم تأت ظهر اليوم لدكان البزاز عبد الرحمن التاجر المعروف ، وأخذت ثيابا كثيرة لعمة الوالي أو السلطان، وكان معك هذا الرجل ـ وأشار لغلامها ـ وذهب معكم غلامه علي ، وتبعكم علي حتى دخلتم هذا البيت .

فصاحت : أبدا ، لم يحصل هذا ، أنا امرأة شريفة كريمة ، ولا أعرف الوالي ، ولا عمته ، ولكن من رماك علينا.

قلت لهما : قلت لكم الأجير علي تبعكما بعد أن شك في أمركما وأمر الزقاق ، فهات الثياب أو المائة دينار ثمنها بدون فضائح .. فأنا علي الذي تركتموني عند باب الزقاق ، وأخرجت مدية وضربت بها الغلام على عجل قبل أن يغدر بي .

فصاحت المرأة فقلت لها : لا داعي للصراخ ، أنتما محتالان دعونا نتفاهم ، فأنا لي عندكم ثأر، وذكرت لهم قصة غلام حلوم ، ثم قلت : فأنا ذلك الغلام أيضا، وأنا في انتظاركم منذ شهور عندئذ ظهر الخوف على المرأة ، وأيقنت أنني أعرف الحقيقة فتمتمت : حسنا نتفاهم يا سيد علي وهذا المسكين ماذا نفعل به ؟! .

فقلت : لا شيء الضربة بفخذه وهي خفيفة ، فلن يموت .

وكان الغلام قد أغمي عليه من الطعنة برأس الخنخر، فاسعفته بخرقة لفقتها على فخذه المجروح ، ولما انتهينا منه همست : ماذا تريد ؟!

قلت لها : ما هذا الغلام منك ؟ ردت : هو زوجي

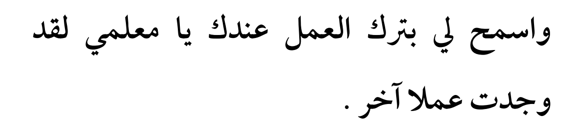
فقلت: هكذا أنتما تعيشان على النصب والاحتيال! .. فماذا تفعلان بالثياب التي تحصلون عليها من التجار ؟.

فقالت ربما بصدق : نبيعها لتاجر آخر بسعر أقل ؛ ولكن بـعد مضي زمن وما تريد منا الآن ؟

فأجبتها قائلا : أنا رجل فقير وغريب عن هذا البلد ، فأرغب بأن أكون شريكا لكم في هذه المهنة ؛ ولكن قبل هذه الشراكة علينا أن نعيد ما أخذتموه من المعلم عبد الرحمن ، فقد حبست شهرا عما سرقتموه من المعلم حلوم ، فأنا دفعت ثمن القضية السالفة عن حضرتكم

وبعد كلام وجدال طويل تعاهدنا على كتم أمرهم ، ولا أفشي سرهم ، ومشاركتي في العمل معهم ، ثم أعطتني المرأة المحتالة ثمن أقمشة عبد الرحمن لأدفعها إليه، وقبل الفجر غادرتهما على أمل اللقاء بهم مساءً لنبدأ حياة الشراكة، وفي الصباح كنت أضع ثمن بضاعة المعلم عبد الرحمن أمامه ، ولقد

كان غاضبا عليّ أشد الغضب والحنق ، ويظن أنني سرقت المال والثياب التي لم ترق لمزاج الأميرة ، ثم قلت له معتذرا عن تأخري : يا معلمي وبينما أنا عائد من قصر عمة السلطان التقيت بصاحب لي ، فأبى وأقسم إلا أن يأخذني لبيته ويضيفني فبررت بقسمه.. وها هو حقك قد وصلك ،



واسمح لي بترك العمل عندك يا معلمي لقد وجدت عملا آخر .

فدفع لي أجري كاملا وزيادة درهمين ، وودعته والعمال الآخرين ، ورجعت لمنزلي فنمت حتى العصر ، ثم سرت نحو حي اللبن ، وهناك لم أجد الزوجين والدار مغلقة ، ولما دخل الليل قرعت الباب من جديد ، لا أحد يجيب ، ولم يعودوا، وتحدثت مع جيرانهم سائلا عنهم ، فأخبروني برحيلهم في ضحى اليوم ، ولا يعرفون إلى أين انتقلوا ، فأدركت أنني مغفل وأنهما هربا مني ، فهما لم يطمئنا لي فهمست لنفسي قائلا : ما زال لي عندهم دين ، وعليهم أن يسددوه حق ثياب حلوم ومكثي في السجن ثلاثون يوما.

فصرت أمر وأتردد على الحي مرتين في اليوم ، الأولى في الصباح ، والأخرى في الليل على أمل أن يرجعوا لمنزلهم ظنا منهم أنني قد نسيتهم ، أو يعودوا لأخذ شي من البيت قد نسوه ، وكان من عادتي وأنا أبحث عنهم في الليل أن ألبس ملابس شرطة حتى أوهم من يراني أتسكع في الشوارع بأنني من رجال العسس .

قال محدثنا حصرم بن سلام : أيها الأصدقاء وأنا عائد ذات ليلة من حي اللبن إلى منزلي ، والوقت يزيد عن نصف الليل بـقليل ، وقد كنت منهكا من المراقبة والسهر وقـلة الطعام ، وبينما أنا أجتاز أحد الأحياء سمعت صراخا عاليا فأصغيت أذني ، فكان مصدر الصراخ قريبا من المكان الذي توقفت عنده ، ولكنني لم أعرف البيت الذي خرج منه الصوت ، فتسمرت في مكاني بالقرب من جدار منزل أنظر هنا وهناك .. لاشيء ، فقلت : لعله زوج يؤدب زوجته أو جاريته وكدت أمشي لولا أني سمعت حركة أقدام وأصوات تتحدث بصوت منخفض ، فأخفيت نفسي بعتمة الليل ، ورأيت بابا لأحد الدور قد فتح ، وخرج منه رجلان يحملان بينهما شيئا ملفوفا بثياب ، وسمعت أحدهما يقول : هل ماتت ؟! فرد الآخر : إن لم تمت سوف تموت من نزف الدماء ، فلما سمعت ذلك أيها الأعزاء اقشعر جسدي وخفت ؛ ولكن الفضول قوّى عزيمتي ، فظهرت أمامهما فجأة وأنا أقول صارخا : أيها الشابان ما هذا الذي بين أيديكما .. من المقتول؟!

فوقع المقتول من بين أيديهما من هول المفاجأة ، ومن الخوف الموجود في داخلهما ، وحاولا الهرب فقلت بسرعة : تمهلا ولا تهربا ، فأنا أعرف البيت الذي خرجتما منه .

فتوقفا على الفور ، وقلت لهما : ما الأمر؟!

فقال أحدهما : من أنت أيها الرجل ؟ ! فقلت : أحد الناس شاهد جريمة قتل ، أريد أن أعرف القصة ، لعلي أغض الطرف عنكم . ثم صحت بهما : احملا الجثة للداخل لأسمع الحكاية .

فحملاها ودخلوا البيت وأنا خلفهم وأنا أحاذر من غدرهم ، فلما وضعوها على الأرض ، قال أحدهم : أيها الشرطي انتظر حتى اخبر أهل البيت بشأنك لعلك تتفاهم معهم .

وبعد قليل كنت أجلس أمام امرأة جميلة فاتنة بحق ، وهي تقول : ماذا تريد أيها الشرطي من هؤلاء ؟!

هذا رجل قد مات عندنا ونريد أن ندفنه .

فارتسمت على وجهي ابتسامة ساخرة وقلت هازئا : نعم .. نعم الميتة امرأة كما علمت وماتت مقتولة .. دفن في مثل هذه الساعة من الليل ! .. دعوني أسمع الحقيقة قد أعذركم وأكتم أمركم وأضفت قائلا " ولا أقوم بواجبي " موحيا لهم بأني من العسس .

فقالت المرأة : دعك من الحقيقة ، فهل لك بألف درهم تقبضها الآن وتنصرف وتنسى ما رأيت؟

كان طرحها جريئا ، فلزمت الصمت قليلا أفكر في الأمر وقلت لنفسي : لماذا أحشرها في موضوع كهذا ؟ والمقتول قد قتل ، ولن يعود للحياة ، وهذا رزق قد ساقه الله إليك يا حصرم خذ الألف واهرب يا فتى ، ثم هتفت قائلا : أيتها المرأة أنا لست أبلها..أما إذا دفعت لي مبلغا محرزا من المال أستطيع بسببه ترك الشرطة، وأعيش به بقية حياتي هادئا سعيدا قد أوافق .

فأظهرت الابتسام في وجهي : أحسنت أيها الرجل الأمين ، كم تحتاج ؟!

قلت وأنا مرتبك : عشرة آلاف درهم ! .. إنها في الحق مبلغ زهيد مقابل صمتي وخيانتي لواجبي

فصاحت المرأة : أعطوه ما طلب .. احذر أن أراك مرة أخرى ، ولا تحاول أن تعرف القصة أو تحدث أحدا بما سمعت وشاهدت .

فقلت وأنا انتظر الرجل الذي ذهب لجلب الدراهم : إذا كان المبلغ كما اتفقنا فلن تروا وجهي مرة أخرى ؛ ولكن إذا وجدته ناقصا فسأكون مع الفجر هنا .

وأخذت الأكياس التي تحتوي المال، ولما أصبحت في الشارع تنفست الصعداء ، ودبت الحياة في كياني كله ، وأسرعت مهرولا إلى سكني العتيق، ونسيت الأمر كله أو تناسيته ، ونمت نومة مليئة بالأحلام المزعجة والمثيرة ؛ ولكني شحاذ أخذت على قبول

ما يعطى لي ، فاعتبرت المال شحذة ؛ ولكن بطريق أخرى.

ولما صحوت من نومي القلق أحصيت المال فوجدته عشرة آلاف درهم كما طلبت ، فحمدت الله وشكرته ، وظننت أن أبواب السماء قد انفتحت لي ، أنا الذي كنت أعمل في النهار وأكد مقابل درهم واحد أصبحت أملك عشرة آلاف ، وتذكرت المرأة الحسناء وحسنها والمرأة المقتولة والرجلين ، وعادت بي الذكريات إلى مدينة هاوان حيث التجارة والخمر والمعاصي والطلاق ، ووصلت في النهاية بأن أنسى الماضي كله ، وأبدأ من هذه اللحظة ، وأعمل عملا صالحا نافعا .

اشتريت ملابس جميلة ، وسميت نفسي أحمد ، واستأجرت منزلا جديدا يليق بثروتي الكبيرة ، واكتريت حانوتا واسعا لبيع الكتب ونسخها ، لقد عرفت عنها بعض الشيء أثناء وجودي في هاوان من بعض الأصدقاء ، ثم بدأت العمل بثلاثة نساخ فقط وأنا رابعهم ، فصرت أشتري الحبر والورق وأنسخ كتب القدماء ، وبدأ طلاب العلم وعشاق الورق يترددون على دكاني ، وما مرت عليّ سنة من الزمان حتى صار لي صلة بالأمراء والشعراء في مدينة سلهوب ، وارتفع عدد النساخ في حانوتي لسبعة ، كانت مغامرة جريئة فنسيت في غمرتها زمردة وزوجها والقتيلة والمرأة الحسناء وعبد الرحمن وحلوما ، وما انقضت السنة الثانية حتى أصبح يعمل لديّ أكثر من عشرين نساخا ، وأصبحت مشهورا بالوراق أحمد ، فاشتريت بيتا كبيرا ، وصار لي أصدقاء وأصحاب من علية القوم من أهل القصور والثراء ، ولا أنسى أن اذكر لكم أنه أصبح لدي خدم وجواري ، وعدت لأيام هاوان ، عدت للشرب والقمار والفسق ، وكانت تمر بي ذكريات هاوان السوداء ولا ارتدع إلى أن كان أن دعيت لسهرة في بيت لأول مرة ، والذي دعاني شاب تعرفت عليه يدعى "رباب" ، والده من أغنياء سلهوب ، وكان الهدف من هذه السهرة أن له أصدقاء يرغبون باللقاء بي والتعرف على شخصي شخص الوراق أحمد ، وخلاصة الكلام أني وافقت ورافقته لتلك السهرة ، وأحسن صاحب البيت ورفاقه باستقبالي ، وجلسنا في غرفة فارهة على بسط نادرة ، وجاء الطعام الكثير وبعده أجود أنواع الفواكه ، ولما اشتد الليل دارت كؤوس المسكر على القوم ، وأمر مضيفنا باستدعاء ثلاث جواري مغنيات ، وهن في أحلى الثياب والحلي وبين يدي كل واحدة منهن عودا ؛ ليطربننا بأفضل وأجمل الأنغام ، فجلسن على مقاعد وثيرة أعدت لهن ، والغلمان بين أيدينا يزقون علينا بالشراب والتفاح ، ولما أمعنت النظر في المغنيات الثلاثة تذكرت أيها السادة المرأة التي أعطتني

العشرة آلاف درهم ، نظرتها بعمق ، وحملقت هي بي بعض الوقت ، فأنا عرفتها أما هي بدت كأنها لم تعرفني .

ولقد تغنين بأعذب الألحان والأصوات حتى فقدنا الصواب ، وسمعت صاحبي "رباب" يقول: لقد كانت عند حسن ـ مضيفنا ـ جارية أجمل من كل هؤلاء وصوتها أرخم منهن ، ولكنها قتلت ولم يعرف قاتلها ، لقد ماتت منذ ثلاث سنوات، كانت ذات صوت رخيم ، عصفور أو بلبل يشدو على غصن ، وكانت حسناء بمعنى الكلمة حسن وبهاء نادر .. جارية مغنية يهودية ؛ ولكنها للأسف ماتت مقتولة ، وما زال في نفس صاحبي عليها حسرة ، فهؤلاء الجواري المغنيات ملكه الخاص ؛ ولأن والده لا يحب مثل هذه الأحوال فاستأجر لهن حسن بيوتا خاصة ، ووضع تحت أمرهن الغلمان ، وبنى هذا القصر للسهر والحفلات ... يتبع

قلب الوطن

موقعة الثلاثة والعشرين

القلقة ٦ والأخيرة

إنجازات وهمية

وقال ضباط كبار في الأجهزة الإسرائيلية إن إسرائيل حققت منذ بضعة أيام الإنجازات الممكنة من"العملية في القطاع، وأثبتت أنه لا يردعها شيء عن مواجهة قاسية مع حركة حماس، أو عن إدخال قوات برية وجنود احتياط إلى داخل القطاع" ويفضل هؤلاء الضباط أن توقف إسرائيل العملية بشروط جيدة كما هي اليوم، وقبل أن يتسلم الرئيس الأميركي الجديد باراك أوباما مهامه في العشرين من الشهر الجاري . وقالت الصحيفة، إن قسما من المتحدثين من الضباط يفضلون سحب القوات البرية الآن، وإعلان وقف إطلاق النار، وحتى قبل التوصل إلى اتفاق مع مصر بشأن تهريب الأسلحة إلى قطاع غزة، ويقول هؤلاء، إن بإمكان إسرائيل أن تنسحب الآن وتهدد برد سريع وحاد في حال تم خرق وقف إطلاق النار من جهة حركة حماس، إن كان هذا من خلال إطلاق القذائف أو باستمرار تهريب الأسلحة عبر رفح .ويلاحظ المحلل العسكري في الصحيفة، الذي نشر التقرير، عاموس هارئيل، أن هذه اللهجة لم تكن تنشر قبل عدة أيام في الأجهزة الإسرائيلية، بل العكس كانت مطالبة كبيرة لتوسيع العدوان على قطاع غزة .ويقول هارئيل إن المعني بإبقاء قوات في الميدان لعدة اشهر، هو جهاز الاستخبارات العامة الداخلية "الشاباك" الذي يعتقد أن استمرار الضغط على الحركة سيؤدي إلى التوصل لاتفاق بشروط جيدة ومريحة لإسرائيل

وزيرة الخارجية "الإسرائيلية" تسيبي ليفني، زعمت ، أن بلادها لم تشعر بضغوط دولية جدية لإجبارها على وقف المحرقة في قطاع غزة . وقالت في حديث إلى وكالات الأنباء الروسية إن غالبية الطلبات التي تلقتها تتعلق بالوضع الإنساني، زاعمة أن "إسرائيل" تحاول "أن تأخذ الحاجات الإنسانية في الاعتبار ."ونصحت سكان غزة ألا يتكلوا على تطبيع الوضع الاقتصادي أو رفع الحصار عن القطاع ما دامت"حماس" في السلطة. وتابعت "ما دامت حماس تتحكم بغزة وترفض الإقرار بحق "إسرائيل" في الوجود، فلا أرى أن الوضع هناك سيصبح كالذي تؤمنه "إسرائيل" للضفة الغربية حيث نتعاون مع الحكومة الفلسطينية (السلطة)". واعتبرت ليفني أن "إسرائيل" تحتاج إلى مفاوضات مع "حماس" مشيرة إلى أنها تعقد محادثات مع مصر من أجل محاربة تهريب الأسلحة عبر الحدود

وأضافت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني إن وجود حماس لا يهدد إسرائيل وحدها بل يهدد الحكومات البراغماتية في المنطقة

******

جدد رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل التأكيد أن حركته لن تقبل الخطة المصرية ما لم تتضمن وقفا فوريا لإطلاق النار وانسحابا فوري ورفعا للحصار وفتحا للمعابر .وقال مشعل في تصريحات من دمشق "يريدون فرض الهزيمة علينا وكسر المقاومة" مؤكدا "أننا لن نقبل تسوية من دون حق العودة للاجئين (الفلسطينيين) والقدس" عاصمة للدولة الفلسطينية .وأكد مشعل أن "خسائرنا العسكرية أقل من الخسائر "الإسرائيلية " ليس عندنا قلق" لافتا إلى إخفاق جيش الاحتلال في التقدم على الأرض وفرض شروطه السياسية .ودعا إلى "يوم غضب" جديد اليوم الجمعة، احتجاجا على العدوان المتواصل على غزة، وقال "غزة اليوم ستصنع تاريخا سترون، ما قبل غزة تختلف عما بعد غزة

"وسربت أنباء غير مؤكدة، مفادها أن حماس أبلغت القاهرة استعدادها لتهدئة لمدة عام في حال انسحبت"إسرائيل" من القطاع خلال أسبوع، وتم فتح المعابر كافة فورا .

علمت "الشرق الأوسط" أن حركة حماس والحكومة المصرية توصلتا إلى صيغة لوقف إطلاق النار ينهي العدوان العسكري الإسرائيلي على قطاع غزة. وتنص الصيغة على انسحاب الجيش الإسرائيلي بشكل فوري من القطاع إلى جانب فك الحصار وفتح جميع المعابر. ويتوقف إطلاق نار متبادل ومتزامن ابتدآ من يوم غد، والشروع في

إدخال الاحتياطات الأساسية إلى مدن القطاع ، الانسحاب الفوري مع بدء سريان مفعول وقف اطلاق النار على أن تكمل قوات الاحتلال انسحابها بشكل كامل خلال أسبوع . يعاد فتح المعابر التجارية برقابة مصرية محددة وواضحة ورقابة أوروبية وتركية ، يعاد فتح معبر رفح وفق ترتيبات تضمن وجود قوات الأمن الوطني التابعة للرئيس الفلسطيني محمود عباس ومراقبين دوليين بمهام محددة يتم الاتفاق عليها إلى حين تشكيل حكومة وفاق وطني، اتفاق تهدئة لمدة عام يتم تقييمه قبل نهايته .

أكد مصدر في حركة "حماس" أن حركته "وافقت" على عناوين المبادرة المصرية لوقف إطلاق النار في قطاع غزة، لكنها "قدمت تصورا يضم آليات تنفيذ هذه العناوين التفاصيل الخاصة بها .." موضحا أن المبادرة تضمنت ثلاث عناوين أساسية هي وقف العدوان والانسحاب من قطاع غزة، وتحقيق التهدئة، وهما عنوانان عاجلان، والعنوان الثالث متعلق بالمصالحة الوطنية، مستطردا: " يوجد خلاف في الحركة مع هذه العناوين الثلاثة ."وقال المصدر إن الرؤية التي طرحتها حركة حماس تتضمن "آلية وقف إطلاق النار والانسحاب من قطاع غزة، والمدى الزمني للتهدئة، وضمانات رفع الحصار آلية تعويض قطاع غزة عن الدمار الذي لحق به، وإعادة إعماره ."وأضاف أن الحركة "لا يمكن أن تنسى" الشهداء لذين سقطوا في العدوان الإسرائيلي، "ولن تسمح للعدو بتحقيق مكاسب سياسية على الأرض من عدوانه على قطاع غزة

اليوم الـ ٢١ للعدوان على غزة: واصلت القوات الإسرائيلية محاولات توغلها في حي تل الهوى جنوب مدينة غزة فيما قصفت طائراتها الحربية موقعا أمنيا تابعا للحكومة في مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة ما أدى إلى تدميره . جنود الاحتلال حولوا بعض المنازل إلى ثكنات عسكرية واحتجزوا أهلها داخلها .أكد أحد القادة الميدانيين لكتائب عز الدين القسام الذراع العسكرية لحركة حماس أن جهازهم لم يمس بأي سوء بعد أسابيع من القصف والدمار لقطاع غزة، ، اعتذر وزير الدفاع الإسرائيلي ايهود باراك، للأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون عن قصف مقر وكالة غوث اللاجئين (الأونروا) التابعة للأمم المتحدة في قطاع غزة، امس، وإصابة عدد من العاملين فيه. ألمح وزير الدفاع الإسرائيلي ايهود باراك إلى مسعى لمخرج سياسي من العملية العسكرية في قطاع غزة وقال إن إسرائيل تتابع احتمالات إنهاء العملية في إشارة إلى المبادرة المصرية لوقف إطلاق النار .وقال باراك خلال

جولة في قاعدة سلاح البحرية في أسدود، إن "القتال مستمر بهدف تحقيق الغايات، لكن عيننا مفتوحة باتجاه إمكانيات التوصل إلى نهاية هذه العملية العسكرية أيضا، واستكمال النتائج والإنجازات الرائعة التي حققها الجيش الإسرائيلي، بواسطة المؤسسة السياسية". وأضاف "خرجنا من أجل إعادة الهدوء إلى جنوب إسرائيل .

ومن بين المهام الملقاة على عاتق الفريق صياغة التوصيات بشأن إعادة تأهيل غزة. وتأمل الوزارة فـي تجنب الموقف الذي تعرض له جنوب لبنان بعد حرب عام ٢٠٠٦ حيث أرسلت إيران ملايين الدولارات لحزب الله لإعادة تسكين الأسر التي فقدت منازلها وهو ما أدى إلى تحـسين صـورة الجماعـة أمـام المواطنين .ويتمثل هذا الهدف في السماح للسلطة الفلسطينية والكيانات العربية والدولية المشاركة في مهـام إعـادة الإعمار وتمويلها بدلا من حماس أو إيران. ويخشى المسؤولون الإسرائيليون من تفاقم المشاعر السلبية ضد إسرائيل بعد توقف القتال والسماح للصحفيين الأجانب بدخول القطاع وظهور صور الدمار هناك

اعتبر المحلل الإسرائيلي للشؤون العسكرية، رون فرحي أن "أمام إسرائيل طريقين. فإما الانسحاب فورا وفقا للمبادرة المصرية وإما البقاء والتوسع أكثر وتدمير حكم حماس والقضاء على بيئتها الأساسية". ويقول "الانسحاب أفضل لنا، لأن عدم الانسحاب يعني أن تسود الفوضى في قطاع غزة وتعود إسرائيل دولة محتلة تتحمل مسؤولية مليون نسمة. ولماذا نحن وليس أبو مازن (الرئيس الفلسطيني محمود عباس) لأن أبو مازن لن يقبل دخول غزة فوق الدبابات الإسرائيلية، وإن قبل فلن يستقبله الغزاويون استقبال الأبطال. أما إذا انسحبنا، فينبغي أن تبقى حماس في الحكم. نحن علمناها درسا قويا ووفرنا لها ميزان رعب جديد، وعندئذ تكون قد عرفت ثمن الحرب معنا وستكون مشغولة عنا إعادة البناء وإطعام أهل غزة". ويضيف "نحن نعترض في إسرائيل على فتح معبر رفح حتى لو كان بإدارة حماس ومصر تحت المراقبة الدولية. ففي هذه الحالة تصبح وجهة أهل غزة نحو مصر ولا تعود مهمة وجهتها بالاتجاه الإسرائيلي. لقد لعبت مصر بالنار سنوات، تحولت خلالها إلى ممر سهل للأسلحة التي تنطلق من غزة إلى إسرائيل وتنغص حياتنا. وها هي حماس تنقلب ضدها. لكن الأمر الذي يجب أن نحذر منه الآن هو أن تعود السلطة الفلسطينية إلى معبر رفح باتفاق مع حماس، لأن هذا يعني أن حماس وفتح ستعودان إلى الاتفاق".

ويشدد على أن "اتفاق الجهتين مضر لإسرائيل. إن مصلحتنا هي في أن تبقى غزة لوحدها والضفة الغربية لوحدها. فإذا عادا إلى الاتحاد، ستصبح إسرائيل أسيرة الانقسام، حيث أن المعبر بين القطاع والضفة يقسم إسرائيل إلى قسمين ويتسبب لنا في متاعب أمنية جديدة. وإذا اتحدا سيصبح موقف الفلسطينيين محليا ودوليا وإقليميا أقوى، بينما تصبح قوة الموقف الإسرائيلي أضعف. وسيطالبنا العالم بدفع الثمن بواسطة الانسحاب من الضفة الغربية وقد نخوض حربا جديدة.

قال مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية "اوتشا" في تقرير له من القدس المحتلة أن إسرائيل استخدمت مادة الفوسفور الأبيض التي قال إنها "تحرق الناس والمباني والحقول والأشياء المدنية الأخرى" في عملياتها العسكرية في غزة. وقال التقرير إن عدد المواطنين المهجرين في غزة جراء الحرب الإسرائيلية وصل إلى عشرات الألاف .وذكر أن وكالة "أونروا" «توفر ملجأ لـ ٣٥٥٢٠ نازحا تضعهم في ٣٨ موقعا. وقالت "اوتشا" إن اكثر من ٣٠٠ طفل ٧٦ امرأة سقطوا في غزة حتى إعداد التقرير، يضاف اليهم ١٥٤٩ طفلاً، ٦٥٢ امرأة أصيبوا بجروح. وقال المنظمة الدولية إن ثمانية عاملين في الأمم المتحدة، وتسعة متدربين قتلوا في القصف. وقالت إن ١٣ من أفراد الطواقم الطبية سقطوا في القصف، من بينهم طبيب قتل أثناء تقديمه العلاج للجرحى في مخيم جباليا، مضيفة أن "الهجمات على الطواقم الطبية وسيارات الإسعاف أعاقت قدرة المنظمات على مساعدة الجرحى ."

روى جراحان نروجيان كانا الطبيبين الغربيين الوحيدين الموجودين في قطاع غزة خلال الأيام العشرة الأولى من العدوان الإسرائيلي أن الوضع في مستشفيات غزة كان أشبه بالجحيم .وقال الطبيب مادس غيلبرت العضو في مجل بلدي في النروج وهو من اقصى اليسار ومعروف بالتزامه من اجل القضية الفلسطينية "إن مستشفى الشفاء كان اقرب إلى مشهد من جحيم

قمة عربية

١٧/ ١/ ٢٠٠٩ قمة غزة في قطر تدعو تعليق مبادرة السلام وقطع العلاقات مع إسرائيل ، وابن جاسم يكشف قصة غياب عباس ، ذكرت الوطن، القطرية ، أن الأمير حمد بن خليفة آل ثاني ألقى كلمة في مستهل قمة غزة أعرب فيها عن خالص الشكر والتقدير لتلبية الدعوة إلى هذه القمة والتجاوب معها من أجل أهلنا في غزة الصامدة الذين يواجهون أعتى آلات الحرب وجبروت الاحتلال بعزيمة واستعداد للتضحية والعطاء يفوق ما يحيط بهم من تقاعس وخذلان.

وفي هذا الصدد أكد سموه "لقد حضرت قمة في الرياض أمس وسوف نحضر جميعاً قمة أخرى في الكويت يوم الاثنين إن شاء الله". وأضاف: ومن هنا كنا نود لو أن بقية إخواننا كانوا معنا اليوم.. فهم ولا شك يعلمون ما نعلم حول ما يجري في غزة وآثاره علينا جميعاً حاضراً ومستقبلا .وحضر القمة قادة ووزراء من ١٢ دولة عربية وحضر وفد يمثل حركة حماس والرئيس الإيراني محمود احمدي نجاد وسط انقسام عربي وفلسطيني .وأوردت الشرق الأوسط، ١٧/ ١/ ٢٠٠٩ أن رئيس الوزراء القطري الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني قال إن الرئيس الفلسطيني محمود عباس تعرض لضغوط، لم يسمها، لمنعه من المشاركة في قمة الدوحة الطارئة، مضيفا أن عباس قال له "لو حضرت القمة لذبحت من الوريد للوريد." وكشف المسؤول القطري خلال مؤتمر صحافي عقده مساء أمس في أعقاب انتهاء القمة، أن اتصالاته استمرت مع الفلسطينيين حتى وقت تأخر من يوم أول من أمس لضمان حضور الرئيس الفلسطيني، وأضاف "اتصلت على أبي مازن في وقت متأخر من مساء أمس (امس الأول الخميس) وقلت له هذه قضيتك وقضية الشعب الفلسطيني ووجودك مهم، فقال لي: لا أستطيع الحضور بسبب عدم وجود تصريح من إسرائيل، فأبلغته بأنني أستطيع إحضار تصريح لك". وردا على سؤال حول الكيفية التي سيحضر بها الشيخ حمد تصريحا من قبل الإسرائيليين للرئيس الفلسطيني، أجاب المسؤول القطري "أبو مازن يستطيع أن يخرج (يسافر) بدون وساطة مني (مع الإسرائيليين)" مؤكدا أن عبارته تلك للرئيس أبو مازن "كانت نوعا من المزاح". رئيس الوزراء القطري، قال إن بلاده اضطرت لإرسال طائرة لإحضار الفصائل الفلسطينية على عجل، بعدما تأكد عدم المشاركة للسلطة الفلسطينية، مشيرا إلى ضرورة تمثيل للفلسطينيين في القمة، وقال ساخرا "نحن (في قطر) نعرف لغة الثوار لكي نتحدث نيابة عنهم) الفلسطينيين ."(انتقد الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني الأمانة العامة للجامعة العربية، التي قال إنها "سكرتارية للدول العربية" وقال "لدينا عتاب أخوي على الأمانة، فلم تكن محايدة في الموضوع عقد القمة وحول تجميد عمل المكتب التجاري الإسرائيلي في الدوحة، قال إن قطر ستقول للمسؤولين في المكتب إنهم غير مرحب بهم في قطر، لكنه أكد في الوقت ذاته أن لكل دولة رأيها في تجميد علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل، في إشارة إلى مصر والأردن، معتبرا أن مثل هذا القرار سيادي وهو من صميم قرار كل دولة . ومما ذكر فيه .. وإذ يؤكدون حق الشعوب

الرازحة تحت الاحتلال في تقرير مصيرها ومقاومة الاحتلال وفقا للقواعد المستقرة في القانون الدولي. وإذ يعبرون عن بالغ التقدير للرأي العام العربي والإسلامي وللمواقف التضامنية المناصرة للشعب الفلسطيني التي عبرت عنها العديد من دول وشعوب العالم .وحيث أن إسرائيل قد رفضت الامتثال لقرار مجلس الأمن ١٨٦٠ واستمرت في عدوانها بخرق فاضح وجسيم لقواعد الشرعية الدولية، وبعد التداول حول الوضع الراهن اتفقوا على النقاط المذكورة أدناه لعرضها على القمة القادمة التي ستعقد في دولة الكويت :إدانة إسرائيل بشدة لعدوانها الوحشي على قطاع غزة واستمرارها فيه .مطالبة إسرائيل بالوقف الفوري لجميع أشكال العدوان في قطاع غزة وبالانسحاب الفوري وغير المشروط والشامل لقوات الاحتلال .تحميل إسرائيل المسؤولية الجنائية الدولية بموجب القانون الدولي عن ارتكاب العدوان وجرائم الحرب وإبادة الجنس البشري والمسؤولية المدنية بدفع التعويضات والتأكيد على العزم بالسعي في السياقات القضائية الدولية والوطنية لملاحقة إسرائيل ومسؤوليها تنفيذا لهذه المسؤولية والتعاون في توفير وسائل الدعم اللازمة لذلك . التأكيد على الفتح الفوري والدائم لكافة المعابر للأفراد ومواد المساعدات الإنسانية بما في ذلك الغذاء والوقود والعلاج الطبي وتوزيعها دون عراقيل في جميع أنحاء القطاع .التأكيد على ضرورة رفع الحصار غير المشروع عن قطاع غزة بما فيه إنهاء كافة القيود على حركة الأشخاص والأموال والبضائع وفتح المعابر والمطار وميناء غزة البحري ودعوة جميع الدول للاتخاذ ما يلزم من الإجراءات لتحقيق ذلك .دعوة جميع الدول لتقديم مواد الإغاثة الإنسانية العاجلة لسكان قطاع غزة والتأكيد على دعم وحماية منظمات الإغاثة الإنسانية الدولية والوطنية العاملة في هذا المجال وتحميل إسرائيل أية انتهاكات للقانون الدولي الإنساني ذات الصلة .دعوة الدول العربية والدول المحبة للسلام لاتخاذ الإجراءات اللازمة لتشكيل جسر بحري لنقل مواد الإغاثة الإنسانية إلى قطاع غزة والسعي لتحقيق أوسع اشتراك ممكن من أعضاء المجتمع الدولي في ذلك .إنشاء صندوق لإعادة إعمار غزة وتثمين تبرع دولة قطر لهذا الصندوق . دعوة الأطراف الفلسطينية إلى التوافق وتحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية .دعوة الدول العربية لتعليق المبادرة العربية للسلام التي أقرت في القمة العربية المنعقدة في بيروت عام ٢٠٠٢ ووقف كافة أشكال التطبيع بما فيها إعادة النظر في العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية .

مسؤول في السلطة الفلسطينية وحركة فتح اعربوا أمس عن عدم رضاهم وغضبهم من دعوة قطر عدداً من قادة الفصائل لتمثيل فلسطين في قمة الدوحة التشاورية. واتهم مسؤولون في حركة فتح دولة قطر بتكريس الانقسام وقال النائب عن الحركة: "هذا اجتماع ليمثل محوراً يضم قطر وحماس وسورية على حساب الفلسطينيين". وأضاف: "لو كان اللقاء لقاء قمة عربية لكان الرئيس محمود عباس أول من شارك فيه، لكن قطر لم تحصل على نصاب قانوني لعقد قمة عربية فعقدت قمة لمحور في المنطقة أطلقت عليه اسم قمة تشاورية ."وشن متحدثون في وسائل إعلام فلسطينية هجوماً على قطر، ووصفها بعض المتحدثين من فتح بأنها تمثل "قاعدة الاستخبارات والجيش الأميركي وقاعدة الموساد الإسرائيلي وقاعدة الفتن العربية ." ."وقال كبير المفاوضين عريقات لـ"الشرق الأوسط" إن منظمة التحرير تريد توحيد الصف العربي حول القضية الفلسطينية وليس تعميق الانقسام، باعتبارها قضية كانت دائما موحدة للعرب. وأوضح عريقات أن السلطة قررت أن تحضر تحت علم الجامعة العربية. وأضاف "حتى الأمين العام للجامعة العربية لم يحضر". وردا على سؤال حول أسباب عدم حضور السلطة، قال عريقات، "كانت السلطة أول من قبل دعوة الأشقاء في قطر، ويعلم ذلك أمير قطر جيدا، لكن عندما لم يكتمل النصاب واتفق القادة العرب على أن تكون القمة في الكويت، قررنا الذهاب إلى قمة الكويت.. نريد أن يتوحد العرب على القضية الفلسطينية ."وتعقيبا على إعلان الرئيس السوري بشار الأسد موت المبادرة العربية، قال عريقات، "إن الذي يعلن موت مبادرة السلام العربية، عليه إعلان ميلاد مبادرة الحرب العربية، وان ينظف الأسلحة والخنادق التي صدئت، والفلسطينيون الآن يجابهون حرب إسرائيل وحدهم بصدورهم العارية، ومن الأفضل لهم مواجهة إسرائيل بحرب عربية ."

وقال القيادي في حماس صلاح البردويل لـ "الحياة": إن "حماس متمسكة بتعديلاتها على المبادرة المصرية... لن نتنازل لإسرائيل ولا يوجد شيء نخسره أو نخشاه" وأضاف "إسرائيل تعتلي الآن الشجرة وستنزل عنها شاءت لك أم أبت، إلا إذا أرادت أن تظل قواتها تحتل غزة ."وأشار البردويل إلى أن النقطة الأساسية التي تطالب بها الدولة العبرية هي "وقف تهريب السلاح" وقال: "نحن لسنا مسؤولين عن حدود الغير وليس لدينا قوة في البحر المتوسط ونحن لا نملك منع تهريب السلاح" مضيفاً أن "أميركا لديها رقابة على

البحر المتوسط وهناك قوات مصرية على الحدود عند محور فيلادلفي ولا توجد دولة يمكنها منع التهريب، لأن تهريب السلاح عملية معقدة للغاية ولذلك يمكن منعها بقرار سيادي ."ولفت إلى أن "من حق حماس كمقاومة الحصول على السلاح بأي طريقة" وشدد على أن الحركة"ترفض على الإطلاق وجود قوات مراقبة دولية على الجانب الفلسطيني من محور فيلادلفي" وقال" يمكن أن يتم إدخال قوات دولية رغماً عنا ."

استهلت القوات الإسرائيلية اليوم الـ٢٢ لعدوانها على قطاع غزة بسلسلة من الغارات الجوية

والقصف المدفعي على مناطق متفرقة من القطاع وتركز على القصف على أجزاء من مدينة غزة.

من جانبه اعترف الجيش الإسرائيلي بسقوط ١٥ صاروخا على جنوب إسرائيل خلال الساعات الماضية نتج عنها أربع إصابات .وأعلنت كتائب القسام أن مقاوميها أطلقوا مساء الجمعة سبعة صواريخ على مستعمرات كفار سعد وكفار ميمون ونتيفوت في غضون ساعتين فقط .وفي وقت سابق من مساء الجمعة، أعلنت سرايا القدس عن قصف مدينة عسقلان بثلاثة صواريخ واستهداف دبابة إسرائيلية بقذيفة "أر بي جي" بالاشتراك مع كتائب القسام في محيط محطة الخزندار للوقود قرب منطقة السودانية شمال القطاع .

وقعت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني مع نظيرتها الأميركية كوندوليزا رايس "مذكرة تفاهم" تنص على مساهمة واشنطن بمساعدات تقنية ومراقبين لمنع تهريب الأسلحة لحماس والعمل على تشكيل فرق مراقبة في رفح لسد الأنفاق ووسائل تهريب الأسلحة، في استجابة لمطلب إسرائيلي رئيسي للتوصل إلى وقف اطلاق نار في غزة

واعلن مصدر حكومي إسرائيلي مساء أن الحكومة الأمنية الإسرائيلية ستصوت اليوم السبت "لمصلحة" اقتراح لوقف اطلاق النار من جانب واحد في قطاع غزة، بدلا من الدخول في اتفاق رسمي لوقف القتال بوساطة مصرية مع "حماس". ويمكن لمثل هذه الخطوة أن تحرم "حماس" من تحقيق مكاسب سياسية عبر اتفاق تهدئة يتضمن تخفيف الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة. وقال مسؤول إسرائيلي إن الجيش سيبقى في قطاع غزة في حال اتخذت الحكومة الأمنية قرارا بهذا المعنى.

كشفت القناة العاشرة في التلفزيون الإسرائيلي النقاب عن أن الجيش الإسرائيلي استخدم في حرب غزة التي اندلعت منذ ٢٢ يوماً نصف

سلاحه الجوي وأنه نفذ ما يقل عن ٢٥٠٠ غارة خلال الأسابيع الثلاثة المنصرمة .وأوضح المراسل العسكري للقناة الإسرائيلية أن الطائرات العسكرية الإسرائيلية وحدها ألقت على غزة مليون كيلو غرام من المتفجرات (ألف طن) مشيراً إلى أن هذا الوزن لا يدخل في هذا الحساب البتة ما أطلقته المدفعية والدبابات والمشاة في الألوية البرية والمدمرات وسفن الصواريخ في سلاح البحرية الإسرائيلي .

مدفعية قوات الاحتلال الإسرائيلي، قصفت صباح اليوم السبت، مدرسة تابعة لوكالة "الأونروا" في بلدة بيت لاهيا شمال قطاع غزة بالقذائف الفسفورية الحارقة .

وشرق مدينة غزة تجدد القصف المدفعي على الأحياء الشرقية كالزيتون والى الجنوب الغربي في تل الهوى وشمالا حيث الكرامة والتوام. ويأتي هذا التصعيد مع اشتداد الغارات التي تستهدف الأنفاق برفح بعشرات القنابل والصواريخ ما اسفر عن نزوح عشرات العائلات من تلك المنطقة إلى المدينة والمدارس .ارتفاع إجمالي عدد الشهداء الذين سقطوا في العدوان المتواصل منذ ثلاثة أسابيع إلى ١١٨٨ شهيدا على الأقل –حسب مصادر طبية– بينهم أكثر من ٣٧٠ طفلا وأكثر من ٨٥ امرأة. وتجاوز عدد الجرحى ٥٢٢٠ نصفهم أطفال ونساء وأكثر من ٤٠٠ منهم حالتهم خطرة .

أكدت منظمة الصحة العالمية، الجمعة، أن الجيش الإسرائيلي يتعمد استهداف المنشآت الطبية في قطاع غزة، محذرة من أن ذلك يشكل انتهاكاً خطيراً للقانون الإنساني الدولي وقانون حقوق الإنسان .وأوضحت المنظمة، أن ست عشرة منشأة صحية في قطاع غزة لحقت بها أضرار نتيجة للقصف لإسرائيلي منذ بدء العدوان على قطاع غزة، في السابع والعشرين من الشهر الماضي. وكان أخطر هذه الاعتداءات من نصيب مشفى القدس، الذي يديره الهلال الأحمر الفلسطيني، حسب توثيق المنظمة .

****

١/١٨ / ٢٠٠٩ أنه في أعقاب جلسة مطولة لمجلس الأمن الوزاري المصغر، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي، إيهود أولمرت، في ساعة متأخرة من مساء أمس، وقف الحرب على قطاع غزة من طرف واحد، وذلك تجاوبا مع طلب مصر التي دعت إلى وقف فوري لوقف النار أمس . فابتداء من الساعة الثانية من فجر اليوم الأحد، لن تطلق "إسرائيل" النار .قال أولمرت إن القوات الإسرائيلية ستبقى بشكل مؤقت في المواقع التي احتلتها من قطاع غزة، وذلك لمتابعة تصرفات

حماس، وجنبا إلى جنب تواصل الجهود الدبلوماسية مع مصر ودول الغرب حول حقبة ما بعد الحرب، في ما يتعلق بفتح المعابر ومنع تهريب الأسلحة عبر الحدود المصرية وحول صفقة تبادل الأسرى، التي سيطلق بموجبها سراح الجندي الإسرائيلي الأسير، جلعاد شاليط، مقابل إطلاق سراح مئات الأسرى الفلسطينيين. وعلل أولمرت القرار بالقول إن الأهداف التي وضعتها الحكومة والجيش لهذه الحرب قد تحققت وأكثر. فقد تلقت حماس ضربة قاسية لقدراتها العسكرية وضربة أخرى في قدرتها على الحكم ودمرت مصانع الأسلحة وقصفت مئات الأنفاق التي استخدمت لتهريب السلاح وقادة حماس مختبئو تحت الأرض والقوات الإسرائيلية تسيطر على غالبية بطاريات الصواريخ التي أطلقت منها الصواريخ على البلدات الإسرائيلية .من جهة ثانية، هدد أولمرت انه في حالة عدم احترام حماس لوقف النار الإسرائيلي، سوف ترد"إسرائيل" بشدة وعنف وان كل الخيارات ستكون مفتوحة بما في ذلك الانتقال إلى المرحلة الثالثة من خطة الحرب، ألا وهي إسقاط حكم حماس. وكان أولمرت قد اتصل هاتفيا بالرئيس المصري، حسني مبارك، قبل جلسة المجلس الوزاري المصغر وأبلغه انه سيطرح اقتراحا للتجاوب مع طلب مصر وقف النار. وشكره على جهوده وقال له إنه في أعقاب الأجوبة التي تلقتها "إسرائيل" من مصر حول ضمانات محاربة تهريب الأسلحة، أصبح بمقدور "إسرائيل" وقف النار. وإنه يأمل أن تمارس مصر نفوذها على الطرف الآخر (حماس) بأن يتجاوب مع وقف النار

الدكتور صلاح البردويل القيادي في حركة حما س أكد أن قرار "إسرائيل" وقف إطلاق النار هو جزء من المبادرة المصرية، وأشار إلى أن موقف فصائل المقاومة من القرار الإسرائيلي بوقف إطلاق النار سيتحدد اليوم بين إعطاء مهلة لانسحاب القوات الإسرائيلية أو الاستمرار في المقاومة حتى دحرها من غزة

وصف أسامة حمدان، ممثل حركة حماس في لبنان، خطاب رئيس الوزراء الصهيوني إيهود أولمرت الذي أعلن فيه عن وقف أحادي الجانب لإطلاق النار، بأنه "خطاب الخيبة الثانية بعد خطاب خيبة ٢٠٠٦". وقال حمدان في تصريح له: "هذا الخطاب هو في وجه الآخر إعلان على صمود المقاومة وانتصارها في محاولة شطبها" وأضاف رداً على قرار أولمرت إبقاء قواته في قطاع غزة: "إذا استمر الوجود العسكري الصهيوني في قطاع غزة؛ فإن هذا سيكون باباً واسعاً للمقاومة ضد الاحتلال ."وتابع: "الجريمة التي ارتكبت في

غزة هي عامل جدي من العوامل التي ستدفع إلى المقاومة ."ورأى حمدان أن أولمرت "بدا مرتبكاً عندما قال إنه أضعف حماس ثم تحدث عن ضمانات دولية لإضعاف حماس .

المتحدث باسم حماس فوزي برهوم قال في بيان تلاه عبر فضائية "الأقصى" مساء مس: "لن نقبل بوجود أي جندي واحد على ارض غزة مهما كلفنا ذلك من ثمن". ورأى أن مذكرة التفاهم الأميركية - الإسرائيلية هي "عبارة عن جر وإقحام أطراف عربية بحجة وقف تسليح المقاومة وهي بمثابة حيلة جديدة لإحكام حصار غزة وتدويل بحر قطاع غزة والبحر الأحمر والضغط على شعبنا وتشكيل قاعدة تجسس على مصر والشعب الفلسطيني ."

وقال صلاح البردويل القيادي في حماس ورئيس وفدها إلى القاهرة: "أن حكومة رام الله متورطة بلا أدنى شك في اغتيال صيام، وضبطنا مع العملاء قبل المعركة، ومعهم رسومات كروكية (خرائط) لبيوت حماس ومواقع الأنفاق لدى حماس ومكان تخزين السلاح واعترفوا لنا بأن تلك المعلومات طلبت منهم من سلطة رام الله". ويأتي ذلك في الوقت الذي كشف فيه الجنرال يوآف غالانت قائد العمليات الحربية الإسرائيلية على قطاع غزة، النقاب عن أن لديه خرائط للبيوت السكنية التي بناها قادة حركة "حماس" الكبار والصغار، زاعماً أنه في كل بيت منها حسبوا حساباً لإقامة مخزن للأسلحة .

أعلنت كتائب القسام إعلان " إسرائيل" وقف طلاق النار من جانب واحد يؤكد "خيبة"رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود والمرت، موضحةً أنها اطلقت عدة صواريخ تجاه " إسرائيل ."وقالت الكتائب: "تأكيدا على خيبة يهود اولمرت، القسام يقصف قاعدة حتساريم الجوية بصاروخ غراد"أنها قصفت أيضاً "مدينة وفكيم" الإسرائيلية "بثلاثة صواريخ غراد ."

خلصت صحيفة ذي أوبزرفر البريطانية في تقريرها من قطاع غزة إلى أن القصف الإسرائيلي الوحشي الذي كان يهدف إلى تلقين حركة حماس درساً قاسياً ودائماً لم يتمكن على مدى ثلاثة أسابيع من تركيعها، بل ما زالت مكانتها محفوظة إن لم تكن زادت في أوساط الفلسطينيين بالضفة الغربية وغزة على السواء. وقال المعلق السياسي في صحيفة يديعوت أحرونوت، روني شاكيد، إن وقف إطلاق النار يعيد حماس إلى السلطة في غزة رغما عن أنف أولمرت وباراك وليفني وأبو مازن ومبارك. وتعود العلاقات بين "إسرائيل" وحماس إلى المربع الذي كانت فيعه قبل الحرب. واعتبر أن: "الحرب عمقت الانقسام في العالم

العربي، إلا أن حماس عززت شرعيتها في العالم العربي بل وفي تركيا أيـضا. كمـا عمقت الحرب الفجوة بين غزة ورام الله ."

الحياة بدأت بالعودة إلى طبيعتها تدريجيا في قطاع غزة عقب دخول قرار وقف اطلاق النار الذى أعلنته " إسرائيل" ليلة امس حيز التنفيذ فبدأت بعض المحال التجارية تفتح بوابها وبدأت السيارات العادية تخرج إلى الشوارع فيما بدا آلاف المواطنين النازحين عن منازلهم بالعودة إليها. ومنذ صباح اليوم بدأت الطواقم الطبية وطواقم الإسعاف بالبحث في الأماكن التي لم تتمكن من الوصول إليها خلال العملية العسكرية للبحث فيها عن جثث. وقال مدير الإسعاف والطوارئ ٤٥ شهيداً قد تم انتشالهم من عدة مناطق في القطاع. مؤكداً في نفس الوقت، عشرات الجثث ما زال البحث جارى عنها في المناطق التي كانت تشهد عادة اشتباكات أو عمليات قصف واطلاق نار وكانت الأطقم تجد صعوبة في الوصول إليها، موضحا انه سيتم العمل خلال الساعات القادمة والأيام المقبلة على تمشيط هذه المناطق وانتشال كافة الجثث. وأفاد في هذا السياق، أن عدد الشهداء قد بلغ ١٢٥٥ والجرحى أكثر من ٥٤٥٠ حتى اللحظة بينهم ٤١٧ طفلا ١٠٨ سيدات ١٢٠ مسنا ١٤ من طواقم الإسعاف والدفاع المدني صحفيين وخمسة من الأجانب.

قالت وكالة الأونروا إنها "مستمرة بتقديم خدماتها في قطاع غزة، ولن تعلقها رغم القصف الإسرائيلي لمؤسساتها ومراكزها". أشارت تقديرات اعلنها مكتب الإحصاءات الفلسطينية إلى أن كلفة إعادة إعمار البنى التحتية التي تضررت في غزة بسبب الهجوم العسكري الإسرائيلي تصل إلى ٤٧٦ مليون دولار .وأوضح أربعة آلاف مبنى سكني دمرت في عمليات القصف الإسرائيلية، إضافة إلى ٤٨ مبنى ومكتبا حكوميا وثلاثين مفوضية للشرطة وعشرين مسجدا من اصل ٧٩٥ باقية في القطاع. وفي لائحة طويلة من البنى التحتية المدمرة، أورد أيضا الطرق والمدارس وجزءا من شبكة الكهرباء وشبكات ضخ المياه .مبيناً أن ١٤ في المئة من الأبنية دمرت أو تضررت. في حين قدر المبالغ الضرورية لتمويل رفع الأنقاض بما قيمته ٥٠٠ مليون دولار إضافية.

أكد الفريق الطبي الأردني في غزة على أن "إسرائيل" استخدمت في عدوانها الهمجي على غزة أسلحة لم تستخدم في أي حرب سابقة، فيما غادر أول من أمس الفريق الطبي لنقابة الأطباء (الدفعة الثانية) متوجهاً إلى القطاع لمساعدة وإغاثة مصابي وجرحى العدوان .وأكد المتحدث باسم الفريق الطبي الطبيب محمد العبادي أن

غالبية جرحى العدوان وصلوا إلى مستشفى الشفاء بغزة بـ"أطراف مبتورة" فيما وصلت جثامين غالبية الشهداء عبارة عن "أشلاء مقطعة ومتفحمة." أقل المصابين جراحاً سيعاني لسنوات طويلة من إعاقة في إحدى وظائف الجسم تشوهاً سيرافقه طيلة حياته." شارك أطباء أردنيون كثر في معالجة جرحى الحروب التي شنها الاحتلال الإسرائيلي على لبنان صيف العام ٢٠٠٦ والعدوان على مدينة جنين وحتى الشهداء والجرحى الذين سقطوا في أحداث السلمانية بالعراق، لم يتعرضوا لمثل هذه الشظايا المنبعثة من الصواريخ والقنابل الحارقة التي استخدمها الاحتلال الإسرائيلي في غزة والتي أدت إلى تهتك أنسجتهم الداخلية.

*****

اليوم الرابع والعشرين – الإثنين ١٩ يناير ٢٠٠٩ – ٢٢ محرم ١٤٣٠ هـ هنية أعلن الانتصار بغزة وتعهد بمساعدة ضحايا العدوان. أولمرت يبلغ مشاركي قمة شرم الشيخ رغبته بالانسحاب. الاحتلال يعرقل تدفق المساعدات والسلطة تنفي احتجازها. أسرة فلسطينية تفقد أكثر من ثلاثين من أفرادها. القاهرة تمنع علاج جرحى غزة خارج المستشفيات المصرية

نشرت الحياة، ١٩/١ /٢٠٠٩ من شرم الشيخ، أن القادة المشاركين في أعمال قمة شرم الشيخ الدولية حول غزة، التي ضمت إلى مصر قادة ست دول أوروبية والأمين العام للأمم المتحدة والرئيسين الفلسطيني محمود عباس والتركي عبد الله غل، أجمعوا على ضرورة الحفاظ على وقف إطلاق النار في القطاع الذي تعرض لحرب إسرائيلية لأكثر من ثلاثة أسابيع، وبحثت في متطلبات مرحلة ما بعد وقف العدوان الإسرائيلي على غزة، وتحديداً تثبيت وقف النار من خلال ضمان وقف الصواريخ وفتح المعابر وفك الحصار وحشد الموارد الدولية لإعادة إعمار القطاع وتقديم المساعدات الإنسانية لمواطنيه .وفي مؤتمر صحافي مشترك نظم عقب القمة، أكد الرئيس حسني مبارك، في كلمته خلال الجلسة الافتتاحية لقمة شرم الشيخ، أنه لا تزال هناك ضرورة للعمل على ضمان التزام وقف إطلاق النار وتثبيته، وانسحاب قوات "إسرائيل" من غزة، واستعادة التهدئة وفتح المعابر ورفع الحصار، مطالبا بتعبئة الموارد اللازم لإعمار غزة خلال المؤتمر العالمي الذي ستدعو إليه مصر وتستضيفه. وطلب مبارك من الزعماء المشاركين في القمة مساندة تحرك مصر ودعم جهود القاهرة لتحقيق المصالحة الفلسطينية بين السلطة الوطنية والفصائل في غزة. قال الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي، في كلمته، "كخطوة أولى نستطيع توجيه الكلمة للإسرائيليين لنقول

لهم إنه يجب البقاء في غزة، والأمور واضحة تماماً، يمكن أن يظلوا في غزة، فهذا لن يؤدي إلى شيء بالنسبة إلى أمن إسرائيل وسيعطي ذريعة لكل المتطرفين في المنطقة لزعزعة استقرار السلطة الفلسطينية والرئيس عباس الذي ندعمه تماماً لأنه رجل يدعو إلى السلام". وأضاف" :ننتظر من الطرف الآخر أن يقوم بالتهدئة، يجب على حماس أن تتوقف عن إطلاق الصواريخ، وإسرائيل تقول إنه إذا كانت هناك التهدئة فسيغادرون". وتابع: "أقول لإسرائيل لن يكون هناك مستقبل في المنطقة إلا من خلال إقامة دولة فلسطينية ديموقراطية تعيش في سلام، وطالما أن الجيش الإسرائيلي سيظل في غزة، فلن يكون هناك سلام في المنطقة". وقال ساركوزي: "يجب أن نسارع في خطواتنا وأن نسرع من أجل التوصل إلى إقامة دولتين... يجب أن نستفيد إلى حد كبير من هذه الأزمة حتى نضع على المائدة مرة أخرى فكرة مؤتمر كبير يسمح بإقامة سلام دائم . ." وأبدى الرئيس التركي، عبد الله غل، حزنه الشديد للمآسي التي تعرض لها الشعب الفلسطيني في غزة طوال أيام العدوان، وأكد أن الوفاق الفلسطيني مشكلة تتطلب حلولا عاجلة وجهودا من جانب الفصائل الفلسطينية والرئيس عباس لتحقيق المصالحة. وأعرب عن أمله في أن تكون الإدارة الأميركية الجديدة مهتمة بعملية السلام .

الانتصار

رئيس الحكومة الفلسطينية إسماعيل هنية اعتبر أن الشعب الفلسطيني انتصر على العدو بعد فشله أمنياً وسياسياً وأخلاقياً ووصف قرار الفصائل الفلسطينية بإعلان وقف إطلاق نار لمدة أسبوع بأنه حكيم ومسؤول .وتلا هنية خطاباً عبر قناة الأقصى قدم فيه تقويماً للعدوان الإسرائيلي وللتضامن الأممي والعربي الإسلامي مع غزة عبر من خلاله لموقف الحكومة وإجراءاتها. وقال إن الحكومة استمرت بعملها في "قلب الأجواء العاصفة" وإن الفوضى والفلتان لم يظهرا بغزة وبرز الإيثار والتعاون بأبهى صوره. وقال إن ذلك كان "نصراً إلهياً ربانيا بحق" وإنه نصر أممي وإنساني لاحتضانه من قبل أحرار العالم، مضيفا في موضع آخر من الخطاب أنه سيفتح الباب للنصر الأكبر المتمثل بالتمسك بالحقوق والثوابت وإطلاق الأسرى وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف. ذهب هنية إلى القول إن الانتصار يفتح الباب أمام المصالحة الوطنية وإطلاق حوار فلسطيني داخلي، مشيراً إلى أن صد العدوان تم بالمواجهة والصمود التحرك السياسي .ودعا رئيس وزراء الحكومة بالرحمة لشهداء العدوان الإسرائيلي،

وخص بالـذكر القيـادي فـي حركة حماس نزار ريان ووزير الداخلية بالحكومة المقالة سعيد صيام .وقال إن حكومته تابعت باهتمام التحركات السياسية القطرية والتركية والمصرية، وأشاد بقمتي الدوحـة والرياض اللتين عقدتا خصيصاً لبحث العدوان معرباً عن أمله بأن تسعى قمة الكويت المقررة اليوم "إلى دعم الشعب الفلسطيني ."وطالب هنية في خطابه بإرسال لجان تحقيق دولية للتحقيق "بجرائم الحـرب" التـي ارتكبهـا الجـيش الإسرائيلي بغزة تمهيداً لتقديم قادته إلى محكمة الجنايات الدولية .ومضى رئيس الحكومة قائلا "نؤكد على ضرورة انسحاب الجيش الإسرائيلي انسحاباً تاماً وفـتح المعابر ورفع الحصار عن قطاع غزة ."وأعرب عن تقديره للتضامن الشعبي العالمي مع القطاع ودور النخب والهيئـات الإنـسانية ومنظمـات المجتمع المدني فيه، وأشاد بقرار فنزويلا وبوليفيا قطع علاقاتها الدبلوماسية مع "إسرائيل ."وأضافت وكالة قدس برس ١٨/ ١ / ٢٠٠٩ من غزة أن إسماعيل هنية قال "لقد أكدنا أنّ مواجهـة هـذا العدوان تتمّ بمسارين؛ الأول الصمود والثبات وعدم الانكسار وعدم التراجع، والثاني التحرك الـسياسي والدبلوماسي وتكثيف الاتصالات مع المحيط العربي والإسلامي والإقليمي والدولي".

وتابع قولـه "مـن خلال ذلك وصلنا إلى النقطة التي التقى عليها شعبنا وقياداته في الداخل والخارج؛ وقف العدوان وفـشله في تحقيق أهدافه، وانتصار شعبنا وصون كرامته، ولقد رأينا تعاطفاً رسمياً وشعبياً لم يسبق لـه مثيـل، وتابعنا بكل اهتمام التحركات المصرية والتركية والقطرية والسورية، ونظرنا بكل التقدير للمقرّرات التي صدرت عن قمة غزة الطارئة في دوحة الخير" حسب تعبيره .وأعلـن أن حكومتـه"سنقدم إغاثة ومعونات عاجلة لكل العوائل والأسر التي هدمت بيوتهم أو تضررت منازلهم ومنـافعهم بما يعينهم على إيجاد المأوى البديل وبسرعة، وستعمل على إعادة ما دمره الاحتلال"

فـصائل المقاومـة الفلسطينية في غزة أعلنت وقف إطلاق النار في قطاع غزة، وتلا موسى أبو مرزوق عـضو المكتـب السياسي لحركة حماس بياناً عرضه التلفزيون السوري قال فيه :"تعلن فصائل المقاومة الفلـسطينية فـي قطاع غزة وقف إطلاق النار من طرفنا في طاع غزة". وأضاف أبو مرزوق: "نؤكد على مطالبنا فـي انسحاب قوات العدو من قطاع غزة خلال أسبوع مع فتح جميع المعابر والممرات لـدخول المـساعدات الإنسانية والإغاثية والاحتياجات اللازمة لشعبنا في قطاع غزة". وتابع أبو مرزوق: "نحن مستعدون مـع

أي جهود، خاصة الجهود المصرية والتركية والسورية والقطرية للوصول إلى اتفاق محدد يلبي مطالبنـا المعروفة برفع الحصار بشكل نهائي وفتح جميع المعابر بما فيها معبر رفح مع تأكيدنا على القـرارات الصادرة عن قمة غزة في الدوحة وتقديرنا لها".

وأعلن "أبو عبيدة" أن عدد الشهداء الفلسطينيين في هذه الحرب قد بلغ أكثر من ١٣٠٠ شهيد غالبيتهم من المدنيين وأكثرهم من الأطفال والنساء والشيوخ، مشيراً إلى أن هذا يدل على أن هذه الحرب لـم تكـن سوى عملية قتل جماعية تحمل عقيدة تلمودية حاقدة .وقال: "نزف إلى أبناء أمتنا ٤٨ مجاهداً من "كتائب لقسام" في المعارك البطولية وغير المتكافئـة التـي خاضها أبطالنا ضد هذا العدو". وأضاف: "بعد هذا الصمود الأسطوري والمقاومة التي لـم يـشهد لهـا التاريخ مثيلاً، فقد حشد العدو كل قوته وبعد حصار مطبق طويل وبالترافق مع حرب نفـسية وإعلاميـة ضخمة؛ أقدم على ارتكاب المجازر البشعة. لقد أعد العدو لهذه الحرب طويلا ولعـدة شـهور سـابقة"موضحاً أن "من يبرر للعدو حربه ويسوق أكاذيبه بأنها كانت رداً على المقاومة شـريك فـي العـدوان ومتواطئ في الحرب."

وأكدت "كتائب القسام" أنها بالرغم من ضراوة القصف الصهيوني واستهداف كل ما يتحرك على الأرض واستخدام القنابل الفسفورية وإلقاء مئات الصواريخ على الأراضي التي تحاول التوغل فيهـا؛ إلا أنهـا تمكنت من تنفيذ سلسلة من العمليات خلال ثلاثة وعشرين يوماً .وأوضح أن "القسام" تمكنت من إطلاق ٩٨٠ صاروخاً وقذيفـة، منهـا ٣٤٠ صـاروخا "قـسام" ٢١٣ صاروخا من طراز "غراد" ٤٢٢ قذيفة "هاون". التصدي للدبابات الصهيونية بـ ٩٨ قذيفة وصـاروخاً مضاداً للآليات وتـم استخدام بعض الصواريخ المضادة للدروع لأول مرة، كما فجرت "القسام" ٧٩ عبوة ناسفة، ونفّذت ٥٣ عملية قنص ١٢ كميناً محكماً في مناطق التوغل تم فيها مهاجمة جنـود الاحـتلال قواتهم الخاصة، إضافة إلى ١٩ اشتباكاً مسلحاً مع العدو وجهاً لوجه، وتنفيذ عملية استشهادية تفجيريـة واحدة، حيث قام الاستشهادي رزق سامي صبح بتفجير نفسه عند فوهة دبابة غرب بيت لاهيا. وأكـدت "القسام" أنها دمرت بشكل كلي أو جزئي ما يقارب ٤٧ دبابة وجرافة، وإصـابة طـائرات مروحيـة وطائرة استطلاع واحدة تم إسقاطها ."

أسر جنود صهاينة كما أكد المتحدث باسم "القسام" أن مجاهدي الكتائب تمكنوا من تنفيذ عمليتي أسر لجنود صـهاينة أثنـاء العدوان؛ الأولى

شرق حي التفاح في اليوم الثالث حيث تم أسر عدة جنود صهاينة وأثناء العملية تـدخل الطيران المروحي وكانت نتيجة العملية أن تم قصف الجنود مع المجموعة الآسرة واستـشهد القـسامي محمود الريفي وقتل الجنود الصهاينة وأصيب عدد من المجاهدين وتمكنوا من الانسحاب .أما عملية الأسر الثانية والتي تُنشر تفاصيلها لأول مرة، بحسب أبو عبيدة، فقد تمت شرق جباليـا حيث قام المجاهدون بأسر جندي بواسطة كمين محكم واحتفظوا به لمدة يومين في أحد المبـاني على أرض المعركة، وأرسل العدو إلى المكان أحد المواطنين الذين اختطفهم كدروع بـشرية لمساومة المقاومين لتسليم الجندي؛ إلا أنهم رفضوا، وهنا تدخل الطيران الحربي الصهيوني بعد يومين وأقدم على قصف المكان بطائرات " ١٦ "وقتل الجندي واستشهد في العملية من القسام وهم الآسـرون للجنـد ." القوة الصاروخية لم تتأثر وقال أبو عبيدة: "إننا في القسام نؤكد أن قوتنا الصاروخية لم تتـأثر بفـضل الله، ونحـن أطلقنـا هـذه الصواريخ أثناء الحرب وبدون توقف وما نزال قادرين على إطلاق الصواريخ، ونؤكد أن صواريخنا في تطور وازدياد، وأن عدونا سيلاقي المزيد وستطال صواريخها أهدافاً أخـرى، ونؤكـد أن صـواريخها انطلقت بوتيرتها المخطط لها أثناء الحرب، وكما قلنا في بداية الحرب للعدو بأنكم من بدأتم الحرب ولكن لن تستطيعوا وقفها من طرفكم بل نحن من يحدد ذلك". وأضاف: "سمعنا في بداية الحرب أنها سـتكون قصيرة جداً، ولكن الاحتلال أعلن عن مرحلة ثانية وثالثة، وما خسرناه ضئيل جداً وقمنـا بتـرميم مـا خسرناه قبل انتهاء الحرب وأثنائها". نافياً ما حاول العدو ترويجه عن اعتقال مقاومين، وقال "هذا كـذب ودعاية سخيفة وأن أي من مجاهدينا لم يعتقل ومن اعتقل مواطنون عزل ."سنواصل التسلّح وأكد المتحدث باسم "القسام" أن أهداف الصهاينة "انحسرت في وقف تهريب السلاح عبر الحدود، ويحاول حشد تأييد دولي لذلك، ونقول متى كان السلاح الشريف يدخل غزة عبر الطرق الرسمية، ومتـى كـان يسمح لنا أصلا في إدخال رصاصة إلى غزة، إدخال السلاح وصناعته مهمتنا ونعرف جيداً كيف نحصل على هذا السلاح". وأضاف: "قلنا إن عملية إدخال السلاح إلى غزة ليست تهريباً، الأصل أن تدخل بشكل رسمي، لكن بما أن كل العالم يتنكر لمقاومة الشعب على مستوى الأنظمة، فمن حقنا أن نـدخل الـسلاح بالطريقة التي نراها مناسبة، والضغط لمنع إدخال الأسلحة ليس جديداً، هو ضغط تاريخي ولم نخضع في يوم من الأيام ولن تكون أي مؤتمرات أو اتفاقيات

حائلة دون مواجهة الاحتلال.

وقالت مصادر فلسطينية مطلعة إن مصر توصلت الليلة قبل الماضية إلى اتفاق تلتزم الفصائل الفلسطينية بموجبه بوقف إطلاق نار لمدة أسبوع تقوم "إسرائيل" خلالها بالانسحاب من قطاع غزة. وأضافت المصادر أن "إسرائيل" وافقت على إعادة فتح المعابر الحدودية بينها وبين قطاع غزة، في حين سيتم إعادة فتح معبر رفح وفق اتفاقية ٢٠٠٥ التي وقعت عليها السلطة الفلسطينية مع "إسرائيل" والاتحاد الأوروبي برعاية أميركية. لكن هناك جزئية لم يتم الاتفاق حولها حسب ما ذكرت المصادر، تتعلق بوجود عناصر من أمن حركة حماس على معبر رفح، حيث أن السلطة الفلسطينية ترفض طلب حماس هذا، لكن تم الاتفاق عل مواصلة البحث في هذا البند لاحقاً. وأكدت المصادر أن مسؤولين أوروبيين شاركوا على مدى عدة أيام في اتصالات من وراء الكواليس لإنضاج هذا الاتفاق، الذي يأتي ضمن اتفاق شامل يقضي بالتزام مصر بالقيام بإجراءات عملية لضمان توقف تهريب السلاح عبر الشريط الحدودي بين قطاع غزة ومصر .

شرعت أجهزة الإسعاف الفلسطينية بعد صمت دوي القصف في تفقد الأنقاض في بيت لاهيا وجباليا، حيث تم العثور على نحو مائة جثة لم يتم انتشالها بسبب العمليات العسكرية والمعارك .فقد تم أمس انتشال ١٨ جثة لأفراد من عائلة السموني من تحت أنقاض منزل شرق حي الزيتون، دمرته المدفعية الحربية للاحتلال في الخامس من يناير/ كانون الثاني الحالي. وكان ٣٠ على الأقل من أفراد العائلة قد استشهدوا في القصف على منزلهم حيث كانوا يتجمعون في غرفة واحدة، وانتشلت جثامينهم، قبل أن تمنع قوات الاحتلال طواقم الإسعاف من الاقتراب من المكان

كشف تقرير أممي أنه منذ بدء الاجتياح العسكري الإسرائيلي لقطاع غزة ولد ما بين ٣١٥٠ ٣٥٧٠ طفلا، مشيرا إلى أنه طبقا لصندوق الأمم المتحدة للسكان، يولد ما بين ١٥٠ إلى ١٧٠ طفلا كل يوم في قطاع غزة، منهم ٢٥ حالة ولادة تتم بعملية قيصرية فيما عبر صندوق الأمم المتحدة للسكان عن قلقه تجاه التقارير التي تتحدث عن عمليات ولادة مبكرة بسبب آثار الصدمة من القصف المتواصل وتعرض الأطفال حديثي الولادة إلى انخفاض درجات الحرارة بسبب نقص الكهرباء .

وأكد مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة (أوتشا) في تقرير أول من أمس على أن إمدادات السلع الأساسية، مثل الغذاء وغاز الطهي والمياه والوقود في قطاع غزة ما زالت في أوضاع خطيرة، مشيرا أيضا إلى وجود أعداد كبيرة

من الناس العالقين في منازلهم بينما هناك آلاف إضافية تهرب بحثا عن المأوى مع عائلات مضيفة وإلى ملاجىء الأونروا، في حين أن أنظمة المياه والصرف الصحي والكهرباء تعاني من ضعف شديد. وقال " الخطر الذي يواجه المدنيين تفاقم بسبب هروب عدد كبير من الفلسطينيين إلى المناطق الحضرية كاستجابة للتحذيرات من الجيش الإسرائيلي لإخلاء منازلهم."

مسؤولون إسرائيليون أعلنوا أن الجيش الإسرائيلي سيستكمل انسحابه من قطاع غزة قبيل تنصيب الرئيس الأمريكي باراك أوباما رسميا رئيسا للولايات المتحدة اليوم. وأشاروا إلى أن الجيش الإسرائيلي بدأ بالفعل انسحابه من قطاع غزة، وأن هذه العملية تم تسريعها في غضون ساعات، إلا أنهم أكدوا أن الدبابات والقوات الإسرائيلية ستبقى في حالة جاهزية في حال قررت الفصائل الفلسطينية استئناف إطلاق الصواريخ من قطاع غزة .وبدأت الحكومة الإسرائيلية بفتح المعابر بينها وبين قطاع غزة ومنها معبر المنطار(كارني) لإدخال المساعدات الغذائية والطبية ومعبر (ناحال عوز) لإدخال الوقود، وفقا لمكتب(أوتشا) أمس .وبالرغم من إعلان الانسحاب الإسرائيلي، قالت مصادر فلسطينية وشهود عيان إن آليات وجرافات عسكرية إسرائيلية توغلت بشكل محدو ومفاجئ أمس في شرق بلدة خزاعة شرق خان يونس جنوب قطاع غزة، وشرعت في أعمال تجريف لأراضي زراعية. وهذا هو أول توغل إسرائيلي منذ سحب الجيش آلياته ودباباته عقب إعلان تل أبيب وقفاً أحادي الجانب لإطلاق النار في القطاع بعد عملية عسكرية شنتها إسرائيل على مدار ٢٣ يوم راح ضحيتها أكثر من ستة آلاف فلسطيني بين قتيل وجريح

وهدد وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي بالرد عسكريا على أي تدفق جديد للأسلحة على قطاع غزة قائلا إن إسرائيل ستعتبر مثل هذا التهريب هجوما على أراضيها.

اعتبر جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني، أن قطاع غزة أصبح منطقة منكوبة من جميع النواحي الإنسانية والاقتصادية والصحية والاجتماعية جراء أسابيع من العدوان الإسرائيلي المتواصل الذي طال كل مناحي الحياة، وقضى فيه حوالي ١٣٢٠ فلسطينيا وجرح خلاله أكثر من ٥٤٠٠ من بينهم أكثر من ٤٠٠ إصاباتهم خطيرة .وقال تقرير حديث لجهاز الإحصاء أن العدوان أدى إلى تدمير أكثر من ٢٢ ألفا ونصف الألف مبنى منها آلاف كليا ١٨ الفا جزئيا. وان الدمار طال البنية التحتية لقطاعات الخدمة العامة وطال مباني

المؤسسات العامة والجمعيات والممتلكات الخاصة، والمؤسسات الصحية والتعليمية والرياضية ومباني للأونروا، كما أدى إلى شلل كامل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. وان إجمالي الخسائر الاقتصادية بلغت أكثر من مليار وتسعمائة مليون دولار. وحسب تقرير جهاز الإحصاء، فان العدوان الإسرائيلي شمل البشر والحجر والشجر والحيوانات والقطاعات الاقتصادية وجميع الفعاليات العامة والممتلكات الخاصة. وأوضح أن عدد المساكن المدمرة بشكل كلي وصل إلى ٤١٠٠ مبنى بتكلفة إعمار ٢٠٠ مليون دولار، أما عدد المباني والمساكن المتضررة جزئياً فقد وصل إلى ١٧٠٠٠ مبنى، وتحتاج لترميمها ما قدره ٨٢ مليون دولار. وحسب التقرير، فقد تم تدمير أو الحاق الضرر، بحوالي ١٥٠٠ محل صرافة وورش حدادة ومنشآت تجارية، ٢٠ مسجدا، ٢٥ مدرسة وجامعة ومستشفى، ٣١ مقرا أمنيا، ١٦ وزارة بالإضافة إلى مجمع الوزارات، ٢٠ سيارات إسعاف، وجسرين، مقرات بلديات وهيئات محلية وملاعب، محطات بنزين، ١٠ خطوط مياه مجاري، ١٠ محطات توليد كهرباء، ٥٠ كيلومترا من الطرق .وتضمن التقرير تقديرا لكلفة استرداد النشاط الاقتصادي الفلسطيني في قطاع غزة عافيته الذي يحتاج تقريبا لعام كامل، وقال إن الاقتصاد الفلسطيني يكون قد خسر حوالي ٨٠٤ ملايين دولار جراء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة وتبعاته المستقبلية. كما تطرق التقرير إلى إعادة تأهيل وإعانة الضحايا، وقال إن التعويضات وإعادة التأهيل للخسائر البشرية تقدر بحوالي ٣١ مليون دولار سنوياً .

قال متحدث عسكري إسرائيلي إن القوات الإسرائيلية أتمت يوم الأربعاء انسحابها من قطاع غزة بعد ثلاثة أيام من إعلان كل من إسرائيل وحركة حماس وقف اطلاق النار من جانب واحد. وقال المتحدث "بحلول صباح اليوم غادر آخر جنود من قوات الدفاع الإسرائيلية قطاع غزة وانتشرت القوات خارج غزة وهي مستعدة لأي أحداث.

مجزرة عائلة السموني في غزة أو مجزرة حي الزيتون وصفت هذه المجزرة بأنها إعدام جماعي بحق عائلة السموني. في يوم السبت ٣ يناير ٢٠٠٩ و بعد سيطرة القوات الإسرائيلية على حي الزيتون أمرت القوات ١٠٠ عضو من عائلة السموني بالتجمع في بيت واحد الذي يملكه وائل السموني .عند الساعة ٦:٣٥ صباحاً من يوم ٤ يناير ٢٠٠٩ تم قصف هذا البيت بشكل متكرر. تمكن عدد قليل من الناجين من الوصول إلى الشارع الرئيسي قبل أن يتم توصيلهم

إلى المستشفى. بناء على أقوال الناجين و عضو من الهلال الأحمر الفلسطيني فإن ٦٠-٧٠ عضواً من العائلة استشهدوا في هذه المذبحة.

العودة

تعرض الحي لخطر كبير أثناء الزحف البري وتعرضت اسر للإبادة كعائلة السمودي وارتفع التوتر لدى المدنيين فكان الحاج موسى يتحدث لمن حوله لا تخشوا إلا الله ولن يصيبنا إلا ما كتب لنا وأتمنى السلامة للجميع ولكنها الحرب يا ايمن ويا ناصر وسوف تفرج فحسب فضائية الأقصى الشجاعة العدو عاجز على دخول الأحياء إنما على أطرافها ويحتمي بالبشر

تمتمت الأفواه بالدعاء وتشجيع البعض فقال مروان: النصر قريب والفرج مع الكرب وهذا قدرنا هل من أخبار عن موسى فلي يومان لا أتمكن من الاتصال به

قال الجد: وأنا كذلك هل اتصل بك يا أميمة ؟

ردت الأم : من فترة يا عمي حتى حسن لم اسمع صوته

ـ حسن في قلب المعركة

****

جاء خبر أثناء الزحف البري أن مستشفى تعرض لقصف وهو مستشفى الذي يعمل به خطيب هاجر وتحدث موسى مع أخيه إبراهيم فقال سمعنا بالحادث ولم نعرف حجم الضرر والإصابات

ـ طمننا الأمر لله حتى المستشفيات لا تسلم منهم يزعمون قادة الفصائل تحت مستشفى الشفاء

فقال ناصر : يبدو أن الحرب ستضع أوزارها

مروان : استراحة محارب والحق أن الله خيبهم ورد كيدهم في نحورهم

ايمن : مجرمون بحق أيها السادة .. السامع ليس كالمعاين حفظ الله الجميع لحظات من الخوف والرعب ولكننا صمدنا وصبرنا .. وفي النهاية انتصرت المقاومة والصبر

******

أعلنت إسرائيل وقف النار من جانب واضح رضوخا للمبادرة المصرية وبزعم الضغط الدولي وأصرت الفصائل على الانسحاب قبل وقف النار ولم تكن هناك هدنة ، تعبت إسرائيل من الحرب فهذه أطول حرب تشنها إسرائيل وكانت هزيمة مدوية

***

مع وقف القتال والغارات علموا بنجاة أطباء المستشفى المقصوف فحمدوا الله وخرجت الناس إلى الشوارع يحمدون ربهم على الصمود ورد العدوان وينشلون جثث موتاهم ويدفنونها وامتلأت الشوارع بالناس وعم الفرح بين الناس

على الفشل الصهيوني وبعضهم رغم الحزن وكثرة الشهداء والجرحى وزعوا الحلوى لإغاظة العدو وأذنابه وعادت الصلاة للمساجد

*****

جاء عبد الرحيم التاجر لعمارة أبيه وعانق الوالد والرجال وبدأ التنظيف للعمارة والشابيك المكسرة وبدأ الاستعداد من الضيوف للخروج من القطاع بعد اربع أسابيع درامية وعرف ناصر وايمن أن عليهم مشاهدة بنات العم عبد الرحيم وللعم عبد الرحيم والد موسى وحسن وغيرهم خمس بنات من زوجته الثانية فتمت الزيارة وقبلا بالعروستين التي عرضت عليهما وخرجوا من غزة في انتظار سفر البنات إلى عمان للزواج وسيلحق الطبيب بهم للزواج من هاجر ثم يعود بها لغزة .

خاتمة

تعددت أسماء الحملات العسكرية الإسرائيلية في مواجهة المقاومة، خلال سنوات الانتفاضة، ومنها: حقل الأشواك، الجحيم، جهنم المتدحرجة، السور الواقي، رحلة بالألوان، المسار الحازم، فارس الليل، قوس قزح، السهم الجنوبي، الطريق الحازم، أول الغيث، أيام الندم، انفجارات بلا حدود، الواقي الأمامي، رياح خريفية، الحديد البرتقالي، سيف جلعاد، أمطار الصيف، الشتاء الساخن.

ويبدي ضباط إسرائيل اهتماما كبيرا في اختيار الأسماء التي يطلقونها على حملات القمع والتنكيل ضد الفلسطينيين، على أمل أن تخلق هذه الأسماء قدرا من الردع حتى قبل أن تنتهي مهمتها.

ورغم تعدد أسماء العمليات ودلالاتها العسكرية، فقد أقرت التجربة بفشلها في القضاء على المقاومة، ومن ذلك ما قاله رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية السابق الجنرال "أهارون زئيفي فركش" من أن الحديث عن القضاء على المقاومة مجرد وهم، معترفا بأن العمليات الحربية التي يقوم بها الجيش مفيدة لتقليص عمليات المقاومة، أو الحد من انتشارها، أو تضييق الخناق عليها ومحاصرتها، ولكن في النهاية تبين لنا أن المقاومة "بئر بلا قاع"، لا يمكن القضاء عليه تماما بالوسائل العسكرية وحدها، مهما تعددت أسماؤها. ونعمل ليل نهار لتدمير براميل البارود التي تنتجها حركات المقاومة، ولكن علينا الاعتراف بأنه كلما دمرنا برميلا، يفتح أمامنا برميل آخر، وكلما احتللنا منطقة يطلق منها باتجاهنا صواريخ القسام، ندفع المقاومين لتحسين إنتاج الصواريخ لتصبح ذات مدى أبعد! ترى عن أي رصاص منصهر يتحدث الإسرائيليون؟

في حين أطلق الجيش الإسرائيلي على عمليته "الرصاص المنصهر"، أطلقت حماس من جهتها

أسماء ذات دلالات هامة على عملياتها، من أهمها: ثقب في القلب، السهم الثاقب، أيام الغضب، زلزلة الحصون، الوهم المتبدد، براكين الغضب، غضب الفرسان، وفاء الأحرار، وأخيرا "بقعة الزيت."الحديث لا يدور عن تحقيق انتصار كاسح لحركة حماس على إسرائيل، فالضربة لاشك قاسية ومؤلمة ودامية، لكن عشرين عاما من الحرب الضروس بين الجانبين كفيلة بإعطاء الإجابة التاريخية، وليس الآنية، عن حقيقة أن فكرة المقاومة باقية بقاء الدهر، فيما الاحتلال والعدوان زائل لا محالة، حتى لو دعم بأسباب القوة الأمريكية، والتنسيق الأمني من ذوي القربى!

التحقيق الجنائي والجريمة

رجل اسمه سنار

الحلقة الأولى

حادث في إستنبول

منذ دقائق فقط دخل رباح حمدي البيت الذي يقطنه في حي ابن نصير ـ على اسم القائد المسلم الفاتح لبلاد الأندلس موسى بن نصير ـ فقد دخل البيت محييا أهل البيت ـ فالسيد رباح ضابط كبير في جهاز الشرطة ـ وبعد الترحيب بالزوج العائد من عمله نهضت الزوجة نحو المطبخ لتسخن طعام العشاء لزوجها الذي ألقى نفسه على إحدى الأرائك في صالة البيت مريحا لبدنه، ولم يخلع ملابس العمل بعد ، فقد كان يبدو للأسرة أنه مرهق ، ولم تكد تختفي الزوجة في المطبخ حتى رن جرس الهاتف في صالون البيت ، فقام جلال ابن الضابط رباح نحوه ، وكان رباح الممدد على الأريكة يلتفت إليه ، وهو يحدث نفسه قائلا : ربنا يستر .. أخشى أن تكون مهمة عاجلة.

فالضابط في الأمن عليه أن يلبي نداء الإدارة في كل حين ، رفع جلال الهاتف وقال بصوت مرتفع : نعم .. أهلا عمي .. نعم موجود .

اعتدل رباح على أريكته جالسا وهمس : عمك .. ماذا يريد هذا المساء ؟!

حرك جلال السماعة بيده كأنه يقول : لا أدري !

نهض رباح متثاقلا ، واتجه لمكان الهاتف، وتناول السماعة من يد جلال وهو يقول : آ .. السلام عليكم .

واستمع قليلا ثم علا صوته مندهشا : ماذا ؟! سنار أصيب بحادث نار .. لا إله إلا الله .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

كان يردد هذه العبارات وهو ما زال يستمع لأخيه ثم قال : سأكون عندكم بعد قليل .. أنا قادم بعون الله .

ووضع السماعة وكانت الزوجة تقف على باب المطبخ تنظر إليه ، وقد رأت انزعاجه وتوتره وكذلك باقي أفراد الأسرة شعروا بالقلق ، فقالت

أم جلال باضطراب وخوف : ما الأمر ؟!.. من الذي أصيب ؟ سنار .. أليس هو في تركيا ؟!

فقال رباح بحيرة : سنار عمكم الصغير تعرض لحادث قتل في تركيا .. وسكت لحظة ثم تابع قائلا : اتصل بهم جبران صديق سنار الحميم وابن عمنا سعدي .. وأخبرهم بذلك الخبر .. وسأذهب الآن لبيت الوالد .. جدكم حمدي .. وأخي أبو عاطف هو الذي كان يتحدث معي .. هل تذهبين معي يا أم جلال ؟

فردت الزوجة : والطعام ! .. كل قبل أن تذهب .

قال : لا وقت للأكل ..هيا البسي .

مشت إلى حجرتها لتلبس ملابس الخروج ، وانطلق رباح لسيارته ـ فهو كما تعلمون لم يخلع بعد ثياب العمل ـ وشغل محركها منتظرا قرينته ، ولم يطل الانتظار ، وجلست أم جلال بجواره ، وأسرع الرجل بها نحو بيت والده حمدي ، وهناك وجد الأخوة وبعض الأقارب جالسين يتحدثون حول الحادث الخطير ، وماذا يفعلون ؟

فسلم ثم صافح الجميع ، ودخلت زوجته حيث النساء أيضا يتحدثن عن أسباب وملابسات الحادث ، ولما استقر رباح على أحد الكراسي علم منهم أن جبران اتصل بهم ، وأخبرهم أن سنارا تعرض لإطلاق نار من مسدس في مقهى في وسط إسطنبول ، وهو مصاب ، وقد نقل لأحد المشافي التركية .. ولم يتحدث إليهم بالتفاصيل.. ثم عاد وتحدث إليهم عن وضع سنار الصحي .. وذكر لهم أن الحادث قد جرى في أحد ملاهي المدينة الليلية حيث كانا يسهران .. وقد اعتدى عليه شخص بالرصاص ، وحاول الهرب ولكن أمن الملهى تمكن من السيطرة على الموقف والقبض على المجرم .. وهو بين يدي البوليس التركي.

وأخذ القوم يتحدثون بعد سماع هذه التفاصيل عدة مرات ، ويتشاورون حول الخطوة المناسبة إزاء هذه الجريمة ، ولم يعرفوا سببها من فم جبران ، وفهم بعضهم من كلام جبران أن الحادث عرضي ، وبعضهم ذكر أنه حادث غامض ، فيه لبس غير واضح .

وبعد عرض الآراء والاقتراحات اتفقوا على أن يذهب بعض أفراد العائلة لتركيا لمتابعة الوضع الصحي لسنار والتحقيق الشرطي ، ومعرفة دوافع هذا الاعتداء الغادر ، فتقرر أن يسافر والد سنار وأخ محامي لسنار وقريب لهم له معرفة في تلك البلاد ، واتفقوا على أن يلحق بهم رباح إذا احتاجوا إليه وعليه أن يحصل على تصريح مغادرة ؛ ليكون مستعدا للسفر في أي لحظة ، فهو رجل شرطة محكوم بعمله ووظيفته .

قبيل الفجر بوقت يسير رجع رباح وأهله للبيت ، وكان الرجل مشغول الفكر بهذا الحادث يشرق

ويغرب فيه ، وبعقليته الشرطية يتسأل عن سبب وحقيقة هذا الاعتداء ، وهل هو حادث عرضي أم فعل مدبر ومتعمد ؟!

أخوه سنار يعرف تركيا أو إسطنبول أكثر من بلده .. فهو كثير السفر والتردد إليها .. فمنذ درس فيها الجامعة ، وتخرج من إحدى جامعاتها وهو يكثر السفر إليها .. فلا يكاد يمضي فصل إلا ويسافر إليها ، ومن كثرة تعلقه بها وحديثه عنها كان يرون أنه لسوف يتزوج فتاة من أهلها.. وهو قد تخرج مهندسا من جامعاتها.. ومع هذه الشهادة المهمة لم يعمل في الهندسة ولا يوما واحدا .. عمل في التجارة .. وخاصة تجارة المواد الغذائية المستوردة من تركيا على الأغلب .. فأنشأ عددا من المتاجر الكبيرة في مناطق العاصمة وأطرافها.. وهي تدر عليه دخلا كبيرا .. وربما يكون هو أكثر إخوته مالا وثروة .. مع أنه أصغرهم .. وهو اليوم بلغ الأربعين سنة ، ومع ذلك لم يتزوج إلا قبل سنتين من فتاة لم ترق لعائلته ، ولم يتقبلوها بالقبول الحسن هذا كان يدور في ذهن رباح وهو عائد من بيت والده بعد سماعه خبر الاعتداء على أخيه في إحدى حانات إسطنبول ..

كان يرى أن حياة أخيه الصغير غامضة ومقلقة ، رغم هذا الشعور الغامض كان يراه ناجحا ومتقدما على أقرانه ، وكان قد تنبأ له بالفشل عندما اشتغل بالتجارة وترك الهندسة .. ولكنه خيب تخمينه وأصبح رجلا معدودا بين التجار الكبار .. حتى شراكته لابن عمهم جبران كانت غريبة ومريبة .. ولكن الأيام أثبتت خطأه نحوهما .. فهما صديقان شريكان منذ رجعا من رحلة الدراسة في بلاد الترك.

وما زال رباح بالرغم من مرور أكثر من عشر سنوات على تجارتهما يرى أن حياة أخيه وابن عمه جبران يلفها الغموض والحيرة ، وإنها تحتوي على خطأ غامض غير واضح.. إنه إحساس موحش قد لازمه منذ سنوات وسنوات .. والكلام حوله يثير اللغط والحسد من قبل أفراد العائلة الكبيرة ويتهمونه بالغيرة من نجاح أخيه وابن عمه .. فيقف حائرا بين الإقدام والصمت .. ولكن هذا الحادث الغريب بالنسبة لرباح جدد تلك الأفكار التي كانت تراوده عن حياة أخيه سنار وابن عمه جبران سعدي .

يتذكر رباح .. ما من يوم طلب منه أخوه أو ابن عمه جبران خدمة .. مساعدة لدى دائرة حكومية أو مؤسسة .. ولم يحتاجوه يوما في معاملة جمركية أو ضريبية .. فهما ملتزمان بدفع الضرائب أو أي جمارك تلزم ما يستوردانه .. فهما ملتزمان بالقانون، ولا يذكر أن سجلت عليهما قضية تهرب ضريبي أو جمركي

كان هذا الحادث المفاجئ قد أيقظ كثيرا من الهواجس في نفس رباح .. محاولة قتل في ملهى ليلي .. فسنار معروف في الأسرة أنه صاحب لهو ولعب وسهر ماجن .. فلما وصلا البيت وصف السيارة في موقعها المعتاد ، وأطفأ محركها ونزلا منها قالت زوجته : طول الطريق وأنت صامت .. ومن عادتك الكلام الكثير .. يبدو أنكم صدمتم بالخبر !

نظر إلى عينيها وقال : فعلا صدمنا بالخبر .. محاولة الاغتيال أمر ليس بالهين يا عزيزتي .. ومكان الحادث مزعج .. لا يسرنا يوما أن يموت أحدنا في خمارة أو نادي ليلي أو حانة .. هذا خزي لنا .

فقالت : وهل ذهاب سنار للملهى شيء غريب ؟ .. فهو هنا لا تفوته سهرة وحفلة في الملاهي والمهرجانات .. ثم أكدت : لا أظن أنه تفوته ليلة في فنادق السهر والطرب .

قال ممتعضا: صحيح قولك .. وهذا أمر لا يشرف في نظري وكم نصحت له بترك ذلك أو تخفيف هذا النمط من العيش ؟ أمر سيء فعلا أن يهلك المسلم في ملهى أو حانة أو حتى

مقهى فكيف إن قتل في ملهى ؟ والأخطر في قضيتنا ولماذا يقتل سنار الرجل الثري ؟

قالت وهما يجلسان في صالة البيت : أخوك موفق .. وقد استفاد من علاقته برجال الترك منذ أيام الجامعة ، وعمل معهم علاقات جيدة قبل عودته للبلد .

قال بخيال تذكره : تركيا زرتها أكثر من مرة .. هي بلاد جميلة وبلاد عظيمة .. ولها تاريخ عريق وحضارة .. السياحة هناك ممتعة بين القصور والمساجد .. وسنار يتردد عليها كثيرا وله أصدقاء كثر هناك حياة أخي فيها غموض لا أدري لماذا يراودني هذا الإحساس ؟!

قالت: لا.. لا .. إنما هو نجاح وتوفيق الأخ الأصغر .. لا تدع الحسد يدخل قلبك .

قال مستغربا : الحسد ! .. هل لأنه أصغر منا ومعه مال أكثر منا أحسده ؟ .. لا أعتقد أن في قلبي حسدا لأخي .. إنما هو قلق وخوف .. أأحسده من أجل المال ؟ لماذا ؟ ها نحن نملك بيتا واسعا .. وسيارة .. وراتبا ومنصبا .. وزوجة .. وأولادا .. ولما نرحل عن هذه الدنيا سنترك كل هذه الأشياء .. لا أعتقد أن هذا الحسد في نفسي لأخي .. صحيح أن علاقتنا الاجتماعية معه فاترة ضعيفة ؛ لكنه هو السبب .. وامرأته علاقتها معنا أيضا باردة للغاية .. لا تحب اللقاء بنا .. ربما لأننا لم نره الزواج المناسب بالنسبة للعائلة .. ولكننا استسلمنا لرغبته في النهاية .. وحاولنا التودد إليهم ، وأنت حاولت مثلنا وكان الفتور والصد ..

وتركنا تحسن الحال للزمن .. وحياتنا الحمد لله مستورة .. لا يمكن أن أحسد أخي لثروته الكبيرة

قالت وهي تنهض : أرجو ذلك .. فالمال خير وشر

قال وهو ينهض واقفا أيضا : إنما أموالكم وأولادكم فتنة .

قالت : وهل أصدق من الله حديثا ؟!

قال: بالتأكيد لا .. نسال الله السلامة لأخي سنار .. وأن يكون الأمر عرضا وأن يشفيه الله .. قد علمنا الليلة أن زوجته حامل .

قالت : ألم تكن تعلم ؟

رد : الليلة فقط علمت .

قالت : من شهر أخبرتنا أمك .. هو أنت يا أبا جلال مهتم بأخبار العائلة !

ضحك وأجاب : صدقي أنني مهتم بكم جميعا ، وأحب أن أسمع كل أخباركم ؛ ولكن طبيعة العمل تظهر لكم أنني مشغول به عنكم .. عليكم أن تلتمسوا لي الأعذار دائما .



رحلة

ارتفع رنين جرس الهاتف عصرا في مكتب الضابط الشرطي رباح ، فلما رفع السماعة سمع مأمور المقسم في الدائرة يقول : مكالمة خارجية يا سيادة المقدم .

قال : هات يا منذر !.. لابد أنها من تركيا .

ثم سمع صوت أخيه فارس يحييه فرد عليه التحية وقال : آ .. ما الأخبار ؟ الأمر خطير ! وضعه الصحي صعب.. لا يمكن نقله للبلد.. الأطباء لا يرون خطرا على حياته بشكل عام .. جبران محبوس على ذمة التحقيق .. القضية يبدو أنها معقدة وغامضة .. سأعمل على السفر إليكم .. مع السلامة .

وضع المسماع بهدوء وقال متنهدا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

فالتفت إليه أحد زملائه في المكتب قائلا : هل من شيء يا أبا جلال ؟

تطلع لزميله حسام وقال : أخي سنار

ـ أخوك الصغير على ما أذكر .. التاجر الناجح .. ماله ؟!

ـ نعم ، فأنت تعرفه .. فيا صديقي .. علمنا ليلة أمس أنه تعرض لإطلاق نار في تركيا .. وذهب الوالد وأخي المحامي فارس لمعرفة الخبر ، ومحاولة إرجاعه إلى هنا للعلاج .

ـ خبر مخيف .. كيف صحته الآن ؟

ـ مستقرة ، ولكن من الصعب نقله .

ـ شفاه الله ..

ـ ولما وصل الأهل إلى هناك ، وجدوا القضية معقدة بعض الشيء .. فقد كان هو وابن عمي جبران شريكه في تجارته معا ، وجدوا ابن عمنا موقوفا على ذمة التحقيق .. فهو بين يدي البوليس التركي .. ولديهم رغبة بالسفر إليهم لعلي أستطيع فعل شيء .. وأنت تعلم أن بين يدي هذه الأيام عددا من القضايا .. وهي قضايا خطيرة ومهمة .. وهناك دورة الاتصالات الخاصة .. ويبدو من كلام شقيقي فارس أن لديهم قصة كبيرة .. والبوليس

يجري تحقيقات مهمة .. ولا أدري كم من الوقت أحتاج لهذه الرحلة .. ولابد من السفر.

فقال الضابط حسام : عليك بالعميد إبراهيم سالم له أصدقاء في تركيا ومعارف .. تحدث معه وخذ توصية منه .

ـ جميل هذا منك أيها الزميل !

ضرب على رقم المقسم (جهاز الاتصالات الأرضية) وقال : أخ منذر صلني بالعميد إبراهيم سالم .. معك المقدم رباح .

تحدث المقدم مع العميد إبراهيم حول رحلة تركيا بضع دقائق ، ثم ترك السماعة وهو يقول : أنا قادم إليك حضرة العميد .

وخرج من الدائرة لمقابلة العميد إبراهيم في أكاديمية الأمن .. ولما اجتمعا شرح له قصة محاولة اغتيال شقيقه الأصغر سنار، وأنه بحاجة للسفر ، وتوصية منه لزملائه الأتراك حيث شاركهم في دورات دولية ، فزوده العميد بأسماء أشخاص وختم كلامه قائلا : كن على اتصال معي إذا تأزمت الأمور .

فشكره رباح الشكر الجزيل، وغادره لدائرته حيث دخل على مكتب مدير

الدائرة واستأذنه بإجازة طارئة بعد أن ذكر له قصة تعرض أخيه لرصاص في حانة من حانات إسطنبول ودخوله المستشفى .

وفي الليل كان رباح يركب أول طائرة مغادرة لعاصمة تركيا أنقرة ، وبعد ساعتين كان ينزل في أحد فنادق العاصمة التركية في قلب الأناضول التركي .. ليسعى إلى مقابلة بعض كبار الضباط الأتراك ضباط الشرطة الذين زود بأسمائهم من قبل العميد إبراهيم قبل الذهاب لإسطنبول في مضيق البوسفور



أنقرة هي عاصمة تركيا وثاني أكبر مدنها بعد إسطنبول ، تقع أنقرة على هضبة الأناضول بوسط تركيا، كما يبلغ متوسط ارتفاعها عن

مستوى سطح البحر ٩٣٨ مترا ، ونظرا لأهميتها التجارية والصناعية، ولموقعها الجغرافي فقد اتخذتها الحكومات التركية المتعاقبة عاصمة سياسية لها، ومقرا للوزارات والمكاتب الحكومية والبعثات الأجنبية.

يعود تاريخها إلى ما قبل ١٠٠٠٠ عام عندما سكنها الإنسان البدائي الأول، ثم حكمها الحاثيون، والحيثيون، والفريجيون، والليديون ثم الأخمينيون الفرس، ثم جاء بعد ذلك المقدونيون والكلدانيون وأخيرا استولى عليها الرومان ، وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية ظلت تحت حكم البيزنطيين حتى فتحها السلاجقة ، ثم سقطت في أيدي المغول إلى أن سيطر عليها العثمانيون في القرن الرابع عشر، ومنذ عام ١٩٢٣م أعلن مصطفى كمال أتاتورك مؤسس تركيا الجمهورية أنقرة عاصمة لتلك الجمهورية .

يفضل الزوار الأجانب إلى أنقرة زيارة المحلات التجارية القديمة في يوكوشي شيكليكشيلار (درب النساجون) بالقرب من حي اولوس ، حيث يمكن العثور على أشياء لا تعد ولا تحصى بدءا من الأقمشة التقليدية، والسجاد المنسوج يدويا ، والمنتجات الجلدية بأسعار منافسة ، يحظى باكيرسيلار شيرشيسي (بازار النحاسون) بشعبية خاصة إذ يباع فيه العديد من العناصر المثيرة للاهتمام، وليس فقط من النحاس ، إذ يمكن العثور هناك على المجوهرات والسجاد والملابس والتحف والتطريز ، وبالقرب من بوابة القلعة، هناك العديد من المحلات التجارية التي تبيع مجموعات ضخمة وجديدة من التوابل والفواكه المجففة، والمكسرات، وغيرها من المنتجات.

أما مناطق التسوق الحديثة فتتواجد في كيزيلاى، أو في شارع حلمي تونالي، بما في ذلك مركز التسوق كاروم الحديث الذي سمي تيمنا بمستعمرات التجار الآشورية القديمة التي تم تأسيسها في وسط الأناضول في بداية الألف الثاني ما قبل الميلاد والذي يقع نحو نهاية الشارع ، وفي حي برج آتاكول في كانكايا الذي يقع على أعلى نقطة والذي يطل على مناظر رائعة على المدينة بأكملها، وفيه أيضا مطعم دوار في الأعلى الذي يسمح بالتمتع ببانوراما كاملة ، والجدير ذكره أن رمز سوق أرمادا هو المرساة، وهناك نصب لمرساة كبيرة في مدخله، والتي هي إشارة إلى الانكيرا الاسم اليوناني القديم للمدينة ، التي تعني مرساة، وبالمثل فإن نصب المرساة يرتبط أيضا مع اسم الإسبانية أرمادا والذي يعني الأسطول البحري.

تم بناء ضريح كمال أتاتورك، مؤسس الجمهورية التركية بين ١٩٤٤ ـ ١٩٥٣ على مساحة تقدر بـ

٧٥٠،٠٠٠ مترا مربعا ، والمتحف باسم كمال أتاتورك مفتوح يوميا، ما عدا الاثنين خلال فصل الصيف، وهناك الضوء والصوت عرض في المساء يعود تاريخ بناء قلعة أنقرة إلى أكثر من ٣٠٠٠ سنة ، وبداخلها توجد قرية مزدحمة جدا بالسكان منذ القدم ، وتم تشييد جدران القلعة على يد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني

كما يعود تاريخ بعض المباني في القلعة إلى القرن السابع الميلادي، قد وضعت أسس القلعة من قبل أهل غلاطية على نتوء بارز الحمم ، والانتهاء من قبل الرومان ، ثم البيزنطيين والسلاجقة الذين قاموا بالترميم والإضافات، وهي تعتبر أقدم جزء من أنقرة ، ويمكن رؤية أمثلة عديدة من الهندسة التقليدية داخل جدرانها .

ومن الآثار المعروفة لزائر أنقرة السياحي المسرح الروماني يمكنك رؤية بقايا المسرح والكواليس من خارج القلعة ، وتعرض التماثيل الرومانية التي تم العثور عليها في هذا المكان في متحف الحضارات الأناضولية .

وفيها معبد أغسطس روما ومن السهولة العثور على المعبد ، الذي بني بأسلوب أنيق، في حي أولوس القديم من أنقرة.

وتجد فيها الحمام الروماني الذي يتميز بكل الصفات النموذجية للحمام الروماني الكلاسيكي الذي يحتوي على غرفة المياه الباردة ، وغرفة المياه الدافئة ، وغرفة المياه الساخنة الذي تم بناؤه في عهد الإمبراطور كركلا في القرن الثالث الميلادي على شرف أسقليبيوس ، ويقع في منطقة اولوس أنقرة في قلب أنقرة، في الطابق السفلي وما زال قائما حتى اليوم.

ومما يشاهده السائح لأنقرة عمود جوليان أو جوليانوس الموجود في منطقة اولوس ، الذي أقيم على شرف الإمبراطور الروماني جوليان لدى زيارته لحي أوليوس في أنكيرا عام ٣٦٢.

ويمكنك روية نصب النصر الذي شيد في عام ١٩٢٧ في ساحة ظافر في حي سيهيي ، ويمثل كمال أتاتورك مرتديا الزي العسكري ، وكذلك النصب التذكاري للأمن والثقة في المستقبل ، وشيد هذا النصب في حديقة بالقرب من ميدان كيزيلاى جوفن في عام ١٩٣٥ ، ويحمل مشورة قدمها أتاتورك لشعبه وتقول: أيها الأتراك، كونوا فخورين، واعملوا بجد، وآمنوا بأنفسكم ، واستعمل النصب على خلفية الورقة النقدية من فئة خمس ليرات تركية جديدة من عام ١٩٣٧ وحتى ١٩٥٢ عام وعلى الأوراق النقدية من فئة ١٠٠٠ ليرة من عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٤٦ .

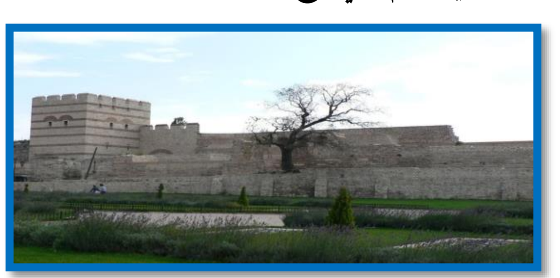
وهناك نصب الهاتيون الذي بني في سبعينيات القرن العشرين في ساحة سيهيا والذي يرمز لآلهة

الهاتيون ، وكذكرى لأول حضارات الأناضول ، وقد استخدم الرمز المستمد من هذا النصب كشعار للمدينة لفترة طويلة .



قضى المقدم رباح نهار اليوم التالي كله في السعي للقاء الضباط أصدقاء العميد إبراهيم فاضطر للمبيت ليلة أخرى في فندق أنقرة .. وذهب في المساء في جولة في أحياء المدينة ، وشاهد بعض الآثار المشهورة في المدينة ، وعاد لفندقه بعد منتصف الليل .. ثم ظهرا انتقل بالطائرة إلى مدينة إسطنبول العاصمة التاريخية لتركيا العثمانية .

إسطنبول المعروفة تاريخيًا باسم بيزنطة والقُسْطَنْطِيْنِيَّة والأَسِتانة وإسلامبول ؛ هي أكبر المدن في تركيا ، وخامس أكبر مدينة في العالم من حيث عدد السكان ، حيث يسكنها ٨, ١٢ ملايين نسمة ، تُعد إسطنبول أيضا مدينة كبرى ، ويُنظر إليها على أنها مركز تركيا الثقافي والاقتصادي والمالي ، تغطي مساحة المدينة ٣٩ مقاطعة وجميعها تُشكل محافظة إسطنبول تقع إسطنبول على مضيق البوسفور ، وتطوق المرفأ الطبيعي المعروف باسم القرن الذهبي الواقع في شمال غرب البلاد ، تمتد المدينة على طول الجانب الأوروبي من مضيق البوسفور، المعروف باسم تراقيا ، والجانب الآسيوي أو الأناضول ، وبالتالي فإنها المدينة الوحيدة في العالم التي تقع على قارتين.



كانت هذه المدينة عاصمةً لعدد من الدول والإمبراطوريات عبر تاريخها الطويل ، فكانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية (٣٣٠ـ٣٩٥) ، والإمبراطورية البيزنطية منذ عام ٣٩٥ حتى سنة ١٢٠٤ ، ثم الإمبراطورية اللاتينية سنة ١٢٦١ حتى سنة ١٤٥٣ والدولة العثمانية من سنة ١٤٥٣ـ ١٩٢٢ ، وفي معظم هذه المراحل أحيطت المدينة بهالة من القداسة ، إذ كان لها أهمية دينية كبيرة عند سكانها وسكان الدول المجاورة ، فكانت مدينة مهمة للنصارى بعد أن اعتنقت الإمبراطورية البيزنطية الدين النصراني ، قبل أن تتحول لتصبح عاصمة الخلافة الإسلامية من عام ١٥١٧ حتى انحلال الدولة العثمانية عام ١٩٢٤.

مبنى آيا صوفيا شُيّد هذا المبنى بالأساس ليكون كاتدرائية البطريركية الأرثوذكسية

وعند الفتح الإسلامي تحوّل إلى مسجد ، وعند قيام الجمهورية التركية أصبح متحفًا.

ومن معالمها مسجد السلطان أحمد ، بُني هذا المسجد في الفترة الممتدة بين عاميّ ١٦٠٩ و١٦١٦ خلال عهد السلطان أحمد الأول يعرف أيضًا باسم المسجد الأزرق بسبب البلاط الأزرق الذي يُزين داخله ، وهو كمعظم المساجد العثمانية يحوي قبر السلطان الذي أسسه بالإضافة لمدرسة وتكية { زاوية الدراويش والطعام } ، كان هذا المسجد يظهر على خلفية العملة الورقية التركية من فئة ٥٠٠ ليرة، التي وُضعت بالتداول من سنة ١٩٥٣ حتى سنة ١٩٧٦ .

ومن معالمها قصر الباب العالي وهو يحكي تاريخا مهما عن آل عثمان ، كان هذا القصر المقر الرئيسي للسلاطين العثمانيين طيلة ما يُقارب من ٤٠٠ سنة ، من عام ١٤٦٥ حتى ١٨٥٦ابتدئ ببناء القصر عام ١٤٥٩ بأمر من السلطان محمد الفاتح بعد غزو القسطنطينية ، يجذب القصر اليوم أعدادًا كبيرة من السياح، وهو يحوي بعض الآثار المقدسة الإسلامية، مثل عباءة النبي محمد ﷺ وسيفه ، يُصنف القصر على أنه من ضمن المعالم المنتمية للمناطق التاريخية في إسطنبول، وقد أصبح موقعًا للتراث العالمي في سنة ١٩٨٥، ووُصف على أنه من أفضل الأمثلة على التنوع الثقافي في الدولة العثمانية.

وهناك الجسر التاريخي جسر البوسفور يُسمى هذا الجسر أيضًا بجسر البوسفور الأول ، وهو أحد الجسرين الذين يصلان أوروبا بآسيا ، يبلغ طوله ١٥١٠مترا (٤٩٥٤ قدمًا) ويصل عرض سطحه إلى ٣٩ مترًا (١٢٨ قدمًا) ، تصل المسافة بين برجيه إلى ١٠٧٤ مترًا (٣٥٢٤ قدمًا) ويبلغ ارتفاعهما ١٠٥ من الأمتار (٣٤٤ قدمًا)، أما المسافة بين البحر والجسر فتصل إلى ٦٤ مترًا (٢١٠ أقدام) ، حصل هذا الجسر على المركز الرابع بين أطول الجسور المعلقة في العالم عند اكتماله في سنة ١٩٧٣.



ويمكن للسائح زيارة برج غلطة وهو برج حجري يعود للقرون الوسطى ، موجود في ناحية غلطة من إسطنبول ، شمال مضيق القرن الذهبي بنى الجنويون هذا البرج عام ١٣٤٨ في مستعمرتهم بالقرب من القسطنطينية.

يبلغ ارتفاع البرج ٦٦,٩٠ مترًا كاملةً ، و ٦٢,٥٩ مترًا دون احتساب طول العمود

المزخرف على سطحه ، الذي يصل في طوله إلى ٥١,٦٥ مترًا، كان هذا البرج أطول مباني المدينة عندما تم تشييده، فقد وصل ارتفاعه إلى ارتفاع مبنى بتسع طبقات ، وهو ارتفاع شاهق مقارنة بمباني ذلك الزمان ، يصل القطر الخارجي للبرج إلى ١٦,٤٥ مترًا عند القاعدة، و ٨,٩٥ مترًا في الداخل، وتصل سماكة الجدران إلى ٣,٧٥ مترًا

قصر يلدز الشهير بين القصور في العالم بُني هذا القصر عام ١٨٨٠، وكان مقرًا للسلطان عبد الحميد الثاني وحاشيته ، القصر عبارة عن مجمع من البيوت الصغيرة ودور متعددة كان السلاطين العثمانيين يلجأون إليها للابتعاد عن مشاكل الحكم وهمومه وللاستراحة من متاعب العمل بين الحين والأخر ، كانت المنطقة التي بُني فيها القصر مليئة بالأحراج [الأحراش] وقد اشتراها السلطان أحمد الأول ، وأنشأ فيها أول دار للاستجمام ، وقلّده بذلك السلاطين اللاحقين .

تتكون مدينة إسطنبول من ٣٩ منطقة أو ناحية يسكنها عدد كبير من الناس جرّاء النزوح التاريخي المكثف نحو المدينة، وبسبب توسعها وضمها للقرى والبلدات المجاورة منذ أوائل النصف الثاني للقرن العشرين .

يوجد في مدينة إسطنبول مطاران دوليان : مطار أتاتورك الدولي ، وهو الأكبر، الواقع في ناحية القرية الخضراء المعروفة أيضًا باسم القديس استيفان، على الجانب الأوروبي من المدينة، على بعد حوالي ٢٤ كيلومترًا (١٥ ميلاً) عن وسطها، كان المطار يقع على الحدود الغربية للمنطقة الحضرية عندما اكتمل بناؤه، أما الآن فهو يوجد داخل حدود المدينة ، أما المطار الأصغر فهو مطار صبيحة گوكجن الدولي ، الواقع في ناحية قرية الذئب على الجانب الآسيوي، بالقرب من حلبة سباق إسطنبول، وهو يقع على بعد ٢٠ كيلومتر تقريبًا (١٢ ميلاً) شرق الشاطئ الآسيوي، و ٤٥ كيلومترًا (٢٨ ميلاً) شرق وسط المدينة الأوروبي

تُعد الملاحة البحرية حيوية بالنسبة لإسطنبول، بما أن البحار تحيط بالمدينة من جميع جوانبها بحر مرمرة ، مضيق القرن الذهبي، مضيق البوسفور، والبحر الأسود ، يسكن الكثير من الإسطنبوليين الجانب الآسيوي من المدينة ويعملون على الجانب الأوروبي ، أو العكس ؛ لذا فإن عبّارات الركاب تُشكل أساس التنقل اليومي بين قسميّ المدينة بالنسبة للكثير منهم، بدرجة أكبر حتى من الجسرين المعلقين الذين يصلا طرفيّ

البوسفور، كذلك تُشكل هذه العبّارات والحافلات البحرية الطوّافة سريعة الحركة ، صلة الوصل الأساسية بين البر الرئيسي لإسطنبول وجزر الأمراء.

ظهرت أول العبّارات البخارية البوسفور سنة ١٨٣٧، وكانت تُدار من قبل شركات خاصة ، وبتاريخ ١ يناير من عام ١٨٥١ أسست الحكومة العثمانية الشركة الخيرية لتكون أول شركة عمومية تمتلك عبّارات وتخصصها لخدمة الشعب ، استمرت الشركة الأخيرة بإدارة قطاع النقل البحري حتى أوائل عهد الجمهورية التركية ، عندما أُخضعت لإشراف خطوط النقل البحري التركية ، في السنة ١٨٨٣ قام مقاول بلجيكي يُدعى جورج نگلميكر، بالبدء بتنفيذ مشروع مدّ سكة حديدية بين مدينة باريس وإسطنبول، وفي الفترة الممتدة بين إنشاء السكة وانتهائها، تمّ اللجوء إلى عبّارة بخارية لنقل الناس من مدينة فارنا ببلغاريا إلى إسطنبول، والعكس ، وفي العام ١٨٨٩ اكتمل القسم الأول من السكة الحديدية، فوُصلت إسطنبول بفارنا عن طريق بوخارست، فأصبح بإمكان الناس السفر برًّا بسهولة إلى هذه المدينة لأول مرة ، عُرفت هذه السكة في الغرب باسم قطار الشرق السريع ، وقد اشتهرت وذاع صيتها بفضل الأعمال الأدبية للكاتبة الإنجليزية المشهورة أجاثا كريستي ، فلها رواية بوليسية حملت هذا الاسم من بطولة مخبرها السري هيركول بوارو ، وترجمت للعربية أكثر من مرة ، والكاتب غراهام غرين الذين تناولوها في مؤلفاتهم الأدبية المسرحية .

افتتحت المحطة سنة ١٨٩٠ تحت اسم محطة المشير أحمد باشا، وشكّلت المحطة الأخيرة لقطار الشرق السريع ، أما اليوم فقد أًعيدت تسميتها محطة سركيسي، وهي تتبع مصلحة السكك الحديدية للجمهورية التركية، وتُشكل المحطة الأخيرة لجميع خطوط القطارات على الجانب الأوروبي من إسطنبول، وصلة الوصل الأساسية لشبكة السكك الحديدية التركية مع باقي أوروبا .

وعلى الجانب الآسيوي من إسطنبول تقع محطة حيدر باشا وهي مركز القطارات المتجهة يوميًا إلى أنقرة ومناطق أخرى في الأناضول، افتتحت محطة حيدر باشا سنة ١٩٠٨، وكانت تشكل المحطة الأخيرة في سكة حديد برلين بغداد وسكة حديد الحجاز ، تتصل السكك الحديدية على كلا الجانب الأوروبي والآسيوي ببعضها البعض عن طريق عبّارات مخصصة لنقل القطارات، ومن المقرر توقيف هذه العبّارات عن العمل عند الانتهاء من مشروع نفق مرمرة أو سكة مرمرة

الذي سيصل جانبيّ المدينة بنفق يمتد تحت سطح بحر مرمرة.

وأيضا في إسطنبول عدد من مراكز التسوق التاريخية، من شاكلة: السوق الكبير المغطى ١٤٦١ سوق محمود باشا ، والسوق المصري أو سوق البهار، افتتح أول مركز تسوق حديث بالمدينة سنة ١٩٨٧، وهو معرض قرية الأب ، ثم تلاه افتتاح عدد كبير من المراكز في السنوات اللاحقة، مثل المركز الأبيض ، وهو المركز التجاري الوحيد الذي فاز بجائزتيّ أفضل مركز تسوق في أوروبا وأفضل مركز تسوق في العالم التي يمنحها المجلس الدولي لمراكز التسوق **(ICSC)**، مركز تسوق مترو سيتي ؛ مركز شيشلي الثقافي والتجاري الذي يُعتبر أكبر مراكز التسوق في أوروبا؛ ومركز كانيون للتسوق الذي فاز بجائزة أفضل تصميم معماري ، وفي إسطنبول مركزين تجاريين مخصصين للمستهلكين ذوي الأجور المرتفعة، هما مركز منتزه إستنيه ، ومركز نيشان تاشي ، حيث لا يُعرض فيهما سوى الأصناف والعلامات التجارية العالمية باهظة الثمن.



تنتشر في المدينة إسطنبول عدّة مطاعم أوروبية وشرق آسيوية إلى جانب المطاعم المحليّة وغيرها من المطاعم التي تقدم أنواعًا مختلفة من أطباق المطابخ العالمية ، تقع معظم الخمّارات والحانات التاريخية بالمدينة في ناحية باي أوغلو بالمناطق المحيطة بجادة الاستقلال ، وفي الجادة سالفة الذكر رواق تاريخي مشهور يُسمى رواق الزهور فيه عدد من الحانات والمطاعم ، ويعود تاريخ إنشاء هذا الرواق إلى القرن التاسع عشر، وذلك على يد المهندس اليوناني كريستاكيس زوغرافوس أفندي الذي بناه على أنقاض مسرح نعّوم وافتتح في سنة ١٨٧٦ ، وفي نفس المنطقة أيضًا يقع شارع نيڤيزيده ذي المطاعم المجاورة لبعضها البعض.

وقد أعادت السلطات المختصة إحياء بعض الأحياء القديمة المحيطة بجادة الاستقلال في السنوات الأخيرة الماضية ، ومن هذه الأحياء شارع الجزائر الواقع بالقرب من ثانوية غلطة سراي، والذي تعارف الناس على تسميته بالشارع الفرنسي بسبب انطباعه بالطابع الفرانكوفوني ، حيث توجد فيه الكثير من الحانات والمقاهي والمطاعم التي تُعزف فيها الموسيقى الحية، كما في المطاعم والمقاهي النمطية الفرنسية.

تشتهر إسطنبول أيضًا بمطاعمها المختصة بتقديم الأطباق البحرية ، وأشهر المطاعم البحرية

فيها هي تلك التي تقع على شواطئ البوسفور وبحر مرمرة بجنوب المدينة كذلك هناك عدد من المطاعم البحرية المشهورة على الجزر الكبرى من جزر الأمراء، وبالقرب من المدخل الشمالي للبوسفور من ناحية البحر الأسود



هناك الكثير من الملاهي الليلية والمطاعم والحانات والمقاهي الباذخة التي تُقدم عروضًا موسيقية مباشرة في جميع أنحاء المدينة، ويرتفع عدد هذه الأماكن المخصصة للهو في الصيف ، وإضافةً لمعارض الفن والمسارح ودور السينما، في المناطق المحيطة بكل من: جادة الاستقلال، المرمى، بيبك، وقرية القضاة ، تستضيف المسارح المهمة في إسطنبول الحفلات الغنائية للمطربين والفرق الموسيقية العالمية، ومن أبرز هذه المسارح: ميدان إسطنبول في حي مسلك، وميدان السبيل الجاف الواقع على البوسفور ، كذلك فهناك منتزه الغابة في حي مسلك، ويُعد من أبرز الميادين التي تقام بها الحفلات الغنائية المباشرة والاحتفالات الحماسية الصيفية .

انتقل المقدم رباح حمدي لإسطنبول التي تجمع بين الحضارة الإسلامية والأوروبية التي عرفناها لكم ؛ لأن الحكاية بدأت من إحدى حانتها الليلية ، واستقر في فندق في وسط المدينة حيث استقرت العائلة ، وقضى يومه مع والده وشقيقه المحامي ، ثم زار شقيقه المصاب سنار حمدي برفقتهم ، وفي الصباح التالي زار جبران في سجنه، ثم اتصل بالضباط الأتراك الذين زوده بأسمائهم العميد إبراهيم ، واستقبله الضابط التركي علي جان اوزدمير من شرطة المدينة ، وسمح له بالاطلاع على المحضر الخاص بحادثة حانة (كارتل) في جادة الاستقلال باي اوغلو حيث تكثر الحانات والمقاهي السياحية.. وكان في المحضر أن الحادث شجار سكارى في حانة دفع الجاني إلى إطلاق النار على سنار حمدي ، وجبران سعدي لم يدل بأي كلام خطير؛ ولكنه بين لهم أنهم يعرفون الجاني حق المعرفة.. وكذلك ذكر البوليس أن الرجل معروف لدوائر الشرطة والأمن، وأنه من رجال العصابات المنظمة، وسجل عليه الكثير من القضايا الأمنية.. والشرطة رفضت طلب نقل المصاب لبلده حتى تنتهي القضية، وتعرض أمام المحكمة المختصة؛ لأن المجرم صرح أثناء القبض عليه أن القضية تصفية حسابات ، ولم يكشف الرجل المدعو آق كوز ما هي هذه الحسابات التي دفعته للشروع في

جريمة قتل .. ولا حتى جبران كشف شيئا، ولا المصاب الناجي من الموت .

ولقد حاول رباح فهم سبب الاعتداء من البوليس دون فائدة مهمة إلا أنه صراع عصابات مافيا دولية .. فتسأل وربما تسأل غيره ما علاقة سنار وجبران بالعصابات الدولية .. وجبران السجين لم يزد لهم إلا أنهم كانون يسهرون في الحانة كعادتهم منذ زمن منذ وجودهم في تركيا أيام الدراسة .. وأن الرجل انفعل وغضب منهم فأطلق الرصاص عليهم وهو في حالة سكر .. أمسك به أمن الحانة ، واستدعي البوليس .

فعاد القوم لبلادهم بغير نتيجة .. وحيرة أخرى ملئت قلب رباح حمدي . وكان رباح يتمنى في قرارة قلبه وفكره لو حتى عرف شيئا خطيرا يزيل الغموض في علاقة شقيقه برجل العصابات التركي ، ويعلم سبب الاعتداء الحقيقي، لقد سعى لدى بعض أفراد الأمن السري التركي لمعرفة المزيد من المعلومات ، ولم تزد معلوماتهم عن أن الرجل آق كوز يعمل عضوا في عصابات دولية ، وهو رجل معروف بالإجرام ، وقضى سنوات من عمره في سجون الجمهورية التركية .. فكان السؤال المهم ما نوع العلاقة بينهم وبين السيد سنار وجبران ؟ أصحبة حانات أم عصابات؟!

تحسنت صحة سنار بعد شهر، ونقل إلى إحدى مستشفيات السجن.. ولما قدمت القضية للمحكمة بعد شهور أفرجت السلطات التركية عنه وعن السيد جبران ، وعادا لأرض الوطن ، وحاول المقدم رباح فهم دوافع الحادث من جديد ؛ لكن دون فائدة .. ولم يكشف شيء من غموض الاعتداء .. سهرة في حانة .. رجل يقدم لهم خدمات في إطار ترتيب الصفقات التجارية.. ما هي تفاصيل هذه الخدمات ؟ لم يتحدثا بتفاصيل هذه الخدمات التي يقدمها رجل عصابات لتجار مثلهم .. كاد رباح أن ينسى هذا الحادث بعد حين .. كما ينسى الناس الكثير من الحوادث .. وما أدراك برجل شغله مطاردة وتعقب الحوادث الإجرامية كبيرة وصغيرة ؟!.. سينساها أو يتجاهلها ويشتغل بأحداثها كاد ينسى الحادث العارض لشقيقه سنار .. لولا ما حدث ليلة رأس السنة الغربية .

جواهر القفص

كفر الذرة

ح٢ والاخيرة

خوخ

استيقظ الشاب الثالث الغازي لجبل وغابة الجن فوجد نفسه طريح الصحراء ، فظن للوهلة الأولى أنه يستيقظ من منام ، ثم وعى للأمر وأنه في جوف الصحراء ، ووعى أن الجن انتقمت منه لاقتحامه

الغابة مع رفاقه تطلع يمينا يسارا قريبا بعيدا باحثا لم يجد إلا نفسه .

فنهض قائما واتخذ دربا فإما أن يهلك ويموت عطشا وجوعا وإما تكتب له النجاة .. ومن حسن حظه وجد في قربته بقايا الماء فبلل شفتيه ، ومشى نحو المجهول ، وتابع المشي رغم دخول الظلام على الصحراء لكن ضوء القمر والنجوم ساعده في اجتياز مسافات حتى وجد نفسه قبيل الفجر عند بئر ماء ؛ حيث وجد الأغنام والرعاة فارتوى من الماء ، وملأ القربة وسأل الرعاة عن أقرب المدن لهذه الصحراء حتى أن احدهم قال : أنت لست من الجن ؟

قال : لا ، أنا من بني آدم أريد مدينة الجن .

ـ ولماذا أيها الإنسي ؟

قال : احمل رسالة لملكهم .. ألستم من رعاة الجن ؟ ـ بلى .

قال : أين أسير للوصول لمدينتكم ؟

قدموا له حمارا وقالوا : اركب هذا الجحش أيها الرسول وستصل لبلاد الجن .

شكره خوخ وارتقى على متن الحمار وتابع سيره وسمع احدهم يقول : كيف وصل لهذه الأرض غريب .. يبدو أن احد الجن تركه هنا ليدخل المدينة ماشيا على اقدامه .. هل سيعود حمارنا ؟

قال : اذا لم يتعرض للوحوش سيعود .. فسيمرون على طرف غابة عربان وهي لا تخلو من السباع .. نتمنى لهم النجاة والسلامة .

وظل الحمار يسير براكبه حتى دخل الليل وصلا اطراف المدينة ، والله سلم من لقاء الوحش .. وعند نصف الليل وجد خوخ نفسه في الاماكن المعمورة .. فنزل عن الحمار وساقه لعين الماء وشربوا جميعا ثم اخلى سبيله وكر الجحش عائدا إلى اطراف الصحراء حيث الرعاة .. الذين لما شاهدوا حمارهم حيا ادركوا ان صاحبهم نجا من غوائل الطريق للمدينة فحمدوا رب البرية على ذلك .

اما صاحبنا خوخ فقضى بعض الوقت نائما قرب العين حتى فاجأه رجل فايقظه فقال : ألا تعلم أنه لا يجوز الاستلقاء هنا ؟

قال : أنا غريب ، وجئت من بلاد الانس

ـ أنت إنسي وماذا تريد ؟

قال : ابحث عن عمل وشغل في بلاد الجن .

قال : أتعمل معي أيها الفتى ؟

قال : ماذا تعمل أنت ؟

قال : أنا فران وجئت اخذ بعض الماء للعجين .. ولدي مكان لعملك ومنامك

ـ سأجرب العمل معك أيها السيد .

قال : اسمي فلوان الفران ومخبزي قريب من هذه العين يا انسان

قال : وأنا اسمي خوخ من بلاد كفر الذرة وقص عليه قصة قمع ومغامرة جبل الجن ، وحمل خوخ دلو الماء عن الخباز وتبعه إلى مخبزه القريب من عين الضبع .

لوز

تركنا لوزا وقد حكم عليه بالسجن في مدينة الجان وحبس في قصر الضيافة ريثما يرحل إلى احد سجون المدينة أو يسترق لاحد الأسياد ، قضى اياما في محبسه وهو يفكر بالهرب قبل ان يؤخذ من القصر .. فذات ليلة بعد معرفته للمكان بشكل جيد من خلال نافذة غرفته ..فبعد نصف الليل بوقت يسير هبط من النافذة بواسطة بعض الثياب التي وجدها في الغرفة وحولها لحبل ، ونزل بواسطتها الى ارض البستان وتسلل نحو الجدار المختار وتسلق على الأشجار ومنها إلى السور ثم تعلق بالسور وألقى بنفسه على الأرض وهو يحسن القفز والتسلق من صباه حيث الشجر ومطاردة الطيور .

وابتعد عن القصر مئات الاذرع ثم اخذ يركض في الظلام حتى دخل المدينة التي عرف مكانها من الخدم في قصر الأضياف ، وصعد أحد الجبال المطلة على المدينة ، وقرر الاختفاء بين الجبال والغابات بضعة أيام حتى يخف ويضعف الطلب عنه .

ونفذ ما خططه ثم مشى إلى احدى المزارع البعيدة وعرض نفسه على صاحبها أو وكيل صاحبها وزعم له أنه أتى من بلاد الانس للعمل في بلاد الجن ، فعجب الرجل من جسارته ورحب به ، وكساه ثياب الفلاحين ،وكلفه بالعمل معهم .

وقضى اشهرا يعمل مع عمال المزرعة ، وكان يساعد في رعي الاغنام وحلب الأبقار حتى أن وكيل المزرعة وعده أن يقدمه للأميرة لعلها تنقله للخدمة في احد قصورها ، ففرح لوز بهذا الامر واخذه الشوق والولهة لرؤية الاميرة الجنية .. وقد وجد بعض الانس يعملون مثله مع فلاحي الجن .. إما دخلوا بلاد الجن بالخطأ أو اعتدوا على أملاك الجن فجيء بهم إلى هذه المدينة اسرى ورقيقا أو خطفوا من بلاد الإنس رغم أنوفهم .

طاب له المقام في تلك المزرعة وزاد شوقه لرؤية مالكة هذه المزرعة وغيرها ، فاخبر أنها تأتي المزرعة في الصيف لقضاء بضعة أيام ثلاثة أو خمسة ثم تختفي للموسم القادم ، ووكيلها هو الذي يرسل لها الفواكه وغيرها بالعربات ، وقد عرفها لوز وحمل الكثير منها ، وذات صباح طلب منه سيد المزرعة صحبة الرعاة لعدة أيام لأن موعد ولادة الكثير منها قد اقترب .. وليست هي أول مرة خلال هذه الأشهر يرافق الرعاة إلى حيث المراعي .. وقضى سبعة أيام بصحبتهم ، ولما قفلوا

عائدين علم الشاب أن الأميرة زارت السيد واطلعت على نشاطه وجهده ،ولم تطل إقامتها يوم وليلة فقط .

فاغتاظ لوز من سيده وعاتبه بذلك فضحك الرجل : لم أعلم أن الأميرة ستأتي إلينا فبعد سفركم بيومين حضر رسولها ولم يكن لدينا وقت لطلبك وهي ايضا كانت في عجلة لأن أختها ستحتفل بزواجها .. سأسعى لك للعمل في قصر الأميرة إما مزارعا أو راعيا أو خادما .. فهي تطلب منا مثل ذلك .. بدل الذين يموتون يكبرون يضعفون بسبب المرض والسن والحوادث .. وأنت خير من يعمل في قصرها .. فاذا أرسلت في طلب أي صنف ستكون أولهم تابع عملك بنفس الهمة التي عهدتك عليها يا ولدي يا لوز .

ـ ابشر أيها السيد .

ارتاح الحداد عسيران للشاب النشيط بلوط ، واعجب بفكرته مساعدة البستاني بهادور يوما في الأسبوع ، وترك له اختيار احد أيام الاسبوع ليعمل في بيته وأرضه ، وشكره البستاني على هذه النخوة والهمة ، واعترف له بكبر سنه ووهنه عن الحفر حول الاشجار وزراعة الحبوب والبقول وبذل الشاب همته ونشاطه ، فهو فلاح قروي ابن فلاح ، فالزراعة حياته ومهنته منذ الصغر .

لقد رأى الجنية جمال السماء بنت الحداد عندما تنزل البستان آخر النهار للتفرج على الطيور والأشجار والأزهار والثمار ، ويقطف لها البستاني ما تختار من الاثمار .. وبعد تجوال تجلس تحت احدى العرائش ، وترافقها في بعض الأيام الجارية إن لم يكن لها عمل تلك الساعات في داخل البيت .. وبعد حين تعرفت على الشاب بلوط مساعد بهادور .. وهي تعرف بوجوده وأنه أسير والدها في دكان الحدادة ، وأعجبت بشهامته وحبه وشفقته على الع جوز بهادور .. وكان العجوز يرسله بأطباق وسلال الفاكهة التي استحسنها للسيدة ؛ حيث تجلس في عريشها ، وأحيانا يجد أمها تصاحبها ، فيدع الأطباق وسلال الفاكهة وينصرف سريعا جهة بهادور ، ومضى على هذا الحال شهور وشهور ؛ ولكنه بدأ يلحظ أن الفتاة الجنية كانت تحرص على النزول في يوم عمله للبستان ، وتطيل المقام على غير العادة كما فهم من بهادور .. وظل يمثل دور الجاهل والساذج ويقلل من الكلام معها .. حتى بدأت تأنس به ولوجوده حتى أن الحداد الجنى اخبره أن ابنته تطلب منه زيادة يوم آخر لمعاونة الشيخ بهادور .. فمنذ بدأ يعمل معه ضعفت همة الرجل عن العمل ..فاصر بلوط على العمل يوما واحدا في الارض وستة في المحددة .. فازداد الجنى له حبا لأنه من الصعب الحصول على أسير آخر تلك الأيام .

أصبح بلوط متقنا لعمله مع الجني ، ويعرف أهم الأعمال المطلوبة ، ومضت سنتان على هذا الحال ، وأخذ اسم بلوط يبرز بين الحدادين .. وزاد القرب بينه وبين ابنة الحداد ، ويطول بينهم اللقاء حول الزراعة والشجر والحدادة ، وأخذت تهتم بعمل والدها .. واخذ الجني يخشى من تطور الأمر بين وحيدته والأنسي ، ويتحسس ذلك ؛ ولكنه يهدأ لما تطمأنه الزوجة عن حسن سيرته ، ولم تلحظ بينهما أي ود فوق السيد وخادمه .. وكان الحداد يخشى تعلق ابنته ببلوط .. فهو يثق بغلامه ومن الصعب أن يتطاول على سيده ؛ لكن اذا فتحت فتاته المجال للشاب فربما يحدث بينهما ما لا تحمد عقباه ، ففتاته أصبحت في سن الزواج .. وأحس بأنه تسرع بنقل الشاب للعمل في البساتين فقد ضعف بهادور لآخر درجة ، فجل اعتماده على عمل بلوط وطابت له الراحة ، فكان بلوط يعمل عمل أسبوع من نشاط البستاني .

إذن هناك هواجس وقعت في قلب الحداد عسيران من تصرفات وحركات فتاته ، وكثرة حديثها عن بلوط ومدحه وذكاء الانس وفطنتهم واتقانهم للعمل .. حتى أنها صارحته ذات ليلة سائلة " لماذا لا يتزوج الجن من الإنس يا أبي ؟".. إنها تفكر كما تفكر الاناث .. وهي لا ترى من الرجال إلا هو والبستاني الهرم والشاب بلوط .. فيبين لها اختلاف جنس الجن عن جنس الانسان كما لا يتزوج الانسان والجن من الحيوان كذلك لا ينكح الانس الجن .. وأخذ عسيران يفكر بزوج لها قبل حدوث عشق بين فتاته وأسيره

كان بلوط متعلقا ببنت الحداد ؛ ولكنه كان يعيش بين الخوف والصبر، ويرى صعوبة الزواج منها قبل أن تبدأ هي .. فهي جنية ووحيدة الأب وهو عبد أسير لأبيها .. فترك الأمر للأيام واحس بأن الفتاة تميل إليه ، وهي مثله قلقة ومترددة في عشقه والغرام به رغم ما تتكلم به العيون وبعض الكلام .. فهي لابد أنها تخشى على حياته من غدر أبيها .

الأميرة

كان الشاب لوز متلهفا لرؤية الأميرة التي يعمل مع أعوانها زاعما الطمع للعمل في قصرها والقرب منها ؛ لعلها تعطف عليه بالعفو وتخرجه من مدينة الجن أو ترخص له بالزواج من نساء الجن بسلام وأمان ، لذا حينما حضرت للنزهة وقضاء أيام في قصر البساتين ، كان قيم الأراضي يرسل لوزا بالفاكهة لقصر الأميرة ، ولما انتهت المدة استطاع الشاب أن يلحق بها لحاجتها لأسرى يخدمونها في قصرها في المدينة ، وفتن الشاب بالقصر والجواري ، وحلم بأن يكون زوجها فهي من غير بعل .

بعد حين زاراها شقيقها الأكبر نور الدنيا ، وبصحبته الأمير شمس الأسمر ابن عم لهما ، وتبين

لها أنه قدم ليخطبها ويتزوجها، فرحبت به ، وبشفاعة شقيقها الأكبر ، وطلبت مهلة للرد .

فقال الشقيق : أيتها الأميرة بلسم الزمان حبيبك نور الليل تزوج الملكة شفق السماء ، ولم يرفض عرض الملكة ونسيك .. وابن عمنا شمس الأسمر قبل بك لصداقتنا ومصالحنا

قالت : نعم الصديق أيها الأمير ! لم اشف بعد من خيانة نور الليل ، ومع غدره يتودد إليّ يا ابن أبي فهو قد ندم من تركي وهو عبد ذليل للملكة شفق فلها عشاق وزعم أن الملكة أجبرته على نكاحها وهددته بقتلي ولم ترحم وتشفق على حبنا

قال شمس بحدة : كذب أيتها الأميرة ! قارن بين ملكة ومجرد أميرة .. هفت نفسه للملك وأن يقال زوج الملكة .. أمير قبيح .. لها عشاق.. أين أسرتها؟

قال نور الدنيا: هذا كلام الغادر لم نسمع به

قالت : هذا ما اخبرني به من عهد قريب

قال شمس : احذري أن تعلم الملكة بتودده إليك

قالت : افكر بالرحيل إلى قصري وأرضي

نور الدنيا: الأفضل الزواج بأسرع وقت من ابن عمنا ، فيختفي نور الليل من حياتك فيعلم الجميع انك نسيته وانتهى من حياتك

قالت : وهل يحميني الزواج من غضب الملكة ، فهي تعلم حبنا وغرامنا أيها الأعزاء

نور الدنيا: عندما تصبحين زوجة سيكف من التودد إليك

قالت : دعوني افكر بروية وتأني

شمس الأسمر: إلى متى؟ أسبوع .. شهر

قالت :سأرسل لكما

شمس الأسمر: رأيت إنسيا أمام القصر

قالت : نعم ، دخل البلاد ، واسترقه القيم واحضره لخدمتي مع الأسرى الآخرين .. وجدوه في غابة وجبل الجن، وهو صغير العمر

نور الدنيا: لي زمن لم يأت أعواني بإنسي من الغابة ؛ كأنهم قلوا من الصعود والفضول

غادر الضيفان القصر بعد العشاء وهما يطمعان بسماع الجواب قريبا.

دعت الأميرة لوزا وقيمة القصر وجاريتها الخاصة ، وسمعها لوز تتحدث عن سبب قدوم شقيقها وابن عمها ، فتألم لوز وقال : أترغبين بالزواج منه؟

قالت : ما رأيك أيها الإنسان ؟

قال مرتبكا : عفوا مولاتي ! ما أنا إلا خادم .

قالت : لك سنوات تعمل في أملاكنا فصرت منا، ولا بد من زواج .

قال مرددا: لابد من زواج ! زوجيني جاريتك هذه.

قالت ضاحكة : أتحبها يا لوز؟

قال : أنا أحبك أنت! لكنك أميرة.

ضحكت النساء وقالت القيمة : قد يقتلك الجن لو تزوجت أميرة.. والجارية صعب زواجك منها القانون يمنع ذلك

قالت الأميرة : انصرف يا غلام .وادركت تعلق الأسير بها فقالت للنسوة بعد ابتعاده : يجبني الإنسي يا أم اليسر!

قالت : فقد عقله يا مولاتي يرغب بالجارية !

رفضت الجارية فكرة الزواج والاقتران بأسير من جنس الإنس .

قالت الأميرة : الخلق بحاجة لزواج.

قبلت الأميرة الزواج من ابن عمها بحديثها مع الشقيق الأكبر وبدأت الإعدادات لإعلان الزواج وإشهاره للملأ ، وعرضت الأميرة على لوز عتقه ، وإرجاعه لكفر الذرة فرفض العرض ، وأصر على البقاء في قصرها ، فاستغربت تعلقه الشديد بها ، وعشقها المبرح ونقل للعمل في البساتين

ورحلت إلى قصر زوجها ابن عمها وقضت ثلاث سنوات حليلة له وعلم ابن العم أن زوج الملكة يتودد إليها فلامها في ذلك.

فقالت: اكشف أمره للملكة ..

أنا عاجزة عن منعه وهو غير مقتنع أنني هجرت حبه.

علمت الملكة برسائل زوجها الخفية للأميرة ، وحاول الإنكار ؛ولكن جاريته أقرت بنقل رسائل للأميرة فأمرت بحبسه وتطلقت منه وأمرت بنفي الأميرة حتى يموت زوجها

فطلقها ابن عمها خشية تعرضه للقتل والأذى وغادرت البلاد بسلام .

وبعد زمن دخلت البلاد سرا والتقت بلوز الذ ي توسل بالزواج منها، فرفضته وأمرت قيم قصرها بنقله لبلاده كفر الذرة ،ولما استيقظ وج د نفسه على أطراف القرية .

عشقت ابنة الحداد الشاب بلوطا ، وطلبت من أبيها أن يزوجه إياها ، فهدد أبوها بقتله أو رميه في غابة الوحوش وامتنع بلوط من العمل في البستان ، وكانت البنت تهدد بقتل نفسها إن لم تزوج من الأسير بلوط وأنها مستعدة للذه اب والعيش في بلاد الانس .

وأصر الحداد عسيران على الرفض ، وتدخلت الأم وحببت لزوجها زواج ابنته من بلوط

ووصلت الأم بالتلويح بالطلاق إن لم يحصل ا لزواج ، وبعد سنوات لان الحداد عسيران وأنكح وحيدته من بلوط . وعاش معها بلوط

بسعادة ولما توفي الحداد بانتهاء الأجل أمرت أمها الأرملة بنقل بلوط إلى كفر الذرة خشية اغتياله والفتك به من أقارب عسيران لتزويجه ابنته لأنسي ، فقام احد أبناء أخواتها بالمهمة ، ووعد بالتحاق جنيته به على اثر وفاة الأم ، وهذا ما حصل في النهاية ، وكانت الجنية ترسل المال لبناء بيت خاص بهما وتذكره الناس الذين ادركوه شابا يافعا قبل ثلاثين سنة.

وزاره لوز وتعرفا على بعضهما بعد كل هذه ال سنوات ، وتذكروا أن رفيقا ثالثا رافقهما ثالثا في الصعود إلى جبل وغابة الجن ، وفرح لوز بتمكن الشاب بلوط بالزواج من جنية وينتظر مجيئها بعد موت أمها ، وأسف بلوط لفشل لوز بنكاح جنية في بلاد ومدن الج ن .

أما خوخ فعمل مع الفران والخباز فلوان سن وات بعد سنوات ، وكان الفران قد زوجه ابنته قبل وفاته أثر مرض دهمه ، ثم انتقل خوخ للعمل مع خبازي قصر الملك بعد وفاة الفران ، وكان ابن عّم الفران خباز في القصر الملكي .

ولما مرض خوخ مرضا شديدا ، حقق له ابن العم رغبته بالعودة لقريته بصحبة ابنة ابن العم وقد قبلت بالرحيل معه، وأعطاها مالا كثيرا لبناء بيت يليق بها في بلاد الإنس ، ودفع إليها عددا من الحمام الزاجل لتتواصل معه.

ولما وصل القرية تفاجأ بأحوال القرية المتغيرة وأصابته الدهشة بلقاء لوز وبلوط وفرح بزواج بلوط بجنية مثله ،وأقام بيتا بجوار بيت بلوط ليكون جاراً له ولما تعود زوجة بلوط تجد جنية تعيش بجوارها .

بينما لوز في أرض والده يعمل أخبره أحد الفلا حين أن امرأة ترغب بالحديث معه فذهب لمقابلتها ؛ فإذا هي الأميرة المنفية ، فقبل يديها كما كان يفعل ، وعلم أنها أتت لتتزوج منه، فقبل قدميها ، وأعطته المال لإنشاء القصر والبستان ،وحين ينتهي العمل سيتزوجان وفرح صديقاه خوخ وبلوط بهذا الخبر ، ونشط ببناء القصر قصر الزواج ، وقد حقق حلمه بالزواج من جنيات غابة الجن كما كان يسمع حكايات قمع عن جنيات جبل الجن كما سعوا لذلك قبل ثلاثين سنة بالصعود لجبل الجن .

تمت بفضل الله



مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
نبوية
جمال شاهين
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
غربتي وابنتي
قصص المصباح المضيء
وهج الحرب
موقعة الثلاثة والعشرين
الفوارس
حصرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
قريشا . . .
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالوفيا والملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي